ⵜⴰⴳⵍⴷⵉⵜ ⵏ ⵍⵎⵖⵔⵉⴱ
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵙⵉⴷⵉ ⵎⵓⵃⴰⵎⵎⴷ ⴱⵏ ⵄⴱⴷⵍⵍⴰⵀ
ⵜⴰⵡⵉⵙⵜ ⵏ ⵜⵓⵔⵉⵜ ⴷ ⵜⵎⴰⵙⵙⴰⵏⵉⵏ ⵜⵉⵏⵎⵓⵔⵉⵏ
ⵙⴰⵢⵙ - ⴼⴰⵙ
Royaume du Maroc
Université Sidi Mohamed Ben Abdellah
Faculté des Lettres et des Sciences
Humaines Dhar El Mehraz -Fès

المملكة المغربية
جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الآداب والعلوم الانسانية ظهر المهراز – فاس

مركز دراسات الدكتوراه: الجماليات وعلوم الإنسان

تكوين التعابير والأشكال الرمزية

تخصص: اللغة العربية

إجابة الدَّعوة لإِصابَة الدُّعوة
"شرح القصِيدة المدنِيَّة في مدحِ مهدِيِّ الأمَّة"
لأمحمَّد أطفِيَّش ت:1332 المجلَّد الأوَّل تحقيق ودراسة

قسم الدراسة

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه

إنجاز الطالب:

✍ عبد الوهاب بافلح

ر.و.ط : 6053211280

إشراف الأستاذ الدكتور:

✍ عبد الرحيم الرحموني

الموسم الجامعي

2019-2018

شكر وتقدير

أتقدم بأسمى التقدير والامتنان إلى الدكتور عبد الرحيم الرحموني الذي كلف نفسه عناء الإشراف على هذا البحث، والذي زودنا بإرشاداته و توجيهاته القيمة لإخراج هذا العمل للوجود.

وكذلك لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل لجميع أساتذة مختبر الدراسات المصطلحية ومركز الدكتوراه الجماليات وعلوم الإنسان الذين أشرفوا على تكويننا، راجين من الله تعالى أن نكون عند حسن ظن الجميع من خلال هذا الإنجاز المتواضع.

إهداء

إلى التي حملتني وهنا على وهن ووزعت في نفسي روح الأمل "أمي".

إلى الذي ضحى بالغالي والنفيس من أجل تكويني وتعليمي "أبي".

إلى رفيقتي في الحياة زوجتي

إلى فلذات الأكباد الذين رأوا النور في فترة إنجاز هذا العمل، نور الهدى وأيوب

إلى كل أفراد العائلة.

إلى كل الأصدقاء والصديقات.

إلى كل من ساعد من قريب أو من بعيد في إخراج هذا العمل إلى حيز الوجود.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا البحث العلمي المتواضع.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة:

الحمد لله ربّ العالمِين، والصّلاة والسّلام على خيرِ خلقِ الله، محمّد بن عبد الله، وعلى صحبهِ وآله ومَن والاه إلى يومِ الدِّينِ، وبعدُ...

اشتهر أمحمّد أطفِيّش مؤلِّف كتابِ "إجابة الدّعوة لإصابة الدّعوة" بسِيرتِهِ العلمِيَّة، وتفانِيهِ فِي خدمة العلم وطلّابِهِ، والوفرةِ فِي التّأليفِ، فقد أنشأ فِي بيتِهِ معهدًا يؤمُّهُ الطّلابُ مِن أماكِن مختلفة، فوجدوا المنهل العذب والمعلّم النّبِيهَ الذِي يحملهم على تلقِّي العلومِ بالتّدرِيجِ والشّمول. فهذا العلَم يدرَج ضمن الأعلام الموسوعِيّين الذِين ميّزوا ظاهرة التّأليف فِي العالم الإسلامِيّ، فمنذ نعومة أظفارِهِ حملَ نفسَهُ على تلقِّي العلومِ وتحقِيقِها، لم يثْنِهِ بعدهُ عن الحواضِرِ الإسلامِيّة الكبرَى عن ذلِكَ، فكان كلّما علِمَ بمكتبةٍ قرِيبة منهُ إلّا سعَى فِي تحصِيلِها، حتّى إنّهُ تزوّجَ امرأةً رغبةً فِيما لديها من كتبٍ ورثتها عن أبِيها، لقد كانَ الكتابُ المنهلَ الذِي لازمه أطفِيّش لإشباعِ نهمِهِ وَسدِّ الفراغِ العلمِيّ الذِي عرفهُ في مسقطِ رأسهِ، ثمّ إنّهُ كان يبذلُ الأموالَ للحصولِ على الكتُبِ، يترصّدُ الحجِيج والمسافرِينَ ويطلبُ منهم اقتناءَ العناوِين المطلوبة، حتّى إنّه أقدمَ على زيارة البقاعِ المقدّسة مرّتينِ، في إحداهما جاورَ فِي مكّة سنةً كاملةً للدّرسِ والتّدرِيسِ والتّأليفِ.

إنَّ هذا النّهمَ والسّعيَ الدّؤوبَ تكلّلَ فِي بداياتهِ باقتحامِ مجالِ التّأليفِ، فنظمَ أطفِيَّش كِتاب "المغنِي عن كتب الأعارِيبِ" لابن هِشام الأنصارِي في "قصِيدة الغرِيب" في مستهلِّ عمرِهِ، (في سنّ السّادسة عشرة)، فِي أكثَرَ من ألفَيْ بيتٍ، وقبلهُ كان قدْ شرَحَ قصِيدة أبِي زكريا الصَّدغانِي في الجملِ، وضعهُ وهو ابن خمس عشرة سنة. فكانَ هذا الإنتاجُ مؤشِّراً قوِيًّا علَى نبوغه العلمِيّ، وبالخصوصِ اللُّغوِيّ النّحوِيّ، كانَ مبعثُهُ سدّ الحاجةِ إلى هذه

العلومِ، وتقدِيمُ ما يتزوّدُ بهِ الطّالِبُ ويرقَى بهِ إلى ما هو أعلَى وأعمَق، ومِنْ ذلِكَ الحِينِ اشتغلَ أطفِيَّش بالمدوّنات النّحوِيّة تيْسِيرا لمسائلها لِلْمتلقِّينَ.

وكانَ شرح أطفِيَّش لشواهِدِ الكتبِ النّحوِيّة منهجا آخرَ لتحقِيقِ نفسِ الغايةِ، فشرحَ شواهِدَ "الشّروح الثّلاثة للأجرومِيّة"، وشواهِد كتاب "قواعد الإعراب" لابنِ هِشام، وغيرها، ليصِلَ فِي مرحلةٍ متأخِّرة إلى شرحِ القصائِدِ الطّوِيلةِ، واختارَ منها ما يكونُ قرِيبا مِن توَجُّهِهِ العقدِيّ والأخلاقِيّ، فشرح لاميّة ابن النّظر العمانِي في الولاية والبراءة، وشرح "القصِيدة المدنِيّة" في كتابِهِ "إجابة الدّعوة" المقصود في هذا البحث بالدِّراسة والتّحقِيق. وكلا الشّرحين من الحجم الكبِير، استفاض الشّارِحُ خلالهما فِي المباحِثِ الشّرعِيّة التّارِيخِيّة، لكنّهُ لم يغفِل الجوانِب اللّغوِيّة والأدبِيّة. ولم تخْبُ هذهِ الملكة اللّغوِيّة لأطفِيَّش في مؤلّفاته الشّرعِيّة، وبالخصوصِ تفاسِيره الثّلاثة للقرآنِ الكرِيم؛ إذْ يلمسُ فِيها إيمانهُ بِأهمّيّة الدّراسة اللّغوِيّة لتحقِيقِ مقاصِد الخطابِ الشّرعِيّ، وإصابةِ المعانِي التِي يرمِي إليهَا. إنّ هذِهِ المكانةَ وهذهِ المِيزةَ لهذا المؤلّفِ، وانتماءَه إلى فترةٍ لم تلقَ من العنايةِ والدِّراسةِ النّصِيبَ اللّائِقَ بها، ممّا رغّبنِي فِي إنجازِ أطروحتِي مشتغلًا بأثرٍ مِن الآثار التِي خلّفها هذا الشّيخُ الجلِيل، واخترتُ من تلك الآثارِ كتابَ "إجابة الدّعوة لإصابة الدّعوة" وهو شرحٌ لقصِيدةٍ مادحة للرّسولِ ﷺ، أنجزهُ مؤلّفه فِي ثلاثة مجلّدات، اقتَصَرْتُ على المجلّد الأوّل منها؛ نظرا لِضخامةِ الكتابِ وتوسُّعِ مادّتهِ العلمِيّة، فكان عنوان الأطروحة:

إجابة الدَّعوة لإصابَة الدُّعوة

لأمحمَّد أطفِيَّش ت:1323هـ

المجلَّد الأوَّلُ تحقيق ودراسة

ولقد اضطررتُ؛ لإيضاحِ المجالِ العلمِيّ لِلْكِتابِ إلى إضافة عنوانٍ فرعِيّ يحقِّق هذه الغاية، فأصبحتْ صِيغةُ العنوان على النّحْوِ الآتِي:

إجابة الدَّعوة لإصابَة الدُّعوة

(شرح القَصِيدة المدنِيَّة في مدحِ مهدِيِّ الأمَّة)

لأمحمَّد أطفِيَّش ت:1323هـ

المجلَّد الأوَّلُ تحقيق ودراسة

أوّلًا: إشكالِيّة البَحث:

يندرِجُ هذا البحثُ ضِمنَ البحوثِ التِي تشتغلُ بدراسة المتنِ العربِيّ فِي إطارِ "مختبرِ الأبحاث المصطلحِيّة والدّراسات النّصِيّة" الذِي يعنَى بقضايا اللّغة العربِيّة وآدابها. والإشكالِيَّة القائمة في هذا البحثِ منبثقةٌ عن القراءة المتأنِيّة للكتابِ موضوع الأطروحة، ويمكِنُ صَوغها على الشّكل التّالِي:

1- التّحقِيق: ولقد تقدّم في الإنجاز رغم تأخُّرِ عرضِهِ فِي المنجَزِ، ولبُّ الإشكالِ الذِي يَحومُ حولهُ هو الوصولُ إلى القراءة الصّحِيحة للنّصّ المخطوطِ، من خلالِ الوثائِقِ المتاحة، بما تقدّمه مِن قرائن، وبالاستعانةِ بِالمصادِرِ التِي استعملها المؤلِّف لإنجازِ كتابِه، وغيرِ ذلِكَ من القرائنِ المساعدة.

2-الدِّراسة: هذا الشّقّ يندرِجُ ضمنَ الدّراسات الواصفة للخطابِ الشّارِحِ، ويَبْتغِي الإجابة عنْ مجموعة مِن الإشكالات، تتمحورُ حول الأسئلة التّالِية:

- ما الأدوات الإجرائِيَّة التِي اتّبعها الشّارِحُ فِي مقاربة النّصّ الشّعرِي، وما حدودها المائزة؟
- ما القضايا اللّغوِيّة والأدبِيّة التِي تطرّقَ إليها الشّارِحُ؟
- ما إسهامات الشّارِحِ فِي مستويات الشّرحِ المقدّمة، وفي القضايا المناقشة؟

ويسهِمُ في الإجابة عن هذه الإشكالاتِ التّعرُّف على مجمَلِ ما يحِيطُ بالكِتابِ؛ من حيثُ معرفة حياة المؤلِّف وظروف إنجازِهِ لكتابِهِ، ومعرِفة مواضِيعِ الكتابِ التِي تطرّقَ إليها، ومصادره التِي اعتمدَ عليها، على الوَجْهِ الذِي سيتمُّ بيانُهُ فِي أقسام البحثِ.

ثانِيا: أهداف البحثِ وحدودُهُ:

يرمِي هذا البحثُ إلى تَحقِيقِ أهدافٍ صِيغتْ وَفقَ الإشكالِيَّة المطروحة، واستثمارًا للْإمكانات المتاحةِ المعرفِيّة والمادِيّة، وهذهِ الأهدافُ تحدّ من عملِ الأطروحةِ وتوضّحُ المعالِم التِي تَبتغِي الوصولَ إليها:

- التّعرِيف بالمؤلِّف "أمحمّد أطفِيَّش" وَبيان سيرة حياتِهِ وإنتاجه العلمِي.
- التّعرِيف بكتابِ "إجابة الدّعوة لإصابة الدُّعوة" وبيان ظروف تأليفِه.
- تحقِيقُ المجلّد الأوّل مِن كتابِ "إجابة الدّعوة لإصابة الدّعوة".
- تقدِيم دراسة للنّصوص اللّغوِيّة والأدبِيّة في الكتابِ.
- بيان منهج الشّارِح في كتابِه، وتوضِيح أهميّته في سياقه التّارِيخِي.

ويسعَى البحثُ إلى تقدِيم نموذجٍ لتحقِيقِ الكتب الموسوعِيّة، إسهاما فِي نشرِ التّراث العربِي المخطوطِ.

ثالِثا: أسبابُ اختيارِ كتابِ "إجابة الدعوة"

إنّ الإقدامَ على تَحْقِيقِ ودراسةِ كِتابِ "إجابة الدّعوة لإصابة الدّعوة" لَيسَ ولِيدَ سببٍ واحِدٍ، ولا كان الكتابُ مقصودا لذاتِهِ، ولكنّ مجموعة من الدّوافِعِ دفعتنِي نحو هذا العملِ، وقد اختلفتْ بينَ الدّوافع الشّخصِيَّة الذّاتِيَّة والدّوافع العلمِيَّة الموضوعِيَّة، ويمكِنُ إيجازها في الآتِي:

أ.**المكانة العلمِيّة للمؤلِّف "أمحمّد أطفِيَّش"** الذِي أعتبرهُ من أهمّ الحلقات العلمِيّة الرّابطة بين الأجيالِ؛ إذْ بفضلِ مجهوداتِهِ المتواصِلة استطاعَ نقلَ مجموعةٍ من العلومِ إلى ضفافِ "وادِي مزاب" بعد أن عرفَ ركوداً وعزوفاً مِن أهلِهِ، واكتفاءً بِمقدّماتٍ لا ترقَى إلى قيامِ متضلّعينَ ومحقّقِينَ.

ب.الغيرة على التّراث الجزائريّ، وبالخصوصِ تراث ضفاف "وادِي مزاب"، حيث لم ينَل العنايةَ الكافِية، بقدرِ ما نالهُ غيرُهُ، سواء التّكشِيف والفهرسة، أو التّحقِيق والنّشر، وبالنّظرِ إلى الزّخمِ الكبِيرِ مِن المخطوطاتِ الذِي تحوِيه المكتبات المختلفة العامّة منها والخاصّة، المنتشِرة فِي أزقّة قصورِهِ، والملحقة بمساجده العتِيقة (مكتبة إروان– التّلامِيذ).

ج.البحثُ فِي الحلَقَةِ المفقودة التِي تربِط الماضِي بالحاضِر، وتجِيبُ عن سببِ تخلّفِ اللُّغة العربِيّة فِي أوطانِها عن غيرِها من اللُّغاتِ، رغم إمكاناتِها الكبِيرة، وتارِيخها العرِيق؛ إذْ مِن أهمِّ القضايا الرّاهنة المتعلّقة باللّغة العربِيّة قضِيَّة تعلِيمها وتلقِّيها، والعزوف الذِي نالتهُ في مختلف المستويات التّعلِيمِيّة وكان الشّعور بالتّحدِّيات القائمة والاستجابة المناسِبة لها من أهمِّ الأسبابِ التِي قوّت وجودَ اللُّغة العربِيّة، وأسْهمتْ في لزومِ المتعلّمِين لها وسعيهم نحوَ اتقانِها. ثمّ إنَّ الفارِقَ بينَ منهَجَيْ التَّحصِيلِ القدِيم، الذِي يرتكِزُ على العالِمِ المتقِن، وعلى المتونِ العلمِيَّة، وبينَ المنهَجِ الحدِيثِ، الذِي يوكِلُ المهمّة إلى خرِّيجي أقسام تعلِيمِ اللّغة العربِيّة وآدابها، ولم يبلغوا بعدُ المستوَى الذِي يلحقهم بمصافِّ العلماءِ المتقنِينَ، كان لهذا التَّوجِيهِ الأثَرُ الجسِيمُ على هذه الظّاهرة واسْتفحالِها.

د.تعلّقِي بكتب الشّروحِ، ويقِيني بالمتعة العِلْمِيّة التِي تكتنفها؛ بفضلِ جمعها بين فنون مختلفة، واختراقها الحجب الفاصلة بين التّخصُّصات، وبالخصوصِ فنون الشّرِيعة الإسلامِيّة وعلوم اللُّغة العربِيّة، وما التّفرِيقُ بينها إلّا من تفرِيقِ التّوائِمِ، فقد ولدا فِي رحمٍ واحدةٍ، وسعيا نحو غايةٍ واحدة، مع اختلافٍ في الآليّات والأدوات الإجرائِيّة، ومن حيثُ الإشكالات البحثِيّة التِي تنشأ من خطابِها الشّارِحِ، وعلى رأسِها تعدّد قراءات المتنِ الشّعرِي، واختلاف مستوياتهِ. ثمّ إنّها تكونُ مجالاً يبثُّ فِيها الشّارِح آراءهُ اللُّغوِيَّة (النّحوِيّة والصّرفِيّة والمعجمِيّة والبلاغيَّة) وخاصّة إذا كان المتنُ المشروحُ لم يسبَق التّطرُّقُ إليهِ.

هـ.أهمِيّة كتاب "إجابة الدّعوة" التّارِيخِيّة؛ إذْ هو شاهِدٌ على فترةٍ لم يعرَفْ تراثها على الصُّورة التِي كانَ عليها، حتَّى أطلِقت عليها الأحكامُ العامّة، التِي لم تبْنَ على أسُسٍ علمِيّةٍ، تعتَمِدُ الوصفَ الصّحِيحَ والاستقراء، لتخرج نتائج أقربَ ما تكونُ إلى الواقِعِ[1]، واصطباغ الكتابِ نفسِهِ بصبغة الشّروحِ الموسوعِيّة.

و.الاشتغالُ بِتحقِيقِ كتابِ "الرّوض الأنف" في شرحِ سيرة ابن هشام للإمام السّهيلِي (ت:581هـ) خلالَ مشروع التّخرج لنيلِ شهادة الماستر في الدِّراسات العربِيّة سنة 2012م، وقد اشتركت فِي إنجازِهِ مع مجموعةٍ مِن الطّلبة من الفوجِ نفِسهِ. ويتقاطع الكتابُ فِي كثِيرٍ مِن مفاصلهِ مع كتابِ "إجابة الدّعوة"، كما أنّهُ يعدُّ من مصادِرِهِ التِي استقَى منها مجموعةً من النُّصوصِ والآراءِ.

ز.انتماءُ الكتابِ إلى فترةٍ طالما وُسِمتْ بالضّعف والتّقلِيدِ والاشتغالِ بالحواشِي والشّروحِ، دون السّعيِ نحو الإضافة العلمِيَّة، والتّمحِيصِ والتّدقِيقِ. وقد تبيَّن من تحقِيقِ الكتابِ عكس ذلِكَ؛ إذْ كانَ محاولةً فِي مسايرة المتعلّمِينَ في التّلقِّي، بدءا باختيارِ القصِيدة الملائمة لمدارِكِهم، ومسايرتهم فِي التّحلِيل باتِّباعِ منهَجٍ متدرّجٍ متكامِلٍ شاملٍ لعلوم اللُّغة حسَب الحاجة.

رابِعا: الدّراسَات السّابِقَة:

لقَدْ أغرتْ مسِيرة أطفِيَّش العلمِيّة وغزارة تراثِهِ وتشّعبه وانتشارِهِ في الآفاقِ الباحثِينَ بالعناية بِهِ، فقامَتْ مجموعةٌ مِن الدِّراسات الأكادِيميّة بالكشف عن تراثِهِ في المجالاتِ العِلْمِيّة التِي ألّفَ فِيها، وبالخصوصِ التّفسِيرُ والنّحو والصّرف والبلاغة، وقد تجاوزتْ أكثرَ

(1) أحصَى الباحِث قطاوِي لخضَر في أطروحته للدكتوراه أكثرَ مِن سبعة عشر مؤلّفا يعنَى بقضايا الصَّرف في الفترة 1830-1962م بالجزائِر، بينَ كتابٍ مخطوطٍ، ودراسة تعنَى بهذا المجال من علوم اللّغة، ينظر: المدونات الصّرفِيّة بالجزائِر من 1830 إلى 1962-دراسة تحليلِيّة، قدور قطاوِي لخضر، ص56. ومثل هذه الدِّراسات تقدّمُ إحصاءً يعِينُ على ضبطِ بيليوغرافيا علوم اللُّغة الخاصّة بمنطقة معيّنة. ولم أقِفْ على دراسة تعنَى بالشّروح الشّعرِيّة أو شروحِ قصائِدِ المدِيح النّبوِي.

مِن ثلاثِين عملا أكادِيمِيّا، ولا تزالُ الدِّراسات متواصِلة، ومِن أهمِّ تلك الدِّراسات التِي تتقاطع فِي فصولِها مع هذه الأطروحة:

- **الشيخ محمد بن يوسف أطفِيَّش ومذهبه في تفسِير القرآن الكرِيم، مقارنة إلى تفسِير أهل السُّنَّة**، رسالة ماجستِير لِيحْيى بن صالح بن يحيى، نوقِشت الرِّسالة بجامعة عين شمس بمصر سنة 1989.
- **بيان البيان للشيخ الحاج امحمد بن يوسف اطفيش (1243هـ–1827م/ 1332هـ–1914م): تحقيق بابي الدلالة والتشبيه** لقاسم بن عمر أوبكة، رسالة لنيلِ شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها، تخصص: علوم اللغة، نوقِشَتْ الرسالة بجامعة غرداية كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العرِبي سنة 2013م.
- **الكافِي في التصرِيف أمحمد بن يوسف أطفِيَّش (1236هـ– 1332) تحقيق ودراسة** لعائشة يطو، رسالة لنيل شهادة الماجستِير، نوقشت بجامعة وهران السانيا كلية الآداب والفنون سنة 2002م، طبعتها وزارة التراث والثقافة بِمسقط عمان سنة 2012م.
- **المسائل التحقيقية في بيان التحفة الآجرومية تأليف محمد بن يوسف أطفِيَّش (ت1332هـ) تحقيق ودراسة من باب المبتدأ والخبر إلى باب المخفوضات من الأسماء**، رسالة لنيل شهادة الماجستِير في اللغة العربية وآدابها، لِلعيد هازل، إشراف: بوجملِين لبوخ، نوقشت بجامعة قاصدِي مرباح بورقلة سنة 2011م.
- **الاختيارات النّحوِيَّة للشَّيخِ محمّد بن يوسف أطفِيَّش في (تيسِير التّفسِير)** لسالم بن مسعود بن سلِيم الصّوافِي، رسالة ماجستِير، تخصُّص لغة ونحو،

إشراف: د.عبد الحمِيد محمد الأقطش، المملكة الأردنِيَّة، نوقشت بِجامعة اليرموك سنة 2007م.

- **التّوجيه النّحوِي في "تيسير التفسِير" لمحمد بن يوسف أطفيَّش**، لأقون فضيلة، أطروحة لنيلِ شهادة الدكتوراه نوقِشتْ بِجامعة علِي لونِيسي البليدة 2.

وقد قدّمت هذه الدِّراسات خدمة جلِيلةً لتراث أطفِيَّش، بالتّكشِيفِ والتّحقِيقِ والدِّراسة، ومكّنت الباحثِينَ من التّعرُّفِ على هذا العلَمِ، ومناقشة آرائه وأقواله العلمِيّة المختلفة في العلوم الشّرعِيّة (التّفسِير، وأصول الدِّين، والفقه...) والعلوم اللُّغوِيَّة (النّحو والصّرف، والبلاغة والعروض...)، واختلفت فِي درجاتِ إتقانِها بين الدِّراسات الجادّة التِي قدّمت الجدِيد، والدِّراسات التِي حامتْ حولَ الموضوعِ، وقدّمتْ أشتاتاً من الملاحظاتِ يصعبُ إيجادُ قاسمٍ يجمعها إلّا جلدة الكتابِ. لقد شكلّت تلكَ الدّراسات قاعدة ينطلِقُ منها الدّارسونَ لِمواصلةِ الطّرِيقِ، واستكمالِ ما لم يشملهُ البحثُ والتّحقِيق.

وبخلوّ المجالِ ممّا يتعلّقُ بمجالِ الشّروحِ الشّعرِيّة؛ فإنّ هذا البحثَ يجِدُ لنفسِهِ مبوّءا مكِينا؛ ليضِيفَ لبنةً إلى الدِّراسات السّابقة، فَلَم يسْبِق أن تمّ تحقِيقُ أو دراسة كتابٍ مِن كتب أطفِيَّش في هذا المجالِ، وهو الذِي قدّم مؤلّفاتٍ مختلفة تعنَى بشرحِ الْكلامِ الموزونِ، فرغمَ اشتراكِ مباحثِ قسمِ الدِّراسَةِ في هذه الأطروحة مع ما سبقَ إنجازُهُ، كالاهتمامِ بالدّراسة المعجمِيّة والنّحوِيّة والبلاغِيّة والشّواهِد اللُّغوِيَّة، إلّا أنّ مجالَ اشتغالِ هذه الدِّراسات كان حول الكلام المنثورِ، ولم تنظَرْ إلى المؤلّفات التِي اشتغلَ فِيها أطفِيَّش بِبيانِ معانِي الأبياتِ الشّعرِيَّة؛ كشروحِ الشّواهِد اللّغوِيَّة، أو شروح القصائد الكاملة، كما هو الحال في كتابِ "إجابة الدّعوة لإصابة الدّعوة" الذِي تشتغِلُ بهِ هذه الدِّراسة.

خامِسًا: أقسامُ البَحثِ ومنهجه:

جاءَ البحثُ فِي قسمينِ رئِيسيْن، إضافةً إلى المقدّمة والخاتمة وملحقِ الفهارِس الفنّيّة، وفِيما يلِي بيان هذه الأقسام:

1- **المقدّمة:** هِي محَطّ الحدِيثِ هنا، وبيّنتُ فِيها إشكالِيّة البحث وأهدافه وحدودَه، وأسباب اختيار الكتاب، والدّراسات السّابقة، وأقسام البحثِ ومنهجه والصّعوبات التِي اعترضَتْ إنجازَهُ.

2- **الدِّراسة:** ضَمّ هذا القِسمُ ثلاثة فصولٍ كالآتِي:

تناول الفَصلُ الأوّلُ في مبحثيه حياةَ أمحمَّد أطفِيَّش، مبيّنا نسبه وميلادهُ وجملة مِن خصالِهِ ومواقفهِ، وقدّمَ قائمةً ببليوغرافِيّة مفصّلةً لإنتاجه العلمِيّ بكلِّ مجالاتِهِ الشّرعِيّة واللّغوِيّة والأدبِيَّة والتّارِيخِيَّة وغيرها، وقد أتبعتها ببيانِ المجالِ العلمِيّ الأصلِيّ الذِي اشتغلَ بِهِ المؤلِّفُ وما تفرّع عنهُ مِن مجالاتٍ، وتحدّثتُ عن نزعته التّجدِيدِيّة استجابةً لواقعه المعِيش واستِشْرافًا لحالٍ أفضل.

وتحدّثتُ فِي الفصلِ الثّانِي عن طبِيعةِ كتابِ "إجابة الدّعوة" موضوع الأطروحة، فكشفتُ عنْ هيكلِ بنائِهِ الذِي أقامه مؤلِّفه عليه، وحقّقتُ ألفاظ عنوانِهِ اعتماداً على النُّسخ الخطّيّة للكتابِ ومؤلّفات أخرى للمؤلّف نفسِهِ، وفصّلتُ المواضِيعَ التِي تطرَّقَ إلَيها وبيَّنتُ ترابطَها وتحقِيقها لغاية الكتابِ، وقدّمتُ قائمةً بالمواردِ الأساسِيَّة المباشرة وغير المباشرة التِي اعتمد عليها المؤلِّف. كما قدّمتُ وصفاً لنسخه الخطِّيّة المتوفِّرة، والمنهج الذِي سارتْ عليهِ عملِيّة التَّحقِيق، مع نماذجَ من مخطوطاتهِ.

وعنِيتُ في الفصْلِ الثّالِثِ الذِي هو لبُّ الدِّراسة بأهَمّ القضايا اللّغوِيَّة والأدبِيَّة في الكتابِ، كانَ مبعث دراستِها إظهارُ شخصِيّة المؤلِّف اللّغوِيّة والأدبِيّة، بالوقوفِ ابتداءً على منهجهِ فِي الشَّرحِ وإضاءاتِهِ لنصِّ القصِيدة وغيرِها من النُّصوصِ التِي تولَّى بيانها، وعلى إضافاتهِ العلمِيّة التِي تميَّزَ بها، وانتهجتُ في إنجازِ ذلِكَ منهج الدِّراسة النّصّيّة القائم علَى جمع النُّصوص اللّغوِيّة والأدبِيّة، وتصنِيفها حسَبَ مجالِ اشتغالِها، واخترتُ منها ما كان يقومُ على إشكالٍ يبتغِي المؤلِّف بيانهُ، وتوضِيحهُ للمتلقِّي، واستعَنْتُ فِي التّحرِير بالمنهَج

الوَصفِيّ التّحلِيلِي وأدواتِهِ؛ لمواءمتهِ تحقِيق الأهداف المسطّرةِ، فجاء الفصلُ فِي أربعة مباحِث كبرَى تحوِي مجموعةً مِن العناوِين:

- **القضايا المعجمِيَّة**: درستُ فِيهِ ما تعلّق ببيانِ معانِي المفردات اللّغوِيّة، مِن حيثُ السّمات العامّة وطرق الشّرحِ والظّواهر الدّلالِيّة كالتّضمين والاصطلاح والتّعمِيم والتّخصِيص، والحقول الدّلالِيّة.
- **القضايا النّحوِيَّة والصَّرفِيَّة**: درست فِيه قضايا الأدوات النّحوِيّة، وقضايا الصّرف والإضافة والإعراب وأصول النّحو والاستدلالِ.
- **القضايا الأدبِيَّة والبلاغِيَّة والنّقدِيَّة والعروضِيَّة**: جمعتُ فِي هذا المبحث كلّ هذه القضايا لقلّة نصوصِها، فأبرزتُ النّصوص الأدبِيّة والنّقدِيّة في الكتابِ، وَدرست ما تعلّق بالحقِيقة والمجاز والصّورة الشّعرِيّة والأسالِيبِ والعروضِ.
- **قضايا الاستِشهاد**: أفردتهُ بالدِّراسة لأهمّيتهِ، فأظهرتُ أنواع الشّاهد فِي الكتابِ، ومواضع استعمالِهِ، وكيف استثمرهُ الشّارِحُ في الكتابِ.

3- **الخاتمة**: قدّمتُ في آخر الدّراسة خاتمةً بأهمّ النّتائج المتوصّل إليها.

4- **القِسم الثّانِي**: قسم تحقِيقِ الكتابِ

وقد أقمتهُ على النُّسخة التِي تركها المؤلِّف واعتبرتها أمًّا، مع الاستعانة بالنُّسختين الأخرَيْنِ في حالِ إشكالِ القراءة واستعصائها؛ إذ بيّنت المقابلة أنّهما منقولتانِ من نسخة المؤلِّف المتوفّرة لدَيْنَا.

واتّبعتُ فِي إخراج الكتابِ القواعِد الفنِّيّة لتحقِيقِ المخطوطاتِ ونشرِها، فنسختُ نصّ الكتابِ مِن المخطوطة الأصلِ، حرصا على الحفاظِ على نصِّ المؤلِّف، إلّا ما كان قائما على دلائلَ من المخطوطِ نفسِهِ، كوضْعِ العناوِين التِي خلَّفها قبلِ نصبِها؛ إذْ يجمع عناوِين الفصولِ مع بعضٍ، ثمّ يفصِّلُ القولَ فِيها بالتَّبَع مستعِيناً بِالترقِيم هكذا: الفصل الأوّل، الفصل

الثّانِي، وتقدِيم ما حقّه التّقديم وتأخِيرُ غيرِهِ. ولتدقِيقِ النّصّ وإخراجهِ فِي أحسن هيئة من الضّبط العلمِي والتّحقِيقِ، رجعتُ إلى المصادِرِ التِي نقلَ منها المؤلِّف، واعتبرتُها نُسَخاً ثانوِيّة، أثبتُ مِنْها الاختلافات الضّرورِيّة، واستعنتُ بها فِي ضبطِ النّصوصِ وقراءتها قراءة صحِيحةً، واحتفظتُ بالتّعلِيقات والتّصحِيحات فِي الهامِشِ التزامًا بالأمانة العلمِيّة. ولتوثِيقِ مادّة الكتابِ خرّجت الآياتِ والأحادِيث في الهامِش، وأحلتُ على مصادِرِ منقولاتهِ، وَضبطتُ الأبيات الشّعرِيّة وبيّنتُ مصادِرها، كما قُمْتُ بتوضِيحِ ما غمضَ فِي النّصّ؛ كتعرِيف الأعلام والأماكِن، وتفسِيرِ الكلمات الغرِيبة، دون إسهابٍ ولا تفرِيطٍ. كما ألحقتُ بالتّحقِيق فهارِسَ كاشفةً لمحتوياته كالآتِي: الآيات القرآنِيّة، والأحادِيث النّبوِيّة والآثار، والأعلام، والأماكِن، والفرق والقبائل والأيّام، والكلمات الغرِيبة، والأبيات الشّعرِيّة، والمصادِر المذكورة في المتن.

لقد فرضَت عليَّ طبِيعة الكتابِ المدروسِ الرّجوعَ إلى جملة مِن المَصَادِرِ والمَراجِع؛ بغيةَ تحقِيقِ رغبة المؤلِّفِ في قسم التَّحقِيقِ، وإلى مصادِر ومراجع خاصّة بِقسم الدِّراسة؛ لأجلِ تحصِيلِ أكبَرِ قدرٍ من النّتائجِ المتعلِّقة بإشكالات الدِّراسة، المتمحوِرة حولَ اكتشافِ منهج المؤلِّفِ في الشَّرحِ، وبيانِ المبادِئ اللُّغوِيَّة التِي ينطلِقُ منها، وتوضِيحِ آرائِهِ في المسائلِ المختلفة، فتكوّنتْ قائمة المصادِر والمراجِع مِن مجموعتين: مصادِر ومراجِع تعنَى بتحقِيقِ النُّصوص، ومصادِر ومراجع ودراسات متخصِّصة فِي الأبحاث اللّغوِيّة والأدبِيّة.

اتّبعتُ في التّهمِيشِ مسلكَ الاختِصار، فالآيات القرآنِيّة خرّجتها في الهامِشِ وفق رواية ورشٍ، مع التزامِ ضبطِها بالرَّسم العثمانِي، بمساعدةِ البرامِج الحاسوبِيّة المعدّة لذلِكَ. أمّا الأحادِيث النّبوِيّة فاقتصرتُ علَى ذكرِ المصدرِ ورقم الحدِيثِ، مع التزامِ طبعة واحدةٍ منهُ. وأمّا بخصوصِ المصادِر والمراجع فأكتفِي بذكرِ الكتاب والمؤلّف دون المعلومات التفصِيلِيَّة

التِي أرجِئها إلى لائحة المصادِرِ فِي آخِرِ البحثِ، وإذا تكرّر ذكر الكتابِ مرتين دون فاصِلٍ أكتفي بذكر (نفسه).

وقدْ فصَلتُ بين قسمي البحث الرّئِيسِيّينِ في ترتِيبِ الصّفحاتِ حفاظًا على النّصّ المحقّقِ ليكون مستقلّا بترقِيمِهِ، ولِتذيِيلهِ بالفهارِس الفنّيّة الخاصّة بهِ، ورقّمت المقدّمة بالتّرقِيمِ الألفبائِي، ودمجتها مع قسم الدّراسة إضافة إلى الخاتمة.

كما ضبطتُ لائحة المصادِر والمراجِع بالتّرتِيب الألفبائِي والتّرقِيمِ، دون اعتبارِ "ال"، هكذا: (عنوان الكتاب، اسم المؤلِّف، اسم المحقِّق، رقم الطّبعة، النّاشِر، سنة النّشر ومكانه).

وألحقت بالنّصّ المحقّق فهارِس فنّيّة كاشفة لمحتوياتهِ وهي: فهرس الآيات، وفهرس الأحادِيث، وفهرس الأعلام، وفهرس القبائل والفرق، وفهرس الأماكِن، وفهرِس الأبيات والقصائد، وفهرس الكتب المذكورة في المتن، وفهرس الكلمات الغريبة المفسّرة، وفهرس الأيام والحروب، وفهرس الموضوعات.

سادِسا: صعوبات البحث:

لا يمكِن أن يعتدّ مِن صعوبات البحثِ إلّا ما كان من خصوصِيّاتِه، وجلّها تتعلّقُ بالكتابِ المحقّق، فضخامةُ الكتابِ وغزارة مادّته العلمِيّة وتفرّعها في مختلف الفنونِ، أوقعتنِي في مشكلة المصادرِ التي كان ينقلُ منها المؤلِّف، إلّا أنّ هذه العقبة قد ذلّلتْ بمعرفة المصادرِ المباشرة، ثمّ كان لمنهج النّقلِ غيرِ المباشِرِ إفرازاتهُ على عملِيّة التّحقِيق؛ فغدوتُ مصحِّحا ومدقِّقا لما نقله المؤلِّف، متتبّعا زلّاتِهِ ومعلِّقا على نقولِهِ، بالعودةِ إلى المصادِرِ الأصلِيّة. ولا تخفَى الصّعوبات الأخرَى التِي تندرِجُ ضِمن عملِيّة التّحقِيقِ؛ كالتّعرُف على الأعلامِ، وإزالة إشكالِ الكلمات المشتبهات، وَتمييز كلامِ المؤلِّف عن غيرِهِ، وهلمّ جرًّا.

ثمّ كانَ لقسم الدِّراسة نصِيبهُ من العَنَت، وفي جوهرِ العقباتِ التّمكُّن من منهج الدِّراسة النّصّية، وعدم إغفالِ أركانها الأساسِيّة، وبالتّالِي تحرِيرُ النّتائج العلمِيّة الدّقِيقة المستندة إلى الدّلِيل، ويرجِع هذا إلى طراوة عودِي، وعدم تمرُّسِي بالبحثِ العلمِي، وبالخصوصِ في هذا المستوَى؛ إذْ أتذكّر جيّدا محاولاتِي الأولَى في الميدان، وردود أستاذِي المشرِف عليها؛ فقد ظلّ لمدّة إنتاجِي في وادٍ، وما هو مطلوبٌ منّي في وادٍ آخرَ.

وفِي الأخِيرِ لا يفوتنِي في هذا المقامِ تقدِيم أسمَى عبارات الشّكر والامتنانِ لكلّ مَن ساعدنِي فِي إنجازِ هذا العملِ، وأخصّ بالذّكر المشرِف الأستاذ الدّكتور عبد الرّحِيم الرّحمونِي الذِي تشرّفت بالتّتلمذِ على يديهِ في سنوات الماستر، ومِن بعدها قبل الإشرافَ على هذا البحثِ ولم يزَلْ يتابعُهُ بالمراجعة والتّصحِيحِ، ولم يبخَل بوقته وجهدهِ رغم الحالة الصّحِيّة التِي لازمتهُ في فترة الإنجازِ فلهُ كلّ الشّكر والامتنانِ على ما قدّم وأعطَى.

وفِي الختامِ فإنّي أرجو أن يكون عملِي قد ارتقَى إلى مستوَى الكتابِ، ومكّن لنفسِهِ في مراقّ البحوث الأصِيلة، وحسبِي أنّ ما بذلتهُ من جهدٍ تقرّبٌ إلى المولى عزّ وجلّ بخدمة لغة كتابِهِ العزِيز، والرّفعِ مِن أهلِه الذِين سطّروا طرِيقَ الدّعوة، وألزموا أنفسَهم القيامَ بالواجِبِ الذِي نفرتْ عنهُ النّفوس، واستطابتِ الاكتفاءَ بما يسدُّ الرَّمقَ، ولا يُحقِّقُ الاكتفاءَ المطلوبَ، وإن وسمَ عملِي تقصِيرٌ، فهو حالُ الطّالب المبتدِئ، الرّاغِبِ فِي الزّيادة والتّحصِيلِ، ولا شكّ أنّ مجالَ البحثِ يحتاجُ إلى طولِ دربةٍ ومِراسٍ، فالتّحقِيق مجالٍ رحبٌ، ودراسة النُّصوصِ مثلُهُ فِي الاتِّساع، وقد أجِدُ لنفسِي مسوِّغا فِيما قصّرتُ فِيه وأخطأتُ باعتبارِ هذه الشّساعة والرّحابة، وأسأل الله أن يوفّقنِي في قابل الأيّامِ بالتزامِ مواصلة البحثِ والاجتهاد، وأن يجعلَ هذا العملَ متقبّلاً، وهو الهادِي والموفِّق للصّوابِ.

القسم الأوّل:

الدّراسة

الفصل الأوّل: حياة المؤلِّف وآثاره

المبحث الأوّل: حياة أمحمَّد أطفيّش

بعدَ تحدِيدِ الخطوط العرِيضة التِي ميَّزت الفترة الزَّمنية التِي عاشَ فِيها أطفِيَّش، أعرجُ في هذا المبحثِ إلى تسلِيطِ الضَّوءِ على أطوارِ حياةِ أطفِيّش المختلفة، وأهمّ مفاصلِها، مِن خِلالِ المطالِب التّالية:

- المطلب الأوّل: نسبه وميلاده
- المطلب الثّانِي: نشأته العلمِيَّة
- المطلب الثّالث: صفاته (أخلاقه وطباعه ومواقفه) ووفاته

لقد عاشَ أمحمَّد أطفِيَّش مخضرَماً بين نهاية الحكم العثمانِيّ في الجزائِرِ، ومدَّة معتبرة مِن حُكم الاحتلالِ الفرنسِي. حيثُ إنَّ سقوطَ المدن الجزائِرِيَّة تحتَ وطْأةِ الاحتلالِ، لم يكن على دفعةٍ واحدَةٍ، فمنطقة "مزاب" مهد أطفيَّش، أينَ أمْضَى أغلَبَ فترات حياتِهِ، لم تطأها قوَّات الاحتلالِ إلَّا في سنة 1882م. أي بعدَ 52 سنة من احتلالِ مدينة الجزائِر، ومن خلالِ هذا المعطَى ندرِكَ أنَّ معظم تكوِينِ أطفِيَّش هو نتاج الفترة العثمانِيَّة.

المطلب الأوّل: نسبهُ وميلاده:

هو أمحمَّد بن يوسف بن عيسَى بن صالح بن إسماعِيل، وينتهِي نسبُهُ إلى عمر بن حفص الهنتَاتِي، جدُّ العائلة الحفصِيَّة المالِكَة في تونس. وهو من قبيلة المصامدة الماجدة في جنوب المغرِبِ الأقصَى[1].

ولِدَ أطفِيَّش في مدِينةِ "بنِي يزقن" سنة 1243هـ[2] والمشهورُ أنّ ولادتهُ كانتْ سنة 1236هـ-1820م ثمَّ انتقل والدهُ مع عائلتِهِ إلى مدنية غرداية، وتوفِّيَ أبوه بعد أن بلغ السِّنَّ الخَامسة[3].

---

(1) نهضة الجزائِر، محمد علي دبوز، 284/1.

(2) لقد أورد هذا التارِيخ مفهرِس خزانة أمحمَّد أطفِيَّش اعتمادا على ما خطَّه المؤلِّف في نظمهِ قصِيدة الغرِيب، من أنه كان في السَّابعة عشر من عمرهِ سنة 1260هـ. ينظر: فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشَّيخ أمحمد أطفِيَّش، ص480.

(3) نهضة الجزائِر، (م، س)، 284/1، وقطب الأئمَّة العلامة محمد بن يوسف أطفِيَّش، أعوشت، ص63.

أسرته: لقد كان والِدُ الشَّيخِ من المصلِحِينَ الكبار، الذِين يُشدِّدون الهجوم على الفسادِ وأهلِهِ، فطَغَى أهلُ الفسادِ وأرهقوهُ، فهاجرَ إلى مدينةِ غردايَة، حيثُ أقام بِها مُدَّةً، ثمَّ رجعَ إلى مدِينة بنِي يزقن، وتوفِّيَ بها[1]. ووالدةُ الشَّيخ هيَ ستِّي بنت سعِيد بن حم عدُّون، مِن عائلة آل يدَّر[2].

المطلب الثّانِي: نشأته العلمِيَّة:

1- شيوخُه وتلقِّيهِ العلمَ:

تعهّدتْ والدةُ أطفِيَّش ابنها بالرّعاية، فلمّا أحسَّتْ منهُ نبوغاً، وقوّة حافظة، أحالَتْهُ على أحَدِ المربِّين لحفظ القرآنِ الكرِيم، فأتمّهُ وهو ابن ثمانِ سنِينَ. لقد كان أوّل ما تلقَّى تعلِيمهُ على أخِيه الأكبَر إبراهِيم، بعد عودتهِ من رحلتهِ إلى مِصر وعمان، أخذَ عليهِ مبادِئَ النّحو والفقه.

واختلف على عدَّة شيوخٍ في المنطقة منهم: سعيد بن يوسف وينتن، والحاج سليمان بن عيسى، يغرِف منهم مبادِئ العلُومِ، إذْ كلّ ما حصَّله منها كان باعتمادِهِ على نفسِهِ، وعلى مطالعاتهِ الموسَّعة. وقدْ يذكُرُ أطفِيَّش اسْمَ شيخِهِ في كتبهِ، في المقدّمة أو في الخاتِمة، يقولُ مثلاً في شرح شرح الاستعارات: «خَتَم الله لنا ولشيخِنا الحاج إبراهِيم بن يوسف...» [3]. وإبراهيم هو أخوه الأكبرُ.

ويمكِن أن تجِدَ أسماءهُم في تقيِيدات استعارة بعض الكتبِ، كَالشَّيخ بابَ بن يونس الغرداوِي، والشيخ عمر بن سليمان نوح، خاله عمر بن الحاج سعِيد بن حمّ[4]، بما ينبِئُ على أنّهُ قد التَقَى بهم ودرسَ عندهم. لقد كان نهمُ أطفِيَّش بالعلوم لا ينتهِي، يظهرُ هذا من خلالِ المشهدَين الآتيَيْنِ:

---

(1) نهضة الجزائِر، (م، س)، 284/1.

(2) فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشَّيخ أمحمد أطفِيَّش، ص481.

(3) (م، س)، ص484.

(4) (م، س)، ص487.

- الأوَّلُ نسخُهُ للكتبِ:

في خزانةِ أطفِيَّش منسوخاتٌ بخطّهِ، من ذلِك أنَّهُ: "اشترك مع أخِيه وشيخِهِ إبراهِيم أطفِيَّش في نسخِ كتابِ "شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاث فنون" للأخضرِي، وكان هذا في شهرِ رجب سنة 1256هـ، وهو فِي حوالي الثالثة عشر من عمرهِ[1].

وكذلِكَ في وقت قريبٍ من نسخه الكتاب السَّابِق، "نسخ مجموعَ متونٍ، يضمُّ اثنَيْ عشَرَ متناً، ودوَّنَ في أوَّل صفحةٍ منه: هذا كتاب محمد بن يوسف الحاج ببكة، نسَخَهُ نسخةً جيّدةً، وهو ابن خمسَة عشر سنة، وذا حايز على النَّحوِ، وعلم الفلك والتَّصرِيفِ وعلم الخطِّ، والعروض والبيانِ والأصول والمنطِقِ"[2]. إنَّ حداثةَ السّنِّ التِي نسخَ فِيها هذين الكتابينِ، تدلُّ على رغبتهِ فِي إتقانِ فنّيهِما، وهناك منسوخات أخرَى لأطفِيَّش في علومٍ أخرى.

وقد سجَّل المفهرِسُ لمخطوطات الخزانةِ أنَّ أطفِيَّش كان يعلِّقُ على هوامِشِ الكتبِ التِي ينسخُها، وعلى هوامِش مجلَّداتٍ من نسخِ غيرِهِ، كما بثَّ في الأوراق البيضاء الفارغة فيها بعضَ بناتِ أفكارِهِ وأشعارِهِ، التِي تنوَّع مضمونُها تنوُّع الكتبِ المطالعةِ[3].

- الثّانِي جمعهُ للكُتُبِ:

لقَدْ سعَى أطفِيَّش في سبِيلِ التّحصِيل العلمِيّ، مِن خلالِ حصولهِ على المؤلّفات في مختلف الفنونِ، ولم يتوانَ فِي قصدِ مالكِيها رغم قلّتهم، واتَّخَذ الأسبابَ لاقتنائِهَا رغم البعد وقلّة المواصلاتِ. وقد تمكّن من الحصولِ على مكتبة الشّيخِ ضياء الدّين عبد العزيز الثّمِيني (ت: 1223هـ) وعلى مكتبة أخرَى، عن طرِيقِ الزّواجِ بامرأةٍ ورثتْها مِن أبِيها، ليكونَ بذلِكَ الكتابُ أهمّ موردٍ لتكوِينه العلمِي، ورفِيقه الأساسِي لإشباع رغباتهِ والإجابة على إشكالاتِهِ.

(1) فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشَّيخ أمحمد أطفِيَّش، ص481.

(2) (م، س)، ص482.

(3) (م، س)، ص482.

2- تلامِيذُهُ:

مِنْ أهمِّ فصولِ حياةِ أمحمَّد أطفِيَّش العلمِيَّة مسِيرتُهُ التَّعلِيمِيَّة، وجهادُهُ في إعدادِ النَّشْأ وتربِيَة العلماءِ، الذِينَ سيخلفونهُ في رسالتِهِ ضِدَّ الجهلِ، ومعركتِهِ في سبِيلِ تخلِيصِ النَّاس من هذا الدَّاءِ الوبِيلِ.

لقد كان أطفِيَّش وفِيّاً لشيوخِهِ الذِين أقاموا عودَهُ، وحبّبوا إليهِ الاستزادةَ من العلوم، والمُضِيّ في سبِيلِ التَّزوُّدِ منها ثمَّ التَّفوّق والإبداعِ، فلقد لاحظَ فُشُوَّ الجهلِ في بلادِهِ، كما رأى انتشارَ عاداتٍ وتقالِيدَ سَيِّئة، وبدعٍ منحرفة عن جادَّة الدِّين، ورأَى أيضا فِعْلَ المحتلِّ بأهلِ بلادِهِ وبميراثِهِم وأصولِهِم، فأدركَ أنَّ مثلَ هذهِ الحالِ لا يصلحُها إلَّا إعدادُ الفردِ التَّقِيِّ الورِعِ العالِمِ العامِلِ.

لم يخُضْ أطفِيَّش ميدان التَّعلِيم والتَّربِية بفكرٍ فارغٍ، ولا خلفِيَّةٍ سقِيمةٍ، وإنَّما كان دافعُ نشرِ العلمِ يحدوهُ ويبصِّرُ لهُ الطرِيقَ، وقد بثَّ بعضَ النُّصوصِ فِي مؤلَّفاتِهِ تبيِّن رؤيته للتَّربيةِ، وكذا منهجهُ في الاستزادة من العلوم، يقولُ مثلا فِي كتابِهِ شرح النِّيل: «إنّي رأيت بعضَ النَّاسِ يؤدِّبُ أولادهُ تأدِيباً بلِيغاً، ويلزمهم البيْتَ، وذكَرَ لِي يوماً حالَهُم في القراءَةِ والدَّرسِ، فقلت له: لو أنَّكَ تسرحهم يلعبون قلِيلاً ليستريحوا، فيَقْوَى فهمُهُم ولا يملُّوا، وذلِكَ أنَّ أصحابَنا قالوا: يُؤدَّبُ الطِّفلُ على اللَّعِبِ مطلقاً رحمهم اللهُ»[1].

وتراهُ يستحضِرُ أهمِّيَّة أن يكونَ لطالبِ العلم شيخٌ يقودهُ، يقول أطفِيَّش فِي "فتح الباب للطُّلَّابِ بإذن الملك الوهَّاب" وهو ممَّا ألَّفهُ في كِبَرِ سِنِّه «وأمَّا غيرهُ [أي: غير علم الكلام] فقد يتحقَّقُ بالتَّأمُّلِ ومطالعة الكتبِ؛ علاج الاطِّلاع على فهمِ ما فيها من العلمِ، وقد يكون مطالعُ الكتُبِ أزيدَ علما، ولا بدَّ من أن يفتح لهُ شيخٌ مبدأَ كلِّ علمٍ أرادهُ، فمن جمع القراءة على الشَّيخِ، وإكثارَ المطالعةِ كان أسبَقَ في العلمِ إن فتحَ اللهُ لهُ، ومن أكثَرَ المطالعة والسُّؤالَ عن كلِّ ما أشكل فازَ إن وجد من يسألهُ محقِّقاً»[2].

---

(1) شرح النِّيلِ وشفاء العلِيل، أمحمَّد أطفِيَّش، 511/16.

(2) فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشَّيخ أمحمد أطفِيَّش، ص484.

وعلى هذه الفلسفة واتّباعِ نظامٍ فِي ترتِيبِ التّلامِيذ على طبقاتٍ عكف أطفِيّش على نشرِ رسالتِهِ، واستطاعَ أن يخرِج مجموعةً من النُّجباءِ، حملوا المشعلَ مِن وراءِهِ، وبلغوا بدعوتِهِ أماكِنَ بعِيدةً، من بينهم: أبو إسْحاق أطفِيَّش (نزِيلُ القاهِرة) ابن أخِيهِ، وإبراهيم بن عِيسَى أبو اليقظان (أسَّسَ عدّة صحف)، وسليمان باشا الباروني، وسعِيد بن تعارِيت، وغيرهم كثِيرٌ من الجزائِر والبلدين ليبيا وتونُس.

3- رحلاته العلمِيّة:

كان مجال تحرّكات أطفِيَّش ضيّقا جدّاً؛ بالنَّظَرِ إلى عدّة أسبابٍ، أهمُّها تضْيِيقُ الخناق عليهِ من السّلطة الاحتلالِيَّة، فلا يخرجُ من بلدته إلّا بِرخصةٍ من الحاكِمِ الفرنسِيّ، يقصِدُ القرى المجاوِرة، من أجلِ نشرِ دعوتِهِ، والالتقاءِ بأحبابِهِ. ومن الأسبابِ الأخرَى انشغالهُ طيلة أيّام الأسبوعِ بالتّدرِيس، وتعهُّدِ التّلامِيذ، فلا يسمَحُ لنفسِهِ بالغيابِ عنهُم، ولا بِإهمالهم إلّا لضرورةٍ قصوَى، لشدّة حاجتِهِم إليهِ، فليسَ الحالُ أن يسلمهم إلى الجهلِ وأفكارِ الاستعمارِ.

وقد عَرفَ أطفِيَّش المسِيرَ إلى البقاع المقدَّسة مرَّتينِ في حياتِهِ، الأولى في أوائلِ الخمسيناتِ من عمرِهِ، حينما اشتدّ عودُهُ واستوَى، وذلكَ حوالَيْ (1290هـ-1873م) وجاورَ حينها في مكَّة حواليْ سنة كاملة، وقام بأعمال دَعوِيَّة، كما أنَّهُ لمْ يتخلَّ عن مهنتِهِ، فألَّفَ كتابه "إيضاح المنطق فِي بلادِ المشرِق".

أمَّا الرّحلة الثَّانِية فقد كانت سنة (1303هـ-1886م) وقد نظم خلالها قصِيدته الحجازِيَّة، جريا على عادة العلماءِ في التَّدوِينِ، مبيّنا فيها مسالك الرِّحلة والبلدان التِي مرَّ عليها.

ويهمُّنِي في هذا المقامِ التَّنبِيهُ إلى أنَّ الفترةَ بين الرِّحلتينِ ربّما خلالَها قدْ ألَّف كتابهُ "إجابة الدَّعوة" بمجلّداته الثَّلاثة، استنادا إلى تارِيخ نسخِ المجلَّد الأوَّلِ المدوَّن فِي آخِرِ إحْدَى نُسَخِ المخطوطِ بِـ(1306هـ) كما أنَّ موضوعهُ يلامِسُ مباشرةً غرضَ زيارة البقاع المقدَّسة، ويدعُو إلى تلبِيَة نداء ربِّ العالمِينَ ومجاورة قبرِ نبِيّهِ ﷺ.

المطلب الثّالِث: صفاتهُ (أخلاقه وطباعه ومواقفه) ووفاتهُ:

لن أخصَّ المقامَ بالحدِيثِ عن الأخلاق التِي كان يتَّصفُ أطفِيَّش بِها، كالصَّبرِ والمثابرة، والجدِّ والعمل، واحترامِ الغيرِ، فإنَّ ميراثَهُ أكبرُ دلِيلٍ على هذا، ولكن يمكِنُ التَّعرُّفُ على شخصِيَّتِهِ عن قربٍ مِن خلالِ بعضِ مواقفهِ والأحداثِ التِي مرّتْ عليهِ.

1- أطفِيَّش والاحتلال الفرنسِي:

حملَ أطفِيَّش نَفسَهُ على كرهِ الاحتلالِ الفرنسِي لبلدِ الجزائرِ، ومعاداةِ الذِين وطئوا البلادَ الإسلامِيَّة عموماً، وذلِكَ بناءً على عقِيدتهِ الدِّينِيَّة المستندةِ إلى النُّصوص الشّرعِيَّة. يظهرُ هذا العداءُ في الجانِبِ النَّظرِيّ منه، فِي عدَّة مسائِلَ بثَّها في كتبِهِ الفقهِيَّة، وفِي تفسِيرِهِ للقرآن الكرِيمِ، وهذه المسائِلُ ممَّا تطرَّقَ إليهِ علماءُ الإسلام بشَتَّى مذاهبِهِ.

وقد وَقف حازما مِن الاتفاقِيَّة المبرمة بين الاحتلال الفرنسِي وأعيان منطقة وادِي مزاب[1]؛ إذْ كيْفَ يتصالَحُ متناقِضانِ. فهُوَ يُشدِّد علَى التّقيّد بأحكام الشَّريعة الإسلامِيَّة، وبالخصوص التّعامل مع المشرِكِينَ، فحثَّ علَى مواجهة المعتدِين، وذَمَّ الاستكانة لهم. يقولُ: «إنَّ تشْيِيع ثمانين جنازة في اليوم من بنِي يزقن أحبُّ إلَيَّ من أن يطرق سمعِي أنَّ فرنسا وَضَعَتْ قدمها على حَجَرٍ واحِدٍ من "تضفت"[2] -مكان معروف من بنِي يزقن-». ثمّ إنَّهُ قد راسَلَ قائد الحملة العسكرِيَّة على مدينة غرداية من أجلِ هذا الغرَضِ[3].

2- نَفْيُهُ مِن بلدته:

لقد كانَ قلبُ أطفِيَّش متوهّجاً بحبِّ الدّعوة إلى اللهِ، ومجابهة مَن يعارِضهُ ويسعَى في إفشالِ مسعاهُ، وقد لاقى من المضايقات ما مسَّ شخصهُ وأهله، فنُفِيَ من قريَتِهِ الأصلِ، فاستقرَّ في قريةٍ مجاورةٍ، ليعطِيَ لنفسِهِ الوسعَ، وليبتعد عن المناوءاتِ والمناوشات التي

---

(1) نهضة الجزائِر، (م، س)، 319/3.

(2) قطب الأئمَّة العلامة محمد بن يوسف أطفِيَّش، أعوشت، ص95. نقلا من: نبذة من حياة الميزابيين، حمو عيسَى، 320/1.

(3) ينظر الرسالة فِي: مفدِي زكريا وإنتاجه الأدبِي، د.مصطفى حمودة، أطروحة دكتوراه، الفصل التمهِيدي، ص24.

تشتّتُ تفكِيرهُ، وتبعدهُ عن جادّة الصّوابِ. ولم يكنْ هذا النَّفي بالسَّهلِ عليهِ، إذْ دام سنِينَ عدداً[1]. ثمَّ إنَّهُ خلالَها تابعَ مسِيرتهُ وتتابعَ عليهِ الطّلّاب يقصدونَهُ، ويَنهلون من علمهِ.

3- وفاتهُ:

توفِّيَ أمحمّد أطفِيَّش يوم السّبت 23 ربيع الثّانِي سنة 1332هـ الموافِق لِشهرِ مارس سنة 1914م، بعد مرضٍ ألمّ بهِ ثمانِية أيّامٍ.

المبحث الثّاني: آثار أمحمّد أطفِيَّش:

استطاعَ أطفِيَّش أن ينتِجَ مكتبة عامرة بالمؤلّفات، في شتَّى الفنون، وكأنّهُ قدْ ألزمَ نفسَهُ ألّا يطرُقَ فنّاً إلّا ويؤلِّف فِيهِ كتابا، متّبِعاً خطَى المؤلّفات التِي تتلمَذَ عليها، ومقتفياً آثار مؤلِّفِيها، كالسُّيوطِي وابن هِشام الأنصارِي. وسأظهِرُ من خلالِ العرضِ أشكالَ التّأليفِ، التِي ترسمُ خرِيطتهُ، وتُبرِزُ أهمَّ مظاهِرِه. لقد أحصَى مَنْ تَتَبَّعَ مؤلّفاتِ أطْفِيَّش، بعدَ تنضِيد وتنظِيم خزانته حَوالَي 135 عنوانٍ، بين مؤلّف بالمجلّدات ورسائل صغِيرة. نُشرت من هذه المؤلّفاتِ عناوِين مختلفة، لكنَّ أغلبها لا يزالُ قابعا في خزانتهِ، ينتظرُ من يقوم بدراسته ونشرِهِ. ومن أجلِ الإحاطة بهذه العناوين الكثِيرة، فقد قسَّمت المبحث إلى أربعةِ مطالِب:

- المطلَب الأوّل: العلوم الشَّرعِيَّة
- المطلَب الثّانِي: العلوم اللُّغوِيَّة والأدبِيَّة
- المطلب الثّالِث: العلوم الإنسانِيّة
- المطلب الرّابِع: مؤلّفات مفقودة

المطلب الأوَّل: العلوم الشَّرعِيَّة:

1- القرآن وعلومه:

- **داعي العمل ليوم الأمل**، في 5 مجلّداتٍ، تفسِير لكتاب اللهِ لم يكتمِل أجزاؤهُ مفرّقة في خزائن متعدّدة.

(1) ينظر: آرَاءُ الشَّيخِ امحَمَّدِ بنِ يُوسُفَ اطْفِيَّشْ العَقَدِيَّة، مصطفى وينتن، ص34.

- **هميان الزّاد إلى دارِ المعادِ**، تفسِير لكتاب الله لم يكتمِل. طبع مرّتين: ط1 في المطبعة السّلطانِيّة بزنجبار سنة 1305هـ، وط2 في مطابع سجلّ العرب، وزارة التّراث القومِي عمان سنة 1980م.
- **تيسِير التَّفسِير**، تفسِيرٌ كامل للقرآن الكريمِ، وهو آخِرُ تفاسِيرِهِ، طبع أكثر من مرّة. إحداها طبعت فِي 17 مجلّداً، بعناية الشَّيخ إبراهِيم طلّاي وفرِيق من الأساتذة، سنة 1417هـ-1997م. دون دار النَّشر.
- **أرجوزة جامع حرف ورش**، منها نسختان في خزانة المؤلِّف بالرَّمزين: أ-ب4، وأ-ب4/1 بهما 15 و20 ورقة على الترتيبِ. حقّقت في رسالة لنيل شهادة الليسانس سنة 2006. شرحَ أطفِيَّش هذه الأرجوزة في كتابِ "تلقين التالِي لآيات المتعالِي" لا يزال مخطوطا بمكتبة الاستقامة بني يسجن بالرَّمز: جـ 67[1].
- **نظم في رسم القرآن الكرِيم**، مطلعه:

وهب رب الحمد والشّكر الأعمّ والجود والجلال والعزّ الأتمّ

المنظومة في ورقتين بخزانتهِ بالرَّمز: أ-ق25[2].

2- الحدِيث وعلومهُ:

- **إطالة الأجور وإزالة الفجور**، طبع طبعة حجرِيّة سنة 1314هـ[3]. مجموع أحادِيث وأذكار في فضائل الأوقات. طبع ثانية سنة 1995م في حوالَي 130 صفحة.
- **ترتيب التّرتِيب**، الكتابُ اختصارٌ وترتِيبٌ لما لم يرتّبْ من مسند الرّبِيع بن حبِيب. طبع طبعة حجرِيَّة سنة 1326هـ. أصله في خزانة المؤلِّف من جزئين بهما 31 و34 ورقة على التّرتِيب[4].

---

(1) ينظر: آراء أمحمد بن يوسف أطفِيّش العقدِية، (م، س)، ص23.

(2) فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشَّيخ أمحمد أطفِيَّش، ص283.

(3) (م، س)، ص141.

(4) (م، س)، ص141.

- **جامع الشَّملِ في أحادِيثِ خير الرُّسل**، طبع طبعة حجرِيّة سنة 1304هـ. وأصله فِي خزانتهِ، فِيه 89 ورقة من الحجم الكبِيرِ (34 سطرا)[1].
- **حاشية على القناطِرِ**، حاشية على كتابِ "قناطر الخيرات" لإسماعِيل الجِيطالِي (ت: 750هـ). مخطوط بخزانة المؤلِّف من 30 ورقة من الحجم الكبِير (53 سطرا)، اتّبعَ فِيها منهجا روائِيّاً نقدِيّاً للأحادِيث الواردة في الكتابِ[2].
- **كتاب أجور الشُّهور على مرور الدّهورِ**، مخطوط فِي خزانة المؤلِّفِ مِن 4 أوراق، له توسِعةٌ في مخطوطٍ آخرَ بنفس العنوانِ من 71 ورقة بالرّمز: أ-و13[3].
- **كتاب الغسول من أسماء الرَّسول**، طبع طبعة حجرِيَّة سنة 1319هـ، أصلهُ خزانة المؤلِّف، بهِ 83 ورقة بالرّمز: أ-هـ5[4].
- **وفاء الضّمانة بأداءِ الأمانة**، كتابٌ ضخمٌ في فنِّ الحدِيثِ، مِن ثَلاثةِ أجزاء، طُبِعَ منه الجزآن الثّاني والثّالِث سنة 1325هـ طبعة حجرِيَّة، وأصلهُ في خزانة المؤلِّف بالرّموزِ: أ-د 1-1ج1، و أ-د 1-1ج2، و أ-د 1-1ج3[5].

3- أصول الدِّين:

- **الذّخر الأسنَى من الأسماء الحُسنَى**، طبع طبعة حجرِيّة سنة 1326هـ. أصله المخطوط بخزانة المؤلِّف، به 56 ورقة، بالرّمزِ: أ-هـ5[6].
- **تقرِيرات على حاشية الدِّياناتِ**، مخطوط بخزانة المؤلِّف بالرّمزِ: أ-هـ17. بهِ 39 ورقة. وكتاب "الدّيانات" للشَّيخ أبِي ساكن عامر بن علي الشّمّاخِي (ت:792هـ)[7].

---

(1) فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشَّيخ أمحمد أطفِيَّش، ص142.

(2) (م، س)، ص143.

(3) (م، س)، ص144.

(4) (م، س)، ص144.

(5) (م، س)، ص146.

(6) (م، س)، ص151.

(7) (م، س)، ص151.

- **حاشية على الموجَز**، مخطوط بخزانة المؤلِّف بالرَّمزِ: أ–هـ3. بهِ 121 ورقة من الحجم الكبِيرِ. الموجَز لأبِي عمّار عبد الكافِي (ت:569هـ).
- **ردّ الشَّرودِ إلى الحوضِ المورودِ**، كتاب يشتمل على أدلَّة رسالة المصطفَى ﷺ من كتُبِ الله، ومن الأخبار الصّحيحة. طبع طبعة حجرِيَّة سنة 1320هـ. أصلُهُ بخزانة المؤلِّف بالرَّمزِ: أ–و9، بهِ 113 ورقة[1].
- **شرح العقِيدة**، شرح على عقِيدة عمرو بن جميع (ق7هـ). مخطوط بخزانة المؤلّف بالرّمزِ: أ–هـ2، بهِ أكثر مِن 234 ورقة. طبع طبعة حجرِيَّة سنة 1326هـ[2].
- **شرح النّونِيَّة**، مخطوط في خزانة المؤلِّف بالرّمزِ: أ–هـ8. بهِ 28 ورقة من الحجم الكبِيرِ. النُّونِيَّة قصِيدة لِأبِي نصر فتح بن نوح الملوشائِي (ق7هـ) في الأخلاق والإيمانِ[3].
- **شرح تبغورِين**، الكتاب شرح لمتنِ تبغورِين بن عِيسى الملشوطِي (ق6هـ) في أصول الدِّينِ. مخطوط بخزانة المؤلِّف بالرَّمزِ: أ–هـ4. به 201 ورقة[4].
- **شرح على رسالة الوَضْعِ**، الكتاب شرحٌ لرسالة الوَضْع لعضد الدِّين الإيجِي (ت:756هـ). مخطوط بخزانة المؤلِّف بالرَّمز: أهـ6 بهِ 40 ورقة[5].
- **شرح المخمَّسة**، الكتاب شرح لمخمَّسة أبِي نصر فتح بن نوح الملوشائِي (ق7هـ) في المواعِظ والنُّصحِ. مخطوط بخزانة المؤلِّف بالرَّمزِ: أهـ11 من 10 أوراق[6].

(1) فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشَّيخ أمحمد أطفِيَّش، ص153.
(2) (م، س)، ص153.
(3) (م، س)، ص155.
(4) (م، س)، ص157.
(5) (م، س)، ص157.
(6) (م، س)، ص158.

- **شرح معالم الدِّين**، الكتاب شرح لِـ "معالم الدِّين" للشَّيخ عبد العزيز الثّمِينِي (ت:1223هـ). مخطوط بخزانة المؤلِّف من نسختينِ بالرَّمزين: أ-هـ12/2 وأ-هـ12. بهما حوالي 43و 24رقة[1].
- **كتاب الحجّة في بيان المحجّة في التّوحِيد بلا تقلِيد**، في علم التّوحِيد، طبع طبعة حجرِيَّة قديمة لم يذكر تارِيخها ولا مكانها، وأخرَى سنة 1302هـ. أصله في خزانة المؤلِّف بالرَّمزِ: أهـ13. بهِ ثلاثُ أرواق[2].
- **شامل الأصل والفرعِ**، جمع فِيه مسائل عقديّة كمفهوم الإيمان، طبع بالمطبعة السلفِيّة بالقاهرة، سنة 1348هـ في جزءينِ، بعناية إبراهيم أطفيّش. وطبعتهُ وزارة التراث القومي والثقافة بعمان سنة 1984م.
- **الجُنّة في وَصفِ الجَنّة**، مطبوع نشرته مكتبة الضامرِي بسلطنة عمان، دون سنة النَّشر.
- **نظمٌ فِي أبواب التوحِيد والمعاملات**، مطلعهُ:

الله ربِّي واحدٌ بالذّاتِ والقول والفعل وبالصِّفات

تقع المنظومة فِي 11 ورقة في زمام بخزانته[3].

4- الفقه وأصوله:

- **فتح الله الرحمن الأجل والعطاء الجزِيل الأكمل على شرح شرح مختصَرِ العدل يوضِّحهُ ويُزِيلُ عنهُ السَّدل**، الشَّرح متنهُ الأصلِي الأوَّل كتاب العدل والإنصاف لأبِي يعقوب الوارجلانِي (ت: 570هـ)[4] في الفقه وأصولِهِ.

---

(1) فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشَّيخ أمحمد أطفِيَّش، ص158.

(2) (م، س)، ص160.

(3) (م، س)، ص283.

(4) (م، س)، ص163.

مخطوط من جزءين في خزانة المؤلِّف بالرَّمزين: أ-هـ1ج1، و أ-هـ1ج2، بهما 218 و160 ورقة على التَّوَالِي[1].

- **ترتيب تحفة الأديب وتخصيب القلب الجديد**، مخطوط بخزانة القطبِ، بالرَّمز: أ-و8، بهِ 303 ورقة. متنُ الكتاب المشروحِ لعمرو بن رمضان التلاتِي الجربِي (ت:1187هـ) [2].
- **ترتيب لقط موسَى بن عامِر**، مخطوط بخزانة المؤلِّف من عدَّة أجزاء. طبعَ سنة 1319هـ[3].
- **ترتيب المدونة الكبرى**، مخطوط بخزانة المؤلِّف بالرَّمز: أ-و15 به 226 ورقة. المدونة الكبرى لأبِي غانم الخراسانِي (ت:200هـ)[4].
- **ترتيب المعلَّقات**، المعلَّقات لهيّان بن بيّان، المخطوط في خزانة المؤلِّف، من عدّة أجزاء ونسَخ. طبعته لم يدوّن فيها التّارِيخ[5].
- **تقريرات على كتاب المعلَّقات**، مخطوط في خزانة المؤلِّف بالرَّمز: أ-و18، فِيه 42 ورقة. كتاب المعلَّقات لهيان بن بيان[6].
- **جامع الوضع والحاشِية**، مخطوط بخزانة المؤلِّف بالرَّمز: أ-و14 بهِ 156 ورقة. الكتاب مختصر، جمع فِيه كتاب الوضع لأبِي زكريا الجناونِي (ق5هـ) وحاشيته لأبِي ستّة (ت:1022هـ)[7] في الفقهِ وأصولِهِ.

---

(1) فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشَّيخ أمحمد أطفِيَّش، ص163.

(2) (م، س)، ص169.

(3) (م، س)، ص170.

(4) (م، س)، ص172.

(5) (م، س)، ص173.

(6) (م، س)، ص175.

(7) (م، س)، ص177.

- **حاشية شرح الرّائِيَّة**، مخطوط بخزانة المؤلِّف بالرَّمز: أ-هـ7. به 114 ورقة، مخروم الوَسَط والآخِر. الرّائِيّة قصِيدة في الصّلاة لأبِي نصر فتح بن نوح الملوشائِي، والشَّرح للتلاتِي الجربِي (ت: 1187هـ)[1].
- **حاشية القناطِر**، مخطوط بخزانة المؤلّف بالرَّمز: أ-و5ج1. به 382 ورقة. كتاب "قناطِر الخيرات" للإمام إسماعيل الجيطالِي (750هـ)[2].
- **حاشية القنطرة الثّانِية**، مخطوط بخزانة المؤلِّف بالرّمز: أ-و5ج2. به 216 ورقة. تتمّة للحاشية السّابقة[3].
- **حاشية القنطرة الثّالِثة**، مخطوط بخزانة المؤلِّف بالرَّمز: أو5. به 56 ورقة، تتمّة للحاشيتين السّابقتين[4].
- **حاشية على الإِيضاح**، مخطوط بخزانة المؤلِّف بالرَّمز: أو3.لم يتمّ تألِيفه بهِ 8 أوراق. الإيضاح متن في الفقهِ لعامر بن علي الشّمّاخِي (792هـ).
- **حيّ على الفلاح**، مخطوط في خزانة المؤلِّف بالرّمز: أ-و10ج1. به 710 ورقة. الكتاب تتمّة للحاشِية السّابقة[5].
- **حاشية أبِي مسألة**، مخطوط بخزانة المؤلِّف بالرَّمز: أ-و6. بهِ 424 ورقة. متنهُ كتاب أبِي مسألة لأبِي العباس أحمد بن محمّد (ت: 504هـ)[6].
- **الذّهب الخالِص المنوّه بالعلم القالِص**، طبع بالمطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهِرة، بعناية أبِي إسحاق ابن أخ المؤلِّف سنة 1343هـ في 364 صفحة. منهُ نسخةٌ مخطوطة بِخزانة المؤلِّف بالرَّمزِ: أ-و4/1. بها 25 ورقة غير تامّة النَّسخِ[7].

---

(1) فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشَّيخ أمحمد أطفِيَّش، ص178.

(2) (م، س)، ص179.

(3) (م، س)، ص179.

(4) (م، س)، ص180.

(5) (م، س)، ص181.

(6) (م، س)، ص177.

(7) (م، س)، ص183.

- **شرح الدّعائم**، مخطوط بخزانة المؤلِّف من جزئين، بالرَّمزين: أو2ج1 وأو2ج2، بهما 202 و320 ورقة على التّوالِي. الكتاب شرح لمنظومة الدعائم في الفقه والعقِيدة لابن النَّظر العمانِي (ق6هـ)[1].
- **شرح النِّيل وشفاء العليل**، المتنُ المشروح لعبد العزيز الثّمِينِي (ت:1223هـ) طبع الكتابُ في 17 مجلّدا، طبعته دار الفتح، بيروت ودار التراث العربي، ليبيا. ومكتبة الإرشاد، جدة، طبعته الثّانية سنة 1392هـ / 1972م. وهو أوفَى مؤلّفاته الفقهِيَّة.
- **مجموعة ردود ومساءلات:**

ترك أطفِيّش مجموعة من الوثائق على شكلِ أجوبة وردودٍ، على أسئلة واستفتاءات وردت إليهِ، من مناطق مختلفة، بحكم اشتغالِهِ وعلاقاتهِ. جمع مجموعة منها الشَّيخ سعود بن حميد آل خليفين (ت: 1373هـ) في كتاب سمّاهُ "كشف الكرب في ترتيب أجوبة الإمام القطب" طبعته وزارة التراث والثقافة بعمان سنة 2016 في جزءينِ[2].

كما تركَ مجموعة من المراسلاتِ التِي كان يبعثُ بها إلى معارِفِهِ، وكانت على شكل مساءلاتٍ وبيان أحكامٍ في مسائل مختلفة، منها ما بقِي أصلهُ، ومنها ما عرِف مِن خلالِ ذكرِها في ثنايا الكتُبِ، ولم يوقَفْ على أصلِها[3].

المطلب الثّانِي: العلوم اللُّغوِيَّة والأدبِيَّة:

خلّف أطفِيَّش –رحمه اللهُ– عدداً من المؤلّفات فِي فنون اللّغةِ، أعرِضها في هذا المقامِ حسَبَ مجالاتِ اشتغالِها.

---

(1) فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشَّيخ أمحمّد أطفِيَّش، ص183.

(2) من تلك الجوابات رسالة في تحرِيم الدخان والمسكِّرات. سألهُ عن ذلك بعض علماء فاس وتلمسان من المالِكِيَّة. كشف الكرب، 218/1.

(3) ينظر: آراء أمحمد بن يوسف أطفِيّش العقدِية، ملحق قائمة مؤلَّفات الشيخ محَمَّد بن يوسف اطْفِيَّشْ ص488 وما بعدها، وص495.

1- النَّحو والصَّرفُ:

- **اختصَار حاشِيَة على شرح المرادِي لِلْأَلْفِيَّة:** منه نسخة بخزانة المؤلِّف، برمز: أ- م4، حوالَيْ 57 ورقة، وهو اختِصار لحاشِيَة أبِي عثمانَ سعِيد قدورة الجزائِرِي على شرح المرادِي لألفِيَّة ابن مالِك[1].

- **تفسِير اللّغزِ:** منه نسخة بخزانة المؤلِّفِ برمز: أ –م 11، حوالَيْ 10 أوراق[2].

- **حاشِيَة على شَرْحِ المرادِي للألفِيَّة:** منه نسخة بخزانة المؤَلِّفِ، برمز: أ – م1[3]، تضمُّ 124 لوحة.

- **شرح شرح أبِي سليمان التّلاتِي** (ت: 967هـ) **على الأجرومِيَّة**، منه نسخة بخزانة المؤلِّفِ، برمزِ: أ-م2[4] يتكوّن من 179 ورقة.

- **حاشية على شرح الدَّاوِي على الأجرُّومِيَّة**، منه نسخة بخزانة المؤلِّف، برمز: أ- م3[5]. المخطوط يتكوَّن من 81 ورقة من الحجم الكبِير.

- **تسهِيل الاجتهاد فِي تَفسِيرِ أشعارِ الاسْتِشْهاد**، منه نسخة بخزانة المؤلِّف، برمزِ: أ- ع2[6] فِي 209 أوراق. الكتاب شرح لشواهد شروح الأجرومية الثلاثة: شرحها للشَّرِيف محمد بن أحمد بن أبِي يعلى الحسنِي (كان حيا 757هـ)، وشرحها لأبِي سليمان داود (ت: 967هـ) وشرحها لأبِي القاسِم بن يحيَى بن أبِي القاسم (ت: 1102هـ).

- **معتَمَد الصَّواب من شَواهِد قواعِدِ الإعراب**، منه نسخة بخزانة المؤلف، برمز: أ- ع3 بخطِّ المؤلِّف بها 31 ورقة. ونسختان بخطِّ غيرِهِ، بالرمزين: أ- ع4، وأ- ع5[7]. الكتاب شرح لشواهد كتاب "قواعد الإعراب" لابن هشام الأنصارِي.

---

(1) فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشَّيخ أمحمد أطفِيَّش، ص205.

(2) (م، س)، ص205.

(3) (م، س)، ص207.

(4) (م، س)، ص207.

(5) (م، س)، ص206.

(6) ينظَر: (م، س)، ص225.

(7) (م، س)، ص226.

– **المعونة بما ينبَغِي لِمَن يُلقِي السَّمع ويُصغِي**، منه نسخة بخزانة المؤلِّف، برمز: أ–ع3 بخط مؤلِّفهِ بها 101 ورقة، ونسخة برمز: أ– ع4، بخطِّ غيرِهِ بها 88 ورقة. الكتاب شرح لشواهِد كتاب "الوَضع" لأبِي زكرياء يحيى بن أبِي الخيرِ الجَناوني[1] في الفقهِ وأصولِهِ.

– **شرح قصِيدة زكرياء في الجملِ**، مخطوط منه نسخة بخزانة المؤلِّف، برمزِ: أم13، بهِ ثلاثة أوراق، مخرومة الوسَط والآخِرِ، القصِيدة لأبِي زكريا الصَّدغانِي. وهذا أوَّل تآلِيفهِ، وضعهُ وهو ابن خمسة عشر سنة[2].

– **الفتحُ المبِين على كتابِ التَّمرِينِ**، منه نسخة بخزانة المؤلِّف، برمزِ: أ–م14، بها 3 أوراق، مخرومة الوسَط والآخِرِ، الكتاب حاشِية على تمرِين الطلاب في صناعة الإعراب لخالد الأزهَرِي[3].

– **المسائِل التَّحقِيقِيَّة في بيانِ التّحفة الأجرومِيَّة**، منه نسخة بخزانة المؤلِّف، برمز: أم5/1، ليست بخطِّ المؤلِّفِ. حقِّق الكتاب في ثلاثِ رسائل جامعِيّة ولم يُنشَر، إحداها بجامعة أحمد بن بلَّة وهران السَّانيا، نوقشت الرسالة سنة 2013م. والأخريين في جامعة قاصدِي مرباح بورقلة، نوقشتا سنة 2010و و2011 على التوالِي.

– **نكت على شرح التّلاتِي للنّونِيَّة**، منه نسخة بخزانة المؤلِّف، برمز:أ–هـ7[4] بها 44 ورقة. التلاتِي هو عمر بن رمضان الجربِي (ت: 1187هـ) شرح نونية أبي نصر الملوشائِي في الأخلاق والعقيدة.

– **قصِيدة الغرِيب**، نظمها أطفِيَّش وهو ابن ستّة عشَر عاماً، نسخة منها بخزانة المؤلف، برمزِ: أ–م6، مخرومة الأول والوسَط، وهي نظم لكتاب مغني اللبيب لابْن هِشام الأنصارِي، في أكثر من ألفَيْ بيتٍ[5]

(1) فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشَّيخ أمحمد أطفِيَّش، ص228.

(2) (م، س)، ص208.

(3) (م، س)، ص208.

(4) (م، س)، ص211.

(5) (م، س) ص209.

– **الكافِي في علم التَّصرِيف**. منه نسخةٌ بخزانة المؤلِّف، برمز: أ–م7، مخرومة الأول والآخِرِ[1]. نشرت الكتاب وزارة التُّراث والثَّقافة العمانِيَّة، سنة 2012م، في مجلد واحدٍ، على تحقِيق عائشة يطُّو، في رسالتها للماجستِير في جامعة وهران السَّانيا.

– **شرح لَامِيَّة الأفعال**. قامتْ وزارة التُّراث القومِي والثَّقافة بسلطنة عمان بطبعِ الكتابِ، سنة 1404هـ –1986، في أربعةِ مجلّداتٍ دون تحقيق، مخطوطته الأصلية مفقودة.

– **الرَّسْم في تعليم الخَطِّ**: طبع الكتابُ مرَّتين بهذا العنوان، الأولى طبعتهَا وزارة التُّراث القومِي والثَّقافة بسلطنةِ عمانَ، سنة: 1404هـ–1984م، والثَّانِية طبعتها المؤسَّسة الوطنِيَّة للكتابِ، الجزائِر، سنة 1986 في 68 صفحة. الكتاب شرح لما فِي جمع الجوامع للسُّيوطِي في هذا البابِ.

– **(مختصر في علْمِ الخطِّ، شارح لما في جمع الجوامِع)** منهُ نسخة بخزانة المؤلِّف برمز: أ–ب5، ليست بخطِّه، والكتابُ شرح ما فِي جمع الجوامِع للسيوطِي عن الخطِّ[2].

2– البلاغة:

– **بيان البيان**: منهُ نسختان، الأولى بخط المؤلِّف، برمز: أ–س1–2، والثانِيَة بخط غيرِهِ، برمز: أس1–2 غير تامة النَّسخِ[3]. حقِّق قسم منه في رسالة لنيل شهادة الماستر في علوم اللُّغة سنة 2013م.

– **تخلِيص العانِي من ربقة جهل المثانِي**: الكتابُ في المعانِي من علم البلاغةِ، نسخة منه بمكتبة القطبِ برمز: أ–س 4، بها 97 ورقة، النسخة كاملة فِيها خرومٌ[4]. وله نسخة ثانِيَةٌ بها 118 ورقة. طبعت الكتابَ وزارة التُّراث والثَّقافة بسلطنة عمان، بتحقِيق د.محمد زمرِي سنة 1430هـ–2009م.

---

(1) فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشَّيخ أمحمد أطفِيَّش، ص210.

(2) (م، س)، ص133.

(3) (م، س)، ص215.

(4) (م، س)، ص216.

- **ربيع البدِيع**: في علم البدِيع، نسخته بخط مؤلفه في خزانتهِ، برمز: أ- س3[1]. وقد نشره المجلس الأعلى للغة العربية – الجزائر- سنة 2014، بتحقِيق د. محمد زمري.
- **شرح شرح الاستعارات**، منه نسخة بخطّ مؤلفه في خزانته، برمز: أ-س1 بها 238 ورقة من الحجم الكبِيرِ. وشرح الاستعاراتِ لِ: إبراهِيم بن محمد عصام الدين، على متن الاستعارات لِأبِي القاسِم السمرقندِي. ألّفه أطفِيَّش وهو ابن نيّفٍ وعشرِينَ عاما[2].
- **الانشِراح في بيان شواهِد التَّلخِيصِ والمفتاحِ**، منه نسخة بخزانة المؤلِّفِ، بالرمزِ: أ- ع1، النسخة كاملة بها 340 ورقة، التلخِيص والمفتاح للقزوِينِي والسَّكَّاكِي[3].

3- العروضُ:

- **إيضاح الدَّلِيلِ إلى علم الخلِيل**: منه نسخة بخط مؤلفه في خزانته، برمز: أ-س5، بها 64 ورقة من الحجم الكبِير. الكتاب حواشٍ موجزة على شرح الخزرجِيَّة، للعلَّامةِ أبِي يحْيَى زكريا الأنصَارِي[4].

4- الشّعر:

أحصِيَ لأطفِيَّش أكثر من ثمان وعشرين قصيدة ومنظومة عدا المقطوعات المتناثرة بين ثنايا كتبهِ[5]، ومِن تلْكَ القصائد التِي وقفتُ عليها:

- **قصِيدة في السِّيرة النبوِيَّة**، من بحر السَّرِيع، عدد أبياتِها 83 بيتاً، مطلعها:

الحمدُ للهِ مفِيد المنى لعبدِهِ مع انتفا العنا

---

(1) فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشَّيخ أمحمد أطفِيَّش، ص217.

(2) (م، س)، ص218.

(3) (م، س)، ص225.

(4) (م، س)، ص221.

(5) آرَاءُ الشَّيخِ أمحَمَّدِ بنِ يُوسُفَ اطْفِيَّشْ العَقَدِيَّة، (م، س)، ص64. لم أقفْ على عملٍ جمع هذه القصائد ورتّبها، فما أقدّمه هنا ممّا ذكر في فهرِس خزانتهِ، ومِن ملاحظاتِي على ما وقفت عليهِ من نسخ القصائد، سواء المطبوعة أو المخطوطة.

منشورة في ديوانٍ مجموع، مطبوع طبعة حجريَّة، فِيه عدّة قصائد لأطفِيّش، طُبِعَ بالمطبعة المدِيريَّة الحجريَّة بتونس دون ذكرِ سنة النَّشْرِ.

- **قصِيدة أخرَى فِي السِّيرة النَّبوِيَّة** من بحر الوافِر عدد أبياتِها 153، في الدّيوان نفسِهِ، مطلعها:

سأَلتُ اللهَ إجزالَ النَّوالِ وحُبَّ المصطفَى على التَّوالِي

- **قصِيدة من بحر الطَّوِيل**، مطلعها:

أرَى كلَّ شُكرٍ في افتقارٍ إلى شُكرِ بِغيْرِ انتِهاءٍ ما حَيِيتُ بلَا نكْر

- **قصِيدة البردة**:

نظمَ أطفِيَّش قصيدة ميمِيَّةً في مدحِ رسول اللهِ ﷺ، وذكرِ صفاتِه ومعجزاتِه، في 182 بيت، على بحر البسِيطِ، عارَضَ بها بردة الإمام البوصيرِي، من أبياتِها[1]:

حمداً لمن أخرج الأشياء من عدمِ إلى الوجودِ لخيرِ العرب والعجم
محمَّد صلوات اللهِ قاطبةً عليهِ لم تُحْصَ بالفمِ ولا القلمِ
يا ربِّ صلِّ على محمَّد وعلى آلٍ وصحْبٍ لهُ وسَلّما ودُمِ[2]

- **قصِيدة دالِيّة**:

القصِيدة مكتوبة على ثلاثة أوراقٍ، من بحر الكاملِ في 97 بيتا، منها:

شكراً لكلِّ صنِيعة وتجلَّدِ للنّائباتِ فما امرؤ بمخلَّدِ
واصبِرْ لها صبرَ الكرامِ فإنَّها إن لمْ تزَلْ فِي فورِها فَكَأنْ قدِ
يا ربّ صلِّ على النَّبِيءِ وسلِّمِ أحْلَى الصَّلاةِ لسامع ولمنشِدِ
واختِمْ لنا ولِمَنْ يبرُّ ويتَّقِي بسعادةٍ وشهادةٍ وتعبُّدِ

- **القصِيدة الحجازِيَّة**:

نظم أطفِيَّش القصِيدة في رحلتِهِ الثّانِية إلى البقاعِ المقدّسَة، فِي 232 بيتاً منها:

هجرْنا مساقِط الرُّؤوسِ وما نَرَى سِوى الحجّ إنَّ الحجَّ قدْ حانَ أنْ يُرَى
وغيْرَ اعتمارٍ والزِّيارةِ للنَّبِي عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ زها التَّرَى

---

(1) قصيدة البردة للشيخ أمحمد أطفيش، مختارات من جمهرة رسائل البكري، شرح وتحقِيق، مذكرة لنيل شهادة اللِّيسانس في اللغة العربِيَّة وآدابها، إنجاز: حمو علي مسعود وبكلي بابه عمر وإبراهيم باباحني وبكلي بابه محمد، المقدمة ص ت.

(2) فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشَّيخ أمحمد أطفِيَّش، ص33.

وفِي آخرِ القصِيدةِ يقولُ:

أولئِكَ أحبابِي نأَوا فأصِيدهُم بأشراكِ أحلامٍ فباليقظَةِ انخرا
فواهاً ولكِن تستَّرتِ السَّما فأطماعُنا في اللهِ إذْ نورُهُ ورَى

ومن القصائد المذكورة فِي فهرِس خزانتِهِ:

- **قصِيدة رائِيَّة في المدِيحِ**، مطلعها:

وما من زنى أو شبهة يتضمّنُ وكانَ بإصداق وفي نعم تترَى

القصيدة في ورقتينِ غير كاملة، محفوظة فِي خزانتهِ بالرَّمز: أ–ق9[1].

- **قصِيدة مطلعها**:

فؤاد العدو بالدواهِي مُصاب وفي الخد منها للدموع مَصاب

بخزانته أكثر من نسخة[2].

- **قصِيدة في مدح سلطان عمان** مطلعها:

على فيصل مَن فيصل دروة البذل وربع بنِي غبراء في الخصب والمحل

في خزانتهِ أكثر من نسخة من هذه القصِيدة[3].

- **قصِيدة مطلعها**:

سَلاطِينُ هذا العصرِ شتّى كثيرة ولكنها في الصّالحات عسِيره

القصِيدة في ورقة واحدة بخزانته بالرَّمز: أ–ق3/7[4].

- **قصِيدة في مدح سلطان زنجبار** من 32 بيتا مطلعها:

حمودنا ابن محمّد وشيعته ظل البرِيئة والحقّ شريعته

في خزانتهِ أكثر من نسخة من هذه القصِيدة[5].

- **قصِيدة في مدح أمير زنجبار سليمان بن ناصر**، مطلعها:

حمداً لربّي الذِي سبعَ الطّباقِ بنى داحي البسِيطة للذِي اهتَدَى وجنا

---

(1) فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشَّيخ أمحمد أطفِيَّش، ص282.

(2) (م، س)، ص281.

(3) (م، س)، ص280.

(4) (م، س)، ص279.

(5) (م، س)، ص278.

في خزانتهِ أكثر من نسخة من هذه القصِيدة[1].

- **قصِيدة في الوعظِ والنُّصح**، مطلعها:

بنيّ اتّخذْ من غيرِ زوراء أصحابا تجِدْ منهُم حبّاً نصوحا وأحبابا

القصِيدة في ورقة واحدة في خزانتهِ بالرَّمز: أ–ق26[2].

- **مقطوعة في الشَّوق لوالدتهِ** من 6 أبياتٍ مطلعها:

أمِن تذكُّرِ أمِّي بذِي العَدَم كدرتُ خالص ماء مقلتِي بدمِي

المقطوعة في ورقة واحدة بخزانتهِ بالرَّمز: أ–ق18[3].

- **قصِيدة في التَّضرّع إلى الله تعالى** من 14 بيتا مطلعها:

أأنشأ فِي توحِيد ربِّي وأختم بسوءٍ فلا والله بل أنتَ أرحَمُ

القصِيدة في ورقة واحدة بخزانتهِ بالرَّمز: أ–ق27[4].

- **مسوّدة قصِيدة في السِّيرة ومعجزات النَّبِيّ**، في 177 بيتا، مطلعها:

الله أحمد مصلّيا على محمّد والآل والصّحب العلا

في خزانتهِ نسختان من القصِيدة بالرّمزين: أ–ق24 وأ–ق8[5].

مجموعة من هذه القصائد مسوّدات، ومجموعة أخر توجد ملحقات بأواخرِ بعض المخطوطات، كما أنَّ هناك قصائد استقلَّت بأوراقِها، ونالت من النّاظمِ عنايةً بتصحِيحها، وإضافة بعض الشُّروحات على الهوامِشِ وبعض التّعلِيقاتِ.

ولم تكُن كلّ القصائد بخطِّ أطفِيَّش، بل إنّ هناكَ قصائد بخطِّ تلامِيذهِ، وأصولها إمّا ضائعة أو في حكم المفقود.

---

(1) فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشَّيخ أمحمد أطفِيَّش، ص276.

(2) (م، س)، ص276.

(3) (م، س)، ص276.

(4) (م، س)، ص275.

(5) (م، س)، ص280.

هذه القصائد لا تشكِّل كلّ إنتاج أطفِيَّش، وإنّما كان من عادتهِ أن يلحقَ مؤلّفاتِهِ وبعض الكتب التِي يطالعها بنظمِ أبياتٍ ومقطوعاتٍ ربّما في نفسِ مواضِيع الكتابِ، أو في مواضِيع أخرَى.

المطلب الثّالِث: العلوم الإنسانِيّة

لم يقتصِرْ إنتاج أطفِيَّش على العلوم اللّغوِيّة والشَّرعِيّة فقط، وإنّما سال قلمه على المعارِف المنتشرة في زمانهِ، فكتب في التّارِيخ والزِّراعة والفلك والمنطِق.

1- التّارِيخ:

- **الإمكان فيما يجوز أن يكون أو كان**، طبع سنة 1304هـ. أصله في خزانة المؤلِّف بالرَّمز: أ-ث5. بهِ 32 ورقة[1].
- **الرِّسالة المختصرة**، طبع مرّتين (1299هـ و1326هـ) يؤرِّخ لأحداث وقعت في وادي مزاب. أصل المخطوط في خزانة المؤلِّف بالرَّمز: أ-ث2. بهِ 230 ورقة.
- **شرح لامِيّة ابن النَّظر**، مخطوط بخزانة المؤلِّف من جزءين بِالرَّمز: أث1ج1 وأث1ج1، بهما من الأوراق: 581 و596 على التّوالِي[2]. اللّاميَّة قصِيدة لابن النَّظر العمانِي في الولاية والبراءَة المعروفة بـ: كشف الغمَّة، شرحها أطفِيّش مستفِيضا في الأبحاث التّارِيخِيَّة.
- **كتاب في التّارِيخ والسِّيرة**، مخطوط بخزانة المؤلِّف بالرَّمز: أث6 من 16 ورقة[3].

2- العلوم الطَّبِيعِيَّة:

- **تحفة الحُبّ في أصل الطِّبِّ**، طبع طبعةً حجرِيّة سنة 1304هـ. أصله في خزانة المؤلِّف بالرَّمز: أ-د2 بهِ 81 ورقة[4].

---

(1) فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشَّيخ أمحمد أطفِيَّش، ص233.

(2) (م، س)، ص235.

(3) (م، س)، ص239.

(4) (م، س)، ص243.

- **كتاب النّحلة في غرس النَّخلة**، مخطوط في خزانة المؤلِّف بالرَّمز: أ-ض3[1].

- **مسلك الفلك**، مخطوط بخزانة المؤلّف بالرَّمز: أ-ض1. بهِ 132 ورقة[2].

- **إيضاح المنطق في بلاد المشرِق**، نسخةٌ منه فِي مكتبة الاستقامة ببنِي يزقن، بالرَّقمِ (65)[3].

المطلب الرّابع: مؤلّفات مفقودة:

أوردَ من فهرسَ خزانة أطفِيَّش مجموعةً مِن المؤلّفاتِ التِي وقف على عناوِينِها في تقيِيداتٍ، وذكرَ بعضا منها أطفيَّش نفسُه في مؤلّفاتِهِ الأخرَى، لكن لم يوجد لها أثرٌ فِي خزانتهِ، ولا في خزائن غيرِهِ، فترجَّحَ فقدُها. وفي القائمة التّالية رصدٌ لتلك العناوِين[4].

1- النّحو والصّرف:

- **الحاشية الأولَى على شرح أبي القاسم الداوي على الأجرومية.**
- **حاشية التمرين.**
- **حاشية الشذور وشرحه:** يذكر أحيانا حاشية الشذور، وأحيانا يقرنها مع الشرح.
- **حاشية على إعراب الألفية.**
- **حاشية على التصريح.**
- **شرح على العيني.** يذكره الشيخ اطْفِيَّشْ على أَنَّهُ كتاب في النحو، ربما كان شرحا على كتاب "المقاصد النحوية" أو مختصره "فرائد القلائد" وكلاهما للعيني.

2- الفقه وأصوله:

- **حاشية على "الفرائض"** للشيخ إسماعيل الجيطالي.
- **حاشية على القطر وشرحه.**
- **حكم غنيمة المشرك.**

---

(1) فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشَّيخ أمحمد أطفِيَّش، ص243.

(2) (م، س)، ص244.

(3) آراء أمحمد بن يوسف أطفِيَّش العقدِيَّة، (م، س)، ص505.

(4) ينظر: المرجع السّابِق، ص494.

- **شرح الأحكام.**
- **شرح حديث «ملعون من سأل بالله** بوجه الله وملعون من سئل بوجه الله ثُمَّ لم يعط ما لم يُسأل هجرا» عن الطبراني.
- **شرح النّيل الأَوَّل.**

3- العلوم الإنسانِيّة:

- **شرح إيساغوجي.**
- **شرح سلم الأخضري.**

خلاصَة:

تميَّز تراث أطفِيَّش بالثّراء، وكأنَّه قد ألزمَ نفسهُ الكتابة في كلِّ فنٍّ، يدعوهُ إلى ذلِكَ غاياته التّعلِيمِيَّة والعلمِيَّة. يدلُّ على ذلِكَ كثرة الشُّروح والحواشِي والتَّرتِيبات على الكتب المختلفة، التِي يبدو أنّهُ قد قرّرها على تلامذتهِ الذِي يتعهّدون عندهُ طلب العلمِ.

كما كان من أشدّ الدّوافع للتّألِيفِ علاقاته المختلفة ومراسلاتهُ لمعارِفِهِ، ولا أدلَّ على ذلِكَ مِن تألِيفه لمؤلّفاتٍ استجابةً لطلباتِ هؤلاء المعارِف، وكانَ للاستفتاءاتِ والأسئلة كذلِكَ إسهامها في إسالة قلمهِ، ودفعهِ إلى الخَوْضِ فِي المسائل العلمِيَّة المختلِفَةِ، وبذلِكَ كانَ مشارِكاً فِي حلِّ الإشكالاتِ المنبثقة من الواقع الذِي يعِيشه، فلم يكُن فكرهُ حبِيسَ الكتب القدِيمة يتناول مسائِلها ويغفِلُ ما يهمُّ واقعهُ.

واختلفت مؤلّفاتُ أطفِيَّش من حيث تعدُّد نسخها، بين الكتابِ الذِي منهُ نسخة فرِيدة بخطِّ مؤلِّفِها، والكتابِ الذِي لم يوقَفْ على أصلِهِ الأوَّل، والكتابِ الذِي جمع بين الاثنينِ، والكتابِ الذِي صحّ منهُ المطبوع وضاع أصله المخطوط أو بقِيت منهُ أوراقٌ معدودة.

واللّافتُ للنَّظرِ تمكُّن أطفِيَّش من طبعِ مجموعةٍ من أعمالهِ خلالَ حياتِهِ، ساعَدَهُ على ذلِكَ شبكةُ معارِفهِ ومواصلاته، إذْ تلقاهُ يراسِلُ من يتكفّل بالطّبعِ بأن يردّ إليهِ الأصلَ لأنّهُ لم يحتفِظْ بنسخةٍ منهُ.

ولم يبقَ أطفِيَّش حبِيس نظرته التّعلِيمِيَّة، وإنّما كان له إسهامهُ فِي الفنون التِي كتب فِيها، أو هكذا يفترضُ أن يكون، فرغم كثرة التّآلِيفِ التِي كانت شروحا وحواشِي على مؤلّفاتٍ أخرَى، تفوحُ منها الغاية التَّعلِيمِيَّة، إلّا أنَّه اجتهدَ فِي صناعةِ كتبٍ من بناتِ أفكارِهِ، بالطّبعِ اعتمدَ على مؤلّفاتٍ إلّا أن غاية الإبداعِ حاضرة فِيها، إمّا معلنة أو خفِيَّة[1].

ولا تزال مجموعة من المؤلّفات التِي تركها أطفِيَّش حبِيسة الرّفوف، لا يطّلع عليها حتَّى المتخصِّصون، تنادِي مَن يستطِيع العنايةَ ويسْعَى لِأن تكون بأيدِي الباحثِين وطلّاب العلم. ولم تقتصِر عل فنٍّ واحِدٍ، وإنّما شملت مختلف الفنونِ.

لقد اعترضَتنِي خلالَ جمع هذهِ القائمة مِن المؤلّفاتِ مجموعة من المصاعِب، أهمُّها غيابُ كشّافٍ للمطبوعات يحصُرُ ما طبع في الجزائر، سواء كانت مطبوعات حجرِيَّة أو مطبوعات حدِيثة، ثُمّ إنَّ مؤلَّفات أطفِيَّش نفسَها لم تعرِفْ قراراً؛ فقد تفرَّقت في خزائنَ مختلفة، والفضلُ فِي جمعِ عناوِينِها يعودُ إلى مفهرِس الخزانة، الذِي سعَى إلى تكشِيفها في مختلف الخزائِنِ، وإلى الباحثِين السّابقِين الذِين أنجزوا دراسات أكادِيميَّة عن مؤلّفاتِهِ[2].

لقد تمكّن أطفِيَّش من الانتِصار للنّظرة المتحكِّمة فِي الإنتاج الثّقافِي العربِيّ، وهِي الالتفافُ حولَ فكرة التَّدوِين، التِي باستطاعتها تجاوز الزّمان والمكانِ، والجمع بينَ المتفرِّقاتِ والمتباعدات. إنَّ التَّدوِينَ فعلٌ أصِيلٌ فِي الثّقافة العربِيّة يقوَى عندَ بعضٍ، ويخفتُ عند آخرِينَ، وما دعا أطفِيَّش إلى الإكثارِ منهُ اشتغالهُ بالتّلقِين والتّعلِيم، الذِي أخذَ جلَّ وقتهِ، فكان لا بدّ من مزاولته للنّشاطَيْنِ جمعا بين الحسنيَيْنِ، وعملا بمبدأ التّفاعلِ الذِي يجسّدُ التّثاقفَ القائم على إعطاءِ أحدهما ما ليسَ للآخَرِ.

---

(1) ينظَر مثلا كتابُ "شرح لامِيّة الأفعال" قال في مقدّمتهِ: معتمِدا فِيها على ما حفظت من شيخِي، وعلى ما استخرجتهُ وحقَّقتُهُ من كتب الفنِّ، لا مقلِّداً فِيهِ ألفاظَ شرحٍ من شروحِها، لئلَّا أكون كَالمستعِيرِ من الفنِّ، وكلُّ ما كانَ فيهِ من مباحِثَ أو مناقشة في تصرِيف أو وزنٍ أو عروض، فإنَّما هوَ من بناتِ أفكارِي، ومن المقصورات في الخيامِ من حسان أبكارِي، إلَّا ما فِيهِ من حكاية لغاتٍ أو خلاف، أو موافقة وائتلاف، فإنَّما هوَ من تقلُّبِي في هذا الفنِّ حولا بعد حولٍ، وتتبُّعِي لكلامِ علمائِهِ قولا بعدَ قولٍ". شرح لامية الأفعال، أمحمّد أطفِيَّش، 10/1.

(2) مثل: آراء أمحمد بن يوسف أطفِيّش العقدِية، د. مصطفى ونتن، رسالة ماجستِير، جامعة الجزائِر. ألحق بِها قائمة موسَّعة لمؤلَّفات أطفِيَّش.

إنَّ تكوِينَ أطفِيَّش الثّقافِي الذِي ساهمَ فِي إثرائِهِ الزّمان والمكانُ، لم يكُنْ لِينتِجَ كاتبا محترفا متخصِّصاً، وإنّما كانت الدّوافع العلمِيَّة تنبِئُ بمخرَجٍ يأخذُ مِن كلِّ فنٍّ بطرفٍ، فكان بحقٍّ نقطة التقاءٍ تارِيخِيَّة، تجمّعَتْ فِيها مختلفُ العلومِ النّقلِيّة والعقلِيَّة، قدْ لَا يمثِّلُ جامعها سِوَى أداةٍ نقلتْ مِن هنا وهناك، فيكونُ له الفضلُ فِي الحِفاظِ على تراثٍ متناقلٍ عبر العصورِ، ولا ينفِي هذا إضفاء المسحة الابداعِيَّة ولو مِن حيث الشَّكل، فتنوّعُ عناوِين المؤلِّفات واختراعها من غيرِ سابقٍ ينبِئُ عنْ رَغبةِ صاحبِها فِي تجدِيدِ ما خلق مِن هذه العلومِ.

هذه المؤلّفات المجموعة في مختلف الفنونِ توضِّحُ المجال المعرفِيّ الذِي برزَ فِيه أطفِيَّش، فكثرةُ مؤلّفاته الفقهِيّة والنّحوِيّة وتفسِيرِه للقرآن الكرِيم ثلاث مرّاتٍ تعطِيهِ وصف الفقيه النّحوِي المفسِّر. ولقد شكَّل التّأليف الفقهِيّ عند أطفِيَّش نسبة معتبرة من مؤلّفاتِهِ، إذْ بلغ عدد العناوِين في هذا الفنّ أكثر من 15 عنوانا. وقد تنوّع بينَ الشَّروح والتّراتِيب والحواشِي.

الفصل الثاني:
التعريف بكتاب
"إجابة الدّعوة"
ومنهج تحقيقه

المبحث الأوّل: موضوع كتاب "إجابة الدّعوة" وبناؤهُ

يتناولُ هذا المبحثُ الحدِيث عن موضوعِ كتابِ "إجابة الدّعوة" خلالَ ثلاثةِ مطالِب، يفصّل المطلب الأوّل الموضوع الأصلِي لِلكِتابِ، ويبْحَثُ فِي موضِعهِ ضِمنَ الحقول المعرفِيَّة، ويقدِّمُ المواضِيع المختلفة التِي تطرَّقَ إليها الكتاب. ويتناولُ المطلَبُ الثّانِي وَصفاً لهيكلة الكتابِ وبنائِهِ. ويعرِضُ المطلَبُ الثّالِث المصادر التِي اعتمدها المؤلِّف في تألِيفِهِ.

المطلَب الأوَّل: موضوع كتابِ "إجابة الدّعوة":

1- طبيعة كتابِ "إجابة الدّعوة"

كتابُ "إجابة الدَّعوة لإصابة الدّعوة" يميَّزُ بين المؤلَّفات التِي اعتنَتْ بِقصائد مدحِ الرّسولِ مُحمَّد ﷺ، بشرح غامضها وبيان مجملها، وتوسِيعِ مباحثِها، ولقَدْ عَمِد أطفِيَّش إلى قصِيدةٍ لم تكنْ معروفةً فِي هذا الفنِّ، ولم أقِفْ على نُسَخِها إلّا بعد بحثٍ شدِيدٍ[1]. كان عنوانها: "القصِيدة المدنِيَّة في مدحِ مهدِيّ الأمَّة" نظَمَها صاحِبها على تفعِيلاتِ بحر الطَّوِيلِ. أولَى الإشارات[2] التِي وقفتُ عليهَا، التِي تناولتها بالحدِيثِ، كانت عند المؤلِّف نفسهِ، فِي أواخِر المجلَّد الثّالِث مِن كتابِهِ، حيثُ ذكرَ عند شرحِ هذا البيتِ:

أَلَا يَا رَسُولَ اللهِ جِئْتُكَ زَائِراً فَخُذْ بِيَدِي وَاجْعَلْ قِرَايَ الْجَنَى

أنَّ النّاظِمَ قد نظَمَ قصِيدةً مِن المتقارب، مستمدة من تائيَّة الإمام الشّيخ تقيّ الدِّين السّبكي (ت:756هـ) سمّاها "القصيدة المكّيّة في مَدْحِ خيْرِ البَرِيَّة". ثمَّ عند عودتهِ للمرَّة الثّانِية لزيارةِ المصطفى عليه السلام، شرعَ فِي نظمِ قصِيدةٍ ثانِية سمّاها: "المدنيّة في مدْحِ مهدِيّ الأمّة" وذلِكَ سنة 1275هـ[3]. والثّانية منهما هي المقصودة بالشَّرحِ في كتابِ "إجابة الدَّعوة"،

---

(1) إنَّ قصْدَ أطفِيَّش إلى القصائد والأشعارِ غيرِ المشروحةِ طلبا للجدِيدِ، تمثّل في عدّة مؤلّفاتٍ، بيّنتها فِي المطلب الخاصِّ بآثارِهِ، حتّى إنّهُ شرحَ أشعاراً استشهدَ بها مؤلّف كتاب "الوضع" في الفقه والأصول.

(2) ذكِر أن القصِيدة لابن ونّان المغرِبِي (ت: 1187هـ)، لكن لم أقفْ على سندٍ يؤيِّدُ هذا. ينظر: معجم أعلام الإباضِية (قسم المغرِب)، رقم الترجمة: 864. وتيسير التفسِير، أمحمّد أطفِيَّش، 201/5 الهامِش رقم1.

(3) ينظر: أ3 [467و].

وقد أنهَى الشّارِحُ كلامهُ بقولِهِ «انتهَى كلام العلّامة النّاظِم» في إعلانٍ صرِيحٍ بماهِية المؤلّفِ عندهُ، وباعتبارِ مكانته العلمِيَّة، التِي تكونُ دافعاً أساسِيّاً لتناولِ إنتاجاتِهِ بالشَّرحِ والتّعقِيبِ. كما يقدّمُ النّصُّ إضاءةً مهمَّة لركنٍ مِن أركانِ الدِّراسة النّصّيّة المتعلّقة بالمبدعِ منشِئِ النّصِّ، فليسَ النّاظمُ مِمّن يلوك الكلام ويلقِيهِ، وإنّما يقولُ عن بيّنة واستبيانٍ. هذا وإن قدّم النّصُّ بعض التّوضِيحِ، إلّا أنّهُ أغفلَ المنحَى الفنّيّ المعتبرِ في إنشاء القصائدِ، فلم يصِفهُ بالمفلِقِ أو الفصِيحِ أو الشّاعِرِ، وإنّما اكتفَى بوصفٍ يعطِي صفةً قدْ لا توحِي بتمكّنهِ وطبعهِ الشّعرِيّ، ولكن على الأقلِّ تدخلهُ فِي هذا المجال من حيثُ التزامُ قواعد الوزن والعروض.

وقد وقفتُ على نسخةٍ مِن "القصِيدة المدنِيَّة" فِي مخطوطٍ بهِ مجموع متونٍ، محفوظ فِي مكتبة الاستقامة بـ"بنِي يزقن"، يختلفُ نصُّها فِي بعضِ أبياتهِ عن الأبيات المشروحة في متنِ كتابِ "إجابة الدَّعوة"، كما أنَّ مجموع الأبياتِ أكبرُ مِمّا هو عليهِ في الشَّرحِ. فهل كانَ ذلِكَ الاختلاف سَعْياً مِن الشَّارِحِ فِي تقوِيمِ القصِيدة؟ وبالخصوصِ أنَّ المجموع نفسهُ قد أوردَ نفسَ القصَّة ونفْسَ المعلومَاتِ فِي نظْمِهَا[1].

وناظمُ القصِيدة كما هو مدوَّن في "مجموعِ المتونِ"، هوَ محمَّد السُّبكِي، وكانت المصادِرُ شحيحة في ترجمته، إذْ قال عنهُ رضا كحالة: «محمّد السّبكي (كان حيا 1275هـ 1859م) مِنْ آثاره: "القصيدة المدنية في مدح مهديّ الأمّة الأمّيَّة" في معجزاتهِ ﷺ، ابتدأها في السويس وختمها بجدّة سنة 1275هـ»[2]. وهي نفسُ المعلومات مِنْ "مجموع المتونِ"[3].

(1) ينظَر: مجموع المتون المحتَوِي على خَواصِّ الفنون، مخطوط بمكتبة الاستقامة، ببنِي يزقن، بالرّمز: أ129، القصِيدة مِن 28ظ إلى 34و.

(2) معجم المؤلّفِين، 18/10. وينظر: معجم أعلام شعراء المدح النَّبوِيّ، ص353. وفهرسة الخديوِيّة،1/7، 334.

(3) الظاهِر أنَّ معلومات النّاظم الموجودة فِي فهرسة الخديوِيَّة وردتْ فِي وصفِ نفسِ المجموع الذِي وقفت عليه في مكتبة الاستقامة، والذِي احتوَى على القصِيدة المدنية، لتشابه القصائد المذكورة في الفهرِس مع قصائد المجموعِ.

2- دواعِي تأليف الكتابِ واختيار القصِيدة المدنِيَّة:

إنَّ اختيارَ أطفِيَّش للقصِيدة المدنِيَّة راجعٌ إلى المكانة التِي نالَها فنُّ المدِيح النَّبوِيّ فِي وجدانِهِ المعرِفِيّ العاطفِيّ، حتَّى إنَّهُ أنتجَ مجموعةً مِن القصائِدِ في مدحِ واستِحضارِ جلالِ رسول الله ﷺ ، لذلِكَ اختارَ لنفسِهِ المضِيّ في هذا التَّوجُّهِ بشرحِ القصِيدة المدنِيَّة.

وقد حمل البيتُ الذِي صدَّر به أطفِيَّش شرحهُ إشارة صرِيحة إلى غرضِ التّألِيف واختيار القصِيدة، قالَ:

لِشَارِح هَذَا النَّظْمِ، نَاظِمُهُ الْفَانِي دَعَا، فَشَرَحْتُ أَوَّلاً لَسْتُ بِالثَّانِي[1]

معْرِباً بذلِكَ عن انضمامِهِ إلى ميدانِ القصِيدة المشروحة، رَغبةً فِي الظَّفرِ بِالدُّعاء الذِي ضمّنهُ النَّاظمُ آخِرَ القصِيدةِ لِمَن يشرَحها ويعْتَنِي بِهَا. كما أنَّ السَّبقَ إلى هذا الشَّرحِ كان أيضا مِن دواعِي الإقدامِ عليهِ.

إنَّ ولَعَ أطفِيَّش بالعلوم العقلِيَّة القائمة على الاستدلالِ، وإبراز القُدرات العقلِيَّة، كالاسْتنباط والاستنتاجِ والرَّبطِ وقوَّة الحافظة والتَّذكُّر، ومحاججةِ الخصمِ بالحجج المقنعةِ –ربّما– كَانَ ذلِكَ دافعاً له إلى شرحِ هذهِ الْقصِيدة، التِي تنتمِي إلى فنِّ النَّظمِ أكثرَ منهُ إلى فنِّ الشَّعرِ؛ فالشَّارِحُ قدْ لَا تسْتَهْوِيه الجماليَّة الفنِيَّة، ووسع الخيال، وبلاغة التَّشبِيه والتَّصْوِير، التِي تسِمُ القصائد الشِّعرِيَّة الرَّقِيقة في شَتَّى فنونِها كالغزلِ والرِّثاءِ والمدحِ والفخرِ.

وهناكَ سَببٌ آخر لهُ وجاهتهُ واعتبارُهُ، وهو أنّ مِنْ تقالِيدِ المشتغلِينَ بعلوم الشَّرِيعة واللُّغة أن يكونَ لهم إسهامٌ في خدمةِ سيِّدِنا رسولِ اللهِ ﷺ، قدْ يَتمثَّلُ هذا فِي قصِيدةٍ مادحةٍ للذّاتِ المحمّدِيَّة، يبرِزُ فيها المادِحُ شوْقهُ لِزيارة قبرِهِ الشَّرِيف وغيرِ ذلِكَ[2]. أو أن تكونَ تلك الخدمةُ، كما هوَ الحالُ مع هذا المؤلَّفِ، شرْحاً لقصائدَ مِن هذا الفنِّ الجلِيلِ، يسِيرُ فِيهِ الشَّارِحُ على خُطَى النَّاظِمِ صاحِبِ القصِيدة.

---

(1) كتَبَ المؤلف هذا البيت على الهامِشِ، وهو الذي ذُكِر صدره في صفحة العنوانِ. وقد كانَ مِن نفسِ بحرِ القصِيدة ورَوِيِّها، يَذكُرُ فِيهِ سببَ إقدامه على شرح هذه القصيدة، وهو الظَّفرُ بالدُّعاءِ الذِي ضمَّنه النَّاظم قصيدتهُ في آخِرِها، ويقرُّ بأنَّهُ أوَّلُ مَن يقوم بشرحِها، فلم يطَّلِعْ على شرحٍ لها قبلُ.

(2) لقد كان لأطفِيَّش إسهامٌ في الميدانيْنِ، كما بيَّنتهُ حِينَ الحدِيثِ عن الإنتاج الشّعرِي.

إنَّ البحثَ في غاياتِ تأليف هذا الكتابِ يقودُ إلى أن نميِّزَ بين الاستجابة الوجدانيَّة الشَّاعريَّة العاطفيَّة[1] لأيّ مؤثِّرٍ، والاستجابة العلميَّة الفنيَّة؛ أيْ إنَّ هذا المؤلَّف الذِي حشرتهُ في خانة الشُّروح الشِّعريَّة، لا بدَّ أن ينظرَ إليْهِ من الشِّقَّينِ؛ شقِّ الاستجابة العاطفيّة الوجدانيّة التِي يشترِكُ فيها مَن يحمل في قلبِهِ حبّا وتعلُّقا بذاتِ محمّدٍ ﷺ، وشَوْقاً لِزيارةِ قبرِهِ، والتَّبرُّك بالتَّقرُّبِ إليهِ بشتَّى الصَّلواتِ والأدعِيَة والأذكار. وفِي الشّقِّ الثَّانِي ينظرُ في الغايةِ الأدبيّة والفنِّيّةِ والصِّناعِيّة لهذا المؤلّفِ، الذِي يملكُ بطاقة تعرِيفِهِ وزمرتِه التِي ينتمِي إليْها.

لقد كان أطفِيَّش يزاوِلُ التّدرِيسَ، يدلُّ على ذلِكَ تراثُه الزَّخمُ الذِي خلَّفه وراءَهُ للأجيالِ، وكذلِكَ سعيُهُ إلى أن تبلُغ مؤلّفاتُهُ حيثُ يصِلُ صداها، سواء داخِل بلدِه الجزائِر أو خارجه، لذلِكَ كان هناك مخطوطاتٌ لكتُبِهِ في تونس وعمان وزنجبار، كما أنَّ مجموعةً من كتبه قد تمَّ طبعها وتداولها في بلدانٍ مختلفة بفضلِ جهودِهِ وجهودِ الذِين عملوا معهُ في بلوغِ أهدافِهِ.

إنَّ ممّا يحتمل أن يكونَ داعِيا إلى اختيارِ المصنِّف هذه القصِيدة على غيرِها تصدِّيهِ لشرحِ قصِيدةٍ لم تتناول مِنْ قَبلُ، فلا يقعُ فِي مظنّة نقل الأقوالِ، والاعتماد على الشّروح السّابقة، هذا كلُّهُ مدعاةٌ إلى الاجتهادِ، واختبارِ المعلوماتِ والقدرات في علوم اللُّغة المختلفة.

لا يبدو أنَّ الشَّارِحَ قد عمِد إلى شرح القصِيدةِ اعتماداً على معايِيرَ فنِّية؛ أيْ باعتبارِ حسن نظمِ القصِيدةِ وقيمتها الأدبِيَّة، ويؤكِّدُ هذا ضمورُ الجانب النَّقدِي في الشَّرحِ، الذِي في الأصلِ سيعنَى بتعدِيلِ وإطلاقِ أحكام التَّحسِين والتَّقبِيحِ والإجادة على نَظْمِ القصِيدةِ، مِنْ حَيثُ ألفاظها وتصوِيرُها وموسيقاها، إلّا مِن ملاحظاتٍ قلِيلة أشرتُ إليها في المبحثِ الخاصِّ بذلِكَ.

(1) تقدِّم نظرِيَّة التَّلقِّي في هذا المضمارِ تأطِيرا لمراحلِ استقبال الأعمال الفنِّيَّة يبيِّنها د. إدريس بلمليح كما يلي: «التَّلقِّي الذِي يهتمُّ بزمن الدّهشة الجماليَّة عند القارِئ تطبعهُ أحكام القيمة والمقايِيس العامَّة، وزمن القراءة الاستعادِيَّة والمبرّرة تسعَى إلى تبرِير الدّهشة عن طرِيقِ محاولة الفهم والتَّفسِير والتَّقوِيم، ثمّ زمن القراءة التّارِيخِيّة التِي تمثِّل تداوُلَ العمل الفنِّي من خلالِ أجهزة قراءة متعدِّدة، تعايشه طِيلة تارِيخِه المتجدِّد، أو ما يمثِّله حدث القراءة على العموم». ينظر: المختارات الشعرِيّة وأجهزة تلقِّيها، ص8، ص11، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، الرّباط.

كان هذا الحدِيث عن طبِيعة الكتابِ وَبيان موقعهِ ضِمن مجالات التّأليف، فما المواضِيع التِي تطرّق إليها، وبنى بها أطفِيّش هذا الكيان؟

3- مواضِيعُ كتابِ "إجابة الدّعوة":

ألّف أطفِيَّش كتابَهُ بعدَ رحلتِهِ الأُولَى إلى البقاع المقدّسَة سنة 1290هـ[1]، رغبةً منهُ في العودِ إلى ذلكَ المكانِ، ليتحسّسَ فِيهِ نسماته الرُّوحِيَّة، ويغتنِمَ عمرَهُ بالسَّيْرِ فِي أرضٍ وطئها محمّد ﷺ بقدميْهِ.

وضَمَّن الكتابَ أبحاثا فِي ميادِينَ شتَّى، تنمُّ عن ثقافته الموسوعِيَّة، التِي ترغبُ في الأخذِ مِن كلِّ فنٍّ. والحاصِلُ أنّ هذا الكتابَ قد شكَّل نقلةً نوعِيَّةً فِي توجُّههِ المعرفِيّ، إذْ طغَى علَى جانبٍ كبِيرٍ منهُ عنصُرا الرّاوية التّارِيخِيَّة والحدِيثِيَّة، والمسائل الشَّرعِيَّة، بعدما كان صرَفَ جهداً كبِيرا فِي مؤلّفاتهِ الأولَى مشتغلاً بالعلومِ العقلِيَّة، وبالخصوصِ علوم اللُّغة. وفِيما يلِي عَرْضٌ مبسَّطٌ لمجموعة من مباحِثِ الكتابِ، وسأخصُّ المباحِث اللُّغوِيَّة والأدبِيَّة بفصلٍ خاصّ.

أ- المعارف الشَّرعِيَّة:

لا يفتأ الشَّارِحُ يذكرُ أحوالَ الممدوح صاحب المقام العلِيّ والحضرة القدسيَّة، في كلِّ فَصلٍ من فصولِ شرحِ هذِه المدحةِ، يعطِّرُ تأليفَهُ بنسماتٍ من سِيرته العطرة وأخلاقه وأحواله. إنَّ ما ذكِرَ في القصِيدة لا يكفِي لإحاطَة النَّاسِ عِلْماً بِمَن هو أفضل الخلق، ومَنْ هو الرَّحمة المهداةُ، وشفاء العلِيل، وريُّ الغلِيلِ.

وأدْرَجَ الشَّارِحُ مباحِث شرعِيَّة كثِيرة خلال شرحِهِ؛ بالنَّظرِ إلى طبِيعة القصِيدة المشروحة، تختلفُ معالجتها طولاً وقِصرا بحسبِ الحاجة؛ فمنها الإشارة اللَّطيفة السَّرِيعة، في شرحِ

(1) ليس في النُّسخ الخطِّيّة تصرِيحٌ بتارِيخ التّأليف، وفِي إحداها (ج): تمّ النَّسخ سنة 1306هـ. ينظر: مطلب الرّحلات العلمِيّة ومطلب وصف النُّسَخ.

مفردةٍ، أو بيانِ مصطلحٍ شرعِيٍّ وظَّفه النّاظم، أو توضِيح حكْم شرعِيّ تضمّنه البيتُ؛ نلمسُ هذا مثلا فِي قولِهِ: «وأوْضَحْتَ شِرْعَةَ دِينِنا بالنَّوعَيْنِ المعهُودَيْنِ في الأذْهَانِ؛ أحَدهُمَا **الإِجْمَالُ**، والآخَرُ **البيَانُ** وهُوَ التَّفْصِيلُ، فبَعْضُ ما أنْزَلَ اللهُ مُجْمَلٌ، يَبْقَى علَى إِجْمَالِهِ، وبَعْضٌ بَيِّنٌ بَعْدُ، وبَعْضٌ يَنزِلُ مُفَصَّلاً مِنْ أَوَّل»[1]. فمعلومٌ أنَّ مِن أصولِ الشَّرِيعةِ ما يكونُ مجملا، ومنها ما يكونُ مفصّلا، إمّا في القرآنِ نفسِه أو الحدِيثِ النَّبوِيّ، أو أن يكونَ فِي الحدِيث بيانُ وتفصِيلُ ما كان مجملاً فِي القرآنِ.

وفِي قولِه أيْضاً: «وأَرْسَلْتَ إلَى الجَنَّة مَنْ أطَاعَ، وإِلَى النَّارِ مَن عَصَى. فإنَّ الدَّعوَى تُوجِبُ مَصِيرَ المُجِيبِ اعْتِقَاداً وَقَوْلاً وعَمَلاً إلَى الجنَّةِ، وتُوجِبُ مَصِيرَ المُعانِدِ بالشِّرْكِ، أو بِالفِسْقِ والإِصْرارِ، إلى النَّارِ»[2]. وهذا توضِيحٌ لأصْلٍ مِنْ أصولِ الإيمان، يقضِي بإثابة المستقِيم المتّقِي على أفعاله، ومعاقبةِ الفاسِق المعانِد الذِي أصرَّ على عنادِهِ.

وتظهرُ فِي النّصِّ التّالِي رغبةُ الشّارِح في الوقوف على الأحكام الفقهِيّة، التِي تحملها الأبيات المشروحَة، لا يمرُّ عليها دون بيان وتفصِيلٍ، يقول: «وَأَفَادَ أَنَّ المَنَّ يُبْطِلُ العَمَلَ؛ أَيْ: يُبْطِلُ ثَوَابَهَا، وَلَوْ كَانَ لَا يُطَالَبُ بِالإِعَادَةِ أَو القَضَاءِ. وَمَعْنَى تَمَامِهَا أَنَّهَا لَمْ يَدْخُلْهَا مَا يُفْسِدُهَا أَوْ يُفْسِدُ ثَوَابَهَا، وَمَعَ ذَلِكَ يَخَافُ أَنْ يُحْدِثَ مَا يُبْطِلُ ثَوَابَهَا كَرِيَاءٍ وَمَنٍّ، وَإِنَّمَا قدّرت بِنَحْوِ [9و] المَنِّ؛ لِأَنَّهُ يَخْتَصُّ بِالصَّدَقَةِ وَنَفْعِ العِبَادِ، وَلَيْسَت العِبَادَةُ مَحْصُورَةً فِيهِمَا»[3].

أمَّا الشَّكلُ الثَّانِي الذِي كان الغالِب في الكتابِ، حتَّى حادَ بِهِ عن الطَّابع اللُّغوِي والأدبِيّ، الذِي ينبغِي أن يكونَ عليهِ، إلى شرح نحا نحو الكتب المطوَّلة في مباحث شَتَّى

(1) إجابة الدَّعوة [143ظ].
(2) (م، س) [143ظ].
(3) (م، س) [8ظ].

من علوم الشَّرِيعةِ وغيرِها. فسأورِد نماذِجَ منْها ممَّا له علاقَةٌ مباشِرة بأبياتِ القصِيدَةِ، وإلَّا فإنَّ فصولا كثِيرةً قدْ عقدَها الشَّارِح كانت القصِيدة في غِنًى عنها.

أدرَجَ في شرحِهِ مسائِلَ في علوم شتَّى كأصولِ الفقه والتَّفسِيرِ؛ فنقلَ أقوالَ المفسِّرِين والفقهاء، وسعَى في بعضِ الأحيانِ إلى بيانِ رأيِهِ في تلك المسائلِ؛ من ذلِكَ قولُهُ في تفسِيرِ الآية: ﴿ وَإِذَ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ﴾[1] قال «وما قَالَهُ قتَادَةُ والحَسَنُ وطاوُسُ، لَا يُضَادُّ ما قَالَهُ عَلِيُّ وابنُ عَبَّاسٍ، ولَا يَنْفِيهِ، بلْ يَرْجِعُ إلَيْهِ كمَا فَسَّرْتُهُ»[2]. وَفِي مباحِثِ الأحكامِ الشَّرعِيَّة قال «وتَعْلِيقُ الأَحْكَامِ على الشُّروطِ قَدْ تكونُ بِحَسَبِ المَحَلِّ القَائِل، وقدْ تكونُ بِحَسَبِ الفَاعِلِ المُتَصَرِّفِ»[3]. ومقابل هذه النّظراتِ الجزئِيَّة، فإنّه تحدّثَ مطوّلا عن فضلِ زيارة النّبِي في قبرِه، والآداب الشّرعِيَّة المراعية في ذلِك، وفِي التّوسُّل بجاهِهِ[4]، وعقد كذلِكَ فصولاً يتحدّث عن الاستسقاء وأحكامِهِ؛ لاتّصالِهِ بِمعجزاتِ الرَّسُولِ ﷺ[5].

ب- الرِّوايات الحدِيثِيَّة:

ضمَّن الشَّارِحُ الكتاب مجموعة كبِيرة من الأحادِيث المروِيَّة عن رسول اللهِ ﷺ، وآثارا كثِيرة عن الصّحابة والتّابعِينَ، فِي موضوعات متعدِّدة، جمعها في فصولٍ مختلفة الأغراضِ؛ مِن ذلِكَ أنَّهُ عقدَ فصلا كامِلاً يتحدّثُ فِيهِ عن الدُّعاءِ لأهلِ المدِينة[6]، ونقلَ ما وقفتْ عليهِ عيناهُ من الآثار المروِيَّة والأحادِيث النَّبوِيَّة. وفصلا آخرَ يتحدَّثُ فِيهِ عن فضائلِ ترابها وثمرِها[7]. كما لم يفتهُ التوسّل بِالأحادِيثِ في ثنايا الشَّرحِ، سواء تعلَّقَ الأمرُ بِشرحِ أبياتِ

---

(1) سورة آل عمران: 81.

(2) إجابة الدَّعوة [65ظ]. كذلِكَ ينظرُ تفسِيره الآية: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [سورة الشعراء: 219]. [115ظ].

(3) (م، س) [66و].

(4) (م، س) [40و] وما بعدها.

(5) (م، س) [165و] وما بعدها.

(6) (م، س) [25و] وما بعدها.

(7) (م، س) [28و] وما بعدها.

القصِيدة أو بموضوعٍ تطرَّقَ إليهِ النّاظم، لكن لم يمرَّ عليهِ إلّا بإشارةٍ سرِيعة؛ فيتوسّع الشَّارِحُ فِيه وبالخصوصِ الحدِيث عن الأحكامِ والمسائل الشَّرعِيَّة، كفضلِ زيارة المدينة، وما على الزّائرِ مِن آداب يحترمها، وغير ذلِكَ، ممّا مرّ آنفا.

ج- النُّبوّة والرِّسالة:

أوردَ أطفِيَّش تبعاً لمواضِيع القصِيدة المشروحةِ، جملة من فصولٍ تحدّثَ فِيها عن مفهوم النّبِيّ والرّسولِ[1]، والمعجزة وشروطِها[2]، وفِي فضائلِ الأنبياء بعضهم على بعضٍ[3]، وتحدَّثَ عن أوَّل الخلقِ، وما فضلَ به محمَّد ﷺ على غيرِهِ، وعنْ دلائل نبوّة محمّد ﷺ السّابقة لمبعثِهِ، وعن الوحْيِ وكيفِيّاتهِ. كُلُّ هذِهِ المواضِيع تحومُ حولَ معرفة الرَّسولِ ﷺ حقَّ المعرِفة، وقد نبَّهَ فِي آخِرِ المخطوطِ إلى أنَّ ذلِكَ ممّا يلزمُ المسلِمَ معرفتُه والإحاطةُ بهِ، وليسَ مِن نَافلَةِ القَوْلِ أو فضائل الأعمالِ.

د- المعارِف التّارِيخِيَّة:

ضمَّن الشَّارِحُ الكتابَ أبحاثا تارِيخِيَّةً كثِيرة، في السِّيرة النّبوِيَّة وغيرها، وكانت إمَّا على شكلِ توضِيحاتٍ لِما يورِدُهُ النّاظمُ في الأبياتِ، وإمّا فصولا مطوّلةً تنبِئُ عن رغبتهِ فِي توسِيع مدَى البحثِ، وإلحاقِ الكتابِ بِالمؤلّفات التّارِيخِيَّة، وسأضْرِبُ لكليهما بِنماذجَ وتوضِيحاتٍ.

فقدْ قالَ بعد شرح البيتِ:

وَشَمْسُ الضُّحَى طَاعَتْكَ وَقْتَ مَغِيبِهَا وَقَدْ وَقَفَتْ وَقْفًا لِنُخْبَةِ عَدْنَانِ

«تَقَدَّمَ عَن السّدِّي أَنَّ قُرَيْشاً سأَلُوهُ آيَةً عَلَى إِسْرَاءِهِ، فَأَخْبَرَهُمْ بِقُدُومِ الْعِيرِ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ، وَلَمَّا كانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ لَمْ يَقْدُمُوا، حَتَّى كَادَت الشَّمْسُ تَغْرُبُ، فَدَعَا اللهَ تَعَالَى فَحَبَسَ الشَّمْسَ

(1) إجابة الدَّعوة [68و] وما بعدها.

(2) (م، س) [75ظ] وما بعدها.

(3) (م، س) [63ظ] وما بعدها.

حَتَّى [248ظ] قَدِمُوا كَمَا وَصَفَ»[1]. وهذَا النّموذج يبيّنُ رغبةَ أطفِيَّش في شرحِ ما يورِدُه النّاظِمُ بِالرّجوعِ إلى الرّوايات الواردة في الحادِثة وما توقعهُ مِنْ إشكَالاتٍ، ويذكُرُ أقوالَ العلماءِ في ذلِكَ.

وفي شرح البيتِ:

وَفِي جَبْهَةِ الدُّوسِيّ ثُمَّ بِسَوْطِهِ جَعَلْتَ ضِيَاءً مِثْلَ شَمْس الضُّحَى

قالَ «في تعرِيفِ الدُّوسِيّ المذكورِ في البيتِ: نُسِبَ إلَى جَدٍّ مِن أَجْدَادِهِ يُسَمَّى دوسا، وبهِ أيْضاً سُمِّيَت القبِيلةُ، وهو الطُّفَيْلُ بنُ عَمْرو»[2]. ولم يفُتْهُ بعدَ هذا الشَّرحِ القصِيرِ سردُ قِصَّة هذا الرَّجلِ مع قريشٍ، وما حدثَ له بعد تعرُّفِهِ على رَسول اللهِ ﷺ، وإيمانهِ به، ثمَّ عودَتِهِ إلى أهلِه ودعوتهم إلى الإسلام، وما تحدَّثَ عنه البيتُ، وهو المعجِزَة التِي أعطاها له اللهُ، كلُّ ذلِكَ يقدِّمه من المصادِرِ المختلفة، التِي نقلت هذه الأحداثِ. لكنّه لا يقدِّمُ نقدا لهاته الرّوايات، وبياناً لِصحَّتها وأقوال العلماءِ فيها، بلْ يَكْتَفِي بتوثِيقها في مصادرها.

وعقَدَ أطفِيَّش فصولاً كامِلةً يعالِجُ فِيها مسائل تارِيخِيّة؛ من مثلِ: فصل فِي أَخْبَارِ سُكَّانِهَا إِلَى أَنْ حَلَّها النَّبِيءُ ﷺ[3]، تحدَّثَ فِيهِ عن سكُّانِ المدينة وأصولِهم ومنازلهم فِيها، والحروب التِي كانت دائرة بينهُم، إلى أن جاء النَّبِيءُ ﷺ وأحلَّ السِّلمَ بينهم.

وعقدَ فَصْلاً فِي تارِيخ نشأةِ المدينة، وما تؤول إليهِ في آخرِ الزّمانِ[4]، يورد معلوماتِهِ مِن الرّوايات الحدِيثِيَّة والتّارِيخِيَّة واللُّغوِيَّة.

---

(1) إجابة الدَّعوة [248و] و[248ظ].

(2) (م، س) [194ظ].

(3) (م، س) [30و] وما بعدها.

(4) (م، س) [15و] وما بعدها.

وتراهُ يورِدُ أخباراً كَثِيرةً مِنْ كُتُبٍ متعدِّدة في أخبار المصطفَى ﷺ، وسيرتهِ ومعجزاتِهِ، ولا يعالِجُ ذلِكَ بنمطٍ واحِدٍ، فقد يضطرُّ إلى ردِّ روايةٍ مقدّما على ذلِكَ أدلّةً وتعلِيلاتٍ[1]، أو أنّهُ يمرُّ عليها دون تعلِيقٍ، مكتفِياً أحيانا بتوثِيقها من المصدرِ المنقولِ منهُ.

المطلَب الثّانِي: هيكلة كتاب "إجابة الدّعوة" وبناؤُهُ

رَسَمَ أطفِيَّش لكتابِهِ خطّةً محدّدة، لم يصرّحْ بها، ولكن يمكِنُ تلمُّسها مِن خلالِ تتبُّعِ مباحِثِ الكتابِ، والبحثِ فِي الأركان الأساسِيَّة التِي أقامتْ بناءه. ويمكِنُ الحدِيثُ عن ذلِكَ ضِمن العناوِين التّالِية:

1- عنوانُ الكتابِ وأهمّيّتُه[2]:

يؤدِّي العنوانُ فِي التّألِيف العربِيّ دوراً مهِمّاً في إبلاغِ رسالة الكتابِ؛ إذْ تختصِرُ أهمِّيَّتهُ في أنّهُ أوّلُ ما يتلقّاه القارِئُ منهُ، فهو يمثِّل لحظةَ التَّواصل الأولَى بين القارِئ والكتابِ، فتناطُ بهِ مهمَّة ربطِ المتلقِّي بهِ، وبناء جسرٍ تواصلِيّ متينٍ معهُ.

وألفاظُ عنوانِ كتاب "إجابة الدَّعوة لإصابة الدُّعوة" لَا توحِي بمجالِ اشتغالِ الكتابِ، ولا تُنبِئُ عنْ مواضِيعِهِ التي يتطرَّقُ إليْها، ولا يُعرَفُ منها أنَّهُ شَرحٌ على قصِيدةٍ مادحة. اختار الشّارِحُ العنوانَ لغايةٍ فنِّيّة ولِجلْبِ الانْتباهِ، وشدِّ الأنظارِ إليهِ؛ مِن خلالِ بنيته الفنِّيّة والدّلالِيَّة المتمثّلة فِي:

- الجنَاسُ المحرَّف: بيْنَ لَفْظَتَي "الدَّعوة" و"الدُّعوة".
- الموازنة: بينَ جملتَي العنوانِ، وقدْ رسمَ المؤلِّف ما يوحِي بِهذهِ الموازنةِ، على شكلِ شطْرَي البيتِ، وبذلِكَ يكونُ للكلامِ رونقٌ واعتدال، يرجِعَانِ إلَيْهَا.

---

(1) ينظر مثلا: إجابة الدعوة [137ظ] و[155ظ].

(2) تمّ الحدِيثُ عن تحقِيق العنوان فِي المبحثِ الأوّل من هذا الفصلِ.

ولِلْإحاطةِ بموضوعِ الكتابِ وتحدِيد مجالِ اشتغالِهِ، نجدُ المؤلِّف نفسَهُ قدْ جعلَ لهُ عنواناً آخرَ هو: "شرْحُ نونِيَّة المدِيح". لم يصرّحْ بهِ فِي متنِ الكتابِ، ولكن وقفتُ عليهِ في أحَدِ مؤلَّفاتهِ الأُخْرَى[1].

2- المقدِّمة المختصَرَة:

اختارَ الشَّارِحُ أن يقدِّم لكتابِهِ بمقدّمة مختصرة، مشتملة على الحمدلة والتَّصلِية، ليدخلَ مباشرةً فِي شرحِ أوّلِ بيتٍ مِن القَصِيدة، تارِكا وراءهُ جملةً من الأسئلة في ذهنِ القارِئ، ما موضوع الكتابِ؟ وما منهجه؟ وما مصادرهُ المعتمدة؟ ولماذا كان هذا التّأليف؟ ممّا تجِيبُ عنهُ عادةً مقدّمة الكتابِ. لكنّ المؤلِّف قد حمّل مجموعة مِن الإجابات عن هذه الأسئلة فِي بيتٍ صدّرَ بهِ شرحهُ، نسبهُ إلَى نفسِهِ وهو قولهُ:

لِشَارِح هَذَا النَّظْمِ، نَاظِمُهُ الْفَانِي دَعَا، فَشَرَحْتُ أَوَّلاً لَسْتُ بِالثَّانِي

محدّدا بذلِكَ أنَّ غرضه من كتابهِ الظّفر بدعاءِ النّاظمِ آخرَ القصِيدة.

ثمَّ إنَّ هذا البيتَ المنظومَ يعتَبَرُ هو كذلِكَ لحظةَ إبدَاعٍ، يبرزُ فِيها المؤلِّف قدراتِهِ وملكاتِهِ، ويعبّرُ فِيهِ عن اندماجِهِ مع النَّاظمِ فِي خطِّه المعرفِيّ، وتعلُّقِهِ بذاتِ رسولِ اللهِ ﷺ، وبذلِكَ يستحضِرُ ذاتَهُ، ويتأهَّبُ ليُقِيمَ لنفسِهِ موطِئاً في هذا الحقلِ المعرفِيّ، الذِي أغناه المؤلِّفون على مرِّ التَّارِيخ، سواء بالنَّظمِ، أو بجمع الرِّواياتِ التَّارِيخِيَّة وشرحِها، وشتَّى أشكالِ الكتابة والتَّدْوِينِ، التِي أقامَتْ مكتبَةَ هذا اللَّون من التَّأليفِ.

وعَودٌ إلى الحدِيثِ عن المقدِّمة وحضورِها؛ فلا يبْدُو أنَّ التّصرِيحَ بالغاياتِ والأهدافِ العلمِيَّة عادة يلتزمها أطفِيَّش في تآلِيفِه؛ ربَّما يعودُ ذلِك إلى تقالِيد التَّأليفِ في زمانِهِ، أو أنَّهُ يترُك ذلِكَ لقارِئ الكتابِ المستفِيدِ منهُ، ففِي كتابِهِ "الكافِي في التَّصْرِيفِ" لم يكلِّفْ نفسَهُ عناءَ صياغة خطبةٍ، أو مقدِّمةٍ يبيِّنُ فيها ما ينبغِي بيانُهُ على رأْسِ كلِّ كتابٍ؛ تجدُهُ يقول:

(1) تيسير التفسِير، 317/1 وغير ذلِك من المواضِع.

«الحمدُ لله صارِف الضُّرِّ، مولِي اللُّطف والبرّ، مضاعفُ ثَوابِ الأعمالِ المنزّه عن الجوف وكلّ نقصٍ ومثالٍ، جابر الكسِيرِ ميسِّر العسِيرِ. وبعد: فهذا تأليفٌ في الصَّرفِ بمَنِّ ذِي اللّطف، ينتفع به المبتدِي، فإلى غيرِهِ يهتدِي —إن شاء الله عزّ وجلّ– قابلُ ما جلَّ أو قَلّ، وسمَّيتهُ بالكافِي، واللّه الوليّ المعافِي. وفِيه مقدِّمة[1] وسبعةُ أبوابٍ»[2].

3- عنَاصِر الشَّرحِ:

يتّبعُ الشَّارِحُ خُطَّةً مرسومة في شرحِهِ؛ لبلوغِ غايته التَّعلِيمِيَّة، ولأخذهِ بعين الاعتبارِ مستويات المتلقِّين ودرجاتِ إقبالِهم، وتتشكّلُ هذه الخطّة من عناصِرَ مختلفة، تظهرُ فِي أغلَبِ شروحِ أبيات القصِيدة، فلا يُسَجَّلُ غيابُ أحدِها إلّا نادِراً، ولكنّها تتكامل فيما بينها، وتظهر غالبا بهذا التَّرتِيب:

أ- شرح المعنى العامّ:

يصدِّرُ أطفِيَّش شرحَ البيتِ أو مجموعة الأبياتِ بِبسطٍ للمعانِي المقصودةِ منها، وهِي الدّلالة العامَّة التِي يقِيمُ عليها ما يأتِي مِن عناصِرِ الشّرح.

لقَدْ نالَ المعْنَى العامّ للبيتِ أو الأبياتِ اهتمامَ الشَّارِحِ؛ فَتراهُ يؤخِّر بسْطَ المعنَى العامّ للبَيْتِ حتَّى نهاية المعالجة المعجمِيَّة والتَّركِيبِيَّة، ويقدّمه علَى كلِّ العناصِرِ الأخرَى حَسَبَ الحاجَةِ إليهِ[3]، وتراهُ يقتصِرُ عليهِ دونَ غَيرِهِ مِن أطوارِ الشَّرحِ، ثمَّ يمرُّ إلى الأبياتِ التَّالِيَة[4]. وفي شكلٍ آخرَ تراهُ يدمجُهُ فِي ثنايا الشَّرحِ؛ أيْ إنَّه يعودُ إليهِ بعد فسحة مِن الشَّرحِ المعجمِيّ

(1) المقدّمة المقصودة هي مقدِّمة العلم الذِي ألِّف فيه الكتاب، تتضمَّن التَّعرِيف بمفاهِيمهِ وموضوعاتِهِ وتمِيزها عن مفاهِيم العلوم الأخرَى.

(2) الكافِي في التَّصرِيف، ص66.

(3) ينظر مثلا: إجابة الدعوة [1ظ].

(4) ينظر مثلا: (م، س) [175ظ].

والتَّركِيبِيّ[1]. وعلى هذه المرونةِ فِي التّقدِيم والتّأخِير فإنّ خيارَ الاستغناء عن هذا العنصُرِ غير وارِدٍ؛ لأدائهِ المفصليّ في عملِيَّة الشَّرحِ.

ب- شَرحُ الألفَاظ:

يُقدِّم أطفِيَّش معالجات معجمِيَّة لألفاظِ القصِيدة؛ مِنْ حَيثُ معانِيها (الأصلِيَّة والسِّياقِيَّة) وبناؤُها الصَّوتِي والصَّرفِيّ، وغير ذلِكَ ممّا يدخلُ فِي إطارِ معالجةِ المفرداتِ المكوِّنة لأبياتِ القصِيدةِ. وقد خصَّصتُ هذه المرحلة بمبحثٍ مستقِلٍّ، أنظرُ فِيهِ إلى قضاياها ومسائلها.

ج- الشَّرح النَّحوِيّ – البلاغِيّ:

يهتمُّ هذا العنصُر مِن الشَّرحِ بتراكِيبِ القصِيدة، بالتَّفكِيكِ والتَّحلِيلِ، والبحثِ فِي روابط الكلمِ فِيما بينها، حسبَ سوقِها في كلامِ النّاظم. وقد خصّصْتُها بالدِّراسة والنَّظَرِ فِي السّمات المميّزة لها.

- استطرادَاتٌ أدَبِيَّة وتارِيخِيَّة وشرعِيَّة:

يمثِّلُ هذا العنصُر مِنَ الشَّرحِ أغلَبَ حجْمِ الكتابِ، ومواضِيعهُ مستوحاةٌ مِن أبياتِ القصِيدةِ؛ ينشِئُ الشّارِحُ فصولاً مطوَّلةً يعالِجُ فِيها ما تطرَّق إلَيْهِ النّاظِمُ، إن كانتْ حادثةً تارِيخِيَّة ذكرها ونقلَ رواياتِهَا، وإن كانت قضِيَّة فقهِيَّة فصَّل القولَ فِيها، وبيَّنَ الأحكامَ المتعلِّقة بها بأدلّتها، كما أنّ له عنايةً بإيرادِ الأبياتِ والمقطوعاتِ المتعلّقة بِقضايا النَّظمِ.

(1) ينظر مثلا: إجابة الدعوة [7و].

ويميِّزُ الشَّارِحُ بيْنَ هذهِ العناصِر، لكنَّهُ يضطرُّ في بعضِ الأحيانِ إلى مَزْجِ بَعْضِها بِبعضٍ، يدعوهُ إلى ذلِكَ تذكُّرُ ملاحظاتٍ لم يُشِرْ إليها، كشرحِ لفظةٍ أو بيان إعرابِها[1]، أو أنَّه يلجأ إلى التَّركِيبِ بعد التَّحلِيلِ؛ ليحِيطَ بالمعنَى مرَّتينِ، قبل التَّحلِيلِ وبعدهُ.

كما أنَّهُ قد يقتصِرُ فِي بعضِ الأحيانِ على بيان المعنَى العامِّ دون التَّطرُّقِ إلى معاجلة الألفاظِ والتّراكِيبِ؛ لِأنَّ الحاجةَ غير ماسَّة لذلِكَ، فليسَ في البيْتِ ما يشكلُ لفظهُ أو تركِيبه[2]، أو أنَّ إشكالاتِ البيتِ أو الأبيات قدْ مرَّ الحدِيثُ عنها، عندَ شرحِ غيرِها، فيضطرُّ إلى الإحالةِ على تحلِيلاتٍ قد سبَقَ ذكرُهَا[3].

4- ترتيب الأبواب والفصولِ:

يَقومُ أطفِيَّش خلالَ شَرْحِهِ بنَصْبِ عددٍ مِن الفصول، تكونُ تبعاً للأبياتِ المشروحةِ، تعنَى عادةً بالاستطراداتِ المشارِ إليها آنِفاً، فلم يخضِع الكتابَ لتبوِيبٍ معيَّنٍ، ولفصولٍ متتابعة، وإنّما كانت أبياتُ القصِيدة تسوقُهُ لرصفِ معلوماتهِ وترتِيبِها. تراهُ مثلاً يقول لمناسبةِ شرحِهِ قولَ النّاظِمِ:

وَكَمْ آيَةً قدْ نِلْتَ ثَمَّ عَظِيمَةٍ وَعُدْتَ وَكُلُّ الْأَمْرِ لَحْظَةَ أَزْمَانِ

يقول: «وهُنَا فُصُولٌ: الْأَوَّلُ: فِي رِسَالَتِهِ ﷺ إلَى الْجِنِّ والْمَلَائِكَةِ، والثَّانِي: فِي الْإِسْرَاءِ بِهِ ﷺ، والثَّالِثُ: فِي أَبْيَاتٍ تُشْبِهُ قَوْلَهُ: وَكَمْ آيَةٍ قَدْ نِلْتَ ثَمَّ عَظِيمَةٍ»[4]. ويظهرُ تعلُّقُ هذه الفصولِ بمواضِيعِ أبياتِ القصِيدةِ كما بيّنهُ صراحةً. أو حِينَ شَرْحِ البَيْتِ:

وَأُعْطِيتَ فِي الْإِسْلَامِ وَالْجِسْمِ قُوَّةً بِهَا هُدِمَتْ مِنْ ذِي رُكَانَة رُكْنَانِ

---

(1) تظهرُ هذهِ الاستدراكات على شكلين، إمّا أنّهُ يدرجها في المتنِ؛ أي سنحتْ له الفرصة للإضافة، قبل أن ينهِي الشَّرح كلِّيَّة، ويُشِيرُ إلى ذلِك بعبارةٍ مثل: "ونسِيت" [7و]، وإمَّا أنْ يضِيفه في مراجعة ما كتبه، فيظهر على الحواشِي والطّرَرِ. ويمكِن ردّ هذا إلى نهجِ الاستحضارِ الذّهنِيّ في بعضِ مواقِفِ الكتابِ، كمرحلةِ شرحِ الأبياتِ، حيُ لا يعودُ إلى مؤلّف سابقٍ ينقلُ منهُ مباشرة، وإنّما يوظِّفُ ملكاته اللُّغوِيّة ويستعِينُ بمحفوظِهِ وربطهِ مع معانِي الأبياتِ.

(2) ينظر مثلا: إجابة الدعوة [162و].

(3) ينظر مثلا: (م، س) [3و].

(4) (م، س) [204ظ].

قال: «وهُنا فَصْلَانِ: الأوَّلُ: فِي قُوَّةِ بَدَنِهِ ﷺ»[1] فيؤجِّلُ عنوانَ الفصولِ الموالِيةِ إلى حِين انتهاءِ سابقِها[2]. ثمَّ يسوقُ معلوماتِهِ تحت هذا الإطارِ، منتقِلا من موضوعٍ إلى آخَرَ، وقدْ لا يربِطُ بين هذه المواضِيعِ إلّا رابطُ الكتابِ، يتحدَّثُ في التّارِيخ والأحكام الشّرعِيَّة والتّفسِيرِ واللُّغة والأدبِ، حتّى ينتهِي الفصلُ ثمّ ينتقِلُ للفصلِ الذِي يلِيه. وحِين يتمّ عدّتهُ ينتقِلُ لشرحِ الأبياتِ التّالية، وهكذا إلى أن يختم المجلَّد في عبارةٍ مقتضبة دون سابقِ إشعارٍ بِذلِكَ.

وتختلفُ الفصول من حيثُ الحجم، وطرِيقة رصْفِ مادّتها وانتقائِها، والغالِبُ عليها النَّقلُ من المصادِرِ، فمنها ما يشغلُ حيّزا ضيّقا، كالفصلِ الخاصّ بِأَوّل الخَلْقِ بَعْثاً مِنْ قَبْرٍ، والفصلِ الخاصّ بالمعجزة، لم يتجاوز كلٌّ منهما حيّزَ الورقة الواحدةِ[3]، بينما شغل الفصلُ الخاصُّ بِالأخبار التِي جاءت بها الكتُبُ عن مبعثِ محمّد ﷺ أكثر من ثمانية أوراقٍ[4].

المطلب الثّالِث: مصادِر كتاب "إجابة الدّعوة"

تعتبَرُ مصادِر التَّأليف مِن أهَمّ السِّمات العلميَّة في دراسةِ أيّ كتابٍ؛ فاختيارُ المصادرِ دلالة على اختيارِ المؤلِّفِ ومنهَجِهِ[5]. ولَقَدْ جمَعَ أطفِيَّش فِي كتابِهِ نصوصاً كثِيرةً مختلفة المواضِيعِ. أحياناً لا يدلُّ على أنَّها مِن المنقولات، وإنّما يظهرُ أنّها مِنْ كلامِهِ وصياغتِهِ؛ إذْ يعرِضُ ذلِكَ في سياقٍ واحدٍ، لا تحِسُّ منهُ عمليَّة النّقلِ إلّا بعد تأمُّلٍ، فيَحْتَاجُ هذا جهدا أقلُّهُ مقارنة النُّصوصِ بالمصادِرِ المعروفةِ فِي نفْسِ الموضوعِ.

---

(1) إجابة الدعوة [197ظ].

(2) فِي تفقِيرِ نصوص الكتابِ ووَضْعِ العناوِين، كنتُ أضطرُّ إلى نقلِ العناوِينِ التِي يسرُدُها أطفِيَّش علَى رأسِ مجموعةٍ منها، لأضعها في مكانِها –إذْ لم يكُنْ يكرِّرها– بين عارضَتَيْنِ تمييزا لها، وهذا مدعاة للوضوحِ وبيانِ مفاصِلِ الكتابِ.

(3) ينظَر: إجابة الدعوة [74ظ] وما بعدها.

(4) ينظَر: (م، س) [78ظ] وما بعدها.

(5) يظهَرُ اعتبار أطفِيَّش لهذا المبدأ فِي اعتدادِهِ بالنّسخ الموثوقة، من ذلِكَ قولُهُ في مناقشة حكمِ إدراجِ "البسملة" فِي أوّل ديوانِ الشّعرِ، قال: «وأجازَ سعِيد بن جبير كتابتها فِي أوّل ديوان الشّعرِ، ووجدتها مكتوبة فِي نسخةٍ قديمةٍ بأكثرَ مِن خمسمئة عامٍ، من ديوان الشّعراء الستّة، معروضة على أبِي علِيّ السّلوثين [يقصِد الشّلوبين] وأعطَى الإجازة فيها لبعض تلامذتِهِ» تيسير التفسِير، 2/1. كما أنّهُ لم يقتَصِرْ فِي شرحِ "القصِيدة المدنيّة" على نسخةٍ واحدة منها، كقوله: «وفِي نُسْخَةٍ: "تَبِيتُ فِيهِ رَبَّهُ إِحْسَانِ"» إجابة الدعوة [143ظ] وقوله: «وفِي نسخة: تَغالِي» إجابة الدعوة [180و].

ولبلوغ غايةِ حصْرِ المصادِرِ يقفُ أمامَنا إشكالٌ آخَرُ تتميَّزُ به الكتب المتأخِّرة، وهو النَّقلُ غير المباشِرِ من المصادِرِ المتقدِّمة، فترى المؤلِّف ينقلُ نصوصا ينسبُها إلى مؤلِّفِينَ متقدِّمِينَ، ثمّ يتبيّنُ بعدَ البحث والتّدقِيقِ أنّهُ لم يرجِعْ إلى مؤلَّفاتِهم، وإنّما نقلَ نصوصَها مِنْ مُؤَلّفاتٍ متأخِّرَة. وهذا يدعو إلى مقارنةِ النّقْلِ فِي المصدرَيْنِ، في حالة الحصولِ عليهما، لِرصْدِ الاختلافاتِ ومعرفة الصّواب مِنَ الخطَأ، ولاكتشاف التّصرّفات التِي تصِيبُ النُّصوصَ عادةً كالتّصحِيفِ والتّحرِيفِ والاختصارِ والإدراجِ، وغيرِ ذلِكَ. وفِيما يلِي رصدٌ لأهمِّ المصادِرِ، التِي استقَى منها أطفِيَّش مادّة كتابِ "إجابة الدّعوة".

1. كتاب خلاصة الوفا:

لِنور الدِّين علِيّ بن عبدالله السَّمهُودِي (ت:911هـ) وهو تلخِيص لكتاب "وفاء الوفا في أخبار دار المصطَفَى" للمؤلِّف نفسه[1]. نقل منه المؤلِّف أغلبَ مادّة الفصول التِي تحدّثَ فِيها عن المدِينة وآطامها وسكّانها وتارِيخها[2]. لكنَّ المؤلِّف لم يذكرهُ في متنِ الكتابِ إلّا مرّاتٍ قلِيلة مقارنة بِحَجْمِ النُّصوص التِي نقلَهَا مِنْهُ. كما أنَّهُ ينقلُ منهُ النُّقول والأقوالَ التِي استقاها من مصادِرِهِ هو، ككتاب "التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة" لجمال الدين محمد بن أحمد المطري (ت:741هـ) والأحادِيث من الصّحِيحين وغيرهما. ولا يُشِيرُ إلى ذلِكَ[3].

2. كتاب المواهب اللّدنِيَّة بالمِنح المحمّدِيَّة:

لأحمَد بن محمَّد القسْطَلَّانِي (ت:923هـ) اعتمدَ علَيْهِ أَطْفِيَّش في فصولٍ كثِيرةٍ من الكتابِ، وبالخصوص تلكَ التِي تتحدَّثُ عن النُّبوءة والمعجزة وأوّل الخلقِ، وأخلاق وأخبار المصطفَى ﷺ. ونفس الإشكال الواقِع مع المصدرِ السّابقِ حضرَ مع هذا المصدرِ،

(1) الكتابان مطبوعان، أدرجتهما ضمن قائمة المصادر والمراجع.

(2) ينظر: إجابة الدعوة [11و] وما بعدها.

(3) ينظر مثلا: [11ظ].

وبالخصوصِ أنَّ أطفِيَّش اعتمدَ أيضا على شرحهِ للإمام عبد العظِيم الزّرقانِي (ت: 1122هـ)؛ إذْ يختلِطُ عليّ في حالاتٍ كثِيرة نصوص الكتابِ مع شرحِه، وخاصَّة عندما يعلِّقُ علَيهَا أطْفِيَّش بإضافةٍ أو تعقِيبٍ. إضافة إلى نسخِ نقولِهِ من مصادره، ككتاب "الرّوض الأنف" للإمام السّهيلِي (ت:581هـ).

3. شرح العلامة الزُّرقانِي على المواهب اللّدنيّة بالمنح المحمَّدِيَّة:

لمحمد بن عبدالباقي الزرقانِي (ت:1122هـ)[1] ينقلُ أطفِيَّش فِي بعضِ الأحيانِ مع النُّصوص تحلِيلاتِها اللّغوِيّة وغيرها، ودون أن ينبِّه إلى ذلِك[2].

4. تاريخ الخمِيس في أحوالِ أنفَسِ نفِيس:

لحسين بن محمَّد بن الحسن الديار بكرِي (ت:966هـ)[3] نقل منه أطفِيَّش نصوصا عن تعرِيف النَّبِي والرَّسول، وما يتعلَّق بهما[4]، وروايات عن أوّل الخلق[5]، ونصوصا تارِيخِيَّة[6]، إضافة إلى نصوص تنسَبُ إلَى الكتُبِ السّماوِيَّة[7].

هاته الكتب الأربعة تعتبَرُ المصادِر الأساسِيَّة لتكوِين مادّة الكتابِ، وبالخصوصِ فِي مجالِ البحثِ التّارِيخي وقضايا السِّيرة النبوِيّة. وفي غضونِ منقولاتهِ مِنها يدرِجُ أقوال المؤلِّفِين المتقدّمِين والمتأخِّرِين (ممّا يرجّحُ أنّه لم ينقل من كتبهم مباشرةً)، أذكُر منهم (تمثِيلا لا حصْرا):

---

(1) من نشراتِ الكتابِ طبعةٌ ضَبَطها وصحَّحها محمَّد عبدالعزِيز الخالِدِي، سنة 1417هـ-1996م نشر دار الكتُب العلميَّة بيروت لبنان، فِي 12 جزءاً. واعتمد أطفِيَّش على نسخةٍ قديمة منهُ.

(2) ينظر مثلا: [183ظ].

(3) ممّن نشَرَ الكتابَ مؤسَّسةُ شعبان للنَّشْرِ والتَّوزِيع، بيروت، في مجلَّدَيْنِ، حصلت على نسخة منهُ قديمة الطبع، غير محقَّقَةٍ، لم يسَجَّلْ عليها تارِيخ طبْعِها.

(4) إجابة الدعوة [68و] وما بعدها.

(5) (م، س) [71و] وما بعدها.

(6) ينظر مثلا: (م، س) [90و].

(7) ينظر مثلا: (م، س) [69و] و[83و].

5. الرّوض الأنف:

للإمام أبو القاسم السّهيلِي (ت:581هـ)[1]، ينقلُ نصوصَهُ إضافة إلى التّحلِيلات التِي انفردَ بها، كحدِيثِهِ عن لقاءِ رسول اللهِ للأنبياءِ في رحلة الإسراء والمعراجِ[2].

6. شفاء الصدور في إعلام نبوة الرسول وخصائصه:

لأبِي الرّبِيع سليمان بن سبع السّبتِي (ت: 520هـ). نقل منهُ آراءً حولَ أحداث السِّيرةِ[3].

7. الشفا بتعريف حقوق المصطفى وترتيب المدارك وتقريب المسالك:

كلاهما للقاضي عياض اليحصبِي (ت:544هـ)[4] نقل منهُما نصوصا وأحادِيثَ كثيرة[5]، كما نقلَ آراءَهُ حول أحداث السِّيرة، وتحلِيلاتٍ للنّصوص التّارِيخِيَّة والحدِيثِيَّة[6].

8. كتاب مقامع الصُّلبان:

لأحمد بن عبد الصمد الخزرَجِي (ت: 582هـ) نقل منه أطفِيَّش مجموعة من النُّصوصِ التِي تبشِّر بمبعَث محمَّد ﷺ، في الفصلِ الخاصِّ بأخبار الكتب السّابقة[7].

9. رحلة أفوقاي الأندلسي، مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب:

لأحمد بن قاسم الحجري "أفوقاي" (كان حيّا 1048هـ) نقل منه أخبارا عن مريم عليها السّلامُ[8].

10. الحسام الممدود في الرد على اليهود:

---

(1) طبع الكتابُ طبعاتٍ مختلفة.

(2) ينظر مثلا: إجابة الدعوة [230و]. وما بعدها.

(3) ينظر مثلا: إجابة الدعوة [137و].

(4) طبع طبعات مختلفة.

(5) ينظر مثلا: (م، س) [23ظ].

(6) ينظر مثلا: (م، س) [16و] و[22ظ].

(7) ينظر: (م، س) [79ظ] وما بعدها.

(8) ينظر: (م، س) [123و] وما بعدها.

لأبي محمّد عبدالحقّ الإسلاميّ المغربي السبتي (ت: ق8هـ) نقل منهُ نصوصا باللّغة العبريَّة مكتوبة بالحرفِ العربِيّ؛ للرّدِّ على افتراءات اليهودِ على الرَّسول ﷺ[1].

11. ثمرات الأوراق:

لابن حجّة الحموي، تقيّ الدّين أبو بكر بن علي (ت:837هـ) نقل منه المؤلِّف أخبارا عن المدينة المنوّرة، وعن تبّع الأوّل، ومَن كان معه من العلماء[2].

لقد كانَت هذه أهمّ المصادِرِ التِي يستقِي منها أطفِيَّش مادَّة الكتابِ، بالخصوص الفصول التِي يلحقها بشرح أبيات المدحة، ولنا أن نتساءلَ ما المصادِر التِي يعتمدها في الشَّرحِ المباشِرِ؟ والملاحَظ أنَّ أطفِيَّش قلِيل التّصرِيح بمصادرِه، إذْ يذكر أقوالا قد ينسبها أو يبهمها، فيعسُرُ التّعرّف على أصحابِها وعلى كتبهم، ومن الأعلامِ الذِينَ ذكرهم أطفِيَّش في مناقشاتهِ وقضاياه التِي يورِدها:

- **الخلِيل بن أحمد**: ذكرهُ مرّتينِ، في تفسِيرات لغوِيَّة[3] أحدها من كتاب "العينِ".
- **سيبويه**: ذكرهُ في مناسبتينِ، عندَ مناقشةِ قضِيَّتينِ نحوِيّتيْنِ؛ الأولى خبر "ما" الاستفهامِيَّة[4]، والثّانِية الجملة بعدَ همزة الاستفهامِ[5].
- **الجاحِظ**: ذكرهُ مرَّة واحِدةً، فِي حدِيثِهِ عن قُسٍّ وقَوْمِهِ[6] في كتاب "البيان والتّبيين".

---

(1) ينظر: إجابة الدعوة [126و] وما بعدها.

(2) ينظر: إجابة الدعوة [35و] وما بعدها.

(3) (م، س) [168و] و[253و].

(4) (م، س) [10ظ].

(5) (م، س) [147ظ].

(6) (م، س) [118و].

- **ابن قتيبة**: أكثر من ذكره في مسائل تارِيخِيَّة[1] مِن كتابه "المعارِف"، واستعان بقوله في تفسِير آية الرَّجم[2] في كتابِهِ " تأوِيل مشكل القرآن"، وشرح حدِيث حفظ المدينة من الطاعونِ[3].
- **المبرِّد**: ذكره مرَّة واحدةً فِي حدِيثِ خطبة محمَّد ﷺ من خدِيجة رضي الله عنها[4] في كتابه "الكامل في اللغة والأدب".
- **الزّمخشرِيّ**: ذكره أكثر مِن ستِّ مرّاتٍ– وقد تعدّدت مناسبات الذّكرِ، بين قضايا التَّفسِير[5]؛ استعان بتفسيره "الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزِيل". واللُّغة[6]، استعان بكتابه "الفائق في غريب الحدِيث". والنَّحوِ[7] ذكر قوله دون المصدر.
- **السّهيلِي**: أكثرَ من ذكرِهِ في مسائل السِّيرة النَّبوِيَّة[8]، ولم يَحْفَلْ بهِ في المسائل اللُّغوِيَّة إلّا نادِرا[9] من خلالِ كتابِهِ "الرّوض الأنف".
- **محمّد بن مالِك**: ذكرهُ في ثلاثِ مناسبات، يعالِجُ قضايا نحوِيَّة؛ أولاها: تقدّم الحالِ على صاحبها المجرور[10] في ألفيته المشهورة، والثّانِية: تأوِيلُ الرُّؤيا بالرُّؤية[11]، لم أقفْ على مصدرِهِ، والثّالِثة: في إعراب "جاء" في الحدِيث: ((ولَنِعْمَ

---

(1) ينظر مثلا: إجابة الدعوة [34ظ] و[130و].
(2) (م، س) [107و].
(3) (م، س) [27ظ].
(4) إجابة الدعوة [139و].
(5) ينظر مثلا: (م، س) [63ظ].
(6) ينظر مثلا: (م، س) [178و].
(7) ينظر مثلا: (م، س) [147ظ].
(8) ينظر: مثلا: (م، س) [229و] و[231و] و[97و] و[102و].
(9) (م، س) [193و].
(10) (م، س) [76ظ].
(11) (م، س) [206و].

الْمَجِيءُ جَاءَ)) [1] في كتابِهِ " شواهد التوضِيح والتَّصْحِيح لمشكِلات الجامع الصَّحِيحِ".

ومجموع هؤلاء الأعلام لم يُصرّح خلال استحضارِ أقوالِهِم بِالمصادِرِ التِي استقَى منها. وقد وقفتُ على مجمَلها، ولكن لا يمكن الجزم بعودتهِ إليها كلّها؛ إذْ ينقل أحيانا آراءهُم مع منقولاتِهِ من مصادره المباشرة.

ورغم احتواء الكتاب على مادّة لغوِيّةٍ متكاملة إلّا أنّهُ لم يذكُر مصدرا لغوِياً واحدا من المعاجِمِ وكتب المعانِي التي تؤخذ منها هذه المادّة غالبًا؛ وبجانبِ هذا فقدْ ذكرَ جملة من الأعلامِ حِين تحدِيدِ معانِي بعضِ الكلماتِ، أذكُرُ منهمْ:

- **حمد بن محمّد بن إبراهيم الخطّابي** البستي أبو سليمان (ت:388هـ) ذكره أطفِيَّش في جملة مِن الاستشهادات، تحوم خاصّة حولَ معانِي بعض الأحادِيثِ النّبوِيَّة، التِي ضمَّنها كتابه "غرِيب الحدِيث" و"أعلام الحدِيث"[2]. ولا يبدو أنّه كان ينقلُ منهُما مباشرة.
- **أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري** الفارابي (المتوفى: 393هـ) نقلَ منهُ تعارِيف لغوِيَّة من "الصّحاح"[3].
- **أحمد بن فارِس** (ت: 395هـ): استعان بهِ في موضعين، نقلَ من كتابِهِ "أسماء رسول الله ﷺ"[4] كما نقل عنهُ شرح لفظةِ "تهامة"[5].

---

(1) إجابة الدعوة [227ظ].

(2) ينظر: إجابة الدعوة [29ظ] و[60و] و[146و] و[147و] و[153و].

(3) ينظر: [75ظ] و[168و].

(4) (م، س) [173و].

(5) (م، س) [138و].

- **مجدالدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي** (المتوفى: 817هـ) أكثَر من ذكرِهِ، ولكنْ لم ينقلْ من كتابهِ "القاموس المحِيط" بل نقل تعرِيفات لمواضِع مِن المدِينة، كما استعانَ بهِ فِي شرحِ بعض المفرداتِ[1] من كتابهِ "المغانم المطابة"، كان يذكرُهُ باسم "المجد" ولم ينقُلْ من كتبهِ مباشرة.

كانَ مِن المشكلاتِ التِي تتعلَّقُ بقضيَّة المصادِر، تضخُّم قائمتِها. ففي خلال عمليّة تخريج وتصحِيحِ النّصوص من مصادِرِها الأصلِيَّة قيَّدْتُ المصادرَ التي اعتمدتُ عليها، فبلغت أكثر من 300 مصدر ومرجع، في التّفسِير والحدِيث والفقهِ والتّارِيخ والأدب واللُّغَة، دون الكتب التِي لم أقِفْ عليهَا، وهذا يدلُّ على غِنَى وثراء المادّة العلميّة للكتابِ، وعلى غلبةِ النَّقلِ لدَى المؤَلِّفِ. ويمكِنُ ردّ اعتمادُ أطفِيَّش على المصادِرِ المذكورة إلى سببيْنِ:

الأوّلُ: المكانة العلمِيّة لمؤلِّفِيها، وموافقتهُم للمواضِيع التِي يطرُقها الكتابُ.

الثّانِي: الاعتماد على الموسوعات التِي تأخذُ مِن كلِّ فنٍّ، وكان تأثِيرُ هذا الشّكلِ مِن التّأليفِ جلِيّاً على أطفِيَّش في كتابهِ، إذْ جمَعَ فِيهِ معارِفَ مِن شتّى الفنونِ. ثمّ إنّ منهَجَ كتابِهِ ينبِئُ عن تفضِيلِهِ لهذا الشَّكلِ مِن التّأليفِ.

(1) ينظر: إجابة الدعوة [57و] و[48ظ] وغير ذلِكَ.

المبحث الثّاني: عنوان الكتاب ونسخه الخطِّيّة

يتناولُ هذا المبحث عنوان الكتابِ قيد الدِّراسة، مِن حيثُ صيغةُ التِي ورد عليها[1]؛ إذْ يُشكِّلُ العنوان المدخل الذِي يولَجُ منُه إلى عالَم الكتابِ. ثمَّ سيتمّ الحدِيثُ كذلِكَ عن النُّسخ الخطِّيّة المتوفِّرة مِن الكتابِ، من حيثُ وصفها المادِّيّ، وَأماكن حفظها في المكتباتِ، والاعتماد عليها في التَّحقِيق.

المطلب الأوّل: تحقيق عنوان الكتاب وتوثِيقُ نسبَتِه إلى مؤلِّفِهِ

أَثْبتَت النُّسخ الخطِّيّة للكتابِ بأجزائِهِ الثّلاثة صِيغتينِ لألفاظ عنوانهِ، تفصِيلُها كالآتِي:

1- شرح نونِيَّة المدِيحِ:

حملت نسختانِ من الكتابِ هذا العنوان، وكلتاهما مِن خزانة أطفِيّش ببنِي يزقن:

النُّسخة بالرّمز (أث3ج1)، نسخة للجزء الأَوَّل مِن الشَّرحِ، غيرُ تامَّة (ناسخها نفوسِي (من جبل نفوسة بليبيا) وهو سليمان بن الحاج أحمد الشماخي)[2]، قُيِّدَ على قصاصة ألصِقَت بالغلاف: الجزء الأوَّل من شرح نونيَّة المدِيحِ.

والنُّسخة بالرّمزِ (أث3 ج2)، بها أوراق تكملة للنُّسخة السَّابِقة (أث3ج1) وضعت في بداية المجلَّد، أمَّا الأوراق الباقية فهِي الجزء الثَّالِثُ من الشَّرحِ، بخطِّ المؤلِّفِ، ونفسُ الحالِ مع النُّسخةِ الأولى، حيث قُيِّد العنوانُ في قصاصة ألصِقت بغلاف المجلَّد كتب فيها: هذا جزء من شرح نونية المديح (كلمة المديح اختفت إثرَ نزع طرف من القصاصة، وبقِيَ منها حرف الحاءِ فوقه ياءٌ). فكلتا النُّسختين اعتمدتا العنوان: شرح نونِيَّة المدِيح.

وفي النُّسخة ذات الرَّمز (023) من مكتبة صالح باعمارة بمليكة العليا بمدينة غرداية، ألصِقَت على وجهِ جلدتها قصاصة كتب فيها: شرح نونيَّة المدِيح، تألِيف الشَّيخ أطفِيَّش، وهذه النُّسخة هِيَ الجزء الثَّانِي من الكتابِ بخطِّ المؤلِّف. وعلى وَجْهِ الورقة الأولَى كُتِبَ: الجزء الثَّانِي مِنْ "إجابَةِ الدَّعوة لإصابة الدُّعوة" تألِيف أمحمد بن الحاج يوسف أطفِيَّش.

---

(1) يقتصر هذا المبحث على الجانب اللَّفظِي من العنوان، أمّا الجانب الدّلالِي فتمّ الحدِيث عنه في المبحث السّابقِ.

(2) ينظر المطلب الثّانِي، مطلب وصف النُّسَخ.

وعلى ورقة صغيرة ألصِقتْ عليها، وبقلم حدِيثٍ كُتِب: كتاب نونيّة المدِيح للقطب[1]، أو الجزء الثَّانِي من "إجابة الدَّعوة لإصابة الدّعوة" تألِيف القطب. فقد حملت هذه النُّسخة صِيغتَين للعنوانِ.

كما أنَّ المؤلِّف نفسهُ في تفسيرِهِ الأخِير للقرآن "تيسِير التَّفسِير"، يحِيلُ على الكتابِ بهذا العنوانِ، شرح نونِيَّة المدِيحِ، وذلِكَ في مواضع متعدّدة من الكتابِ[2].

2- إجابة الدَّعوة لإصابة الدُّعوة:

حملَت هذهِ الصِّيغة للعنوانِ ثلاثُ نُسخٍ خطِّيّة، الأولى هي نسخة المجلَّد الأوَّل بخطِّ المؤلِّف، فِي الخزانة العامَّة لمؤسَّسة عمِّي سعِيد، بالرَّمز (م06)، دُوِّن على وَجْهِ الورَقَةِ الأُولَى: إجابة الدَّعوة لإصابة الدُّعوة، تألِيف أمحمَّد أطفِيَّش، والنُّسخة (023) التي سبقَ ذكرها قد حملت الصِّيغتينِ. والنُّسخة بالرَّمزِ (م07) من الخزانة العامَّة كذلِكَ، مبتورة الأوَّل وهي نسخة من الجزءِ الأوَّلِ، في نهايتها قيِّد: الجزءُ الثَّانِي من "إجابة الدَّعوة" تألِيف الشَّيخ العالم العلَّامة الحاج محمد بن الحاج يوسف بن عِيسَى أطفِيَّش.

ومحصِّلة ذلكَ أنَّ للكتابِ عنواناً واحِداً، هو المثبتُ فِي النّسختين (م06) و(023) اللّتَيْنِ بخَطِّ المؤلِّفِ. وأمَّا "شرح نونيّة المدِيح" الذي لم يظهَرْ إلَّا في قصاصات ملصقة على أغلفةِ النُّسَخ (أث3ج1) و(أث3 ج2) و (023) أو داخل المتنِ (أث3ج1) و(أث3 ج2)، وما ذِكْرُ أطفِيَّش الكتاب بعنوانِ "شرح نونية المدِيح" في أكثر مِن مرَّة، في تفسيره "تيسير التَّفسِير" وهو ممَّا ألَّفه في آخِرِ عمرِهِ، إلّا مِنْ قَبِيلِ الاختِصارِ، أو العنوان الثَّانوِي والفرعِي.

ولم تُشكّلْ نسبة الكتابِ إلى أطفِيَّش مشكِلةً، إذ النُّسخ مجمعةٌ على هذه النّسبةِ، كما أنَّ المؤلِّف قد ذكرهُ بنسْبَتِهِ إليهِ.

---

(1) القطب: من ألقاب أمحمَّد أطفِيّش.

(2) ينظر: تيسِير التَّفسِير، 317/1 و134/2 و201/5.

المطلب الثّانِي: وصف النُّسخ الخطِّيَّة لكتاب إجابة الدّعوة:

أَلَّفَ المؤلِّف كتاب "إجابة الدّعوة" في ثلاثة مجلّداتٍ، اطّلعتُ على مخطوطاتهِ الموجودة، ويلخِّصُ الجدول الآتِي نسخه من هذه المجلّدات مع أماكنِ حفظِها ورموزِها:

رمز النسخة في المكتبة/ المواصَفات	الناسِخ	الحالة	الجزء	المكتبة	الرَّمز المعتَمَد في التحقِيق
م06	المؤلِّف	كاملة	01	الخزانة العامَّة	الأصل، أ
أث ج1	الشَّمَّاخِي (بالمقارنة)	ناقصة	01	مكتبة أطفيّش	ب
م07	الشَّمَّاخِي	تتمة أث ج1	01	الخزانة العامَّة	ج
023	المؤلّف	كاملة	02	مكتبة باعمارة	أ2
م57	أشقبقب	مبتورة الأول والآخِر	02	الخزانة العامَّة	ب2
49	أشقبقب	مجموعة أوراق تتمة م57	02	مكتبة الرّاعِي	ب3
أث ج2	المؤلف	كاملة	03	مكتبة أطفِيّش	أ3

مِنْ خِلالِ الجدولِ يظهرُ أنَّ نسخة المؤلِّف الكاملة قد تفرّقت بين مكتباتٍ ثلاثٍ، ولم يَنَلْ مِنْ إعادةِ النَّسخ الكامِل إلّا المجلّد الأوّل (الأصل، ب، ج) المخصوص بالتّحقِيقِ والدِّراسة في هذهِ الأطروحة، وسأخُصُّ نُسَخَهُ بالوصف التّفصِيلِي، مع مرورٍ سرِيع على نسخ المجلّدين الباقيَيْنِ.

أظْهرت المقابلة أنَّ النّسختين (ب، ج) وهما متكاملتان لناسِخٍ واحدٍ، أنّهما منقولتانِ مِن النُّسخة الأصل (أ)، قبل وفاة المؤلِّف، نظرا إلى اشتراكها فِي ضبطِ مجموعة من

الكلماتِ[1]، على وَجْهٍ لا يظهِر الكلمة بوضوحٍ، واكتفى النّاسِخُ بنقل الرّسمِ دون تحرِيفٍ، وفِي ضبطِ بعضِ الأعلامِ[2] وفِي ضبطِ الكلمات المشكلة[3]. وحتّى في بعض اللّحاقات ترَى النّاسِخَ ينقلها كما هِي من الأصلِ دونَ توضِيح[4]. ثمّ إنّ إضافات كثِيرة للمؤلِّفِ في أصلِهِ غابت عنهما[5]، كما أنَّ المؤلِّف صحّح عباراتٍ فِي متنِ الأصلِ وفي هامِشِه، وغاب كلّ ذلِكَ عن النُّسخة (ج)[6]. وقد أشرتُ في التّحقِيقِ إلَى جملة مِن هذه الاختلافاتِ. لذلِكَ فَقَد اسْتَغْنَيتُ عنهما في المقابلة، ولم ألجأ إليهما إلّا في وقفاتٍ قلِيلة.

1- نسخَة مكتبة الخزانة العامّة بمؤسّسة عمّي سعيد بِغرداية.

رقم النّسخة في فهرس المكتبة: 282، رمز لها المفهرِس بِـ: م06. نسخة مجلدة باللون الأخضر، على وجه الورقة الأولى دوّن عنوان الكتاب واسم المؤلف "إجابة الدَّعوة لإصابة الدُّعوة تأليف أمحمد أطفيش" بخطٍّ مغربِيّ منمَّق وجمِيلٍ. النُّسخة هِيَ المجلّد الأوّل من الكتابِ بخطّ مؤلِّفِهِ، عدد أوراقها 258 ورقة، وهِيَ تامَّةٌ وبحالٍ جيّدة. وفِي النّسخَة تَقْيِيدَا تمليكٍ؛ الأوّل كتب على ظهر الجلدة ونصه: ملك محمد بن إبراهيم كُلّهْ، والثّاني في وجه الورقة الأولى ونصه: هذا الكتاب ملك من أملاك محمد بن إبراهيم بن أحمد كُلّهْ، بالشراء من مؤلِّفِهِ رحمه الله ورضي عنه. واسم المالِك معهودٌ فِي كثِيرٍ مِن

(1) ينظر مثلا: ضبط "الغدو" في أ[18ظ] و ب[23و]. و"العلاج" فِي أ[183ظ] و ج[39ظ]، و "المشتهر" فِي أ[11ظ] وب[14و].

وأخطأ المؤلِّف في قولِهِ «و "ها " فعل ماضٍ» أ[8ظ]. ونقل الناسخ ذلِكَ ب[10ظ].

(2) ينظر مثلا: أ[176و] و ج[28ظ] ضبطَ الشَّيبِي مرتين بالسّبتِي.

(3) ينظر مثلا: أ[24ظ] وب[30ظ] ضبطَ تُبْعِد بنفس الشَّكلِ.

(4) فِي أ[173ظ] و ج[24ظ] لحاق: شديا، لم تبيِّن النُّسختان موضعهُ.

(5) ينظر مثلا: أ[174و] و ج[25و] فيهما لحاقان.

(6) ينظر: أ[176و] وج[28و]. وينظر: أ[183و] و ج[38ظ].

مخطوطات مكتبة الخزانة العامّة، أيْ إنّ المالِكَ كان جمّاعةً للمؤلّفاتِ. على وجه الورقة الأولى "ورقة العنوان" دوّن –بخطِّ المؤلِّفِ–: وله البيت الأوّل:

لشارح هذا النظم ناظمه الفاني

البيت" وتتمّتُه على ظهر الصّفحة:

دعا فشرحت أوّلًا لستُ بالثّانِي

وهذا بيتٌ مِن نَظْم المؤلِّف، يُقرُّ فيه بأنّه أوّل مَنْ شرح هذه القصيدة. وقيّدت أيضا عبارة: "من سبَّ ملكا قتل، ومن تزوّج ذاتَ محرم، معتقدا لحلِّها جهلا منه قتل".

كتب المخطوط كلُّه بخطٍّ مغرِبِيّ مقروءٍ وواضِحٍ، تتفاوتُ جودته أثناء الكتابِ، ولا يبدو عليهِ أثرُ العناية والتّنمِيق إلّا قلِيلاً، بمسطرة حوالي 23 سطرا في كل ورقة بمقاس 17*22,5. استعمل اللّون العادِي لشرح الأبياتِ، وكتبَتْ أبيات القصِيدةِ باللّون الأحمر، ولم يميّزها عن متنِ الشّرحِ، فجعلَ كلّ ذلِكَ على نسقٍ واحِدٍ. وقدْ أضِيف على وجهِ الأوراق ترقِيم بالقلم الرّصاص، وبالأرقام العربِيّةِ.

وفي حواشِي النُّسخة إضافات واستلحاقات كثِيرة بخطِّ المؤلِّف، تطولُ وتقصُر (بين الكلمة والفَقْرة، وقد تغطِّي معظم الهامِش) وقلِيلةٌ هِي التِي لغيرِهِ، يُنبِئُ ذلِكَ عنْ عنايتهِ بالكتابِ، ومراجعتهِ مراجعةً تامَّة، حتَّى إنَّ مجموعةً مِن تلك الإضافات لم أقفْ عليها فِي النُّسخة الثّانِية من هذا المجلَّد (ب وج). وفي خِتامِ النُّسخة، قال المؤلِّف: تمّ المجلّد الأوّل بفضلِ اللهِ. ولم يدوّن تاريخ النَّسْخِ ولا مكانهُ.

أقمتُ تحقِيقَ الكتابِ على هذه النُّسخة لأنّها تامَّة وبخطِّ المؤلِّف، وَرمزتُ لها بالأصل، واختصارا بِـ: أ.

2- نسخة مكتبة أطفِيّش ببني يزقن

رقم النسخة في فهرس المكتبة: 116، بالرّمز أ ث3ج1. النسخة مجلدة بجلدة منفصلة، على الوجه الأوّل من الجلدة بطاقة كتب فيها: "الجزء الأول من شرح نونية المديح" عدد أوراقها 195 ورقة، بمجموع 386 صفحة مكتوبة، وورقتين بيضاوين. كُتِب على وجه الصفحة الأولى: "زاد الشارح أمحمد أطفيش قوله:

لشارح هذا النظم ناظمه الفاني دعا فشرحت أولا لست بالثاني

وهو نفس البيت المذكور في النسخة الأصل، وقد نظمه الشارح أمحمد أطفيش على نفس وزن وروي القصيدة التي يريد شرحها. وفي نفس الصفحة تقيِيدُ تمليك نصُّه: هذه النّسخة ملك لِأمْحمّد بن الحاج يوسف أطفيّش. تبدأ النسخة بعد البسملة والتصلية: قال أمحمد أطفيش: "الحمد لله خالق السبع الطرائق (...)" وهي نفس بداية النسخة الأصل وتنتهي النسخة عند البيت:

وَمَا جُزْتَ بِالْأَحْجَارِ إِلاَّ وَسَلَّمَتْ عَلَيْكَ بِنُطْق شَاهِدٍ قَبْلَ بُرْهَانِ

ثم يلي ذلك بياض دون إشعار بالنّهاية، ويبدو أنَّ النّاسِخَ قد توقَّفَ عن التَّدوِينِ، ليواصِلَ فِي ورقة جديدة، كما تظهره النُّسخة التّالية فِي نفسِ المكتبة.

كتبت النُّسخة بخطٍّ مغربِيّ مقروءٍ، واستعمل اللَّون البنِّي للشَّرحِ، وأمّا أبيات القصيدة فكتبت باللّون الأحمر، دونَ تمْيِيزها عن نصِّ الشَّرحِ، وبمسطرة حوالي 20 سطرا في كل ورقة بمقاس 22,5*17. أضِيفَ للنُّسخةِ ترقيم للصفحات بالقلم الرّصاص وسط الطُّرَّة العلوِيَّة لكلِّ صفحة. لم يدوَّن فِي آخرِ المخطوطِ اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ ولا مكانه. ويظهَرُ في بعض الصَّفحات اشتراكُ أكثَر مِن ناسخين في الكتابة، مثل: 12و، 100ظ.

النُّسخَة منقولةٌ مِن أصلِ المؤلّف (أ)، استعنتُ بها في قراءةِ ما استعصَى في الأصْلِ، ولم تكن فِيها إضافات تعلِي مِن شأنِهَا، بل كانت خالِية مِن بعض ما ألحقهُ المؤلِّف بالأصلِ، ورمزت لها بِالحرفِ (ب) في حالة الاستعانة بِها.

3- النسخة الثّانية في مكتبة الخزانة العامة بمؤسسة عمي سعيد غرداية

رقم النّسخة في فهرس المكتبة: 283، بالرّمز (م07) نسخة مجلدة وبحالة حفظ جيدة، عدد أوراقها 150 ورقة بمجموع 300 صفحة، في كل صفحة حوالي 20 سطراً، بمقاس: 22,2*17. يبدأ المخطوط بـ: «... إنّ ما ذكره الصّوفية أحسن ممّا مرّ عن البلقيني...» وهو نصٌّ مِن شرح البيت:

وَبِالْقَمَرَيْن النَّيِّرَيْن هَدَيْتَنَا حَدِيث رَسُولٍ ثُمَّ مُعْجِزِ قُرْآنِ

وينتهي بـ: "تَمَّ المجلّد الأوّل بفضل الله تعالى وحسن عونهِ لمؤلفه العلامة والبحر الفهامة الشيخ الحاج محمد بن الحاج يوسف الملقب بأطفيش". دُوِّنَ في آخِرِ المخطوط اسم الناسخ: سليمان بن الحاج أحمد الشماخي وتاريخ النَّسْخ أواخر ربيع الثاني 1306هـ، وهي النُّسخة الوحِيدة التِي احتوَتْ على التّارِيخِ.

وقد كتبت أبيات القصيدةُ باللّونِ الأحمَرِ والشَّرح باللّون البُنّي، بخطٍّ مغربيٍّ مقروءٍ وواضِح. وأضِيفَ إلى النُّسخةِ ترقِيم حدِيثٌ بالقلم الرّصاص على وَجْهِ كُلِّ ورقةٍ. والنّسخة تتمّة للنّسخة السابقة بالرمز (ب) وهذا للتّشابه الكبير بينهما في الخط، كما أنَّ نصّيْهما متتابعانِ، رغم سقوط عدّة أوراق، وهذا ما يفسِّرُ ما كتبه المؤلف على حافّة الورقة الأولى: أخذت نانة[1] من هنا كراسين. استعملت للنُّسخة الرّمز (ج) في حالة الاستعانة بها.

(1) "نانّة" اسمٌ أمازِيغي لأنثَى، ويعنِي الأخت الكبرى متداولٌ فِي منطقة غرداية.

4- نسخة الجزء الثّانِي بمكتبة باعمارة

النُّسخة محفوظة بمكتبة "باعمارة" بمدينة "مليكة العليا" بالرَّقم (023) مجلّدَة باللَّونِ الأخضر، على وَجهِ الجلدة الأولى بطاقة كتب فيها: شرح نونيّة المديح تأليف الشيخ أطفيش.

عنوان المخطوط ومؤلّفه دُوِّنا على وَجْهِ الورَقَة الأُولَى: "الجزء الثاني من إجابة الدَّعوة لإصابة الدُّعوة تأليف أمحمد بن الحاج يوسف أطفيش" فهذا الجزء الثاني من شرح نونية المديح بخط مؤلِّفه. عدد صفحات المخطوط 439 صفحة، بداية المخطوط بعد البسملة والتصلية: "قال أمحمد بن أطفيش

ولمَّا أتَى الكفّارُ بابَكَ للذِي أرادوهُ من كَيْدٍ ومكرِ وعدوانِ

وفي نهاية المخطوط: الأبيات التالية من القصيدة:

وعن جَعفَرِ أَخبَرتَ وابن رَوَاحَةٍ وزَيْدٍ بموتٍ يومَ مُؤْتَةَ في آنِ
ومِنْ حِين سارُوا قدْ أَشَرْتَ بِكَثْرَةِ توديع وتَرْتِيب ذِي شَانِ
وكلُّ نبِيءٍ إنْ يُعلِّقْ إمارةً بِموتٍ تقعْ مِن غيرِ شكٍّ ونُكرانِ

دون إشعارٍ بنهاية الجزء، ولم يذكر تاريخ نسخ المخطوط ولا مكان نسخه.

أبيات القصيدة كتبت باللون الأحمر والشرح باللون البني، بخط مغربيٍّ مقروءٍ وواضِح، وبمسطرة حوالي 26 و27 سطرا في كل ورقة بمقاس 25,5*17،5. أضِيفَ ترقيم للصّفحات بالقلم الرّصاص فِي الطَّرة السفلِيَّة لكلِّ ورقة. وبتصفّح المخطوط سجّلت الملاحظات التّالية:

- يوجَدُ ضمن المجلد صفحتان مختلفتا المضمون عن الكتاب وبخط مغاير عن خط المؤلف.

- ويوجد كذلكَ مجموعة أوراق حوالي أربعين صفحة بالمقارنة مع النسخة (ج) فهي بخط سليمان الشماخي بدايتها: "توجَّه إليها رسول الله ﷺ وإن وجهه..." وتنتهي بـ: "...بقدح فمسح رسول الله ﷺ ضرعها ثم حلبهُ ملئ القدح..." دون أن تحمل الصفحات إشارة إلى مكانها من الكتاب.

- وعشرون صفحة أخريات بخط آخَر لبداية هذهِ النُّسخةِ نفسهَا، وتنتَهي بـ: "(...) قالت أسماء: لما سمعنا قول الجنّيّ عرفنا ناحية توجه إليها رسول الله ﷺ".

رمزت للنُّسخة بالحرف (أ2) في حالة ذكرها أو الاستعانة بها.

5- نسخَة الجزء الثّانِي في الخزانة العامّة بمؤسّسة عمّي سعِيد

رقم المخطوط في فهرس المكتبة: 284، بالرَّمز (م57)، النّسخة مجلدة باللون الأحمر، مبتورة الأول والآخر، عدد أوراقِها 175 ورقة بمقاس: 22,3*16،2. وبمسطرة 25 سطراً في الصفحَة الواحدة، كتبت بخطٍّ مغربيّ واضح باللّون البنّي، والأبيات باللّون الأحمَر. أوّل بيتٍ مشروح هو الذي قبل البيت:

وفي يوم بدرٍ كنتَ بدراً بنورِهِ تسِيرُ المنايَا للشقي وأقرانِ

وآخِر بيت مَشروح هو:

وخامسهَا حل الغنائِم كلها وهَذا واكم خمس لديكَ وخمسانِ

فهي نسخة من الجزء الثاني من شرح نونية المديح، لم يذكر تاريخ نسخ المخطوط ولا مكان نسخه، وذكر في فهرس المكتبة أنّ النّاسِخَ هو: إبراهيم بن سليمان أشقبقب. رمزتُ للنُّسخة بـ(ب2) في حالِ الرّجوع إليها.

6- نُسخَة الجزء الثّالِث مكتبة أطفِيَّش ببني يزقن

رقم المخطوط في فهرس المكتبة: 117، بالرَّمزِ (أث3ج2) النّسخة مجلّدة باللَّونِ الأحْمَر، تبتدِئُ حيثُ انتهت النسخة (أ2)، أي إنّها الجزء الثالث من كتابِ "إجابة الدّعوة".

المخطوط بخطِّ المؤلِّفِ نفسِهِ، عدد أوراقه 266 ورقة حوالي 531 صفحة مكتوبة، بمقاس: 22،5*17 وبمسطرة 30 سطرا في الصفحة، بخط مغربي مقروء، والأبيات مكتوبة باللون الأحمر والشرح باللون البني، والمخطوط مخروم الوسط. توقف المؤلِّف في شرح البيت:

بحسن ختام ذي الجلال تكرما ومن..... بأيمن إحسانِ

دون إشعار بنهاية القصيدة، ويبدو أن القصيدة انتهت. وبتصفح المخطوط سجلت الملاحظات التالية:

- تغيير في الخط من 345و إلى 358ظ[1].
- تقييد بخط المؤلف: "أخذ سليمان من هنا كراستين" في 224و.
- ترقيم بخطِّ المؤلف من 326و إلى 340و: الورقة الأولى... الورقة الرابعة عشر.
- في بداية المخطوط مجموعة أوراق حوالي 13 ورقة أي 25 صفحة، ابتدأت بشرح البيت:

وَمَا جُزْتَ بِالْأَحْجَارِ إِلاَّ وَسَلَّمَتْ عَلَيْكَ بِنُطْق شَاهِدٍ قَبْلَ بُرْهَانِ

(1) ترقيم الصَّفحات ابتدأ بِ: 194.

وتنتهي بـ: "قال جاورت بحراء شهرا وذكر..." بمسطرة 19 سطرا في الصفحة، وهذه المجموعة تتمة للنسخة بالرمز (ب). رمزت للنُّسخة بِـ: (أ3) في حالة الإشارة إليها أو الاستعانة بها.

المبحَث الثّالِث: منهج تحقِيق كتاب "إجابة الدّعوة" وصور من مخطوطاته:

يرسُمُ هذا المبحَثُ الخطَّة التِي سارتْ عليها عملِيَّة إخراجِ كتاب "إجابة الدَّعوة" مِنْ خِلالِ توصِيف المراحلِ المتَّبعة، مِن أجلِ بلوغِ غرَضِ التَّحقِيقِ، ثمّ يقدِّم نماذج من المخطوط لمحقّق.

المطلب الأوّل: الخطوات المنهجِيَّة لتحقِيق كتاب "إجابة الدّعوة"

اتَّبعتُ مِن أجلِ الإخراج الصّحِيحِ للكتابِ الخطوات المتعارف عليْها فِي فنِّ التَّحقِيق، مبتغِيا بذلِكَ الوصول إلى القراءة الأوْفَق للكتابِ، وتقدِيم تلك القراءة على قواعِدِ الرَّسم الحدِيثِ، دونَ المساسِ بصورة النَّصِّ، التِي تمثّلُها نسخة المؤلِّفِ. لقَدْ سَبقَ الحدِيثُ عن ضبطِ عنوان الكتابِ وتوثِيق نسبتهِ إلى صاحِبِه، وفِيما يلِي بيانٌ لخطواتِ إخراج النُّصوصِ.

1- ترتيب النُّسَخ المعتمدة ورموزها:

كان من الطّبِيعِيّ أن أعتمد نسخة المؤلِّف المكتوبة بيدِهِ أصلًا للتّحقِيقِ، ومعتمَدا مِن أجلِ القراءة الصّحِيحة؛ لأنّها النُّسخة الأمّ المنقول منها النّسختين الأخريَيْنِ. ولكن كان من الضّرورِيّ أحيانا الرّجوع إلى غيرِها، قصدَ الضّبطِ الصّحِيح للنّصّ أو تغلِيبِ وجهٍ على آخَرَ، لكنّ ذلِكَ كان نادِراً وخاصّة أنَّ النُّسخة الأمّ لمْ يلحقها ضرَرٌ، ولم تتلف حواشِيها ولا متنها، لكنّ المقارنة بيّنت غيابَ نصوصٍ عن النُّسختينِ، كان المؤلِّف أضافها حِين المراجعة والتَّصحِيح، ويقدِّمُ هذا دلِيلاً على عنايته بكتابِهِ وإضافة ما يلزمُ للتّوضِيحِ والإفادة، وقد رمزتُ إلى نسخة المؤلّف بـ(الأصل، أ) وإلى النّسختين المساعدتينِ بـ (ب، ج). وبالنّسبة للجزءينِ

الثّانِي والثّالث فرمزتُ لنسختيهما الأصل بـ(أ2، أ3) وللنّسخة الثّانِية من الجزءِ الثّانِي بـ (ب2).

2- ضبطُ الآيات القرآنِيَّة:

يعتمِدُ أطفِيَّش على روايةِ ورش للقرآن الكرِيمِ، لذلِكَ التزمتُ الضَّبطَ علَى هذِهِ الرِّواية، بِاستغلالِ التِّقنيات الحدِيثة لبرامج القرآن الكريم، التِي تتيحُ عملِيَّة النَّسخ منها واللَّصق في ملفَّات برنامج (وورد) بالرَّسم العثمانِيّ، وأشِير في الهامِش إلى السّورة ورقم الآية.

3- ضبْطُ ألفاظ الأحَادِيثِ النبوِيَّة:

لقد شكّل النّقلُ غير المباشِر للأحادِيث النَّبوِيَّة، والآثار المروِيَّة عن الصّحابة، النّمط الأغلَب على الكتابِ، لذلِكَ اقتضَى تحقِيقُ نصوصِها العودة إلى مرجع النَّقل المباشِرِ، ثمَّ المصدر الأصل المنقول منه، إذا كان مصرَّحاً به، وإلّا اجتهدتُ فِي معرفةِ المصدرِ، ثمَّ تخرِيج الحدِيث أو الأثَرِ متّبِعاً التَّرتِيبَ المعروف للمدوّنات الحدِيثِيَّة بحَسَبِ درجاتِ الصّحَّة (الصِّحاح،...) والأولَى لما وافقَ لفظَ الكتابِ.

ومِن الإشكالاتِ الحادثة على إِثْرِ هذِهِ التَّخرِيجات: اختلافُ ألفاظِ الأحادِيثِ بينَ المصادِرِ. ولم أحفَلْ بهَا كَثِيراً، إلّا ما بدا منهُ اختلاف كبِيرٌ، فأثبِتُ رواية المؤلِّف وأشِيرُ إلى الاختلافات سواء أكانَ ذلِكَ فِي مَتْنِ الحَدِيثِ أو سندِهِ.

وقد ضبطتُ عباراتِ التَّخرِيج لكَيْلا يخرُجَ البحثُ عن نطاقِهِ فيقع فِي مجالاتٍ يصعبُ عليَّ ضَبْطُها، والتَّعامل معها، على النَّحوِ التّالِي:

استعملتُ عبارة: "ورد بمعناهُ" لتخرِيج نصِّ الحدِيثِ الذِي أجد فِيهِ اختلافا تامّاً في الألفاظِ مع المصدرِ الذِي خرَّجت منه. واستعملتُ عبارة: "ورد بلفظ قريب" إذا كانَ هناكَ اختلافٌ كبيرٌ بيْنَ نَصِّ الحدِيث والمصدَرِ المخرَّج منه. وعبارة "ورد بلفظ" فأذكر اللَّفظة

المختلف فيها، إذا كان هناك اختلاف قلِيل. أمَّا الحدِيث الذي لا أقف على مصدرٍ ذكره فأشِيرُ إليه بالعبارة: "لم أقف عليهِ بلفظِه".

وأمّا روايات أحداثِ السِّيرة، وما نقله المؤلِّف مِن قِصَص يردُ فِيها أقوالٌ لرسولِ اللهِ ﷺ، ممّا لَمْ أقفْ عليهِ إلّا في الكتب التِي تناولتْ أحداث السِّيرةِ، مِن غير كتب متون الحدِيثِ المعروفة، ككتابِ "دلائل النُّبوَّة" للبيهقِي أو كتابِ "المواهب اللَّدنِيَّة" للقسطلّانِي، فأكتفِي بالعزوِ إليها دونَ تعلِيقٍ.

استعملت القوسين الهلاليّين ((...)) لتحدِيدِ نصِّ الحدِيثِ وتمْيِيزِهِ عن متنِ النَّصِّ.

4- ضبطُ النُّقول وتصحيح الأخطاءِ:

لقد حفل الكتاب بمجموعة كبِيرة من النُّقول في مواضِيع شتَّى، يصرّحُ أطفِيَّش في مواضِعَ بمصدرِها المنقولِ منهُ، وفِي مواضِعَ يغفِلُ ذلِكَ، أو لا يُشِيرُ إلى عملِيَّة النَّقلِ أصلا، فيورِدُ النّصّ وكأنّهُ من كلامِهِ.

وعلى هذِهِ الحالِ اقتضَى إخراجُ هذه النُّصوصِ أن أتَّبع منهجا صارِماً، يُنْجِينِي مِن الوقوعِ في أخطاء القراءة والعزو والتَّصْحيح، فبحثتُ أوَّل الأمرِ عنْ مصادر المؤلِّف، سواء المصرّح بها أو التِي أغفلَ ذكرَها، ثمّ أقومُ بحَصرِ النَّصِّ المنقول، وتمييزه عن نصِّ المؤلِّف لإجراء المقارنة المناسبةِ وتحدِيد الاختلافاتِ.

وأعتبِر الطّبعات المقابلة عليها مِن المصادِرِ نسَخاً جديدة للمقابلة على الأصل المنسوخِ، وهذا بعْدَ فحصِ الطَّبعة للتَّأكُّد من سلامتها ولو نسبِيّاً من الأخطاءِ[1]، وبذلِكَ

(1) لقد برزتْ مسألة طبعات الكتابِ المختلفة خلالَ عملِيَّة التَّحقِيق لتلقِي ظلالَها على النُّصوص، بالنَّظرِ إلى عملِيَّة إخراجها التِي قَدْ تعرَى عن العلمِيَّة، كأن يغِيبَ عنها توضِيحُ الأصول التِي أخرجَت عليها، وعلى ذلِكَ مثلاً: كتاب الإتقان في علوم القرآن، وكتاب خلاصة الوفا.

يتناولُ التَّحقِيقُ النّصوص التي نقلها المؤلِّف بالمقابلة والتَّصحيح، بغضِّ النَّظَرِ عن رواية المؤلِّف التِي أثبتُها في المتنِ أصْلاً[1].

ويحدُثُ أنْ أجِدَ لبعضِ النُّقولِ أكثرَ من مصدرٍ ذكرتهُ، وبالخُصوص الرِّوايات التّارِيخِيَّة إذْ يتكرّرُ ورودها في أكثَر مِن مصدرٍ؛ فإذا كان أطفِيَّش قدْ ذكر مصدره فقد كفِيته، وإلّا خرجَّتُ النَّقلَ ممّا تبيَّنَ نقلُ المؤلِّف منهُ عادةً، أو مِن أقربِ الرِّواياتِ إلى ما أورده، فلا طائِلَ مِن إثقالِ الهامِشِ بِالاختلافات التِي هي من طبِيعةِ هذه النُّصوصِ.

وبالإضافة إلى ذلِكَ تَرِدُ مجموعةٌ مِن النُّقولِ والأقوالِ ينسبُها أطفِيَّش إلى الصّحابة مثلا، لكن لا أجِدُ لذلِكَ سندًا، فأتركها غفلا مِن التَّخرِيجِ[2].

وممّا لم أقِفْ عليهِ من مصادر عددٍ من النُّقولِ اضررْتُ إلى توثِيقه من مصادرِهِ القرِيبة، من مثل نقول "ابن زبالة، محمَّدِ بن الحسن" (ت:200هـ) صاحِبُ كتاب "تارِيخ المدِينة" المفقودِ، فاكتفيتُ بالتَّوثِيقِ مِن كتاب "خلاصة الوفا"[3] ونقول رزِين بن معاوِية[4]، ونقول الفيروزأبادِي في كتابِهِ "المغانم المطابة"[5] في القِسمِ الذِي لم ينشَرْ منهُ. ونفسُ الحالِ قد وقعَ مع الأقوالِ، خاصّة الفقهِيَّة والتّارِيخِيّة منها، فقد تركتُ مجموعةً منها دونَ تخرِيجٍ وتوثِيقٍ إلّا في المصدرِ الذِي نقلَ منهُ المؤلِّف مباشرَةً.

لقد سعيت الجهد فِي تخريج النّقول التِي أقفُ عليها في الكتاب، لكنّ مجموعةً مِنها لم أبلغها بسببِ الكثرة والتّداخل، فأغلبُ مادّة الكتاب نقلِيّة تعتمِدُ على الرِّواية.

---

(1) لقد كان من النَّماذج التِي حذوت حذوها في إقامةِ نصِّ الكتابِ، وتصحيح أغلاطِهِ، تحقِيقات د. قاسم السَّامرَّائِي، فقد قال في حين حدِيثِهِ عن تصحيح نصوصِ كتاب "الرَّوضة الفردوسِيَّة" للآقشهرِي: «ومع كلِّ هذا فقد أصررتُ على أن لا أجترِئَ على الأمانة العلمِيَّة فأدخل في النَّصِّ ما ليسَ منه، وبخاصَّة فإنَّ النَّصَّ قد وصلَ إلينا بخطِّ المؤلِّفِ وليسَ بخطِّ أحدِ النُّسَّاخِ، حتَّى نعزوَ له هذه الأوهام، فصَحَّحْتُ الأوهام وأكملت النُّصُوص السَّاقطة أو المطموسة اعتماداً على المصادر التِي اقتبَسَ منها فقط، وذكرتُ ذلِكَ في الحواشِي بالتَّفصِيلِ». الروضة الفردوسِيَّة الآقشهرِي، مقدِّمة التَّحقِيق لقاسم السَّامرَّائِي، 25/1.

(2) مثلا: أوردَ نقلا عن ابنِ عبّاسٍ [99و].

(3) قام الباحِثُ صلاح عبد العزيز بن سلامة، بجمع نصوص هذا الكتابِ من خلالِ رواياته المنتشرة في الكتب، ومما اعتمد عليه كتاب وفاء الوفا للسمهودِي، لذلِكَ لمْ أجِدْ داعياً لتَوثِيقِ تلك الأقوالِ منه.

(4) ينظر: إجابة الدعوة [28ظ].

(5) ينظر: (م، س) [28ظ].

5- الضَّبط الإملائِي:

اتَّبع الكتاب قواعِد الرَّسم على الخطِّ المغرِبِيّ، المعروف بضوابطهِ كرسم نقطة الفاء من تحت، والقاف فوقها نقطة واحِدة، وهذا لم يحدِثْ إشكالا كبِيرا، ولكِن مِنْ أبْرَزِ الظَّواهِر التِي أشكلت في القراءة وعنِيت بضبطِها:

- الهمزة المتطرِّفة: يتصرَّف أطفِيَّش في رسمِ الهمزة مِن أواخِرِ الكلماتِ، كـ"أبناء" و"بناء" فقد يعتنِي بها فيرسمها واضِحة جلِيَّة أو يرسمها نقطة[1] أو يتخلَّى عنها مطلقا[2]. وإثباتها وفقَ مرادِهِ يقتضِي معرفة سياق الكلام، وإذا كان نقلا وجبَ الرُّجوع إلى مصادِرِهِ للحِيطة ومقاربة المقصودِ.
- الألف بعد "بنو": يثبِتُ أطفِيّش هذه الألف أحياناً، وتحدِثُ اضطرابا في القراءة إن لم ينتبَهْ إليها؛ إذْ قد تلحق الكلمة بعدها. فلا بدّ من التّثبُّت من العَلَم بعدهَا ثمّ الحكم بزيادتها.
- إعجام الذّال والثّاء وإهمالهما، وأحيانا الجيم: لا يعتنِي أطفِيَّش بإثبات النّقطة من الذّال أو الثّاء، فتراهُ يهملها في مواضِع. فما كان فيه الإعجامُ معروفا كأسماء الأعلام من مثلِ "أبِي ذر" أثبتّها دون إشارة إلى الأصْل، وإذا كان علما مغمورا احتاج ذلِكَ إلى الرُّجوع إلى المصادرِ للنَّظرِ فِي أمرها، كـ"مذينب" فأثبت الأصل وأشِيرُ إلى التَّصحِيح في الهامِش مع العزوِ إلى المصدرِ.

6- ضَبطُ الأبيات الشّعرِيَّة:

إنَّ مجموعَ الأبيات الشّعرِيَّة التِي أوردها أطفِيَّش في الكتابِ تدعو إلى ضرورةِ العناية بها، وقد اتَّبعتُ لأجل إخراجها إخراجا سلِيما التّرتِيبات التّالِية:

---

(1) ينظَر: إجابة الدعوة [33و].

(2) ينظَر: (م، س) [76ظ].

- البحثُ في المصدرِ الذِي نقلت منها، ومن ثمَّ النَّظرُ في المصادِرِ الأصلِيَّة التِي أوردتها لغاية التَّوثِيقِ والمقارنة وإثبات الاختلافات الضَّرورِيَّة[1]، وبالتَّبع البحث في القائِلِ الذِي قد تورده المصادِرُ باختلافٍ.
- تحدِيد البحر الذِي نظمت عليه، والبحثُ فِي مطابقة رواية المؤلِّف لتفعِيلاتهِ من أجلِ كشفِ التَّصرُّفات والتَّنبِيه على الأخطاءِ إن وجدتْ.
- الضّبط بالشَّكل التّامّ لألفاظ الأبياتِ، وأمّا ما كان فِيه اختلافٌ أتركه غفلا.
- شرح الألفاظِ المستغلَقة لتتبيّن دلالة البيتِ.

7- تنظِيمُ وتفقِيرُ مادَّة النَّصّ:

يحتاجُ إخراجُ الكتابِ وتيْسِير استعمالِهِ والاستفادة مِن مادّته العلمِيَّة إلى توضِيحِ فقراتهِ، وبيانِ مبدأ الجمل ونهايتها، ولتحقِيقِ ذلِكَ أضفتُ للنّصِّ علامات التَّرقِيم، التِي تؤدِّي هذا الغرَض.

ثمَّ إنَّ الكِتابَ يعوزُهُ التَّرتِيبُ ونصبُ العناوِين، فغالب ما يسْتَعملُ المؤلِّف قوله" الفصل الأوّل" أو "الفصل الثّانِي" ترقِيما للفصولِ وبيانا لمبدئها وانتهاءِ سابقها. كما أنَّهُ يسبِق جملة منها بعناوِينِها، ثمّ يغفِلُ تلك العناوِينَ حال مبدأ الفصلِ، فأضطرُّ إلى إعادة نقلِ تلك العناوِين في أماكِنِها؛ توضِيحاً للموضوعِ الذِي سيعالجه الفصلُ، وتمييزا له عن غيرِهِ.

لقد حفِل الكتاب بجملةٍ مِن الاستلحاقات في الهوامِش، أدرجتها داخِلَ المتنِ وأشرتُ إلى ورودِهَا خارِجَهُ، لتوظِيفها في الدِّراسَة، ولاسْتِبيانِ مواضع المراجعة والإضافات التِي ألحقَها المؤلِّفُ بكتابِهِ؛ إذ غابتْ جملةٌ من هذه الإضافات عن نسخ الكتابِ الثّانوِيَّة.

وفِي قضِيَّة ملحقة هنا بخصوصِ الرُّموز المستعملة في الكتابِ؛ فلم تشكِّلْ ملمحاً بارزا فيهِ، فالمؤلِّف يستعملُ حرف الخاء والمِيمِ مثَلاً، للدّلالة على التَّقدِيم والتّأخِيرِ في

---

(1) قال د. بشَّار معروف «الشِّعرُ تختلف رواياتُهُ وألفاظُهُ عند الرُّوَّاةِ أو المؤلِّفِينَ، وأنَّ كلَّ روايةٍ تمثِّلُ نصّاً مستقِلّاً، فلا كبِيرَ فائدةٍ من ذكرِ الاِختلافاتِ الكثِيرة بين الرِّواياتِ وإثقال الهوامِشِ بها، فالشِّعرُ يُروَى على أنحاءَ مختلفةٍ قلِيلةٍ أو كثِيرةٍ». تحقيق= = المخطوطات اللُّغوِيَّة والأدبِيَّة، مقال: أنظار في مناهج تحقِيقِ نصوص الشِّعرِ، بشار عواد معروف، ص26. ولم أحفلْ بِكثِيرٍ من المصادِرِ التِي تذكُرُ أشعارَ الكتابِ، قد يكون لكثرتها، وقلّة العائد من ذلِكَ.

النّصِّ، ويستعمِلُ علامة اللَّحاق المعْروفةِ، ونادِرا ما يستعملُ علامة التَّصحِيح[1]، ولم أتبيَّن رمزها؛ إذْ يرسمهُ كحرفِ المِيمِ فوق الكلمةِ.

استعملت رمز العارضتينِ [ ] لتحدِيد الإضافات التِي أخذتها من مقارنة نُصوص الكتابِ بِالمصادِرِ، وكذلِكَ تحدِيدُ الاختلافات الواقعة بينَها، أشِيرُ إلى ذلِكَ في الهامِش. ولِتحدِيدِ صفحات المخطوطِ، رمزت للوجهِ بِـ "و" وللظّهر بِـ"ظ"، أسبقه برقم الورقة في الأصل عند بداية الوجهِ أو الظّهرِ بين العارضتين [ ].

المطلَب الثّانِي: التّعلِيق على النُّصوص:

يُعتبَرُ التّعلِيقُ علَى النّصِّ مِن صلب عمليَّةِ التّحقِيق؛ بالنَّظرِ إلى مساهمتهِ فِي إضاءة النّصِّ وتوضِيحهِ، وبيان غامضِهِ ومبهمهِ. فكان ممّا ليْسَ منهُ بدٌّ اتِّباعُ خطّة واضحةٍ في هذا العملِ، غايتُها التّحكُّم في منهجِ التّعلِيقِ؛ لأجل تحقِيق غايات التّحقِيقِ دون إفراطٍ ولا تفرِيطٍ.

إنَّ تعدّد مواضِيع الكتاب: شرِيعة وتارِيخ وأدب ولغة وسيرة وحدِيث وتفسِير، يجعلُ من المستحِيل التّعلِيق على كلِّ قضِيَّة واردة، ليسَ فقط مِن حيثُ الإحاطة العلمِيَّة بِكلِّ تلك القَضَايَا، ولكِن ذلِكَ يُفضِي إلى تَضْخِيمِ حجمِ الكتابِ. وفي النِّقاطِ التّالية بيانٌ لملامحِ هذه الخطّة:

ذ- التّعلِيقُ على الأحادِيث النَّبوِيَّة: من حيثُ شرح الألفاظ الغامضة، وكذا درجة الصّحّة التِي أطلقها العلماء عليها، إن وقفتُ عليها، وإلّا اكتفيتُ بتخريجهِ.

ر- شرْحُ الألفاظ والمصطلحات يكون حسب طبيعة ومسار النَّصّ، ولا بدّ من الوقوفِ على أسلوب المؤلِّف خاصَّة، لتوضِيحِ اختصاراتهِ وتصرّفاتهِ.

ز- الكتُبُ الواردة في النَّصِّ: أوضِّحُ عناوِين الكتب الوارد ذكرها في النّصّ، بضبط عنوانها إذا وردَ مختصرا، وبذكر المؤلِّف وتارِيخ الوفاة، وإذا كان للكتاب طبعةٌ اعتمد عليها صُرّحت بذلِكَ.

---

(1) ينظر مثلا: إجابة الدّعوة [75و] صحّحَ لفظة "كاذب" بكذّاب. و[89و] صحّح لفظة "قدماه" بـ"رجلاه". و[108و].

س- تعرِيف الأعلام والأماكِن والأيّام: تضمَّن الكتاب مادَّة تارِيخِيَّة وجغرافِيَّة دسِمة، أفضَتْ عملِيَّة تحقِيقِ نصوصِها إلى معرفة جلِّ المصادِرِ التِي نقلَتْ منها. فكانت أوّل خطوَة فِي ضبطِ أسماءِ الأعلام والأماكِن الواردة فِيها، وكذلِكَ التَّوارِيخ والأعداد. وكان المعتمَد فِي ذلِكَ المصادر المباشرة المنقول منها، كما بيَّنتهُ سابقا، وبالاستعانة بالمصادِرِ غير المباشرة التِي تضفِي توضِيحا وحلّا للإشكالات القائمة على المقابلة الأولَى، ثمَّ تأتِي المرحلة الثّانية بالبحثِ في المصادرِ والمراجع المتخصِّصة في المجال، لأجلِ إضافة التَّوضِيحات اللّازمة، وكنتُ أقتصِرُ على ما يُفِيد النَّصّ ويجلِّيه من غير استكثارٍ ولا إطالةٍ، كتصحِيح اسم العلمِ أو المكانِ، والإشارة إلى اختلاف ضبطهِ، وتجنَّبتُ التَّعمُّقَ فِي الأسماءِ المختلف فيها كثِيرا بين المصادِرِ، ابتعاداً عن الحشوِ والإطالة.

المطلب الثّالِث: نماذج من المخطوط

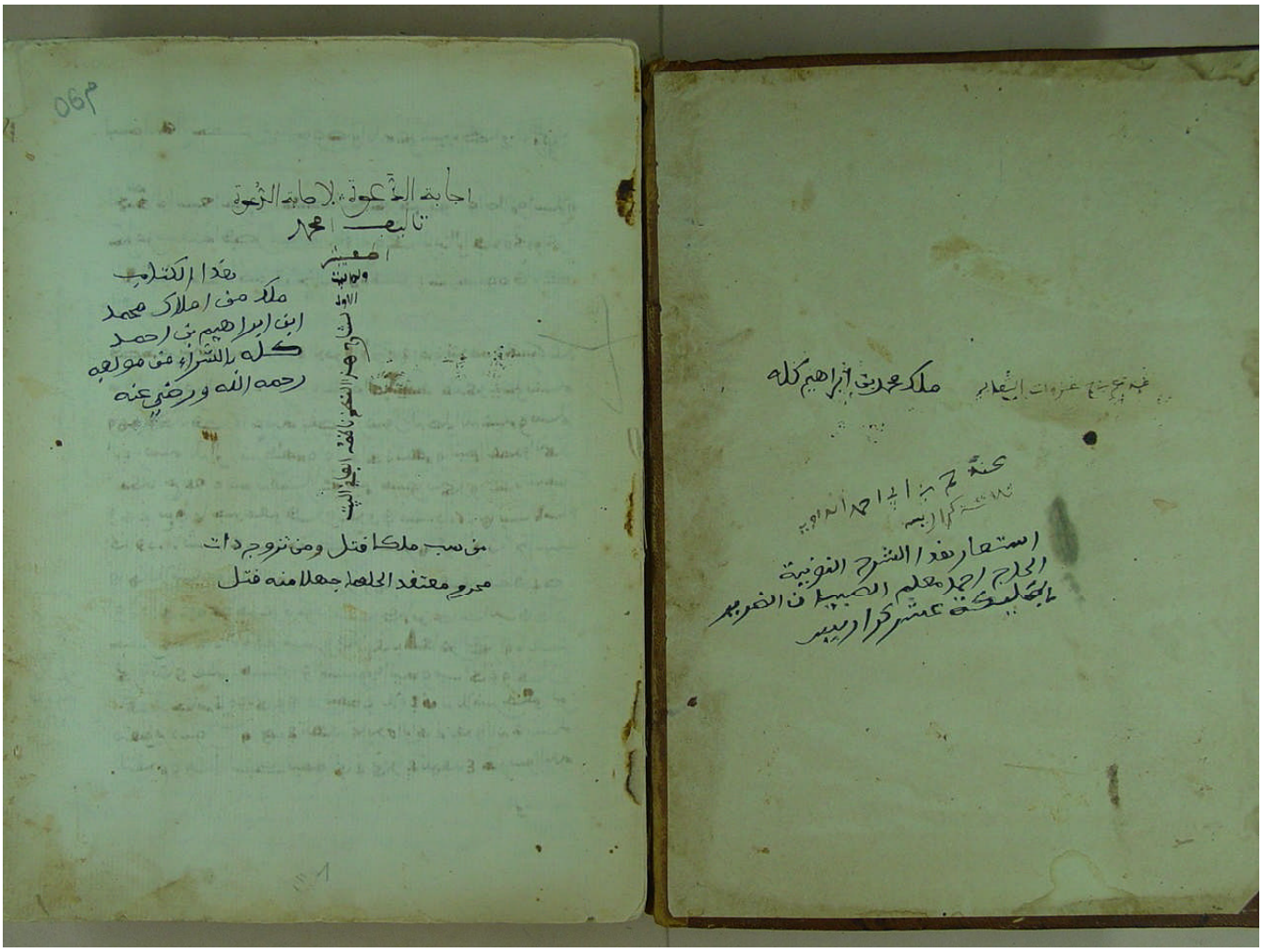

أوّل مخطوط الأصل"أ"

الورقة الثانية من المخطوط الأصل "أ"

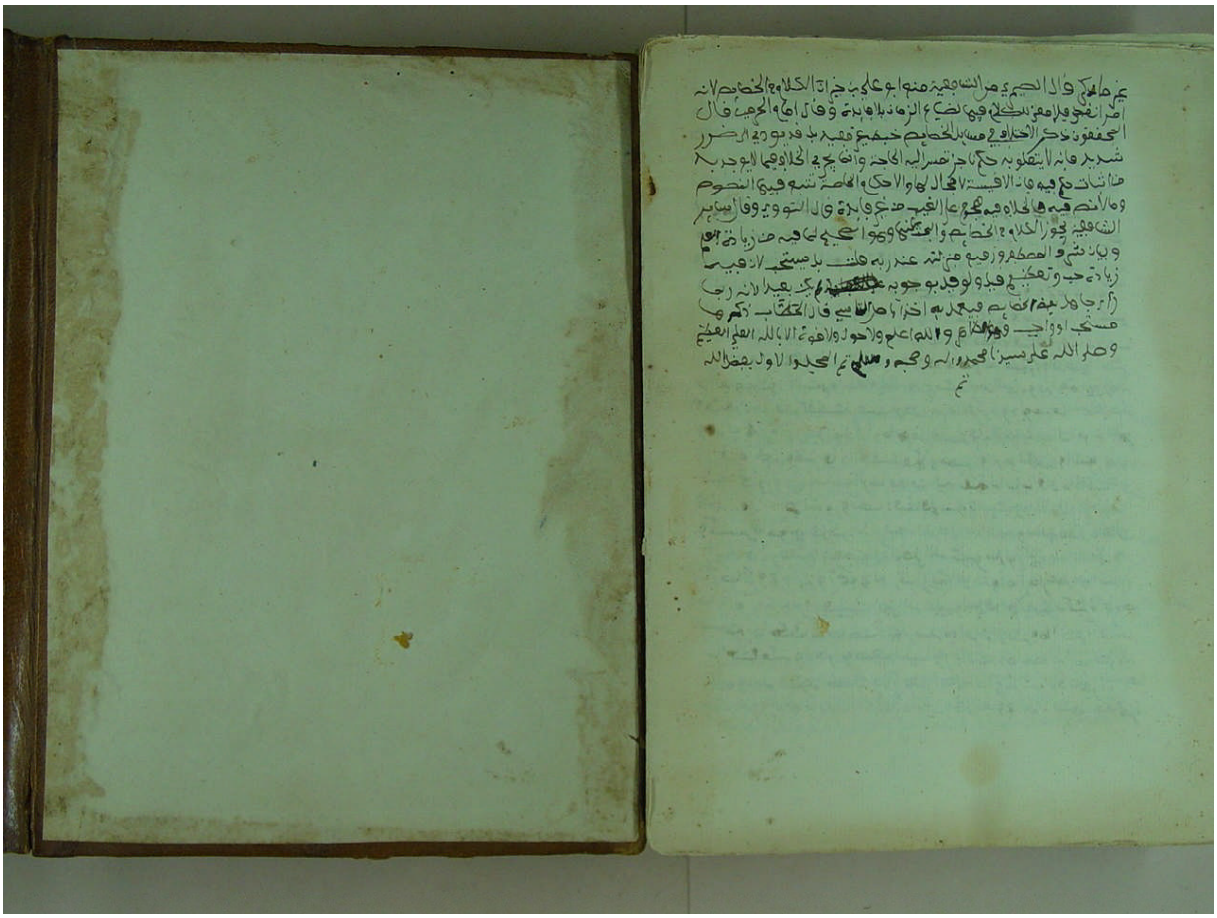

آخر مخطوط الأصل "أ"

أوّل المخطوط "ب"

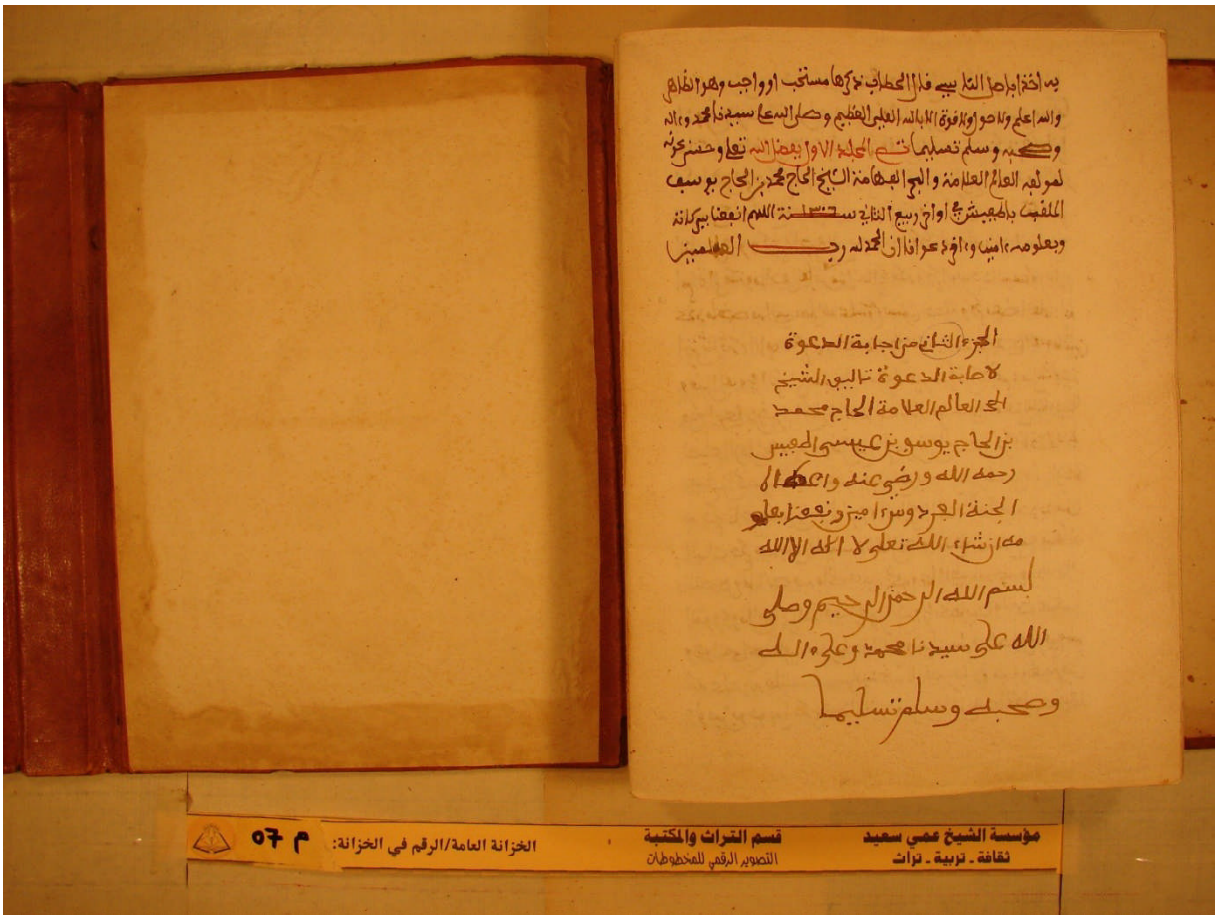

آخر المخطوط "ب"

الفصل الثّالِث:
الدّراسة اللّغوية والأدبيّة لكتاب إجابة الدّعوة

المبحث الأوّل: قضايا البحث الدّلالِي في "شرح نونِيَّة المدِيح"

يتناولُ هذا المبحَث دراسة مستوَى شرحِ الكلمة المفردة من التَّحلِيل اللُّغوِيّ في شرحِ نونِيَّة المدِيحِ مِنْ حيثُ أشكالُه وطرقهُ، لغرَضِ الإحاطة بمجمَلِ المعالجات التِي يقدِّمها الشّارِح، وضبط مميّزاتها، ودراسة القضايا المشتمِلَة عليها وذلِكَ وَفق المطالِب الآتِية:

- المطلب الأوّل: منهج شرح الألفاظ
- المطلب الثّانِي: بيان اللُّغات
- المطلب الثّالِث: طُرُق بيان معانِي المفردات
- المطلَب الرّابع: دراسة الألفاظ فِي ضوْءِ المفاهِيم الدّلالِيّة
- المطلب الخامِس: المعانِي الشّرعِيّة/ الألفاظ الإسلامِيَّة

المطلَب الأوَّل: منهج شرح الألفاظِ:

لقد تميّز الدّرس الدّلاليّ عند أطفِيَّش بمميّزات عدِيدة، كانَ مِن أجلِّها التزامُ الشّارِحِ بِضبطِ معانِي المفردة على وَجْهٍ لا يَحِيدُ بهِ عن المطلوبِ المباشِرِ مِن بيانِ معانِي الأبياتِ مِن خلالِ شرح المفرداتِ، وذكرِ ما يتعلَّقُ بِها من نحوٍ وصرفٍ وصَوتٍ. فلو أنّهُ جَمَع معانِيَ مختلفة للّفظِ ما كانَ إلّا لمبلَغِ ربطِ تلك المعانِي بِموقع اللَّفظةِ، وليسَ لغايةِ توسِيع البحثِ فِي أوْجُهٍ لا توافِقُ المطلوبَ، ومِن الملاحظات البارِزة على نُصوص الشَّرحِ المعجمِيّ خُلُوُّها مِن الإحالة على المصادِرِ التي يستقِي منها أطفِيَّش معلوماتِه، وَحِينَما يوردُ تعدُّد واختلافَ الآراءِ حوْلَ المفردة؛ فإنّهُ لا يسنِدُ القولَ إلى قائلهِ، وإنَّما يتركُهُ غفلًا، وهذه ملاحظة تمسُّ أغلبَ نصوص الشَّرحِ، ولا يتخلَّف عنها إلّا نزْرٌ قلِيلٌ من النُّصوصِ، وتعودُ في الأصلِ إلى منهج الاختصارِ المتَّبع في شرح القصِيدةِ كلِّها؛ إذْ يرَى الشَّارِحُ ألّا يثقِلَ شَرحَهُ بما لا يراهُ ضرورةً للمتلقِّي. وفِيما يلِي بيانٌ للمُميّزات الأخرَى لهذه المرحَلة المهمّة مِن الشّرحِ.

1- توظِيف المصطلحات الدّلالِيَّة:

أنطلِقُ مِن المدخلِ المصطلحِيّ لضبطِ حدودِ الدّراسة؛ لما يقدّمهُ مِن بيانٍ لأهمِّ القضايا التِي اشتمل عليها الشّرحُ التِي سأتناولها بالتّحلِيل والتّوضِيحِ. فقد استعملَ أطفِيَّش جملة من المصطلحاتِ الدّلالِيّة تومِئُ إلَى رسوخِ قدمِه، ووضوحِ غايتِهِ فِي معالجة ألفاظِ القصِيدةِ وغيرِها من النُّصوصِ بأدواتٍ علمِيَّة متكاملة، وتمْيِيزٍ بَيْنَ الظّواهِر الدّلالِيَّة المختَلِفَة، وهذه مجموعةٌ مِن الألفاظِ التِي ترقَى إلى مستوىً مِن الاصطلاحِيَّة ظهرَ في سياقِ توظيفِها وتكرّر حضورها: (لغة، الضّدّ، المد، القصر، أفصح، النّقص، المشهور/ الأشهر، الجمهور، الاقتضاء، الظّاهر، المراد، جائز، معنى، تقدِير، ضمّن، تأوِيل، المقيد/ تقييد/ يقيّد، المطلق/ إطلاق، يختص/ بخصوص، استعمل، علاقة، حقِيقة شرعِيَّة، مجاز، لازِم، كناية).

2- مراحِل شَرْحِ وبيان دلالات الألفاظ:

يعتبِرُ أطفِيّش الكلِمةَ عنصُرًا أساسِيًّا فِي أداءِ معانِي الجُمَل؛ لذلِكَ يولِيها الاهتمامَ الذِي يتِيحُ الوقوفَ على الدّلالة المقصُودة مِنْ خِلالِ بيانِ مجموعةٍ مِن المحدِّدات الدّلالِيَّة، وهِي تتمثَّل فِيما يأتِي:

أ- بيان اللُّغات:

ليسَ كلّ الألفاظِ تنالُ حظّها مِن هذا البيانِ، وَقد أفردتُ المطلبَ الثّانِي مِن هذا المبحثِ لدراسة قضاياهُ ومسائله.

ب- الضّبط اللُّغوِيّ:

ضَبطُ المفردة بالشَّكلِ الصّحِيحِ أمرٌ مهِمٌّ مِن أجلِ الوصولِ إلى الدّلالة المقصودة مِن الكلِمَة فِي استعمالِها، وقَدْ عمِد الشَّارِحُ إلى أشكالٍ مختلفةٍ لإظهارِ الضّبطِ؛ منها: الضّبط بالشَّكل، والضّبط بالعبارة، والضّبطُ بالمثالِ. ونتجَ عن هذهِ المرحلةِ مجموعةٌ مِن المسائلِ: كقواعدِ الضّبطِ، واختلاف ضبْطِ الكلماتِ، واتِّصال الكلِمات بينها.

ج- المحدّد الصّوتِيّ:

أقصِدُ بالتّحدِيد الصّوتِيّ تحلِيل الظّواهِر الصّوتِيّة في المفردات؛ كالهمز والتّسهِيل والوَقف والقصر والمدّ والقلب والإبدال الصّوتِي، وغير ذلِكَ، وبالطّبعِ فإنَّ هذا يكونُ خاصّا بألفاظٍ معيّنة. وقد أفردتُ هذه الظّواهِر بمطلبٍ خاصٍّ في المبحثِ الثّانِي من هذا الفصلِ، الخاصِّ بالقضايا النّحوِيَّة والصّرفِيَّة، ولا يخفَى تأثِيرُ بعضِ هذه الظّواهِر على المستوَى الدّلالِي.

د- المحدّد الصّرفِيّ:

تقدِّمُ المعارِفُ الصرفِيَّة خدمةً جلِيلةً للشّارِحِ؛ فهِيَ تخلّص المفردة ممّا علِقَ بِها مِن الزِّياداتِ، من بينِ ذلِكَ: الإعلال والإبدال، ومِن ثمَّ الصِّيغة الصّرفِيّة والاشتقاق، وقد بيّنت

التّطبِيقاتُ فِي الكتابِ أهمّيّة الإحاطةِ بِهذهِ المعارِفِ، وتأثِيرها علَى معانِي المفرداتِ، وقد أفردتها كذلِكَ بالبحثِ في المبحثِ الثّانِي مِن هذا الفصلِ، الخاصِّ بِالقضايا النّحوِيَّة والصّرفِيَّة.

كانت هذهِ أهمُّ المحدّدات الدّلالِيّة، وتَأْتِي المطالِبُ التّالِية؛ لِتُظهِرَ الجوانِب الأساسِيّة مِن المعالجةِ الدّلالِيَّة.

3- استِقْراء ما أمكَن مِن معانِي المفردة:

يستقْصِي أطفِيَّش في بعضِ المحطّات المعانِي التِي تقدِّمها اللّفظة فِي سياقِها، لكنّه لا يفعلُ ذلِكَ تزيّدًا، وإنّما إعمالا لقواعد النّظم والتّركِيبِ، واستثمارا للمعارِف اللُّغوِيَّة، ومِن المواقع التِي توسَّع فِيها بذكرِ المعانِي الممكِنة قولُه «وَ"**الكَيْدُ**": الإِهْلَاكُ بِالحِيلَةِ، وَهَلَاكُ الآخِرَةِ الذَّهَابُ إِلَى النَّارِ، وَهَلَاكُ الدُّنْيَا الخُرُوجُ عَن الدِّينِ، وَكِلَاهُمَا شَبِيهٌ بِالمَوْتِ لِعَدَمِ التَّحَرُّزِ عَنِ السُّوءِ، وَعَدَمِ جَلْبِ نَافِعٍ. و"**الذُّلُّ**": بِمُخَالَفَةِ الدِّينِ؛ فإنَّ العَاصِي ذَلِيلٌ، وَلَوْ تَصَوَّرَ بِالعِزِّ، وَمَغْلُوبٌ وَلَوْ تَصَوَّرَ بِالغَلَبَة، وَ"**الذُّلُّ**": أَيْضًا فِي المَوْتِ وَالقَبْرِ، وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ. وَيُرِيدُ النَّاظِمُ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي اللَّفْظَيْنِ؛ لِأَنَّهُمَا مَصْدَرَانِ صَالِحَانِ لِلكَثْرَةِ، وَمَعَانِي كُلٍّ مِنْهُمَا مُتَّحِدَةُ المَفْهُومِ؛ فَصَحَّ إِرَادَتُهَا كُلَّهَا مَرَّةً»[1]. لم يكتفِ الشّارِحُ ببيانِ معانِي اللَّفظينِ فقط، وإنّما استثمرَ موقعهما فِي الجملةِ وصِيغتهما الصّرفِيَّة؛ لِيتَوسّعَ فِي المعانِي التِي يُمكِنُ أن يقدِّماها.

4- عدم التّقيُّد باللَّفظ والبحثُ في المعنَى:

قَدْ لَا يُوحِي اللَّفظ بمبناهُ المباشِر إلى المعنَى المرادِ منهُ فِي سِياقِهِ؛ فلا يتقيّد الشّارِحُ بذلك المعنَى، وإنّما يبحثُ في المقصودِ بتوظِيف آليات عدّة[2]، يكفِي التّنبِيه هنا على

(1) إجابة الدعوة [4ظ].

(2) أعالج هذه الظّاهرة بإسهابٍ في مطلَبِ "ظواهر دلالِيّة".

هذه الظّاهرة من خلالِ النّموذج التّالي: قال أطفِيَّش: «وَأَرَادَ بِفِعْلِ الخَيْرِ مَا **يَشْمَلُ** قَوْلَ الخَيْرِ، فَالمُرَادُ بِفِعْلِ الخَيْرِ العِبَادَةُ...»[1]. لم يُبقِ الشّارِحُ اللَّفظَ "**الفعل**" على المعنَى الذِي يدلُّ عليهِ مباشرة، وإنّما لَجَأ إلَى مجالٍ خاصٍّ أوجبهُ مقامُ الكلامِ، ولو أنّهُ اكتفى بظاهرِ اللَّفظِ لما وقَعَ على المعنَى المرادِ؛ فقد اعتمدَ علَى آلِيّةِ توسِيعِ دَلالَة اللّفظِ إلى معنىً لم يوضَع لهُ ابتداءً.

5- البحث في مناسبة معنَى المفردة للسّياق:

إنّ الشّارِحَ لا يغفَلُ عن مطابقة معانِي الألفاظِ المعروضة لِما يوافِقها في واقِعِ النّصّ، وباستحضارِ القواعِد الدّلالِيَّة، وبالخصوصِ توظِيف المقامِ لِاخْتبارِ المناسبَةِ؛ ففِي قولِهِ: «وَ"**فِي لَغْوٍ**": مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ جَوَازًا، لَا وُجُوبًا، لِكَوْنِهِ كَوْنًا خَاصًّا؛ أَيْ: مُسْتَغْرِقٌ أَوْ رَاسِخٌ أَوْ ثَابِتٌ، بِمَعْنَى رَاسِخٌ غَيْرُ مُتَزَلْزِلٍ، لَا ثَابِتٌ بِمَعْنَى مُطْلَقِ الحُصُولِ؛ لِأَنَّهُ فِي **مَقَامِ** هَضْمِ نَفْسِهِ فِي هَذَا البَيْتِ وَمَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ، وَمَقَامِ التَّضَرُّعِ إِلَى رَبِّهِ، لَعَلَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ يَرْحَمُهُ»[2]. ينفِي عن "الثّبوت" إطلاق معناهُ على أيّ ثبوتٍ؛ أي: الوقوع؛ بل المخصوص بعَدَم التّحرّكِ والتّزلزل؛ ليُؤَكِّدَ معنَى وقوعهِ فِي الغفلةِ وارتكابِ المعاصِي؛ فيظهَرَ عندَ مَوْلاهُ في غايةِ التّقصِيرِ؛ فينالُ رحمتهُ وغفرانهُ. إنّ المقامَ يدعو إلى إظهارِ هذه الدّلالة، والتّدقِيق في المرادِ، وعدم الاكتفاءِ بِالإطلاقِ وتعمِيم الدّلالة.

وفِي قوله «فـ"**أَمَّارَةٌ**": خبَرٌ لـمَحْذُوف كمَا رَأَيْتَ، وَهُوَ مُبَالَغَةُ تَكْثِيرٍ أَوْ تَعْظِيمٍ، وَمَنْ أَجَازَ اسْتِعْمَالَ اللَّفْظِ فِي مَعْنَيَيْهِ مَعًا، أَوْ مَعَانِيهِ أَجَازَ قَصْدَ التَّعْظِيمِ وَالتَّكْثِيرِ مَعًا، وَكَذَا فِي "**لَوَّامَة**"، وَالأَوْلَى مُبَالَغَةُ التَّعْظِيمِ هَكَذَا؛ فَيَشْمَلُ مَا كَانَ بِإِكْثَارٍ وَمَا بِتَشْدِيدٍ فِي الفِعْلِ؛ فَلَا

(1) إجابة الدعوة [3ظ].

(2) (م، س) [4ظ].

يَكُونُ اسْتِعْمَالًا لَهُ فِي مَعْنَيَيْهِ»[1]. وقدْ ناقشَ أطفِيَّش مسألة إرادة أكثرِ مِن معنى للّفظِ في سياقٍ واحِدٍ، هل يلتزمُ الدّلالة المباشرة فقط، أم يُحمل اللَّفظُ على أكثرَ مِن معنىً فِي سياقٍ واحِدٍ؟ واحترزَ من هذا الحملِ بِتقريرِ المعنَى الجامع خروجًا من الإشكالِ.

المطلب الثّانِي: بيان اختلاف اللّغات:

ممَّا وقفَ عليهِ أطفِيَّش في شرح الألفاظِ: بيان لغات الألفاظِ المختلف فِي أدائِها، وهذا ليسَ بالأمرِ المطَّرِدِ عنده، ولكنَّه وقع في مجموعةٍ مِن الألفاظِ؛ فمادَّة هذا المبحثِ قلِيلةٌ، لكن سأتناولها بالدِّراسة نظرا إلى المسائل التِي تقدِّمها.

1- مصطلَح "اللّغة":

من المسائلِ التِي تتناولها النُّصوص المجموعة ما تعلّق بمصطلحِ "اللّغة". إنَّ الشَّارحَ قدْ يقصِدُ به مفهومَ اللُّغة بِمعناها العامّ؛ فيستعمِل عباراتٍ مثل: "أهل اللُّغة" و"في اللُّغة"؛ كما في قولهِ: «والزِّيجُ لُغَة: خَيْطُ البَنَّاءِ»[2] وقوله: «وعَبَّرَ بِهذِهِ الأَلْفَاظِ بلُغَةِ العَرَبِ»[3]. فاللُّغة في هذا المقامِ مصطلحٌ مرادفٌ لمصطلح "اللِّسان" الذِي يشْمَلُ كلَّ ما يدخُلُ فِي إطارِ ما يستعملهُ قومٌ معيَّنونَ في كلامِهِمْ (معجم، نحو، بلاغة، أداءات صوتِيَّة...)؛ فيُمَيَّز بِهِ أهلُ اللِّسان العربِيّ عن الفرنسِيّ، وعن غيرِهِ وهكذا، وقد استعمله بهذا اللَّفظِ بقولِهِ "أهل اللِّسانِ"[4].

ويورِدُهُ كذلِكَ ويقصِدُ به اختلاف اللُّغاتِ في العربِيَّة؛ إمَّا فِي النُّطقِ (أداء العناصِر اللَّغوِيَّة وكيفِيَّة استعمالها)؛ كقولِهِ: «وفِي لُغَةِ غَيْرِ بنِي الحارِثِ ((اسْقُوا))»[5] أو في المعنَى

(1) إجابة الدعوة [4ظ].
(2) إجابة الدعوة [102و]. وينظر أيضا: [12و].
(3) (م، س) [145و].
(4) (م، س) [67و].
(5) (م، س) [170و].

المراد مِن اللَّفظة، وهذهِ هي الاختلافات المقصودة فِي هذِهِ الدِّراسة. وعلى هذا التَّحدِيد المفهومِيّ؛ فإنَّ أطفِيّش قد تعرَّضَ لمجموعةٍ مِن القضايا المتعلِّقة بِمباحث اللَّغاتِ، أستعرِضها على الشَّكلِ الآتِي:

2- بيانُ الأفصَح مِن اللُّغاتِ:

ممّا يوقَفُ عليهِ فِي تحدِيد مفهوم اختلاف اللُّغاتِ، الحدِيثُ عن الفصاحة[1]، وقد تطرَّقَ أطفِيَّش إلى ذلك في ثلاثة مواضِع؛ إذْ يقرّ أنَّ معرفة اختلاف اللُّغاتِ مِن الاتّساع في الفصاحَة، وبذلِكَ كان رسول اللهِ ﷺ أفصَحَ العرَبِ[2]. ثمَّ تراهُ يفاضِلُ بينَ الاختلاف في نطق كلمة "**الرّضا**" بينَ القصرِ والمدِّ، ويقول: إنّ القصْرَ أفصَحُ، ولكن بصِيغة التَّمرِيض «كذا قِيل»[3] فيلمَسُ منهُ التّردُّد فِي رَدِّ هذا الاختلافِ إلى الفصاحةِ. وفِي الموضِعِ الثّالِث يقولُ: «ويُقالُ: أغَاثَهُ وغاثَهُ. والجُمهُورُ على الْأَوَّلِ وهوَ أفْصَحُ»[4]. فحدّد الفصاحة بالإجماعِ والانتِشار بدلِيلِ نسبتِها إلى الجمهورِ، والأكِيد أنّهُ يعنِي بالجمهورِ النّحوِيّين واللُّغوِيّينَ المستقرِئين لكلام العربِ. وبهذا يمكِنُ الاستقرار على أنَّ اختلاف اللّغاتِ عند أطفِيَّش لا يردُّ إلى الفصاحة على إطلاقهِ، وإنّما مِن أوجُهِ هذا الاختلافِ ما يُردّ إليها، ومنها ما لا مفاضلة فِيه بِهذا المعيارِ؛ فالاختلاف مسموعٌ ممَّنْ يوصَفُ بالفصاحةِ أصلًا. وبناءً

---

(1) وردت في الكتابِ نصوصٌ تتعلَّق بالفصاحة، ولكنّها تتناولها مِن حيثُ المعنى العامّ وهو "الإظهار" بدلِيل سياقها الذِي صدرتْ فِيه، إذْ تعلّقتْ بِالحدِيثِ عن اللُّغات عامّة، وليس عن لغة العربِ فقط، ومنهُ القولُ بأنَّ العربِيَّة أفصحُ اللُّغاتِ، أي أقدرها على الإبانة والإظهارِ. ينظر: إجابة الدّعوة [123ظ] و[256ظ] و[237و].

(2) (م، س) [100و].

(3) (م، س) [3ظ]. لم أقف على من قال إنَّ المدَّ فِي "رضا" لغةٌ، وأنَّ القصْرَ فِيهِ أفصَحُ، وإنَّما مردُّ ذلِكَ إلى بناءِ المصدرِ من فعلِهِ، وفِي لغة العربِ الاختلاف فِي الأبنية لاختلاف المعانِي كما وجّهَ بِهِ ذلِكَ ابن منظور اختلاف المدّ والقصر في "رضا". ينظر: لسان العرب (رضى).

(4) (م، س) [167و]. استعملَ أطفِيَّش مصطلحًا آخرَ في نفسِ سياق الحدِيثِ عن اختلاف اللّغاتِ يتقاطعُ مع مفهومِ مصطلح "الجمهور" وهو "المشهور" دفع بِهِ القولَ بأنَّ "رؤيا" بالألفِ مصدرٌ لـ"رأى" على لغةٍ، وقالَ: المشهورُ كونها مصدرًا للحلمية. (م، س) [206ظ].

على هذِهِ المسألةِ يمكِنُ الحدِيثُ عن أوجه الاختلافِ المنصوصِ عليها التِي تطرّقَ إليها أطفِيَّش خلالَ تحلِيلاتهِ، وردّها إلى حقلِ اختلافِ اللُّغاتِ.

3- الاختلافات التِي مردّها إلى اللّغة:

يعمِدُ أطفِيّش خلالَ تحلِيله للمفرداتِ إلى ذكرِ مجموعةٍ من الاختلافات المتعلِّقة بها، ويتعاملُ إزاءَها على وَفق: إمّا أن يذكُرَ الاختلافَ دونَ الإحالة على سَبَبِهِ أو طبِيعتهِ؛ من ذلِكَ: ما ذكرَهُ مِن الاختلاف فِي "أسْرَى وسَرَى"(1) و"كَسَبت وأكْسَبْت" (2) و"إيوان وإوان"(3) وعبّر عنهُ بـ"يقال" أو أنّ أحد الوجهَيْنِ هو الأكثَرُ، دونَ ردِّهِ إلى حيِّز الاختلاف في اللُّغة صراحةً.

وإمّا أن يردّ الاختلاف المذكور إلى تصرُّفٍ فِي الأداءِ وكيفِيّة الاستعمال، وهو عينُ المرادِ بالاختلافات اللُّغوِيَّة، ومن الأوجه التِي تطرّق إليْها:

- **المدّ والقصرُ**: مِن الأوجُهِ المنتشرة في اختلاف اللُّغاتِ، ذكره أطفِيّش في معالجة المفردات: "رضاء"(4) و"خطاء"(5) و"حراء"(6)، ويعْنِي بهِ أن يُسمَع عن العربِ نطقهم لأحد تلك الألفاظِ إمّا على المدِّ أو على القصرِ فِي آخرها.
- **الهمز والتّسهِيل**: وقفَ عليهِ أطفِيَّش فِي لفظةِ "شأن، شان"(7)، وهذا مِن الأوجه المنتشرة في القراءات القرآنِيَّة، وقد اشتهر الإمامُ "ورش" المنتشرةُ قراءتهُ فِي بلدَان المغربِ بتسهِيل الهمزات.

---

(1) إجابة الدعوة [210و].
(2) (م، س) [147و].
(3) (م، س) [104و].
(4) (م، س) [3ظ].
(5) (م، س) [9ظ].
(6) (م، س) [146و].
(7) (م، س) [93ظ].

- **رَدُّ ياء المنقوصِ في الوقفِ**: الاسْم المنقوص ما كان آخرهُ ياء أصلِيَّة مسبوقة بكسرٍ، وينالهُ من التَّصرُّفات الصَّوتِيَّة حال الوصل أو الوقف حذفُ يائهِ أو إثباتُها. وقد تعرَّضَ أطفِيَّش لهذهِ المسألة في معالجة اللّفظة "دواهِي، دواهٍ"[1]. وردُّ ياء المنقوصِ؛ أي: إثباتها، وقد ألحقها أطفِيَّش باللُّغاتِ، وثَبَتَ هذا الاختلافُ فِي الشّعرِ كما ثبت في القراءات القرآنِيَّة، ومِن ذلِكَ قراءة "ابن كثِير": «وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادِي»[2] بإثباتِ الياءِ من "هادِي" وقفًا.
- **فعلْتُ وأفعَلْت**: يختَلِفُ أداء بعض الأفعال في الصِّيغة بين (فعلت وأفعلت) ذكر ذلِكَ أطفِيَّش فِي الفعلين: "أسقوا، سقوا"[3]، و"أغاثه، غاثهُ"[4]. والمقصودُ أنّ الصِّيغتينِ متّفقتانِ فِي المعنَى رغم اختلافهما في الأداءِ، وقد نسبَ "سقوا" إلى قبِيلةِ بنِي الحارِثِ.

وفِي سياقِ الحدِيثِ عن ردِّ الاختلافات في الألفاظِ إلى التَّصرُّفات اللُّغوِيَّة؛ فإنَّ أطفِيَّش قد نبّهَ إلى أمرِ الخلطِ بين الخطأ في نطقِ الكلمةِ، وحَمْلِ هذا الاختلاف على أنّهُ لُغَةٌ؛ فَنَقلَ قولا ينفِي أنّهُ قد سُمع عن العرَبِ في كلمةِ "حِراء" فَتْحُهُ وقَصْرُهُ، وقالَ: إنَّهُ خَطَأٌ لَا لُغَةٌ[5]. وكذا حَمْلُ الاختلاف بَيْن "رؤيا ورؤية"؛ بأنَّ "رؤيا" بالألفِ مصدرٌ لـ"رأى" على لغةٍ، وقالَ «المشهورُ كونها مصدرًا للحلمِيّة»[6].

---

(1) إجابة الدعوة [7ظ].

(2) سورة الرعد: 7.

(3) (م، س) [170و].

(4) (م، س) [167و]. استعملَ أطفِيَّش مصطلحًا آخرَ في نفسِ سياق الحدِيثِ عن اختلاف اللّغاتِ يتقاطعُ مع مفهومِ مصطلح "الجمهور" وهو "المشهور" دفع بِهِ القولَ بأنَّ "رؤيا" بالألفِ مصدرٌ لـ"رأى" على لغةٍ، وقالَ: المشهورُ كونها مصدرًا للحلمية. (م، س) [206ظ].

(5) (م، س) [146و].

(6) (م، س) [206ظ].

أمَّا بخصوصِ الاختلافات المذكورة؛ فنلحظُ انتماءها إلى حيّزِ اختلافات الأداءِ دون اختلاف المعانِي[1]، ولم يقعْ منهُ ردُّ الاختلافاتِ إلى المعانِي إلّا في عزوِ مجموعة من الألفاظِ إلى عربيَّة اليمَن، قال: «والزَّخِيخُ: النَّارُ **بِلُغَةِ** الْيَمَنِ، والْحَجْمَتَانِ: العَيْنَانِ **بِلُغتِهِم** أيْضًا، والْهَوْبُ: النَّارُ بِهَا، ونَائِرا: نَافِرا»[2]. وقال: «وقدْ كانَ يأْتِيهِ في صُورَةِ دِحْيَة الكَلْبيّ، وهُو ابنُ خلِيفَة بنِ فضالة بنِ فروة، بكَسْرِ الدَّالِ وفَتْحِها، رَجَّحَ بعْضُهُم الكَسْرَ، وبَعْض الفتْحَ؛ وهو بِلِسانِ أهْلِ اليَمَنِ: رَئِيسُ الجُندِ»[3].

4- توظِيف اللَّهجاتِ لِضبْط رسمِ الألفاظِ:

مِن فوائد المعرفة بلغات العربِ ضبْطُ المفرداتِ بالرَّسمِ والشَّكلِ الصَّحيح، وقد وَعَى أطفِيَّش ذلِكَ، ويمكن أن نستشِفَّ منه هذَا مِن خِلالِ النَّموذجين التَّالِيِيْنِ:

قال: «"**الشُّؤُون**": جمْعُ شَأْنٍ، بهَمْزٍ سَاكِنَةٍ، إلَّا أنَّهُ قالَ: "ذَوِي شَان" بالأَلِفِ وهُوَ **لُغَةٌ**؛ فقد استَعْمَلَ[4] لُغَتَيْن: لغَةَ الْهَمْزِ إلَّا أنَّها فِي الْجَمْعِ، وهُوَ مُنْبَنٍ علَى الْمُفْرَدِ، ولُغَةَ الأَلِفِ خرُوجًا عَنْ سِنَادِ الرِّدفِ»[5].

يُلاحَظُ في النَّصِّ لجوءُ الشَّارِح إلى حقلِ اللُّغات؛ ليستشهدَ بِمعارفِهِ على اختيار النَّاظِمِ في ضبطِ مفرداتِهِ؛ فالنَّاظِمُ اختارَ لغةَ تحقِيق الهمزِ في كلمةِ "الشّؤون" التي على الجمعِ، ولكنَّهُ اختارَ في "شان" ضبطَها على التَّسهِيلِ خروجا عن سنادِ الرِّدفِ، وذلكَ من

---

(1) نقلَ أطفِيَّش قولا بالفرق بينَ (غاثه وأغاثه) قال: «وفرَّقَ بَعْضٌ بيْنَ أغَاثَه وغاثَهُ، فقَالَ: أَغَاثَهُ بالْهَمْزةِ بمعنَى أجابَ لهُ دُعَاءَهُ، وغَاثَهُ: أَمْطَرَ لهُ، وأغاثَهُ أعطَاهُ غَوْثًا، أيْ: مَطَرًا». ولم يعلِّق عليهِ، وهو قول ابن القطاع في كتابِهِ "تهذيب كتاب الأفعال" ينظر: 439/2.

(2) إجابة الدعوة [109ظ].

(3) (م، س) [152ظ].

(4) يدرِجُ الخلِيل بن أحمَد الجمع بين اللُّغات المختلفة ضِمن تصرُّفاتِ الشُّعراء التِي يجاوِزونَ بها نظام اللّغة العادِيّ، يقولُ:" الشعراء أمراء الكلام، يصرفونه أنى شاؤوا، وجاز لهم فيه ما لا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده، ومن تسهيل اللّفظِ وتعقيده، ومدّ مقصوره وقصر محدوده، والجمع بين لغاته، وترصِيف بين صلاته، واستخراج ما كلّت الألسن عن نعته، والأذهان عن فهمه. يبعدون القريب، ويقرّبون البعيد، يحتجّ بهم ولا يحتجّ عليهم". ربيع الأبرار، 210/5.

(5) (م، س) [93ظ].

عيوبِ القافية؛ إذ القصِيدة مبنِيَّة عليهِ. ويمكِنُ ردّ هذه المعرفةِ بالهمزِ وأشكالِهِ إلى انتِشارِ قراءةِ القرآن على قراءة ورشٍ في المغربِ الإسلامِيّ؛ إذْ يغلبُ على ورشٍ تسهِيلُ الهمزاتِ على خلافِ القراءات الأخرَى التِي تحقِّقها.

وفي نموذجٍ آخرَ قال «وَ"**الخَطَا**": ضِدُّ الإِصَابَةِ، وَأَلِفُهُ بَدَلٌ مِنَ الهَمْزَةِ؛ لِجَوازِ قَلْبِهَا فِي الآخِرِ أَلِفًا بَعْدَ فَتْحٍ، وَوَاوًا بَعْدَ ضَمٍّ، وَيَاءً بَعْدَ كَسْرٍ. أَوْ هُوَ **لُغَةُ** مَنْ يَقُولُ: الخَطَاءُ بِالمَدِّ؛ فَقَصَرَهُ لِلضَّرُورَةِ»[1].

وفي هذا النَّصِّ أيضًا يسجَّلُ لجوءِ الشَّارِحِ إلى معارِفه عن لغات العربِ؛ ليوجِّهَ بهِ ضبطَ المُفردةِ، وأورَدَ احتمال أنَّ الألف في "خطا" لغة، وقدْ وَرَدَ هذا عند "ابن منظور"، لكنْ دون أن يُشِيرَ إلى أنَّهُ لغة[2]، قال في لسان العرب «الخَطَأُ والخَطاءُ ضدُّ الصواب»[3] ويؤكِّد "الأستاذ عبد السَّلام هارون" ذلِكَ بقولِهِ «والجاحظ مولَعٌ باستعمالِ هذه اللُّغة»[4].

إذًا لقد كان للمعارفِ اللُّغوِيَّة إسهامٌ فِي توجِيهِ رَسْمِ المفرداتِ وتوضِيحِهِ، ولولا ذلِك ما استطاع الشّارِحُ حلَّ ما يُشكله من مسائِلَ.

خلاصَة:

لَم تكُنْ مسائل اختلاف اللّغاتِ منحصرة فِي ألفاظ أبيات القصِيدة، وإنَّما سعَى أطفيَّش إلى إظهارِ ذلِكَ حتَّى في نصوصٍ أخرى شَرحَهَا؛ كالأحادِيثِ النبوِيّة[5]، وهذا يظهِرُ

---

(1) إجابة الدعوة [9ظ].

(2) يلاحظ هذا كثِيرًا، فقد يذكر المعجم الاختلاف دون أن يُشِيرَ إلى أنَّهُ لغة، ولكنَّ ذلِكَ متضمَّن لمن عرَف أوجه اختلاف اللُّغاتِ.

(3) لسان العرب (خطأ).

(4) انظر: البرصان والعرجان، الجاحظ، ص32، هامش المحقق رقم: 1.

(5) من تلك النُّصوص ما نقلها نقلا حرفِيّا من مصادِرِهِ، وهذا يفِيدُ تبنِّيه لتلك التّحلِيلاتِ وتوافقها مع آرائِهِ. ينظر مثلا: إجابة الدعوة [146و].

أهمِّيَّة مثل هذه المعارِفِ من أجلِ معرفة مقاصِد الكلامِ، مِن خلالِ الوقوفِ على اختلافِ أداءاتهِ.

وَلَقدْ أعطَى أطفِيَّش لهذه المعارِف بعدًا وظِيفِيّا؛ اختلفت الغاية من إيرادِها: بين ضَبْطِ الرَّسمِ، وَبيان الخطأ في النُّطقِ، وتبرِير الضرورة الشَّعرِيَّة المرتكبة.

إنَّ أطفِيَّش لا يقفُ كثِيرا على اختلافِ اللُّغاتِ إلّا في بعضِ المواضِعِ، ويمكنُ ردُّ هذا إلى طبِيعةِ القصِيدةِ المشروحةِ؛ إذْ كانَ غرضها تسجِيلَ أحداثٍ تارِيخِيَّة؛ لغرَضِ مدحِ ذات رسول اللهِ ﷺ، وهذا لا يدعو النَّاظِمَ إلى إبداءِ اطِّلاعه على هذا الفرعِ مِن المعارِفِ اللُّغوِيَّة.

وَلا تقِفُ معالجة المفردات على هذا العنصُرِ، وإنَّما هناكَ عناصِر أخرَى مختلفة منها: ضبطُ رسم المفردة وشكلها.

المطلَب الثّالِث: طرق بيان معانِي المفردات:

إنَّ شَرْحَ دلالةِ الألفاظِ مرحلَةٌ مُهِمَّةٌ ومفصليَّة مِنْ مرَاحِلِ شرْحِ الأبيَاتِ الشِّعرِيَّة؛ إذْ عليْها يُبنَى الفهمُ الإجماليُّ للبَيْتِ. ولتأطِيرِ البحثِ في هذه القضِيَّة؛ فإنَّه ينبغِي وضعُ إشكالات أساسِيَّة يجابُ عليها في آخِرِ البحثِ، وعلى رأسِها: ما هي الطُّرق التِي يتَّبِعها الشَّارِح في بيان تلك المعانِي؟ ولِلْإجابةِ عن هذا الإشكالِ أتطرَّقُ إلى إشكالاتٍ فرعِيَّة تحدِّدُ مواصفاتِ هذه الشُّروح وطبِيعتَها، كما تنظرُ فِي سببِ تعدُّد طرقِ الشَّرحِ، وهل كان الشَّارِحُ يغلِّبُ طرِيقة على باقِي الطُّرُقِ؟ وهل كان يجمع أكثرَ من طرِيقةٍ في شرحِ مفردةٍ واحدةٍ؟ والدّواعِي المفضِيَة إلى كلِّ ذلكَ.

وَعلى إثرِ تلكَ الإشكالاتِ؛ فإنَّ الدِّراسة تفترِضُ أن تصِلَ إلى نتائج فحواها أنَّ أطفِيَّش كان يتَّبعُ منهجًا محدّدا يسِيرُ عليهِ في بيانِ دلالاتِ المفرداتِ؛ أيْ: إنّه لا يشرح المفردات اعتباطا، وإنَّما يخضعُ ذلِكَ عندهُ لقواعِد محدَّدة، تسعى الدِّراسة إلى كشفها، كما تفترضُ أيضا أن تكونَ للشّارِحِ إضافاتٌ على مستوى معانِي المفردات التِي يشرحها، سواءٌ التَّنبُّه لتأصِيلِ هذه المعانِي، أو استحداث المعانِي بالنَّظرِ إلى سياق الورودِ، وكذلِكَ إيجاد العلائق بين المفردات المختلفة، والتَّنبه إلى وجود فروق بين ما يعتقدُ فِيهِ التَّرادفُ.

وبِفضلِ عملِيَّة جَمعِ النُّصوص المتعلِّقة بشرح المفرداتِ وجدتُ أنَّ أطفِيَّش قد اِتَّبعَ في بيانِهِ لدلالات الألفاظ (الدِّلالة المعجمِيَّة، والدِّلالة السِّياقِيَّة) وشرحِهِ لمعانِيها، عدَّةَ آلِيَّاتٍ، وعليها قد صنَّفتُ تلكَ النُّصوصَ، وسأتَّبع في طرِيقة عرضِها المنهَج الآتِي:

أوَّلا: أعيِّنُ للآليّة اسما وعنوانا، ثمَّ أعقبهُ بتعرِيف مقتضبٍ يُحِيطُ بِمفهومِها وشيوعها لدى شُرّاح الألفاظِ سواء المعجمِيّين، أو شُرَّاح الشّعرِ.

ثانِيًا: أقدِّمُ نماذجَ من كتابِ "إجابة الدَّعوة"، معقِّبا عليْها بملاحظاتٍ تمسُّ هذه الآلِيَّة من حيث كثرةُ ورودها، وخصَائص استعمالِها.

1- شرح المفردة بالمرادف المطلَق:

يمثِّلُ مسلكُ الشَّرح بالمرادِفِ المطلَقِ أكثرَ الطّرُق المعتمدة في بيانِ معانِي المفرداتِ عند أطفِيَّش، والمقصودُ بهِ أن يلاقِي بين مفردتينِ مختلفتينِ في أداءِ معنىً مشترَك، لكنّ هذا المأخذ على سهولتهِ يفرِزُ مسائلَ أهمُّها: القَولُ بِالتّرادُفِ في اللُّغةِ، وإلغاءُ الفروق الدّلاليَّة بين المفردات المتقاربة، وستقدّمُ نماذج هذا المسلكِ سببَ لجوءِ أطفِيَّش إليهِ، وكيف استثمره لبلوغِ مقصد الشَّرحِ؟.

وَيَلْجَأ أطفِيَّش إلى استحضارِ المفردات الأكثر انتشارًا واستعمالا في مقابلِ المفردات المشروحة التِي قد يقلُّ تداولها، أو تكون غرِيبةً، ومن نماذج ذلِكَ قولُهُ: «"الطِّلاَ": بِكَسْرِ الطَّاءِ الخَمْرُ، وَهُوَ مَمْدُودٌ قُصِرَ لِلضَّرُورَةِ»[1]؛ إذِ المعتادُ في تسمِية السَّائل المسكِرِ أن يُذكَرَ بمفرَدَة "الخمر"، وما لفظُ "الطِّلاء" إلَّا تحسِينٌ لاسمِها رغم قبحِ عملها[2]، ويكتنِفُ ذلِكَ مراوغة لغوِيَّة لصرفِ الذّهنِ عن مسمّى الاسمِ المعروفِ بصفاتِهِ.

وممّا ميَّز هذا النَّوع من الشَّرحِ عند أطفِيّش أنَّهُ يقومُ باستبدالِ الكلمة المشروحة بالشَّارِحة؛ ليتحقَّقَ بذلِكَ من إيفائِها المعنَى المطلوبَ، ويبتغِي بذلِكَ إدخالها في سياق الكلمة الأولى، وقَدْ ألجأَ أطفِيَّش إلى هذا رَغبتُهُ في أن يظهِرَ للمتلقِّي سلامةَ أداءِ اللَّفظِ الجدِيد لِلْمَعنَى المطلوبِ الذِي كان يحمله اللَّفظ المستبدلُ بهِ، وذلِكَ بربطِ الكلمة الشّارِحة بوشائج الكلمات التِي كانَ اللَّفظُ الأوَّلُ مرتبِطًا بها، وإدخالِها فِي جوّها الذِي أخذتْ منهُ. ويدلُّ على هذا اقتِصارُهُ في مرّاتٍ عدِيدة على هذا الاسْتبدالِ دون الإقرارِ المباشرِ بِأنَّهُ يؤدِّي معنَى اللَّفظِ المستبدلِ بهِ، ومن نماذج ذلِكَ شرحهُ لكلمة "مختارِ" بـ "نخبة"[3] و"الأقصَى":

---

(1) إجابة الدعوة [4و].

(2) ينظر: لسان العرب (طلي).

(3) إجابة الدعوة [248و].

بـ"الأبعد"[1]؛ فهو ينهِي عمليَّة الشَّرحِ بِمجرَّدِ بيان المعنَى العامّ للبيتِ باستخدامِ هذه الخاصِيَّة للألفاظِ، وتركِ المتلقِّي يدرِكُ بنفسِهِ العلائقَ القائمة بينَ ألفاظِ الأبياتِ الأصلِيَّة، والألفاظِ المستحدثَة المشروح بهَا.

إنَّ هذه النّماذج المقدّمة لا تَدْعو إلى القولِ بإنَّ أطفِيَّش من المقرّينَ بالتَّرادف فِي اللُّغة، وإنَّما جنحَ إِلَى ذلِكَ؛ لغاية تعلِيمِيَّةٍ إبلاغِيَّة.

2- شرح المفردة بأكثرَ منِ مرادفٍ:

هذا شكلٌ آخَرُ مِن أشكالِ تعرِيفِ المفردة بمفردة أخرى؛ وهو أن يلجأ الشَّارِح إلى ذكرِ بيان معنى الكلمة بمفردتينِ أو أكثَر، تختلف العلاقة بين هذه المفرداتِ؛ فقد تكونُ علاقة ترادفٍ أو غيرها، كما سنلمَسُ ذلِكَ من خلالِ التَّحلِيلِ التّالِي.

إنَّ الأداةَ الرَّابطةَ التِي يستَعْملُها الشَّارح بَيْنَ هذهِ الألفاظِ توحِي بأنَّ العلاقة بينها علاقة مشاركةٍ في المعنَى أو اختيار بينَها، ولقد تردّدَ لديهِ توظِيف أداةِ الواوِ التي تدلُّ على مطلَقِ الرَّبطِ، في مقابلِ الأداة "أو" التِي تَدُلُّ على الاختيارِ، من ذلِكَ قوله: «"جنى": أفسد وتعدَّى»[2]، وقوله: «"تُقِيلُ": بِمَعْنَى تُسَامِحُ أَوْ تُبْعِدُ»[3]؛ إنَّ مطلَقَ الرَّبطِ عندهُ لا يعنِي التَّوافق التَّامّ في المعنَى، كما تمَّت الإشارةُ إليهِ في المسلَكِ السَّابقِ، فالمرادِفُ المطلَق منْتَفٍ في اللُّغةِ، وبذلِكَ يقرّبُ اللَّفظان معْنَى اللَّفظ المشروح بأخذِ سماتٍ دلالِيَّة مِن كليْهِما، كما يظْهَرُ في النّموذَج الأوَّل؛ إذْ أفادَ الرَّبطُ بَينَ الفعلين "أفسد وتعدَّى" أنّ الفعل "جنى" قد أخذ معناه من الفعلين مجموعينِ؛ فهو منافٍ للصَّلاحِ الذِي هو ضِدُّ الفسادِ، كما أنَّه تَعَدٍّ وتجاوزٌ لحدودِ الحرِّيَة الشَّخصِيَّة.

---

(1) إجابة الدعوة [248و] و[204و].

(2) إجابة الدعوة [1ظ].

(3) (م، س) [24ظ].

وعلى النَّموذج الثَّانِي يتبدَّى وَجهٌ آخر مِن العلاقة أشارَ إليهِ الشَّارِح بأداة الرّبطِ "أو" التِي تدلُّ على الاختيارِ دون الجمعِ؛ فالكلمتانِ "تسامح" و "تبعِدُ" ليستا من المترادفات؛ فهما من حقلين دلاليَّيْنِ مختلفيْنِ، ولكنَّ استعمالَ "تقِيل" في سياقِ البيتِ اقتضِى أن تأخذ من اللَّفظين بعضَ معانيهما[1].

ويبدو أنَّ تعداد الألفاظ الشَّارحة عائدٌ إلى السِّياق الذِي وردتْ فِيه الكلمة، فبعد أن يدرِكَ الشَّارح معناها الذِي وظِّفت لتدلَّ عليهِ؛ يحاوِل تقرِيبهُ للمتلقِّي بلفظةٍ واحدة، فيلفِي أنّها لا تؤدِّي المعنى المطلوبَ تمامًا، أو أنّها تؤدِّي جزءًا محدُودًا منهُ؛ فيلجأ إلى مفردةٍ أخرى يجبُرُ بها المعنَى النّاقِصَ ويتِمّ بها الإفهامَ.

3- شرح المفردة بالمرادف المخصّص:

وهذا النَّمطُ يحلُّ الإشكالاتِ القائمةَ على النَّمطين السّابقين، حيثُ يلجَأ إليه إذا تعذَّر إيجادُ مفرَدَةٍ واحدةٍ شارِحةٍ تحِيطُ بالمعنَى المقصودِ، كما قال أحد الباحثِين: «وهو الذِي لا يكتفِي بالكلمة المفردة في تعرِيف المدخل، بل يخصُّها بكلمة أخرَى تنسبها أو تصِفُها؛ أيْ: إنَّ تعرِيفَ المدخل يتِمُّ بكلمةٍ مخصّصة شارِحةٍ بصفة من الصِّفاتِ أو بمضافٍ إليهِ، أو بنسبةٍ عن طرِيقِ شِبْهِ الجُملَةِ»[2]. وبناءً على هذا التّعرِيف تناولتُ نصوصَ هذا المسلَكِ وَفق التّصنِيفِ الآتِي[3]:

---

(1) الإقالة تكون للبيِّعين، يفسخ العقد بينهما بطلبِ أحدهما: أقلنِي بيعتِي، أو لأصحاب الذّنوب بمعنى الصفح والمسامحة، أما الإبعادُ فقد أخذه الشَّارِح من سياق البيتِ، فقد ضمَّن "تقِيل" معنى الإبعاد لتعدِيتِهِ بالحرف "من".

(2) الدلالة المعجمِيَّة، ربيعة برباق، رسالة دكتوراه، ص300. نقلا من: تقنيات التعرِيف، حلام جيلالِي، ص120.

(3) يكونُ تخصِيصُ المفردة بأحد المخصِّصات الثَّلاثة: الإضافة الصَّفة والجار والمجرور، وهذا التَّصنِيف خاضِع للبنية الشَّكلِيَّة، إذْ إنَّ التَّداخل واقع بينها، فترى في الإضافة وصفا، كما ترَى في الجار والمجرورِ إضافةً، وسأشِيرُ إلى ذلِكَ خلالَ دراسة النَّماذجِ.

أ- التَّخصِيص بشبه الجملة (الجار والمجرور):

يدرَكُ تخصِيصُ المفردة بالجار والمجرور بِمعنَى حرفِ الجرِّ الموظَّف لهذا التَّخصِيص، فيكونُ في قولهِ: «"الكَيْدُ": الإِهْلَاكُ بِالحِيلَةِ»[1] مخصّصا بوسِيلته التي يؤدَّى بها؛ فلا يسمَّى "الإهلاكُ" "كيدا" إلّا إذا كان باستعمالِ الحِيلة والخدعة. ويكون فِي قولهِ: «"النَّشْرُ": البَعْثُ مِنَ القَبْرِ»[2] مخصَّصا بمكان ابتدائهِ؛ فلا يكون البعثُ نشرًا إلّا إذا كان من القبرِ حيثُ يرقد الإنسانُ الميت.

ب- التَّخصِيص بالمضافِ إليهِ:

تقومُ علاقةُ الإضافة بين المفردات بأداءِ عدَّة معانٍ، ليس المقام مقام تفصِيلِها[3]، والمقصود هنا ممّا تؤدِّيهِ مِنَ المعانِي: التَّخْصِيص، وهذا ما نلمسه في قولهِ: «"الوقر": ثقل السّمع»[4]، وقوله: «"التَّصبُّر": علاج الصّبر»[5]، فمِنْ خلالِ النَّموذجين تظهرُ وظِيفة التَّخصِيصِ التي تؤدِّيها علاقة الإضافة؛ فالوقر ليس أيّ سمعٍ، وإنَّما هو السَّمع الثَّقِيل؛ فَالشَّرحُ بمفردة لم يكن كافِيا لبيان المعنَى المقصودِ، لذلِكَ أضافَ الشَّارحُ تحدِيدًا دلالِيًّا بمضافٍ إليهِ، يخصُّ من مجموعِ هذا اللّفْظِ فئة معيَّنةً بخصائص دلالِيَّة؛ فالتَّصبُّر ليس كلُّ الصَّبر، وإنَّما هو الصَّبرُ الذِي فيهِ مزِيدُ مكابدة ومجاهدة.

---

(1) إجابة الدعوة [4ظ].

(2) (م، س) [63و]. يدخل هذا النَّموذج في إطار الألفاظ الإسلامِيَّة، وقد عقدتُ له مبحثًا خاصًّا لدراستهِ وإبرازِ المسائل المتعلِّقة بهِ.

(3) ستتمُّ معالجةُ علاقة الإضافةِ في المبَاحِثِ النّحوِيَّة، حيثُ قدّم أطفِيَّش خلالَ تحلِيلاتِهِ توضِيحاتٍ مهمّة لهذه العلاقة.

(4) (م، س) [5ظ].

(5) (م، س) [9و]. يندرِجُ هذا النَّموذج في إطار المعانِي المستفادة من الصِّيغة الصَّرفِيَّة للكلمات، وسيتمّ الحدِيث عن ذلِكَ في المبحث المخصَّصِ لهُ، والصِّيغة الصّرفِيَّة من أدوات تخصِيص معانِي المفرداتِ، كما يلاحظ في هذا النّموذجِ وغيرِهِ.

ج- التَّخصِيص بالصِّفة:

وأقصِد بهِ أن يقيِّدَ الشَّارِحُ المفردةَ الشَّارِحةَ بصفةٍ تَحُدُّ مجالَها الدّلالِيّ وتضيّق من دائرة استعمالِها داخل الدَّائرة الكبِيرة، وعلى ذلِكَ قوله: «"كربان": ...الكرب الشَّديد»[1]، وقوله: «"النَّجد": المكان المرتفع»[2].

إنَّ مسلكَ التَّعرِيفِ بالمفردةِ المخصَّصة أتاحَ للشَّارِحِ إبلاغَ المعانِي المقصودة للمفردات بالشَّكلِ المرادِ، دون السُّقوطِ فِي مطبَّاتِ المسلكين الأوَّلينِ الذينِ يمكِنُ أن يُوقِعا فِي الغموضِ ويقصِّرَا في تأدِية المعنى الصَّحِيحِ في بعضِ الحالاتِ.

ومِنْ حيْثُ حجم الاستعمالِ لَمْ يحُز هذا الشَّكل من الشَّرحِ مساحةً واسعةً بالمقارنة مع الشَّكلِ الأوَّلِ، وإنَّما كانت الحاجةُ تدعو إليهِ حين الوقوعِ فِي إشكالِ عدَم تأدِيَة المعنَى المقصودِ، والتّحرّز مِن اللّبْسِ.

ولقد تعدّدت آلِيّات التَّخصِيصِ في أداءِ المعانِي، وكان المرادُ منها كلَّ مرَّة تضْيِيقُ دائرة المدلولِ للحصولِ على المعنَى المرادِ بدقَّة أكبَر، من خلالِ إضافةِ صفاتٍ مميّزة لهُ، أو ربطه بِعلاقة الإضافةِ المفِيدةِ للتَّخصِيصِ، أو بحرفِ جرٍّ يحدُّ من معناهُ ويحشُرُه في زاوية معيّنة مِن حيثُ مصدرُهُ أو وسِيلتهُ، كما مرَّ ذلِكَ مِن خلالِ النَّماذجِ.

---

(1) إجابة الدعوة [9ظ]. نفسُ القولِ السّابق يشمل هذا النَّموذج الذِي تحدَّدت دلالتهُ بصِيغته الصَّرفِيَّة.

(2) (م، س) [1ظ].

4- شرح المفردة بتوظِيف الخاصِيَّة الاشتقاقِيَّة[1]:

يدخلُ الاشتقاق ضِمن الآلِيّات التي اعتمدها أطفِيَّش فِي بيان معانِي المفرداتِ، وَيظهَرُ هذا فِي ثلاثَةِ أوجُهٍ[2]؛ الأوّلُ: بيانُ الصِّيغة الصّرفِيَّة للمفردة، والثّانِي: بيانُ الأصل الاشتقاقِي، والثّالِثُ: بيان علّة التّسمِيةِ. وهذا الوجهُ سأفرده بالحدِيثِ في الآلِيّة التّالِية؛ لأهمّيتِهِ ولتكرُّرِ استعمالِهِ أكثرَ من الأوجهِ الأخرَى للبحث الاشتقاقِيّ.

ولقد كان الغالبُ على نصوصِ هذا المبحثِ بيانَ الشَّارِحِ للصِّيغة الصَّرفِيَّة للمفردةِ؛ كأنْ يقولَ: إنّها صِيغة مبالغة، أو إنَّها اسم فاعلٍ وهلمّ جرًّا، وليس المقامُ هنا لِلْحدِيثِ عن هذا الوجهِ أيضا، إذْ سأفرِدُهُ بالدِّراسةِ في مباحِثِ الدِّراسة الصَّرفِيَّة. وبقِيَ وَجهٌ آخَر لهذا المبحثِ، وهو بيان أصلِ الاشتقاقِ، وسيكونُ محطَّ الحدِيثِ.

تبرُزُ أهمّيَّة معرفة أصل الكلمةِ حِين الوقوعِ في إشكالِ توهُّم دلالةٍ للمفردةِ؛ وهيَ غيرُ المرادة، وصورُ هذا الإشكال تتعدّد بتوسُّع المعجم العربِيّ؛ من مثلِ: الاسم "حسَّان"، يُتوهَّم أنَّ أصله من "الحسن" وهو الجمال، لكنّ المعرفة بِأعرافِ العربِ في تسمِية أبنائِهِم يجعلنا ندرِكُ أنَّه مشتقٌّ من "الحسّ" وهو القتلُ. ومِنْ هذَا المنطلَقِ تردُّ نصوص هذا الشَّكلِ من الشَّرحِ؛ أيْ: إنَّ الشَّارِحَ يستهدِف الكلماتِ التِي يشَكِّلُ رسمها إشكالًا يوقعُ في التّوهُّمِ، ويبعِد عن المعنَى المرادِ؛ كقولِهِ: «وثُلَاثِيُّ "**أضَاعَ**": ضَاعَ يضُوعُ؛ أيْ: ظَهَرَتْ رائِحَتُهُ»[3]. فالكلمة "أضاعَ" قد يتوهّم اشتقاقها من الضّياع، ذِي الأصل اليائِي المفِيد لِلإهمال والهلاك،

---

(1) هذا النَّوع من الشَّرح يشمل كلَّ تفسِيرٍ للألفاظ يُعنَى باشتقاقِها أو بيانِ أصلِها والعلاقة التِي تربِطُ الكلمة بالمشتقات الأخرَى من نفسِ الجذرِ، ويسمِّيه بعضٌ التّفسير الاشتقاقِي، وهو ظاهرة لها ارتباطها بدلالَةِ المفردات وأصول المعانِي. التفسير الاشتقاقِي لدلالة مفردات تأويل مشكل القرآن، خليفة فاطمة الزهراء، رسالة ماجستِير، ص5.

وقد وظَّفَ المعجمِيُّون الصِّيغ الصَّرفِيَّة لإثباتِ أصول اللَّفظِ عند ترتِيبِ المادَّة المعجمِيَّة، فكانت الصِّناعة الصَّرفِيَّة بالنِّسبة للمعجمِيِّين الوسيلة المُثْلَى والأساسِيَّة للصِّناعة المعجمِيَّة. معالم المنهج اللُّغوِي في شرح الحدِيث النبوِي عند الإمام العينِي، ابن يوسف شتيح، دكتوراه، ص 131.

(2) تدخلُ هذه الآلِيّة ضِمن مباحِثِ الصَّرفِ، وما سأذكرُهُ هنا يلامِسُ مباشرة معانِي المفرداتِ، لأدعَ ما يُعنَى بِقوانِينِ الاشتقاقِ للمبحث المخصّصِ لِلصّرفِ.

(3) إجابة الدعوة [111ظ].

ولكنّ سياقَ ذكرِ المفردةِ ينبّهُ إلَى إرادة معنًى آخَرَ مِن ضاعت الرّائحة؛ أيْ: نَفَحَتْ. إنَّ الإدراكَ الصّحِيحَ للْأصلِ الذِي اشتقّت منه الكلمةُ يكْسِبُ عملِيَّة الشَّرحِ المصداقِيَّة العلمِيَّةَ، ويقِي مِن الوقوعِ فِي المعانِي غيرِ المقصودةِ من الكلامِ.

ويعزّزُ هذا القولَ مظهرٌ آخَرُ برزَ خلالَ نصوصِ الشَّرحِ، وهو أن يذكُرَ الشَّارِحُ أكثرَ مِن أَصلٍ يُردُّ إلَيْهِ اشتقاقُ الكلمةِ؛ مِن ذلِكَ قولُهُ: «"**الوَرَى**": الخَلْقُ أو بَنُو آدَم، أَو الثَّقَلانِ، مِنْ **وَرِيَ** الزِّنْد أَخْرَجَ نَارَهُ كَذلِكَ مَا سِوَى اللهِ أُخْرِجَ مِنَ العَدَمِ إلَى الوُجُودِ، أَوْ مِنْ **وَارَاه** يُوَارِيهِ، سَتَرَهُ وأَخْفَاهُ، وكَانُوا مَسْتُورِينَ بِالعَدَمِ، ويَعُودونَ إِلَيْهِ، أَوْ مِن **وَرَاءَ** بِمَعْنَى خَلْفَ؛ لِأَنَّ بَعْضًا يُوجَدُ خَلْفَ بَعْضٍ»[1]. إنَّ رَدَّ اشتقاقِ الكلمةِ إلى هذِهِ الأصولِ الثَّلاثةِ لا يهدِفُ فقط إلى معرفَةِ أصْلِ المفرَدَةِ، وإنَّما يسعَى أيْضًا نحوَ معرفة الأصلِ المعنوِيّ الذِي يربِطُ بين المفردةِ ومادّتِها الأصلِيَّةِ، وبذلِكَ يُدركُ معنَى المفردةِ بالوجهِ الذِي وُضعتْ عليهِ عند أهلِهَا.

5- شرح المفردة ببيان علَّة التَّسمِية:

تحمِلُ التّعلِيلات التِي قدّمها أطفِيَّش لألفاظ القصِيدة المدنِيّة، وغيرِها من النُّصوصِ، رغبةً فِي إضاءةِ هذه الزّاوِية مِن البحثِ الدّلالِيّ؛ فهو يعتبِرُ علّة التّسمِيَةِ وَجْهًا مِن أوجهِ المعرِفة الدّقِيقة بالألفاظِ، ومطلَبا يختصِرُ الكلفة المعرفِيَّة؛ ليدرِكَ المتلقِّي المعنَى المقصودَ دون التباسٍ بغيرِهِ؛ فقولُهُ: «وإِنَّما لُقِّبَ مُوسَى كَلِيمًا، ولَمْ يُلَقَّبْ هُوَ ﷺ كَلِيمًا؛ لِأَنَّ وَجْهَ التَّسْمِيَةِ لا يُوجِبُها، قالَ العَضُدُ[2] والسَّعْدُ[3]: لا يَلْزَمُ فِي كُلِّ مَنْ قَامَ بِهِ الوَصْفُ أنْ يُشْتَقَّ مِنْهُ لَهُ اسْمٌ، فلَا يَلْزَمُ تَسْمِيَةُ كُلِّ ما يَسْتَقِرُّ فِيه الشَّيْءُ كالإِبْرِيقِ والخَابِيَةِ والبِيرِ والدَّارِ قارُورَةً، ولَا يَجِبُ الاشْتِقاقُ إِلَّا حَيْثُ لَا تَمْيِيزَ إِلَّا بِهِ، ولَا واجِبَ علَى اللهِ جَلَّ وعَلَا»[4] يظهِرُ

(1) إجابة الدعوة [39ظ] و [40و].

(2) عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار الإيجي، الشيرازي، الشافعي، (عضد الدين) صاحب الرسالة العضدية في الوضع.

(3) مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (سعد الدين) صاحِب حاشية على الكشاف للزمخشري في التفسير.

(4) إجابة الدعوة [66و].

توجِيها نظرِيّا عن هذه الآلِيّة؛ فعلّة التّسمِية لا تتحقّقُ في اللّفظِ بمجرّد النّظر والرّبط العقلِيّ بين العلّة واللّفظِ، وإنّما ذلِكَ يُسمع عن العربِ ويعرفُ عنهُم، وقولُهُ: «والْعَرَبُ تُسَمِّي الرَّجُلَ الْمُستَجْمِعَ لِلسِّنِّ غُلَامًا، مَا دَامَتْ فِيهِ بَقِيَّةٌ مِنَ الْقُوَّةِ فِي الْكُهُولَةِ؛ فذَلِكَ مَدْحٌ لَهُ بِقُوَّةِ الشَّبَابِ مَعَ سِنِّهِ، بِفَضْلِ اللهِ»[1] يؤَكِّدُ اعتدادهُ بهذه القاعدة.

ومِنَ العلَلِ التِي رَدَّ إلَيْهَا أطفِيَّش إطلاقَ بعضِ الألفاظِ: التّسمية بعلاقة خارجِيَّة، والتّسمية بماهية الشَّيْءِ، وتقدِّم النّماذج التّالِية تطبِيقاتٍ لذلِك.

أ- تعليل التَّسمِية بعلاقةٍ خارجِيَّة:

قد يُسَمّى الشّيءُ باسمِ شيْءٍ آخَر لما يجمعهما مِن علاقة دلالِيَّة، وقد تكونُ تلك العلاقة علاقة مشابهة أو غيرها، وذلِكَ الشَّبه قد يكون في صفةٍ أو أكثرَ، وممّا وقعَ مِنْ ذلِك قول الشَّارِحِ: «"**العَانِي**": الأَسِيرُ أَسَرَهُ الشَّيْطَانُ بِالذُّنُوبِ، وَإِصْرَارِهِ عَلَيْهَا، وَسُمِّيَ الأَسِيرُ عَانِيًا؛ لِأَنَّهُ **عَارِضٌ وَحَادِثٌ** فِيمَنْ أَسَرُوهُ»[2]. فيلاحظُ في هذا النَّصّ بحثُ الشَّارِحِ للعلاقة الدَّلالِيَّة الرّابِطة بين لفظَي "العانِي" و"الأسِير"، وهذا لأجْلِ تقرِيبِ معنَى اللَّفظِ المشروحِ للمتلقِّي، وتحصِيلِ الدَّلالة المقصودةِ، إذ المألوفُ تسمية من وَقعَ فِي أيدِي العدوِّ إثرَ حربٍ أو غزوٍ بالأسِيرِ، جاءَ في لسان العرب عن ابن سيده، قال: «ومنه قول النّبِيّ ﷺ: ((عُودُوا المَرْضى وفُكُّوا العانيَ))[3] يعني الأسيرَ، ولا أراه مأْخُوذًا إلا مِن الذُّلّ والخُضُوع، وكلُّ مَن ذَلَّ واسْتَكان وخَضَعَ فقد عَنَا»[4]. فوَجْه الشَّبه بين الأسِير والعانِي، أوضحه ابن سيده بِـ(الذُّل والخضوع) يوضِحُ سَبَبَ تسمِيَة العانِي بالأَسِيرِ. لكن ما أشارَ إليهِ أطفِيَّش من أنَّ سببَ التَّسمِية هو الحدوث، وأنّهُ عارِضٌ لا أصْلٌ، فهذا لم أقِفْ علَيْهِ، وقد يقوّيه أنَّ

(1) إجابة الدّعوة [229و].

(2) (م، س) [2و].

(3) مصنف عبد الرزاق، حدِيث (6763).

(4) لسان العرب (عنا).

الأسْرَ ليسَ إلّا أمرا حادِثا جدِيدا على الأسِيرِ؛ إذْ لا يصْدُقُ هذا الوَصفُ على أيِّ إنسانٍ إلّا في حادِثة الحربِ والاجتياحِ.

لقد كان هذا الشَّكل من تعلِيل التَّسمِية الغالِبَ على النُّصوصِ التِي جمعتها. وإن كانت علاقة المشابهة هي العلاقة الغالِبة التِي يردّ إليها التّسمِية[1]، فلم تخلُ النُّصوصُ من العلاقات الأخرَى كالسَّبَبِيَّة[2]، والإطلاق[3].

ب- تعليل التَّسمِية بماهية الشَّيْءِ:

هذا الشَّكل مِن التَّعلِيل هو المقصودُ بقولِهم: إنّ تعليل الأسماء قسم من علم الاشتقاقِ؛ إذْ يرنو إلى اكتشافِ سببِ تسمية الشَّيءِ بالنَّظرِ إلى ماهيتِهِ، خاصَّةً صفاتهِ المميّزة؛ إذ الغالِبُ على هذا الصّنفِ أن يسمَّى الشَّيءُ بصفة مميّزة له؛ كقولهم الأحنف، سُمِّي لحنفٍ كان بِرجليهِ[4]، والغائِطُ من الأرضِ هو المنخفِضُ منها، أو بِهيئتِه أو أثرِهِ أو مصدرِهِ.

ومن ذلِكَ قول الشّارِحِ «"الحِمَى": هُنا الْمَوْضِعُ المُجَاوِرُ لِقَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ؛ لِأَنَّهُ مَمْنُوعٌ مِنَ الجفَاءِ فيهِ والتَّهاوُنِ وتَرْكِ الِاحْتِرَامِ، أَوْ لِأَنَّهُ مانِعٌ مِنَ النَّارِ مَن يَقِفُ متَوَسِّلًا فيهِ إِلَى اللهِ عزَّ وجَلَّ بِنَبِيئِهِ ﷺ»[5]. لقد اكتسَب الموضع المجاوِرُ لقبرِ النَّبيءِ ﷺ اسم "الحمَى" لما فِيهِ من حمايةٍ للرَّسول ﷺ؛ معنوِيَّة وحسِّيَّة، فيمنع فِيه من تقلِيل الاحترام والتَّهاوُن، وكما أنَّه من جهةٍ أخرَى يحمِي من يلجأ إليهِ متوسِّلًا مِن الوقوعِ في نارِ جهنَّمَ.

---

(1) ينظر مثلا: إجابة الدعوة [4و].

(2) ينظر مثلا: (م، س) [3و].

(3) ينظر مثلا: (م، س) [3ظ].

(4) غريب الحدِيث، الحربي، 293/1.

(5) إجابة الدعوة [39ظ].

والملاحظ على نصوصِ هذا الشَّكلِ، أنّ الشَّارِحَ قصدَ بيانَ هذه الدّلالةِ قصدًا، وأولاها اهتمامًا، بِدليلِ أنَّهُ يعدِّدُ أسبابَ هذه التَّسمية من وجوهٍ مختلفة؛ فلَمْ يَمُرَّ عليها مرورًا كرِيما، كما أنَّه قد خصَّ بذلِكَ كلماتٍ معيَّنةً من حقلِ المعانِي الشَّرعِيَّة، مسايَرةً لمعانِي القصِيدة المشروحةِ، وتماشيا مع سِياقِها العامِّ الذِي يبغِي زرعَ بعض القِيمِ الخلقِيَّة والنَّفسِيَّة لدى المتلقِّين.

ولقد استعملَ أطفِيَّش في نصوصِه التِي يبيِّنُ فِيها التَّعلِيلاتِ السَّابقة عبارات دالَّةً على هذا المقصدِ، مِنْها: "باعتبار"، و"لأنّه"، و"تَسْمِيَةً لِلشَّيْءِ بِ"، وهذه العبارات على اختلافِها تدلّ على إرادة تحصِيلِ هذا النَّوعِ مِن الدَّلالةِ، كما تدلُّ على وَعيٍ بأهمِّيَّة الوقوفِ على مثلِ هذه التَّعلِيلاتِ.

فلا يمثّل الوجهان المقدّمانِ كلَّ أوجه التّسمية فِي المعجم العربِيّ، ولكنّهما يقدّمانِ صورةً عن اهتمامِ أطفِيَّش بهذا التّدقِيقِ، وربَّما هذا عائِدٌ إلى طبِيعةِ ألفاظ القصِيدة المشروحة التي لا تستدعِي توسِيعَ النَّظرِ في العلاقات الدَّلالِيَّة، أو إلى منهجِ الشَّارِحِ الذي يقتَصِرُ على ألفاظ معيَّنة يَقَعُ عليها الاهتمامُ والعِناية، ممّا أدَّى إلى قلوصِ النُّصوصِ بذاتها، وبالتّالِي تقلُّص عدد التَّعلِيلاتِ.

وأخِيرًا: لقد حقّقت هذه الآليّات رغبةَ الشّارِحِ فِي تثبِيتِ معانِي ألفاظِ القصِيدة وغيرها من النُّصوصِ، بدفعِ الدّلالات غير المقصودةِ، وصرفِ الذّهنِ عمّا يلتبِسُ بالمطلوبِ.

إنَّ تنوّعَ آليات الشَّرحِ راجعٌ إلى طبِيعةِ الألفاظِ نفسِها، وإلى اعتبارِ مقاماتِ المتلقِّينَ، واختلافِ مدارِكِهم. وتقدّمُ هذه الآلِيّات توجِيها للجهدِ، وتخفِيضًا للكلفة المعرِفِيَّة؛ لبلوغ المطلوبِ بمناسبة الآليّة مع اللّفظِ المشروحِ.

المطلب الرّابع: دراسة الألفاظ في ضوء المفاهيم الدّلاليّة

تقتضِي مُعالجةُ المفردةِ في الشَّرحِ الوصولَ إلى غايةِ إدراكِ معانِيها التي يبتغِي صاحِبُ النَّصِّ إبلاغها إلى المتَلَقِّينَ، وهذا كانَ هدف الشُّرّاح في كلِّ النُّصوصِ بأشكالِها. ويشترِكُ معظم الشُّرَّاحِ فِي بَحثِ دلالة الألفاظِ؛ لذلكَ كانت آليات الشَّرحِ عندهم مشتركة، مع مراعاة خصوصِيَّات كلِّ نصٍّ.

ومن بينِ الظَّواهِرِ المشتركة بين هؤلاءِ الشُّرَّاحِ، حدِيثهم وتوظِيفهم لمفاهِيم؛ كالمطلق والظَّاهِرِ والمشتركِ والمترادِف، وكلُّ ذلِكَ أشكالٌ لتجلِّيات الدَّلالة في الألفاظِ اللُّغوِيَّة، مهما كان مبلغ النَّصِّ ونوعه.

وسأقِفُ فيما يلِي على بعضٍ من هذه الظَّواهِر التي برز توظِيفُها عندَ أطفِيَّش، خلالَ شرحِهِ لأبياتِ القصِيدة المدنِيَّة، مناقِشا المسائِل التِي طرحتها، وباحثا عمّا ميَّز حضورَهَا في ثنايا الشَّرحِ.

1- الظَّاهِر:

دِلالةُ الظَّاهِرِ من المفاهيم الدلالِيَّة التي يعتمدها أطفِيَّش في سبِيلِ تحدِيد معانِي ألفاظ القصِيدة المدنيّة، وغيرِها من النُّصوصِ. والدّلالة الظّاهرة هِي التِي تفهم من اللّفظِ مباشرة دون لجوءٍ إلى وسائل التّأوِيلِ لتحصِيلها؛ كالمجازِ وأدواتِهِ[1]. ومن خلالِ هذا التَّعرِيفِ؛ فإنّ الوقوف على هذه الدّلالة يُثِيرُ مسائلَ منها: هلْ يحتملُ اللّفظ دلالةً غيرَ دلالتِهِ الظّاهرة، ومتَى تكون هذه الدّلالة هي المقصودة في النّصِّ، وهل يجوزُ إرادة عدّة دلالات مختلفة للّفظِ في نفسِ النَّصِّ؟.

ينبغِي أن أشِير فِي البدايةِ إلى أنَّ استعمالَ مصطلح "الظَّاهِرِ" عندَ أطفِيَّش فِي شرحِهِ،

(1) استنبطت التّعرِيف من تطبِيقات أطفِيَّش في الكتاب، وإلّا فدلالة الظّاهر في المصطلح الأصولي (الذِي أخذَ منهُ أطفِيَّش المصْطلَح) تكون فِي مقابل المؤوّل.

يتأَرْجَح بين الدَّلالة الاصطِلاحِيَّة والدَّلالة اللُّغوِيَّة؛ فمن الأخِيرةِ قوله: «ومُقْتَضَى الظَّاهِرِ أنْ يقُولَ: يَفِي بِهَا»[1]، وقوله: «والظَّاهِرُ أَيْضًا أنَّ بَغِيضًا كَاسمِهِ، ماتَ كَافِرًا»[2]، ومثلُ هذه الاستعمالاتِ غيرُ معنِيّةٍ في هذه الدِّراسة؛ لأنَّهُ ليسَ فِيها قصدٌ لبيانِ معنَى لفظٍ في مقابلِ دلالاتهِ الأخرَى الممكنة، وإنَّما يعنِي وُضوحَ دلالة من الدّلالاتِ هكذا عمومًا. والمقصود في هذه الدِّراسة النُّصوص التِي توظِّفُ المصطلحَ في بيانِ وَجْهِ الدّلالة الحاصِلة مِن اللَّفظِ في مقابِلِ الدّلالات الأخرى التِي قدْ يتحمّلُهَا اللّفظُ.

كَمَا أنّه يوظِّف هذا المصطلحَ أيضًا في بيانِ معانِي الأدوات النَّحوِيَّة، وبالخصوصِ حروف الجرِّ من مثل قولِه: «وَ"فِي": عَلَى ظَاهِرِهَا»[3]، أي في دلالتِها على الظَّرفِيَّة، ومثلُ هذه النُّصوص سأتطرّقُ إليها في مبحثِ دراسة الأدوات. إذنْ إنَّ لِهذا المصطلحِ توظِيفاتٍ عدّةً، نختارُ منها ما يختصُّ بدلالةِ الألفاظِ.

وعلى احتمالِ تعدُّد الدّلالة، يدعو أطفِيَّش إلى التزامِ دلالة الظّاهِرِ في النَّصِّ المشروحِ عَلَى وجهَيْنِ؛ وجه تكون فِيه الدّلالة احتماليَّة، أي إنَّهُ يَجُوزُ حمل اللَّفظِ عليها في النَّصِّ، ووجْهٍ لا يمكِنُ حمل اللَّفظِ إلّا عليها؛ فتكون دلالة راجِحة، وعلى هذا التَّقسِيمِ قد صنَّفتُ النُّصوصَ، ويجتمع القِسْمانِ على أنَّ الوقوفَ على هذه الدّلالة ضرورِيٌّ مِن أجلِ معرفة المعنَى المرادِ، سواء كان احتماليّا أو راجِحا، ومن خلال نماذج تطبِيقِيَّة مِنْ هذِهِ النُّصوصِ سَيتبيَّنُ منهج أطفِيَّش في تعاملهِ مع هذا المفْهومِ.

---

(1) إجابة الدعوة [24ظ].

(2) (م، س) [192و].

(3) (م، س) [3ظ].

- **ترجيحُ دلالة الظّاهِرِ:**

يلتزِمُ أطفِيَّش في شرحِ بعضِ النُّصوصِ دلالة الظّاهِرِ، ولا يجِيزُ تجاوزَها إلّا لمقتضياتٍ كما تبيّنه النّماذجُ التّالِية[1]، قال: «والمُرَادُ بقَوْلِهِ: "مَا **زِلْتَ**"...إلَخ: ما زالَ **بعْدَ** أنْ جَعَلهُ اللهُ فِي أَجْسَامِ الآباءِ؛ لِاخْتِصَاصِ اللهِ بالْأَزَلِيَّةِ، وهذَا **ظَاهِرٌ** لِأَنَّهُ **قالَ: بِأَطْهَرِ أَصْلَاب**»[2]. إنَّ حدَّ زمانِ الفعلِ "ما زِلتَ" بأنّه بعدَ استقرارِ رسولِ اللهِ ﷺ في أصلابِ أجدادِهِ، لا أنّهُ ممتَدٌّ في الأَزلِيَّة غير محدودٍ، دلالةٌ ظاهرةٌ كما سمّاها أطفِيَّش، استدلَّ عليها بدلِيلينِ؛ أنَّ الله هو المختصُّ بالأزلِيَّة[3]، وكما أنَّ النَّاظِمَ نفسَهُ، قدْ نصَّ على هذا الحدِّ بقولِه: "بأطهرِ أصلاب"؛ فالتزامُ هذه الدّلالة مستنِدٌ إلى دلِيل المعارف الشّرعِيَّة، وإلى النّصّ نفسهِ.

وفِي نصٍّ آخرَ قالَ أطفِيَّش: «((عن العبَّاسِ بنِ عبْدِ المطَّلِبِ قُلْتُ: يا رسُولَ اللهِ، دَعَانِي إلَى الدُّخولِ في دِينِكَ أمارَةٌ لنبُوءَتِكَ، رأَيْتُكَ في المَهْدِ تُنَاغِي القَمَرَ، وتُشِيرُ إلَيْهِ بإصبَعيْكَ، **فحيثُ** أَشَرْت إليهِ يمِيلُ)) **وظاهرهُ** أنَّ **حيثُ مكانيَّةٌ**، وهُوَ جائِزٌ معْنىً هُنَا، لَا كما قِيلَ إنَّها هنَا لِلزَّمانِ»[4]. إنّ حملَ الظَّرفِ "حيثُ" على الزّمانيّة أو المكانِيَّة يعودُ إلى سياقِ توظِيفِهِ، وعلى هذا منعَ الشَّارحُ حملَها على دلالةِ الزّمانِ، فالفعلُ يمِيلُ يدلُّ على تحدِيد مكانِ ميلِ القمرِ، إذْ يناغِيهِ رسولُ اللهِ ﷺ.

- **احتماليَّة دلالَة الظّاهِر:**

يُجِيزُ أطفِيّش في بعضِ النُّصوصِ، إرادة المعنَى الظّاهِرِ (الحقِيقة) مِن اللَّفظِ، في مقابلِ المعانِي المجازِيَّة، ويضْبِطُ ذلِكَ بِالأدلّة المحقِّقَة لهذا المعنَى. وفي العادة يستنِدُ إلى أدلّة مقامِيّة، كما يلاحَظ ذلِكَ في شرحِ لفظتَيْ "باتَ" و"خشِيتُ"، قال: «**ويجوزُ** أَنْ يكُونَ

(1) ينظر أيضا: إجابة الدعوة [232ظ] و[249ظ].

(2) (م، س) [93ظ].

(3) تدخل هذه الدّلالة ضِمن الدّلالات الشّرعِيَّة، وسأتناوله بالبيان فِيما يأتِي.

(4) (م، س) [162ظ].

"باتَ" علَى **ظاهرِهِ**؛ بأَنْ **يكون وقتُ مُنَاجَاتِهِ لَيْلًا**، إذْ هُوَ **وقْتُ الإجابةِ**، وعلَى كلِّ حالٍ المرادُ المناجاةُ في الدُّنيَا؛ لأنَّهُ **لمَّا أَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ لَمْ يَبْقَ في الجنَّةِ**»[1]. تحقّق معنَى الفعلِ "باتَ" الذِي يدلُّ على وقوع الحدثِ في زمنٍ من اللّيلِ وليسَ فِي غيرِهِ، وقد دلَّ على هذا استنادًا إلى أدلَّة مقاميَّة؛ وهِي أنَّ آدم عليه السلام لم يبقَ في الجنّة بعد أن أكل من الشَّجرة، فمناجاتهُ لطلبِ المغفِرة تكون في العادةِ في وقتِ اللّيلِ، حيثُ الهدوء والسّكون.

قالَ: «وفي قَوْلِهِ: ((**خَشِيتُ علَى نَفْسِي**)) **إِشْكَالٌ** فقَالَ أبُو بَكْر أَحْمَدُ بنُ إِبْرَاهِيمَ الإِسْمَاعِيلِي الجُرْجَانِي: هُوَ عَلَى **ظَاهِرِهِ** ولَا ضَيْرَ فِيهِ؛ لِجَوَازِ أنَّ هذِهِ الخَشْيَةَ قَبْلَ أنْ يَحْصُلَ لَهُ العِلْمُ الضَّروريُّ بِأَنَّ الذِي جَاءَهُ مَلَكٌ مِن عنْدِ اللهِ، **وأَشَقُّ** شَيْءٍ علَيْهِ أنْ يُقَالَ مَجْنُونٌ، **يَكْرَهُ** ذلِكَ في نفسِهِ ولمَّا يقُولُوهُ وسيقُولُونهُ إذا دعَاهُم إلى الإيمانِ، **أو** عَلِمَ بنُورٍ أوْدَعَهُ اللهُ في قلبِهِ أنَّهُ يُقالُ علَيْهِ بَعْدُ»[2]. يستشكلُ الشَّارِحُ وقوعَ الخشية في قلب النَّبِيءِ ﷺ على نفسِهِ بوقوعِهِ فِي الجنونِ، إعمالًا لدلالة الاقتِضاء؛ إذ يطلبُ الفعل "خشِيت" مفعولًا بهِ دلَّ عليهِ المقامُ، بسببِ هَوْلِ ما رآهُ مِن الأحوالِ التي لم يعتَدْ عليها، ولم يستَطِعْ عقلهُ ولا قلبهُ استيعابَها، ولكِنّهُ رَجّحَ إرادةَ هذا المعنَى الظّاهِرِ مِن اللَّفظِ بافتراضِ أنَّ ذلِك وقع لهُ قبلَ حصولِ المعرفة الضّرورِيَّة بجبرِيلَ، وما يكتنِفُ حدثَ نزولِ الوحيِ من أحوالٍ وأهوالٍ.

على هذين النَّموذجين يتحصَّل ضابِطٌ مفادهُ أنّ معرِفة دلالة ظاهِرِ اللَّفظِ أساسِيَّةٌ لمعرفة الدّلالة المقصودة خلالَ النَّصِّ، فلا يعدَلُ عنها إلّا لدلِيلٍ يرجّحُ عدمَ إرادتِها، وينظرُ أيضا في أحوالِ وقرائنِ حدوث الكلامِ لئلّا يصرَف عن هذه الدّلالةِ لِرأيٍ غيرِ مبنِيٍّ على الإحاطةِ بِقرائن الحال.

إنَّ نقلَ هذا المفهوم من البيئة الأصولِيَّة الفقْهِيَّة التِي تتعاملُ مع نصوص الوحيِ المقرّرة

---

(1) إجابة الدعوة [77و] و[77ظ].

(2) (م، س) [148و] و[148ظ].

للأحكام الفقهِيَّة إلى البيئة اللُّغوِيَّة التِي تعالجُ النُّصوص الإبداعِيَّة لمْ تجعلِ الشَّارِحَ ينسلِخُ تمامًا عن هذا الاختصاصِ، فممّا سجّلته على نصوصِ دلالة الظّاهِر، أنّ أطفِيَّش يستعِينُ بهذِهِ الدّلالةِ على تحقِيقِ أحكامٍ فقهِيَّة يشملُها الخلافُ وتتعدّد فِيها الأدلّة، وهذا على أنَّ هذا المفهوم لم يسجِّلْ حضورَهُ في الكتابِ على شرحِ أبياتِ القصِيدة فقطْ، وإنَّما طالَ أيضا نصوصَ القرآنِ والحدِيثِ. فمن ذلِكَ قولُهُ: «ولَعَلَّهُم تَحَوَّلوا **لِظاهِرِ** وجُوبِ الاِمْتِثالِ علَى أَنَّهُ إِنْ قالَ لَهُم النَّبِيءُ ﷺ أعِيدُوا، أَعَادُوا»[1]. أشكلَ فعل الأمرِ "استقبلوا" في النَّصِّ لداعِي أن تعادَ الصَّلاة كاملةً بعدَ الاِستقبالِ أو يكتفَى بتحوِيل الاِتِّجاهِ نحو القبلَةِ الجدِيدة، لكِنْ رجَّح الشَّارِحُ أنَّ الاستقبالَ يكونُ ضِمْنَ الصّلاةِ نفسِهَا دون إعادتِها، لظاهر الفعلِ الدّالِ على الأمرِ بذلِكَ، وعلى هذا افْتَرضَ لو أنَّه قِيلَ: أعِيدوا لأعادوا الصَّلاةَ، عملًا أيضًا بِدلالة الظَّاهِرِ.

لقد غلبَ فِي النّصوصِ جوازُ الحَمْلِ على دلالة الظّاهِر بالمقارنةِ معَ وجوبِ الحملِ عليها، ويمكِنُ ردُّ هذا إلى أمرينِ: الأوَّل قصدُ الشَّارِحِ إلى الكلماتِ التِي يشكِلُ فِيها الحملُ على الدّلالة الظّاهرة، فيقْتَضِي علَيْهِ حِينها النَّظرُ في غيرِها التِي تحلُّ هذا الإشكالِ، والأمر الثَّانِي رغبتهُ فِي تحصِيلِ أكبرِ قدرٍ من الدّلالات الممكنة للألفاظِ حسبَ سِياقِ النَّصِّ.

يعتبِرُ أطفِيّش دلالة الظّاهر أصلِيَّة في حملِ اللَّفظِ عليها، فلا يمكن العدولُ عنها إلّا لدلِيلٍ. ولذلِكَ يجعلها دلالة مقصودة ولو احتمالًا، وإن أظهر السِّياقُ عدمَ احتمالِ غيرِها لانتفاءِ الدَّلِيلِ نصَّ على ذلِكَ.

(1) إجابة الدّعوة [159و]. هذا شرح على الحدِيثِ: ((بَيْنَا النَّاسُ بِقُبَاءَ)) أيْ: في مسْجِدِ قُباءَ ولَفْظُ مُسْلِم: ((وَ[159و] فِي صَلَاةِ الغَدَاةِ إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ فقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الكَعْبَةَ فاسْتَقْبِلُوهَا، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّامِ فاسْتَدَارُوا إِلَى الْكَعْبَةِ)).

2- التَّضمِين:

التَّضمِينُ من الظَّواهر الدَّلالِيَّة التِي وظَّفَها أطفِيَّش في شرح المفرداتِ؛ وهو أن يُشرَب لفظٌ معنَى لفظٍ آخَرَ، وفائدتهُ أن يؤدّى المعنيانِ بِكلمةٍ واحدة.

لقَد دَرَجَ الشَّارِحُ على منوالِ الظّواهِرِ الدّلالِيّة، بالنَّظرِ الحثِيثِ إلَى المعانِي الممكنة التِي تتحملّها الألفاظُ بسياقِ النّصِّ، وعلى هذا برزَ مفهوم التَّضمِينِ؛ ليكون وسِيلةً لتوضِيحِ تلك المعانِي، وإن لم يطّرد استعمالهُ كثِيرا، إذْ لم تتعدّ نصوصهُ عدد أصابعِ اليدِ الواحدةِ، إلّا أنَّهُ من الضَّرورِيِّ الإشارةُ إليه، لإسهامهِ فِي إنتاجِ المعنَى.

لقد كان لهذا المصطلح، كصنوهِ "الظّاهر"، استعمالان: لغوِيّ واصطلاحِيّ؛ فأمّا اللّغويّ فليس محطَّ الدِّراسة، ومنهُ قولهُ: «وَمَعَ العُسْرِ فِي الرِّزْقِ وَالبَدَنِ وَنَحْوِهِمَا يُسْرٌ مَقْرُونٌ بِتَمَامِهِ، أَوْ هُوَ فِي ضِمْنِهِ بِأَنْ يَسْتَوْجِبَهُ»[1]. ومن هذا التَّوظِيف اللُّغوِيّ قد أُخِذ المعنَى الاصطلاحِيّ؛ أيْ: تحمُّل اللَّفظِ معنَى لفظٍ آخرَ.

تشمَلُ ظاهِرةُ التَّضْمِين الأفعال والأسماءَ، وكلُّ النُّصوص التِي أحصيتها من الشَّرحِ جاء التَّضمِين فيها في الأفعال.

ولَم ينظُر أطفِيّش إلى هذه الظّاهرة من الوجهة البلاغِيّة الجماليَّة؛ بل مِن جِهةِ بيان هذه الدَّلالة، وتحدِيدها في التَّركِيبِ، وقصدهُ من ذلِكَ بيان وَجْه صحَّتها؛ أي مِن الجانب التَّركِيبِيّ الذي يقتضِي تعالقا معيَّنا بين الكماتِ في الجملة، فلم ينظُرْ في قِيمتها من حيثُ الإيجاز الذي تؤدِّيهِ بإرادة معانٍ كثِيرة بألفاظٍ قلِيلةٍ.

ولم أتلمَّس خلال نصوص هذه الظَّاهرةِ معالجةً نظرِيَّة للمسائلِ التِي تناقَشُ عادةً بخصوصها، كَمسألة التَّضمِين في الحروفِ التي يثبِتها بعضٌ وينفِيها آخرونَ، والظّاهر من خلالِ تطبِيقات أطفِيَّش أنَّه يمِيلُ إلى إثباتِها؛ فبذلِك يتمكَّنُ من تحقِيقِ معانٍ يراها في

(1) إجابة الدعوة [9ظ] وأيضا: [47ظ] و[52و].

النَّظمِ، لكنَّه لا يصرّحُ خلالَ معالجةِ الأدواتِ بمصطلَحِ التَّضمِين، وإنّما يبيّنُ معنَى الحرفِ بتوظِيف حرفٍ آخَر، وسأتناولُ ذلك في المطلبِ الأوّلِ مِن المَبْحثِ الثّانِي في هذا الفصلِ.

وعلى هذه الإشارات يمكن أن آخُذَ بعضَ النّماذِج لمعالجةِ هذهِ الدّلالة. قال أطفِيَّش: «وَ"**تَجَلَّانِي**": جُمْلَةُ نَعْتٍ لَهُ، وَهُوَ إِمَّا عَلَى تَقْدِيرِ اللَّامِ؛ أَيْ: ارْتَفَعَ عَليَّ، **أَوْ ضَمَّنَهُ** مَعْنَى **عَلَا** المُتَعَدِّي، يُقَالُ: عَلَاهُ يَعْلُوهُ»[1]. لقد أشكل على أطفِيّش تعَدِّي الفعلِ "تجلّى" إلى مفعولِه من دون واسِطة، فلجأ إلى مفهومِ التَّضمِينِ؛ لبيان معنى استعمالِ النَّاظِمِ للفعلِ "تجلَّى" الذِي يعنِي في الأصلِ اتَّضَحَ وانكشف، كما في لسان العرب، قالَ: «قد انْجَلى وتجَلَّى، وأَمرٌ جَلِيٌّ واضح، تقولُ: اجْلُ لي هذا الأَمرَ؛ أَيْ: أَوضِحْه... تقول منه جَلا لي الخبرُ؛ أَيْ: وَضَح»[2]، وعَبَّرَ الشَّارِحُ عن ذلِكَ بالفعلِ "ارتفعَ"؛ لأنَّ الارتِفاعَ مِنْ معانِي الانكشاف.

وهذا الفعلُ يتعدَّى بحرفِ الجرِّ "اللَّام" كما هو في نصِّ ابن منظور، ولكنَّه في البيتِ تعدَّى مباشرة إلى مفعولِه؛ ولهذا فسَّر الشَّارِحُ ذلِكَ بِتضمِينِهِ؛ أي إعطائه بعض معنى الفعلِ "علا" الذي يتعدَّى إلى مفعولِهِ من غير واسِطةٍ، «فتضمين الفعل لمعنَى غيرِهِ يقتضِي تعدِيتهُ بمثلِ ما يتعدَّى به الآخَرُ»[3]. لقد سعَى أطفِيَّش إلى حلِّ الإشكالِ على وجهيْنِ؛ إمّا بتقرِيرِ وقوع الحذْفِ، أو بتوظِيف دلالة التَّضمِينِ.

وعلى هذا فإنَّ لدلالة التَّضمِين دورًا فِي حلِّ مشكلاتِ الأفعال المتعدِّية إلى مفاعِيلِها بواسطة حروف الجرِّ، وبيانًا لِلمعانِي المؤدّاتِ مِن خلالِها.

وقالَ أطفِيَّش في بيانِ معنَى البيتِ:

---

(1) إجابة الدّعوة [9ظ].

(2) لسان العرب (جلا).

(3)التحلِيل النحوِي، د.فخر الدِّين قباوة، ص175.

فَأَلْقَيْتَهُ صَرْعًا وَأَبْصَرَ أَيْكَةً أَطَاعَتْكَ سَعْيًا فِي رُجُوعٍ وَإِتْيَانِ

قالَ: «وأَنَّثَ الرُّكن؛ لِتَأْوِيلِهِ بِالْقُوَّةِ أَو الْجِهَةِ، و**ضَمَّنَ** "أَلْقَيْتَهُ" مَعْنَى صَرَعْتَهُ؛ فَـ"صَرْعًا": مَفْعُولٌ مُطْلَق، ومَرّتْ أَعَارِيبُ أُخْرَى. وكَذَا "سعْيًا"؛ بِمَعْنَى سَاعِيَاتٍ، أَوْ ذَوَاتِ سَعْيٍ، أَوْ سَعْيًا: مَفْعُولٌ مُطلَقٌ؛ **لِتَضَمُّن** أَطَعْنَاكَ مَعْنَى سَعَيْنا إِلَيْكَ»[1].

إنّ لمفهوم "التّضمِين" إسهاما في حلِّ الإشكالات التّركِيبِيَّة في الجملة؛ مِن أجلِ بلوغِ مقصد النّاظِمِ، فقوله: "ألقيتَه صرعا" و"أطاعتك سعيا" يُحدِثُ إشكالًا في تحدِيد العلاقة الرّابطة بينَ المفردتين دلالِيًّا ونحوِيًّا. إنَّ المساحة الدّلالِيَّة بينَ "ألقتيه" و"صرعا" تتطلّبُ واسطةً للرّبط بين المفردتينِ؛ لذلِكَ عدّد أطفِيَّش الاحتمالاتِ التِي يمكِنُ أن تكونَ عليهِ هذهِ الواسِطة، بينَ تحوِيلِ صِيغة "صرعا" و"سعيا" إلى ما يناسِبُ التّركِيبَ؛ كاسم المفعولِ، أو تطبِيق مفهوم "التّضمِينِ" الذي يحمّل الفعلَ "ألقيته" و"أطاعت" دلالة تبقِي المصدرَيْنِ على صيغتهما.

وبذلِكَ علا شأن هذا التّركِيبِ من خلالِ هذه اللّفتة الدّلالِيَّة التي نبَّهَ إليها الشَّارِحُ، ولم يجاوِزْ أمرَ توضِيحِ تركِيبِها إلى بيَانِ قِيمتها البيانِيَّة والجمالِيَّة.

وفي قول أطفِيَّش في شرحِ البيتِ:

فَكَمْ آيِس مِنْ رَحْمَةِ اللهِ قَدْ غَدَا إِلَيْهَا فَحَطَّتْ عَنْهُ أَنْوَاعَ عُدْوَانِ

نتلمّسُ موجّها دلالِيًّا غير ما سبَقَ، يحِيلُ على مفهوم التّضمِينِ، قال: « وَمَعْنَى "آيِس": مُشْرِفٌ عَلَى الإِيَاسِ، لَا آيِسٌ حَقِيقَةً؛ لِأَنَّ الآيِسَ حَقِيقَةً لَا يُغْفَرُ لَهُ، وَلَا [18ظ] يَسْعَى فِيمَا تُحَطُّ عَنْهُ بِهِ الذُّنُوبُ. فَـ"آيِس": مَجَازٌ مُرْسَلٌ تَبَعِيٌّ؛ لِعَلَاقَةِ الجِوَارِ المعْقُولِ؛ بِأَنْ سَمَّى القُرْبَ لِلإِيَاسِ إِيَاسًا، فَاشْتَقَّ مِنْ لَفْظِ الإِيَاسِ، بِمَعْنَى القُرْبِ مِنَ القُنُوطِ، آيِسًا بِمَعْنَى قَرِيبًا مِنْهُ...أَوْ حَقِيقَةٌ فَيُقَدَّرُ مَحْذُوفٌ؛ أَيْ: قَدْ غَدَا بَعْدَ تَوْبَتِهِ مِنَ الإِيَاسِ، أَوْ قَدْ غَدَا تَائِبًا، أَوْ

(1) إجابة الدعوة [197ظ].

ضَمَّنَ "غَدَا" مَعْنَى "تَابَ" بِلَا حَذْفٍ وَتَقْدِيرٍ»(1). إنّ التّحرّز العقدِيّ مِن إقرارِ ما لم يأذَنْ به الله، والمقامُ يقتضِي استحضار هذه القواعِد، والالتزامَ بها لبلوغِ المرمَى، حملت أطفِيَّش على تفصِيلِ القولِ في التَّركِيبِ "آيسٍ...قد غدا". إن القرآن في قولِهِ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿87﴾﴾ (2) يمنعُ مَن تمكّنَ منهُ اليأسُ، مِن دخولِ الجنّةِ، فلا مندُوحة مِن صرفِ قولِهِ: "قد غدا إلَيْها" عن معناهُ المباشِرِ بالمفاهِيم الدلالِيَّة. ويقدِّمُ التّضمِينُ إمكانِيّة إجراءِ هذا التّحوِيلِ مع الاحترازِ مِن الوقوعِ في الحذفِ والتّقدِيرِ. فعلى هذه الوجهِ نستطِيعُ فهمَ قولِ النّاظِمِ باقتصادٍ وتيْسِيرٍ.

لقد قدّمت هذه النّماذِجُ توجِيها دلالِيّا يقضِي بالجمعِ بينَ الفعلين (تجلّى، علا) (ألقى، صرع) (غدا، تاب) من خلالِ دلائل نصِيّة (حرف الجرّ، الصِّيغة الصّرفِيّة)، وغيرِ نصّيّة (توجِيه عقدِي)، دونَ إقصاءٍ للّفظِ المنطوقِ على حسابِ المفهومِ منهُ.

3- التّعمِيم والتّخصِيص/ الإطلاق والتّقيِيد:

لَقدْ كانت ظاهرة التَّعميم والتَّخصِيص في كتاب "إجابة الدّعوةِ" شكلا من أشكالِ معالجة أطفِيَّش لمفرداتِ القصِيدةِ المشروحةِ؛ إذْ سجَّلت حضورَها في محطّاتٍ كثِيرةٍ ابتغى الشَّارِحُ بِتوظِيفِها إجلاء معانِي المفرداتِ، وتقدِيمَ المعانِي المفترَضة التي يمكنُ أن تحلمها هذه الألفاظُ بالنَّظرِ إلى أصلِها الوضعِيّ، وإلى استعمالها السِّياقِيّ عند النَّاظِمِ. ويمكِنُ تقسِيمُ نصوصِ هذه الظّاهرة إلى الأشكالِ التّالية:

أ- توظِيفُ مجالاتٍ معرِفِيّة لتحدِيدِ عمومِيَّة اللّفظ وخصوصِهِ:

(1) إجابة الدعوة [18ظ].

(2) سورة يوسف: 87.

تسجّلُ مسألةُ التَّعميم والتَّخصِيص حضورَها، في الانتقال المعنوِيّ للألفاظِ مِن مجالٍ معرفِيّ إلى آخَر؛ وذلِكَ بأن تتَّسع دلالةُ اللَّفظ في الاستعمالِ الجديدِ، فتُضاف إليها معانٍ جديدة، أو أن تتقلَّصَ؛ فتُخصَّ بمعنًى معيَّنٍ، بعد ما كانتْ تشمل دائرةً أوسَعَ.

إنّ الشّارِحَ في خلالِ شرحِهِ لا يُصرّحُ بِهذَا التّغيِير الدّلالِيّ، ولا يشِيرُ إلى تغيُّر مَجالِ استعمالِ اللَّفظِ، واختصاصِهِ، وأنَّ المعنَى المشارَ إليهِ خاصٌّ بهذا المجالِ دون غيرِهِ، ولكن يمكن تلمُّسُ ذلِكَ من خلالِ النَّصّ، ومِن المعرفة اللُّغوِيَّة بدلالة الكلمات.

وقَدْ برزَ لدَى الشَّارِحِ مجالانِ يحِيلُ إليهما معانِي الألفاظِ التِي يشرحُها، وهما علوم الشَّرِيعة وعلوم اللُّغة كالنَّحو وغيرِهِ، ولقد خصَّصْتُ مطلبًا خاصّا للمعانِي الشَّرعِيَّة، أدرسُ فيه الكلماتِ التِي ذكرَ الشَّارِحُ اختصاصها بِهذا المجال، وما تعلَّق بها من دلالاتٍ، وفي هذَا المقامِ سيكون الحدِيثُ خاصًّا بِالمجالِ النَّحوِيّ، ومِن نماذجهِ شرحهُ البيتَ:

وَأُحْسِنُ أَقْوالِي إِذَا كُنتُ نَاطِقًا بِمَا لَيْسَ يعْنِي مِنْ مَقَالَةِ إِنْسَانِ

بقولِهِ: «وَ"أَقْوَالِي": بِمَعْنَى تَلَفُّظَاتِي، اسْتِعْمَالٌ **لِلْمُقَيَّدِ** فِي **المُطْلَقِ**؛ عَلَى أَنَّ القَوْلَ **يَخْتَصُّ** بِالمَوْضُوعِ، وَاللَّفْظَ لَهُ وَلِلْمُهْمَلِ»(1).

لقد حدَّدَ الشَّارِحُ دلالةَ الكلمة "أقوال" بِحصرِها فِي الموضوعِ من الكلامِ، ويقصِد به المستعمل من اللَّفظ في الكلام؛ أيْ الذِي يفِيدُ معنًى تواضَع عليهِ أهلُ اللُّغةِ، ولذلِكَ قابله بالمهملِ؛ أيْ مهمل الاستعمالِ. ففي الوضع اللغوِيّ يقول ابن فارِس: «اللَّامُ وَالْفَاءُ وَالظَّاءُ كَلِمَةٌ صَحِيحَةٌ تَدُلُّ عَلَى طَرْحِ الشَّيْءِ؛ وَغَالِبُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْفَمِ»(2)، فاللَّفظ عامٌّ

(1) إجابة الدعوة [5و].

(2) مقاييس اللغة (لفظ).

يدلُّ على الطَّرحِ، ويغلبُ عليهِ أن يكونَ الطّرحُ مِن الفَم والكلامُ منْ ذلِكَ، وبخصوص القول قال: «الْقَافُ وَالْوَاوُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ، يَقِلُّ كَلِمُهُ، وَهُوَ الْقَوْلُ مِنَ النُّطْقِ»(1).

إنَّ الإطلاقَ الذِي وظَّفه الشَّارِحُ هنا كشفَ بهِ استعمالَ النّاظِمِ لألفاظٍ يرِيدُ بها معنَى غير المتواضَع عليهِ بالدّلِيل السِّياقِي الذِي يشِيرُ إلى المعنَى المقصودِ؛ إنَّ هذا التَّعمِيم أو الإطلاقَ مأخوذٌ من مفاهيمِ علمِ النَّحوِ الذي ينظرُ فِي الفرق بين القول واللّفظ والكلام، ويحدِّد دلالة كلٍّ منها بقيد الإفادةِ والوضعِ.

ومِن ملاحظة تغيُّر مجال الاستعمالِ، يمكنُ الانتقالُ إلَى الحَدِيثِ عن الحقولِ الدّلالِيّة، وأعنِي بهِ نقلَ اللَّفظِ من حقلٍ دلالِيٍّ لآخرَ لعلاقةٍ بينهما، وعادة ما تكون بوسِيلة المجازِ بأنواعِهِ.

ب- المجازُ وسيلة من وسائل التّعميم والتّخصِيص(2):

يبرزُ عند الشّارِحِ البحثُ في وسائل اتِّصاف الألفاظ بإحدى المفاهيم: التّخصيص/ التّقييد، التّعميم/الإطلاق، ويُعتبرُ المجازُ من هذه الوسائل التي تحمِل اللَّفظَ على أحَدِ هذه المفاهِيم، وفي معناهُ أنَّ الاستعمالَ اللُّغوِيّ لألفاظٍ في سياقاتٍ معيّنة يفرِضُ حملَها على غيرِ ما وضعت له حقِيقةً، فيعطَى اللّفظُ معنًى لم يجعلْ ليدلّ عليهِ، ولكن إمكانيّة الأساليب اللُّغَوِيّة تتِيحُ مثل هذه الاستعمالاتِ بطرِيقِ المجازِ، والمجازُ المرسَل أوسَعُ هذه الأسالِيب، لما يتيحُهُ من إقامة العلاقات بين الألفاظِ بشكلٍ لا يمكنُ حصرُهُ لكثرتِها،

(1) مقاييس اللغة (قول).

(2) في النّصوص الأخرى المتعلّقة بمبحث التَّخصِيص والتَّعميم يظهرُ عندَ الشَّارِحِ اهتمامهُ بالوسِيلة التِي اكتسبَ بها اللَّفظُ المشروحُ هذه السِّمة الدّلالِيَّةَ، فكان من تلك الوسائل: البناء للمجهولِ، اسم الجنسِ، المشترك اللَّفظِي، وليسَ التَّعميم أو التَّخصِيص يقتصِرُ على هذه الأسبابِ، ولا كان بالطَّبِيعةِ نفسها لدَى كلِّ الألفاظِ، ويكفِي ما قدَّمت لبيانِ أشكالِ معالجة الشَّارِحِ لهذه الظّاهرة ومدى اعتناءِهِ برصدِها وبيانِها.

وتدخل تحتَ كلِّ علاقةٍ مجموعةٌ من الألفاظِ، والمقصودة في هذا المقام هي الإطلاق والتَّقييد أو التّخصيص والتَّعميم.

وفي عادة الشَّارِح أن ينظُرَ في العلاقة التِي تربط بينَ الاستعمالِ المجازيّ والحقِيقِيّ للّفظِ، فيحدّدُها مثلا بِقوْله: «لعلاقة الإِطْلَاقِ وَالتَّقْيِيدِ أَوْ أَحَدِهِمَا»، وما يعنِيهِ، بتعديدِ هذهِ العلاقة تفرِيقُه في تحديدِها بالنَّظرِ إلى الطَّرفين؛ فمِن المجازِ يكونُ الإطلاقُ، ومِن الحقِيقة يكون التَّقيِيدُ، أو العكسُ. وفي شرح البيتِ التّالِي نموذجٌ من معالجة دلالة الإطلاق بالمجاز، قال النّاظِمُ:

فَكَمْ عَامِلٍ أَعْمَالَ أَهْلِ جهَنَّمٍ فَلمَّا دَنَا مِنْهَا أُعِيدَ لِرِضْوَانِ

قال: «وَالمُرَادُ بِالإِعَادَةِ الإِيقَاعُ **المُطْلَقُ** فِي مَوْضِعٍ، لَا **بِخُصُوصِ** الرُّجُوعِ إِلَيْهِ بَعْدَ الكَوْنِ فِيهِ، فَذَلِكَ فِي البَيْتِ مَجَازٌ مرْسَلٌ تَبَعِيٌّ بِجَامِعِ الإِطْلَاقِ والتَّقْيِيدِ أَوْ أَحَدِهِمَا»(1).

فاللّفظ المقصود "الإعادة" دلَّ على الإيقاع المطلق، **فمفهومُ الإطلاق وَظَّفهُ الشَّارِحُ هنا ليكْشِفَ بهِ استِعمالَ النّاظِمِ لألفاظٍ** يرِيدُ بها دلالةً غير المتواضَع عليهِ، ووسيلة الإطلاق التي استعانَ بها لتوضِيحِهِ هي المجاز المرسل بعلاقةِ الإطلاق والتّقييد؛ أيْ الإيقاع يدلُّ على الكونِ مطلقا في مكانٍ ما، أمَّا الإعادة فتقيَّد بأن يسبقها كونٌ في المكانِ.

لقد نالَ هذا المفهوم من مدخلِ المجازِ عند الشّارِحِ معالجات كثيرةً(2)، إضافة إلى المجاز المرسَلِ؛ فإنَّ الاستعارة كان لها دورها فِي إيضاح هذه الظّاهِرَة الدّلاليَّة، وفي معالجة البيت التّالِي نموذَجٌ لِذلِك، قال النّاظِمُ:

فَبَاتَ يُنَاجِي رَبَّهُ مُتَضَرِّعًا بِحَقِّكَ لَمَّا أَنْ دَعَاهُ لِغُفْرَانِ

(1) إجابة الدعوة [10و].

(2) ينظر أيضا: (م، س) [3ظ] فإنّ فيه تطبِيقا على علاقة الآمر والمأمور، حيث ذكر أبو مرة وهو إبليس وعيّن الشارح دلالته بالإطلاق على كلِّ الشّياطِين لأنّ إبليس هو الآمر لهم.

قالَ: «ومَعْنَى "باتَ": صَارَ، فهُوَ مَجَازٌ مُرْسَلٌ لعَلَاقةِ **الإِطْلَاقِ والتَّقييدِ**، أَوْ بعدمَا كانَ مَجَازًا [77ظ] مُرسَلًا هَكذَا، اسْتَعْمَلَهُ **اسْتِعَارَةً**؛ بأَنْ شَبَّهَ كَوْنَهُ يُنَاجِي في مِقْدَارٍ مِنْ غيْرِ اللَّيْلِ، بِكَوْنِهِ يُناجِي فِي لَيْلٍ، لعَلَاقَةِ الاسْتِواءِ في الْمُدَّةِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ بقِيَ في المُنَاجاةِ قَدْرَ اللَّيْلِ، هَكَذَا **مُطلَقًا**. ويَجُوزُ أَنْ يكُونَ "باتَ" علَى ظاهرِهِ؛ بأَنْ يكونَ وقتُ مُنَاجَاتِهِ **لَيْلًا**، إذْ هُوَ وقْتُ الإجابةِ. وعلَى كلِّ حالٍ المرادُ المناجاةُ في الدُّنيَا؛ لأنَّهُ لمَّا أَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ لمْ يَبْقَ في الجنَّةِ»[1].

ومعنَى اللَّفظِ "باتَ" المستعمل في البَيْتِ **إطلاقُ** دوامِ المناجاة طُولَ اللَّيل، والمعنَى المراد في سِياقِ البَيْتِ هو الصَّيرورة والتَّحوُّل؛ أيْ: بعدَ اقتِرَافِ الذَّنبِ، انتقلَ آدمُ عليه السلام إلى مرحلة طلب العفوِ والمغفرة من اللهِ تعالى على ذنبِهِ، دونَ أنْ يكون هناك تحديدٌ لوقت المناجاةِ بلَيْلٍ أو غيرِه، ولا بمدَّة المناجاةِ؛ فالفعلُ "صارَ"، إن استبدلَ مكان الفعلِ "باتَ" لم يعد يحمِلُ هاتين الدّلالتَينِ، واحتِيجَ إلى لفظٍ يؤدِّيهِمَا، فكثافة الدّلالة بالفعلِ "باتَ" وإعطاؤهُ إضافاتٍ معنوِيَّةً مهمَّةً على غرارِ الفعلِ "صارَ" جعل النّاظمَ يستعِيرُهُ لأداءِ تلك المعَانِي.

ما يهمُّنا من هذا التَّحلِيلِ هو طبِيعةُ دلالةِ الإطلاق التي لا تمسُّ إلّا جانبًا من دلالةِ الفعلِ "باتَ" وهي مدَّتهُ، وكذلِكَ لماذا كانت الحاجةُ إليها؟ وكيفَ تَمَّ تحصِيلُها بين الفعْلَيْنِ "بات" و"صار"؟ وقد بيّنتُ ذلِكَ بِحاجةِ البيتِ إلى الدّلالة على إطلاقِ مدَّةِ المناجاةِ وامتدادها؛ أيْ: لم تكنْ مدَّة قصِيرةً محدودَةً، لكن دون الحاجةِ إلى حصرِها بليْلٍ أو غيرِه؛ فالشَّارِحُ احتاجَ لِتوضِيحِ حصولِ هذا الإطلاقِ إلى مفاهيم المجازِ بالنَّوعينِ المرسلِ والتَّشبِيهِ، فالمرسلُ حصرَهُ في علاقة الإطلاق والتَّقييدِ، وهي العلاقة المقصودة في إحداثِ دلالة الإطلاق، والتَّشبِيهُ حذف أحَد طرفيهِ، فكانَ اسْتعارةً.

(1) إجابة الدعوة [77و] و[77ظ].

ج- النّظَر في الدّلالة الخاصَّة:

وقفت في النُّصوص المتعلِّقة بمطلَبِ التَّخصِيص والتَّعميم على مسألة مهمَّةٍ من مسائلهِ، وهي الدَّلالة الخاصَّة؛ وأَعْنِي بِذلِكَ أن يكونَ اللَّفظ ضِمْنَ دلالةٍ عامَّةٍ، لكنَّهُ يُحمَّلُ تقْيِيدًا لها، كأن يقالَ مثلًا: «البوارِح: الرِّياح الشِّداد، مِن الشَّمالِ خاصَّة، وتتنوَّع مقيِّدات ومخصِّصات الدَّلالة، فقد تكون زمانِيَّة، أو سلبِيَّة وغيرهما»[1]. وما وقفت عليه في شرح النّونِيَّة هو لفظا "ظلامة"، و"الاقتراب" قالَ الشَّارِحُ: «"الظُّلَامَةُ": المَظْلمَةُ مِنْ جُمْلَةِ الظُّلْمِ، كَقُلَامَةٍ وَقُمَامَةٍ، وَقِيلَ: هُوَ **أَخَصُّ** مِنَ المَظْلمَةِ وَالظُّلْمِ، وَأَنَّها المَظْلمَةُ **بِقَيْدِ** كَوْنِهَا تُطْلَبُ مِنَ الظَّالِمِ»[2].

لقد جمعَ الشَّارِحُ بينَ الدّلالتينِ العامّة والخاصّة للفظِ المشروحِ بالنَّظرِ إلى الاختلاف البِنيوِيّ للفظَيْ "ظلامة" و"مظلمة" المشروحِ بِهِ، إنّ هذا الفرقَ قد ذكرهُ صاحب التَّهذِيب عن اللَّيث، قال: «الظُّلامَة اسْم مَظْلمَتك التي تَطلبها عِند الظَّالِم»[3].

لقد قدّمت دلالتا التّخصِيص والتّعْمِيم خدمة جلِيلة للنّصوص المشروحة بتحقِيقِ مدلولاتها، مِن حيثُ توسِيعُ المعنَى المقصودِ مِن النَّصّ ولو لم يذكر لفظًا؛ فَالشَّارِح يلجأ إلى مفهوم التّعمِيم/ الإطلاق ليدخِلَ في معنَى البيتِ ما لم يذكُره النَّاظمُ، استنادًا إلى أنَّ معنَى النَّصّ يشملهُ، ولو لمْ ينطقْ بهِ. وبهذا يكون قد حقَّقَ معانِي كثِيرةً بلفظٍ قلِيلٍ، ويلجأ إلى التّخصِيصِ؛ لِيضبِطَ بهِ الدّلالة المقصودة، وينفِي عنها غيرها، ولكنّ الشَّارِح لا يخرِجُ هذهِ الدّلالة إلَى مستوىً جماليّ بلاغِيّ، بل يكتفِي بِبسطِها معَ توضِيح الدّلِيل على المرادِ كما لاحظتُ ذلِكَ عليهِ في ظاهرة التَّضمِين.

---

(1) ينظر: في علم الدلالة، الدكتور عبد الكريم محمد حسن جبل، ص219.

(2) إجابة الدعوة [6و].

(3) تهذيب اللغة (ظلم).

إنَّ غايَةَ الشَّارِحِ قد تفسِّرُ سببَ اقتصارِهِ على هذا المستوَى مِن الشَّرحِ دونَ الاستطالةِ فِي بيانِ الخصائص الأخرى اللُّغَويَّة التي لا تقلُّ أهمّيَّةً عن المذكورِ، فما مرادهُ إلّا الوقوفُ على معانِي الأبياتِ مِن خلالِ الأدوات اللُّغوِيَّة، وسياق النَّصِّ، ويتركُ الإشارات البلاغِيَّة ليسَ إهمالا لها، وإنَّما لخروجها عن المقصودِ.

4- ألفاظ اصطلاحِيَّة:

قَدّمَ أطفِيَّش في خلالِ شرحهِ للقصِيدة المدنِيَّة تعرِيفا للتّأدُّب، أثبتهُ هنا لتسجِيلِ حضورِهِ ولأهمّيتِهِ، قال: «و"التَّأَدُّبُ": عِلَاجُ رِيَاضَةِ النَّفْسِ، ومَحَاسِنُ الأَخْلَاقِ. قال أَبُو زَيْدٍ الْأَنْصَارِي: الْأَدَبُ مُعَالَجَةُ الرِّيَاضَةِ المحْمُودَةِ التي يتَخَرَّجُ بِهَا الْإِنْسَانُ فِي فَضِيلَةٍ مِنَ الفَضَائِلِ. وقيلَ: التَّأَدُّبُ عِلَاجُ مَا يُحْمَدُ قَوْلًا وفِعْلًا. وقِيلَ: تَعَاطِي مكَارِمِ الْأَخْلَاقِ. وقِيلَ: التَّوَقُّفُ مَعَ المسْتَحَبَّاتِ. وقِيلَ: مُرَاعاةُ تَعْظِيمِ مَنْ فَوْقَكَ وَالرِّفْقُ بِمَنْ دُونَكَ. ويُقَالُ: إِنَّهُ مِنَ الْمَأْدُبَةِ؛ وَهِيَ الطَّعامُ الْمَدْعُوُّ إِلَيْهِ. والتَّأَدُّبُ مَأْمُورٌ بِهِ مَدْعُوٌّ إِلَيْهِ»[1]. يظهِرُ النّصُّ رغبةَ أطفِيَّش في تحدِيدِ الإطار المفهومِيّ لمصطلح "التّأدّب"، ويمكِنُ الوقوفُ على ما قدّمهُ مِن خِلالِ النِّقاطِ التّالِية:

أ- الجمع بين تعارِيف مختلفة:

قدّم النّصّ ثلاثة تعارِيف مختلفةً للتّأدّب، تتوزّعُ على زوايا مختلفةٍ منه؛ ليصرِفَ عنهُ الدّلالَةَ اللُّغوِيَّة، ويظهِرَ اختصاصَهُ بمفهومٍ في مجالٍ معيَّنٍ. فهُو توقُّفٌ مع المستحبّات، وهو ما يحمَد قولا وفعلا، وهو رياضة للنّفسِ بغية حملِها على الأخلاقِ الحسنة، ومثّل لها بتعظِيم الكبِيرِ والرّفقِ بالصّغِير.

ب- سبب الاهتمام بالمصطلح وغرضه:

(1) إجابة الدعوة [40و].

كان يمكِنُ أن يقدِّمَ الشّارِحُ توضِيحًا بسِيطًا لـ"التّأدُّب"، يبيّنُ موقعَهُ فِي البيتِ، وَظلالَه على القصِيدةِ كلّها، ولكنّ توسُّعَهُ يُظهِرُ رغبتهُ فِي إعطاءِ الدّلالة المفهومِيّة المطلوبة لأدَاءِ حَقِّ المقامِ.

ج- المصادِر:

ذكر الشَّارِحُ فِي النّصّ مصدرا واحِدا صرِيحا، ومصادِر مبنِيّة للمجهولِ، ونسبهُ إلى أبِي زيدٍ، وهو مِن اللُّغوِيّين المعروفِينَ فِي القرن الثّالث الهجرِيّ، والبناءُ للمجهول وصلٌ بأقوالٍ لغوِيَّة أخرَى، دونَ نفيِها، رغمَ ورودِها بصِيغة التَّمرِيض. وتُقدِّم الصِّيغة الصرفِيّة الدّالة على التّكرارِ والمعاجلة دلالة عَلى أنّ اكتسابَ تلك الملكة لا يكونُ إلّا بمجاهدةٍ وَمثابرةٍ. ومقاربتهُ بِالمَصْدر اللّغوِيّ "مأدبة" لما يشترِكانِ فِيهِ مِن الدّعوة والتِزامهما.

لقد كانت المسحة الشَّرعِيَّة واضحة في هذا التّحدِيد الاصطِلاحِي، مدعّمة بالبحثِ في الجانب اللّغوِيّ (المصدر، الصِّيغة)، والفنِّيّ (ما يحمَد قولًا وفعلا) في محاولةٍ لِلَمِّ شتاتِ دلالاتِ المفهومِ. فأخذَ بالمعانِي الإيجابِيَّة القائمة على رغبة ذاتِيَّة (رياضة النّفس، التّوقّف مع المستحبّات) وأبعَدَ عَنهُ الجانب العقابِي/ التّسلّطِي الذِي يرافِقُ التّعزِيرَ، تماشِيًا معَ المعنَى المقصود في البيْتِ.

المطلب الخامس: المعانِي الشَّرعِيَّة/ الألفاظ الإسلامِيَّة

يعنَى هذا المبحثُ بتحلِيلِ التّوجِيهات الشَّرعِيَّة التي يقدّمها الشّارِحُ لألفاظِ النُّصوصِ المشروحة، مِن حيثُ الاعتبارُ والجمع بينها وبين الدّلالات اللُّغوِيّة والسِّياقِيَّة. ولا بدّ من الإقرارِ ابتداءً باعتمادِ الشّارِح هذهِ الدّلالة فِي ثنايا الشَّرحِ، والتَّفرِيق بينها وبينَ غيرِها من الدّلالاتِ، تدلُّ علَى ذَلِكَ جملة من النُّصوص؛ كقولِهِ: «وَ"رَحْمَةُ اللهِ": إِنْعَامُهُ، **حَقِيقَةٌ شَرْعِيَّةٌ** مَجَازٌ لُغَوِيّ؛ لِأَنَّ مِنْ لَازِمِ رِقَّةِ القَلْبِ الإِحْسَانُ، وَلَا يُوصَفُ اللهُ بِالْقَلْبِ، وَلَا بِالرِّقَّةِ، وَلَا بِصِفَةِ خَلْقٍ، أَوْ هُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الإِنْعَام»[1]. وقَوْلِهِ: «أَوْ حَطُّهَا كِنَايَةٌ عَن انْتِفَاءِ المؤَاخَذَةِ، وَلَا يَلْزَمُ فِي الكِنَايَةِ وُجُودُ المعْنَى المؤْضُوع لَهُ اللَّفْظُ، فَشَملَ مَنْ مُحِيَتْ مِنْ صَحِيفَتِهِ وَمَنْ لَمْ تُمْحَ مِنْ صَحِيفَتِهِ، وَلَكِنْ لَمْ يُعَاقَبْ بِهَا. أَو الحَطُّ **حَقِيقَةٌ شَرْعِيَّةٌ** فِي تَرْكِ العِقَابِ عَلَى الذَّنْبِ»[2]. ويقِرُّ قاعدةً مفادها أنَّ حملَ الألفاظِ في نُصوصِ الشَّرعِ على المعانِي الشَّرعِيَّة أولَى مِن غَيْرِها، قال: «وتِلْكَ الصَّلاةُ شَرْعِيَّةٌ كَمَا هُوَ المُتَبَادَرُ؛ لأَنَّ الأَصْلَ حَمْلُ الْأَلْفَاظِ فِي الشَّرْعِ علَى الْمَعَانِي الشَّرْعِيَّة، وهُوَ الصَّوَابُ»[3].

يدخلُ هذا المبحثُ في إطار الحدِيثِ عن الحقولِ الدّلالِيَّة، ويعتبَرُ البحثُ فيه مِن المباحث التِي تسعَى إلى رسم حدودٍ للمجالِ الذِي يشتَغلُ فيه النَّصُّ المدروس، وذلِكَ بغيةَ تحسُّس مدى الإبداع والإضافة النَّوعِيَّة التي يمكنُ للنَّصّ أن يقدّمها في هذا المجال.

ولقد اخترتُ هذا الحقلَ؛ لاعتبارات منهجِيَّةٍ فرضتها طبِيعةُ النَّصّ المدروسِ؛ إذ القصِيدة مادحة لشخصِ رسولِ الله ﷺ الذي أوكِلَ إليهِ أمرُ تبلِيغ الشَّرِيعة للنّاسِ، ودعوتهم إلى أركانِ الإيمانِ، والتّشبُّث بالأخلاق الفاضلة، وإعمار الحياة الدّنيا والآخِرة.

---

(1) إجابة الدعوة [18ظ] وينظر أيضا: إجابة الدعوة [152و].

(2) (م، س) [18ظ].

(3) (م، س) [225ظ].

وطبيعة القصِيدة التِي تناولها الشَّارِحُ تتَّسم بتوظِيف كثِيفٍ للمعانِي الشَّرعِيَّة للكلِماتِ، وكما هو معروفٌ أنَّ تعلَّق الإسلامِ باللُّغة العربِيَّة قد أحدَثَ فِيها تغيِيراتٍ دلالِيَّةً مَسَّتْ جملةً من الألفاظِ التِي أدخلها في السّلك الشَّرعِيّ، وألبسَها لباسًا جدِيدا متناسِقا مع ما أتَى بهِ مِن معتقداتٍ وأفكارٍ، بَلْ إنَّهُ أنشَأَ حقولًا دلالِيَّةً، لم يكنْ للعربِ عهدٌ بها. ومعروفٌ أنَّ هذه النَّقلة الدّلالِيَّة كانت على شكلِ طفرةٍ في طبِيعة اللُّغة وتطوُّرِها، ومردُّ هذا إلى اعتناقِ العربِ لهذا الدِّين السَّماوِيّ الذي من طبِيعتهِ أنّهُ يَشمَلُ كلَّ مناحِي حياةِ الإنسان؛ لذلِكَ كانت هذه الطَّفرةُ شاملةً لِكُلِّ نشاطاتِ الإنسانِ المسلِمِ، وبالأخصِّ لغتهُ ومعجمه الدَّلالِيّ بالتَّحدِيدِ.

إنَّ حَدِيثي عن السِّياقِ يجرُّنِي إلى أنْ أقولَ: إنَّ جلَّ القصِيدةِ كانَ يحكمها السِّياقُ الشَّرعِيّ بكُلِّ مجالاتِهِ، وهذا الأمرُ يستعصِي على الإحصاءِ والجردِ، فهو منتشِرٌ في كلِّ أرجاءِ الشَّرحِ، وبنظرةٍ سرِيعة يتَبيَّن لنا هذا؛ فلا تَرى الشّارحَ يتعرَّضُ لِلَفظةٍ محمَّلَة بهذه المعانِي إلّا وأشارَ إلى استمدادِها الشَّرعِيّ؛ كأن يقولَ: «وَقُلْتُ لَهَا أَيْضًا: مَا حِيلَةٌ يَجِبُ أَنْ أَسْعَى لَهَا، حَتَّى تُنْسَبَ إِلَيَّ وَتُضَافَ لِي فِي أَنْ يُصَحِّحَ اللهُ أَعْضَائِي وَأَبْعَاضِي بِدُخُولِ الجَنَّةِ، وَالسَّعَادَةِ قَبْلَهَا؛ **لِأَنَّ أَهْلَ النَّارِ يُضْرَبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، وَفِي النَّارِ، ضَرْبًا يَهْدِمُ أَبْدَانَهُمْ ثُمَّ تَعُودُ**»(1).

إنَّ ما سأقدّمه في هذه الدِّراسة يستهْدِف بالأساسِ الوقوفَ على القضايا التِي تناقَشُ عادةً، في إطار انتقال المعانِي من الاستعمالِ الوضعِيّ إلى الاستعمال الشَّرعِيّ، بشَتَّى أشكالِهِ، وبِالنَّظرِ إلى النُّصوص المحصاةِ، فإنَّ تلك المظاهر تتمثَّلُ فِي: التَّخصِيص،

(1) إجابة الدعوة [10و].

والتَّعمِيمِ، وانتقال الدَّلالة من مجالٍ إلى مجال[1]، وقد ظهرَ طرفٌ مِن هذه القضايا في النُّصوص السّابقة، وتقدّمُ النّصوص التّالية تطبِيقاتٍ أوضَح.

قال أطفِيَّش في بيان معنَى "الذّلّ" و"الكسر": «وَ"الذُّلُّ": ضُعْفُ الْقَلْبِ وهَوَانُهُ، وَالمرَادُ ذَلِكَ بِخُشُوعٍ. و"الكَسْرُ": كَسْرُ الْبَدَنِ؛ بِمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَقِفُ فِي الْحِمَى إِلَّا مُنْكَسِر الرَّأْسِ حَيَاءً، غَيْرَ عَابِثٍ بِجَوارِحِهِ، ولَا نَاشِطٍ بِها، ولَا مُتَبَرّجٍ بِلبَاسٍ أَوْ مَقَالٍ»[2].

وقال في بيانِ معنَى "العانِي": «وَ"العَانِي": الأَسِيرُ؛ أَسَرَهُ الشَّيْطَانُ بِالذَّنُوبِ وَإِصْرَارِهِ عَلَيْهَا، وَسُمِّيَ الأَسِيرُ عَانِيًا؛ لِأَنَّهُ عَارِضٌ وَحَادِثٌ فِيمَنْ أَسَرُوهُ»[3].

يمكِن التّعلِيق على النّصّيْنِ وما سبقهما مِن خلالِ النّقاط التّالية:

لا يَحْكُمُ انتقالَ اللَّفظِ مِنْ مَجَالٍ لآخَرَ علاقةٌ واحِدةٌ، وإنَّما تتعدّد هذه العلاقات بتوسُّع المعجم العربِيّ وتعدّد حقوله الدّلالِيَّة، كما أنَّ تسمية هذه العلاقة القائمة بين اللّفظَين أو المجالَين تخضعُ للاجتهادِ والنَّظَرِ، فليسَ كلُّ الأنظار ترى بنفسِ المقياسِ، حتَّى إنّه يشهد على المستوى التّنظِيرِي آراء حول مظاهرِ التَّغيِير الدّلالِيّ الذِي يمسُّ الألفاظَ. والمحوَر الذِي تدور عليه عمليَّة الانتقال هو الحقِيقة والمجاز.

ولقدْ أعطَى الاستعمال الشَّرعِيّ لـ"الذّلّ" و"الكسرِ" نقلةً دلالِيَّة إيجابِيَّة، بعدَ أن كانا يحومان فِي الحقلِ السّلبِيّ، والاستنقاصِ مِن قيمة الإنسانِ، نبّه الشّارِحُ إلى هذه النّقلةِ بربطِ اللَّفظَينِ بما يدلُّ على الرّفعةِ وعلوّ الشّأنِ (الخشوع، الحياء) لِمَن امتثلَ الوصفيْنِ بعدَ أن بيَّن مدلوليهما السلبِيّيْنِ.

إنّ انتقالَ لفظِ "العانِي" أو معناهُ "الأسِير" من الحقلِ الدّالِ على الحروب والمعارِكِ إلى مجالِ الحدِيث عن الذُّنوب والمعاصِي وَالشَّيطانِ ووساوسِه، يدعو إلى البحثِ عن

---

(1) لقد تمّت معالجة جزءٍ من هذا المبحَثِ فِي طرق شرح المفردات حين الحدِيثِ عن علَّة التَّسمِية، بحسبِهِ مبحثا يتعلَّقُ بالنَّظرِ في العلاقةِ بين الألفاظِ، ولكن في هذا المقامِ سأقتصِرُ على ظاهرةِ نقلِ الألفاظِ من حقلٍ دلالِيٍّ لآخَرَ لعلاقةٍ قائمة بينها، تسعى الدِّراسة إلى تجليتها وتوضِيحِها، وبالطَّبعِ ستكونُ نماذِجُ الدِّراسة مِنَ الألفاظِ التِي انتقلتْ إلى المجالِ الشَّرعِي.

(2) إجابة الدّعوة [40و].

(3) (م، س) [2و].

الوجهِ الذِي ربطَ بهِ بين هذين الحقلين المتباينَيْنِ(1). إنَّ دعوةَ اللهِ تعالَى النَّاسَ إلى اتِّخاذِ الشَّيطانِ عدُوًّا، وذلِكَ بصرِيح العبارة، فتح البابَ على نقلِ هذا الصِّراعِ إلى حقلِ الحربِ الذي يقتضِي عدوًّا وصدِيقًا، وغيْر ذلِكَ، ومنه ما وقع مع لفظ الأسِيرِ؛ فالمسمّى "أسِيرا" مَن يقبِضه العدوّ بالسّلاسِلِ والأغلالِ، فكيفَ للشّيطانِ أن يأسِرَ الإنسانَ ويقيّدَهُ وما هِيَ أسلحته؟ وضَّحَ الشَّارِحُ ذلِكَ بقولِهِ: «أَسَرَهُ الشَّيْطَانُ بِالذّنُوبِ وَإِصْرَارِهِ عَلَيْهَا». إنّ اقتراف الذُّنوبِ والمدَاوَمَةَ عليْهَا ممّا يوقِعُ فِي أسرِ الشَّيطانِ، هذا وَجهُ العلاقة بين اللَّفظِ في استعمالهِ الأصلِيّ واستعمالِهِ الجدِيدِ، بيَّنهُ الشَّارِحُ بإيجازٍ ودِقّة دونَ تفصِيلٍ مملّ، وهذا ديدنهُ في كلِّ نصوصِهِ؛ إذْ يقدِّمُ الإشارةَ المباشِرةَ لإصَابة المطلوبِ دون التّعمّقِ فِي التّفصِيلات، ويتركُ للمتلقِّي تَتِمّةَ ما بَقِي مِن الشّرحِ بحسَبِ ما هو مستَعِدٌّ لَهُ.

وقدْ أقرَّ الشَّارِحُ أنّ احتمالَ الألفاظِ الشّرعِيَّة لمدلولاتِها لا يكونُ فقطْ مِن طرِيق المجازِ، وإنّما يمكِنُ اعتبارُ ذلِكَ حقِيقة مخصوصةً بإطارِها الشّرعِيّ، ويبقَى للغوِيّ اعتبارُها مجازًا بإجراءِ العمليّات المخصوصةِ بهِ.

ولقدْ حملت مجموع هذه الظّواهر الدّلالِيَّة رحابة الفكر اللُّغوِيّ لأطفِيَّش، والتزامهُ بِحرفِيَّة الكلامِ، وقاعدتهُ فِي ذلِكَ إقامةُ العلائق الدّلالِيّة بحسبِ التّركِيبِ الذِي جاءت فِيه المفردة، دون إيغالٍ ولا جمودٍ، يقدّمُ ذلِكَ بنظرةٍ سرِيعةٍ أو ببسطةٍ مطوّلة قلِيلًا.

ولم يقِف البحثُ الدّلالِي على هذه القضايا فقط، فممّا سجّلت حضورهُ قضيّة الفروق اللّغوِيَّة، فِفِي نصٍّ طوِيل بيَّن أطفِيَّش الفرقَ بيْنَ السّخاء والجود(2)، والخمِيصة والثّوب(3). ولكنّ هذا لم يشكّلْ ظاهرةً تفردُ بالدّراسة، كما أنّها لم تلامِس نصوص القصِيدة وما تعلَّقَ بها، وإنّما أتتْ عرضا على الشَّرحِ لقصدِ الإفادةِ وتوسِيعِ مجالِ البحثِ.

---

(1) تَقومُ أهمِّية هذا الانتقالِ الدّلالِيّ لأنّهُ حدثَ بينَ مجال حسِيٍّ إلى مجالٍ معنوِيّ غيبِيّ.

(2) إجابة الدعوة [175ظ].

(3) (م، س) [175و].

المبحَث الثّانِي: القضايا النّحوِيّة والصّرفِيَّة في "إجابة الدّعوة"

تقدِّم مطالِبُ هذا المبحثِ وَصْفا لأهمِّ الأدواتِ النّحوِيَّة والصّرفِيَّة التِي استعان بها أطفِيَّش للرّبطِ بينَ ألفاظ النُّصوص المشروحة والمعانِي المقصودة منها، وَلتحقِيقِ هذه الغاية اخترتُ أهمّ المفاصل في الدّراسة النّحوِيّة، وهِي تشكِّلُ الأبواب الجامعة لهيْكل النّحو العرِبِيّ الأكثَر بروزًا فِي الكتابِ، وهي على التّرتِيبِ: الأدوات النّحوِيّة، الصّرف، التّعدّد الإعرابِيّ، معانِي الإضافة، أصول النّحو والاستدلال.

لَقد كان بروز المستوى النّحوِي في نصوصِ الشّرحِ ناتجا عن اشتغال أطفِيّش بالمدوّنات النّحوِيّة، وبالخصوصِ ألفِيّة ابن مالِك والآجرومِيّة[1]، وكانَ التّعلِيل النّحوِيّ منَ المباحِثِ التِي ظهرَ اعتناؤهُ بهِ لطول مداومتهِ لهُ ولتحقِيقِهِ للغاية التّعلِيمِيَّة.

تقصِدُ مفاصِل هذا المبحَث تناوُلَ المسائل والقضايا التِي ينطوِي فِيها الخِلافُ، والتِي تُتبادَل فِي شأنِها الآراء، لأنّها تنبِئُ عن القاعدة النّظرِيّة التِي ينْطلِقُ منها الشّارِحُ، وتفصِحُ عن مقولاتهِ النّحوِيّة.

المطلب الأوّل: قضايا الأدوات النّحوِيّة في كتابِ "إجابة الدّعوة":

الأدوات في اللّغة ما يستعان بهِ لأداءِ عملٍ ما؛ وهِي «فِي الاستعمال النَّحوِيّ: الكلمة التِي يَتَوسّلُ بها قائلها إلى إفادةِ معانٍ مختلفةٍ يقتضِيها التَّعبِيرُ، كأدوات الاستفهام والاستِثناء. كما أنَّ من شأنِ هذه الأدواتِ، في بعض الأحيان، جلبَ الحركة أو السُّكون لما يقَعُ بعدها من كلماتٍ»[2]. وعلى هذا؛ فالأدوات النَّحوِيَّة تشملُ الحروف والأسماء والأفعال التِي تؤدِّي معانِي مختلفة، كما أنَّها يمكِنُ أن تحدِثَ تغيِيرًا إعرابِيّا على كلمات الجملة داخلها؛ فللأدوات معانٍ دلالِيَّة تظهرُ وتعرفُ من استعمالها وسِياقِها ووضعِها، ووظائفُ نحوِيَّة تدرك بِتغيّرِ حركاتِ الكلمات التِي تدخُلُ عليها، ويخصُّ أطفِيَّش الحروفَ

(1) يظهر هذا مِن خلالِ شروحهِ وحواشِيه التِي خلّفها في هذا الميدانِ. ينظَر مطلَب آثار أطفِيَّش.

(2) معجم المصطلحات النَّحوِيَّة، د. محمد سمير اللّبدِي، ص10.

مِن الأدواتِ بأنّها لا تستقِلُّ بدلالتها، وإنّما متّحدة مع مدخولِها، يقول «والحرف لم يوضَع للدّلالَةِ على معناهُ باستقلالٍ، بل مع غَيْرِهِ، سواءٌ أيْضا المعنَى الحقِيقِي والمجازِي...بخلافِ الحرفِ فإنّه لم يشتمِلْ علَى معناهُ كلِّهِ، بل هو بينهُ وبينَ مدخولِهِ»[1]، وبهذا التّفصِيلِ فإنّهُ لا يُعطِي للحرفِ معنًى إلّا بارتباطهِ بما يلِيه، وبالخصوصِ حين إرادة معانٍ مجازِيّة.

ويولِي أطفِيَّش في الكتابِ اهتمامًا كبِيرًا للأدوات النَّحوِيَّة، ويتجلَّى هذا الاهتمامُ فِي عدَّة صورٍ؛ منها: الوقوفُ على معانِي الأدواتِ في الجملة وبيانها مِن خلالِ السِّياقِ، وَالبحثُ عن الوظائف التِي تؤدِّيها في نَظْمِ الكلامِ، وقد يكونُ لهُ نظرٌ فِي الأوجهِ المختلفة التِي يتِيحها نظمُ الجملةِ؛ أيْ: إنَّهُ يراعِي الأحكام التَّنظِيرِيَّة الوضعِيَّة التِي أجرِيت على هذه الأدواتِ، ومناسبتها للسّياق. وقد اتَّسمت النُّصوصُ المجموعةُ في هذا المبحثِ بكلِّ مسائلِهِ، بمجموعة أمورٍ سجّلتُ عليْها ملاحظاتٍ أوجزها فِيما يأتِي:

- الاختصارُ[2]، والعبارات المقتضبة: إنَّ الشّارِحَ لا يتناول معانِي الحروفِ بالتَّفصِيل، ولا يعالِجُها بالنَّفَسِ المطوَّلِ، وإنَّما يشِير إليها بقدرِ ما يستجلِي منها ما يفِيدهُ في المقامِ، ويوجِّهُ بهِ دلالة الجُملةِ، ومن عباراتهِ أن يقول: «البَاءُ لِلصُّحْبَةِ»[3] «لَامُ "لِمَانِعٍ": لِلتَّعْلِيلِ»[4]. إلّا في حالاتٍ قلِيلةٍ حيثُ يُطِيلُ الشَّرحَ بذكرِ ما تفيده الأداة من معانٍ في البيتِ، وربّما مقارنتها مع غيرِها إن استعملت في مكانِها.

---

(1) ثاني حاشية على شرح الداوي على الأجرومية، أمحمّد أطفِيَّش [5و].

(2) قال الدكتور قباوة: المتأخّرون ينقلونَ عمَّن تقدَّمهم ما جاءَ عن الباء الزَّائدة والظَّرفِيَّة وعن الاستفهامِ من الإنكارِ والتَّوبِيخِ والنَّفيِ، ويضِيفون إلى ذلِكَ لمساتٍ دلالِيَّةً سرِيعةً، ثمَّ يتردَّدُ لديهم بأنفاسٍ مطوَّلة ترتُّبُ معانِي الجملِ على ما قبلها. معانِي الأدواتِ في التَّفسِير اللُّغوِي، الواقع والآفاق، د.فخر الدين قباوة، كتاب المؤتمر العالمِي الثالث للباحثين في القرآن الكرِيم وعلومه، ص705.

(3) إجابة الدعوة [24ظ].

(4) (م، س) [6و].

- شمولُ الأدواتِ بمختلفِ استعمالاتِها: لم يقتصِر الشَّارِحُ على نوعٍ معيَّنٍ من الأدواتِ، وإنَّما تنوَّعَتْ بتعدُّد الأبوابِ النَّحوِيَّة: حروف الجرّ، حروف العطفِ، حروف الشَّرطِ. الظُّروف.
- عدَم الإحالة إلَى المصادِر: سبق أن أشرْتُ إلى هذه الملاحظة فِي نصوصٍ سابقة، ويتكرّرُ الأمْرُ نفسُه فِي نصوص هذا المبحث؛ فلم يحِلْ أطفِيَّش إلى عَلَمٍ مِن الأعلام تناول مسألة من مسائِلِ هذا المبحث، ولا أسنَدَ إلى أحدهِمْ رأْيًا في معنىً من معانِي الحروفِ، أو نَصّ على مصدرٍ استقَى منهُ معارِفَهُ، ولقد أرجعت هذا إلى منهجِ الاختِصارِ الذِي سلكَهُ الشَّارِحُ، كما يعودُ أيضا إلى نوعِيَّة المعالجات التِي قدَّمها كما تمّ بيانُهُ، إذْ لم يحتجْ إلى ذكرِ مصادرِ معلوماته في ذلِكَ.

إنَّ غايةَ أطفِيَّش من الكتاب بيان معانِي الأبياتِ والوقوف على أوجهها المتعدِّدة؛ فالحدِيثُ عن الأدواتِ ومعانِيها ووظائفها يأتِي عرَضًا، وليس مسوقا لذاتِهِ، ولكنَّ هذا لم يمنعهُ مِن تقدِيمِ مادَّةٍ نظرِيّة تطبِيقِيَّة، يَختلفُ مستوَى عمقها وسطحِيّتِها مِن شرح نصٍّ لآخَرَ، فليسَ نظرهُ فِي الأدوات بالمستوَى نفسِهِ مِن المعالجةِ، وعلى هذا فإنَّ عمليَّة تتبُّعِ مواضِعِ هذِهِ الأدوات أنتجَ تقسِيمَهَا علَى العناوِين المعروضة في هذَا المطلَب.

1- ذكر معنَى الأداة أو وظِيفتها:

تُنْبِئُ مجموعة مِن النُّصوصِ عن رغبةِ الشَّارِحِ فِي معاملة هذه الأدواتِ بالقدرِ الذِي تكشِفُ بهِ عن معانِي الأبياتِ، دونَ الخوضِ في التَّفصِيلاتِ التِي لا تخدُمُ هذهِ الغايةَ، وتجلَّى هذا فِي ظاهرة تقدِيمِ معنَى الأداة ووظِيفتها، وتحقِيق مناسبةِ هذا المعنى مع السِّياق الذِي وردت فِيهِ، ومِن نماذج ذلِكَ قولهُ: «وحَذف الْجُمْلَة بَعدَ "لَا" كَمَا رَأَيْتَ لِلْعلمِ بِهَا كمَا رَأَيْتَ، والوَاوُ بعْدَها لِلْحَالِ»[1]. وهذا على أنَّ الواوَ تأتِي لعدَّة وظائف، ولا بدَّ من تمِيزِ بعضِها عن بعضٍ وتحدِيدِ المعنَى المرادِ، وأشِيرُ إلى أنَّ بيانَ معنى الأداة بهذا الشَّكلِ

(1) إجابة الدعوة [192و].

السَّرِيع يعتمِدُ عليهِ الشَّارِحُ كثِيرا في المواضِع التِي لا يثِيرُ توظِيفها إشكالاتٍ في النَّظمِ على الشَّكلِ الذِي ستظهِرهُ النّماذج الّلاحِقَة، حيثُ تفرزُ مستوياتٍ للمعالجة تقتضِيها.

كما أنّهُ قد تبدَّت نماذجُ على هذا المستوَى تجاوَزَ فِيها الشَّارِحُ تحدِيد الوظِيفة أو الدّلالة إلى النَّظرِ في ملاءمَتِها للسِّياقِ بإدماجِ المعنَى المذكورِ في التّركِيبِ، والتّأكُّد مِن موافقتهِ للمطلوبِ وتحقِيق النّظم والإيفاء بالمقصودِ من الكلام، مِن ذلِكَ قوله: «اللَّامُ فِي "لِيَفْعَلَهَا" لَامُ تَأْكِيدِ النَّفْيِ، فَإِنَّ النَّفْيَ بِـ"لَمْ"، وَاللَّامُ تَأْكِيدٌ؛ كَأَنَّهُ قَالَ: لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ»[1]. وعلى تعدّد معانِي اللّام؛ فإنّ المقصودَ منها في السِّياقِ التّأكِيد؛ لاتِّصالِها بالفعلِ المضارِعِ، وهو على معنَى التَّكرِيرِ للفعل. ولم يتوقَّف الشَّارح عندَ هذَا الحدِّ وإنّما لزِمَهُ تحدِيدُ هذا التَّأكِيدِ الذِي يرتبِطُ بما قبله، فهو تأكِيدٌ سلبيٌّ لسَبقِه بِالنَّفيِ.

هذا التَّحدِيدُ يدلُّ على تقدّمٍ في أداءِ الشَّرحِ، ورغبةٍ فِي بلوغِ مقصدِهِ بالوقوفِ على كلِّ ما يمكِنُ أن يؤدِّي إلى الفهم الصَّحِيح والمرادِ من الأبياتِ، وحلّ لما يمكِنُ أن يحدِثَ إشكالا في بلوغ المرادِ.

2- نيابة الحروف عن بعضِها:

لقد أقرَّ جمهورُ اللّغوِيّين والنَّحوِيّين نيابةَ الحروف وتقارضها فيما بينها[2]، رغم وجود أصواتٍ تنادِي باستقلالِ كلّ حرفٍ بِمؤدّاه، وعدم صلاحِ إرادة معنَى حرفٍ بحرفٍ آخَرَ.

والواقعُ أنَّ ما اختصَّ بهذه القضِيّة فِي الكتابِ مِن نصوصٍ لَمْ تكن بالعدد الكبِير[3]، ولكنَّها تتِيح الوقوفَ على آراءِ الشَّارِح ونظرتهُ فِي هذِهِ المسألة؛ حيثُ إنَّ أبياتَ القصِيدة،

(1) إجابة الدعوة [8و].

(2) الأدوات النحوِيَّة في كتب التّفسِير، د. محمود أحمد الصغير، ص700.

(3) ينظر: إجابة الدعوة [1ظ] و[10و] و[9ظ] و[10و] و[98و] و[2و].

وتراكِيبَ جُملِهَا، توجّهُ الشَّارِحَ إلَى اختيارِ آراء، وتبنّي منهجٍ يخدمُ غايتهُ، وهي بيان معانِي القصِيدةِ، وإبقاؤها نصًّا متماسِكًا يأخذُ أبياتُها برقابِ بعضٍ.

لقد كانت جلُّ نصوص الظَّاهرة متعلّقةً بِحروفِ الجرّ، وهذا يمكِنُ أن يقدِّمَ توجِيها نظرِيّا عن تبنّي الشَّارِح لمسألة نيابة الحروف، حيثُ يرَى بعضٌ حدوثَها على مجموعةٍ دونَ أخرَى؛ فالحروفُ التِي تعمل على نطاقٍ موحَّدٍ معيَّنٍ مِن المعانِي، كحروف العطفِ مثلًا، تجعلُ إمكانِيّة تقارضها واردةً بشكلٍ كبِير.

وتبقَى هذه النَّتِيجةُ على احتماليّتها ورادةً، فقد تكرّر عند الشَّارِح الإقرار بنيابة حرف الجرِّ اللّام للحرفِ "إلى" قال: «اللَّامُ فِي قَوْلِهِ "لِلإِنْسِ" بِمَعْنَى "إِلَى" مُتَعَلِّقٌ بِـ "رَسُولٍ"»[1]. وقالَ: «اللَّامُ: بِمَعْنَى إِلَى»[2]. وهذا راجعٌ إلى تقارب ومناسبة المعانِي التي يؤدِّيها كلٌّ منهما، والمقصود في النّصّين أنَّ تعدّي الفعلين (أرسل، أعِيد) إلَى مفعولَيْهِما يكونُ بِاللّامِ، كما يكونُ بـ"إلى".

ويمكِنُ تلمُّسُ هذهِ المقاربة أيضا في قولِهِ «وَالبَاءُ: بِمَعْنَى: مَعَ، **وَالمَعِيَّةُ مَعِيَّةُ تَعَاقُبٍ**؛ أَيْ: وَلَا فَرَجَ إِلَّا بَعْدَ شِدَّةِ الكَرْبِ الشَّدِيدِ؛ أَيْ: إِذَا ازْدَادَ شِدَّةُ الكَرْبِ الشَّدِيدِ وَتَنَاهَتْ جَاء الفَرَجُ»[3]. وهذا عند قول النّاظِمِ:

مَعَ العُسْرِ يُسْرٌ وَالتَّصَبُّرِ نُصْرَةٌ وَلاَ فَرَجٌ إِلاَّ بِشِدَّةِ كَرْبَانِ

واضِحٌ من النَّصِّ عودُ الشَّارِحِ إلى الآية التِي اقتبَسَ منها النّاظمُ مِن سورة "الشَّرحِ"، وإلّا ما كان ردَّ معنَى الباءِ إلى المعِيَّة. ثمّ أكَّد شكلَ أداءِ هذه المعِيَّة التي تقتضِي بحسبِ الآيَةِ أن تكون مباشرة غير متراخِية، دعمًا للنّفوسِ حتَّى لا يستحكمَ فِيها اليأسُ والقنوطُ. وهذا

(1) إجابة الدعوة [1ظ].
(2) (م، س) [10و].
(3) (م، س) [9ظ].

متساوِق مع معنَى حرف الباءِ الذِي يستعمل للإلصَاقِ؛ أيْ إنَّ مجِيءَ الفرجِ مرتبطٌ ومقرونٌ بشِدّة الكربِ.

يبقَى أنْ أشِيرَ إلى أنّ غيابَ تحلِيلٍ عمِيقٍ فِي تطبِيقاتِ أطفِيّش يدفعُ إلى القولِ بنتائج افتراضِيَّة عن آرائه حول هذه المسألة[1]، ومِن بينِ ما يتعلَّق بها أسبابُ التّناوب ودواعِيهِ، وقد بيّنت النّماذجُ المتقدّمة تأثِير تعدِّي الفعل في ذلِكَ، وكذا الاقتباس من النّصّ القرآنِيّ.

كما أنَّهُ لم تَكُن هناك إشارةٌ إلى الغاية من هذه النِّيابة حين تحقّقِها؛ أي الأغراض البلاغِيَّة والفنِيَّة التِي تدعو إلى استعمالِ مثل هذه المناوباتِ، كأن يكون لغاية توسِيع المعنَى، وتحمُّل اللَّفظِ معانِي أغنَى وأرحب.

ولم أقِفْ أيضًا على أحكامٍ نقدِيَّة بخصوصِ استحسان هذا التَّقارُضِ أو استهجانهِ، ممّا يدعُو إلى بناءِ أحكامٍ بخصوص هذا الجانب من المسألة، إلّا ما كان من قولِه، وهو نصٌّ وجِيزٌ: «وَالفَاءُ فِي قَوْلِهِ: "فَأَمَّا" فِي جَوَابِ شَرْطٍ وَتَفْصِيلُهَا تَحَقَّقَ بِقَوْلِهِ: إِذَا أَنَا قَدْ صَلَّيْتُ فَالقَلْبُ غَافِلٌ، فَإِنَّهُ مُعَادِلٌ لِقَوْلِهِ: إِنَّهُ عَنِ الدُّنْيَا لَيْسَ بِغَافِلٍ، وَالوَاوُ هُنَا أَوْلَى مِنَ الفَاءِ»[2]. والمؤدِّي إلى هذهِ النّتِيجَةِ تجاورُ أداتَي "الفاء" و"أمّا" التّفصِيلِيَّة التي تقتضِي الرَّبطَ بينَ ما تقدّمهُ مِن تفصِيلٍ دون مراعاةٍ لترتِيبٍ وتواصلٍ.

3- تعدُّد معانِي الحرف الواحِد:

هذهِ الظّاهرَة جدِيرة بالتَّتبع والدّراسة؛ إذ إنَّ الشَّارِحَ يبلُغُ أن يذكُرَ للحرفِ الواحد أكثر من ثلاثة معانٍ، في محاولة للإحاطة بالمعانِي المرادةِ دون إقصاءٍ.

---

(1) من المصطلحات المتعلّقة بنيابة الحروفِ "التّضمِين" وقد تمّ تناوله فِي مبحث الدِّراسة المعجمِيّة وبالخصوصِ ما تعلّقَ منهُ بالأفعال.

(2) إجابة الدعوة [7و].

في نصوص هذه المسألة يعطِي أطفِيّش لنفسِهِ فسحةً لإبداءِ آرائِهِ ومنطلقاتِهِ النَّظرِيَّة مِن أجلِ بلوغِ غايتِهِ، والتّحقِيقِ في أبياتِ القصِيدةِ وأحكامها التَّركِيبِيَّة، فإنَّ ما أشرتُ إليهِ سابقا من منطلقاتٍ تحضُرُ خلالَ الأبياتِ التِي تشكِلُ عليهِ، وترغمهُ على بسطٍ أرحب وتحلِيلٍ أدقَّ.

إنَّ مسألةً مثلَ كون الأداة تكتنِفُ في ذاتِها معنًى تحمَلُ عليهِ في الاستعمال، نستشفُّها من قولِه: «"فِي": عَلَى **ظَاهِرِهَا**، فَإِنَّكَ إِذَا سَمِعْتَ شَيْئًا أَوْ رَأَيْتَهُ؛ فَقَدْ تَحْصُلُ صُورَتُهُ فِي الأُذُنِ وَالبَصَرِ بِوَاسِطَةِ القَلْبِ وَبِالعَكْسِ، أَوْ بِمَعْنَى **البَاءِ الإِلْصَاقِيَّةِ**»[1]. فيعنِي بالظَّاهِرِ الأصل الذِي وضعت لتدلّ عليهِ الأداة، وهذا مخالِفٌ للرَّأيِ الذِي يرى أنَّ الحرفَ لا يفِيد معنًى في ذاتِهِ[2]، وإنَّما يتحصَّلُ له من السِّياقِ، وقدْ يكونُ هذا خاصًّا بِحُروفِ الجرّ؛ إذْ غالِبُ النّصوص المحصاة من هذا البابِ.

ولكنْ بِتطْبِيقِ هذا الرّأيِ نجدُ أطفِيَّش يناقِشُ كيفَ أنَّ الأداة "إذْ" انتقلَ إليها معنىً لم توضَعْ لهُ أصلا، في شرح البيتِ:

وَعَيْنِيَ كَمْ أَبْدَى لَهَا الدَّهْرُ عِبْرَةً فَلَمْ تَنْزَجِرْ إِذْ خَوْفُ رَبِّيَ أَعْيَانِي

قال «"إِذْ": ظَرْفٌ وَهِيَ التِي شهرَ كَوْنُهَا **لِلتَّعْلِيلِ**، وَإِنَّمَا التَّعْلِيلُ مِنْ **عَرَضٍ**، لَا **بِوَضْعِهَا** لَهُ. فَمَعْنَى: أَكْرِمْ زَيْدًا إِذْ أَكْرَمَكَ؛ أَكْرِمْهُ وَقْتَ اتِّصَافِهِ بِالإِكْرَامِ، وَالِاتِّصَافُ مُمْتَدٌّ إِلَى وَقْتِ التَّكَلُّمِ وَمَا بَعْدَهُ، وَفِي ذِكْرِ الوَقْتِ مُضَافًا لِلإِكْرَامِ **تَلْوِيحٌ** بِأَنَّ **العِلَّةَ** إِكْرَامُهُ إِيَّاكَ، وَكَذَا قَوْلُهُ

(1) إجابة الدعوة [3ظ].

(2) إنَّ القولَ بأنَّ «حروفَ المعَانِي هِي حروفٌ تدلُّ على معنًى في غيرِها» الإيضاح في عِلل النَّحوِ، الزَّجَّاجِي، ص54. قد شرحهُ د.فخر الدين قباوة بقولِهِ «إنَّ الحرف النَّحوِي ذو دلالةٍ معنوِيَّة مستقِلَّة ظاهرةٍ فِيهِ، تتجسَّد في الذِّهنِ مع ذكرِه، وقد تكون وحِيدةً أو ذات عدَّة توجُّهاتٍ محتملة، فإذا انتظَمَ في عبارةٍ تجرَّدَ لمقصدٍ معيَّنٍ، وزالتْ عنه سائر الاحتمالاتِ» معانِي الأدواتِ في التَّفسِير اللُّغوِي، الواقع والآفاق، (م، س)، ص698. فالحرفُ إذًا يستقِلُّ بنفسه بمعنًى أو أكثرَ، يظهرُ المعنَى المرادُ منه وتنتفِي عنه المعانِي الأخرَى إذا دَخلَ في تركِيبٍ معيَّنٍ، والتزمَ بعلاقاتٍ مع الكلمات في الجلمةِ.

تَعَالَى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ** ﴾[1]؛ أَيْ: اذْكُرْ وَقْتَ قَوْلِ مُوسَى لِقَوْلِهِ، وَلَا يُقَالُ فِي هَذِهِ **تَعْلِيلٌ**، وَلَكِنْ مَا بَعْدَهَا المُرادُ بِالذِّكْرِ. فَفِي البَيْتِ: خَوْفُ اللهِ أَعْيَاهُ فِي وَقْتٍ لَمْ يَنْزَجِرْ، وَإِعْيَاءُ خَوْفِ اللهِ إِيَّاهُ عِلَّةُ عَدَمِ الانْزِجَارِ»[2]. إنَّ تحصِيلَ التّعلِيلِ بالأداةِ "إذْ" لا يكونُ إلّا وَفق مقتضيات التّركِيبِ، وقد وفّق أطفِيّش في التّفرِيقِ بينَ المعنيَيْنِ بدقّة، باستعمالِ المصْطَلحَيْن "عرض" و"تلوِيح"، فـ"إذْ" لا تحتمل تعلِيلا في الآية[3]، وإنّما أفادتهُ في البيتِ والمثالِ توافقا مع غرضِ التّركِيبِ وتحصِيلِ المعنَى.

لا يَرِد عندَ الشَّارِحِ ذكرٌ لأسبابِ التَّعدُّدِ فِي أغلبِ النُّصوص، وفي القدرِ الذِي بيَّنتُهُ كفاية لإدراكِ أنه يهتمُّ بالنَّظَرِ فِي ذلِكَ، إتمامًا لعمليَّة الشَّرحِ، وإجابة لأسئلة المتلقِّي الذِي يستشكِلُ مثل هذا التَّعدُّد، ويرغبُ فِي معرِفة أسبابِهِ. وعلى هذا قوله «وَالبَاءُ **لِلمُصَاحَبَةِ** أَوْ **لِلإِلْصَاقِ** عَلَى **الأَصْلِ**، إِلَّا أَنَّهُ **مَجَازِيٌّ**»[4]. إذا فهو يردّ هذا التّعدّد في المعنَى إلى المجازِ؛ أيْ مخالفة وَضْع الاستعمال إلى غيرِه عنْ طرِيق المجازِ دون تحدِيد علاقتِهِ ولا بيانِهِ، وفي قولِه: «واللَّامُ فِي "لِلْخَمْسِينَ" بِمَعنَى "مِنْ" عَلَى الِاسْتِعَارَةِ التَّبَعِيَّةِ، ويَجُوزُ أَنْ تَكُونَ زائِدَةً فِي الْمَفْعُولِ بِهِ»[5] يصرّحُ بوضوحٍ بتحدِيدِ العلاقةِ بِالاستعارة التَّبعِيَّة لوقوعِها فِي الحرفِ.

وفِي قولِهِ «"رُبَّ" **لِلتَّكْثِيرِ**، إِنْ أَرَادَ بِالْعَنَاقِ الشِّيَاهَ مُطْلَقًا مَعْزًا أَوْ ضَأْنًا صِغَارًا أَوْ كِبارًا، تَجَوُّزًا إِرْسَالِيًّا، وأَرَادَ بِعَدَمِ نُزُوِّ الْفَحْلِ عَلَيْها الْمَنْفِيِّ، أَنَّهُ مَا نَزَا عَلَيْهَا قَطُّ، أَوْ مَا نَزَا عَلَيْها قَرِيبًا، نُزُوًّا يَصْلُحُ أَنْ تَحْمِلَ بِهِ فتَلِدَ فيَكُون لَهَا لَبَنٌ، وذلِكَ تَوَسُّعٌ فِي الْعِبَارَةِ. وإِنْ أَرَادَ ظَاهِرَ

---

(1) سورة البقرة: 54.

(2) إجابة الدعوة [5ظ].

(3) من الشّـــواهِدِ على قصـــرِ "إذ" على الظّرفِيَّة دون التّعلِيل قول الله تعالى: ﴿ **قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ** ﴿89﴾ ﴾ [سورة يوسف: 89].

(4) إجابة الدعوة [8و].

(5) (م، س) [204و] و[204ظ].

اللَّفظِ، مِنْ كَوْنِ الشَّاةِ مَعْزَةً صَغِيرَةً لَمْ يَنْزُ عَلَيْها فَحْلٌ قَطُّ، فَرُبَّ **لِلتَّقلِيلِ**، كَأَنَّهُ وَقَعَ لَهُ أَمْرٌ نَادِرٌ مُعْجِزَةٌ، ومِن شَأْنِ الْمُعْجِزَة القِلَّةُ، فَهَذِهِ مُعْجِزَة قَلِيلَةٌ، بَمَعْنَى أَنَّها لَمْ تَقَعْ إِلَّا لَهُ»[1] تراهُ يُحَدِّدُ سببَ التّعدّد بارتباطِ الأداة بما بعدها، ودخولها في سياق يقتضِي مراعاة مقامٍ وتحقِيق مقصَدٍ، واعتبارِ دلالة المفرداتِ المتّصلة بها؛ فليست الأداة برِيئة من الاستعمالِ، تحملُ على وَجْهٍ لا يمكِنُ صرفها عنهُ إلّا لدَلِيلٍ.

إنَّ الموازنة بينَ الدّلالات المتعدّدة للأداة بترجِيحِ الرّاجحِ، ونفْيِ ما قد يتوهّم عنها، ممّا نبّهتْ إليهِ نصوص القضِيّة، ومِن النّماذجِ على ذلِكَ قوله: «"ال" في "الأَزْمَانِ" **لِلْحَقِيقَةِ لَا لِلْاستِغْرَاقِ**؛ لِأَنّ الاسْتِغْرَاقَ مُسْتَفَادٌ مِنْ "كُلِّ" قَبْله»[2]. ينتفِي في النّصِّ على الأداةِ "ال" أداءُ معنَى الاستغراقِ لاقترانِها بما يوفِّي هذا المعنَى، وإنَّما سِيقتْ لأداءِ معنىً آخَر مِن العادةِ استعمالها لأدائِهِ، ويعزّز إرادة معنًى غير "الاستغراق" إمكان الاستغناءِ عن "ال" لاستقامة الوزنِ دونها؛ ولكِن سِيقت الأداةُ لتحدِّدَ من الأزمانِ حقِيقتها؛ أيْ: ماهيتَها. والفرقُ أنَّ الاستغراق يقتضِي أن تكون مجموعة من الأزمان تبلغ حدّ الكثرة، والحالُ أنَّ المقصود الزّمن قلّ أو كثُرَ، لتتحقّقَ فِيهِ غفلة النّاظم[3].

وقال الشّارِحُ: «والفَاءُ في قَوْلِهِ "فَبَاتَ" لمجرَّدِ **السَّبَبِيَّةِ دُوَن الاتِّصَالِ**. ثمَّ إنَّهُ لَا مَانِعَ مِن أَنْ يُرِيدَ بِالمنَاجَاةِ قولَهُ في الجنَّةِ يَدعُو وَيُناجِي في تَنَقُّلِهِ: ﴿**قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ** ﴿23﴾﴾[4] فلَا يكونُ قَوْلُهُ: "باتَ" علَى ظَاهِرِهِ، إذْ

(1) إجابة الدعوة [250ظ] و[251و].

(2) (م، س) [77و].

(3) سَيتمّ تناول النّصّ في مباحثِ الصَّرفِ، لدلالة الجمع على المفرَدِ.

(4) سورة الأعراف: 23.

لَا لَيْلَ فِي الْجَنَّةِ، **ولا اتِّصَالَ** بالْفَاءِ علَى كُلّ حَالٍ؛ لِأَنَّهُ بَقِيَ مُدَّةً في الْجَنَّةِ بَعْدَ رُؤْيَةِ اسْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ في الْعَرْشِ، وقَبْلَ الْمَعْصِيَةِ»[1]. وهذا حِين شرحِه البيت:

فَبَاتَ يُنَاجِي رَبَّهُ مُتَضَرِّعًا بِحَقِّكَ لَمَّا أَنْ دَعَاهُ لِغُفْرَانِ

إنَّ أطفِيَّش يستعِينُ بمعانِي مفردات البيتِ من أجلِ تحصِيلِ دلالة الحرفِ، ومن خلالِ الشّواهِدِ المحدّدة للمعنى المراد. إنَّ نَفْيَ الاتِّصالِ (التّعقِيب) دعا إلَيْهِ دفع التّوهّم بإسراعِ آدمَ بالعودة إلى ربّهِ والاستغفارِ، فهذا غيرُ مستفادٍ مِن قولِهِ "فبات"، فالمقصودُ أنَّ السّببَ الدّاعِي إلى طَلَبِ العفوِ مِن اللهِ تعالى بحقِّ محمَّدٍ ﷺ هو رؤيتهُ لذكرِهِ. لقد تضافرت الأدلّة المقامِيَّة واللَّفظِيَّة على تحدِيد المقصود من توظيف الحرفِ ودلالته، لئلّا يصرفَ إلى ما سواهُ من الدّلالاتِ[2].

إنَّ البسْط في مسألة تعدُّد معانِي الحروفِ فِي السِّياقِ ليسَ لداعٍ نظرِيّ بحتٍ، أو استجابةً لوَلَعٍ بمثْلِ هذهِ المسائلِ، ولا استِعرَاضًا لمعارِفِ الشَّارِح في هذا الميدانِ، وإنَّما هوَ نابعٌ مِن النَّظرِ في الأبيات المشروحة، ورغبة فِي حلِّ إشكالاتها، وتوضِيح المعانِي المقصودة للمتلقِّي، كما أنَّهُ يُنْبِئُ عن وعْيٍ بماهية لغةِ الشّعرِ التِي من طبِيعتها الاحتمالُ وتعدّدُ الأفهام بحسبِ إدراك المتلقِّي واستعدادهِ المعرفِي، دون الشَّططِ والتَّسيُّبِ الذِي يخرجُ النَّصّ عن مقصودِهِ، ويلقِي بالمعنَى بعِيدًا عن المرادِ.

خلاصة:

ساهمت الأدوات بمختلف أشكالِها فِي أداءِ معانِي الأبياتِ وتحقِيقِ مرادها مِن خلالِ احتمالِها للمعانِي الدّقِيقة الموجّهة لمرادِ النّاظم.

---

(1) إجابة الدعوة [77ظ].

(2) ينظر أيضًا: (م، س) [199ظ].

وقد استطاع أطفِيَّش بوقوفهِ علَى تلكَ المعانِي أنْ يُحَقِّق التّرابط بينَ معانِي الأدوات الافتراضِيّة وَدلالتها التّركِيبِيَّة والمقامِيَّة.

ولمْ يلزِم أطفِيَّش نفسَهُ بمعنًى واحِدٍ للأدواتِ، وإنّما وسّع أفقه، واحتمل للأداةِ ما يمكِنُ أن تؤدِّيهُ، باستحضارِ المقامِ ودلالات الألفاظِ.

وكان نفيُ الدّلالات عن الأدواتِ مِن آلياتِ توضِيحِ معانِيها الوظِيفِيَّة المستعملة لها، فبنفيِ غيرِها يتّضِحُ المرادُ ويجلو.

ويرجعُ تعدّدُ معانِي الأداةِ في التّركِيبِ إلَى ترابطها مع الكلمات بِالنّظمِ، وتفاعلها مع دلالاتها الوضعِيَّة والاستعمالِيَّة، وباعتبارِ السِّياقِ الذِي وردتْ فِيهِ، تحصِيلُ ذلِكَ كان مِن مهامِ الشّارِحِ خدمةً للقارِئِ المتلقِّي والنّصّ والمبدعِ.

وقد أنبأت تحلِيلات أطفِيَّش عن سعة إدراكهِ لمعانِي مختلف الأدوات (حروف الجرّ، حروف العطف، الظُّروف)، وجلّى تفرِيقُهُ بينَ المعانِي الوضعِيَّة والاستعمالِيَّة عن رغبتهِ فِي خدمة النّصّ بما يتِيحهُ النّظمُ والمفرداتُ دون شططٍ ولا إقصاءٍ.

المطلَب الثّانِي: القضايا الصَّرفِيَّة في شرح نونِيَّة المديح

1- الدّرس الصّرفِي عند أطفِيَّش:

يعرِّفُ أطفِيَّش الصَّرف اصطلاحًا، بقَولِهِ «تحويل الأصل الواحد -وهو المصدر-إلى صيغة أو صِيغتينِ، أو صِيغٍ لِمعنى أوْ معْنَيَيْن أو معانٍ»[1]. ويطابِق معناهُ بالتّصرِيفِ مع فرقٍ، بقولِهِ «ويُسمَّى التّصريفَ للمبالغة؛ لكثرة تصرُّفاتِ هذا الفنِّ، وتصرّفاتِ الألفاظِ»[2] مستنِدًا إلى الصِّيغة الصّرفِيَّة المفِيدة لهذا المعنَى، وهذا التّعرِيف يعنَى بالجانب العملِي مِن الصَّرف.

(1) الكافِي في التّصرِيف، أمحمّد أطفِيَّش، ص67.

(2) (م، س)، ص67.

ومِن حيث البناء المعرِفِي يقول أطفِيَّش: «ويطلقان أيْضًا على معرفةِ أحوالِ الصِّيَغ»[1]؛ والمقصودُ بهِ الإحاطة بالأصولِ التِي تقومُ عليها عمليَّة تغيِيرِ المفردات في العربِيَّة مِن حيثُ البناء الدّاخلِيّ، وتصّرفاتها بينها في أجزاءِ الكلامِ. وبالجمعِ بينَ التّعرِيفينِ يتحصّلُ أنَّ الصّرفَ يُعْنَى «أبنية المفردات العربِيَّة، مِن حيث صياغتها لإفادة المعاني المختلفة، وما يعترِيها من الأحوال العارِضة كالصِّحَّة، والإعلال، والأصالة، والزِّيادة ونحوها»[2]. ويبقَى الفرقُ بين صِيغتي (الصّرف، التّصرِيف) فرْقًا في غلبةِ استعمالِ إحداهِما على الأخرَى، مع اتِّفاقِ مدلوليهما، حسبَ المشارِ إليهِ في التّعرِيف الجامِعِ.

والملاحَظُ عند الشَّارح فِي كتابِ "إجابة الدّعوة" وقوفه على معَارف الصَّرفِ، لا بقصْدٍ لها، وإنَّما تضْطرُّهُ المنهجِيَّة والحاجة لتوضِيحِ معنى مفردةٍ في البيتِ، أو التَّفرِيق بين مفردةٍ وأخرَى بالصِّيغة الصَّرفِيَّة وغيرِ ذلِكَ، أو اعتبار دلالةٍ بالنَّظرِ إلى نوعِ الكلمةِ وتأثِيرِها في سياق الجملة.

فحضور الصَّرفِ ومباحثه في الكتابِ منوطٌ أساسا بالحاجة إليهِ، والتَّوسُّع فيه بذكرِ الآراء، وتقلِيبِ المفرداتِ ليسَ ممَّا كان يهدفُ إليهِ الشَّارح، فانتهجَ الاقتصادَ والاقتصار على ما تفِي بِهِ الحاجة دون تفصِيلٍ ولا تطوِيلٍ.

وتبرزُ كذلِكَ ملاحظةٌ منهجِيَّة لها دورٌ في توجِيهِ تَوظِيفِ معارِفِ الصَّرفِ عند الشَّارِحِ؛ فالشَّارِحُ لا يهتمّ في الشَّرح إلَّا بالظَّواهرِ التِي تثير إشكالا؛ أيْ الكَلِمات التِي لا يتَّضِحُ معناهَا مباشرة للقارِئِ، أو التِي تكونُ دلالتها فِي مركزِ البيتِ، فيكون فهمُ الكلماتِ الأخرَى مرهونًا بِفهمها، وطبِيعِيّ أن تكون النُّصوص المعالجة للإشكالاتِ قلِيلةً بالنَّظَرِ إلى طبِيعةِ النَّظمِ المشروحِ.

---

(1) الكافِي في التصرِيف، ص67.

(2) التحلِيل النَّحوِي وتوجيه الدَّلالة، الزايدِي بودرامة، ماجستِير، ص202.

وبالنَّظرِ إلى منْهَجِ الاختصارِ الذِي اختارهُ الشَّارِحُ في كلِّ معالجاتِهِ النَّحوِيَّة والصَّرفِيَّة وغيرِها، نجِدُ النُّصوصَ قصِيرةً جِدًّا، وكأنَّها نموذج تحتَ الطَّلبِ، لا توسُّعَ في ذكرِ الآراءِ، ولا استطرادَ في نقلِ الشَّواهِدِ، ولا تعلِيقات مفِيضة في إشكال المفرداتِ وتوجِيهها، فقط بيانٌ للمطلوبِ واكتفاءٌ بقَلِيلِ الكلامِ.

إنَّ مجموعَ نصوصِ الشَّرح بتوظِيف المعطيات الصَّرفِيَّة، شذراتٌ قلِيلةٌ، منتشرة في ثنايا الكتابِ بينَ شَرح بيتٍ وبيتٍ، وبين مجموعةٍ ومجموعةٍ أخرى؛ أيْ إنَّ الكتابَ بكاملهِ لمْ يخلُ من بيانٍ لصِيغِ المفرداتِ واشتقاقاتِها[1]، أو من بيان أصول الكلماتِ سواء الأفعال أو الأسماء[2]، أو غيرِ ذلِكَ من المباحث الصَّرفِيَّة، ولكن في شرحِ بعضِ الأبياتِ سواء المفردة أو المجموعة، يغِيبُ هذا المستوَى تمامًا لعدمِ الحاجةِ إليهِ.

وممَّا سجِّلَ أيْضًا على مجموعِ النُّصوص المجموعة من الكتاب غياب المعالجة النَّظرِيَّة لمسائل الصَّرفِ، ويرجعُ هذا أساسا إلى ما أشرتُ إليه من الاقتصاد والاقتصار على ما يفِيد النَّصَّ المشروح ويجلِّي معانِيه، وهذا مشروعٌ للشَّارِحِ إذ عمله يقتصِرُ على بيانِ مفرداتِ القصِيدةِ وغيرِها من النُّصوصِ، كما أنَّ للشَّارِحِ مؤلَّفاتٍ في علوم اللُّغةِ قد أشرتُ إليها في مبحثِ الآثار اللُّغوِيَّة والأدبِيَّة؛ فالاختِصارُ في هذا المقامِ منبنٍ على أنَّ المسائِل النَّظرِيَّة تنظرُ فِي بابِها. ورغمَ هذا فقد وقفْتُ على مسْألتينِ خلافيَّتين كان الشَّارِحُ ذكرَهما ونقلَ آراءً بخصوصِهما، أشِيرُ إليهما في آخرِ الدِّراسة كمسائِل متفرِّقة، وفِيما يأتِي دراسة لأهمِّ القضايَا الصّرفِيَّة من خلالِ تحلِيل نماذج من الكتابِ.

(1) ينظر إجابة الدعوة [1ظ] و[7ظ].

(2) ينظر (م، س) [3ظ] و[9ظ].

2- التّغيِيرات الصَّوتِيَّة/ الصّرفِيَّة في شرحِ المفرداتِ:

مِنَ المداخل التِي اعتمدها أطفيَّش، حين شرحِ الألفاظِ، التَّعرُّضُ للظَّواهِرِ الصَّوتيَّة والصّرفِيَّة الحادثة فِيها والتِي تميّزهَا. إنَّ مجملَ ما قدّمهُ الشّارِحُ ملاحظاتٌ وتحدِيدات وجبَ علَيْهِ ذكرُها دون أن يطِيلَ الكلامَ فِيها، ولا أن يبحثَ مسائلها بشكلٍ دقيقٍ مفصَّلٍ. ومن المفِيدِ ذكرُ طرفٍ منها في هذِهِ الدِّراسةِ؛ لمعرفةِ طبِيعةِ هذهِ المعالجةِ، والوقوف على ما تعرَّضَ له مِن مسائل وإشكالاتٍ.

ذكَرَ أطفِيَّش ظواهِرَ صوتِيَّة متعدِّدة أبرزُها: الإبدال والإعلالِ والقلب والوقف والتّخفِيف والهمز والنّقل والتّسكِين والحذف، توزّعتْ بَيْنَ ما تعلَّق ببناءِ الكلمة الدّاخلِيّ، ومَا تعلَّقَ باتِّصالها بغيرِها ضِمن التَّركِيبِ. كما تمايَزَتْ بينَ اختلافاتٍ لغوِيَّةٍ أدائِيَّة لا ينتجُ عنها اختلافٌ دلالِيّ واختلافات معنوِيَّة خالِصة، وستقدِّمُ التّطبِيقاتُ الآتِيَة نماذجَ لِذلِكَ.

فقدْ قال في توضِيح المفردة "آيِس" مِن البيتِ:

فَكَمْ آيِس مِنْ رَحْمَةِ اللهِ قَدْ غَدَا إلَيْهَا فَحَطَّتْ عَنْهُ أَنْوَاعَ عُدْوَانِ

قال «"آيِس": بِتَصْحِيحِ اليَاءِ بَعْدَ الأَلِفِ، لَا بِقَلْبِهَا هَمْزَةً؛ **لِأَنَّهَا صَحَّتْ فِي الفِعْلِ**»[1].

وقالَ فِي شرحِ البيْتِ (مِن غيرِ القصِيدة المدنِيّة):

وَفِي طَيْبَةَ أَيْضًا ثَلَاثٌ أَعُدُّهَا فَعِيرًا وَورْقَانًا وَأُحْدًا رَوَيْنَاهُ

قالَ «وسَكَّنَ حَاءَ "أُحُدٍ" لِلْوَزْنِ **ويَجُوزُ** نَثْرًا؛ **لِأَنَّهُ تَخْفِيفٌ مِنْ ضَمٍّ**، وكذَا لَوْ كانَ مِن كَسْرٍ. ووَرِقان بفَتْحِ الوَاوِ وكَسْرِ الرَّاءِ، وسَكَّنَهَا لِلْوَزْنِ ويَجُوزُ نَثْرًا»[2].

وقالَ فِي شرحِ البيتِ: (مِن غيرِ القصِيدة المدنِيّة):

يَا ذَا الْكَفَيْنِ لَسْتُ مِنْ عبادِكَا مِيلَادُنَا أَقْدَمُ مِنْ مِيلَادِكَا

---

(1) إجابة الدّعوة [18و].

(2) (م، س) [151ظ].

قالَ: «"الْكَفَيْنِ" في الْبَيْتِ **مُخَفَّفٌ** للضَّرُورَةِ، **وأَصْلُهُ** الشَّدُّ؛ لأنَّهُ تَثْنِيَةُ "كَفّ"، أَوْ هُوَ تَثْنِيَةُ "كفٍ" بالتَّخْفِيفِ **أَصْلُهُ** "كفْء"، نُقِلَتْ حَرَكَةُ الهمْزَةِ إلَى السَّاكِنِ قبْلَهَا وحُذِفَت؛ فهُوَ مِنْ كَفَأْتُ الإِنَاءَ. أَوْ تَثْنِيَة "كُفْء" فتُضَمُّ الكَافُ وتسَكَّنُ الفاءُ، لَكِنْ نُقِلَتْ إلَيْهَا حرَكَةُ الْهَمْزَةِ وحُذِفَت الهَمْزَةُ»[1].

تقدِّمُ هذهِ النّماذج الثّلاثة معالجاتٍ صوتِيّة يمكِن التّعلِيقُ عليها كما يلِي:

أ- الوظِيفة:

يستقدِمُ أطفِيَّش المعارِف الصوتِيّة لأغراضٍ، منها: التّحقِيقُ فِي أصل الكلمة المشتقّة منهُ، كما يظهَرُ مِن معالجة لفظة "الكفين" في النّموذج الأخِيرِ؛ إذْ تأرجحَ بينَ أصولٍ ثلاثةٍ للمفردة، سببُ الاختلافِ تخفِيفُ الفاء في البيتِ، ومِن ثمّ حذف اللّواحِقِ المضافة إليها، وهي علامة التّأنِيثِ، وفي الأصل المفرَدِ انتبهَ إلى إمكانِ وجودِ تصرّفات صوتِيّة كالحذف والنّقل، فبلغت الأصولُ المحتملة للفظةِ ثلاثة أصولٍ: الكفّ، والكَفء، والكُفء، وقد وافقَ بذلِك تحلِيل السّهيلِي لهذهِ اللّفظة من الرّجز[2]، وأضافَ الأصلَ الثّالِث بالكافِ المضمومة التي يبدُو أنَّ مدلولَهُ لا يطابِقُ معنَى اسمِ الصَّنمِ المشارِ إليهِ، فالمناسبةُ بينهما صوتِيَّة لا دلالِيَّة.

ومِن الوظائِف التِي التمَسَها أطفِيَّش للمعارف الصّوتِيَّة تصحِيحُ نطق الألفاظِ، وبيانُ الأوجُهِ الممكنةِ وإن كانَ بشكلٍ قد يُرَى غرِيبا مخالِفا لقواعِدِ النُّطقِ، ومِن ذلِكَ قولُهُ: «"دَوَاهٍ": بِالنَّقْصِ كَجوَارٍ، **وَلَوْلَا التَّنْوِينُ لَثَبَتَت اليَاءُ**، فَيُقَالُ: الدَّوَاهِي، وَدَوَاهِي أَفْعَالٍ، وَدَوَاهِي زَمَانٍ، وَيُقَالُ: دَوَاهِي **وَقْفًا** عَلَى لُغَةِ مَنْ يَقِفُ بِرَدِّ يَاءِ المَنْقُوصِ»[3]. وهذا مصداقا

(1) إجابة الدعوة [195و].

(2) ينظر: الروض الأنف، السهيلي، 229/3.

(3) (م، س) [7ظ].

لقراءة ابن كثِير لآياتٍ من القرآنِ كقولهِ تعالى «وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادِي»[1] فالوقفُ المقصودُ هنا هو الوقفُ آخِر الكلامِ. ومن الوظائف المنوطة بمعرفة هذه الاختلافات: التّفرِيق بينَ حروف الكلمةِ والضّمائِرِ الملحقة بها[2]، وتفسِيرُ ظواهر رسْمِ المفرداتِ وضبط شكلِ الحركات[3]، ولم يكُنْ يستطرِدُ أطفِيّش كثِيرًا في هذا المجالِ، إلّا ما وقع في قولِهِ: «"الخَطَا": ضِدُّ الإِصَابَةِ، **وَأَلِفُهُ بَدَلٌ مِنَ الهَمْزَةِ**؛ لِجَوازِ قَلْبِهَا فِي الآخِرِ أَلِفًا بَعْدَ فَتْحٍ، وَوَاوًا بَعْدَ ضَمٍّ، وَيَاءً بَعْدَ كَسْرٍ»[4]. ويقصِدُ بذلِكَ تفسِير التّصرّفات الصّوتِيَّة للهمزةِ المتطرّفة في أواخِر الكلمةِ. ويعضُدُه ما قال ابن الجزرِي عن الوقف على الهمزة المتطرِّفة، وجوازِ إبدالِها حرفا من جنس حركتِها وصلا، ونقل ذلِكَ عن بعضِ النَّحوِيِّين، قال «وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنَ النُّحَاةِ إِلَى جَوَازِ إِبْدَالِ الْهَمْزَةِ الْمُتَطَرِّفَةِ فِي الْوَقْفِ مِنْ جِنْسِ حَرَكَتِهَا فِي الْوَصْلِ، سَوَاءٌ كَانَتْ بَعْدَ مُتَحَرِّكٍ، أَوْ بَعْدَ سَاكِنٍ، وَحَكَوْا ذَلِكَ سَمَاعًا عَنْ غَيْرِ الْحِجَازِيِّينَ مِنَ الْعَرَبِ، كَتَمِيمٍ وَقَيْسٍ وَهُذَيْلٍ وَغَيْرِهِمْ، وَذَلِكَ نَحْوُ (الْمَلَا) وَ(نَبَا) وَ(يَدْرُو) وَ(تَفَتَؤُا) وَ(الْعُلَمَؤُا) وَ(يَشَا) وَ(الْخَبْ)»[5].

ب- القواعِد والأحكامُ:

القاعِدة قانونٌ ينطبِقُ على مجموعِ أفرادِ الجنسِ الواحِدِ، متساوِين في أمورٍ مخصوصةٍ، فالحُكم المطبّق على حالة ما لا يكونُ إلّا بموافقتها لمواصفاتِ الأفرادِ المنضوية تحت القاعدة، لهذا استنجدَ أطفِيّش بمجموعةٍ مِن القواعِدِ لتقرِيرِ الأحكامِ التِي يطلقها على الاختلافات الصوتِيّة، وتُمثِّل هذه القواعِد إحكامًا لهذه التّصرُّفاتِ، فهي في طبِيعتها مستنبطةٌ من أصول استعمالِ اللِّسان العربِيّ كالتّيسِير، ونبذِ التّنافُر، وتشابه الحروفِ، وقواعِدِ تأليفِ

(1) سورة الرعد: 7.

(2) ينظر: إجابة الدعوة [4و].

(3) ينظر: (م، س) [6و] و[97ظ].

(4) (م، س)، [9ظ].

(5) النشر في القراءات العشر، ابن الجزرِي، 445/1.

الكلمِ. لقد أظهَرَت الأحكام المتعلِّقة بالاختلافات الصّوتيّة والصّرفيَّة للمفرداتِ، تأنّيهِ فِي إقرارِها بَيْنَ الجَوَازِ والشّذوذِ والمنعِ.

وفِي حالِ النّماذج المقدّمة فإنَّ مانِع قلبِ الياءِ همزةً في "آيِس" أرجعهُ أطفِيّش إلى صحّةِ الياءِ في الفعلِ؛ أي ليست منقلبة عن ألفٍ، كـ "بائع" و"فائض" أصلهما "بايع" و"فايض" قلبت الياء همزةً؛ لأنّ أصلهما في الفعل "باع" و"فاضَ" فهِي منقلبةٌ عن ألفٍ. ويشبهُ الفعلَ "أيس" الجمعُ "مشايِخ" بتصحيحِ الياءِ لا بقلبِها همزة[1]. وفِي المقابلِ أجازَ في المفردةِ "الشّانِي" قلبَ همزتها؛ لأنَّ «أَصْل يَائِهِ الهَمْزَةُ لَمَّا **تَطَرَّفَتْ آخِرًا بَعْدَ كَسْرَةٍ** جَازَ قَلْبُهَا يَاءً»[2].

وبخصوصِ تخفِيفِ الضّمِّ والكسرِ إلى سكونٍ فِي "أحُدٍ" و"ورِقان" فإنّه واقِعٌ في القراءات القرآنِيّة كـ"غلف"، و"خطوات"، ومثلهُ تخفِيف الفتح إلى سكونٍ كـ"قدَر" و"قدْر" و"نهَر" و"نهْر". ويعنِي بتعلِيلِ ذلِكَ بأنَّ السُّكونَ أخَفُّ مِنَ الضّمِّ والكسْرِ، فهو مستساغٌ وموافِقٌ للتّيسِيرِ، وقد قال ابن الجزرِي في بيانِ الفرقِ بينَ ضّم الطّاءِ وتسكِينِها فِي "خطوات": «والإسكان أولى لخفّته ولأنّ عليهِ أكثر القرّاء»[3]. ولم يكتفِ بالضّرورة الشّعرِيّة كتعلِيلٍ لذلِكَ؛ بل يجوزُ حتّى نثرًا قياسًا على الأمثلة المذكورة.

3- الصِّيَغ الصّرفِيَّة (التّحوِيل الاشتقاقِيّ)

يهتَمُّ الشَّارِحُ بتحدِيد الصِّيغ الصَّرفِيَّة الاشتقاقِيَّة لمفردات القصِيدة المدنِيَّة، وينظرُ في دلالاتِها التِي يمكِنُ أن تقدِّمها، وليسَ هذا خاصًّا بالشَّارِحِ وحدهُ؛ وإنَّما تشكِّل الصِّيغ

(1) استعمل أطفِيَّش هذا الجمع مرّتين إجابة الدعوة [200ظ] و[188ظ].

(2) (م، س) [7ظ].

(3) القراءات القرآنية في معجم تهذيب اللغة للأزهري في ضوء علم اللغة الحديث، رسالة دكتوراه، إبراهيم عبد الله سالم، ص45. لم أقف على النّصّ في كتاب النّشر لابنِ الجزرِي.

الصَّرفِيَّة للمفرداتِ عنصُرًا مهمًّا للوقوفِ على الدِّلالات التِي يمكِنُ حملُهَا عليها، ثمَّ اختيارُ ما يناسِبُ السِّياقَ منها.

إنَّ حدِيث الشّارِحِ عنْ صِيَغِ المفرداتِ ليسَ بنفسِ النَّفَسِ في كلِّ الحالاتِ، فقد يكتفِي بتحدِيد الصِّيغة ويمرُّ سرِيعا دون الإشارة إلى موقِعها فِي دلالة النّصّ، كقولِهِ: «"الجانِي": اسم فاعل "جنى"»[1] وقولِهِ «"مُشِينَةٍ": بِضَمِّ المِيمِ اسْمُ فَاعِل أَشَانَ»[2]، وإنْ كانَ فِي ذلِكَ توجِيهٌ ضرورِيٌّ لأصلِ الكلمةِ وتحدِيدٌ للمعْنَى المطلوب، وصَرْفٌ للمعانِي التِي تتوارِدُ على ذهنِ القارِئِ، وهِي معانٍ غيرُ مرادةٍ إلَّا المعنَى الذِي نبَّهَ إليهِ، فإنَّ بيانَ تِلكَ الصِّيغة وأصلها، أمْرٌ اقتَضَاهُ صَرْفُ الذِّهن عن غيْرِهِ ممَّا ليسَ مرادًا، وما أدَّاهُ إلى التَّوقُّفِ دونَ مزِيدِ توضِيحٍ بلوُغ غايتهِ بأقلِّ جهدٍ، وترك الباقِي للقارِئِ إنْ وجدَ أنَّ المعنَى لم يتحدَّدْ لهُ بدقَّة وبوضوحٍ.

وفِي بعضِ المواقِف يضطرُّ إلى تعدِيدِ الصِّيغة المرادة حسَب سِياقِ الورودِ، كقولِهِ: «"مَعَاهِدُ": جَمْعُ مَعْهَد، ومَعْهَد **مَصْدَرٌ مِيمِيّ** بِمَعْنَى مَفْعُول. والْعَهْدُ: الْعِلْمُ؛ أَيْ: بِلَادٌ مَعْهُودَةٌ. أَو **اسْمُ مَكَان مِيمِيّ**؛ أَيْ: مَوْضِعُ الْعِلْمِ؛ أَيْ: مَوْضِع تَسَلَّطَ الْعِلْمُ عَلَيْهَا؛ أَيْ: وَقَعَ بهَا»[3]. وقولهِ: «"دَوَاهٍ":...وَالمفْرَدُ: دَاهِيَةٌ بِالتَّاءِ وَلَوْ فِي المذَكَّرِ؛ لِأَنَّهَا لِلْمُبَالَغَةِ، كَرَاوِيَةٍ لِكَثِيرِ الرِّوَايَةِ، وَذَلِكَ اسْمُ فَاعِلٍ تَغَلَّبَتْ عَلَيْهِ الاسْمِيَّةُ»[4]. ويظهِرُ هذا اهتمامهُ بهذا التّحدِيدِ الصّرفِيّ، واعتبارِ تأثِيرِهِ في المعنَى. وستُقَدِّمُ النّماذجُ الآتيَة تطبِيقاتٍ مختلفة لاستِحْضَارِ الصِّيغ الصَّرفِيّة في شرحِ الأبياتِ وغيرِها مِن النُّصوص في الكتابِ.

فقدْ قال أطفِيَّش في بيانِ معنَى البيتِ:

---

(1) إجابة الدعوة [1ظ].

(2) (م، س) [7ظ].

(3) (م، س) [98و].

(4) (م، س) [7ظ].

وَأَرْسَلْتَ لِلدَّارَيْن مَنْ طَاعَ أَوْ فَذَاكَ لِنِيرَانٍ وَهَذَا لِرِضْوَانِ

قالَ «و"طَاعَ": بلَا هَمْزٍ قبْلَ الطَّاء، ثُلَاثِيٌّ، واسْمُ فاعِلِهِ طَائِعٌ، قالَ اللهُ ﷻ: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾»[1].

ونقَلَ أطفِيّش النّصّ، وعلّق عليهِ: «قَالَ ابنُ مَرْدوية عَن ابْنِ مَسْعُودٍ: قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾﴾[2] يَقُولُ: كَمَا شَقَقْتُ الْقَمَرَ كَذَلِكَ أُقِيمُ السَّاعةَ[3]. والاِقترابُ: القُرْبُ الشَّدِيدُ، فهُوَ أَخَصُّ مِن مُطْلَقِ الْقُرْبِ؛ لِأَنَّ "افْتَعَلَ" **لِلعلَاجِ**»[4].

وَفِي شرحِ البيتِ الأوّل من القصِيدةِ:

تَيَمَّمَ نَجْدًا فِي تَلَهُّفِهِ الجَانِي يَؤُمُّ رَسُولَ الله لِلْإِنْس وَالْجَانِ

قال: بعد أن ذكرَ احتمالاتِ دلالة لفظِ "الجان «...أَوْ هُوَ الجِنّ عَلَى أَنْ يَكُونَ لِلنَّسَبِ، كَ: لَابِنٍ لِصَاحِبِ اللَّبَنِ، فَالجَانُّ جِنْسُ أَصْحَابِ الجَانِّ الذِي هُوَ إِبْلِيسُ، وَهَكَذَا يُقَالُ لِعَامِلِ الفَخَّارِ أَوْ بَائِعِهِ فَخَّارٌ، بِاتِّفَاقِ لَفْظَيْ المنْسُوبِ وَالمنْسُوبِ إِلَيْهِ»[5].

إنَّ هذه النّماذج الثّلاثة، وغيرها ممّا يشابهها تنبِئُ عن استِثمارِ أطفِيَّش للمعانِي الصّرفِيَّة والاشتقاقِيَّة للمفرداتِ مِن أجلِ تحدِيدِ المعانِي المرادةِ، وبذلِكَ يحقِّقُ من تلك المعارِفِ بغيتهُ، ولا يَبقَى فِي مستوَى تحدِيدِ الصّوابِ مِن الخطأ، ويمكِنُ التّعلِيق على هذه النّماذجِ حسبَ ما يَلِي:

---

(1) سورة فصلت: 11. إجابة الدعوة [143ظ].

(2) سورة القمر:1.

(3) فتح البارِي، ابن حجر، 184/7، وفيه: أخرجه ابن مردويه من رواية ابن جريج عن مجاهد. وشرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 469/6.

(4) إجابة الدعوة [183ظ].

(5) (م، س) [162و].

لقَدْ لاحَظَ الشَّارِحُ في النّموذَج الأوّل الإشكال الذِي يقوم على الخلطِ بين صِيَغ المزِيد والمجرَّد، فنبَّه إلى وزن الفعلِ "طاع" وعزَّزَ قولَهُ باشتقاقِ اسم الفاعِلِ منه، ثمَّ قدَّم شاهِدًا عليهِ، فقد وُفِّق في تحلِيلِهِ إلى رفعِ الإشكالِ المتصوَّر من تداخلِ صِيغةِ الفعلِ "طاع" المجرَّد والصِّيغ الأخرى المزِيدة التي تشتبِهُ بهِ ك "أطاعَ". ويعزّز تحلِيلَهُ قولُ ابن منظور: «الطَّوْعُ نَقِيضُ الكَرْهِ طاعَه يَطُوعُه وطاوَعَه، والاسم الطَّواعةُ والطَّواعِيةُ، ورجل طَيِّعٌ أَي طائِعٌ»[1].

إذًا فرغم الإشارة القصِيرة في النَّصِّ، إلَّا أنّ مقصِدِيَّتها ودقَّتها أصابتا المطلوبَ برفعِ الإشكالِ المتصوَّر مِن اشتباهِ الصِّيغتَيْنِ، وكذلِكَ توخِّي مرادِ النَّصِّ دون اللُّجوءِ إلى الحذف والتَّقدِير، جعلَ الشَّارِح يؤَكِّد على أنَّ الفعلَ بصِيغةِ المجرّدِ لا المزِيد.

وبخصوصِ الفرق بين صِيغتَي الفعلِ "طاع" و"أطاع" نقل ابن منظور الأقوال التّالِية: «قال الأزهري: مِن العرب من يقول: طاع له يطوع طوعا، فهو طائع، بمعنى أطاع، وطاع يطاع لغة جيدة. وقال ابن سيده: وطاع يطاع أطاع لان وانقاد، وأطاعه إطاعة وانطاع له كذلك. وفي التّهذيب: وقد طاع له يطوع إذا انقاد له، بغير ألف، فإذا مضى لأمره فقد أطاعه، فإذا وافقه فقد طاوعه»[2]. فالفرقُ بينهما إمَّا أن يكونا على نفسِ المعنَى على اختلاف اللّغةِ[3]، وإمَّا أن يختصَّ "أطاع" المزيد بالهمزةِ بتنفِيذ الأمرِ، ويبقى "طاع" على مطلق الاِنقيادِ؛ إعمالًا لأصلِ تظافر المعنَى المعجمِي للمفردةِ مع صِيغتِها الصّرفِيّة.

ويوضِحُ النّموذَج الثّانِي مع ما يماثله مِن التّطبِيقات[4] ضرورة الوقوف علَى ما تقدّمه الصِّيغة الصّرفِيَّة مِن دلالاتٍ على النّصّ؛ فالشّارِحُ يقِرُّ أنَّ الاقترابَ غيرُ القربِ، لزيادة في مبناهُ؛ فكانَ على وزنِ "افتعل"؛ لكنَّ "افتعل" يأتِي مشارِكا لـ"فعل" في معناهُ لا تلزمه زيادة،

(1) لسان العرب (طوع).

(2) (م، س) (طوع).

(3) ينظَر مبحث "بيان اللُّغات" فقد أشِيرَ فِيهِ إلى الاختلاف بين الصِّيغتينِ فعَلْت وأفْعَلْتُ.

(4) ينظر إجابة الدعوة [77و] و[3و] و[89ظ].

نحو: قرأ واقترأ، وخطف واختطف، وتلزمهُ زيادة في مثلِ كسب واكتسب[1]، ونصَّ ابنُ مالِكٍ على موافقةِ قرب لاقترب[2] في معناهُ، وأقرّ الألوسِي في تفسِيرِهِ أنّ المشهورَ «اقْتَرَبَ بمعنى قرب كارتقب بمعنى رقب، وحكي في البحر أنه أبلغ منه لزيادة مبناه»[3]. أمّا العلاج الذِي أشارَ إليهِ الشّارِحُ؛ فيقصِدُ بهِ التّأثِير المحسوس الذِي تفِيدهُ المطاوعة، فلا تكون إلّا في أفعال "العلاج"؛ لأنّها موضوعة لقبول الأثَرِ، كالأمتهُ فالتأمَ. وما يتبدَّى مِن هذا أنَّ اقتربَ مطاوع لقرّبت المتعدِّي، وليسَ لـ "قرب" المجرّدِ، على اعتبارِ إفادة "افتعل" للمطاوعةِ اطِّرادًا من الفعلِ الثّلاثِي المتعدِّي الدّالِ على المعانِي الحِسِّيّة[4]. ومِن حيثُ الدّلالة المعجمِيّة فمن المفسِّرِين مَن أصَرَّ على إفادة الفعلِ "اقتربت" تحقِيقَ الوقوع ولو استمرّ الاقترابُ مدّة طوِيلة، فإنّه آتٍ حتمًا، فكلّ ما هو آتٍ قرِيبٌ[5]، لكنّ هذا لم يقدِّم فرقا بين الصِّيغتينِ المجرّدة والمزِيدة، فقد قرّر أساسًا أن الاقتراب هو القرب الشّدِيد الزّمانِيّ.

لا تمثِّلُ دلالة الصِّيغة الصّرفِيّة سوَى قرِينة يستحضِرها أطفِيّش مِن أجلِ تحصِيلِ الدّلالة المقصودة، يتجلّى هذا في عدّة نصوص يمثِّلها النّموذَج الثّالِث[6]، فالاحتمالات التّي تقدِّمها لفظة "الجان" يعودُ بعضٌ منها إلى صيغتها الصّرفِيّة المحتملة للنّسبة، فإنّ الصِّيغتين "فاعل" و "فعّال" تستعملان للدّلالة على النّسبة، كـ"لابن" و"فخّار"؛ أي: صاحب اللّبن وصاحب الفخّارِ.

إنّ مِن المسائل التِي أفرزتها نصوصُ دلالة الصِّيغ إسنادُ تلك الدّلالة بينَ الصِّيغة أو الأحرف المزِيدة فِيها، فأطفِيّش يوهِمُ في بعضِ نصوصِهِ نسبتها إلى الحروفِ المزِيدة كقولِهِ:

---

(1) ينظر: شرح المفصّل، ابن يعِيش، 441/4.

(2) ينظر: شرح التسهِيل، ابن مالك، 456/3.

(3) روح المعانِي، الألوسِي، 4/9.

(4) ينظَر: تيسِيرات لغوِيّة، د.شوقِي ضَيْف، ص51.

(5) ينظر: روح المعانِي، الألوسِي، 77/14، وأشار إلى أنّ استعمال الاقتراب يشبه استعمال "لعلّ". ونفسُ القولِ أورده أطفِيَّش في تفسِيره، ينظر: تيسير التّفسِير، 176/14.

(6) ينظر أيضا: إجابة الدعوة [1ظ] و[6و] و[233و].

«"الكَرْبَانِ": بِفَتْحِ الكَافِ أَوْ ضَمِّهَا، مُفْرَدٌ بِمَعْنَى الكَرْب الشَّدِيد، لِزِيَادَةِ الأَلِفِ وَالنُّونِ»[1]. وقولِهِ: «وَالمفْرَدُ: دَاهِيَةٌ بِالتَّاءِ وَلَوْ فِي المذَكَّرِ؛ لِأَنَّهَا لِلْمُبَالَغَةِ، كَرَاوِيَةٍ لِكَثِيرِ الرِّوَايَةِ»[2]. وبمقابلِ النُّصوص التِي يسنِدُ فِيها الدّلالةَ إلى الصِّيغة كلّها، فإنّه يترجّحُ توجِيه النّصّين كإجراءٍ يبتغِي به الإفهامَ، دون قصرٍ للدّلالة على الحرفِ المزِيدِ، وإنّما على الصِّيغة مجملةً؛ إذْ لا دلالة تحملها الحروفُ خارِجَ الصِّيغة.

4- دلالة الجَمْعِ:

تمثِّلُ نصوصُ معالجة الجموعِ شكلًا مِن أشكالِ اعتبار الصِّيغة الصّرْفِيَّة، والبحثِ في دلالَاتِها، وقدْ تكرَّرَ ذلِكَ عند أطفِيَّش فِي سِتّة نصوصٍ[3] اختلفتْ في الطّول والقِصَر، وحَوَتْ مسائل نظرِيّة وتطبِيقِيّة، كحدّ الجمعِ، واستكناه الدّلالاتِ التِي تقدّمها هذهِ الصّيغ؛ كاستعمال المفرَد لإرادة الجمع والعكس، وتقدّمُ معالجات النُّصوص التّالية توضِيحا لهذهِ المسائلِ.

أ- **حدُّ أقلِّ الجَمْع**: قال أطفِيّش موضِّحا لفظة "أزمان" في البيتِ:

إِذَا هَمَّ أَزْمَانَ الْعِبَادَةِ لَمْ يَكُنْ لِيَفْعَلَهَا إِلاَّ بِضُعْفٍ وَأَزْمَانِ

قال «وَ"أَزْمَانِ": بِفَتْحِ الهَمْزَةِ جَمْعُ زِمْنٍ بِكَسْرِ الزَّايِ التي هُوَ جَمْعُ زِمْنَةٍ؛ فَهُوَ جَمْعُ الجَمْعِ فَهُوَ تِسْعَةُ أَمْرَاضٍ أَوْ سِتَّةٌ أَوْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَو اثْنَا عَشَرَ، وَهَكَذَا مِن الأَضْعَافِ. وَبِنَاءً عَلَى أَنَّ أَقَلَّ الجَمْعِ ثَلَاثَةٌ وَهُوَ الصَّحِيحُ، أَو اثْنَانِ، وَلَا يُخْرَجُ عَلَيْهِ إِلَّا لِدَلِيلٍ، وَالمرَادُ هُنَا أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ؛ لِأَنَّهُ فِي مَقَامِ هَضْمِ نَفْسِهِ. وَإِيضَاحُ ذَلِكَ أَنَّ مُفْرَدَ هَذَا الجَمْعِ جَمْعٌ، فَهُوَ ثَلَاثَةٌ أَو اثْنَانِ»[4].

---

(1) إجابة الدعوة [9ظ].

(2) (م، س) [7ظ].

(3) إجابة الدعوة [2ظ] و[8و] و [77و] و[5و] و[24ظ] و[251و].

(4) (م، س) [8و].

تحدِيدُ أقلّ الجمعِ يعودُ إلى مقاصِد دلالِيّة تتحرّى من النُّصوصِ، واستندَ مَن قال أقلّه اثنان إلى قوله تعالى: ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا﴾[1]، ووضّح أطفِيّش ضمّ المثنّى إلى الجمعِ بقولِهِ: «لأنَّ الاثنينِ كالجمعِ في مطلَقِ التّعدّد»[2]. فَما استعمال صِيغةِ الجمْعِ للمثنّى أو المفردِ إلّا لدلالةٍ حسَبَ المقامِ، وما قولهُ: "لا يخرجُ عليهِ إلّا **لدلِيلٍ**" إلّا إعمالٌ لدلالة المقامِ التِي تعطِي التّحدِيدَ المناسِب. ويقدّمُ تطبِيقا لهذه القاعدة فِي شرحَ قولِ النّاظِمِ:

وَرُبَّ عَناق مَا نَزَا الْفَحْلُ فَوْقَهَا فَدَرَّتْ بِمَسْحٍ كَانَ مِنْك بِأَيْمَانِ

قال: «وَأَرَادَ بِـ "أَيْمَانِ" بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ، يَمِينَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، جمَعَهَا لِلتَّعْظِيمِ كأَنَّهَا مُتَعَدِّدَةٌ، ثَلَاثًا فَصَاعِدًا، فإنَّ لَهُ ﷺ يَدَيْنِ فَقَطْ كَالنَّاسِ، يَدًا يُمْنَى وَيَدًا يُسْرَى»[3]. فقد أخرجَ صيغة الجمع من الدّلالة الحِسّيّة إلى دلالة معنوِيّة أفادَها المقامُ للتّعظِيمِ والإعلاء مِن شأن اليمِين، باعتبارِ بركتِها وخيرِها، جريا على عادة العربِ في كلامها، دونَ التّقيُّدِ بِحرفِيَّة العبارةِ.

ب- **إطلاقُ الجَمعِ وإرادة المفرَد**: قال أطفِيَّش في شرحِ البَيْتِ:

لَقَدْ رَفَعَ الرَّحْمَنُ ذِكْرَكَ فَاغْتَدَى يُقَارِنُ ذِكْرَ اللهِ فِي كُلّ الأَزْمَانِ

قال «ونقَلَ فَتْحَ هَمْزَةِ "أَزْمَانِ" إِلَى لَامِ "الـ" ولَا يَصِحُّ الْوَزْنُ إلاَّ بهَذَا معَ حَذْفِ الهَمْزَةِ، ولَوْ قالَ: فِي كُلِّ "أَزْمَانِ" بِدُونِ "الـ" لَصَحَّ، ولَعَلَّهُ أَعْرَضَ عَنْ هذا لِأَنَّ أَصْلَ مَعْنَى هذَا الْجَمْع المُنَكَّر، فإنَّ الْمَعْنَى فِي كُلِّ جماعَةٍ مِنْ جَمَاعَاتِ الْأَزْمَانِ، بِخِلَافِ الأَزْمَانِ بِالتَّعرِيفِ فإنَّهُ كَالمُفرَدِ بِـ: "الـ" الْحَقِيقِيَّة. لِأَنَّ الْجَمْعَ يَجُوزُ استِعْمَالُهُ فِي مَعْنَى الْمُفْرَدِ بِأَنْ يُقرَنَ بِـ: "الـ" فَلَوْ قالَ: واللهِ لا يَشْتَرِي الْعَبِيدَ لحَنَثَ، ولَوْ بوَاحِدٍ. فكَأَنَّهُ بِـ: "الـ" قالَ: في كُلِّ زَمَانٍ أو فِي كُلِّ الزَّمانِ. والْمُفْرَدُ "زَمَنٌ" بِدُونِ أَلِفٍ بَعْدَ الْمِيمِ، وأَمَّا بِالْأَلِفِ فَالْجَمْعُ "أَزْمِنَةٌ"»[4]. أرادَ

(1) سورة ص: 22.

(2) تسهيل الاجتهاد، أمحمّد أطفِيَّش [3و].

(3) إجابة الدعوة [251و].

(4) (م، س) [77و].

النّاظمُ أن يخرِجَ الجمع إلى دلالة المفردِ بتحليته بـ"ال" التّعرِيف، ليشمل الزّمان مطلَقا مفردهُ وجمعهُ، وتحضُرُ مسألة إرادة المفردِ بالجمع على مستوَى النُّصوص الشّرعِيَّة لأجلِ إحكامِ الأحكامِ وتحقِيقِ مناطها، ويظهرُ هذا من خلالِ الأمثلة التِي ضربها أطفِيَّش. وبخصوصِ ردِّ "الأزمان" إلى مفردِها الصَّحِيح، فقد أضْربَ عن المفرد "زمان" إلى "زَمَن" ولم أقفْ على مَنْ فرَّقَ بيْنَ المفردَيْن؛ وفي لسان العرب قال «الزَّمَنُ والزَّمانُ اسمٌ لقليل الوقت وكثيرِه»[1]. وكلا الجمعين على أوازنِ جموع القلّة المحدودة بين الثّلاثة والعشرة، ومن الفرق الصَّوتِي بين المفردين، يتلمَّسُ فرقٌ دلالِيٌّ ناتج عن المدِّ الزَّائد في لفظة "زمان" كأنَّه يدلُّ على تمدّد الزَّمن، وينبّه عمَّا سيقعُ فِيهِ.

ج- **إطلاق المفرَد وإرادة الجمعِ**: قال أطفِيَّش في شرحِ البيتِ:

وَفِي دَائِمِ الأَوْقَاتِ تَتْبَعُ ذَا الْهَوَى وَنَفْسُكَ لاَ تهَوَى سِوَى فِعْلِ

قالَ: «وَ"دَائِم الأَوْقَاتِ" هُوَ نَفْسُهُ زَمَانُهُ المتَطَاوِلُ، وَهُوَ بَعْضٌ مِنْ جُمْلَةِ الزَّمَانِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ إِضَافَةِ الصِّفَةِ لِلمَوْصُوفِ؛ أَيْ: وَفِي الأَوْقَاتِ الدَّائِمَةِ، وَلَمَّا قُدِّمَ وَأُضِيفَ أُفْرِدَ، فَذُكِرَ عَلَى إِرَادَةِ الجِنْسِ، فَهُوَ بِمَعْنَى الجَمْعِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَفِي دَوَائِمِ الأَوْقَاتِ، وَيَتَعَلَّقُ بِـ"تَتْبَعُ" وَقُدِّمَ لِلضَّرُورَةِ»[2].

يقصِد أطفِيَّش بقولِهِ "إرادة الجنسِ" اسم الجنسِ الجمعِي الذِي يدلُّ على أكثَرَ من اثْنينِ[3]؛ أيْ فِي كلِّ دَائِمِ الأوقاتِ، أو كما قال دوائم الأوقاتِ، ويأتِي اسم الجنسِ إمَّا نكرةً، أو معرَّفا بـ "ال"، أو بالإضافةِ ويرادُ به مجموعُ ما يدخلُ في حدِّهِ؛ ومن أمثلتهِ قول الله تعالى:

---

(1) لسان العرب (زمن).

(2) إجابة الدعوة [2ظ].

(3) تحفة الجلِيل، د.محيي الدين عبد الحمِيد، بهامش شرح ابن عقِيل، 15/1 هامش: 1.

﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾[1] والمراد نِعَمُ اللهِ، ذُكِر باسم الجنسِ ليدخل فِيهِ كلُّ ما فِي حيّز النّعمة.

لكن في مثال قولِ النّاظمِ "دائم" جاءتْ صفة، وليستْ اسما يدلُّ على كيانٍ مجرّدٍ، فكيف القول بأنه على إرادة الجنسِ؟ فأيُّ جنس يمثِّله لفظ "دائم"؟ فالصّفة تبقَى مجرَّدة إلّا إذا ألحِقتْ بموصوفٍ تتجسَّد فيهِ. فالمقصود بالجنسِ جنسُ الأوقات الدَّائمة، أفرِدَت صفتها المخصِّصة والمراد بها الجمع.

فِي ختام دراسة هذهِ القضايا، لا بُدّ مِن القولِ: إنَّ المعارِف الصَّرفِيَّة كان لها حضورٌ في تحلِيلات أطفِيّش، وفِي سعْيِهِ إلى شرحِ مدلولاتِ ألفاظ القصِيدة وتراكِيبِها، وقد تنوَّعتْ هذه المعارِف بين ما تعلَّق بِالتّغيِيرات الصّوتِيّة، وما تعلَّقَ بِصِيَغ المفردات ومدلولاتِها التِي كان لها الحضورُ الأغلب في النُّصوص المحصاة، وقد ظهرَ دورُها الحاسِمُ فِي تحدِيد الدّلالة سواء في الأسماء أو الأفعال، وبين معارِف أخرى متفرِّقة كالتَّذكِيرِ والتّأنِيثِ[2]، والتَّصغِير[3] ودلالة النَّكرة[4]، أشِيرُ إليها لأسَجِّل حضورَها دون مناقشتِها، وتحلِيل نماذِجَ منها، لقلَّة نصوصِها ومخافة تطوِيلِ الدِّراسة على حسابِ ما هوَ أولى من المباحث اللُّغوِيَّة الأخرَى التِي تشكِّل ظواهِرَ في هذا الشَّرحِ، وليست فقط إشاراتٍ أو نصوصا مفردةً.

كما سجَّلت أيضا بخصوصِ المسائلِ النَّظرِيَة الخلافِيَّة في علم الصَّرفِ مسألتينِ تحدَّثَ عنهما الشَّارِحُ، أولاهما: أصل لفظةِ "مَلَك"[5]، وذكرَ فِيها القولين في أصل الكلمة

(1) سورة إبراهِيم: 34.
(2) ينظر: إجابة الدعوة [197ظ] و[162و].
(3) ينظر: (م، س) [98ظ].
(4) ينظر: (م، س) [111ظ] و[143ظ].
(5) ينظر: (م، س) [111ظ].

دون ترجِيحٍ، وثانِيهما: مسألة إلحاق التَّاء في المصادِرِ المِيمِيَّة وَأَسْمَاءِ المَكَانِ وَأَسْمَاءِ الزَّمَانِ المِيمِيَّةِ[1].

المطلب الثّالِث: الأعارِيب:

1- تعرِيف الإعراب عند أطفِيَّش:

حدّد أطفِيَّش لكلمة "الإعراب" أكثرَ مِن خمسةِ معانٍ لغوِيَّة، ما تعلَّق منْهَا بالكلامِ قولهُ[2]:

- تركُ اللَّحن في الكلامِ.
- التّكلُّم بالعربِيَّة وإزالة عرب الشَّيْءِ؛ أي فسادهُ.

وكلا المعنيَيْنِ يمتحانِ من دلالةِ التّجوِيد والتّحسِينِ، اللّذيْن تحومُ عليهِما معانِي الجذر "عرب". ثمَّ قدَّم شرحًا لتعرِيف ابن آجرّوم للإعرابِ، وكان أهمّ ما وقفَ عليهِ من تحدِيداتٍ لمفهومِهِ[3]:

- أن يكون تغيِيرا يشملُ آخِرَ الكلمةِ تحقِيقا كزيدٍ، أو حكمًا كَيَدٍ، فإنَّ أصلها "يدي".
- أن يكون لاختلاف العوامِل فيخرجُ بذلِكَ سكون الوقفِ، وحركة النَّقلِ وسكون الضَّرورة، واختلاف اللّغاتِ، والاتْبَاع، وحركة التقاء السّاكنينِ.

وما قدّمهُ مِن تحدِيدٍ قائمٌ علَى مَقولةِ الباب والحدّ والجنسِ والفصلِ؛ مبتغِيا بيانَ الحدود الفاصلة بينَ مفهوم الإعرابِ، وما لا يمكِنُ أن يدخُلَ فِي حيّزِهِ. ومحصِّله أنّ تعرِيفه على وجهٍ منطقِيٍّ لا يلامِسُ الوظِيفة والأهمِيَّة، وإنّما يضِيءُ الجانِب الشّكلِيّ من المفهومِ.

---

(1) (م، س) [5و]. ستتمُّ معالجة هذه المسألة فِي مطلب الدِّراسة النّحوِيَّة لتعلّقها بأصول النّحو والاستدلالِ.

(2) ينظر: شرح شرح التّلاتِي على الأجرومِيَّة، أمحمّد أطفِيَّش [2و].

(3) (م، س) [3و].

إنَّ أهمِيَّة عملِيَّة الإعرابِ في الدِّراسة النَّحوِيَّة ترْقَى بها إلى أن تكونَ عنصرا أساسِيًّا فِي البحثِ اللُّغوِيّ، حتَّى خصَّ بعضُهُم النَّحوَ بالإعرابِ والبناءِ، وجعله قسِيم الصَّرفِ، ولهذا يعرِّفه المتأخِّرون بأنَّهُ علمٌ يبحث عن أواخِرِ الكلمِ إعرابا وبناءً[1].

ويعرِّف الدكتور. فخر الدِّين قباوة الإعرابِ بقولِهِ «هو الأصول التِي تُعرَفُ بها أحوال تركِيبِ كَلام العَربِ، وهذا يعنِي أنَّهُ لا ينحصِرُ فِي انفعالِ أواخِرِ المفرداتِ، أتهيُّؤًا كانَ أم أثَرًا أمْ تغيِيرًا، وإنَّما يشملُ جمِيع الأصولِ التِي تضْبِطُ سلوكَ المفرداتِ والجملِ وأشباهها، حِينَ تنتَظِمُ داخل التَّعبِيرِ. إنَّ الإعرابَ هو: التَّعبِيرُ عن الوظائف التَّركِيبِيَّة، والمعانِي النَّحوِيَّة، والعلاقات الإعرابِيَّة، لعناصِرِ العبارةِ، بالنَّسَقِ والنَّمَطِ والصَّوتِ»[2].

وعلى هذا التَّحدِيد المنهجِيّ لعملِيَّة الإعرابِ؛ فَإِنَّ هذا المبحَثَ يستهدفُ دراسة الأعارِيبِ التِي أجراها أطفِيّش على القصِيدة، واستنطاقها؛ لِاسْتِخْراجِ ما كان يقفُ عليه من معارِفَ، ولأجلِ إدراك الوظائف الإعرابِيَّة المناسِبة لألفاظِ النُّصوص المشروحة. وتمثِّلُ قضايا العامل والتّعلِيق والتّطابق المحاوِرَ التِي ستشملها الدِّراسة، لمحورِيّتِها في تحقِيقِ غايَةِ الشَّرحِ والإعراب، وسأخصِّص التّعدّد الإعرابِي والجواز النّحوِي بالحَدِيثِ أيضًا؛ لتواترِهِ واعتماد الشّارِحِ عليهِ.

2- الاهتمام بالعامِل وإبرازه والبحثُ عنه:

نظرِيَّة العامِل مِنْ أَهمِّ الأركان والأصول التي قام عليها بناء النَّحو العربِيّ كلِّهِ، وقد قامتْ بأخطرِ دورٍ في النَّحو العربِيّ المعيارِيّ، فهِيَ التِي عن طريقِها تمَّ ويتمُّ تفسِيرُ حركاتِ الإعرابِ التي تظهرُ على آخِرِ الاسمِ أو الفعلِ وتوجيهها[3]. لقد نَبّهَ أطفِيَّش في التّحدِيدِ

(1) معجم المصطلحات النحوِيَّة والصَّرفِيَّة، د.محمد سمِير اللبدِي، ص218.

(2) التحلِيل النحوِي، د.فخر الدِّين قباوة، ص164.

(3) الجواز النحوِي، مراجع عبد القادر، ص449.

السّابِقِ، إلى اعتبار العاملِ في العمليَّة الإعرابِيَّة، وتقدّم نصوص التّنازعِ أوضَح تطبِيقٍ لِمحورِيّة العاملِ في عمليّة الإعرابِ.

قال أطفِيّش في شرحِ البيتِ:

فَبَاتَ يُنَاجِي رَبَّهُ مُتَضَرِّعًا بِحَقِّكَ لَمَّا أَنْ دَعَاهُ لِغُفْرَانِ

قال «و"بِحَقِّكَ" تنَازعهُ "يُنَاجِي" و"مُتَضَرِّعًا"»(1). وقال في بيَان البيتِ من النّظْمِ:

وَصَلَّيْتَ بِالْأَمْلاَكِ وَالرُّسْلِ كُلِّهِمْ فَكُنْتَ وَلَمْ تَبْرَحْ إِمَامًا وَذَا الشَّانِ

قال «وتَنَازَعَ "كَانَ" و"تَبْرَح" فِي "إِمَامًا" فأُعْمِلَ فِيهِ الْأَوَّلُ، وحُذِفَ ضَمِيرُهُ مِنَ الثَّانِي، وهُوَ جَائِزٌ عِنْدِي. أَوْ أُعْمِلَ فِيهِ الثَّانِي وأُضْمِرَ لِلْأَوَّلِ، وهُوَ الْمَشْهُورُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْعِبَارَةِ. وخَبَرُ كَانَ وأَخَوَاتِهَا كَالْفُضْلَةِ، ولَوْ كَانَ عُمْدَةً يَجُوزُ حَذْفُهُ لِدَلِيلٍ، لَا كَالْفَاعِلِ ونَائِبِهِ»(2).

لقد كان عَوْدُ الشّارِحِ إلى نظرِيّة العامِلِ ضرورِيًّا؛ مِن أجلِ تحصِيلِ المعنَى المرادِ في البيتيْنِ، فاحتياجُ الفعلِ إلى متعلّق(3)، واحتياجُ النّاسِخِ إلى منصوبٍ، تتمِيمًا لأداءِ وظِيفتهِ في الجملة، ذلِك ما دعا الشّارِح إلى وضعِ المعمولِ بينَ العاملينِ، حتّى يتمّ لهما عملُهُمَا، وَلا يخرُج بالمعنَى مِن غير الملفوظِ. ولا يظهَرُ اهتمامُ أطفِيّش بالعامِلِ فِي ظاهرة التّنازع فقط، وإنّما يَسْتحضِرُهُ فِي جلّ الإجراءات النَّحْوِيّة.

3- حركة أواخِرِ الكلِم وقسمتها في التَّحليل:

لا يُنكرُ دورُ الحركات الإعرابِيَّة فِي تحدِيد الوظائف النَّحوِيَّة للكمات في الجملة، ولا يمكِنُ بحالٍ الاعتماد عليها كلّيّة، لِما قد تمّ بيانهُ سابقا، لذلِكَ وَجَبَ إعطاؤُه الأهمِّيَّة التِي بها يوصَلُ إلى المقصودِ، وحتَّى «إنَّ النّحوِيّين لمَّا رأوا في أواخِرِ الأسماءِ والأفعالِ حركات تدُلُّ على المعانِي، وتُبِين عنها، سمّوها **إعرابا**؛ أي: بيانًا، وكأنَّ البيانَ بِها يكونُ. كما يُسَمَّى

(1) إجابة الدعوة [77ظ].

(2) (م، س) [204و].

(3) سأتطرّق إلى التّعلِيق في المطلب التّالِي.

الشَّيءُ باسم الشَّيءِ إذا كانَ يشبِهُهُ أو مجاوِرًا لهُ»[1]. ولكِنّ الواقِعَ اللُّغوِيّ يظهِرُ حدودَ هذه الأهمِيَّة من عدَّة جوانِبَ. «فليسَ كلُّ حركةٍ إعرابًا، كما أنَّهُ ليسَ كلُّ الكلامِ مُعرَبًا»[2].

لكنَّ أطفِيَّش قدْ أدركَ أنَّهُ إذا غابت الحركة الإعرابِيَّة عن الكلمة في الجملةِ احتملتْ عدَّةَ معانٍ، فإذا تعيَّنتِ الحركات تعيَّن المعنَى، وَفِي نُصوصِ الشّرحِ جلِّها يغِيبُ تحدِيد حركات الكلماتِ، فترى الشَّارِحَ يقول: فاعل، بدل، مفعول... دون التَّنصِيصِ على الرّفع ولا على النَّصْبِ، وهذا راجعٌ إلَى يَقِينهِ بمعرفة القارِئِ بِذلِكَ.

وتظهرُ الحاجة إلى التَّنصِيصِ على الحركةِ في حالِ الاختلافِ في تحدِيد الوظِيفة، وفي حال التَّقدِيرِ كقولِهِ: «وَعَامِلٍ: مُضَافٌ إِلَيْهِ وَخَبَرُ المُبْتَدَأِ مَحْذُوفٌ؛ أَيْ: وَكَمْ عَامِلِ أَعْمَالِ أَهْلِ جَهنَّمَ مَوْجُودٌ، أَوْ يُرْفَعُ عَامِلٌ عَلَى أَنَّهُ الخَبَرُ»[3]. وتظهرُ هذ الحاجة أيْضا عند خفاء الحركة عنِ الكلمة، كالأسماء المبنِيَّة مَثَلا، وفي حالِ إعراب الجملِ والإعراب المحلّي، مِن ذلِكَ قولُه: «والجُمْلَةُ صِلَةُ "مَنْ" أَوْ نَعْتُهُ، والْمَوْصُولُ المنَادَى فِي مَحَلِّ نَصْبٍ؛ لِأَنَّهُ شَبِيهٌ بِالْمُضَافِ لِطُولِهِ بِالصِّلَةِ، وإِذَا قُلْتَ "مَنْ" مَنْعُوتَةٌ فَمَحَلُّهَا رَفْعٌ؛ لِأَنَّها نَكِرَةٌ مَقْصُودَةٌ»[4]. إنَّ الشَّارح لا يهملُ النَّظرَ إلى الحركة الإعرابِيَّة وإنَّما يستدعِيها لوقت الحاجة، مستعِينا بها مع القرائن والدّلائل الأخرى لِمَعرفة الوظائِف الإعرابِيَّة للمفرداتِ.

4- الدّلالة اللّغوِيّة والإعراب:

لقد راعَى أطفِيَّش في خلالِ أعارِيبِهِ منطلَقَ المعرفة اللُّغوِيَّة بدلالة المفرداتِ، فنجدهُ يسبِقُ عمليَّة الإعرابِ بشرح مدلولات الألفاظِ، مفردةً أو داخل التَّركِيبِ، مستشعرا أهمِّيَّة هذه المرحلة لتحدِيد الوظِيفة النَّحوِيَّة للكلماتِ، وسَواءٌ في ذلِكَ إعرابُ المفردِ وإعرابُ

(1) الإيضاح في علل النحو، الزجاجِي، ص91.
(2) المصدر والصّفحة نفسها.
(3) إجابة الدعوة [10و].
(4) (م، س) [63و].

الجملِ. إنَّ الدّلالة المعجمِيَّة العامَّة للَّفظةِ، أو دلالتها السّياقِيَّة الخاصَّة بتركِيبٍ معيَّنٍ التِي تتحقَّقُ بعلاقاتها مع المفردات في نفسِ التَّركِيبِ، توجِّهُ إعرابها، وتحدِّد الوظِيفة النَّحوِيَّة التِي تؤدِّيها. ويُقَدِّمُ النّموذجان التّالِيانِ أوجُهًا مِن تعالُقِ الإعرابِ بِالْمعْنَى[1]:

قال أطفِيَّش في بيانِ معنَى البيتِ:

وَأَخْبَرْتَ عَمَّا فِي الصَّحِيفَةِ أَنَّهُ تَأَكَّلَ غَيْرَ اسْمِ لِرَبِّي وَدَيَّانِي

قالَ: «"تَأَكَّلَ" بِشَدِّ الْكَافِ: فِعلٌ مَاضٍ مُطَاوِعُ أَكَلَ، وهُوَ فِي تَأْوِيل مَصْدَر بَدَل اشْتِمَال مِنْ "مَا". وإِنْ كُسِرَتْ هَمْزَةُ "إنّ" علَى أنَّ الجُمْلَةَ مُرَادٌ لَفْظُها وهِيَ مُفْرَدٌ، وهِيَ مفْعولٌ لَا خَبَرٌ، لِتَضَمُّنِهِ معْنَى "قَالَ" جَازَ»[2]. يُلاحظُ في هذا الإعرابِ، كيفَ انطلَقَ من تحدِيد دلالة الفعلِ "تأكَّل"، ثمَّ بيان موقعه الإعرابِيّ أو وظيفته النَّحوِيَّة في الجملة، وكيف وجَّه الإعرابَ استنادًا إلى معطًى دلالِيّ، وهو تضمِينُ الفعلِ "أخبرَ" معنَى الفعلِ "قالَ" أيْ: أنَّهُ أُشرِب معناه لِيُؤدِّي مؤدَّاهُ، ويعطَى من صِفاتِهِ، فَأجازَ أن تكسَر همزة "إنَّ" لتستقِلَّ بالمعنى وتكونَ في موقعِ المفعولِيَّة، لأنَّها جملة محكِيَّة، أو مقول القولِ.

أمَّا لو أنَّ الفعلَ "أخبرَ" دلَّ على معناه اللُّغوِيّ المباشِر لكانت جملة "تأكَّلَ" وناسخها جملة خبرِيَّة، على تأوِيل الكلام: الخبرُ أنَّ ما في الصَّحِيفة تأكَّل، وهذا موافق لتأويل ابن السَّرَّاج حين حديثه عن "أنَّ" وجملتها، فقال: «أنَّ المفتوحة الألفِ معَ ما بعدها بتأوِيلِ المصدرِ، وهي تجعل الكلام شأنا وقِصَّةً وحديثًا، ألا تَرَى أَنّكَ إذا قلتَ: علمتُ أنَّكَ منطلِقٌ، فإنَّما هو علمت انطلاقكَ؛ فكأنَّكَ قلتَ: علمت الحدِيث. ويقول القائل: ما الخبرُ؟ فيقول المجِيبُ: الخبرُ أنَّ الأميرَ قادِمٌ...»[3]. وفي هذا تأوِيل بعِيدٌ.

وفي شرح البيتِ من القصِيدة:

وَقَدْ أَبْصَرَتْ نُورًا أَضَاءَ لَهَا بِهِ مَعَاهِدُ بُصرَى كَيْ تَنَوَّرَ عَيْنَانِ

---

(1) ينظر النُّصوص الأخرَى: إجابة الدعوة [3و] [7و] [7ظ] [63ظ] [197ظ] وتدلّ قلّة النّصوصِ هنا على ضبطِهِ المشكِل من الألفاظِ دون غيرِها، رغمَ حرصِهِ الشّدِيد في الأعارِيبِ العادِيّة على الرّبطِ بينَ المعنَى والإعرابِ.

(2) (م، س) [192و].

(3) الأصول في النحو، ابن السَّرَّاج، 265/1.

قال: «وقَدْ أَبْصَرَتْ نُورًا أَضَاءَ لَهَا بِهِ، حين وَلَدَتْهُ، قُرَى بُصرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، وهِيَ فِي مَكَّةَ، لِتَراهَا عَيْنَانِ عَظِيمَتَانِ وهُمَا عَيْنَا آمِنَةَ. فمَعْنَى "تَنَوَّر" بالبِنَاءِ للفاعِلِ: تُبْصِرُ...ويَجُوزُ بِنَاءُ "تَنَوَّرَ" لِلْمَفْعُولِ، وَأَنْ تَكُونَ الْعَيْنَانِ عَيْنُ الْبَصَر وعَيْنُ الْبَصِيرَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، لَا مِنْ خُصُوصِ آمِنَةَ»[1]. في هذا النَّصِّ يتجلّى بوضوحٍ تأثِيرُ معانِي المفرداتِ فِي التَّحلِيلِ النَّحوِي مِن خلالِ الصِّيغة الصّرفِيَّة للفعلِ، فلمْ يبقِ دلالَةَ المفرداتِ على أوّلِها، وإنّما تغيّرتْ بفعلِ هذا التّحوِيل (البناء للفاعل والبِناء للمفعولِ)، كما أنَّ للدّلالة العامّة للبيتِ، المستندةِ على المعطَيات المقامِيَّة والمقالِيَّة، إسهامًا هِي الأخرَى في التَّحلِيلِ، وبها يتحصَّلُ المَعنَى الوظيفِيّ للمفرداتِ.

5- الاهتمامُ بقرينة التَّعلِيقِ (العلاقة بين كلمات الجملة)

إنَّ المقصودَ بالتَّعلِيق، في هذا المقامِ، هو علاقة المفردات فيما بينها في الجملةِ، وعلى رأسِها علاقة الإسنادِ بين الفعل والفاعل، وبين الخبر والمبتدأ. وتظهرُ أهمِيّةُ التّعلِيقِ، حينَ ضبطِهِ على الوجهِ الذِي يؤدِّي مقصدهُ، وَفق نظام الجملةِ وقَصدِ المتكلّم. وقَدْ قدّم أطفِيّش في تحلِيلاتهِ جملة من التّحدِيدات لِبيانِ هذه العلاقة، وقد أرجأت الحدِيث عن الإسنادِ إلى مباحثِ البلاغةِ لتعلّقهِ بالحقِيقة والمجازِ، وسأخصّ بالبيانِ هنا ما يتناولُ تعلّق شبه الجملةِ (الجار المجرور والظّرف)[2].

أ- تعليق الجارّ والمجرور:

يؤدِّي شبه الجملة "الجار والمجرور" وظائف متعدّدة في الكلام العربِي، نظرا لتعدّد حروف الجرّ، واختلافِ مدلولاتِها، يستعِينُ بها المتكلِّمُ لِيبلغ مقاصِده على الوجهِ الذِي يفهمهُ المتلقِّي. ولحساسِيّة هذه الأدواتِ فإنّ الشّارِحَ كان ينتبِهُ إلَيْها، ويسعَى في بيانِ المقصودِ مِنها، لِما يعتورُها مِن ظواهر دلالِيّة، وممّا اهتمَّ بهِ البحثُ عن متعلّقها في الجملة؛

(1) إجابة الدعوة [97ظ] و[98و].

(2) لا يعتنِي الشّارِح بتعلّق شبه الجملة فقط وممّا نظَرَ فِيهِ علاقة الصّفة بالموصوف، ينظر: [63و].

لإمكانِ التّصرّف في موقع شبهِ الجملة في الكلامِ العادِي، وفي الشّعر بالخصوصِ، وبالتّالِي ضياعُ ما ترتبطُ بهِ، فيغدو الكلامُ محتملًا لما لم يوضَعْ لأجلِه. وتظهِرُ التّطبِيقات التّالِية أوجها مِن هذا الاهتمامِ.

قال أطفِيَّش في شرح البيتِ مِن القصِيدة:

وَلَكِنْ سَنَأْتِي مِنْ بَدَائِعِ حُسْنِها بِنَزْرٍ بَهِيٍّ مُزْهِرٍ فَوْقَ أَغْصَانِ

قالَ: «و"مِن": للابْتِدَاءِ **مُتَعَلِّقٌ** بِـ: "نَأْتِي"، أَوْ للتَّبْعِيضِ **مُتَعَلِّقٌ** بِمَحْذُوفٍ حَالٌ مِنْ "نَزْرٍ"، قُدِّمَ عَلَيْهِ مَعَ أَنَّهُ مَجْرُورٌ بِحَرْفِ جرٍّ غيْرِ زَائِدٍ لِلضَّرُورَة، أَوْ بِنَاءً عَلَى قَوْلِ ابنِ مَالِكَ: وَلَا أَمْنَعُهُ فَقَدْ وَرَدَ"[1].

وقال في شرحِ البيتِ:

لِسَانِيَ فِي لَغْوٍ خِصَامٍ وَغَيْبَةٍ وَمَيْنٍ عَلَى الإِطلاَقِ فِي كُلّ أَزْمَانِ

قالَ: «وَ"فِي لَغْوٍ": مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ جَوَازًا، لَا وُجُوبًا، لِكَوْنِهِ كَوْنًا خَاصًّا... وَ"عَلَى الإِطْلَاقِ": نَعْتُ مَيْنٍ. وَ"فِي كُلِّ أَزْمَانٍ": مُتَعَلِّقٌ بِـ"لَغْوٍ"، وَفُصِلَ بِالإِبْدَالِ لِلضَّرُورَةِ، أَوْ تَنَازَعَهُ "خِصَامٍ" وَ"غَيْبَةٍ" وَ"مَيْنٍ" وَعَمِلَ فِيهِ "مَيْنٍ" فَيُقَدَّرُ: خِصَامٍ فِيهَا وَغَيْبَةٍ [5و] فِيهَا؛ أَيْ: فِي كُلِّ أَزْمَانٍ. أَوْ عَلقَ بِـ"خِصَامٍ"، وَيُقَدَّرُ: فِيهَا لِغَيْبَةٍ، وَلِمَيْنٍ، وَلَمْ يَذْكُرْهُمَا لِلضَّرُورَةِ، أَوْ بِـ"غَيْبَةٍ"، فَيُقَدَّرُ: لِخِصَامٍ عَلَى الأَصْلِ، وَلِمَيْنٍ لِلضَّرُورَةِ»[2].

وقال في شرحِ البيتِ:

رَأَى آدمٌ فِي الْعَرْشِ ذِكرَكَ ثَابِتًا يَلِي ذِكْرَ رَبِّ الْعَرْشِ فِي وَقْتِ

---

(1) إجابة الدعوة [76ظ]. يشِيرُ إلى قولِ ابن مالك في باب الحال:

وَسَبْقَ حالٍ مَا بِحَرْفٍ جُرَّ قَدْ أَبَوْا، ولَا أمنَعُهُ فقَدْ وَرَدْ

(2) (م، س) [4ظ] و[5و].

قالَ: «وَ"ثابتًا": حَالٌ، وَإِنَّما أَظْهَرَهُ ولَمْ يسْتَغْنِ عنْهُ بقَوْلِهِ: "فِي الْعَرْشِ" مع أَنَّهُ كوْنٌ عامٌّ للضَّرورةِ. وَوَجهٌ آخَرُ: أنْ لا يَكُونَ "فِي الْعَرْشِ" **مُتَعَلِّقًا** بهِ ظَرْفًا لَهُ، بَلْ **مُتَعَلِّقٌ** بِـ: "رأَى" فلَا إِشْكَالَ»[1].

لقد قدّمت الشّروحُ السّابِقةُ بيانًا لموقع الجار والمجرور فِي أداءِ دلالة الجملة من خلالِ دلالتهِ الوضعِيّة، وموقعهِ، وَكذا تعدّدُ احتمالاتِ التّعلّق؛ لتجاور الحروفِ واعتبارات التّركِيبِ. ففِي البيتِ الأوّلِ لمْ يكتفِ الشّارِحُ بربطِ الجار والمجرورِ بالعامِلِ القرِيبِ منهُ، واجتهد فِي إيجاد العلاقة بينه وبينَ "نزر" اعتمادا على تعدّد وظائف الحرفِ، وَإمكان تعلّقه بما تقدّم عليهِ للضّرورةِ، وورود في الكلامِ العربِيّ؛ فلا يكونُ للحرف متعلِّقانِ إلّا إذا كانا في نفسِ المعنَى. ويظهِرُ النّموذج الثّانِي اعتبار مقامِ الجارّ والمجرور بصورَةٍ أوْضَح وأجلى، بسببِ تجاور الحروف، حتّى كان هناكَ تنازع بين العواملِ فيمن يعملُ في المذكورِ، ويقدّر لغيرِها اتمامًا لمعناها. ويظهرُ فِي النّموذج الثّالِث استعانةُ أطفِيَّش بتغيِيرِ متعلّق الجارّ؛ لِيخرُجَ مِن القولِ بالضّرورةِ، ومخالفةِ القاعدة بذكرِ ما حقّهُ الحذف أو الإضمار.

ب- تعلِيق الظَّرف:

لا يتكرّرُ عند الشَّارِحِ كثِيرًا تعْيِينُ متعلِّق الظَّرفِ وربّما يعودُ هذا إلى الوضوحِ الذِي يكتنِفُهُ بالمقارنةِ معَ تعلُّقِ حرف الجرّ ومجرورِه، لكن تجدُهُ في بعضِ المحطّاتِ يشِيرُ إليهِ، من ذلِكَ قولُهُ في شرحِ البيتِ:

وَأُحْسِنُ أَقْوالِي إِذَا كُنتُ نَاطِقًا بِمَا لَيْسَ يعْنِي مِنْ مَقَالَةِ إِنْسَانِ

قال: «وَ"أَقْوَالِي": بِمَعْنَى تَلَفُّظَاتِي، اسْتِعْمَالٌ لِلْمُقَيَّدِ فِي المُطْلَقِ، عَلَى أَنَّ القَوْلَ يَخْتَصُّ بِالمَوْضُوعِ، وَاللَّفْظَ لَهُ وَلِلْمُهْمَلِ. وَ"إِذَا": ظَرْفٌ خَارِجٌ عَن الصَّدْرِ وَالشَّرْطِ **مُتَعَلِّقٌ**

(1) إجابة الدعوة [77و].

بِأَقْوَالِي، وَفَائِدَتُهُ تَعْمِيمُ أَوْقَاتِ النُّطْقِ»[1]. على خُطَى الشَّارِحِ في استجلاءِ معانِي الأبياتِ، مِن خلالِ توظِيف المعارِف اللُّغوِيَّة بكلِّ فروعِها تراهُ في هذا البيتِ يسنِدُ تعمِيمَ أوقاتِ النُّطقِ لإثباتِ التَّقصِيرِ الذِي ينسبهُ النّاظِمُ لنَفْسِهِ، إلى تعلُّق هذهِ الأقوالِ بالأداةِ "إذا" التي لا تفتَرِقُ عنها دلالة الظَّرفِيَّة الزّمانِيّة، وإنْ تخلَّتْ عن الشّرطِيَّة وعن الاستقبالِ[2]، إذْ تدلُّ هنا على أنّه ينمّقُ أقوالهُ حالَ الحدِيثِ فيما لا يعنِي ولا يُفِيدُ.

6- المطابقة بين المتلازمات وعود الضّمِير إلى صاحبِهِ:

يقدّم الشّارِحُ جملة مِن الأدلّة والقرائنِ لبيانِ الوظائف الإعرابِيَّة ليجبر بعضها ببعضٍ، ويسقِطَ الكلامَ على الأطر التّجرِيدِيَّة المتعارف عليها لدى النّحاة؛ ففجوات التَّحلِيلِ لا يمكِنُ تفادِيها إلّا بهذا التَّكامل بين كلِّ المعارِفِ، وإلى هذا يُشِيرُ الدكتور تمّام حسّان بقولِهِ «إذا كان العاملُ قاصرًا عن تفسِيرِ الظَّواهر النَّحوِيَّة والعلاقات السياقِيَّة جميعها، فإنّ فكرة القرائن (الأدلَّة) توزّعُ اهتمامَهَا بالقسطاسِ بينَ قرائنِ التّعلِيق النَّحوِيّ، معنوِيّها ولفظِيّها، ولا تعطِي للعلامة الإعرابِيَّة منها أكثَر ممَّا تعطِيهِ لأيَّة قرِينةٍ أخرى من الاهتمامِ»[3]. النَّماذجُ على هذا التَّظافُرِ تستغرِق التّحلِيلاتِ في الكتابِ كلِّهِ؛ إذْ هِي عملِيَّة مطَّرِدةٌ، سواءٌ أبان عنها الشّارِحُ أو لم يبِنْ، إذ قد يكتفِي الشَّارِحُ بإظهارِ ما يستلزِمُ الإظهارَ دون التَّصرِيحِ بِباقِي الأدلَّة، لأنّها تكونُ مستحضَرةً في ذهن الشَّارِحِ والمتلقِّي على السّواءِ. واخترتُ منها المطابقة بين المتلازمات وعود الضّمائِرِ لِتردّدها أكثر مِن غيرِها، وتقدّم النّصوص التّالِية نماذج منها.

---

(1) إجابة الدعوة [5و].

(2) للشّارِحِ وقفات متعدِّدة مع الأداةِ "إذا" و"إن" قد أشرتُ إلى طرفٍ من معانِيها في مبحث الأدواتِ. وفي هذا النَّصِّ يظهرُ استعمالهُ لمصطلح "خارج عن الصَّدرِ" ليدلَّ بهِ على أنَّ "إذا" فِي استعمالِها تأتِي في صدرِ الكلامِ، ولكن تدحرجت عنهُ، كما أنَّ أداوتٍ أخرى تستعملُ بنفسِ الحالِ، كَ "لمّا" وقد ذكرها حين تعرُّضه لتفسِير الآية الأولى من سورة الواقعة في تفسِير "همِيان الزّاد". وما أودّ الإشارة إليهِ، هو تفرّده بهذا المصطَلح.

(3) اللغة العربية معناها ومبناها، ص232.

أ- المطابقة بين المتلازمات:

المطابقة بين المتلازماتِ مِن الأدلّة اللَّفظِيَّة على تعيِينِ العلاقة بينَ الكلمات في الجملة، وأعنِي بهِ التَّلازم بين المبتدأ وخبره مثلًا؛ أي التَّوافق بينهما فِي العددِ والنَّوع، وبين النَّعت والمنعوتِ، أو اسم الإشارة والمشار إليْهِ، وبين البدل والمبدل منهُ. وقد اعتمَدَ أطفِيَّش على هذه المطابقة فِي حلِّ الإشكالاتِ التَّركِيبِيَّة، ومِن تلك النُّصوصِ قوله في شرحِ البيت:

وَعِنْدِي يَمِينٌ لاَ يَمِينُ بِأَنَّ فِي يَمِينِكَ وَكْفًا حَيْثُ حَاجَةُ ظَمْآنِ

قال «و"يَمينُ" الثَّانِي: فعْلٌ مضَارِعٌ مرْفُوع منْفِيٌّ بـ: لَا، يُقالُ: مانَ يَمِينُ؛ أيْ: كَذبَ يكْذِبُ. وجملَتُهُ معَ فاعِلِهِ المسْتَتِرِ نَعْتٌ لِـ"يمين" الأَوَّل، والضّمِيرُ فِيهِ عائِدٌ إلى الأَوَّلِ؛ لِأَنَّ اليَمِينَ **يُذَكَّرُ ويُؤنَّثُ** تقدَّمَ أو تأخَّرَ، وكذا الإصبَعُ واخْتَارَ التَّذكِيرَ ليَكُونَ الجِنَاسُ التَّامُ»[1].

وفي شرح البيتِ:

لِسَـــانِيَ فِي لَغْوِ خِصَـــامٍ وَغَيْبَةٍ وَمَيْنٍ عَلَى الإِطلاَقِ فِي كُلّ أَزْمَانِ

قالَ «وَ"خِصَامٍ" وَمَا بَعْدَهُ: بَدَلٌ مِنْ "لَغْوٍ"، بَدَلٌ مُطَابِقٌ فَـ"لَغْو" مُنَوَّنٌ»[2]. لقد أكّد أطفِيَّش أداءَ الضَّمِير فِي "يمِين" و"خصام" لِوظِيفتِهما النّحوِيّة؛ لمطابقتها اللّفظِيّة مع الكلمة المرتبطة بهما، وبذلِكَ رفع ما كان مِن إشكالٍ، وفِي نصٍّ آخر[3] يظهِرُ، مِن خلالِ التّطابق، صحّةَ الرّوايةِ وَمطابقتها لسنن الكلامِ العربِيّ، قالَ: «وذكَرَ الثَّعْلَبِيّ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَن ابْنِ عبَّاسٍ فِي صِفَة الْبرَاقِ: أَنَّ لَهَا خَدًّا كخَدِّ الْإِنْسَانِ، وعَرْفًا كَعَرْف الْفَرَسِ، وقَوَائِمَ كقَوائِمِ الإِبِلِ، وأَظْلَافًا وذَنَبًا كأظْلَافِ البَقرِ وذنَبِها، وكَانَ صَدْرُها يَاقُوتَة حَمْرَاء، والتَّأنِيثُ باعْتِبَارِ أَنَّهُ دَابَّةٌ»[4].

---

(1) إجابة الدعوة [162و].

(2) [4ظ].

(3) ينظر نصّ آخر: [162و] [197ظ] و[242ظ].

(4)(م، س) [218و].

ب- عَود الضّمِير إلى صاحبِه:

وسائل الرَّبط هِي أدوات العطف والشَّرط وغيرها، وكذلِكَ الضَّمائِرُ، فهذه أدلَّة لفظِيَّة يستعِينُ بها المحلِّل لبلوغِ غايتِه، ومن النَّماذجِ على استعمالِ أطفِيَّش لهذه الوسائل، قولُهُ[1]: «وَأَلِفُ "تَوَلَّانِي" بَدَلٌ مِنْ لَامِ الكَلِمَةِ، لَا ضَمِيرٌ، وَفِي "تَوَلَّى" ضَمِيرٌ عَائِدٌ لِلْحَضِيضِ، **وَلَوْ كَانَ ضَمِيرَ تَثْنِيَةٍ** لَقَالَ تَوَلَّيَانِي»[2]. وكذلِكَ قولهُ في شَرحِ البيتِ:

وَجُدْرَانُ بَيْتِ اللهِ أَمَّنَّ عِنْدَمَا دَعَوْتَ لِعَبَّاس عَلِيّ وَوِلْدَانِ

قال «وليْسَ الأَصْلُ "أَمَّنَتْ" بتَاءِ التَّأْنِيثِ، وحَذفهَا لِلْوَزْنِ، بَلْ هُوَ مُشَدَّدُ النُّونِ كَالْمِيمِ، فَفِيهِ نُونُ الإِنَاثِ»[3]. فقد أبعدَ التّأوِيلَ مِن النّصّينِ بِتحدِيدِ الضّمائِرِ، وردِّها إلى أصحابِها في الكلامِ، فلا يضِيف للنَّصِّ ما ليسَ مقصودًا من النّاظِمِ، إذ الصِّيغة اللَّفظِيَّة "تولّى" و"أمّنَّ" تتضمَّنان ضمِيرَ المفرد ونون النّسوَة مدغما مع لام الفعل، دلَّ عليهِما "حضيض" و"جدران" الاسم العائد إليهِ الضَّمِير.

هناكَ طرفٌ من الأدلَّة فِي الإجراآت الإعرابِيَّة تمّت الإشارةُ إليهِ سابقًا تتعلَّقُ بالمعنَى أساسًا، والمعنَى العامّ للقصِيدة وعباراتها بالخصوصِ، وقد أبنتُ أهمّيَّة الوقوف على معانِي المفرداتِ، والمعنَى العامّ، وهنا لا بدَّ من الإشارة إلى ضرورة الالتزام بالسِّياق العامّ للقصِيدة، وغرضِها والمقامات التِي سِيقتْ من أجلها، إذْ بإهمالِها يضِيعُ طرفٌ مِن المعنَى الإعرابِيّ ليس بالهيّنِ. وفي هذا السَّبِيلِ كان أطفِيّش يوظِّف عباراتٍ من قبِيل: "لأنَّه في مقام هضمِ نفسهِ"[4]، و"ولَوْ أُضْمِرَ لعُلِمَ مِنَ المقامِ"[5]. وهذا يدعونا في نهاية هذا المبحث، المتعلِّقِ بالإعرابِ، إلى الإقرارِ بإمساكِ الشَّارِحِ بزمامِ المعنَى في القصِيدةِ مِن خِلالِ إطارِها العامّ

---

(1) ينظر النُّصوص الأخرى: إجابة الدعوة [7و] [90و] و[186ظ] و[162و] و[204و] و[218و] و[219و]

(2) (م، س) [4و].

(3) (م، س) [183و].

(4) (م، س) [4ظ].

(5) (م، س) [77و].

ومرادها، دون التَّعسُّفِ فِي تطوِيعها للأطُر التّجرِيدِيَّة التِي أقامها النُّحاة التي قد يضِيعُ معها المعنَى فِي سبِيلِ تحقِيقِ القواعِد المستنبطة، وإرغام النَّصِّ على ما لا يحتوِيهِ، حتَّى إنّهُ لا يتحرَّجُ من إقامة المعنَى على غير الملفوظِ، كلجوئهِ إلى التَّضمِينِ، وإلى تعدُّد معانِي المفرداتِ.

7- التَّعدُّد الإعرابِي والجواز النَّحوِي:

يتناول هذا المبْحثُ أمريْن مهمَّين في عملِيَّة إعرابِ الكلمات في اللُّغة العربِيَّة، أوَّلهما: تعدُّد أعارِيب الكلمة في الجملة ذاتِها، وخلالَ نفسِ السِّياق؛ أيْ احتمالُها لأكثرَ مِن معنًى وظِيفِيّ في الجملةِ، والأمر الثَّانِي هو الجوازُ النَّحوِي، ويشترِكُ فِي مفهومِهِ مع تعدُّد الإعْرَاب في أمورٍ، ويختصُّ بأنَّهُ ينظرُ في الحركة الإعرابِيَّة للمفردةِ، من حيثُ جوازُ تعدُّدها، وعبارة النَّحوِيِّين في ذلِكَ: جوازُ الرَّفع والنَّصبِ مثلًا.

إنَّ تعدّدَ الإعراب والجواز ناتِجٌ عن الاحتمالِ خلالَ السِّياقِ التّركِيبِيّ؛ فالوقوفُ على هذهِ الظّاهِرةِ مقْصُودٌ أصلًا، مِن أجْلِ سَبْرِ المعانِي التِي تحتملُها المفرَدَة، فيُحَاوِلُ التَّوفِيقَ بينَ الأَوْجُهِ واختيار الأنسَبِ، وإن أطالَ في الشَّرحِ، تجدهُ يعدِّدُ الأوجُهَ حَسَبَ ما هو ممكِن، أو يكتفِي بوجهٍ واحِدٍ يُشِيرُ إليهِ، وتبدُو معالجةُ هذه القضِيّة في نماذج متعدّدة مِن الشَّرحِ تطرّقت إلى مسائل مختلفة متعلّقة بالقضِيّة، أعالجها حسب ما يأتِي:

أ- طرِيقة التَّعبِير عن جوازِ التَّعدُّد:

يستعملُ الشّارِحُ الفعل "يجوز" وحرف العطفِ "أو" للتّعبِيرِ عن ظاهِرة التّعدّد، والاستعمالانِ يدلّان على اختياراتٍ نظرِيَّة، كالإقرارِ بأنَّ تعدُّدَ الإعرابِ قائمٌ على المفاضلة بين الأوجُه الممكنة المحتملة؛ أيْ إنّ هناك وجها فاضِلا وآخر مفضولا، فليست الأَوْجُه على نفسِ الدَّرجة مِن القُوَّةِ والاحتمالِ. ويمكنُ تلمُّس هذا مِن خلالِ شرحِ البيتِ:

وَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ لَوَّامَةٌ لِمَنْ نَهَاهَا فَلَيْسَتْ تَطْمَئِنُّ لِإِحْسَانِ

قال: «"أَمَّارَةٌ": خبَرٌ لِمَحْذُوف...**وَيَجُوزُ** أَنْ يَكُونَ "أَمَّارَة": مُبْتَدَءًا خَبَرُهُ: "لَوَّامَةٌ" **أَوْ** خَبَرُهُ مَا بَعْدَ الفَاءِ، **عَلَى قَوْلِ** جَوَازِ زِيَادَةِ الفَاءِ فِي الخَبَرِ مُطْلَقًا، **أَوْ** خَبَرُهَا "إِذَا" وَشَرْطُهَا وَجَوابُهَا»[1].

الوَجْهُ في إعرابِ "أمَّارة" أن يَكونَ خبرا لمحذوفٍ، كما يمكِنُ أن يكونَ مبتدأ خبرُهُ على أوجهٍ متعدِّدة. وعلى اتِّكال الشَّارِحِ في أحدِ الأوجهِ على قولِ الأخفَشِ الذي يرَى بأنَّه يجوزُ زيادة الفاءِ في الخبرِ مطلَقًا[2]، دلِيلٌ على أنَّ الوَجْهَ المقصودَ ليسَ فِي نفسِ درجة الأقوالِ الأخرَى، وإنَّما هو وجهٌ محتمِلٌ على قول نحوِيٍّ، ربّما لم يوافِقْ عليهِ الجمهورُ، وبالتّالِي فإنّ الشّارِحَ يقفُ بينَ القواعد النّحوِيّة الإعرابِيَّة، وإرادة المعانِي المختلفة للألفاظِ، فليس المبتدأ كالخبر في الدّلالة، وهذا يدعو إلى الاعترافِ برحابة التّركِيب العرِبِيّ وثراءِ معانِيهِ على نمطِ هذا النّصّ والنُّصوص الأخرَى مِن هذه الظّاهِرة.

ب- تعدُّد الإعراب مِن التَّوسُّع في المعنَى:

ينتُجُ التّوسُّع في المعنَى ضِمن التّركِيبِ اللُّغوِيّ من خلالِ مفرداتهِ والأدواتِ الرّابطة بينها، وتقدّم الأوجُه الإعرابِيّة المختلفة للمفردةِ ثراءً معنوِيًّا مستنِدًا إلى أدلّة لفظِيّة أو مقامِيّة، ويبيّنُ هذا قولُ الشّارِحِ في شرح قولِ النّاظِمِ:

فَأَلْقَيْتَهُ صَرْعًا وَأَبْصَرَ أَيْكَةً أَطَاعَتْكَ سَعْيًا فِي رُجُوع وَإِتْيَانِ

قال: «فأَلْقَيْتَهُ يَا رسُولَ اللهِ في الْأَرْضِ حالَ كَوْنِهِ ذَا صَرْعٍ وَاقِعٍ عَلَيْهِ. أَوْ مَصْرُوعا أَوْ إِلْقَاءَ صَرْعٍ أَوْ صَرَعْتَهُ صَرْعًا... وضَمَّنَ "أَلْقَيْتَهُ" مَعْنَى صَرَعْتَهُ، فَ"صَرْعًا": مَفْعُولٌ مُطْلَق، ومَرّتْ

(1) إجابة الدعوة [3و].

(2) ينظر: الجنى الدّانِي، ص70. والتبيانِ، العكبرِي، 877/2. وفِي القولِ المشْهورِ يشترطُ لزيادة الفاءِ أنْ تكون في الخبرِ المتضمِّنِ شرْطًا.

أَعَارِيبُ أُخْرَى. وكَذَا "سعْيًا" بِمَعْنَى سَاعِيَاتٍ، أَوْ ذَوَاتِ سَعْيٍ أَوْ سَعْيًا: مَفْعُولٌ مُطلَقٌ لِتَضَمُّن أَطَعْنَاكَ مَعْنَى سَعَيْنا إِلَيْكَ»[1].

قد سبقَ التّنبِيهُ إلى أهمِيّة صِيغة المفردةِ فِي الجملة[2]، ولقد قدّمت اللّفظتانِ "صرعا" و"سعيا" من خلالِ بنيتِهِما وموقعهما في الجملة، وترابطهما مع مفرداتها، عدّةَ احتمالاتٍ إعرابِيّة تفرزُ ظلالًا معنوِيّة، بناءً على التّمايز الدّلالِيّ للوظائفِ الإعرابِيّة، فاستنبط مِن اللّفطتين وظِيفتينِ تُسهِمانِ في بَيانِ دلالةِ البيتِ على النّحو الآتِي:

الحال: استنبطها على وجْهَين؛ ذا صرعٍ، ومصروعا، ذوات سَعْيٍ، وساعياتٍ، جوابا للسّؤال كيف ألقيته؟ وكيفَ أطاعتْكَ؟ إظهارًا لِحدّة الإلقاء المتَمكِّن مِن قَهْرِ الخصْمِ، والتّغلّبِ عليهِ، وشدّة الاتّباعِ المتمثّل بالسّعيِ الحثِيثِ.

المفعول المطلق: تأكِيد للحدَثِ. وقدْ حَمَلَتْ صِيغة المصدرِ توسُّعًا في الدّلالة؛ لاختلافها عن مصدرِ الفِعْلِ الدّالّ على الحَدَثِ، وفصّلهُ الشّارِحُ على وجهَيْن: بتضمِينِ الفعل معنَى المصدرِ، وبِتقدِيرِ محذوفٍ مِن صِيغة المصدرِ، ويحمل المذكور على نيابة المفعول المطلَقِ.

ج- أسبابُ تعَدُّد الوظائِف الإعرابِيّة:

يشِيرُ أطفِيَّش في إعراباتِهِ إلى الأوجه الممكنة للمفردةِ بربطِها بسياقِها وتعالقها مع المفرداتِ في الجملةِ، والبحثِ في صِيغتها الصّرفِيّة، على الوجه الذِي تمّ بيانهُ فِي النّصّ السّابِقِ، وهذه هِي مجمل الآلِيات التِي عدّد مِن خلالِها أطفِيَّش وظائفَ بعضِ المفردَاتِ،

(1) إجابة الدعوة [197و] و[197ظ].

(2) ينظر مطلب دراسة القضايا الصّرفِيّة، وقد قال أطفِيَّش في شَرْحِ دلالةِ بعض المصادِرِ «...وَيُرِيدُ النَّاظِمُ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي اللَّفْظَيْنِ لِأَنَّهُمَا مَصْدَرَانِ صَالِحَانِ لِلكَثْرَةِ، وَمَعَانِي كُلٍّ مِنْهُمَا مُتَّحِدَةُ المَفْهُوم، فَصَحَّ إِرَادَتُهَا كُلَّهَا مَرَّةً» إجابة الدعوة [4ظ].

وبالتّأمُّل في النّماذج التّالِية يتبيّنُ حضورُ هذه الآليات بوضوحٍ، وكيف ساهمتْ فِي إجلاءِ هذه الظّاهِرة. قال أطفِيَّش في شرحِ البيتِ:

وَإِيوَانُ كِسْرَى باتَ بِالصَّدْعِ ذَا فَنَا كَمَا شَمْلُ كِسْرَى اشْتَتَّ مِنْ بَعْدِ

قال: «"**مَا" زَائِدَة كَافَّة،** وَ"شَمْلُ": **مُبْتَدَأٌ** خَبَرُهُ "اشْتَتَّ"؛ أَيْ: كَمَا شَمْلُ أَصْحَابِ كِسْرَى تَفَرَّقَ بَعْدَ تَفَرُّقِ إِيوَانِهِ بِالصَّدْعِ، أَوْ "شَمْلِ" بِالْجَرِّ بِالْكَافِ عَلَى حَذْفِ مُضَاف، و"**مَا" غَيْرُ كَافَّةٍ،** أَيْ: كَشَمْلِ أَصْحَابِ كِسْرَى حَالَ كَوْنِهِ مُتَفَرِّقًا»[1]. فإعرابُ كلمة "شمل" مقرونٌ بِالأداةِ "ما"، فبحسبِ وظِيفتها في الجملةِ تتحدّدُ وظِيفة المفردة "شمل". وليسَ هذا مقتصِرا على هذا البيتِ فقط، ففي شرح البيتِ:

وَمَنْ أَكَّدَ المِيزَانَ أَكَّدَ مَوثِقًا بِهَدْيِكَ أَنْ يُلْقَى إِلَى أَهْلِ مِيزَانِ

قالَ: «والذِي أَكَّدَ العَدْلَ مُطلَقًا، أو الوَفَاءَ في الوزْنِ مِن كُلِّ مَنْ يَزِنُ مِن مالِهِ للنَّاسِ أَكَّدَ وُثُوقًا بِهَدْيِكَ بأنْ يُلْقَى إِلَى أَهْلِ العَقْلِ. فـ"مَن": مُبْتدَأ خبَرُهُ "**أَكَّدَ مَوْثِقًا**" إلخ، أوْ يمكِنُ أَنْ يكونَ **الواوُ لِلْقَسمِ** لِمَا قَبْلَهُ مِنْ تبْشِيرِ الرُّسُل...وعلَى الْقَسَمِ يكُون "**أَكَّدَ مَوْثِقًا**" **بَدَلًا** مِنْ قَوْلِهِ: "**أَكَّدَ الميزانَ**»[2]. فتعدُّدُ المعنَى الوظِيفِي لِلجملة "أكّد موثِقا" راجعٌ إلى وظِيفة أداةِ الواوِ التي تحتمِلُ وظائفَ مختلفة، منها العطف والقسم.

وَفِي شرح البيتِ الموالِي نقفُ أمام سببٍ آخرَ يجعلُ تحدِيدَ الوظِيفة الإعرابِيَّة متعدِّدا.

وَإِنْ هُوَ قَدْ أَوْمَى إِلَى السُّحْبِ أَتَتْ بِحَمِيدِ الْقَطْرِ أَبْهَجَ إِتْيَانِ

قالَ: «"هُوَ" **ضَمِيرُ اسْمٍ** لـ:كَانَ الشَّأْنِيَّة **المحْذُوفِ،** أيْ: وإِنْ كانَ، أَيْ: هُو، أَيْ: الشَّأنُ، حَذَفَ كانَ وَحْدَهُ، لَا مَعَ الضَّمِيرِ فِيهِ فَبَرَزَ وانْفَصَلَ. وجُمْلَة: "قَدْ أَوْمَى إِصْبَعٌ" خَبَرُ كانَ. ونَعْتُ "إِصْبَعٌ" محذُوفٌ أيْ: إصبَعٌ مِنْكَ. **ويَجُوزُ** أن يكُونَ "**هُو**" **عَائِدًا** إِلَى رسُولِ اللهِ ﷺ **فاعِلًا** لِـ:"أَوْمَى" محْذُوفًا غَيْرَ مقْرُونٍ بِـ"قَدْ" وفَسَّرهُ المقْرُونُ بها المذكُورُ، فيُقَدَّرُ

(1) إجابة الدعوة [98و].

(2) (م، س) [89و].

إصْبَعٌ منْهُ، فيَكُونُ اِلْتِفَاتًا منَ الخِطَابِ إلَى الغَيْبَةِ»[1].

الضَّمِيرُ في الجملة العربيَّة لا بدَّ له من عائدٍ أقِيمَ مكانهُ، وفِي هذا الصّددِ أدَّى البحثُ عن هذا العائدِ إلى الاحتمالينِ، وكلاهما ممكِنٌ، والعبارةُ مؤدِّيةٌ لحقِّهِ، إلّا أنَّ التَّفاوت واضِحٌ في قوَّة المعنَى الذِي يؤدِّيه كلُّ وجهٍ؛ أي من النَّاحية البلاغِيَّة الجماليَّة.

وفِي نصٍّ آخرَ قال: «وَنَادَى الوَيْحَ لِيَحْضُرَ لِأَنَّ ذَلِكَ الوَقْتَ وَقْتٌ يَحِقُّ أَنْ يَحْضُرَ فِيهِ، هَذَا وَجْهُ اللَّفْظِ، وَأَمَّا المُرَادُ فَالتَّحَسُّرُ وَالتَّضَجُّرُ مِنَ الذُّنُوبِ. **وَيَجُوزُ** أَنْ يَكُونَ "يَا" **تَنْبِيهًا** وَأَنْ يَكُونَ **نِدَاءً** لِمَحْذُوفٍ؛ أَيْ: يَا خِلِّي وَيْحَ قَلْبِي، فَيَكُونُ وَيْحَ مَفْعُولًا مُطْلَقًا لِمَحْذُوفٍ وُجُوبًا، لَيْسَ مِنْ لَفْظِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا فِعْلَ مِنْ لَفْظِهِ. فَالتَّقْدِيرُ: هَلَكَ قَلْبِي هَلَاكًا...»[2].

لقد كان للأداةِ "يا" دورٌ فِي بيانِ المواقع الإعرابِيَّة للمفرداتِ في الجملةِ. تحتمل أن تكونَ للتَّنبِيهِ لغيابِ المنادَى الحقِيقِيّ في الجملة، ويمكِنُ إبقاؤها على أصلِها، وتقدِير المنادَى المحذوفِ على الشّكلِ الذِي وضَّحهُ الشّارِحُ.

مِن الملاحِظ الأساسِيَّة على نصوصِ هذه الظّاهرةِ هو مقصِدِيَّة أطفِيَّش إلى الوقوفِ عليْها؛ أيْ إنَّه يظهِرُ الاحتمالاتِ الواردةَ في البيتِ، نتِيجة النَّظمِ الذِي جاء عليهِ البيتُ واحتملته العبارةُ، ولا يشِيرُ إلى أنّ ذلِكَ كان مقصودا من النّاظمِ أو لَا.

إنَّ تعدُّدَ إعراباتِ الكلمة الواحدة قدْ يَرِد بترجِيح أو دونَهُ؛ يعنِي أنَّ الشّارِحَ لا يلزمُ نفسهُ في أغلبِ نصوصِهِ بيان الدّاعِي إلى تعدُّد الإعرابِ، وإنَّما يتجاوزُ ذلِكَ لوضوحِهِ أو لِاعتمادِهِ على معرفة المتلقِّي له، فلا حاجة إلى تنبِيهِ المتلقِّي إلى ما قدْ حصَّلهُ فعلًا.

المطلب الرابع: معانِي الإضافة

الإضافة نسبةُ اسمٍ إلى اسمٍ آخَرَ، وإسنادُهُ إليهِ؛ نحو: غلامُ هندٍ، وكتاب خالدٍ[3].

---

(1) إجابة الدعوة [162و].

(2) إجابة الدعوة [7ظ].

(3) معانِي النحو، د. فاضل السّامرّائِي، 102/3.

وتَكتَسِي علاقَةُ الإضافَةِ فِي تركِيبِ الجملة العربيّة أهمِيَّة بالِغَةً فِي البيَانِ وإبلَاغِ رسالة المتكلِّم، وقد أوْضَح النَّحويُّون أهمّية هذه العلاقة مِن خلالِ أَوْجُهٍ متعَدِّدَة، مِنْ ذَلِكَ قول المبرّد «إذا أضفتَ اسما مفردًا إلى اسمٍ مثلِهِ، مفردٍ أو مضاف، صارَ الثَّانِي مِنْ تمامِ الأوَّل، وصارا جمِيعا اسمًا واحِدًا»[1]. إنَّ علاقة الإضافة تلحمُ الاسمَيْن لتحيلهما اسمًا جدِيدًا، ذا دلالةٍ مختلفةٍ تأخذُ مِن دلالةِ الاسمينِ المفردَينِ، وتنفردُ عنهمَا.

لقد أدَّتْ علاقةُ الإضافة وَظِيفةً مهمّةً فِي الوقوفِ على معانِي أبيات القصِيدة. وقد استقدمَ أطفِيَّش هذهِ العلاقة حالَ تحلِيلِ تراكِيبِ الجُمَل؛ إذْ ترَى المعانِي المعجمِيَّة (اللُّغوِيَّة) للمفرداتِ في تجاذُبٍ مُستَمِرٍّ مع التَّصرُّفات اللِّسانِيَّة (الفعلِيَّة) المعتمِدة على مبادِئِ الاقتصاد والتَّيْسِيرِ والاختصار والتَّسهِيلِ، وغيرِ ذلِكَ ممّا يعرَفُ في كلامِ العربِ، بما يمثِّلُ نظامَ اللُّغة الذِي نشأ بينهُم وتواضعوا عليهِ. وقَدْ ساهَمَتْ مجموع نُصوصِ هذه العلاقة فِي معالجةِ مسَائِلَ متعَدِّدَة، كالحذفِ والاحتمالِ والتَّقدِيرِ والمعجم والتَّركيبِ.

إنَّ مجموعَ النُّصوصِ التِي أحصيتها والمتعلِّقة بعلاقة الإضافة، كانت على نسَقٍ واحِدٍ مِن الاختِصارِ والاِقتضابِ، وهذا عهد الشَّارِحِ في أغلبِ نصوصِ شرحِهِ، إلَّا ما نَدَرَ. لا يذكُرُ أطفِيَّش في خلالِ تحلِيلاتِهِ إلَّا محصِّلتَها، فهوَ يُشِيرُ مثلا، في مسألةِ حَذْفِ المضافِ، إلى قِراءةِ البيتِ بتقدِير المضاف، ويعقِّب بقولِهِ: على حذفِ المضافِ، دون إشارةٍ إلى السَّببِ أو الغرضِ. وقد لا يذكُرُ حتَّى دلِيلَهُ مِن النَّصِّ على ذلِكَ الحذفِ؛ معتمِدا فِي ذلِكَ على معرفة المتلقِّي، ووضوحِ الإشارة إليهِ. هذا عن الملاحظة العامَّة للنُّصوصِ مجموعةً[2]. وسأضرِبُ عن النَّماذجِ علَى هذه الملاحظةِ، لأذكُرَ النُّصوصَ التِي تعدَّى فِيها الشَّارِحُ ذكرَ العلاقةِ مجملَةً، إلى بيانِ دلالتها وما يستنِد إليهِ مِن النَّصِّ؛ أيْ النُّصوص التِي كانَ فِيها تفصِيلٌ في الشَّرحِ والتَّحلِيلِ.

---

(1) المقتضَب، المبرِّد، 143/4.

(2) ينظَر مثلًا: إجابة الدعوة [9ظ].

1- الاحتمالُ والقراءة على وَجْهٍ واحِدٍ:

إنَّ أبياتَ المنظومةِ أعطَتْ لِلشَّارِحِ فسحةً فِي قراءتِها وتناولِ معانِيها بالنَّظرِ إلى استعمالِ النَّاظمِ أساليبَ البيانِ العرَبِيّ، وتفنُّنِه في التَّعبِيرِ عن المعانِي التِي يرِيدُها، فكان الشَّارِحُ مدرِكًا لهذا، نظرًا إلَى ثقافتِهِ اللُّغوِيَّة وعلمِهِ بالعرِبِيَّة. تجلَّى هذا على مستوَى علاقةِ الإضافة، وبالخُصوصِ فِي ظاهِرةِ حذْفِ المضافِ التي تُتِيحُ لِلْقارِئ والمتلقِّي قراءةَ البيْتِ على احتمالاتٍ متعدِّدة وممكنة، يختارُ منها ما يراهُ مناسبا حسب الأدلَّة عليهِ الحالِيَّة والمقالِيَّة.

إنَّ تَعدِيدَ الاحتمالاتِ في التَّحلِيلِ ظاهِرٌ على منهَجِ شرحِ أطفِيَّش فِي كُلِّ مستوَيَاتِهِ، وتمثَّلتْ على مُستوَى مراعاةِ حذف المضافِ مِنْ خلالِ تعبِيراتٍ كقولِه: ويجوزُ[1]؛ أيْ: تجوزُ قراءة البيتِ على هذا المنوالِ. أو أنَّهُ يقدِّم القراءاتِ المتعدِّدة معًا؛ سواء كانتْ مختلفة أو متقاربة، ومِن بينِها القِراءةُ على حذف المضافِ، لما تقدِّمهُ من قدرةٍ تفسيرِيَّة، فاصِلا بينها بالحرفِ "أوْ"[2].

لكنّهُ فِي بعضِ الأحيانِ يقدِّرُ ابتداءً وقوعَ الحذْفِ، دون اللُّجوءِ إلى تقدِيمِ احتمالاتِ التَّركِيبِ، فليسَ الحالُ أن يحتمِلَ التَّركِيبُ غيرَه؛ فَلا يمكِنُ تخرِيجُهُ إلّا على هذا الوَجهِ كقولِهِ «"سَاوَةُ": بَلْدةٌ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، أَيْ: أَهْلُ سَاوَةَ سَاءَتْ بِنَضْبِ مَاءِ بَحْرٍ صَغِيرٍ فِيهَا؛ أَيْ: ذَهَابُ مَائِهِ»[3].

وممَّا سجَّلتُهُ عن نصوصِ علاقة الإضافةِ، غيَابُ التَّناول البلاغِيّ لها، وهذا ما يُفسِّر سَبَبَ دراسة هذه الظّاهرة فِي هذَا المبحَث؛ إنَّ الشَّارِحَ لا يعمدُ إلى بيان المقاصِد المعنوِيّة البلاغِيَّة التِي تؤدِّيها هذه العلاقة، ولا يتطرَّقُ إلى الجانب الجمالِيّ والفنّي لتوظِيفِ هذا

(1) ينظَر إجابة الدعوة [77و].
(2) ينظَر (م، س) [111ظ].
(3) (م، س) [98و] و[98ظ].

الإسناد، وبهذا تكون سمةً غالبة على نصوصِ الشَّرحِ، إذ تَغلبُ المعالجَة اللُّغوِيّة/ المعجمِيّة والنَّحوِية على المعالجة البلاغِيَّة التي تبحثُ فِي جماليَّة التَّعبِير وتفنُّن النَّاظم في تصوِيرِهِ للمعانِي المرادة.

2- المعجم والتَّركِيب:

إنَّ علاقةَ الإضافةِ بحثٌ فِي صمِيم علم الدّلالة، فمعالجتها تستحضِرُ جملةً مِنْ مَفَاهِيمهِ من أجلِ استثمارِها لبلوغ أغراضِها والإحاطة بمدلولاتِها. لم يتوانَ أطفِيَّش فِي الاستعانةِ بمجملِ مفاهِيمِ علم الدّلالة، ويمكِنُ التَّدلِيلُ على ذلِكَ مِن خلالِ نموذجينِ يظهِرانِ هذا التّفاعُل.

يقدِّمُ أطفِيَّش قراءتهُ لتركِيبِ الإضافةِ بناءً على المعنَى اللُّغوِيّ للَّفظِ، وهو المعنَى الأصلِي الذِي وُضِعَ له، أو المعنَى المستعمل له، ثمَّ يوظِّفُ إمكانِيَّة القراءةِ على غيرِهِ ليحصُلَ على الدّلالة السِّياقِيَّة؛ فوقوفهُ على معنَى الإضافةِ ينبنِي على إرادة ذلِكَ من خلالِ السِّياقِ، ومن خلالِ الوَضع اللُّغوِي للفظِ، وفِي قراءتهِ للبيتِ التَّالِي نموذجٌ من ذلِكَ:

رَأَى آدمٌ فِي الْعَرْش ذِكرَكَ ثَابِتًا يَلِي ذِكْرَ رَبِّ الْعَرْش فِي وَقْتِ إِعْلاَنِ

قال: «والذِي رأَى آدمُ حُرُوفَ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله ﷺ في الْعَرْشِ، لا ذِكرَهُ، لكِنْ لمَّا كان الْحُرُوفُ المكتُوبَةُ سببًا للنُّطقِ والذِّكرِ بمُسَمَّاها ومَلزومًا لَهُ في الْجُمْلَةِ عبَّرَ عنْهَا بِالذِّكرِ، والرُّؤيَةُ بَصَرِيَّةٌ...و"فِي وَقْتِ إِعْلاَنِ": كالتَّرشِيحِ لِلْمجَازِ المُرْسَلِ، كما يُرشَّحُ المجازُ الاِسْتِعَارِيّ. ويَجُوزُ تَقْدِيرُ مضَافٍ فيَبْقَى "ذِكْرَ" في الموضعَيْنِ بِمَعْنَى النُّطق على **ظاهِرِهِ**، فيكونُ "وَقْت إِعْلاَنِ" على ظاهرِهِ مِنَ الجَهْرِ بِالنُّطقِ؛ أيْ: رأَى دَالَّ ذِكْرِكَ يَلِي دَالَّ ذِكْرِ رَبِّكَ، بتَشْدِيدِ اللَّام»[1].

(1) إجابة الدعوة [77و].

إنَّ مِنْ معانِي "الذّكر" في اللُّغةِ: جَرْيُ الشَّيْء على لسانكَ[1]. وهذا بمعنَى النُّطقِ الذِي أشارَ إليه الشَّارِحُ في النَّصِّ سالِفا. والإِعْلانُ: المُجاهرة[2]، وعلى هذَيْن المعنَيَيْنِ اللُّغوِيَّيْنِ اللّذين عَبَّر عنهما الشَّارِحُ بقولِه: "على ظاهِرِه" بَنَى أطفِيَّش قراءتهُ للبيتِ على حذفِ المضافِ "دالَّ"؛ فاللَّفظان "إعلان" و"ذكر" يَنتميانِ إلى نفسِ الحقلِ الدّالِ على النّطقِ مع اختلافٍ فِي كيفِيَّتِهِ، فَأجَازَ بذلِكَ القراءة على حذفِ المضافِ.

لقدْ أعطتْ ثنائِيَّة الحقِيقة والوضع اللُّغوِيّ/ المجاز إمكانِيَّةَ قِراءة ألفاظِ البَيْتِ على القراءتَيْنِ، وهذا ما يدرسُهُ علم الدّلالة فِي مبحثِ تغيُّر المعنَى أو انتقال الدّلالة، والذِي يكون في صورٍ مختلفة: التَّضْيِيق والاتِّساع والانحِطاط والرُّقيّ. ومِن وسائلِ هذا التَّغير أو الانتقال: المجاز المرسَل والاستعارة والكناية، ومن النَّاحية النَّحوِيَّة يعتبرُ إقامة المضاف إليهِ مقامَ المضافِ؛ أيْ تحمّل المضاف إليهِ دلالة المضافِ فصلا من فصولِ هذا التّغيِيرِ.

وفِي قولِه في شرح البيتِ التّالِي يتجلَّى وَجْهٌ مِن أوجُهُ اختلافِ دلالة الإضافة بالنّظرِ إلى التَّركِيبِ الذِي سِيقَتْ فِيهِ:

وَخَيْرَ نَبِيءٍ جَاءَ مِنْ خَيْرِ عنْصرِ بِخَيْرِ كِرَامٍ هَدْيُهُم خَيْرُ قُرْآنِ

قال: «فقَدْ اخْتَارَ خَيْرَ الأَنْبِئَاءِ غَيْرهُ الذي لَهُ أَفْضَلُ خَيْرٍ وأَفْضَلُ كِتَابٍ مُنَزَّلٍ يُقْرَأُ، ولَهُ صَحَابَةٌ كِرَامٌ وفَضلَ عَلَيْهِ نَبِيئُنَا ﷺ، وعَلَى أَصْحَابِهِ وخَيْرِهِمْ وهَدْيِهِمْ صَحَابَةُ نَبِيئِنا وسِيرَتُهُم وهَدْيُهُمْ، وعَلَى كِتَابِهِ كتَابُ نبِيئِنَا ﷺ؛ فخَيْرُ سائِرِ الكُتُبِ التَّورَاةُ غَيْرِ القُرْآنِ، والقُرْآنُ أَفْضَلُ مِنْهَا. وهَذَا عَلَى أَنَّ "جَاءَ" نَعْتُ "نَبِيءٍ"، **ويَجوزُ** أَنْ يَكُونَ نَعْتَ "خَيْر" فيَكُونُ "خَيْرِ كِرَامٍ" مَا لِخِيَارِ هَذِهِ الأُمَّة والصَّحَابَةِ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ والدِّينِ، ويَكُونُ الْكِرَامُ الصَّحَابَةُ أَوْ أَهْلُ التَّقْوَى والعِلْمِ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ. والْخَيْرُ المضَافُ لِلْقُرْآنِ هُوَ القُرْآنُ المنَزَّلُ علَى سَيِّدِنا

(1) لسان العرب (ذكر).

(2) (م، س) (علن).

مُحَمَّدٍ ﷺ»[1]. إنَّ مَا عدَّدَ معانِي التّركِيبِ الإضافِيّ "خير كرام" هو تعلُّقه بالكلمِ في التَّركِيبِ. لم يشأ أطفِيَّش أن يمرَّ دونَ أن ينبّهَ على ما يمكِنُ أن يحملهُ مِن معانٍ؛ فالذِي جاءَ بهِ النَّبِيءُ يحتمِلُ أن يكونَ صحابتهُ المتميّزِينَ فِي سيرتهم وأخلاقِهِم، أو الخيرُ الذِي أوتوهُ. وهذهِ التفاتة مهمَّة، على بساطتِها، إلى ضرورةِ اعتِصارِ ما يقدّمه التّركِيبُ دونَ إقصاءٍ، فقد يكتفِي بالأمر أنَّ "خير كرام" هم الصّحابة الذِينَ جاءوا معهُ ﷺ، لكنّ التَّدقِيقَ يقتضِي التَّنبِيهَ علَى وُجُودِ تعلُّقٍ إمَّا بالصّحابة أنفسِهِم، أو بما حصلوا عليهِ من الخيرِ، وبذلِكَ يشملُ التَّركِيبُ كلا الدّلالتينِ.

3- تقدِيرُ المضافِ المحذوفِ:

لقد كان لتقدِيرِ المضافِ المحذوفِ أثرٌ في بيانِ دلالات علاقة الإضافةِ، وتتضمَّن التَّطبِيقات المبثوثةُ في الكتابِ توجِيهاتٍ مهمَّة، تنبِئُ عن اتّباعِ أطفِيّش لقواعد التَّركِيبِ العربِيّ المستنبطة من كلامِهِم رغمَ أنَّهُ لا يقدّمُ توضِيحاتٍ ضافِية على إجراآتهِ، ولا المبادِئ التِي يتّبِعها، فقاعدتهُ النَّظرِيَّة مطمورةٌ في تطبِيقاتهِ، ويمكِنُ تلمُّسُ ملامحها مِنْ خِلالِ النّماذج المقدّمة للتّحلِيلِ.

وعلى عمومِ عمليَّة التَّقدِيرِ في هذه الظّاهِرة؛ فإنَّ أطفِيَّش لا يقدّمُ توضِيحاتٍ على إجراءِ هذه التَّقدِيراتِ، أي لماذا يختارُ تقدِيرا على آخَرَ؟ والأظهَرُ أنّ لمعانِي المفرداتِ دورًا كبِيرًا في تقدِيرِ المحذوفِ في الكلام، كمَا أنَّ المكتسبات القبلِيّة (أفكار، عقائد، مسلَّمات...) والتّناص مع النُّصوص اللّغوِيَّة تسهِمُ بشكلٍ كبِيرٍ فِي هذا التَّحدِيدِ، نقفُ على ذلِكَ في قولِهِ: «بِخِلَافِ يَاءِ الإِشْبَاعِ فَجَرَتْ عَادَةُ الكُتَّابِ أَنْ لَا يَكْتُبُوهَا، كَيَاءِ "الجَانِ" آخِرَ البَيْتِ فَإِنَّهَا لِلْإِشْبَاعِ، وخَفَّفَ نُونَهُ لِلضَّرُورَةِ؛ **وَهُوَ إِبْلِيسُ**، فَيُقَدَّرُ مَضَافٌ؛ أَيْ: وَأَوْلَادِ الجَانِ، أَوْ سَمَّى الجِنَّ بِاسْمِ الجَدِّ لَهُمْ، كَمَا تُسَمَّى قَبَائِلٌ بِاسْمِ جَدِّهَا كَعَادٍ وَثَمُودَ»[2].

---

(1) إجابة الدعوة [63و].

(2) إجابة الدعوة [1ظ].

فمعلومٌ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قد أرسِلَ إلى الخلقِ كافّة، فأصحُّ مفردةٍ مؤدّية لهذا المعنَى التي تَدُلُّ على شُمولِ الفرِيقين مِن الجنِّ والإنس، لذلِكَ قدَّر "أولاد" يعنِي "بنِي"، على أنَّ "الجان" هو إبلِيسُ نفسه.

لقد أشكلَ على الدكتور فاضل السّامرّائِي تقدِيرُ النُّحاة للمضافِ في بعضِ التَّراكِيبِ التِي تكون على المجازِ، وقرَّرَ بأنَّ التّعبِيرين مختلفان دلالِيًّا، فقال مثلًا «من كلامهم [يعنِي النُّحاة]: بنو فلانٍ يطؤهم الطَّرِيق، وإنَّما يطؤُهم أهل الطَّرِيقِ، فهذا في الحقيقة تعبِيرٌ مجازِيّ، يؤدِّي معنًى لا يؤدِّيه المقدَّر، ولذا نحنُ لا نرَى في هذا تقدِيرًا، لأنَّهُ يفسِد الغرضَ الفنِّيّ الذِي صِيغَ من أجلِهِ»[1].

لقد لاحظت مثل هذا التَّفرِيقِ في نصوص الشَّارِح؛ أيْ تفرِيقهُ بين التَّعبِيرِ على أصلِهِ كما وردَ عند النَّاظِمِ، وبين تقدِيرِ المضاف المحذوفِ، فلا يعتبرُ القراءتين متكافئتينِ، وإنَّما هناك فرقٌ بينهما يشِيرُ إليهِ بالحرفِ "**أو**" الذِي يعنِي المغايرة، نتلمَّسُ هذا فِي قَولِهِ: «"التَّصَبُّر": عِلَاجُ الصَّبْرِ، وَالمُرَادُ عَاقِبَةُ التَّصَبُّرِ نُصْرَةٌ عَظِيمَةٌ، **أَوْ** التَّصَبُّر مُعْقِبُ نُصْرَةٍ فَحَذَفَ المُضَافَ، أَوْ هُوَ نَفْسُ النُّصْرَةِ **مُبَالَغَةً**»[2] فمعنَى المبالغة يغِيبُ حين يقدَّر مضافٌ محذوف في الكلامِ؛ فبذلِكَ ينزِلُ المعنَى درجةً لا تتحصّلُ إلَّا بهذا التَّجوُّزِ.

إنَّ إقامةَ المضاف إليهِ مقام المضافِ يضَعُ كلَّ الثِّقل المعنوِيّ على المضاف إليهِ، نائِبا عنهُ، متشبِّعا بحمولتهِ المعنوِيَّة، زائدا علَى حمولتِهِ الذَّاتِيَّة، وبهذا يكون الاختصارُ في اللَّفظِ مُنتجًا لزَخمٍ مَعْنَوِيّ يدركُهُ المتلقِّي العالمُ باللُّغة وأسالِيبِها، ومن هذا المدخَل سأعالجُ شرحَ أطفِيَّش لقول النَّاظِم:

---

(1) معانِي النَّحو، د.فاضل السَّامرّائِي، 124/3. نفسُ الملاحظة أشار إليها ابن يعِيش في شرحِ قولهم: ما أنت إلَّا سيرٌ سيرٌ، قال: إذا رفعتَ كان على وجهين: أحدهما أن يكونَ على حذفِ مضاف، وهو صاحب، والثَّانِي أن تجعلهُ نفس السَّير، لمَّا كثُرَ ذلكَ منه، توسُّعا ومجازًا، كما يقال: رجلٌ عدلٌ ورِضًى، إذا كثُرَ عدله والرِّضَى عنه. شرح المفصل، 282/1.

(2) إجابة الدّعوة [9ظ].

هُمَا لَعِبَا بِي مِثْلَ مَا لَعِبَ الطِّلاَ بِعَطْفَيْ صَبُوءٍ ذِي انْعِطَافٍ وَصِبْيَانِ

قال أطفِيَّش: «وَ"صَبُوءٍ": بِفَتْحِ الصَّادِ، مُبَالَغَةٌ فِي المَيْلِ. وَ"صِبْيَانُ": مَعْطُوفٌ عَلَى مَصْدَرِ لَعِبَ، عَلَى تَقْدِيرِ مُضَافٍ؛ أَيْ: وَلَعِبِ صِبْيَانٍ»[1].

يُصوِّر البيتُ أفعال النَّفسِ والشَّيطان فِي النَّاظِمِ، ومعاناتِهِ التِي يلقَاهَا منهُمَا، واستعانَ لتمثِيلِ هذه المعاناةِ في هذا البيتِ بحالِ الصِّبيان والسَّكرانِ، لاشتراكهما في أداءِ أعمالٍ تنمُّ عن قلَّة العقلِ وسوء التَّصرُّف؛ فالصِّبيان من الأصلِ "صبِي" الذي من معانِيهِ صِغَر السِّنِّ[2]، وفِي صغرِ السِّنِّ صغرُ العقلِ وقلَّة النَّظرِ في عواقبِ الأمورِ، يتمثَّلُ ذلِكَ فِي جريِهم ولعبِهِم وما يقومونَ بهِ من أعمال قد تؤدِّي بهم إلى الهلاكِ كاقترابِهِم مِن النَّارِ، وكلعبهم قربَ الحوافِّ دون استشعارٍ لخطرِ السُّقوطِ.

لقد اعتمدَ الشَّارِحُ في تقديرِ المحذوف على أساليبِ اللُّغة فِيما تقتضِيهِ من تركِيبٍ، أعنِي أنَّهُ يُسقِطُ التَّركِيبَ المشروحَ في عمليَّةٍ ذهنِيَّةٍ على القوالبِ المستنبطةِ من الكلامِ العربِيّ، وما يصطلحُ عليهِ بـ"أصلِ الكلامِ"؛ ليستطِيع استخراجَ ما أمكنهُ من معاني التَّركِيبِ المختزنةِ فِي رصف الكلمات في الجملة. فالأصلُ في العطفِ تكافؤ المعطوفَيْنِ وتشاركهما؛ لذلك اقتصَر باللّعبِ على غيرِهِ مِن الألفاظ لسبقِ ذكرِهِ في التَّركِيبِ.

وفِي قولِ النّاظِمِ:

وَسَاوَةُ قَدْ سِيئَتْ بِغَيْض بُحَيْرَةٍ وَقَدْ خَمَدَتْ لِلْفُرْس نَارٌ كَصُلْبَانِ

قال: «"سَاوَةُ": بَلْدةٌ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، أَيْ: أَهْلُ سَاوَةَ سَاءَتْ بِنَضْبِ مَاءِ بَحْرٍ صَغِيرٍ فِيهَا، أَيْ: ذَهَابُ مَائِهِ... و"كَصُلْبَانِ": أَيْ كَخُمُودِ صُلْبَانٍ، فَإِنَّ تَنَكُّسَهَا شَبِيهٌ بِخُمُودِ النَّارِ، والْخُمُودُ الْمَذْكُورُ لِلنَّارِ حَقِيقَةٌ، والْخُمُودُ الذِي حُذِفَ وقُدِّرَ لِلصُّلْبَانِ مَجَازٌ»[3]. يعتمِدُ في التَّقدِيرِ أيضا على مقتضيات أسلوب العطفِ والتّقابلِ بين المعطوفَيْنِ، ثمَّ عقَّبَ على

(1) إجابة الدعوة [4و] و[4ظ].

(2) مقاييس اللغة (صبِي).

(3) إجابة الدعوة [98و] و[98ظ].

التَّقدِيرِ باستحضارِ المجازِ؛ ليحدِثَ به الانسِجامَ بين مقتضَى التَّركِيبِ (العطف) ودلالة المحذوف. إنَّ الصّلبان لا تخمد حقِيقةً، ولكنّها تنكَّس، فَأخرجَ العبارةَ من حيّزِ الالتباسِ والغموضِ، ليدلّ بِمِثْلِ هذهِ الإجراآت على وعيهِ بضرورةِ وضع اللَّفظِ المناسِبِ للمعنَى المطلوبِ، ولأجلِ تحقِيقِ هذه الغايةِ يخرّجُ المعنَى بما تمثَّل أمامَهُ مِن الألفاظِ، وباللُّجوءِ إلى ما يمكِنُهُ مِن أدواتٍ تحقِّقُ له الغايةَ بدقّة وحذرٍ، دونَ إسرافٍ في التّأوِيلِ ولا جمودٍ على الحرفِيَّة.

4- التّوسُّع في دلالة الإضافة:

في لحظةٍ دقِيقة مِنْ لحظات التّحلِيل اللُّغوِيّ، يسلِّطُ أطفِيَّش الضّوءَ على الدّلالات التِي يمكِنُ أن تقدِّمها علاقة الإضافة، وهذا بالطّبعِ تمشِّيًا مع التّركِيبِ الذِي وردتْ عليهِ؛ فلا يحمِّلُ هذه العلاقة إلّا ما يمكن أن تدلّ عليهِ مِن خلالِ سِياقِها، كما تمّت الإشارةُ إليْهِ، مِن ذلِكَ تفرِيقُهُ بين الإضافة المحضة والإضافة للتّبعِيضِ حِين شرحه البيت:

وَفِي دَائِمِ الأَوْقَاتِ تَتْبَعُ ذَا الْهَوَى وَنَفْسُكَ لاَ تهَوَى سِوَى فِعْل

قال «وتَتْبَعُ هَذَا الهَوَى فِي الوَقْتِ دَائِمِ الأَوْقَاتِ، وَنَفْسُكَ لَا تُحِبُّ إِلَّا فِعْلَ عِصْيَانٍ للهِ ﷻ. وَ"دَائِمِ": نَعْتٌ لِمَحْذُوفٍ كَمَا رَأَيْتَ، وَالمقْصُودُ الاسْتِمْرَارُ، فَاعْتَبر مِنْهُ حِصَّة مَا مَضَى، فَكَانَتْ **إِضَافَتُهُ مَحْضَة**، فَقَدَّرْتُ المنْعُوتَ مَعْرِفَةً، وَإِنْ لَمْ يُعْتَبر ذَلِكَ قدّرت نَكِرَة هَكَذَا: وَفِي وَقْتِ دَائِمِ الأَوْقَاتِ، **وَالإِضَافَةُ لِلتَّبْعِيضِ**. وَ"دَائِم الأَوْقَاتِ" هُوَ نَفْسُهُ زَمَانُهُ المتَطَاوِلُ، وَهُوَ بَعْضٌ مِنْ جُمْلَةِ الزَّمَانِ»[1]. لقد كانت القراءة التّركِيبِيَّة هي الموجّهة لأطفِيَّش في تحلِيلِه، فبعدَ عرضِ ما فاتَ يعرجُ على استحضارِ إمكانِيَّة التّقدِيم والتّأخِير ليقدِّم قراءة أخرى لا تخرِجُ النَّصّ عن مرادِهِ، ولكنْ تحومُ فِي مجالِ الاحتمال وعبَّر عنها بالجوازِ. قال: «وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ إِضَافَةِ الصِّفَةِ لِلمَوْصُوفِ؛ أَيْ: وَفِي الأَوْقَاتِ الدَّائِمَةِ، وَلَمَّا قُدِّمَ

(1) إجابة الدعوة [2ظ]. مثلُ هذا النَّصِّ تحلِيلهُ للتّركِيبِ "زاد التُّقَى"، قال: «وَإِضَافَةُ "زَاد" لِلتُّقَى بِمَعْنَى "مِن" التَّبْعِيضِيَّة أو البَيَانِيَّة، أو إِضافَةُ مُشَبَّهٍ لِلْمُشَبَّهِ بِهِ، أَيْ: فَالتُّقَى الذِي هُوَ كَالزَّادِ» إجابة الدعوة [24ظ].

وَأُضِيفَ أُفْرِدَ، فَذُكِرَ عَلَى إِرَادَةِ الجِنْسِ[1]، فَهُوَ بِمَعْنَى الجَمْعِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَفِي دَوَائِمِ الأَوْقَاتِ، وَيَتَعَلَّقُ بِـ"تَتْبَعُ" وَقُدِّمَ لِلضَّرُورَةِ»[2].

إنَّ الإضافة بنوعيها المحضة وغير المحضةِ لا تؤدّي دِلالةَ العمل النّحوِي (الذِي يوصفُ بهِ الفعل ومشتقّاتهُ) فحسب، وإنّما تفِيد معاني فوقَ ذلِكَ، عبَّر أطفِيَّش عن بعضِها بِقولِهِ "المقصود الاستمرارُ". فالعمل النَّحوِيّ يقتضِي حصرَ الحدثِ فِي زَمنٍ محدّدٍ، لكنَّ الإضافةَ تتِيحُ إطلاقهُ على زمانٍ أطوَل يشملُ الماضِي والحاضر والمستقبَل.

ومِن أجلِ تمدِيد البحثِ فِي معانِي الإضافةِ نقفُ على شرحِ أطفِيَّش لهذا البيتِ من المنظومة:

وَزَارَ سُلَيْمَانُ بنُ دَاوُدَ طَيْبَةً وَبِالْهِجْرَةِ الْغَرَّاءِ بُشْرَى سُلَيْمَانِ

قالَ «ثمَّ إنَّهُ إِنْ حَمَلْنَا الْبُشرَى فِي الْبَيْتِ علَى تبْشِيرِ اللهِ ﷻ سليمَانَ وتَبْشِيرِ سليْمَانَ قَوْمَهُ صَحَّ، ولمْ يكُنْ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ الحَقِيقَةِ والمَجَازِ ولَا مِنْ عُمُوم الْمَجَازِ، ولَا مِن اسْتِعْمَالِ الكَلِمَةِ فِي معْنَيَيْهَا[3]، ولَا مِنْ إضافَةِ اسمِ الْمَصْدَرِ إلَى مفْعُولِهِ، بأَنْ يكُونَ الْمُرادُ تَبْشِيرُ اللهِ ﷻ سليْمَانَ عليه السلام، ولَا إلى فَاعِلِهِ بأَنْ يكُونَ الْمَعْنَى تَبْشِيرُ سليْمَانَ قَوْمَهُ، بل المُرَادُ جِنْسُ البِشَارَةِ المنسُوبَةِ إلَى سلَيْمَان بِقَطْعِ النَّظَرِ عن خُصُوصِ كوْنِهِ مبَشَّرًا مِنَ اللهِ، وعنْ خُصُوصِ كونِهِ مبَشِّرًا لقَوْمِهِ. فالإِضَافَةُ بِمَعْنَى اللَّامِ كقوْلِكَ: عمرو وبَنُوهُ مولُودو زَيْد»[4].

إذا كان منْ دواعِي إقامة علاقة الإضافة بين اسمينِ تلمُّسُ أدْنَى ملابسة بينهما، فإنَّ أطفِيَّش قد أطلقَ هذه العلاقة في التّركِيبِ "بشرَى سليمانَ" لتشملَ ما تحمله من معانٍ: أن يكونَ سليمان هو المبشِّر لقومِهِ، وأن يكونَ هو المبشَّرُ مِن اللهِ تعالَى. ولم يكتَفِ أطفِيَّش بهذا التّحلِيل؛ فافترَضَ أنَّهُ إن قُصِرَت العلاقة على المعنَى الثّانِي (إضافة المصدر إلى فاعلِهِ)،

---

(1) يُسهِمُ اسم الجنسِ فِي توجِيهِ التّحلِيلِ عند أطفِيّش، كما في هذا النَّصّ، والنَّصِّ من [90ظ].

(2) (م، س) [2ظ].

(3) تعرّضت للمسألة في مطلب الظّواهر الدّلاليَّة.

(4) إجابة الدعوة [89ظ] و[90و].

فإنَّ اتِّصالَ هذا البيتِ بالبيتِ قبلهُ لا يستقِيمُ، إلّا أنْ يكونَ تخصِيصًا بعدَ تعمِيمٍ[1]، وبذلِكَ يُحقِّقُ ترابطَ أبياتِ القصِيدة بينها من خلالِ شدِّ ظواهرها اللّغوِيَّة بعضِها ببعضٍ.

وبِنَفْسِ النَّظرةِ عالَجَ أطفِيَّش التّركِيب الواصِف لرسول اللهِ ﷺ "أكرم جيران"، وخلُصَ فِي الأخِيرِ إلى قولهِ «فذَلِكَ وَجْهَانِ، الأَوَّلُ: أنَّ جِيرَانَهُ أَكْرَمُ جيرَانٍ، والثَّانِي: أَنَّهُ ﷺ أفْضَلُ جَارٍ والوَاحِدُ جَارٌ»[2]. ليشملَ المعنَيْنِ الممكنينِ إعمالًا للعلاقة الدّلالِيةّ وتفعِيلًا للتّركِيبِ الحرفِيّ بينَ اللّفظَيْنِ.

إنَّ استنباط المعانِي من التّركِيبِ الإضافِي يدعو إلى التزام الحدودِ فِي استنباط المعانِي مِن هذه العلاقة، وتتلخّصُّ فِي الإحاطةِ بالمعانِي التّركِيبِيّة والحذر معَ طَلَب الدّلِيلِ.

خلاصة:

لقدْ تتبَّعَ أطفِيَّش مجموعة من التّركِيبات الإضافِيَّة في القصِيدة، وأولاها اهتمامًا يهدِفُ مِن خلالِهِ إلى الإحاطةِ بالمعانِي الممكِنِ الحصول عليها، متخِّذا لنفسِهِ مجموعةً من الاحتياطاتِ التِي تحرزه مِن إغفالِ ما لا يغفل، وتقوِيل النَّصِّ ما لا يحتمِل؛ هذه الاحتياطات لا تخرجُ عن الإطارِ اللِّسانِي (المقالِي والحالِي) تتمثَّلُ فِي المعانِي المعجمِيَّة وعلاقات الكلم فيما بينها في الجملة (النَّظم)، وقد تجلَّتْ توظِيفاتها في أشكال مختلفة برزَتْ فِي النَّماذجِ المحلَّلة.

وقد شملت دراسة علاقة الإضافةِ النّظر إليها مِن خلالِ زوايا مختلفة كالحذفِ والاحتمال والتَّقدِير وَالمعجم والتَّركِيب.

---

(1) البيت المقصود:

وَكُـلُّ نَـبِـيءٍ جَـاءَ بَشَّـــرَ قَـوْمَـهُ بِـأَنَّـكَ تَـأْتِـي خَـاتِـمًـا كُـلَّ الأَدْيَـانِ

إذْ سيِّدنا سليمان يدخلُ ضِمن قوله "وكلّ نبِيء". وقد قال أطفِيَّش: والأَنْسَبُ أنْ يتَّصِلَ هذا الْبَيْتُ بقَوْلِهِ "إِلَى أَهْل مِيزان". أي الأنسب ألّا يفصل بينَ البيتينِ بفاصلٍ لتتمَّ القراءة على هذا المعنَى.

(2) إجابة الدعوة [63ظ]

ولمْ تَتملَّك الشَّارِحَ غايةُ الاستفاضة في دلالاتِ علاقة الإضافة، وما كان عاملا بارِزاَ فِي توجِيه تحلِيلاته هو التَّفكِير الرِّياضِي القائمِ على استقراء الاحتمالات الواردة من خلالِ التَّركِيبِ والمعارِف اللُّغوِيَّة والعامَّة. وهو عينُ الاحتِياطات التِي تمّت الإشارة إليها آنفا.

المطلَب الخامِس: أصول النّحو والاستدْلال

لقد أظهرت مجموعة من النُّصوص في كتابِ "إجابة الدّعوة" رغبة الشّارِحِ فِي المشاركةِ بِآرائِهِ فِي "عِلم النّحو"، وقد ناقشَ فِي هذه النُّصوص مسائل نحوِيَّة ليقِيم الدّلِيلَ على شروحاته على القصِيدة، ولم يكُنْ ذلِكَ ترفًا منهُ، ولا رغبةً فِي المحاججة دونَ غايةٍ، ولا استعراضا لمعارِف غير وظِيفِيَّة، وإنّما أظهَرت المناقشاتُ اعتدادهُ بالآراء النّحوِيَّة، ولو كانت غير مجمَعٍ عليها لمناسبتِها سياق القصِيدة، وتحقِيقها للدّلالة المطْلوبة.

إنَّ أطفِيَّش لا يقِفُ على أرضٍ هشَّة، وإنّما تقومُ تحلِيلاتُهُ على بنية قوِيَّة منسوجة تظهِرُها جملةٌ من المصطلحات المستخدمة، وبالخصوص في أصول النّحوِ (الورود، المشهور، القياس، الجواز، الصّحِيح، المراد) والقواعِد المستشهدُ بها.

ثمّ إنّ الغاية التّعلِيمِيّة الظّاهرة في الكتابِ، كانت مِن الموجّهات لِهذِه المناقشاتِ، واصطباغها بالوضوحِ والسّهولة واليُسرِ، وبعدها عن التّعقِيد والغموضِ، مسايرةً للمتلقِّي وأخذا بهِ، فلا تحِسُّ منهُ رغبةً فِي الزّجّ بالمتلقِّي فِي ميادِينَ لا يتقِنها غيرُهُ وتحتاجُ إلى عدّة مِن أجلِ مجاراةِ البحثِ فِيها. وقد قدّمت المباحِثُ اللُّغوِيَّة السّابقة أوضحَ دلِيلٍ علَى ذلِكَ، وسيتجلّى أكثَر في هذا المبحَثِ.

يُقاسُ إنتاج العلمِ بِالقوانِين المستنبطة والتّطبِيقات المختلفة، يعنِي تكيِيفُ القوانِين حسَبَ الحالَة، وقد قدّمَ أطفِيَّش مجموعة من التّفسِيراتِ في مناقشاتِهِ، تنبِئُ عن ضبطِهِ واستيعابِهِ لِمفهومِ القاعدةِ وتطبِيقها.

ولقد اختلفت هذه النُّصوص فِي طبِيعة التّحلِيل بين العمق والسّطحِيّة؛ فقد يقدِّمُ إشارةً سرِيعةً ثمّ يمرّ إلى غيرِها، أو يسترسِلُ في الشَّرحِ؛ فيقدِّمُ الدّلِيلَ ويعضده بالمثالِ، ويستدلُّ بآراء النّحوِيّين، وقد يقدّمُ التّعلِيل الذِي يراهُ مناسِبا على حكمِهِ. وشملت هذه النُّصوص مجموعة مِن الأبواب النّحوِيّة ولم تختصّ ببابٍ واحِدٍ، فشملت الحال والقسم والمصدر المِيمي والاشتغال والتّنازع و"ما" الاستفهامِيّة.

إنَّ الاختصارَ الذي هو منهج الشّارِح، أدَّى به في عديدٍ من النُّصوصِ إلى عدَمِ التَّصرِيح بمصادِرِه التِي يعتمدها، بل إنّه قد ينقُلُ تحلِيلاتٍ دون أن يشِيرَ إلى ذَلِكَ، ويمكِنُ حملُ هذا التّصرُّف منهُ على إقرارِهِ بذلِكَ التّحلِيلِ دون إضافة أو تعدِيلٍ، وغالِبُ ما كان ذلِكَ فِي غيرِ أبياتٍ القصِيدة المشروحة، كمتون الأحادِيث أو الآيات القرآنِيّة؛ مِن ذلِكَ قولُهُ: في شرح حدِيثِ رسول الله مع ورقة بن نوفَل، قال «والهَمْزَةُ في "أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟" داخِلَةٌ علَى جُمْلةٍ محْذُوفَةٍ معْطُوفٌ علَيْهَا بالوَاوِ أيْ: أَمُعَادِيَّ هُمْ ومُخْرِجِي هُمْ؟ عندَ الزَّمخشرِي وجَمَاعَة، وقالَ سِيبَوَيه والجُمْهُورُ: الهَمْزَةُ مِنْ جُمْلةِ مَا بَعْدَ الوَاوِ قُدِّمَتْ علَى العاطِفِ؛ لِكَمَالِ صَدْرِيَّتِها، وعلَيْهِ فالعَطْفُ علَى كلَامٍ ورَقَةَ، وهُوَ عطْفُ إنْشَاءٍ علَى خَبَرٍ، ولا بَأْسَ لِوُرُودِهِ فَصِيحًا. وأَصْلُ مُخْرِجِيَّ: مُخْرِجُويَ قُلِبَتْ واوُ الرَّفْعِ فِي جَمْعِ المذَّكَرِ السَّالِمِ يَاءً، وأُدْغِمَتْ فِي ياءِ الإضَافَةِ وكُسِرَ ما قَبْلَهَا»[1]. والحالُ أنّ هذا نصٌّ منقولٌ مِن "شرح الزّرقانِي على المواهب اللّدنِيّة للقسطلّانِي" الذِي يعتمِدُ عليهِ كثِيرًا. وتقدِّم النّماذج التّالِية وجهًا مِن أوجُهِ البحث النّحوِيّ، أعالجها مِن مَدخلَي الاستدلال والتّعلِيل.

قال أطْفِيَّش في شرحِ البيتِ:

وَقُلْ يَا أَعَزَّ المُرْسَلِينَ وَمَنْ لَهُ عَلَى الدُّرْوَةِ الْعَلْيَاءِ أَرْفَعُ أَفْنَانِ

(1) إجابة الدعوة [147ظ] و [148و].

«و"عَلَى الدُّرْوَةِ": مُتَعَلِّقٌ بـ "أَرْفَعُ" قُدِّمَ عَلَيْهِ لِلضَّرُورَةِ، **وسهّلهُ أَيْضًا أَنَّهُ ظَرْفٌ** وإلاَّ فَـ "أَرْفَع" اسْمُ تَفْضِيلٍ لَا يَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ مَعْمُولُهُ، ولَوْ لم يَكُنْ مَدْخُولَ "مِن" التَّفْضِيلِيَّةِ. إِلَّا فِي **نَحْوِ: زَيْدٌ مُفْرَدًا أَنْفَعُ مِنْ عَمْرٍو مُعَانًا**...و"أَرْفَعُ": اسْمُ تفْضِيلٍ مِنَ المبْنِي لِلْمَفْعُول؛ بِنَاءً علَى **قِيَاسِهِ** مِنْهُ، بَلْ **لِوُرودٍ** فِي هَذَا اللَّفْظِ، وذَلِكَ لِأَنَّ المرَادَ أنَّ أَفْنَانَهُ مَرْفُوعَةٌ فَوْقَ أفْنَانِ غَيْرِهِ»[1].

وقال فِي شرحِ البيتِ:

وَمَنْ أَكَّدَ المِيزَانَ أَكَّدَ مَوثِقًا بِهَدْيِكَ أَنْ يُلْقَى إِلَى أَهْلِ مِيزَانِ

«فـ"مَن": مُبْتَدَأ خبَرُهُ "أَكَّدَ مَوْثِقًا" إلخ، أوْ يمكِنُ أَنْ يكونَ الواوُ للْقَسمِ لِمَا قَبْلَهُ مِنْ تبْشِيرِ الرُّسُل. وعِنْدِي **فِي مِثْلِ** هذا لَا جَوَابَ للْقَسَمِ مُقَدَّرٌ، بلْ قَدْ **يُغنِي عَنْ جوَابِهِ مَا قَبْلَهُ** وكذَا فِي الشَّرْطِ؛ وذَلِكَ أَنَّكَ إذَا قُلْتَ: زَيْدٌ قَائِمٌ واللهِ، أو زَيْدٌ قائِمٌ إنْ قُمْتَ، لا تُرِيدُ زَيْدٌ قائِمٌ واللهِ زَيْدٌ قَائِمٌ، ولَا تُرِيدُ زَيْدٌ قَائِمٌ إنْ قُمْتَ فَزَيْدٌ قَائِمٌ، فكَيْفَ يُقَدَّرُ مَا لَا يَقْصِدُهُ الْمُتَكَلِّمُ؟ وعلَى الْقَسَمِ يكُون "أَكَّدَ مَوْثِقًا" بَدَلًا مِنْ قَوْلِهِ: "أَكَّدَ الميزانَ"»[2].

وقالَ في شَرْحِ البَيْتِ:

وَلَكِنْ سَنَأْتِي مِنْ بَدَائِعِ حُسْنِها بِنَزْرٍ بَهِيٍّ مُزْهِرٍ فَوْقَ أَغْصَانِ

قال: «و"مِن": للابْتِدَاءِ مُتَعَلِّقٌ بِـ: "نَأْتِي" أَوْ للتَّبْعِيضِ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ، حَالٌ مِنْ "نَزْرٍ"، قُدِّمَ عَلَيْهِ مَعَ أَنَّهُ مَجْرُورٌ بِحَرْفِ جرٍّ غيْرِ زَائِدٍ **لِلضَّرُورَةِ**، أَوْ بناءً عَلَى قَوْلِ ابنِ مَالِكٍ: وَلَا أَمْنَعُهُ **فَقَدْ وَرَد**»[3].

---

(1) إجابة الدعوة [63و].

(2) إجابة الدعوة [89و].

(3) قول ابن مالك في باب الحال:

وَسَبْقَ حالٍ مَا بِحَرْفٍ جُرَّ قَدْ أَبَوْا، ولَا أمنَعُهُ فقَدْ وَرَدْ

1- طُرُق الاستدْلَال والقَرائِن:

تظهِرُ هذه النّماذِج اعتماد أطفِيّش على مجموعةٍ مِن الأدِلّة، لم تخرُج عمّا هو معروفٌ عند النُّحاة (السّماع، القِياس، التّمثِيل)، والبدِيع في هذا إسقاطاتهُ على أبيات القصِيدة، واعْتضادهُ فِي أحكامِهِ بالعلّة، على الوجْهِ الذِي سأوضّحه فِي بابِهِ.

كما أنّهُ لا يكتفِي بدلِيلٍ واحِدٍ، وإنّما يعتمدُ تظافر الأدلّة تدرِيجًا مِن الأقوَى إلى الأقلّ، ويمكِنُ ردُّ هذا إلى درجة الاختلاف القائم في المسألةِ، فإنّ كثافة الأدلّة مودٍ إلى كثرةِ الرُّدودِ على الرّأيِ المعتمَد أو المتّفقِ عليهِ، ويعتبرُ التّمثِيلُ والتّعلِيلُ مِن مظاهِرِ الغاية التّعلِيمِيّة والإفْهامِيَّة لقدرتهما الإقناعِيَّة. ثمّ إنَّ تعدّد الأدلّة يعودُ إلى البناء الاستدلالِيّ المعتمِدِ بعضُهُ على بعضٍ، فقيامُ القاعدة لَا يكونُ إلّا باتّباعِ مراحِل أساسِيّة، بدْءًا بالملاحظةِ، وانتهاءً إلى القانون العامّ الذِي يمثِّلُ بنيةً ثابتة.

أ- القِياس:

القياسُ تكافُؤ التّحوِيلات بين البنيات المتشابهة (الأفعال الثّلاثِيّة مثلا)، وهو وسِيلة أساسِيّة وحيَوِيّة في اكتساب اللُّغة، تشملُ مختلف مستوياتِها (الأبنية المفردة وهي الكلم، وتركِيب الجمل)، كما هو ظاهِرٌ في النّماذج المعروضة (اسم التّفضِيل، المصدر المِيمِيّ، تقديم الحالِ على صاحبها، تقدِير المحذوفِ)، ويحِيلُ القياسُ إلى أصْلٍ آخرَ مهمٍّ مِن أصول النّحو وهو السّماع، وقد عبّر عنهُ أطفِيَّش بِالورود. إنّ ارتكازَ الحكم النّحوِيّ على القياسِ يمرُّ عَبْرَ استقراءِ ما جاءَ علَى مجرَى الكلامِ، وميزتهُ أنّهُ عملِيَّة ذهنِيَّةٌ لا تختصُّ باللُّغةِ وحدَها.

والحالُ فِي النّماذجِ الثّلاثةِ يظهِرُ أنَّ ثنائِيَّة القياس/الورود، لا تؤثِّر في الحكمِ النّحوِيّ على إطلاقِها، وإنّما الضّابطُ هو كثرةُ الورودِ، وقد يتحفّظُ عنِ القياسِ أساسًا، ويُكتفَى بالأبنية

أو التّراكِيبِ المسموعَة. من ذلك: صياغة اسم التّفضِيل من الفعلِ المبنِيّ للمفعولِ[1]، فابن مالِكٍ يقولُ «عندِي أنَّ صَوغَ فعل التَّعجُّبِ، وأفعل التَّفضِيل من فعل المفعول الثّلاثِي الذي لا يُلبس بفعل الفاعِلِ، لا يقتصِرُ فِيه على المسموعِ، بل يحكمُ باطِّرادِهِ؛ لعدم الضّائِرِ **وكثرة** النَّظائِرِ» [2]. وكذلِكَ تقدِيمُ الحالِ على صاحِبِها، المجرور بحرف جَرٍّ غير زائدٍ عليهِ، فمِمّا ورَدَ على هذا التّركِيب، قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾[3].

أمَّا نموذج تقدِير المحذوفِ؛ فإنّه يحِيلُ إلى عمليَّة التّمثِيلِ التي يستعِينُ بها النُّحاةُ فِي أقيستهم، واستنباطاتهم لأصولِ العربيَّة، وسأتطرَّقُ إليهِ فِي ما يأتِي. وفِي إلغاء المحذوفِ، وعدمِ الحاجة إليهِ؛ لاكتفاء الكلامِ المنطوق بنفسِهِ للّدلالةِ عليهِ، اعتبارٌ لِلْمعنَى واحترازٌ مِن تقدِيرِ ما لم يقُلْهُ المتَكَلِّم، وهذا أصلٌ لِسانِيّ أساسِيّ في التّحلِيل، يقِرُّ اللُّغة على طبِيعتِها، ولا يفرِضُ عليها النّماذج المستنبطةَ مِن القياسات العقلِيَّة المجرَّدة تحقِيقًا لمقصد الاقتصاد اللُّغوِيّ الذي يبتغِي تقلِيلَ الكلفَةِ المعرفِيَّة والعضلِيّةِ؛ لِتحقِيقِ غرضِ التَّواصُلِ.

إنَّ النّحوِيّ فِي إجرائِهِ للقياس، على أهمِّيَّتِه، وقدرته الخلّاقةِ، لا يجرِيهِ سذاجةً، وإنّما يتقيَّدُ بالقوانِين النّاظِمة لفعلِ الكلامِ، وبالنّظرِ فِي النّظائِرِ التي تكافِئُ الحالة الّتِي يدرسُها ويبحثُ فِي حكمِها؛ لِذلِكَ تراهُ فِي تحلِيلِهِ لِظاهرة تقدِيم معمول اسم التَّفضِيلِ عليهِ، يذكُرُ حالتَينِ (الضّرورة الشّعرِيّة، والظّرفِيَّة) يترخّصُ فِيهما عن تطبِيقِ قاعدةِ البابِ؛ والقاعدةُ منعُ تقدِيم معمول اسم التّفضِيلِ عليهِ مطلَقًا، لخروجِ الحالتينِ عن البناءِ لعلّتينِ سأتناولهما بالتّفصِيلِ. إنَّ امْتِنَاعَ التّكافُؤ يمنعُ تحقِيقَ القاعدة ويخرِجُ الحالة المدروسة عن إطارِه.

---

(1) ذكر أطفِيَّش هذه المسألة أيضا فِي حاشيته على شرح المرادِي على الألفِيّة، قال يشرَحُ صِيغة لفظة "الأعرف": «الأعرَفُ: ابتنَى اسم التّفضِيلِ مِن "عُرِف" المبنِي للمفعولِ، شذوذا لورودِهِ من هذهِ اللّفظة مبنيّة للمفعول، أو بَنَى على قولِ مَن قاسَهُ مِن المبنِيّ للمفعول من الأفعالِ» أم1[76و].

(2) شرح التّسهِيل، ابن مالِك، 45/3.

(3) سورة سبأ: 28.

ب- التّمثِيل:

التّمثِيل صورة لبناءِ الكلامِ، سواء أكان مفردة أمْ تَركِيبًا، وليسَ هو عينُ الكلام المستعملِ؛ أيْ ليسَ ينطَقُ بهِ حقِيقة. والغاية منه إلحاق الواضِحِ بالغامِضِ ليجرِي على منوالِه، ولتَحقِيق الصِّيغة الجامعة لأفرادِ البابِ، فبيانُهُ للاستغنَاءِ عن جَوابِ القسمِ يظهَرُ مِن المثالِ: زيدٌ قائمٌ واللهِ، فيقبحُ أن يقدّر جوابٌ بعد القَسَم لدلالة ما قبلهُ عليهِ؛ فلا حاجةَ إلى إطالةِ الكلامِ بما لا فائدةَ منهُ. فلولا المثالُ ما تمكّنَ مِن بيانِ فسادِ التَّقدِيرِ، وما ظهرَتْ مخالفتهُ لِسننِ الكلامِ وقواعدهِ وبعد التّمثِيلِ ينقلُ الحدِيثَ إلى مَرحَلَةِ التّعلِيلِ وتفسِيرِ الظّواهِرِ الكلامِيَّة.

يختلِفُ المثالُ عن الشّاهد اللّغوِيّ رغم اتِّفاقهما فِي الغايةِ، واندراجهما ضمن منظومة الاستدلالِ النَّحوِي؛ فأحيانًا يستعِينُ الشّارِحُ بهما مجتمعينِ، لكنّ طبِيعة الأوّل عقلِيّة تجرِيدِيَّة والثّانِي مُتوقِّف على السّماعِ، وبهذا يجمَع بينَ الطّرِيقين؛ طريقِ السّماعِ، وطرِيقِ الاستنباطِ ليعضُدَ تحلِيلهُ اللّغوِيّ، وليتمكّن مِن ضبطِ المعَالِمِ التِي تسعِفُهُ في مقاربة الظّاهرة اللُّغوِيَّة[1].

2- التّعلِيل: (التّفسِير)

يختصُّ التّعلِيلُ في أصلِهِ بِالنَّظرِ في مخالفة الأصْلِ؛ فَالنّحوِيّ يبحَث عن السَّببِ الذِي أخرجَ اللَّفظَ أوِ التّركِيبَ عن القِياس على البابِ. ومِن التّعلِيلِ سُمِّي التّغيِيرُ الحاصِلُ في الحروف المعتلّةِ بالإعلال[2]. ومِن ثَمّ تمطّط هذا المصطلحُ لينظُرَ فِي تقدِيم الحجج على الأحكامِ للغايات التّعلِيمِيّة، وَإجراءِ القياسِ، والجدلِ؛ لاختلاف الآراءِ كما قال الزّجّاجِي[3].

---

(1) تتطرّق الدِّراسة إلى مسألة الاستشهادِ في المبحث الأخِيرِ من هذا الفصلِ.

(2) ينظر: منطق العرب في علوم اللِّسان، د. عبد الرحمن الحاج صالح، ص333.

(3) ينظر: الإيضاح في علل النّحوِ، ص64.

إنَّ مخالفة القياسِ وَفقَ المفهومِ المحدّدِ سابقًا الذي يعنِي التّكافُؤ، يدعُو خرقُهُ النّحوِيَّ إلى البحثِ فِي العلّةِ المانعةِ لذلِكَ، وهذا ما يُدعَى موجِب التّعلِيلِ. وباستِنطاقِ النّماذجِ السّابقة، فإنّ تقدُّم معمول اسم التَّفضِيلِ "أرفع" عليهِ، جَرَّ إلى السُّؤالِ عن الموجِبِ لخرق القاعدة، والاستغناءَ عن جوابِ القسَم، وتقدّمَ الحال على صاحبها، فكانَ السّؤال عن شرط التّصرُّف في الرّتبة، وعن موجبِ الحذف والاستغناء عن ركنٍ مِن الجملة؛ فالبحثُ فِي ذلِكَ يدعَى بِـ"موجب العلَّة". واعْتَلَّ أطفِيَّش بكوْنِ "أرفع" ظرف مكانٍ؛ إذِ «الظُّروف أضعف الأسماءِ»[1]، «وهم يتوسّعُون فِي الظّروف»[2]، فلا حرجَ في تخلّيه عن رتبتِهِ، ومخالفتهِ للأبنية اللّغوِيّة الأخرَى. وفِي القسَم اعتلّ بمراعاة مقصد المتكلّم، وعدم تقويله مالَمْ يقُلْهُ، وهذه علّةٌ مطّردةٌ في كلِّ الكلامِ، تعنِي أنَّ المتكلّم يستغنِي عَمّا قدْ صرّح بهِ. والعلّة في النّموذج الثّالِثِ أن يعتدّ بالسّماعِ، ولَو خالَفَ القياسَ المشهور.

لقَدْ قدّمَ أطفِيَّش تعلِيلاتٍ أخرى في شرحِهِ تمحورت حول مراعاة المعنَى، والسّماع[3]، والضّرورة الشّعرِيّة[4]، وهِي من العلَلِ التِي أثِرتْ عن النّحوِيّينَ. فأطفِيَّش لا يكتفِي بتقدِيم الحكمِ؛ وإنّما ينتقِلُ مرحلةً ليُظهِرَ ثباتهُ، ويقدّم الدّلِيلَ على صِحّةِ ما يراهُ؛ لأنَّ التّعلِيل يؤدِّي يسهم إسهامًا كبِيرا فِي تفسِير الأحكام النّحوِيّة وتبسِيطها، كما أنّه طرِيقة من طرُقِ تثبِيتِ الملكة اللّغويّة لدى المتلقِّي، إنّه وسيلةٌ أساسِيّة فِي التّعلِيمِ.

خلاصة:

إنَّ البحثَ النّحوِيّ، فِي مراحلهِ المختلفة، يعتبَرُ خدمةً أساسِيّة للنّصّ والمبدِعِ والقارِئِ، يسْعَى الشّارِحُ بِتَعْمِيقِ مباحثهِ إلَى إفادَةِ القَارِئِ بقواعد تأليفِ الكلامِ، وبطبِيعة الرّوابط القائمة

(1) الإيضاح في علل النّحوِ، ص109.
(2) تَيْسِير التفسِير، 369/6.
(3) إجابَة الدّعوة [5و].
(4) (م، س) [98و].

بين ألفاظ الجُمَل، وخدمة مُبدِعِ النّصّ بالبحثِ عن مقاصدهِ من خلالِ كلامهِ وسياقهِ، وكلّ هذا يندرِجُ ضمنَ خدمة النّصّ، وتشغِيلِ دلالاتهِ الكامنة بينَ كلماتهِ.

إنَّ النّتائجَ التِي توصّل إليها الشّارِحُ تنبِئُ عن اجتهادهِ، فلا ينفِي عنها الاحتماليَّة، بل إنّهُ يصرّحُ بذلِكَ؛ كاستعمالهِ فِي بعضِ الحالات عبارة "عندِي" التِي تنبِئُ عن وجودِ احتمالاتٍ أخرَى.

ولقد شكّل البحثُ النّحوِيّ في الكتابِ سمةً بارزةً في عمليّة الشّرحِ، سعَى مِن خلالهِ أطفِيّش إلى تدعِيم الآراءِ التِي يراها في تراكِيبِ القصِيدة؛ ولا غروَ فإنّهُ قد اشتغلَ مدّة ليست باليسِيرةِ بِالمتونِ النّحوِيّة، شرحًا وتحشِيَةً (الأجرومِيّة وشروحها)، فلَم يقف الشَّرح النّحوِيُّ عند تحدِيدِ الوظائفِ، وأصناف الكلمات، ومواقعها في الجمل، وإنّما شمل البحثَ فِي الأدلّة، وتوظِيف آليات الاستنباط، ليسَ فقط مِن أجلِ الإحاطة بدلالاتِ الأبياتِ، وإنّما لِتقدِيم معارِف تُسهِمُ في البناء النّحوِي للمتلقّي.

إنّ البعدَ عن الإغْرابِ والتّأوِيل النّحوِيّ المنطقِيّ ميزةُ الشَّرحِ النّحوِي في الكتابِ، وتقوّى بِالأوجه التِي قدّمها الشّارِحُ ولو خالفت الجمهور لمناسبتِها للنّصّ المشروحِ ولمذهبِ الشّارِحِ، فأطفِيّش يصرّحُ باعتدادهِ برأيهِ بعبارة "وعندِي[1]"، وبالقولِ الذِي يراهُ مناسِبا بعبارة: مخالفته للمشهورِ[2]، و"على قولِ"[3]، و"عند سيبويه"[4]، كما أنّهُ يقدّمُ تعلِيلاتٍ تنبِئُ عن اجتهادهِ؛ كقولِه «لا يرجع الضّمِيرُ من جملة القسم إلى المقسَم بهِ»[5].

(1) إجابة الدعوة [77ظ] و[89و] و[93ظ] و[204و].
(2) (م، س) [204و].
(3) (م، س) [3و].
(4) (م، س) [10ظ].
(5) (م، س) [77و].

لقدْ كانَ ذهنُ أطفِيَّش مستوْعِبًا لِطبِيعة التَّركِيب العربِيّ، وبالخصوصِ منهُ الخطاب الشّعرِيّ المتميّز عن الخطاب النَّثرِي، بارتِكابِ الضّروراتِ واستساغة الجوازاتِ، فسار في ضوءِ ذلكَ ليعطِيَ لشرحِهِ مسحةً تعلِيمِيَّة يتمكّنُ منها القارِئُ مِن لمّ شتاتٍ من القواعِدِ بفضلِ الاطِّلاع على الكتابِ الذي يعتبَرُ وجها مِن أوجه تيْسِير أخذِ اللّغة العربِيَّة والتَّمكُّنِ من علومها، بجانبِ الكتبِ اللُّغوِيَّة الأخرَى المطوّلة فِي شتَّى الفنونِ (المعجم، النّحو، البلاغة، العروض).

المبحث الثّالِث: القضايا الأدبِيّة والنّقدِيّة والبلاغِيّة والعروضِيَّة في كتاب "إجابة الدّعوة"

يتضمّن هذا المبحث القضايا الأدبِيّة والبلاغِيّة والنّقدِيّة والعروضِيّة فِي كتابِ "إجابة الدّعوة". وقد لجأتُ إلى جمعِها بسببِ قلّة نصوصِها، واكتفاء الشّارِحِ منها بما يمسُّ مباشرةً غرَضَ الشَّرْحِ وأهدافَه، وكان هذا الدّاعِي الأساس إلى دِراستها بغية توضِيحِ إسهامها في ذلِكَ، وبحثاً عمّا ميّزَ حضورَها وما يمكِن أن تقدِّم مِن إضافاتٍ.

المطلَب الأوّل: القضايا الأدبِيَّة والنّقدِيَّة:

لقدْ جمعَ كتابُ "إجابة الدّعوة" مجموعة مِن الرّوايات الأدبِيَّة، تساوَقَتْ مع أغراضِهِ ومواضِيعهِ، كما اختلفت في جنسِها بيْنَ الأخبارِ التّارِيخِيَّة والأسجاع والأشعارِ، وفِي حجمِها بينَ الجمل المسجوعةِ والأبيات المفردة والمقطوعات والقصائد القصيرة والطويلة. ففي الأبياتِ الشّعرِيَّة أحصَيْتُ أزيَد مِن تسعِينَ نصّا، بين البيتِ المنفردِ والقصِيدة الطّوِيلة (أكثر من ثمانِينَ بيتا) شملت مختلف العصُورِ الأدبِيَّة (الجاهلِيّ- الإسلامِيّ- العبّاسِيّ- العصور المتأخِّرة)، ويجمعُ أكثرَها التّعلّقُ بذاتِ الرّسولِ ﷺ، مدحاً وذكرا لمعجزاته وأيّامِهِ، وشملت أيضاً شعر الحكمة والرّقائق والأخلاقِ.

وقد تميَّزَتْ بمجموعةٍ مِنَ الخَصائِص، وشكَّلتْ مجموعةً مِن القضايا على رأسِها التَّجنِيس و(التّوثِيق، النّسبة...)، وعليها سأبنِي مداخِلَ هذِهِ الدِّراسة.

1- الأخبار التّارِيخِيَّة:

كثُرَ ورود النُّصوص من هذا الجنسِ في كتابِ "إجابة الدّعوة"، وما ميَّز حضورها في الكتابِ اختلافُ الشّخصيّاتِ التِي حكيت عنها هذه الأخبارُ، بينَ الإنسِ والجنّ والمشركِين والمسلمِين، ومِن مختلف القبائل العربِيّةِ والأمم الأعجمِيّة المعروفة بمشاركتها في أحداث السِّيرة النّبوِيّة قبل البعثة وبعدها، ليكونَ لحدثِ المِيلاد والبعثةِ صداهُ العالَمِي والكونِي.

وما ميَّزَ هذه الأخبارَ أيْضاً تضمّنها مَجْمُوعة مِن الأشعارِ والأرجازِ والأسجاعِ. وبهذا تضافُ إلى بنيتها السَّردِيَّة البنية الفنِّيَّة لهذهِ النُّصوصِ، ممّا يحقِّقُ المتعة والإفادة المطلوبة. ولم يكُنْ إيرادُ مثل هذه النُّصوص مِن أطفِيَّش في الكتابِ بدعاً، وإنَّما ورَد ذلِكَ فِي الكتب المتقدِّمة والمتأخِّرة، حتَّى شكَّلتْ مظهراً مِن مظاهِرِ التّأليف الأدبِيّ التّارِيخِيّ.

جمعَتْ هذه الرِّوايات غايةَ المؤلِّفِ فِي تعضِيدِ مواضِيعه المطروقةِ في كتابِهِ؛ ليجمعَ بين الطّرفة والمتعة والإفادةِ حتّى لا يملَّ قارِئُ الكتابِ، ولا تأخذه الرّتابةُ. ولتحقِيقِ غايةِ الإفادةِ كانَ أطفِيَّش يُتبعُ بعضَ هذهِ الأخبارِ بشرحِ جملة من مفرداتها ومعانِيها؛ كقَوْلِه فِي حدِيثِ حلِيمَة السّعدِيَّة «والنَّسْمَةُ: الشَّخْصُ، ذَكَراً أَوْ أُنْثَى. وسَجَدَت الأَتَانُ شُكْراً بِإِلْهامٍ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَ ﷻ. وفِي كَوْنِ السُّجودِ ثَلاثاً إِشَارَةٌ إِلَى الْوَحْدَانِيَّةِ للهِ تعَالَى، وإِلاّ فالشُّكْرُ حَصَلَ بوَاحِدَةٍ...»[1]. وقولِهِ فِي شرحِ قولِ حلِيمة أيْضا: "أحرصَ شَيْء": «أَيْ: أَحْرَصَ علَى مكثِهِ، حِرْصاً أَعْظَمَ مِنْ حرصِ كُلِّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُحِبُّهُ، فهَذَا أَشَدُّ مُبَالَغَةً مِن أَنْ تَقُولَ أَحْرَص النَّاسِ»[2].

ويمكِنُ أن نضِيفَ في سياقِ الحدِيثِ عن هذه المروِيّات اصطِباغها بالعجائِبِيَّة والغرائِبِيَّة، تتَجَلَّى خاصَّةً فِي الشَّخصِيّات التِي تنتمِي إلى عوالِمَ مختلفة، وكذلِكَ كيفَ أمكَن نَقْلُ تلكَ الأحداثِ وتسجِيلُها. ومِن ذلِكَ هذا النّصّ الذي لم أقفْ عليهِ إلّا فِي كتابِ "تارِيخ الخمِيس" للدِّياربكرِي الذِي يتَحَدَّثُ فِيهِ عن لِقاءٍ بين الإنسِ والجنّ، يورِدُهُ أطفِيَّش فِي معرض الحدِيثِ عن الأخبارِ التِي جاءت في الكتبِ عن مبعث النَّبِيّ محمَّد ﷺ، وهو حوار بين امرأة اسمها "عفيراء" والملكِ مَرْثَدِ بنِ عَبْد كلَالٍ: «يا عُفَيْرَاءُ فَمَا تِلْكَ الرُّؤْيَا؟ قَالَتْ: رَأَيْتَ أَعَاصِرَ رَوَابِع، بَعْضُهَا لِبَعْضٍ تَابِع، فِيهَا لَهَبٌ لَامِع، وَلَهَا دُخَانٌ سَاطِع، يَقْفُوهَا نَهْرٌ مُتَدَافِع، وَسَمِعْتَ فِيمَا أَنْتَ سَامِع، دُعَاء ذِي جَرسٍ صَادِع، هَلُمُّوا إِلَى المَشَارِع، رَوْي

(1) إجابة الدّعوة [112و].

(2) (م، س) [113و].

جَارِع، وَعَذْقٍ كَارِع»[1]. مجموعةٌ مِن الجملِ المسجوعة تتحدّثُ عن حلم لملكٍ أنسِيه، ثمَّ التقَى جارية اسمها عفيراء ذكّرتهُ بحلمهِ، ثمَّ أوّلتْ له الحُلْم على أنّهُ مقدمُ رسولِ اللهِ ونداؤه العالَمِينَ، كلُّ ذلِكَ باستعمالِ ألفاظٍ غرِيبةٍ لم يشرحها المؤلِّفُ، ولمْ أقِفْ على شرحٍ لها. وعلى غرارِ هذا فقد ذكرَ أسجاعاً أخرَى أعقبها بالشَّرحِ والتَّوضِيحِ، من ذلِكَ أسجاع الكاهِنِ خَطر، ومِمّا تضمّنتْه: «أَصَابَهُ إصَابه، خامَرَهُ عقِابُه، عَاجَلَهُ عَذَابُه، أَحْرَقَهُ شهَابُه، زايَلَهُ جَوابُه، يَا وَيْلَهُ مَا حالُه، بَلْبَلَهُ بَلْبَالُه[2]، عَاوَدَهُ خَبَالُه، تَقَطَّعَتْ حبَالُه، وغُيِّرَتْ أَحْوَالُه» قال بعدَهُ نقلًا عن مصدرِهِ: «"إصابه" الثَّانِي: مكسُورُ الْهَمْزةِ عنْ واوٍ، أصْلُهُ وصَابَه جَمْعُ وَصَب، و"آلُ قَحْطَانَ" الأَنْصَارُ، و"آلُ أيش": قَبِيلةٌ مِنَ الْجِنِّ، أَقْسَمَ بِهَا، أَو تَعْظِيمٌ، يُقالُ فِي التَّعظيمِ: فُلانٌ أَيُّ شَيْءٍ أيْ: عَظِيمٌ»[3].

ونقلَ أطفِيَّش فِي الأخبارِ التّارِيخِيَّة أبياتاً منسوبةً إلى تبّعٍ الأَوّلِ، حِين حدِيثِهِ عن منشأ المدِينة وأَخْبَارِ سُكَّانِهَا إِلَى أَنْ حَلَّها النَّبِيءُ ﷺ [4]. وهِي: [المتقارِب]

شَهِدْتُ عَلَى أَحْمَدَ [36و] أَنَّهُ رَسُولٌ مِنَ اللهِ بَارِي النَّسَمْ
فَلَوْ مُدَّ عُمْرِي إِلَى عُمْرِهِ لَكُنْتُ وَزِيراً لَهُ وَابْنَ عَمْ[5]

ولم يعقِّبْ على هذهِ الرّواية بالنَّفيِ ولا بالإِثْباتِ، ولمْ ينبّهْ على مصدرِهِ الذِي عبَّرَ عنهُ بِـ "ذكرَ بعضٌ"، تارِكاً القارِئَ يحكُمُ بنفسِهِ على الخبرِ وما ورَدَ فِيهِ. وهمُّهُ أنّهُ النَّصّ الذِي قدْ حمل بشارَة بمبعثِ الرَّسُولِ عليه السلام.

وذكرَ أيضا أبياتاً منسوبةً إلى أبِي طالِب بن عبد المطّلِبِ، عمّ رسول اللهِ ﷺ، حِين استسْقَى قومَهُ، وهِي قصِيدتهُ المشهورة:

---

(1) إجابة الدعوة [86ظ].
(2) قال ابن عاشور: أَيْ بلْبالٌ مُتَمَكِّنٌ مِنْهُ. التحرير والتنوير، 491/30.
(3) إجابة الدَّعوة [107ظ].
(4) (م، س) [30و] وما بعدها.
(5) (م، س) [35ظ] و[36و]. خلاصة الوفا، السمهودي، ص169، والمعارف للدنوري، ص631.

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ

ذَكَرَ ذلِكَ فِي أكثرَ مِن موضعٍ من الكتابِ(1). في أحدها أوردَ من القصِيدة أربعَةَ أبياتٍ(2). وفي موضِعٍ آخَر قالَ: «وقَدْ ذكَرْتُ قَصِيدةَ: (وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بوَجْهِهِ) في بَعْضِ شُرُوحِ الشَّواهِدِ إلَّا قَلِيلاً مِنْ آخِرِها لَمْ أَقْدِرْ علَيْهِ بَعْدَ البَحْثِ الشَّدِيدِ»(3)، ينبّهُ على اهتمامِهِ بتوثِيقِ نسبتِها إليهِ، وقد أثبتَ ذلِك ابنُ سلّامٍ في نصٍّ ذكره أطفِيّش أيْضا، قالَ «وقِيلَ: زَادَ فِيهَا النَّاسُ حتَّى إنَّ الأَصْمَعِيّ سَأَلَ مُحَمَّدَ بنَ سَلَّام: أَتَدْرِي مُنْتَهَاهَا؟ قَالَ: لَا»(4). ونبَّهَ أيضا إلَى عَدَدِ أبياتِها بقولِهِ: «مِن قصِيدةٍ هيَ ثَلَاثَةٌ وثَمَانُونَ بَيْتاً عنْدَ ابْنِ إسْحَاق. وقِيلَ: هِيَ مِئَةُ بَيْتٍ وعَشَرَةُ أبْيَاتٍ»(5).

وذكرَ الشَّارِحُ أيضاً طائفةً مِن الأخبار عن الجنِّ، وما نُقِل عنهم من أقوالِهِم إبّان مولِدِ المصطَفَى ﷺ ارتبطتْ بمجموعة من الشَّخصِيّات عاصرتْ حدَثَ مِيلادِ الرَّسول، أو أنّها عاشت معهُ فترةً مِن حياتِهِ. من ذلِكَ قصَّة سواد بن قارِب، وما رواه مِن أبياتٍ سمعها مِن جنّيٍّ على ليالٍ، منها الأبيات الآتِية: [السّرِيع]

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتِطْلَابِهَا وَشَدِّهَا الْعِيسَ بِأَقْتَابِهَا
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى مَا صَادِقُ الْجِنِّ كَكَذَّابِهَا
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ لَيْسَ الْمُقَدم(6) كَأَذْنَابِهَا

وأبيات نقلت عن عبد المطَّلبِ، ذُكِر أنَّهُ سمعهَا عند دخولِ حلِيمة عليهِ(7)؛ أيْ على رسول اللهِ، تريدُ أخذَهُ للرَّضاعِ. ويمثِّلُ هذا الحدِيث وغيرهُ شكلا طرِيفاً مِن هذه الأخبار

(1) إجابَة الدعوة [162ظ] و[117و] و[170و].
(2) (م، س) [163و].
(3) (م، س) [164و].
(4) طبقات فحول الشعراء، 244/1.
(5) إجابَة الدعوة [170و].
(6) في الروض وعيون الأثَرِ والمعجم الكبِير والاكتفاء: قداماها.
(7) إجابَة الدعوة [111ظ].

والأشعارِ والأسجاعِ؛ إذْ يرِدُ على لسانِ الرَّاوِي أنّهُ يسمَعُ أبياتا تقالُ مِن جوفِ صنمٍ يعبدُ، يدعوهُ إلى تركِ أوثانِهِ والالتحاق بدِينِ التَّوحِيدِ، أو يعبّرُ الرَّاوِي عنِ قائلِ الأبياتِ بِالهاتِفِ، كما كان الحدِيثُ عن الصَّنم "فراض" أو "قراض" والكلب "حياض"(1). وأمّا ظاهرة الأسجاع فقَد ارتبطَتْ بالكهّانِ وبعض الهواتِفِ(2).

وممّا يشترِكُ فِيه الحدِيثُ بين الأخبار التّارِيخِيّة، وما صنِّفَ بعدُ فِي الشِّعرِ الصُّوفيّ المادحِ لشخصِ رسول اللهِ ﷺ، مجموعةٌ من الأبياتِ ذكرَها أطفِيَّش نُسِبتْ إلى أشخاصٍ عاشوا مع رسول اللهِ ﷺ، وعاصَرُوا حِقبا مِن حياتِهِ، منهُم مرضعتهُ حلِيمة، وأختهُ الشّيماء(3)، وأمّه آمنة قبل موتِها(4)، يذكرُ فِيها مناقِب محمَّدٍ ﷺ، والفضل الكبِير الذِي عاد بهِ على قائلها. وذكرَ ثلاثةَ قصائِدَ لورقةَ بن نوفلٍ(5) فِي نفسِ الغرضِ.

كما يُضافُ إلى هذا الأشعارُ المنظومةُ على إثرِ اعتناقِ الإسلامِ، يشِيدُ فِيها النّاظمونَ بِأحقّيَّة النَّبِيّ بالاتِّباع، وبنبذِ الأصنامِ، وَالنَّدمِ على عبادتها ما مَرَّ مِن الزّمانِ، ذكر منها أطفِيَّش حدِيثَ خنافِر بن التّوأم(6)، ومرداس السّلّمِيّ(7).

ومثلُ هذه الأخبارِ واردةٌ فِي مجموعةٍ من المصادِرِ علَى أصَالتها وعدالةِ أصحابِها، كالرَّوض الأنف للإمام السُّهيْلِيّ، والبداية والنِّهاية للإمامِ ابنِ كثِير. ويبدو أنَّ الغاية مِن إيرادِها هِيَ مشاركة عوالم مختلفة فِي حدث ميلاد الرَّسولِ وانتِشارِ دعوتِهِ.

---

(1) إجابة الدعوة [110ظ].

(2) لم أحفَلْ كثِيرا بظاهرة الأسجاع، لا مِن حيثُ الإحصاءُ ولا التَّعقِيبُ عليها، وأهمُّ ما ميّزها التّكرار؛ أيْ أن يذكُرَ أطفِيَّش النَّصّ في مواضِع مختلفة كحدِيث شقّ وسطِيح، ذكرهُ فِي الورقتين [92و] و[107ظ]، إضافةً إلى تعدّد مصادرها بينَ الكهّان (طرِيفة...) وما يعبّرُ عنهُ بالهواتِفِ والأصوات الخارجة مِن الأصنامِ.

(3) ينظَر: إجابَة الدعوة [112ظ].

(4) (م، س) [115و].

(5) (م، س) [133ظ] و[134و].

(6) (م، س) [109و].

(7) (م، س) [109ظ].

2- الشّعرُ الصّوفِيّ:

أسهَمَ الشّعرُ الصُّوفِيّ المتمثِّلُ فِي أشعارِ مدحِ الرّسولِ ﷺ والشَّوقِ إلى لقائهِ وزيارةِ قبرِهِ فِي إثراءِ الحضور الأدبِيّ فِي كتابِ "إجابة الدّعوة"(1)، واخْتَلفَ حضورُهُ بين الأبياتِ المنفردةِ والقصائد الطَّوِيلة. يوردُها أطفِيَّش ضِمْنَ المواضِيع التِي يعالِجُها، محاولاً أنْ يلمّ بشتاتٍ متفرّقٍ مِن ذلِكَ فِيما يتعلَّقُ بالرَّسولِ ﷺ سواء شخصهُ وصفاته وأخلاقه، أو مدِينتهُ وموطِئ أقدامهِ، وما ميَّزَ حياتهُ مِن أحداثٍ ووقائعَ. ومِنْ ذلِكَ إيرادهُ الأبيات عند الحدِيثِ عن آدابِ زيارة المدِينة، وإعمار قلب المؤمنِ بالشَّوقِ إلى الزِّيارة، قالَ: «ولله دَرُّ القَائِلِ: [الكامِل]

قُرْبُ الدِّيَارِ يَزِيدُ شَوْقَ الْوَالِهِ ... لَا سِيَّمَا إِنْ لَاحَ نُورُ جَمَالِهِ
أَوْ بَشَّرَ الْحَادِي بِأَنْ لَاحَ النَّقَا ... وَبَدَتْ عَلَى بُعْدٍ رُؤُوسُ جِبَالِهِ
فَهُنَاكَ غِيلَ(2) الصَّبْرُ مِنْ ذِي صَبْوَةٍ ... وَبَدَا الذِي يُخْفِيهِ مِنْ أَحْوَالِهِ(3)

رغبتهُ في ذلِكَ استثمارُ القوّة العاطفِيَّة للأبياتِ الشّعرِيَّة فِي إذكاءِ روح الشّوقِ عند القارِئِ، لملاقاةِ شخصِ رسولِ اللهِ ﷺ، وعلى الأساسِ كانَ هدفهُ مِن وضْعِ كتابهِ.

وممّا كانَ ملاحظاً فِي بعضِ ما وردَ في هذا المقامِ، إغفالُ قائل الأبياتِ والتَّرخُّصُ فِي عدَمِ نِسبتِها، فهوَ يستعمِلُ عباراتٍ مِن مثلِ: "وفِي ذلِكَ قِيل"(4)، و"ولله درُّ القائِلِ"(5)،

---

(1) لم يكن الحضور الصُّوفِيّ في الكتابِ حضورا عرضِيّا، وإنّما كان مقصودا من الشّارِحِ؛ مِن ذلِكَ حدِيثه عن مكانة الوليّ الصّالِحِ وربطِها بدرجة النَّبوّة. ينظر: إجابة الدعوة [68ظ] و[70و].

(2) في خلاصة الوفا: عِيلَ.

(3) إجابة الدّعوة [49ظ]. خلاصة الوفا، ص115، ووفاء الوفا، 89/5، لم أقفْ عليها في غيْرِهِما، ولم يذكرْ قائلها.

(4) (م، س) [50ظ].

(5) (م، س) [49ظ] و[56ظ] و[74و].

و"قال بعضٌ"(1)، و"قول الشاعر"(2)، و"قال الشّاعِر"(3)، و" قال قَائِلٌ"(4)، و" وَقَائِلٍ يَقُولُ"(5) وربّما استبطَنَ هذا السُّلوكُ منهُ رغْبَةً فِي النَّظرِ في الأبياتِ دونَ البحثِ في القائلِ، والاشتغال بالمعانِي دونَ النَّظَرِ في المصدرِ وصاحب الأبياتِ.

ومِن العبارات التِي استعملها لنسبة الأشعارِ أيضا: "لمّا ورَدَ المدِينَةَ زَائِراً وقَرُبَ مِنْ بُيُوتِها تَرَجَّلَ باكِياً منشِداً"(6)، و"قال صاحِبُ خلاصة الوفا"(7)، و"يَتَرَنَّمُ بِشِعْرٍ"(8)، و"فَأَنْشَأْتُ أَقُولُ"(9). ومرَّة يورِدُ الأبياتَ دونَ تنبِيهٍ إلى قائِلٍ(10). وهذه العبارات مشكلة فِي تحدِيد القائل الحقِيقِي للأبياتِ هل هو قائلها؟ أم أنّهُ ليسَ إلّا راوٍ يستشهِدُ بها في مواقِفَ مشابهة.

3- النَّظْمُ:

أعنِي بهِ الشّعر الذِي قِيلَ لغاياتٍ تعلِيمِيَّة، يُبتغَى منهُ تيْسِيرُ حفظ القواعد العلمِيَّةِ والأحداث التّارِيخِيَّة وغيرها باستغلالِ الخاصّيّة الموسِيقِيَّة للشّعرِ. ومِن الأبياتِ المذكورةِ فِي هذا البابِ: الحدِيثُ عن حادثة انشقاقِ القمَر، قال: «وقَدْ جَمَعَ فِرْقَتَيْنِ وَمَرَّتَيْنِ في تِلْكَ الْقَصِيدَةِ [يقصِد ألفِيَّة العراقِيّ في السِّيرة] إِذْ قَالَ:

فَصَارَ فِرْقَتَيْنِ فِرْقَة عَلَتْ وَفِرْقَة لِلطَّوْدِ عَنْهُ نَزَلَتْ

(1) إجابة الدعوة [93و].
(2) (م، س) [9و].
(3) (م، س) [9و] و[74و].
(4) (م، س) [103و].
(5) (م، س) [118و].
(6) (م، س) [50و].
(7) (م، س) [52ظ].
(8) (م، س) [118و].
(9) (م، س) [118و].
(10) (م، س) [112ظ].

وَذَاكَ مَرَّتَيْنِ بِالْإِجْمَاع والنَّصّ والتَّواترِ السَّماعِي[1]

فمَرَّتَيْنِ بِمَعْنَى فِرْقَتَيْنِ، أَوْ بِنَاءً عَلَى قَوْلٍ لَا يعْتَدُّ أَنَّهُ انْشَقَّ لَيْلَتَيْنِ»[2].

وفِي وقوفِ الشَّمسِ لعلِيّ رضي الله عنه، قال: «وقَالَ السُّيُوطِيّ: أَخْطَأَ ابْنُ الْجَوْزِيّ فِي جَعْلِهِ مَوْضُوعاً. قَالَ السُّيُوطِيّ كَابْنِ الصَّلَاحِ: كَثِيراً مَا يَتَحَامَلُ ابْنُ الْجَوْزِيّ عَلَى الْحَدِيثِ الضَّعِيفِ بِأَنَّهُ مَوْضُوعٌ[3]. قَالَ الْعِرَاقِي:

وأَكْثَرَ الْجَامِعُ فِيهِ إِذْ خَرَجْ لِمُطْلَقِ الضُّعْفِ عَنَى أَبَا الْفَرَجْ[4]

حَتَّى إِنَّه أَدْرَجَ فِيهِ كَثِيرًا مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ. قَالَ السُّيُوطِيّ:

وَمِنْ غَرِيبِ مَا تَرَاهُ فَاعْلَمِ فِيهِ حَدِيثٌ مِنْ صَحِيح مُسْلِمِ[5]

وهذه النّماذجِ تَظهَرُ حاجتهُ إلى النَّظمِ العلمِيّ لِعضدِ الآراءِ التِي يتبنّاها والأحكام التِي يُطلِقها على المسائل التِي يعالِجها.

ولم تنل النُّصوص في الكتابِ نفسَ الحظِّ مِن العنايةِ، وإنّما كان أطفِيَّش يعقِّبُ على القلِيل منها بِشرحِ مفرداتِها، وبيان مواقعها الإعرابِيّة؛ من ذلِكَ القصِيدة الشقراطسِيَّة، فقد أوردَ مجموعةً مِن أبياتِها على مراحِلَ أعقبها بشرح المفرداتِ[6]، وأبيات للطفيْلِ بن عمرو أعقبها كذلِكَ بتوضِيح غرِيبِ ألفاظِها[7]، وغاب عن هذه المعالجةِ الحدِيثُ عن التَّحسِين والتَّقبِيح، إلّا ما كان من التَّوثِيق والنّسبة على الشّكلِ الذِي سبق إيرادهُ عن قصِيدة أبِي طالبٍ (وأبيض يستسقَى الغمام...).

---

(1) ألفية السيرة النبوية – نظم الدرر السنية الزكية، العراقِي، ص59.

(2) إجابة الدعوة [185و].

(3) اللآلِئ المصنوعة، السيوطِي، 2/1.

(4) ألفية العراقِي في علوم الحدِيث، ص114.

(5) ألفية السيوطي في علم الحديث.

(6) إجابة الدعوة [168و].

(7) (م، س) [196و].

كما كان منهُ إعادة وتكرار إيراد الأبياتِ، للحاجة إلى ذلِكَ، أو للإعجابِ الشّدِيدِ بها، كأبياتٍ تمدحُ رسولَ اللهِ ﷺ لشاعِرٍ لم يذكُر اسمه، كرّرها مرّتينِ(1).

وقد سبقَ الحدِيث عن قضِيّةِ نِسْبَة النُّصوص وذكر القائلِ، إذ تنسحِب على الأبياتِ جمِيعِها، فاختلفت بينَ ذكرِ اسم صاحبِها، أو الإشارة إليهِ بألفاظٍ ك: "بعضهم"، "قال شاعر"، ولم يرقَ نقاشهُ إلى أن يورِد اختلاف نسبة أبياتٍ ما، ويحقِّقَ فِيها بإيرادِ الآراءِ ومصادرها.

والخلاصة أنَّ النُّصوصَ الأدبِيَّة في كتابِ "إجابة الدعوة" شَكّلَتْ باختلافها مجالاً اشتغَلَ فِيه أطفِيَّش، امتازَ بالوفرةِ والانتقاءِ للنُّصوصِ الدّاعمة لمواضِيع الكتابِ، الخادمة لأغراضِهِ.

وَلَمْ يَحْكُمْ هذه النُّصوص غاية معالجتها معرفِيّاً إلّا مِن زاويةِ تفاعلها مع سِياقِ الكتابِ، فاستغلّ أطفِيَّش طاقتها الدّلالِيّةَ، إمّا بإيرادها مطلَقا دون الحاجة إلى توضِيحٍ، أو بشرحِ جملةٍ مِن ألفاظها وبيانٍ لمعانِيها، وقد سجَّلتْ هذه النُّصوص إثراءً للعلاقة القائمة بينَ الشّعرِ وبناء المخيّلة العربِيَّة الإسلامِيَّة، بالرَّبطِ بين الماضِي التّلِيد الذِي تمثَّلَ فِيهِ شخصُ رسولِ اللهِ ﷺ والرَّغبةِ في تقمّصِ شخصِيّتِهِ والتّأسِّي بطرِيقِهِ. لقدْ أكّدَ هذا الحضورُ الوظِيفةَ الحيوِيَّة للنُّصوصِ الأدبِيّة والشّعرِ بالخصوصِ فِي إقامة هذهِ الصَّلةِ وتحقِيق المرغوبِ بصلاحِ النَّفسِ والمجتمع.

لقد بيّنت الدّراسة أنّ الدّافِع إلى إيرادِ هذا القدرِ مِن النُّصوصِ استجابة لدواعٍ نفسِيَّة، تتمحوَرُ حول الإجلالِ والإعظام لذاتِ الرَّسول ﷺ، والإحاطة بشخصهِ، ليسَ فقطْ من حيث المعلومات التّارِيخِيّة والوقائع، بل مِن حيثُ استحضار الإرث المعنوِيّ الذِي خلّفه وبلّغهُ عن ربِّهِ تعالى، ولا أدلّ على هذه الرّغبة القوِيّة مِن طفوّ ألوانٍ مِن هذه النُّصوصِ، تنقُلُ

(1) إجابة الدعوة [74و] و[95ظ].

أحداثاً قدْ يَعْسُرُ تصدِيقُها على الوجهِ الذِي وردتْ عليهِ، وإن شُفِّعتْ بِالسّندِ وربطها بشخصِيّاتٍ معروفةٍ.

ثُمّ إنَّ ما تصوّرهُ أشعارُ المدحِ لا يَقتصِرُ فقطْ على المعلومِ مِن سيرة المصطفَى، ولكِن تمتدُّ لتشملَ ما لا نقل فِيهِ، وما يكونُ مِن نسجِ خيالات الإنسانِ المنبثقة من طبِيعتهِ العاشقة لكلِّ ما هو مثالِي، محقِّق لأحلامهِ، مستجِيب لمتطلّباتهِ العليا، كالعدل والإنصاف والاقتِصاصِ من الظّالمِين.

4- وقفات نقدِيَّة في شرح نونِيَّة المدِيح:

بما أنَّ النَّقدَ مرحلَةٌ متقدِّمةٌ فِي شَرْح الشِّعرِ؛ أيْ إنَّ لجوء الشَّارح إليه يكون بعد الوقوف علَى المستويات اللّغوِيَّة الأساسِيَّة، لذلِكَ لا أجِدُ هذا المستوى حاضِرا بقوَّة عند أطفِيَّش، إلّا ما كانَ يُعنَى بجانب التَّذوُّقِ والجماليَّة في أسالِيبِ الأبياتِ على الوجهِ الذِي تمّ بيانهُ فيما سبقَ. ويمكن ردُّ هذا إلى طبِيعة القصِيدة نفسِها التي تمِيلُ إلى أسلوبِ المنظومات التَّعلِيمِيَّة والتَّقرِيرات العلمِيَّة، فرغم أنَّ هذا لا يخرجها من إطارِ الشِّعرِ؛ لاحتوائِها على ما يدخلها في إطارِهِ من الصُّورِ البيانِيَّة والأسَالِيبِ الأدبِيَّة، إلَّا أنَّ رِقَّةَ الشِّعرِ وعذوبته وما يعرف بالشَّاعرِيَّة لا يحضُرُ فِيها بقوَّة. لكن أطفِيَّش قدّمَ في بعضِ النُّصوصِ أحكاماً يمكِنُ اعتبارها ضِمنَ المستوى النّقدِي (بالخصوصِ عمود الشّعر) كوقفات تظهرُ باستعمال مصطلحاتٍ ك:(الأولى، الأظهر، الأنسَب...) لا ترقَى إلى أنْ تُشكِّلَ رؤية واضحة عن منهجِ الشّارِح، ولا أن تبِينَ عن مواقِفِهِ إزاء القضايا المعروفة في هذا المضمار، أعرِضُ جملة منها في هذا المطلَبِ، لبيانِ حضورِ هذا المستوَى وتنبّه الشّارِحِ إليهِ.

قال في شرح البيتِ من المنظومة:

وَزَارَ سُلَيْمَانُ بنُ دَاوُدَ طَيْبَةً وَبِالْهِجْرَةِ الْغَرَّاءِ بُشْرَى سُلَيْمَانِ

قال: «**والأَنْسَبُ** أنْ يتَّصِلَ هذا الْبَيْتُ بقَوْلِهِ "إِلَى أَهْل مِيزان". والجوابُ: حمل قوله "أَنْ يُلْقَى" علَى الْعُمُومِ، فيَشْمَلُ أنْ يُلْقِيَ الأَنبِئَاءُ قبلَهُ ذِكْر هَدْيِهِ، إِجْمَالاً وتَفْصِيلاً، إِلَى أُمَمِهِم بِحَسَبِ مَا أعْلَمَهُم اللهُ بِهِ، فيَكُونُ هذَا الْبَيْتُ: وزَارَ إلخ عَقِبَ التَّعْميمِ بلَا فَصْلٍ»[1].

يشِيرُ الشّارِحُ إلى تماسك أبياتِ القصِيدةِ ووحدَتها الموضوعِيَّة، وإلى حسنِ تخلُّص النّاظِمِ حِين الانتقالِ في الموضوعِ نفسِهِ، فيختلّ نظامُ أبياتِها إن حَصَلَ تقدِيمٌ وتأخِيرٌ، ولا يعنِينا هنا صحّة كلامِهِ، ولكنّ انتباهَهُ إلى ذلِكَ يشِيرُ إلى استحضارِهِ للمسائل النّقدِيّةِ، ورغبتِهِ فِي تقوِيم القصِيدةِ وعرضِها على المحفوظِ عندهُ من الشّعرِ وسننِهِ، فقد عقّبَ على بيتٍ بقولِهِ: «وَالفَاءُ فِي قَوْلِهِ: "فَأَمَّا" فِي جَوَابِ شَرْطٍ وَتَفْصِيلُهَا تَحَقَّقَ بِقَوْلِهِ: إِذَا أَنَا قَدْ صَلَّيْتُ فَالقَلْبُ غَافِلٌ، فَإِنَّهُ مُعَادِلٌ لِقَوْلِهِ إِنَّهُ عَنِ الدُّنْيَا لَيْسَ بِغَافِلٍ، **وَالوَاوُ هُنَا أَوْلَى مِنَ الفَاءِ**»[2]. يعنِي أنَّ الفاءَ هنا التِي تؤدِّي التَّعقِيبَ غيرُ محتاجٍ إليهِ في هذا المقامِ؛ إذْ يكفِي الرَّبط مطلَقا من أجلِ بلوغ الغايةِ، فإنّ توالِي الفاءيْنِ يفقِدُ الثَّانِية مدلولها[3]. وبهذا فإنّ الشّارِح ينتصِرُ للاتّجاه النّقدِي الذِي يعنَى بتتبُّع أخطاء وتجاوزات الشُّعراءِ في نظام اللُّغة، ما يعرف بالنَّقد اللُّغوِي؛ أي إنَّهُ يبحَثُ فِي تقوِيمِ لغة الخطابِ الشّعرِيّ، مِن حيثُ التزامها بقواعِد اللّغة سواء النَّحوِيَّة أو البلاغِيَّة أو العروضِيَّة.

(1) إجابة الدعوة [89ظ].

(2) (م، س) [7و].

(3) ينظر أيضاً: (م، س) [76ظ] و[143و].

المطلب الثّاني: القضايا البلاغِيَّة

يختصُّ هذا المطلَب بالحديث عن القضايا البلاغِيّة في "شرح نونيّة المدِيحِ"، اعتماداً على تجمِيعِ نُصُوصِها في قضايَا كلِّيّة؛ مِن أجلِ حصرِ ما أمكنَ من النَّظرات الّتِي قدّمها أطفِيَّش في شرحِهِ. وعلى هذا سأتحدَّثُ عن ثلاثة جوانِب أساسِيَّة أفرزَتْهَا النُّصوص المجموعة مِن الكتابِ، وهِيَ: الحقِيقة والمجاز والصُّورة الشّعرِيَّة والوقفات الأسلوبِيَّة.

1- الحقيقة والمجاز:

يوظِّفُ أطفِيَّش مفهومَيْ الحقيقة والمجاز اللّذين يؤطِّرانِ مظاهِرَ الاتِّساع في اللُّغة، مِن أجلِ بلوغِ المقصودِ مِن الأبياتِ، فقدْ يصرِفُ الشَّارِحُ اللَّفظ عن المعنَى الظَّاهِرِ الذي وُضِع لهُ، إلى معنًى أليَق بالنَّصِّ المشروحِ، وبمرادِ النَّاظِم.

نلمسُ استعمال هذه الآلِيَّةِ في كثِيرٍ من المواضِع، ولا يدعُو إلى هذا القصْدُ الإبلاغِي فقط الذي هو التّفنُّن في الكلام، وإيرادُ المعنَى بطرُقٍ شَتَّى، وإنَّما يرجعُ إلى الخلفِيَّة العقدِيَّة/ التاريخِيَّة التِي تحتِّمُ صرفَ اللَّفظ عَن أصلِ وضعهِ إلى معنًى يتناسَبُ مع النَّصِّ، ولا يتعارَضُ مع المعارِفِ المكتسبة في المجالات المعرِفِيّة المختلفةِ، وكانَ مِن أهمِّ محطّاتهِ المجاز العقلِي، والمجاز المرسَل؛ لكثرةِ علاقاتهِ وتردّده في الاستعمالِ ووظِيفتهِ في نقلِ المعانِي.

وفي الحالينِ فإنّ العدولَ الذي يقوم عليه المجاز المرسَل أو العقْلِيّ، يتمُّ تجاوزُهُ واختزالُه بسهولة؛ إذْ إنَّ العلاقة التِي تجمع بين الطَّرفينِ طبيعِيَّة ومباشرة. إنَّ هذه المجازات تقوم على علاقات جاهزة سلفا، وهي لا تتطلّبُ مجهودا، لا مِن الشَّاعِرِ لكي يبدعها، ولا من المتلقِّي لأجلِ تأوِيلِها [1]. ومِن أهمِّ الملاحظات التِي سجّلتها على النُّصوصِ:

---

(1)

– يوظِّفُ أطفِيّش المفهومينِ لتقدِيم الاحتمالاتِ المكتنفة في التّركِيبِ؛ لغرَضِ الإحاطةِ بما يقدّمهُ من غيرِ إقصاءٍ، وستظهِرُ النّماذج المقدّمة أهمِّيّة هذه الاحتمالاتِ فِي فهم المقصودِ.

– يقصِدُ أطفِيَّش عرض احتمال الحقِيقة بجنبِ المجازِ قصْدًا، كقولِهِ في شرحِ البيتِ:

إِذَا هَمَّ أَزْمَانَ الْعِبَادَةِ لَمْ يَكُنْ لِيَفْعَلَهَا إِلاَّ بِضُعْفٍ وَأَزْمَانِ

قالَ: «وَأَسْنَدَ الفِعْلَ إِلَى ضَمِيرِ القَلْبِ؛ لِأَنَّ القَلْبَ هُوَ السَّبَبُ الآمِرُ، فَذَلِكَ مَجَازٌ فِي الإِسْنَادِ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِفِعْلِهِ مَا يَفْعَلُهُ هُوَ دُونَ الجَوَارِحِ؛ لِأَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ عَمَلٍ مَا فِي العِبَادَةِ، فَتَكَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ العَمَلِ وَحْدَهُ، لَا عَلَى عَمَلِ الجَوَارِحِ المَصْحُوبِ لَهُ فَيَكُونُ الإِسْنَادُ حَقِيقَةً. وَفِعْلُ القَلْبِ نِيَّتُهُ وَاعْتِقَادُهُ، وَاسْتِحْضَارُ مَعَانِي مَا يَقُولُ اللِّسَانُ وَتَعْمَلُ الجَوَارِحُ. وَأَيْضًا القَلْبُ مِنْ جُمْلَةِ البَدَنِ، إِذَا رَكَعَ الجَسَدُ أَوْ سَجَدَ أَوْ قَامَ أَوْ عَمِلَ عَمَلًا فَقَدْ عَمِلَ فِيهِ القَلْبُ»[1]. إنَّ الشَّارِح لَمْ يُرجِّح مجازِيَّة الإسنادِ، ولا أنَّهُ على الحقِيقة، لاحتمال العبارة المعنيَيْنِ معاً، ووقوفا على التّأوِيلِ عندَ مدلولِ الألفاظ؛ فالعبادة تقومُ بها كلُّ الجوارِحِ، ويمتاز القلبُ عن كلِّ الجوارِحِ بأنَّها تأتمرُ بأوامِرِه، فأفرده بإسناد الفعلِ إليهِ، فكان الإسنادُ مجازِيّاً. ولكن فِي الحقِيقة فإنَّ للقلبِ عملا ينفرِدُ به دونَ الجوارِحِ الأخرَى، فالنِّيَّة والاعتقادُ وغيرُهمَا من أفعالِهِ، تجعلُ احتمالَ الإسنادِ على الحقِيقة وارداً[2]. وتراهُ يقرّرُ الجمعَ بينَ الوجهيْنِ؛ أي يثبِتُ أنّ النّصّ قصدَ إلَى الجمعِ بينهُما باستعمال مصطلحيْ (الجمع بين الحقِيقة والمجاز[3]، وعموم المجاز[4]).

---

(1) إجابة الدعوة [7ظ] و[8و].

(2) ينظر أيضا النّصّ: (م، س) [76ظ].

(3) (م، س) [89ظ] و[76ظ].

(4) (م، س) [89ظ] و[76ظ].

أ– الضّبط المصطلحِيّ:

يقدِّم أطفِيَّش في تحلِيلاتِهِ الظّاهرة في النّصِّ وَفق ما تقرّر عندَ علماءِ الفنّ، لذلِكَ وظّف مجموعةً مِن المصطلحات المجازِيّة، كَ: (مجاز مبنِي على مجاز[1]، وعموم المجازِ[2]، وبين الحقِيقة والمجاز[3]، ومجاز عقلِي[4]، وتجوّز في الإسناد[5]...) والمقصود مِن هذا الجمعِ تفرِيقه بين هذه الأوجه المختلفة، بين المجاز المرسل والعقلِي والمجاز القائم على التّشبِيهِ.

ب– الاحترازُ بالخلفِيّة العقدِيّة/ التّارِيخِيّة:

مِن أسبابِ تردّد الشّرحِ بينَ مفهومَيْ الحقِيقة والمجاز، فقول أطفِيَّش «"آيِسٍ": مَجَازٌ مُرْسَلُ تَبَعِيٌّ لِعَلَاقَةِ الجِوَارِ المعْقُولِ؛ بِأَنْ سَمَّى القُرْبَ لِلإِيَاسِ إِيَاسًا، فَاشْتَقَّ مِنْ لَفْظِ الإِيَاسِ، بِمَعْنَى القُرْبِ مِنَ القُنُوطِ، ءَايِساً بِمَعْنَى قَرِيبًا مِنْهُ...»[6] وقوله: « وَ"رَحْمَةُ اللهِ": إِنْعَامُهُ، حَقِيقَةٌ شَرْعِيَّةٌ مَجَازٌ لُغَوِي؛ لِأَنَّ مِنْ لَازِمِ رِقَّةِ القَلْبِ الإِحْسَانُ، وَلَا يُوصَفُ اللهُ بِالْقَلْبِ، وَلَا بِالرِّقَّةِ وَلَا بِصِفَةِ خَلْقٍ، أَوْ هُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الإِنْعَامِ»[7] وقوله: «فَإِنَّ الغَدو حَقِيقَة لِلسَّيْرِ بَعْدَ الفَجْرِ، وَاسْتَعْمَلَهُ بِمَعْنَى مُطْلَقِ السَّيْرِ فِي أَيِّ وَقْتٍ، وَالفَاءُ لِلسَّبَبِيَّةِ»[8]. تنبِئُ عن دواعِي استجلابِ المفهومينِ وتوظِيفهما في الشَّرحِ.

---

(1) إجابة الدعوة [77و].
(2) (م، س) [89ظ] و[76ظ].
(3) (م، س) [89ظ] و[76ظ].
(4) (م، س) [5ظ] و[204ظ].
(5) (م، س) [5ظ] و[7ظ] و[111ظ].
(6) (م، س) [18ظ].
(7) (م، س) [18ظ] ونصّ آخَر في نفس الصّفحة.
(8) (م، س) [18ظ] ينظر أيضا النّصّ فِي [77ظ].

ج- تعدِيدُ طُرُق المجاز المرسَلِ:

يقدِّمُ أطفِيَّش لبيانِ العلاقة بين اللّفظ في معناه الحقِيقِي ومعناه المجازِي عدّة أوجهٍ؛ لغايةِ إحكامِ هذه العلاقةِ كقولِهِ «"آيِسٍ": مَجَازٌ مُرْسَلُ تَبَعِيٌّ لِعَلَاقَةِ الجِوَارِ المعْقُولِ، بِأَنْ سَمَّى **القُرْبَ** لِلإِيَاسِ إِيَاسًا، فَاشْتَقَّ مِنْ لَفْظِ الإِيَاسِ، بِمَعْنَى القُرْبِ مِنَ القُنُوطِ، ءَايِساً بِمَعْنَى قَرِيبًا مِنْهُ. أَوْ مَجَازٌ مُرسَلٌ تَبَعِيٌّ لِعَلَاقَةِ السَّبَبِيَّةِ وَالمسَبّبِيَّة أَوْ إِحْدَاهُمَا، أَو اللَّازِمِيَّةِ وَالملْزُومِيَّةِ، أَوْ إِحْدَاهُمَا بِمَعْنَى **مُرِيدُ** الإِيَاسِ، فَإِنَّ إِرَادَةَ الشَّيْءِ سَبَبٌ لَهُ وَمَلْزُومٌ لَهُ»[1].

إنَّ ابتعادَهُ عن المعنَى الحقِيقِيّ للفظِ يعودُ إلى الخلفِيّة العقدِيّة؛ فليسَ الآيِسُ مَن يَسْتحِقّ المغفرة، ولا مَن يجتهِدُ لِتحصِيلِها، وإنّما المرادُ مِن اللّفظِ الوجهانِ المقدّمان، فإمّا أن يكونَ مرِيداً للإياسِ، أو هو قرِيبٌ مِنهُ، نظراً لأفعالِهِ التِي تؤدِّيهِ لذلِكَ. إنّ تعدادَ هذه الأوجه مِن البحثِ المعجمِيّ لغرضِ إعطاءِ اللّفظِ حقَّهُ، ولإبلاغِ المتلقِّي ما أمكنَ مِن مدلولاتِهِ.

2- الصُّورة الشّعرِيّة في شرح نونِيَّة المدِيح

لقد استطاعَ أطفِيَّش أن يحِيطَ بالطّاقة الشّعرِيَّة المختزنة في أبيات القصِيدة مِن خِلالِ وقوفِهِ على مقوِّمات صُوَرِها، وتمثِيلاتِها المتجسِّدة أساساً في الأساليب البلاغِيَّة: الاستِعارة والتَّشبِيه والكناية، فهَذِهِ أدَوَاتٌ رئِيسَة في إقامةِ بناءِ الصُّورة الشِّعْرِيّة. وسيلاحَظُ ذلِكَ بوضوحٍ مِنْ خِلالِ الأمثلة التّطبِيقِيَّة المعروضة في هذا المبحَثِ.

تنتَظِمُ نصوص شرح الصُّورة الشّعرِيَّة فِي إطارِ مجموعةٍ مِن القضايا التي تتعلَّقُ خصوصا بالمنهج المتّبعِ فِي إضاءتِها، وبالمبادِئ النَّظرِيَّة التِي تصدُرُ عنها، ومِن ثَمّ سأعرِضُها على شكلِ عناوِين أتبِعها بالنّماذِجِ التَّطبِيقِيَّة الذي تبيّن الظّاهرةَ وتقدِّمُ التَّوضِيح اللّازِمَ، وبواسطة

(1) إجابة الدعوة [18ظ].

تحلِيلِ تلكَ النَّماذِجِ أستطِيعُ توصِيف الأَركان الأساسِيَّة لهذه القضايا، ومِن ثَمّ تقدِيم الصُّورة الحقِيقِيَّة لتمثّلها عند الشّارِحِ.

أ- الضَّبطُ المصطلحِيّ:

من خلالِ تتبّعِ إجراءات أطفِيَّش التَّطبِيقِيَّة المتعلِّقة بِأبوابِ البلاغة العربِيَّة، اتّضَحَتْ رغبتُهُ فِي تحدِيدِ اللَّون البلاغِيّ المستعملِ في الأبياتِ بِمصطَلَحِهِ المعرُوفِ عندَ أَهْلِ الفنّ[1]. يمكِنُ تلمُّس ذلِكَ حِين وقوفِهِ علَى تَفْسِيرِ الدّلالة المرادة علَى أَيّ شكلٍ أوردَها النّاظِمُ؛ فيقدِّمُ لِذَلِكَ الاحتمالاتِ التِي يمكِنُ أن تضِيءَ وتفسِّرَ التَّراكِيبَ، وَفقَ ما رسَخَ لديْهِ مِن ضوابِطِ تركِيبِ هذه الألوانِ. نقفُ على هذا في شرحِهِ قولَ النّاظِمِ:

فَبَاتَ يُنَاجِي رَبَّهُ مُتَضَرِّعاً بِحَقِّكَ لَمَّا أَنْ دَعَاهُ لِغُفْرَانِ

قالَ: «**ومَعْنَى** "باتَ": صَارَ، فهُوَ **مَجَازٌ مُرْسَلٌ** لعَلَاقةِ الإِطْلَاقِ والتَّقييدِ. **أَوْ** بعدمَا كانَ مَجَازًا مُرسَلاً هَكذَا، استَعْمَلَهُ **استعَارَةً**؛ بأَنْ شَبَّهَ كَوْنَهُ يُنَاجِي، في مِقْدَارٍ مِنْ غيْرِ اللَّيْلِ، بِكَوْنِهِ يُناجِي فِي لَيْلٍ، لعَلَاقَةِ الاِسْتِواءِ في الْمُدَّةِ. بِمَعْنَى أَنَّهُ بقِيَ في المُنَاجاةِ قَدْرَ اللَّيْلِ، هَكَذَا مُطلَقًا. **ويَجُوزُ** أَنْ يكُونَ "باتَ" علَى ظاهرِهِ بأَنْ يكون وقتُ مُنَاجَاتِهِ لَيْلاً، إذْ هُوَ وقْتُ الإجابةِ. وعلَى كلِّ حالٍ المرادُ المناجاةُ في الدُّنيَا، لأَنَّهُ لمَّا أَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ لمْ يَبْقَ في الجنَّةِ»[2].

لقد سعَى أطفِيَّش فِي شرح البيتِ مِن خلالِ نسجِ أوصالٍ مختلفة، غايتها إيضَاحُ المعنَى المقصودِ، تنطلقُ مِن اللَّفظِ، وتبتغِي تجلِيَةَ الخيوطِ التِي بهَا استطاعَ النّاظمُ أن ينقُلَ الدّلالَةَ التِي يبْتَغِيهَا مِن خلالِهِ. ويهمُّنا في هذا المقامِ تسلِيطُ الضَّوءِ على ثنائِيّة المجاز

---

(1) يظهَرُ التزام أطفِيَّش بضبطِ مصطلحات الفنونِ فِي نصوصٍ متعدِّدة مِن كتبِهِ، منها قولُهُ: «...وليسَ كذلِكَ عندِي؛ فإنَّ مثلَ هذا ليسَ من جملة التَّفسِير المصطلح عليها؛ لأنَّ التَّفسِيرَ أن يكونَ مفهومُ الثَّانِيَة غير مفهوم الأولى، مبيِّنة لمعنَى الأولَى» معتمد الصّواب [1ظ].

(2) إجابة الدعوة [77و] و[77ظ].

المرسل/ الاستِعَارَة الّتِي وظَّفَها أطفِيَّش، وشكّل بها توصِيفَ التّرمِيزِ الذِي مكَّنَ مِن الرّبطِ بين الدّالِ اللّفظِيّ والمدلول المعنوِيّ.

المجاز المرسَل والاستعارة شكلانِ مِن أشكالِ إخراجِ اللّفظِ عن ظاهرِهِ إلى مرادٍ خفيّ؛ يحتاج الوقوفُ عليهِ إلى نظرٍ وانتباهٍ. ويُشكِّلُ هذا الملحَظُ المشتركُ بينَ المجاز المرسَل والاستعارة لحظة التّلاقِي الذي ينطلَقُ منها لتحدِيدِ أيّهما المقصودُ. وقدْ ظهرَ بحثُ الشّارِحِ فِي هذا التّحدِيدِ جَلِيّا، مِنْ خِلالِ تشخِيصِهِ للعلاقتَيْنِ المختلفتينِ اللّتينِ تصبغانِ الإجراء إمّا بالاستعارة وإمّا بِالمجازِ المرسل[1]. وما الاختلاف فِي تحديدِ العَلاقَةِ الرّابطة بين الملفوظِ والمدلولِ، إلّا وجْهٌ مِن أَوْجُهِ الاجتهادِ في توصِيفِ هذا التّرمِيزِ وإظهارِ أركانِه.

ومِنْ خِلَالِ شَرحِ البَيْتِ الموالِي يتبيَّنُ إقرارهُ للحدودِ الفاصِلة بيْنَ الاستعارة والتّخيِيلِ، رغم اشتراكِهِما فِي الصِّيغة التّركِيبِيَّة اللّفظِيَّة، إلّا أنَّهُ بينهما فارقٌ مَعْنوِيّ دَقِيقٌ:

تَنَوَّرْ بِهَا وَاقْصِدْ بِذُلٍّ فَإِنَّهَا تُقِيلُ بَنِي الزَّلاَّتِ مِنْ حَرّ نِيرَانِ

قالَ: «"بَنِي": بِمَعْنَى أَصْحَاب؛ فَإِنَّ مِنْ شَأْنِ الِابْنِ مُلَازَمَةَ الأَبِ وَالأُمّ، فَأَصْحَابُ الزَّلّاتِ فِي مُلَازَمَتِهِمْ إِيَّاهَا كَالأَوْلَادِ فِي مُلَازَمَتِهِمْ الآبَاءَ وَالأُمَّهَاتِ. **فَأَعَارَ** بَنِي لِأَصْحَابِ، **وَالقَرِينَةُ**: الزَّلّاتُ. **وَيَجُوزُ** أَنْ يَكُونَ شَبَّهَهُمْ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِمْ بِمَنَ وَلَدَتْهُ الزَّلّاتُ، لَوْ كَانَ فَهَذَا **تَخْيِيلٌ**. وَشَبَّهَ الزَّلّاتِ بِالأُمَّهَاتِ **وَرَمَزَ** إِلَى ذَلِكَ بِإِثْبَاتِ الأَبْنَاءِ»[2].

لقد أخرجَ الشَّارِحُ ألفاظَ البيتِ مِن الدّلالة الحقِيقِيَّة إلى دلالةٍ مجازِيَّة، مِنْ خِلالِ القرائنِ الدَّالَّةِ على هذا الإخراجِ، تماشِياً مع الغَرَضِ المرادِ إيصالهُ مِنْ نَظْمِ البيتِ الخاصّ بِهِ. إنّ إقامةَ علاقةٍ بَيْنَ لفظَيْنِ ينتمِيانِ إلى طبِيعتينِ مختلفتينِ، نبّهتْ ذِهنَ الشّارِحِ من أجلِ

---

(1) في النَّصِّ إشارة إلى بناءِ المجازِ على المجاز، ويعنِي بِهِ انتقال اللّفظِ من دلالة حقِيقِيّة إلى دلالة مجازِيّة، ثم ينقل مرّة أخرى إلى دلالة مجازِيّة ثانِية. ينظر: كشف الكرب، 302/1. وقد مثّل لذلِكَ بِلفظة "سرّ" في قوله تعالى: ﴿**لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا**﴾ [البقرة: 235] بمعنَى عقدا. وبيَّن الفرق بينهُ وبين المجاز بمرتبتينِ الذِي لا يقتضِي استعمال اللّفظ في النَّقلِ الأوَّل.

(2) إجابة الدعوة [24ظ].

توضِيحِ الطَّرِيقِ الذِي سلكهُ النّاظمُ مِنْ أَجْلِ إبلاغِ مقصدِهِ، فلا تراهُ ينفِي طرِيقا على حِسابِ آخَرَ، وإنّما استعمل لفظ "يجوزُ" للدّلالةِ على احتمالِ إرادة الطَّرِيقيْنِ لما بينهما من اشتراكٍ.

إنَّ تفرِيقهُ بيْنَ الاستِعارَةِ والتَّخييلِ، قائمٌ على إجرائهِ المجازَ على طَرَفَي التَّركِيبِ، وبذلِكَ تحصَّلَتْ لهُ صورتانِ: إحداهما سمّاها استعارةً وهِي "أصحاب الزّلات"؛ لإمكانِ تصوُّرِ ملازمة الإنسانِ للمعاصِي حتَّى تكونَ صاحبةً له، والثّانِية "أبناء الزّلّاتِ" وهِي الأقربُ إلى لفظِ النّاظمِ، سمّاها تخيِيلًا؛ لأنَّ «القرينة عليْها استعارة ما هو لخاصّة مِن خواص المشبَّه بِهِ [وهِي الأبناء] لصورةٍ وهمِيَّة، يُتوهَّم في المشبَّه تشبِيهُهُ بتلك الخاصّة مثبَتَةً للمشبَّهِ»[1]. وما استعمالُهُ لمصطلحِ "رَمَزَ" بدلَ "قرِينة" إلّا تنبِيهٌ إلى غِيابِ هذه الصُّورةِ واقِعاً، وإمكانِ تصوّرِها فِي الذّهنِ. وفاتَ الشَّارِحَ أنْ يبيّنَ أنَّ هذا الاختلاف مردّهُ إلى المبالغةِ التِي هِي عمادُ الشّعرِ، والخصِيصة التِي تظهرُ تفوُّقَ الشّاعِرِ وإبداعهُ.

وفِي صورةٍ مِن صُوَرِ التَّفرِيق بين المصطلحات البلاغِيَّةِ، يقولُ أطفِيَّش في شَرْحِ البيتِ:

مَعَ العُسْرِ يُسْرٌ وَالتَّصَبُّرُ نُصْرَةٌ وَلاَ فَرَجٌ إِلاَّ بِشِدَّةِ كَرْبَانِ

قال: «وَمَعَ العُسْرِ فِي الرِّزْقِ وَالبَدَنِ وَنَحْوِهِمَا يُسْرٌ مَقْرُونٌ بِتَمَامِهِ، أَوْ هُوَ فِي ضِمْنِهِ بِأَنْ يَسْتَوْجِبَهُ. فَإِذَا كَانَ مَعَ العُسْرِ يُسْرٌ فِي الرِّزْقِ وَالبَدَنِ، فَكَذَلِكَ فِي الأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ، وَالتَّقْوَى إِذَا تَعَسَّرَتْ رُجِيَ اليُسْرُ وَهُوَ وُجُودُهُنَّ، وَذَلِكَ تَمْثِيلٌ أَوْ كِنَايَةٌ» [2].

يستعمِلُ أطفِيَّش مصطلَح "تمثِيل" لأغراضٍ مختلفة يكمِّل بعضُها بعضاً فِي نسجِ الصُّورة المفهُومِيَّة لهذَا المصطلَحِ.

والتّمثِيلُ عندهُ يعنِي تقريب المعنى بما يشبهه فِي الواقعِ، ولا يكون واقعا في الحقيقَة. وقد تجسّد هذا في نصوصٍ مختلفة أورد فيها المصطلح، كقولِهِ «وإنَّهُ كانَ في ظِلِّ غَمامَةٍ

(1) تخليص العاني [18و].

(2) إجابة الدعوة [9ظ].

ناشِئَةٍ مِن اعتِدَالِه، كأنّها أخَذَتْ مِنْه، والقَصْدُ المبَالَغَةُ في كَمالِهِ حتَّى صَلُحَ لِأَنْ تأْخُذَ الغمَامَةُ منْهُ ثُمّ تُظِلُّه، فلَا يعْترضُ علَيْهِ بأَنَّ كلامَهُ يقْتَضِي أنَّهُ تَمْثِيلٌ، فيُخَالِفُ ما شُوهِدَ مِنْ تظْلِيلِ الغمَامة»[1]. يعنِي أنّ قصْدَ المبالغة لا ينفِي حدوث تظلِيلِ الغمامةِ للنَّبِيءِ ﷺ، فيُقالُ إنّ ذلِكَ تمثِيلٌ لكمالِه ﷺ وإن لم يقَعْ.

ويستعمَلُ لفظ "التَّمثِيل" لغَرَضٍ آخَر، وهو خارِجٌ عن الاصطلاحِ البلاغِيّ، وإن كان يشارِكُهُ قصدَ الإفهام[2]، نلمسُهُ فِي قولِهِ: «"شَاة" و"شَارِف": بِالْإِفْرَادِ والتَّنْكِيرِ تَمْثِيلٌ بِالوَاحِدَة، أو اسْتَعْمَلَ النَّكِرَةَ فِي الْعُمومِ الشُّمُولِيّ معَ الإِثْبَاتِ علَى القِلَّةِ»[3]. يقصِدُ بهِ العيِّنة التِي يصدُقُ الحكمُ عليها وعلى جمِيعِ جنسِها. وفِي قولِهِ: «وحَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ: كانَ الْجِنُّ يسْتَمِعُونَ الْوَحْيَ، فيَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ فيَزِيدُونَ معَهَا عَشْراً أَيْ: بَعْضٌ يزِيدُ عشْرًا، وبَعْضٌ مِئَةً **مثَلاً**، وتَارَةً تَكُونُ الزِّيَادَةُ عشْرًا وتارةً أَكْثَرُ، بَلْ ذَلِكَ **تَمْثِيلٌ**، فقَدْ يَزِيدُون أَقَلَّ مِنْ عَشَرَةٍ أَوْ مِنْ مِئَة»[4].

وسَوق المثالِ فِي النّصِّ السّابِقِ، على ارتباط العسر البدنيّ بالتَّيسِير والشِّفاءِ، يماثلهُ اليُسرُ المقرون بتعسُّرِ التَّقوى، وإتيان الأعمال الصّالحة، هذه المماثلة لا تعنِي استلزام العسر البدنِيّ لعسرِ التزامِ التَّقوَى والأعمال الصّالحة، رغم أنَّ النّاظِمَ دَلَّ عليْهَا برَبْطِ نحولِ الجسمِ بِالذُّنوبِ وهجران التَّوبة، فإعمالُ الكناية لا يقتضِي وجود المكنَّى بهِ حقِيقة[5]، وإنّما غرضها إثبات المكنّى.

---

(1) إجابة الدعوة [137و]. وينظر النَّصّان: [228و] و[234و].

(2) يعضُدُ هذا قوله «وأيْضاً لَعَلَّهُ تَمْثِيلٌ بما يَسْهُلُ فهْمُهُ". إجابة الدعوة [74و] وقوله «وإنْ قُلْتَ: كَيْفَ يمْلَأُ الطّسْتُ بالْإِيمانِ؟ قُلْتُ: ذَلِكَ تَمْثِيلٌ مَجَازِيّ أَوْ تَمْثِيلُ الْمَعَانِي، وَقَعَ كَثِيراً، وَأَجَازَ قَوْمُنا تَجَسُّدَ الْمَعَانِي، وجعَلُوا مِنْهُ تَمْثِيلَ الْمَوْتِ بالْكَبْشِ ووَزْنَ الْأَعْمَالِ، وفَائِدَتُهُ كشْفُ الْمَعنَوِيّ بِالْحِسِّي». (م، س) [212و].

(3) (م، س) [111ظ].

(4) (م، س) [106و]. وفي نصٍّ آخَر مشابهٍ لهذا يقول «وَخَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ تَمْثِيلٌ لِأَنَّه لَا أَوَّلَ لِعِلْمِ اللهِ ﷻ، أَوْ أَرَادَ أَنَّهُ كتبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وأَنَّهُ خلق قَبْلَ السَّمَاوَاتِ» (م، س) [95و].

(5) صرَّح بذلِك أطفِيَّش بقولِهِ «وَلَا يَلْزَمُ فِي الكِنَايَةِ وَجُودُ المعْنَى الموْضُوعِ لَهُ اللَّفْظُ» (م، س) [18ظ].

رغمَ ورودِ مصطلح "الكناية" أكثر من عشر مرّات في الكتابِ بتصارِيفِهِ (كناية– كنّى– كنية) إلّا أنّ نصوصَهُ لم تتمخَّضْ بإشكالٍ يعالِجُ المفهوم بعمقٍ. وعلى هذهِ الحال معظم المصطلحات البلاغِيَّة والفنِّيَّة.

لا يقِفُ التَّدقِيق في استعمال المصطلح البلاغِي على وجهٍ واحِدٍ، فاختلاف المصطلحات وتعدّدها لا يستلزم تناقضها؛ وإنّما اختلافٌ دقِيقٌ يدعو إلى هجرِ مصطلحٍ واستبداله بالذِي يؤدِّي المعنَى المقصود بشكلٍ أدقّ. فما كانَ قرنُ أطفِيَّش بين المصطلحَيْنِ (تمثِيل، كناية) إلّا لاشتراكِهما فِي عدمِ لزومِ إرادة المعنَى الموضوع لهُ اللَّفظُ، وإنّما الغايةُ هِي ما يستلزِمهُ. وفي شرحِ البيتِ الآتِي سيتجلَّى وَجْهٌ آخَرُ مِن التَّفرِيق بين المصطلحات البلاغِيَّة. قال النّاظِمُ:

فَقَامَ لَهُ جِبْرِيلُ فَحْلاً فَلَوْ دَنَا إِلَيْكَ لَأَفْنَاهُ بِأَيْسَرِ أَكْوَانِ

قالَ أطفِيَّش «وفَحْلًا": تَشْبِيهٌ **ويَجُوزُ** كَوْنُهُ اسْتِعَارَةً [186ظ] ولَوْ ذكِرَ المُشَبَّهُ الذِي هُوَ جبرِيلُ؛ لِأَنَّ المرَادَ حَيَواناً فَحْلاً. وحَيَوَان المُسْتَعَارُ لَهُ نعْتُ "فَحْل" غَيْرُ مذْكُورٍ، علَى مُخْتَارِ السَّعدِ[1] فِي قَوْلِكَ: زَيْدٌ أَسَدٌ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ زَيْدٌ رَجُلٌ كَأَسَدٍ، فأُعِيرَ أَسَدٌ لِـ"رَجُل" وهُوَ غَيْرُ مَذْكُورٍ، ولَوْ أُرِيدَ بِهِ الْمَذْكُورُ وهُوَ زَيْدٌ» [2]. لم يصرِفْ أطفِيَّش العبارة "جبرِيلُ فحلاً" عن صِيغةِ التَّشبِيهِ إلّا لغايةِ توضِيحِ الفرقِ بينهُ وبينَ الاستعارةِ، الكائِنِ فِي صَرْفِ اللَّفظِ عمّا وُضِع لهُ إلى غيرِهِ لعلاقة المشابهةِ[3].

إنَّ مجِيءَ العبارة على صِيغة الإخبارِ بالحالِ، لم تبعدهُ عن صِيغة التّشبِيهِ[4]، فأركانهُ واضِحةٌ، ولكنّ إرجاع "الفحل" إلى الحيوانِ، نبّهَ على سلوك النّاظِمِ مسلَكَ الاستِعارةِ فِي صورتِهِ، واستعمال لفظِ "الجوازِ" تلمِيحٌ إلى اختيارٍ مبنِيٍّ على رأيٍ غيرِ متَّفقٍ عليهِ، فصّلهُ

---

(1) سعد الدين التفتازانِي صاحب شرح تلخيص المفتاح في المعاني والبيان.

(2) إجابة الدعوة [186و] و[186ظ].

(3) ممّا يضِيءُ مفهوم التّشبِيهِ عند أطفِيَّش قوله «ثمّ لا مانِعَ مِن أن تُشبّه الألفاظُ مِن حيثُ إيصالها إلى المعانِي بابِ الأجسامِ مِن حيث إيصالهُ مِن ظاهِرٍ إلى باطنٍ فقط، إذْ لا يلزمُ في التّشبِيهِ أن يكونَ مِن كلِّ وجهٍ» شرح شرح أبِي سليمان التلاتِي على الأجروميَّة، أمحمّد أطفِيَّش [1ظ].

(4) يقِرُّ أطفيَّش أنَّ التّشبِيهَ قد يقعُ لأدنَى مقاربة، قالَ: «قُلتُ: يَكْفِي فِي التَّشْبِيهِ الِاشْتِرَاكُ فِي صِفةٍ ما، هِيَ هُنَا الشِّدَّةُ والقُوَّةُ، وهُوَ المرادُ هُنَا [153ظ] وفِي الجُلجُلِ جِهَةُ طَنِين، وقَدْ قيلَ التَّنفِيرُ والزَّجْرُ مِنْ أجْلِهِ ولَا طَنِينَ فِي الوَحْيِ، ولَكنْ وَقَعَ التَّشْبِيهُ بِمَا يَفْهَمُ السَّامعونَ». إجابة الدعوة [153و].

أطفِيَّش بمثالِ "زيد أسدٌ" حتَّى لا يمنعَ من النَّظرِ فِي المعانِي المنطوِية على هذا "الاختيار" كما سمّاهُ.

ب- الانتِقاءُ والاختيار:

لا يعطِي الشَّارِحُ الصُّور الشّعرِيَّة في القصِيدة نفسَ الدَّرجة من الاهتمام، فتراهُ يتجاوزُ صورا كثِيرةً لا يتعرَّضُ لها بالشَّرح والتَّوضِيح؛ إمّا لأنَّهُ لا يُلقِي لها بالا، كأن تكونَ صوراً باهتةً بارِدة أَلِفَ الشّعراءُ استعمالَها وتوظِيفها في مواقِف متشابهة، فصارتْ عند المتلقِّي معروفة الأركانِ، ويدرِكُ دلالاتِها دونَ حاجةٍ إلى شرحٍ أو توضِيحٍ أو بيانٍ. أو أنَّهُ يذكُرُ وقوعَ هذه الصُّورة دونَ مزِيدِ توضِيحٍ أو شرحٍ ببيانِ أركانِها وكيفِيَّة إجرائِها.

إنَّ الشَّارِحَ يُلزِمُ نفسهُ بعد إجمالِ المعانِي العامَّة للبيتِ بَسط هذه المعانِي وتوضِيحها، باستعمالِ المصطلحات والمفاهِيم العلمِيَّة لعلومِ اللُّغة المختلفة، فمثلُ هذه المرحلة تغِيبُ عند معالجة بعض الصّور البيانِيَّة، فلا تلقاهُ يتطرَّقُ إليها بالتّحلِيلِ باستعمال مصطلحات العلومِ، وإنّما يقفُ عندَ حدِّ إيضاحِ المعنَى، وربطهِ بالبيتِ المتضمِّنِ للصُّورةِ، نجده في شرحِ البيتِ:

وَإِنْ لَمْ تَكُنْ أَهْلاً لِلَثْمِ تُرَابِهَا فَمِنْ شَأْنِهَا الإِغْضَاءُ عَنْ كُلّ

يقولُ: «إِنْ دَخَلْتَهَا وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى الاِجْتِهادِ الأَقْصَى **الشَّبِيهِ** في الشِّدَّةِ بِتَقْبِيلِ التُّرابِ، أو الاِجْتِهادِ الأَقْصَى المتَوَلِّدِ مِنهُ أَنْ تُقَبِّلَ تُرَابَها، لِمَزِيدِ الحُبِّ أَقَالَتْ زَلَّاتِكَ أَيْضاً»[1].

إنَّ الشّارِحَ بهذا التَّصنِيف يضمِّن كلامهُ أحكاما على الصُّور البيانِيّة فِي القصِيدة الذي خلا منها الشَّرحُ، فالمفتَرضُ أنّ ما يهتمّ بهِ لفضلٍ ومزِيّة فِيه على ما أعرَضَ عنه. كما أنّهُ يُلقِي ظلالا على ملامِحِ المتلقِّي الّذِي يرسِلُ إليهِ أطفِيَّش هذا الكتاب؛ فهو متلقٍّ يتميّزُ بنصِيبٍ مِن علوم اللُّغة، يؤهِّلهُ لفهمِ الخطابِ المقدَّمِ إليهِ، ويبنِي مِن خلالِهِ فهمهُ للقصِيدةِ.

(1) إجابة الدعوة [24ظ].

وهذا مقصودٌ غايتهُ الاشتراكُ فِي إنتاجِ المعنَى، فالمؤلِّفُ لا يستحوِذُ بهذا المطلبِ لنفسِهِ فقطْ.

إنَّ هذا اختيارٌ منهجِيٌّ صائبٌ يتماشَى مع مسلكِ الاختصارِ الذي صرَّحَ به أطفِيَّش في أوَّل الكتابِ، كما يتضمَّنُ اقتصاداً فِي الشّرحِ؛ باستهدافِ ما يُشكِلُ دونَ غيرِهِ لتكونَ للشَّرحِ قِيمة مضافة يلتمِسُها القارِئُ، وتُسهِمُ في بنائِهِ المعرفِيّ وارتباطهِ بغايات القصِيدةِ.

3- وقفات أسلوبِيَّة:

أعنِي بالأسلوبِيَّة في هذا المقام العناية بِأسلوبِ الكلامِ والاجتهادُ فِي إتيانِهِ بشكلٍ يتوافقُ ومتطلَّبات المقامِ، فالوقَفَاتُ الأسلوبِيَّة هِي ما يقدّمه شارِحُ الشِّعرِ، أو النَّاقِد من ملاحَظات على بنيَةِ الكلامِ وأغراضِهِ التي يرمِي إليها بالنَّمطِ المخصوصِ، من خلالِ النَّظرِ فِي توظِيفِ لفظٍ دون لفظٍ آخَرَ ممّا يُتاحُ من خياراتٍ، وكذلِكَ تحدِيد أنواع الأساليِبِ بين الاستفهام والإخبار والتَّوكِيد والتَّعجُّب، وبيان مقصدِها البلاغِيّ.

تنبِئُ هذه الوقَفَاتُ عن حسٍّ بلاغِيّ، يوقَفُ مِن خلالِهِ على الإمكانات المعنوِيّة لتراكِيبِ القصِيدةِ بالمقارنة معَ غيرِها من التّراكِيبِ الممكنة، إنَّها تُضِيءُ زاويةً مِن مفهوم اللُّغة عند أطفِيَّش تتعلَّقُ بِالمستويات اللُّغوِيّة وَاعتمادِ مقولَةِ الأَصْلِ والفَرْعِ. وتقدِّم التّطبيقات الآتيَة أوجها من التّعامل الأسلوبِي لأطفِيَّش مع القصِيدة المشروحة:

أ- موازنة بيْنَ الاختيارِ وما عُدِل عنهُ:

يضعُ النِّظامُ الشّعرِيّ الشّاعرَ فِي سياجات تختلف عن مثِيلِها فِي لُغَة النَّثرِ لا تقتصِرُ فقطْ على الرّغبةِ فِي إصابة معانٍ معيّنة، وإنّما مِن غاياتها أيضاً إيقاع المعانِي المختلفة باللّفظِ الواحِدِ. ولقد أسْفرَ البحثُ فِي هذا السِّياقِ في كتابِ "إجابة الدّعوة" عن اقْتِناصِ نصوصٍ بيَّن فِيها الشّارِحُ اختيارات النّاظم ووَقفَ علَى الدَّواعِي البلاغِيّة لهذه الاختيارات، وقَد اختلفتْ في طبِيعتِها بينَ الاختيارات المعجمِيَّة والاختياراتِ الصّرفِيَّة، كما اختلفتْ فِي

طرِيقة معالجتها بين الإطنابِ والاختِصارِ، وجمعها جامعُ البَحْثِ عنِ الدّلالة القرِيبة والبعِيدة. وَمِنْ خِلالِ التَّطبِيقات التّالِية سَتتبيَّنُ النّظرة الّتِي تحكُمُ معالجة أطفِيَّش لاختيارات النّاظِمِ.

لقدْ نَبَّهَ أطفِيَّش في جملةٍ من النُّصوصِ إلى اختيارِ النّاظِمِ ألفاظاً تأدِيةً لمعانٍ محدّدة، مقدِّما في بعضِها العلَّة الصّارفة لغيرِها، أو القاعدَة المحدّدة لهذا الاختيارِ، كتعلِيلِهِ لاختيارِ لفظِ "الرَّحمن" على غيرِهِ من أسماءِ اللهِ الحسنَى، في قولِ النَّاظِمِ:

ولَمَّا أَظَلَّتْ مُدَّةُ الْمَوْلِدِ الذِي بِهِ نَوَّرَ الرَّحْمَنُ أَلْبَابَ عُمْيَانِ

قال «**واخْتَارَ** لَفْظَ "الرَّحْمَنِ" إِيذَاناً بِأَنَّ إِرْسَالَهُ ﷺ رَحْمَةٌ لِأَهْلِ فَتْرَةٍ عمت، ومَنْ يَأْتِي بَعْدُ، إِلَّا مَنْ أَبَى. والرَّحمَنُ: مُرِيدُ الإِنْعَامِ أَو المُنعِمُ، فَالرَّحْمَةُ صِفَةٌ لهُ ﷻ أو فِعْلٌ لَهُ» [1]. وتعلِيل الاختيَارِ كان اعتمادا على الاقتباسِ مِن قولِهِ تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[2]، وبهذا الاستحضار لهذا الاقتباس تتحقّق غاية الإبلاغِ، ويؤدّى المعنى المقصود.

وفِي نَصٍّ آخَرَ يحمِلُ نفسَ الغرَضِ مِن تعْلِيلِ اختيارِ ألفاظِ النَّاظِمِ في قولِه:

لَقَدْ رَفَعَ الرَّحْمَنُ ذِكْرَكَ فَاغْتَدَى يُقَارِنُ ذِكْرَ اللهِ فِي كُلِّ الأَزْمَانِ

قال «وذَكَرَهُ باسْمِ الرَّحْمَةِ، **لِرَغْبَتِهِ** فِي الرَّحمةِ»[3]. وفِي هذهِ الحالِ فإنّ تعلِيلَ الاِخْتِيَارِ قائمٌ علَى تحقِيقِ غَرَضِ القصِيدةِ، وهو الوقوفُ بيْن يدي اللهِ تعالى طلبا للمغفرة والصَّفحِ من الذُّنوبِ.

---

(1) إجابة الدعوة [90ظ] و[91و].

(2) سورة الأنبياء: 107.

(3) (م، س) [77و].

وعلى المسْتَوَى الصَّرفِيّ برزتْ مجموعة من النُّصوصِ، بَيَّن فِيها الشّارِحُ إسهامَ صِيغِ الإفراد والجمع[1]، والتّذكِير والتّأنِيث، والتَّعرِيف والتّنكِير، في تأدية المعنَى على حسابِ الصِّيغ المعدولِ عنها، رغمَ إمكانِ تحقِيقِها للوزنِ المطلوبِ. مِن ذلِكَ قولُهُ فِي شرحِ البيتِ:

وَعِنْدِي يَمِينٌ لاَ يَمِينُ بِأَنَّ فِي يَمِينِكَ وَكْفاً حَيْثُ حَاجَةُ ظَمْآنِ

قال: «"يَمينُ" الثَّانِي: فعْلٌ مضَارِعٌ مرْفُوع منْفِيٌّ بـ: لَا؛ يُقالُ: مانَ يَمِينُ أيْ كَذَبَ يكْذِبُ. وجملَتُهُ معَ فاعِلِهِ المسْتَتِرِ نَعْتٌ لِـ"يمين" الأَوَّل. والضّمِيرُ فِيهِ عائِدٌ إلى الأَوَّلِ؛ لِأَنَّ اليَمِينَ يُذَكَّرُ ويُؤَنَّثُ، تقدَّمَ أو تأخَّرَ، وكذا الإصبَعُ **واخْتَارَ** التَّذكِيرَ؛ ليَكُونَ الجِنَاسُ التَّامُ»[2].

إنّ الانسجام الصّوتِيّ يحرزُ اختياراتِ النّاظِمِ، ويوجِّهُهُ إلى أخذِ ما يحقِّقُ ذلِكَ؛ طلَباً للمتعَةِ الفَنِّيَّةِ والدّلالِيّة التي تجسّدتْ فِي الجناسِ بينَ لفظتيْ "يمِين" المؤدّيتين لمعنيَيْنِ مختلفَيْنِ. ولتأكِيدِ هذا الاختيارِ ربطَ أطفِيَّش البيتَ بالذِي قبلَهُ إشارة إلى كلمة "الإصبع" الذي تشترِكُ مع "يمين" فِي إمكانِ التّذكِيرِ والتّأنِيثِ معاً، فتتحقّقُ بهذا مقصدِيَّة النّاظِمِ إلى إحداثِ هذا الانسجامِ الصّوتِيّ، باختيارِ التّذْكِيرِ على التّأنِيثِ رغمَ عدمِ خرقِ أحدِهما لوَزْنِ البيتِ.

وفِي توجِيهٍ بدِيعٍ لقول النّاظِمِ:

تَنَوَّرْ بِهَا وَاقْصِدْ بِذُلٍّ فَإِنَّهَا تُقِيلُ بَنِي الزَّلاَّتِ مِنْ حَرّ نِيرَانِ

يؤكّد أطفِيَّش دلالة البيتِ ويحقِّق مقصَدَهُ بإحاطة الإنسانِ العاصِي يومَ القيامة بالنِّيران من كلِّ جانبٍ، لا يشترِكُ معهُ فِي عذابِهِ أحدٌ، وكأنَّ النّارَ قد أعدّها اللهُ له وحدهُ. قال: «وَجَمَعَ النَّارَ؛ لِأَنَّ لِكُلِّ شَقِيٍّ جُزْءاً مِنَ النَّارِ هُوَ نَارٌ، بَلْ لِكُلِّ وَاحِدٍ نِيرَانٌ، فَإِنَّ النَّارَ الْوَاحِدَةَ لَهَا أَجْزَاءٌ؛ كُلُّ جُزْءٍ هُوَ نَارٌ، وَأَيْضًا تَتَّقِدُ مِنْهُ نِيرَانٌ مُتَعَاقِبَةٌ»[3].لمْ يُمكِن للنّاظِمِ استعمال صيغةِ الإفراد؛ لتقيّدهِ بقافية النُّونِ، وهذا القيدُ أعطَى دلالةً إضافِيَّة اقتنصها الشّارِحُ وبيَّن ظلالها على المعنَى العامّ وخدمتها لمقصدِ النّاظِمِ.

---

(1) إجابة الدعوة [91و].

(2) إجابة الدعوة [162و].

(3) (م، س) [24ظ].

لقد كان للعبارتينِ "لو قالَ" و"اختار" دلالة على موازنة أطفِيَّش لتراكِيب القصِيدةِ، مع ما يقدِّمه النِّظامُ اللُّغوِيّ مِن احتمالاتٍ؛ تمييزاً لاختيارات النّاظِمِ، وإظهاراً لدلالتها التِي لا تتحقّقُ بغيرِها، يستعِينُ في ذلِكَ بِنظام اللّغةِ نفسِهِ المعتمِدِ على القرائن الحالِيَّة والمقالِيَّة. وقد برزَ مِن ذلِكَ حسبَ النّماذِجِ المعروضةِ الانسجام الصّوتِيّ والاقتباس وكذا القواعِدُ اللُّغوِيَّة، وبذلِكَ ينتصِرُ للنّظرةِ التِي تطلبُ الدّلالة مِن تراكِيبِ القصِيدة الموافقةِ لقواعِدِ النَّظمِ دون اللُّجوءِ إلى التّأوِيلِ بلا مبرّرٍ ودلِيلٍ.

ب- المَعانِي البلاغيّة للأساليبِ:

لَم يولِ أطفِيَّش اِهتماماً كبِيراً لمعانِي الأساليبِ، غَيْرَ نصٍّ قالَ فِيهِ: «وَنَادَى الوَيْحَ لِيَحْضُرَ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ الوَقْتَ وَقْتٌ يَحِقُّ أَنْ يَحْضُرَ فِيهِ، هَذَا وَجْهُ اللَّفْظِ، وَأَمَّا المرَادُ فَالتَّحَسُّرُ وَالتَّضَجُّرُ مِنَ الذُّنُوبِ»[1] موضِّحاً الدّلالَة المرادَةِ مِن أسلوبِ النِّداءِ بطرِيقةٍ لا توحِي بوجودِ رغبةٍ في تفصِيلِ هذا المعنَى، والنَّظرِ فِيما يقابلهُ فِي الواقعِ؛ أعنِي البحث فِي الدّلائل والقرائن الدّالة على إرادة هذا المعنَى، ورَدِّ غيرِهِ من المتبادَرِ من لفظِهِ. لكنَّهُ أبرزَ في نصوصٍ أخرَى اختيارَ النّاظِمِ لأسلوبٍ على آخرَ[2] أخصُّ منها اختيارَ الإظهار على الإضمارِ في محاولةٍ لِتَوضِيحِ الإمكانات الدلالِيَّة لهذَا العدولِ. قال في شرحِ قولِ النّاظِم:

وَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَصَّلْتَ زَاداً مِنَ فَزَادُ التُّقَى يَفِي بِأَفْضَل أَوْطَانِ

قالَ: «"أَفْضَلِ أَوْطَانِ": المَدِينَةُ أُظْهِر فِي **مَوْضِعِ** الإِضْمَارِ؛ لِيَصِفَهَا بِأَنَّهَا أَفْضَلُ الأَوْطَانِ، **ومُقْتَضَى الظَّاهِرِ** أنْ يقُولَ: يَفِي بِهَا»[3].

وفِي شرحِ البيتِ:

لَقَدْ رَفَعَ الرَّحْمَنُ ذِكْرَكَ فَاغْتَدَى يُقَارِنُ ذِكْرَ اللهِ فِي كُلّ الَازْمَانِ

---

(1) إجابة الدعوة [7ظ].

(2) ينظر نصٌّ آخَر: (م، س) [76ظ].

(3) (م، س) [24ظ] و[25و].

قالَ: «**وأَظْهَرَ** اسْمَ اللهِ، وهُوَ لفظُ الرَّحمنِ، لِأَنَّ الاِسْمَ الْمُقْسَمَ بهِ مَحْذُوفٌ تقْدِيرُهُ واللهِ. وذَكَرَهُ باسْمِ الرَّحْمَةِ؛ لِرَغْبَتِهِ فِي الرَّحمةِ، ولَوْ **أُضْمِرَ** لعُلِمَ مِنَ المقامِ، لكنَّ الإظهارَ **أوضَحُ**. ولو ذَكرَ المقسَمَ بهِ لكانَ الإظهارُ أيضًا **أَوْلَى**؛ بِأَنْ يقُولَ: واللهِ لَقَدْ رَفَعَ الرَّحمنُ، لأَنَّ الْأَصْلَ أن لَا يَرْجِعَ الضَّميرُ مِنْ جُمْلَةِ جَوَاب الْقَسَمِ إِلَى الْمُقْسَمِ بهِ»[1].

إنَّ ردَّ التَّركِيبِ إلى الأصلِ الذِي ينبغِي أن يكونَ عليهِ ينبنِي على تقدِيرات واعتباراتٍ لقواعِد النَّظمِ، أظهرَ منها الشَّارِحُ في النَّصَّينِ ما يتعلَّقُ بأسلوبِ القسَمِ، لكنَّ العدولَ في النّصّ الأوّل لم يكن إلّا لاعتبار الوزنِ والقافيةِ، وإلّا كانَ إطنابا في موضعِ الإضمار، والشّارِحُ أخرجَ ذلِكَ بمخرَجٍ دلالِيّ طلباً للتّوسُّعِ وَالاستفاضة. لقد أبرزَ مفهومَا الإظهار والإضمارِ مكنوناتِ الأبياتِ من خلالِ الموازنةِ بينَ اختيارِ النّاظِمِ، وَما يُمكِنُ أنْ يكونَ عليهِ التَّركِيبُ[2].

فِي الأخِيرِ: إنَّ الحضورَ الأسلوبِيّ لم يقتصِر على النُّصوص المقدّمة وإنّما شمِلَ أيضا التَّلوِيح[3]، والإشارة[4]، والالتفاتَ[5]، في نصوصٍ أعرضتُ عنها لتحقِيقِها نفس الملاحظات المقدّمة على ما سبَقَ مِن النُّصوصِ، رغم اختلافِ المواضِيع والآلِيّات، وقد قوّت السَّعْيَ الذِي رسَمَهُ الشّارِحُ لنفسِهِ في محاولاتِهِ إخراجِ دلالات ألفاظِ الأبياتِ مِن المنطوقِ إلى المفهوم، وتقطِيرِ المعانِي اتّباعاً لنسَقِ الشَّرحِ. إنَّ في القدرِ الذِي عرضتُهُ تسلِيطاً للضّوءِ على هذا المجالِ الحيوِيّ من مجالات البلاغة العربِيَّة.

المطلَب الثّالِث: القضايا العروضِيّة في شَرْحِ نُونيَّة المديحِ:

النُّصوص التِي تعلَّقت بهذا الفَنّ لم تحمِلْ قضايا أساسِيَّة يقدِّمُ فِيها أطفِيَّش إسهاماً، وغاية ما فِي ذلِكَ أن يعالِجَ اختيارَ النّاظِمِ كلمةً دونَ أخرى لمقصد الحِفَاظِ على الوَزْنِ، أو

(1) إجابة الدعوة [77و].

(2) سبقَ التَّنبِيهُ إلى النّصِّ فِي مباحث النَّحو، ينظر هناكَ.

(3) إجابة الدعوة [76ظ].

(4) (م، س) [98و] و[100ظ].

(5) (م، س) [162و].

يعدِل عن صِيغة إلى أخرى للغرض نفسِهِ، أو أنْ يرْتكِبَ تجاوزا تحتِّمه الضَّرورةُ، كما يطلِقُ عليها في عِدَّة مناسباتٍ، كَصرف الممنوع من الصَّرفِ (الأعلام مثلا[1])، أو خرق قاعدة نحوِيَّة[2]، أو تغيِير رسم الكلمة لتحتمل الوزن المناسِب[3]، أو قصر الممدود[4]، وحذف مَا لَا يُسْتَغْنَى عنْهُ[5]. وبالمقابلِ قدْ نالَ مِن مجموعةٍ من المفاهِيم العروضِيَّة إعمالا وَتَوْظِيفاً؛ مِن أَجْلِ الوُقُوفِ على الدّلالاتِ المقصودةِ في الأبياتِ، وَحَلِّ الإشكالاتِ القائمة فِيها. أعنِي أن يحصُلَ على التَّوجِيهِ الصّحِيح الذي يُقِيمُ معنَى البيتِ، ويحصِّلُ الدّلالة المقصودةَ حسبَ التَّركِيبِ، كما يلحَظُ هذا في شرحِ البيتِ:

وَمَا زِلْتَ نُوراً سَاطِعاً فِي شُؤُونِهِ بِأَطْهَرِ أَصْلابٍ كِرَامٍ ذَوِي شَانِ

قالَ: «و"الشُّؤُون": جمْعُ شَأْنٍ، بهَمْزٍ سَاكِنَةٍ، إلَّا أَنَّهُ قالَ: ذَوِي شَان بالأَلِفِ، وهُوَ لُغَةٌ، فقد استَعْمَلَ لُغَتَيْن: لغَةَ الْهَمْزِ، إلَّا أنَّها فِي الْجَمْعِ، وهُوَ مُنْبَنٍ علَى الْمُفْرَدِ، ولُغَةَ الأَلِفِ خرُوجاً عَنْ سِنَادِ الرّدفِ، ولَوْ أَبْقَى الْهَمْزَةَ كانَ كَقَوْلِه:

إِذَا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مُرْسِلًا فَأَرْسِلْ حَكِيماً وَلَا تُوصِهِ
وَإِنْ بَابُ أَمْرٍ عَلَيْكَ الْتَوَى فَشَاوِرْ لَبِيباً وَلَا تَعْصِهِ

أَثْبَتَ الرّدْفَ فِي قَوْلِهِ: لَا تُوصِهِ، دُونَ قَوْلِهِ: لَا تَعْصِهِ»[6].

يعتبرُ سنادُ الرّدفِ من عيوبِ القافِية، ويستكرهُ لمخالفتهِ الجرسَ بَيْنَ الأبياتِ، أي المخالفة بين الحرف قبل الرّوِيّ، إذا كانَ واواً أو ياءً ساكنتينِ قبلهما حركة ليسَتْ مِنْ جِنسِهما، أو كان حرفَ مدٍّ، فيلزمُ حضورهُ فِي كلِّ الأبياتِ، وهذا تعلِيلٌ وجِيهٌ لاختيارِ النّاظِمِ الجمعَ بيْنَ اللُّغتينِ في بيتٍ واحِدٍ.

---

(1) إجابة الدعوة [3ظ] فِيه جرّ وتنوِين "مرّة" بالكسرة و[10و] فِيه تنوِين "جهنّم". و[77و] فِيه تنوِين "آدم".

(2) إجابة الدعوة [2و] فِيهِ تقدِيم معمول الحرف عليهِ. و[63و] فِيه تقدِيمُ معمول اسم التَّفضِيلِ عليهِ.

(3) (م، س) [1ظ] فِيه: تخفِيفُ نون "الجانّ".

(4) (م، س) [4و] فِيه قصر "الطِّلا". و[9ظ] فِيه قصر "الخطاء".

(5) (م، س) [5و] فِيه: حذف الجار والمجرور.

(6) (م، س) [93ظ].

وإذا كانت الظّواهر العروضِيَّة ظواهِر صوتِيَّة في الأساسِ، فإنَّهُ ومِن أجلِ تفسِيرها احتاجَ أطفِيَّش إلى ربطِ أوصالِها بمختلفِ المعارِف اللُّغوِيَّة، تجلَّى هذا في شرحِ البيتِ:

وَأَصْبَحَ عَامُ الْفِيلِ–مَحمُودٍ الذِي وُلِدْتَ بِهِ–الْمَحْمُودَ رَحْمَةَ رَحْمَن

قال: «وأَصْلُ "رَحْمَن": الرَّحْمَن، حَذَفَ "ال" لِلضَّرُورةِ، أو جعلَ لفْظَ "رحمان" بغيْرِ "ال" لا يختصُّ باللهِ جلَّ وعَلَا، فجاءَ بِهِ نكرَة للتَّعظِيمِ. وظاهِرُ إِسْقاطِ الألَفِ في **الخَطِّ** مِنْ بعدِ المِيمِ أَنَّهُ المقرونُ بِـ "ال" حُذِفَتْ للضَّرورةِ؛ لِأَنَّ الذِي يُخَفَّفُ فِي **الخَطِّ** قِيَاساً الْعَلَمُ الزَّائِدُ علَى أَرْبَعةٍ، ولَا بُدَّ مِنْ ثُبُوتِهِ لَفْظاً، وكفَى النُّطْقُ بِهِ فِي كَوْنِهِ رِدْفاً» (1).

لقد احتاجَ أطفِيّش لأجلِ إثباتِ الحذفِ في اللَّفظِ "رحمن" ليدلّ على أنّهُ المختصُّ باللهِ تعالَى، إلى المعارفِ الخاصّة بالضّبطِ ورسمِ المفرداتِ؛ فحذف الألف واللّام لاستقامة الوزنِ، وبهذا تظافرَ الوزنُ والرَّسمُ لأجلِ تحقيقِ غرَضِ النّاظمِ في الْبَيت.

(1) إجابة الدعوة [98و].

المَبحث الرّابع: الاستشهاد بالنّصوص اللّغوِيَّة:

أَقِفُ وَقْفةً فِي هذا المبْحَثِ لأبيّن ملحظاً أساسِيّاً تقومُ عليهِ فلسفة الشّاهِدِ في العربِيَّة، وهِيَ أنّ ما يحصُر هذهِ الأداة اللُّغوِيَّة هِي الحاجةُ إلى إقامة الدّلِيلِ على الرّأيِ المستنبَطِ، أو المُتبنَّى، مِن المشتغِلِ في اللُّغة (النّحوِيّ والبلاغِيّ...)؛ فلذلِكَ فإنَّ جملةَ ما يعرَفُ بمدوّنة الشّاهد في اللُّغة العربِيَّة تمثِّلُ رأس الجبلِ، الذِي يُشكِّلُ قاعدتَهُ كلُّ ما سمع مِن العربِ، فِي كلامهم وأداءاتهم اللُّغوِيَّة؛ فليسَ من المعقولِ أن يتمكّنَ مِن تدوِينِ كلِّ ما يقولهُ العربُ، ولكن يكفِي من ذلِكَ مثالٌ أو نموذجٌ سمِّيَ فيما بعدُ بالشّاهِدِ.

1- أهمِيَّة الشّاهِد في "شرْحِ نونِيَّة المدِيح"

إنَّ حضورَ "الشّاهِدِ" في كتابِ "إجابة الدّعوة" يتجلَّى فِي عدّة مواطِنَ، تبيّنُ الأهمّيَّة التِي أولاها لهُ الشّارِحُ. ينطلِقُ هذا مِن أساسِ اعتبارِ الشّاهِدِ وسيلة أساسِيَّة فِي عملِيَّة الاستدلالِ، لا يُستغنَى عنها، ليس فقط فِي المناقشات اللُّغوِيَّة الصّرفة، وإنّما يحضُر الشّاهِدُ اللُّغوِيّ فِي التّفسِيرِ، وشرحِ الحدِيثِ، والمعانِي، والنّحو، والصّرف، والبلاغة، كما يختلف بحسب الحاجة؛ بَيْن النّصّ القرآنِيّ، والحدِيثِيّ، والشّعر، والنَّثرِ، وكلام العربِ. وقد يستعملُ الشَّارِحُ أكثرَ مِن شاهِدٍ في مسألةٍ واحدة، على الوجهِ الذِي سيأتِي بيانهُ في تحلِيلِ جُملةٍ مِن النّماذِجِ الموضِّحة.

2- صور الشّاهد في "شرح نونِيّة المدِيح"

اجتمع في كتابِ "إجابة الدّعوة" مختلف النُّصوص العربِيّة، التِي يستشهدُ بها لإقامة الحجّة على المسائل المناقشة. فقد استقَى أطفِيَّش شواهدهُ مِن القرآن الكرِيم والحدِيث النَّبوِيّ من الشَّعر والنَّثر، ومن كلام العربِ الفصِيحِ.

أ- القرآن الكريم:

حَظِيت الآيات القرآنيّة بِحضورٍ مكثَّف في نصوصِ "شرح نونيَّة المدِيح"؛ لكثرةِ الآيات الواردة في الكتابِ لأغراض غيرِ الاستشهادِ. لقد دار استعمال الشّاهد القرآنيّ في فلكِ البحثِ الدّلاليّ، حتّى غدا مستندَ أطفِيَّش في تحديد وتوضِيحِ وتأكِيد[1] معانِي الأبيات والنُّصوص التِي يشرحُها، كقولِه في شرحِ قول النَّاظم:

وقيلَ لَهَا لِلْأُنْس: آمِنَةُ ابْشِرِي بِحَمْل رَسُولِ الله آمَن إِنْسَانِ

بأنَّ «رَسُول اللهِ فَائِق كُلِّ إِنْسَانٍ فِي الْأَمْنِ يَوْمَ القِيَامَةِ؛ إِذْ كُلُّ نَبِيءٍ يَقُولُ: نَفْسِي نَفْسِي وهُوَ يَقُولُ: أُمَّتِي أُمَّتِي، وفِي الدُّنْيَا حِينَ قَالَ اللهُ ﷻ لهُ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[2]»[3] مقتصِراً بذلكَ على موضِعِ الاستشهادِ من الآية دونَ سِواهُ، كما في أغلبِ استشهاداتِه. ولم يستغنِ أطفِيَّش عن الشّاهد القرآنيّ في القضايا النّحوِيَّة والصّرفِيَّة[4]. ووقع أن استشهدَ بقراءاتِه في موطنٍ واحدٍ؛ ليثبِتَ بقاءَ الفعل الماضِي على ماضويّته، قالَ: «وزَعَمَ بَعْضُ أهلِ العلْمِ أنَّ المرادَ بالآيَةِ الْوَعْدُ بالِانْشِقاقِ يَوْمَ القِيامةِ؛ فانْشَقَّ بِمعنَى يَنْشَقُّ، ذُكِرَ بالمضِيّ لتحقُّقِ الوُقُوعِ. والصَّحيحُ مَذْهَبُ الْجُمْهُورِ مِنْ تَقَدُّمِ انْشِقاقِهِ في زَمَنِهِ ﷺ...ويَدُلُّ لَهُم أيْضاً قِرَاءَةُ: "وَقَد انْشَقَّ الْقَمَرُ[5]"»[6].

ب- الحدِيث الشَّرِيف:

كان الأغلَبُ على حضور الحدِيث الشَّرِيفِ في الاستشهادِ الأغراض الدّلالِيَّة والمعنوِيَّة، عل الوجهِ الذِي ستظهره النّماذِج فيما يأتِي، ولكنّ أطفِيَّش استدلّ بهِ أيضاً في

---

(1) ينظر: إجابة الدعوة [5ظ] و[77ظ] و[89ظ] و[116و] و[206و] و[218ظ] وغير ذلِك.

(2) سورة المائدة: 67.

(3) إجابة الدعوة [97ظ].

(4) ينظر: (م، س) [78و] و[78ظ] و[143ظ].

(5) هِي قراءة حذيفة. ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبِي، 125/17.

(6) إجابة الدّعوة [183ظ].

قضِيّة نحوِيَّة في قولِهِ: «ورُوِيَ: ((أَنَّهُ ﷺ أُعْطِيَ قُوَّةَ بِضْعٍ وأَرْبَعِين رَجُلًا منْ أَهْلِ الْجَنَّة))[1] فتَزِيدُ قُوَّتُهُ علَى أَرْبَعَةِ آلافِ رَجُلٍ، ولَمْ يُبَيِّنْ قَدْرَ الزَّائِدِ؛ لأَنَّ الْبِضْعَ مِنْ ثَلَاثَةٍ لِعَشَرَة. وفِيهِ تَقْوِيَةُ مذهَب بَعْضِ مَشَايِخِ اللَّفْظِ، فِي جَوَازِ استِعْمَالِ الْبِضْعِ فِيمَا زَادَ علَى الْعِشْرِينَ»[2].

ج- الشّعر والنَّثر وكلام العربِ:

يجْمَعُ هذا القسم مِن الشّواهِدِ أنّهُ المسموع عن العربِ الموثوق بعربِيّتهم[3]، سواء كانت سلِيقِيّة كالعربِ الأقحاحِ، أو الذِين تمرّسوا بلسانهم، فغدوا يتكلّمونَ على نحوهِم، ولهذا فقد عادَ أطفِيَّش إلى مدوّنات غيرِ جاهلِيَّة؛ نظراً إلى أنّهُ في موقعِ استدلالٍ، وليس في موقعِ تقعِيدٍ يحتاجُ فِيهِ إلى السّماع المباشِرِ ممّن سليقتهم العربِيّة. فيكفِي أن يكون القائل ممّن امتلك ناصية اللُّغة، ليؤخذَ بِقولِهِ دلِيلاً على صحّة التَّركِيبِ، أو استعمال اللَّفظة لمعنًى ما.

وفِي مسألة ثانية تتعلَّقُ بإغفالِ نسبة البيتِ إلى قائلِهِ، تمثَّلتْ عندَ أطفِيَّش في شكلَيْنِ؛ أن يذكُرَ القولَ بِصِيغةَ المبنِيّ للمفعولِ عند ذِكْرِ كلامٍ درَجَت العربُ على استعمالِه كقولِهِ: «يُقال كسبت الرَّجل»[4]، وقولِهِ «يقال في التّعظِيمِ: فلانٌ أيُّ رجل»[5]، ولا يُحدِثُ هذا إشكالا؛ إذ المقصودُ تعمِيمُ هذا النَّمط على أهل اللِّسان كلِّهِم. وفي الشَّكلِ الثّانِي وهو

(1) مسند الحارِث، حدِيث (944).

(2) إجابة الدعوة [200و] و[200ظ].

(3) يسوقُ هذا إلى الحدِيث عن الفصاحة، التِي هي شرطٌ لقبول الكلامِ واندراجه في النِّظام اللُّغوِيّ العربِي، وقد تطرّقتُ إلى جانبٍ منهُ حين الحدِيثِ عن تعدُّد اللُّغات في مبحثِ شَرْحِ المفْرَداتِ.

(4) إجابة الدعوة [147و].

(5) (م، س) [107ظ].

أيضا منتشِرٌ في الكتب اللُّغوِيَّة، أن يذكُرَ الشّاهِدَ غيرَ منسوبٍ إلى شخصٍ معروفٍ، كقوله: «كَمَا قِيلَ: اشْتَدِّي أَزْمَةُ تَنْفَرِجِي»[1]، وَ «قَالَ الشَّاعِرُ: [الطّوِيل]

فَلَا تَجْزَعًا إِنْ أَظْلَمَ الدَّهْرُ مَرَّةً فَإِنَّ اعْتِكَارَ اللَّيْلِ يُوذِنُ بِالْفَجْرِ[2]

ينبِئُ عن كثرةِ تداوُلِ هذهِ الشّواهد، حتّى غدَتْ كالمسبوكاتِ التِي لا يُنظرُ إلى قائلها، ويشهدُ لهذا الانتِشارِ استعمال العبارتين المبهمتين "الشاعر" و"قِيل"؛ أي كأنّهُ قالها غيرُ واحِدٍ، ويكفِي فِيه وصفُ الشّاعِرِ للدّلالة على صحّة الاستشهادِ بقولِهِ. ويعدُّ الانتشار وكثرة الاستعمال من الأصولِ المعتمدةِ فِي إرساءِ القواعد اللُّغوِيّة.

3- مَواطِن ورود الشّاهِد في "شرح نونِيَّة المدِيح":

لقد كان البحثُ الدّلاليّ مِن أبرزِ المَواضِعِ التِي حضر فِيها الشّاهِد اللّغوِيّ بكثافة، ومِن تطبِيقاتِهِ حدِيثُ الشّارِحِ عن أسماءِ مدِينة رسولِ اللهِ ﷺ، فكان يورِدُ الشّاهِد الذِي تضمَّنَ الاسم المقصود، ويبحَثُ في المعنَى اللُّغوِيّ المأخوذ منهُ، وموافقته لأحوالِ مدينةِ رسولِ اللهِ ﷺ التِي تسمّت بذلِك الاسم، كقولِه: «وَطَيْبَةُ اسْمٌ لِمَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ. وَمِنْ أَسْمَائِهَا: طَابَةٌ وَطَيِّبَةٍ كَسَيِّدَةٍ وَطَائِبَةٌ. فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ أَسْمَاءٍ كُلُّهُنَّ مَفْتُوحُ الطَّاءِ، وَالخَامِسُ مُطَيَّبَةٌ بِفَتْحِهَا أَيْضاً. وَقِيلَ: الذِي فِي البَيْتِ مَكْسُورٌ وَصُحِّحَ. وَذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ طَابَ يَطِيبُ. وَصَحَّ حَدِيثٌ: ((**إِنَّ اللهَ سَمَّى المدِينَةَ طَابَة**))[3]»[4]. ويعكِسُ هذا التّوظِيفُ رغبتَهُ فِي المحافظَةِ على المعانِي الأصلِيَّةِ التِي تدلُّ عليها الألفاظُ، صوناً لها مِن أَيِّ تغيِيرٍ وتحرِيفٍ، وممّا يدخلُ فِي إطار هذا التّوظِيف تحدِيدُ المعانِي وتأكِيدها وبيان مأخذها.

---

(1) قيل إن ذلك حدِيث عن رسول الله، (الفردوس، الديلمِي، حدِيث (1731)) وهو موضوع حسب الألبانِي، ضعيف الجامع حدِيث (862).

(2) ربيع الأبرار، الزمخشَرِي، 245/4، دون ذكر صاحب البيتِ وبرواية مختلفة، وفِي المستطرف بنفس الرِّواية 72/2، دون ذكر صاحب البيت أيضا.

(3) صحيح مسلم، حدِيث (1385).

(4) إجابة الدعوة [10ظ].

والوجهُ الثّانِي الذِي تعلَّقَ بهِ إيرادُ الشّواهِد اللُّغوِيّة هو القواعد وضوابط التَّركِيبِ، كمرجع الضّمِير[1]، وتعدُّد عائدهِ ومعانِي الأدواتِ[2].

4- دِراسَة الشّواهِد في "شرْح نونِيَّة المدِيح" من خلالِ نماذِج:

سأُبَيّن مِن خلالِ تحلِيل النّماذج الآتية محورِيَّة الشّاهِد في عملِيّة الاستدلال وتحقِيقهُ لغرضِ سوقِهِ، مع التَّنبِيهِ إلى مجمل العملِيّات العقلِيَّة التِي ترفقهُ.

قال أطفِيَّش معلِّقا على مَن استدلَّ بالآيةِ على أفضلِيَّة الملائكة على الأنبياء: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾[3] قالوا: «فإنَّ **أَهْلَ اللِّسانِ يفْهَمُونَ** مِنْ ذَلِكَ أفْضَلِيَّةَ الملائِكَةِ مِنْ عِيسَى، إذ القِياسُ في مِثْلِهِ التَّرقِّي مِنَ الأدْنَى إلى الأعْلَى؛ فيُقالُ: لا يَسْتَنْكِفُ مِنْ هذَا الأَمْرِ الوَزِيرُ ولَا السُّلْطانُ، ولا يُقالُ: السُّلطانُ ولا الوَزيرُ...» قال: «فالتَّرَقِّي إنَّما هُوَ في مُجَرَّدِ التَّجَرُّدِ، وإظْهَارِ الآثارِ القَوِيَّةِ لا فِي مُطْلَقِ الشَّرَف والكَمَالِ، فلَا دَلالَةَ علَى أَفْضَلِيَّةِ الملَائِكَةِ»[4].

وقال أطفِيَّش فِي نصٍّ آخَر: «وأمَّا قولُهُ ﷺ: ((**لَمْ أَزَلْ أُنْقَلُ مِنْ أَصْلَابِ الطَّاهِرِينَ إِلَى أَرْحامِ الطَّاهِرَاتِ**))[5] فاسْتدَلَّ بِهِ علَى إسْلَامِ آبَائِهِ لِوَصْفِهِمْ بِالطُّهْرِ، والمُشْرِكُ هُوَ النَّجسُ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾[6]. قُلْنَا: الطَّاهِرِينَ والطَّاهِرَاتِ مِنَ الزِّنَى»[7].

---

(1) إجابة الدعوة [78ظ].

(2) (م، س) [5ظ].

(3) سورة النساء: 172.

(4) إجابة الدعوة [67ظ].

(5) لم أجد تخريجا للحدِيث في مصادر الحدِيثِ. ذكره الفخر الرازِي، مفاتيح الغيب، 33/13، وأبو حيان، البحر المحِيط، 199/8.

(6) سورة التوبة: 28.

(7) إجابة الدعوة [115ظ] و[116و].

وقال أطفِيّش فِي نصٍّ آخَر: «"إِذْ": ظَرْفٌ؛ وَهِيَ التِي شهرَ كَوْنُهَا لِلتَّعْلِيلِ، وَإِنَّمَا التَّعْلِيلُ مِنْ **عَرَضٍ**، لَا **بِوَضْعِهَا** لَهُ. فَمَعْنَى: أَكْرِمْ زَيْدًا إِذْ أَكْرَمَكَ، أَكْرِمْهُ وَقْتَ اتِّصَافِهِ بِالإِكْرَامِ، وَالاتِّصَافُ مُمْتَدٌّ إِلَى وَقْتِ التَّكَلُّمِ وَمَا بَعْدَهُ، وَفِي ذِكْرِ الوَقْتِ مُضَافًا لِلإِكْرَامِ تَلْوِيحٌ بِأَنَّ العِلَّةَ إِكْرَامُهُ إِيَّاكَ. وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ ﴾[1] أَيْ: اذْكُرْ وَقْتَ قَوْلِ مُوسَى لِقَوْلِهِ، وَلَا يُقَالُ فِي هَذِهِ تَعْلِيلٌ، وَلَكِنْ مَا بَعْدَهَا المُرادُ بِالذِّكْرِ»[2].

تقدِّم هذه النّماذج جملة مِن الملاحِظِ يمكِن إيجازها في النِّقاط الآتية:

أ- الفَهْمُ الصّحيح للشَّاهِد:

إنَّ بناءَ الاستدلالِ لا يقِفُ على استحضارِ النّصّ فقطْ، وإنّما على إدراك مغزاهُ مِن خلالِ سنن العربِ فِي أقوالِها ومنطقها، حتّى لا يستدلَّ بالنّصّ في غيرِ مقامِهِ، ويبرزُ هذا ردُّ أطفِيّش على قولِهم: "فإنَّ **أَهْلَ اللِّسانِ يفْهَمُونَ**" بأنّ ذلِكَ التَّرقّي معتبرٌ فِي مجالٍ مشترَكٍ بين عِيسى عليه السلام والملائكة، ولا يدلُّ على التّفاضُلِ. إنَّ الطّبيعة اللُّغوِيَّة للنّصّ تدعو إلى اعتبارِ المقامِ الذِي قِيلَ فِيهِ، واستحضارِ التَّفاصِيلِ التِي تعِينُ علَى إدراك المرادِ منهُ، دون الجريِ وراءَ دلالاتٍ لا يحتملها النّصّ إلّا لقصورٍ في الفهْمِ، فالظّاهِرُ في الحدِيثِ لا تَدُلُّ فِي إطلاقِها على الإيمانِ؛ استنادا إلى أنّ اللهَ وصف المشرِكِينَ بالنّجَسِ، وإنّما المقامُ يدعو إلى صرفِها إلى نقاءِ النّسلِ مِن السِّفاحِ والزِّنا.

ب- تحدِيد موضِع الإشكالِ:

يبرُزُ اعتِنَاءُ أطْفِيّش بالنَّظرِ في محلِّ الاستشهادِ في شروحِهِ على الشَّواهِد في غيرِ هذا الكتابِ[3]. وما استِقْدامُ الدّلِيل أو الشّاهِد إلّا للاستنادِ عليهِ فِي رأيٍ أو حكمٍ، فأفضلِيّة

---

(1) سورة البقرة: 54.

(2) إجابة الدعوة [5ظ].

(3) ينظر مثلا: تسهِيل الاجتهاد [3ظ] و[39ظ]، وثاني حاشية على شرح الداوي على الأجرومية [3و] و[4و].

الملائكة على الأنبياءِ أو الحكم بإيمانِ أبويّ رسول اللهِ ﷺ لا يقومُ على الأدلّة المساقة عليها، نظرا لاحتماليّتِها وعدمِ نصّها على ذلِكَ صراحةً. إنَّ مقابلة الدّعوَى بدلِيلِها يسهِمُ في قبولِها أو ردِّها، وعلى هذا ردّ أطفِيّش على القولِ بأنَّ اللهَ لَم يَبْعَث نَبِيئاً مِنْ أَهْلِ البادِيَةِ قَطُّ، ولَا مِنَ النِّساءِ ولَا مِنَ الجِنِّ استدلالاً بالآيةِ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓ ﴾[1] قال: «قُلْتُ: هذا دَلِيلٌ علَى القُرَى فَقَطْ، لا عَلَى الإِنْسِ، لأَنَّ الذُّكُورَ البُلَّغَ مِنَ الجنِّ أيْضاً رِجَالٌ لِقَوْلِهِ تعالَى: ﴿ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ ﴾[2]»[3]. وسَاقَ الآيةَ ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ ﴾ [4] لتخلِيصِ الأداةِ "إذْ" مِن دلالةِ "التّعلِيل" وإن كان لصِيقاً بها في الاستعمالِ، إلّا أنَّ الآية نفَتْ كونها تدلُّ عليهِ وضْعاً، إذْ لا عِلَّةَ في الآية، وإنَّما سِيقتْ "إذْ" لتحدِيدِ الوقتِ الذِي قالَ فِيهِ موسَى قولتَهُ.

ج- عَضْدُ الشّاهِدِ بالمثالِ:

المثالُ مِن الوسائل العقلِيَّة الموظّفة فِي عملِيَّة الاستدلالِ، لمْ يستغنِ عنهُ أطفِيَّش، رغمَ استعانتهِ بالشّاهِدِ، كما تظهِرُهُ النّماذج، والملاحَظُ أنَّهُ لا يتحرَّجُ مِن تقدِيمِ أحدهما على الآخَرِ، رغم أسبقِيَّة الشّاهِد؛ إذْ علَيهِ يصنع المثالُ اقتداءً بقوانِينِ صوغهِ، وتبسِيطا للعلاقات بين مفرداتهِ، وبذلِك يتحقَّقُ الإفهام، وَتبلغُ الغايةُ وبالخصوصِ بيان المَوْضِع المستشْهَدِ مِن أجلِهِ، كدلالةِ "إذْ" على زمنٍ متعلِّقها وهو الإكرامُ.

---

(1) سورة يوسف: 109.

(2) سورة الجن: 6.

(3) إجابة الدعوة [68ظ].

(4) سورة البقرة: 54.

خلاصة:

- لم يتَّخِذ الشَّارِحُ مِنْ كتابِهِ مجالا لاستعراضِ محفوظاتِهِ من الشَّواهِد والموروث اللُّغوِيّ، أيْ لمْ يسعَ إلى أن يكونَ له في كلِّ موطنٍ شاهِدٌ على ما يقوله، فلا تراهُ مثلا يتتبَّعُ النّاظمَ فِي معانِيهِ يبحثُ في مآخذِها أو سبقهُ الشّعراء فِي إبداعها، وإنَّما كانَ الشّاهِدُ يرِدُ لديْهِ لحاجةٍ ظرفِيَّة خاصَّة بالموضِعِ الذِي ذكر فِيهِ، فلم يكُن يستشهِدُ لكلِّ قضِيَّة نحوِيَّة أو دلالِيَّة أو غيرِها، وإلّا أضحَى الكتابُ مشحوناً بمادّةٍ قدْ تُمِلُّ القارِئَ وتعزفه عن متابعة الشَّرحِ. إنَّ إيرادَ الشّواهِدِ بشكلٍ كثِيفٍ قد يجنَحُ إلى قضايا أخرَى مرتبطة بتلك الشّواهِد، ولا تتّصِلُ مباشرةً بالقصِيدةِ المشروحةِ، ولا غيرِها من النُّصوصِ الموازِية.
- اختلفت نصوصُ الشّواهد بين القرآن والحدِيث وكلام العربِ، ولا يمثِّلُ هذا استِثناءً وإنّما هذا ما عهد فِي مدوّنة الشّواهِدِ.
- لقد دخلَ الشّاهِدُ فِي حوزِ العملِيّات العقلِيَّة التِي أجراها أطفِيّش على النُّصوصِ بالموازاةِ مع استعمالِ المثالِ؛ مِن أجلِ إسنادِ الأحكامِ وتوضِيحِها، وتجاوزَ ذلِكَ إلى مستوَى الحجاجِ وَرَدِّ الأقوالِ.

الخاتمة

قدّمَ هذا البحثُ بقسميه الرّئيسيّيْنِ وملاحقهِ دراسةً لعلمٍ مِن أعلام النّحو والتّفسِيرِ بالجزائرِ خلال فترةٍ وُسمت بعصورِ الانحطاطِ، والاشتغالِ بِالحواشِي والشُّروحِ، ونبذ الإبداعِ وقلّة الاجتهادِ العلمِيّ، والاتّكاءِ على وسادة التّراثِ، سواء في العلوم اللُّغوِيّة أو العلوم الشّرعِيّة التِي لا تنفكُّ عنها، لكنّ هذا البحثَ أظهرَ جملة من الحقائقِ تنقُضُ هذه الأطروحات وتبيّن فسادَها، وأنّها بنيتْ على استقراءٍ ناقِصٍ، وحُكِم على الفترةِ دون اعتبارِ الظّروف المحِيطةِ بالمنجزات العلمِيَّة، والدّواعِي التِي حثّتْ على إنتاجِها. وفي خاتمةِ هذا البحثِ يمكِنُ تقدِيمُ أهمّ ما توصّل إليهِ مِن نتائج في الملاحظات الآتِية:

أوّلا:

كانت النّشأة التِي تلقّاها أطفِيّش في حضن عائلتهِ من الأسبابِ التِي حبّبت إليهِ العلم، فتلقّى تعلِيمهُ على يدِ أخِيهِ الأكبَرِ، وعرف عنه النّبوغُ فِي بداياتِ عمره بحفظِ القرآنِ واستِيعابِ المعارِفِ فِي وقتٍ قصِيرٍ، وعرِف عنهُ طبعهُ الحادّ الرّافِض للبدع والخرافات والذّلّ والاستكانة للظّالمين، فَواجه المحتلّ الفرنسِيّ كما واجَهَ المناوئِين له، وطردَ مِن مدِينتهِ بسببِ نشاطاتِهِ، لكنّه لم يفتر ولم يفشَل وواصلَ مسِيرتهُ التّعلِيمِيّة بكل جدٍّ ونشاطٍ.

تميّزَ أطفِيَّش في إنتاجِهِ العِلمِيّ بالموسوعِيّة والشّمول، دعاهُ إلى ذلِكَ اشتغالُهُ بالتّعلِيم منذُ بداياتِ عمرِهِ؛ لِسَدّ الفراغِ الذِي عرفهُ مسقطُ رأسِهِ، رشّحهُ لذلِكَ نبوغُهُ المبكّر واجتهادهُ فِي التّحصِيلِ، لذلِكَ أنشأ لنفسِهِ معهدًا يؤمّه طلبةُ العلم للتّلقّي والتّحصِيل، فأقامَ لهم منهجا يعتمِدُ التّبسِيطَ والتّدرُّج والشّمول، فكان كلّما أرادَ تعلِيمَ علمٍ أنشأ فِيهِ مؤلَّفًا يوافِقُ أذهانَ المتعلّمِين، ففِي النّحوِ مثلاً ألّفَ حاشيتينِ على شرح الدّاوِي على الآجرّومِيّة، حاشية صغرَى وحاشية كبرَى، وتبيّنُ خارطةُ تآلِيفِهِ هذهِ الصّبغة التّعلِيمِيّة، فألّفَ في علومِ اللُّغة المختلفة (النّحو، والصّرف، والرَّسم، والبيان، والمعانِي، والبدِيع، والعروض) كما ألّفَ في العلوم

الشَّرعِيّة المختلفة (التّفسِير والعقِيدة والفقه والحدِيث وألّف في المنطِقِ والفلاحةِ والفلك والتّارِيخِ) ومِن مؤلّفاتِهِ ما عرف منه فقط عنوانه، وفقد الكتاب في خزانتِهِ وما جاورها من المكتباتِ. وكان له إنتاج أدبِيّ تمثّل فِي مجموعة من القصائد الشّعرِيّة في مختلف الأغراضِ، طغا عليهَا الغرضُ الدِّينِيّ، ومِن أبرزِها قصِيدته المِيمِيّة التِي عارَضَ بها بردة البوصيرِيّ.

كما أنّهُ أنشأ شبكة اتّصالاتٍ واسِعة، داخل الجزائر وخارِجها، فكانت الرّسائل تأتِيهِ للاستفتاءِ والمكاتبة، فألّف مجموعة مِن الكتبِ جوابا لأصحابِها، كما أنشأ ردودا مختلفة على ما يأتِيهِ مِن مساءلاتٍ؛ إمّا رسائل قصِيرة أو بحوثا مركّزةً على المسائل المقدّمة، واستطاعَ طبعَ مجموعةٍ مِن مؤلّفاتِهِ في حياتِهِ، وعرفت كتبُهُ التّطوافَ من الجزائِرِ إلى تونس وليبا وعمان، للعلاقات التّارِيخِيّة بين هذه البلدانِ.

ثانِيًا:

إنَّ كتاب "إجابة الدّعوة لإصابة الدّعوة" يصنّفُ ضِمنَ المؤلّفات التِي اعتنَتْ بقصائدِ مدحِ المصطفَى ﷺ، وبيّن البحثُ اعتناء المؤلِّف بكتابِهِ، مِن حيثُ بناؤهُ واختيار مصادرِهِ، وقبلَهُ اختيارُ القصِيدة المشروحة، لغاياتٍ تعلِيمِيّة وتثقِيفِيّة، تخدُم توجّهَهُ المعرِفِيّ والأخلاقِيّ؛ لذلِكَ شحن الكتاب بجملةٍ مِن المواضِيع في مختلف المجالات: الشّرعِيّة (التّفسِير، والحدِيث، والفقه...)، والتّارِيخِيّة، واللّغوِيّة، والأدبِيّة، ليدخُل الكتابُ بذلِكَ فِي جملة الكتب الموسوعِيّة التِي تأخذُ مِن كلِّ فنٍّ بطرَفٍ.

تمكّن البحثُ مِنْ جَمعِ النّسَخ المخطوطة من الكتابِ بمجلّداتِهِ الثّلاثِة المتفرّقة بين المكتباتِ، ووازَنَ بينها لتحدِيدِ النُّسخة الأمّ مِن المنسوخة عنها، وبالتّالِي الحصولُ على النّصّ الصّحِيحِ الموافِق لما أرادهُ المؤلّفُ.

وقد أسفرت عمليّة التّحقيق عن تحدِيدِ المصادِرِ الأساسِيّة المباشِرة التِي نقلَ منها أطفِيَّش، وميّزت بينها وبين المصادِرِ غيرِ المباشِرة؛ لغاية مقابلة النّصُوصِ المنقولةِ لتصحِيحها وبيانِ الاختِلافاتِ بينَهَا.

ثالثًا:

مِن ناحِيةِ التّعامل المباشِرِ مع القصِيدة، فقدْ قدّمَ الشّارِحُ مادّة لغوِيّة متكامِلةً، تخدمُ النّصّ والقارِئ، ويمكِنُ إجمالُ النّتائجِ المتوصّل إليها في هذا المستوَى مِن الشَّرحِ في النّقاط التّالية:

-**حضورُ المتلقّي واعتبارُ مقامِهِ**: يظهرُ هذا من خلالِ المادّة المعروضة، فإنّ تعدّد مستوياتِ الشّرحِ وتلازمها، ينبِئُ عن رغبةٍ فِي تقدِيم شرحٍ يأخذُ منهُ المتقدِّم والمتوسّط والمبتدِئ، كما ألف استعمالَ خطابٍ يحاوِرُ به القارِئ ويشرِكُهُ فِي بناء الشّرح وعرض المادّة العلمِيَّة.

-**الشّرحُ اللّغوِيّ (المعجمِيّ)**: اشتركَ البحث اللّغوِيّ فِي بناءِ هيكل الشّرحِ؛ لتوضِيح معانِي القصِيدة وغيرها من النّصوصِ، وتحقِيقِ غايات الشّرحِ التّعلِيمِيّة والعلمِيَّة، وبيّنَ البحثُ التزامَ أطفِيَّش بِمبادِئ عامّة في المعالجة المعجمِيّة، كما بيّن الأوجه التِي استقدم بها المعارِف المتعلّقة بِاختلافِ أداءِ الألفاظِ وتأثِيره على المعانِي، بجانبِ المعارِف الأخرَى كضبطِ رسم المفردة وشكلها.

ومِن النّتائجِ أيضًا استعمالُ أطفِيَّش لطرُقٍ مختلفة لبيانِ الدّلالات التِي تكتنزها المفرداتُ، دعا إلى ذلِكَ اختلافُ شحناتها الدّلالِيّة وتوظِيفها في مقاماتٍ وسياقاتٍ مختلفة، وكذلِكَ شيوعُ استعمالِ المفردة ووضوح دلالتِها، وقد تعلّقت هذه الطّرقُ بقضايا أساسِيّة في الدّراسة الدّلاليّة عالجَ البحثُ طرفًا منها، كالتّرادُفِ ودلالة الظّاهِر والتّضمِين والإطلاق والتّقيِيد والاصطِلاح، وبيّنَ تقاطعها مع مجالاتٍ معرفِيّة مختلفة، تشترِكُ فِي معالجة الألفاظِ

والبحثِ في مدلولاتِها، وكان مِن أهمِّها المجالُ الشّرعِيّ الذِي سَبَغَ القصِيدةَ المشروحةَ نظرًا إلى موضوعاتِها، فبيّن البحثُ الآليات التِي وضّحها الشّارِحُ لانتقالِ دلالة الألفاظِ بين الحقولِ المختلفة.

–النّحوُ والصّرف: كان الحضور الصّرفِي والنّحوِيّ مِن أبرزِ مميّزات" شرح القصِيدة المدنِيَّة"؛ بالنّظرِ إلى خلفِيّة الشّارح العلمِيّة واشتغالهُ بالمدوّنات النحوِيّة، وأسفرَ البحثُ بمعالجة القضايا المتعلّقةِ بالأدوات والصّرف والأعارِيب والإضافة وأصول النّحو والاستدلال، عن مجموعةٍ مِن النّتائج تتعلّقُ بالمنهج المتّبعِ وتحقِيقِه لأغراضِ الشَّرحِ وغاياتِهِ، بتغيِيرِ طرق الشّرحِ والتزام التّرابط بينَ المعانِي الوضعِيّة والاستعمالات السِّياقِيّة، واحترام قواعِد النّظم المقرّرة عند النّحاةِ دون تعسُّفٍ ولا تسيّبٍ، وتقدِيم ما يخدمُ المتلقِّي دون الزّجّ به في متاهاتٍ لا يفهمها إلّا جملة من المتخصِّصِينَ.

ولم يغِبْ عن الشّرحِ المعالجة النّظرِيّة لمسائل النّحو؛ فوظّف أطفِيّش مجموعةً من القواعِدِ واستشهد بمجموعةٍ مِن النُّصوصِ وآراءِ النّحاةِ، ليستنبِطَ بذلِكَ الرّأي الذِي يدعمهُ ويمِيلُ إليهِ، مقدّما العلّة والتّفسِيرَ الذِي يراهُ مناسِبًا لذلِكَ الحكمِ؛ ليقدّم للمتلقِّي معارِفَ ينمِّي بها رصِيده من القواعِدِ ومنهج الاستنباطِ، ويثبّتَ لديهِ الملكة اللّغوِيّة لبناءِ كلامٍ وَفقَ القواعد الصّحِيحة.

–الأدَب والنّقْد: أظهَرَ البحثُ استقدامَ أطفيَّش لمجموعةٍ مِن النُّصوص الأدبِيّة (الشّعرِيّة والنّثرِيّة) التِي تخدمُ أغراضَ الكتابِ وتحقِّق غاياتِهِ، وبذلِكَ يندمِجُ الإبداع الأدبِيّ بينَ القدرات اللُّغوِيّة للمبدِعِ، وتحقِيقِ غاياته الموضوعِيّة والمعرفِيّة والامتاعِيّة، واستغلّ أطفِيَّش الطّاقة الكامنة في هذه النُّصوصِ وارتباطها بالوجدان الإسلامِيّ لهذه الغاية، ومِن حيث المعالَجة المعرفِيّة والنّقدِيّة؛ فإنّ ضمورَ هذا المستوَى في الكتابِ كلِّهِ، استتْبعَهُ اختلافُ أطفِيّش فِي تلقِّي النُّصوصِ مِن حيثُ نسبتُها وبيانُ مشكلِها، ولم يتجاوَزْ ذلِكَ

إلَى إظهارِ قضايَا نقدِيّة كَأصالة النُّصوصِ أو انتحالها، ودرجة حسنِها وإجادتها، وغيرِ ذلِكَ مِن القضايا النّقدِيَّة.

– **البلاغة:** لمْ يرقَ الشَّرحُ البلاغِيّ في الكتابِ إلى مستوَى عالجَ فِيه المسائل الأساسِيّة المتعلّقة بقضاياهُ، ويعودُ هذا إلى طبِيعة القصِيدة المتناولة بالشَّرحِ، ومن القضايا التِي سجّلتُ حضورَها في هذا المستوَى: الحقِيقة والمجاز، والصّورة الشّعرِيّة، والوقفات الأسلوبِيَّة، والغاية التِي جمَعَتها رغبة الشّارِحِ إخراجَ دلالات ألفاظ الأبياتِ من المنطوقِ إلى المفهومِ، وتقطِير المعانِي اتّباعًا لنسَق الشَّرحِ، لذلِك كان يختارُ منها ما يؤدِّي هذا الغرَضَ دونَ التّطرُّق إلى ما ألف استعماله وظهر معناهُ، سواء الألفاظ أو التّراكِيبُ والصّور الشّعرِيّة.

وأظهرت النُّصوص أيضا تحكّمه بالأدوات البلاغِيّة مِن خلالِ مجموعة المصطلحات التِي وظّفها والتّفرِيقِ بينها، فكان يوازنُ بين أنواع المجازِ؛ ليحدّد اللّونَ الذِي يوافِقُ استعاملهُ فِي النّصّ وَفق القواعِد المعروفةِ، ويميّزُ اللّون المقصودَ بتحدِيد الفروقِ التِي تميّزه عن غيرِه، ويعتمِدُ على مقولةِ الأصلِ والفرعِ لبيانِ اختيارِ النّاظِمِ والوجهِ الذِي عدلَ عنهُ، فيظهِرُ بذلِك وجها مِن الأوجه الجمالِيّة لاستعمالاتهِ .

–**العَروضُ:** بيّن البحثُ ضمورَ هذا الفنِّ في الكتابِ، وبيّن بعض المواطِنِ التِي استقدم فِيها الشّارِحُ مفاهِيمه وأنّ غايتهُ مِن ذلِكَ الحصول على التّوجِيه الصّحِيحِ الذِي يقِيمُ بهِ معنَى البيْتِ، بالمؤازرةِ مع المعارِف اللُّغوِيّة الأخرَى.

–**الاستشهاد بالنُّصوص اللّغوِيّة:** قدّم الشّارِحُ مجموعةً مِن الشّواهِدِ اللُّغوِيّة، أدخلها في حوزِ العملِيّات العقلِيّة التِي يقِيمُ بها الدّلِيل على شروحاتِهِ وآرائِهِ المستنبطةِ، تنوّعت بين النُّصوص القرآنِيّة والحدِيثِيّة والشّعرِيّة وكلامِ العَرَبِ، ولم يسعَ أطفِيَّش إلى إثقال الكتابِ

بالاستشهادات وإنّما اكتفَى مِنها بما يعضُدُ الحالة المدروسة، فلم يُشكّل الشّاهدُ حضورًا مكثّفا في الكتابِ.

فهرس المحتويات:

المقدّمة: 1

أوّلًا: إشكالِيّة البَحث: 3

ثانِيا: أهداف البحثِ وحدودُهُ: 4

ثالِثا: أسبابُ اختيارِ كتابِ "إجابة الدعوة" 4

رابِعا: الدّراسَات السّابِقَة: 6

خامِسًا: أقسامُ البَحثِ ومنهجه: 8

سادِسا: صعوبات البحث: 12

الفصل الأوّل: حياة المؤلِّف وآثاره 15

المبحث الأوّل: حياة أمحمَّد أطفيّش 16

المطلب الأوّل: نسبهُ وميلاده: 16

المطلب الثّانِي: نشأته العلمِيَّة: 17

1- شيوخُه وتلقّيهِ العلمَ: 17

2- تلامِيذُهُ: 19

3- رحلاته العلمِيّة: 20

المطلب الثّالِث: صفاتهُ (أخلاقه وطباعه ومواقفه) ووفاتهُ: 21

1- أطفِيَّش والاحتلال الفرنسِي: 21

2- نَفْيُهُ مِن بلدته: 21

3- وفاتهُ: 22

المبحث الثّاني: آثار أمحمّد أطفِيَّش: 22

المطلب الأوَّل: العلوم الشَّرعِيَّة: 22

1- القرآن وعلومه: 22

2- الحدِيث وعلومهُ: 23

3- أصول الدِّين: 24

4- الفقه وأصوله: 26

المطلب الثّاني: العلوم اللُّغويَّة والأدبيَّة: 29
1- النَّحو والصَّرفُ: 30
2- البلاغة: 32
3- العروضُ: 33
4- الشّعر: 33
المطلب الثّالِث: العلوم الإنسانيّة 37
1- التّاريخ: 37
2- العلوم الطَّبيعيَّة: 37
المطلب الرّابع: مؤلّفات مفقودة: 38
1- النّحو والصّرف: 38
2- الفقه وأصوله: 38
3- العلوم الإنسانيّة: 39
الفصل الثاني: التعريف بكتاب "إجابة الدّعوة" ومنهج تحقيقه 42
المبحث الأوّل: موضوع كتاب "إجابة الدّعوة" وبناؤهُ 43
المطلَب الأوَّل: موضوع كتابِ "إجابة الدّعوة": 43
1- طبيعة كتابِ "إجابة الدّعوة" 43
2- دواعِي تأليف الكتابِ واختيار القصِيدة المدنيَّة: 45
3- مواضِيعُ كتابِ "إجابة الدّعوة": 47
المطلَب الثّانِي: هيكلة كتاب "إجابة الدّعوة" وبناؤُهُ 52
1- عنوانُ الكتابِ وأهمّيّتُه(): 52
2- المقدّمة المختصَرَة: 53
3- عنَاصِر الشَّرحِ: 54
4- ترتيب الأبواب والفصولِ: 56
المطلب الثّالِث: مصادِر كتاب "إجابة الدّعوة" 57
المبحث الثّاني: عنوان الكتاب ونسخه الخطِّيّة 65

المطلب الأوّل: تحقيق عنوان الكتاب وتوثيقُ نسبَتِه إلى مؤلّفِهِ.....65
المطلب الثّاني: وصف النُّسخ الخطِّيَّة لكتاب إجابة الدّعوة: 67
1- نسخَة مكتبة الخزانة العامّة بمؤسّسة عمّي سعيد بِغرداية. 68
2- نسخة مكتبة أطفِيّش ببني يزقن 70
3- النسخة الثّانية في مكتبة الخزانة العامة بمؤسسة عمي سعيد غرداية.....71
4- نسخة الجزء الثّاني بمكتبة باعمارة.....72
5- نسخَة الجزء الثّاني في الخزانة العامّة بمؤسّسة عمّي سعِيد.....73
6- نُسخَة الجزء الثّالِث مكتبة أطفِيَّش ببني يزقن 74
المبحَث الثّالِث: منهج تحقِيق كتاب "إجابة الدّعوة" وصور من مخطوطاته: 75
المطلب الأوّل: الخطوات المنهجِيَّة لتحقِيق كتاب "إجابة الدّعوة".....75
1- ترتيب النُّسَخ المعتمدة ورموزها: 75
2- ضبطُ الآيات القرآنِيَّة: 76
3- ضبْطُ ألفاظ الأحَادِيثِ النبوِيَّة:.....76
4- ضبطُ النُّقول وتصحيح الأخطاءِ:.....77
5- الضَّبط الإملائِي: 79
6- ضَبطُ الأبيات الشّعرِيَّة:.....79
7- تنظِيمُ وتفقِيرُ مادَّة النَّصِّ:.....80
المطلَب الثّاني: التّعلِيق على النُّصوص:.....81
المطلب الثّالِث: نماذج من المخطوط.....82
الفصل الثّالِث: الدّراسة اللّغوية والأدبيّة لكتاب إجابة الدّعوة.....88
المبحث الأوّل: قضايا البحث الدّلالِي في "شرح نونِيَّة المدِيح" 89
المطلَب الأوَّل: منهج شرح الألفاظِ: 90
1- توظِيف المصطلحات الدّلالِيَّة:.....90
2- مراحِل شَرْحِ وبيان دلالات الألفاظ:.....91
3- استِقْراء ما أمكَن مِن معانِي المفردة: 92

4- عدم التّقيُّد باللَّفظ والبحثُ في المعنَى: 92
5- البحث في مناسبة معنَى المفردة للسّياق: 93
المطلب الثّانِي: بيان اختلاف اللّغات: 94
1- مصطلَح "اللّغة": 94
2- بيانُ الأفصَح مِن اللُّغاتِ: 95
3- الاختلافات التِي مردّها إلى اللّغة: 96
4- توظِيف اللَّهجاتِ لِضبْط رسمِ الألفاظِ: 98
المطلَب الثّالِث: طرق بيان معانِي المفردات: 101
1- شرح المفردة بالمرادف المطلَق: 102
2- شرح المفردة بأكثرَ منِ مرادفٍ: 103
3- شرح المفردة بالمرادف المخصّص: 104
4- شرح المفردة بتوظِيف الخاصِيَّة الاشتقاقِيَّة[]: 107
5- شرح المفردة ببيان علَّة التَّسمِية: 108
المطلب الرّابع: دراسة الألفاظ في ضوء المفاهيم الدّلاليّة 112
1- الظَّاهِر: 112
2- التَّضمِين: 117
3- التّعمِيم والتّخصِيص/ الإطلاق والتّقيِيد: 120
4- ألفاظ اصطلاحِيَّة: 126
المطلب الخامس: المعانِي الشَّرعِيَّة/ الألفاظ الإسلامِيَّة 128
المبحَث الثّانِي: القضايا النّحوِيّة والصّرفِيَّة في "إجابة الدّعوة" 132
المطلب الأوّل: قضايا الأدوات النّحوِيّة في كتابِ "إجابة الدّعوة": 132
1- ذكر معنَى الأداة أو وظِيفتها: 134
2- نيابة الحروف عن بعضِها: 135
3- تعدُّد معانِي الحرف الواحِد: 137
المطلَب الثّانِي: القضايا الصَّرفِيَّة في شرح نونِيَّة المديح 142

1- الدّرس الصّرفي عند أطفِيَّش: 142
2- التّغييرات الصَّوتيَّة/ الصّرفيَّة في شرحِ المفرداتِ: 145
3- الصِّيَغ الصّرفيَّة (التّحويل الاشتقاقِيّ) 148
4- دلالة الجَمْعِ: 153
المطلب الثّالِث: الأعاريب: 157
1- تعريف الإعراب عند أطفِيَّش: 157
2- الاهتمام بالعامِل وإبرازه والبحثُ عنه: 158
3- حركة أواخِرِ الكلِم وقسمتها في التَّحليل: 159
4- الدّلالة اللّغويّة والإعراب: 160
5- الاهتمامُ بقرينة التَّعلِيقِ (العلاقة بين كلمات الجملة) 162
6- المطابقة بين المتلازمات وعود الضّمِير إلى صاحبِهِ: 165
أ- المطابقة بين المتلازمات: 166
ب- عَود الضّمِير إلى صاحبِه: 167
7- التَّعدُّد الإعرابِي والجواز النَّحوِي: 168
أ- طرِيقة التَّعبِير عن جوازِ التَّعدُّد: 168
ب- تعدُّد الإعراب مِن التَّوسُّع في المعنَى: 169
ج- أسبابُ تعَدُّد الوظائِف الإعرابِيّة: 170
المطلب الرابع: معانِي الإضافة 172
1- الاحتمالُ والقراءة على وَجْهٍ واحِدٍ: 174
2- المعجم والتَّركِيب: 175
3- تقدِيرُ المضافِ المحذوفِ: 177
4- التّوسُّع في دلالة الإضافة: 180
المطلَب الخامِس: أصول النّحو والاستدْلال 183
1- طُرُق الاستدْلَال والقَرائِن: 186
أ- القِياس: 186

ب– التّمثِيل:.....188
2– التّعلِيل: (التّفسِير).....188
المبحث الثّالِث: القضايا الأدبِيّة والنّقدِيّة والبلاغِيّة والعروضِيَّة في كتاب "إجابة الدّعوة".....192
المطلَب الأوّل: القضايا الأدبِيَّة والنّقدِيَّة:.....192
1– الأخبار التّارِيخِيَّة:.....192
2– الشّعرُ الصّوفِيّ:.....197
3– النَّظْمُ:.....198
4– وقفات نقدِيَّة في شرح نونِيَّة المدِيح:.....201
المطلب الثّانِي: القضايا البلاغِيَّة.....203
1– الحقيقة والمجاز:.....203
أ– الضّبط المصطلحِيّ:.....205
ب– الاحترازُ بالخلفِيّة العقدِيّة/ التّارِيخِيّة:.....205
ج– تعدِيدُ طُرُق المجاز المرسَلِ:.....206
2– الصُّورة الشّعرِيّة في شرح نونِيَّة المدِيح.....206
أ– الضَّبطُ المصطلحِيّ:.....207
ب– الانتِقاءُ والاختيار:.....212
3– وقفات أسلوبِيَّة:.....213
أ– موازنة بيْنَ الاختيارِ وما عُدِل عنهُ:.....213
ب– المَعانِي البلاغيّة للأساليبِ:.....216
المطلَب الثّالِث: القضايا العروضِيّة في شَرْحِ نُونِيَّة المديحِ:.....217
المَبحث الرّابِع: الاستشهاد بالنّصوص اللّغوِيَّة:.....220
1– أهمِيَّة الشّاهِد في "شرْحِ نونِيَّة المدِيح".....220
2– صور الشّاهد في "شرح نونِيّة المدِيح".....220
أ– القرآن الكرِيم:.....221
ب– الحدِيث الشَّرِيف:.....221

ج– الشّعر والنّثر وكلام العربِ: 222
3– مَواطِن ورود الشّاهِد في "شرح نونيَّة المدِيح": 223
4– دِراسَة الشّواهِد في "شرْح نونيَّة المدِيح" من خلالِ نماذِج: 224
أ– الفَهْمُ الصّحيح للشَّاهِد: 225
ب– تحدِيد موضِع الإشكالِ: 225
ج– عَضْدُ الشّاهِدِ بالمثالِ: 226
الخاتمة 228
فهرس المحتويات: 234

ⵜⴰⴳⵍⴷⵉⵜ ⵏ ⵍⵎⵖⵔⵉⴱ
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵙⵉⴷⵉ ⵎⵓⵃⴰⵎⵎⴷ ⴱⵏ ⵄⴱⴷⵍⵍⴰⵀ
ⵜⴰⵡⵉⵙⵉⵜ ⵏ ⵜⵓⵔⵉⵜ ⴰ ⵜⵉⵏⵙⵏⴰⵏⵉⵏ ⵜⵉⵣⵔⴼⵉⵏⵉ
ⵙⴼⵔ - ⵀⵎⵙ
Royaume du Maroc
Université Sidi Mohamed Ben Abdellah
Faculté des Lettres et des Sciences
Humaines Dhar El Mehraz -Fès

المملكة المغربية
جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الآداب والعلوم الانسانية ظهر المهراز – فاس

مركز دراسات الدكتوراه: الجماليات وعلوم الإنسان

تكوين التعابير والأشكال الرمزية

تخصص: اللغة العربية

إجابة الدَّعوة لإِصابَة الدُّعوة
"شرح القصِيدة المدنِيَّة في مدحِ مهدِيِّ الأمَّة"
لأمحمَّد أطفِيَّش ت:1332 المجلَّد الأوَّل تحقيق ودراسة

قسم النص المحقق

الجزء الأول

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه

إنجاز الطالب:
✍ عبد الوهاب بافلح
ر.و.ط : 6053211280

إشراف الأستاذ الدكتور:
✍ عبد الرحيم الرحموني

الموسم الجامعي

2019-2018

[1و] إِجَابَةُ الدَّعْوَة لِإِصَابَةِ الدُّعْوَة[1]

تأليف: أَمْحَمَّدْ أَطْفِيَّشْ

(1) قال قطرب: الدُّعوة بالضم في الطعام خاصة. لسان العرب (دعا).

[1ظ] بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ، وَسَلَّمَ.

الحَمْدُ للهِ خَالِقِ السَّبْعِ الطَّرَائِقِ، مُفِيضِ النِّعَمِ عَلَى الخَلَائِقِ. والصَّلَاةُ والسَّلَامُ عَلَى مَنْ سَلِيقَتُه أَفْضَلُ السَّلَائِقِ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الذِينَ إِلَى العِبَادَةِ تَجَرَّدُوا عَن العَلَائِقِ.

لِشَارِحِ هَذَا النَّظْمِ نَاظِمُهُ الْفَانِي دَعَا فَشَرَحْتُ أَوَّلًا لَسْتُ بِالثَّانِي (1)

01 تَيَمَّمَ نَجْدًا فِي تَلَهُّفِهِ الجَانِي يَؤُمُّ رَسُولَ الله لِلْإِنْسِ وَالْجَانِ

قَصَدَ مَرْتَبَةً عَالِيَةً مُرْتَفِعَةً فِي الدِّينِ وَالآخِرَةِ، فِي زَمَانِ تَنَدُّمِهِ وتَحَسُّرِهِ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ مِن التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِ اللهِ ونَهْيِهِ، المفْسِدُ المتَعَدِّي عَلَى نَفْسِهِ، وَهُوَ فِي حَالِ قَصْدِهِ المرْتَبَةَ، يَقْصِدُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، الذِي أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَى الإِنْسِ كُلِّهِم، وَأَوْلَادِ الجَانِّ كُلِّهِمْ.

و"التَّيَمُّمُ": القَصْدُ. و"النَّجْدُ": المكَانُ المرْتَفِعُ، أَوْهَمَ بِهِ مَنَازِلَ بَنِي تَمِيمٍ المسَمَّى بِنَجْدٍ، وَرَشَّحَهُ بِالتَّيَمُّمِ، بَلْ سَيَأْتِي أَنَّ المدِينَةَ مِنْ نَجْدٍ.

وَ"الجَانِي": اسْمُ فَاعِلِ "جَنَى" بِمَعْنَى أَفْسَدَ وَتَعَدَّى، فَأَثْبَتَ يَاءَهُ؛ لأَنَّهَا لَيْسَتْ لِلإِشْبَاعِ، بِخِلَافِ يَاءِ الإِشْبَاعِ فَجَرَتْ عَادَةُ الكُتَّابِ أَنْ لَا يَكْتُبُوهَا، كَيَاءِ "الجَانِ" آخِرَ البَيْتِ فَإِنَّهَا لِلْإِشْبَاعِ، وخَفَّفَ نُونَهُ لِلضَّرُورَةِ، وَهُوَ إِبْلِيسُ، فَيُقَدَّرُ مَضَافٌ؛ أَيْ: وَأَوْلَادِ الجَانِ. أَوْ سَمَّى الجِنَّ بِاسْمِ الجَدِّ لَهُمْ، كَمَا تُسَمَّى قَبَائِلٌ بِاسْمِ جَدِّهَا كَعَادٍ وَثَمُود. أَوْ هُوَ الجِنّ عَلَى أَنْ يَكُونَ لِلنَّسَبِ، كَ: لَابِنٍ لِصَاحِبِ اللَّبَنِ، فَالجَانُّ جِنْسُ أَصْحَابِ الجَانِّ الذِي هُوَ إِبْلِيسُ، وَهَكَذَا يُقَالُ لِعَامِلِ الفَخَّارِ أَوْ بَائِعِهِ فَخَّارٌ، بِاتِّفَاقِ لَفْظَيْ المنْسُوبِ وَالمنْسُوبِ إِلَيْهِ.

وَبَينَ "الجَانِي" وَ"الجَانِ" المخَفَّف جِنَاسٌ تَامٌ. وَ"الجَانِي": فَاعِلُ تَيَمَّمَ. وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ "لِلإِنْسِ" بِمَعْنَى "إِلَى" مُتَعَلِّقٌ بِـ "رَسُولِ". وَالهَاءُ فِي "تَلَهُّفِهِ" عَائِدَةٌ إِلَى "الجَانِي" بَعَدَهَا؛ لِأَنَّهُ في نِيَّةِ التَّقدِيمِ.

وَهَكَذَا السَّبْكُ: تَيَمَّمَ الجَانِي نَجْدًا فِي تَلَهُّفِهِ، آمًّا رَسُولَ اللهِ [2و] إِلَى الإِنْسِ وَالجَانِّ. فَـ"يَؤُمُّ": حَالٌ وَمَعْنَاهُ يَقْصِدُ، وَهَكَذَا أَخْتَصِرُ وَلَا أُطِيلُ.

قَالَ أَنَسٌ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((**أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ المطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بن مَالِك بن النَّضْرِ بن كِنَانَةَ**

(1) كتَبَ المؤلف هذا البيت على الهامِشِ، وهو الذي ذكر صدره في [1و] وهو من نفسِ بحرِ القصِيدة ورَوِيِّها، يَذكُرُ فِيهِ سببَ إقدامه على شرح هذه القصيدة، وهو الظَّفرُ بالدُّعاءِ الذِي ضمَّنه النَّاظم قصيدتهُ في آخِرِها، ويقرُّ بأنَّهُ أوَّلُ من يقوم بشرحِها، فلم يطَّلِعْ على شرحٍ لها قبلُ.

ابْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارٍ وَمَا افْتَرَقَ النَّاسُ فِرْقَتَيْنِ إِلَّا جَعَلَنِي اللهُ فِي خَيْرِهِمَا. فَأُخْرِجْتُ مِنْ بَيْنِ أَبَوَيَّ، فَلَمْ يُصِبْنِي شَيْءٌ مِنْ عَهْدِ الْجَاهِلِيَّةِ. وَخَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ، وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ انْتَهَيْتُ إِلَى أَبِي وَأُمِّي، فَأَنَا خَيْرُكُمْ نَسبًا، وَخَيْرُكُمْ أَبًا))[1].

ولُقِّبَ عبد المطَّلِبِ؛ لِأَنَّ المطَّلِب جَاءَ بِهِ مِن المدِينَةِ وَهُوَ طِفْلٌ، فَيَمُرُّ عَلَى النَّاسِ فَيَقُولُونَ مَنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: عَبْدٌ لِي. واسمُ عَبْدِ المطَّلِبِ شَيْبَةُ الحَمْدِ؛ لأَنَّهُ وُلِدَ وَفِيهِ شَعْرَةٌ بَيْضَاء. وَقِيلَ: اسْمُهُ عَامِرٌ وَيُكَنَّى أبَا الحَارِثِ، وَقِيلَ: أَبَا النَّطْحَاءِ[2]. وبَسَطْتُ الكلامَ على ذَلِكَ النَّسَبِ في "شَرْحِ لَامِيَّة ابْنِ النَّظْرِ[3]"[4]. لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَى باللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

02 فَيَا أَيُّهَا الْعَانِي تَيَقَّظْ مِنَ الْهَوَى وَبَادِرْ فَذُو التَّأْخِيرِ ذَاكَ هُوَ الْعَانِي

إِنْ عَلِمْتَ أَنَّ للهِ رَسُولًا إِلَى الجِنِّ وَالإِنْسِ، فَاخْرُجْ مِنْ هَوَاكَ أَيُّهَا الأَسِيرُ إِلَى مَا أُرْسِلَ بِهِ ﷺ، وَأَسْرِعْ إِلَيْهِ.

وَإِنْ قُلْتَ مَنْ هُوَ ذَلِكَ العَانِي؟ فَأَنَا أَقُولُ: صَاحِبُ التَّأْخِيرِ عَنِ الجنَّةِ، وَمَقَامَاتِ الخَيْرِ، البَعِيدُ عَنْهَا هُوَ العَانِي. أَوْ بَادِر لأَنَّ ذَا التَّأْخِيرِ ذَاكَ هُوَ العَانِي؛ فَالفَاءُ الأُولَى فِي جَوَابِ شَرْطٍ مَحْذُوفٍ، وَالثَّانِيةُ كَذَلِكَ أَوْ لِلتَّعلِيلِ.

وَ"العَانِي": الأَسِيرُ؛ أَسَرَهُ الشَّيْطَانُ بِالذّنُوبِ وَإِصْرَارِهِ عَلَيْهَا. وَسُمِّيَ الأَسِيرُ عَانِيًا؛ لِأَنَّهُ عَارِضٌ وَحَادِثٌ فِيمَنْ أَسَرُوهُ.

وشَبَّهَ الهَوَى بِالنَّومِ، وَدَلَّ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: تَيَقَّظْ؛ إِذْ كُلٌّ مِنَ النَّائِمِ وَصَاحِبِ الهَوَى لَا يَدْفَعُ الضُّرَّ عَنْ نَفْسِهِ، وَلَا يَجْلُبُ النَّفْعَ.

---

(1) دلائل النبوة، البيهَقِي، 174/1.

(2) ينظر: أنساب الأشراف، البلاذري، 64/1-65.

(3) ابن النَّظر: أحمد بن سليمان بن عبد الله بن النضر (هكذا ضبط في معجم الأعلام) ت:690هـ من أهل سمائِل، قتله خردلة بن سماعة النَّبهاني، من مؤلَّفاتِهِ: الوصِيد في ذمِّ التَّقليد، ومنظومة الدَّعائِم في العقِيدة والفقه، قِيل فِيه: أشعر العلماءِ وأعلم الشُّعراءِ. معجم أعلام الإباضية، ص54.

(4) شرح لاميَّة ابن النَّظر في الولاية والبراءة المعروفة بـ: كشف الغمَّة، مخطوط من تأليف المؤلِّف، في جزئَيْنِ من (581و، 596و) على التَّرْتِيبِ، نسخته موجودة بمكتبة القطبِ ببني يَزقن، بالرَّمزِ: أث1ج1، أث1ج2 على الترتِيبِ. قام بتألِفيه بطلبٍ من العالم نور الدِّين فيْصَل بن حمُّود العماني، نقَلَ النَّاسِخُ في أوَّلِ النُّسخةِ نصَّ الرِّسالة التي طلب منه فيها شرح اللاميَّةِ مؤرَّخَةً بـ: 15 ربيع الآخِر 1300هـ. فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش، ص114.

وَ"التَّأخِيرُ": فِعْلُ اللهِ؛ يُؤَخِّرُهُ عَزَّ وَعَلَا عَنِ الجَنَّةِ وَمَقَامَاتِ الخَيْرِ؛ لأَنَّهُ أَسَرَهُ الشَّيْطَانُ بِالمعَاصِي، أَوْ فِعْلُهُ هُوَ؛ أَيْ: يُؤَخِّرُ نَفْسَهُ عَنْهَا بِأَعْمَالِهِ السَّيِّئَةِ.

وَ"ذَاكَ": لِلْبَعِيدِ، وَالمرَادُ بِالبُعْدِ سُوءُ المرتَبَة. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

03 فَحَتَّامَ لاَ تَلْوِي العِنَانَ مُقَارِنًا لِمَا دَلَّ مِنْ نَهْيٍ وَأَمْرٍ بِقُرْءَانِ

إِلَى أَيِّ وَقْتٍ لَا تَرُدُّ عِنَانَ فَرَسِكَ، الذِي هُوَ الهَوَى، عَمَّا يُسْرِعُ إِلَيْهِ بِكَ، حَالَ كَوْنِكَ، أَوْ كَوْنِ العِنَانِ مُقَارِنًا مُصَاحِبًا لِمَا دَلَّكَ عَلَى الرُّشْدِ مِنْ نَهْيٍ أَوْ أَمْر كَائِنَيْنَ بِقُرْآن.

الفَاءُ عَاطِفَةٌ، أَوْ فِي جَوَابِ شَرْطٍ؛ أَيْ: إِنْ تَكَاسَلْتَ فَإِلَى مَاذَا، مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ؛ أَيْ: حَتَّى مَاذَا تَبْقَى، أَوْ بِـ:"لَا" النَّافِيَّةِ، فَقَدَّمَهُ عَلَيْهَا لِلضَّرُورَةِ، لِأَنَّ مَعْمُولَ الحَرْفِ لَا يَسْبِقُهُ.

وَإِنَّمَا كُتِبَتْ "حَتَّى" بِالأَلِفِ لَا بِصُورَةِ يَاءٍ، لِدُخُولِهَا عَلَى مَا الاسْتِفْهَامِيَّة مُجَرَّدَةً عَنْ "ذَا"، وَكَذَا "إِلَى" وَ"عَلَى"، تَقُولُ: إِلَامَ وَعَلَامَ. وَ"مِنْ نَهْيٍ": بَيَانٌ لِـ"مَا" أَوْ لِلمُسْتَكِنِ فِي "دَلَّ"؛ فَإِنَّ ذَلِكَ الدَّالَ هُوَ النَّهْيُ وَالأَمْرُ. وَبِـ"قُرْءَانِ": نَعْتٌ لَهُمَا؛ أَيْ: ثَابِتَيْنِ بِقُرْءَانٍ.

[2ظ] وَمَعْنَى مُقَارَنَةِ الإِنْسَانِ أَو العِنَانِ، للأَمْرِ وَالنَّهْيِ الدَّالَّيْنِ عَلَى الرَّشَادِ، مُتَابَعَةُ الأَمْرِ بِالِامْتِثَالِ وَالنَّهْيِ بِالِانْتِهَاءِ. وَمَعْمُولُ "دَلَّ" مَحْذُوفٌ؛ أَيْ: دَلَّ عَلَى الرَّشَادِ.

وَقَدَّمَ النَّهْيَ لأَنَّ التَّخَلِّي قَبْلَ التَّحَلِّي، وَلِأَنَّهُ أَنْسَبُ بِمَا ذَكَرَ مِنَ الهَوَى وَالأَسْرِ. وَلَوْ كَانَ الأَسْرُ وَالهَوَى أَيْضًا يَكُونَانِ بِمُخَالَفَةِ الأَمْرِ.

وَشَبَّهَ الهَوَى بِالفَرَسِ، وَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ بِإِثْبَاتِ العِنَانِ لَهُ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَذْكُر الهَوَى أَيْضًا. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

04 وَفِي دَائِمِ الأَوْقَاتِ تَتْبَعُ ذَا الْهَوَى وَنَفْسُكَ لاَ تهوَى سِوَى فِعْلِ عِصْيَانِ

وتَتْبَعُ هَذَا الهَوَى فِي الوَقْتِ دَائِمِ الأَوْقَاتِ، وَنَفْسُكَ لَا تُحِبُّ إِلَّا فِعْلَ عِصْيَانٍ للهِ ﷻ.

وَ"دَائِمِ": نَعْتٌ لِمَحْذُوفٍ كَمَا رَأَيْتَ، وَالمقْصُودُ الاسْتِمْرَارُ، فَاعْتبر مِنْهُ حِصَّةَ مَا مَضَى، فَكَانَتْ إِضَافَتُهُ مَحْضَة، فَقَدّرْت المنْعُوتَ مَعْرِفَةً، وَإِنْ لَمْ يُعْتَبَر ذَلِكَ قدّرت نَكِرَة هَكَذَا: وَفِي وَقْتِ دَائِمِ الأَوْقَاتِ، وَالإِضَافَةُ لِلتَّبْعِيضِ. وَ"دَائِم الأَوْقَاتِ" هُوَ نَفْسُهُ زَمَانُهُ المتَطَاوِلُ، وَهُوَ بَعْضٌ مِنْ جُمْلَةِ الزَّمَانِ.

وَيَجُوزُأَنْ يَكُونَ مِنْ إِضَافَةِ الصِّفَةِلِلمَوْصُوفِ؛ أَيْ: وَفِي الأَوْقَاتِ الدَّائِمَةِ، وَلَمَّا قُدِّمَ وَأُضِيفَ أُفْرِدَ،فَذُكِرَ عَلَى إِرَادَةِ الجِنْسِ، فَهُوَبِمَعْنَى الجَمْعِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَفِي دَوَائِمِ الأَوْقَاتِ، وَيَتَعَلَّقُ بِـ"تَتْبَعُ" وَقُدِّمَ لِلضَّرُورَةِ.

وَ"ذَا": اسْمُ إِشَارَةٍ لِلهَوَى، وَأَشَارَ إِلَيْهِ إِشَارَةَ القُرْبِ لِلتَّهْوِينِ. وَ"الهَوَى": تَابِعٌ لِـ"ذَا". وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

05 إِذَا دُعِيَتْ لِلشَّرِّ قَرَّتْ وَأَثْبَتَتْ وَإِنْ دُعِيَتْ لِلْخَيْرِ فَرَّتْ كَغِرْبَانِ

إِذَا دَعَا الشَّيْطَانُ أَوْ غَيْرُهُ النَّفْسَ إِلَى الشَّرِّ، أَوْ مِنْ أَجْلِ الشَّرِّ، ثَبَتَتْ لَهُ، وَأَثْبَتَتْ لَهُ مَا يُحِبُّ مِنَ الشَّرِّ، وَهُوَ عِصْيَانُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا. وَإِنْ دَعَاهَا مَلَكُ الإِلْهَامِ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ آيَةٌ أَوْ حَدِيثٌ أَوْ وَعْظٌ، أَوْ أَثَرٌ إِلَى الخَيْرِ أَوْ مِنْ أَجْلِ الخَيْرِ، وَهُوَ طَاعَةُ اللهِ وَاجْتِنَابُ الحَرَامِ، فَرَّتْ عَنْ ذَلِكَ الخَيْرِ كَفِرَارِ الغِرْبَانِ، وَهِيَ أَبْعَدُ طَائِرٍ وَأَوْحَشُهُ عَنِ النَّاسِ.

ذَكَرَ الشَّرَّ بِإِذَا لِكَثْرَتِهِ، فَكَانَ بِصِيغَةٍ لَا تُشْعِرُ بِالشَّكِّ، بَلْ تَنْبَنِي عَلَى رَسْمِ التَّحَقُّقِ، بِخِلَافِ الخَيْرِ فَكَانَ بِإِن الشَّكِّيَّةِ. وَالدِّينُ وَالقُرْآنُ وَالحَدِيثُ وَالآثَارُ وَالوَعْظُ مَبْسُوطَةٌ، لَكِنْ قَدْ لَا يَتَعَرَّضُ لِلإِنْسَانِ قِرَاءَةُ القُرْآنِ مَثَلًا، أَو اسْتِمَاعُهُ.

[3و] وَمَفْعُولُ "أَثْبَتَتْ" مَحْذُوفٌ كَمَا رَأَيْتَ؛ أَيْ: أَثْبَتَتْ مَا دُعِيَتْ إِلَيْهِ مِنَ الشَّرِّ، أَوْ أَثْبَتَتْ نَفْسَهَا لَهُ، أَوْ لَا مَفْعُولَ لَهُ، بِمَعْنَى صَارَتْ ذَاتَ ثَبَاتٍ. وَلَعَلَّ النُّسْخَةَ: أَذْعَنَتْ.

وَ"غِرْبَان": بِكَسْرِ الغَينِ جَمْعُ غُرَابٍ وَهُوَ بِمُعْجَمَةٍ، وَكَذَا "العِنَانُ": بِمُهْمَلَةٍ بِمَعْنَى الزِّمَامِ لِلْفَرَسِ، هُوَ بِالكَسْرِ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

06 لَقَدْ أَسْرَفَتْ فِي كُلِّ بَغْيٍ وَأَشْرَفَتْ عَلَى مَهْبِطٍ لاَ يُسْتَقَالُ وَغِيرَانِ

وَاللهِ لَقَدْ أَكْثَرَتِ النَّفسُ الوُقُوعَ فِي كُلِّ مُجَاوَزَةِ الحُدُودِ، حُدُودِ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَاسْتَعْلَتْ بِجَانِبِ مَوْضِعٍ مُسْتَفِلٍ مُهْلِكٍ، لَا يُرَدُّ مِنْهُ مَنْ وَقَعَ فِيهِ، وَعَلَى هَوَاتٍ أَيْضًا فِي ذَلِكَ المهْبِطِ.

وَ"أَسْرَفَتْ": أَوَّلًا بِالسِّينِ المهْمَلَةِ، وَبَعْدَ الرَّاءِ فَاءٌ. وَ"أَشْرَفَتْ" ثَانِيًا آخِرَ الشَّطْرِ الأَوَّلِ هُوَ بِالشِّينِ المعْجَمَةِ وَبَعْدَ الرَّاءِ فَاءٌ أَيْضًا مِنْ قَوْلِكَ: أَشْرَفَ عَلَيْهِ، بِمَعْنَى عَلَا عَلَيْهِ مِنْ جَانِبٍ.

وَ"المهْبِطُ": نَارُ الآخِرَةِ. وَ"الغِيرَانُ": أَجْبَابُهَا وَآبَارُهَا وَأَوْدِيَتُهَا. جَعَلَ مُقَارَفَةَ الذُّنُوبِ إِشْرَافًا عَلَى النَّارِ؛ لِأَنَّهَا سَبَبُ النَّارِ، أَوْ جَعَلَهَا إِشْرَافًا عَلَى الخِذْلَانِ، إِذْ هِيَ سَبَبُهُ. وسَمَّى الخِذْلَانَ مَهْبِطًا لمضَرَّتِه، وَلِأَنَّه مُوجِبُ مَهَاوِي النَّارِ.

وَ"مَهْبِطٌ": بِفَتْحِ الميمِ وَكَسْرِ البَاءِ اسْمٌ لِمَكَانِ الهُبُوطِ. وَ"الغِيرَانُ" بِكَسْرِ الغينِ جَمْعُ غَارٍ.

وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

07 وَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ لَوَّامَةٌ لِمَنْ نَهَاهَا فَلَيْسَتْ تَطْمَئِنُّ لِإِحْسَانِ

وَنَفْسُكَ نَفْسٌ أَمَّارَةٌ بِالمعَاصِي كَثِيرَةُ اللَّومِ، أَوْ عَظِيمَتُهُ، لِمَنْ نَهَاهَا عَنِ السُّوءِ، فَلَا تَسْكُنُ لِإِحْسَانٍ، وَهُوَ الطَّاعَةُ، بَلْ تَضْطَرِبُ عَنْهُ.

فـ"أَمَّارَةٌ": خبَرٌ لمَحْذُوف كمَا رَأَيْتَ، وَهُوَ مُبَالَغَةُ تَكْثِيرٍ أَوْ تَعْظِيمٍ، وَمَنْ أَجَازَ اسْتِعْمَالَ اللَّفْظِ فِي مَعْنَيَيْهِ مَعًا، أَوْ مَعَانِيهِ أَجَازَ قَصْدَ التَّعْظِيمِ وَالتَّكْثِيرِ مَعًا، وَكَذَا فِي لَوَّامَةٍ، وَالأَوْلَى مُبَالَغَةُ التَّعْظِيمِ هَكَذَا، فَيَشْملُ مَا كَانَ بِإِكْثَارٍ وَمَا بِتَشْدِيدٍ فِي الفِعْلِ، فَلَا يَكُونُ اسْتِعْمَالًا لَهُ فِي مَعْنَيَيْهِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ "أَمَّارَة": مُبْتَدَءًا خَبَرُهُ: "لَوَّامَةٌ" أَوْ خَبَرُهُ مَا بَعْدَ الفَاءِ، عَلَى قَوْلِ جَوَازِ زِيَادَةِ الفَاءِ فِي الخَبَرِ مُطْلَقًا، أَوْ خَبَرُهَا "إِذَا" وَشَرْطُهَا وَجَوابُهَا. وَ"اللَّوْمُ": العِتَابُ وَعَدَمُ القبُولِ.

[3ظ] وَالمرَادُ بِالبَيْتِ وَالأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ وَالآتِيَةِ نَفْسُهُ، جَرَّدَ مِنْ نَفْسِهِ إِنْسَانًا يُخَاطِبُهُ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

08 إِذَا أَزْمَعَتْ شَرًّا فَلَيْسَ يَرُدُّهَا إِلَى الْخَيْرِ إِخْوَانُ الرِّضَاءِ بِإِتْقَانِ

إِذَا قَصَدَتْ مَعْصِيَةً بِتَصْمِيمٍ وَعَزْمٍ شَدِيدٍ، فَلَيْسَ الشَّأْنُ يُؤَثِّرُ فِيهَا وَعْظُ إِخْوَانِ الرِّضَا وَزَجْرُهُمْ لَهَا عَنْهَا، بِإِتْقَانِ الرَّدِّ، فَإِنْ أَثَّرُوا فِيهَا فَبَعْضَ تَأْثِيرٍ، لَا كَامِل، لِشِدَّةِ حُبْتِهَا.

وَزَمْعُ الشَّيْءِ: القَطْعُ بِهِ. وَ"لَيْسَ" هُنَا لِلاسْتِقْبَالِ لَا لِلْحَالِ، بِدَلِيلِ وُقُوعِهَا جَوَابًا لِـ"إِذَا".

وَأَرَادَ بِالإِخْوَانِ: الإِخْوَانَ فِي الدِّينِ، بِدَلِيلِ إِضَافَتِهِمْ لِلرِّضَاءِ؛ أَيْ: إِخْوَانُ قُبُولِ أَمْرِ اللهِ وَالتَّأَثُّرِ بِهِ، وَهُوَ بِالمدِّ لُغَةٌ، وَالقَصْرُ أَفْصَحُ، كَذَا قِيلَ.

وَالوَاضِحُ أَنَّ المدَّ عَلَى مَعْنَى المفَاعَلَةِ مِنْ رَاضَى بِوَزْنِ فَاعَلَ، بِأَلِفٍ وَفَتْحِ العَيْنِ، فَالمعْنَى: الإِخْوَانُ الذِينَ تَرَاضَوْا بَعْضٌ بِبَعْضٍ، أَوْ تَرَاضَوا مَعِي فَبَعْضٌ رَضِيَ بِبَعْضٍ وَوَافَقَهُ. وَ"الإِتْقَانُ": الضَّبْطُ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

09 وَإِنْ مَرَّ فِعْلُ الخَيْرِ فِي بَابِهَا انْثَنَى أَبُو مُرَّةٍ يثْنِيهِ غَايَةَ إِمْكَانِ

وَإِنْ مَرَّ فِعْلُ الخَيْرِ عَلَى الأُذنِ أَو العَيْنِ أَو القَلْبِ، عَطَفَ إِبْلِيسُ عَلَيْهِ بِالرَّدِّ عَنْهَا لَهُ رَدًّا عَظِيمًا، بَالِغًا غَايَةَ إِمْكَانٍ.

وَأَرَادَ بِفِعْلِ الخَيْرِ مَا يَشْملُ قَوْلَ الخَيْرِ، فَالمرَادُ بِفِعْلِ الخَيْرِ العِبَادَةُ، وَالأُذُنُ وَالعَيْنُ مِنْ أَبْوَابِهَا، إِذَا سَمِعَتْ مَنْ فَعَلَ كَذَا أَوْ قَالَهُ، أَوْ رَأَتْ فِي الكِتَابِ مَنْ فَعَلَ كَذَا أَوْ قَالَهُ أَوْ خَطَرَ عَلَى قَلْبِهَا قَوْلُ طَاعَةٍ أَوْ فِعْلُ طَاعَةٍ، أَوْ يَجِبُ فِعْلُ كَذَا أَوْ قَوْلُهُ أَوْ يُسْتَحَبُّ، لَمْ يتْرُكْهَا إِبْلِيسُ تَفْعَلُ أَوْ تَقُولُ.

شَبَّهَ حُضُورَ فِعْلِ الخَيْرِ بِالخُطُورِ أَو السَّمْعِ أَو الرُّؤْيَةِ، بِمُرُورِ الشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ؛ لِأَنَّهُ يَخْطُرُ أَوْ تَرَاهُ أَوْ تَسْمَعُهُ فَيَغِيبُ، فَلَا يَبْقَى إِلَّا فِي الحَافِظَةِ فَسَمَّاهُ مُرُورًا.

وَ"فِي": عَلَى ظَاهِرِهَا، فَإِنَّكَ إِذَا سَمِعْتَ شَيْئًا أَوْ رَأَيْتَهُ، فَقَدْ تَحْصُلُ صُورَتُهُ فِي الأُذُنِ وَالبَصَرِ بِوَاسِطَةِ القَلْبِ وَبِالعَكْسِ، أَوْ بِمَعْنَى البَاءِ الإِلْصَاقِيَّةِ.

وَ"انْثَنَى": عَطَفَ. وَأَبُو مُرَّةَ: كُنْيَةُ إِبْلِيسَ، ولَكِنَّ المرَادَ بِهِ مُطْلَقُ الشَّيْطَانِ، تَسْمِيَةً لِلْمَأْمُورِ باسْمِ الآمِرِ، فَإِنَّ إِبْلِيسَ هُوَ الآمِرُ لِلشَّيَاطِينِ بِالصَّرْفِ عَنْ فِعْلِ الخَيْرِ.

وَلَيْسَ إِبْلِيسُ يَصِلُ الخَلْقَ كُلَّهُمْ بِنَفْسِهِ، بَل الأَكْثَرُ غَيْرُهُ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَسْنَدَ الانْثِنَاءَ وَالثَّنْيَ إِلَى إِبْلِيسَ، وَالمرَادُ شَيَاطِينُهُ، إِسْنَادًا لِمَا لِلْمَأْمُورِ إِلَى الآمِرِ.

وَجَرَّ "مُرَّةَ" بِالكَسْرِ وَنَوَّنَهُ، مَعَ أَنَّهُ جُزْءُ عَلَمٍ يَسْتَحِقُّ مَنْعَ الصَّرْفِ؛ لِلتَّأْنِيثِ وَحِصَّتِهِ فِي العَلَمِيَّةِ لِلضَّرُورَةِ. وَبَعْضٌ يَصْرِفُهُ؛ [4و] لِأَنَّهُ جُزْءُ عَلَمٍ لاَ عَلَمٌ، إِلَّا إِذَا كَانَ عَلَمًا ثُمَّ جُعِلَ جُزْءَ عَلَمٍ فَإِنَّهُ يُمْنَعُ الصَّرْفَ، كَمَا فِي هَذَا اللَّفْظِ، إِذَا قُلْنَا إِنَّ مُرَّةَ مِنْ أَوْلَادِهِ.

وَ"غَايَة": مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ لِيثْنِيهِ ثَنْيًا عَظِيمًا جِدًّا. وَمُتَعلّقُ "انْثَنى" مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: انْثَنَى عَلَيْهِ؛ أَيْ: عَلَى فِعْلِ الخَيْرِ، أَو انْثَنَى عَلَيْهَا؛ أَيْ: عَلَى النَّفسِ. وَكَذَا مَعْمُولُ "يَثْنِيهِ"؛ أَيْ: يَثْنِي فِعْلَ الخَيْرِ عَنْهَا؛ أَيْ: يَصْرِفُهُ. لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

10 إِلَى اللهِ أَشْكُو مَا أُلاَقِيهِ مِنْهُمَا وَلَيْسَ لِغَيْرِ اللهِ أُظْهِرُ أَحْزَانِي

أَشْكُو إِلَى اللهِ وَحْدَهُ، لَا إِلَى غَيْرِهِ، وَلَا إِلَيْهِ وَإِلَى غَيْرِهِ مَا أُلَاقِيهِ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ أَبِي مُرَّةَ.

وَلَيْسَ الشَّأْنُ أُظْهِرُ أَحْزَانِي لِغَيْرِ اللهِ. فَالهَاءُ فِي "مِنْهُمَا" عَائِدٌ إِلَى النَّفْسِ وَأَبِي مُرَّةَ. وَالضَّمِيرُ فِي "لَيْسَ" لِلشَّأْنِ. وَ"أَحْزَانِي": جَمْعُ حُزْنٍ بِفَتْحِ الهَمْزَةِ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

11 فَقَدْ عَدَلاَ بِي عَنْ رَشَادِيَ وَالْهُدَى وَقَدْ نَزَلاَ بِي فِي حَضِيضٍ تَوَلَّانِي

لِأَنَّهُمَا أَمَالَانِي عَنْ طَاعَةِ اللهِ وَأَنْزَلَانِي فِي هُوَّةٍ تَوَلَّتْنِي.

وَالفَاءُ تَعْلِيلٌ لِأَشْكُو، وَالبَاءُ فِي "عَدَلَا بِي" وَ"نَزَلَا بِي": لِلتَّعْدِيَةِ؛ أَيْ: أَعْدَلَانِي وَأَنْزَلَانِي.

وَ"الرَّشَادُ" وَ"الهُدَى": مُتَابَعَةُ دِينِ اللهِ؛ فَإِنَّهَا رَشَادٌ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا صَلَاحٌ لَا سَفَهٌ، وَهُدًى مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا تَخْلِيصٌ عَن الهَلَاكِ.

وَ"الحَضِيضُ": الهُوَّةُ. وَأَلِفُ "تَوَلَّانِي" بَدَلٌ مِنْ لَامِ الكَلِمَةِ، لَا ضَمِيرٌ، وَفِي "تَوَلَّى" ضَمِيرٌ عَائِدٌ لِلْحَضِيضِ، وَلَوْ كَانَ ضَمِيرَ تَثْنِيَةٍ لَقَالَ تَوَلَّيَانِي. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

12 هُمَا لَعِبَا بِي مِثْلَ مَا لَعِبَ الطِّلَاَ بِعَطْفَيْ صَبُوءٍ ذِي انْعِطَافٍ وَصِبْيَانِ

هُمَا تَصَرَّفَا بِي فِي سَفَهٍ، كَمَا تَصَرَّفَ الخَمْرُ بِجَنْبَي رَجُلٍ مَائِلٍ مَيْلًا عَظِيمًا، صَاحِبِ انْعِطَافٍ إِلَى كُلِّ مَا أَمْكَنَهُ، وَكَلَعِبِ صِبْيَانٍ بِكُورَةٍ وَنَحْوِهَا.

فَهُوَ مُنْهَمِكٌ فِي المعَاصِي مُتَكَثِّرٌ مِنْهَا، لَا يَحْذَرُ مِنْهَا شَيْئًا، كَمَا أَنَّ السَّكْرَانَ بِالخَمْرِ يَهْذِي بِمَا جَرَى عَلَى لِسَانِهِ، وَيَفْعَلُ مَا يَفْعَلُ وَلَا يَحْذَرُ. وَكَمَا أَنَّ الصِّبْيَانَ يَعْمَلُونَ وَيَقُولُونَ مَا يَشَاءُونَ بِلَا حَذَرٍ.

وَ"الطِّلَاَ": بِكَسْرِ الطَّاءِ الخَمْرُ، وَهُوَ مَمْدُودٌ قُصِرَ لِلضَّرُورَةِ. وَ"العَطْفُ": الجَنْبُ، وَالسَّكْرانُ يَمِيلَ بِجَنْبَيْهِ. وَ"صَبُوءٍ": بِفَتْحِ الصَّادِ، مُبَالَغَةٌ فِي الميْلِ. وَ"صِبْيَانُ": مَعْطُوفٌ عَلَى مَصْدَرِ لَعِبَ، عَلَى تَقْدِيرِ مُضَافٍ [4ظ]؛ أَيْ: وَلَعِبِ صِبْيَانٍ. لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

13 هُمَا اسْتَخْدَمَا الأَعْضاءَ مِنّيَ بِالذي يُرِيدَانِ مِنْ كَيْدِي وَذُلّي وَطُغْيَانِ

يَصْرِفَانِ أَعْضَائِي بِكُلِّ مَا يُرِيدَانِ مِنْ إِهْلَاكِي وَذُلِّي وَمُجَاوَزَتِي حُدُودَ اللهِ. وَ"مِنّيَ": بِفَتْحِ اليَاءِ، حَالٌ مِنَ الأَعْضَاءِ. وَ"بِالذِي": يَتَعَلَّقُ بِـ "يَسْتَخْدِمَانِ" وَالبَاءُ عَلَى أَصْلِهَا أَوْ بِمَعْنَى فِي، أَوْ لِلسَّبَبِيَّةِ أَوْ لِلتَّعْلِيلِ. وَرَابِطُ الصِّلَةِ مَحْذُوفٌ؛ أَيْ: يُرِيدَانِهِ. وَ"مِنْ كَيْدِي" إلخ، بَيَانٌ لِلَّذِي أَوْ لِرَابِطِهِ.

وَ"الكَيْدُ": الإِهْلَاكُ بِالحِيلَةِ، وَهَلَاكُ الآخِرَةِ الذَّهَابُ إِلَى النَّارِ، وَهَلَاكُ الدُّنْيَا الخُرُوجُ عَن الدِّينِ، وَكِلَاهُمَا شَبِيهٌ بِالموْتِ لِعَدَمِ التَّحَرُّزِ عَنِ السُّوءِ، وَعَدَمِ جَلْبِ نَافِعٍ.

والذُّلُّ بِمُخَالَفَةِ الدِّينِ فإنَّ العَاصِي ذَلِيلٌ، وَلَوْ تَصَوَّرَ بِالعِزِّ، وَمَغْلُوبٌ وَلَوْ تَصَوَّرَ بِالغَلَبَة. وَالذُّلُّ أَيْضًا فِي الموْتِ وَالقَبْرِ وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ.

وَيُرِيدُ النَّاظِمُ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي اللَّفْظَيْنِ لِأَنَّهُمَا مَصْدَرَانِ صَالِحَانِ لِلكَثْرَةِ، وَمَعَانِي كُلٍّ مِنْهُمَا مُتَّحِدَةُ المفْهُومِ، فَصَحَّ إِرَادَتُهَا كُلَّهَا مَرَّةً. و"الطُّغْيَانُ": المبَالَغَةُ فِي المعْصِيَةِ. وَلَا حولَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

14 لِسَانِيَ فِي لَغْوٍ خِصَامٍ وَغَيْبَةٍ وَمَيْنٍ عَلَى الإِطلاَقِ فِي كُلِّ أَزْمَانِ

لِسَانِي مَسْتَغْرِقٌ فِي مَا لَا يُعْتَدُّ بِهِ لِانْتِفَاءِ نَفْعٍ دُنْيَوِيٍّ مُبَاحٍ، وَنَفْعٍ دِينِي، مُسْتَغْرِقٌ فِي خِصَامٍ لأَمْرٍ دُنْيَوِيٍّ بِلَا نَفْعٍ مُبَاحٍ، وَلأَمْرٍ دِينِيٍّ بِلَا قَصْدٍ لِوَجْهِ اللهِ، بَل لِلتَّرَفُّعِ. وَفِي ذِكْرِ المؤْمِنِ الموَفِّي بِالدِّينِ، وَالمُوَحِّدِ الذِي لَا يُدْرَى حَالُهُ، وَالعَاصِي لَا لِأَجْلِ عِصْيَانِهِ، بِمَا يَكْرَهُونَ مِمَّا هُوَ فِيهِمْ. وَفِي كَذِبٍ عَلَى الإِطْلَاقِ فِي كُلِّ أَزْمَانٍ، لَا أَخُصُّ كَذِبًا مِنَ الكَذِبِ، وَلَا زَمَانًا مِنَ الأَزْمَانِ.

وَ"فِي لَغْوٍ": مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ جَوَازًا، لَا وُجُوبًا، لِكَوْنِهِ كَوْنًا خَاصًّا؛ أَيْ: مُسْتَغْرِقٌ أَوْ رَاسِخٌ أَوْ ثَابِتٌ، بِمَعْنَى رَاسِخٌ غَيْرُ مُتَزَلْزِلٍ، لَا ثَابِتٌ بِمَعْنَى مُطْلَقِ الحُصُولِ، لِأَنَّهُ فِي مَقَامِ هَضْمِ نَفْسِهِ فِي هَذَا البَيْتِ وَمَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ، وَمَقَامِ التَّضَرُّعِ إِلَى رَبِّهِ، لَعَلَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ يَرْحَمُهُ.

وَ"خِصَامٍ" وَمَا بَعْدَهُ: بَدَلٌ مِنْ "لَغْوٍ"، بَدَلٌ مُطَابِقٌ فَ"لَغْو" مُنَوَّنٌ.

وَ"عَلَى الإِطْلَاقِ": نَعْتُ مَيْنٍ، وَ"فِي كُلِّ أَزْمَانٍ": مُتَعَلِّقٌ بِـ"لَغْوٍ"، وَفُصِلَ بِالإِبْدَالِ لِلضَّرُورَةِ. أَوْ تَنَازَعَهُ "خِصَامٍ" وَ"غَيْبَةٍ" وَ"مَيْنٍ" وَعَمِلَ فِيهِ "مَيْنٍ" فَيُقَدَّرُ: خِصَامٍ فِيهَا وَغَيْبَةٍ [5و] فِيهَا؛ أَيْ: فِي كُلِّ أَزْمَانٍ. أَوْ عَلقَ بِـ"خِصَامٍ"، وَيُقَدَّرُ: فِيهَا لِغَيْبَةٍ، وَلِمَيْنٍ، وَلَمْ يَذْكُرْهُمَا لِلضَّرُورَةِ، أَوْ بِـ"غَيْبَةٍ"، فَيُقَدَّرُ: لِخِصَامٍ عَلَى الأَصْلِ، وَلِمَيْنٍ لِلضَّرُورَةِ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

15 وَأُحْسِنُ أَقْوالِي إِذَا كُنتُ نَاطِقًا بِمَا لَيْسَ يعْنِي مِنْ مَقَالَةِ إِنْسَانِ

أُحْسِنُ تَلَفُّظَاتِي، إِذَا كُنْتُ مُتَلَفِّظًا، تَلَفُّظِي بِمَا لَيْسَ يَعْنِينِي مِنْ تَلَفُّظِ إِنْسَانٍ، أَيِّ إِنْسَانٍ، كَانَ مِمَّا لَيْسَ فِي نَفْسِهِ ذَنْبًا، لَكِنْ لَا نَفْعَ فِيهِ دِينِيٌّ وَلَا دُنْيَوِيٌّ.

وَ"أَقْوَالِي": بِمَعْنَى تَلَفُّظَاتِي، اسْتِعْمَالٌ لِلْمُقَيَّدِ فِي المطْلَقِ، عَلَى أَنَّ القَوْلَ يَخْتَصُّ بِالموْضُوعِ، وَاللَّفْظَ لَهُ وَلِلْمُهْمَلِ. وَ"إِذَا": ظَرْفٌ خَارِجٌ عَنِ الصَّدْرِ وَالشَّرْطِ مُتَعَلِّقٌ بِأَقْوَالِي، وَفَائِدَتُهُ تَعْمِيمُ أَوْقَاتِ النُّطْقِ. وَ"بِمَا": مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ جَوَازًا خَبَرُ المبْتَدَأ؛ أَيْ: تَلَفُّظِي بِمَا لَيْسَ يَعْنِي. وَجَمَعَ القَوْلَ، مَعَ أَنَّهُ مَصْدَرٌ يَصْلُحُ لِمَعْنَى الجَمْعِ بِلَا جَمْعٍ، لِيَدُلَّ عَلَى أَنْواعِ القَوْلِ.

وَمَعْنَى "يعْنِي": يَعْرِضُ؛ أَيْ: لَيْسَ يَعْرِضُ لِفَائِدَةٍ، بَلْ هُوَ بَعِيدٌ عَنْ مَقَامِ العِبَادَةِ وَالعُلَمَاءِ وَطَلَبَةِ العِلْمِ، فَأَقْصِدُهُ أَنَا وَأَتَعَرَّضُ لَهُ، لَا هُوَ إِيَّايَ. وَ"مَقَالَةُ": مَصْدَرٌ مِيمِيٌّ بِمَعْنَى القَوْلِ.

وَقَد اخْتَلَفُوا فِي إِلْحَاقِ التَّاءِ فِي المصَادِرِ الميمِيَّة وَأَسْمَاءِ المكَانِ وَأَسْمَاءِ الزَّمَانِ الميمِيَّةِ، فَقِيلَ: بِالقِيَاسِ لِكَثْرَةِ الوُرُودِ، وَقِيلَ: لَا يُقَاسُ عَلَيْهِ. أَمَّا مَقَالَةٌ فَقَدْ وَرَدَ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِإِنْسَانٍ نَفْسَهُ، أَظْهَرَ وَنَكَّرَ لِتَحْقِيرِ نَفْسِهِ هَضْمًا، وَتَضَرُّعًا إِلَى غَفَّارِ الذُّنُوبِ، وَسَتَّارِ العُيُوبِ وَكَاشِفِ الكُرُوبِ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

16 وَعَيْنِيَ كَمْ أَبْدَى لَهَا الدَّهْرُ عِبْرَةً فَلَمْ تَنْزَجِرْ إِذْ خَوْفُ رَبِّيَ أَعْيَانِي

وَعَيْنِي كَمْ مَرَّةً أَظْهَرَ لَهَا اللهُ فِي الزَّمَانِ مَا تَنْتَقِلُ بِهِ مِنْ مَعْصِيَةٍ إِلَى تَوْبَةٍ، وَمِنْ قَسْوَةٍ إِلَى خُشُوعٍ، وَمِنْ كَسَلٍ إِلَى نَشَاطٍ فِي العِبَادَةِ، وَهُوَ زَوَاجِرُ القُرْآنِ وَالحَدِيثِ، وَكَلَامُ العُلَمَاءِ وَحَوَادِثُ الدَّهْرِ، وَنِقْمَاتٌ مِنَ العُصَاةِ مُشَاهَدَة وَمَسْمُوعَة، فَلَمْ أَنْزَجِرْ وَلَمْ أَعْتَبِرْ وَقْتَ خَوْفِ رَبِّي أَعْجَزَنِي [5ظ] أَنْ أَنَالَهُ وَأَرْسَخَ فِيهِ.

وَأَرَادَ بِالعَيْنِ جِنْسَهَا مِنْهُ، فَشَمِلَت العَيْنَيْنِ، أَوْ أَرَادَ الوَاحِدَةَ هَكَذَا، مُشِيرًا إِلَى أَنَّ الوَاحِدَةَ تَكْفِي فِي الِاعْتِبَارِ، فَكَيْفَ اثْنَتَانِ. وَتَمْيِيزُ "كَمْ" الخَبَرِيَّةِ مَحْذُوفٌ مَجْرُورٌ؛ أَيْ: كَمْ مَرَّة، فَكَمْ: ظَرْفُ زَمَانٍ لِإِضَافَتِهِ إِلَى مَا جُعِلَ اسْمًا لِلزَّمَانِ، وَهُوَ مَرَّةٌ وَأَصْلُهُ المرَّةُ، وَاحِدَةٌ مِنَ المرُورِ.

وَ"أَبْدَى": أَظْهَرَ. وَ"الدَّهْرُ": فَاعِلٌ، وَإِسْنَادُ الإِبْدَاءِ إِلَيْهِ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ مِنَ الإِسْنَادِ إِلَى الزَّمَانِ، كَقَوْلِكَ: صَامَ يَوْمُ زَيْدٍ، بِرَفْعِ يَوْمِ. أَوْ يُقَدَّرُ مُضَافٌ؛ أَيْ: خَالِقُ الدَّهْرِ.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: ((**لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ الدَّهْرَ هُوَ اللهُ**))[1] إِنَّ فَاعِلَ مَا تَسْنِدُونَ إِلَى الدَّهْرِ هُوَ اللهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ﴾[2].

وَ"العِبْرَةُ": أَصْلُهُ التَّجَاوُزُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ، وَأَطْلَقَهُ هُنَا عَلَى الشَّيْءِ المتَجَاوَزِ عَلَيْهِ. وَالعِبْرَةُ زَاجِرَةٌ إِلَّا أَنَّ نَفْسَهُ لَمْ تَنْزَجِرْ لَهَا.

وَإِسْنَادُ الانْزِجَارِ إِلَى العَيْنِ عَلَى طَرِيقِ السَّلْبِ تَجَوُّزٌ فِي الإِسْنَادِ، وَحَقِيقَتُهُ لِصَاحِبِ النَّظْمِ، وَذَلِكَ مِنَ الإِسْنَادِ إِلَى الآلَةِ، وَإِلَى البَعْضِ الذِي لَهُ مَزِيَّةٌ فِي شَأْنِ هَذَا الإِسْنَادِ.

وَ"إِذْ": ظَرْفٌ وَهِيَ التِي شهرَ كَوْنُهَا لِلتَّعْلِيلِ، وَإِنَّمَا التَّعْلِيلُ مِنْ عَرَضٍ، لَا بِوَضْعِهَا لَهُ؛ فَمَعْنَى: أَكْرِمْ زَيْدًا إِذْ أَكْرَمَكَ، أَكْرِمْهُ وَقْتَ اِتِّصَافِهِ بِالإِكْرَامِ، وَالِاتِّصَافُ مُمْتَدٌّ إِلَى وَقْتِ التَّكَلُّمِ وَمَا بَعْدَهُ. وَفِي ذِكْرِ الوَقْتِ مُضَافًا لِلإِكْرَامِ تَلْوِيحٌ بِأَنَّ العِلَّةَ إِكْرَامُهُ إِيَّاكَ. وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ ﴾[3]؛

(1) صحيح مسلم، حديث (5).

(2) سورة يس: 19.

(3) سورة البقرة: 54.

أَيْ: اذْكُرْ وَقْتَ قَوْلِ مُوسَى لِقَوْلِهِ. وَلَا يُقَالُ فِي هَذِهِ تَعْلِيلٌ، وَلَكِن مَا بَعْدَهَا المرادُ بِالذِّكْرِ. فَفِي البَيْتِ: خَوْفُ اللهِ أَعْيَاهُ فِي وَقْتٍ لَمْ يَنْزَجِرْ، وَإِعْيَاءُ خَوْفِ اللهِ إِيَّاهُ عِلَّةُ عَدَمِ الِانْزِجَارِ. وَاللهُ أَعْلَمُ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

17 وَأُذْنِيَ لاَ تَصْغَى لِخَيْرٍ كَأَنَّمَا لَهَا الوَقْرُ عنْ ذِكْرٍ شَرِيفٍ وَقُرْآنِ

وَأُذْنِي لَا تَسْتَمِعُ لِخَيْرٍ، وَهُوَ المَوَاعِظُ وَالزَّوَاجِرُ، وَإِنْ سَمِعَتْ فَلَا اسْتِمَاعَ، بَلْ سَمِعَتْ دُونَ أَنْ تَعْمَلَ إِلَى السَّمْعِ. فَهِيَ كَالأُذُنِ الثَّقِيلَةِ السَّمْعِ فِي قِلَّةِ السَّمْعِ، إِذْ كَانَتْ لَا تَقْصِدُ السَّمْعَ، فَكَأَنَّمَا ثَقُلَ سَمْعُهَا عَنْ كَلَامٍ عَظِيمٍ يُسَمَّى ذِكْرًا، بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ مَذْكُورٌ عِنْدَ الملَائِكَةِ وَالمؤْمِنِينَ، أَوْ أَنَّهُ مُذَكِّرٌ لِسَامِعِهِ. وَيُسَمَّى قُرْآنًا لِأَنَّهُ قُرِنَتْ آيَاتُهُ أَوْ جُمِعَتْ بَعْضٌ بِبَعْضٍ، آيَةُ المؤْمِنِينَ بَعْدَهَا آيَةُ الكَافِرِ، وَآيَةُ الكَافِرِينَ بَعْدَهَا آيَةُ المؤْمِنِينَ. وَالمرَادُ بِالأُذُنِ: جِنْسُ الأُذُنِ الصَّادِقِ فِيهِ، فَشَمِلَ الأُذُنَيْنِ مَعًا.

وَ"لَا تَصْغَى": لَا تَسْتَمِعُ، وَ"الوَقْرُ": ثِقَلُ السَّمْعِ، وَ"عَنْ ذِكْرٍ": مُتَعَلِّقٌ بِالوَقْرِ. وَالذِّكْرُ الشَّرِيفُ وَالقُرْآنُ: كِتَابُ اللهِ المعْهُودُ وَإِنَّمَا نَكَّرَهُمَا لِلتَّعْظِيمِ.

[6و] وَذَكَرَهُ بِاسْمَيْنِ لِاخْتِلَافِ مَفْهُومَيْهِمَا، وَلَوْ اتَّحَدَا لَمَا صَدَقَ؛ كَقَوْلِكَ: جَاءَ زَيْدٌ الشَّاعِرُ وَالكَاتِبُ؛ أَيْ: الجَامِعُ بَيْنَ الشِّعْرِ وَالكِتَابَةِ. أَوْ أَرَادَ أَنَّ أُذُنَهُ لَا تَسْتَمِعُ لِخَيْرٍ سَمَاعَ قُبُولٍ وَتَأَثُّرٍ، وَإِن اسْتَمَعَ فَغَيْرُ اسْتِمَاعِ قُبُولٍ وَتَأَثُّرٍ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

18 وَلِي قَدَمٌ لَوْ قُدِّمَتْ لِظُلَامَةٍ لَطَارَتْ كَنَسْرٍ ذِي قُوَا وَكَعُقْبَانِ

وَلِي عَمَلٌ صَالِحٌ، لَوْ أُحْضِرَ مِنْ أَجْلِ ظُلَامَةٍ ظَلَمْتُهَا غَيْرِ[ي] لِيُجَازَى بِهَا عَنْ ظُلَامَتِهِ لَطَاشَ وَلَمْ يَفِ بِهَا، كَمَا يَطِيشُ مِنَ الأَرْضِ مَثَلًا بِالطَّيَرَانِ، نَسْرٌ صَاحِبُ قُوَاتٍ عَلَى الطَّيَرَانِ، وَكَمَا يَطِيرُ عُقَابٌ ذِي قُوَاتٍ كَذَلِكَ.

وَ"القَدَمُ": مَا عَمِلَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، تَسْمِيَةً لِلشَّيْءِ بِاسْمِ آلَتِهِ، فَإِنَّ القَدَمَ آلَةٌ فِي الجُمْلَةِ لِلعَمَلِ، وَ"القَدَمُ": السَّبْقُ، وَ"القَدَمُ": مَا قَدَّمْتَهُ أَمَامَكَ، وَعَمَلُ الإِنْسَانِ سَابِقٌ عَنْ يَوْمِ الحِسَابِ، وَمُقَدَّمٌ لَهُ. وَ"الظُّلَامَةُ": المظْلِمَةُ مِنْ جُمْلَةِ الظُّلْمِ كَقُلَامَةٍ وَقُمَامَةٍ، وَقِيلَ: هُوَ أَخَصُّ مِنَ المظْلِمَةِ وَالظُّلْمِ، وَأَنَّها المظْلِمَةُ بِقَيْدِ كَوْنِهَا تُطْلَبُ مِنَ الظَّالم.

وَ"قُوَا": بِضَمِّ القَافِ وَتَخْفِيفِ الوَاوِ بَعْدَهَا أَلِفٌ لَا بِصُورَةِ يَاءٍ؛ لِأَنَّها فِي ثُلَاثِيٍّ عَنْ وَاوٍ، وَهُوَ جَمْعُ قُوَّةٍ بِوَاوٍ مُشَدَّدَةٍ، كَعُرْوَةٍ وَعُرًا، لَمَّا فُتِحَت الأُولَى قُلِبَت الثَّانِيةُ أَلِفًا لِتَحَرُّكِهَا بَعْدَ فَتْحٍ.

وَ"عُقْبَانٍ": بِالضَّمِّ جَمْعُ عُقَابٍ، وَكُلٌّ مِنَ النَّسْرِ وَالعُقَابِ طَائِرٌ مَعْرُوفٌ. لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

19 ولَو أَنَّنِي يَوْمًا أُنَادِي لِقُرْبَةٍ لَكُنْتُ كَذِي عَجْزٍ لِمَانِعِ قُرْبَانِ

وَلَوْ ثَبَتَ نِدَائِي النَّاسَ يَوْمًا، إِلَى شَيْءٍ يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللهِ، لَكُنْتُ فِي عَدَمِ فِعْلِي مَا أَدْعُو إِلَيْهِ، مَعَ قُدْرَتِي عَلَيْهِ، كَمَنْ عَجَزَ عَنْهُ لِمَانِعٍ صَحِيحٍ يَمْنَعُهُ عَنْهُ. يَصِفُ نَفْسَهُ هَضْمًا لِنَفْسِهِ بِأَنَّهُ يَأْمُرُ بِالخَيْرِ وَيَنْسَى نَفْسَهُ.

وَالمصْدَرُ مِنْ خَبَرِ أَنَّ: فَاعِلٌ لِـ"ثَبَتَ" مَحْذُوفًا، وَمَفْعُولُ "أُنَادِي" مُلْغًى لِعَدَمِ الغَرَضِ فِي أَنَّهُ فُلَانٌ أَوْ كُلُّ إِنْسَانٍ. وَإِنْ قُدِّرَ كَمَا قَدَّرْتُ، وَأُرِيدَتْ حَقِيقَتُهُ لاَ اسْتِغْرَاقَ النَّاسِ لَصَحَّ.

وَاللَّامُ: بِمَعْنَى "إِلَى" أَوْ لِلتَّعْلِيلِ أَوْ لِلتَّعْدِيَةِ، كَأَنَّ النِّدَاءَ نَفْع لِقُرْبَةٍ. وَالقُرْبَةُ: مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ وَيَجُوزُ بَقَاؤُهُ عَلَى المصْدَرِيَّةِ؛ أَيْ: لِتَقَرُّبٍ. وَلَامُ "لِمَانِعٍ": لِلتَّعْلِيلِ مُتَعَلِّقٌ بِـ"عَجْزٍ"، وَ"قُرْبَانِ": مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ أَو التَّقَرُّبُ. [6ظ] وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

20 وَلاَ عُضْوَ إِلاَّ قَدْ أَصَرَّ عَلَى الذِي يُعَانِيهِ مِنْ فِعْلٍ قَبِيحٍ بِعُنْوَانِ

لَا عُضْوَ مِنْ أَعْضَائِي إِلَّا مُتَحَقِّقُ الإِصْرَارِ عَلَى الذَّنْبِ الذِي يُعَالِجُهُ، حَالَ كَوْنِهِ فِعْلًا قَبِيحًا مِنْ يَدٍ أَوْ رِجْلٍ أَوْ عَيْنٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، أَوْ لِسَانٍ، فَإِنَّ كَلَامَ اللِّسَانِ فِعْلٌ لَهُ، مُقْتَرِنًا فِي إِصْرَارِهِ بِعُنْوَانٍ يَدُلُّ أَنَّهُ مُصِرٌّ.

فَمُطْلَقُ الفَحْشَاءِ وَالمنْكَرِ يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ الاعْتِنَاءِ بِأَمْرِ الصَّلَاةِ. وَقَسْوَةُ القَلْبِ الظَّاهِرَةُ فِي عَدَمِ التَّأَثُّرِ بِالوَعْظِ، وَفِي قِلَّةِ نَفْعِ الخَلْقِ دَلِيلٌ عَلَى أَكْلِ الحَرَامِ. وَعَدَمُ تَأَثُّرِ التَّلَامِيذِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ تَعْلِيمِي إِيَّاهُمْ غَيْرُ مُخْلَصٍ، وَضَرْبِي مِنْ لَا يَسْتَحِقُّ الضَّرْبَ، وَقَبْضُ الحَرَامِ، بِهَا يَدُلَّانِ عَلَى أَنَّ كَتْبَهَا مَا تَكْتُبُ رِيَاءً بِكُتُبِهَا. وَذَهَابِي بِرِجْلِي إِلَى حَيْثُ لَا يَجُوزُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ لَبْسَهَا الزِّينَةَ رِيَاءٌ. أَو "العُنْوَانُ" مُشَاهَدَةُ تَكَرُّرِ المعَاصِي مِنْ أَعْضَائِهِ.

وَنَعْتُ "عُضْو" مَحْذُوفٌ؛ أَيْ: مِنْ أَعْضَائِي يَدُلُّ لَهُ أَنَّ المقَامَ مَقَامُ هَضْمِ نَفْسِهِ، وَلَا يَهْضِمُهَا بِسُوءِ أَعْضَاءِ غَيْرِهِ. وَالإِصْرَارُ عَلَى الشَّيْءِ: المدَاوَمَةُ عَلَيْهِ، وَ"يُعَانِي": يُقَاسِي وَيُعَالِجُ، وَهَذَا أَنَّ الذَّنْبَ وَلَوْ كَانَ سَهْلًا بِالطَّبْعِ، مُشْتَهىً إِلَى النَّفْسِ، إِلَّا أَنَّهُ بِاعْتِبَارِ عَظَمَةِ حَقِّ اللهِ، وَعِظَمِ العِقَابِ عَلَيْهِ، وَالزَّجْرِ

عَنْهُ وَقُبْحِهِ، هُوَ كَالشَّيْءِ الذِي يَصْعُبُ تَنَاوُلُهُ. وَ"مِنْ": لِلْبَيَانِ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ حَال "الذِي" أَو الهَاءِ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

21 إِذَا أَنَا قَدْ صَلَّيْتُ فالْقَلْبُ غَافِلٌ فَأَمَّا عَنِ الدُّنْيَا فَلَسْتُ بِغَفْلاَنِ

إِذَا صَلَّيْتُ قَدْ صَلَّيْتُ، بَلْ إِذَا تَلَبَّسْتُ بِالصَّلَاةِ قَدْ تَلَبَّسْتُ بِهَا، فَقَلْبِي غَافِلٌ عَمَّا يَقُولُ اللِّسَانُ وَتَفْعَلُ الأَعْضَاءُ. وَكَانَ الوَاجِبُ أَنْ يُحْضِرَ قَلْبِي، حَالَ القِيَامِ، الِانْتِصَابَ فِي خِدْمَةِ سَيِّدِي جَلَّ وَعَزَّ، وَفِي حَالِ الرُّكُوعِ الخُضُوعَ، وَفِي حَالِ السُّجُودِ مَزِيدَهُ، وَيُحْضِرَ عِنْدَ كُلِّ لَفْظٍ مَعْنَاهُ، وَيَعْزِمَ عَلَى التَّأَثُّرِ بِهِ.

وَإِنْ قُلْتَ: فَمَا حَالُكَ فِي شَأْنِ الدُّنْيَا؟ فَإِنِّي أَقُولُ: قَدْ تَحَقَّقَ انْتِفَاءُ غَفْلَتِي عَنْهَا انْتِفَاءً عَظِيمًا، كَمَا تَحَقَّقَ وُقُوعُ أُمُورٍ فِي الوُجُودِ كَحَرَكَةِ المتَحَرِّكِ وَسُكُونِ السَّاكِنِ، وَتَنَفُّسِ المتَنَفِّسِ، وَكَلَامِ المتَكَلِّمِ. وَهَكَذَا بَعْدَمَا قُلْتُ: إِذَا أَنَا قَدْ صَلَّيْتُ فَالقَلْبُ غَافِلٌ.

وَ"أَنَا": فَاعِلٌ لِمَحْذُوفٍ مُقَدَّر بِدُونِ "قَدْ"؛ لِأَنَّ قَدْ لَا تَلِي إِذَا. وَذَلِكَ مِنْ بَابِ الِاشْتِغَالِ فِي المرْفُوعِ كَبَابِ الاشْتِغَالِ فِي المنْصُوبِ؛ نَحْو: زَيْدًا أَكْرَمَهُ اللهُ. وَكِلَاهُمَا [7و] مِنْ بَابِ التَّوْكِيدِ اللَّفْظِيّ، وَمَزِيدُ حُسْنِهِ أَنَّهُ تَوْكِيدٌ بِلَا تَكْرِيرٍ فِي اللَّفْظِ لِوُجُوبِ الحَذْفِ.

وَ"ال" فِي "القَلْبِ" لِلْعَهْدِ الذِّهْنِيّ؛ وَهُوَ قَلْبُ النَّاظِمِ المعْهُودِ بِقَوْلِهِ: "أَنَا"، وَقَوْلِهِ: "صَلَّيْتُ" فَلَا حَاجَةَ إِلَى أَنْ تَقُولَ عِوَضٌ عَن الضَّمِيرِ.

وَنَسِيتُ أَنْ أَذْكُرَ لَكَ إِنَّ المرَادَ بِقَوْلِهِ: "صَلَّيْتُ": تَلَبَّسْتُ بِهَا، لَا فَرَغْتُ مِنْهَا إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الدُّخُولُ فِيهَا وَالتَّلَبُّسُ بِهَا بَعْدَهُ سَبَبًا لِإِتْمَامِهَا وَمَلْزُومًا لَهُ فِي الجُمْلَةِ ذكرَ بَدَلَ الدُّخُولِ وَالتَّلَبُّسِ بِهَا مَا وُضِعَ لِلفَرَاغِ مِنْهَا، وَهُوَ قَوْلُهُ: صَلَّيْتُ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ ذَمُّ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ غَافِلٌ؛ فَإِنَّ التَّقْدِيرَ: غَافِلٌ عَنْ أَقْوَالِي وَأَفْعَالِي فِيهَا. وَإِنَّمَا تُذَمُّ الغَفْلَةُ عَنْهَا فِيهَا لَا بَعْدَهَا.

وَالفَاءُ فِي قَوْلِهِ: "فَأَمَّا" فِي جَوَابِ شَرْطٍ وَتَفْصِيلُهَا تَحَقَّقَ بِقَوْلِهِ: إِذَا أَنَا قَدْ صَلَّيْتُ فَالقَلْبُ غَافِلٌ، فَإِنَّهُ مُعَادِلٌ لِقَوْلِهِ إِنَّهُ عَنِ الدُّنْيَا لَيْسَ بِغَافِلٍ. وَالوَاوُ هُنَا أَوْلَى مِنَ الفَاءِ.

وَ"أَمَّا": لِلتَّوْكِيدِ، كَمَا أَنَّهُ عَلَّقَ صِحَّةَ انْتِفَاءِ غَفْلَتِهِ عَنِ الدُّنْيَا بِوُقُوعِ أُمُورٍ فِي الخَارِجِ، فَكَمَا أَنَّ الدَّهْرَ لَا يَخْلُو مِنْ حَوَادِثَ، بَعْدَ تَكَلُّمِهِ بِالشَّطْرِ الأَوَّلِ مِنَ البَيْتِ، كَذَلِكَ تَحَقَّقَ أَنَّهُ لَا يَغْفَلُ عَن الدُّنْيَا.

وَ"عَنِ الدُّنْيَا": مُتَعَلِّقٌ بِـ"غَفْلَان". وَفِي "غَفْلَانِ": مُبَالَغَةٌ لَيْسَتْ فِي غَافِلٍ، وَلَكِنَّ هَذِهِ المبَالَغَةَ رَاجِعَةٌ إِلَى النَّفي؛ أَي: انْتَفَتْ انْتِفَاءً بَلِيغًا غَفْلَتِي عَن الدُّنْيَا. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

22 وَإِنْ صُمْتُ لَمْ أَتْرُكْ حَرَامًا وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ظَمَأِي طُولَ النَّهَارِ وَحِرْمَانِي

وَإِنْ صُمْتُ فِي رَمَضَانَ أَوْ غَيْرِهِ لَمْ أَتْرُكْ حَرَامًا مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ أَو اعْتِقَادٍ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى عَطَشِي وَحِرْمَانِي مِنَ الطَّعَامِ شَيْئًا مِنْ وَرَعٍ وَمَزِيدِ عِبَادَةٍ فِي طُولِ النَّهَارِ.

وَلَمْ يَذْكُرْ مَعْمُولَ "صَلَّيْتُ" وَ"صُمْتُ" لِعَدَمِ تَعَلُّقِ الغَرَضِ بِهِ؛ إِذْ لَيْسَ المرَادُ صَلَّيْتُ الصَّلَاةَ كُلَّهَا، أَوْ صَلَاةَ كَذَا، أَو الفَرْضَ أَو النَّفْلَ، أَوْ صُمْتُ الصَّوْمَ كُلَّهُ أَوْ صَوْمَ كَذَا أَو الفَرْضَ أَو النَّفْلَ. بَلْ أَرَادَ إِذَا أَوْقَعْتُ الصَّلَاةَ، بَل التَّلَبُّسَ فِيهَا أَو التَّلَبُّسَ بِالصَّوْمِ هَكَذَا.

وَمَفْعُولُ "أَزِدْ" مَحْذُوفٌ؛ أَيْ: لَمْ أَزِدْ وَرَعًا وَعِبَادَةً عَلَى زَمَانِ غَيْرِ صَوْمِي، وَعَلَى ظَمَأِي.

وَ"الظَّمَأُ": العَطَشُ؛ وَالمرَادُ بِطُولِ النَّهَارِ: مُدَّتُهُ، وَلَوْ فِي أَقْصَرِ أَوْقَاتِ الشِّتَاءِ. وَالحِرْمَانُ: المنْعُ؛ وَالمرَادُ مَنْعُهُ مِنَ الطَّعَامِ، فَهُوَ مُقَابِلٌ لِقَوْلِهِ: ظَمَأِي. وَ"حِرْمَانِي": مَعْطُوفٌ عَلَى ظَمَأِي، وَ"طُولَ": ظَرْفُ زَمَانٍ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

وَهَذَا البَيْتُ وَالذِي قَبْلَهُ تَمْثِيلٌ لِلإِصْرَارِ [7ظ] فِي البَيْتِ قَبْلَهُمَا. لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

23 وَيَا وَيْحَ قَلْبِي مِنْ دَوَاهٍ مُشِينَةٍ وَإِنْ ظَهَرَتْ لِلْخِلِّ كَانَ هُوَ الشَّانِي

يَا هَلَاكَ قَلْبِي مِنْ أُمُورٍ عِظَامٍ مُقَبَّحَةٍ لِي، هِيَ أَفْعَالٌ لِي مُحَرَّمَةٌ شَرْعًا، خَفِيَّة وَإِنْ أُظْهِرَتْ لِلصَّاحِبِ الخَلِيلِ لِي كَانَ هُوَ المبْغِضَ لِي، الكَامِلَ فِي البُغْضِ، فَكَيْفَ غَيْرُهُ، فَمَا يَكُونُ غَيْرُهُ إِلَّا أَكْمَلَ مِنْهُ فِي البُغْضِ.

وَنَادَى الوَيْحَ لِيَحْضُرَ، لِأَنَّ ذَلِكَ الوَقْتَ وَقْتٌ يَحِقُّ أَنْ يَحْضُرَ فِيهِ، هَذَا وَجْهُ اللَّفْظِ، وَأَمَّا المرَادُ فَالتَّحَسُّرُ وَالتَّضَجُّرُ مِنَ الذُّنُوبِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ "يَا" تَنْبِيهًا وَأَنْ يَكُونَ نِدَاءً لِمَحْذُوفٍ؛ أَيْ: يَا خِلِّي وَيْحَ قَلْبِي، فَيَكُونُ وَيْحَ مَفْعُولًا مُطْلَقًا لِمَحْذُوفٍ وُجُوبًا، لَيْسَ مِنْ لَفْظِهِ، لِأَنَّهُ لَا فِعْلَ مِنْ لَفْظِهِ. فَالتَّقْدِيرُ: هَلَكَ قَلْبِي هَلَاكًا، وَلَمَّا نَابَ لَفْظُ "وَيْحَ" عَنْ عَامِلِهِ أُضِيفَ إِلَى فَاعِلِ عَامِلِهِ، وَهُوَ قَلْبِي.

وَيُطْلَقُ الوَيْحُ بِمَعْنَى التَّرحُّمِ، فَيُقَدَّرُ: رَحِمَ اللهُ قَلْبِي رَحْمَةً، حَذَفَ رَحِمَ وَنَابَ عَنْهُ وَيْحُ، وَأُضِيفَ لِلْمَفْعُولِ.

وَ"دَوَاهٍ": بِالنَّقْصِ كَجوَارٍ، وَلَوْلَا التَّنْوِينُ لَثَبَتَت اليَاءُ، فَيُقَالُ: الدَّوَاهِي، وَدَوَاهِي أَفْعَالٍ، وَدَوَاهِي زَمَانٍ، وَيُقَالُ: دَوَاهِي وَقْفًا، عَلَى لُغَةِ مَنْ يَقِفُ بِرَدِّ يَاءِ المنْقُوصِ.

وَالمفْرَدُ: دَاهِيَةٌ بِالتَّاءِ وَلَوْ فِي المذَكَّرِ؛ لِأَنَّهَا لِلْمُبَالَغَةِ، كَرَاوِيَةٍ لِكَثِيرِ الرِّوَايَةِ، وَذَلِكَ اسْمُ فَاعِلٍ تَغَلَّبَتْ عَلَيْهِ الاسْمِيَّةُ.

وَ"مُشِينَةٍ": بِضَمِّ الميمِ اسْمُ فَاعِلِ "أَشَانَ". وَحُذِفَ نَعْتٌ ثَانٍ؛ أَيْ: مِنْ دَوَاهٍ مُشِينَةٍ قَدْ خَفِيَتْ.

"وَإِنْ أَظْهَرَهَا اللهُ لِخَلِيلِي كَانَ هُوَ الشَّانِي"؛ المبْغِضُ، وَأَصْلُ يَائِهِ الهَمْزَةُ لَمَّا تَطَرَّفَتْ ءَاخِرًا بَعْدَ كَسْرَةٍ جَازَ قَلْبُهَا يَاءً. وَمَعْمُوَلَا شَانِي وَمُشِينَة مَحْذُوفَانِ؛ أَيْ: مُشِينَةٍ لِي وَالشَّانِي لِي.

وَوَجْهُ الحَصْرِ أَنَّهُ فَرْضُ الكَلَامِ فِي أَنَّهَا أُظْهِرَتْ لِلخِلِّ، وَمُرَادُهُ أَنَّهُ أُظْهِرَتْ لَهُ خَاصَّةً. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

24 إِذَا هَمَّ أَزْمَانَ الْعِبَادَةِ لَمْ يَكُنْ لِيَفْعَلَهَا إِلاَّ بِضُعْفٍ وَأَزْمَانِ

إِذَا هَمَّ قَلْبِي فِي أَوْقَاتِ العِبَادَةِ، مِنْ فَرْضٍ أَوْ نَفْلٍ بِالعِبَادَةِ لَمْ يَكُنْ يَفْعَلُهَا إِلَّا بِكَسَلٍ وَأَمْرَاضٍ كَثِيرَةٍ جِدًّا.

وَأَسْنَدَ الهَمَّ؛ أَيْ: الإِرَادَةَ وَالعَزْمَ إِلَى القَلْبِ، لِأَنَّهُ الذِي يَسْتَخْدِمُ الجَوَارِحَ. وَ"أَزْمَانَ": هُنَا وَفِيمَا مَضَى وَنَحْوِهِمَا جَمْعُ زَمَنٍ بِدُونِ أَلِفٍ، وَأَمَّا زَمَانُ بِالأَلِفِ فَجَمْعُهُ أَزْمِنَةٌ.

وَ"أَزْمَانَ العِبَادَةِ": أَوْقَاتُ الفَرْضِ وَالنَّفْلِ المحْدُودَةُ مِنَ الشَّرْعِ، وَالأَوْقَاتُ التِي يُرِيدُهَا هُوَ لِلنَّفْلِ، وَهِيَ مُطْلَقُ أَوْقَاتٍ أَرَادَ النَّفْلَ فِيهَا.

وَأَسْنَدَ الفِعْلَ إِلَى ضَمِيرِ القَلْبِ؛ لِأَنَّ القَلْبَ هُوَ السَّبَبُ الآمِر. فَذَلِكَ مَجَازٌ فِي الإِسْنَادِ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِفِعْلِهِ مَا يَفْعَلُهُ هُوَ دُونَ الجَوَارِحِ، لِأَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ عَمَلٍ مَا فِي العِبَادَةِ، فَتَكَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ العَمَلِ وَحْدَهُ، لَا عَلَى عَمَلِ الجَوَارِحِ المصْحُوبِ لَهُ فَيَكُونُ الإِسْنَادُ [8و] حَقِيقَةً. وَفِعْلُ القَلْبِ نِيَّتُهُ وَاعْتِقَادُهُ، وَاسْتِحْضَارُ مَعَانِي مَا يَقُولُ اللِّسَانُ وَتَعْمَلُ الجَوَارِحُ. وَأَيْضًا القَلْبُ مِنْ جُمْلَةِ البَدَنِ، إِذَا رَكَعَ الجَسَدُ أَوْ سَجَدَ أَوْ قَامَ أَوْ عَمِلَ عَمَلًا فَقَدْ عَمِلَ فِيهِ القَلْبُ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ سَمَّى فِعْلَ البَدَنِ فِعْلًا لَهُ، وَاشْتَقَّ مِنْهُ "يَفْعَلُ" عَلَى طَرِيقِ المجَازِ المرْسَلِ التَّبَعِيِّ، لِعَلَاقَةِ الجِوَارِ أَوْ الكُلِّيَةِ وَالبَعْضِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ بَعْضُ البَدَنِ، أَوْ لِأَنَّ فِعْلَهُ بَعْضُ مُطْلَقِ الفِعْلِ.

وَاللَّامُ فِي "لِيَفْعَلَهَا" لَامُ تَأْكِيدِ النَّفْيِ، فَإِنَّ النَّفْيَ بِـ"لَمْ"، وَاللَّامُ تَأْكِيدٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ.

وَ"أَزْمَانِ": بِفَتْحِ الهَمْزَةِ جَمْعُ زِمْنٍ بِكَسْرِ الزَّايِ، الذِي هُوَ جَمْعُ زِمْنَةٍ، فَهُوَ جَمْعُ الجَمْعِ فَهُوَ تِسْعَةُ أَمْرَاضٍ أَوْ سِتَّةٌ أَوْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَو اثْنَا عَشَرَ، وَهَكَذَا مِن الأَضْعَافِ. وَبِنَاءً عَلَى أَنَّ أَقَلَّ الجَمْعِ ثَلَاثَةٌ وَهُوَ الصَّحِيحُ، أَو اثْنَانِ، وَلَا يُحْرَجُ عَلَيْهِ إِلَّا لِدَلِيلٍ، وَالمرَادُ هُنَا أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّه؛ لِأَنَّهُ فِي مَقَامِ هَضْمِ نَفْسِهِ. وَإِيضَاحُ ذَلِكَ أَنَّ مُفْرَدَ هَذَا الجَمْعِ جَمْعٌ، فَهُوَ ثَلَاثَةٌ أَو اثْنَانِ.

وَأَرَادَ بِالضُّعْفِ مُطْلَقَ الضُّعْفِ، الكَسَل المصْحُوبُ مِنْ أَوَّلِ العِبَادَةِ إِلَى آخِر، وَعَدَمُ الرَّغْبَةِ وَالجِدِّ. وَبِالأَزْمَانِ: الحَوَادِثُ فِيهَا مِمَّا يُبْطِلُهَا أَوْ يُنْقِصُهَا مِنَ الرِّيَاءِ وَحُدُوثِ الخَوَاطِرِ فِيهَا، وَلَا يَخْتَصُّ ذَلِكَ بِالصَّلَاةِ.

ويَجُوزُ كَسْرُ هَمْزَةِ "أَزْمَانِ" آخِرَ البَيْتِ عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرُ أَزْمَنَةٍ بِمَعْنَى أَمْرَضَةٍ، كَأَنَّهُ يَقُولُ وَإِدْخَالُ المرَضِ فِيهَا، وَهُوَ مَا يُفْسِدُهَا أَوْ يُنْقِصُهَا، فَيَكُونُ الجِنَاسُ غَيْرَ تَامٍّ. وَالبَاءُ لِلمُصَاحَبَةِ أَوْ لِلإِلْصَاقِ عَلَى الأَصْلِ، إِلَّا أَنَّهُ مَجَازِيٌّ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

25 وَإِنْ وَقَعَتْ تِلْكَ الْعِبَادَةُ شَابَهَا شَوَائِبُ مِنْ عُجْبٍ وَجَهْلٍ وَنُقْصَانِ

وَإِنْ وَقَعَتْ تِلْكَ العِبَادَةُ الموْصُوفَةُبِضُعْفٍ وَأَزْمَانٍ، خَالَطَهَا مُخَالِطَاتٌ هُنَّ عُجْبٌ وَسَهْوٌوَنُقْصَانٌ.

وَعَبَّرَ بِصِيغَةِ الشَّكِّ زِيَادَةً فِي ذَمِّ نَفْسِهِ هَضْمًا، كَأَنَّهَا قَدْ تَقَعُ وَقَدْ لَا تَقَعُ، وَلَوْ كَانَتْ فَرْضًا. بِخِلَافِ الاهْتِمَامِ بِهَا فَعَبَّرَ فِيهِ بِـ "إِذَا" التِي لَا تَعْرِضُ لِلشَّكِّ، وَكَأَنَّهُ اهْتَمَّ بِهَا، فَقَدْ أَفْعَلُهَا، وَقَدْ لَا أَفْعَلُهَا.

وَلَا يُنَافِي صِيغَةَ الشَّكِّ قَوْلُهُ: لَمْ يَكُنْ [8ظ] لِيَفْعَلَهَا إِلَّا بِضُعْفٍ وَأَزْمَانٍ، وَلَا يَتَكَرَّرُ مَعَهُ لِأَنَّ قَوْلَهُ: لَمْ يَكُنْ لِيَفْعَلَهَا إِلخ لَيْسَ صَرِيحًا فِي وُقُوعِهَا؛ لِأَنَّ مَعْنَاهُ لَمْ يَكُنْ لِيَفْعَلَهَا، عَلَى تَقْدِيرِ أَنَّهُ يَفْعَلُهَا إِلَّا بِضُعْفٍ وَأَزْمَانٍ.

كَمَا عَبَّرَ فِي الصَّلَاةِ بِـ "إِذَا" لِكَثْرَتِهَا، إِذْ تَكَرَّرَ فَرْضُهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ، مَعَ مَا يَنْضَمُّ إِلَى الفَرْضِ فَلَا بُدَّ مِنْ وُقُوعٍ مِنْهَا، وَفِي الصَّوْمِ بِـ "إِنْ" لِقِلَّتِهِ، فَكَأَنَّهُ شَيْءٌ مَشْكُوكٌ فِيهِ مَعَ أَنَّهُ لَا شَكَّ فِيهِ.

وَشَابَهَا: كَلِمَتَانِ، شَابَ: فِعْلٌ مَاضٍ، وَأَلِفُهُ عَنْ وَاوٍ بِمَعْنَى خَالَطَ وَكَدرَ، وَهَا: فعل ماضٍ[1].

(1) هذا خطأ من المؤلِّفِ، ف "ها" مفعول به كما هو معروف.

وَشَوَائِبُ: جَمْعُ شَائِبٍ؛ أَيْ: أَمْرٌ شَائِبٌ أَوْ جَمْعُ خِصْلَةٍ شَائِبَةٍ، وَهُوَ بِالهَمْزَةِ تَحْتَ صُورَةِ يَاءٍ بِلَا نَقْطٍ، أَوْ مَعَ نَقْطٍ، وَكَذَا قَائِلٌ وَبَائِعٌ.

وَإِنْ كُتِبَ ذَلِكَ كُلُّهُ وَنَحْوُهُ بِيَاءٍ مَنْقُوطَةٍ بِدُونِ هَمْزَةٍ جَازَ، وَتُقْرَأُ هَمْزَةً، وَإِنَّمَا جَازَ لِأَنَّهُ يَجُوزُ تَسْهِيلُ هَذِهِ الهَمْزَةِ إِلَى اليَاءِ.

وَ"مِنْ عُجْبٍ" إِلخ: بَيَانٌ لِشَوَائِبَ، فَهُوَ نَعْتُهُ، وَالعُجْبُ هُنَا اسْتِعْظَامُ العِبَادَةِ. وَالمصَنِّفُ أَفَادَ أَنَّ كُلًّا مِنَ العُجْبِ وَالنُّقْصَانِ تَصِيرُ بِهِ العِبَادَةُ غَيْرَ مُخْلَصَةٍ. وَذَلِكَ النَّقْصُ هُوَ غَيْرُ المفْسِدِ مِثْلَ تَعْظِيمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَتَسْبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ، وَغَسْلَةٍ وَاحِدَةٍ لِكُلِّ عُضْوٍ فِي الوُضُوءِ غَيْرِ المَمْسُوحِ، وَعَدَمِ التَّرتِيلِ فِي الصَّلَاةِ. وَأَمَّا الجَهْلُ فَمِنْهُ مُفْسِدٌ كَجَهْلِ فَرْضِ الوُضُوءِ، فَيُصَلِّي بِدُونِهِ، وَجَهْلِ مَا يُفْسِدُهُ فَلَا يُحَاذِرُهُ، وَكَالكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ، وَغَيْرُ مُفْسِدٍ كَجَهْلِ كَرَاهَةِ شَيْءٍ فِي الوُضُوءِ أَو الصَّلَاةِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ. وَكَذَا النُّقْصَانُ مِنْهُ غَيْرُ المفْسِدِ كَمَا رَأَيْتَ، وَالمفْسِدُ كَتَرْكِ الفَاتِحَةِ فِي الصَّلَاةِ، وَالبَيْتُ شَامِلٌ لِذَلِكَ كُلِّهِ. لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

26 وإِنْ هِيَ قَدْ تمَّتْ فَلَسْتُ بِآمِنٍ عَلَيْهَا مِنَ الإِبْطَالِ بِالمنِّ فِي الثَّانِي

وَإِنْ تَمَّت العِبَادَةُ وَتَحَقَّقَتْ فِي الزَّمَانِ الأَوَّلِ، وَهُوَ وَقْتُ فِعْلِهَا أَدَاءً أَوْ إِعَادَةً أَوْ قَضَاءً، أَوْ كَانَتْ لَا وَقْتَ لَهُ يحدُّ أَوْ نَفْلًا كَذَلِكَ، فَإِنِّي تَحْقِيقًا غَيْرُ آمِنٍ عَلَيْهَا مِنَ الإِبْطَالِ لَهَا مِنِّي، بِنَحْوِ المنِّ فِي الزَّمَانِ الثَّانِي، وَهُوَ مَا بَعْدَ فِعْلِهَا. وَ"هِيَ": فَاعِلٌ لِمَحْذُوفٍ مُجَرَّدٌ مِنْ "قَدْ" كَمَا مَرَّ.

وَأَفَادَ أَنَّ المنَّ يُبْطِلُ العَمَلَ؛ أَيْ: يُبْطِلُ ثَوَابَهَا، وَلَوْ كَانَ لَا يُطَالَبُ بِالإِعَادَةِ أَو القَضَاءِ. وَمَعْنَى تَمَامِهَا أَنَّهَا لَمْ يَدْخُلْهَا مَا يُفْسِدُهَا أَوْ يُفْسِدُ ثَوَابَهَا، وَمَعَ ذَلِكَ يَخَافُ أَنْ يُحْدِثَ مَا يُبْطِلُ ثَوَابَهَا كَرِيَاءٍ وَمَنٍّ، وَإِنَّمَا قدّرت بِنَحْوِ [9و] المنِّ لِأَنَّهُ يَخْتَصُّ بِالصَّدَقَةِ وَنَفْعِ العِبَادِ، وَلَيْسَت العِبَادَةُ مَحْصُورَةً فِيهِمَا. لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

27 وقَائِلَةٍ لَمَّا رَأَتْ مَا أَصَابَنِي وَمَا قَدْ أُقَاسِي مِنْ لَهِيبٍ تَجَلاَّنِي

28 رُوَيْدَكَ لاَ تَقْنطْ وإِنْ كَبُرَ الخَطَا وَلاَ تَيْأَسًا مِنْ نَيْلِ رَوْحٍ وَرَيْحَانِ

29 مَعَ العُسْرِ يُسْرٌ وَالتَّصَبُّرِ نُصْرَةٌ وَلاَ فَرَجٌ إِلاَّ بِشِدَّةِ كَرْبَانِ

30 فَكَمْ عَامِلٍ أَعْمَالَ أَهْلِ جهَنَّمٍ فَلمَّا دَنَا مِنْهَا أُعِيدَ لِرِضْوَانِ

مَا تَقَدَّمَ مَفْهُومٌ، وَرُبَّ امْرَأَةٍ قَائِلَةٍ: رُوَيْدَكَ إِلَيَّ لِرِضْوَانٍ حِينَ رَأَتْ مَا أَصَابَنِي مِنَ التَّحَسُّرِ الشَّدِيدِ لِذُنُوبِي، وَمِنْ نُحُولِ جِسْمِي، وَرَأَتْ مَا قَدْ أَتَصَبَّرُ لَهُ وَأَتَحَمَّلُهُ مِنْ حَرِيقٍ فِي قَلْبِي دَاخَلَنِي بِتَغْيِيرٍ. وَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ الحَرِيقِ القَلْبِي، مَا فِي لِسَانِي مِنَ التَّحَسُّرِ، وَفِي جَسَدِي مِنَ التَّغَيُّرِ.

وَقَوْلُهُ: "وَقَائِلَةٍ" إلخ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ:

وقَـائِلَـةٍ مَـا بَـالُ وَجْهِـكَ قـدْ نَضَـــتْ محَـاسِـــنُـهُ والجِسْـــمُ بَـادٍ شُـــحُوبُـهُ

قال:

فَقُلْـتُ لَهَـا: هَـاتِي مِنَ النَّـاسِ وَاحِـدًا صَـــفَـا وَقْتُـهُ وَالنَّـائِبَـاتُ تَـنُوبُـهُ[1]

كَمَا قَالَ النَّاظِمُ بَعْدَ هَذَا: "فَقُلْتُ لَهَا جُوزِيتِ خَيْرًا" إلخ. وَمَقُولُ المرْأَةِ لَهُ: "رُوَيْدَكَ لَا تَقْنُطْ"؛ أَيْ: أَمْهِلْ لِنَفْسِكَ وَاسْتَبْقِ لَهَا. لَا تَيْأَسْ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ لَكَ بِتَوْفِيقِكَ إِلَى التَّوْبَةِ وَالتَّخَلُّصِ مِنَ الخَطَأِ، وَلَوْ كَبُرَ خَطَؤُكَ. وَلَا تَيْأَسْ مِنْ نَيْلِ رَوْحِ الجَنَّةِ وَرَيْحَانِهَا، لِأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا، بَلْ يُسْرَيْنِ كَمَا جَاءَ فِي الذِّكْرِ.

وَلِأَنَّ عِلَاجَ الصَّبْرِ مُوجِبُ نُصْرَةٍ، فَإِذَا صَبَرْتَ عَلَى التَّوْبَةِ وَمَرَارَةِ الطَّاعَةِ، نُصِرْتَ عَلَى أَعْدَائِكَ الشَّيَاطِين وَنَفْسِكَ وَالهَوَى. قَالَ ﷺ: ((**النَّصْرُ مَعَ الصَّبْرِ**))[2] وَلِأَنَّهُ لَا فَرَجَ إِلَّا بِشِدَّةِ الكَرْبِ. كَمَا قِيلَ: اشْتَدِّي أَزْمَةُ تَنْفَرِجِي[3].

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

فَـلَا تَـجْـزَعَـا إِنْ أَظْـلَـمَ الـدَّهْـرُ مَـرَّةً فَـإِنَّ اعْتِكَـارَ اللَّيْـلِ يُوذِنُ بِـالْفَجْرِ[4]

وَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ كَثُرَ مِنَ المكَلَّفِينَ مَنْ يَعْمَلُ أَعْمَالَ أَهْلِ النَّارِ الأَشْقِيَاءِ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهَا وَأَشْرَفَ عَلَيْهَا، بِمُوجِبِهَا مِنَ الأَعْمَالِ، أَعَادَهُ اللهُ إِلَى الجَنَّةِ بِمُوجِبِهَا مِنَ التَّوبَةِ وَالتَّقْوَى وَالعَمَلِ الصَّالِحِ. كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ: ((**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعمَلُ بعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى لَا يَبْقَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ أَوْ شِبْرٌ فَيُدْرِكُهُ الْقَضَاءُ فَيَرْجِعُ عَنْهَا**))[5].

---

(1) البيتان من الطويل، المستطرف في كل فنٍّ مستظرف، الأبشِيهِي، 57/2، دون ذكر صاحب البيتين.

(2) المعجم الكبِير، الطبراني، حديث (11243).

(3) قيل إن ذلك حدِيث عن رسول الله، (الفردوس، الديلمِي، حدِيث (1731)) وهو موضوع حسب الألبانِي، ضعيف الجامع حدِيث (862).

(4) البيت من الطوِيل، ربيع الأبرار، الزمخشَرِي، 245/4، دون ذكر صاحب البيتِ وبرواية مختلفة، وفِي المستطرف بنفس الرِّواية 72/2، دون ذكر صاحب البيت أيضا.

(5) ورد بلفظ قريب المعجم الكبِير، الطبرانِي حديث (872).

وَ"قَائِلَةٍ": مَجْرُورٌ بِرُبَّ مَحْذُوفةٍ بَعْدَ وَاوِ العَطْفِ، وَخَبَرُ مَجْرُورِهَا [9ظ] مَحْذُوفٌ يُقَدَّرُ بَعْدَ قَوْلِهِ: لِرِضْوَانِ. وَ"لَمَّا": ظَرْفٌ مَبْنِيٌّ لِلُزُومِ الإِضَافَةِ إِلَى الجُمْلَةِ مُتَعَلِّقٌ بِقَائِلَةٍ. وَ"أُقَاسِي": أُصَابِرُ وَأَتَحَمَّلُ. وَ"لِهيبُ": شِدَّةُ الحَرَارَةِ فِي القَلْبِ، سَمَّاهَا بِاسْمِ لَهِيبِ النَّارِ. وَ"تَجَلَّانِي": جُمْلَةُ نَعْتٍ لَهُ، وَهُوَ إِمَّا عَلَى تَقْدِيرِ اللَّامِ؛ أَيْ: ارْتَفَعَ عَلَيَّ، أَوْ ضَمَّنَهُ مَعْنَى عَلَا المتَعَدِّي، يُقَالُ: عَلَاهُ يَعْلُوهُ.

وَقَوْلُهُ: "رُوَيْدَكَ إِلَى قَوْلِهِ: لِرِضْوانِ": مَحْكِيٌّ بِالقَوْلِ. وَ"رُوَيْدَكَ": تَصْغِيرُ إِرْوَادٍ بِحَذْفِ مَا زِيدَ وَهُوَ الهَمْزَةُ وَالأَلِفُ. وَهُوَ مَفْعُولٌ مَطْلَقٌ؛ أَيْ: أَمْهِلْ نَفْسَكَ إِمْهَالًا، وَأَرْوِدْهَا إِرْوَادًا حذفَ العَامِلِ، وَصغّرَ إِرْوَادًا وَأُضِيفَ لِلْكَافِ.

وَ"لَا تَقْنُطْ": بَدَلُ اشْتِمَالٍ مِنْ "رُوَيْدَكَ" لِنِيَابَتِهِ عَنْ أَرْوِدْ، أَوْ مِنْ أَرْوِدْ، فَإِنَّ تَرْكَ القُنُوطِ مُلَابِسٌ لِلإِمْهَالِ بِغَيْرِ الكُلِّيَّة وَالجُزْئِيَّة، وَإِنْ أَدْخَلْنَاهُ فِي الإِرْوَادِ كَانَ بَدَلَ بَعْضٍ.

وَوَاوُ إِرْوَادٍ وَأَرْوِدْ صَحَّتْ شُذُوذًا، وَالمرَادُ القُنُوطُ مِن الأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ وَالتَّقْوَى فَلَا يَتَكَرَّرُ مَعَ قَوْلِهِ: "وَلَا تَيْأَسًا". وَالوَاوُ عَاطِفَةٌ عَلَى مَحْذُوفٍ؛ أَيْ: إِنْ لَمْ يَكْبُرْ الخَطَا وَإِنْ كَبُرَ الخَطَا.

وَ"الخَطَا": ضِدُّ الإِصَابَةِ، وَأَلِفُهُ بَدَلٌ مِنَ الهَمْزَةِ لِجَوازِ قَلْبِهَا فِي الآخِرِ أَلِفًا بَعْدَ فَتْحٍ، وَوَاوًا بَعْدَ ضَمٍّ، وَيَاءً بَعْدَ كَسْرٍ. أَوْ هُوَ لُغَةُ مَنْ يَقُولُ: الخَطَاءُ بِالمدِّ، فَقَصَرَهُ لِلضَّرُورَةِ.

وَأَلِفُ "تَيْأَسًا" فِي الخَطِّ صُورَةٌ لِنُونِ التَّوْكِيدِ الخَفِيفَةِ، كُتِبَتْ أَلِفًا مَعَ أَنَّهَا تُقْرَأُ نُونًا؛ لِأَنَّهَا تُقْلَبُ أَلِفًا وَقْفًا، كَمَا كُتِبَتْ فِي "لَنَسْفَعًا"، وَ"لَيَكُونًا".

وَالرَّوْحُ: بِفَتْحِ الرَّاءِ الرَّاحَةُ وَعَدَمُ الشَّقَاءِ وَذَلِكَ بِالجَنَّةِ. وَرَيْحَانُ: بِفَتْحِهَا هُوَ الرِّزْقُ فِي الجَنَّةِ.

وَمَعَ العُسْرِ فِي الرِّزْقِ وَالبَدَنِ وَنَحْوِهِمَا يُسْرٌ مَقْرُونٌ بِتَمَامِهِ، أَوْ هُوَ فِي ضِمْنِهِ بِأَنْ يَسْتَوْجِبَهُ. فَإِذَا كَانَ مَعَ العُسْرِ يُسْرٌ فِي الرِّزْقِ وَالبَدَنِ، فَكَذَلِكَ فِي الأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ وَالتَّقْوَى إِذَا تَعَسَّرَتْ رُجِيَ اليُسْرُ وَهُوَ وُجُودُهُنَّ، وَذَلِكَ تَمْثِيلٌ أَوْ كِنَايَةٌ. وَ"التَّصَبُّر": عِلَاجُ الصَّبْرِ، وَالمرَادُ عَاقِبَةُ التَّصَبُّرِ نُصْرَةٌ عَظِيمَةٌ، أَو التَّصَبُّر مُعْقِبُ نُصْرَةٍ فَحَذَفَ المضَافَ، أَوْ هُوَ نَفْسُ النُّصْرَةِ مُبَالَغَةً.

وَ"الكَرْبَانِ": بِفَتْحِ الكَافِ أَوْ ضَمِّهَا، مُفْرَدٌ بِمَعْنَى الكَرْب الشَّدِيد؛ لِزِيَادَةِ الأَلِفِ وَالنُّونِ. وَالبَاءُ: بِمَعْنَى: مَعَ، وَالمعِيَّةُ مَعِيَّةُ تَعَاقُبٍ؛ أَيْ: وَلَا فَرَجَ إِلَّا بَعْدَ شِدَّةِ الكَرْبِ الشَّدِيدِ؛ أَيْ: إِذَا ازْدَادَ شِدَّةُ الكَرْبِ الشَّدِيدِ وَتَنَاهَتْ جَاء الفَرَجُ.

وَالفَاءُ فِي جَوَابِ شَرْطٍ مَحْذُوفٍ كَمَا مَرَّ، أَوْ تَعْلِيلٌ لِقَوْلِهِ: "لَا تَيْأَسًا"؛ أَيْ: لَا تَاسَا لِأَنَّهُ كَمْ إِنْسَانٍ عَامِلٍ إِلخ.

وَ"عَامِلٍ": [10و] مُضَافٌ إِلَيْهِ، وَخَبَرُ المبْتَدَأِ مَحْذُوفٌ؛ أَيْ: وَكَمْ عَامِلٍ أَعْمَالَ أَهْلِ جَهنَّمَ مَوْجُودٌ، أَوْ يُرْفَعُ "عَامِلٌ" عَلَى أَنَّهُ الخَبَرُ.

وَ"جَهَنَّم": عَلَمٌ مُؤَنَّثٌ صَرَفَهُ لِلضَّرُورَةِ، وَلَوْ قَالَ: جَهَنَّمَا بِفَتْحِ الميمِ وَمَدِّهَا إِشْبَاعًا لِلْوَقْفِ عَلَى أَنَّهُ وَقْفُ آخِرِ الشَّطْرِ الأَوَّلِ مِنَ البَيْتِ لَجَازَ.

وَجَعَلَ فِعْلَ الكَبَائِرِ ذُنُوًّا مِنَ النَّارِ؛ لِأَنَّهُ سَبَبُهَا. وَجَعَلَ التَّوْبَةَ رَدًّا إِلَى الجَنَّةِ؛ لِأَنَّهَا سَبَبُهَا.

وَالمرَادُ بِالإِعَادَةِ الإِيقَاعُ المطْلَقُ فِي مَوْضِعٍ، لَا بِخُصُوصِ الرُّجُوعِ إِلَيْهِ بَعْدَ الكَوْنِ فِيهِ، فَذَلِكَ فِي البَيْتِ مَجَازٌ مَرْسَلٌ تَبَعِيٌّ بِجَامِعِ الإِطْلَاقِ والتَّقْيِيدِ أَوْ أَحَدِهِمَا.

وَ"الرِّضْوَانُ": الجَنَّةُ، لِأَنَّهَا لِمَنْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَلِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَرْضَاهَا، فَالتَّقْدِيرُ: لِذَاتِ رِضْوَانٍ أَوْ لِمُوجِبِ رِضْوَانٍ، وَهُوَ التَّوْبَةُ أَوْ مُبَالَغَةٌ. وَاللَّامُ: بِمَعْنَى إِلَى. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

31 فقُلْتُ لهَا جُوزِيتِ خَيْرًا عَلَى التِي مَنَحْتِ مِنَ التَّقْوَى وَصِحَّةِ إِيمَانِ

32 وَهَلْ مِنْ سَبِيلٍ لِلنَّجَاةِ مِنَ الرَّدَى وَمَا حِيلَتِي فِي أَنْ تُصَحَّحَ أَبْدَانِي

فَقُلْتُ لَهَا: جَازَاكِ اللهُ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، عَلَى النَّصِيحَةِ التِي أَعْطَيْتِنِيهَا، مِنْ إِيجَابِكِ مُلَازَمَةَ التَّقْوَى وَصِحَّةَ الإِيمَانِ. فَإِنَّ قَوْلَهَا: فَكَمْ عَامِلٍ أَعْمَالَ إِلخ تُشِيرُ بِهِ إِلَى أَنْ يُلَازِمَ التَّقْوَى، وَيُلَازِمَ صِحَّةَ إِيمَانِهِ، فَإِنَّهُ إِنْ أَيِسَ فَسُدَ إِيمَانُهُ. أَوْ أَرَادَ بِالإِيمَانِ الطَّاعَةَ. وَإِذَا كَانَت النُّسْخَةُ: "مِنَ البُشْرَى" فَلَيْسَ "التِي" وَاقِعَةً عَلَى النَّصِيحَةِ، بَلْ عَلَى خَصْلَةٍ بَيَّنَهَا بِقَوْلِهِ: مِنَ البُشْرَى وَصِحَّةِ إِيمَانِ.

وَقُلْتُ لَهَا أَيْضًا: "هَلْ سَبِيلٌ يُوجَدُ لِلنَّجَاةِ مِن الرَّدَى؟" يُرِيدُ سَبِيلًا مُعَيَّنَةً، لِأَنَّ نَهْيَهَا إِيَّاهُ عَنِ الإِيَاسِ، وَأَمْرَهَا إِيَّاهُ بِالرَّجَاءِ، وَذِكْر اليُسْرِ إِجْمَالٌ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: عَيِّنِي لِي سَبِيلًا أَنْجُو بِهِ مِن الرَّدَى؛ أَي: الهَلَاكِ الأُخْرَوِيِّ.

وَقُلْتُ لَهَا أَيْضًا: مَا حِيلَةٌ يَجِبُ أَنْ أَسْعَى لَهَا، حَتَّى تُنْسَبَ إِلَيَّ وَتُضَافَ لِي فِي أَنْ يُصَحِّحَ اللهُ أَعْضَائِي وَأَبْعَاضِي بِدُخُولِ الجَنَّةِ، وَالسَّعَادَةِ قَبْلَهَا؛ لِأَنَّ أَهْلَ النَّارِ يُضْرَبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، وَفِي النَّارِ، ضَرْبًا يَهْدِمُ أَبْدَانَهُمْ ثُمَّ تَعُودُ.

وَ"عَلَى": لِلتَّعْلِيلِ. وَ"التِي": نَعْتٌ لِلنَّصِيحَةِ أَو الخَصْلَةِ. وَ"مَنَحْتِ": أَعْطَيْتِ، وَالرَّابِطُ مَحْذُوفٌ مَعَ المفْعُولِ الآخَرِ؛ أَيْ: مَنَحْتِنِيهَا. وَ"مِنَ التَّقْوَى" أَوْ "مِنَ البُشْرَى": بَيَانٌ "لِلتِي" فَإِنَّ إِيجَابَ التَّقْوَى نَصِيحَةٌ. وَكَذَا إِنْ قَدَرَ عَلَى الخَصْلَةِ المنْصُوحِ بِهَا التِي مَنَحَتْ، وَهُوَ التَّقوَى أَو الخَصْلَةِ التِي مَنَحَتْ وَهُوَ الفَرَجُ [10ظ] الذِي يَظْهَرُ مِنَ القَلْبِ عَلَى البَشرَةِ؛ أَيْ: الجِلْدَةِ.

وَ"التَّقْوَى": الحَذَرُ، حَذَرُ النَّارِ أَوْ حَذَرُ مَا يُوجِبُهَا، وَبِحَذَرِهِ يَتَحَصَّلُ الحَذَرُ مِنْهَا، وَالتَّاءُ عَنِ الوَاوِ، وَالوَاوُ آخِرَةٌ عَنِ اليَاءِ، وَالأَلِفُ بَعْدَهَا لِلتَّأْنِيثِ وَالأَصْلُ: وقْيَا، دَخَلَ الإِعْلَالُ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ.

وَ"مِنْ": زَائِدٌ. وَ"سَبِيلُ": مُبْتَدَأٌ. وَ"لِلنَّجَاةِ": خَبَرٌ، أَوْ نَعْتٌ وَالخَبَرُ مَحْذُوفٌ؛ أَيْ: مَوْجُودَةٌ أَوْ تَسْهُلُ. وَ"مِنَ الرَّدَى": مُتَعَلِّقٌ بِالنَّجَاةِ.

وَالمضَيَّقُ عَلَيْهِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ حِيلَةٍ يَحْتَالُهَا، فَلَا بُدَّ مِنْ أَنَّ لَهُ حِيلَةً، وَلَكِنْ أَخْبِرِينِي مَا الحِيلَةُ النَّافِعَةُ التِي أَمِيلُ إِلَيْهَا مِنْ سَائِرِ الحِيَلِ الممْكِنَةِ.

وَ"مَا": اسْتِفْهَامِيَّةٌ مُبْتَدَأٌ نَكِرَةٌ، خَبَرُهُ مَعْرِفَةٌ هُوَ مَا بَعْدَهَا عِنْدَ سِيبَوِيهِ، وَقَالَ غَيْرُهُ بِالعَكْسِ.

وَ"فِي": مُتَعَلِّقٌ بِـ"حِيلَتِي" لِأَنَّ المعْنَى: مَا احْتِيَالِي؟ وَهُوَ مِنَ التَّحَوُّلِ فَإِنَّ المضْطَرَّ يَتَحَوَّلُ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ لِيَتَخَلَّصَ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

33 فَقَالَتْ: فَطِبْ نَفْسًا وَقُمْ مُتَوَجِّهًا لِطَيْبَةَ تَسْلَمْ مِنْ بَوَارٍ وخُسْرَانِ

أَيْ: فَقَالَتْ: إِنْ صَدَقْتَ فِي طَلَبِ النَّجَاةِ فَلْتَطِبْ نَفْسُكَ، وَقُمْ مُرِيدًا لِلتَّوجُّهِ إِلَى طَيْبَةَ مَدِينَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَنْجُ مِنْ هَلَاكِ الآخِرَةِ إِلَى الجَنَّةِ، وَمِنْ ضَيَاعِ البَدَنِ عَنِ الخَيْرِ إِلَى النَّارِ وَضَيَاعِ مَا عَسَاهُ أَنْ تَكُونَ قَدْ عَمِلْتَهُ.

فَالفَاءُ الثَّانِيَةُ فِي جَوَابِ شَرْطٍ كَمَا مَرَّ. وَ"نَفْسًا": تَمْيِيزٌ مُحَوَّلٌ عَنِ الفَاعِلِ. وَ"مُتَوَجِّهًا": حَالٌ مُقَدَّرَةٌ، لِأَنَّهُ فِي حَالِ التَّلَبُّسِ بِالقِيَامِ، غَيْرُ مُتَوَجِّهٍ لِأَنَّهُ يَقُومُ أَوَّلًا ثُمَّ يَجْهَزُ لِلسَّفَرِ ثُمَّ يُسَافِرُ، وَإِنْ قَصَدَ تَوَجُّهَ القَلْبِ فَحَالٌ مُقَارِنَةٌ. وَاللَّامُ بِمَعْنَى إِلَى. وَهُنَا فَصْلَانِ: الأَوَّلُ فِي أَسْمَائِهَا، وَالثَّانِي فِي بَدْءِ شَأْنِهَا.

الفَصْلُ الأَوَّلُ: [أَسْمَاءُ المدِينَةِ][1]

وَطَيْبَةُ اسْمٌ لِمَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ. وَمِنْ أَسْمَائِهَا: طَابَةٌ وَطَيِّبَةٍ كَسَيِّدَةٍ وَطَائِبَةٌ. فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ أَسْمَاءٍ كُلُّهُنَّ مَفْتُوحُ الطَّاءِ، وَالخَامِسُ مُطَيَّبَةٌ بِفَتْحِهَا أَيْضًا. وَقِيلَ: الذِي فِي البَيْتِ مَكْسُورٌ وَصُحِّحَ. وَذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ طَابَ يَطِيبُ. وَصَحَّ حَدِيثٌ: ((**إِنَّ اللهَ سَمَّى المدِينَةَ طَابَة**))[2].

وَفِي حَدِيثٍ:((**كَانُوا يُسَمُّونَ المدِينَةَ يَثْرِب، فَسَمَّاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ طَيْبَةَ**))[3]. وَفِي حَدِيثٍ: ((**هِيَ المدِينَةُ وَطَيْبَةُ وَطَابَةُ**))[4]. وَرُوِيَ: طَائِبَةٌ بَدَلَ طَيْبَةَ. وَعَنْ وَهْب بنِ مُنَبِّه: "وَاللهِ إِنَّ اسْمَهَا[5] فِي كِتَابِ اللهِ، يَعْنِي التَّوْرَاةَ، طِيبَةُ وَطَابَةُ". وَنُقِلَ عَنِ التَّوْرَاةِ أَيْضًا طَابَةٌ[6]، وَالطَّيِّبَةُ وَالمطَيَّبَةُ، وَذَلِكَ لِطِيبِ رَائِحَتِهَا وَأُمُورِهَا [11و] كُلِّهَا، وَلِطَهَارَتِهَا مِنَ الشِّرْكِ وَحُلُولِ الطَّيِّبِ ﷺ، وَلِكَوْنِهَا تَنْفِي خُبْثَهَا وَتَنْصَعُ طِيبَهَا[7].

وَقَالَ الإِشْبِيلِيُّ[8]: لِتُرْبَةِ المدِينَةِ نَفْحَةٌ لَيْسَ كَمَا عُهِدَ، بَلْ هُوَ عَجَبٌ مِنَ الأَعَاجِيبِ[9].

وَيُقَالُ: إِنَّ لِجُدُرِهَا وَأَرْضِهَا رَائِحَةً طَيِّبَةً.

---

(1) تبيَّن من مقارنة نصوص هذا الفصل معَ المطبوع من كتب تاريخ المدِينة المنوَّرة، أنَّ المؤلِّف ينقلُ كثيرا مِن كلامه ومن الأقوالِ التي يذكرُها مباشرة من كتاب خلاصة الوفا في أخبارِ دار المصطفَى، للإمام علِي بن عبد الله السَّمهودِي، ولم أتحصَّل إلَّا على نسخة قديمة مطبوعة من الكتابِ سنة: 1392هـ- 1972 دونَ تحقِيق، على نفقَةِ المكتبة العلميَّة لصاحبها الشيخ محمَّد سلطان النَّمنكاني. ولكنْ للكتابِ أصلٌ سمَّاهُ مؤلِّفهُ: وفاء الوفا بأخبارِ دار المصطَفَى، وقد عنِيَ بتحقيقِهِ وإخراجِ نصوصه د.قاسِم السَّامرَّائِي، وطبعتهُ مؤسَّسَة الفرقانِ للتُّراث الإسلامِي سنة: 1422هـ-2001م. وبالاستعانةِ بِمطبوعِ خلاصة الوفا وبأصلِه المحقَّقِ تحقِيقا علمِيّاً، استطعت أن أحقِّقَ ما وردَ منه في الكتابِ مِن نصوصٍ، والتعرُّفِ على الأعلامِ المبهمةِ الواردةِ فِيهِ بألقابها، وخاصَّة أنَّ هذه الألقابَ عادةً ما تكون مشتركة بين أكثرَ مِن علَمٍ. فأنظرُ ما ذكره المحقِّقُ وأتثبَّتُ منه فإن ظهرَ أنَّ تعرِيفَ العلَمِ يتطابقُ مع النَّصِّ المنقولِ أثبت ما قاله المحقِّقُ وإلاَّ عدلت إلى غيرِهِ بما أراهُ الأصوبُ.

ولا بدَّ أنّ ننوّهَ بالعمل العلمِيّ الذي قام به د.قاسم السَّامرَّائِي في تحقيقِ نصوص الكتابِ، بِجمع النُّسخِ المتوفِّرة منهُ ومقارنتِها، وتعرِيفِ الأعلامِ الواردة فِيه، فقد اختصَرَ جهدا كبِيرا.

ولهذا الكتابِ قصَّة فقد احترقَ أصلهُ مع ما احترق من مكتبة مؤلِّفِه، ولذا اضطرَّ إلى كتابةِ خلاصةٍ له. (يُنظَر مقدِّمة قاسِم السامرَّائِي محقق وفاء الوفا).

(2) صحيح مسلم، حدِيث (1385).

(3) مسند الطيالسي، حدِيث (798).

(4) تاريخ المدينة، ابن شبَّة، 162/1.

(5) في خلاصة الوفا: أسماءها.

(6) في خلاصة الوفا: طائِب.

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص11، ووفاء الوفا، 45/1.

(8) الإشبِيلي: ذكر د.قاسم السَّامرائي في تحقيق كتاب وفاء الوفا بأنَّهُ المعروف بابن الخرَّاط الأندلُسِي، أبو محمَّد عبد الحقّ بن عبد الرحمن توفِّيَ ببجايَة سنة 581هـ، من مؤلَّفاتِهِ: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، الحاوي في اللغة. ينظر ترجمته: معجم المؤلِّفِين، رضا كحالة، 92/5.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص11

وَمِن أَسْمَائِهَا: طِبَابَا، بِكَسْرِ الطَّاءِ المهْمَلَةِ بِمَعْنَى القِطْعَةُ الطَّيِّبَةُ[1] مِنَ الأَرْضِ، أَوْ بِظَاءٍ مُعْجَمَةٍ مَكْسُورَةٍ مِنْ ظَبَّ وَظَبْظَبَ، إِذَا حُمَّ، لِمَا كَانَ بِهَا مِنَ الحُمَّى[2].

وَلَفْظُ المطَيِّبَةُ، بِكَسْرِ اليَاءِ، بِمَعْنَى أَنَّهَا تَنْفِي الذُّنُوبَ، وَبِفَتْحِهَا بِمَعْنَى المقَدَّسَةُ، لِتَنَزُّهِهَا عَن الشِّرْكِ.

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: أَثْرِب، بِفَتْحِ الهَمْزَةِ وَإِسْكَانِ الثَّاءِ وَكَسْرِ الرَّاءِ، وَيَثْرِب وَكِلَاهُمَا اسْمٌ لِمَنْ سَكَنَهَا أَوَّلًا، سُمِّيَتْ بِهِ أَرْضُ المدِينَةِ كُلِّهَا عِنْدَ أَبِي عُبَيْدَةَ[3]، أَو المدِينَةُ فَقَطْ عِنْدَ ابنِ عَبَّاس، أَوْ نَاحِيَةٌ مِنْهَا عِنْدَ محمَّدِ بنِ الحَسَنِ المعْرُوف بِابنِ زَبَالَةَ[4]، أَحَدِ أَصْحَابِ مَالِك، وَكَانَتْ يَثْرِبُ أُمَّ قُرَى المدِينَةِ، وَهِيَ بَيْنَ طَرَفِ قَنَاةٍ إِلَى طَرَفِ الجرْفِ مِنْ جِهَةِ المشْرِقِ إِلَى المغْرِبِ، وَمَا بَيْنَ المالِ الذِي يُقَالُ لَهُ البرْنِي[5] إِلَى زِبَالَةَ مِنْ جِهَةِ الشَّامِ إِلَى جِهَةِ القِبْلَةِ[6].

وَالجِهَةُ المسَمَّاةُ يَثْرِبُ مَشْهُورَةٌ بِهَذَا الاسْمِ شَامِيَّ المدِينَةِ، بِهَا نَخِيلٌ غَرْبِيَّ مَشْهَدِ سَيِّدِنَا حَمْزَةَ، وَشَرْقِيَّ الموْضِعِ المعْرُوفِ بِالبِرْكَةِ، مَصْرِف عَيْنِ الأَزْرَقِ. وَرُبَّمَا قَالُوا أَثَارِبٌ، وَبِهِ عَبَّرَ ابنُ فَرحُونَ[7] فِي "مَنْسِكِهِ"[8] وَكَانَتْ مَنَازِلَ بَنِي حَارِثَةَ[9] وَفِيهِمْ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ ﴾[10] الآيَة. وَذَلِكَ أَنَّهُ نَزَلَتْ قُرَيْشٌ وَمَنْ مَعَهُمْ يَوْمَ الأَحْزَابِ، وَيَوْمَ أُحُدٍ، قُرْبَ مَنَازِلِ بَنِي حَارِثَةَ مِنَ الأَوْسِ،

---

(1) فِي خلاصة الوفا: المستطيلة.

(2) (م، س)، ص11.

(3) أبو عبيدة معمر بن المثَنَّى.

(4) محمد بن الحسن بن زَبالة: فقيه وإخباري، من أصحاب مالك بن أنس، توفي في حدود سنة 200هـ، من آثاره: أخبار المدينة، أصله مفقود. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 219/3.

(5) فِي خلاصة الوفا: البرقي. وفي وفا الوفا: البرني. وفي الدرة الثمينة: البرناوِي، ص35.

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص06.

(7) إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري، المدني، المالكي (أبو الوفاء، برهان الدين)، ولد بالمدينة، ونشأ بها، ومات سنة 799هـ، تفقه، وصنف، وجمع، وولي قضاء المدينة. من تآليفه: شرح مختصر ابن الحاجب سماه تسهيل المهمات في شرح جامع الأمهات في ثمانية أسفار، والديباج المذهب في أعيان المذهب. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 48/1.

وما عبَّر عنهُ هنا بمنسكِه هو كتابٌ له، عنوانه الكامِل: إرشاد السَّالِك إلى أفعال المناسِكِ.

(8) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص06.

(9) بنو حارِثَة بن عامر بن مجمع بن عطاف بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس. نهاية الأرب، النويرِي، 329/2.

(10) سورة الأحزاب: 13.

وَبَنِي سَلِمَةَ[1] مِنَ الخَزْرَجِ وَكَانَ الفَرِيقَانِ مَعَهُ ﷺ وَلِذَلِكَ خَافُوا عَلَى ذَرَارِيهِمْ وَدِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَوْمَ أُحُدٍ، فَنَزَلَ فِيهِمَا: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾[2]. قَالَ عُقَلَاؤُهُمْ: مَا كَرِهْنَا نُزُولَهَا لَتَوَلِّي اللهِ إِيَّانَا[3].

وَقِيلَ القَائِلُ لِبَنِي حَارِثَةَ: يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا [11ظ] أَوْسُ بنُ قَيْظِيّ[4] وَمَنْ مَعَهُ[5].

وَقَالَ عُمَرُ بنُ شَبَّةَ النَّمِيرِي[6]: قَالَ أَبُو غَسَّان[7]: وَكَانَ فِي المدِينَةِ سُوقٌ بِزبَالَةَ فِي النَّاحِيَةِ التِي تُدْعَى يَثْرِبَ، وَذَلِكَ فِي الجَاهِلِيَّةِ[8].

وَإِطْلَاقُهُ عَلَى المدِينَةِ مَعَ ذَلِكَ صَحِيحٌ ثَابِتٌ، إِمَّا وَضْعًا لَهَا أَيْضًا أَوْ مِنْ إِطْلَاقِ اسْمِ البَعْضِ عَلَى الكُلِّ، أَو المشْتَهِرِ[9] مِنْ بَابِ عَكْسِهِ[10]، أَوْ لِلْجِوَارِ.

وَرَوَى ابْنُ شَبَّةَ نَهْيَهُ ﷺ عَنْ تَسْمِيَةِ المدِينَةِ يَثْرِبَ، وَأَحْمَدُ وَأَبُو يَعْلَى[11] مَرْفُوعًا: ((**مَنْ سَمَّى المدِينَةَ يَثْرِبَ، فَلْيَسْتَغْفِرْ هِيَ طَابَةُ**)) وَرِجَالُهُ ثِقَاةٌ عِنْدَهُمْ. وَفِي رِوَايَةٍ: ((**فَلْيَسْتَغْفِرِ اللهَ ثَلَاثًا**))[12].

ويُرْوَى مَرْفُوعًا: ((**فَلْيَقُلْ طَابَة، طَابَة، عَشْرَ مَرَّاتٍ**))[13] وَيُرْوَى اثْنَيْ عَشَرَ. وَمَا فِي الآيَةِ[14] عَن المنَافِقِينَ.

---

(1) بنو سلِمة بن سعد بن عليّ بن راشِد بن ساردة بن تَزيد بن جشم بن الخزرج، وسَلِمة رهط معاذ بن جبل الصَّحابِي. نهاية الأرب، النويرِي، 330/2.

(2) سورة آل عمران: 122.

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص07.

(4) فِي خلاصة الوفا: أوس بن قيظِي، وكذا في أسد الغابة، بن عمرو بن زيد بن جُشَم، شهد أحُدا. أسد الغابة، ابن الأثِير، ص89.

(5) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص07. ينظر: الكشف والبيان، الثعلَبِي، 19/8.

(6) عمر بن شبة بن عبيدة البصري، النميري، (أبو زيد) أديب، نحوي، لغوي، إخباري، فقيه، نشأ بالبصرة، وتوفي بسر من رأى سنة 262هـ، من تصانيفه الكثيرة: كتاب النحو، الاستعانة بالشعر وما جاء من اللغات، طبقات الشعراء، أخبار المنصور، تاريخ المدينة. سير أعلام النبلاء، 369/12، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 559/2.

(7) قال قاسم السامرائي: هو محمد بن يحي الكناني من أصحاب مالِك. وفاء الوفا، 64/1.

(8) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص07، وتاريخ المدينة، ابن شبَّة، 305/1-306.

(9) كلمة لم أتبيَّنها في الأصل، والمثبت من خلاصة الوفا.

(10) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص07.

(11) أبو يعلى الموصِلي صاحب المسنَدِ.

(12) مسند أحمد حدِيث (18519) ومسند أبي يعلَى حدِيث (1688)، وورد بمعناهُ: تاريخ المدينة، ابن شبَّة، 165/1.

(13) لم أقف على أصله في كتب الحدِيثِ.

(14) يعني الآية: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا۟﴾ [سورة الأحزاب:13].

وَقَالَ عِيسَى بنُ دِينَار المالِكِيُّ[1]: مَنْ سَمَّاهَا يَثْرِبَ كُتِبَتْ عَلَيْهِ خَطِيئَة[2].

وَكُرِهَ إِمَّا لِأَنَّهُ مِنَ الثَّرْبِ، وَهُوَ الفَسَادُ، أَوْ مِنَ التَّثْرِيبِ، وَهُوَ المؤَاخَذَةُ بِالذَّنْبِ وَالتَّوبِيخُ عَلَيْهِ، أَوْ لِكَوْنِهِ اسْمَ كَافِرٍ[3].

وَفِي حَدِيثِ الهِجْرَةِ أَنَّهُ أُرِيَ ﷺ أَرْضَ الهِجْرَةِ ذَاتَ نَخْلٍ وَسِبَاخٍ، وَقَالَ: ((**فَإِذَا هِيَ المدِينَةُ يَثْرِب**))[4] وَفِي رِوَايَةٍ: ((**وَلَا أَرَاهَا إِلَّا يَثْرِبَ**))[5] وَيُجَابُ بِأَنَّ هَذَا قَبْلَ النَّهْيِ[6].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: أَرْضُ اللهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **أَلَمْ تَكُنْ اَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا** ﴾[7] قَالَ جَمَاعَةٌ: المرَادُ المدِينَةُ أَرْضُ الهِجْرَةِ[8] لِحَدِيثِ: ((**أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى**))[9] لِغَلَبَتِهَا الجَمِيعَ فَضْلًا، وَتَسَلُّطِهَا عَلَيْهَا، وَافْتِتَاحِهَا بِأَيْدِي أَهْلِهَا، غَنِمُوا الأَرْضَ وَأَكَلُوا أَمْوَالَهَا[10].

وَمِنْ أَسْمَاءِهَا: دَارُ الإِيمَانِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **وَالذِينَ تَبَوَّءُو اَلدَّارَ وَالإِيمَنَ** ﴾[11] قَالَ عُثْمَانُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ[12] وَعَبْدُ اللهِ بنِ جَعْفَر[13]: سَمَّى اللهُ المدِينَةَ الدَّارَ وَالإِيمَانَ[14]؛ أَيْ: لِأَنَّهَا مَظْهَرُ الإِيمَانِ وَمَصِيرُهُ[15].

---

(1) عِيسَى بن دِينار: من أهل طليطلة بالأندلس، وبها توفي سنة 212هـ، سمع من ابن القاسِم، وله تأليف في الفقه يسمى: كتاب الهدية كتب به إلى بعض الأمراء: عشرة أجزاء. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون 64/2.

(2) المنهاج، النووِي، ص859.

(3) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص07.

(4) صحيح مسلم حديث (2272).

(5) مسند أبو داود الطيالِسِي حدِيث (460).

(6) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص07.

(7) سورة النساء: 97.

(8) الكشف والبيان، الثعلَبِي، 372/3.

(9) البخارِي حديث (1871).

(10) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص07.

(11) سورة الحشر: 9.

(12) عثمان بن عبد الرحمن: التيمى القرشي أخو معاذ بن عبد الرحمن من أهل المدينة. الثقات، ابن حبَّان، 199/7. التاريخ الكبير، البخارِي، 237/6.

(13) عبد الله بن جعفر: بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَبُو جَعْفَرٍ، مَوْلِدُهُ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، بَايَعَ هُوَ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ، مُخْتَلَفٌ فِي وَفَاتِهِ، تُوُفِّيَ بِالمدِينَةِ سَنَةَ ثَمَانِينَ عَامَ الْجَحَّافِ. معرفة الصحابة، أبو نعيم. 1605/3.

(14) تاريخ ابن أبي خيثمة، 349/1.

(15) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص08.

وَعَنْ أَنَس بنِ مَالِكٍ: أَنَّ مَلَكَ الإيمَانِ قَالَ: أَنَا أَسْكُنُ المدِينَةَ، فَقَالَ الحَيَاءُ: وَأَنَا مَعَكَ[1].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: البَارَّةُ، بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ، وَالبَرَّة بِالتَّشْدِيدِ أَيْضًا؛ لِكَثْرَةِ بِرِّهَا لِأَهْلِهَا، خُصُوصًا وَلِجَمِيعِ العَالم عُمُومًا، إِذْ بِهَا مَنْبَعُ الفَيْضِ وَالبَرَكَاتِ[2].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: البَحْرَةُ بِفَتْحٍ [12و] فَسُكُونٍ، وَالبُحَيْرَةُ بِضَمٍّ فَفَتْحٍ فَإِسْكَانٍ، وَالبَحِيرَةُ، وَالبَحْرُ بِفَتْحٍ فَإِسْكَانٍ وَتَرْكِ التَّاءِ، وَالأَرْبَعَةُ مِنْ مَعْنَى الاتِّسَاعِ؛ لِكَوْنِهَا بِمُتَّسَعٍ مِنَ الأَرْضِ[3].

قَالَ سَعْدٌ: لَقَد اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ البُحَيْرَةِ، بِضَمٍّ فَفَتْحٍ يَعْنِي المدِينَةَ[4].

وَيُرْوَى البَحْرَةَ بِفَتْحٍ فَإِسْكَانٍ، وَقِيلَ: كُلُّ قَرْيَةٍ بَحْرَةٍ[5].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: البِلَاطُ، قَالَ ابْنُ خَالَوَيْه[6]: لِكَثْرَتِهِ بِهَا أَو اشْتِمَالِهَا عَلَى مَوْضِعٍ يُعْرَفُ بِهِ[7].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: البَلَدُ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١﴾[8] قِيلَ: المدِينَةُ وَقِيلَ: مَكَّةُ، وَالبَلَدُ لُغَةً: صَدْرُ القُرَى[9].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: بَيْتُ الرَّسُولِ ﷺ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ﴾[10]؛ أَيْ: مِنَ المدِينَةِ، لِاخْتِصَاصِهَا بِهِ اخْتِصَاصَ البَيْتِ بِسَاكِنِهِ. وَقِيلَ: مِنْ بَيْتِهِ بِهَا[11].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: تَنْدَدْ؛ بِمُثَنَّاةٍ فَوْقِيَّةٍ وَنُونٍ سَاكِنَةٍ وَدَالٍ مَفْتُوحَةٍ بَعْدَ دَالٍ، وَكِلْتَاهُمَا مُهْمَلَةٌ[12].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: تَنْذَر بِالرَّاءِ آخِرًا بَدَلَ الدَّالِ، وَنَيْدَر كَذَلِكَ لَكِنْ بِمُثَنَّاةٍ تَحْتِيَّةٍ[13] بَعْدَ النُّونِ، وَيَنْدَدُ مِنَ النَّدِّ وَهُوَ الطِّيبُ المعْرُوفُ، أَو التَّلُ المرْتَفِعُ، قِيلَ: أَوْ مِنَ النَّادِ وَهُوَ الرِّزْقُ.

---

(1) المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري، 132/5.

(2) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص08.

(3) (م، س)، ص08.

(4) صحيح البخاري حدِيث (4290). وَسعد هوَ ابنُ عبادة.

(5) مشارق الأنوار، القاضِي عياض، 115/1.

(6) ابن خالويه: الحسين بن أحمد، أصله من همذان، من علماء النحو واللغة، ت:370هـ. معجم الأدباء، ياقوت، 1031/3.

(7) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص08.

(8) سورة البلد: 1.

(9) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص08، وفيه: البلد لغة الصدر والقرية.

(10) سورة الأنفال: 5.

(11) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص08.

(12) (م، س)، ص08.

(13) (م، س)، ص08، وفيه تندر بدال مهملة.

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: العَاصِمَةُ؛ لِعِصْمَتِهَا المهَاجِرِينَ مِنَ المشْرِكِينَ، وَلِأَنَّهَا الدِّرْعُ الحَصْينَةُ أَوْ بِمَعْنَى المعْصُومَةُ، لَا يَدْخُلُهَا الدَّجَّالُ وَلَا الطَّاعُونُ، وَمَنْ أَرَادَهَا بِسُوءٍ أَذَابَهُ اللهُ[1].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: العَذْرَاءُ بِمُهْمَلَةٍ وَمُعْجَمَةٍ، نُقِلَ عَن التَّوْرَاةِ، لِصُعُوبَتِهَا وَامْتِنَاعِهَا عَلَى الأَعْدَاءِ، حَتَّى تَسَلَّمَهَا مَالِكُهَا الحَقِيقِيُّ ﷺ[2].

وَعَن الدَّرَاوَرْدِي[3]: بَلَغَنِي أَنَّ لِلْمَدِينةِ فِي التَّوْرَاةِ أَرْبَعِينَ اسْمًا[4].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: العَرَّاءُ؛ لِعَدَمِ ارْتِفَاعِهَا لِلسَّمَاءِ، يُقَالُ جَارِيَةٌ عَذْرَاءٌ وَعَرَّاءٌ، تَشْبِيهًا بِالنَّاقَةِ العَرَّاءِ التِي لَا سِنَامَ لَهَا، أَوْ صَغُرَ سِنَامُهَا كَذَلِكَ الجَارِيَةُ لَا ثَدْيَ لَهَا أَوْ صَغُرَ[5]، وَأَبْنِيَةُ المدِينَةِ غَيْرُ مُرْتَفِعَةٍ إِلَى جِهَةِ السَّمَاءِ.

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: الجَابِرَةُ لِجَبْرِهَا الكَسِيرَ، وَإِغْنَائِهَا الفَقِيرَ، وَتُجْبِرُ عَلَى الإِذْعَانِ لِمُطَالَعَةِ بَرَكَاتِهَا وَإِجْبَارِهَا البِلَادَ عَلَى الإِسْلَامِ[6]، مِنْ جَبَرَ [12ظ] الثُّلَاثِيِّ بِمَعْنَى أَجْبَرَ.

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: جِبَارٌ بِكَسْرِ الجِيمِ، وَجَبَارٌ بِفَتْحِهَا كَحَذَامِ[7].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: الجَبَّارَةُ نُقِلَ عَنِ التَّوْرَاةِ[8].

جَزِيرَةٌ: لِقَوْلِ بَعْضٍ إِنَّهَا المرَادُ بِقَوْلِهِ ﷺ: ((**أَخْرِجُوا المشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ**))[9].

رُوِيَ: ((**أَنَّهُ ﷺ الْتَفَتَ إِلَى المدِينَةِ وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَرَّأَ هَذِهِ الْجَزِيرَةَ مِنَ المشْرِكِينَ**))[10].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: الحَبِيبَةُ لِحُبِّهِ ﷺ لَهَا وَدُعَائِهِ بِهِ[11].

---

(1) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص11.

(2) (م، س)، ص11.

(3) عبد العزيز بن محمد الدراوردي، قِيل من دارابجرد موضع بفارس كان جده منها، وقِيلَ: من دَرَاوَرْد قرية بخراسان، مولى جهينة المديني مات سنة 186هـ، سمع عمرو بن يحيى وعمرو بن أبي عمرو. التاريخ الكبير، البخارِي، 25/6، وسير أَعلام النبلاء، الذهبِي، 366/8.

(4) الدرة الثمينة في أخبار المدينة، ابن النجار، ص34.

(5) (م، س)، ص11.

(6) (م، س)، ص9.

(7) (م، س)، ص9، وذكره بالفتحِ فقط.

(8) (م، س)، ص9.

(9) صحيح البخاري، حدِيث (4431).

(10) مسند أبي يعلَى، حدِيث (6709). وفِيه: من الشِّرك، بدل من المشرِكِين.

(11) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص9.

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: الحَرَمُ لِتَحْرِيمِهَا[1]، وَفِي الحَدِيثِ: ((**المدِينَةُ حَرَمٌ آمِنٌ**))[2].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: حَرَمُ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِأَنَّهُ الذِي حَرَّمَهَا[3]، وَفِي الحَدِيثِ: ((**مَنْ أَخَافَ أَهْلَ حَرَمِي أَخَافَهُ اللهُ**))[4].

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: ((**حَرَمُ إِبْرَاهِيمَ مَكَّةُ، وَحَرَمِي المدِينَةُ**)) رَوَاهُ الطَّبَرَانِي بِرِجَالٍ وُثِّقُوا[5].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: حَسَنَةٌ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً**﴾[6] وَهِيَ المدِينَةُ، وَقِيلَ: اسْمُهَا الِاشْتِمَالِهَا عَلَى الحُسْنِ الحِسِّي وَالمعْنَوِي[7]، وَفِيهِ أَنَّهُ لَوْ كَانَ اسْمَهَا لَمُنِعَ الصَّرْفَ.

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: الخَيِّرَةُ بِالتَّشْدِيدِ، وَالخَيْرَةُ بِإِسْكَانٍ؛ أَيْ: كَثِيرَةِ الخَيْرِ[8].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: الدَّارُ؛ لِأَمْنِهَا وَالاسْتِقْرَارِ بِهَا[9].

وَمِنْ أَسْمَاءِ المدِينَةِ: دَارُ الأَبْرَارِ وَدَارُ الأَخْيَارِ؛ لِأَنَّهَا دَارُ المخْتَارِ وَالمهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَتَنْفِي شِرَارَهَا، وَمَنْ أَقَامَ بِهَا مِنْهُمْ فَلَيْسَتْ لَهُ فِي الحَقِيقَةِ بِدَارٍ، وَرُبَّمَا نُقِلَ مِنْهَا بَعْدَ الإِقْبَارِ[10].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: دَارُ الإِيمَانِ كَمَا فِي الحَدِيثِ[11]: ((**المدِينَةُ قُبَّةُ الْإِسْلَامِ، وَدَارُ الْإِيمَانِ**))[12] كَمَا فِي الحَدِيثِ: ((**الإِيمَانُ يَأْرِزُ إِلَى المدِينَةِ**))[13].

---

(1) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص9.

(2) السنن الكبرَى، البيهَقِي حدِيث (9959).

(3) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص9.

(4) المعجم الكبِير، الطبراني حديث (6631)، لم يرد فيه إلَّا بلفظ ((أهل المدينة)).

(5) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، 333/3.

(6) سورة النحل: 41.

(7) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص9.

(8) (م، س)، ص9.

(9) (م، س)، ص9.

(10) (م، س)، ص09.

(11) (م، س)، ص09.

(12) المعجم الأوسط، الطبراني حديث (5618).

(13) صحيح البخارِي حديث (1876).

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: دَارُ السُّنَّةِ وَدَارُ السَّلَامَةِ وَدَارُ الفَتْحِ وَدَارُ الهِجْرَةِ، كَمَا قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْف: إِنَّهَا دَارُ الهِجْرَةِ وَالسُّنَةِ، وَرُوِيَ السَّلَامَةِ[1]، وَقَدْ فُتِحَتْ مِنْهَا سَائِرُ الأَمْصَارِ وَإِلَيْهَا هِجْرَةُ المخْتَارِ، وَمِنْهَا انْتَشَرَت السُّنَّةُ فِي الأَقْطَارِ[2].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: الدِّرْعُ الحَصِينَةُ، لِقَوْلِهِ ﷺ: ((**رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ وَفِيَّةٍ**)) فَأُوِّلَت الدِّرْعُ الحَصِينَةُ المدِينَةُ[3].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: ذَاتُ الحُجَرِ لِاشْتِمَالِهَا عَلَيْهَا.

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: ذَاتُ الحِرَارِ؛ لِكَثْرَتِهَا بِهَا[4].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: ذَاتُ النَّخْلِ؛ لِوَصْفِهَا بِذَلِكَ وَبِمَا قَبْلُهُ فِي قِصَّةِ خُنَافِر مَعَ [13و] رَئِيِّهِ[5].

وَفِي سَجْعِ أَبِي عَامِر: فَلْيَلْتَحِقْ بِيَثْرِبَ ذَاتِ النَّخْلِ[6].

وَفِي الحَدِيثِ: ((**أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِي ذَاتَ نَخْلٍ وَحَرَّةٍ**))[7].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: السّلقةُ نَقَلَهُ الأَقْشَهْرِي[8] عَنِ التَّوْرَاةِ؛ وَهُوَ بِفَتْحِ اللَّامِ أَوْ كَسْرِهَا أَوْ إِسْكَانِهَا، أَو السَّلَقُ بِفَتْحِهَا: القَاعُ الصَّفْصَفُ، وَالمسْلَاقُ: البَلِيغُ، وَرُبَّمَا قِيلَ لِلْمَرْأَةِ السَّلِيطَةِ سَلِقَةً بِالكَسْرِ، وَسَلَقْتُ البَيْضَ سَلْقًا: أَغْلَيْتُهُ بِالنَّارِ؛ فَسُمِّيَتْ بِهِ لاتِّسَاعِهَا وَتَبَاعُدِ جِبَالِهَا، أَوْ لِتَسَلُّطِهَا عَلَى البِلَادِ فَتْحًا، أَوْ لِحُمَّاهَا وَشِدَّةِ حَرِّهَا[9].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: سَيِّدَةُ البُلْدَانِ؛ لِمَا رَوَى ابْنُ عُمَر عَنْهُ ﷺ: ((**أَنَّهُ قَالَ لِلْمَدِينَةِ: يَا طَيْبَةَ، يَا سَيِّدَةَ الْبُلْدَانِ**))[10].

---

(1) صحيح البخارِي حديث (3928).

(2) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص10، وليس فِيهِ: دار الهجرة.

(3) مسند أحمد، حدِيث (14787).

(4) (م، س)، ص10.

(5) ينظر القصَّة فِي: الأمالي، أبو علي القالي، 169/1.

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي ص10، وفِيه: سجع عمران، وينظر قصَّة عمرو بن عامر بن حارثة فِي مجمع الأمثال، الميداني، 275/1.

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي ص10، لم أقف على لفظِ الحدِيث.

(8) محمد بن أحمد بن أمين الأقشهري، نسبة إلى آق شهر بقونية، رحل إلى مصر ثم المغرب، ت: 731هـ، من آثارِهِ "الروضة الفردوسية والحضرة القدسِيّة" فيه أسماءُ مَن دفِنَ بالبقِيعِ. معجم المؤلِّفِين، رِضَا كحالة 235/8.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي ص10.

(10) كنز العمال، المتقِي الهندِي حديث (34941).

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: الشَّافِيَةُ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: ((**تُرَابُهَا شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ**))[1]، ولِمَا صَحَّ فِي ثِمَارِهَا.

وَذَكَرَ ابنُ مَهْدِي[2] الاسْتِشْفَاءَ بِتَعْلِيقِ أَسْمَائِهَا عَلَى المحْمُومِ. وَسَيَأْتِي أَنَّهَا تَنْفِي الذُّنُوبَ فَتُشْفِي مِنْ دَائِهَا[3].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: العَرُوسُ كَصَبُورٍ؛ لِانْخِفَاضِ مَوَاضِعَ مِنْهَا وَمَسَايِلِ أَوْدِيَةٍ فِيهَا، أَوْ لِأَنَّهَا مِنْ نَجْدٍ، وَنَجْدٌ كُلُّهَا عَلَى خَطٍّ مُسْتَقِيمٍ طُولًا، وَالمدِينَةُ مُعْتَرِضَةٌ عَنْهَا نَاحِيَةً[4].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: الغَرَّاءُ؛ وَالغُرَّةُ: بَيَاضٌ فِي مُقَدَّمِ الوَجْهِ، وَخِيَارُ الشَّيْءِ وَوَجْهُ الإِنْسَانِ، وَالغُرَّةُ البَيْضَاءُ؛ وَالأَغَرُّ: الذِي أَخَذَت اللِّحْيَةُ وَجْهَهُ إِلَّا القَلِيلَ، وَالرَّجُلُ الكَرِيمُ، وَاليَوْمُ الشَّدِيدُ الحَرِّ، ونَبْتٌ طَيِّبُ الرَّائِحَةِ، وَالسَّيِّدَةُ الكَبِيرَةُ. وَقَدْ سَادَت المدِينَةُ عَلَى القُرَى، وَطَابَ رِيحُهَا فِي الوَرَى، وَكَرُمَ أَهْلُهَا، وَكَثُرَ غَرْسُهَا، وَابْيَضَّ نُورُهَا، وَسَطَعَ نُورُهَا[5].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: غَلَبَةُ؛ بِفَتْحِ الغَيْنَ وَاللَّامِ، لِظُهُورِهَا عَلَى البِلَادِ، وَكَانَتْ فِي الجَاهِلِيَّةِ تُدْعَى غَلَبَةً، نَزَلَتْ يَهُودُ بِهَا عَلَى العَمَالِقَةِ فَغَلَبَتْهُمَ عَلَيْهَا، وَنَزَلَتْ الأَوْسُ وَالخَزْرَجُ عَلَى يَهُودَ فَغَلَبُوهُمْ عَلَيْهَا[6].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: الفَاضِحَةُ، إِذْ لَا يُضْمِرُ بِهَا أَحَدٌ عَقِيدَةً فَاسِدَةً أَوْ غَيْرَهَا إِلَّا ظَهَرَ مَا أَضْمَرَهُ، وَافْتُضِحَ بِهِ وَهُوَ أَحَدُ مَعَانِي تَنْفِي خُبْثَهَا[7].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: القَاصِمَةُ [13ظ] بِالقَافِ لِقَصْمِهَا كُلَّ جَبَّارٍ عَنَاهَا وَمُتَمَرِّدٍ أَتَاهَا، وَمَنْ أَرَادَهَا بِسُوءٍ أَذَابَهُ اللهُ[8].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: قُبَّةُ الإِسْلَامِ، لِمَا مَرَّ فِي الحَدِيثِ[9].

---

(1) لم أجده في غير خلاصة الوفا، السمهودِي ص10.

(2) ابن مهدِي: ذكره السمهودي في خلاصة الوفا بـ: ابن مُسدِي، وهو محمد بن يوسف الأزدِي توفي بمكة سنة 663هـ، له: إعلام الناسِك بأعلام المناسِكِ. ينظر معجم المؤلِّفِين، رضَا كحالة 790/3.

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي ص10.

(4) (م، س)، ص11.

(5) (م، س)، ص11-12.

(6) (م، س)، ص12.

(7) (م، س)، ص12.

(8) (م، س)، ص12.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي ص12، والحدِيث: ((المدِينَةُ قُبَّةُ الْإِسْلَامِ، وَدَارُ الْإِيمَانِ)).

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: القَرْيَةُ لِمَا مَرَّ فِي الحَدِيثِ، وَلِقَوْلِهِ ﷺ: ((**إِنَّ اللَّهَ قَدْ طَهَّرَ هَذِهِ الْقَرْيَةَ مِنَ الشِّرْكِ إِنْ لَمْ تُضِلَّهُمُ النُّجُومُ**))[1].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: قَرْيَةُ الأَنْصَارِ، جَمْعُ نَاصِر، وَهُم الأَوْسُ وَالخَزْرَجُ، سَمَّاهُم اللهُ وَرَسُولُهُ بِهِ لِإِيوَائِهِمْ وَنَصْرِهِمْ. قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**وَالَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ**﴾[2]. قِيلَ لأنس بنِ مَالِك: أَرَأَيْتُمْ اسْمَ الأَنْصَارِ أَكُنْتُمْ تُسَمَّوْنَ بِهِ أَمْ سَمَّاكُم اللهُ بِهِ؟ قَالَ: بَلْ سَمَّانَا اللهُ بِهِ، وَالقَرْيَةُ؛ بِفَتْحِ القَافِ وَكَسْرِهَا مَا يَجْمَعُ جَمَاعَاتٍ كَثِيرَةً مِنَ النَّاسِ، مِنْ قَرَيْتُ الماءَ فِي الحَوْضِ إِذَا جَمَعْتُهُ، وَقِيلَ: المصْرُ الجَامِعُ[3].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: قَرْيَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ مِنْ حَدِيثِ الدَّجَّالِ: ((**ثُمَّ يَسِيرُ حَتَّى يَأْتِيَ المدِينَةَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُ فِيهَا، فَيَقُولُ: هَذِهِ قَرْيَةُ ذَلِكَ الرَّجُلِ**))[4].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: قَلْبُ الإِيمَانِ، أَوْرَدَهُ ابنُ الجَوْزِي فِي حَدِيثِ ((**المدِينَةُ قُبَّةُ الإِسْلَامِ**))[5].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: المؤْمِنَةُ؛ لِتَصْدِيقِهَا بِاللهِ حَقِيقَةً، لِخَلْقِهِ قَابِلِيَّةَ ذَلِكَ فِيهَا، كَمَا فِي تَسبِيحِ الحَصَى، أَوْ مَجَازًا؛ لِاتِّصَافِ أَهْلِهَا بِهِ، وَانْتِشَارِهِ مِنْهَا، وَاشْتَمَالِهَا عَلَى أَوْصَافِ المؤْمِنِ، أَوْ لِإِدْخَالِهَا أَهْلَهَا فِي الأَمْنِ مِنَ الأَعْدَاءِ وَالطَّاعُونِ وَالدَّجَّالِ. وَفِي خَبَر: ((**وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ تُرْبَتَهَا لَمُؤْمِنَةٌ**))[6]. وَفِي آخَر: ((**إِنَّهَا لَمَكْتُوبَةٌ فِي التَّوْرَاةِ مُؤْمِنَةٌ**))[7].

وَمِن أَسْمَائِهَا: المبَارَكَةُ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى بَارَكَ بِدُعَائِهِ ﷺ لَهَا، وَحُلُولِهِ فِيهَا[8].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: مُبَوَّأُ الحَلَالِ وَالحَرَامِ، رَوَاهُ الطَّبَرَانِي فِي حَدِيثِ: ((**المدِينَةُ قُبَّةُ الإِسْلَامِ**))[9].

وَالتَّبَوُّءُ: التَّمَكُّنُ وَالاسْتِقْرَارُ؛ لِأَنَّها مَحَلُّ تَمَكُّنِ هَذَيْنِ الحُكْمَيْنِ وَاسْتِقْرَارِهِمَا[10].

---

(1) مسنَد أبِي يَعلَى، حدِيث (6714).

(2) سورة الأنفال: 72.

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي ص12.

(4) مسند أحمد، حدِيث (21929) والمعجم الأوسط، الطبراني حديث (5618).

(5) الحدِيثُ سبقَ تخريجه: المعجم الأوسط، الطبراني حديث (5618)، والوفا بتعرِيفِ فضائِلِ المصطَفَى، ابن الجوزِي 201/1.

(6) إرشاد السَّارِي إلى شرح صحيح البخارِي، القسطلاني، 333/3.

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي ص13.

(8) (م، س)، ص13.

(9) سبَقَ تخرِيجُهُ المعجم الأوسط، الطبراني حديث (5618).

(10) خلاصة الوفا، السمهودِي ص13.

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: مُبَيِّنُ الحَلَالِ وَالحَرَامِ، رَوَاهُ ابنُ الجَوْزِي وَغَيْرُهُ[1]، بَدَلَ الذِي قَبْلَهُ فِي الحَدِيثِ المتَقَدِّمِ، لِأَنَّهَا مَحَلُّ بَيَانِها[2] فَهُوَ بِفَتْحِ اليَاءِ المثَنَّاةِ المشَدَّدَةِ اسْمُ مَكَانٍ.

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: المجْبُورَةُ وَرَدَ بِهِ الحَدِيثُ[3] وَنُقِلَ عَن الكُتُبِ المتَقَدِّمَةِ، لِجَبْرِهَا بِخُلَاصَةِ الوُجُودِ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَبِحَتِّهِ عَلَى سُكْنَاهَا وَبِنَقْلِ حُمَّاهَا وَتَكَرُّرِ دُعَائِهِ لَهَا[4].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: المحَبَّةُ، وَنُقِلَ عَن الكُتُبِ المتَقَدِّمَةِ[5].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: [14و] المحَبَّبَةُ[6].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: المحْبُوبَةُ، نُقِلَ عَنِ الكُتُبِ المتَقَدِّمَةِ، وَهِذِهِ الثَّلَاثَةُ مَعَ الحَبِيبَةِ مِنْ وَادٍ وَاحِدٍ[7]، وَحُبُّهُ ﷺ لها ودعاؤه مَعْلُومٌ، وَحُبُّهُ تَابِعٌ لِحُبِّ رَبِّهِ[8].

وَمِنْ أَسْمَاءِهَا: المحْبُورَةُ، مِنَ الحَبْرِ وَهُوَ السُّرُورُ، أَوْ مِنَ الحَبْرَةِ بِمَعْنَى النِّعْمَةُ أَوْ المبَالَغَةُ فِيهَا[9] وَصْفٌ بِجَمِيلٍ، وَالمحْبَارُ مِنَ الأَرْضِ السَّرِيعَةُ النَّبَاتِ الكَثِيرَةُ الخَيْرَاتِ[10].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: المحَرَّمَةُ لِتَحْرِيمِهَا[11].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: المحْرُوسَةُ[12] لِقَوْلِهِ ﷺ: ((**المدِينَةَ مُشْتَبِكَةٌ بِالملَائِكَةِ، عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَكٌ يَحْرُسُهَا**))[13].

---

(1) الوفا بتعريف فضائل المصطَفَى، ابن الجوزِي، ص171، وفيه: ((المدينَةُ قُبَّةُ الإِسْلاَمِ وَقَلْبُ الإِيْمَانِ، وَمَا بَيْنَ الحَلاَلِ والحَرَامِ))، الكتاب بصيغة الشاملة، لم أحصل على الكتاب ورقيا أو مصورا لتوثيق المعلومة بدقة.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي ص13.

(3) وهو حدِيث: ((للمدينة عشرَة أسماء...)) سبق تخريجه، تاريخ المدينة، ابن شبَّة، 162/1.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي ص13.

(5) (م، س)، ص13.

(6) (م، س)، ص13.

(7) فِي خلاصة الوفا: من مادة واحدة.

(8) (م، س)، ص13.

(9) فِي خلاصة الوفا: فيما وصف بجميل.

(10) (م، س)، ص13.

(11) (م، س)، ص13.

(12) وفاء الوفا، السمهودِي، 84/1.

(13) مسند أحمد بن حنبل، حديث (8373).

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: المحْفُوفَةُ: حُفَّتْ بِالبَرَكَاتِ وَمَلَائِكَةِ السَّمَاوَاتِ، وَعَنْهُ ﷺ: ((**المدِينَةُ وَمَكَّةُ مَحْفُوفَتَانِ بِالملَائِكَةِ**))[1].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: المحْفُوظَةُ يَحْفَظُهَا مِنَ الطَّاعُونِ وَالدَّجَّالِ وَغَيْرِهِمَا، وَفِي خَبَرٍ: ((القُرَى المحْفُوظَةُ أَرْبَعٌ)) وَذَكَرَ المدِينَةَ مِنْهَا[2].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: المخْتَارَةُ، لِأَنَّ اللهَ ﷻ اخْتَارَهَا لِلْمُخْتَارِ مِنْ خَلْقِهِ[3].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: مَدْخَلُ صِدْقٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ** ﴾[4] الآية، قِيلَ: مُدْخَلُ صِدْقٍ المدِينَةُ، وَمُخْرَجُ صِدْقٍ: مَكَّةُ، وَسُلْطَانًا نَصِيرًا: الأَنْصَارُ، كَمَا رُوِيَ عَنْ زَيْد بنِ أَسْلَم[5].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: المدِينَةُ، كَمَا ذُكِرَ فِي القُرْآنِ، وَنُقِلَ عَن التَّوْرَاةِ، مِنْ مَدَنَ بِالمكَانِ أَقَامَ بِهِ، وَالزَّائِدُ اليَاءُ، أَوْ مِنْ دَانَ إِذَا أَطَاعَ؛ إِذْ يُطَاعُ السُّلْطَانُ بِالمدِينَةِ لِسُكْنَاهُ بِهَا، وَهِيَ بُيُوتٌ كَثِيرَةٌ تَجَاوَزَ حَدَّ القُرَى، وَلَمْ تَبْلُغْ حَدَّ الأَمْصَارِ. وَقِيلَ: يُقَالُ لِكُلِّ مِصْرٍ، وَهُوَ عَلَمٌ لِمَدِينَةِ الرَّسُولِ بِحَيْثُ لَا يَتَبَادَرُ غَيْرُهَا، إِذَا أُطْلِقَ وَذَلِكَ بِـ: "الـ". وَالنَّسَبُ إِلَى كُلِّ مَدِينَةٍ مَدَنِيٌّ؛ بِفَتْحِ الدَّالِ وَإِسْقَاطِ اليَاءِ بَعْدَهَا، وَقِيلَ بِإِثْبَاتِهَا وَكَسْرِ الدَّالِ، إِلَّا مَدِينَةُ الرَّسُولِ ﷺ فَالفَتْحُ وَالإِسْقَاطُ لِلْفَرْقِ[6].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: مَدِينَةُ الرَّسُولِ ﷺ لِقَوْلِهِ ﷺ: ((**وَمَنْ أَحْدَثَ فِي مَدِينَتِي هَذِهِ حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا**)) الحَدِيث[7]، فَأَضَافَهَا لِنَفْسِهِ لِسُكْنَاهُ بِهَا، وَلَهُ وَلِخُلَفَائِهِ دَانَتْ الأُمَمُ[8].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: المرْحُومَةُ نُقِلَ عَنِ التَّورَاةِ لِأَنَّهَا رُحِمَتْ بِالمبْعُوثِ ﷺ رَحْمَةً، وَبِهَا تَنْزِلُ الرَّحَمَاتُ[9].

---

(1) مسند أحمد بن حنبل، حديث (10265).

(2) الفردوس بمأثور الخطاب، الديلمِي، حديث (4689).

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص14.

(4) سورة الإسراء: 80.

(5) فِي الأصل: زيد بن سلم، شهد بدرا. أسد الغابة، ابن الأثِير، ص423.
خلاصة الوفا، السمهودِي، ص14، وينظر: الدرة الثمينة في أخبار المدينة، ابن النجار، ص58، والدر المنثور، السيوطِي، 428/5.

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص14.

(7) المعجم الكبِير، الطبرانِي، حدِيث (795).

(8) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص14.

(9) (م، س)، ص14.

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: المرْزُوقَةُ لِمَا ذَكَرْتُ، أَوْ لِأَنَّ أَهْلَهَا مَرْزُوقُونَ، وَلَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنْهَا رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَبْدَلَهَا اللهُ خَيْرًا مِنْهُ[1].

ومِنْ أَسْمَائِهَا: المسْجِدُ الأَقْصَى نَقَلَهُ التَّادلِي[2] عَنْ صَاحِبِ "المطَالِعِ"[3]، وَلَعَلَّهُ [14ظ] لِكَوْنِهِ آخِرَ مَسَاجِدِ الأَنْبِيَاءِ[4]، أَوْ مَسْجِدَ أَقْصَاهُمْ فِي الفَضْلِ وَأَعْلَاهُمْ.

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: المسْكِينَةُ نُقِلَ عَنْهُ ﷺ وَعَنِ التَّوْرَاةِ، وَرُوِيَ عَنْهُ ﷺ: ((**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ لِلْمَدِينَةِ: يَا طَيْبَةُ يَا طَابَةُ يَا مِسْكِينَةُ، لَا تَقْبَلِي الْكُنُوزَ اِرْفَعِي أَجَاجِيرَكِ عَلَى أَجَاجِيرِ الْقُرَى**))[5] وَالأَجَاجِيرُ: السُّطُوحُ، وَالمسْكَنَةُ: الخُضُوعُ وَالخُشُوعِ، جَعَلَهُ اللهُ فِيهَا، وَهِيَ مَسْكَنُ الخَاضِعِينَ الخَاشِعِينَ[6].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: المسْلِمَةُ، خَلَقَ اللهُ فِيهَا الانْقِيَادَ وَالِانْقِطَاعَ لَهُ، أَوْ لِانْقِيَادِ أَهْلِهَا وَفَتْحِهَا بِالقُرْآنِ[7].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: مَضْجَعُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِقَوْلِهِ ﷺ: ((**المدِينَةُ مُهَاجَرِي وَمَضْجَعِي فِي الْأَرْضِ**))[8].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: المقَرُّ بِفَتْحِ الميمِ وَالقَافِ[9].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: المكَّتَانِ، قَالَ سَعْدُ بنُ أَبِي سَرْحٍ[10] فِي حِصَارِ عُثْمَانَ:

وَأَنْصَـــارُنَـا بِـالـــــمكَّتَيْنِ قَلِيـلُ[11]

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص14.

(2) أحمد بن عبد الرحمن التادلي الفاسي، فقيه إمام في أصول الفقه، مشارك في الأدب والحديث، له شرح على رسالة بن أبي زيد، وله شرح عمدة الأحكام في الحديث، رحل إلى المدينة النبوية فاستوطنها. وولي نيابة القضاء بها. توفِّيَ بالمدينة في سنة 741هـ. الديباج المذهَّب، ابن فرحون، 255/1.

(3) كتاب مطالع الأنوار على صِحاح الآثارِ، لإبراهيم بن يوسف الوهراني المعروف بابن قرقول ت:569هـ.
ينظر فِيه، 82/4، وفيه: مسجد الأقصَى.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص14، وفيه: مسجد الأقصَى.

(5) تاريخ المدينة، ابن شبَّة، 163/1.

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص15، وفيه: أحاجيرك.

(7) (م، س)، ص15.

(8) المعجم الكبير، الطبراني، حدِيث (470).

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص15.

(10) صاحب البيت عبد الله بن سعد بن أبي سرح: أخو عثمان من الرضاعة، يوم الفتح أمر رسول الله ﷺ بقتله، فأجاره عثمان، ولَّاهُ عثمان مصر سنة 25، ففتح الله على يديه إفريقية، توفِّيَ بعسقلان وقيل بإفريقية سنة 36هـ، وقيل غير ذلك. الإصابة، ابن حجر، 175/6. وأسد الغابة، ابن الأثِير، ص677. وينظر: الروض الأنف، السهيلي، 230/7.

(11) عجز من البيتِ صدرُهُ:

أَرَى الْأَمْـــرَ لَا يَـــزْدَادُ إِلَّا تَـــفَـــاقُـــمًـــا

تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكِر، 23/29.

وَقَالَ نَصْرُ بنُ حَجَّاج[1] بَعْدَ نَفْيِهِ مِنَ المدِينَةِ:

فَـأَصْـــبَحْـتُ مَنْفِيًّـا عَلَى غَيْرِ ريبَـةٍ وَقَـدْ كَـانَ لِي بِـالـــــمكَّتَيْنِ مُقَـام[2]

أَرَادَ المدِينَةَ، لِأَنَّهَا جَمَعَتْ أَهْلَ مَكَّةَ، وَهُم المهَاجِرُونَ إِلَى الأَنْصَارِ أَوْ تَغْلِيبًا، أَو المرَادُ: مَكَّةُ وَالمدِينَةُ[3]. وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ: المكْتَبَيْنِ[4].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: المكِينَةُ لِتَمَكُّنِهَا فِي المنْزِلَةِ[5].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: مُهَاجَرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ[6] لِقَوْلِهِ ﷺ: ((**المدِينَةُ مُهَاجَرِي**))[7].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: الموَفِّيَةُ بِتَشْدِيدِ الفَاءِ وَتَخْفِيفِهَا، لِتَوْفِيَتِهَا حَقَّ الوَافِدِينَ حِسًّا وَمَعْنىً، وَأَهْلُهَا مُوَفُّونَ بِالعَهْدِ[8].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: النَّاجِيَةُ؛ لِنَجَاتِهَا مِنَ العُتَاةِ وَالطَّاعُونِ وَالدَّجَّالِ، وَلِإِسْرَاعِهَا فِي الخَيْرَاتِ فَحَازَتْ أَشْرَفَ المخْلُوقَاتِ أَو لِارْتِفَاعِ شَأْنِهَا[9]، وَالنَّجْوَةُ مِنَ الأَرْضِ: مَا ارْتَفَعَ مِنْهَا.

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: نَبْلَى، نُقِلَ عَنْ كرَاع[10]، مِنَ النُّبْلِ وَهُوَ الفَضْلُ وَالنَّجَابَةُ[11].

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: النَّحْرُ، مِنْ نَحْرِ الظَّهِيرَةِ لِشِدَّةِ حَرِّهَا أَوْ لِإِطْلَاقِهِ عَلَى الأَصْلِ، وَهِيَ أَصْلُ بِلَادِ الإِسْلَامِ[12].

---

(1) نصر بن حجاج السلمي من أولاد الصحابة، وله مع عمر بن الخطَّاب قصة. الإصابة، ابن حجر، 146/11.

(2) البيت من الطويل، في قصيدة قالها نصر بن حجاج لعمر بن الخطاب، بعد عام من نفيِهِ من المدينة إلى البصرة. ينظر تاريخ المدينة، ابن شبَّة، 2/ 763.

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص15.

(4) مناقب عمر، ابن الجوزِي، ص86.

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص15.

(6) وفاء الوفا، السمهودِي، 88/1.

(7) المعجَم الكبِير، الطبراني، حديث (470).

(8) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص16.

(9) (م، س)، ص16.

(10) علي بن الحسن الهنائي، المعروف بكُرَاع النَّمل، ويعرف بالدوسي (أبو الحسن) لغوي، من أهل مصر، وكان كوفيا، وأخذ عن البصريين، من تصانيفه: المنضد، أمثلة الغريب على أوزان الأفعال، المصحف، المنظم، والمنجد فيما اتفق لفظه واختلف معناه. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 429/2.

(11) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص16، وفِيه: نبلاء.

(12) (م، س)، ص16.

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: الهَدْرَاءُ، نَقَلَهُ ابنُ النَّجَّارِ[1] عَنِ التَّوْرَاةِ فَإِنْ كَانَت الدَّالُ مُعْجَمَةً وَهُوَ الرِّوايَةُ، فَذَلِكَ لِشِدَّةِ حَرِّهَا، يُقَالُ: يَوْمٌ هَاذِرٌ شَدِيدُ الحَرِّ، أَوْ لِكَثْرَةِ مِيَاهِهَا وَأَصْوَاتِ سَوَانِيهَا، يُقَالُ: هَدَرَ إِذَا أَكْثَرَ، وَإِنْ كَانَتْ مُهْمَلَةً فَهُوَ مِنْ هَدْرِ الحَمَامِ إِذَا صَوَّتَ، وَالماءُ انْصَبَّ، وَأَرْضٌ هَادِرَةٌ كَثِيرَةُ النَّبَاتِ[2]، وَاللهُ أَعْلَمُ.

الفصل الثاني: في بَدْءِ شَأْنِها [15و] وَمَا يَؤُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهَا[3]

قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: ((**إِنَّ مكَّةَ بَلَدٌ عَظَّمَهُ اللهُ وَعَظَّمَ حُرْمَتَهُ، خَلَقَ مَكَّةَ وَحَفَّهَا بِالملاَئِكَةِ، قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا مِنَ الأَرْضِ بِأَلْفِ عَامٍ، وَوَصَلَهَا بِالمدِينَةِ وَوَصَلَ المدِينَةَ بِبَيْتِ المقْدِسِ، ثُمَّ خَلَقَ الأَرْضَ كُلَّهَا بَعْدَ أَلْفِ عَامٍ خَلْقًا**))[4] وَهُوَ حَدِيثٌ وَاهٍ.

وَعَنْ عَلِيٍّ: ((**كَانَت الأَرْضُ مَاءً فَبَعَثَ اللهُ رِيحًا، فَمَسَحَتْ الماءَ مَسْحًا، فَظَهَرَتْ عَلَى الأَرْضِ زُبْدَةٌ، فَقَسَّمَهَا أَرْبَعَ قِطَعٍ خَلَقَ مِنْ قِطْعَةٍ مَكَّةَ وَالثَّانِيَةِ المدِينَةَ وَالثَّالِثَةِ بَيْتَ المقْدِسِ وَالرَّابِعَةِ الكُوفَةَ**))[5] وَهُوَ أَثَرٌ وَاهٍ أَيْضًا.

وَفِي كَبِيرِ الطَّبَرَانِي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: ((**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ المدِينَةِ وَهِي بَطْحَاءُ، قَبْلَ أَنْ تَعْمُرَ لَيْسَ فِيهَا مَدَرٌ، أَيْ بِنَاءٌ، وَلَا بَشَرٌ، فَقَالَ: يَا أَهْلَ يَثْرِبَ إِنِّي مُشْتَرِطٌ عَلَيْكُمْ ثَلَاثًا، وَسَائِقٌ إِلَيْكُمْ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ، لَا تَعْصِي وَلَا تَعْلِي وَلَا تَكَبَّرِي، فَإِنْ فَعَلْتِ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ تَرَكْتُكَ كَالْجَزُورِ لَا يُمْنَعُ مِنْ أَكْلِهِ**))[6]

---

(1) ابن النجار: محمد بن محمود بن حسن البغدادي الشافعي، محدث، حافظ، مؤرخ، أديب، نحوي شاعر، مقرئ، ولد ببغداد، وسمع من ذاكر بن كامل وابن الجوزي، رحل إلى أصبهان وخراسان والشام ومصر، من تصانيفه: تاريخ بغداد، الأزهار في أنواع الأشعار، توفي ببغداد سنة:643هـ. طبقات النسَّابين، بكر أبو زيد، ص128 ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 706/3 مع مصادر ترجمته.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص16، ولم أجده في المطبوع من الدرة الثمينة لابن النجار.

(3) نفس الأمرِ يقع مع هذا الفصلِ فأغلب مادَّته نقلها المؤلِّف من خلاصة الوفا.

(4) فضائل القدس، ابن الجوزِي، ص72.

(5) (م، س)، ص73.

(6) المعجم الكبِير، الطبراني حدِيث (4234).

وَعَنْهُ ﷺ: ((**لَمَّا تَجَلَّى اللهُ لِجَبَلِ طُورِ سِينَاءَ تَشَظَّى سِتَّةَ أَشْظَاظٍ**، وَفِي رِوَايَةٍ: **شَظَايَا، فَنَزَلَتْ بِمَكَّةَ ثَلَاثَةٌ: حِرَا وَثَبِيرُ وَثَوْرُ، وَفِي المدِينَةِ أُحُدٌ وَعِير وَوَرِقَانَ**)) وَفِي رِوَايَةٍ: ((**وَرَضْوَى**)) بَدَلَ عِيرٍ، وَرَضْوى يَنْبُعُ مِنْ عَمَلِ المدِينَةِ، وَفِي رِوَايَةٍ: ((**عِيرٌ وَثَوْرٌ وَرَضْوَى**))[1] وَفِيهِ حِكْمَةٌ لِتَحْدِيدِ الحَرَمِ[2] بِثَوْرٍ وَعِيرٍ.

وَمِنْ حَدِيثِ الإِسْرَاءِ: ((**أَنَّهُ مَرَّ بِأَرْضٍ ذَاتِ نَخْلٍ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: انْزِلْ فَصَلِّ، فَقَالَ: صَلَّيْتَ بِيَثْرِبَ**))[3] وَقِيلَ: ((**قَالَ: أَتَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ؟ صَلَّيْتَ بِطَيْبَةَ، وَإِلَيْهَا المهَاجَرُ**))[4].

ويُروَى: ((**اسْكِنْتُ أَقَلَّ الْأَرْضِ مَطَرًا، وَهِيَ بَيْنَ عَيْنَي السَّمَاءِ، عَيْنِ الشَّامِ وَعَيْنِ الْيَمَنِ**))[5] فاتَّخِذُوا الغَنَمَ عَلَى خَمْسِ لَيَالٍ مِنَ المدِينَةِ، وَفِي رِوَايَةٍ: ((**فَأَقِلُّوا مِنَ الماشِيَةِ، وَعَلَيْكُمْ بِالزَّرْعِ وَأَكْثِرُوا فِيهِ مِنَ الْجَمَاجِمِ**))[6] يَعْنِي النَّخْلَ.

وَفِي رِوَايَةٍ: ((**تُوشِكُ المدِينَةُ أَنْ تُمْطِرَ مَطَرًا لَا يُكِنُّ أَهْلَهَا مِنْهُ الْبُيُوتُ وَلَا يُكِنُّهُمْ إِلَّا مَظَالُّ الشَّعْرِ**))[7]. وَفِي رِوَايَةٍ: ((**أَنْ يُصِيبَهَا مَطَرُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةٍ لَا يُكِنُّ أَهْلَهَا بَيْتٌ مِنْ مَدَرٍ**))[8].

وَعَنْ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: ((**لَيَعُودَنَّ هَذَا** [15ظ] **الأَمْرُ إِلَى المدِينَةِ كَمَا بَدَأَ مِنْهَا حَتَّى لَا يَكُونَ إِيمَانٌ إِلَّا بِهَا**))[9].

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((**كَيْفَ بِكِ يَا عَائِشَةُ إِذَا رَجَعَ النَّاسُ بِالمدِينَةِ، وَكَانَتْ كَالرُّمَّانَةِ المحْشُوَّةِ؟ قُلْتُ: فَمِنْ أَيْنَ يَأْكُلُونَ يَا نَبِيءَ اللهِ؟ قَالَ يُطْعِمُهُم اللهُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَمِنْ جَنَّاتِ عَدْنٍ**))[10] وَعَنْهُ ﷺ: ((**وَلَيُوشِكَنَّ أَنْ يَبْلُغَ بُنْيَانُهُمْ يَهِيقَا**))[11].

---

(1) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام، ابن الضياء، ص93. الكتاب بصيغة الشاملة، لم أعثر عليه مصورا أو ورقيا.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص69.

(3) المعجم الكبير، الطبراني، حدِيث (7142).

(4) الحدِيث فِي السنن الصغرى، النسائي، حدِيث (450).

(5) تاريخ مدينة دِمشق، ابن عساكِر، 190/1، ومعرفة السنن والآثار، البيهقِي حدِيث (7267).

(6) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص69.

(7) معرفة السنن والآثار، البيهَقِي، حدِيث (7268).

(8) معرفة السُّنَن والآثار، البيْهَقِي حدِيث (7272).

(9)معرفة علوم الحدِيث، الحاكِم، ص532.

(10) جامع الأحادِيث، السَّيوطِي، حدِيث (15876).

(11) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص70. وفيه هيفا.

يهيق: قال الفيروز أبادِي: موضع بقرب المدينة، ولم أرَ من تعرض لذكرِه ممن صنَّفَ في أسماءِ الأماكن. المغانم المطابة، الفيروز أبادِي، ص441.

وَعَنْهُ ﷺ: ((**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَبْلُغَ الْبِنَاءُ شَجَرَةَ ذِي الْحُلَيْفَةِ**))[1] وَعَنْهُ ﷺ: ((**أَرَأَيْتَكَ شَرَفَ السَّيَّالَةِ وَشَرفَ الرَّوْحَاءِ، فَإِنَّهُ مَنَازِلُ أَهْلِ الأُرْدُن إِذَا حِيزَ النَّاسُ إِلَى المدِينَةِ**))[2].

وَعَنْهُ ﷺ: ((**تَبْلُغُ المسَاكِنُ إِهَابَ**)) أَوْ ((**يهَابَ**))[3] بِكَسْرِ المثَنَّاةِ التَّحْتِيَّةِ.

وَعَنْهُ ﷺ: ((**أَنَّهُ خَرَجَ حَتَّى بِئْرِ أَهَابٍ، قَالَ: يُوشِكُ الْبُنْيَانُ أَنْ يَأْتِيَ هَذَا المكَانَ**)) وَبِيرُ إِهَابَ: بِالحَرَّةِ الغَرْبِيَّةِ قَدْ بَلَغَتْهَا المسَاكِنُ قَبْلَ خَرَابِ المدِينَةِ[4].

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((**إِذَا بَلَغَ البِنَاءُ سَلْعًا**[5] **فَارْتَحِلْ إِلَى الشَّامِ، وَلَمَّا بَلَغَ الْبِنَاءُ سَلْعًا قَدِمْتُ الشَّامَ**))[6].

وَعَنْهُ ﷺ: ((**سَيَبْلُغُ البِنَاءُ سَلْعًا، ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَمُرُّ السَّفْرُ عَلَى بَعْضِ أَقْطَارِهَا فَيَقُولُ: قَدْ كَانَتْ هَذِهِ عَامِرَةً مِنْ طُولِ الزَّمَانِ وعَفْوِ الْأَثَرِ**))[7].

وَعَنْهُ ﷺ: ((**لَيَسِيرَنَّ الرَاكِبُ فِي جَنْبِ وَادِي المدِينَةِ، فَلَيَقُولَنَّ: لَقَدْ كَانَ فِي هَذِهِ حَاضِرَةٌ مِنَ المؤْمِنِينَ**))[8].

وَعَنْهُ ﷺ: ((**آخِرُ قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الْإِسْلَامِ خَرَابًا المدِينَةُ**))[9].

وَعَنْهُ ﷺ: ((**عُمْرَانُ بَيْتِ المقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الملْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الملْحَمَةِ فَتْحُ القسطنطينيّة، وَفَتْحُ القُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ**))[10].

وَعَنْهُ ﷺ: ((**الملْحَمَةُ الكُبْرَى وَفَتْحُ القُسْطَنْطِينِيَّةِ وَخُرُوجُ الدَّجَّالِ فِي سَبْعَةِ أَشْهُرٍ**))[11].

---

(1) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص70.

(2) (م، س)، ص70.

(3) الحدِيث فِي صحيح مسلم، حدِيث (43).

(4) مسند أحمد، حدِيث (21914).

(5) سَلع: جُبَيْل بسوق المدينة، وقال الأزهرِي: موضع بقرب المدينة. المغانم المطابة، الفيروز أبادِي، ص183.

(6) دلائل النبوة، البيهَقِي، 401/6.

(7) المعجم الكبِير، الطبراني، حدِيث (5597).

(8) مسند أحمد، حدِيث (14678).

(9) سنن الترمِذِي، حدِيث (3919).

(10) سنن أبِي داود، حدِيث (4294).

(11) سنن أبِي داود، حدِيث (4295).

وَفِي الحَدِيثِ: ((**لَيَتْرُكَنَّ المدِينَةَ عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ، مُذَلَّلَةً ثِمَارُهَا لَا يَغْشَاهَا إِلَّا الْعَوَافِي،** يُرِيدُ عَوَافِي الطَّيْرِ وَالسِّبَاعِ، **وآخِرُ مَنْ يُحْشَرُ مِنْهَا رَاعِيَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ يَرِدَانِ المدِينَةَ، يَنْعِقَانِ بِغَنَمِهِمَا فَيَجِدَانِهَا وَحُوشًا،** وَيُرْوَى: **وَحْشًا، حَتَّى إِذَا بَلَغَا ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ خَرَّا عَلَى وُجُوهِهِمَا**))[1] وَهُمَا آخِرُ مَنْ مَاتَ، وَآخِرُ مَنْ يُحْشَرُ يَسْحَبُهُمَا الملَائِكَةُ عَلَى وُجُوهِهِمَا؛ أَيْ: لِأَنَّهُمَا مَاتَا مُشْرِكَيْنِ.

وَكَذَا: ((**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى مَنْ أَشْرَكَ**)).

وَعَنْهُ ﷺ: ((**لَيَتْرُكَنَّ المدِينَةَ عَلَى أَحْسَنِ مَا كَانَتْ، حَتَّى يَدْخُلَ الْكَلْبُ وَالذِّئْبُ فَيُعْدِي عَلَى بَعْضِ سَوَارِي المسْجِدِ، أَوِ المنْبَرِ**))[2]؛ **أَيْ:** يَبُولُ.

وَعَنْهُ [16و] ﷺ: ((**المدِينَةُ يَتْرُكُهَا أَهْلُهَا وَهِيَ مُرْطِبَةٌ، قَالُوا: فَمَنْ يَأْكُلُهَا؟ قَالَ: السِّبَاعُ وَالْعَافِي**))[3].

وَرُوِيَ أَنَّهُ ﷺ صَعِدَ أُحُدًا فَأَقْبَلَ عَلَى المدِينَةِ، وَقَالَ: ((**وَيْلَ أُمِّهَا قَرْيَةٌ يَدَعُهَا أَهْلُهَا كَأَيْنَعِ مَا يَكُونُ**))[4] وَفِي رِوَايَةٍ: ((**وَيْلَ أُمِّكِ قَرْيَةٌ يَدَعُكِ أَهْلُكِ وَأَنْتِ خَيْرُ مَا تَكُونِينَ**))[5].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: ((**لَيَخْرُجَنَّ أَهْلُ المدِينَةِ خَيْرَ مَا كَانَتْ نِصْفًا زَهْوًا وَنِصْفًا رطْبًا**)) قِيلَ: مَنْ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: أَمْرِءُ السُّوءِ[6].

فَرَدَّ عَلَيْهِ ابنُ عُمَر فَقَالَ: لِمَ تَرُدُّ عَلَيَّ، فَوَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنَا وَأَنْتَ فِي بَيْتٍ حِينَ قَالَ النَّبِيءُ ﷺ: ((**يَخْرُجُ مِنْهَا أَهْلُهَا خَيْرَ مَا كَانَتْ**)) فَقَالَ ابْنُ عُمَر: أَجَلْ، وَلَكِنْ لَمْ يَقُلْهُ إِنَّمَا قَالَ: ((**أَعْمَرَ مَا كَانَتْ**)) وَلَوْ قَالَ: خَيْرَ مَا كَانَتْ، لَكَانَ ذَلِكَ وَهُوَ حَيٌّ وَأَصْحَابُهُ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: صَدَقْتَ وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ[7].

قَالَ عِيَاضٌ: ذَلِكَ التَّرْكُ جَرَى فِي العَصْرِ الأَوَّلِ لِبَعْضِ الفِتَنِ التِي جَرَتْ بِهَا، رَحَلَ أَكْثَرُ أَهْلِهَا وَبَقِيَتْ ثِمَارُهَا لِلعَوَافِي ثُمَّ تَرَاجَعَ النَّاسُ إِلَيْهَا، وَإِنَّ قَوْمًا رَأَوْا مَا أَنْذَرَ بِهِ ﷺ مِنْ تَعَدِّي الكِلَابِ عَلَى

---

(1) صحيح البخارِي، حدِيث (1874)، وصحيح مسلم، حدِيث (499).

(2) موطَّأ مالِك، حدِيث (3310)، وفِيه: فَيُغَذِّي، وما في النسخة خطأ نقل من خلاصة الوفا.

(3) مسند أحمد حدِيث (14557)، وفِيه: العائِف، بدل العافِي.

(4) مسند أحمد حدِيث (18976).

(5) تاريخ المدينة، ابن شبَّة، 274/1.

(6) (م، س) 274/1. وفيه: أمراء السوء.

(7) (م، س)، 277/1.

سَوَارِي مَسْجِدِهَا، وَاخْتَارَ النَّوَوِيُّ أَنَّ هَذَا آخِرَ الزَّمَانِ عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ، كَمَا يَدُلُّ لَهُ رِوَايَةٌ: ((**ثُمَّ لَيُحْشَرُ رَاعِيَانِ**)) و ((**إِنَّهُمَا آخِرُ مَنْ يُحْشَرُ**))[1].

ورُوِيَ عَنْهُ ﷺ: ((**لَيَخْرُجَنَّ أَهْلُ المدِينَةِ مِنَ المدِينَةِ ثُمَّ لَيَعُودُنَّ إِلَيْهَا، ثُمَّ لَيَخْرُجُنَّ مِنْهَا ثُمَّ لَا يَعُودُونَ**))[2] وَفِي رِوَايَةٍ: ((**يَخْرُجُ أَهْلُ المدِينَةِ مِنْهَا ثُمَّ يَعُودُونَ إِلَيْهَا فَيَعْمُرُونَهَا حَتَّى تَمْتَلِئَ وَتُبْنَى، ثُمَّ يَخْرُجُونَ مِنْهَا فَلَا يَعُودُونَ إِلَيْهَا أَبَدًا**))[3] فَالتَّرْكُ الثَّانِي لَمْ يَقَعْ، وَهَذَا مُرَادُ النَّوَوِيِّ[4].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: ((**آخِرُ مَنْ يُحْشَرُ رَجُلَانِ: رَجُلٌ مِنْ جُهَيْنَةَ، وَرجُلٌ مِنْ مُزَيْنَةَ، يَقُولَانِ: أَيْنَ النَّاسُ؟ فَيَأْتِيَانِ المدِينةَ فَلَا يَرَيَانِ إِلَّا الثَّعَالِبَ، فَيَنْزِلُ إِلَيْهِمَا مَلَكَانِ فَيَسْحَبَانِهِمَا عَلَى وُجُوهِهِمَا حَتَّى يُلْحِقَاهُمَا بِالنَّاسِ**))[5] وَفِي رِوَايَةٍ: ((**آخِرُ النَّاسِ مَحْشَرًا رَجُلَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ، يَفْقِدَانِ النَّاسَ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: قَدْ فَقَدْنَا النَّاسَ مُنْذُ حِينٍ، ثمَّ يَقُولُ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى المدِينَةِ، فَيَنْطَلِقَانِ فَلَا يَجِدَانِ بِهَا أَحَدًا. ثُمَّ يَقُولُ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى مَنْزِلِ قُرَيْشٍ بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ[6]، فَيَنْطَلِقَانِ فَلَا يَرَيَانِ إِلَّا السِّبَاعَ وَالثَّعَالِبَ، فَيتَوَجَّهَانِ نَحْوَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ**))[7] فَهَذَا مُبَيِّنٌ لِكَوْنِ ذَلِكَ عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَلَمَّا كَانَا آخِرَ النَّاسِ مَوْتًا كَانَا آخِرَهُمْ حَشْرًا[8].

وَرُوِيَ أَنَّهُمَا كَانَا يَنْزِلَانِ بِجَبَلِ وَرِقَانَ[9]، وَيؤَيِّدُ مَا ذَكَرهُ النَّوَوِيُّ مَا رُوِيَ عَنْهُ ﷺ [16ظ]: ((**لَتَدَعُنَّهَا مُذَلَّلَةً أَرْبَعِينَ عَامًا لِلْعَوَافِي، أَتَدْرُونَ مَا الْعَوَافِي؟ السِّبَاعُ وَالطَّيْرُ**))[10] وَعَنْهُ ﷺ: ((**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَجِيءَ الثَّعْلَبُ فَيَرْبضَ عَلَى مِنْبَرِي، لَا يُنَهْنِهُهُ أَحَدٌ**))[11].

وَعَنْهُ ﷺ: ((**لَيَجِيئَنَّ الثَّعْلَبُ حَتَّى يَقِيلَ فِي ظِلَالِ المنْبَرِ ثُمَّ يَرُوحَ، لَا يُنَهْنِهُهُ أَحَدٌ**))[12].

---

(1) المنهاج، النووي، ص862.

(2) تاريخ المدينة، ابن شبَّة، 280/1.

(3) (م، س)، 283/1.

(4) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص72.

(5) تاريخ المدينة، ابن شبَّة، 278/1.

(6) بقيع الغرقد: أصل البقيع في اللغة: كل ما كان فيه أروم الشجر من ضروب شتَّى، والغرقد كبار العوسَج، وهو مقبرة أهل المدينة. المغانم المطابة، الفيروز أبادِي، ص61.

(7) تاريخ المدينة، ابن شبَّة، 282/1.

(8) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص73.

(9) جبل وَرِقَان: جبل أسود إلى الحمرة، بين العرج والرُّويثة على يمين المصعد من مكة إلى المدينة. المغانم المطابة، الفيروز أبادِي، ص428.

(10) تاريخ المدينة، ابن شبَّة، 281/1.

(11) تاريخ المدينة، ابن شبَّة، 279/1.

(12) تاريخ المدينة، ابن شبَّة، 278/1.

وَعَنْهُ ﷺ: ((**لَيَغْشَيَنَّ أَهْلَ المدِينَةِ أَمْرٌ يُفْزِعُهُمْ حَتَّى يَتْرُكُوهَا وَهِيَ مُذَلَّلَةٌ، وحَتَّى تَبُولَ السَّنَانِيرُ عَلَى قَطَائِفِ الْخَزِّ، مَا يُرَوِّعُهَا شَيْءٌ، حَتَّى يَخْرِقَ الثَّعَالِبُ فِي أَسْوَاقِهَا مَا يُرَوِّعُهَا شَيْءٌ**))[1].

وَعَنْهُ ﷺ: ((**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْلِبَ عَلَى مَسْجِدِي هَذَا الْكِلَابُ وَالذِّيابُ والضِّبَاعُ فَيَمُرُّ الرَّجلُ بِبَابِهِ، فَيُرِيدُ أَنْ يُصَلِّي فِيهِ فَمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ**))[2].

فَهَذَا لَمْ يَقَع اتِّفَاقًا، وَأَمَّا التَّرْكُ الأَوَّلُ، الذِي ذَكَرَهُ عِيَاضٌ، فَلَعَلَّهُ المشَارُ إِلَيْهِ بِقَوْلِ أَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّهُ يُخْرِجُهُمْ أَمْرِءُ السُّوءِ[3].

وَقَوْلهُ: ((**وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَكُونَنَّ بِالمدِينَةِ مَلْحَمَةٌ يُقَالُ لَهَا الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ حَالِقَةَ الشَّعْرِ، وَلَكِنْ حَالِقَة الدِّينِ، فَاخْرُجُوا مِنَ المدِينَةِ وَلَوْ عَلَى قَدْرِ بَرِيدٍ**))[4].

وَقَوْلهُ: ((**اللَّهُمَّ لَا تُدْرِكْنِي سَنَةَ سِتِّينَ وَلَا إِمْرَةَ الصِّبْيَانِ**))[5] يُشِيرُ إِلَى وِلَايَةِ يَزِيد، وَكَانَتْ سَنَةَ سِتِّينَ، وَإِلَى كَائِنَةِ الحَرَّةِ، وَهِيَ السَّبَبُ فِي تَرْكِ المدِينَةِ، كَمَا ذَكَرَهُ عِيَاضٌ وَالقُرْطُبِيُّ[6]: فَلَمَّا انْتَهَى حَالُ المدِينَةِ كَمَالًا وَحُسْنًا، تَنَاقَصَ أَمْرُهَا إِلَى أَنْ أَقْفَرَتْ جِهَاتُهَا وَتَوَالَت الفِتَنُ فِيهَا، فَخَافَ أَهْلُهَا فَارْتَحَلُوا عَنْهَا، وَوَجَّهَ يَزِيدُ بنُ مُعَاوِيَةَ مُسْلِمَ بنَ عُقْبَةَ المرِّي فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ، مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَنَزَلَ بِالمدِينَةِ، فَقَاتَلَ أَهْلَهَا فَهَزَمَهُمْ، وَقَتَلَهُمْ بِحَرَّةَ المدِينَةِ قَتْلًا ذَرِيعًا، وَاسْتَبَاحَ المدِينَةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَسُمِّيَتْ وَقْعَةَ الحَرَّةِ لِذَلِكَ، وَيُقَالُ: حَرَّةُ زَهْرَةٍ، وَكَانَت الوَقْعَةُ تُعْرَفُ بِوَقْعَةِ وَاقِم: مَوْضِعٌ عَلَى مِيلٍ مِنَ المسْجِدِ النَّبَوِيِّ، قُتِلَ فِيهِ بَقَايَا المهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَخِيَارُ التَّابِعِينَ، وَهُمْ أَلْفٌ وَسَبْعُ مِئَة، وَقُتِلَ مِنْ أَخْلَاطِ النَّاسِ عَشَرَةُ آلَافٍ سِوَى النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، وَقُتِلَ مِنْ حَمَلَةِ القُرْآنِ سَبْعُ مِئَةِ رَجُلٍ، وَجَالَت الخُيُولُ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَبَالَتْ وَرَاثَتْ بَيْنَ القَبْرِ وَالمنْبَرِ أَدَامَ اللهُ تَشْرِيفَهُمَا، وَأُكْرِهَ النَّاسُ أَنْ يُبَايِعُوا لِيَزِيدَ، عَلَى أَنَّهُم عَبِيدٌ لَهُ إِنْ شَاءَ بَاعَ، وَإِنْ شَاءَ أَعْتَقَ، وَذَكَرَ لَهُ يَزِيدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ زَمْعَةَ البَيْعَةَ عَلَى

---

(1) تاريخ المدينة، ابن شبَّة، 282/1.

(2) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص73.

(3) (م، س)، ص73.

(4) أي: قول أبِي هريرة، تاريخ المدينة، ابن شَبَّة، 280/1، وخلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص73.

(5) أي: قول أبِي هريرة، خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص73، والمصنف، ابن أبِي شيبَةَ، حدِيث (37235) و(37251) و(37627) وفتح البارِي، ابن حجر، 10/13.

(6) القرطبي، المفسِّر، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، المالكي (أبو عبد الله) توفي بمنية بني خصيب بمصر سنة 671هـ، من تصانيفه: الجامع لأحكام القرآن والتذكرة فِي أحوال الموتَى والآخِرة. طبقات المفسّرِين، السيوطِي، ص92، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 52/3.

حُكْمِ القُرْآنِ وَالسُّنَةِ فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ، وَضُرِبَتْ عُنُقُهُ، وَذَكَرَ أَهْلُ الخَبَرِ أَنَّهَا خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا وَبَقِيَتْ ثِمَارُهَا لِلعَوَافِي، وَفِي حَالِ خَلَائِهَا بَالَت الكِلَابُ [17و] عَلَى سَوَارِي المسْجِدِ[1].

وَسَبَبُ أَمْرِ يَزِيد بِذَلِكَ أَنَّهُ وَلِيَ عُثْمَانُ بنُ محمَّدَ بنِ أَبي سُفْيَانَ المدِينَةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهَ وَفْدًا مِنْهَا، فَلَمَّا رَجَعُوا قَالُوا: قَدِمْنَا مِنْ عِنْدِ رَجُلٍ لَيْسَ لَهُ دِينٌ، يَشْرِبُ الخَمْرَ وَيَزْعَفُ[2] بِالطَّنَابِيرِ وَيَلْعَبُ بِالكِلَابِ، وَإِنَّا نُشْهِدُكُمْ أَنَّا قَدْ خَلَعْنَاهُ[3].

مَعَ إِحْسَانِهِ جائِزَتَهُمْ، فَخَلُعُوهُ عِنْدَ المنْبَرِ وَبَايَعُوا عَبْدَ اللهِ بنَ حَنْظَلَةَ الغَسِيل[4] عَلَى الأَنْصَارِ، وَعَبْدَ اللهِ بنَ مُطِيع عَلَى قُرَيْشٍ، وَأَخْرَجُوا عَامِلَهُ عُثْمَانَ، وَقَالَ ابنُ حَنْظَلَةَ: مَا خَرَجْنَا عَلَيْهِ حَتَّى خِفْنَا أَنْ نُرْمَى بِالحِجَارَةِ مِنَ السَّمَاءِ[5].

وَذَكَرَ الوَاقِدِي: إِنَّ ابنَ مِينَاء كَانَ عَامِلًا عَلَى صُورَى[6] فِي المدِينَةِ، وَلَهَا يَوْمَئِذٍ صَوَاف[7] كَثِيرَةٌ، حَتَّى كَانَ مُعَاوِيةُ يَجِدُ بِالمدِينَةِ وَأَعْرَاضِهَا مِئَةَ أَلْفِ وِسْقٍ، وَخَمْسِينَ أَلْفَ وِسْقٍ، وَيَحْصُدَ مِئَةَ أَلَفِ وِسْقٍ حِنْطَةً، فَأَقْبَلَ ابنُ مِينَاء بِسَرْحٍ[8] مِنَ الحَرَّةِ يُرِيدُ الأَمْوَالَ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى بَنِي الحَارِثِ مَنَعُوهُ، فَأَعْلَمَ أَمِيرَ المدينةِ عُثْمَانَ بِذَلِكَ، فَأَرْسَلَ إِلَى ثَلَاثَةٍ مِنْ بَنِي الحَارِثِ فَأَجَابُوهُ، فَغَدَا[9] ابنُ مِينَاء فَدَبُّوهُ[10]، فَرَجَعَ إِلَى الأَمِيرِ فَقَالَ: اجْمَعْ لَهُمْ، وَبَعَثَ مَعَهُ بَعْضَ جُنْدِهِ، فَرَفدَتْ قُرَيْشٌ إِلَى الأَنْصَارِ وَتَفَاقَمَ الأَمْرُ، فَكَتَبَ عُثْمَانُ إِلَى يَزِيدَ بِذَلِكَ، وَحَرَّضَهُ عَلَى أَهْلِ المدِينَةِ، فَقَالَ: وَاللهِ لَأَبْعَثَنَّ لَهُم الجُيُوشَ وَلَأُوطِيَنَّهُم الخَيْلَ، فَبَعَثَ مُسْلِمَ بنَ عُقْبَةَ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفٍ، وَقَالَ لَهُ: ادْعُ القَوْمَ ثَلَاثًا فَإِنْ

(1) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص73– 74. من: وقوله: ((اللَّهُمَّ لَا تُدْرِكْنِي...)) إلى بالت على سوارِي المسجد، كلُّه كلام القرطبِي، نقله المؤلِّف من خلاصة الوفا، وينظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، القرطبِي، 1186/3.

(2) لعلَّه يعزِف، كما في خلاصة الوفا.

(3) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص74، نقلا عن ابن الجوزِي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، 7/6.

(4) عبد الله بن حنظلة: ولد بعد مقتل أبيه حنظلة غسِيل الملائكة، في غزوة أحد، قتل يوم الحرة، وكان أمِير الأنصارِ يومئذ، سنة 63هـ. الإصابة، ابن حجر، 109/6.

(5) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص74، نقلا عن ابن الجوزِي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، 19/6.

(6) في خلاصة الوفا: صوافِي، ولم أجد رواية هذا اللفظِ في الكتب الأخرى التي ذكرت الحادِثَة.

(7) صوافي: جمع صافية، وهي الأملاك والأرض التي جَلا عنها أهلُها، أو ماتوا ولا وارِثَ لها، واحدُها صَافِيَة. النهاية في غريب الحديث، ابن الجزرِي، 40/3.

(8) في خلاصة الوفا: بشرج، وفي وفاء الوفا: بسرح، وفِي المحن: بشرج.

(9) في خلاصة الوفا: فعدا.

(10) في خلاصة الوفا: فذبُّوه.

هُمْ أَجَابُوكَ، وَإِلَّا فَقَاتِلْهُمْ، فَإِذَا ظَهَرْتَ عَلَيْهِم، فَأَبِحْهَا ثَلَاثًا لِلْجُنْدِ، وَأَجْهِزْ عَلَى جَرِيحِهِمْ، وَاقْتُلْ مُدَبِّرَهُمْ وَإِيَّاكَ أَنْ تُبْقِيَ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ لَمْ يَتَعَرَّضُوا لَكَ فَامْضِ إِلَى ابنِ الزُّبَيْرِ، فَلَمَّا قَرُبُوا، تَشَاوَرَ أَهْلُ المدِينَةِ فِي خَنْدَقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَسَكُّوا[1] المدِينَةَ بِالبُنْيَانِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَّةٍ، وَعَمِلُوا فِي الخَنْدَقِ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَلَمَّا وَصَلَ القَوْمُ عَسْكَرُوا بِالجرْفِ، وَبَعَثُوا رِجَالاً أَحْدَقُوا بِالمدِينَةِ فَلَمْ يَجِدُوا مَدْخَلًا وَالنَّاسُ عَلَى أَفْوَاهِ الخَنَادِقِ يَرْمُونَ بِالنَّبْلِ، وَحُبِسَ مُسْلِم بِنَاحِيَةِ وَاقِمَ، فَرَأَى أَمْرًا مَهُولًا، فَاسْتَعَانَ بِمَرْوَانَ وَكَانَ أَهْلُ المدِينَةِ قَدْ أَخْرَجُوهُ وَغَيْرَهُ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ، فَلَقِيَ مُسْلِمًا فِي طَرِيقِهِ، فَرَجَعَ مَعَهُ إِلَى المدِينَةِ، فَكَلَّمَ مَرْوَانُ رَجُلًا مِنْ بَنِي حارِثَةَ وَرَغَّبَهُ فِي الصَّنِيعِ، وَقَالَ: تَفْتَحُ لَنَا طَرِيقًا فَأَكْتُبُ بِذَلِكَ إِلَى يَزِيدَ فَيُحْسِنْ جَائِزَتَكَ، فَفَتَحَ لَهُمْ طَرِيقًا مِنْ قِبَلِهِمْ حَتَّى أَدْخَلَ لَهُ الرِّجَالَ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ إِلَى بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ[2].

قَالَ محمَّدُ بنُ عُبَيْدٍ[3]: حَضَرْتُ يَوْمَئِذٍ فَإِنَّمَا أُتِينَا مِنْ قَومِنَا [17ظ] بَنِي حَارِثَةَ[4].

وَعَن ابنِ عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، جَاءَ تَأْوِيلُ هَذِهِ الآيةِ عَلَى رَأْسِ سِتِّينَ سَنَةٍ: ﴿ **وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا** ﴾[5] يَعْنِي إِدْخَالَ بَنِي حَارِثَةَ أَهْلَ الشَّامِ عَلَى أَهْلِ المدِينَةِ فِي وَقْعَةِ الحَرَّةِ، وَكَانَت الوَقْعَةُ سَنَة ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ[6].

وَعَنْ جُوَيْرِيَةَ بنِ أَسْمَاء[7]: سَمِعْتُ أَشْيَاخَ المدِينَةِ يُحَدِّثُونَ: إِنَّ مُعَاوِيَةَ لَمَّا احْتضرَ دَعَا يَزِيدَ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ لَكَ مِنْ أَهْلِ المدِينَةِ يَوْمًا، فَإِنْ فَعَلُوا فَارْمِهِمْ بِمُسْلِم بنِ عُقْبَةَ[8] فَإِنِّي عَرَفْتُ نَصِيحَتَهُ، فَلَمَّا وُلِّيَ يَزِيدُ وَفَدَ عَلَيْهِ ابنُ حَنْظَلَةَ وَجَمَاعَةٌ وَأَكْرَمَهُمْ، فَرَجَعَ فَحَرَّضَ النَّاسَ عَلَى يَزِيد، وَدَعَاهُمْ إِلَى خَلْعِهِ فَأَجَابُوهُ فَبَلَغَهُ، فَجَهَّزَ مُسْلِم بن عُقْبَةَ، فَاسْتَقْبَلَهُمْ أَهْلُ المدِينَةِ بِجُمُوعٍ كَثِيرَةٍ، وَلَمَّا نَشَبَ القِتَالُ سَمِعُوا فِي جَوْفِ المدِينَةِ التَّكْبِيرَ مِنَ الشَّامِيينَ الذِينَ أَدْخَلَهُمْ بَنُو حَارِثَةَ، فَتَرَكَ أَهْلُ المدِينَةِ القِتَالَ

---

(1) في خلاصة الوفا: شكوا.

(2) (م، س)، ص75، والمحن، أبو العرب، ص142.

(3) في خلاصة الوفا: محمود بن لبيد، وكذا في وفاء الوفا، قال البخاري: له صحبة، الإصابة، ابن حجر، 67/10.

(4) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص76.

(5) سورة الأحزاب: 14.

(6) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص76.

(7) جُوَيْرِيَةُ بنُ أَسْمَاءَ بنِ عُبَيْدٍ الضُّبَعِيُّ: المحدِّث الثِّقة، حدَّث عن نافع العمرِي، وابن شهاب الزُّهرِي، وعن رفيقه مالِك بن أنَس، ت: 173هـ. سير أعلام النبلاء، الذَّهبِي، 317/7.

(8) في الأصلِ زيادة عبارة: "أَهْلَ المدِينَةِ" في غيرِ محلها.

وَدَخَلُوا خَوْفًا عَلَى أَهْلِيهِمْ وَكَانَت الهَزِيمَةُ، وَبَايَعَ مُسْلِم النَّاس عَلَى أَنَّهُمْ عَبِيدٌ لِيَزِيدَ، يَحْكُمُ فِي دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ بِمَا يَشَاءُ[1].

وَسَبَوا الذُّرِيَّة وَاسْتَبَاحُوا الفُرُوجَ، وَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ لِأُولَئِكَ الأَوْلَادِ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي حَمَلْنَ أَوْلَادُ الحَرَّةِ[2].

قَالَ هِشَامُ بنُ حَسَّان: وَلَدَتْ بَعْدَ الحَرَّةِ أَلْفُ امْرَأَةٍ مِنْ غَيْرِ زَوْجٍ[3]، وَمِمَّنْ قُتِلَ مِنَ الصَّحَابَةِ يَوْمَئِذٍ صَبْرًا عَبْدُ اللهِ بنُ حَنْظَلَةَ الغَسِيلِ، مَعَ ثَمَانِيَةٍ مِنْ بَنِيهِ، وَعَبْدُ اللهِ بنُ زَيْدٍ حَاكِي وُضُوءِ النَّبِيءِ ﷺ، وَمَعْقِلُ بنُ سِنَانٍ الأَشْجَعِي، وَكَانَ شَهِدَ فَتْحَ مَكَّة، وَكَانَ مَعَهُ رَايَةُ قَوْمِهِ، وَفِيهِ يَقُولُ شَاعِرُهُمْ:

أَلَا تِلْكُمُ الْأَنْصَـــارُ تَـبْـكِـي سُـــرَاتَـهَـا وَأَشْـــجَع تَبْكِي مَعْقِـلَ بنَ سِـــنَـان[4]

وَعَنْ سَعِيدِ بنِ المسَيِّبِ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي لَيَالِي الحَرَّةِ مَا فِي المسْجِدِ مِنْ خَلْقِ اللهِ أَحَدٌ غَيْرِي، وَإِنَّ أَهْلَ الشَّامِ لَيَدْخُلُونَ زُمَرًا، يَقُولُونَ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ المجْنُونِ، وَلَا يَأْتِي وَقْتُ صَلَاةٍ إِلَّا سَمِعْتُ أَذَانًا مِنَ القَبْرِ، ثُمَّ أُقِيمَت الصَّلَاةُ فَتَقَدَّمْتُ فَصَلَّيْتُ، وَمَا فِي المسْجِدِ أَحَدٌ غَيْرِي[5].

وَسُمِّيَ مسلم بنُ عقبة مُسْرِفًا، لِإِسْرَافِهِ فِي قَتْلِ أَهْلِ المدِينَةِ، وَمُجْرِمًا لِعِظَمِ إِجْرَامِهِ، وَرُوِيَ أَنَّهُ أَتَى لِعَلِيّ بن الحَسَنِ، مَعَ غَيْظِهِ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَآهُ ارْتَعَدَ وَقَامَ لَهُ، وَأَقْعَدَهُ إِلَى جَانِبِهِ، وَقَالَ: سَلْنِي حَوَائِجَكَ، فَلَمْ يَسْأَلْهُ فِي أَحَدٍ مِمَّنْ قُدِّمَ للسَّيْفِ إِلَّا شَفَّعَهُ فِيهِ وَانْصَرَفَ، فَقِيلَ لِعَلِيّ: رَأَيْنَاكَ تُحَرِّكُ شَفَتَيْكَ، فَمَا الذِي قُلْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الأَرْضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقَلَلْنَ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَرَبَّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَأَدْرَأُ بِكَ فِي نَحْرِهِ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُرِيَنِي خَيْرَهُ، وَتَكْفِيَنِي شَرَّهُ، وَقِيلَ لِمُسْلِمَ: رَأَيْنَاكَ تَسُبُّ هَذَا الغُلَامَ وَسَلَفَهُ، فَلَمَّا أُتِيَ بِهِ إِلَيْكَ رَفَعْتَ مَنْزِلَتَهُ، قَالَ: مَا [18و] كَانَ ذَلِكَ رَأْيًا مِنِّي، وَلَقَدْ أُمْلِئَ قَلْبِي مِنْهُ رُعْبًا[6].

(1) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص76.

(2) (م، س)، ص76.

(3) المنتظم، ابن الجوزِي، 15/6.

(4) البيت من الطويل، خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص76، وتاريخ دمشق، ابن عساكر، 359/59.

(5) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص77.

(6) (م، س)، ص77.

وَلَمَّا سَارَ مِنَ المدينَةِ لِقِتَالِ ابنِ الزُّبَيْرِ أَهْلَكَهُ اللهُ فِي الطَّرِيقِ، ابْتَلَاهُ بِالماءِ الأَصْفَرِ فِي بَطْنِهِ فَمَاتَ بِقَدِيد، وَقِيلَ: بِهَرْشَى[1] بَعْدَ الوَقْعَةِ بِثَلَاثٍ، وَكَانَ قَدْ قَالَ لِحَصِينَ بنِ نَمِيرٍ[2]: أَمِيرُ المؤْمِنِينَ وَلَّاكَ بَعْدِي فَأَسْرِعِ السَّيْرَ لِابْنِ الزُّبَيْرِ، وَأَمَرَهُ[3] أَنْ يَنْصِبَ لِابْنِ الزُّبَيْرِ المجَانِيقَ عَلَى مَكَّةَ، وَمَضَى الجَيْشُ لِمَكَّةَ، وَجَعَلَ يَرْمِي الكَعْبَةَ بِالمنْجَنِيقِ وَأَخَذَ رَجُلٌ قَبَسًا فِي رَأْسِ رُمْحٍ فَطَارَ بِهِ الرِّيحُ، فَاحْتَرَقَ البَيْتُ فَجَاءَهُمْ نَعْيُ يَزِيدَ لِهِلَالِ رَبِيعٍ الأَخِيرِ، وَكَانَ بَيْنَ الحَرَّةِ وَبَيْنَ مَوْتِهِ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ أَوْ دُونَهَا، وَكَانَ رَمْيُ الكَعْبَةِ مِنْ أَشْنَعِ مَا وَقَعَ فِي زَمَنِ يَزِيدَ[4].

وذَكَرَ الوَاقِدِي: أَنَّ النَّبِيءَ ﷺ خَرَجَ سَفرًا مِنْ أَسْفَارِهِ، فلَمَّا مَرَّ بِحَرَّةِ زَهْرَةَ وَقَف، وَاسْتَرْجَعَ فَسِيءَ بِذَلِكَ مَنْ مَعَهُ، وَظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ سَفَرِهِمْ، فَقَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الذِي رَأَيْتَ؟ فَقَالَ النَّبيءُ ﷺ: ((**أَمَا إِنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ سَفَرِكُمْ هَذَا**، قَالُوا: فَمَا هُوَ؟ قَالَ: **يُقْتَلُ فِي هَذِهِ الْحرَّةِ خِيَارُ أُمَّتِي بَعْدَ أَصْحَابِي**))[5].

وَكَانَ ﷺ إِذَا أَشْرَفَ عَلَى بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ بِيَدِهِ، فَقَالَ: ((**يُقْتَلُ بِهَذِهِ الْحرَّةِ خِيَارُ أُمَّتِي**))[6].

وَعَنْ كَعْبِ الأَحْبَارِ: نَجِدُ فِي التَّوْرَاةِ أَنَّ فِي حَرَّة شَرْقِيَّ المدِينَةِ مَقْتَلَةٌ، تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ ضِيَاءً[7].

وَيُقَالُ لِلْحَرَّةِ حَرَّةُ وَاقِم، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنُ بنُ سَعِيد بنِ زَيْد[8]:

فَإِنْ يَقْتُلُونَا يَوْمَ حَرَّة وَاقِم ... فَنَحْنُ عَلَى الْإِسْلَامِ أَوَّلُ مَنْ قُتِلْ
وَنَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ بِبَدْرٍ أَذِلَّةً ... وَأُبْنا بِأَسْلَابٍ لَنَا مِنْكُمُ نَفَلْ
فَإِنْ يَنْجُ مِنْهَا عَائِدُ الْبَيْتِ سَالِمًا ... فَكُلُّ الذِي قَدْ نَالَنَا مِنْكُمُ جَلَلْ[9]

وَاللهُ أَعْلَمُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

---

(1) هرشا: ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة يرَى منها البحر. معجم البلدان، الحموِي، 397/5.

(2) حصين بن نمير بن نائل: السكوني من أهل حمص، كان أمِيرا على جند حمص، وكان على الجيشِ الذين قاتلوا ابن الزبير بمكة. تاريخ دمشق، ابن عساكر، 382/14، وتهذيب التهذيب، ابن حجر، 392/2.

(3) في الأصل: ومُرْه.

(4) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص77-78.

(5) ينظر: دلائل النبوة، البيهقِي، 473/6.

(6) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص78.

(7) (م، س)، ص78، وفيه: صنعاً بدل ضِياءً.

(8) عبد الرحمن بنُ سعيد بن زيد: لا بقية له وكان شاعِرا. نسب قريش، الزبيرِي، ص 366.

(9) الأبيات من الطويل، جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص151، وخلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص78.

34 فَكَمْ آيِسٍ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ قَدْ غَدَا إِلَيْهَا فَحَطَّتْ عَنْهُ أَنْوَاعَ عُدْوَانِ

لِأَنَّهُ نَاسٌ كَثِيرُونَ مُشْرِفُونَ عَلَى الإِيَاسِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، سَارُوا إِلَيْهَا، وَحَطَّتْ عَنْهُمْ، بِسَبَبِ سَيْرِهِمْ إِلَيْهَا، أَنْوَاعَ المعَاصِي، التِي هِيَ مُحَارَبَةٌ للهِ.

فَالفَاءُ تَعْلِيلٌ لِقَوْلِهِ: "تَسْلَمْ"، أَوْ لِقَوْلِهِ: "قُمْ". وَ"كَمْ": لِلتَّكْثِيرِ، وَأَفْرَدَ ضَمِيرَهَا فِي "غَدَا" وَ"عَنْهُ" نَظَرًا لِلَفْظِهَا.

وَ"آيِس": بِتَصْحِيحِ اليَاءِ بَعْدَ الأَلِفِ، لَا بِقَلْبِهَا هَمْزَةً لِأَنَّهَا صَحَّتْ فِي الفِعْلِ.

وَمَعْنَى آيِسَ: مُشْرِفٌ عَلَى الإِيَاسِ لَا آيِسٌ حَقِيقَةً، لِأَنَّ الآيِسَ حَقِيقَةً لَا يُغْفَرُ لَهُ وَلَا [18ظ] يَسْعَى فِيمَا تُحَطُّ عَنْهُ بِهِ الذُّنُوبُ.

فَ"آيِسٍ": مَجَازٌ مُرْسَلٌ تَبَعِيٌّ؛ لِعَلَاقَةِ الجِوَارِ المعْقُولِ، بِأَنْ سَمَّى القُرْبَ لِلإِيَاسِ إِيَاسًا، فَاشْتَقَّ مِنْ لَفْظِ الإِيَاسِ، بِمَعْنَى القُرْبِ مِنَ القُنُوطِ، آيِسًا بِمَعْنَى قَرِيبًا مِنْهُ.

أَوْ مَجَازٌ مُرسَلٌ تَبَعِيٌّ لِعَلَاقَةِ السَّبَبِيَّةِ وَالمسَبِّبِيَّة أَوْ إِحْدَاهُمَا، أَو اللَّازِمِيَّةِ وَالملْزُومِيَّةِ، أَوْ إِحْدَاهُمَا بِمَعْنَى مُرِيدُ الإِيَاسِ، فَإِنَّ إِرَادَةَ الشَّيْءِ سَبَبٌ لَهُ وَمَلْزُومٌ لَهُ. أَوْ حَقِيقَةٌ فَيُقَدَّرُ مَحْذُوفٌ؛ أَيْ: قَدْ غَدَا بَعْدَ تَوْبَتِهِ مِنَ الإِيَاسِ، أَوْ قَدْ غَدَا تَائِبًا، أَوْ ضَمَّنَ غَدَا مَعْنَى تَابَ بِلَا حَذْفٍ وَتَقْدِيرٍ.

وَ"رَحْمَةُ اللهِ": إِنْعَامُهُ، حَقِيقَةٌ شَرْعِيَّةٌ مَجَازٌ لُغَوِي؛ لِأَنَّ مِنْ لَازِمِ رِقَّةِ القَلْبِ الإِحْسَانُ، وَلَا يُوصَفُ اللهُ بِالْقَلْبِ، وَلَا بِالرِّقَّةِ وَلَا بِصِفَةِ خَلْقٍ، أَوْ هُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الإِنْعَامِ.

وَ"غَدَا": مَجَازٌ مُرْسَلٌ تَبَعِيٌّ لِعَلَاقَةِ الإِطْلَاقِ وَالتَّقْيِيدِ أَوْ أَحَدِهِمَا؛ فَإِنَّ الغَد[1] حَقِيقَة لِلسَّيْرِ بَعْدَ الفَجْرِ، وَاسْتَعْمَلَهُ بِمَعْنَى مُطْلَقِ السَّيْرِ فِي أَيِّ وَقْتٍ، وَالفَاءُ لِلسَّبَبِيَّةِ.

وَحَطُّ الذُّنُوبِ: مَحْوُهَا مِنَ الصَّحيفةِ، ومِنْ لازِمِ هذا انْتِفَاءُ العِقَابِ عَلَيْهَا. أَوْ يُقَدَّرُ مُضَافٌ؛ أَيْ: حُطَّ عَنْهُ، بِسَبَبِ السَّيْرِ إِلَى طَيْبَةَ، عِقَابُ أَنْواعِ العُدْوَانِ، وَهَذَا أَوْلَى لاطِّرَادِهِ، بِخِلَافِ مَحْوِهَا مِنَ الصَّحِيفَةِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لِكُلِّ سَعِيدٍ.

أَوْ حَطُّهَا كِنَايَةٌ عَن انْتِفَاءِ المؤَاخَذَةِ، وَلَا يَلْزَمُ فِي الكِنَايَةِ وُجُودُ المعْنَى المؤْضُوع لَهُ اللَّفْظُ، فَشَمِلَ مَنْ مُحِيَتْ مِنْ صَحِيفَتِهِ وَمَنْ لَمْ تُمْحَ مِنْ صَحِيفَتِهِ، وَلَكِنْ لَمْ يُعَاقَبْ بِهَا. أَو الحَطُّ حَقِيقَةٌ شَرْعِيَّةٌ فِي تَرْكِ العِقَابِ عَلَى الذَّنْبِ.

---

(1) خطأ صوابه: الغدو.

وَ"أَنْوَاعُ العُدْوَانِ": الكَبَائِرُ؛ لِأَنَّ مَنْ فَعَلَ كَبِيرَةً أَوْ صَغِيرَةً أَصَرَّ عَلَيْهَا، فَقَدْ حَارَبَ اللهَ وَعَادَاهُ.

وَ"عُدْوَانِ": مَجَازٌ اسْتِعَارِيٌّ، شَبَّهَ الكَبِيرَةَ، وَمِنْهَا الصَّغِيرَةُ المصَرُّ عَلَيْهَا بِالمحَارَبَةِ، لِجَامِعِ المخَالَفَةِ وَالسَّعْيِ فِي مَا لَا يَرْضَى المحَارَبُ. وَهُنَا فَصْلَانِ.

[الفصل] الأَوَّل: فِي فَضْلِ المدِينَةِ

وَهُوَ ظَاهِرٌ بِالحِسِّ وَبِالنَّقْلِ، فَإِنَّ الحَسَنَةَ فِيهَا بِعَشْرِ مِئَةِ حَسَنَةٍ، وَيُرْوَى بِمِئَةِ أَلْفٍ.

وَنَقَلَ عِيَاضٌ وَأَبُو الوَلِيدِ البَاجِي قَبْلَهُ، وَغَيْرُهُمَا الإِجْمَاعَ عَلَى تَفْضِيلِ قَبْرِهِ ﷺ عَلَى كُلِّ بُقْعَةٍ حَتَّى الكَعْبَةِ[1]، وَذَكَرَ السُّبْكِي[2] وَابْنُ عَقِيلٍ[3] أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنَ العَرْشِ، وَصَرَّحَ الفَاكِهَانِي[4] أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنَ السَّمَوَاتِ، وَقَالَ: بَل الظَّاهِرُ المتَعَيّنُ تَفْضِيلُ جَمِيعِ الأَرْضِ عَلَى السَّمَوَاتِ لِحُلُولِهِ ﷺ بِهَا، وَحَكَاهُ بَعْضُهُمْ عَنِ الأَكْثَرِينَ لِخَلْقِ الأَنْبِيَاءِ مِنْهَا [19و] وَدَفْنِهِمْ فِيهَا[5].

وَقَالَ الجُمْهُورُ بِتَفْضِيلِ السَّمَاءِ عَلَى الأَرْضِ؛ أَيْ: سِوَى قَبْرِهِ ﷺ، وَأَجْمَعُوا بَعْدُ عَلَى تَفْضِيلِ مَكَّة وَالمدِينَةِ عَلَى سَائِرِ البِلَادِ[6].

ثُمَّ إِنَّ المدِينَةَ أَفْضَلُ مِنْ مَكَّةَ عِنْدَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ وَبَعْضِ الصَّحَابَةِ، وَأَكْثَرِ المدَنِيِّينَ، كَمَا قَالَ عِيَاضٌ، وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ، وَهُوَ إِحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ عَنْ أَحْمَد، وَالصَّحِيحُ أَنَّ مَكَّةَ أَفْضَلُ، وَلَا خِلَافَ فِي أَنَّ الكَعْبَةَ أَفْضَلُ مِنَ المدِينَةِ سِوَى قَبْرِهِ ﷺ[7].

---

(1) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص18، نقلا عن ابن عساكر، إتحاف الزائرِ، ص36.

(2) علي بن عبد الكافِي بن علي، تقِيّ الدِّين، قاضِي القُضاةِ، محدِّث فقيه، ولد بسبك بالمنوفية بمصرَ، أخذ العلم بالقاهرة على يد علماءَ، تفقه على يده جماعة من العلماءِ كالإسنوِي عبد الرَّحيم بن الحسَن، وابن النَّقِيبِ محمد بن أبِي بكر، من تصانِيفه: الدر النظِيم فِي تفسِير القرآن العظِيمِ، وشفاء السَّقام في زيارة خيْرِ الأنامِ، ت:756هـ. طبقات الشافعية، ابن قاضِي شهبة، 47/3.

(3) ابن عقيل الحنبلِي: علي بن مُحَمَّد بن عقيل، الفقيه البغدادي، حدث عنه أبو بكر السمعاني، وأبو طاهر السِّلَفِي، ت:513هـ. طبقات الحنابلة، ابن أبِي يعلَى، 259/2، وسِيَر أعلام النبلاء، الذهبِي، 443/19.

(4) الفاكهاني: عمر بن علي الإسكندراني الفاكهاني ولد سنة: 654هـ وتوفي سنة:731هـ له باع في الحديث والأصول والعربية والأدب، من تصانيفه: شرح رسالة ابن أبي زيد في الفقه المالكي سماه التحرير والتحبير، شرح الأربعين النووية وسماه المنهج المبين في شرح الأربعين، الإشارة في النحو، التحفة المختارة في الرد على منكر الزيارة، واللمعة في وقفة الجمعة. معجم المؤلفِين، رضا كحالة، 567/2، والديباج، ابن فرحون، 80/2.

(5) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص18، ونسب القولَ إلى التاج الفاكهي.

(6) (م، س)، ص18، ونسب الإجماع إلى النَّوَوِي.

(7) (م، س)، ص18، وينظر: إكمال المعلم، القاضِي عياض، 264/4.

قال ابنُ عَبْدِ السَّلَامِ[1]: مَعْنَى التَّفْضِيلِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالمدِينَةِ أَنَّ ثَوَابَ العَمَلِ فِي إِحْدَاهُمَا أَفْضَلُ مِنْهُ فِي الأُخْرَى[2]، وَمِمَّا جَاءَ فِي ذَلِكَ: أَنَّ الحَسَنَةَ فِي مَكَّةَ بِمِئَةِ أَلْفٍ وَفِي المدِينَةِ بِعَشَرَةِ آلَافٍ، وَفِي بَيْتِ المقْدِسِ بِأَلْفٍ.

وَكَذَا التَّفْضِيلِ فِي الأَزْمَانِ، وَقَبْرُهُ ﷺ لَا يُمْكِنُ العَمَلُ فِيهِ فَيُشْكِلُ قَوْلُ عِيَاض إِنَّهُ أَفْضَلُ إِجْمَاعًا[3]. قُلْتُ: الفَضْلُ بِقُرْبِ الجِوَارِ، فَيَعْظُمُ الثَّوَابُ بِالقُرْبِ مِنْهُ فِي العَمَلِ.

ثُمَّ رَأَيْتُ بَعْضًا قَالَ: إِنَّ التَّفْضِيلَ لِلْمُجَاوَرَةِ، وَلِذَا حُرِّمَ عَلَى المحْدِثِ مَسُّ جِلْدِ المصْحَفِ لَا بِكَثْرَةِ الثَّوَابِ، وَإِلَّا فَلَا يَكُونُ جِلْدُ المصْحَفِ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِ لِتَعَذُّرِ العَمَلِ فِيهِ[4].

وَقَالَ السُّبْكِي: قَدْ يَكُونُ التَّفْضِيلُ لِكَثْرَةِ الثَّوَابِ، وَقَدْ يَكُونُ لِأَمْرٍ آخَرَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَمَلٌ، فَإِنَّ القَبْرَ الشَّرِيفَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنَ الرَّحَمَاتِ وَالرِّضْوَانِ وَالملَائِكَةِ مَا تَقْصُرُ عَنْهُ العُقُولُ، وَكَذَا لَهُ ﷺ وَلِقَبْرِهِ عِنْدَ اللهِ مِنَ المحَبَّةِ مَا تَقْصُرُ عَنْهُ العُقُولُ، فَكَيْفَ لَا يَكُونُ أَفْضَلَ الأَمْكِنَةِ.

وَأَيْضًا فَبِاعْتِبَارِ أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يُدْفَنُ فِي الموْضِعِ الذِي خُلِقَ مِنْهُ. وَأَيْضًا قَدْ تَكُونُ الأَعْمَالُ مُضَاعَفَةً فِيهِ بِاعْتِبَارِ حَيَاتِهِ ﷺ فِيهِ، وَأَنَّ أَعْمَالَهُ مُضَاعَفَةٌ أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ، وَالرَّحَمَاتُ النَّازِلَاتُ بِذَلِكَ المحَلِّ يَعُمُّ فَيْضُهَا الأُمَّةَ، وَهِيَ غَيْرُ مُتَنَاهِيَةٍ لِدَوامِ تَرَقِّيَاتِهِ ﷺ فَهُوَ مَنْبَعُ الخَيْرَاتِ[5].

وَالكَعْبَةُ عِنْدَ مَنْ مَنَعَ الصَّلَاةَ فِيهَا، أَوْ كَرِهَ الصَّلَاةَ فِيهَا، لَا يَصِحُّ القَوْلُ بِتَفْضِيلِ المسْجِدِ حَوْلَهَا عَلَيْهَا؛ لِأَنَّهُ مَحَلُّ العَمَلِ جَزْمًا، وَأَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾[6] الآية حَاصِلٌ بِالمجِيءِ إِلَى قَبْرِهِ ﷺ وَزِيَارَتِهِ وَسُؤَالِ الشَّفَاعَةِ مِنْهُ، وَالتَّوَسُّلِ بِهِ إِلَى اللهِ، وَالمجَاوَرَةُ عِنْدَهُ مِنْ أَفْضَلِ القُرُبَاتِ، وَعِنْدَهُ [19ظ] تُجَابُ الدَّعَوَاتُ، فَكَيْفَ لَا يَكُونُ أَفْضَلَ، وَهُوَ السَّبَبُ فِي هَذِهِ

(1) عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الشافعي فقيه، مشارك في الأصول والعربية والتفسير، ولد بدمشق وتفقه على فخر الدين بن عساكر، سمع كثيرا، ودرس وأفتى، توفي بالقاهرة سنة660هـ وقيل: 669هـ، من مصنفاته: القواعد الكبرى في أصول الفقه، الغاية في اختصار النهاية في فروع الفقه الشافعي. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 162/2. طبقات الشَّافعيَّة، ابن قاضي شهبة، 137/2.

(2) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص18.

(3) (م، س)، ص18.

(4) (م، س)، ص18.

(5) (م، س)، ص19.

(6) سورة النساء: 64.

الخَيْرَاتِ، وَأَيْضًا فَهُوَ مِنْ أَعْلَى رِيَاضِ الجَنَّةِ وَفِي الحَدِيثِ: ((**لَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**))[1].

وَفِي "مُسْتَدْرَكِ" الحَاكِمِ وَقَالَ: صَحِيحٌ وَلَهُ شَوَاهِدٌ صَحِيحَةٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ قَبْرٍ فَقَالَ: ((**قَبْرُ مَنْ هَذَا؟**)) فَقَالُوا: قَبْرُ الحَبَشِيّ فُلَانٌ يَا رَسُولَ اللهِ، **فَقَالَ**: ((**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، سِيقَ مِنْ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ إِلَى التُّرْبَةِ التِي مِنْهَا خُلِقَ**))[2].

وَذَكَرَ ابْنُ الجَوْزِي عَنْ كَعْبِ الأَحْبَارِ: لَمَّا أَرَادَ اللهُ ﷻ أَنْ يَخْلُقَ مُحَمَّدًا ﷺ أَمَرَ جبرِيلَ فَأَتَاهُ بِالقَبْضَةِ البَيْضَاءِ، التِي هِيَ مَوْضِعُ قَبْرِهِ ﷺ فَعُجِنَتْ بِمَاءِ التَّسْنِيمِ، ثُمَّ غُمِسَتْ فِي أَنْهَارِ الجَنَّةِ، وَطِيفَ بِهَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَعَرَفت الملَائِكَةُ مُحَمَّدًا وَفَضْلَهُ ﷺ قَبْلَ أَنْ تَعْرِفَ آدَمَ عليه السلام[3].

وَقَالَ الحَكِيمُ التِّرْمَذِي فِي حَدِيث: ((**إِذَا قُضِيَ لِعَبْدٍ أَنْ يَمُوتَ بِأَرْضٍ جُعِلَ لَهُ إِلَيْهَا حَاجَةٌ**))[4] إِنَّمَا صَارَ أَجَلُهُ هُنَالِكَ لِأَنَّهُ خُلِق مِنْ تِلْكَ البُقْعَةِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى:﴿ **مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ** ﴾[5] وَإِنَّمَا يُعَادُ المرْءُ حَيْثُ بُدِئَ[6].

وَعَنْ يزيد الجريري[7]: سَمِعْتُ ابْنَ سِيرِينَ يَقُولُ: لَوْ حَلَفْتُ حَلْفَتُ صَادِقًا بَارًّا غَيْرَ شَاكٍّ وَلَا مُسْتَثْنٍ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى مَا خَلَقَ نَبِيَّهُ ﷺ وَلَا أَبَا بَكْرٍ وَلَا عُمَر إِلاَّ مِنْ طِينَةٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ رَدَّهُمْ إِلَى تِلْكَ الطِّينَةِ[8].

وَجَاءَ أَنَّ عِزْرِيلَ لَمَّا قَبَضَ القَبْضَةَ مِنَ الأَرْضِ، وَطِئَ إِبْلِيسُ الأَرْضَ بِقَدَمَيْهِ وَصَارَ بَعْضُهَا بَيْنَهُمَا، فَمِنَ التُّرْبَةِ التِي لَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا قَدَمُهُ الأَنْبِيَاءُ وَالأَوْلِيَاءُ، وَكَانَتْ دُرَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ تِلْكَ القَبْضَةِ، مَوْضِعِ رَحْمَةِ اللهِ[9].

---

(1) صحيح البخارِي، حدِيث (2796).

(2) المستدرك، الحاكِم حدِيث (1356).

(3) الوفا بتعريف فضائل المصطفى، ابن الجوزِي، 3/1. الكتاب بصيغة الشاملة ولم أحصل عليه ورقيا أو مصورا.

(4) سنن الترمذي، حديث (2146).

(5) سورة طه: 55.

(6) نوادر الأصول، الترمذِي، 213/1.

(7) كذلك ذكر في خلاصة الوفا، وفي نوادر الأصول: عن إبراهيم بن يزيد الجوزِي، ولم أقف على ترجمة له.

(8) نوادر الأصول، الترمذِي، 215/1.

(9) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص20.

وَعَن ابْنِ عَبَّاس: أَصْلُ طِينَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ سُرَّةِ الأَرْضِ بِمَكَّةَ، يَعْنِي الكَعْبَةَ[1].

وَقِيلَ: لَمَّا خَاطَبَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَوْلِهِ: ﴿ إِيتِيَا طَوْعًا اَوْ كَرْهًا ﴾[2] الآية أَجَابَ مَوْضِعُ الكَعْبَةِ مِنَ الأَرْضِ، وَمِن السَّمَاءِ مَا يُحَادِيهَا، فَالمجِيبُ مِنَ الأَرْضِ دُرَّتُهُ ﷺ وَمِن الكَعْبَةِ دُحِيَت الأَرْضُ، وَلَمْ يَكُنْ مَدْفَنُهُ بِهَا ﷺ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا تَمَوَّجَ الماءُ رَمى الزَّبَدَ إِلَى النَّوَاحِي فَوَقَعَتْ جَوْهَرَتُهُ ﷺ إِلَى مَا يُحَادِي تُرْبَتَهُ بِالمدِينَةِ، وَقَرَّتْ بِهَا كَمَا قَالَهُ بَعْضُ المحَقِّقِينَ، فَاسْتَحَقَّ هَذَا المحَلُّ الشَّرَفَ بِاسْتِقْرَارِ ذَلِكَ فِيهِ، كَمَا أَنَّ السَّبَبَ فِي تَفْضِيلِ الكَعْبَةِ وُجُودُهُ بِهَا أَوَّلًا[3]، وَذَلِكَ كُلُّهُ جُزْءٌ مِنْ كَوْنِهِ خُلِقَتِ الدُّنْيَا مِنْ أَجْلِهِ.

وَقَالَ ابنُ الجَوْزِي عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: لَمَّا قُبِضَ النَّبِيءُ ﷺ اخْتَلَفُوا [20و] فِي دَفْنِهِ فَقَالَ عَلِيّ: لَيْسَ فِي الأَرْضِ بُقْعَةٌ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ مِنْ بُقْعَةٍ قُبِضَ فِيهَا نَفَسُ نَبِيئِهِ ﷺ[4].

فَهَذَا أَصْلُ الإِجْمَاعِ عَلَى تَفْضِيلِهِ لِرُجُوعِ البَاقِينَ إِلَيْهِ، وَلِقَوْلِ أَبِي بَكْر ﷺ حِينَئِذٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ((**لَا يُقْبَضُ النَّبِيءُ إِلَّا فِي أَحَبِّ الْأَمْكِنَةِ إِلَيْهِ**))[5].

وَأَحَبُّهَا إِلَيْهِ أَحَبُّهَا إِلَى رَبِّهِ، لِأَنَّ حُبَّهُ تَابِعٌ لِحُبِّ رَبِّهِ، وَمَا كَانَ أَحَبّ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ كَيْفَ لَا يَكُونُ أَفْضَلُ[6].

وَفِيهِ: إِنَّ الحَدِيثَ إِنْ كَانَ فِي أَحَبِّ الأَمْكِنَةِ إِلَى نَبِيئِنَا ﷺ صَحَّ الِاسْتِدْلَالُ، وَإِنْ أُرِيدَ جِنْسُ الأَنْبِئَاءِ فَكُلُّ مَوْضِعٍ مَاتَ فِيهِ نَبِيءٌ، كَانَ مِنْ جُمْلَةِ المَوَاضِعِ المحْبُوبَةِ، وَلَيْسَ فِيهِ بَيَانُ أَفْضَلِهَا عَلَى الإِطْلَاقِ.

وَصَحَّ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: ((**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ**))؛ أَيْ: بَلْ أَشَدُّ أَوْ وَأَشَدُّ، كَمَا رُوِيَ بِهِ، وَأُجِيبَت الدَّعْوَةُ، حَتَّى كَانَ يُحَرِّكُ دَابَّتَهُ إِذَا رَآهَا مِنْ حُبِّهَا[7]، وَقَالَ: ((**مَا عَلَى الأَرْضِ بُقْعَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ قَبْرِي بِهَا مِنْهَا**))[8].

---

(1)خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص20.

(2) سورة فصلت: 11.

(3) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص20.

(4) الوفا بتعريف فضائل المصطفى، ابن الجوزِي، 40/2. الكتاب بصيغة الشاملة، لم أجده ورقيا أو مصوَّرا.

(5) أبو يعلَى في مسنده رقم (45).

(6) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص21.

(7) صحيح البخارِي رقم (1790).

(8) الموطّأ، مالك بن أنَس، حدِيث (932).

وَرَوَى الحَاكِمُ فِي "المسْتَدْرَكِ": ((**اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَخْرَجْتَنِي مِنْ أَحَبِّ البِقَاعِ إِلَيَّ، فَأَسْكِنِّي فِي أَحَبِّ البِقَاعِ إِلَيْكَ**))[1]؛ أَيْ: فِي مَوْضِعٍ تُصَيِّرُهُ كَذَلِكَ عَلَى طبقِ الأَزَلِ، فَيَجْتَمِعُ فِيهِ الحُبَّانِ، وَالحُبُّ مِنَ اللهِ إِنَالَةُ الخَيْرِ وَالتَّعْظِيمُ لِلْمَحْبُوبِ، فَيَتَجَدَّدُ بَعْدُ إِنْ لَمْ يَكُنْ، وَضَعَّفَهُ ابنُ عَبْدِ البَرّ، وَإِنْ سَلِمَتْ صِحَّتُهُ فَالمرَادُ أَحَبّ إِلَيْكَ بَعْدَ مَكَّةَ لِحَدِيثِ: ((**إِنَّ مَكَّةَ خَيْرُ بِلَادِ اللهِ**))[2] وَفِي رِوَايَةٍ: ((**أَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ**))[3] وَلِزِيَادَةِ المضَاعَفَةِ لِمَسْجِدِ مَكَّةَ[4].

وَاعْتُرِضَ بِأَنَّ مَا ذُكِرَ لَا يَقْتَضِي صَرْفَهُ عَنْ ظَاهِرِهِ؛ إِذ القَصْدُ بِهِ الدُّعَاءُ لِدَارِ هِجْرَتِهِ بِأَنْ يُصَيِّرَهَا اللهُ كَذَلِكَ، وَفِيمَا قَدَّمْنَا غُنْيَةٌ عَنْ صِحَّتِهِ، وَحَدِيث: ((**إِنَّ مَكَّةَ**...)) إِلخ مَحْمُولٌ عَلَى بَدْءِ الأَمْرِ قَبْلَ ثُبُوتِ الفَضْلِ لِلمَدِينَةِ، وَإِظْهَارِ الدِّينِ وَافْتِتَاحِ البِلَادِ مِنْهَا، حَتَّى مَكَّةُ، فَقَدْ أَنَالَها وَأَنَالَ بِهَا مَا لَمْ يَكُنْ لِغَيْرِهَا مِنَ البِلَادِ؛ فَبِظَهْرِ إِجَابَةِ الدَّعْوَةِ وَصَيْرُورَتِهَا أَحَبّ مُطْلَقًا بَعْدُ، وَلِهَذَا افْتَرَضَ اللهُ عَلَى نَبِيئِهِ ﷺ الإِقَامَةَ بِهَا، وَحَثَّ هُوَ عَلَى الإِقَامَةِ بِهَا، وَالاِقْتِدَاءِ بِهِ فِي سُكْنَاهَا، وَالموْتِ بِهَا، فَكَيْفَ لَا تَكُونُ أَفْضَلُ[5].

وَيُبْحَثُ بِأَنَّ حَدِيثَ: ((**إِنَّ مَكَّةَ خَيْرُ بِلادِ اللهِ**)) إِخْبَارٌ عَلَى الإِطْلَاقِ بِلَا قَيْدٍ وَلَا نَسْخٍ؛ إِذ الخَبَرُ لَا يَقْبَلُ النَّسْخَ. وَيُجَابُ بِأَنَّ المرَادَ: إِنَّهَا زَادَتْ عَلَى سَائِرِ البِلَادِ فِي نَفْعِ الله بِهَا وَنَفْعِهَا وَنَفْعِ أَهْلِهَا، فَيُقْبَلُ التَّقْيِيدُ بِأَنَّ ذَلِكَ بَعْدَ المدِينةِ، وَيُعْتَرَضُ بِأَنَّهُ جَاءَ فِيهِمَا مَعًا أَنَّهَا أَحَبُّ، فَلَعَلَّهُمَا سَوَاءٌ.

وَفِي بَعْضِ طُرُقِ حَدِيثِ: ((**إِنَّ مَكَّةَ خَيْرُ بِلادِ اللهِ**)) أَنَّ النَّبِيءَ ﷺ قَالَهُ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِالحَزْوَرَةِ[6] [20ظ] وَهُوَ مَوْضِعٌ، وَيُقَالُ لَهُ: عَزْوَرَة، وَقَدْ كَانَ ﷺ فِي سَفَرِ الهِجْرَةِ فِي اسْتِخْفَاءٍ لَا يَقْتَضِي تَأَخُّرَ هَذَا القَوْلِ عَنْ سَفَرِ الهِجْرَةِ؛ لِأَنَّ خُرُوجَهُ ﷺ لِلْغَارِ كَانَ لَيْلًا، بَعْدَ أَنْ دَرَّ التُّرَابَ عَلى رُؤُوسِ مَنْ كَانَ يَرْصُدُهُ، وَقَرَأَ أَوَائِلَ "يس" يَسْتَتِرُ بِهَا، فَلَمْ يَرَوْهُ، وَفِي رِوَايَةٍ لابْنِ حِبَّانَ: ((**فَرَكِبَا**، يَعْنِيهِ وَأَبَا بَكْرٍ، **حَتَّى أَتَيَا الْغَارَ، وَهُوَ بِثَوْرٍ، فَتَوَارَيَا فِيهِ**))[7].

---

(1) المستدرك، الحاكم، حدِيث (4261).

(2) صحيح ابن حبان حدِيث (3708).

(3) (م، س) حدِيث (3708).

(4) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص21.

(5) (م، س)، ص21.

(6) الحزورة: كانت سوق مكة، وقد دخلت في المسجد لما زيد فيه. معجم البلدان، الحموِي، 255/2.

(7) صحيح ابن حبَّان رقم (6279).

وَأَمَّا مَزِيدُ المضَاعَفَةِ، فَأَسْبَابُ التَّفْضِيلِ لَا تَنْحَصِرُ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ بِمِنىً لِلْمُتَوَجِّهِ بِعَرَفَةَ، أَفْضَلُ مِنْهَا بِمسْجِدِ مَكَّةَ، وَإِن انْتَفَتْ عَنْهَا المضَاعَفَةُ؛ إِذْ فِي الاتِّبَاعِ مَا يَرْبُو عَلَيْهَا، وَمَذْهَبُ شُمُولِ المضَاعَفَةِ لِلنَّفْلِ مَعَ تَفْضِيلِهِ بِالمنْزِلِ، وَلِذَا قَالَ عُمَر ﷺ بِمَزِيدِ المضَاعَفَةِ لِمَسْجِدِ مَكَّةَ، مَعَ قَوْلِهِ بِتَفْضِيلِ المدِينَةِ، وَلَمْ يُصِبْ وَاحِدٌ مِنْ قَوْلِهِ بِمَزِيدِ المضَاعَفَةِ تَفْضِيلَهِ مَكَّةَ؛ إِذْ غَايَتُهُ أَنَّ لِلمَفْضُولِ مَزِيَّةً لَيْسَتْ لِلفَاضِلِ، مَعَ أَنَّ دُعَاءَهُ ﷺ لِمَزِيدِ تَضْعِيفِ البَرَكَةِ بِالمدِينَةِ شَامِلٌ لِلأُمُورِ الدِّينِيَّةِ أَيْضًا، وَقَدْ يُبَارِكُ فِي العَدَدِ القَلِيلِ فَيَرْبُو نَفْعُهُ عَلَى الكَثِيرِ، وَلِهَذَا اسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى تَفْضِيلِ المدِينَةِ[1].

وَإِنْ أُرِيدَ مِنْ حَدِيثِ المضَاعَفَةِ لِمَكَّةَ الكَعْبَةُ فَقَطْ، فَالجَوَابُ أَنَّ الكَلَامَ فِيمَا عَدَاهَا، فَلَا يُرَدُّ شَيْءٌ مِمَّا جَاءَ فِي فَضْلِهَا، وَلَا مَا بِمَكَّةَ مِنْ مَوَاضِعِ النُّسُكِ لِتَعَلُّقِهِ بِهَا، وَلِذَا قَالَ عُمَر لِعَبْدِ اللهِ المخْزُومِيّ: أَنْتَ القَائِلُ: لَمَكَّةُ خَيْرٌ مِنَ المدِينَةِ؟ قَالَ عَبْدُ اللهِ: هِيَ حَرَمُ اللهِ وَأَمْنُهُ، وَفِيهَا بَيْتُهُ، فَقَالَ عُمَر: لَا أَقُولُ فِي حَرَمَ اللهِ وَبَيْتِهِ شَيْئًا، ثُمَّ كَرَّرَ عُمَر قَوْلَهُ الأَوَّلَ فَأَعَادَ جَوَابَهُ، فَأَعَادَ لَهُ: لَا أَقُولُ فِي حَرَمِ اللهِ وَبَيْتِهِ شَيْئًا، فَأُشِيرَ إِلَى عَبْدِ اللهِ فَانْصَرَف[2].

وَقَدْ عُوِّضَت المدِينَةُ عَن العُمْرةِ صَلَاةً فِي مَسْجِدِ قُبَاء، وَعَن الحَجِّ. وَالمدِينَةُ وَإِنْ كَانَتْ أَقَلَّ مِنْ مَكَّةَ، عَلَى القَوْلِ بِهِ، فَقَدْ كَانَتْ سَبَبًا لِإِعْزَازِ الدِّينِ وَإِظْهَارِهِ، وَنُزُولِ أَكْثَرِ الفَرَائِضِ، وَإِكْمَالِ الدِّينِ حَتَّى كَثُرَ تَرَدُّدُ جِبْرِيلَ عليه السلام بِهَا، ثُمَّ اسْتَقَرَّ بِهَا ﷺ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَلِهَذَا قِيلَ لِمَالِك: أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ المقَامُ هُنَا؛ أَيْ: بِالمدِينَةِ أَوْ بِمَكَّةَ؟ فَقَالَ: هَهُنَا، وَكَيْفَ لاَ أَخْتَارُ المدِينَةَ وَمَا بِهَا طَرِيقٌ إِلَّا سَلَكَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجِبْرِيلُ عليه السلام يَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنْ رَبِّ العَالمينَ فِي أَقَلَّ مِنْ سَاعَةٍ[3].

وَقَدْ ثَبَتَ تَفْضِيلُ الموْتِ بِالمدِينَةِ فَثَبَتَ تَفْضِيلُ سُكْنَاهَا؛ لِأَنَّ سُكْنَاهَا طَرِيقُ الموْتِ بِهَا. وَرَوَى الطَّبَرَانِي وَغَيْرُهُ حَدِيثَ: ((**المدِينَةُ خَيْرٌ مِنْ مَكَّةَ**))[4].

---

(1) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص22.

(2) (م، س)، ص22.

(3) (م، س)، ص22-23.

(4) المعجم الكبير، الطبراني، حدِيث (4450).

[21و] ورَوَى الجَنَدِي[1]: ((**أَفْضَلُ مِنْ مَكَّةَ**))[2] وَفِي سَنَدِهِ محمَّد بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الرَّدَاد، ذَكَرَهُ ابنُ حِبَّانَ فِي الثِّقَاتِ، وَقَالَ: كَانَ يُخْطِئُ، وَقَالَ ابنُ عَدِيّ[3]: رِوَايَتُهُ لَيْسَتْ مَحْفُوظَةً، وَقَالَ أَبُو حَاتِم: لَيْسَ بِقَوِيٍّ[4]، وَقِيلَ: لَا بَأْسَ بِهِ.

وَعَنْهُ ﷺ: ((**أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى. يَقُولُونَ: يَثْرِبُ، وَهِيَ المدِينَةُ، تَنْفِي الْخَبَثَ، أَوْ تَنْفِي النَّاسَ، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ**))[5]؛ أَيْ: أَمَرَنِي اللهُ بِالهِجْرَةِ إِلَيْهَا، إِنْ كَانَ قَالَهُ بِمَكَّةَ، وَبِسُكْنَاهَا إِنْ كَانَ قَالَهُ بِالمدِينَةِ[6].

إِلَّا أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ الهِجْرَةَ مَعَ قَوْلِهِ بِالمدِينَةِ، يُرِيدُ الإِخْبَارَ بِأَنِّي هَجَرْتُ إِلَيْهَا بِأَمْرِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

قَالَ القَاضِي عَبْدُ الوَهَّابِ[7]: لَا مَعْنَى لِقَوْلِهِ تَأْكُلُ القُرَى إِلَّا رُجُوح فَضْلِهَا عَلَيْها وَزِيَادَتهَا عَلَى غَيْرِهَا[8].

وَقَالَ ابنُ المنَيِّرِ[9] جَدُّ الدَّمَامِينِي[10]: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ المرَادُ بِذَلِكَ غَلَبَةُ فَضْلِهَا عَلَى فَضْلِ غَيْرِهَا؛ أَيْ: إِنَّ الفَضَائِلَ تَضْمَحِلُّ فِي فَضَائِلِهَا، وَهَذَا أَبْلَغُ مِنْ تَسْمِيَةِ مَكَّةَ أُمِّ القُرَى؛ لِأَنَّ الأُمُومَةَ لَا

---

(1) في خلاصة الوفا الجنيدي.

المفضل بن محمد بن إبراهيم الشعبي مؤرخ ومحدث، يمني الأصل، حدَّثَ بمكة، وتوفي بها. من تآليفه: فضائل المدينة، وفضائل مكة ت: 308هـ. سير أعلام النبلاء، 257/14، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 904/3.

(2) فضائل المدينة، الجَنَدِي، حدِيث (12).

(3) ابنُ عَدِيّ: عبدُ الله بن عَدِيّ بن عبد الله الجرجاني، ويعرف أيضا بابن القطان، محدث، حافظ، ناقد، فقيه،

توفي بجرجان سنة 365هـ، مِن تصانيفه: الكامل في معرفة ضعفاء المحدثين وعلل الأحاديث، الإنتصار على مختصر المزني في فروع الفقه. سير أعلام النبلاء، الذهبي، 154/16 ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 257/3.

(4) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص23، وينظر: الكامل في ضعفاء الرجال، ابن عدي، 400/7، والجرح والتعديل، ابن أبِي حاتم، 315/7، ولم أجده في الثقات لابن حبَّان.

(5) صحيح البخارِي، حدِيث (1871).

(6) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص23.

(7) عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المالكي (أبو محمد) فقيه، أديب، شاعر، ولد ببغداد، وتوفي بمصر سنة 422هـ، من تصانيفه: التلقين في فروع الفقه المالكي. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 344/2.

(8) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص23، نقلا من فتح البارِي، ابن حجر، 87/4.

(9) علي بن محمد بن منصور، الإسكندري (أبو الحسن، زين الدين بن المنَيّر)، محدث، توفي سنة 695هـ، من آثاره: شرح الجامع الصحيح للبخاري، والمتوارى عن تراجم البخاري. الوافي، الصفدي، 90/22، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 527/2.

يذكر المؤلِّف الأخوَينِ ابن المنيّر دون تحدِيد المقصودِ، وبالعودة إلى المصادر التي نقل منها النص يتبين المقصود منهما. فمثلا هذا النَّصّ الذِي نقله ورد في فتح البارِي، وقال: قَالَ بن المنِيرِ فِي الْحَاشِيَةِ. فتبين أنَّه زين الدين.

(10) كرَّرَ المؤلف عبارة "جد الدمامِيني" مرَّتينِ، في المرة الثانية قال: "جديد الدمامِينِي" ولم أفهم المقصود منها، برغم أنَّهُ ذكرها مرة لزين الدين ومرَّة لناصر الدِّينِ.

يَتَمَحَّى مَعَهَا مَا هِيَ بِهِ أُمٌّ، لَكِنْ يَكُونُ لَهَا حَقُّ الأُمُومَةِ[1]، وَإِنَّمَا جَعَلَهُ احْتِمَالًا ؛لِأَنَّهُ كَنَّى بِالْأَكْلِ عَنِ الغَلَبَةِ، وَالآكِلُ غَالِبٌ عَلَى المأْكُولِ، فَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ غَلَبَتُهَا فِي الفَضْلِ، أَوْ غَلَبَةُ أَهْلِهَا عَلَى القُرَى، وَالأَقْرَبُ حَمْلُهُ عَلَيْهَا، إِذْ هُوَ أَبْلَغُ فِي الغَرَضِ المسُوقِ لَهُ ذَلِكَ[2].

وَعَنْهُ ﷺ: ((**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ وَقَرِيبَهُ هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ وَالمدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَخْرُجُ أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلاَّ أَخْلَفَ اللَّهُ فِيهَا خَيْرًا مِنْهُ**))[3] وَفِيهِ إِشْعَارٌ بِذَمِّ الخُرُوجِ مِنْهَا مُطْلَقًا، وَهُوَ عَامٌّ أَبَدًا، كَمَا نَقَلَهُ الطَّبَرِي[4] عَنْ قَوْمٍ وَقَالَ: إِنَّهُ ظَاهِرُ اللَّفْظِ[5].

وَفِي الصَّحِيْحَيْنِ: ((**إِنَّ الإيمان لَيَأْزِرُ إلى المدِينَةِ كَمَا تَأْزِرُ الحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا**))[6]؛ أَيْ: يَنْقَبِضُ وَيَنْضَمُّ وَيَلْتَجِئُ مَعَ أَنَّهَا أَصْلُ انْتِشَارِهِ، فَكُلُّ مُؤْمِنٍ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ سَائِقٌ إِلَيْهَا فِي جَمِيعِ الأَزْمَانِ لِحُبِّهِ فِي سَاكِنِهَا ﷺ[7].

وَلِلجَنَدِي فِي حَدِيثِ: ((**يُوشِكُ الْإِيمَانُ يَأْرِزُ إِلَى المدِينَةِ**))[8]؛ أَيْ: يَرْجِعُ إِلَيْهَا أَخِيرًا كَمَا ابْتَدَأَ مِنْهَا، وَلِذَا رُوِيَ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُحَازَ الْإِيمَانُ إِلَى المدِينَةِ، كَمَا يَحُوزُ السَّيْلُ الدِّمَنُ[9].

وَعَنْهُ ﷺ: ((**لَيَعُودَنَّ هَذَا الْأَمْرُ إِلَى المدِينَةِ كَمَا بَدَأَ مِنْهَا حَتَّى لَا يَكُونَ إِيمَانٌ إِلَّا بِهَا**))[10].

=والدماميني هوَ: محمد بن أبي بكر بن عمر الاسكندري، المالكي، ويعرف بابن الدماميني (بدر الدين) ناثر، ناظم، نحوي، استوطن القاهرة، ولازم ابن خلدون، وتصدر لإقراء العربية بالأزهر، ثم تحول إلى دمشق، ومنها حج وعاد إلى مصر، فولي فيها قضاء المالكية، وتوفي في بكلبرجا من الهند سنة 827هـ، من تصانيفه: شرح مغني اللبيب، جواهر البحور في العروض، الفواكه البدرية من نظمه، شرح لامية العجم للطغرائي، ومختصر حياة الحيوان للدميري. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 170/3.

(1) فتح الباري، ابن حجر، 87/4، عن ابن المنير في حاشِيَته.

(2) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص23.

(3) صحيح مسلم، حدِيث (487).

(4) الطَّبَري: أبو العبَّاس، أحمد بن عبد الله بن محمد، محبُّ الدِّين الطَّبَري، ت:694، حافظ فقيه شافعي، متفنن، من أهل مكة مولدا ووفاة. وكان شيخ الحرم فيها. من تصانيفه: القرَى لقاصد أم القرى. طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة، 206/2.

(5) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص24.

(6) صحيح البخارِي حدِيث (1876) وصحيح مسلم، حدِيث (233). وفِيهما يأرِزُ بدل يأزِرُ.

(7) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص24.

(8) فضائل المدينة، الجندِي، حدِيث (18).

(9) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص24، وفِي مصنف عبد الرزاق حديث مثله: ((لَيَنْحَازَنَّ الْإِيمَانُ إِلَيْهَا كَمَا يَحُوزُ السَّيْلُ الدِّمَنُ)). حدِيث (17163).

(10) معرفة علوم الحدِيث، الحاكِم، ص532.

وَعَنِ العَبَّاسِ ﷺ : ((**خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ المدِينَةِ فَالْتَفَتَ إِلَيْهَا، وَقَالَ: إِنَّ اللهَ بَرَّأَ هَذِهِ الْجَزِيرَةَ مِنَ الشِّرْكِ**))[1].

وَعَنْهُ ﷺ: ((**إِنَّ اللهَ طَهَّرَ هَذِهِ الْقَرْيَةَ مِنَ الشِّرْكِ إِنْ لَمْ تُضِلَّهُمُ النُّجُومُ**))[2].

[21ظ] الفصل الثَّاني: فِي الإِقَامَةِ بِهَا وَوَعِيدِ المحْدِثِ بِهَا وَمُؤْوِيهِ وَالمخِيفِ لِأَهْلِهَا

قَالَ ﷺ: ((**سَيَأْتِي قَوْمٌ يَبِسُّونَ فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ، وَالمدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**))[3] وَمَعْنَى يَبِسُّونَ: بِضَمِّ المـوَحَّدَةِ وَكَسْرِهَا، يَسُوقُونَ دَوَابَّهُمْ مُسْرِعِينَ[4].

وَعَنْهُ ﷺ: ((**مَنْ صَبَرَ عَلَى لَأْوَائِهَا وَشِدَّتِهَا، كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا وَ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**))[5].

وَرَوَى مُسْلِم عَنْ [أَبِي] سَعِيدٍ مَوْلَى المهْرِي: أَنَّهُ جَاءَ إِلَى أَبِي سَعِيدٍ الخُدَرِي ليالِي الحرّة فَاسْتَشَارَهُ فِي الجَلَاءِ مِنَ المدِينَةِ وَشَكَا إِلَيْهِ أَسْعَارَهَا وَكَثْرَةَ عِيَالِهِ وَأَخْبَرَهُ أَن لَا صَبْرَ لَهُ عَلَى جُهْدِ المدِينَةِ وَلَأْوَائِهَا، فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ لَا آمرُكَ بِذَلِكَ، إِنّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ((**لَا يَصْبِر**)) وَفِي رِوَايَةٍ: ((**لَا يَثْبُتُ أَحَدٌ عَلَى لَأْوَائِهَا وَجَهْدِهَا إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا وَشَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**))[6] وَفِي رِوَايَةٍ: لَا تَفْعَلْ، الْزَم المدِينَةَ إِلخ الحَدِيث المذْكُور[7].

وَذَكَرَ مُسْلِم وَغَيْرُهُ أَنَّ مَوْلَاةً أَتَتْ ابنَ عُمَر زَمَانَ الفِتْنَةِ تُسَلِّمُ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: إِنّي أَرَدْتُ الخُرُوجَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، اشْتَدَّ عَلَيْنَا الزَّمَانُ، فَقَالَ لَهَا عَبْدُ اللهِ: اقْعُدِي لِكَاعٍ، إِنّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : ((**لاَ يَصْبِرُ عَلَى لأْوَائِهَا وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ، إِلاَّ كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا أَوْ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**))[8] وَأَوْ: بِمَعْنَى الوَاوِ، كَمَا رَوَاهُ البَزَّارُ عَنْ عُمَر، وَالمفَضَّلُ الجَنَدِي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بِالوَاوِ: ((**لَا يَصْبِرُ أَحَدٌ عَلَى**

---

(1) الحدِيث في مسند أبِي يعلَى، حدِيث (6709).

(2) الحديث في مسند أبي يعلى، حديث (6714)، والمعجم الأوسط، الطبراني، حديث (576) فضائل المدينة، الجندِي، حدِيث (18).

(3) صحيح البخارِي، حدِيث (1875).

(4) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص24.

(5) صحيح مسلم، حدِيث (483).

(6) صحيح مسلم، حدِيث (477)، وفيه: ((شفيعا أو شهيدا)).

(7) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص25.

(8) الحديث في صحيح مسلم، حدِيث (482)، وفيهما: ((شَهِيدًا أَوْ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)).

لَأُوَاءِ المدِينَةِ وَحَرِّهَا إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا))[1] أَوْ لِلتَّقْسِيمِ بِأَنْ يَكُونَ شَفِيعًا لِلمُذْنِبِينَ، شَهِيدًا لِلْمُطِيعِينَ، أَوْ شَهِيدًا لِمَنْ مَاتَ فِي حَيَاتِهِ، شَفِيعًا لِمَنْ مَاتَ بَعْدَهُ. وَكُلٌّ مِنْ هَذِهِ الشَّفَاعَةِ وَالشَّهَادَةِ خَاصَّةٌ تَزِيدُ عَلَى العَامَّةِ، وَفِي تِلْكَ الأَحَادِيثِ البُشْرَى لِلصَّابِرِ فِيهَا بِالموْتِ عَلَى الإِسْلَامِ، وَكفَى بِذَلِكَ مَزِيَّةً، فَمَنْ مَاتَ بِهَا بُشِّرَ بِذَلِكَ[2].

وَعَنْهُ ﷺ: **((مَنْ مَاتَ بِالمدِينَةِ كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ))** وَعَنْهُ ﷺ: **((مَن اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالمدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا، فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ يمُوتُ بِهَا))** وَيُرْوَى: **((فَإِنِّي أَشْهَدُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا))**[3].

وَرَوَى البَيْهَقِيُّ وَابنُ حِبَّان: **((مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالمدِينَةِ، فَلْيَمُتْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَمُتْ بِهَا أَشْفَعُ لَهُ وَأَشْهَدُ لَهُ))**[4] وَيُرْوَى: **((فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ بِهَا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ))**[5] **((وَإِنِّي أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ آتِي أَهْلَ الْبَقِيعِ فَيُحْشَرُونَ، ثُمَّ أَنْتَظِرُ أَهْلَ مَكَّةَ))**[6].

وَرَوَى أَبُو دَرٍّ الهَرَوِيّ فِي "سُنَنِهِ" عَن ابنِ عُمَر: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **((أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ آتِي أَهْلَ البَقِيعِ فَيُحْشَرُونَ مَعِي، أَنْتَظِرُ أَهْلَ** [22و] **مَكَّةَ حَتَّى أُحْشَرَ بَيْنَ الحَرَمَيْنِ))**[7].

وَعَنْهُ ﷺ: **((أَوَّلُ مَنْ أَشْفَعُ لَهُ مِنْ أُمَّتِي أَهْلُ المدِينَةِ، ثُمَّ أَهْلُ مَكَّةَ، ثُمَّ أَهْلُ الطَّائِفِ))**[8].

وَذَكَرَ مَالِكٌ فِي المَوطَّأِ: **((أَنَّ النَّبِيءَ ﷺ كَانَ جَالِسًا، وَقَبْرٌ يُحْفَرُ بِالمدِينَةِ، فَاطَّلَعَ رَجُلٌ فِي الْقَبْرِ، فَقَالَ: بِئْسَ مَضْجَعُ المؤْمِنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، قَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي لَمْ أُرِدْ هَذَا، إِنَّمَا أَرَدْتُ الْقَتْلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَعْنِي أَرَدْتُ بِئْسَ المَوْتُ بِلَا قَتْلٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ**

---

(1) فضائل المدينة، الجندِي، حدِيث (33) ومسند البزار، حدِيث (1124) وكلاهما بأو، وليسَ بالواو.

(2) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص25.

(3)لم أجد هذه الروايات إلا في خلاصة الوفا، ومثيلها في الوفا بتعريف فضائل المصطفى، ابن الجوزِي، 200/1.

(4) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص25، لم أجد هذه الرواية إلا في خلاصة الوفا، ولم أجدها في صحيح ابن حبان، ولا في دلائل النبوة للبيهَقي.

(5) (م، س)، ص26، لم أجد هذه الرواية إلا في خلاصة الوفا.

(6) صحيح ابن حبان، حدِيث (6899).

(7) سنن الترمذِي، حدِيث (3692).

(8) المعجم الأوسَط، الطَّبراني، حدِيث (1827).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لا مِثْلَ لِلْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا عَلَى الأَرْضِ بُقْعَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ من أَنْ يَكُونَ قَبْرِي بِهَا مِنْهَا))؛ أَيْ: مِنَ المدِينَةِ ثَلَاثًا[1].

وَرَوَى أَحْمَدُ أَنَّ النَّبِيءَ ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَ مَكَّةَ قَالَ: **((اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ مَنَايَانَا بمكَّةَ حَتَّى تُخْرِجَنَا مِنْهَا))**[2].

وَصَحَّ أَنَّ عُمَر ﷺ قَالَ: "اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ مَوْتِي فِي بَلَدِ رَسُولِكَ ﷺ"[3] وَرُوِيَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَجَلِّ دُعَائِهِ[4].

وَرَوَى الطَّبَرَانِي فِي الكَبِيرِ عَنْهُ ﷺ: **((مَنْ كَانَ لَهُ بِالمدِينَةِ أَصْلٌ، فَلْيَتَمَسَّكْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ بِهَا أَصْلٌ، فَلْيَجْعَلْ بِهَا أَصْلًا، فَلَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بِهَا أَصْلٌ كَالْخَارِجِ مِنْهَا، المجْتازِ إِلَى غَيْرِهَا))**[5] وَفِي رِوَايَةٍ: **((فَلْيَجْعَلْ لهُ بِهَا أَصْلًا وَلَوْ قَصرَةً))** ؛أَيْ:شَجَرَةً[6]، وَهُوَ بِفَتْحِ القَافِ وَالصَّادِ.

وَرَوَى الزُّهْرِيُّ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: **((لَا تَتَّخِذُوا الْأَمْوَالَ بِمَكَّةَ وَاتَّخِذُوهَا بِدَارِ هِجْرَتِكُمْ، فَإِنَّ المرْءَ مَعَ مَالِهِ))**[7].

وَعَن ابنِ عُمَر عَنْهُ ﷺ: **((لَا تَتَّخِذُوا مِنْ وَرَاءِ الرَّوْحَاء مَالًا، وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَعْقَابِكُمْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ، وَلَا تُنْكِحُوا بَنَاتِكُمْ طُلَقَاءَ أَهْلِ مَكَّةَ))**[8].

وَرَوَى مُسْلِم عَقِبَ قَولِهِ: **((إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ فِيهَا خَيْرًا مِنْهُ))** **((أَلَا إِنَّ المدِينَةَ كَالْكِيرِ يُخْرِجُ الخَبَثَ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفِي المدِينَةُ شِرَارَهَا، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ))**[9] وَيُرْوَى تَنْفِي النَّاسَ، وَيُرْوَى تَنْفِي الرِّجَالَ؛ أَيْ: شِرَارَهُمْ أَوْ خُبْثَهُمْ، وَيُرْوَى خُبْثَ الرِّجَالِ، وَيُرْوَى خُبْثَ

---

(1) الموطأ، مالك بن أنَس، حدِيث (932).

(2) مسند أحمد، حدِيث (6067).

(3) الموطأ، مالك بن أنس، حدِيث (989).

(4) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص26.

(5) المعجم الكبِير، الطبراني، حَدِيث (6027).

(6) التاريخ الكبِير، ابن أبي خيثمة، حدِيث (1767).

(7) السنن الكُبرَى، البيْهَقِي، حَدِيث (17790) عن عمر بن الخطَّاب دون أن يرفعهُ.

(8) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص26-27، وفِيه: ((لا تتخذوا من وراء الرق حاملا)) وهو غلط كما أشار إليه المحقِّقُ، والحديث في كنز العمال، المتقِي الهندِي، حَدِيث (46290).

(9) سبَقَ تخرِيجُهُ، صحيح مسلم، حدِيث (487).

أَهْلِهَا[1].

وَرَوَى البُخَارِي أَنَّهُ ﷺ قَالَ: ((**إِنَّهَا طَيْبَةُ تَنْفِي الذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْفِضَّةِ**))[2].

وَذَكَرَ مُسْلِم وَالبُخَارِي قِصَّةَ الأَعْرَابِي القَائِلِ: أَقِلْنِي بَيْعَتِي فَأَبَى ﷺ، فَخَرَجَ الأَعْرَابِيُّ فَقَالَ ﷺ: ((**المدِينَةُ كَالْكِيرِ تَنْفِي خَبَثَهَا وَتَنْصَعُ طَيِّبَهَا**))[3] وَهُوَ ظَاهِرٌ فِي أَنَّ المرَادَ إِبْعَادُهَا أَهْلَ الخَبَثِ، وَلَا يَخْتَصُّ بِزَمَانِهِ ﷺ، لِقَوْلِهِ ﷺ: ((**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفِي المدِينَةُ شِرَارَهَا**))[4]؛ أَيْ: حِينَ ظُهُورِ الدَّجَّالِ، حِينَ تَرْجِفُ المدِينَةُ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ مُنَافِقُوهَا[5].

[22ظ] وَجَاءَ فِي حَدِيثِ أَحْمَد: أَنَّ ذَلِكَ يَوْمُ التَّخْلِيصِ، وَذَلِكَ يَوْمَ تَنْفِي المدِينَةُ الخَبَثَ[6].

وَقَالَ عُمَرُ بنُ عبدِ العَزِيزِ إِذْ خَرَجَ مِنْهَا لِمَنْ مَعَهُ: أَتَخْشَى أَنْ نَكُونَ مِمَّنْ نَفَتِ المدِينَةُ[7]، وَقَدْ أَبْعَدَ اللهُ عَنْهَا أَرْبَابَ الخُبْثِ الكَامِلِ وَهُم الكُفَّارُ، وَأَمَّا غَيْرُهُمْ فَقَدْ يَكُونُ إِبْعَادُهُ إِنْ مَاتَ بِهَا بِنَقْلِ الملَائِكَةِ لَهُ، فَقَوْلُهُ: "تَنْفِي خَبَثَهَا" وَ"تَنْفِي الذُّنُوبَ" بِمَعْنَى تَنْفِي أَهْلَ ذَلِكَ، وَالمرَادُ إِبْعَادُ أَهْلِ الخُبْثِ الكَامِلِ فَقَطْ، وَهُمْ أَهْلُ الشَّقَاوَةِ لِعَدَمِ قبُولِهِم لِلشَّفَاعَةِ، أَو المرَادُ فِيمَا عَدَا قِصَّةِ الأَعْرَابِيّ وَالدَّجَّالِ؛ لِأَنَّهَا تُخَلِّصُ النُّفُوسَ مِنْ شَرِّهِمَا وَظُلُمَاتِ ذُنُوبِهَا بِمَا فِيهَا مِنَ اللَّأْوَاءِ وَالمشَقَّاتِ وَمُضَاعَفَةِ المثُوبَاتِ وَالرَّحَمَاتِ؛ إِذ الحَسَنَاتُ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، أَو المرَادُ أَنَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ خُبْثٌ مَيَّزَتْهُ عَن القُلُوبِ الصَّادِقَةِ، وَأَظْهَرَتْ مَا يَخْفَى مِنْ عَقِيدَتِهِ كَمَا هُوَ مُشَاهَدٌ بِهَا، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ ﷺ عِنْدَ رُجُوعِ المنَافِقِينَ فِي غزوة أُحد: ((**المدِينَةُ كَالْكِيرِ...**)) إِلخ ، وَالذِي يَظْهَرُ أَنَّهَا تَنْفِي خُبْثَهَا بِالمعَانِي الأَرْبَعَةِ، وَتَنْصَعُ: تُخَلِّصُ[8].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: ((**مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالملَائِكَةِ وَالنَّاسِ**

(1) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص27.
(2) صحيح البخارِي، حدِيث (4050).
(3) صحيح البخارِي، حدِيث (1883) وصحيح مسلِم حدِيث (489).
(4) صحيح مسلِم حدِيث (487).
(5) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص27.
(6) مسنَد أحمَد، حدِيث (14112).
(7) الموطّأ، مالك بن أنَس، حدِيث (9).
(8) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص27-28.

أَجْمَعِينَ، لا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا))[1] وَالصَّرْفُ: الفَرْضُ، وَالعَدْلُ: النَّفْلُ، وَقِيلَ بِالعَكْسِ، وَقِيلَ الصَّرْفُ: التَّوْبَةُ، وَالعَدْلُ: الفَرْضُ[2].

قَالَ بَعْضُ المحَقِّقِينَ: إِنَّ الصَّغِيرَةَ فِي المدِينَةِ كَالكَبِيرَةِ فِي غَيْرِهَا، لِعِظَمِ الحَضْرَةِ النَّبوِيَّةِ[3].

وَذَكَرَ البُخَارِي عَنْهُ ﷺ: **((لَا يَكِيدُ أَهْلَ المدِينَةِ أَحَدٌ إِلَّا انْمَاعَ، كَمَا يَنْمَاعُ المِلْحُ فِي الماءِ))**[4] وَانْمَاع: صَارَ مَائِعًا.

وَرَوَى مُسْلِم أَنَّهُ ﷺ قَالَ: **((مَنْ أَرَادَ هَذِهِ الْبَلْدَة بِسُوءٍ أَذَابَهُ اللهُ، كَمَا يُذِيبُ المِلْحَ فِي الماءِ))**[5].

وَقَالَ فِي رِوَايَةٍ لَهُ: **((لَا يُرِيدُ أَحَدٌ أَهْلَ هَذِهِ المدِينَة بِسُوءٍ، إِلَّا أَذَابَهُ اللهُ فِي النَّارِ ذَوْبَ الرَّصَاصِ وَذَوْبَ المِلْحِ فِي الماءِ))**[6] وَذَلِكَ فِي الآخِرةِ لِقَوْلِهِ فِي النَّارِ، وَأَجَازَ عِيَاض أَنْ يُرَادَ مَنْ أَرَادَهَا فِي حَيَاةِ النَّبِيءِ ﷺ بِسُوءٍ اضْمَحَلَّ كَمَا يَضْمَحِلُّ الرَّصَاصُ فِي النَّارِ، فَقَدَّمَ وَأَخَّرَ[7]، وَيُؤَيِّدُهُ أَوْ ذَوْب المِلْحِ فِي الماءِ، أَو المرَادُ مَنْ كَادَهَا اغْتِيَالًا وَطَلَبًا لِغِرَّتِهَا فَيَضْمَحِلُّ كَيْدُهُ وَلَا يَتِمُّ أَمْرُهُ بِخِلَافِ مَنْ أَتَاهَا جَهَارًا، أَو المرَادُ مَنْ أَرَادَهَا بِسُوءٍ مُطْلَقًا اضْمَحَلَّ فِي الدُّنْيَا كَمَا عُوجِلَ مُسْلِم بْنُ عُقْبَةَ، وَكَذَا مُرْسِلُهُ عَقِبَ إِغْزَائِهَا، وَهُوَ الرَّاجِحُ؛ إِذْ لَيْسَ فِي اللَّفظِ مَا يَقْتَضِي التَّخْصِيصَ بِزَمَانٍ، إِلاَّ أَنَّهُ لَا يَتِمُّ لِمَنْ أَرَادَهَا بِسُوءٍ كَمَا أَرَادَهُ، بَل الوَعِيدُ بِإِهْلَاكِهِ سَرِيعًا كَمَا شُوهِدَ مِنْ شَأْنِها وَيُضَافُ لِذَلِكَ [23و] الإِذَابَةُ فِي النَّارِ[8].

وَرَوَى الجَنَدِيُّ أَنَّه ﷺ قَالَ: **((أَيُّمَا جَبَّار أَرَادَ المدِينَةَ بِسُوءٍ أَذَابَهُ اللَّهُ كَمَا يَذُوبُ المِلْحُ فِي الماءِ))**[9].

وَرَوَى البَزَّارُ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: **((اللَّهُمَّ اكْفِهِمْ مَنْ دَهَمَهُمْ بِبَأْسٍ، يَعْنِي أَهْلَ المدِينَةِ، وَلاَ يُرِيدُهَا أَحَدٌ**

---

(1) صحيح البخارِي، حدِيث (6755) وصحيح مسلِم حدِيث (463).

(2) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص28، وفيه: العدل: الفدية.

(3) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص28.

(4) صحيح البخارِي، حدِيث (1877).

(5) صحيح مسلِم، حدِيث (492).

(6) صحيح مسلِم، حدِيث (460).

(7) إكمال المعلِم، القاضِي عياض، 250/4.

(8) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص28-29.

(9) فضائل المدينة، الجَنَدِي، حدِيث (26).

بِسُوءٍ إِلاَّ أَذَابَهُ اللَّهُ، كَمَا يَذُوبُ الملْحُ فِي الماءِ))[1] وَدَهَمَهُمْ: غَشِيَهُمْ بِسُرْعَةٍ، وَأَغَارَ عَلَيْهِمْ[2].

وَذَكَرَ ابنُ زَبَالَةَ عَنْ سَعِيد بنِ المسَيِّبِ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَشْرَفَ عَلَى المدِينَةِ فَرَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رُئِيَ صُفْرَةُ إِبطَيْهِ ثُمَّ قَالَ: **((اللَّهُمَّ مَنْ أَرَادَنِي وَأَهْلَ بَلَدِي بِسُوءٍ فَعَجِّلْ هَلَاكَهُ))**[3].

وَذَكَرَ الطَّبَرَانِي فِي "الأَوْسَطِ" أَنَّهُ ﷺ قَالَ: **((اللَّهُمَّ مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ المدِينَةِ وَأَخَافَهُمْ فَأَخِفْهُ، وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالملَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا))**[4].

وَفِي رِوَايَةٍ لِغَيْرِهِ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: **((وَمَنْ أَخَافَ أَهْلَ المدِينَةِ أَخَافَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَغَضِبَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا))**[5].

وَعَنْهُ ﷺ: **((مَنْ أَخَافَ أَهْلَ المدِينَةِ ظَالِمًا لَهُمْ أَخَافَهُ اللهُ، وَكَانَتْ عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ))**[6].

وَرَوَى ابنُ حِبَّان وَأَحْمَد قَبْلَهُ عَنْ جَابِر بنِ عَبْدِ اللهِ: **((أَنَّ أَمِيرًا مِنْ أُمَرَاءِ الْفِتْنَةِ قَدِمَ المدِينَةَ، وَكَانَ قَدْ ذَهَبَ بَصَرُ جَابِرٍ، فَقِيلَ لِجَابِر: لَوْ تَنَحَّيْتَ عَنْهُ، فَخَرَجَ يَمْشِي بَيْنَ ابْنَيْهِ فَنَكِبَ، فَقَالَ: تَعِسَ مَنْ أَخَافَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ ابْنَاهُ أَوْ أَحَدُهُمَا: يَا أَبَتِ كَيْفَ أَخَافَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَقَدْ مَاتَ، فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ أَخَافَ أَهْلَ المدِينَةِ فَقَدْ أَخَافَ مَا بَيْنَ جَنْبَيَّ))**[7]؛ أَيْ: أَخَافَ قَلْبِي، أَوْ عَلَيْهِ كَعِقَابِ مَنْ أَخَافَ قَلْبِي.

وَلَعَلَّ ذَلِكَ الأَمِيرُ بِشْرُ بنُ أَرْطَأَةَ[8]، كَمَا قَالَهُ عَلِيُّ بنُ عَبْدِ اللهِ[9]، لِمَا رَوَى ابنُ عَبْدِ البِرِّ مِنْ إِرْسَالِ مُعَاوِيَةَ لَهُ إِلَى المدِينَةِ فِي جَيْشٍ بَعْدَ تَحْكِيمِ الحَكَمَيْنِ، وَأَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَى بَنِي مَسْلَمَةَ: مَا لَكُمْ

---

(1) مسند البزار، حدِيث (1132).

(2) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص29.

(3) (م، س)، ص29. نصوص ابن زبالة من كتابِهِ "تاريخ المدينة" وأصل الكتابِ مفقود.

(4) المعجم الأوسَط، الطَّبرانِي، حدِيث (3589).

(5) المعجم الكبِير، الطَّبرانِي، حدِيث (6637).

(6) التاريخ الكبِير، ابن أبِي خيثمة، حدِيث (1333) والسنن لكبرَى، النسائِي، حدِيث (4266).

(7) مسند أحمد، حدِيث (14818) ولم أجِدْهُ فِي صحيح ابن حبَّان.

(8) بُسْر بن أبِي أرطأة، ويقال: بُسْر بْن أرطاة، أَبُو عَبْد الرَّحْمَنِ العامري أتى الشام واليمن، ومات بالمدينة، وقد خرف، مات في ولاية عَبْد الملك بن مروان. تاريخ بغداد، البغدادي، 579/1.

(9) علي بن عبد الله بن أحمد، الشافعي، المعروف بالسمهودي (نور الدين، أبو الحسن) مؤرخ، فقيه، ت: 911هـ، ولد بمسمهود في مصر، ونشأ بها، وتوفي بالمدينة. من آثاره: وفاء الوفا وخلاصة الوفا في أخبار دار المصطفى، اللؤلؤ المنثور في نصيحة ولاة الأمور. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 463/2.

عِنْدِي أَمَانٌ وَلَا بَيْعَةٌ حَتَّى تَأْتُونِي بِجَابِر[1].

وَرُوِيَ: أَنَّ أَهْلَ المدِينَةِ فَرُّوا يَوْمَئِذٍ حَتَّى دَخَلُوا حَرَّةَ بَنِي سُلَيْمٍ[2].

وَفِي الكَبِيرِ لِلطَّبَرَانِي عَنْهُ ﷺ: **((مَنْ آذَى أَهْلَ المدِينَةِ ءَاذَاهُ اللهُ، وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ والملَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَلَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ))**[3].

وَذَكَرَ ابنُ النَّجَّارِ عَنْ مَعْقِل [بن] يَسَارِ المزَنِي عَنِ النَّبِيءِ ﷺ: **((المدِينَةُ مُهَاجَرِي وَفِيهَا مَضْجَعِي، وَفِيهَا مَبْعَثِي، حَقِيقٌ عَلَى أُمَّتِي حِفْظُ جِيرَانِي مَا اجْتَنَبُوا الْكَبَائِرَ، مَنْ حَفِظَهُمْ كُنْتُ لهُ شَهِيدًا أَوْ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ** [23ظ] **لَمْ يَحْفَظْهُمْ سُقِيَ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ))** قِيلَ لِلمُزَنِي: وَمَا طِينَةُ الخَبَالِ؟ قَالَ: عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ[4].

وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِي بِلَفْظِ: **((المدِينَةُ مُهَاجِرِي وَمَضْجَعِي فِي الْأَرْضِ، حَقٌّ عَلَى أُمَّتِي أَنْ يُكْرِمُوا جِيرَانِي مَا اجْتَنَبُوا الْكَبَائِرَ، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ سَقَاهُ اللهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ))** قُلْنَا: يَا أَبَا يَسَارٍ وَمَا طِينَةُ الخَبَالِ؟ قَال[5]: عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ[6].

وَفِي "فَوَائِدِ القَاضِي أَبِي الحَسَنِ الهَاشِمِي"[7] عَنْ خَارِجَةَ بنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ مَرْفُوعًا إِلَى النَّبِيءِ ﷺ: **((المدِينَةُ مُهَاجَرِي وَفِيهَا مَضْجَعِي وَمِنْهَا مَخْرَجِي وَعَلَى أُمَّتِي حِفْظُ جِيرَانِي فِيهَا، مَنْ حَفِظَ وَصِيَّتِي كُنْتُ لهُ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ ضَيَّعَهَا أَوْرَدَهُ اللهُ حَوْضَ الْخَبَالِ، قِيلَ: وَمَا حَوْضُ الْخَبَالِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: حَوْضٌ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ))**[8].

وَلِابْنِ زَبَالَة حَدِيثٌ: **((إِنَّ اللهَ جَعَلَ المدِينَةَ مُهَاجَرِي وَبِهَا مَضْجَعِي وَمِنْهَا مَبْعَثِي، فَحَقٌّ عَلَى أُمَّتِي حِفْظُ جِيرَانِي مَا اجْتَنَبُوا الْكَبَائِرَ، فَمَنْ حَفِظَ فِيهِم حرْمَتِي كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ**

---

(1) الاستيعاب، ابن عبد البر، 162/1، وفيه: بسر بن أرطأة.

(2) (م، س)، 161/1.

(3) المعجم الكبير، حدِيث (6631) وفيه: ((من أخاف أهل المدينة أخافه الله)) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص30.

(4) الدرة الثمينة في أخبار المدينة، ابن النَّجَّار ص77.

(5) في الأصْلِ: قلنا.

(6) سبق تخريجه المعجم الكبير، الطبراني، حدِيث (470).

(7) قالَ د.قاسم السامرائِي هو عَلِيّ بن أَحْمد بن جَعْفَر الْهَاشِمِي الْجَعْفَرِي القوصي نزيل أخميم، تفقه بالشيخ ابْن دَقِيق الْعِيد، ت: 701هـ. وفاء الوفا، السمهودِي، 124/1، وينظر ترجمته فِي الدرر الكامنة، ابن حجر، 11/3.

(8) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص30.

ضَيَّعَ فِيهِمْ حُرْمَتِي أَوْرَدَهُ اللهُ حَوْضَ الْخَبَالِ، وَكُنْتُ عَلَيْهِ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[1].

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ: **((المدِينَةُ مُهَاجَرِي وَبِهَا وَفَاتِي وَمِنْهَا مَحْشَرِي، وَحَقِيقٌ عَلَى أُمَّتِي أَنْ يَحْفَظُوا جِيرَانِي مَا اجْتَنَبُوا الْكَبَائِرَ، وَمَنْ حَفِظَ فِيهِمْ حُرْمَتِي كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا أَوْ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ))**[2].

قَالَ عِيَاض فِي "مَدَارِكِهِ": قَالَ محمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ[3]: سَمِعْتُ مَالِكا يَقُولُ دَخَلْتُ عَلَى المهْدِيِّ[4] فَقَالَ: أَوْصِنِي، فَقُلْتُ: أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ وَحْدَهُ، وَالعَطْفِ عَلَى أَهْلِ بَلَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَجِيرَانِهِ، فَإِنَّهُ بَلَغَنَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **((المدِينَةُ مُهَاجَرِي وَمِنْهَا مَبْعَثِي وَبِهَا قَبْرِي وَأَهْلُهَا جِيرَانِي وَحَقِيقٌ عَلَى أُمَّتِي حِفْظُ جِيرَانِي، فَمَنْ حَفِظَهُم فِيَّ كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا وَشَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يَحْفَظْ وَصِيَّتِي فِي جِيرَانِي سَقَاهُ اللهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ))**[5].

وَقَالَ مُصْعَب[6]: لَمَّا قَدِمَ المهْدِيُّ المدِينَةَ اسْتَقْبَلَهُ مَالِكٌ وَغَيْرُهُ مِنْ أَشْرَافِهَا عَلَى أَمْيَالٍ، فَلَمَّا بَصَرَ بِمَالِكٍ انْحَرَفَ المهدِيّ إِلَيْهِ وَعَانَقَهُ وَسَايَرَهُ، فَالتَفَتَ إِلَيْهِ مَالِكٌ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ المؤْمِنِينَ إِنَّكَ تَدْخُلُ الآنَ المدِينَةَ فَتَمُرُّ بِقَوْمٍ عَنْ يَمِينِكَ وَيَسَارِكَ، وَهُمْ أَوْلَادُ المهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِم فَإِنَّهُ مَا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ قَوْمٌ خَيْرٌ مِنْ أَهْلِ المدِينَةِ، وَلَا خَيْرٌ مِن المدينَةِ، قَالَ: وَمِنْ أَيْنَ قُلْتَ ذَلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ؟ فَقَالَ: لِأَنَّهُ لَا يُعْرَفُ قَبْرُ نَبِيءٍ اليَوْمَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ غَيْرُ قَبْرِ محمَّدٍ ﷺ وَمَنْ كَانَ قَبْرُ محمَّدٍ ﷺ [24و] عِنْدَهُمْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْرَفَ فَضْلُهُمْ، فَفَعَلَ المهْدِيُّ مَا أَمَرَهُ بِهِ[7].

وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى التَّفْضِيلِ بِمُجَاوَرَةِ قَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ، وَقَدْ قَال: **((مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ))**[8] وَلَمْ يَخُصَّ جَارًا دُونَ جَارٍ. وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذَا الفَضْلَ لَمْ يرْتَبْ فِي تَفْضِيلِ سُكْنَى المدِينَةِ عَلَى مَكَّةَ، مَعَ تَسْلِيمِ مَزِيدِ المضَاعَفَةِ لِمَكَّةَ، فَتِلْكَ لَهَا مَزِيدُ العَدَدِ وَلِهَذِهِ تضَاعَفُ البَرَكَة وَالمدَد، وَلِتِلْكَ جِوَارُ بَيْتِ

---

(1) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص30، العبارة الأخيرة: "وَكُنْتُ عَلَيْهِ شَهِيداً يَوْمَ الْقِيَامَةِ" ليست في خلاصة الوفا ولا في وفاء الوفا.

(2) (م، س)، ص30.

(3) زيادة كلمة "يقول" وليست في محلها.

(4) قال د.قاسم السامرائي: هو الخليفة المهدِيّ بن المنصور العباسِي، ت:169هـ. وفاء الوفا، السمهودِي، 124/1. ولم أجد ما يثبت ذلك، وفي الخبر الثاني تصريح بأنه الخليفة المهدِي، وقد نقل السمهودِي الخبرين من ترتيب المدارك للقاضي عياض من جزئين مختلفين.

(5) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القَاضِي عياض، 36/1.

(6) ربما هو مصعب الزبيرِي، ولم أجد من نقل هذا النص إلَّا من عند القاضي عياض في ترتيب المدارك، كسبل الهدى والرشاد، الشَّامِي، 448/3، ولم يذكروا لقب مصعب.

(7) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القَاضِي عياض، 102/2.

(8) صحيح البخارِي حدِيث (6015).

اللهِ، وَلِهَذِهِ جِوارُ حَبِيبِ اللهِ وَأَكْرَمِ الخَلْقِ عَلَى اللهِ[1].

وَقَالَ أَبُو بَكْر بنُ حَمَّاد أَنَّهُ سَأَلَ أَبَا عَبْدِ اللهِ، يَعْنِي ابنَ حَنْبَل، أَيْنَ تَرَى السُّكْنَى أَفْضَلُ؟ مَكَّةُ أَو المدِينَةُ؟ قَالَ: المدِينَةُ لِمَنْ صَبَرَ عَلَيْهَا، وَفِي رِوَايَةٍ: المدِينَةُ لِمَنْ قَوِيَ عَلَيْهَا. قِيلَ لَهُ: لِمَ؟ قَالَ: لِأَنَّ بِهَا خَيْرَ المرْسَلِينَ. وَاخْتِيَارُ سُكْنَى المدِينَةِ هُوَ المعْرُوفُ مِنْ حَالِ السَّلَفِ[2].

وَكَانَ الشَّعْبيُّ يَكْرَهُ المقَامَ بِمَكَّةَ، وَيَقُولُ: هِيَ دَارٌ أَعْرَابِيَّةٌ، هَاجَرَ مِنْهَا رُسولُ اللهِ ﷺ[3].

وذَكَرَ بَعْضٌ: لَأَنْ أَنْزِلَ دَوْرَانَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَنْزِلَ مَكَّةَ. وَدَوْرَانُ: جَبَلٌ عِنْدَ طَرَفِ قدِيد[4].

وَفِي "مُصَنَّفِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ": "كَانَ الصَّحَابةُ يَحُجُّونَ ثُمَّ يَرْجِعُونَ، وَيَعْتَمِرُونَ ثُمَّ يَرجِعُونَ إِلَى المدِينَةِ وَلَا يُجَاوِرُونَ"[5].

وَلَمْ يَقُل السَّلَفُ بِكَرَاهَةِ المجَاوَرَةِ بِالمدِينَةِ، وَاخْتَلَفُوا فِي كَرَاهَةِ الجِوَارِ بِالمدِينَةِ، وَاقْتَضَى كَلَامُ النَّوَوِي حِكَايَةَ الخِلَافِ فِيهِمَا لِعِلَّةِ خَوْفِ الملَلِ، وقِلَّةِ الحُرْمَةِ لِلأُنسِ وَخَوْفِ مُلَابَسَة الذُّنُوبِ. قَالَ: وَالمخْتَارُ اسْتِحْبَابُ المجَاوَرَةِ بِهِمَا، إِلَّا أَنْ يَغْلِبَ عَلَى ظَنِّهِ الوُقُوعُ فِيمَا ذكر[6].

وَفِي "الأَوْسَطِ لِلطَّبَرَانِي" حَدِيثُ: ((**مَنْ غَابَ عَنِ المدِينَةِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ جَاءَهَا وَقَلْبُهُ مُشَرَّبٌ جَفْوَةً**))[7]. وَاللهُ أَعْلَمُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

35 تَنَوَّرْ بِهَا وَاقْصِدْ بِذُلٍّ فَإِنَّهَا تُقِيلُ بَنِي الزَّلَّاتِ مِنْ حَرِّ نِيرَانِ

انْظُرْ إِلَيْهَا وَاقْصِدْهَا مُلْتَبِسًا بِخُضُوعٍ لَهَا، لِأَجْلِ نَبِيءِ اللهِ فِيهَا، وَذَلِكَ لِأَنَّها تُقِيلُ أَصْحَابَ الذُّنُوبِ مِنِ حَرِّ النَّارِ، بَل اقْرُبْ مِنْهَا حَتَّى تَرَى نَارَ أَهْلِهَا التِي يُشْعِلُونَ لِمَصَالِحِهِمْ لِتَدْخُلَهَا.

وَاقْصِدْهَا مُتَذَلِّلًا لِأَنَّهَا تُبْعِدُ المذْنِبِينَ مِنَ النَّارِ، إِذَا تَابُوا وَقَصَدُوهَا تَبَرُّكًا بِمَنْ فِيهَا وَمِنْبرِهِ وَالرَّوْضةِ وَمَآثِرِهِ ﷺ.

فَـ"تَنَوَّرْ بِهَا": تَبَصَّرْ بِهَا، أَو انْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّ مِنْ شَأْنِ مَنْ يَرَى نَارَ قَوْمٍ أَنْ يَكُونَ قَرِيبَ المسَافَةِ، وَمِنْ شَأْنِ قُرْبِهَا أَنْ يَرَى نَارَهُمْ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ المرَادُ: اسْتَضِئْ بِهَا فَيَكُونَ تَوْرِيَةً، فَإِنَّ هَذَا مَعْنًى بَعِيدٌ فِي عُرْفِهِمْ لِهَذَا اللَّفْظِ، وَالقَرِيبُ مَا مَرَّ.

---

(1) خلاصة الوفا، السَّمهودِي، ص31.

(2) (م، س)، ص31. لم أجد ممن نقل النص غير السمهودِي في خلاصة الوفا، ولم ينقله في وفاء الوفا، لذلك لم أتعرف الأعلام الواردة في النص.

(3) (م، س)، ص31.

(4) (م، س)، ص32.

(5) مصنف عبد الرزاق، حدِيث (8845).

(6) المنهاج، النووي، ص858.

(7) المعجم الأوسَط، الطبراني، حدِيث (876).

و"بِذُلٍّ": حَالٌ [24ظ] وَالبَاءُ لِلصُّحْبَةِ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحْذُوفٍ جَوَازًا؛ أَيْ: مُقْتَرِنًا بِذُلٍّ، أَوْ مُصْطَحِبًا بِهِ، أَوْ وُجُوبًا؛ أَيْ: ثَابِتًا مَعَ ذُلٍّ. وَالفَاءُ لِلتَّعْلِيلِ.

وَ"تُقِيلُ": بِمَعْنَى تُسَامِحُ أَوْ تُبْعِدُ، وَذَلِكَ مِنَ الإِسْنَادِ إِلَى المحَلِّ، لِأَنَّهُ مَحَلُّ السَّبَبِ، وَالحَقِيقَةُ أَنَّ اللهَ يُقِيلُ مَنْ فِيهَا بِسَبَبِ تَوبَتِهِمْ.

وَ"بَنِي": بِمَعْنَى أَصْحَاب؛ فَإِنَّ مِنْ شَأْنِ الابْنِ مُلَازَمَةَ الأَبِ وَالأُمِّ؛ فَأَصْحَابُ الزَّلَّاتِ فِي مُلَازَمَتِهِمْ إِيَّاهَا كَالأَوْلَادِ فِي مُلَازَمَتِهِمْ الآبَاءَ وَالأُمَّهَاتِ. فَأَعَارَ بَنِي لِأَصْحَابِ، وَالقَرِينَةُ: الزَّلَّاتُ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ شَبَّهَهُمْ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِمْ بِمَنَ وَلَدَتْهُ الزَّلَّاتُ، لَوْ كَانَ فَهَذَا تَخْيِيلٌ. وَشَبَّهَ الزَّلَّاتِ بِالأُمَّهَاتِ وَرَمَزَ إِلَى ذَلِكَ بِإِثْبَاتِ الأَبْنَاءِ.

وَجَمَعَ النَّارَ؛ لِأَنَّ لِكُلِّ شَقِيٍّ جُزْءًا مِنَ النَّارِ هُوَ نَارٌ، بَلْ لِكُلِّ وَاحِدٍ نِيرَانٌ، فَإِنَّ النَّارَ الْوَاحِدَةَ لَهَا أَجْزَاءٌ كُلُّ جُزْءٍ هُوَ نَارٌ، وَأَيْضًا تَتَّقِدُ مِنْهُ نِيرَانٌ مُتَعَاقِبَةٌ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

36 وَإِنْ لم تَكُنْ أَهْلًا لِلَثْمِ تُرَابِهَا فَمِنْ شَأْنِهَا الإِغْضَاءُ عَنْ كُلِّ كَسْلَانِ

إِنْ دَخَلْتَهَا وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى الاِجْتِهادِ الأَقْصَى الشَّبِيهِ فِي الشِّدَّةِ بِتَقْبِيلِ التُّرابِ، أو الاِجْتِهادِ الأَقْصَى المتَوَلِّدِ مِنهُ أَنْ تُقَبِّلَ تُرَابَها، لمزِيدِ الحُبِّ أَقَالَتْ زَلَّاتِكَ أَيْضًا؛ لِأَنَّ مِنْ شَأْنِها الصَّفْحَ عَنْ كُلِّ كَسْلَانٍ عَنِ الطَّاعَةِ الْقَوِيَّةِ مُقْتَصِرٍ علَى الضَّعيفَةِ.

و"اللَّثْمُ": التَّقْبِيلُ. و"الْإِغْضَاءُ": الصَّفْحُ؛ وذَلِكَ أَنَّ الدِّرْهَمَ فِيهَا بعَشْرَةِ آلافِ دِرْهَمٍ، والرَّكْعَة بعَشْرَةِ آلَافِ رَكْعَةٍ، وهَكَذا. والفَاءُ داخِلَةٌ علَى عِلَّةِ الْجَوَابِ المقَدَّرِ كَمَا رأَيْتَ. ولَا يَخْفَى أَنَّهُ حيْثُ يُضَاعَفُ الأَجْرُ يَعْظُمُ عِقَابُ الذَّنْبِ، وكذَا الزَّمانُ. ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

37 وَإِنْ لم تَكُنْ حَصَّلْتَ زَادًا مِنَ التَّقْوَى فَزَادُ التُّقَى يَفِي بِأَفْضَلِ أَوْطَانِ

وَإِنْ لم تَكُنْ حَصَّلْتَ زَادًا مِنَ التَّقْوَى، قَبْلَ دُخُولِ المدِينَةِ ولَا بَعْدَهَا، فَلَا بَأْسَ علَيْكَ لِأَنَّهُ بِالمدَاوَمَةِ والإِلْحَاحِ فِيهَا يكُونُ لَكَ زَادٌ وَافِيًا. "فَابْقَ فِيهَا مُلِحًّا، أَوْ إِن اخْتَرَمَكَ الموْتُ كُفِيتَ الموْتَ بقَصْدِكَ إِلَيْها تَائِبًا، وقَدْ تَنَصَّلْتَ مِنْ تِبَاعَةِ الخَلْقِ"[1].

فقَولُهُ: "زادُ التُّقَى" عِلَّةٌ نَابَتْ عَنِ الْجَوَابِ. و"يَفِي": مضارِعٌ مِنَ الوَفَاءِ أيْ: زادُ التُّقَى يكُونُ وَافِيًا بأَفْضَلِ الأَوْطَانِ. وشَبَّه بعضَ التَّقْوَى بطَعَامِ المسَافِرِ وشَرَابِهِ، وأَعَارَ لفْظَ "زَاد" لِجَامِعِ التَّوَصُّلِ إِلَى مُرَادٍ. و"مِن": لِلتَّبعِيضِ، ويَجُوزُ أن يَكُونَ لِلْبَيَان، وعَلَى كُلِّ حَالٍ يكُونُ قولُه: "مِنَ التُّقَى" قَرِينَةً.

(1) العبارة أضافها المؤلّف على الهامِشِ.

وَإِضَافَةُ "زَاد" لِلتُّقَى بِمَعْنَى "مِن" التَّبْعِيضِيَّة أو البَيَانِيَّة، أو إِضافَةُ مُشَبَّهٍ لِلْمُشَبَّهِ بِهِ؛ أَيْ: فَالتُّقَى الذِي هُوَ كَالزَّادِ.

و"أَفْضَلِ أَوْطَانِ": المدِينَةُ أُظْهِر فِي مَوْضِعِ الإِضْمَارِ؛ لِيَصِفَهَا بِأَنَّهَا أَفْضَلُ الأَوْطَانِ، ومُقْتَضَى الظَّاهِرِ أنْ يقُولَ: يَفِي [25و] بِهَا.

وتَقَدَّمَ الْخِلَافُ فِي أَفْضَلِ الأَوْطَانِ، هُوَ مَكَّةُ أَمِ المدِينةُ. والنَّاظِمُ جَرَى عَلَى أَنَّ المدِينَةَ أَفْضَلُ.

وهُنَا فُصُولٌ: الْأَوَّلُ: فِي الدُّعَاءِ لَهَا ولِأَهْلِهَا وَعِصْمَتِهَا والثَّانِي فِي تُرَابِهَا وَثَمَرِهَا، والثَّالِثُ: فِي أَخْبَارِ سُكَّانِهَا إِلَى أَنْ حَلَّها النَّبِيءُ ﷺ، والرَّابِعُ: فِي مَنَازِلِ الْأَوْسِ والْخَزْرَجِ وحُرُوبِهِم.

الفَصْلُ الْأَوَّلُ: [فِي الدُّعاءِ لَهَا وَلِأَهْلِهَا وَعِصْمَتِهَا]

رَوَى البُخَارِي ومُسْلِم عنْهُ ﷺ: ((**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ**))[1]. ورَوَى رَزِينُ[2] والْجَنَدِي: ((**وَأَشَدُّ**)) بِالْوَاوِ[3]. وَقَدْ تَكَرَّرَ دُعَاؤُهُ ﷺ بِتَحْبِيبِ المدِينَة، والظَّاهِرُ أنَّ الْإِجَابَةَ حَصَلَتْ بِالْأَوَّلِ، وَالتَّكْرِيرُ لِطَلَبِ المزِيدِ[4] أَو لِلتَّحْصِيلِ، وَلَا يَدْرِي بِالْحُصُولِ، فَيَحْصُلُ لَهُ المزِيدُ وَالثَّوَابُ.

((**وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَنَظَرَ جُدُرَاتِها**[5])) وفِي رِوَايَةٍ: ((**دَوْحَاتِهَا**)) أيْ: كِبَارَ شَجَرِهَا. وفِي رِوَايَةٍ: ((**دَرَجَاتِهَا**)) أَيْ: طُرُقَهَا المرْتَفِعَةَ. ((**أَوْضَعَ رَاحِلَتَهُ**)) أَيْ: أَعْجَلَهَا. ((**وَإِنْ كَانَ عَلَى دَابَّة حَرَّكَهَا مِنْ حُبِّهَا**)) كَمَا ذَكَرَ الْبُخَارِيّ[6].

وفِي رِوَايَةٍ لابْنِ زَبَالَةَ: ((**تَبَاشُرًا بِالمدِينَةِ**)) وفي أُخْرَى: ((**كَانَ إِذَا أَقْبَلَ مِنْ مَكَّةَ وَكَانَ بِالْأُثَابَةِ**[7] **طَرَحَ رِدَاءَهُ عَنْ مِنْكَبِهِ، وقَالَ: هَذَا رَوَاحُ طَيْبَةَ**))[8].

وَذَكَرَ المحَامِلِي[9]: ((**أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ مِنْ أَسْفَارِهِ فَأَقْبَلَ عَلَى المدِينَةِ**

---

(1) صحيح البخاري، حدِيث (1889).

(2) رزين بن معاوية بن عمار أبو الحسن السرقسطي، جاور بمكة أعواماً وحدث بها عن عيسى بن أبي ذر الهروي، له تآليف منها: كتاب جمع فيه ما في الصحاح الخمسة والموطأ وكتاب في أخبار مكة، ت: 535 هـ. الديباج المذَهَّب، ابن فرحون، 366/1، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 713/1.

(3) فضائل المدينة، الجَنَدِي، ص20.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص32.

(5) في خلاصة الوفا: جدرانها، وفي صحيح البخارِي: جدرات.

(6) صحيح البخاري حدِيث (1886).

(7) صوابه: الأُثايَة، كما في وفاء الوفا، وقال ابن الجزرِي: الموضع المعروف بطريق الجحفة إلى مكَّة، وَبَعضُهُم يَكسِرُ همزَتَهَا. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الجزرِي، 24/1.

(8) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص32، وفيه: ((هَذِهِ أَرْوَاحُ طَيْبَةَ)).

(9) الْحُسَيْن بن إِسْمَاعِيل المحَامِلِيّ (نسبة إلى المحامل التي يحمل فيها الناس على الجمال إلى مكة) ت:330هـ، روى عَنهُ دعْلج وَالدَّارَقُطْنِيّ وَغيرهما، كَانَ فَاضلا ديّنا، ولي قَضَاء الْكُوفَة سِتِّينَ سنة. الوافي بالوفيات، الصفدِي، 211/12، وسير أعلام النبلاء، الذهبِي، 258/15.

يَسِيرُ أَتَمَّ السَّيْر، وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَنَا بِهَا قَرَارًا وَرِزْقًا حَسَنًا))[1].

وفي الصَّحِيحَيْنِ: ((**اللَّهُمَّ [اجْعَلْ] بِالمدِينَةِ ضِعْفَيْ مَا جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنَ الْبَرَكَةِ**))[2].

وَفِيهِمَا أَيْضًا: ((**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مِكْيَالِهِمْ، وَبَارِكْ لَهُمْ فِي صَاعِهِمْ، وَبَارِكْ لَهُمْ فِي مُدِّهِمْ**))[3] وهَذِهِ البَرَكَةُ دُنْيَوِيَّةٌ وأُخْرَوِيَّةٌ، ومَحْسُوسٌ عِندَ مَنْ سَكَنَهَا أَنَّهُ يكْفِي فِيهَا المدُّ مَا لَا يَكْفِي فِي غَيْرِهَا، فَبِسُكْنَاهَا يَزِيدُ فِي الْإِيمَانِ[4].

وذَكَرَ مُسْلِم عَنهُ ﷺ: ((**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لنَا فِي مُدِّنَا، اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَعَ الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ**))[5] وذكَرَ مُسْلِم أيْضًا عنهُ ﷺ: ((**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي تَمْرِنَا وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَبَارِكْ لنَا فِي مُدِّنَا، اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَنَا عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنَّهُ دَعَاكَ لمكَّةَ، وَأَنَا أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا دَعَا لمكَّةَ وَمِثْلِهِ مَعَهُ**))[6].

وذَكَرَ مُسْلِم وَالتِّرمِذِي: كَانَ النَّاسُ إِذَا رَأَوْا أَوَّلَ الثَّمَرَةِ جَاؤُوا بِهِ إِلَى النَّبِيءِ ﷺ فَإِذَا أَخَذَهُ قَالَ: ((**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا** [25ظ] **وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا**))[7] إلخ وَهُوَ يَقْتَضِي تَكْرَارَ الدُّعَاءِ بِتَكْرِيرِ مَجِيءِ أَوَّلِ الثَّمَرَ[8].

وذَكَرَ الطَّبَرَانِي فِي "الْأَوْسَطِ" عَن ابْنِ عُمَر: أَنَّهُ صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ الْفَجْرَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ، ثُمَّ قَالَ: ((**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا**))[9] الحَدِيث. وكَذَا ذَكَرَ فِي "الْكَبِيرِ" عَن ابْنِ عَبَّاس[10].

وذَكَرَ التِّرْمِذِي، وقَالَ حَسَنٌ صَحِيحٌ: عَن عَلِيّ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِحَرَّةِ السُّقْيَا، التِي كَانَتْ لِسَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاص، فَقَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: ((**ايتُونِي بِوضُوءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قَامَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ، دَعَاكَ لِأَهْلِ مَكَّةَ بِالْبَرَكَةِ، وَأَنا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ أَدْعُوكَ لِأَهْلِ المدِينَةِ أَنْ تُبَارِكَ لَهُمْ فِي مُدِّهِمْ وَصَاعِهِمْ مِثْلَيْ مَا بَارَكْتَ لِأَهْلِ مَكَّةَ مَعَ**

---

(1) الدعاء، المحاملِي، ص200، وفيه:((...فأشرفَ على المدينة يُسرِعُ السَّيْر...)).

(2) صحيح البخاري، حدِيث (1885) وصحيح مسلم حدِيث (466). وفيه: ((**اللَّهُمَّ اجْعَلْ**)).

(3) صحيح البخاري، حدِيث (2130) وصحيح مسلم حدِيث (465).

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص33.

(5) صحيح مسلم حدِيث (475).

(6) صحيح مسلم حدِيث (473).

(7) صحيح مسلم حدِيث (473) وسنن الترمذِي حدِيث (3454).

(8) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص33.

(9) المعجم الأوسَط، الطبرانِي حدِيث (4098).

(10) المعجم الكبِير، الطبرانِي حدِيث (12553).

البَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ))[1] وكَذَا رَوَاهُ ابْنُ شَبَّةَ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: فَلَمَّا تَوَضَّأَ كَبَّرَ[2]. وفِيهِ أَنَّ المدْعُوَّ بِهِ لِأَهْلِ المدِينَةِ أَضْعَافُ مَا لِأَهْلِ مَكَّةَ مِنَ البَرَكَةِ[3].

ولابْنِ زَبَالَة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيءَ ﷺ خرَجَ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ المدِينَةِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ، فاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ ورَفَعَ يَديْهِ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى بَياضَ مَا تَحْتَ منْكِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: **((اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ نَبِيئُكَ وَخَلِيلُكَ دَعاكَ لِأَهْلِ مَكَّةَ، وَأَنَا نَبِيئُكَ وَرَسُولُكَ أَدْعُوكَ لِأَهْلِ المدِينَةِ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مُدِّهِمْ وَصَاعِهِمْ وَقَلِيلِهِمْ وَكَثِيرِهِمْ ضِعْفَيْ مَا بَارَكْتَ لِأَهْلِ مَكَّةَ، اللَّهُمَّ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا وَهَاهُنَا، حَتَّى أَشَارَ إِلَى نَوَاحِي الأَرْضِ كُلِّهَا، اللَّهُمَّ مَنْ أَرَادَهُمْ بِسُوءٍ فَأَذِبْهُ كَمَا يَذُوبُ الملْحُ فِي الماءِ))**[4].

وَذَكَرَ أَحْمَدُ: عَن أَبِي قَتَادَةَ أَنَّ النَّبيءَ ﷺ صَلَّى بأَرْضِ سَعْدٍ بِأَرْضِ الحَرَّةِ مِن بيوت السّقْيا، ثُمَّ قَالَ: **((اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلكَ وَعَبْدكَ وَنَبِيئكَ، دَعَاكَ لِأَهْلِ مَكَّةَ، وَأَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ أَدْعُوكَ لِأَهْلِ المدِينَةِ مِثْلَيْ مَا دَعَاكَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ لمكَّةَ، نَدْعُوكَ أَنْ تُبَارِكَ لَهُمْ فِي صَاعِهِمْ وَمُدِّهِمْ وَثِمَارِهِم. اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ، وَاجْعَلْ مَا بِهَا مِنْ وَبَاءٍ بِخُمّ))**[5].

وذَكَرَ الْجَنَدِي عنهُ ﷺ: **((اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدّ، وَصَحِّحْهَا لَنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّهَا وَصَاعِهَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا وَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ))**[6].

وذَكَرَ ابْنُ زَبَالَةَ مِنْ حَدِيثِ قُدُومِهِ ﷺ ووَعْكِ أَصْحَابِهِ أَنَّهُ جَلَسَ علَى المنْبَرِ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: **((اللَّهُمَّ انْقُلْ عَنَّا الْوَبَاءَ، وَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ: أتيتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ بِالْحُمَّى، فَإِذَا بِعَجُوزٍ سَوْدَاءَ مُلَبَّبَةٍ فِي يَدِ الذِي جَاءَ بِهَا، فَقَالَ: هَذِهِ الحُمَّى فَمَا تَرَى فِيهَا؟ فَقُلْتُ: [26و] اجْعَلُوهَا بِخُمّ))**[7].

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ أَنَّهُ: ﷺ أَمَرَ عائِشَةَ بِالذَّهَابِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ومَوْلَيَيْهِ، فَرَجَعَتْ فَأَخْبَرَتْهُ فَكَرِهَ إِلَى[8] ذَلِكَ ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بَقِيعِ الْخَيْلِ[9]، وهُوَ سُوقُ المدِينَةِ، فَقَامَ فِيهِ ووَجْهُهُ إِلَى الْقِبْلَةِ فَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى اللهِ فَقَالَ: **((اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ وَأَشَدَّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأَهْلِ المدِينَةِ فِي سُوقِهِمْ، وَبَارِكْ**

---

(1) سنن الترمذِي، حدِيث (3914).

(2) ذكره ابن شبَّة في كتاب: أخبار مكة، كما في وفاء الوفا، 133/1.

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص34.

(4) (م، س)، ص34.

(5) مسند أحمد، حدِيث (22630).

(6) فضائل المدينة، الجندِي، ص20.

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص35.

(8) إلى زائدة.

(9) بقيع الخيل: موضع بالمدينة عند دار زيد بن ثابت دفن به عامة قتلى أحد. معجم البلدان، الحموِي 413/2.

لَهُمْ فِي صَاعِهِمْ، وَبَارِكْ لَهُمْ فِي مُدِّهِم، اللَّهُمَّ انْقُلْ مَا كَانَ بِالمدِينَةِ مِنْ حُمَّى إِلَى مَهْيَعَة))[1].

وَذَكَرَ مُسْلِم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنْهَا، قَدِمْنَا المدِينَةَ وَهِيَ غَرِيبَةٌ فَاشْتَكَى أَبُو بَكْرٍ واشْتَكَى بِلَالٌ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يشْتَكِي أَصْحَابُهُ فِيهَا، قَالَ: ((**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ مَكَّةَ وَأَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّهَا وَصَاعِهَا، وَحَوِّلْ حُمَّاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ**))[2].

وَذَكَرَ الْبُخَارِي أَنَّهُ لمّا قَدِم رَسُولُ اللهِ ﷺ المدِينَةَ وَعِكَ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَال رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَّى يَقُولُ:

كُلُّ امْـــــــــرِئٍ مُصَـــــبَّحٌ فِي أَهْلِهِ ... وَالـــــــمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِـــرَاكِ نَعْلِـهِ[3]

وَكَانَ بِلَالٌ إِذَا أَقْلَعَ عَنْهُ يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ ويَقُولُ:

أَلَا لَيْـتَ شِـــعْرِي هَـلْ أَبِيتَنَّ لَيْـلَـةً ... بِـوَادٍ وَحَـوْلِـي إِذْخِـرٌ وَجَـلِـيـلُ[4]

وَهَلْ أَرِدَنَّ يَوْمًا مِيَاهَ مجَـــــــــــنَّـــــةٍ ... وَهَـلْ يَبْـدُوَنَّ لِي شَـــامـةٌ وَطفِيـلُ[5]

اللَّهُمَّ الْعَنْ شَيْبَةَ بنَ رَبِيعَةَ [وعقبة بن ربيعة][6] وَأُمَيَّةَ بنَ خَلَفٍ كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى أَرْضِ الْوَبَاءِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ وَأَشَدَّ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَمُدِّنَا وَصَحِّحْهَا لَنَا وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الْجُحفَةِ**)) قَالَتْ: وَقَدِمْنَا المدِينَةَ وَهِيَ أَوْبَى[7] أَرْضِ اللهِ، وَكَانَ بُطْحَانُ[8] يَجْرِي مَاءً مُتَغَيِّرَ الرِّيحِ ضَعِيفًا[9].

وذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاق: أَنَّهُ لمّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المدِينَةَ، قَدِمَهَا وَهِيَ أَوْبَى أَرْضِ اللهِ مِن الْحُمَّى، فأَصَابَ أَصْحَابَهُ مِنْهَا بَلَاءٌ وسَقَمٌ، وصَرَفَهُ اللهُ عَنْ نَبِيئِهِ ﷺ. قَالَتْ: وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعَامِرُ بنُ فهَيْرَةَ وبِلَال مَوْلَيَيْنِ لِأَبِي بَكْرٍ مَعَهُ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ فَأَصَابَتْهُم الْحُمَّى، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِم أَعُودُهُمْ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ الْحِجَابُ، وَبِهِمْ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ مِنْ شِدَّة الْوَعْكِ، فدَنَوْتُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ، فقُلْتُ: كَيْفَ

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص35.

(2) صحيح مسلِم، حدِيث (480).

(3) البيت من الرَّجز، لِحَكيم بن الْحَارِث، قاله يوم الوقِيطِ يوم تجمعت قَيْس وتيم اللَّه ابنا ثَعْلَبَة بْن عُكابة ليغيروا على بني تميم، وقد قُتل في ذلك اليوم. جمل من أنساب الأشراف، البلاذرِي، 133/12، ومصَبَّحٌ: أي مَأْتيٌّ بالموت صباحاً لكونه فيهم وقتئذ، ويوم الصَّباح يوم الغارة، ينظر: لسان العرب، ابن منظور (صبح).

(4) البيتان من الطوِيل.

الإِذْخِرُ: حشيش طَيِّب الرِّيح واحدتها إِذْخِرَة، الجليلُ: نبت ضعيف يحشى به خَصاص البيوت واحدته جليلة. لسان العرب، ابن منظور (ذخر) و(جلل).

(5) مَجَنَّة: موضع بأَسفل مكة على أَميال وكان يُقام بها للعرب سُوق. شامة وطفيل: جبلان مُشْرِفانِ، وقيل عينان. لسان العرب، ابن منظور (مجن) و(شيم).

(6) في صحيح البخارِي وخلاصة الوفا: عتبة.

(7) في خلاصة الوفا وصحيح البخارِي: أوبأ.

(8) بطحان: واد بالمدينة. معجم البلدان، الحموِي، 446/1.

(9) صحيح البخارِي، حدِيث (1889).

تَجِدُكَ؟ فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدُكَ؟[1] فقَالَ: كُلُّ امْرِئٍ الْبَيْتَ. فقُلْتُ: وَاللهِ مَا يَدْرِي أَبِي مَا يَقُولُ. ثُمَّ دَنَوْتُ إِلَى عَامِر بنِ فُهَيْرَةَ فَقُلْتُ: كَيْفَ تَجِدُك؟ فَقَال:

لَقَـدْ وَجَـدْتُ الـــــمَوْتَ قَبْـلَ ذَوْقِـهِ إِنَّ الـجـبَـانَ حَـتْـفُـهُ مِـنْ فَـوْقِـهِ[2]

كُـلُّ امْـرِئٍ مُـجـاهِـدٌ بِـطَـوْقِـهِ [26ظ] كَـالثَّوْرِ يَحْمِي جِلْـدَهُ بِرَوْقِـهِ[3]

قَالَتْ: فَقُلْتُ مَا يَدْرِي عَامِر مَا يَقُولُ، وَكَانَ بِلَال إِذَا تَرَكَتْهُ الْحُمَّى اضْطَجَعَ بِفِنَاءِ الْبَيْتِ وذَكَرَ مَا سَبَقَ[4].

وذَكَرَ ابْنُ زَبَالَةَ: أَنَّهُ لمّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المدِينةَ وَعَكَ أَصْحابُهُ، فَخَرَجَ يَعودُ أبَا بَكْرٍ فوَجَدَهُ يهْجُرُ[5]، فقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ: لقَدْ لَقِيتُ الموْتَ، البَيْت. فخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، فَدَخَل عَلَى بِلَال فَوَجَدَهُ يَهْجُرُ ويَقُولُ: أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَل الْبَيْتَيْن. وَدَخَلَ عَلَى أَبِي أَحْمد بنِ جَحْشٍ فَوَجَدَهُ مُوعكًا، وَلَمَّا جَلَسَ إِلَيهِ قالَ:

وَاحَبَّذَ مَكَّةُ مِنْ وَادِي

أَرْضٌ بِهَا يَكْثُرُ عُوَّادِي

أَرْضٌ تُضْرَبُ بِهَا أَوْتَادِي

أَرْضٌ بِهَا أَهْلِي وَأَوْلَادِي

أَرْضٌ بِهَا أَمْشِي بِلَا هَادِي [6]

فَخَرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ فَدَعَا أَنْ يُنْقَلَ الوَبَاءُ مِنَ المدِينَةِ، فَيَجْعَلَهُ بِخُمٍّ[7]. وخُمٌّ كَمَا سَيَأْتِي قُرْبَ الْجُحْفَة، وهِيَ مَهْيَعَة، وإِنَّمَا دَعَا ﷺ بنَقْلِ الحُمَّى إِلَى الْجُحْفَة[8] إِلَيْها لِأَنَّهَا كَانَتْ دَارَ شِرْكٍ، ولَمْ تَزَلْ مِن يَومَئِذٍ أَكْثَرَ بِلادِ اللهِ حُمَّى[9].

قالَ بعضُهُم: وإِنَّهُ لَيُتَّقَى شُربُ الماءِ مِنْ عَيْنِهَا التِي يُقالُ لَهَا عَيْنُ خُمّ، فقَلَّ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا إِلَّا

---

(1) عبارة: فَقَالَ: كيف تجدك؟ عبارة زائدة.

(2) البيتان من الرَّجز، نسبَهما الهروِي لعمرو بن أمامة، وقال: معناه أنَّ حذره وجبنه ليس بدافع عنه المنية إذا نزل به قدر الله. الأمثال، ابن سلَّام، ص316.

(3) الطَّوق: مصدر من الطاقة، أي بقدر طاقتِهِ، والرَّوق: القَرْن من كلّ ذي قَرن. لسان العرب (طوق) (روق).

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص36، والخبر في سيرة ابن هشام، 588/1-589.

(5) الهُجر: الهذيان. مقاييس اللغة (هجر).

(6) من مشطور الرَّجز، وفاء الوفا، السمهودِي، 138/1. وجمل من أنساب الأشراف، 227/1. وينظَر: الإصابة، 11/12، وقد ذكرَ أنّهُ من الهزج، زِيدتْ فِيه تفعِيلة في أوَّلِهِ "أرضٌ" فأصبحَ مخزوما (لا يعتدُّ بالتَّفعِيلة الزّائدة) والخزم عند العروضيين هو زيادة ما دون خمسة أحرف أول البيت من أي بحر من الأبحر، وقد يقع في أول الشطر الثاني، وهو أيضا غير لازم. ينظر: تيسير علم العروض والقوافي، ذ.محمد بن عبدالعزيز الدباغ، ص41.

(7) خمّ: اسم موضع غدير بين مكة والمدينة بالجحفة. معجم البلدان، الحموِي، 389/2.

(8) إِلَى الْجُحْفَة، عبارة زائدة.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص37. هذا الخبرُ لم أقفْ عليهِ في كتب السِّيَر.

حُمَّ فِي الحَالِ[1].

وذَكَرَ البَيْهَقِيّ عنْ هِشَام بنِ عُرْوَةَ فِي الْحَدِيثِ السَّابِقِ: أَنَّهُ كَانَ المَوْلُودُ يُولَدُ بِالْجُحْفَةِ فَلَا يَبْلُغُ الْحُلمَ، حَتَّى تَصْرَعَهُ الْحُمَّى[2].

وذَكَرَ البَيْهَقِيّ: أَنَّهُ قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المدِينَةَ وهِيَ أَوْبَى أَرْضِ اللهِ، ووَادِيهَا بُطْحَانَ نَجْلٌ[3]يَجْرِي وعَلَيْهِ الْأَثْلُ[4]. ومَعْنَى نَجْلٌ: آسِن مُتَغَيِّرٌ. وكَانَ وَبَاهَا مَعْرُوفًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ. وكَانُوا إِذَا كَانَ الْوَادِي وَبِيًّا فَأَشْرَفَ عَلَيْهِ إِنْسَانٌ قِيلَ لَهُ: انْهَقْ نَهِيقَ الْحِمَارِ، فإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لم يَضُرَّهُ وَبَاءُ ذَلِكَ الْوَادِي[5].

وفِي خَبَرِ ثَنِيَّةِ الوَدَاعِ مَا يَقْتَضِي أَنَّ الدَّاخِلَ كَانَ يُعَشِّرُ بِهَا؛ أَيْ: يَنْهَقُ كَالْحِمَارِ عَشْرَةَ أَصْوَاتٍ فِي طَلْقٍ، وإِلَّا مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْها، حَتَّى قَدِمَ عُرْوَةُ بنُ الْوَرْدِ الْعَبْسِي وَلَمْ يُعَشِّرْ، فَتَرَكَ النَّاسُ. وتَحْوِيلُ هَذَا الْوَبَاءِ مِنْ أَعْظَمِ المعْجِزَاتِ[6].

وَذَكَرَ البُخَارِي مِنْ حَدِيث أَنَّهُ ﷺ قَالَ: ((**رَأَيْتُ امْرَأَةً سَوْدَاءَ ثَائِرَةَ الرَّأْسِ خَرَجَتْ مِن المدِينَةِ حَتَّى نَزَلَتْ مَهْيَعَةَ، فَتَأَوَّلَهَا أَنَّ وَبَاءَ المدِينَةِ نُقِلَ إِلَى مَهْيَعَة**))[7].

وذَكَرَ ابنُ زَبَالَةَ: ((**أَنَّهُ أَصْبَحَ رَسولُ ﷺ يَوْمًا فجَاءَهُ إِنْسَانٌ كَأَنَّهُ قَدِمَ مِن نَاحِيَةِ طَرِيقِ مَكَّةَ، فقَالَ لهُ النَّبيءُ ﷺ: هَلْ لَقِيتَ أَحَدًا؟ قَالَ: لَا، إِلَّا امْرَأَةً سَوْدَاءَ عرْيَانَةً ثَائِرَةَ الشَّعْرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: تِلْكَ الْحُمَّى وَلَنْ تَعُودَ بَعْدَ الْيَوْمِ أَبَدًا**))[8].

وذَكَرَ ابْنُ زَبَالَةَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: ((**أَصَحُّ المدِينَةِ مِنَ الحُمَّى مَا بَيْنَ حَرَّة قُرَيْظَةَ وَالْعربص**))[9].

وأَنَّهُ ﷺ [27و] قَالَ: ((**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المدِينَةَ وَانْقُلْ وَبَاهَا إِلَى مَهْيَعَةَ، [وَمَا بَقِيَ مِنْهُ فاجْعَلْهُ تَحْتَ ذَنَبِ مِشْعَطٍ[10]][11]**))[12].

---

(1) (م، س)، ص37.

(2) (م، س)، ص37، ودلائل النبوة، البيهَقِي، 568/2.

(3) استَنْجلَ الموضع، أَيْ: كثُر به النَّجْل وهو الماء يظهر من الأَرض. لسان العرب (نجل).

(4) الأَثْل: نبتٌ طُوَال في السماء مستطيل الخشب وخشبه جيد يحمل من القرى فتبنى عليه بيوت المدر. لسان العرب (أثل).

(5) دلائل النبوة، البيهقِي، 567/2.

(6) تاريخ المدينة، ابن شبَّة، 269/1.

(7) صحيح البخارِي، حدِيث (7038).

(8) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص37.

(9) لم أقفْ عليهِ بلفظِهِ في متون الحدِيث. خلاصة الوفا، السمهودِي، ص37. وفيه: ((...والعريض)). والعُرِيض: وادٍ بالمدِينة. ينظر: المغانم المطابة، ص260.

(10) مشعط: جبل أو موضع بالمدينة. المغانم المطابة، ص382.

(11) زيادة لم أقفْ عليها في متونِ الحدِيث.

(12) السنن الكبرى، النسائِي، حدِيث (7477).

وذكرَ أَيْضًا عنهُ ﷺ قال: ((**إِنْ كَانَ الْوَبَاءُ فِي شَيْءٍ مِنَ المدِينَةِ فَهُوَ فِي ظِلِّ مِشْعَط**))[1].

وهُوَ بِوَزْنِ مِرْفَق[2]، موْضِعٌ لِبَنِي جديلة[3] غَرْبِيَّ مَسْجِدِهِم قُرْبَ الْبَقِيعِ. وهَذَا يُوذِنُ بِبَقَاءِ شَيْءٍ مِنَ الْحُمَّى كَمَا هُوَ اليَوْمَ وقَبْلَ الْيَوْمِ، فالذِي نُقِلَ سُلْطَانُهَا، وأُعِيدَ الْخَفِيفُ مِنْهَا لِلتَّكْفِيرِ، لِرِوَايَةِ أَحْمَدَ وغَيْرِهِ عَنْ جَابِرِ بنِ عبْدِ اللهِ: ((**اسْتَأْذَنَتِ الْحُمَّى عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ: أُمُّ مِلْدَمٍ، فَأَمَرَ بِهَا إِلَى أَهْلِ قُبَاء، فَلَقوا مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، فَأَتَوْهُ، فَشَكَوْا ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا شِئْتُمْ، إِنْ شِئْتُمْ دَعَوْتُ اللهَ لِيَكْشِفَ عَنْكُمْ، وَإِنْ شِئْتُمْ تَكُنْ لَكُمْ طَهُورًا، قَالُوا: أَوَ تَفْعَلُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: فَدَعْهَا**))[4]. وفي رِوَايَةٍ: ((**وَإِنْ شِئْتُمْ تَرَكْتُمُوهَا وَأَسْقَطت بَقِيَّةَ ذُنُوبِكُمْ**))[5].

ورَوَى أَحْمَد أَنَّهُ ﷺ قَالَ: ((**أَتَانِي جِبْرِيلُ بِالْحُمَّى وَالطَّاعُونِ، وَأَرْسَلْتُ الطَّاعُونَ بِالشَّامِ، فَالطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِأُمَّتِي وَرَحْمَةٌ لَهُمْ وَرِجْزٌ عَلَى الْكُفَّارِ**))[6].

وَأَنَّ الموجُودَ مِنْهَا الْيَوْمَ لَيْسَ حُمَّى الْوَبَاءِ، بَلْ رَحْمَةُ رَبِّنَا وَدَعْوَةُ نَبِيئِنَا، لما رَوَى أَحْمَد أَنَّهُ؛ أَي: الطَّاعُونُ: ((**رَحْمَةُ رَبِّكُمْ وَدَعْوَةُ نَبِيئِكُمْ**))[7] رَوَاهُ شُرَحْبِيلُ بنُ حَسَنَة[8].

ورَوَى أَبُو قِلَابَةَ[9]: ((**أَنَّهُ ﷺ سَأَلَ رَبَّهُ ﷻ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتَهُ بِسنَةٍ، فَأُعْطِيَهَا، وَأَنْ لَا يُلْبِسَهُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضهمْ بَأْسَ بَعْضٍ، فَمَنَعَهُ فَقَالَ فِي دُعَائِهِ: فَحُمّىً إِذًا أَوْ طَاعُونًا**))[10] كَرَّرَهُ ثَلَاثًا؛ أَيْ: فَحُمَّى لِلْمَوْضِعِ الذِي عُصِمَ مِنَ الطَّاعونِ، فَتَضْعُفَ الْأَبْدَانُ عَنْ إِذَاقَةِ بَعْضِهِمْ بَأْسَ بَعْضٍ وَتُطَهِّرُهُم، وتَكُونَ حَظَّهُمْ مِنَ النَّارِ، وطَاعُونًا لِلْمَوْضِعِ الذِي لم يُعْصَمْ مِنْهُ. والْأَخِيرُ هُوَ الرَّاجِحُ عِنْدَ صاحِبِ "خُلَاصَةِ الْوَفَاءِ"[11].

وفِي الصَّحِيحَيْنِ وغَيْرِهِمَا: ((**عَلَى أَنْقَابِ المدِينَةِ مَلَائِكَةٌ يَحْرُسُونَهَا لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلَا**

---

(1) المغانم المطابة، الفيروزأبادِي، ص382.

(2) أيْ: مشعط بوزن مرفق.

(3) في خلاصة الوفا: هذيلة، وقال المحقِّق إنَّها حذَيْلة بالمهملة، وهُم في الأنصار، بنو معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار بن الخزرج، وهم رهط أُبَيّ بن كعب، وحُذَيْلة، أُمُّهم بنت مالك بن زيد. مختلف القبائل ومؤتلفها، ابن حبِيب، ص42.

(4) مسنَد أحمَد، حدِيث (14393).

(5) المعجَم الكبِير، الطبراني، حدِيث (6113).

(6) مسنَد أحمَد، حدِيث (20767) وفيه: ((ورجسٌ على الكافِر))، وخلاصة الوفا، السمهودِي، ص38 وفيه: ((ورجزٌ على الكافِرِين)).

(7) مسنَد أحمَد، حدِيث (17755).

(8) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص38.

(9) أبو قِلابَة عبد الله بنُ زَيْد: الجَرْمِي البَصرِي، قدم الشَّام، حدَّثَ عن ثابت بن الضَّحَّاك وعن أنَس، وحدَّثَ عنه ثابت البنَّاني وقتادة، ت:104هـ وقيل غير ذلك. سير أعلام النبلاء، الذَّهبِي، 474/4.

(10) مسنَد أحمَد، حدِيث (22136).

(11) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص39.

الدَّجَّالُ))[1].

وَفِي "صَحِيحِ الْبُخَارِي" وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ **((المدِينَةُ يَأْتِيهَا الدَّجَّالُ فَيَجِدُ الملَائِكَةَ يَحْرُسُونَهَا، فَلَا يَقْرَبُهَا الدَّجَّالُ وَلَا الطَّاعُونُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ))**[2].

وَقَوْلُهُ: إِنْ شَاءَ اللهُ إِمَّا لِلتَّبَرُّكِ، لِلْجَزْمِ بِذَلِكَ فِي بَقِيَّةِ الْأَحَادِيثِ، وَإِمَّا قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ بِالاسْتِجَابَةِ. وقَرَنَ الدَّجَّالَ بِالطَّاعونِ معَ كَوْنِهِ شَهَادَةً ورَحْمَةً، لما ثَبَتَ مِنْ تَفْسِيرِهِ بِأَنَّهُ وَخْزُ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْجِنِّ، فَقَدْ مُنِعَ مِنْهَا مَرَدَةُ الْجِنِّ، كمَا مُنِعَ مَرَدَةُ الْإِنْسِ، وأَيْضًا الطَّاعُونُ شِبْهُ[3] أَشْيَاء تَقَعُ مِنَ الْأُمَّة، فَفِيهِ نَوْعُ مُؤاخَذَةٍ، وقَدْ عُوِّضَتِ المدِينَةُ عنْهُ بِالْحُمَّى. وقِيلَ: المعْنَى لَا يَدْخُلُهَا مِنَ الطَّاعونِ مِثْلَ مَا يَقَعُ بِغَيْرِهَا، كَطَاعونِ عَمْوَاس، وَهُوَ مَرْدُودٌ، فَلَمْ [27ظ] تَزَلْ مَحْفُوظَةً فِي سَائِرِ الْأَعْصَارِ مُطْلَقًا، كمَا جَزَمَ بِهِ ابْنُ قُتَيْبَةَ، وتَبِعَهُ جَمْعٌ جَمٌّ مِنَ الْعُلَمَاءِ آخِرُهُم النَّوَوِي[4].

وهذَا الْقَائِلُ فَسَّرَ الطَّاعونَ بِالموْتِ الْعَامِّ الفَاشِي، وَالصَّوابُ المرَادُ بِهِ ما يَكُونُ مِنْ طَعْنِ الْجِنِّ، فيَهِيجُ بِهِ الدَّمُ فِي الْبَدَنِ. فقَدْ رَوَى الطَّبَرَانِي وغَيْرُهُ حَدِيثَ: ذُكِرَ لرَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ خَرَجَ مِنْ بَعْضِ الْأَرْيَافِ، حَتَّى إِذَا كَانَ قَرِيبًا مِنَ المدِينَةِ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ أَصَابَهُ الْوَبَاءُ، فَفَزِعَ النَّاسُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **((إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا يَطْلُعَ عَلَيْنَا نِقَابُهَا))**[5] يعْنِي طُرُق المدِينَةِ. فَالمرَادُ بِالْوَبَاءِ هنا: الطَّاعُونُ المعْرُوفُ بِعَلَامَتِهِ، وَإِلَّا فَمَوْتُ الْوَاحِدِ لَا يُفْزِعُ، ولَا يُسَمَّى مَوْتًا عَامًّا[6].

وَفِي "صَحِيحِ البُخَارِي" قَوْلُ أَبِي الْأَسْوَد: "قَدِمْتُ المدِينَةَ وَهُمْ يَمُوتُونَ بِهَا مَوْتًا ذَرِيعًا"[7] فَهَذَا وَقَعَ بِالمدِينَةِ لَكِنَّهُ غَيْرُ الطَّاعونِ[8].

ورَوَى أَحْمَد وابْنُ شَبَّةَ حَدِيثَ: **((مَكَّةُ والمدِينَةُ مَحْفُوفَتَانِ بِالملَائِكَةِ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَكٌ لَا يَدْخُلُهَا الدَّجَّالُ وَلَا الطَّاعُونُ))**[9] كَذَا هُوَ: "لَا يَدْخُلُهَا" بِالْإِفْرَادِ، فَيُحْتَمَلُ عَوْدُهُ لِلْمَدِينَةِ فَقَطْ، وإِنْ ثَبَتَ عَدَمُ دُخُولِ الدَّجَّالِ مَكَّةَ، فقَدْ نَقَلَ جَمَاعَةٌ عَنِ الطَّاعونِ الْعَامِّ سنَةَ تِسعٍ وأَربَعِينَ وسَبْعِ مِئَةٍ أَنَّهُ

---

(1) صحيح البُخارِي، حدِيث (1880) وصحيح مسلِم، حدِيث (485).

(2) صحيح البُخارِي، حدِيث (7473).

(3) في خلاصة الوفا: سببه.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص39.

(5) المعجَم الكبِير، الطبرانِي، حدِيث (401).

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص39.

(7) صحيح البخارِي، حدِيث (2643).

(8) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص39.

(9) مسند أحمد، حدِيث (10265). وفي كتاب أخبار مكة لابن شبَّة، لم أقفْ عليهِ.

دخَلَهَا، بِخِلَافِ المدِينَةِ فلَمْ يُنْقَلْ ذَلكَ فيهَا، أَوْ أَنَّهُ لَيْسَ كمَا ظَنَّ نَاقِلُهُ مِنْ كَوْنِهِ طَاعونًا[1].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: ((**لَيْسَ بَلَدًا إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالمدِينَةَ لَيْسَ نَقْبٌ مِنْ أَنْقَابِهَا إِلَّا عَلَيْهِ مَلَائِكَةٌ صَافُّونَ يَحْرُسُونَهَا، فَيَنْزِلُ السَّبْخَةَ ثُمَّ تَرْجُفُ المدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجفَاتٍ بسَبَبِ الزَّلْزَلَةِ التِي تَقَعُ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ كُلُّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ**))[2].

وفِي رِوَايَةٍ: ((**فَيَأْتِي سَبْخَةَ الْجَرْفِ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ كُلُّ مُنَافِقٍ وَمُنَافِقَة**))[3].

وفِي "الْبُخَارِي" عنْهُ ﷺ: ((**لَا يَدْخُلُ المدِينَةَ رُعْبُ المسِيحِ، لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ**))[4].

وَذَكَرَ مُسْلِمٌ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ: ((**يَأْتِي المسِيحُ مِنْ قِبَلِ المشْرِقِ وَهِمَّتُهُ المدِينَةُ حَتَّى يَنْزِلَ دُبُرَ أُحُدٍ، ثُمَّ تَصْرِفُ الملَائِكَةُ وَجْهَهُ قِبَلَ المشْرِقِ، وَهُنَاكَ يَهْلِكُ**))[5].

وذَكَرَ الْبُخَارِي ومُسْلِمٌ عنْهُ ﷺ: ((**قِصَّةَ خُرُوجِ الرَّجُلِ الذِي هُوَ خَيْرُ النَّاسِ أَوْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ مِنَ المدِينَةِ إِذَا نَزَلَ بَعْضَ سِبَاخِهَا فَيَقُولُ لهُ: أَشْهَدُ إِنَّكَ الدَّجَّالُ الذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَهُ الحدِيثَ بطولِهِ**))[6] فاخْتَصَّتْ بِذَلِكَ الرَّجُلِ لكَوْنِهَا حَضْرَةَ المبْعُوثِ بِالْحَقِّ ﷺ[7].

ورَوَى أَحْمَد أَنَّه: ((**أَشْرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى فَلَقٍ مِنْ أَفْلَاقِ الْحَرَّةِ وَنَحْنُ مَعَهُ فَقَالَ: نِعْمَ الْأَرْضُ المدِينَةُ إِذَا خَرَجَ الدَّجَّالُ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْ أَنْقَابِهَا مَلَكٌ لَا يَدْخُلُهَا فَإِذَا كَانَ ذلِكَ رَجَفَت المدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ لَا يَبْقَى مُنَافِقٌ وَلَا مُنَافِقَةٌ إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ وَأَكْثَرُهُمْ** [28و] **يَعْنِي مَنْ يَخْرُجُ، النِّسَاءُ وَذَلِكَ يَوْم التَّخْلِيصِ، ذَلِكَ يَوْمَ تَنْفِي المدِينَةُ الْخَبَثَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ**[8]**، يَكُونُ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ الْيَهُودِ عَلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ سَاجٌ**[9] **وَسَيْفٌ مُحَلًّى فَيَضْرِبُ قُبَّتَهُ بِهَذَا الضَّرْبِ الذِي بِمُجْتَمَعِ السُّيُولِ**))[10] الحدِيثَ بِطُولِهِ.

وذَكَرَ الطَّبَرَانِي عنهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((**يَا أَهْلَ المدِينَةِ، اذْكُرُوا يَوْمَ الْخَلَاصِ، قَالُوا: وَمَا يَوْمُ**

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص40.

(2) صحيح مسلِم، حدِيث (123) وصحيح البخارِي، حدِيث (1881).

(3) صحيح مسلِم، حدِيث (123).

(4) صحيح البخارِي، حدِيث (7126).

(5) صحيح مسلِم، حدِيث (486).

(6) صحيح مسلِم، حدِيث (112) وصحيح البخارِي، حدِيث (1882).

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص40.

(8) في الأصل الحدِيث، وهو سهوٌ.

(9) ساج: الطَّيْلَسانُ الضخم الغليظ. لسان العرب (سوج).

(10) مسند أحمد، حدِيث (14112) وفيه: ((فَتُضْرَبُ رَقَبَتُهُ بِهَذَا الضَّرْبِ)).

الْخَلَاصِ؟ قَالَ: يُقْبِلُ الدَّجَّالُ حَتَّى يَنْزِلَ بِذُبَابٍ[1] فَلَا يَبْقَى بِالمدِينَةِ مُشْرِكٌ وَلَا مُشْرِكَةٌ، وَلَا كَافِرٌ وَلَا كَافِرَةٌ، وَلَا مُنَافِقٌ وَلَا مُنَافِقَةٌ، وَلَا فَاسِقٌ وَلَا فَاسِقَةٌ، إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ، وَيَخْلُصُ المؤْمِنُونَ، فَذَلِكَ يَوْمُ الْخَلَاصِ))[2].

وقولهُ بِذُبَاب: مَعْناهُ بِمَا يُقَابِلُهُ مِنَ السُّيُول[3].

وفي رِوَايَةٍ لِلطَّبَرَانِي عَنهُ ﷺ: **((يَنْزِلُ الدَّجَّالُ حَذْوَ المدِينَةِ، فَأَوَّلُ مَنْ يَتْبَعُهُ النِّسَاءُ وَالإِمَاءُ))**[4].

وَلِأَحْمَدَ والْحَاكِمِ: **((يَجِيءُ الدَّجَّالُ فَيَصْعَدُ أُحُدًا فَيَنْظُرُ المدِينَةَ فَيَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: أَلَا تَرَوْنَ إِلَى هَذَا الْقَصْرِ الْأَبْيَضِ هَذَا مَسْجِدُ أَحْمَدَ ثُمَّ يَأْتِي المدِينَةَ فَيَجِدُ بِكُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَكًا مُصْلِتًا سيْفَهُ فَيَأْتِي سَبْخَةَ الْجرْفِ[5] فَيَضْرِبُ رِوَاقَهُ؛ أَيْ: فُسْطَاطَهُ[6]))**[7].

ورَوَى أَحْمَدُ أَنَّهُ ﷺ قالَ: **((يَنْزِلُ الدَّجَّالُ فِي هَذِهِ السَّبخَةِ بِمَرِّ قَنَاة))**[8] أَيْ: بِمَمَرِّهَا[9].

وذَكَرَ ابنُ مَاجَةَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: **((يَنْزِلُ عنْدَ الطَّرِيقِ الْأَحْمَرِ، عِنْدَ مُنْقَطَعِ السَّبْخَةِ))**[10] وذَكَرَ الزُّبَيْرُ بنُ بَكَّار: **((أَنَّهُ ﷺ رَكِبَ إِلَى مُجْتَمَعِ السُّيُولِ، فَقَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْزِلِ الدَّجَّالِ مِنَ المدِينَةِ؟ ثُمَّ قَالَ: مَنْزِلُهُ[11]، يُرِيدُ المدِينَةَ، لَا يَسْتَطِيعُهَا، يَجِدُهَا مُتَمَنْطِقَةً بِالملَائِكَةِ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مَلَكٌ شَاهِرٌ سِلَاحَهُ، لَا يَدْخُلُهَا الدَّجَّالُ وَلَا الطَّاعُونُ، فَيُزَلْزَلُ بِالمدِينَةِ وَبِأَصْحَابِ الدَّجَّالِ زَلْزَلَةً لَا يَبْقَى مُنَافِقٌ وَلَا مُنَافِقَةٌ إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ، وَأَكْثَرُ مَنْ يَتَّبِعُهُ النِّسَاءُ، فَلَا يَعْجِزُ الرَّجَلَ يُمْسِكُ سَفِيهَتَهُ))**[12].

ورَوَى أَبُو يَعْلَى مِنْ حَدِيثِ الْجَسَّاسَةِ[13]: هُوَ المسِيحُ تُطْوَى لَهُ الْأَرْضُ فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا إِلَّا مَا كَانَ مِنْ طَيْبَةَ، قال رَسولُ اللهِ ﷺ: **((وَطَيْبَةُ المدِينَةُ مَا بَابٌ مِنْ أَبْوَابِهَا إِلَّا ومَلَكٌ مُصَلِّتٌ سَيْفَهُ**

---

(1) ذُباب: جبل بالمدينة. معجم البلدان، الحموِي، 3/3.

(2) المعجم الأوسَط، الطبرانِي حدِيث (2165).

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص41.

(4) المعجم الأوسَط، الطبرانِي حدِيث (5465).

(5) سبْخَة الجُرْفِ: السبخة هي الأرض المالِحة. والجرف موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشَّام. معجم البلدان، الحموِي، 128/2.

(6) فسطاط: ضرب من الْأَبْنِيَة فِي السّفر دون السُّرادق. الفائق في غريب الحديث، الزمخشرِي، 116/3.

(7) مسند أحمد، حدِيث (18975) والمستدرك، الحاكِم، حدِيث (8631).

(8) مسند أحمد، حدِيث (5353).

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص41.

(10) سنن ابن ماجة، حدِيث (4077). وفيه: ((الظريب الأحمر)).

(11) في خلاصة الوفا: هذا منزله.

(12) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص41.

(13) الجساسة كما في الحدِيثِ: امْرَأَةٌ تَجُرُّ شَعَرَ جِلْدِهَا وَرَأْسِهَا.

يَمْنَعُهُ، وَبِمَكَّةَ مِثْلُ ذَلِكَ))[1]. واللهُ أَعْلَمُ.

الفَصْلُ الثَّاني: [فِي تُرَابِهَا وَثَمَرِهَا]

رَوَى ابنُ النَّجَّارِ[2] وابنُ الْجَوْزِي فِي "الوَفَاءِ"[3] حَدِيثَ: **((غُبَارُ المدِينَةِ شِفَاءٌ مِنَ الجُذَامِ))**[4].

وفِي "جَامِعِ الْأُصُولِ"[5] لِرَزِين، وابْنِ الْأَثِيرِ وبَيَّضَا: أَنَّهُ لما رَجَعَ رَسولُ الله ﷺ مِنْ تَبُوك تَلَقَّاهُ رِجَالٌ مِنَ المخَلَّفِينَ مِنَ المؤْمِنِينَ فَأَثَارُوا غُبَارًا فَخَمَّرَ، أَوْ فَغَطَّى، بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْفَهُ فَأَزَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ [28ظ] اللِّثَامَ عَنْ وَجْهِهِ، وقَالَ: **((وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ غُبَارَهَا شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ))** وَأُرَاهُ ذَكَرَ: **وَمِنَ الْجُذَامِ وَالْبَرَصِ**[6].

ورَوَى رَزين عَن ابْنِ عُمَر مِثْلَ ذَلِكَ، وَزَادَ **((فَمَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ، فَأَمَاطَهُ عَنْ وَجْهِهِ وَقَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَجْوَةَ المدِينَةِ شِفَاءٌ مِنَ السَّقَمِ، وَغُبَارَهَا شِفَاءٌ مِنَ الْجُذَامِ))**[7].

وذَكَرَ زَبَالَةَ[8] عَن ابْنِ صَيْفِيّ[9] عن رَسُولِ اللهِ ﷺ: **((وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ تُرْبَتَهَا لمؤْمِنَةٌ، وَإِنَّهَا شِفَاءٌ مِنَ الْجُذَامِ))**[10].

ولابْنِ زَبَالَةَ عنْ سَلمَةَ[11]: بَلَغَنِي أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **((غُبَارُ المدِينَةِ يُطْفِئُ الْجُذَامَ))**[12]. قالَ صَاحِبُ "خُلَاصَةِ الْوَفَاءِ": وقَدْ شَاهَدْنَا مَنِ اسْتَشْفَى بِهِ مِنَ الْجُذَامِ، وقَدْ كَانَ أَضَرَّ بِهِ، فَنَفَعَهُ جِدًّا[13].

---

(1) مسند أبِي يعلَى، حدِيث (2164).

(2) سبق تعريفه.

(3) عنوان الكتاب كاملا: الوفا بتعريف فضائل المصطفى، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت:597هـ. تحصَّلته منه على نسخة الكترونِيَّة، لم أقف عليه مطبوعا.

(4) الوفا بتعرِيف فضائل المصطفى، ابن الجوزِي 201/1 (الكتاب بصيغة الشاملة لم أقفْ عليهِ ورقِيّا ولا مصورا) والدرة الثمينة، ابن النجار ص62، وفيه: ((من الجزام)). ضعفه الألبانِي، ضعِيف الجامع، حدِيث (3904).

(5) عنوان الكتاب كاملا: جامع الأصول في أحاديث الرسول، لـ: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير، ت:606هـ. جمع فيه بين كتاب رزين وما لم يذكره من الكتب الستة (البخاري...) فهذَّبَ هذا الكتاب ورتَّبَ أبوابَه وأضاف إليه ما أسقطه من الأصول، إلى غير ذلك. كشف الظنون، حاجي خليفة، 535/1.

(6) جامع الأصول، ابن الأثِير، حدِيث (6962) وبيَّضا أي: لم يذكرا السَّند.

(7) لم أقفْ عليهِ بلفظِهِ فِي متون الحدِيث. خلاصة الوفا، السمهودِي، ص42.

(8) أي: ابن زبالة.

(9) في خلاصة الوفا: صَيْفيّ، بن أبِي عامر.

(10) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص42.

(11) في وفاء الوفا: أبي سلمة.

(12) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص42.

(13) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص42.

وروَى يَحْيَى بنُ جَعْفَر الْعَلَوِيّ[1] وابْنُ النَّجَّارِ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ زَبَالَةَ: أَنَّ النَّبِيءَ ﷺ أَتَى بَلْحَارِثَ فَإِذَا هُمْ رَوْبَى[2]، فقالَ: **((يَا بَنِي الْحَارِثِ مَا لَكُمْ روبَى؟ فَقَالُوا يَا رَسُول اللهِ أَصَابَتْنَا هَذِهِ الْحُمَّى، قَالَ: فَأَيْنَ أَنْتُمْ عَنْ[3] صُعَيْب؟ قَالُوا: يَارَسُولَ اللهِ مَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: تَأْخُذُونَ مِنْ تُرَابِهِ فَتُجِفُّونَهُ فِي مَاءٍ، ثُمَّ يَثْفَلُ عَلَيْهِ أَحَدُكُمْ وَيَقُولُ: بِسْمِ اللهِ، تُرَابُ أَرْضِنَا بِرِيقِ بَعْضِنَا، شِفَاءٌ لمرِيضِنَا بِإِذْنِ رَبّنا، فَفَعَلُوا فَتَرَكَتْهُمْ الْحُمَّى))**[4].

قَالَ طَاهِرُ بنُ يَحْيَى الْعَلَوِي[5] عَقِبَ رِوَايَتِهِ لذَلِكَ عن أَبِيهِ: صُعَيْب وَادِي بُطْحَان دُونَ الماجِشُونِيَّة، [وهِيَ الْحَدِيقَة المعْرُوفَةُ بالماشُونِيَّة][6]، فِيهِ حُفْرَةٌ مِمَّا يَأْخُذُ النَّاسُ مِنْهُ، إِذَا وَبِيَ إِنْسَانٌ أَخَذَ مِنْهُ[7].

قَالَ ابْنُ النَّجَّار: وَقَدْ رَأَيْتُ هَذِهِ الْحُفْرَةَ الْيَوْمَ وَالنَّاسُ يَأْخُذُونَ مِنْهَا، وَذَكَرَ أَنَّهُمْ قَدْ جَرَّبوهُ ووَجَدُوهُ صَحِيحًا[8].

وهِيَ حُفْرَةٌ مَوْجُودَةٌ تُؤْثَرُ خَلَفًا عَنْ سَلَفٍ، يَنْقُلُونَ تُرَابَهَا لِلتَّدَاوِي[9]. وكَذَا مَصْرَعُ حمْزَةَ، يُؤْخَذُ مِنْهُ لِلصُّدَاعِ.

وذَكَرَ المجْدُ[10] أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْعُلَمَاءِ ذَكَرُوا أَنَّهُمْ جَرَّبُوا أَتْرَابَ تِلْكَ الْحُفْرَةِ لِلْحُمَّى، فوَجَدُوهُ صَحِيحًا، قَالَ: وَأَنَا سَقَيْتُهُ غُلَامًا لِي مَرِيضًا، مِنْ نَحْوِ سَنَةٍ تُوَاظِبُهُ الْحُمَّى، فَانْقَطَعَتْ عَنْه مِنْ يَوْمِهِ[11].

---

(1) يحي بن الحسَن بن جعفر الحجَّة العبيدلي العقيقي، نسابة، من كتبِه: أخبار المدينة، ت:277هـ. الذريعة إلى تصانيف الشِّيعة، آقا برزك الطهراني، 349/1، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 90/4.

(2) رَوْبَى: الذين أَثْخَنَهُم السفَرُ والوَجَعُ فاسْتَثْقَلُوا نوماً. لسان العرب (روب).

(3) صوابه: من.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص42– 43، والدرة الثمينة، ابن النَّجَّار، ص63.

(5) طَاهِر بن يحيَ العلوِي: يروي عن أبيه. وعنه ابناه يعقوب وأبو بكر بن المقري، مات سنة 314هـ. تاريخ الإسلام، الذهبي، 281/7، والتحفة اللطيفة، السخاوي، 257/2.

(6) فِي خلاصة الوفا: المدشونيَّة. والعبارة ليست في الدّرة الثمينة، ولم أقفْ على موضعٍ بهذا الاسم.

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص43، والدرة الثمينة، ابن النَّجَّار، ص63.

(8) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص43، والدرة الثمينة، ابن النَّجَّار، ص63.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص43.

(10) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادِي صاحب القاموس المحِيط، والمغانم المطابة في معالم طابة، ت: 817هـ. بغية الوعاة، السيوطِي، 273/1 ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 776/3.

(11) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص43.

نصوص مجد الدين الفيروز أبادي ينقلها المؤلِّف من المغانم المطابة، والكتاب لم أقفْ منهُ مطبوعاً إلَّا علَى قسم المواضِع.

وذَكَر هُوَ وَالمطَرِيّ[1] أَنَّ تُرَابَها يُجْعَلُ فِي الماءِ ويُغْتَسَلُ بِهِ مِنَ الحُمَّى[2]. ويَنْبَغِي كَمَا قالَ صَاحِبُ "الْخُلَاصَةِ" أَنْ يُفْعَلَ أَوَّلًا مَا وَرَدَ، ثُمَّ يُجْمَعُ بَيْنَ الشُّرْبِ وَالْغُسْلِ[3].

وذَكَرَ البُخَارِي: ((**أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى الإِنْسَانُ، أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ أَوْ جُرْحٌ، قَالَ بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا، وَوَضَعَ سُفْيَانُ سَبَّابَتَه فِي الْأَرْضِ ثُمَّ رَفَعَهَا، وَقَالَ بِسْمِ اللهِ تُرْبَةُ** [29و] **أَرْضِنَا بِرِيقِ بَعْضِنَا، يُشْفَى سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا**))[4].

وفِي رِوَايَةٍ يقولُ: ((**بِرِيقِهِ ثُمَّ قَالَ بِهِ فِي التُّرَابِ**))[5].

وذَكَرَ ابنُ زَبَالَةَ: ((**أَنَّ رَجُلًا أُتِيَ به رَسُول الله ﷺ وَبِرِجْلِهِ قَرْحَةٌ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَرَفَ الْحَصِيرِ، ثُمَّ وَضَعَ إِصْبَعَهُ التِي تَلِي الْإِبْهَامَ عَلَى التُّرَابِ، بَعْدَمَا مَسَّهَا بِرِيقِهِ، وَقَالَ: بِسْمِ اللهِ رِيقُ بَعْضِنَا بِتُرْبَةِ أَرْضِنَا يَشْفِي سَقِيمَنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا، ثُمَّ وَضَعَ إِصْبَعَهُ عَلَى الْقَرْحَةِ، وَكَأَنَّمَا حُلَّ مِنْ عِقَالٍ**))[6].

وذكرَ أَيْضًا مَرْفُوعًا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: ((**مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ عَجْوَاتٍ، لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ مِنَ الْعَالِيَة، لم يَضُرَّهُ يَوْمَئِذٍ سُمٌّ وَلَا سِحْرٌ**))[7].

وذَكَرَ مُسْلِمٌ أَنَّهُ ﷺ قالَ: ((**مَنْ أَكَلَ سَبْعَ تَمَرَاتٍ مِمَّا بَيْنَ لَابَتَيْهَا، لم يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يُمْسِيَ**))[8].

وذَكَرَ أَحْمَدُ أَنَّهُ قالَ ﷺ: ((**مَنْ أَكَلَ سَبْعَ تَمَرَاتِ عَجْوَةٍ مَا بَيْنَ لَابَتَي المدِينَةِ على الرِّيقِ لم يَضُرَّهُ يَوْمَهُ ذَلِكَ شَيْءٌ حَتَّى يُمْسِيَ، قَالَ فُلَيْح: وَأَظُنُّهُ قَالَ: وَإِنْ أَكَلَهَا حِينَ يُمْسِي لم يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يُصْبِحَ**))[9] .

وفي الصَّحِيحينِ: ((**مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً، لم يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سُمٌّ، وَلَا سِحْرٌ**))[10].

---

(1) في الأصل: المطرزي، وهو خطأ.

محمد المطري جمال الدين، أبو عبد الله المدني، مؤرخ، من المؤذنين بالمسجد النبوي، توفي بالمدينة سنة 741 هـ، من آثاره: إتحاف الزائر، والتعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 62/3.

(2) المغانم المطابة، الفيروزأبادِي، ص218، والتعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة، المطري، ص137.

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص43.

(4) صحيح البخارِي، حدِيث (5745)، وصحيح مسلم، حدِيث (54).

(5) سنن أبي داود، حديث (3895).

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي ، ص43-44.

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي ، ص44.

(8) صحيح مسلِم، حدِيث (154).

(9) مسنَد أحمد، حدِيث (1442).

(10) صحيح مسلِم، حدِيث (157) وصحيح البخارِي، حدِيث (5769).

وذَكَرَ مسْلِم أَنَّهُ ﷺ قالَ: ((**إِنَّ فِي عَجْوَةِ الْعَالِيَةِ شِفَاءً – أَوْ إِنَّهَا تِرْيَاقٌ – أَوَّلَ الْبُكْرَةِ**))[1].

وَذَكَرَ البُخَارِي[2]أَنَّه ﷺ قالَ مِنْ حَدِيثِ: ((**وَاعْلَمُوا أَنَّ الْكَمْأَةَ دَوَاءُ الْعَيْنِ، وَأَنَّ الْعَجْوَةَ مِنْ فَاكِهَةِ الْجَنَّةِ**))[3].

وذَكَرَ الطَّبَرَانِي وغَيْرُهُ أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((**الْكَمْأَةُ مِنَ المنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ، وَالْعَجْوَةُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَهِيَ شِفَاءٌ مِنَ السُّمِّ**))[4] صَدَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وذَكَرَ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدِهِ إِلى سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاص: ((**مَرِضْتُ فَأَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُنِي، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ ثَدْيَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا عَلَى فُؤَادِي فَقَالَ: إِنَّكَ رَجُلٌ مَفْؤُودٌ، ايتِ الْحارِث بنَ كلدة أَخَا ثَقِيفٍ فَإِنَّهُ رَجُلٌ يَتَطَبَّبُ فَلْيَأْخُذْ سَبْعَ تَمَرَاتٍ مِنْ عَجْوَةِ المدِينَةِ فَلْيَجَأْهُنَّ ثُمَّ لِيَلُدَّكَ بِهِنَّ**)) أَيْ: يَسْقِكَ، يُقَالُ: لَدَّهُ إِذَا سَقَاهُ الدَّواءَ فِي أَحَدِ جَانِبَي الْفَمِ[5].

وذَكَرَ ابنُ عَدِيّ[6] فِي "الْكَامِل" أَنَّهُ ﷺ قَالَ: ((**يَنْفَعُ مِنَ الدَّوَاءِ[7] أَنْ يَأْخُذَ سَبْعَ تَمَرَاتٍ مِنْ عَجْوَةِ المدِينَةِ كُلَّ يَوْمٍ، يَفْعَلُ ذَلِكَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ**))[8].

وذَكَرَ الخَطَّابِيّ عنْ عَائِشَةَ [29ظ] رَضِيَ اللهُ عَنْها: "أَنَّهَا كَانَتْ تَأْمُرُ لِلدُّوَامِ وَالدُّوَارِ[9] مَا يَأْخُذُ الْإِنْسَانُ فِي رَأْسِهِ فَيدُومُهُ" وَمِنْهُ تَدْوِيمُ الطَّائِرِ، وهُوَ أَنْ يَسْتَدِيرَ فِي طَيَرَانِهِ[10].

وَتَخْصِيصُ الْعَجْوَةِ دونَ غَيْرِهَا، وعَدَدُ السَّبْعِ مِمَّا لَا يُعْلَمُ حِكْمَتُهُ، فَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ واعْتِقَادُ فَضْلِهِ وبَرَكَتِهِ، وقَدْ أَطْبَقَ النَّاسُ علَى التَّبرُّكِ بِالْعَجْوَةِ، وهُوَ النَّوعُ المعْرُوفُ، الذِي يَأْثرُهُ الْخَلَفُ عن السَّلَفِ في المدِينَةِ، ولَا يرْتابونَ في تَسْمِيَتِهِ بذَلِكَ، ومَا خَالَفَ ذلِكَ بَاطِلٌ، والعَجْوَةُ: ضَرْبٌ مِنَ التَّمْرِ أَكْبَرُ مِنَ الصَّيْحَانِي، يَضْرِبُ إِلَى السَّوادِ، وهُوَ مِمَّا غَرَسَهُ النَّبِيءُ ﷺ بِيَدِهِ في المدِينَةِ، وذَكَرَ الْبَزَّارُ هذا أَيْضًا[11].

وذَكَرَ ابنُ حِبَّان عنِ ابنِ عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عنْهُمَا: ((**كَانَ أَحَبُّ التَّمْرِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ**

---

(1) صحيح مسلِم، حدِيث (156).

(2) في خلاصة الوفا: ولأحمد برجال الصحيح في حدِيث.

(3) مسنَد أحمد، حدِيث (22972). ولم أجده في صحيح البخارِي.

(4) المعجم الأوسط، الطبراني، حدِيث (3406).

(5) سنن أبِي داود، حدِيث (3875).

(6) سبقت ترجمته.

(7) في خلاصة الوفا: الدوام، وفي الكامل لابن عدي: الجُذَام.

(8) الكامل في الضَّعفاء، ابن عدِيّ 407/7.

(9) أسقط المؤلِّف من القول عبارة: كانت تأمر للدوام والدوار بسبع تمرات عجوة في سبع غدوات على الرِّيق.

(10) غريب الحدِيث، الخطابِي 577/2-578، وفِيه: الدوام كالدوار وهو ما يأخذ الإنسان في رأسه فيدار به.

(11) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص45.

الْعَجْوَةُ))[1].

وذَكَرَ أَحْمَدُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: **((خَيْرُ تَمْرِكُمُ الْبَرْنِيُّ يُخْرِجُ الدَّاءَ وَلَا دَاءَ فِيهِ))**[2] ورَوَاهُ ابنُ شَبَّةَ[3] والْحَاكِمُ[4] خِطَابًا لِوَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ فِي ثِمَارِهِمْ[5].

وذَكَرَ الطَّبَرَانِيّ في "الصَّغِيرِ": **((أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا أُتِيَ بِالْبَاكُورَةِ مِنَ الثِّمَارِ وَضَعَها عَلَى عَيْنَيْهِ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ كَمَا أَطْعَمتنَا أَوَّلَهُ فَأَطْعِمْنَا آخِرَهُ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِهِ لِلْمَوْلُودِ مِنْ أَهْلِهِ))**[6].

وفي الكَبِيرِ: **((كَانَ إِذَا أُتِيَ بِالْبَاكُورَةِ مِنَ الثَّمَرِ قَبلَهَا وَجَعَلَهَا عَلَى عَيْنَيْهِ))**[7].

وفِي "نَوَادِرِ الْأُصُولِ": إذا أُتِيَ بالْباكُورَةِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قَبلَهَا ووَضَعَهَا عَلَى عَيْنِهِ الْيُمْنَى ثَلَاثًا ثُمَّ الْيُسْرَى ثَلَاثًا ثُمَّ يَقُولُ: **((اللَّهُمَّ كَمَا بَلَّغْتَنَا أَوَّلَهَا فَبَلِّغْنَا آخِرَهَا ثُمَّ يُعْطِيهَا أَصْغَرَ الْوِلْدَانِ))** الْحَدِيث[8].

وذَكَرَ البَزَّارُ عنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **((يَا عَائِشَةُ إِذَا جَاءَ الرُّطَبُ فَهَنِّئِينِي))**[9].

وذَكَرَ فِي "الفلَانِيَّات"[10]: **((أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ يُعْجِبُهُ أَنْ يُفْطِرَ عَلَى الرُّطَبِ فِي أَيَّامِ الرُّطَب، وَعَلَى التَّمْرِ إِذَا لم يَكُنْ رُطَبٌ، وَيَخْتِمَ بِهِنَّ، وَيَجْعَلهُنَّ وِتْرًا: ثَلَاثًا أَوْ خَمْسًا أَوْ سَبْعًا))**[11].

وفي "فَضْلِ أَهْلِ الْبَيْتِ" لابْنِ المؤَيِّد الْحَمَوِي[12]، عَنْ جَابِر بنِ عَبْدِ اللهِ: كُنتُ مَعَ النَّبِيءِ ﷺ يَوْمًا في بَعْضِ حِيطَانِ المدينةِ، ويَدُ عَلِيٍّ في يَدِهِ، قَالَ: فَمَرَرْنَا بِنَخْلٍ فَصَاحَ النَّخلُ هَذَا مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ، وهَذَا عَلِيٌّ سَيْفُ اللهِ، فَالْتَفَتَ النَّبيءُ ﷺ إِلَى عَلِيٍّ فقالَ: سَمِّهِ الصَّيْحَانِي، فَسُمِّيَ مِنْ ذَلكَ اليَوْمِ

---

(1) المغنِي عن حمل الأسفار، العراقِي، ص856، والطب النبوِي، أبو نعيم، حديث (845). ولم أجده عن ابن حبان إلا في خلاصة الوفا.

(2) ورد بلفظ قرِيبٍ في مسند أحمد، حديث (15559).

(3) تاريخ المدينة، ابن شبَّة، 586/2، وفيه: ((وأنفعه لكم)) بدل ((يخرج الداء ولا داء فيه)).

(4) المستدرك، الحاكم، حدِيث (7450).

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص45.

(6) المعجم الكبير، الطبرانِي، حدِيث (11222).

(7) المعجم الصغير، الطبرانِي، حدِيث (791). كذلك وجدت الحدِيثيْنِ مختلفا التخرِيج.

(8) نوادِر الأصول، الحكِيم الترمذِي، حديث (596).

(9) البحر الزَّخَّار، البزّار، حدِيث (6953).

(10) فِي خلاصة الوفا: الغيلانيَّات، وهو كتاب الفوائِد للبزَّاز ت:354هـ.

(11) الغيلانيَّات، أبو بكر محمد بن عبد الله البزَّاز، حدِيث (983).

(12) محمد بن المؤيد بن محمد بن حمويه الحموي، صوفي، سكن سفح قاسيون بدمشق، وعاد إلى خراسان وتوفي بها سنة:650هـ، من تصانيفه: بحر المعاني، سفينة الأبرار في لجج الأسرار. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 746/3.

تمرُهُ الصَّيْحانِي، أَو المرَادُ كُلُّ ذَلكَ الْحَائِطِ[1]. وفي المدِينَةِ مَوْضِعٌ يُعْرَفُ بِالصَّيْحَانِي[2]، واللهُ أَعْلَمُ.

الفصل الثَّالِث: [فِي أَخْبَارِ سُكَّانِهَا إِلَى أَنْ حَلَّها النَّبِيءُ ﷺ]

أَسْنَدَ [30و] الْكَلبِيّ عَن ابْنِ عَبَّاس: أَنَّهُ لمّا خَرَجَ النَّاسُ مِن السَّفِينَةِ نَزَلُوا طَرَفَ بَابِلَ، وكَانُوا ثَمَانِينَ نَفْسًا، فَسُمِّيَ الموْضِعُ سُوقَ الثَّمَانِين، وقِيلَ: سُمِّيَت الْقَرْيَةُ الثَّمانِينَ، فمَكَثُوا حَتَّى كَثُرُوا وصَارَ مَلِكهُم نُمْرُوذُ بنُ كَنْعَانَ بنِ حَام[3]. ولَا أَظُنُّ ذلِكَ يصِحُّ مِن ابنِ عَبَّاس، فَإِنَّ بَيْنَ حَامَ ونُمْرُوذَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، إِلَّا إِنْ نُسِبَ كَنْعَانُ إِلَى حَام لِكَوْنِهِ جَدًّا مِنْ أَجْدَادِهِ.

فلَمَّا كَفَرُوا بُلْبِلُوا فَتَفَرَّقَتْ أَلْسِنَتُهُمْ عَلَى اثْنَيْنِ وسَبْعِينَ لِسَانًا، ففَهَّمَ اللهُ العَرَبِيَّةَ مِنْهُم عمليق وطَسم ابْنَيْ لوذ بنِ سام، وعَادا وعَبِيل ابْنَيْ عَوص بنِ إِرَمَ بنِ سَامَ، وثَمُودَ وجديسَ ابْنَيْ جاثِق بنِ إِرَمَ بنِ سامَ، وقَنْطورَ بنِ غابِر بنِ شالِخ بنِ أَرفخشد بنِ سَام، فنَزَلَتْ عَبِيلُ يَثْرِبَ، ويثْرِب ابن4 عَبِيل ثُمَّ أُخْرِجُوا مِنْهَا، فنَزَلُوا الجُحْفَةَ، فجَاءَهُم بِسَيْلٍ أَجْحَفَهُمْ، فَبِهِ سُمِّيَتْ جُحْفةً، فرَثَاهُمْ رَجُلٌ مِنْهُم فَقَالَ:

عَيْنِي جُودِي عَلَى عَبِيلٍ وَهَلْ يُرْ ... جِعُ مَنْ فَاتَ بَعْضُهَا بِانْسِجَامِ[5]

عَمَّرُوا يَثْرِبًا وَلَيْسَ بِهَا شُفْـ ... ـرٌ وَلَا صَارِخٌ وَلَا ذُو سَنَامِ[6]

غَرَّسُوا لِينَهَا بِمَجْرَى مَعِينٍ ... ثُمَّ حَفُّوا النَّخِيلَ بِالآجَامِ[7]

وقِيلَ: أَوَّلُ مَنْ سَكَنَها يثْرِبُ بنُ قَانِيَة بنِ مَهلاييلَ بنِ إِرَمَ بنِ عَبيل بنِ عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام. وقيلَ: أَوَّلُ مَنْ عمَّرَ بها الدُّورَ والآطامَ وزَرَعَ وغَرَسَ العماليقُ بن عملاق بن أرفخشد بن سام وأَخَذوا ما بَيْنَ البَحْرَيْن وعُمَانَ والْحِجَازَ إِلَى الشَّامِ ومِصرَ، ومِنْهُم الْجَبَابِرَة والفَرَاعِنَة بهما[8]، ومَلِكُهُم بِالحِجَاز الأَرْقَمُ، وكانَ بالمدينةِ مِنْهُم بنُو هَف وبنُو مطْرويل، وكَانتْ جرهُم بمكَّةَ، يَعنِي قَرِيبًا مِنْ مَكَّةَ، وقنطورا

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص46.

(2) (م، س)، ص46.

(3) (م، س)، ص154.

4 في خلاصة الوفا: اسم.

(5) الأبيات من الخفِيف.

"عيني" الياء زائدة، وبحذفها يستقِيم الوزن.

(6) شفر: تطلق على العين، وهنا أي أحد، والصارخ: المغيث، وذو السنام: الإبل.

(7) في الرَّوض المعطار: الفسيل بدل النَّخِيل، والأُجُمُ الحِصْن والجمع آجامٌ.

الأبيات الثلاثة نقلها المؤلف من خلاصة الوفا، ص154، وهي في: الروض المعطار، محمد عبدالمنعم الحميري، ص617، ونور القبس، اليغمري، ص262.

(8) فوق بهما: حاء صغيرة.

وطسم وجديش بِاليَمَامةِ[1]. وعَنْ زَيْد بنِ أَسْلم: أنَّ ضَبُعًا زَوِيَتْ وأَوْلَادَهَا في حِجَاجِ عَيْنِ رَجُلٍ؛ أَيْ: عَظْمِ العَيْنِ الذِي يَنْبُتُ علَيْهِ الحَاجِبُ، وكَانَتْ تمْضِي أَرْبَعُ مِئَةِ سَنَةٍ ومَا يُسْمَعُ بِجَنَازَةٍ.

ولِأَبِي المنْذِرِ الشَّرْقِي[2]: سَمِعتُ حَديثَ تَأْسِيسِ المدينَةِ مِنْ سُلَيْمانَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ حَنْظَلَةَ الغَسِيلِ وبعْضَهُ مِنْ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْش عن أَبِي عُبَيدةَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ يَاسِر، قَالَا: بلَغَنَا أنَّ مُوسَى عليه السلام لما حَجَّ حَجَّ مَعَهُ أُنَاسٌ مِنْ بني إِسْرائيلَ، فأَتَوْا علَى المدِينَةِ في انصِرافِهِم فرَأَوْا موْضِعَها صِفَةَ بَلَدِ نَبِيءٍ يجِدُون وَصْفَهُ في التَّوْراةِ بأَنَّه خَاتِمُ النَّبِيئِينَ، فاشتَوَرَتْ طائِفَةٌ منْهُم علَى أَنْ يتَخَلَّفوا بِهِ، فنَزَلُوا في مَوْضِعِ سوقِ بني قَيْنُقَاعَ، ثُمَّ تأَلَّفَ إِلَيْهِم ناسٌ مِنَ العَرَبِ، فرَجَعوا إلى دِينِهِم، فكانوا أَوَّلَ مَنْ سَكَنَ مَوْضِعَ المدينةِ. ويُذْكَر أَنَّ قومًا ما مِنَ العَمَالِقَة سَكَنُوا قَبْلَهُم[3].

ولابْنِ شَبَّةَ بسَنَدٍ لا بَأْسَ بِهِ، إِلَّا أنَّ فيه مَنْ لم يُسَمَّ، عَنْ جابِر مرفوعًا إِلَيْهِ ﷺ: [30ظ] أَقْبَلَ موسَى وهارونُ حاجَّيْن، فمَرَّا بالمدينةِ فخافَا مِن يَهُودَ، فخرَجَا مستَخْفِيَيْنِ، فنَزَلَا أُحُدًا، فغَشِيَ هارونَ الموتُ، فَقَامَ مُوسَى فحفَرَ لهُ وَلَحَدَ[4]، ثُمَّ قالَ: يا أخي إِنَّكَ تموتُ، فَقامَ هارونُ فدَخَلَ في لَحْدِهِ، فقُبِضَ، فَحَثَا عليْهِ موسَى التُّرابَ. وهُوَ دَالٌّ على كَوْنِهِم بالمدِينةِ زمانَ مُوسَى[5].

ووُجِدَ قَبْرٌ بالحمى[6] مَكْتُوبٌ عَلَيهِ: أنَا رَسولُ رَسُولِ الله سُلَيْمَانَ بنِ دَاوُدَ عليهم السلام إِلَى أَهْلِ يَثْرِبَ. وفِي رِوايَةٍ: رَسولُ رَسولِ اللهِ عِيسَى بنِ مَرْيَمَ عليه السلام، إِلَى أَهْلِ قَرْيَةٍ عَرِينَةٍ[7].

وذَكَرَ ابنُ زَبَالَةَ عن مَشْيَخَةٍ مِنْ أَهْلِهَا، قالُوا: كَانَ سَاكِنُها في سالِفِ الزَّمانِ صغلَ وفالحَ[8]، فغَزَاهُم دَاوُدُ عليه السلام وأَخَذَ مِنْهُم مِئَةَ أَلْفِ عَذْرَاءَ، وسَلَّطَ اللهُ علَيْهِم الدُّودَ فِي أَعْنَاقِهِم فهَلَكُوا. فقُبُورُهُم هذِهِ التِي فِي السَّهْلِ والْجَبَلِ، وهِيَ التِي بنَاحِيَةِ [الجرْف][9]. وبَقِيَت امْرَأَةٌ مِنهُم تُعْرَف بِزهرَة، وكانَت تَسْكُنُ بِهَا، فاكْتَرَتْ مِن رَجُل، وأرادَتْ الخرُوجَ إِلَى بَعْضِ تِلْكَ البِلادِ، فلَمَّا دَنَتْ لِتَرْكَبَ غَشِيَها الدُّودُ،

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص154-155.

(2) قال قاسم السامرائِي: المعروف أن أبا المنذر لقب هشام بن محمد بن السائب الكلبِي، والشرقِي: هو الشرقي بن القطامِي واسمه أبو المثنى الوليد بن الحصين الكلبِي وكان أحد النسابين الرواة للأخبارِ والأنسابِ والدواوِين وألف في أخبار العشاق، فلعلَّ الجملة كانت: عن أبِي المنذِرِ عن الشَّرقِي. وفاء الوفا، السمهودِي، 293/1.

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص155.

(4) لحد القبرَ يَلْحَدُه لَحْداً وأَلْحَدَه عَمِلَ له لحْداً. لسان العرب (لحد).

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص156، وفِي تاريخ المدينة المنورة، ابن شبَّة، 85/1.

(6) فِي خلاصة الوفا: الجماء. وهي: جبيل من المدينة على ثلاثة أميال من ناحية العقيق إلى الجرف، سمي بذلك لأنَّ ثمَّ جبلين هي أقصرهما فكأنها جمَّاء، والجماء الشاة لا قرنَ لها. معجم البلدان، الحموِي، 158/2.

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص156. وفي وفاء الوفا: عربية، وقد ذكر قاسم السامرائي تفصيلا في ضبط هذه اللفظة. ينظر: وفاء الوفا، السمهودِي، 296/1.

(8) في وفاء الوفا: صعل وفالج.

(9) إضافة من خلاصة الوفا.

فقيلَ لَهَا: إنَّا لَنَرى دُودًا يغْشَاكِ، فقَالتْ: بهذا هَلَك قَوْمِي، ثمَّ قالَتْ: رُبَّ جَسَد مَصُون، ومَالٍ مَدْفُون، بَيْنَ زَهْرَةَ ورَانُون. وقَتَلَهَا الدُّودُ[1]. قالوا: وكَانَ قَوْمٌ مِن الْأمم يقَالُ لَهُم بنُو هف، وبنو مطر، وبنو الأزرق، فِيمَا بَيْنَ مخيض[2] إلى غُرَابِ الضَّائِلَةِ[3] إلَى القصاصين[4] إلى طَرَفِ أحد، فَتِلْكَ آثارُهم هُنَاكَ[5].

وعَنْ عُرْوةَ بنِ الزُّبَيْرِ: كانَ العمالِيقُ قَد انتَشَرُوا في البِلادِ، وسكَنُوا مَكَّةَ والمدِينةَ والحجازَ كُلَّهُ، وعَتَوْا عُتُوًّا كبيرًا، فلَمَّا أَظْهَرَ اللهُ موسَى عليه السلام على فِرْعَونَ ووَطِئَ الشَّامَ، وأَهْلَكَ مَنْ بِهَا، بَعَثَ إِلَيْهِم جُنْدًا مِنْ بَنِي إسرائيلَ لِلْحِجَازِ، وأَمَرَهُم أن لَا يَسْتَبْقُوا مِنْهُمْ أَحَدًا بَلَغَ الْحُلُمَ، فقَدِمُوا فأَظْهَرَهُم اللهُ علَيْهِم، فقَتَلُوهم وأَصَابُوا ابنَ مَلِكِهم الأرقَمَ، وكَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا، فقَالوا نَسْتَحْيِيهِ، حتَّى نقْدِمَ بِهِ على مُوسَى عليه السلام، يرَى فِيه رأيَهُ، فأَقْبَلوا بِهِ، فقَبَضَ اللهُ موسى قَبْلَ قدُومِهِم، فتَلَقَّاهم النَّاسُ فسَأَلُوهُم عنْ أَمْرِهِمْ، فأَخْبَرُوهُم، فقَالَتْ بنو إسْرَائيلَ إنَّ هَذِهِ مَعْصِيَةٌ مِنكُم لما خَالَفتُم أَمْرَ نَبِيئِكُم، لَا وَاللهِ لا تَدْخُلُوا علَيْنَا بِلادَنا أبَدًا، فقَالُوا: ما بَلَدٌ إِذْ مُنِعْتُم بِلادَكُم بِخَيْرٍ مِنْ البِلادِ التِي كُنَّا فيها، وكانَ الحِجَازُ إذ ذَاكَ أَشْجَرَ بلَادِ اللهِ وأَظهَرَهُ مَاءً، فكَانَ هَذَا أَوَّل سُكْنَى اليَهُودِ الحِجَازَ بَعْدَ العَمَالِيقِ، فكَانَ جَمِيعُهُمْ بِزَهْرَة بَيْنَ الْحَرَّة والسَّافِلة مِمَّا يَلِي القُفَّ[6]، ولَهُم الأَمْوالُ بالسَّافِلَة، ونَزَلَ جُمهورُهُمْ بِيَثْرِبَ بِمُجْتَمَعِ السُّيول مِمَّا يَلِي رَغَابَة[7].

وعنْ مُحَمَّد بنِ كَعْب القُرَظِيّ[8] قَالَ: وخَرَجَتْ [31و] قُرَيْظَةُ وإِخْوَانُهُم [بنو هدل وعَمْرُو ابنا الصَّرِيح][9] والنَّضير بن النحام بن الخزرج بن الصَّرِيح مِنْ ذُرِّيَّة هارُونَ عليه السلام بَعْدَ هؤُلَاءِ فَتَبِعُوا آثارَهُمْ فنَزَلوا بِالعَالِيَة علَى مدينب[10] ومهزور[11].

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص156.

(2) قال المطرِي: جبل مخيض هو الذي على يمين القادم من طريق الشام حِينَ يُفضِي من الجبالِ إلى البركة التِي هِيَ مورِدُ الحجاج من الشَّام ويسمونها عيون حمزة. التعرِيف، المطرِي، ص185.

(3) جبل شامِيَّ المدينة بينها وبين مخيض. وفاء الوفا، السمهودِي، 407/4.

(4) أصحاب القصة، وهي الحبس. وفاء الوفا، السمهودِي، 10/4.

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص156.

(6) القُفّ: علم لوادٍ من أودِيَة المدينة عليهِ مالٌ لأهلِها. المغانم المطابة، الفيروزأبادِي، ص349.

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص157.

في خلاصة الوفا: زعابة. وفي المغانم المطابة: زَغَابَة، وقال موضع قريب من المدينة، ص170.

(8) محمد بن كعب القُرَظِيّ: المدَنِيُّ، مِنْ حُلَفَاءِ الأَوْسِ، وَكَانَ أَبُوْهُ كَعْبٌ مِنْ سَبْيِ بَنِي قُرَيْظَة، سَكَنَ الكُوفَةَ، ثُمَّ المدِيْنَةَ. قِيلَ: وُلِدَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ، ومات سنة 108هـ، وقيل غير ذلك. سير أعلام النُّبلاءِ، الذَّهبِي، 66/5.

(9) في خلاصة الوفا: بنو هدل وعمر، وأبناء الصَّرِيح. وفِي المسالك والممالك: بنو عمرو بن الخزرج بن الصَّرِيح. وينظر: سيرة ابن هشام، 21/1.

(10) صوابه: مذينب. تصغِير مذنب، وهو وادٍ بالمدينة لا يسِيلُ إلّا بماء المطَر. المغانم، ص373.

(11) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص157، والمسالك والممالك، البكرِي، 324/1.

ولِبَعضِهِم عن أَبِي هُرَيْرَةَ: بلَغَنِي أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لمّا أَصابَهُم ما أَصابَهُم مِنْ ظهُورِ بخت نصر عَلَيْهِم تفَرَّقُوا، وكانوا يَجِدُون مُحَمَّدًا ﷺ منْعُوتًا في كِتَابِهِمْ، وأَنَّه يَظْهَرُ في بَعْضِ هذِهِ القُرَى الْعَرَبِيَّة، في قَرْيَةٍ ذاتِ نَخْلٍ، ولمَّا خَرَجُوا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ جَعَلُوا يفَتِّشونَ عن صِفَةِ القَرْيَة ما بَيْنَ الشَّامِ واليَمَنِ، يَجِدُونَ نَعْتَها نَعْتَ المدِينةِ، فتَحَصَّلوا في ذَلِكَ علَى المدِينَة وعَرَفوهَا، ونَزَلَ بها طَائفةٌ مِنْ بَنِي هارُونَ مِمَّنْ حَمَلَ[1] ومَاتُوا وَهُمْ مُؤْمِنونَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّه جَاءٍ، ويَحُثُّون أَبْنَاءَهُمْ عَلَى اتِّباعِهِ فَأَدْرَكَهُ مَنْ أَدْرَكَهُ فَكَفَرُوا بهِ، وهُم يعْرِفُونَه، لِحَسَدِهِم الأَنْصارَ، إِذْ سَبَقُوا إِلَيْهِ. وزَعَمَ بنُو قُرَيظَة أَنَّ الرُّومَ لمّا غلَبُوا علَى الشَّامِ خرَجَ قُرَيْظَةُ والنَّضِيرُ وَهدل هَارِبين مِنَ الشَّام، يُريدون مَنْ كان بالِحجَازِ مِنْ بني إسرائيل، فوجَّهَ مَلِكُ الرُّوم في طَلَبِهم، فَأَعجَزُوا رُسُلَهُ، وانتَهَى الرُّسُل إِلى ثَمَد بَيْنَ الحِجَازِ والشَّامِ، فمَاتُوا عِندَهُ عَطَشًا، فسُمِّيَ الموْضِعُ ثَمَدُ الرُّومِ[2].

ونَقَلَ ابنُ زَبالَةَ أَنَّ مِمَّن كانَ معَ يَهُودَ مِنَ العَرَبِ قَبْلَ الأَنْصَارِ بَنِي أنيف حَيٌّ مِن بليّ، ويُقالُ بقيَّةٌ مِنَ العمالِقَةِ وبَنِي مزيد مِنْ بليّ، وبنِي معاويةَ بن الحارِثِ بنِ بهثَة بنِ سلِيم، وبَنِي الجدما[3] حَيًّا مِنَ اليَمَنِ. ولبَنِي أنيف بقَايَا بِأطام عِنْدَ بئْرٍ عدق، والمالُ الذي يُقالُ له: القائِم وغيْرُهُمَا[4].

قال شاعِرُهُمْ:

وَلَوْ نَطَقَتْ يَوْمًا قُبَاءٌ لَخبَّرَتْ ... بِأَنَّا نَزَلْنَا قَبْلَ عَادٍ وَتُبَّعِ

وَآطَامُنَا عَادِيَّة مُشْمَخِرَّةٌ ... تَلُوحُ وَتَبْكِي مِنْ بِعَاد وَتَمْنَعُ[5]

وكانَ مِمَّنْ بَقِيَ مِنَ اليَهودِ حِينَ نُزولِ الأَوْسِ والخزرجِ علَيْهِم بنو القصيصِ وبنو ناغصة مع بني أنيف. وقِيلَ: إنَّ بني ناغصة حَيٌّ مِنَ اليَمَنِ منازِلُهُم شِعْبُ بني حَرَام حَتَّى نقَلَهُم عمَرُ إلى مساجِدِ الفَتْحِ. وبنو قُرَيْظَة في الدَّار المعرُوفَةِ لَهُم الْيَوْمَ، ومعَهُم إِخْوَتُهم بنو هدل[6] وبنو عمرو، سُمِّيَ هدلا لهدلٍ كان في شَفَتِهِ. وبنو النَّضِيرِ كما قال ابنُ زَبَالَةَ النواعم[7]، ومنهم كَعْبُ بنُ الأَشْرَف، وكانَ لَهُم عامَّة أطم في

(1) يعنِي التَّوراة، كما فِي خلاصة الوفا ووفاء الوفا.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص157.

(3) في خلاصة الوفا: الجذماء. وفي الدرة الثمينة: الجذما. وسيكرِّرها المؤلِّف بلفظ "الجدمان. ولم أقفْ على ضبطها في كتب الأنساب. وضبطها ياقوت بـ: "الجذماء" وقال حيٌّ من يهود اليمَن. معجم البلدان، 355/4.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص158. والدرة الثمينة، ص39.

(5) البيتان من الطَّوِيل. خلاصة الوفا، السمهودِي، ص159، والمسالك والممالك، البكرِي، 1/ 324، وفيه: تلوح فتَنْعَى من يُعادَى. وفي الروض المعطار، محمد عبدالمنعم الحميري، ص453، وفِيه: تلوح فتنفِي من يُعادِي.

(6) في الأصل: هذل.

(7) في خلاصة الوفا: فِي النواعم. قال في المغانم: موضع قرب العوالِي، وكانت منزل بني النضِيرِ. المغانم، ص418.

المالِ الذِي يُقالُ لهُ فاضِحة[1] بجفاف، وأطم دونَ بني أميَّةَ بن زيد دُبُرَ قَصْرِ ابنِ هِشَام، وأطم البويلة[2].

وقَالَ الواقِدِي: منازِلُ بني النَّضِير بنَاحِيَة [31ظ] الغَرسِ، وبَنِي مزيد في بَنِي خطمة وناعمة إبراهيم بنِ هِشَام، وبنُو معاوِيَة في بني أميَّةَ بنِ زَيد، وبنو ماسكة قُرْبَ صدقة مروان ممَّا يلِي صدقة النَّبِيءِ ﷺ، ولَهُم الأُطُمَان اللَّذان في النقف[3] فِي القَرْيَة التِي آثارُهَا غربَي الحسينيات. وبنو محمم في المكَانِ الذِي يُقالُ لَهُ بنو محمم، ولهم المالُ الذِي يقالُ لَه خقافة[4]. وبنو زعوراء عندَ مَشْرَبَة أُمِّ إبراهِيمَ، وبنو زيدِ اللَّاتِ. قال ابنُ زَبالَةَ: وهُمْ رَهْطُ عبدِ اللهِ بنِ سَلَّام، قُرْبَ بَنِي غصيبة[5] وبنو قَيْنُقَاع عندَ منتهَى جِسْرِ بُطْحانَ مِمَّا يَلِي العَالِيَة، وهُناكَ سوقُهُم، ولَهُم الأُطُمَان اللَّذان عندَ منقَطَعِ الجِسْرِ على يَمِينِكَ وأَنْتَ ذاهِبٌ مِنَ المدينَةِ إذا سَلَكْتَ الجسْرَ مِنَ الطِّرِيقِ الشَّرْقِيَّةِ إلى العَالِيَة[6].

وذَكَر ابنُ عُمَر أنَّهم رَهْطُ ابنِ سَلَّام[7]، وهُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ يوسُف الصِّدِّيق عليه السلام، وبنو حِجْر عندَ المشْرَبَة التِي عندَ الجِسرِ، وبنو ثَعلَبَةَ وأَهْلُ زهرة بزهرة، وهُمْ رَهْطُ القطيون[8] مَلِكهم، الذي كان يقتضُّ[9] نِسَاءَ أَهْلِ المدينَةِ وأَهْلِ الجوَّانِيَّة بالجَوَّانِيَّة[10]، ولهم ضرار[11] والرّيّان وهما أُطمَان صارَا لِبَنِي حَارِثَةَ[12].

وبَنو الجَدمَانِ[13] حَيٌّ مِنَ اليَمَنِ فيما بَيْنَ مقبَرَةِ بَني الأَشْهَل وبَنِي قَصر بنِ عراك، ثمَّ انتَقَلوا إلَى رَاتِج[14].

وبنو عكرة[15] يَمَانِيَّ بنِي حارِثَةَ، وبَنُو مراية[16] شَامِيَّ بَنِي حارِثَةَ، ولَهُم الشِّعْبان أُطُم بتمع[17] صَدَقَة عُمَر بنِ الخَطَّاب رضي الله عنه، ونَاسٌ بِرَاتِج أُطمٌ سُمِّيَتْ بهِ ناحِيَةٌ، ونَاسُ الشَّوطِ والعَنائِقِ والوالِج وزبالَة

(1) في وفاء الوفا: فاضجة. قال في المغانم: اسم مال بالدينة، كان فيه أطم لبنِي النَّضِيرِ. المغانم المطابة، ص310.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص158. ووفاء الوفا، 303/1.

(3) فِي خلاصة الوفا: القف.

(4) فِي خلاصة الوفا: خناقة.

(5) فِي خلاصة الوفا: غصينة.

(6) (م، س)، ص158-159.

(7) صحيح البخارِي، حدِيث (4028).

(8) في خلاصة الوفا: القطيور، وفي وفاء الوفا: الفِطْيُون.

(9) خطأ صوابه: يفتَضُّ، كما في خلاصة الوفا.

(10) الجوانيَّة: موضع أو قرية قرب المدينة. معجم البلدان، الحموِي، 175/2.

(11) في خلاصة الوفا: صرار. وقال الفيروزأبادِي: موضع على ثلاثة أميال من المدينة. المغانم، ص217.

(12) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص159.

(13) فِي خلاصة الوفا: بنو الجذماء.

(14) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص159، وفيه: بنو الجذماء.

(15) في خلاصة الوفا: بنو عكوة.

(16) في خلاصة الوفا: بنو مزاية، وفي وفاء الوفا: مرانة.

(17) في خلاصة الوفا: ثمغ. وهو: موضع مال لعمر بن الخطاب، رضي الله عنه، حبسه أي: وقفه. معجم البلدان، الحموِي، 84/2.

إلَى عَيْنِ فاطِمةَ، حيْثُ كان يُطْبَخ الآجُر للْمَسْجِدِ النَّبَوِيّ[1].

ولِأَهْلِ الشَّوْطِ الشَّرْعِيّ أُطْم دونَ ذباب صارَ لِبَنِي خَيْثَم إِخْوَةِ بنِي عبْدِ الأَشْهَل، ولِأَهْلِ الوالِجِ أُطم بطَرَفِهِ مِمَّا يَلِي قَناةَ، ولبَعضِ مَن هناكَ الشّيحان، وهما أطمان بمقضاهما[2] مسجد الشيخينِ[3].

ولِأهْلِ زبالَةَ الأطمانِ عندَ كومة أبي الحمل الرَّائض[4]، والأطم الذي دونهما[5].

وكَانَ أَهْلُ يثْرِب جماعًا مِنَ اليَهُودِ بها وقَدْ بَادُوا، وقِيلَ: إنَّ قبائِلَ يَهودَ تَنِيفُ على العِشْرِينَ، وعِدَّةُ آطامِهِم وآطَامِ مَنْ نَزَلَ معَهُم مِنَ العَرَبِ تَزِيد على السَّبْعِينَ. وكانَت الآطامُ عِزَّ أَهْلِ المدينَةِ ومنعَتَهُم، وجاءَ النَّهْيُ عنْ هَدْمِهَا[6].

ولم تَزَل اليهُودُ ظاهِرَةً علَى المدِينَةِ حتَّى كان مِنْ سَيْلِ العَرِمِ، وهُو المطَرُ الشَّديدُ، وقِيلَ جُرَذٌ أعْمَى نَقبَ السَّدَّ كمَا قَصَّ اللهُ ﷻ في كتابِهِ، وكَانتْ مَأْرَبُ وهِيَ أرْضُ سَبَأ [32و] المعنيَّةُ بِقَوْلِه تعالَى: ﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ ﴾[7] أَخْصَبُ البلادِ، تَحْرُجُ المرأةُ وعلى رَأْسِها المكْتَلُ، فتَعْمَلُ بِمِغزلِهَا وتَسِيرُ بَيْن الشَّجَر فيَمْتِلِئ ممَّا يتَسَاقَطُ مِنَ الثَّمَر، وهِيَ أَكْثَرُ مِنْ شَهْرَيْن للرَّاكبِ المجِدِّ طولًا، وكذَلِكَ عَرضُها، وأهلُهَا فِي غايَةِ الكَثْرَةِ، مع إِجْمَاعِ الكَلِمَةِ والقُوَّة آمِنِين؛ تَخْرُج المرْأَةُ لَا تَتَزَوَّدُ تَبِيتُ في قَرْيَةٍ وتَقِيلُ في أُخْرَى حَتَّى تَأْتيَ الشَّامَ، قال اللهُ تعالَى:﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ أَيْ: قُرَى الشَّامِ ﴿ قُرًى ظَـٰهِرَةً ﴾[8]أيْ: يُرَى بَعضُها مِنْ بَعْضٍ لِقُرْبِها، فبَطَرُوا النِّعمَةَ، ﴿ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ بِمَفَاوِزَ بيْنَهُم وبَيْنَ الشَّامِ، يَرْكَبونَ فِيهَا الرَّواحِلَ، فعَجَّلَ اللهُ الإِجَابَةَ، كمَا قالَ اللهُ جَلَّ وعزَّ:﴿ فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾[9][10].

وعَنِ الضَّحَّاكِ: كَانوا فِي الفَتْرَةِ بَيْنَ عِيسَى ومُحَمَّد علَيْهِما السَّلَامُ، وكانَ السَّدُّ فَرْسَخًا فِي فَرْسَخ بنَاهُ لُقمانُ الأَكْبَرُ العَادِي، وقيلَ: ابنُهُ، وقِيلَ: سَبَأُ بنُ يشجُب، وماتَ قَبْلَ كَمَالِهِ، فأَكْمَلَهُ مُلُوكُهُم،

---

(1) (م، س)، ص159.

(2) فِي خلاصة الوفا: بمفضاهما.

(3) فِي خلاصة الوفا: السنحان، وضبطه المحقق بـ: الشيخان، كما في وفاء الوفا.

(4) فِي خلاصة الوفا: أبي الحمراء الرّابض.

(5) (م، س)، ص159.

(6) (م، س)، ص159.

(7) سورة سبأ:15.

(8) سورة سبأ:18.

(9) سورة سبأ: 19.

(10) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص160.

يَجْتَمِعُ إِلَيهِ مِياهُ اليَمَنِ، ثُمَّ يتَفَرَّقُ في مَجَارٍ، وكانَ أولَادُ حِمْيَرَ وأَوْلادُ كهْلَانَ ابنَيْ سَبَأٍ يوْمَئِذٍ سادَةَ اليَمَنِ وكَبِيرُهُم عَمْرو بنُ مزيقاء بنِ عَامِرِ ماءِ السَّماءِ بنِ حارِثَةَ بنِ امرِئِ القَيْسِ بنِ ثعْلَبَة بنِ مَازِنَ مِنَ الأَزْدِ، ويُقالُ الأَسَدُ بنُ الغوت بنِ نبتَة بنِ مالِك بنِ زَيْد بنِ كهْلانَ بنِ سَبَأ بنِ يشجب بنِ يَعْرُب بنِ قحطَانَ، وجِماعُ قبائل اليَمَنِ مُنْتَهٍ إلى قَحْطانَ، والأَكْثَرُ أنَّ قَحْطانَ هُو عامر بنُ شالخ بنِ أرفخشد بنِ سام بنِ نوح، وقِيلَ هو مِنْ وَلَدِ هودٍ، وقِيلَ: هُودٌ نَفْسُهُ، وقِيلَ ابنُ أخيهِ، ويُقالُ هُوَ أَوَّلُ مَن تكلَّمَ بالعَرَبيَّةِ، وهُوَ والدُ العَرَبِ المتَعَرِّبَة، وإسماعيلُ عليه السلام والدُ العَرَبِ المسْتَعْرِبَة، وأَمَّا العَرَبُ العارِبَةُ فقيلَ عادٌ وثَمُودُ وعمليقُ وغيْرُهُمْ[1].

وذَهَبَ الزُّبَيْرُ بنُ بكَّار إلَى أَنَّ قَحْطانَ بن الهميسع بن تيم بن نبت بن إسماعيل عليه السلام، ولِهَذا قَال أبُو هُرَيْرَة مُخاطِبًا لِلْأَنصَارِ: فَتِلْكُم؛ أَيْ: هَاجَرُ، أُمُّكُم يا بَنِي ماءِ السَّماءِ، يَعْنِي الأَنْصَارَ؛ لِأَنَّ جَدَّهُم عامِرا هُو الملَقَّبُ بذَلِكَ، أو أَرَادَ جَمِيعَ العَرَبِ لملَازَمَتِهَا مَوَاضِعَ الْقَطْرِ، وهذَا مُتمَسَّكُ مَن ذَهَبَ إلى أَنَّ العَرَبَ كلَّها مِنْ وَلَدِ إسماعِيلَ[2].

قالَ صاحِبُ "خُلاصَةِ الوَفَاء": وهُو الذِي [أمِيلُ][3] إلَيْهِ وإنْ ثَبَتَ خِلافُهُ، فالْعَرَبُ اللَّذِينَ لَهُم الشَّرفُ والتَّقَدُّمُ هُمْ بنُو إسْمَاعِيلَ عليه السلام فَقَطْ[4].

وكانَت زَوْجُ عَمرو مزيقيا تُسَمَّى طَرِيفَةُ الحِمْيَرِيَّة كاهِنَة، وَلَدَتْ لَهُ ثلَاثَةَ عَشَر[5] ولَدًا: ثَعْلَبة، أبَا الأَوْسِ والخَزْرَج، وحَارِثَةَ وَالِدَ خُزاعَةَ، وقِيلَ فِيهِم غَيْرُ ذلِكَ، وجَفنَةَ[6] والدَ غَسَّان، وقِيلَ فيهم غَيْرُ ذلِكَ، ووَدَاعةَ وأبَا حارِثَة والحَارِثَ [32ظ] وعَوْفا وكَعْبا ومَالِكا وعمرا، هؤُلاءِ كُلُّهم أَعْقَبُوا والثَّلاثةُ الْباقونَ لم يُعْقِبُوا، وكانَ لِعمرو مزيقيا مِنَ القُصُور والأَمْوالِ مَا لم يَكُنْ لِأَحَدٍ، فرَأَى أَخوهُ عمران وكَانَ كاهِنًا، ولَمْ يُعْقِبْ، أَنَّ قومَهُ سيُمَزَّقُون وتُخَرَّبُ بِلادُهُم، فذَكَرَهُ لَهُ، ثمَّ إنَّ طَرِيفَةَ سَجَعَتْ لَهُمْ بما يَدُلُّ لذَلِكَ، فقالَ: ومَا عَلامَتُهُ؟ قالَتْ: إذا رَأَيْتَ جُرَدًا يُكْثِر فِي السَّدِّ الْحَفْرَ، ويَقْلِبُ بِيَدِهِ مِنْهُ الصَّخْرَ، فَانْطَلَقَ إِلَى السَّدِّ، فإِذَا جُرَدٌ يَقْلِبُ الصَّخرَةَ ما يقَلبُها خَمْسونَ رَجُلًا مِنَ السَّدِّ، فأَخْفَى ذَلِكَ وأَجْمَعَ على بَيْعِ مالِهِ بِأَرضِ سَبَأ، والخُرُوجِ بِوَلَدِهِ، وخَشِيَ مِن اسْتِنْكارِ ذلِكَ، فاحْتَالَ بِطَعامٍ وَاسِعٍ صَنَعهُ، وجَمَعَ أَهْلَ مَأْرِب وأَسَرَّ إلى يَتيمٍ رَبَّاهُ أَنْ يَجلِسَ إلَى جَانِبِهِ، ويُنَازعَهُ الحَدِيثَ، ويفْعَلَ بهِ مثْلَ ما يَفْعلُ

(1) (م، س)، ص160-161.

(2) (م، س)، ص161.

(3) إضافة من خلاصة الوفا لتتمة المعنَى.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص161.

(5) فِي الأصلِ: عشرة.

(6) فِي الأصلِ: جعنة. والتصحيح من خلاصة الوفا.

بِهِ، ثُمَّ كَلَّمَهُ في شَيْءٍ، فَرَدَّ عليْهِ فضَرَبَ عمرو وجْهَهُ وشَتَمَهُ، ففَعَلَ اليَتِيمُ بِه فِعْلَهُ، فصَاحَ واذُلَّاهُ اليَوْمَ ذَهَبَ فخرُ عمرو، وحلَفَ لا يُقِيمُ بِبَلَدٍ صُنِعَ بِهِ ذلكَ فِيهَا، وأَنْ يَبِيعَ أَمْوالَهُ فاغْتَنَموا غضَبَهُ، واشْتَرَوْها، وتَبِعَهُ ناسٌ مِنَ الأَزْدِ فبَاعُوا، فلَمَّا اجْتَمَعَ لِعَمْرو أَثْمانُ أَموالِهِ أَخْبَرَ النَّاسَ، فخَرَجَ ناسٌ كَثِيرٌ، وأَقَامَ مَنْ قُضِيَ عليهِ بالهَلاكِ، وقِيلَ المحْتالُ في بَيْعِ مالِهِ ثعلَبَةُ بنُ عمرو، وإنَّما كانت طَرِيفَةُ زَوْجُهُ، وماتَ عمْرُو قَبْلَ السَّيْلِ[1].

وقِيلَ: لما مَاتَ عمرُو صَارَت الرِّئَاسةُ لِأَخِيهِ عامر العَاقِر[2]، وهُوَ المحْتَال لِلْبَيْعِ، فقَالَ لِحارِثَةَ بنِ أخِيهِ: إِذَا ضَرَبتُكَ فَالْطمني، فقالَ: كَيْفَ يلْطِمُ الرَّجلُ عمَّهُ؟ فقال: إِنَّ في ذلكَ صَلاحَكَ وصَلَاحَ قَوْمِكَ. ثُمَّ جاء السَّيْلُ فلَمْ يَجِدْ مانِعًا فغرق البِلاد والكروم إِلَّا ما كانَ في رَأْسِ جَبَلٍ، والبعيد مِثْلَ دمار وحَضْرَموتَ وعَدن، وذَهَبَت الضِّيَاعُ والحدائِقُ، وجَاءَ السَّيْلُ بالرَّمل وطَمَّهَا، ووَصَفَتْ لَهُمْ طرِيفَة البِلادَ، وقِيلَ عَمْرو، فَسَكَنَ أَزْدُ عُمَانَ بها، ووداعة بن عامر بكَرود مِنْ أَرْضِ هَمَدَانَ فانْتَسَبوا فِيهِم، وأَزْدُ شنُوءَة [بشق مِنَ الشراة][3]، وخزاعة ببَطْنِ مُرّ، والأَوسُ والخزْرَجُ بِيَثْرِبَ وآل جفينة مِنْ غَسَّانَ ببُصْرَى وسدير مِنْ أَرْضِ الشَّامِ وجديمة بن الأَبْرَش وغيره مِنْ غَسَّانَ بِالعِرَاقِ[4].

وسَجْعُ طَرِيفةَ المتعَلِّقُ بالمدِينَةِ: مَنْ كَانَ مِنكُم يُرِيدُ الرَّاسِخَاتِ فِي الْوَحل[5]، المطعمات فِي المحل[6]، فَلْيَلْتَحِقْ بِيَثْرِب ذاتِ النَّخْل[7]. ونسب لعمرو بن عامر بزيادة البركات بالرحل[8]، عَقِبَ المطعمات في المحل. وَقِيلَ قَالَتْ: فلْيَلْتَحِقْ بِالحرةِ ذاتِ النَّخل[9].

فَلَمَّا خرَجُوا وفَارَقَهم وداعَةُ بِهَمَدانَ ثُمَّ أَزْدُ شَنوءَة بيْن الشراة ومَكَّةَ [33و] ومَعَهُمْ عمرانُ بنُ عامِر، وسَارَ عمرو في بَاقِي وَلَدِهِ وفي ناسٍ مِنَ الْأَزْدِ حتَّى نَزَلوا ماءً يُقالُ لَهُ غسَّان، وغَلَبَ علَيْهِم اسْمُهُ. قالَ شاعِرُهُم:

إِمَّـا سُـئِلْـت فَـإِنَّـا مَعْشَـرٌ نُجُـبٌ الْأَزْدُ نِسْـبَتُنَا وَالـمـاءُ غَسَّـانُ[10]

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص161-162.

(2) فِي خلاصة الوفا: العاقل.

(3) في خلاصة الوفا: بشن من السراة، وفي وفاء الوفا: بالثني من شن، وهو بالسراة. وينظر معجم البلدان، 368/3.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص162.

(5) فِي الأصلِ: الوجل، والتصحيح من خلاصة الوفا.

(6) فِي الأصلِ: المخل. والتصحيح من خلاصة الوفا.

(7) فِي خلاصة الوفا: الوحل.

(8) فِي خلاصة الوفا: المدركات بالنحل.

(9) (م، س)، ص162.

(10) البيت من البسِيط. خلاصة الوفا، السمهودِي، ص163، وفي الرَّوض المعطار، محمد عبدالمنعم الحميري، ص430 نسبه لحسَّان.

ومِنْ ماءِ غسَّانَ انخَزعَ لُحَيّ، واسمُهُ رَبيعَةُ بنُ حارِثَة بنِ عمْرو بنِ حارِثَة، فأَتَى مَكَّةَ فَتَزَوَّجَ بِنْتَ عامِرِ مَلِكِ جُرهُمَ، فوَلَدَتْ عمرو بن لُحَيّ الذِي غيَّرَ دِينَ إِبْرَاهيمَ عليه السلام[1].

ورَوَى الأَزْرَقِي أَنَّ عمرو بنَ عامِر سَارَ وقَوْمَهُ، لا يَطَؤُونَ بَلَدًا إِلَّا غَلَبُوا علَيْهِ، فلَمَّا انْتَهوا إِلى مَكَّةَ، وأَهلُها جُرْهُم، قدْ قَهَرُوا النَّاسَ وحَازُوا ولَايَةَ البَيْتِ علَى بنِي إِسْماعِيلَ وغَيْرِهِم، أَرْسَلَ إِلَيْهِم ثَعْلَبَةُ بنُ عمْرو بنِ عامِر إِنَّا خَرَجْنَا مِنْ بِلادِنا فلَمْ نَنْزِلْ بَلَدًا إِلَّا فَسَحَ أَهلُها لنَا، فنُقِيمُ مَعَهُم حتَّى نُرسِلَ روَّادَنَا فيَرْتَادونَ لنَا بَلَدًا تَحْمِلُنا، فأَفْسِحوا لنَا حَتَّى نَسْتَرِيحِ ونُرسِلَ رُوَّادَنَا إِلى الشَّامِ والمشْرِق، فحَيْثُما قِيلَ لنَا إِنَّهُ أَمْثَلُ لَحِقْنا بِهِ، فأَبَتْ جُرْهُم، فأَرْسَلَ إِلَيْهِم ثَعْلبَةُ إِنَّه لا بُدَّ لِي مِنَ المقَامِ، فإِنْ تَرَكْتُمُونِي نَزَلْتُ وحَمِدْتُكُم ووَاسَيْتُكُم فِي الماءِ والمرْعَى، وإِن أَبَيْتُم أَقَمْتُ علَى كُرْهِكُم، ثُمَّ لم تَرْعَوا مَعِي إِلَّا فَضْلًا، ولَا تَشْرَبُوا إِلَّا رَنْقًا، يَعْنِي كَدَرًا، فإِنْ قَاتَلْتُمُونِي قاتَلْتُكُمْ، ثُمَّ إِنْ ظَهَرتُ عليْكُم سَبَيْتُ النِّساءَ، وقَتَلْتُ الرِّجالَ، ولَم أَترُكْ أَحَدًا مِنْكُم يَنْزِلُ الْحَرَمَ. فأَبَتْ جُرْهُمْ فاقْتَتَلُوا ثلاثةَ أَيَّامٍ ثُمَّ انْهَزَمَتْ جُرهُم، فلَمْ يَنْفَلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ. وأَقَامَ ثعْلبَةُ بِمَكَّةَ ومَا حَوْلَها بِعساكِرِهِ حَوْلًا، فأَصَابَتْهُم الحُمَّى، وكَانُوا بِبَلَدٍ لا يَعْرِفونَ فِيهِ مَا الْحُمَّى، فدَعَوا طَرِيفةَ الكَاهِنَة فشَكوا إِلَيْها، فقَالَتْ: قَدْ أَصَابَنِي الذِي تَشْكُونَ[2].

وذَكَرَ الأَزْرَقِي: أَنَّ الْأَوْسَ والخزْرَجَ ابْنَيْ حَارِثَةَ بنِ ثعلَبَةَ بنِ عمرو نَزَلُوا المدِينَةَ، وانْخَزَعَتْ خزَاعَةُ بمكَّةَ، فقَامَ بها رَبِيعةُ بنُ حارِثَةَ بنِ عَمْرو، وهُوَ لُحَيّ، فوَلَّى أَمْرَ مَكَّةَ[3].

وقالَ ياقوتُ: لما سارُوا مِنَ اليَمَنِ عطَفَ ثَعْلَبَةُ العَنْقَا ابنُ عمرو مزيقيا نَحْوَ الْحِجَازِ، وأَقَامَ ما بَيْنَ ثَعْلَبَةَ، وباسمهِ سُمِّيَت، إِلَى ذِي قَار[4]، فلَمَّا كَثُرَ وَلَدُهُ وقَوِيَ رُكْنُهُ، سارَ بِهِمْ إِلَى المدِينَةِ وبِهَا يهُود، فاسْتَوْطَنَهَا، فأَقَامُوا بَيْنَ قُرَيْظَة والنَّضِيرِ وخَيْبَرَ وتَيْمَا ووَادِي القُرَى، ونَزَلَ أكثَرُهُم بِالمدِينَةِ[5].

وأُمُّ الْأَوْسِ والْخَزْرَج قَيْلَةُ بنتُ عَمْرو بنِ جَفْنَةَ في قَوْلِ الْكَلبِي[6]، وقال ابْنُ حَزْم: قَيْلَة بنتُ الأَرْقَم بنِ عمرو بنِ جفنَة بنِ عمرو مزيقيا[7]، ويقالُ بنتُ كاهِل بنِ عذرة بنِ قضَاعَةَ، وقضاعَةُ مِنْ حِمْيَر في قَوْلِ الْأَكثَرِ، واشْتَهَرَت الأَوْسُ والخَزْرَجُ بأَبْنَاءِ قَيْلَة، ووَلَدَ الأَوْسُ مالِكا، ومنهُ قبائِلُ الأَوْسِ كلِّها[8].

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص163.

(2) (م، س)، ص163، وأخبار مكة، الأزرقِي، 93/1-94.

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص164، وأخبار مكة، الأزرقِي، 95/1.

(4) في معجم البلدان: ذو قار: ماءٌ لبكر بن وائِلَ ثريب من الكوفةِ، بينها وبين واسِط، وحنو ذي قار: على ليلة منهُ، وفِيهِ كانت الوقعةُ المشهورةُ بين بكر بن وائِلَ والفرسِ. معجم البلدان، الحموِي، 293/4، وفي المغنام المطابة: القار: قرية من قرى المدينة الشَّرِيفة. ص322.

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص164، معجم البلدان، ياقوت 36/5.

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص164، لم أجده في جمهرة أنساب العرب للكلبِي.

(7) جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص332.

(8) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص164.

وذَكَرَ الخرائِطِي[1] أنَّه لما حَضَرَت الأَوْسَ بنَ حارثَةَ بنِ ثَعلَبَةَ بنِ عمْرو الوَفَاةُ اجْتَمَعَ قومُهُ، فقالُوا: قدْ حَضَرَ مِنْ أَمْرِ الله ما تَرَى، وقدْ كُنَّا نَأمُرُكَ في شبابِكَ أن تَتَزَوَّجَ فتَأْبَى [33ظ] وهذا أخُوكَ الخَزْرَجُ له خمْسَةُ بنينَ، ولَيْسَ لَكَ غَيْرُ مالِك، فقالَ: لم يهْلِكْ هالِك، ترَكَ مِثْلَ مالِك، فصَارَ هذا مَثَلًا، إنَّ اللهَ قادِرٌ أَنْ يُخْرِجَ لمالِك نَسْلًا ورجالًا بُسلًا، وكلٌّ إلى الموْتِ. ثُمَّ أَقْبَلَ على مالِك فقالَ: أيْ بُنيَّ المنِيَّةُ ولا الدَّنِيَّةُ، وقالَ أبْيَاتًا:

فَعَلَّ الذِي أَوْدَى ثَمُودًا وَجُرْهُما ... يُعَقِّبُ لِي نَسْلًا عَلَى آخِرِ الدَّهْرِ
تقرُّ بهمْ مِنْ آلِ عَمْرو بنِ عَامِرٍ ... عُيُونٌ لَدَى الدَّاعِي إِلَى طَلَبِ الْوتْرِ
الم يَاتِ قَوْمِي أَنَّ للهِ دَعْوَةً ... يَفُوزُ بِهَا أَهْلُ السَّعَادَةِ وَالْبِرّ
إِذَا بُعِثَ المبْعُوثُ مِنْ آلِ غَالِبٍ ... بِمَكَّةَ فِيمَا بَيْنَ زَمْزَمَ وَالْحِجْرِ
هُنَالِكَ فَابْغُوا نَصْرَهُ لِبِلَادِكُمْ ... بَنِي عَامِرٍ إِنَّ السَّعَادَةَ فِي النَّصْرِ

ثمَّ قَضَى مِنْ ساعَتِهِ[2].

قال الشَّرقِي[3]: وُلِد لمالِك عمرُ وعوْفُ ومرَّة، ويُقالُ لَهُمْ أَوْسُ اللهِ، وَهُم الجعادِرَة، سُمُّوا بذلِكَ لقِصَرٍ فِيهِم[4].

وقال ابْنُ حَزْم: إنَّ بَنِي عَامِر بنِ عَمْرو بنِ مالِك بنِ الْأَوْسِ، كانوا كلُّهُم بِعُمانَ، لم يَكُنْ مِنْهُم بالمدينَةِ أَحَدٌ، فلَيْسُوا مِنَ الأَنْصَارِ[5].

ووَلَدَ الخزرجُ عمرا وعَوْفا وجشم وكَعْبًا والحارِثَ[6]، وتفَرَّقُوا بُطُونًا. وكانَ بَعْضُ بَنِي جفنة بن عمرو مزيقيا كانوا بالمدينةِ في عِداد الأَنْصَارِ[7].

قال الشَّرقِي[8]: ولَمَّا قَدِمَت الأَوْسُ والخَزْرَجُ المدِينَةَ تَفَرَّقوا في عالِيَتِها وسافِلَة، ومِنْهُمْ مَنْ نزَلَ معَ بنِي إسرائيلَ في قُراهُم، ومِنْهُمْ مَنْ نَزَلَ وَحدَهُ، لاَ مَعَ بني إِسْرائِيلَ، ولا معَ العَرَبِ الذِينَ كانُوا تَأَلَّفُوا إلى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وكانَت الثَّرْوَةُ في بَنِي إِسْرَائِيلَ، ولَهُمْ قُرَى أَعَدُّوا بِها الْأَطَام[9].

---

(1) الخرائطي: محمد بن جعفر بن محمد، محدث، أديب، سكن الشام، وحدث بها، وتوفي بفلسطين سنة:327هـ، من تصانيفه: اعتلال القلوب في أخبار العشاق، هواتف الجنان. سير أعلام النبلاء، 267/15، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 196/3.

(2) الأبيات من الطويل. خلاصة الوفا، السمهودِي، ص164-165، وهواتف الجنان، الخرائطِي، ص64-65. وينظَر الخبر في الأمالي، 134/1.

(3) في خلاصة الوفا: الشَّرقِي.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص165.

(5) (م، س)، ص165، جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص343.

(6) جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص346.

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص165، جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص372.

(8) في خلاصة الوفا: الشَّرقِي.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص165.

ولابنِ زَبالَةَ عن شَيْخِهِ[1] مِنْ أَهْلِ المدِينَةِ: أَنَّ الأَوْسَ والخزرَجَ وجَدُوا الأَمْوالَ والأطامَ بأَيْدِي يهُودَ، والعَدَدَ والْقُوّةَ مَعَهُم، فمَكَثُوا ما شَاءَ اللهُ، ثُمَّ سأَلُوهُم أَنْ يعْقِدوا مَعَهُم جِوَارًا وحِلْفًا، يَأْمَنُ بَعْضٌ بَعْضًا، ويتَمَنَّعونَ بهِ عمَّن سِواهُم، فتَحَالَفُوا وتَعَامَلُوا، ولَمْ يزَالُوا كَذَلِكَ زَمَانًا طَوِيلًا. وأَمرَتِ[2] الأَوْسُ والْخَزْرَجُ وصارَ لَهُم مالٌ وعَدَدٌ، فخافَتْ قُرَيْظَةُ والنَّضِيرُ أن يَغْلِبوهُم على دُورِهِم، فتَنَمَّروا لَهُم حَتَّى قَطَعوا الْحِلْفَ، وقُرَيْظةُ والنَّضِيرُ أَعَدُّوا أَكْثَر، فأَقَاموا خَائِفِينَ أَن يُجْلِيَهُم يهُودُ، حَتَّى نَجَمَ مِنْهُم مَالِكُ بنُ العَجْلانِ، أَخُو بَنِي سَالم بنِ عَوْف بنِ الخزرَجِ، وسَوَّدهُ الحيَّانِ الأَوْسُ والخَزْرَجُ، وكانَتْ لَا تُهدَى عَروسٌ مِنَ الحيَّيْنِ حتَّى تَدْخُلَ علَى القَيْطُون[3] مَلِكِ اليَهُودِ، فيَكُونَ هوَ الذِي يفتَضُّها.

فتَزَوَّجَتْ أختُ مالِك بنِ العجلانِ رَجُلًا مِنْ قَوْمِها، فبَيْنَما مالِك في النَّادي إِذْ خَرَجَتْ أُختُهُ فضْلاء[4] فنَظَرَ إليْها أَهْلُ المجْلِسِ، فشَقَّ على مَالِك، ودَخَل فعَنَّفهَا، فقالَتْ: ما يُصْنَعُ بي غَدًا أَعْظَمُ مِنْ هذَا، أُهْدَى إلى غَيْرِ زَوْجِي، فلَمَّا أمْسَى اشْتَمَلَ على السَّيْفِ، ودَخَلَ مُتَنَكِّرًا معَ النِّسَاءِ، فقَتَلَ القيطونَ وانْصَرَفَ [34و] إلى دارِ قَوْمِهِ، فبَعَثَ الرُّمَق بنُ زَيْدٍ أَحَدَ بَنِي سَالم إِلَى مَنْ وَقَعَ بِالشَّامِ مِنْ قَوْمِهِم يشْكُونَ غَلَبَةَ اليَهُودِ عليْهِم، فقَدِمَ إِلَى أَبِي جُبَيْلَةَ أَحَدِ بني جُشم بنِ الخَزْرَج الذِينَ سارُوا مِنْ يَثْرِبَ إلى الشَّام، وَقِيلَ: أبُو جبيلة هُوَ مِنْ وَلَدِ جفنة بنِ عمرو مزيقيا، وكَانَ قَدْ أصابَ مُلْكًا بِالشَّامِ، فشَكَا لَه حالَهُم وغَلَبَةَ اليَهُودِ علَيْهِمْ، فأَقْبَلَ أبُو جُبَيْلَة في جَمْعٍ كَثِيرٍ لنُصْرَتِهِم[5].

ونَقَلَ رَزِين عن الشَّرقِي[6] أنَّ القَيْطُون كانَ قدْ شرَطَ ألاَّ تَدخُلَ امرَأَةٌ على زوجِها حتَّى تدخُلَ عليْهِ. ولمَّا سَكَنَ الأوسُ والخزرجُ المدينةَ أَرادَ أن يَسِيرَ فِيهِمْ ذَلكَ، فتَزَوَّجتْ أُختُ مالِك بنِ العَجْلان رَجُلًا مِنْ بَنِي سَالم، فأَرْسَلَ القيطونُ رَسولًا في ذَلِكَ، وكانَ مالِكُ غَائبًا فخَرَجَتْ أُخْتُهُ في طَلَبِهِ فمَرَّتْ بِهِ في قَوْمٍ، فنَادتْهُ، فقال: لقَدْ جِئْتِ بسَيِّئَةٍ، تُنادِينِي ولا تَسْتَحِي، فقالت: الذِي يُرادُ بِي أَكْثَرُ، فأَخْبَرَتهُ، فقَالَ: أَكْفِيكِ ذَلِكَ، فقالت: وكَيْف؟ فقال: أَتَزَيَّا بِزِيّ النِّسَاءِ، وأَدْخُلُ معَكِ عليهِ بالسَّيْفِ فأقتُلَهُ، ففَعَلَ ثُمَّ خَرَجَ حتَّى قَدِمَ الشَّامَ على أَبِي جَبِيلةَ، وكانَ نَزَلَها حِينَ نُزُولِهم المدِينةَ، فجَيَّشَ جيْشًا عظِيمًا، وأَقْبَلَ كأَنَّه يُرِيدُ اليَمَنَ، واخْتَفَى مَعَهُ مالِكُ بنُ العَجْلَانِ، فنَزَلَ بِذِي حُرُض[7]، فأَرْسَلَ إلى الأَوسِ

(1) فِي خلاصة الوفا: مَشْيَخَة.

(2) فِي خلاصة الوفا: أثِرَت.

(3) فِي وفاء الوفا: الفِطَيْوْن، وفي خلاصة الوفا كما أثبته المؤلِّف، وقال ابن دريد: الفِطيَون الملك، وهذا اسم عبرانيّ. الاشتقاق، ابن دريد، ص436.

(4) فِي خلاصة الوفا: فَضْلاء، فصحح المحقق ذلك وقال: فُضُلا، وكذلك أثبت محقق وفاء الوفا. وقال ابن الجزري: يُقَالُ: تَفَضَّلَتِ المرْأَةُ إِذَا لَبِسَت ثِيَابَ مِهْنَتِها، أَوْ كَانَتْ فِي ثَوْبٍ واحِد، فَهِيَ فُضُلٌ وَالرَّجُلُ فُضُلٌ أَيْضًا. النهاية في غريب الحدِيث، 456/3.

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص166.

(6) فِي خلاصة الوفا: الشرقِي.

(7) حُرُض: وادٍ بالمدينة. معجم البلدان، الحموِي، 242/2.

والخَزْرَجِ فوَصَلَهُم، ثُمَّ أَرْسَلَ إلى بَنِي إسْرَائِيلَ: مَن أَرَادَ الحبَاءَ[1] مِنَ الملِكِ فلْيَخْرُجْ إليْهِ، مَخَافةَ أن يتَحَصَّنوا، فلا يَقْدِرُ علَيْهِمْ. فَخَرَجَ إِلَيْهِ أشرافُهُم فَأَمَرَ لَهُمْ بِطَعامٍ حَتَّى اجتَمَعُوا فقَتَلَهُم، فَصَارَ الأَوْسُ والخَزرجُ أَعَزَّ أَهْلِ المدينَةِ[2].

وقيلَ: إِنَّمَا قصَدَ مالك بن العجلان بَعْدَ قَتْلِ القيطونِ تُبَّعا الأَصْغَرَ باليَمَنِ، فشَكَا إِلَيْهِ، فعَاهَدَ أن لَا يَقْرَبَ امرَأَةً ولَا يَمَسَّ طِيبا، ولا يَشْرَبَ خَمْرا حَتَّى يَسِيرَ إلى المدِينَةِ ويُذِلَّ مَن بِهَا مِنَ اليَهُودِ، فَفَعَلَ[3].

وَقالَ ابنُ قُتَيْبَةَ: إِنَّ تُبَّعا الأَصْغَرَ ابنَ حَسَّان آخِر التَّبَابِعَةِ سَارَ إِلَى الشَّامِ ومُلُوكُها غَسَّان، فأَطَاعَتْهُ، ثُمَّ إلى المستقرِّ[4] مِنْ ناحِيَة هَجَر[5]، فأَتَاهُ قَوْمٌ كانوا وَقَعوا إلى يَثْرِبَ وحَالَفوا يهُودا بِهَا، فشَكَوْهُم ومَتُّوا إِلَيْهِ بالرَّحِمِ، فأَحْفَظَهُ ذلِكَ فسَارَ ونَزَلَ بِسَفْحِ أُحُدٍ، وبَعَثَ إِلَى يَهُودَ، فقَتَلَ مِنْهُمْ ثَلاثَ مِئةٍ وخَمسِينَ رَجُلًا صَبْرًا، وأَرَادَ خَرَابَها، فقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ، أَتَتْ عَلَيْهِ مِئتَان وخَمْسُونَ سَنَةً، فقَالَ: أَيُّها الملِكُ، مِثْلُكَ لا يَقْتُلُ علَى الغَضَبِ، وأَمْرُكَ أَعْظَمُ مِنْ أنْ يَطِيرَ بِكَ نزَقٌ[6] أَوْ يُسْرِعَ بِكَ لِجَاجٌ، وإِنَّكَ لا تَسْتَطِيعُ أنْ تَخْرِبَها؛ لِأَنَّها مُهَاجَرُ نَبِيءٍ مِن وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ [34ظ] يَخرُجُ مِنْ عنْدِ هذِهِ البنية، يعْنِي الكَعْبَة، فكَفَّ ومَضَى وَمَعَهُ هذَا اليَهُودِيّ ومَعَهُ آخَرُ مِنْهُم، وهُمَا الْحَبْرَانِ فأَتَى مَكَّةَ، وكَسَا البَيْتَ، ثُمَّ رَجَعَ إلى الْيَمَنِ وَهُما مَعَهُ، قدْ دَانَ بِدينِهِمَا[7].

وذَكَر الشَّرفِي: إِنَّ أبا جُبَيْلة لما فَرِغَ مِنْ أَهْلِ المدِينَةِ رَجَعَ إِلَى الشَّام، فأَقْبَلَ تُبَّعٌ الأَخِيرُ، وهُوَ كرب بنُ حَسَّان بنِ أَسْعَد الْحِمْيَرِي، يُرِيدُ المشرِقَ كمَا كانت التَّبابِعَةُ تَفْعَل، فَمَرَّ بالمدِينةِ فخَلَّفَ فِيهَا ابْنًا لَهُ ومَضَى، حَتَّى قَدِمَ الشَّامَ ثُمَّ العِرَاقَ، فقُتِل ابنُهُ بالمدِينَةِ غَيْلَةً، [وقِيلَ: قَتَلُوا رَجُلًا مِن عَسْكَرِهِ طلَعَ نَخْلَةً لِيَأْكُلَ منْهَا، قَتَلَهُ صَاحِبُها، وقَالَ: لم تُسْقَ ولَمْ تُؤبَّر][8]، فأَقْبَلَ يُرِيدُ تَخْرِيبَهَا فَنَزَلَ بِسَفْحِ أُحُدٍ وأَرْسَلَ لِأَشْرَافِ المدِينَةِ، فقَالَ بعْضُهُم: أَرَادَ أنْ يملكَنَا عَلَى قَوْمِنَا. وقَالَ أُحَيْحَةُ: واللهِ ما دَعَاكُم لِخَيْرٍ. وكَانَ لِأُحَيْحَةَ رَئِيٌّ مِنَ الجِنِّ ثمَّ دخَلَ على تُبَّعٍ أَوَّلَ النَّاسِ، فَفَطِنَ بِالشَّيْءِ بعدَ تَحَدُّثِهِ مَعَهُ، ثُمَّ

(1) الحِباءُ ما يَحْبُو به الرجلُ صاحَبه ويكرمه به. لسان العرب (حبا).

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص166-167.

(3) (م، س)، ص167.

(4) في وفاء الوفا والمعارف: المشَقَّر. وهو حصن بالبحرين لعبد القيس يلي حصنا لهم آخر يقال له الصَّفا قبل مدينة هجر. معجم البلدان، الحموِي، 134/5.

(5) مدينة هجر في البحرين. معجم البلدان، الحموِي، 393/5.

(6) كتابتها تحتمل: بزق، ونزق، فقد رسم النقطة من فوق ومن تحت، في خلاصة الوفا: برق، وفي وفاء الوفا والمعارف: نزق. والبزق لا محل له هنا. وأما النزَق: خفة في كل أمر وعجلة في جهل وحُمق. لسان العرب، ابن منظور (نزق).

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص167. المعارف، ابن قتيبة، ص634-635.

(8) العبارة: ليست في خلاصة الوفا، وقد أضافها المؤلِّف على الهامِشِ.

قالَ: إنَّ أَصْحَابِي يَصِلُونَكَ إلى الظُّهرِ، واستَأْذَنَ في الْخُرُوجِ إلَى خَيْمَتِهِ، وجَاءَ أصْحَابُهُ قَرِيبًا مِنَ اللَّيْلِ، فَأَمَرَ لَهُمْ تُبَّعٌ بِضِيافَةٍ، فَلَمَّا كانَ جَوْفُ اللَّيْل أَرْسَلَ إِلَيْهِم لِيَقْتُلَهُم، ففَطِنَ أُحَيْحَةُ فانْطَلَقَ فتَحَصَّنَ بِحِصْنِهِ، فحَصَرُوهُ ثَلاثًا يقَاتِلُهُمْ بِالنَّهارِ، وإِذَا كانَ اللَّيلُ رَمَى إِلَيْهِم بِتَمْرٍ، فَقالَ هذِهِ ضِيافَتُكُمْ. فأَخْبَرُوا تُبَّعًا أَنَّهُ في حِصْنٍ حَصِينٍ، فأَمَرَهُمْ أَنْ يَحْرِقوا نَخْلَهُ، واشْتَعَلَت الحَرْبُ بَيْنَ تُبَّعٍ وأَهْلِ المدِينَةِ مِنَ اليَهُودِ والأَوْسِ والخَزْرَجِ، وتَحَصَّنوا في الأَطَامِ، وجَرَّدَ إلى بَنِي النَّجَّارِ خَيْلًا فقَاتَلُوهُمْ ورَئِيسُهُم يَوْمَئِذٍ عَمْرُو بنُ طَلْحَةَ أَخُو بَنِي مُعَاوِيَةَ بنِ مَالِك ابنِ النَّجَّار، فرَمَى تُبَّعٌ حُصُونَ الأَنْصَارِ بِالنَّبلِ. وصُرِعَ[1] في القِتَالِ فَرَسُ تُبَّعٍ، فحَلَفَ لَا يَبْرَحُ حَتَّى يَخْرِبَها، فَنَزَل إِلَيْهِ أَحْبَارٌ مِنْ يَهُودَ، وقَالُوا: أيُّها المِلِكُ إِنَّ هَذِهِ البَلْدَةَ حُفِظَتْ، فإِنَّا نَجِدُ في الكِتَابِ اسْمَهَا طَيْبَةُ، وإِنَّها مُهَاجَر نَبِيءٍ مِنْ بَنِي إِسْمَاعيلَ مِنَ الحَرَمِ، فلَنْ تُسَلَّطَ علَيْهَا، فأُعْجِبَ لِقَوْلِهِمْ وصَرَفَ نِيَّتَه عنْهَا، وأَمَرَ أَهْلَ المدِينَةِ أَنْ يَتَبَايَعُوا مَعَ العَسْكَرِ، ثُمَّ خَرَجَ يُرِيدُ اليَمَنَ، ومَعَهُ مِنَ الْأَحْبَارِ رَجُلَانِ أو ثَلَاثَةٌ، قالَ لَهُم تَسِيرُونَ معِي أَيَّامًا آنَسُ بِكُم لِحَدِيثِكُم، فكَانُوا يُحَدِّثونَهُ، فلَمْ يَتْرُكْهُم حَتَّى وَصَلُوا إِلَى الْيَمَنِ، فَكَانوا أَوَّلَ يَهُودٍ دَخَلُوا اليَمَنَ[2].

ويُروَى أَنَّه قالَ لَهُ في رُجُوعِهِ إلى اليَمَنِ رجالٌ مِنْ هذيل: إنَّ تحتَ الكَعْبَة كَنْزًا، فاهْدِمْهَا وخُذْهُ، فقالَ لَهُ الأَحْبَارُ الذِينَ نَهَوْهُ عن استِئْصَال المدِينَةِ لِأَنَّها مُهَاجَرَ آخِرِ الأَنْبِيَاءِ، لا تَفْعَلْ أيُّها المِلِكُ، إِنَّما يُرِيدُونَ إِهْلَاكَكَ بِهَدْمِهَا، بلْ أكْرِمْهَا وأَهْلَهَا، فنَحَر أَنْعُمًا كثيرةً، وأَلْبَسَ الكَعْبَةَ، وقالُوا إِنَّها بَيتُ اللهِ، فقتَلَ الهُذَلِيَّيْن واستَصْحَبَ الأَحْبارَ إِلَى اليَمَنِ، وفِيهَا نَارٌ تَحْرِقُ المبْطِلَ وقَدْ دانَ بِدِينِهِم، فقَالوا لَهُ: نَدْخُلُهَا ولا تَحْرِقُنَا، وإن دَخَلَهَا مَن عَبَدَ الأصْنَامَ أَكَلَتْهُ. فدَخَلوها وخَرَجُوا مِنَ الجَانِبِ الآخَرِ، وأَرَادَ عُبَّادُ الأَصْنَامِ أَنْ يَدْخُلُوهَا، فَلَمْ يَقْدِرُوا، فثَبَتَ علَى دِينِهِمْ وعَلَى هُجْرَانِ الأَصْنَام وأَهْلِهَا[3].

وذَكَرَ ابن إِسحاق: أنَّ بَيْتَ أَبِي أَيُّوب الأَنْصَارِي بنَاهُ تُبَّعٌ الأَوَّل، واسْمُهُ تِبَان أسعد بن كُلك بن يكرب[4] حِينَ مرَّ بالمدينةِ، وكَانَ مَعَهُ أَرْبَعُ مِئة عَالم، فتَعَاقَدُوا علَى أن لَا يَخْرُجُوا عنهَا، فسَأَلَهُم تُبَّعٌ عن ذَلِكَ، فقالُوا: إِنَّا نَجِدُ في كُتُبِنا أَنَّها مُهَاجَرُ نَبِيءٍ اسمُهُ مُحَمَّد، فنُقِيمُ لَعَلَّهُ نَلْقَاهُ، فَبَنَى لِكُلٍّ دارًا، وزوَّجَهُ جَارِيَةً، وأَعْطاهُ مَالًا جَزِيلًا[5].

(1) في خلاصة الوفا: وجُدع.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص167- 168.

(3) فقرة أضافها المؤلِّف في الهامِشِ، لم أجد المصدر الذي نقل منه.

(4) في خلاصة الوفا: بن كلكيكرب، وفِي وفاء الوفا: بن كُليكَرِب.

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص168-169، نقلا من "المبتدأ" ابن إسْحاق. لم أقف عليهِ في المطبوعِ.

[35و][1] وذَكَرَ القُرْطُبِيّ[2] أَنَّ الأَنْصَارَ الذِين نَصَرُوا النَّبِيءَ ﷺ كانُوا مِنْ أَوْلَادِ العُلَمَاءِ والحُكَمَاء الذِينَ كانُوا مَعَ تُبَّعٍ الأَوَّل، فيمَا ذَكَرَ ابنُ إِسْحَاق[3].

وكان تُبَّع مِنَ الذين كانتْ لَهُم الدُّنيَا كلُّها، وكانَ كَثيرَ الوُزراءِ فاخْتَارَ مِنْهم واحِدًا وأَخْرَجَهُ معَهُ ليَنْظُرَ في مُلْكِهِ، فكانَ إذا أَتَى بَلْدَةً يَخْتارُ مِنْ حُكمائِها عشرَةَ رِجَالٍ، وكان معهُ مِنَ العُلَماءِ والحُكَمَاءِ مِئَةُ أَلْفِ رَجُلٍ، ثمَّ الذِينَ اختَارَهُم مِنَ البُلْدانِ، وهذا القَدْرُ غَيْرُ محسُوبٍ مِنَ الجَيْشِ.

ولمَّا انْتَهَى إلى مَكَّةَ لم يَخْضَع لهُ أَهْلُ مَكَّةَ كَخُضُوعِ أَهْلِ البِلادِ، ولَمْ تُعَظِّمْهُ فغَضِبَ لذَلِكَ، ودَعَا وَزِيرَهُ، وكان اسمُهُ عمَّارِيا، فقَالَ لَهُ: كَيْفَ شاهَدْتَ هذِهِ البَلْدَةَ؟ فإِنَّهم لم يَهَابونِي، ولَمْ يَخْشَوا عسْكَرِي. فقَالَ: إِنَّهم بنُو يَعْرُب، لا يَعْرِفونَ شَيْئًا، ولَهُمْ بَيْتٌ يُقَالُ لَه الكَعْبَةُ، وَهُمْ مُعْجَبونَ بِهِ ويَسْجُدونَ فِيهِ لِلْأَصْنامِ، فنَزَلَ المِلِكُ بِعَسْكَرِهِ في بَطْحَاءَ مَكَّةَ، وعَزَمَ على هَدْمِ الكَعْبةِ، وقَتْلِ الرِّجَال وسَبْيِ النِّسَاءِ، فأَخَذهُ اللهُ بالصُّداعِ، وتَفَجَّر مِنْ عيْنَيْه وأُذُنَيْهِ ومِنْخَرَيْهِ وفَمِهِ ماءٌ مُنْتِنٌ، فلَمْ يَصْبِرْ عندهُ أَحَدٌ طَرْفَةَ عَيْنٍ مِنْ نَتْنِ الرِّيحِ، فاسْتَيْقَظَ لذلِكَ، فقالَ لوَزِيرِهِ: اجْمَع العُلَمَاءَ والحُكَمَاءَ والأَطِبَّاءَ وتَكَلَّمْ معَهُم فِي أَمْرِي.

فاجتَمَعَ عنْدَهُ العلَمَاءُ والحُكمَاءُ والأَطِبَّاءُ، فلَمْ يَقْدِرُوا على الجُلُوسِ عندَهُ ساعَةً، وعجزُوا عن مداواتِهِ، وقالوا: نَحْنُ نقْدِرُ على مُدَاوَاةِ ما يَعْرِضُ مِنْ أُمورِ الأَرْضِ، وهذَا شَيْءٌ مِنَ السَّماءِ لا نَسْتَطِيعُ لهُ رَدًّا.

ثمَّ اشْتَدَّ أَمرُهُ ونَفَرت النَّاسُ عَنهُ، ولَمْ يَزَل أَمْرُهُ في شِدَّةٍ حَتَّى أَقْبَلَ اللَّيلُ فجَاءَ أَحَدُ العُلَماءِ إلى وَزِيرِهِ فقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وبَيْنَكَ سِرًّا، وهُوَ إِنْ كانَ المِلِكُ يَصْدُقُنِي فِي حَدِيثِهِ عالَجْتُهُ، فاسْتَبْشَرَ الوَزِيرُ بذلِكَ، وقَالَ لَهُ قُلْ ما شِئْتَ، فقال: أُرِيدُ الخُلُوَّ، فأَخْلَى لَهُ المكانَ، فلَمَّا خلَا مَجْلِسُ المِلِكِ، قال لَهُ العالِم: أيُّها المِلِكُ أنتَ نَوَيْتَ لهذا البَيْتِ سُوءًا، قالَ: نَعَم، نَوَيْتُ خرَابَهُ وقَتْلَ رجَالِهِ وسَبْيَ نِسَائِهِ، فقال له العالِم: أيُّها المِلِك هَذِهِ النِّيَّة هِيَ التِي أَحْدَثَتْ لَكَ هذا الدَّاءَ، ورَبُّ هذا البيتِ قادرٌ بعِلْمِ الأَسْرارِ، فبَادِر وأَخْرِجْ مِن قِبَلِكَ ما هَمَمْتَ بهِ مِنْ أَمْرِ هذا البَيْتِ المبارَكِ وأَهْلِهِ، ولكَ خَيْرُ الدُّنيَا والآخِرَة.

قال المِلِكُ: قدْ أَخْرَجْتُ ذلكَ مِن قِبَلِي، ونَوَيْتُ لهذَا البَيْتِ المبارَكِ ولِأَهْلِهِ خَيْرًا.

فلَمْ يَخْرُج العَالِم مِنْ عِنْدِهِ حتَّى برَا مِن عِلَّتِهِ، وعَافَاهُ اللهُ تعَالَى بِقُدرتِهِ، فآمَنَ بالله مِنْ ساعَتِهِ،

---

(1) الورقة: [35و] [35ظ] تختلف في المسطرة عن باقي الأوراق، يبدو أن المؤلِّفَ أضافها تتِمَّةً، والدَّليل شطبٌ في الورقة [34ظ] وشطبٌ في [36و] وهي أبيات متكاملة، وكذلك وجود التعقيبة نفسها في الصفحتين. وفي النسخة (ب) الورقة كلها محذوفة.

(2) ذكر ابن حجّة أنّ اسم الكتابِ "الإعلام"، ولإبراهيم بن الأمين الطليطلي القرطبي ت: 544هـ، (أبو إسحاق) استدراك على ابن عبد البرّ سمَّاه: الإعلام بالخيرة الأعلام من أصحاب النَّبِيّ ﷺ. ينظر: الصلة، ابن بشكوال، ص101، ومعجم المؤلِّفين، رضا كحالة، 81/1، ولأبِي عبد الله محمّد بن أحمد القرطبِي المفسِّر كتاب "الإعلام بما فِي دين النّصارَى من الأوهام" (مع اختلاف في نسبته إليه، أو إلى القرطبِي الآخَر أحمد بن عمر صاحب كتاب "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم")، لكن لم أجِد فِي كليهما نقول ابن حجّة التِي نسبها للقرطبِي.

(3) ثمرات الأوراق، ابن حجة الحموِي، ص191، نقلا من "الإعلام" للقرطبِي.

وخَلَعَ على الكَعْبَةِ سَبْعَةَ أَثوابٍ، وهُوَ أَوَّلُ مَن كسَا الكَعْبَةَ.

وخَرَجَ إلى المدِينَةِ وهيَ يومئذٍ بُقْعَةٌ فيها عَيْنُ ماءٍ لَيْسَ فيها بَيْتٌ، فنَزَلَ على رَأْسِ العَيْنِ هُوَ وعسْكَرُهُ وجَمِيعُ العلَمَاءِ الذِين كانوا مَعَهُ، ومَعَهُم رَئيسُهُم عمارِيَا الذِي يَرَى المِلكُ بِرَأْيِهِ، ثمَّ إنَّ العلَمَاءَ والحُكَمَاءَ أَخْرَجوا مِنْ بيْنِهِم أَرْبَعَ مِئَة، وهُمْ أَعْلَمُهُم وبَايَعَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُم صاحِبَهُ أن لَا يَخْرُجُوا مِنْ ذَلِكَ المقَامِ وإنْ قَتَلَهم المِلكُ.

فلَمَّا علِمَ المِلكُ بما عَزَموا، قال لِلوزِيرِ: ما شَأْنُهُم يَمْتَنِعونَ مِنَ الخروجِ مَعِي وأَنَا مُحْتَاجٌ إِلَيْهِم؟ وأَيُّ حِكْمَةٍ اقْتَضَتْ نزُولَهُم في هذا المكَانِ، واختِيَارَهُم إيَّاهُ على سَائِرِ النَّواحِي؟

فسأَلَهُم الوَزِيرُ عن ذَلِكَ فقَالُوا: [35ظ] أَيُّها الوَزِيرُ إنَّ ذلِكَ البَيْتَ وهذِهِ البُقْعَةَ التي نَحْنُ فيها يَشْرُفَانِ بِرَجُلٍ يُبْعَثُ في آخِرِ الزَّمانِ يُقالُ لَهُ مُحَمَّد، ووَصَفُوهُ لَهُ ﷺ، ثُمَّ قالوا: طُوبَى لمنْ أَدْرَكَهُ وآمنَ بهِ، ونحنُ على رَجَاءِ أن ندْرِكَهُ أو تُدْرِكَهُ أولَادُنا.

فلَمَّا سَمِعَ الوَزِيرُ مقالتَهُم هَمَّ بالمقَامِ معَهُم، فلَمَّا جاءَ وَقْتُ الرَّحيلِ أَمَرَهُم المِلكُ أن يَرْتَحِلُوا، فقَالُوا: لَا نَفْعَلُ وقَدْ أَعْلَمْنا الوَزِيرَ بِحِكْمَةِ مُقَامِنَا، فدَعَا بالوزِيرِ فَأَخْبَرَهُ بِمَا سَمِع منْهُمْ، فتَفَكَّرَ المِلكُ وَهَمَّ أَنْ يُقِيمَ مَعَهُم رَجَاءَ أن يُدرِكَ مُحَمَّدًا ﷺ، فأَقَامَ وأَمَرَ النَّاسَ بِبنَاء أَرْبَعِ مِئَة دَارٍ على عدَّة العُلَمَاءِ والحُكَمَاءِ، واشْتَرَى لِكُلِّ واحِدٍ جارِيَةً وأَعْتَقَهَا وزَوَّجهَا بِرَجُلٍ مِنْهُم، وأَعْطَى كُلَّ واحِدٍ مِنْهُم عَطاءً جزِيلًا، وأَمَرَهُم أَنْ يُقِيمُوا في ذلكَ المكَانِ إِلَى أن يَجِيءَ زَمَانُ النَّبِيءِ ﷺ، ثُمَّ كتَبَ الكتابَ وختَمَهُ بخاتم مِنْ ذَهَبٍ، ودفعهُ إلى عالمهم الكَبِيرِ، وأمرَهُ أن يدْفَعَ الكِتابَ إلى محمَّد ﷺ إنْ أَدْرَكَهُ، وإِلَّا فلْيَوصِ بهِ أولادَهُ، وهكَذا أولَادَ أولادِهِ وَمَن بَعْدَهُم، إلى أَنْ يتَّصِلَ بالنَّبِيءِ ﷺ.

وكان في ذلكَ الكِتَابِ: أمَّا بعدُ فإنّي آمنْتُ بِكَ وبِكِتَابِكَ الذي أُنْزِلَ علَيْكَ، وأنا عَلَى دِينِكَ وسُنَّتِكَ، وآمَنْتُ بِرَبّكَ وبِكُلِّ ما جاءَ مِنْ ربّكَ مِنْ شرَائِعِ الإيمَانِ والإسلامِ، فإن أَدْرَكْتُكَ، وإِلَّا فاشْفَعْ لِي، ولا تَنْسَنِي يَوْمَ القِيَامَةِ فإنّي مِنْ أُمَّتِكَ الأَوَّلينَ، وقَدْ بَايَعْتُكَ قَبْلَ مجيئِكَ، وأنا على ملَّتِكَ ومِلَّةِ أَبِيكَ إِبْرَاهِيم عليه السلام.

ثُمَّ خَتَمَ الكِتَابَ ونَقَشَ علَيْهِ: للهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ، وكَتَبَ عنْوانَهُ إلى مُحمَّد بنِ عَبْدِ اللهِ ونَبِيِّ اللهِ ورَسُولِه وخَاتِمِ النَّبيئِينَ ورسُولِ رَبِّ العالمينَ ﷺ، مِنْ تُبَّع الحِمْيَرِي. ودَفَع الكتَابَ إلى الرَّجُلِ العَالم الذي أبْرَاهُ مِنْ عِلَّتِهِ. وسارَ تبَّعٌ مِنَ المدينة إِلَى [بلاد الهِندِ][1] وماتَ بها، وبَيْنَ موْتِهِ وبعثة النَّبيءِ ﷺ ألفُ سَنةٍ لا تَزِيد ولا تنقُصُ.

وهذا تُبَّع الأوَّل، وبينهُ ﷺ إِذْ بُعِثَ وتُبَّع الأَوَّل نحوُ سِتّ مِئَة أو سَبْع مِئَة، وهو الذِي قاتلَ أَهْلَ

(1) لعل المؤلف نسِيَه وجبرته من ثمرات الأوراق.

المدِينةِ ثمَّ تَرَكَ، والنَّبيءُ ﷺ والأَنْصَارُ الذينَ نَصَرُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ أولادِ أولئكَ العلماءِ والحكماءِ.

ولَمَّا هاجَرَ رسولُ الله ﷺ إلى المدِينَةِ جَعَلَ يَسأَلُهُ أَهلُ القَبائلِ أنْ يَنْزِلَ علَيْهم، ويَقولُ خَلُّوا عنْ ناقَتِي، وكانُوا يتَعَلَّقون بِهَا، خلُّوا النَّاقَة فإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، حتَّى جاءَتْ إلى دارِ أبي أَيُّوب، وكانَ مِنْ أولادِ العالم الذي أبْرَأَ تُبَّعًا بِرَأْيِهِ ثم اسْتَشَارَ الأنصارَ عبدُ الرَّحمنِ بنُ عَوْف رَضِيَ اللهُ عنْهُ فِي إيصَالِ الكتَابِ إِلَى النَّبِيءِ ﷺ لمّا ظَهَرَ خَبَرُهُ قَبْلَ هِجْرَتِهِ، فأَشَارَ عبْدُ الرَّحمن أن يَدْفَعُوهُ إِلَى رَجُلٍ ثِقَةٍ، فدَفَعُوهُ إلى أَبِي لَيْلَى مِنَ الأَنْصَارِ، وأَوْصَوْهُ بِحِفْظِهِ، فأَخَذَ الكِتابَ وخَرَجَ مِن المدِينَةِ علَى طرِيقِ مَكَّةَ فوَجَدَ النَّبِيءَ ﷺ في قَبِيلَةِ بَنِي سُلَيْم[1] فعَرَفَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فدَعَاهُ، وقَالَ: أَنْتَ أَبُو لَيْلَى؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: ومَعَكَ كتابُ تُبَّع الأَوَّل؟ قالَ: نَعَمْ، فبَقِيَ أبو لَيْلَى متَفَكِّرًا، أو قَالَ في نفسِهِ إِنَّ هَذا مِنَ العُجابِ.

ثُمَّ قال أبو ليْلَى: مَنْ أنْتَ، فإِنِّي لَسْتُ أَعْرِفُكَ؟ وتَوَهَّمَ أَنَّهُ ساحِرٌ، وقَالَ: فِي وجْهِكَ أَثَرُ السِّحْرِ. فقال لَهُ: بَلْ أَنَا مُحَمَّد ﷺ هاتِ الكِتابَ، فأَخرَجَهُ ودَفَعهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فأَخَذَهُ النَّبِيءُ ﷺ. قِيلَ فدَفَعَهُ إلى عَلِيٍّ فقرأَهُ، فَلَمَّا سَمِعَ النَّبيءُ ﷺ كلامَ تُبَّع، قال: مَرْحَبًا بالأَخِ الصَّالِحِ ثلَاثَ مرَّاتٍ، ثُمَّ أَمَرَ أَبَا لَيْلَى بالرُّجُوعِ إلى المدِينَةِ لِيُبشِّرَهُم بالقُدومِ عَلَيْهِمْ[2].

وفيهِ أَنَّهُ ﷺ تَرَكَ عَلِيًّا على فِراشِهِ، اللَّهُمَّ إِلَّا إِنْ لَحِقَهُ في بَنِي سليم. وذَكَرَ بَعْضٌ أَنَّهُ في كتُبِ تبع الأَوَّلِ إِسْلَامهُ وشِعرُهُ:

شَـــهِـدْتُ عَلَى أَحْمَـدَ [36و] أَنَّـهُ رَسُـــولٌ مِـنَ الـلـهِ بَـارِي الـنَّسَـــمْ
فَـلَـوْ مُـدَّ عُـمْـرِي إِلَـى عُـمْـرِهِ لَـكُـنْـتُ وَزِيـرًا لَـهُ وَابْـنَ عَـمْ[3]

وخَتَمَهُ بالذَّهَبِ ودَفَعَهُ إلى كَبيرِهِم، وسأَلَهُ أن يَدْفَعَهُ للنَّبِيءِ ﷺ إِنْ أَدْرَكَهُ، وإِلَّا فمَنْ أدرَكَهُ مِنْ وَلَدِهِ ووَلَدِ ولَدِهِ. وبَنَى للنَّبِيءِ ﷺ دارًا ينْزِلُها إِنْ قَدِمَ، فتَدَاوَلَ الملَّاكُ الدَّارَ إلى أن صَارَتْ لِأَبِي أَيُّوب، وهُوَ مِن وَلَدِ ذلِكَ العالم. وأَهْلُ المدِينَةِ الذِين نَصَروهُ كُلُّهُم مِنْ أَوْلادِ أولئكَ العلَمَاءِ. ويُقالُ إِنَّ الكتابَ كانَ عِنْدَ أَبِي أَيُّوبَ حِينَ نَزَلَ عَلَيْهِ النَّبيءُ ﷺ فدفَعَهُ لهُ[4]. واللهُ أَعْلَم.

الفصلُ الرَّابع: [في مَنَازِلِ الأَوْسِ والخَزْرَجِ وحُرُوبِهِمْ] [5]

لـمَّا فَرَغَ أبو جُبيلة مِنْ نَصْرِهِم وانصَرَفَ تَفَرَّقوا؛ فنَزَلَ مِنَ الأَوْسِ بنُو عبْدِ الأَشْهَل بنِ جُشَم بنِ

(1) بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس عيلانَ، ولد بُهثة، جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص261.

(2) هذه القصة من (وكان تبع الأول.... ليُبشِّرهم بالقدوم عليهم) نقلها المؤلِّف من كتاب ثمرات الأوراق، ابن حجة الحمَوِي، ص191-193.

(3) البيتان من المتقارب. خلاصة الوفا، السمهودِي، ص169، والمعارف للدنوري، ص631.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص169.

(5) مادّة الفصل مأخوذةٌ مِن خلاصة الوفا، السمهودِي، ص169. والعنوان قد ذكرهُ المؤلِّف قبل بداية الفصلِ، وأدرجته هنا للتَّوضِيحِ.

الحَارِثِ، وبنُو حارِثَةَ بنِ الحَارِث الأَصْغَر بنِ عَمرو بنِ مالِك بنِ الأَوْسِ فِي دارِ بنِي عبْدِ الأَشْهَل بِالحَرَّة الشَّرقِيَّة شَامِيَّ بني ظفر. وقالَ المطَرِي: قِبْلَتَهُم[1]. وبَنَوْا آطاما مِنْها واقِم، وبِهِ سُمِّيَت النَّاحِيَة، كانَ لحضير بنِ سَمَّاك. قالَ شاعِرُهُمْ:

نَحْنُ بَنَيْنَا وَاقِمًا بِالْحرَّة بِلَازِمِ الطِّينِ وَبِالْأَصِرَّة[2]

ثُمَّ خَرَجَتْ بنو حَارِثَةَ عنهُمْ لِحَرْبٍ دَخَلَتْ بينَهُمْ، فوَالَتْ بنُو ظفر بَنِي عبْدِ الأَشْهَل، وظفِرَتْ بِهِمْ بنو حارِثَةَ فأَجْلوهم أَوَّلًا لِأَرْضِ بني سليم، وقتَلُوا سَمَّاك بنَ رافِع، فسَارَ حُضَيْر بنُ سَمَّاك ببَنِي سليم وحَاصَرَ بَنِي حارِثَةَ بدَارِ بني عبْدِ الأَشْهَلِ فأَجْلَاهُم إِلَى خَيْبَر، فكانُوا بِهَا قَرِيبًا مِنْ سَنَة، ثُمَّ رَقَّ لَهُم حُضَيْر فاصْطَلَحوا، وأَبَتْ بنُو حارِثَةَ أنْ يَنْزِلوا دَارَ بَنِي عبْدِ الأَشْهَل، ونَزَلُوا شامِيَّهُم بِسند الْحَرَّة الشَّرقِيَّة التِي بِها الشّيخان[3]. وقَالَ المطَرِي بِيَثْرِبَ[4]. وبَنُو ظفر وهُوَ كَعْبُ بن الخزْرَجِ الأَصْغَر بِدَارِهِم، شَرْقِيَّ البَقِيع عِنْدَ مسجدِهِم المعرُوفِ بمسجِدِ البَغْلَة، بِجوَارِ بَنِي عبْدِ الأَشْهَل، وبِجوارِهِم أيْضًا بنو جهم زعوراء بن جشم مِنْ أَهْلِ رَاتِج.

وهَذِهِ البطونُ الأَربعةُ هُم النَّبِيت؛ لِأَنَّ النَّبِيتَ بَطونُ بَنِي عَمرو بنِ مَالِك بنِ الْأَوْسِ علَى مَا ذَكَرَهُ ابنُ حَزْم[5]. وبَنُو عمْر بنِ عَوْف بنِ مَالِكَ بنِ الأَوْسِ بِقُبَاءَ، وهُمْ بطونٌ كثِيرَةٌ لبَنِي ضبيعة مِنْهُم الأطْم الذِي يُقالُ لَهُ الشَّغيف[6] بَيْنَ أحْجَارِ المرا وَمَجْلِسِ بَنِي الموَالِي. ولكشرم[7] بنِ الهدمِ مِنْ بَنِي عَبْد بنِ زَيْد أُطْمٌ في دَارِ عبْدِ اللهِ بنِ أَبِي أَحْمَد. ولِأحيحَةَ بنِ الجلَّاح المحجبي أُطْمٌ يُقَالُ لَهُ وَاقِم، صارَ لِبَنِي عبْدِ المنْذِرِ فِي دِيَّةِ جَدِّهِم.

[36ظ] وكانَ فِي رَحْبَةِ بَنِي زَيْدِ بنِ مالِك بنِ عَوْفٍ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أُطْمًا يُقالُ لهَا الصَّيَاصِي، ولَهُمْ أُطْمٌ بالمسْكية[8] شَرْقِيَّ مَسْجِدِ قبَاءَ، وأُطْمٌ يُقالُ لَهُ المستَظلّ عِنْد بِئرِ غَرَس كَانَ لِأحيحَة ثُمَّ صارَ لِبَنِي عبْدِ المنْذِر. وخَرَجَتْ بنو جحجبا بنِ كفلة[9] بنِ عَوْف بنِ عمر مِنْ قُباء؛ لقَتْلِهِمْ رِفَاعةَ وغنْمًا، فسَكَنُوا العصْبَةَ غَرْبِيَّ مَسْجِدِ قُباءَ.

---

(1) التعريف، المطرِي، ص213.

(2) البيت من الرَّجَز.

(3) شيخان: موضع بالمدينة، يقال له ثنية شيخان. المغانم المطابة، ص212.

(4) التعريف، المطرِي، ص213.

(5) جمهرة أنساب العرب، ص332.

(6) فِي خلاصة الوفا: الشقيف. وفي وفاء الوفا: الشُّنَيْف، وفيه أيضا: هو أُطُم لبني ضبيعة بقرب أحجار المراء، 346/4 وينظر: المغانم المطابة، الفيروز أبادِي، ص209.

(7) صوابه كلثوم، كما في خلاصة الوفا.

(8) صوابه: المسكَّبَة، كما في خلاصة الوفا. ينظر: المغانم المطابة، ص382.

(9) صوابه: كلفة، كما في خلاصة الوفا. ينظر: جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص335.

فابْتَنَى أُحيحَةُ الضّحيان أُطْمًا أسْوَدَ عُرْضُهُ قَرِيبٌ مِنْ طُولِهِ، وبنَاهُ أَوَّلًا مِنَ البترة[1] البَيْضَاء، يَعْنِي الحِجَارَةَ البِيضَ فسَقَطَ.

وابْتَنَى مجذعة وجحجبا أُطْمًا يُقالُ لَهُ: الهُجَيم عنْدَ المسْجِدِ الذي صَلَّى فِيهِ النَّبِيءُ ﷺ. وخَرَجَتْ بنُو مُعاوِيَةَ بنِ مَالِك بنِ عَوْف بنِ عَمْرٍو فَسَكَنوا دَارَهُم التِي وَرَاءَ بَقِيعِ الْغَرْقَد ولَهُم مَسْجِدُ الإِجَابةِ ومِنْهُم حَاطِبُ بنُ قَيْس، وفِيهِ كانَتْ حَرْبُ حَاطِب.

وخَرَجَتْ بنُو السّمعية[2] وَهُمْ [بنُو لودان][3] بن عمرو بنِ عَوف فَسَكَنُوا عِنْدَ زقاقِ ركيح وابْتَنُوا أُطْمًا يُقالُ لَهُ السَّعدان في الرَّبع حابط[4]هناك ولعلَّهُ يُعْرَفُ بِالرَّبعِيّ.

ونَزَلَ واقِف والسَّلَم ابْنَا امْرِئِ القَيْسِ بنِ مَالِك بنِ الأَوْسِ عِنْدَ مسْجِدِ الفَضِيح[5] منْ جِهَةِ القِبْلَةِ. ثُمَّ أطمَ[6] وَاقِفٌ، وَهُو الأَكْبَرُ، عينَ السَّلَم، وكان شَرِسًا، فحَلَفَ لَا يُسَاكِنُهُ، فَنَزَلَ السَّلَمُ علَى بَنِي عَمْرو بنِ عَوْفٍ، فَلَمْ يَزَلْ ولَدُهُ فِيهِمْ حَتَّى انْقَرَضُوا سَنَةَ تِسْعٍ وتِسْعِينَ ومِئَة، وبَلَغَ عدَدُهُم فِي الجَاهِلِيَّةِ أَلْفَ مُقَاتِلٍ.

وبَنُو وائِلَ بنِ زَيْدَ بنِ قَيْس بن عامِرَ بنِ مُرَّةَ بنِ مَالِك بنِ الأَوْسِ بِدَارِهِم عِندَ مَسْجِدِهِم. وبنُو أُمَيَّةَ بنِ زَيْدٍ بِدَارِهِمْ التي يمرُّ بِها سَيْلُ مذينب بَيْنَ بُيُوتِهِم يَسْقِي الأَمْوَالَ، فَهِيَ شَرْقِيَّ العِهْنِ، وزَيْدٌ هَذا أَخُو بَنِي وَائِل.

وبَنُو عَطِيَّةَ بنِ زَيْد إِخْوَتُهُم أَيْضًا بصفته[7] فَوْقَ بَنِي الحُبلى، وابْتَنوا أُطْمًا يُقالُ: شَاسُ عَلَى يَسَارِكَ في رَحْبَةِ مسْجِدِ قُبَاء مُسْتَقْبلَ القِبْلَةِ.

ووَائِلُ وأُمَيَّةُ وعَطِيَّةُ بنُو زَيْدٍ هُم الجَعَادِرَة؛ لِأَنَّهُم كانُوا إِذَا أَجَارُوا جَارًا قَالُوا لَهُ: جَعْدِرْ حَيْثُ شِئْتَ، أَيْ: اذهَبْ فَلَا بَأْسَ عَلَيْكَ.

وبَنُو سَعد بنِ مُرَّة بنِ مَالِك بنِ الْأَوْسِ بنِ رَاتِج[8].

---

(1) صوابه: البثرة.

(2) في وفاء الوفا: السميعة. وعند ابن حزم: السّمعية. جمهرة أنساب العرب، ص332.

(3) صوابه: بنو لوذان. يرسم المؤلّف الألف بعد الواو المتطرّفة أحيانا. ينظر: جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص332.

(4) صوابه: حائط كما في خلاصة الوفا.

(5) في خلاصة الوفا: الفضِيخ. وفي المسالك والممالك: الفضِيح.

(6) صوابه: لَطَمَ، كما في خلاصة الوفا.

(7) في خلاصة الوفا: بضفنه، وفي وفا الوفا: بصَفْنَةَ، وفيه: صفنة كجفنة بإهمال أَوَّلِهِ، سُمِّيَت بذلك لارتفاعها عن السيول فلم تشرب بِشَيْءٍ منها. 353/1. ينظر: معجم البلدان، 414/3.

(8) صوابهُ: بِراتِجَ، كما في خلاصة الوفا، ولم يذكره في وفاء الوفا. راتج: من آطام المدينة. المغانم المطابة، ص149.

وقال ابنُ زَبَالَةَ: إنَّ بَنِي الشَّطبة[1] حِينَ قَدِمُوا مِنَ الشَّام نَزَلوا ميطات[2] فلَمْ يُوافِقْهُمْ، فتَحَوَّلُوا قَرِيبًا مِنْ جَدْمانَ، ثُمَّ نَزَلُوا بِرَاتِج فَهُم أَحَدُ قَبَائِلِهِ الثَّلَاثِ.

وبنُو خَطْمَةَ بنِ جَشْم بنِ مالِك بنِ الأَوْسِ بدَارِهِمْ عِنْدَ الماجِشُونِيَّة والْغَرَس فَوْقَ بَنِي الحَارِثِ، وكَانُوا مُتَفرِّقينَ في آطامِهِمْ، فَلَمَّا جاءَ الْإِسلَامُ اتَّخَذُوا مسْجِدَهُم، وسَكَنَ مِنْهُم رَجُلٌ عنْدَهُ، فكانُوا يَسْأَلونَ عَنْهُ كُلَّ غدَاةٍ مَخَافَةَ أنْ يَكُونَ عَدَا عَلَيْهِ السَّبعُ، ثُمَّ كَثُرُوا هُنَاكَ حَتَّى كانَ يُقالُ لِدَارِهِم [37و] غَزَّة تَشْبِيها بِغَزَّةَ الشَّام مِنْ كَثرَةِ أَهْلِهَا.

وأَمَّا الخَزْرَج فنَزَل مِنْهُم بنُو الحَارِثِ بنِ الخَزْرَجِ الأَكْبَر شَرْقِيَّ وادِي بُطْحَان وتُرْبَةِ صُعَيْبٍ ويُعْرَف اليَوْمَ بِالحَارِثِ.

وخَرَجَ جشم وزَيْدُ بنُ الحَارِثِ فسَكَنَا السيح[3]، وهُوَ أُطْمٌ لَهُم سُمِّيَت بِهِ النَّاحِيَة عَلَى ميل مِنَ المسْجِدِ النَّبَوِيّ، وهُوَ أَوَّلُ العَالِيَةِ.

وَخَرَجَتْ بنُو جدَارَةَ[4] بنِ عَوْف بنِ الحَارِثِ فسَكَنُوا جِرَارَ سَعْد شَامِيَّ السُّوقِ وإِخْوتُهُم بنُو جدْرَةَ[5] بنِ عَوْف فَسَكَنُوا قُرْبَ البصَّةِ، وكَانَ الأَجْرَدُ، وهُوَ الأُطْم الذِي يُقالُ لِبِئْرِ[6] البصَّة[7]، لِجَدِّ أَبِي سَعيد الخُدْرِيّ.

ونَزَل بنُو سَالم وغَنْم ابْنا عَوْفِ بنِ عَمْرو بنِ عَوْف بنِ الخَزْرَجِ الأَكْبَرِ دَارَ بَنِي سَالم بِطَرَفِ الحَرَّة الغَرْبِيَّة عنْدَ مَسْجِدِ الجُمُعَة. ولَهُم أُطْمُ القَوَافِلِ بِطَرَفِ بيُوتِ بَنِي سَالم مِمَّا يَلِي ناحِيَةَ العصْبَةِ.

وبنُو عصيبةَ حُلَفاء لِبَنِي سَالم عِندَ مَسْجِدِ بَنِي عصيبة[8] قُرْبَ قُبَاءَ. وبَنُو الحُبْلَى بِدَارِهِم المعْرُوفَة بِهِمْ. وقالَ ابنُ حَزْم: بيْنَ دَارِ بَنِي النَّجَّار وبَنِي سَاعِدَةَ[9].

قالَ ابنُ زَبَالَةَ: الحُبْلَى هُو مالِكُ بنُ سالم بنِ غَنْم بنِ عَوْف. وقَالَ ابنُ هِشام: سَالم بنُ غَنْم،

---

(1) فِي خلاصة الوفا: بني شطبة، وفي وفاء الوفا: بنو الشظية.

(2) صوابه: مَيْطان، كما في خلاصة الوفا. ومَيْطان جبل يقابل شوران، به بِئْرٌ يقال لها: ضعة، وليس به نباتٌ، وهو لمزينة وسليم. المغانم المطابة، الفيروز أبادِي، ص399.

(3) صوابه: السُّنح، كما في خلاصة الوفا. وهي إحدى محال المدينة كان بها منزل أبِي بكر الصدِّيق. معجم البلدان، الحموِي، 265/3. المغانم المطابة، ص187.

(4) في خلاصة الوفا: حذارة، وفي وفاء الوفا: خُدارة. والأصوب خدارة، وفيه اختلاف في رسمه. ينظر: جمهرة أنساب العرب، ابن حزْم، ص362.

(5) صوابه: خدرة كما في خلاصة الوفا، وجمهرة أنساب العرب.

(6) في خلاصة الوفا: لِبِئْرِه، وهكذا يتمُّ المعنَى.

(7) في خلاصة الوفا: البصة، وفي وفاء الوفا: البُضَّة. وقال المجد: بُضّة بئر المدينة وَهِيَ قريبة من البقيعِ على يسار السالك إلى قباءَ. المغانم المطابة، ص30.

(8) في خلاصة الوفا: عصبة، وفي وفاء الوفا: غُصَيْنَة. لم أقفْ على ضبطِها.

(9) جمهرة أنساب العرب، ص355.

سُمِّيَ لِعِظَمِ بطْنِهِ[1]. فيُجمَع بأنَّهُ يُطلَقُ عَلَيْهِ وعلَى ابْنِهِ مَالِك، فَمَا سبَقَ فِي نُزولِ بَنِي عَطِيَّة فوْقَ بَنِي الحُبْلَى المرَادُ بِهِ مَنْ كان مِنْ بنِي سَالم بنِ غَنْم بِدَارِ بَنِي سَالم إِلَّا دارُ مَالِك هَذِهِ. وكَانَ بِهَذه أُطْمٌ يُقالُ لَهُ مُزَاحِم، بَيْن ظَهْرَانيّ البُيُوتِ لِعَبْدِ اللهِ بنِ أُبَيّ.

وبَنُو سَلِمَةَ بنِ سَعْد بنِ عَلِيّ بنِ أَسَد بنِ [شارِدَةَ بنِ تزيدَ][2] بِالمثَنَّاة مِنْ فَوْق، ابنِ جُشَم بنِ الخَزْرَج الأَكْبَر بسَنَد الحَرَّة ما بَيْنَ مَسْجِدِ القِبْلَتَيْنِ إِلى المزَادِ[3] أُطْمُ بَنِي حرام، سُمِّيَت بِهِ النَّاحِيَة.

وَبَنو سَوَاد بنِ غَنْم بنِ كَعْب بنِ سَلِمَةَ عنْدَ مَسْجِدِ القِبْلَتَيْن إِلَى مَسْجِد ابنِ عُبَيْدَةَ[4] الدِّينَارِي، ولَهُم مَسْجِدُ القِبْلَتَيْنِ.

وبَنُو عبد[5] بنِ عدي بنِ غَنْم بنِ كَعب بنِ سَلَمَة عِنْد مَسْجِد الخرْبَةِ إِلَى جَبَلِهِم الدُّوَيْخل، ولَهُمْ مَسْجِدُ الْخرْبَة والأُطْمُ المواجِهُ لَهُ، والأُطْمُ الذِي عِندَ قِبْلتِهِ.

وبَنُو حَرَام بنِ كَعْب بنِ غَنْم بنِ كعْب بنِ سَلِمَة عِنْدَ مسْجِدِهم الصَّغِيرِ بالقَاعِ بَيْن مَقْبَرَة[6]. وَلَهُم أُطْمٌ بِالسَّهْلِ بَيْنَ أَرْضِ جَابِر بنِ عَتِيك والعَيْنِ التِي عَمِلَهَا مُعاوِيَةُ بنُ أَبِي سُفْيانَ، كانَ لِعمر جَدِّ جابِر بنِ عبْدِ اللهِ بنِ عَمْرو.

وبَنُو مرَاء بنِ كَعْب بنِ سلمة حلَفَاءُ بَنِي حَرَام مَعَهُم، ولَهُمْ أُطْمٌ غَرْبِيَّ حائِطِ جابِر بنِ عتيك مِمَّا يَلِي جَبَلَ بَنِي عُبَيْد، وكَانَتْ بنُو سليم[7] كُلُّها بِهَذِهِ الدُّورِ، وكَلِمَتُهُم واحِدَةٌ، ومَلَّكوا علَيْهِمْ [أمية بنَ حَرَام][8]، فلَبِثَ فِيهِم زَمَانًا حَتَّى دَخَل بَيْنَهُ وبَيْنَ صَخْرٍ مِنْ بَني [37ظ] عُبَيْدٍ أَمْرٌ لِإرادتِهِ أَخْذَ بَعْضِ مَا خَلَّفَ أَبوهُ، وكَانَ مثريا ليَقْسِمَه في بَنِي سلمة، فضَرَبَه صَخْرٌ بِالسَّيْفِ، وحَالَتْ بَيْنَه وبَيْنَ صَخْرٍ بنُو عُبَيْد وبنُو سواد، فنَذَرَ أمية[9] أَنْ لَا يُؤوِيه ظِلُّ بَيْتٍ حَتَّى يقْتُلُوا صَخْرًا أو يُؤتَى بِهِ فَيَرَى فيهِ رأْيَهُ، وجَلَسَ عِنْدَ الطَّرف[10] الذِي غَرْبِيّ مَسْجِدِ الفَتْحِ فِي الشَّمْسِ، فبَلَغَ قَوْمَهُ، فَأَتَوْهُ بِصَخْر فعَفَا عَنْهُ، وأَرَادَ الذِي أَخَذَ مِنْ مِالِهِ.

---

(1) سيرة ابن هشام، 393/1.

(2) في وفاء الوفا وجمهرة أنساب العرب: ساردة بن تزيد.

(3) في وفاء الوفا: المذاد.

(4) في وفاء الوفا: بن عبيد.

(5) في خلاصة الوفا وجمهرة أنساب العرب: عُبَيد.

(6) سقط من النَّصّ: مقبرة بني سلمة إلى المزاد أطمهم. خلاصة الوفا، ص173.

(7) في خلاصة الوفا: بنو سلمة. وهو الأصوبل لما سيأتي من ذكرهم.

(8) في خلاصة الوفا ووفاء الوفا: أمة. لم أقف على ضبطهِ.

(9) في خلاصة الوفا: أمَّة.

(10) في خلاصة الوفا: الظرِب.

ورُوِيَ أَنَّهمْ قَالُوا لِلنَّبِيءِ ﷺ: إِنَّ السَّيْلَ يَحُولُ بَيننَا وبَيْنَكَ، وأَرَادُوا التَّحَوُّلَ، فقَالَ: ما عَلَيْكُمْ لَوْ تَحَوَّلْتُم إِلَى سَفْحِ الجَبَلِ، يَعْنِي سلعًا فَتَحَوَّلُوا، فدَخَلَتْ حَرَامٌ الشِّعْب وصَارَتْ سواد وعبيد إلى السَّفْحِ.

والمعْرُوفُ أَنَّ النَّبِيءَ ﷺ قالَ لَهُمْ: ((**اثبُتُوا، فَإِنَّكُمْ أَوْتَادُهَا**))[1] وإِنَّمَا نَقَلَ بَنِي حَرَام إِلَى الشِّعْبِ المعْرُوفِ لَهُم مِنْ سَلع عمرُ بن الخطَّاب، وكلَّمَ ناسًا كانوا به مِنْ بني ناغصة مِنَ اليَمَن، فانْتَقَلوا إِلَى الشِّعْبِ الذِي تَحْتَ مسْجِدِ الفَتْحِ، وابْتَنَتْ بنو حرام بشِعْبِهِم مِنْ سَلْع مَسْجَدَهُم الكبِيرَ، بَنَاهُ غُلامٌ رُوميٌّ شَرَوْهُ مِنْ عَطَائِهِم. وآثارُ المسْجِدِ بَيِّنَةٌ بَعْدَهُم.

ونَزَلَ بَنُو بيَاضةَ وزريق وبَنُو حَبِيب بنِ عَبْدِ حارِثَةَ بنِ مَالِك، وبنُو عدارة[2] وَهُمْ بَنُو كَعْب بنِ مَالِك، وبَنُو أجْذع[3] وهُمْ بنُو مُعَاوِيَة بنِ مَالِك بِدَارِ بَنِي بَيَاضَةَ شَامِيّ بَنِي سليم مُمْتَدَّةٍ بالْحَرَّةِ الغَرْبِيَّة إِلَى بُطْحانَ قبليّ بَنِي مَازِن.

وبَيَاضَةُ وزريقُ هُمَا ابْنَا عَامِر بنِ زريق بنِ عَبْدِ حَارِثَةَ بنِ مَالِك بنِ عَضب بنِ جشم بنِ الخَزْرَجِ الْأَكْبَرِ.

وكَانَ بِهَذِهِ الدَّارِ نَحْوُ عِشْرِينَ أُطْمًا مِنْها: عقرب فِي شَامِيّ المزْرعَةِ المسَمَّاةِ بالرَّحَابة في الْحَرَّة علَى الْقفارَة[4]، وسويد في شَامِيّ الحَائِطِ المسَمَّى بالْحَمَاضَة، واللّوي في حَدّ السّرارة بَيْنَهُ وبَيْنَ زَاوِيةِ الجِدَارِ الشَّامِيّ الذِي يُحيطُ علَى الحَمَاضَةِ عِشْرُونَ ذِرَاعًا، والسَّرارة ما بَيْنَ اللّوي إِلَى الْجِدَارِ الذِي يُقالُ لَه بُيُوتُ بنِي بيَاضَةَ، والجِدَارِ الذِي بَنَاهُ زِيَادُ بنُ عبْدِ اللهِ لبَرَكَةِ السُّوقِ وَسَطَ السَّرارة.

وكانَ لِبَنِي حَبيبٍ الْأُطْمُ الذِي فِي أَدْنَى بُيُوتِ بَنِي بَيَاضَةَ دُونَهُ الْجِسْرُ الذِي عنْدَ ذِي ريش، فَلَبِثُوا وأَمْرُهُمْ جَمِيعٌ حَتَّى هَلَكَ زريق، فأَوْصَى بَنِيهِ إِلَى عَمِّهِ حَبِيب، فكَلَّفهُم النَّضِيحَ[5] بِأَيْدِيهِم فَقَتَلُوهُ، فحالَفَ بَنُوهُ بَنِي بيَاضَة عَلَى بَنِي زريق فخَرَجَتْ بنُو زريق فسَكَنُوا دارَهُم التِي فِي قِبْلَةِ المصَلَّى والسُّورِ والمَوْضِعُ المعْرُوفُ بذروَانَ ومَا وَالاهُ مِنْ دَاخِلِ السُّور.

ثُمَّ اصْطَلَحُوا علَى أَنْ قَطَعُوا لِبَني حَبِيب طَائِفَةً مِنْ دُورِهِم دِيَّةً، فقَبِلوا ذَلِكَ.

وانْتَقلَ [38و] بنو مَالِك بنِ زَيد بنِ حَبِيب مِنْ بَنِي بَيَاضَة فَنَزَلُوا النَّاحِيَة التِي وَدَتْ بنو زريق، وَتَخلَّفَ بعضُ بَنِي حَبِيب ببَنِي بَيَاضَةَ، فمَكَثُوا مَا شاءَ اللهُ.

ثُمَّ إِنَّ عبيدَ بنَ المعَلَّى مِنْ بَنِي حَبِيب قَتَلَ حصنَ بنَ خالِد الزّرْقِي، فأَرَادَ بَنُو زريق قَتْلَهُ، ثُمَّ وَدَوْهُ مِنْ مالِهِم علَى أَنْ يُحَالِفهُم بنُو المعَلَّى ويقْطَعُون حِلْفَهُم مَعَ بَنِي بَيَاضَةَ، ففَعَلُوا.

---

(1) مسند الطيالسي، حدِيث (1869) وتاريخ المدينة، ابن شبَّة، 77/1.

(2) في خلاصة الوفا: بنو غدارة، وفي وفا الوفا: بنو عذارة. لم أقف على ضبطها.

(3) في خلاصة الوفا: بنو أجدع. لم أقفْ على ضبطِها.

(4) في وفاء الوفا: الفقارة. لم أقف على ضبطها.

(5) في خلاصة الوفا: النضح.

وقالَ ابنُ حَزْم: إِنَّ مِنْ بَنِي حَبِيب عبْد اللهِ بن حَبِيب بنِ عبْدِ حارِثَة، وإِنَّهُ وَالِدُ أَبِي جُبَيْلة الذِي جَلَبَهُ مَالِك بنُ العجلان لِقَتْلِ اليَهُودِ[1].

وكَانَ بنُو عذرة[2] بنِ مَالِك أَقلَّ بطونِ بَنِي مَالِك عدَدًا معَ شَراسَةٍ وشِدَّةِ أَنْفُس، فقَتَلُوا قَتِيلًا، إِمَّا مِنْ بَنِي اللبن[3] أو من بني أجذع وأَبَى أَهْلُ القَتِيلِ الدِّيَّةَ، فانْتَقَلُوا مِنْ دَارِ بَنِي بَيَاضَةَ إِلَى بَنِي عَمْرو بنِ عَوْفٍ فَحَالَفُوهُم، وصَاهَرُوهُم، وكَانَ بيْنَ بَطْنَيْنِ مِنْ بطُونِ بَنِي مَالِك بنِ عضب[4] مِيرَاثٌ فِي الجَاهِلِيَّة، فاشتجَرُوا فِيهِ ثُمَّ دَخَلُوا حَدِيقةَ بَنِي بَيَاضَةَ وأَغْلَقوهَا واقْتَتَلُوا حَتَّى لم يَبْقَ مِنْهُم عَيْنٌ تَطرف، فَسُمِّيَتْ حَدِيقَة المَوْتِ.

وقِيلَ: حَدِيقَةُ المَوْتِ هُو الحَدِيقَة التِي قتلَ فِيهَا مُسَيْلِمَةَ وقَوْمَهُ بَنُو حَنِيفَةَ[5].

وكانَ بنُو مَالِك بنِ عضب[6] سوى بني زريق أَلْفَ مُقَاتِل فِي الجَاهِلِيَّة.

ونَزَلَ بنُو ساعِدَة بنِ كَعْب بنِ الخَزْرَجِ الأَكْبَر فِي أَرْبَعِ منَازِلَ، بنُو عَمرو وبَنُو ثَعْلَبَة بنِ الخَزْرَج بنِ ساعِدَةَ دَارَ بَنِي ساعِدَةَ بَيْنَ سُوقِ المدِينَة مِنَ المشْرِق مِمَّا يَلِي شَامِيَّهُ وبَيْنَ بَنِي ضمْرَة، ولَهُم الأُطْمُ الذِي بِدَارِ أَبِي دجانَةَ الصُّغْرَى عِنْدَ بضاعة، والْأُطْم المواجِهُ مسْجِدَ بَنِي سَاعِدَةَ، وكَانَ آخِرُ أُطْمٍ بُنِيَ بالمدِينةِ، وبَنُو قشبة بنِ الخَزْرَج بنِ سَاعِدَة شَرْقِيَّهُم قُربَ بَنِي جديلة عِنْدَ خوخَة عمر بنِ أمية الضمري. وبَنُو أَبي خزيمة بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ طريف بنِ الخَزْرَج بنِ سَاعِدَة، رَهْطُ سعْد بنِ عُبَادَةَ، الدَّارَ التِي يُقَالُ لَهَا جِرَار سَعد، وهِيَ جِرار كانَ يَسْقِي فِيهَا الماء، وهِيَ نِهَايَةَ سُوقِ المدِينَة، وبعْضُ بنِي الحَارِثِ بنِ الخَزْرَج نَزَلُوا بِهَا أَيْضًا، وَهُوَ المرادُ مِنْ حَدِيثِ عبَادَة[7] سعد بِبَنِي الحَارِثِ، إِلَّا أَنْ يكُونَ سَعْدٌ اتَّخَذَ بالمَوْضعِ المعْرُوفِ ببَنِي الحَارِثِ مَنْزِلًا آخَرَ بأَنْ تَزَوَّجَ فِيهِم.

وبنُو وَقش وبنُو عنَان ابنَا ثَعْلَبَة بنِ طريف[8] بنِ الخَزْرَج بنِ سَاعِدَةَ دَارَهُم التِي بِقُرْبِ جِرَارِ سَعْد نَحْوَ مسْجِدِ الرَّايَةِ.

ونزَلَ بنُو مَالِك بنِ النَّجَّار دارَهُم المعْرُوفَةَ بِهِمْ، فَبَنُو غَنْم بنِ مَالِك شَرْقِيَّ [38ظ] المسْجِدِ النَّبَوِّي وهُوَ لَهُمْ.

---

(1) جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص356.

(2) في خلاصة الوفا: بنو غدارة.

(3) في خلاصة الوفا: بني اللين.

(4) في وفاء الوفا: بن غضب.

(5) عبارة ليست في خلاصة الوفا، ولا في وفاء الوفا.

(6) في وفاء الوفا: بن غضب.

(7) في وفاء الوفا: عيادة.

(8) في الأصل: ظريف، والتصحيح من خلاصة الوفا وجمهرة أنساب العرب: طريف.

وكانَ لَهُم الأُطْم المسَمَّى بفوير[1] مَوْضِع دَارِ حَسَن بنِ زَيْد، وهِيَ التِي فِي قِبْلَة رِبَاطِ مرَاغَة بَيْنَهُما الشَّارِعُ.

وبَنُو مَغَالَةَ، وهُمْ بنُو عدي بن عمرو بن مالك، ومغَالَة أُمُّهُم، غَرْبِيَّ المسْجِدِ بِجِهَة بَابِ الرَّحْمَة، ولَهُم فارِع أُطْمُ حَسَّان بنِ ثَابِت وبيرحا.

وبنو جديلة[2] شَامِيَّ المسْجِدِ وشَرْقِيَّهُ قُرْبَ البَقِيعِ وبِقُربِهِم بيرحا، وجديلة معاوِيَة بنُ عمرو بنِ مالِك بنِ النَّجَّار، ولَهُم أيْضًا الأُطْمُ الذِي يقَالُ مشعط غَرْبِيَّ مَسْجِدهِم، مَسْجِدِ أُبَيِّ بنِ كعْبٍ، وفِي مَوْضِعِهِ بَيْتُ أَبِي نَبِيه.

قال الزُّبَيْر: كُلُّ ما كانَ بالمدينةِ عن يَمِينِكَ إذا وَقَفْت آخِرَ البِلاطِ مُسْتَقْبلَ المسْجِدِ النَّبَوِيّ بنُو مَغَالَة، والْجِهة الأُخْرَى بنُو جديلة، وهُمْ بنُو مُعَاوِيَة، وهُمْ مِنَ الْأَوْسِ[3].

وفِي "خُلَاصة الوَفَاءِ": كَوْنُهُم مِنَ الأَوْس وَهمٌ، ولَيْسَ مِنْ كَلَامِ الزُّبَيْر، والذِي قالَهُ أَهْلُ النَّسَبِ وغَيْرُهُم ما سَبَقَ. وسَبَبُ الْوَهمِ أَنَّ فِي الأَوْسِ أَيْضًا بنِي مُعَاوِيَة أَهْل مَسْجِدِ الإِجابَةِ، ولِذَا الْتَبَسَ الأَمْرُ علَى المطَرِيّ، فجَعَلَ مَسْجِدَ الإِجَابَةِ ومَنْزِلَتَهُ لِبَني مُعاوِيَةَ بنِ عمر بنِ مَالِك بنِ النَّجَّار، وجَعَلَ مَنْزِلَة بَنِي جديلة عِندَ بيرحا[4] مَنْزِلَةِ بَنِي مُعاوِيَةَ بنِ عمْرو بنِ مَالِك بنِ النَّجَّارِ. ثُمَّ قَالَ فِي بَنِي دِينارَ إِنَّهُمْ بَيْنَ دارِ مُعاوِيَة أَهْلِ مسْجِدِ الإِجابَةِ ودَارِ بَنِي جديلة[5] ا هـ. والصَّوابُ ما قدَّمناهُ[6].

وبَنُو مبذول وهُوَ عَامِرُ بنُ مَالِك بنِ النَّجَّار قُرْبَ بَقِيعِ الزُّبَير شَرْقِيَّ بنِي غَنْم وقِبْلَتَهم. ونَزَلَ بنُو عدي بنِ النَّجَّار غرْبِيَّ المسْجِدِ النَّبَوِيّ فيمَا قَالَ المطَرِي[7]، لَكِنْ مِنْهُم أَنَسُ بنُ مَالِك، وكَانَتْ دَارُهُ شَامِيَّ المسْجِدِ فِي المشْرِقِ، ولَهُم أُطْمُ الزَّاهِرَة، كَانَ في دَارِ النَّابِغَة عِنْدَ المسْجِدِ الذِي فِي الدَّارِ.

وبَنُو مَازِن بنِ النَّجَّار شَرْقِيَّ بَنِي زريق لِناحِيَة القِبْلَةِ. وقَالَ المطَرِي: قبلي البصَّة[8]. ويُقَالُ لتِلْكَ النَّاحِيَةِ: أَبُو مَازِن.

وبَنُو دِينَار بنِ النَّجَّارِ خَلْفَ بُطْحَان، وَسُمِّيَ هذَا الجَدُّ النَّجَّار؛ لأَنَّهُ ضَرَبَ رَجُلًا فَنَجَرَهُ، وهُوَ تيْمُ

(1) في وفاء الوفا: فويرع. وينظر: المغانم، الفيروزأبادِي، ص320.

(2) في وفاء الوفا وجمهرة أنساب العرب: بنو حديلة.

(3) مشارق الأنوار، القاضِي عياض، 117/1، وفيه: بنو حديلة.

(4) في خلاصة الوفا: بيرحاء، وفي وفاء الوفا: بئر حاء. ينظر: المغانم، الفيروزأبادِي، ص36.

(5) التعريف، المطرِي، ص212.

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص176.

(7) التعريف، المطرِي، ص210.

(8) (م، س)، ص211.

اللهِ بنُ ثَعْلَبَة بنِ عَمْرو بنِ الخَزْرَج الأَكْبَر[1].

وفي الحدِيثِ: ((**خَيْرُ دُورِ الْأَنْصَارِ: بَنُو النَّجَّارِ ثُمَّ بَنُو عَبْدِ الْأَشْهَلِ، ثُمَّ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، ثُمَّ بَنُو سَاعِدَةَ وَفِي كُلِّ دُورِ الْأَنْصَارِ خَيْرٌ**))[2].

ولَبِثَت الأَوْسُ والخَزْرَجُ بالمدينَةِ مَا شاءَ اللهُ، وكَلِمَتُهُم واحِدَةٌ، ثُمَّ وَقَعَتْ بيْنَهُمْ حرُوبٌ كَثِيرَة، ولا يُسْمَعُ في قَوْمٍ أَطْوَلُ مِنْها، ولَا أَكْثَرُ.

قِيلَ: إِنَّها بَقِيَتْ مئةً وعشرِينَ سَنَةً، حَتَّى جَاءَ الإسلامُ. وقِيلَ: أَرْبَعين وأَوَّلُها حَرْبُ سُمَيْر، بالتَّصغِيرِ مِن الأَوْسِ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ بني ثعلبةَ حلِيفًا لمالك بنِ العَجْلَانِ.

ثُمَّ حَرْبُ كَعْب بنِ عَمْرو، ثُمَّ حَرْب يَوْمِ السَّرارة [39و] مَوْضِعٌ بَيْنَ بني بَيَاضة والحماضة، ثُمَّ يوم الدِّيكِ[3] مَوْضِعٌ أيْضًا، ويَوْمُ فَارِع ويَوْمُ الرَّبِيعِ، وحَرْبُ حضير بنِ الأَسْلَت، وحَرْبُ حاطِب بنِ قَيْس، إِلَى أَنْ كَانَ ذَلكَ يوْم بُعَاث قَبْلَ الْهِجْرَة بِخَمْسِ سِنِينَ علَى الْأَصَحّ، قُتِلَ فيهَا سُرَاتُهُم، والْأَصَحُّ أَنَّها قَبْلَ الهِجرةِ بثَلَاثِ سِنِين، صَرَّحَ بِهِ ابْنُ حَجَر فِي "شَرْح الْبُخَارِي"[4].

وسَبَبُهُ أنَّ الظَّفَر في أَكْثَرِ تِلكَ الحرُوبِ كانَ لِلْخَزْرَجِ فذَهَبَت الْأَوْسُ لتُحَالِفَ قُرَيْظَةَ فأَرْسَلَتْ لَهُم الخَزْرَجُ: لَئِنْ فَعَلْتُم فَاذَنُوا بِحَرْبٍ، فَقَالوا: لَا نَدْخُلُ بَيْنَكُم، فقَالَتِ الخَزْرَجُ: فَأَعْطُونَا رَهَائِنَ، فَأَعْطَوْهُم أَرْبَعِين غُلَامًا، ففَرَّقُوها في دُورِهِم، فحَالَفَتْ بُطُونُ الأَوْسِ الْخَزْرَجَ مِنْهُم بنُو عَمْرو بنِ عَوْف، وقَالَ سَائِرُهُم: وَاللهِ لا نُصالِحُ حتَّى نُدْرِكَ ثَأْرَنَا، فتَقَاتَلُوا فكَثُرَ القَتْلُ فِي الْأَوْسِ لما خَذَلَهُم قَوْمُهُم، فاشْتَوَرُوا في أَنْ يُحَالِفوا قُرَيْشا، فأَظْهَرُوا أَنَّهُم يُرِيدونَ الْعُمْرَةَ، وبَيْنَهُم أَنْ لَا يَتَعَرَّضُوا لمرِيدِهَا، وأَجَارَ أَمْوَالَهُم البَرَاءُ بنُ معْرُور.

وعَنْ أَفْلَحَ بنِ سَعِيد[5]: أَنَّ الْأَوْسَ خَرَجوا جَالِينَ مِنَ الْخَزْرَجِ، حَتَّى نَزَلُوا عَلَى قُرَيْش بِمَكَّةَ فَحَالَفُوهمْ، فقَالَ الْوَلِيدُ بنُ المغِيرَة: ما نَزَلَ قَوْمٌ علَى قَوْمٍ إِلَّا أَخَذُوا شَرَفَهُم ووَرِثُوا دِيَارَهُم فاقْطَعُوا حِلْفَهُم، قَالُوا: بِأَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: إِنَّ فِيهِمْ حَمِيَّةً، قُولُوا لَهُمْ: إِنَّا نَسِينَا شَيْئًا، وهُو إِنَّا قَوْمٌ إِذا كانَ النِّسَاءُ فِي البَيْتِ، فَرَأَى الرَّجُلُ امْرَأَةً تُعْجِبُهُ قَبلَهَا وَلَمَسَهَا بِيَدِهِ، فنَفَرَتِ الْأَوْسُ وقَطَعُوا الْحِلْفَ.

فلَمَّا لم يَتِمَّ لَهُم الْحِلْفُ، ذَهَبَ النَّبِيتُ إِلَى خَيْبَر فافتَخَرَت الخَزْرَجُ عَلَيْهِم في أَشْعَارِهِم، وقَالَ

---

(1) حدِيث المؤلف عن منازل الأوس والخزرج من (لمَّا فَرَغَ أبو جبيلة... ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الأكبر) نقله من خلاصة الوفا، ص169-177.

(2) صحيح البخارِي، حدِيث (3789).

(3) في وفاء الوفا: يوم الدّرك.

(4) فتح البارِي، ابن حجَر، 441/2.

(5) أفلح بن سعيد الأنصاري مولاهم أبو محمد القبائي، المدني. روى عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة وبريدة بن سليمان الأسلمي ومحمد بن كعب وغيرهم. وعنه ابن المبارك، قال ابن معين والنسائي: "ليس به بأس" وقال أبو حاتم: "شيخ صالح الحديث" مات بالمدينة سنة 156هـ. تهذيب التهذيب، ابن حجر، 368/1.

عمَر بنُ النُّعْمَانِ البَيَاضِي: يَا قَوْمُ إنَّ بَيَاضَةَ أَنْزَلَكُمْ مَنْزِلَ سُوءٍ، وَاللهِ لَا يَمسُّ غُسْلٌ رَأْسِي حَتَّى أُنْزِلَكُمْ مَنْزِلَ بنِي قُرَيْظَةَ والنَّضِير وأَقْتُلَ رهنَهُمْ، وكَانَ لَهُم غِزارُ الميَاهِ وكِرامُ النَّخْلِ فبَلَغَهُم ذَلِكَ ومَنْ كانَ بِالمدِينَةِ مِنَ الأَوْسِ فحَالَفُوا قُرَيْظَة والنَّضِير، ثُمَّ أَرْسَلُوا بِذَلِكَ لِلنَّبِيتِ فقَدِمُوا فأخَذَت الْخَزْرَجُ في قَتْلِ الرّهنِ، فقَال كَعْبُ بنُ أَسَد القُرَظِيّ: إنَّما هِيَ لَيْلَةٌ ثُمَّ تِسْعَةُ أَشْهُر، يعْنِي يعوّضُون الوَلَدَ بالْحَمْل، وجَاءَ الحِلْف وأَرْسَلوا للْأَوْسِ انهضُوا إلَيْنَا فنَأْتِيهِمْ جَمِيعًا، وامْتَنَعَ عبْدُ اللهِ بنِ أُبَيّ مِنْ قَتْلِ الرّهن، وقَالَ لِقَوْمِه: أَنْتُم الْبُغَاةُ وَالأَوْسُ تقُولُ مَنَعُونَا الْحَيَاةَ، فَيَمْنَعُونَ[ا] [39ظ] الموْتَ؟ فَوَاللهِ مَا يَمُوتونَ أَوْ تهْلكُوا عَامَّتَكُمْ، فقَالَ لهُ عمْرو بنُ النُّعْمَان: انْتفَخَ وَاللهِ سِحْرُكَ، وقَالَ: إنِّي لَا أحْضُرُكُم وكَأَنِّي أنْظُرُ إلَيْكَ قَتِيلًا يَحْمِلُكَ أَرْبَعةٌ فِي كِسَاء. فَرَأَّست الْخَزْرَجُ عَمْرو بن النُّعمَانِ بنِ وجيلة، وقِيلَ بَلْ جَدُّهُ وجيلة[1]، فاقْتَتَلوا فِي بُعَاث عِنْدَ أَعْلَى قوْري[2]، ورَئِيسُ الأَوْسِ حضير الكائِب[3][4] والدُ أُسَيْد بن حضير، وكانَ النَّصْرُ أَوَّلًا لِلْخَزْرَجِ ثُمَّ كانَت الدَّبْرَةُ عَلَيْهِمْ.

وقُتِلَ حضير بن الكائب[5] وعَمْرُو بنُ النّعمَان، وَجِيءَ بِعَمْرو يَحْمِلُهُ أَرْبَعَةٌ، وحَلَفَت الْيَهُودُ لَنَهْدِمَنَّ حِصْنَ ابْنِ أُبي، وكَانتْ أُخْتُهُ تَحْتَ أَبِي عَمْرو الرَّاهِب، الملقَّبِ بالفَاسِقِ، وَالِدِ حَنْظَلَةَ الْغَسِيلِ، أحَدِ بَنِي ضبيعة بنِ زَيْد مِنَ الْأَوْسِ.

فَلَمَّا أحَاطُوا بِحِصْنِهِ قالَ: هؤلاءِ أولادُكُم وقَدْ نهَيْتُ الخَزْرَجَ فعَصَوْنِي، وكَانُوا مِنْ أَوْلَادِ بَنِي النَّضِيرِ، فأَجَارُوهُ مِنَ الأَوْسِ وَقُرَيْظَة، ثُمَّ لم يَزَلْ يتَحَيَّلُ حتَّى ردَّهُمْ حُلَفَاءُ الْخَزْرَجِ، وذَهَبَ فِي ذَلِكَ الْيَومِ أَشْرافُ الْأَوْسِ والخَزْرَجِ مِمَّنْ لا يَنْقادُ أنْ يَكُونَ تَحْتَ حُكْمِ غيرِهِ لِشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ، غَيْر ابنِ أُبَيّ، فلِذَا قَالتْ عائِشَةُ: "كانَ يوْمُ بُعَاث يَوْمًا قَدَّمهُ اللهُ لِرَسُولِهِ ﷺ في دُخُولِهِم فِي الْإِسْلَامِ"[6].

وقَالَ أَهْلُ السِّيَرِ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المدِينَةَ وسَيِّدُ أَهْلِهَا أُبَيّ لم يَجْتَمِع الْأَوْسُ والْخَزْرَجُ قبْلَهُ ولَا بَعْدَهُ معًا علَى رَجُلٍ مِنْ أَحَدِ الفَرِيقَيْنِ غَيْرِه، ومَعَهُ رَجُلٌ شَرِيفٌ مُطَاعٌ هُوَ أَبُو عَامِر الفَاسِق مِنَ الْأَوْسِ، وكَانَ قدْ ترَهَّبَ ولَبِسَ المسُوحَ، وزَعَمَ أَنَّهُ يَنْتَظِرُ خرُوجَ النَّبِيءِ ﷺ فشَقِيَا بِشَرَفِهِمَا[7]. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

38 وَقِفْ فِي حِمَى خَيْرِ الوَرَى بِتَأَدُّبٍ وَذُلٍّ وَكَسْرٍ وَافْتِقَارٍ وَإِتْقَانِ

---

(1) في خلاصة الوفا: رجيلة، وفي وفاء الوفا: رُخَيْلة، وكذا في جمهرة أنساب العرب: رخيلة بن ثعلبة بن خالد... رأس الخزرج يوم بُعاث. ص357.

(2) قوري: موضع بظاهر المدينة. المغانم المطابة، الفيروز أبادِي، ص352.

(3) في خلاصة ووفاء الوفا: حضير الكتائب.

(4) حُضَيْر الْكَتَائِبِ بن السَّمَاكِ الْأَشْهلِي، وَهُوَ وَالِدُ أُسَيْدِ بنِ حُضَيْرٍ. لِوَلَدِهِ صُحْبَةٌ. الكامل، ابن الأثِير، 598/1.

(5) في خلاصة ووفاء الوفا: حضير الكتائب.

(6) مسند أحمد حدِيث (24320).

(7) حدِيث المؤلف عن حروب الأوسِ والخزرج (ولبثت الأوسُ والخزرج...فشقيا بشرفهما) نقله مِن خلاصة الوفا ص177-179.

أيْ: قِفْ في مَوْضِعٍ قَرِيبٍ مِنْ قَبْرِ أَفْضَلِ الخَلْقِ، مُصَاحِبًا لِلْفِعْلِ والْقَوْلِ الْحَسَنَيْن اللَّذَيْنِ هُمَا أَفْضَلُ، وَبِذُلٍّ مِنَ القَلْبِ، وكَسْرٍ مِنْ بَدَنٍ واحْتِيَاجٍ وإِحْكَامِ ذَلِكَ كُلِّهِ.

و"الحِمَى": هُنا الموْضِعُ المجَاوِرُ لِقَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ؛ لِأَنَّهُ مَمْنُوعٌ مِنَ الجفَاءِ فيهِ، والتَّهاوُنِ وتَرْكِ الِاحْتِرَامِ. أَوْ لِأَنَّهُ مانِعٌ مِنَ النَّارِ مَن يَقِفُ متَوَسِّلًا فيهِ إِلَى اللهِ عزَّ وجَلَّ بِنَبِيئِهِ ﷺ.

و"الوَرَى": الخَلْقُ أو بَنُو آدَم، أَو الثَّقَلانِ، مِنْ وَرِيَ الزِّنْد أَخْرَجَ نَارَهُ [40و] كَذلِكَ مَا سِوَى اللهِ أُخْرِجَ مِنَ العَدَمِ إِلَى الوُجُودِ، أَوْ مِنْ وَارَاه يُوَارِيهِ، سَتَرَهُ وأَخْفَاهُ، وكَانُوا مَسْتُورِينَ بِالعَدَمِ، ويَعُودونَ إِلَيْهِ، أَوْ مِن وَرَاءَ بِمَعْنَى خَلْفَ؛ لِأَنَّ بَعْضًا يُوجَدُ خَلْفَ بَعْضٍ. والبَاءُ لِلْمُصَاحَبَةِ تَتَعَلَّقُ بِمَحْذُوفٍ حَالٌ مِن الضَّمِيرِ فِي "قِف".

و"التَّأَدُّبُ": عِلَاجُ رِيَاضَةِ النَّفْسِ ومَحَاسِنُ الأَخْلَاقِ. قال أَبُو زَيْدٍ الْأَنْصَارِي[1]: الْأَدَبُ مُعَالَجَةُ الرِّيَاضَةِ المحْمُودَةِ التِي يتَخَرَّجُ بِهَا الْإِنْسَانُ فِي فَضِيلَةٍ مِنَ الفَضَائِلِ[2]. وقيلَ: التَّأَدُّبُ عِلَاجُ مَا يُحْمَدُ قَوْلًا وفِعْلًا. وقِيلَ: تَعَاطِي مكَارِمِ الْأَخْلَاقِ. وقِيلَ: التَّوَقُّفُ مَعَ المسْتَحَبَّاتِ. وقِيلَ: مُرَاعاةُ تَعْظِيمِ مَنْ فَوْقَكَ، وَالرِّفْقُ بِمَنْ دُونَكَ. ويُقَالُ: إِنَّهُ مِنَ المأْدُبَةِ؛ وَهِيَ الطَّعامُ المدْعُوُّ إِلَيْهِ. والتَّأَدُّبُ مَأْمُورٌ بِهِ مَدْعُوٌّ إِلَيْهِ.

وَ"الذُّلُّ": ضُعْفُ الْقَلْبِ وهَوَانُهُ، وَالمرَادُ ذَلِكَ بِخُشُوعٍ. و"الكَسْرُ": كَسْرُ الْبَدَنِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَقِفُ فِي الْحِمَى إِلَّا مُنْكَسِرِ الرَّأْسِ حَيَاءً، غَيْرَ عَابِثٍ بِجَوارِحِهِ، ولَا نَاشِطٍ بِها، ولَا مُتَبَرِّجٍ بِلِبَاسٍ أَوْ مَقَالٍ. والمرَادُ بِالِافْتِقَارِ: شِدَّةُ الْحَاجَةِ. و"الإِتْقَانُ": إِحْكَامُ آدابِ الزِّيَارَةِ. وَهُنَا فُصولٌ:

[الفصل] الأَوَّلُ: فِي فَضْلِ الزِّيَارَةِ[3]:

رَوَى الدَّارَقُطْنِي فِي السُّنَنِ وغيْرِهَا، والبَيْهَقيُّ وغيْرُهُما مِنْ طَرِيقِ مُوسَى بنِ هِلَال الْعَبْدِي عَنْ عُبَيْدِ اللهِ الْعُمَرِي عَنْ نَافِع عن ابنِ عُمَر عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: ((**مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي**))[4] أيْ: ثَبَتَتْ بالوَعْدِ الصَّادِقِ.

والشَّفاعَةُ: تَشْرِيفٌ وزِيَادَةُ دَرَجَاتٍ قَضَى اللهُ بِها لِلسَّعِيدِ. أَوْ أَرَادَ شَفَاعَةً زَائِدَةً عَنْ غَيْرِهِ تَحْصُلُ لَهُ

(1) سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري، البصري، أديب ولغوي،أخَذَ عن أبي عمرو بن العلاء، وأخذ عنه أبو عبيدة وغيره، وتوفي بالبصرة سنة 215هـ، من مصنفاته الكثيرة: القوس والترس، الإبل، بيوتات العرب، والجمع والتثنية. بغية الوعاة، السيوطِي، 582/1، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 761/1.

(2) المصباح المنير، المقرِي، 4/1.

(3) نقل المؤلِّف مادّة الفصل مِن كتاب خلاصة الوفا، فما استطعت ردّه إلى أصلِهِ من النّقولِ ذكرته وإلّا اكتفيت بتخريجه مِن المرجعِ.

(4) سنن الدارقطني، حدِيث (2695) وشعب الإيمان، البيهقي حدِيث (4159).

بالزِّيَادَةِ، أَوْ بُشْرَى بمَوْتِهِ مُسْلِمًا.

وَرَوَى البَزَّارُ عَن ابْنِ عُمر عَنْهُ ﷺ: ((**مَنْ زَارَ قَبْرِي حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي**))[1] وَهُوَ كَالْأَوَّلِ، إِلَّا أَنَّ فِي الْأَوَّلِ "وَجَبَتْ" وفي هَذَا "حَلَّتْ" وفِي سَنَدِ الثَّانِي عَبْدُ اللهِ الغِفَارِي[2] وعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ زَيْد[3]، وهُمَا قَدْ يَنْسَيَان أَوْ يَخْتَلِطُ عَلَيْهِمَا اللَّفْظُ ومِثْلُ ذَلِكَ مُحْتَملٌ مِمَّا لَا يَفْسُدُ بِهِ المعْنَى وحَدِيثُهُما يُكْتَبُ.

وَعَنْ نَافِع عَنْ سَالم عَن ابْنِ عُمر عَنْهُ ﷺ: ((**مَنْ جَاءَنِي زَائِرًا لَا تَحْمِلُهُ**[4] **حَاجَةٌ إِلاَّ زِيَارَتِي، كَانَ حَقًّا عَلَيَّ أَنْ أَكُونَ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**))[5] رَوَاهُ الطَّبَرَاني في "الْكَبِيرِ و"الْأَوْسَط"، والدَّارَقُطْنِي فِي "أَمَالِيهِ"[6]، وأَبُو بَكْر بنُ المقْرِئ[7]فِي "مُعْجَمِهِ". وَالشَّفَاعَة تَعْظُمُ بِعِظَمِ الشَّافِعِ.

وبِذَلكَ السَّنَدِ أَيْضًا في "مُعْجَمِ ابْنِ المقْرِئ" عَنْهُ ﷺ: ((**مَنْ جَاءَنِي زَائِرًا كَانَ لَهُ حَقًّا عَلَى اللهِ ﷻ أَنْ أَكُونَ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**))[8].

[40ظ] وَرَوَى ابْنُ السَّكَن[9]في كِتَابِهِ المسَمَّى بـ"السُّنَن الصِّحَاح"[10] مِثْل، وذَلِكَ بَعْدَ الموْتِ، أَوْ مَا بَعْدَ الموْتِ دَاخِلٌ فِي الْعُمُومِ[11].

وَرَوَى الدَّارَقُطْنِي وَالطَّبَرَانِي وغَيْرُهُما بسَنَدٍ فِيهِ حَفْصُ بنُ أَبِي دَاوُد الْقَارِئ عنْ لَيْث عَنْ مُجَاهِد عن ابْنِ عُمر عَنْهُ ﷺ: ((**مَنْ حَجَّ فَزَارَ قَبْرِي بَعْدَ وَفَاتِي، كَانَ كَمَنْ زَارَنِي فِي حَيَاتِي**))[12]. وحَفْصٌ هَذَا وَثَّقَهُ أَحْمَد في

---

(1) كشف الأستار عن زوائد البزار، الهيثَمِي، حدِيث (1198).

(2) عبد الله بن إبراهِيم الغفارِي، كان يغلب على حدِيثِه الوهمُ. الضعفاءُ الكبِير، العقيلِي، 233/2.

(3) عبد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن أسلم مولى بن عمر من أهل المدِينَة يروي عَن أَبِيهِ روى عَنْهُ الْعِرَاقِيُّونَ وَأهل المدِينَة، مَاتَ سنة 182هـ، كَانَ مِمَّن يقلب الْأَخْبَار وَهُوَ لَا يعلم، حَتَّى كثر ذَلِك فِي رِوَايَته من رفع المرَاسِيل وَإِسْنَاد الموْقُوف فَاسْتحقَّ التّرْك. المجروحون، ابن حبان، 22/2.

(4) في خلاصة الوفا والمعجم الأوسط: ((لا تعمله)). وفِي المعجم الكبير: ((لا يعمله)).

(5) المعجم الكبير، الطبرانِي، حدِيث (13149) والمعجم الأوسَط، الطبرانِي، حدِيث (4546).

(6) لم أقفْ على كتاب "أمالي الدارقطنِي" وورَدَ في سننه بلفظٍ مغايِرٍ، حدِيث (2695).

(7) محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان الأصبهاني، الخازن، المشهور بابن المقري (أبو بكر) محدّث توفي سنة 381هـ، من آثاره: المعجم الكبير، الأربعون حديثا، المنتخب من غرائب أحاديث مالك بن أنس. سير أعلام النبلاء، 398/16، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 35/4.

(8) معجم ابن المقرِئ، حدِيث (158). وفيه: عن نافع وسالم عن ابن عمر. وفيه: ((مَنْ جَاءَنِي زَائِرًا لَا يَنْزِعُهُ إِلَّا زِيَارَتِي)).

(9) سعيد بن عثمان بن سعيد بن السَّكَن البغدادي الأصل، المصري، البزاز (أبو علي) محدث سمع بمصر والشَّام والعراق وخراسان، توفي بمصر سنة 353 هـ. من تصانيفه: الصحيح المنتقى. تذكرة الحفاظ، الذهبِي، 100/3، ومعجم المؤلفِين، رضا كحالة، 766/1.

(10) "الصحيح المنتقى" أو "السنن الصحاح" كتاب محذوف الأسانيد، جعله أبوابا في جميع ما يحتاج إليه من الأحكام، ضمنه ما صح عنده من السنن المأثورة. وقال عنه ابن خير الإشبِيلي: مُصَنف أبي عَليّ بن السكن فِي السّنَن جمع فِيهِ سنَن المصنفات الْأَرْبَعَة كتاب البُخَارِيّ وَمُسلم وَأبي دَاوُد وَالنَّسَائِيّ. ينظر: فهرسة ابن خير، ص104.

(11) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص89.

(12) المعجم الكبير، الطبرانِي، حدِيث (13497) واللفظ له. وفِي سنن الدارقطنِي، حدِيث (2693).

أَرْجَحِ الرِّوَايَتَيْنِ عَنْهُ[1]، وضَعَّفَهُ جَمَاعَةٌ[2].

ورَوَاهُ الطَّبَرَانِي فِي "الْكَبِيرِ" وَ"الْأَوْسَطِ" مِنْ طَرِيقِ عَائِشَةَ بِنْتِ يُونُس امْرَأَةِ اللَّيْثِ، عَنْ لَيْثٍ عَنْ مُجَاهِد عن ابْنِ عُمَر عَنْهُ ﷺ: ((**مَنْ زَارَ قَبْرِي بَعْدَ وَفَاتِي كَانَ كَمَنْ زَارَنِي فِي حَيَاتِي**))[3].

وَرَوَى بعْضٌ عن[4] ابْنِ مَنْدَةَ[5] مِنْ طَرِيقِ حَفْص عَنْهُ ﷺ: ((**مَنْ حَجَّ فَزَارَنِي فِي مَسْجِدِي بَعْدَ وَفَاتِي، كَانَ كَمَنْ زَارَنِي فِي حَيَاتِي**))[6].

ورَوَى ابْنُ الجَوْزِي فِي "مُثِيرِ الْعَزْمِ السَّاكِن" عنْهُ ﷺ: ((**مَنْ حَجَّ فَزَارَ قَبْرِي بَعْدَ مَوْتِي كَانَ كمَنْ زَارَنِي فِي حَيَاتِي وَصَحِبَنِي**))[7].

قالَ أَبُو اليُمْنِ بنُ عَسَاكِر[8]: تفرَّدَ بقولِهِ: "وَصَحِبَنِي"، الحَسَنُ بنُ الطَّيِّبِ[9]، وفِيهِ نَظَرٌ، وَهِيَ زِيَادَةٌ مُنْكَرَة[10].

وقَالَ ابْنُ السُّبكِي[11]: لم يَنْفَرِدْ بهِ، فَقَدْ رَوَاهُ كَذَلِكَ ابنُ عَدِيّ فِي "كَامِلِهِ" مِنْ طَرِيقِ الْحَسَنِ بنِ سُفْيَانَ بَدَلَ ابْنِ الطَّيِّبِ[12].

وذَلِكَ لَا يَقْتَضِي التَّشْبِيهَ بِمَنْ صَحِبَهُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ حَتَّى يُعَارَضَ بِقَوْلِهِ ﷺ: ((**لَوْ أَنفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ**))[13] الْحَدِيث كَمَا قِيلَ[14].

---

(1) هو حفص بن أبي داود، إمام القراءات المشهور ت:171- 180هـ. ينظر ترجمته: تاريخ الإسلام، الذهبِي، 602/4. وفيه: قال أحمد بن حنبل: ما به بأسٌ.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص89.

(3) المعجم الكبير، الطبراني، حدِيث (13496) والمعجم الأوسَط، الطبراني، حدِيث (287).

(4) في خلاصة الوفا، والصارم المنكِي: بعض الحفاظ المعاصِرين لابن منده. وبه يتبين الخطأ، فالحدِيث لم ينقل عن ابن منده، بل نقله بعضٌ ممن عاصرَ ابن منده.

(5) عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق، أبو القاسِم بن منده، حَدَّثَ عَنْ أَبِيْهِ وَعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ بن المرْزُبَان، وَأَبِي بَكْرٍ بنِ مَرْدَوَيْه، ت:470هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 319/18.

(6) لم أقف عليه بلفظه في كتب الحدِيث، ولا في المستخرج لابن منده. خلاصة الوفا، السمهودِي، ص89. الصارم المنكِي، السبكِي، ص70.

(7) مثير العزم الساكن، ابن الجوزِي، حدِيث (467).

(8) عبد الصمد بن عبد الوهاب الدمشقي الشافعي، نزيل الحرم أديب، محدّث، توفّي بالمدينة سنة 686هـ، من آثاره: جزء في ذكر فضائل الصلاة على الرسول ﷺ، وفضائل أمّ المؤمنين خديجة، وإتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر. معجم الشيوخ، الذهبِي، 394/1، ومعجم المؤلفين، 154/2.

(9) الحَسَنُ بنُ الطَّيِّبِ بنِ حَمْزَةَ أَبُو عَلِيٍّ الشُّجَاعِيُّ، المحَدِّثُ الرَّحَّالُ، أَبُو عَلِيٍّ الشُّجَاعِيُّ، البَلْخِيُّ، نَزِيْلُ بَغْدَادَ، ابْن أَخِي الحَافِظ الحَسَن بنِ شُجَاع، حَدَّثَ بِبَغْدَادَ، قَالَ الدَّارَقُطْنِيّ: لاَ يُسَاوِي شَيْئاً، لأَنَّه حدَّثَ بِمَا لَمْ يَسْمَعْ، ت:307هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 260/14.

(10) إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر، أبو اليمن ابن عساكر، ص27. وخلاصة الوفا، السمهودِي، ص89.

(11) صوابه: السُّبكِي، سبق تعريفه.

(12) الكامل في الضعفاء، ابن عدِي، 248/8.

(13) ورد بلفظ قرِيب: صحيح البخارِي، حدِيث (3673) وصحيح مسلم، حدِيث (221).

(14) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص90.

ورَوَى ابنُ عَدِيّ فِي "الْكَامِل" وَالدَّارَقُطْنِي فِي "غَرَائِبِ مَالِك"[1] عنْ نَافِع عَن ابْنِ عُمر عَنهُ ﷺ: **((مَنْ حَجَّ الْبَيْتَ وَلَمْ يَزُرْنِي فَقَدْ جَفَانِي))**[2].

ولَمْ يَرْوِهِ عنْ مَالِك إِلَّا النُّعْمَانُ بنُ شبْل[3]، وبَعْضٌ وَثَّقهُ وبَعْضٌ اتَّهَمَهُ، والقَاعِدَةُ عِنْدَ قَوْمِنا الأَشْعَرِيَّة أَنَّهُ إِذَا لم تُفَسَّر التُّهْمَةُ وقَدْ وَثَّقَ بَعْضٌ، فَالْحُكْمُ بِالتَّوثِيقِ[4].

وقَالَ الدَّارَقُطْنِي: تَفَرَّدَ هذَا الشَّيْخُ بِهِ وهُوَ مُنْكَرٌ. ولَعَلَّهُ أَرَادَ عَدَمَ احْتِمَالِ تَفَرُّدِهِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، لَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَتْنِ الحَدِيثِ. وذَكَرَهُ بَعضٌ فِي الْأَحَادِيثِ الموضُوعَةِ[5]، وهُوَ سَرَفٌ[6].

ولِلدَّارَقُطْنِي فِي "الْعِلَل" عن نافع عن ابنِ عُمَر عنهُ ﷺ: **((مَنْ زَارَنِي إِلَى المدِينَةِ كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا وَشَهِيدًا))**[7] وقِيلَ: أَخْطَأَ بَعْضُ رُوَّاتِهِ فِي مَتْنِهِ، إِذِ المعْرُوفُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَر: **((مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُم أَنْ يَمُوتَ بِالمدِينَةِ))** الحدِيث، وفِيهِ نَظَرٌ[8].

وذَكَرَ أَبُو دَاود الطَّيَالِسِي بِسَنَدِهِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ آلِ عُمَر عَنْ عُمَر عنهُ ﷺ: **((مَنْ زَارَ قَبْرِي أَوْ قَالَ مَنْ زَارَنِي كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا، أَوْ مَنْ مَاتَ فِي أَحَدِ الْحَرَمَيْنِ بَعَثَهُ اللَّهُ ﷻ فِي الْآمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))**[9] والرَّجُلُ المبْهَمُ مِن التَّابعِينَ، فَالْأَمْرُ فِيهِ قَرِيبٌ[10].

[41و] ورَوَى أَبُو جَعْفَر الْعُقَيْلِيّ[11] مِنْ رِوَايَةِ سوار بِسَنَدٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ آلِ الْخَطَّابِ عَنْهُ ﷺ: **((مَنْ زَارَنِي مُتَعَمِّدًا كَانَ فِي جِوَارِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَاتَ...))**[12] الحَدِيث. وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ عنْ رَجُلٍ مِنْ آلِ الخَطَّابِ نَحْوُ ذَلِكَ، وزَادَ عَقِبَهُ: **((ومَنْ سَكَنَ المدِينَةَ وَصَبَرَ عَلَى بَلَاءِهَا**

---

(1) كتاب "غرائب مالك" للدارقطني مفقود. ينظر: الرسالة المستطرفة، الكتاني، ص113.

(2) الكامل في الضعفاء، ابن عدِي، 14/8.

(3) النُّعْمَان بن شبْل: من أهل الْبَصْرَة يروي عَن أبي عوَانَة وَمَالك. المجروحين من المحدثين، ابن حبان، 413/2.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص90.

(5) المقصود ابن الجوزِي فِي الموضوعات، 217/2.

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص90. والصارم المنكِي، ص86.

(7) العلل الواردة في الأحادِيث النبوية، الدارقطنِي، 58/7 وفِيه: ((شَفِيعاً أَوْ شَهِيداً)).

(8) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص90.

(9) مسند الطيالسي، حدِيث (65).

(10) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص90.

(11) محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي، محدث روى عن أبي اسماعيل الترمذي وروى عنه أبو الحسن محمد بن نافع الخزاعي وأبو بكر بن المقري، وتوفي بمكة سنة 322 هـ، من آثاره: الضعفاء ومن نسب إلى الكذب ووضع الحديث ومن غلب على حديثه الوهم، والجرح والتعديل. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 237/15، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 570/3.

(12) كتاب الضعفاء الكبير، العقيلي، 361/4، وفيه: ((كَانَ فِي جِوَارِ اللهِ)).

كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا وَشَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[1].

وَهَارُونُ[2] هَذَا ذَكَرَهُ ابنُ حِبَّان فِي الثِّقَاتِ[3].

وذَكَرَ الدَّارَقُطْنِي وغَيْرُهُ مِنْ طَرِيقِهِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ آلِ حَاطِب عَنْ حَاطِب عَنهُ ﷺ: **((مَنْ زَارَنِي بَعْدَ مَوْتِي فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي، وَمَنْ مَاتَ بِأَحَدِ الْحَرَمَيْنِ بُعِثَ مِنَ الآمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))**[4].

ورَوَى أَبُو الفَتْحِ الأَزدِي[5] بِسَنَدِهِ عَنْ عَلْقَمَةَ عَن عَبْدِ اللهِ بنِ عَبَّاس عَنهُ ﷺ: **((مَنْ حَجَّ حَجَّةَ الْإِسْلَامِ وَزَارَ قَبْرِي وَغَزَا غَزْوَةً وَصَلَّى فِي بَيْتِ المقْدِسِ لم يَسْأَلْهُ اللهُ ﷻ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ))**[6]

أيْ: غَفَرَ لهُ ذنوبَهُ مِنْ فِعْلٍ وتَرْكٍ.

وعَنْ عَبْدِ اللهِ العُمَرِي[7] سَمِعْتُ سَعِيدَ المقْبُرِي[8] يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: **((مَنْ زَارَنِي بَعْدَ مَوْتِي فَكَأَنَّمَا زَارَنِي وَأَنَا حَيٌّ، وَمَنْ زَارَنِي كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ))** رَوَاهُ أَبُو الْفُتُوحِ[9][10].

وَذَكَرَ ابنُ أَبِي الدُّنْيَا والْبَيْهَقِيّ عن أَنَس بنِ مَالِك: **((مَن زَارَنِي بِالمدِينَةِ كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا وَشَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ))** وهُوَ مَرْفوعٌ إِلَيْهِ ﷺ، وهُوَ بِالوَاوِ، وفِي رِوَايَةٍ بِـ: "أَوْ" كَمَا تَقَدَّمَ أَيْضًا[11].

ولَفْظُ البَيْهَقِيّ عَنْهُ ﷺ: **((مَنْ مَاتَ فِي أَحَدِ الْحَرَمَيْنِ بُعِثَ مِنَ الْآمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ زَارَنِي مُحْتَسِبًا إِلَى المدِينَةِ كَانَ فِي جِوَارِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ))**[12].

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص91. ليسَ في كتاب العقيلِي حدِيث بهذا السَّند غير الذِي سبقَ، وفي الصارم المنكِي:" في حديث الشحامي حدثنا هارون بن قزعة عن رجل من آل الخطاب عن النبي ﷺ قال: ((مَنْ زَارَنِي مُتَعَمِّداً كَانَ فِي جِوَارِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) زادَ الشحامي:((ومَنْ سَكَنَ المدِينَةَ وصَبَرَ عَلَى بَلائِهَا كُنْتُ لَهُ شَهِيداً أَوْ شَفِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ". الصارم المنكِي، السبكِي، ص103. فصاحب الزيادة هو الشحامي وليس العقيلي.

(2) هو هارون بن قزعة أسقطه المؤلف من سند: هارون عن رجل من آل الخطَّابِ. خلاصة الوفا، السمهودِي، ص91.

(3) في الثقات، ابن حبان، 580/7 وذكرهُ باسم هارون أبو قزعة.

(4) سنن الدارقطنِي، حدِيث (2694).

(5) محمد بن الحسين بن أحمد الحسين بن عبد الله الأزدي، محدث نزل بغداد، وحدث بها، وتوفي بالموصل سنة 374 هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 347/16 ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 245/3.

(6) شفاء السقام، السبكِي، ص140.

(7) عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم العمرِي: ابن عمر بن الخطاب، حدث عن نافع لعمري وسعيد المقبري، حدث عنه وكيع وابن وهب، ت:171هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 339/7.

(8) سعيد المقبري: أبو سعد، حدث عن عائشة وأبِي هريرة، حدث عنه أولادهُ عبد الله وسعد، ومالك بن أنَس، ت:125هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 216/5.

(9) أبو الفتوح سعيد بن محمد بن إسماعيل.

(10) شفاء السَّقام، السبكي، ص144.

(11) شفاء السّقام، السبكي، ص147، بزيادة: ((...بِالمدِينةِ مُحْتَسِبًا)).

(12) السنن الصغرَى، البيهقِي حدِيث (1818)، وشفاء السّقام، السبكي، ص147.

وفِي الرِّوايتَيْنِ سُلَيْمَان بنُ يَزِيد الكَعْبِي، ذكَرَهُ ابنُ حِبَّانَ فِي "الثِّقَاتِ"[1]، وقَالَ أَبُو حَاتِم: "مُنْكَر الْحَدِيثِ لَيْسَ بِقَوِيٍّ"[2] ولَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِهِ يَرْوِي عَنِ التَّابِعِينَ عَدَمُ إِدْرَاكِهِ أَنَسا[3].

وذَكَرَ ابنُ النَّجَّار[4] مِنْ طَرِيقِ سَمْعَانَ بنِ المهدِي عَنْ أَنَس مَرْفُوعا: ((**مَنْ زَارَنِي مَيِّتًا فَكَأَنَّمَا زَارَنِي حَيًّا، وَمَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ أُمَّتِي لَهُ سَعَةٌ، ثُمَّ لم يَزُرْنِي فَلَيْسَ لَهُ عُذْرٌ**))[5].

وقَالَ الذَّهَبِي: سَمْعَانُ بنُ مَهْدِي عَنْ أَنَس لَا يَكَادُ يُعْرَفُ، أُلصِقَتْ بِهِ نُسْخَةٌ مَكْذُوبَةٌ[6]، قالَ ابْنُ حَجَر: أَكْثَرُ مُتُونِهَا مَوْضُوعَةٌ[7].

ولِأَبِي جَعْفَر الْعُقَيْلِي عَن ابْنِ جُرَيْج عَنْ عَطَاء عَن ابْنِ عَبَّاس عَنهُ ﷺ: ((**مَنْ زَارَنِي فِي مَمَاتِي كَمَنْ زَارَنِي فِي حَيَاتِي، وَمَنْ زَارَنِي حَتَّى يَنْتَهِي إِلَى قَبْرِي كُنْتُ** [41ظ] **لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَهِيدًا، أَوْ قَالَ: شَفِيعًا**))[8].

وفِي "مُسْنَدِ الْفِرْدَوْسِ"[9] عن ابنِ عَبَّاس ﷺ عَنِ النَّبِيءِ ﷺ: ((**مَنْ حَجَّ إِلَى مَكَّةَ ثُمَّ قَصَدَنِي فِي مَسْجِدِي كُتِبَتْ لَهُ حَجَّتانِ مَبْرُورَتَانِ**))[10].

وذَكَرَ يَحْيَى بنُ الْحسَينِ[11] مِنْ طَرِيقِ النُّعَمانِ بنِ شِبْل حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ الْفَضْلِ المدَنِيّ سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ عَنْ جَابِر عنْ مُحَمَّد بنِ عَلِيّ عَنْ عَلِيٍّ عَنْهُ ﷺ: ((**مَنْ زَارَ قَبْرِي بَعْدَ مَوْتِي فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي، وَمَنْ لم يَزُرْنِي فَقَدْ جَفَانِي**))[12] وقَوْلُهُ "المدَنِيّ" يَقْتَضِي أَنَّهُ غَيْرُ مُحَمَّد بنِ الْفَضْلِ

---

(1) الثقات، ابن حبان، 395/6.

(2) الجرح والتعدِيل، عبد الرحمن الرازِي، 149/4.

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص91.

(4) سبقت ترجمته.

(5) الدرة الثمينة في أخبار المدينة، ابن النجار، ص221.

(6) المغنِي في الضعفاءِ، الذَّهَبِي، 411/1.

(7) لسان الميزان، ابن حجَر، 191/4.

(8) الضعفاء الكبِير، العقيلِي 457/3.

(9) مسند الفردوس: لأبي منصور شهردار بن شيرويه الديلمِي الهمدانِي، ت:558هـ، وكتاب الفردوس لوالده المحدث المؤرّخ أبِي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمِي، ت:509هـ، أورد فيه عشرة آلاف حديث من الأحاديث القصار مرتبة على نحو من عشرين حرفا من حروف المعجم من غير ذكر إسناد في مجلد أو مجلدين وسماه: فردوس الأحكام بمأثور الخطاب المخرج على كتاب الشهاب أي: شهاب الأحكام للقضاعي. اختصره ابن حجر العسقلانِي وسماه "تسديد القوس في مختصر مسند الفردوس". الرسالة المستطرفة، الكتانِي، ص75 و كشف الظنون، حاجي خليفة، 1684/2.

(10) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص92.

(11) فِي شفاء السَّقام: يحيى بن الحسَن. وهو يحي بن الحسَن بن جعفر الحجَّة العبيدلِي العقيقي، سبق تعريفه.

(12) شفاء السقام، السبكي، ص155.

بنِ عَطِيَّةَ الذِي كَذَّبُوهُ؛ لِأَنَّ ذَاكَ كُوفِيٌّ، وجَابِر هُوَ الْجعفيّ أَوْ غَيْرُهُ، ومُحَمَّد بنُ عَلِيّ إِنْ كَانَ ابْنَ الْحَنَفِيَّة فَقَدْ أَدْرَكَ أَبَاهُ عَلِيًّا، وإِنْ كَانَ الْبَاقِر فَهُوَ مُنْقَطِعٌ[1].

وَذَكَرَ ابنُ عَسَاكِر بِطَرِيقٍ آخَرَ عَنْ عَلِيٍّ عَنْهُ ﷺ: ((**مَنْ سَأَلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ الدَّرَجَةَ وَالْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ زَارَ قَبْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ فِي جِوَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ**))[2]. وفِيهِ عَبْدُ المِلِكِ بنُ هَارُونَ، وفِيهِ كَلَامٌ[3] لَا يُدْرَى أَهُوَ صَحِيحٌ.

وَعَنِ الثَّوْرِي عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ السَّائِبِ عن ابْنِ مَسْعُودٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِثْلُ ذَلِكَ[4].

ومِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللهِ بنِ وَهْب، وَهُوَ ثِقَةٌ، عَنْ رَجُلٍ عَنْ بَكْر بنِ عَبْدِ اللهِ عَنِ النَّبِيءِ ﷺ: ((**مَنْ أَتَى المدِينَةَ زَائِرًا إِلَيَّ وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَاتَ فِي أَحَدِ الْحَرَمَيْنِ بُعِثَ آمِنًا**))[5] وبَكْرُ بنُ عَبْدِ اللهِ إِنْ كَانَ الأَنْصَارِي فَهُوَ صَحَابِي، وإِنْ كَانَ المزَنِي فَهُوَ تَابِعِي، فَيَكُونُ مُرسَلًا[6].

وَلِأَبِي دَاوُد عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عنهُ ﷺ: ((**مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلاَّ رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ**))[7] وذَكَرَهُ الْبَيْهَقِيّ وأَحْمَد قَبْلَهُ وغَيْرُهُمَا[8].

وفَضِيلَةُ رَدِّهِ عَظِيمَةٌ، والمرَادُ التَّسْلِيمُ عَلَيْهِ فِي قَبْرِهِ؛ بِدَلِيلِ روَايَةِ ابنِ قُدَامَةَ عَنْ أَحْمَد بِلَفْظِ: ((**مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي**))[9] وذَلِكَ أَنَّ المسَلِّمَ عَلَيْهِ عِندَ الْقَبْرِ يَمْتازُ بِالمواجَهَةِ بِالخِطَابِ المسْتَدْعِي لِلرَّدِّ، وإِلَّا فَقَدْ يُقَالُ لَا يَنْقَطِعُ التَّسْلِيمُ فِي جَمِيع الأَرْضِ، فلَا تَذْهَبُ رُوحُهُ فَضْلًا عنْ رُجُوعِها، فَهِيَ مُسْتَمِرَّةٌ في جَسَدِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ.

وذَكَرَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدُ اللهِ المقْبرِي[10] أَحَدُ أَكَابِرِ شُيُوخِ البُخارِي عَنْهُ ﷺ: ((**إِذَا زَارَنِي فَسَلَّمَ عَلَيَّ رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ**))[11].

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص92، وفِيهِ: مدينِي بدل مدني.

(2) مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور 406/2. لم أجده في تاريخ دمشق.

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص92.

(4) (م، س)، ص92.

(5) الصارم المنكِي، شمس الدين الحنبلِي، 184، وفيه: بكير بن عبد الله.

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص93.

(7) سنن أبي داود، حدِيث (2041).

(8) مسند أحمد، حدِيث (10815)، والسنن الكبرَى، البيهَقِي، حدِيث (10270).

(9) مسند أحمد، حدِيث (10815) وليس فِيه "عند قبرِي". والمغنِي، ابن قدامة، 465/5.

(10) هكذا في الأصل وفي خلاصة ووفاء الوفا، وهو أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد الأهوازي المقرِئ، وليسَ المقبرِي، الحافظ المحدِّث، حدَّثَ عن ابن عون وأبِي حنيفة، وحدَّثَ عنه البخارِي وأحمد بن حنبل، وهو من كبراء مشَيَخَةِ البخارِي، توفي بمكّة سنة 212 أو 213هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 166/10.

(11) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص93.

ويُؤيِّدُهُ أنَّ أَصْلَ السَّلامِ عُرْفًا مَا يُواجَهُ بِهِ المسَلَّمُ [42و] عَلَيْهِ مِنْ قُرْبٍ، ويُكنَّى بِهِ عَنِ الزِّيَارَةِ، وهُوَ سلَامُ التَّحِيَّةِ المسْتَدْعِي الرَّدَّ عَلَى المسَلِّم بنَفْسِهِ أو بِرَسُولِهِ، بِخِلَافِ السَّلامِ الذِي يُقصَدُ بِهِ الدُّعَاءُ مِنَّا بِالتَّسلِيمِ علَيْهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى، سَوَاء أَكانَ بِلَفْظِ الْغَيْبَة أَمِ الْحُضُورِ، وهُوَ الذِي قِيلَ بِاختِصَاصِهِ بِهِ عنِ الأُمَّةِ كَالصَّلاةِ، فَلَا يقَالُ فُلَانٌ عَلَيْهِ السَّلامُ. وهذَا الْحَدِيثُ مِمَّا استَدَلَّ بِهِ البَيْهَقيُّ على حَيَاةِ رسُولِ اللهِ ﷺ في قَبْرِهِ وحيَاةِ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ في قُبُورِهِم. قَالَ: "والمعْنَى إِلَّا وَقَدْ رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِم"[1].

قُلْتُ: فَهُوَ جَوَابٌ عَمَّا ذَكَرْتُ مِنْ كَثْرَةِ السَّلامِ عَلَيْهِ بِلَا حُضُورٍ عِنْدَهُ، حتَّى لا تُتَصَوَّرَ فَتْرَةٌ يزُولُ رُوحُهُ فِيهَا، فَهُوَ حَيٌّ مُسْتِمِرٌّ.

وقِيلَ: هُوَ خِطابٌ علَى قَدْرِ فَهْمِهِم أَنَّهُ لَا بُدَّ مِن رَدِّ الرُّوحِ ليَسْمَعَ، فكَأَنَّهُ أُسْمِعَهُ تَمَامَ السَّماعِ، وأُجِيبَهُ تَمَامَ الإِجَابَةِ، معَ دَلالتِهِ عَلَى الرَّدِّ عِنْدَ سَلَامِ أَوَّلِ مُسَلِّمٍ ولَمْ يرِدْ قَبْضهَا بَعْدُ، ولَا قَائِلَ بِهِ لتَوَالِي مَوْتَاتٍ لَا تُحْصَر. وهذَا جَوَابٌ آخَرُ عَمَّا ذَكَرْتُ، أو الرَّدُّ معْنَوِيٌّ مِنَ الاستِغْرَاقِ في مشَاهَدَةِ التَّسلِيمِ، فهوَ الْتِفَاتٌ رُوحَانِيّ إلى دَوائِرِ الْبَشَرِيَّة مِنَ الاسْتِغْرَاقِ فِي الْحَضْرَة الْعَلِيَّةِ.

وأَمَّا حَدِيثُ النَّسَائِيّ وغَيْرِهِ: ((**إنَّ للهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونَنِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ**))[2] وَأَحَادِيثُ عَرْضِ المَلَكِ صَلَاةَ الْأُمَّةِ وسلَامَها عَلَيْهِ ﷺ فذَلِكَ مِنَ الغَائِبِ[3].

وأَمَّا الحَاضِر ففِيهِ حدِيثَانِ، الأَوَّلُ عن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنهُ ﷺ: ((**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي سَمِعْتُهُ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ نَائِيًا أُبلِغْتُهُ**)) رَواهُ جمَاعَة مِنْ طَرِيقِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَن. قال الْبَيْهَقِيّ: وهُوَ مُحَمَّد بنُ مَرْوَان السّدِّي[4] فيما أَرَى، وفِيه نَظَرٌ[5].

والثَّانِي: قِيلَ: وهُوَ أَضْعَفُ مِنَ الأَوَّل عن أَبِي هُرَيْرَةَ عنهُ ﷺ: ((**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي وَكَّلَ اللهُ تَعَالَى بِهَا مَلَكًا يُبَلِّغُنِي، وَكُفِيَ أَمْرَ آخِرَتِهِ وَدُنْيَاهُ، وَكُنْتُ لَهُ شَفِيعًا بِهَا، وَشَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**))[6].

وفي رِوَايَة: ((**مَا مِنْ عَبْدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي إِلَّا وَكَّلَ اللهُ بِهِ مَلَكًا يُبَلِّغُنِي، وَكُفِيَ أَمْرَ آخِرَتِهِ**

---

(1) حياة الأنبياء، البيهقي، ص96.

(2) السنن الكبرَى، النَّسائي، حدِيث (9811).

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص94.

(4) مُحَمَّد بن مَرْوَان الْكُوفِي يقال له: السُّدِّي الصّغِير، توفي ما بين 181-190هـ روَى عن الكلبِي تفسيرَهُ، قِيلَ: لَيْسَ بثقة. الكامل في ضعفاء الرجال، ابن عديّ، 512/7 وسير أعلام النّبلاء، الذّهبِي، 265/5.

(5) حياة الأنبياءِ في قبورهم، البيهقي، ص104.

(6) تاريخ دمشق، ابن عساكر حدِيث (7130).

وَدُنْيَاهُ، وَكُنْتُ لَهُ شَفِيعًا وَشَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[1].

وفِي "الْإِحْيَاءِ" لِلْغَزَّالِي حَدِيثُ: **((إِنَّ اللهَ وَكَّلَ بِقَبْرِهِ ﷺ مَلَكًا يُبَلِّغُهُ سَلَامَ مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِهِ))**[2] ثُمَّ قَالَ: هذَا فِي حَقِّ مَنْ لم يَحْضُرْ قبْرَهُ، فكَيْفَ مَن فارَقَ الوَطَنَ، وقَطَعَ الْبَوَادِي شَوْقًا إِلَيْهِ ﷺ[3].

وقَدْ صَحَّ عَن ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُما عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: **(([42ظ] مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُرُّ بِقَبْرِ أَخِيهِ المؤْمِن، وفِي رِوَايَةٍ: بِقَبْرِ الرَّجُلِ، كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، إِلَّا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ))**[4].

وَذَكَرَ ابْنُ الدُّنيَا عَنهُ ﷺ: **((إِذَا مَرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرٍ يَعْرِفُهُ فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَعَرفَهُ، وَإِذَا مَرَّ بِقَبْرٍ لَا يَعْرِفُهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ))**[5].

وَذَكَرَ ابْنُ حَبِيبٍ[6]: فَإِنَّهُ ﷺ يَعْلَمُ وُقُوفَكَ[7].

وذَكَرَ ابنُ تَيْمِيَّةَ وابْنُ عَبْدِ الْهَادِي[8] إِنَّ الشُّهَدَاءَ بَل كُلَّ المؤْمِنِينَ إِذَا زَارَهُم المسْلِمُ وسَلَّمَ علَيْهِمْ عَرفوا بِهِ، ورَدُّوا عَلَيْهِ السَّلَامَ[9].

فَإِذَا كَانَ هذَا فِي حَقِّ آحَادِ المسْلِمِين فكَيْفَ بِسَيِّدِ المرْسَلِينَ ﷺ. فهُوَ ﷺ يَسْمَعُ مَنْ يُسَلِّمُ علَيْهِ عِنْدَ قَبْرِهِ، ويَرُدُّ عَلَيْهِ عَالما بحُضُورِهِ عِنْدَ قَبْرِهِ، وكَفَى بِهَذَا فَضْلًا حَقِيقًا بِأَن يُنْفَقَ فِيهِ مُلْكُ الدُّنيَا حَتَّى يُتَوَصَّلَ إِلَيْهِ[10].

---

(1) شعب الإيمان، البيهقِي، حدِيث (3859).

(2) السنن الكبرى، النسائي، حدِيث (1206).

(3) إحياء علوم الدّين، أبو حامد الغزالي، 321/1.

(4) تاريخ دمشق، ابن عساكر، 380/10.

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص94.

(6) عبد الملك بن حبيب: فقيه الأندلس، ولد في حياة الإمام مالك، أخذ عن الغاز بن قيس، صنف كتاب الواضحة، وكتاب الجامع وكتاب فضائل الصحابة، ت: 238هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 103/12، معجم المؤلفين، رضا كحالة، 316/2.

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص95.

(8) ابن عبدالهادِي: شمس الدّين مُحَمَّد بن أحمد الْحَنْبَلِيّ سمع من ابن عبد الدائم وتفقه بابن مسلم، صنَّف في الردّ على السُّبْكِيّ فِي مَسْأَلَة الزِّيَارَة سَمَّاهُ الصَّارِم المنكِي، وَالمحَرر فِي اخْتِصَار الْالمام وَالْكَلَام على أَحَادِيث مُخْتَصر ابْن الْحَاجِب. ت 744هـ. طبقات الحفاظ، السيوطِي، ص525.

(9) الصارم المنكِي، أحمد بن عبدالهادِي، ص227.

(10) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص95.

وذَكَرَ البَارِزِي[1] فِي "تَوْثِيقِ تَحَرِّي الْإِيمَانِ"[2] عَنْ سُلَيْمانَ بنِ سَحِيم: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي النَّومِ، فقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ هَؤُلَاءِ الذِينَ يَأْتُونَكَ ويُسَلِّمُونَ عَلَيْكَ، أَتَفْقَهُ سَلَامَهُمْ؟ قالَ: نعَمْ، وأَرُدُّ عَلَيْهِمْ[3].

وذَكَرَ ابنُ النَّجَّار عَنْ إِبْرَاهيمَ بنِ بَشَّار[4]: حَججْتُ في بَعْضِ السِّنِين فَجِئْتُ المدِينَةَ فَتَقَدَّمتُ إلى قَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ فسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَسَمِعْتُ مِنْ دَاخِلِ الحُجْرَةِ وعَلَيْكَ السَّلَامُ[5].

وذُكِرَ مثلُهُ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ العُبَّادِ الزَّاهِدِينَ، ولا شَكَّ في حَيَاتِهِ ﷺ بعدَ الموْتِ حَيَاةً أَكْمَلَ مِنْ حَيَاةِ الشُّهداءِ الذِينَ أَخْبَرَ اللهُ بِحَيَاتِهِم في كِتَابِهِ العَزِيزِ، وهُوَ ﷺ سَيِّدُ الشُّهدَاءِ وأَعْمَالُ الشُّهَدَاءِ في مِيزَانِهِ ﷺ[6].

وقَدْ قَال ﷺ كمَا رَوَاهُ المنْذِرِي[7]: ((**عِلْمِي بَعْدَ وَفَاتِي كَعِلْمِي فِي حَيَاتِي**))[8].

وذَكَر ابْنُ عَدِيّ فِي "كَامِلِهِ"، وأَبُو يَعْلَى عَنْ أَنَس مَرْفُوعًا إِلَيْهِ ﷺ: ((**الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ بَعْدَ أَرْبَعِينَ**، وَيُرْوَى: **وَيَحُجُّونَ، وَيَصُومُونَ**)) وَصَحَّحَهُ البَيْهَقِيُّ[9].

ورَوَى ابنُ أَبِي لَيْلَى[10]، قِيلَ: وهُوَ سَيِّئُ الْحِفْظِ، عنْ أَنَس عَنْهُ ﷺ: ((**إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا يُتْرَكُونَ فِي قُبُورِهِمْ بَعْدَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَلَكِنَّهُمْ يُصَلُّونَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ حَتَّى يُنْفَخَ فِي الصُّورِ**)) وقَالَ الْبَيْهَقِيُّ: إِنْ صَحَّ فَالمرَادُ، وَاللهُ أَعْلَم، لا يُتْرَكُونَ لَا يُصَلُّون إِلَّا هَذَا المقْدَار، ثُمَّ يكُونُونَ يُصَلُّونَ بَيْنَ يَدَي اللهِ ﷻ[11].

---

(1) هبة الله بن عبد الرَّحِيم بن إِبْرَاهِيم، ابْن الْبَارِزِيّ، سمع من والده وأفتى ودرَّس وولِيَ قضاءَ حماه، ت:783هـ، مِن تصانِيفه: توثِيق عرى الإيمان، البستان في تفسير القرآن وغيرها. طبقات الشافعية، السبكِي، 387/10، والوافِي بالوفيات، 191/18.

(2) عنوان الكتاب كاملا: "توثيق عرى الإيمان في تفضيل حبيب الرحمن" لشرف الدين ابن البارزي ت:738هـ لخصه من "الشفاء" للقاضِي عياض في مجلد. كشف الظنون، حاجي خليفة، 503/1.

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص95 وفِيه "توثِيق عرى الإيمان" بدل "توثيق تحري الإيمان".

(4) في وفاء الوفا والدرة الثمينة: إبراهيم بن شيبان. والمعروف بالقِرْمِيسِينِي (قرميسين بلدة بجبال العراق)، شيخ الصوفية، كان في الشام، رَوَى عَنْهُ: الفَقِيْه أَبُو زَيْد المرْوَزِيُّ ت:337هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 392/15.

(5) الدرة الثمينة، ابن النجار، ص224.

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 95، وفِيه: في ميزاته بدل ميزانه.

(7) عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، الشامي الأصل، المصري، الشافعي محدث وفقيه، مشارك في القراءات واللغة والتاريخ، توفي سنة 656هـ، من مؤلفاته: شرح التنبيه للشيرازي في فروع الفقه الشافعي، معجم الشيوخ، مختصر سنن أبي داود وسماه المجتبى. تارِيخ الإسلام، 826/14، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 171/2.

(8) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص95.

(9) الكامل في الضعفاء، ابن عدِيّ: 173/3 ومسند أبي يعلَى، حدِيث (3425) وحياة الأنبياء، البيهقِي، ص74.

(10) ابن أَبِي لَيْلَى مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الكوفِي الأَنْصَارِي ولد سنة نيّف وسبعين، أخذ عن أخيه عيسَى عن أبِيه، وعن الشعبِي، حدَّث عنه شعبة وسفيان بن عيينة. توفي سنة 148هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 310/6.

(11) حياة الأنبياء، البيهقِي، ص75.

ولِحَيَاةِ الأَنْبِيَاءِ بعْدَ مَوْتِهِم شَوَاهِدُ مِنَ الأَحَاديثِ الصَّحِيحةِ مِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ: ((**مَرَرْتُ بِمُوسَى وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ**))[1].

وحَدِيثُ أَوْسِ بنِ أَوْس[2] عنهُ ﷺ: ((**أَفْضَلُ** [43و] **أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيَّ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ، قَالُوا وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمَمْتَ، أَيْ: بَلِيتَ؟ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ ﷻ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ**)) ذَكَرَهُ ابنُ حبَّان والحاكِمُ وصحَّحهُ. وذَكَرَ البَيْهَقيُّ لَهُ شَوَاهِد[3].

ولِابْنِ مَاجَه بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ عنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنْهُ ﷺ: ((**أَكْثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؛ فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ تَشْهَدُهُ الملَائِكَةُ، وَإِنَّ أَحَدًا لَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ، إِلَّا عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلَاتُهُ، حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا، قَالَ: قُلْتُ: وَبَعْدَ الموْتِ؟ قَالَ: وَبَعْدَ الموْتِ، إِنَّ اللَّهَ ﷻ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ عليهم السَّلام، فَنَبِيءُ اللَّهِ حَيٌّ يُرْزَقُ**))[4] ﷺ.

وذَكَرَ ابنُ عَسَاكِر عنْ عَمَّار بنِ يَاسِر عَنْهُ ﷺ: ((**إِنَّ اللهَ أَعْطَانِي مَلَكًا مِنَ الملَائِكَةِ يَقُومُ عَلَى قَبْرِي إِذَا أَنَا مِتُّ، فَلَا يُصَلِّي عَلَيَّ أَحَدٌ صَلَاةً إِلَّا قَالَ يَا أَحْمَدُ فُلَان بنُ فُلَان يُصَلِّي عَلَيْكَ يُسَمِّيهِ بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ، فَيُصَلِّي اللهُ عَلَيْهِ مَكَانَهَا عَشْرًا**))[5].

وفِي رِوَايَةٍ: ((**إِنَّ اللهَ أَعْطَانِي مَلَكًا أَسْمَعَ الْخَلَائِقِ يَقُومُ عَلَى قَبْرِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**))[6].

وذَكَرَ البَزَّارُ عن ابْنِ مَسْعُود عَنهُ ﷺ: ((**إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي**)) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((**حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَيُحَدِّثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَمَا رَأَيْتُ مِنَ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنَ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ**))[7].

وذَكَرَ أَبُو مَنْصُور البَغْدَادِيّ[8]: إنَّ المحقِّقِينَ على أَنَّ نَبِيئَنَا ﷺ حَيٌّ بعْدَ وفَاتِهِ، وأَنَّه ليُسَرُّ بِطَاعَةِ

---

(1) صحيح مسلم، حدِيث (164). حياة الأنبياء، البيهقي، ص78.

(2) أوس بن أوس الثَّقَفِي، له صحبة نزل الشَّام وسكن دمشق ومات بها. الإصابة، ابن حجر، 292/1.

(3) صحيح ابن حبان، حدِيث (910) والمستدرك، الحاكم، حدِيث (1029)، وحياة الأنبياء، البيهقِي، ص87.

(4) سنن ابن ماجة، حدِيث (1637).

(5) الصارم المنكِي، ابن عبد الهادِي، ص205. لم أجده في تاريخ دمشق ولا في مختصره.

(6) الصارم المنكِي، ابن عبد الهادِي، ص205، وفيهما: ((إن الله أعطى مَلَكاً أسْمَاءَ الْخَلَائِقِ)) وفي رواية: ((أَسْمَاعَ الْخَلَائِقِ...)).

(7) البحر الزخار، البزَّار حدِيث (1924).

(8) عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي، البغدادي، الشافعي (أبو منصور) فقيه وأديب، ولد ببغداد ونشأ بها، وسكن نيسابور وتوفي بأسفرايين سنة 429هـ. من مؤلفاته الكثيرة: الملل والنحل، كتاب التفسير، التكملة في الحساب، وله أشعار كثيرة. سير أعلام النبلاء، 572/17، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 201/2.

أُمَّتِهِ، وَأَنَّ الأَنْبِيَاءَ لا يَبْلَوْنَ، معَ أَنَّا نَعتَقِدُ ثُبُوتَ الإِدْرَاكاتِ كَالعِلْمِ والسَّماعِ لِسَائِرِ المَوْتَى ونَقْطَعُ بِعَوْدِ حيَاةِ كُلِّ مَيِّتٍ في قَبْرِهِ، ونَعِيمِ القَبْرِ وعَذَابِهِ، وذلكَ مِنَ الْأَعْرَاضِ المشْرُوطَةِ بالْحَيَاةِ إِلَّا أَنَّهُ لا يَتَوَقَّفُ على البِنْيَةِ، وأَمَّا أَدِلَّةُ الْحَيَاةِ في الْأَنْبِيَاءِ فمُقْتَضَاهَا أَنَّها مَعَ الْبِنْيَةِ مع قُوَّةِ الصُّعُود في العَالم والاسْتِغْنَاءِ عنِ العَوَائِدِ الدُّنيَوِيَّة[1].

وذَكَرَ صاحِبُ "الدُّرِّ المنَظَّم"[2]: أَنَّهُ ﷺ لمّا ماتَ تُرِكَ في أُمَّتِهِ رَحْمَةً لهُم، فإنَّهُ سَأَلَ اللهَ ﷻ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ أُمَّتِهِ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ، وحَدِيثُ: ((**أَنَا أَكْرَمُ عَلَى رَبِّي أَنْ يَتْرُكَنِي** [43ظ] **فِي قَبْرِي بَعْدَ ثَلَاثٍ**))[3] لَا أَصْلَ لَهُ[4].

قالَ المنْهَالُ بنُ عَمْرو[5]: كُنْتُ أنَا وسَعِيد بنُ المسَيِّبِ إِلَى جَنْبِ حُجْرَةِ أُمِّ سَلَمَة، فجَعَلَ النَّاسُ يدْخُلُون بَيْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فقَالَ سَعِيد: أَتَرَى هؤُلَاءِ مَا أَحْمَقَهُم إِنَّهُم يَرَوْنَ أَنَّهُ في بَيْتِهِ، قلْتُ: أَجَلْ قالَ: إِنَّهُ لَا يَبْقَى نَبِيءٌ مِن أُولِي الْعَزْمِ فَوْقَ أَرْبَعِين لَيْلَةً حَتَّى يُرْفَعَ، وَإِنَّهُ ليسَ مِنْ يَوْمٍ إِلَّا وتُعْرَضُ عليه أُمَّتُهُ طَرَفَيِ النَّهارِ فيَعْرِفُهُم بأَسمَائِهِم ونَسَبِهِم، وبِذَلِكَ يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ[6].

ورَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاق بِلَفْظِ: إِنَّ سَعيدَ بنَ المسَيِّبِ رَأَى قَوْمًا يُسَلِّمُونَ عَلَى النَّبِيءِ ﷺ، فَقَالَ: ((**مَا مَكَثَ نَبِيءٌ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا**))[7].

ثُمَّ عَقَّبَه بِحَدِيثِ: ((**مَرَرْتُ بِمُوسَى وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ**))[8].

وقَدْ قَالَ ﷺ: ((**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ حِينَ قِيلَ لَهُ كَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وقَدْ أَرَمْتَ؟**))[9].

وابنُ المسَيِّبِ لم يُنْكِر التَّسْليمَ؛ لِأَنَّهُ وَإِنْ صَحَّ مَا قَالُوهُ فَالْقَبْرُ الشَّرِيف بِهِ علَاقةٌ والْتِفَاتٌ رُوحَانِيّ مَعَ أَنَّا قَطَعْنَا بِوَضْعِهِ فِيهِ، فَنَسْتَصْحِبُه حَتَّى يَقُومَ قَاطِعٌ عَلَى خِلَافِهِ[10].

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص97.

(2) الدر المنظَّم في مولد النَّبِيّ المعظَّم لأبِي العباس أحمد بن محمد اللَّخمِي ت:633هـ. لم أقفْ عليهِ.

(3) ينظر: اللآلئ المصنوعة، السيوطِي، 261/1.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص97.

(5) المنهال بن عمرو: الكُوْفِيُّ يَرْوِي عَنْ: أَنَسِ بنِ مَالِكٍ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ أَبِي لَيْلَى، وَسَعِيْدِ بنِ جُبَيْرٍ، رَوَى عَنْهُ: حَجَّاجُ بنُ أَرْطَاةَ، وَزَيْدُ بنُ أَبِي أُنَيْسَةَ، وَمَنْصُوْرٌ، وَشُعْبَةُ، وَالمسْعُوْدِيّ، وَسَوَّارُ بنُ مُصْعَبٍ، وَطَائِفَةٌ كَبِيْرَةٌ، وَثَّقَهُ: يَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ، وَغَيْرُهُ، توفي سنة بضع عشرة ومئة. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 184/5.

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص97.

(7) مصنف عبد الرزاق، حدِيث (6725).

(8) (م، س) (6727). صحيح مسلم، حدِيث (164). حياة الأنبياء، البيهقِي، ص78.

(9) سبَقَ تخريجه، صحيح ابن حبان، حدِيث (910) والمستدرك، الحاكم، حدِيث (1029). وفي كل هذه المصادِرِ:((وقد أرمت)).

(10) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص97-98.

وتَقَدَّمَ سَماعُ سَعِيدِ بنِ المسَيّب الأَذَانَ والْإِقَامَةَ مِنَ القَبْرِ أَيَّامَ الْحَرَّةِ، وقَالَ عُثْمان أَيَّامَ حِصَارِهِ: لَنْ أُفَارِقَ دَارَ هِجْرَتِي، وَمُجَاوَرَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فيهَا[1].

وذَكَرَ ابنُ عَسَاكِر عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ: ((أَنَّ بِلَالا ﷺ نزَلَ بِدَارِيَّا[2] حِينَ فَتَح عُمَر بيتَ المقْدِسِ ورَأَى النَّبِيءَ ﷺ في النَّوْمِ يقُولُ لَهُ: ما هَذِهِ الجَفْوَةُ يا بِلَال، أمَا آنَ لَكَ أَنْ تَزُورَني؟ فانْتَبَهَ حَزِينًا خَائِفًا، فرَكِبَ راحِلَتَهُ وقَصَدَ المدِينَةَ فأَتَى قَبْرَ النَّبِيءِ ﷺ فجَعَلَ يَبْكِي عِنْدَهُ وَيُمَرّغُ وَجْهَهُ علَيْهِ فأَقْبَلَ الْحَسَنُ والْحُسَيْنُ فجَعَلَ يضُمُّهُما ويقبّلُهُما، فقالَا: نَشْتَهِي أن نَسْمَعَ أَذَانَكَ الذِي كنْتَ تُؤَذِّنُ بِهِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ في المسْجِدِ، فَعَلَا سطْحَ المسْجِدِ ووَقَفَ موْقِفَهُ الذِي كَانَ يقِفُ فيهِ، فلَمَّا أَنْ قَالَ اللهُ أَكْبَرُ، ارتَجَّت المدِينَةُ، فلَمَّا أَنْ قَالَ أَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ازْدَادَتْ رَجَّتُهَا، فَلَمَّا قَالَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ خَرَجَتِ الْعَوَاتِقُ مِنْ خُدُورِهِنَّ، وَقَالَ النَّاسُ أَبُعِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ فَمَا رَأَوْا يَوْمًا أَكْثَرَ بَاكِيًا وَلَا بَاكِيَةً بِالمدِينَةِ بَعْد رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ[3])).

[44و] وَقَالَ عبْدُ الْغَنِي[4]: إِنَّ بِلَالًا لم يُؤَذِّنْ لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِ النَّبِيءِ ﷺ إِلَّا مَرَّةً فِي قَدْمَةٍ قَدِمَهَا المدينةَ لِلزِّيَارةِ، طلَبَ إِلَيْهِ الصَّحَابةُ ذلكَ فَأَذَّنَ، ولَمْ يُتِمَّ الْأَذَانَ، وَقِيل: أَذَّنَ لِأَبِي بَكْرٍ فِي خِلَافَتِهِ، ولَيْسَ الاعْتِمَادُ فِي السَّفَرِ لِلزِّيَارَةِ عَلَى مُجَرَّدِ مَنَامِهِ بَلْ عَلَى فِعْلِهِ بل رُؤْيَاهُ رُؤْيَا حَقٍّ؛ لِأَنَّهُ صَحَابِيٌّ رَآهُ ﷺ علَى صورَتِه التِي شاهَدَهُ علَيْهَا فِي حيَاتِهِ ﷺ والصَّحَابَةُ مُتَوَفِّرُون، ولم تَخْفَ عليْهِم الْقِصَّةُ والمنَامُ مُؤَكِّدٌ لِذَلكَ[5].

وقَد استَفَاضَ عنْ عُمَر بنِ عَبْدِ العَزِيزِ: يَسِيرُ البَرِيدُ مِنَ الشَّامِ يقُولُ: سَلِّمْ لِي علَى رَسُولِ اللهِ ﷺ[6].

وصَحَّ أَنَّ ابنَ عُمَر كانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ أَتَى قَبْرَ النَّبِيءِ ﷺ فقَالَ: السَّلَامُ علَيْكَ يا رَسُولَ اللهِ، السَّلامُ عليْكَ يَا أبا بَكْرٍ، السَّلَامُ علَيْكَ يَا أَبَاهُ[7].

وقالَ مَالِك في "الموَطَّأ": إِنَّ ابنَ عمر كان يَقِفُ على قَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ فيُصَلِّي عَلَى النَّبِيءِ ﷺ

---

(1) (م، س)، ص98.

(2) دَارِيَّا: قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة، والنسبة إليها داراني على غير قياس، وبها قبر أبي سليمان الداراني. معجم البلدان، ياقوت الحموِي، 431/2.

(3) تاريخ دِمَشق، ابن عساكر، 135/7.

(4) الحافظ عبد الغني بن عبد الواحِد: المقدِسِي ثمّ الدِّمشقِي الحنبلِي، ولد سنة 541هـ وسمع ابن البطِي وأبا موسَى والسِّلفِي، من تصانيفه: المصباح ونهاية المراد، وغير ذلك، ت: 600هـ. طبقات الحفاظ، السيوطِي ص487.

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص98.

(6) (م،س)، ص99.

(7) (م، س)، ص99.

وعَلَى أَبِي بَكْرٍ وعُمَر[1]. ومِن هَذَا ونَحْوِه أَجَازَ مَالِكٌ الصَّلاةَ علَى غَيْرِ النَّبِيءِ ﷺ بالعَطْفِ علَيْهِ. ولَكِنْ عنْدَ ابنِ القَاسِمِ[2] صَاحِبِ مالِك والْقَعْنَبِي[3]: ويَدْعُو لِأَبي بَكْرٍ وعُمَر[4].

فقَدْ أَوَّلَ ما رَوَاهُ مالِك بالصَّلاةِ بمَعْنَى الدُّعاءِ مُطْلَقًا بالْخَيْرِ، فلَا يكُونُ حُجَّةً في جَوَازِ قَوْلِكَ اللَّهُمَّ صَلِّ على سَيِّدِنَا مُحَمَّد وفُلَانٍ، وأَمَّا: وعَلَى آلهِ وصَحْبِهِ أو بِدونِ ذِكْر "عَلَى" فَجائِزٌ قَطْعًا.

وعن ابْنِ عَوْن[5]: سَأَلَ رَجُلٌ نافِعا هلْ كانَ ابنُ عُمَر يُسلِّمُ على القَبْرِ؟ قال: نَعَمْ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ مِئَةَ مرَّةٍ، أو أَكْثَرَ مِنْ مِئَةِ مَرَّةٍ، كان يَأْتِي الْقَبْرَ فيقُومُ عندَهُ فيقولُ: السَّلامُ علَى النَّبِيءِ، السَّلامُ على أَبِي بَكْرٍ، السَّلَامُ على أَبِي[6].

ورَوَى أبُو حَنِيفةَ عن ابْنِ عُمَر أنَّ السُّنَّةَ أَنْ يَأْتِيَ قَبْرَ النَّبِيءِ ﷺ مِن قِبَلِ القِبْلَةِ[7].

ورَوَى أَحْمَدُ وغَيْرُهُ أَنَّ مَرْوَانَ وَجَدَ أبَا أَيُّوب الْأَنْصَارِيّ واضِعًا وجْهَهُ على الْقَبْرِ[8].

وفي "الشِّفاءِ" قالَ بَعْضٌ: رأَيْتُ أَنَسَ بنَ مَالِك أَتَى قَبْرَ النَّبِيءِ ﷺ فوَقَفَ ورَفعَ يدَيْهِ حتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ افْتَ[تَ]حَ الصَّلاةَ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيءِ ﷺ ثُمَّ انْصَرَفَ[9].

وذَكَرَ الْبَزَّارُ: أَنَّهُ خَرَجَ عُمَر إلى مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فإِذَا مُعَاذُ بنُ جَبَل قَائِمٌ يبْكِي [44ظ] عِنْدَ قَبْرِ رسُولِ اللهِ ﷺ، فقَالَ: ما يُبْكِيكَ يا معاذُ؟ الحديث[10].

وأَخْرَجَ أبو ذَرّ الْهرَوِيّ عن بعْضٍ: أَنَّهُ قالَ رأَيْتُ جعفَر بنَ مُحَمَّد؛ أَيْ: الصَّادِق بن البَاقِر جَاءَ فسَلَّمَ علَى رسُولِ اللهِ ﷺ ثمَّ انْثَنَى فسَلَّمَ علَى أبِي بكْرٍ ثُمَّ عُمَرَ فرَآنِي كَأَنِّي تَعَجَّبْتُ، أَوْ قال: فَسَرَّنِي؛ أيْ: لِإِكْذابِه بِذَلِكَ ما تَزْعُمُهُ الشِّيعَةُ مِنْ بُغضِهِ للشَّيْخَيْن، فقَالَ لِي: واللهِ إنَّ هَذَا الذِي أَدِينُ بِهِ اللهَ،

---

(1) الموطَّأ، مالك بن أنَس حدِيث (397).

(2) عبد الرَّحمن ابن القاسِم العُتَقِي: ولد سنة 132هـ روَى عن مالِك واللَّيث، روَى عنه سحنون وعيسَى بن دينار، توُفِّيَ بمصر سنة 191هـ وقيل غير ذلك. الديباج، ابن فرحون، 465/1.

(3) القعنبِي: عبد الله بن مسلمة بن قعنب التميمي، أصله مدني وسكن البصرة، معدود في الفقهاء من أصحاب مالك روى عنه وعن ابن أبي ذئب وأبيه وشعبة، رَوَى عنه أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان، توفي سنة: 221هـ. الديباج، ابن فرحون، 412/1.

(4) شفاء السقام، السبكي، ص219.

(5) عَبْدُ اللهِ بنُ عَوْنِ بن أَرْطَبَانَ المزَنِيُّ، الإِمَامُ، القُدْوَةُ، عَالِم البَصْرَة، البَصْرِيُّ، الحَافِظُ، حَدَّثَ عَنْ: أَبِي وَائِلٍ، وَالشَّعْبِيّ، وَالحَسَن، وَابْنِ سِيْرِيْنَ، وغيرهمَا، رَوَى عَنْهُ: سُفْيَانُ، وَشُعْبَة، وَابْنُ المبَارَك، وَمُعَاذُ بنُ مُعَاذ، توفي سنة:151هـ. سير أعلما النبلاء، الذهبِي، 346/6.

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص99.

(7) (م، س)، ص99.

(8) (م، س)، ص99.

(9) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، ص445.

(10) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص100. لم أقفْ عليهِ فِي مسند البزّار ولا فِي كشف الأستار للهيثمِي.

وإنَّهُ ما يَسُرُّني أن أقولَ لمعاوِيةَ أَخْزَاهُ اللهُ أو فَعَلَ اللهُ بِهِ، وأَنَّ لِي الدُّنيَا[1].

وأَخْرَجَ الدَّارَقُطْنِي: عن عَبْدِ اللهِ بنِ جَعْفَر أَنَّ عَلِيَّ بنَ أَبِي طَالِب دخَلَ المسْجِدَ فبكَى حِينَ نظَرَ إلى بَيْتِ فاطِمةَ فأطَالَ البُكَاءَ ثُمَّ انصَرَفَ إلى قَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ فبَكَى فأطالَ البُكاءَ عندَهُ، ثُمَّ قالَ: وعَلَيْكُم السَّلامُ يا إِخْوَانِي ورَحْمَةُ اللهِ وبركاتُهُ، قد كُنْتُمَا خرَجْتُما مِنَ الدُّنيا خَمِيصَيْنِ[2]، يعْنِي أبَا بَكْرٍ وعُمَرَ[3].

وذَكَرَ ابنُ عَبْدِ البَرّ[4] والْبَلَاذُرِي[5] وغيْرُهُما: أنَّ زيادَ بنَ أبيه أَرَادَ الحَجَّ فأَتَاهُ أَبُو بَكْرَة وهُوَ لَا يُكَلِّمُهُ فأَخَذَ ابنَهُ لِيُخَاطِبَهُ ويُسْمِعَهُ زيَاد[6]، فقَالَ: إِنَّ أَبَاكَ فَعَلَ وفَعَلَ، وإِنَّهُ يرِيدُ الْحَجَّ وأُمُّ حَبِيبَة هُناكَ فَإِنْ أَذِنَتْ لَهُ فأَعْظِمْ بها مُصِيبَةً وخِيانَةً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وإِنْ حَجَبَتْهُ فأَعْظِمْ بِهَا حُجَّةً علَيهِ، قال البَلَاذُرِي: فتَرَكَ الحَجَّ تلْكَ السَّنةَ[7]. فلَوْلَا أَنَّ إِتْيَانَ المدِينةِ والزِّيَارَة لِلْحَجّ[8] عِندَهُم مِمَّا لا يُتْرَكُ ما قَالَ أَبُو بَكْرَةَ ذلِكَ، مَعَ تَمَكُّنِ زِيَادٍ مِنَ الْحَجّ على غَيْرِ طَرِيقِ المدِينَةِ فَإِنَّه كانَ بالعِرَاقِ ومَكَّةُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ[9].

وفي "الشِّفاءِ": قالَ إِسْحَاقُ بنُ إِبْراهِيمَ الفَقِيهُ[10]: ومِمَّا لم يَزَلْ مِنْ شَأْنِ مَنْ حَجَّ المرُورُ بِالمدِينةِ والقَصْدُ إِلَى الصَّلاةِ في مَسْجدِ رسُولِ اللهِ ﷺ والتَّبرُّكُ برُؤْيةِ روْضَتِهِ وقَبْرِهِ ومَجْلِسِهِ ومَلَامِسِ يدَيْهِ، ومَوَاطِئِ قَدَمَيْهِ، وَالعَمُودِ الذِي يستَنِدُ إِلَيْهِ وينْزِلُ جبْرِيلُ بالوَحْيِ فِيهِ علَيْهِ، ومَنْ عَمَرَهُ[11] وقَصَدَهُ مِنَ الصَّحَابة وأَئِمَّةِ المسْلِمِينَ والْاعْتِبَارُ بذَلِكَ كُلِّهِ[12].

واخْتَلَفَ السَّلَفُ أَالْأَفضَلُ لِلْحَاجّ البَدْأُ بَمكَّةَ؟ وهُوَ الصَّحِيحُ؛ لِأَنَّ تارِكَ الْحَجّ كَافِرٌ، أَمْ بالمدِينَةِ؟

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص100، وذكر أنه في السنن لأبِي ذر الهروِي. وينظر كذلك: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري، 1530/8.

(2) فلان خَمِيصُ البطنِ عن أَموال الناس أَي عَفِيفٌ عنها. لسان العرب (خمص).

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص100، وذكر أنه في الفضائِل للدارقطنِي.

(4) يوسف بن عمر بن عبد البر النَّمَرِي: من أهل قرطبة طلب وتَفَقَّهَ بها، ولد سنة 368هـ، من تصانيفه: التمهيد لما في الموطَّأ من المعانِي والأسانِيد، توفِّيَ بشاطبة سنة 463هـ. الديباج، ابن فرحون، 367/2.

(5) البَلاذُرِي: أحمد بن يحيى بن جابر، أديب، شاعر، مؤرخ، من أهل بغداد، سمع بدمشق، وبأنطاكية، وكان أحد النقلة من الفارسية إلى العربية، من كتبه: كتاب البلدان الصغير، جمل من أنساب الأشراف وأخبارهم وفتوح البلدان، توفي سنة 279هـ. معجم الأدباء، الحموِي، 530/2، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 322/1.

(6) أي: ويسمع أباه زيادا.

(7) جمل من أنساب الأشراف، البلاذري، 200/5 والاستيعاب، ابن عبدالبر، 526/2، والصارم المنكِي، ابن عبدالهادِي، ص248.

(8) فِي خلاصة الوفا: للحاجّ، وهو أصوب.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص100.

(10) إسحاق بن إبراهيم: التُّجِيبِيُّ، نزيل قرطبَة، فقيه، كان يتَّجِرُ بها في الكتَّان، روَى عن محمَّد بن لبابة، صنَّفَ كتاب النَّصائِح، ت:352هـ. الديباج، ابن فرحون، 296/1 وسير أعلام النبلاء، الذَّهبِي، 80/16.

(11) في خلاصة الوفا: عمده.

(12) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، ص445.

واخْتَارَهُ علْقَمَةُ[1] والأَسْوَدُ[2] وعمْرُو بنُ مَيْمُونَ[3] مِنَ التَّابعِينَ لِإِيثَارِ الزِّيارَةِ أَوَّلًا[4]، ولَعَلَّهُ إنْ كَانَتْ علَى الطَّرِيقِ بُدِئَ بها، وإِلَّا فَبِمَكَّةَ.

وفي "فتَاوِي أَبِي اللَّيْثِ السَّمَرْقَنْدِي"[5]: رَوَى الحَسَنُ بنُ زِيَاد[6] عن أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّ الأَحْسَنَ لِلْحَاجِّ أن يَبْدَأَ بمكَّةَ، فإِذَا قَضَى نُسُكَهُ مَرَّ بِالمدِينَةِ، وإِنْ بَدَأَ بها جَازَ[7] ا هـ.

وكانَ نَفَرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ يبْدَأُونَ بالمدِينَةِ إِذَا حَجُّوا، يقُولُونَ نبْدَأُ مِنْ حَيْثُ أَحْرَمَ رسُولُ اللهِ ﷺ، وعَنْ عَلْقَمَةَ والأَسْوَد وعَمْرُو بن مَيْمُون أَنَّهُمْ بَدَؤُوا بِالمدِينَةِ[8].

وعَنِ الْعَبْدِي[9] مِنَ المالِكِيَّة: المشْيُ إِلَى المدِينَةِ لِزِيارَةِ قَبْرِهِ ﷺ أَفْضَلُ مِنَ الكَعْبَة، ومَنْ نَذَرَ [45و] زِيَارَةَ قَبْرِهِ ﷺ لَزِمَه الوَفَاءُ قَوْلًا واحِدًا[10].

وفي وُجُوبِ الوَفَاءِ في زِيَارَةِ غَيْرِهِ وَجْهَانِ، ويَكْتَفِي بزِيَارَتِهِ مَنْ نذَرَ إِتْيَانَ مسْجِدِهِ، كَمَا قَالَ بَعْضٌ، تفْرِيعًا علَى القَوْلِ بلُزُومِ الْإِتْيَانِ كَمَا فِي الْبُوَيْطِي[11][12].ثُمَّ إِنَّ زائِرَهُ ﷺ يأْتِي قَرِيبًا مِنْ قَبْرِهِ ﷺ فَيَقُومُ بيْنَ يَدَيْ القَبْرِ والقِبْلَةِ.

وذَكَرَ عِيَاض: أَنَّ زِيَارَةَ قبْرِهِ ﷺ سُنَّةٌ مُجمَعٌ عَلَيْها وَفَضِيلَةٌ مُرَغَّبٌ فِيهَا[13]. والمعْنَى أَنَّهُ ﷺ أَمَرَ بِها، وكَذَا هِيَ سُنَّةٌ بَيْن المسْلِمِينَ، وأَوْضَحَ السُّبْكِيّ أَمْرَ الْإِجْمَاعِ علَى الزِّيَارَةِ قَوْلًا وفِعْلًا[14].

---

(1) علقمة بن قَيْس: الإمام الحافِظ، فقيه الكوفة وعالمها، ولد في حياة رسول الله ﷺ، حدَّثَ عن عمر وعليّ وعثمان، ولزم ابن مسعود، ت:61هـ وقيل غير ذلك. سير أعلام النبلاء، الذهبي، 53/4.

(2) الأَسْوَدُ بن يزِيد بن قَيْس: النَّخَعِي الكوفِيّ، أدرك الجاهلِيَّة والإسلامَ، حدَّث عن معاذ وبلال وابن مسعود، وحدَّثَ عنه ابنه عبد الرحمن وإبراهيم النخعِي. ت:75هـ وقيل غير ذلك. (م، س)، 50/4.

(3) عمرو بن ميمون: أَدْرَكَ الجَاهِلِيَّةَ، وَأَسْلَمَ فِي الأَيَّامِ النَّبَوِيَّةِ، وَقَدِمَ الشَّامَ، ثُمَّ سَكَنَ الكُوفَةَ، حَدَّثَ عَنْ: عُمَر، وَعَلِيٍّ، وَابْنِ مَسْعُوْدٍ، وَمُعَاذٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي أَيُّوب الأَنْصَارِيّ، وَطَائِفَةٍ، ورَوَى عَنْهُ: الشَّعْبِيُّ وغيرهُ، ت:74هـ وقيل غير ذلك. (م، س)، 158/4.

(4) المصنف، ابن أبي شيبة، حديث (12893).

(5) أَبُو اللَّيْث نصر بن محمد السمرقندي: الفقيه، المحَدِّث، الحنَفِي، من كتبه: تنبيه الغافلين، وكتاب الفتاوى، ت: 375هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبي، 322/16.

(6) الحَسَن بن زياد: أبو علي اللؤلُؤي أحد أصحاب أبي حنيفة، وهو كوفِيّ نزل بغدادَ، ت:204هـ. تاريخ بغداد، البغدادِي، 275/8.

(7) شفاء السقام، تقي الدين السبكي، ص205, ولم أجده في المطبوع من فتاوى النوازل لأبي اللَّيث السمرقندِي.

(8) الصارم المنكِي، ابن عبدالهادِي، ص249.

(9) العبدِي: أحمد بن المعدّل البصرِي، تفقَّهَ بعبد الملك بن الماجشون ومحمد بن مسلمة، كان من بحور الفقه صاحب تصانيفَ وفصاحة وبيان. سير أعلام النبلاء، الذَّهَبِي، 520/11، والديباج، ابن فرحون، 141/1.

(10) الصَّارِم المنكِي، ابن عبدالهادِي، ص251.

(11) البوَيْطِي: يوسف بن يحيَى المصرِي الفقِيه، من أصحاب الشَّافِعِي، مات ببغداد في السجن سنة 231هـ وقيل غير ذلك. طبقات الشافعية، ابن قاضِي شهبة، 71/1.

(12) إعلام الساجد، الزركشِي، ص268.

(13) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، ص444.

(14) شفاء السَّقام، تقي الدين السبكي، ص202 وما بعدها.

وجاءَت السُّنَّةُ بزِيَارَةِ القُبُورِ، وقَبْرُهُ ﷺ سَيِّدُ القُبُورِ. وكَمَا يَزُورُ ﷺ أَهْلَ الْبَقِيعِ وقُبورَ الشُّهدَاءِ، وقَبْرُهُ أَوْلَى لما لَهُ مِنَ الحقِّ ووُجوبِ التَّعظِيمِ، ولِتَنَالَنَا الرَّحمَةُ بصَلَاتِنا وسَلَامِنا عَلَيْهِ عندَ قَبْرِهِ بحَضْرَةِ الملَائكَةِ الحَافِّين بِهِ. وفِيهِ التَّبَرُّكُ بذَلِكَ وتأْدِيَةُ الْحَقِّ، ويُذَكِّرُ الآخِرَةَ كمَا في زِيَارَةِ غَيْرِهِ بالإجْمَاعِ لما سَبَقَ، ولِإجْماَعِ العُلَمَاءِ علَى زِيَارَةِ القُبُورِ لِلرِّجالِ كَمَا حَكَاهُ النَّوَوِي[1]، بَلْ قالَ بعْضُ الظَّاهِرِيَّة[2] بوُجُوبِها، واخْتَلَفوا فِي النِّسَاءِ. وامْتَازَ القَبْرُ النَّبَوِيُّ بالأَدِلَّةِ الخَاصَّةِ فَيُسْتَثْنَى مِنْ مَحَلِّ الخِلَافِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى النِّسَاءِ[3].

وقَوْلُهُ ﷻ: ﴿ وَلَوَ انَّهُمُ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾[4] الآيَة يَشْمَل مَجِيئَهُ مَيِّتًا واستِغْفارهُم عِنْدَهُ، واستِغْفَارهُ لِلْجَائِينَ، ولَيْسَ ذَلِكَ يَنْقَطِعُ بِمَوْتِهِ؛ فإذا وُجِدَ المجِيءُ واستِغْفَارُ الْجَائِي تَكَمَّلَت الْأُمُورُ الموجِبَةُ لِتَوْبَةِ اللهِ ورَحْمَتِهِ[5].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ ﴾[6] لا يَقْتَضِي تَأَخُّرَ استِغْفَارِهِ ﷺ؛ لِأَنَّ الْوَاوَ لَا تُرَتِّبُ، والعَطْفُ علَى "جَاءُوكَ"، فلَا يقْتَضِي كَوْنَ استِغْفَارِهِ بَعْدَ استِغْفَارِهِم، بَلْ نَقُولُ أَيْضًا إِنَّهُ يسْتَغْفِرُ لَهُم بَعْدَ الموْتِ؛ لِأَنَّهُ حَيٌّ واسْتِغْفَارُهُ لِأُمَّتِهِ عنْدَ عرْضِ أعْمَالِهِم، فَهُوَ مُتَوَقَّعٌ كمَا في الْحَيَاةِ، ويُعْلَمُ مِنْ كَمَالِ رحْمَتِهِ أَنَّه لَا يَتْرُكُ ذَلِكَ لمنْ جَاءَهُ. وفَهِمَ الْعُلمَاءُ مِنَ الآيَةِ العُمُومَ فاسْتَحَبُّوا لمَن أَتَى القَبْرَ أَنْ يَتْلُوَها ويَسْتَغْفِرَ اللهَ تَعَالَى[7].

وذَكَرَ ابنُ عَساكِر[8] وابنُ الجَوْزِيّ[9] وابنُ النَّجَّارِ[10] بسَنَدِهِم إِلَى محمَّد بنِ حَرْبٍ الْهِلَالِيِّ[11] قَالَ: أَتَيْتُ قَبْرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فزُرتُهُ وجَلَسْتُ حذَاءَهُ[12] فجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فذَكَرَ ما ذَكَرَ أَبُو سَعِيد

(1) المجموع شرح المهذب، النووِي، 310/5.
(2) شفاء السقام، تقي الدين السبكي، ص236.
(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص101.
(4) سورة النساء: 64.
(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص102، بتصرف، وفِيه: الجانين بدل الجائِين.
(6) سورة النساء: 64.
(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص102، بتصرُّف.
(8) إتحاف الزائر، ابن عساكِر، ص55.
(9) مثير العزم الساكن، ابن الجوزِي، 301/2.
(10) الدرة الثمينة، ابن النجار، ص224.
(11) محمَّد بنِ حَرْبٍ الْهِلَالِيّ: لم أقف على ترجمة له.
(12) حِذاءَه: بجنبه.

السَّمْعَانِيّ[1] عن عَلِيٍّ إِذْ قَالَ: قَدِمَ علَيْنا أَعْرَابِيٌّ بعدَمَا دَفَنَّا رَسولَ اللهِ ﷺ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَرَمَى بِنَفْسِهِ علَى قَبْرِهِ وحَثَا مِنْ تُرَابِهِ على رَأْسِهِ، وقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ قُلْتَ فَسَمِعْنا قوْلَكَ، ووَعَيْتَ عَنِ اللهِ سبْحَانَهُ ومَا وَعَيْنا عَنْكَ، وكَانَ فِيمَا أُنْزِلَ ﴿**وَلَوَ اَنَّهُمۡ إِذ ظَّـلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ**﴾[2] الآية، وَقَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَجِئْتُكَ تَسْتغْفِرُ لِي، فنُودِيَ مِنَ الْقَبْرِ أَنَّهُ قَدْ غُفِرَ لَكَ[3]. بل [45ظ] يُستَدَلُّ بِالآيَةِ وبِمَا سَبَقَ على مشْرُوعِيَّة السَّفَرِ للزِّيَارَةِ[4].

وَجاءَ الأَثَرُ عنهُ ﷺ: ((**لَا يُشَدُّ الرَّحْلُ إِلَى مَسْجِدٍ إِلَّا بَيْت اللهِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِد المدِينَةِ وَبَيْت المقْدِسِ**))[5] وقَدْ ثَبتَ أَنَّ الزِّيارَةَ قُرْبَةٌ. وشَدُّ الرَّحْلِ والزِّيَارَةُ يشْمُلَانِ مَنْ بَعُدَ ومَنْ قَرُبَ وقَد ثَبتَ خرُوجُهُ ﷺ مِنَ المدِينةِ لِزِيارَةِ الشُّهَدَاءِ.

ورَوَى أحمَدُ وابْنُ شَبَّةَ عن أَبِي سعِيد الْخُدرِيّ عنْهُ ﷺ: ((**لَا يَنْبَغِي لِلْمَطِيّ أَنْ تُشَدَّ رِحَالُهَا إِلَى مَسْجِدٍ تُبْتَغَى فِيهِ الصَّلَاة غَير المسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِي هَذَا وَالمسْجِدِ الْأَقْصَى**))[6]. فَقِيلَ: يَحْرُمُ شَدُّ الرِّحالِ لِبقيَّةِ المساجِدِ، وقِيلَ: لَا، وَإِنَّما أَبَانَ ﷺ أَنَّ القُرْبَةَ المقْصودةَ فيها دُونَ غَيْرِهَا[7].

قُلْتُ: لا خِلَافَ في كَوْنِ شَدِّها لصَلَاةِ الْجُمُعَةِ طَاعَةٌ في مَسْجِدٍ أَيِّ مَسْجِدٍ أَوْ في غَيْرِهَا.

ونَقَلَ عِيَاض أَنَّ مَنْعَ إعمَالِ المطِيِّ في غَيْرِ الثَّلَاثَةِ لِلْقادِرِ عَلَى أَحَدِ الثَّلَاثَةِ[8]، وتَعْظِيمَ قَبْرِهِ ﷺ لِحُلولِهِ فيهِ[9].

وعَنهُ ﷺ: ((**خَيْرُ مَا ركِبَتْ إِلَيْهِ الرَّوَاحِلُ مَسْجِدِي هَذَا وَالْبَيْتُ الْعَتِيقُ**))[10] وعنه ﷺ: ((**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ المسَاجِدِ، إِلَّا المسْجِدَ الْحَرَامَ فإِنّي آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَنَّ مَسْجِدِي آخِرُ المسَاجِدِ**))[11] أيْ: آخِرُ مسَاجِدِ الْأَنْبِيَاءِ.

---

(1) عبد الكريم بن محمد بن المنصور، المروزي، الشافعي، محدث، مؤرخ، مفسر، ولد بمرو ورحل إلى بغداد ودمشق، ت:562هـ، من تصانيفه الكثيرة: الأنساب، تاريخ مرو في عشرين مجلدا، طراز الذهب في أدب الطالب،. طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، 185/7، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 211/2.

(2) سورة النساء: 64.

(3) مثِير العزم السَّاكن، ابن الجوزِي، 301/2، الدرة الثمينة، ابن النجار، ص159، إتحاف الزائر، أبو اليمن ابن عساكر، ص53.

(4) القصة نقلها المؤلف من خلاصة الوفا، السمهودِي، ص102.

(5) ورد بمعناه: صحيح البخارِي، حدِيث (1189).

(6) مسند أحمد، حدِيث (11609).

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص103.

(8) إكمال المعلم، القاضِي عياض، 449/4، وفيه: يمنَعُ إعمالُ المطِيّ للنَّاذِرِ.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص103.

(10) مسند أحمد، حدِيث (80).

(11) صحيح مسلم، حدِيث (507).

ورَوَى عبْدُ الرَّزَّاق: أَنَّ الحَسَنَ بنَ الحَسَنِ[1] رَأَى قَوْمًا عِندَ القَبْرِ فنَهَاهُمْ، وقَالَ إِنَّ النَّبِيءَ ﷺ قالَ: ((**لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا وَلَا تَتَّخِذُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ حَيْثُمَا كُنْتُمْ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي**))[2] والمرَادُ النَّهْيُ عن الْغُلوِّ ومَا يُؤَدِّي إلى فَسَادِ العَقِيدَةِ.

أو الاحْتِفَال لَهُ كَالْعِيدِ أَو التَّقْلِيل، نَهَاهُمْ عَن التّقيُّد[3].

وعَن سَهْل بنِ أَبِي سَهْل[4]: ((**جِئْتُ أُسَلِّمُ عَلَى النَّبِيءِ ﷺ وَحَسَن بنُ حَسَنٍ يَتَعَشَّى فَقَالَ: هَلُمَّ إِلَى الْعَشَاءِ، فَقُلتُ: لَا أُرِيدُهُ، فَقَالَ: مَا لِي رَأَيْتُكَ وَقَفْتَ؟ قُلْتُ: وَقَفْتُ أُسَلِّمُ عَلَى النَّبِيءِ ﷺ فَقَالَ: إِذَا دَخَلْتَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ**))[5].

وذَكَرَ أَبو يَعْلَى عَنْ عَلِيّ بنِ الحُسَيْن: أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةٍ كانَتْ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ فيَدْخُلُ فِيهَا ويَدْعُو فَنَهَاهُ، فقَالَ: إِذَا دَخَلْتَ فسَلِّمْ[6].

وكَانَ رَجُلٌ يأْتِي كُلَّ غَدَاةٍ فيَزُورُ قَبْرَ النَّبِيءِ ﷺ ويُصَلِّي عَلَيْهِ فانْتَهَرَ[7] عَلِيُّ بنُ الحُسَيْنِ فقَالَ: مَا يَحْمِلُكَ عَلَى هَذَا؟ فقَالَ: أُحِبُّ التَّسْلِيمَ عَلَى النَّبِيءِ ﷺ، فقَالَ: إِذَا جِئْتَ فسَلِّمْ عَلَى النَّبِيءِ ﷺ[8].

فالنَّهيُ لِلزِّيادَةِ عَلَى الْحَدِّ، وقَدْ كَرِهَ مَالِكٌ الْإِكْثَارَ مِنَ الْوُقوفِ بِالْقَبْرِ؛ وكَرَاهَةُ ذلِكَ لمن لم يَقْدُمْ مِنْ سَفَرٍ، أَوْ لمنْ يُبَالِغُ فِي الدُّنُوِّ مِنَ الْقَبْرِ بِالدُّخُولِ فِي تِلْكَ الْفُرْجَةِ، فَأَرَادَ إِعْلَامَهُ أَنَّ السَّلَامَ يَبْلُغُ مَعَ الْغَيْبَةِ، وَلِأَنَّهُ يَرَاهُ يَتَكَلَّفُ الْإِكْثَارَ مِنَ الحُضُورِ. وَعَلَى ذَلِكَ يُحْمَلُ مَا جَاءَ عَنِ الْحَسَنِ؛ لِقَوْلِهِ: إِذَا دَخَلْتَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ[9] [46و] أَيْ: اقْتَصِرْ علَى السَّلَامِ، أَوْ إِذَا اتَّفَقَ المجِيءُ فَسَلِّمْ، ولَا تَتَكَلَّف المجِيءَ. واللهُ أَعْلَمُ.

وَرَوَى يَحْيَى بنُ الْحَسَنِ[10]: أَنَّ عَلِيَّ بنَ الحُسَيْنِ[11] كَانَ إِذَا جَاءَ يُسَلِّم عَلَى النَّبِيءِ ﷺ وَقَفَ

---

(1) الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبِي طالب.

(2) مصنف عبدالرزاق، حدِيث (6726).

(3) العبارة أضافها المؤلف على الهامِشِ.

(4) في خلاصة الوفا: عن سهل بن أبِي سهيل. وفي فضل الصلاة على النبي للقاضِي إسماعيل الذي نقل منه السمهودِي: عن سهيل. والحدِيث في اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية نقله من سنن سعيد بن منصور عن سهيل بن أبِي سهيل، 302/1.

(5) فضل الصلاة على النبي ﷺ، القاضي إسماعيل الجهضمي، ص40.

(6) مسند أبي يعلى، حدِيث (469).

(7) في خلاصة الوفا: ما أنهره، وفي فضل الصلاة على النبي: "مَا اشْتَهَرَهُ عَلَيْهِ".

(8) فضل الصلاة على النبي ﷺ، القاضي إسماعيل الجهضمي، ص35.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص104.

(10) يَحْيَى بن الحسَن بن جعفر الحجَّة سبق تعريفُهُ.

(11) علِيّ بن الحسين بن علِيّ بن أبِي طالِب.

عَلَى الأُسْطُوَانَةِ التي تَلِي الرَّوضَةَ ثمَّ يُسَلِّمُ ثمَّ يقولُ هَا هُنَا رَأسُ النَّبِيءِ ﷺ[1].

قالَ المطَرِي: وهُوَ مَوْقِفُ السَّلَفِ قَبْلَ إِدْخَالِ الحُجْرَة في المسْجِدِ[2]. قال هارونُ بنُ مُوسَى: سَمِعْتُ جَدِّي أبَا عَلْقَمَةَ يُسْأَلُ: كَيْفَ كَانَ النَّاسُ يُسَلِّمونَ علَى النَّبِيءِ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُدْخَلَ الْبَيْتُ فِي المسْجدِ؟ فقَالَ: كانَ يَقِفُ النَّاسُ علَى بابِ الْبَيْتِ يُسَلِّمُونَ علَيْهِ، وكَانَ البابُ لَيْسَ عَلَيْهِ غَلقٌ حَتَّى هَلَكَتْ عَائِشَةُ[3].

وقَالَ المنْذِرِي[4] فِي حَديثِ: ((**لَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا**))[5] يَحْتَمِلُ أَنْ يكُونَ حَثًّا عَلَى كَثْرَةِ الزِّيَارَةِ، وأَن لَا يُهْمَلَ حَتَّى لاَ يُزَارَ إِلَّا فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ كَالْعِيدِ، وهُوَ يُؤَيِّدُ قَوْلَهُ: ((**وَلَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا**)) أَيْ: لَا تَتْرُكُوا الصَّلاةَ فِيهَا[6].

قَالَ السُّبْكِي: يَحْتَمِلُ أَنْ يكُونَ المرادُ لَا تَتَّخِذُوا لَهُ وَقْتًا مَخْصُوصًا لَا تَكُونُ الزِّيَارَةُ إِلَّا فِيهِ. أوْ لَا يُتَّخذ كالْعِيدِ فِي العُكوفِ عَلَيْهِ وإِظْهارِ الزِّينَةِ والاجتِمَاعِ وغيْرِهِ مِمَّا يُعْمَلُ في الْأَعْيادِ، بَلْ لَا يُؤتَى إِلَّا لِلزِّيارَةِ والصَّلاةِ والسَّلامِ والدُّعاءِ ثُمَّ يُنصَرَفُ عَنْهُ[7].

وقَالَ عبْدُ الحَقِّ الصِّقِلِّي[8] عنْ أَبِي عمْرَانَ: إِنَّمَا كَرِهَ مالِكٌ أَنْ يُقالَ زُرنَا قَبْرَ النَّبيءِ ﷺ لِأَنَّ الزِّيَارَةَ مَنْ شَاءَ فَعَلَهَا ومَنْ شَاءَ تَرَكَهَا، وزِيَارَةُ قَبْرِ النَّبِيّءِ ﷺ واجِبَةٌ، قالَ عبْدُ الْحَقِّ: يَعْنِي سُنَّةٌ وَاجِبَةٌ[9].

وقِيلَ: مَنَعَ مالِكٌ ذَلِكَ قَطْعًا لِلذَّرِيعَةِ، وقِيلَ: لِأَنَّ المضِيَّ إِلَيْهِ لَيْسَ لِيَصِلَهُ ذلِكَ، ولَا لِيَنْفَعَهُ، وإِنَّما هُوَ رَغْبَةٌ في الثَّوَابِ فَهُوَ مِنْ بابِ كَلِمَةٍ أَعْلَى مِنْ كَلِمَةٍ[10].

والمخْتَارُ عِنْدَنَا وعِنْدَ الشَّافِعِيَّة والْحَنَفِيَّة عَدَمُ الْكَرَاهَةِ في إِطْلَاقِ ذَلِكَ.

قَالَت الْحَنَفِيَّةُ: زِيَارَتُهُ ﷺ مِنْ أَفْضَلِ المنْدُوبَاتِ والمسْتَحَبَّاتِ بَلْ تَقْرُبُ مِنَ الْوَاجِبِ[11].

---

(1) الدرة الثمينة، ابن النجار، ص158، التعريف، المطرِي، ص71.

(2) سبق تخريج القول: التعريف، المطرِي، ص71.

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص104.

(4) زكي الدين المنذري، سبق تعريفه.

(5) سنن أبي داود، حديث (2042).

(6) شفاء السقام، تقي الدين السبكي، ص231.

(7) شفاء السقام، تقي الدين السبكي، ص231-232.

(8) عبد الحق بن محمد بن هارون السهمي، القرشي، الصقلي (أبو محمد) فقيه، توفي بالاسكندرية سنة 466هـ، من تصانيفه: كتاب النكت والفروق لمسائل المدونة، تهذيب الطالب، استدراك عل مختصر البرادعي. سير أعلام النبلاء، الذَّهبِي، 301/18، والديباج، ابن فرحون، 56/2. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 59/2.

(9) شفاء السقام، تقي الدين السبكي، ص223.

(10) (م، س)، ص223-224.

(11) (م، س)، ص204.

وذَكَرَ ابْنُ كَجّ[1] مِنَ الشَّافِعِيَّة: إِذَا نَذَرَ أَنْ يَزُورَ قَبْرَ النَّبِيءِ ﷺ فعِنْدِي أَنَّهُ يَلْزَمُهُ الْوَفَاءُ وَجْهًا واحِدًا، وإِذَا نَذَرَ أَنْ يَزُورَ قَبْرَ غَيْرِهِ ففِيهِ وجْهَانِ، والقَطْعُ بِهِ هُوَ الْحَقُّ، لِأَنَّهُ قُرْبَةٌ مقْصُودَةٌ[2].

وقَالَ الْعَبْدِي[3] مِنَ المالِكِيَّةِ فِي "شَرْحِ الرِّسَالَةِ"[4]: وأَمَّا نَذْرُ المشْيِ إِلَى المسْجِدِ الْحَرَامِ، أَوْ إِلَى مَكَّةَ، فلَهُ أَصْلٌ فِي الشَّرْعِ؛ وهُوَ الْحَجُّ والعُمْرَةُ وإِلَى المدِينَةِ لِزِيَارَةِ قَبْرِ النَّبِيّءِ ﷺ أَفْضَلُ مِنَ الْكَعْبَةِ ومِن بَيْتِ المقْدِسِ، ولَيْسَ عِنْدَهُ حَجٌّ ولا عُمْرَةٌ، وإِذَا نَذَرَ المشْيَ إِلَى هَذِهِ الثَّلَاثَةِ لَزِمَهُ فالْكَعْبَةُ مُتَّفَقٌ علَيْهَا[5]. واخْتَلَفَ الشَّافِعِيَّةُ في الآخَرَيْن. قالَ السُّبْكِي: وهَذَا الخِلَافُ [46ظ] فِي نَذْرِ إِتْيَانِ المسْجِدَيْنِ لَا فِي نَذْرِ الزِّيارَةِ[6].

وفِي "تَهْذِيبِ الطَّالِبِ"[7] لِعَبْدِ الْحَقِّ[8]: قِيلَ لِلشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّد بنِ أَبِي زَيْدٍ[9] فِيمَن اسْتُؤْجِرَ بِمَالٍ لِيَحُجَّ، وشَرَطُوا عَلَيْهِ الزِّيارَةَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ تِلْكَ السَّنَةَ أَنْ يَزُورَ؟ قَالَ: يَرُدُّ مِنَ الْأُجْرَةِ بِقَدْرِ مسَافَةِ الزِّيَارَةِ. وقَالَ غَيْرُهُ: عَلَيْهِ أَنْ يَرْجِعَ ثَانِيًا حَتَّى يَزُورَ، وقَالَ عَبْدُ الْحَقِّ: إِن اسْتُؤْجِرَ لِسَنَةٍ بِعَيْنِهَا سَقَطَ مَا يَخُصُّ الزِّيَارَةَ، وَإِن استُؤْجِرَ علَى حَجَّةٍ في ذِمَّتِهِ يَرْجِعُ لِيَزُورَ[10].

قَال السُّبْكِي: والذِي ذَكَرَ أَصْحَابُنَا أَنَّ الاسْتِئْجَارَ عَلَى الزِّيَارَةِ لا يَصِحُّ؛ لِأَنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ مَضْبُوطٍ، ولَا مُقَدَّرٍ بِشَرْعٍ، والْجُعَالَةُ إِنْ وَقَعَتْ عَلَى نَفْسِ الوُقُوفِ لم يَصِحَّ أَيْضًا؛ لِأَنَّ ذلِكَ مِمَّا لم تَصِحَّ فِيهِ النِّيَابَةُ عَنِ الْغَيْرِ، وإِنْ وَقَعَتْ علَى الدُّعَاءِ عِندَ الْقَبْرِ الشَّرِيفِ كانَتْ صَحيحَةً؛ لِأَنَّ الدُّعَاءَ مِمَّا تَصِحُّ النِّيَابَةُ فيهِ، والجَهْلُ بِالدُّعَاءِ لَا يُبْطِلُهَا قَالَهُ الماوَرْدِي. وأَمَّا إِبْلَاغُ السَّلَامِ فتَجُوزُ الأُجْرَةُ عَلَيْهِ قَطْعًا،

---

(1) يوسف بن أحمد بن يوسف بن كج، الدينوري، الشافعي (أبو القاسم) فقيه، من القضاة. صحب أبا الحسين بن القطان، وحضر مجلس الداركي وأبي حامد المروزي، وقتله العيارون بالدينور في 27 رمضان سنة 405 هـ، له تصانيف كثيرة، منها: التجريد. وفيات الأعيان، 65/7، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 144/4.

(2) شفاء السقام، تقي الدين السبكي، ص253-254.

(3) العبدِي: أحمد بن المعذل بن غيلان البصرِي، المالكي فقيه، أصولي، متكلم، من أعلام القرن الثالث، تفقه بعبد الملك بن الماجشون، ومحمد بن مسلمة، حدث عن بشر بن عمر، أخذ عنه إسماعيل القاضِي ويعقوب بن شيبة، له عدة مصنفات. سير أعلام النبلاء، 520/11، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 311/1.

(4) رسالة أبِي زيد القيروانِي.

(5) شفاء السقام، تقي الدين السبكي، ص217.

(6) شفاء السَّقام، السبكِي، ص217.

(7) تهذيب الطالِب وفائدة الراغِب. فهرِس ابن عطِيَّة، ص128.

(8) عبد الحق بن محمد بن هارون الصقلّي سبق تعريفه.

(9) ابن أبِي زيد عبد الله أبو محمّد القيروانيّ المالِكِي، يقال له مالك الصَّغِير، أخذ عن محمد بن مسرور الحجام وغيره، وأخذ منه خلق كثِير، من كتبه: النوادر والزيادات، العتَبِيَّة، الاقتداء بمذهب مالك، الرِّسالة، ت:389هـ، وقيل:386هـ. سير أعلام النبلاء، الذَّهبِي، 10/17، والديباج، ابن فرحون، 427/1.

(10) شفاء السقام، تقي الدين السبكي، ص209.

وهُوَ مُرَادُ المالِكِيَّةِ[1].

وصَحَّحَ ابنُ سُرَاقَةَ[2] جَوَازَ الْإِجَارَةِ لِلزِّيارَةِ واخْتَارَهُ الأصبحِي[3] صَاحِبُ "المفْتَاحُ"[4]، وَقَطَعَ الماوَرْدِي بِقَوْلِ المنْعِ، وقَالَ الإِمَامُ الحَكَمِي[5]: يُبْنَى عَلَى مَا إِذَا حَلَفَ لَا يُكَلِّمُ فُلَانًا فكَاتَبَهُ، أَوْ رَاسَلَهُ، والصَّحِيحُ عَدَمُ الْحِنْثِ، فلَا يَصِحُّ الاسْتِئْجَارُ، وإِنْ قُلْنَا يَحْنِثُ صَحَّ. قِيلَ: الْبِنَاءُ ضَعِيفٌ إِذ الملْحَظُ فِي الأَيْمَانِ الْعُرْفُ. وأَمَّا الزِّيارَةُ وإِبْلَاغُ السَّلَامِ فَقُرْبَةٌ مَقْصُودَةٌ كَمَا أَنَّ المكَاتبَةَ يَحْصُلُ بِها التَّوَدُّدُ والصِّلَةُ وإِنْ لم تُسَمَّ كَلَامًا، والحقُّ صِحَّةُ الاسْتِئْجَارِ لِلسَّلامِ عَلَيْهِ ﷺ ولِلدُّعَاءِ عِنْدَهُ[6]. وَاللهُ أَعْلَمُ.

(1) (م، س)، ص210، والحاوي الكبير، الماوردِي، 276/4.

(2) محمد بن محمد الأنصاري، الشاطبي، المصري (محيي الدين، أبو بكر، ابن سراقة) محدث وفقيه وأديب، سمع من أبي القاسم أحمد بن بقي، وبالعراق من أبي علي بن الجواليقي وطبقته، وتولى مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة، وتوفي سنة 662هـ. من تصانيفه: إعجاز القرآن، الحيل الشرعية، شرح الكافي في الفرائض. البداية والنهاية، 456/17، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 618/3.

(3) محمد بن أبِي بكر الأصبحي، الجَنَدِي، اليمني، الشافعي (أبو عبد الله) فقيه. ت:691هـ، من تصانيفه: المصباح في الفقه، الفتوح في غرائب الشروح، والإيضاح في تصحيح الخلاف. قلادة النحر، الهجراني، 441/5، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 172/3.

(4) المفْتَاحُ: لعلَّهُ الفتوح في غرائب الشروح.

(5) في خلاصة الوفا: الحليمي، وفي وفاء الوفا: الحكمِي.

علي بن قاسم بن العليف الحَكَمي، الزبيدي، الرافعي الشراحيلي (أبو الحسن) فقيه، توفي بزبيد سنة 640هـ، من تصانيفه: شرح المهذب لأبي إسحاق الشيرازي في فروع الفقه، والدرر في الفرائض. قلادة النحر، 165/5، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 487/2.

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص106.

الفَصْلُ الثَّانِي: فِي تَوَسُّل الزَّائِرِ بِهِ ﷺ إِلَى رَبِّهِ واسْتِقْبَالِهِ لَهُ فِي سَلَامِهِ ودُعَائِهِ وآدَابِ الزِّيَارَةِ والمجَاوَرَةِ والتَّوَصُّلِ والتَّشَفُّعِ بِهِ ﷺ[1]

قَدْ صَحَّحَ الحاكِمُ حَدِيثَ: ((**لَمَّا اقْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ قَالَ: يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لما غَفَرْتَ لِي، فَقَالَ: يَا آدَمُ، وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ أَخْلُقْهُ؟ فَقَالَ: يَا رَبِّ، لِأَنَّكَ لمّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ رَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لم تُضِفْ إِلَى اسْمِكَ إِلَّا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ، فَقَالَ اللَّهُ: صَدَقْتَ يَا آدَمُ، إِنَّهُ لَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ إذ سألتنِي بِحَقِّهِ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ**))[2].

وذَكَرَ النَّسَائِي والتِّرمِذِي، وقَال: حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، عَنْ عُثْمَان بْنِ حُنَيْفٍ: أَنَّ رَجُلًا، ضَرِيرَ البَصَرِ أَتَى النَّبِيءَ ﷺ فَقَالَ: ادْعُ اللهَ لِي أَنْ يُعَافِيَنِي، قَالَ: ((**إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ، وإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لكَ، قالَ: فَادْعُهُ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ وَيُحْسِنَ الْوُضُوءَ ويَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ** [47و] **إِلَيْكَ بِنَبِيئِكَ مُحَمَّدٍ نَبِيءِ الرَّحْمَةِ ﷺ يَا مُحَمَّد، إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ**)) وصَحَّحَه البَيْهَقِي وزَادَ: فقَامَ وقَدْ أَبْصَرَ[3].

وقَالَ الطَّبَرَانِي والبَيْهَقِي: عن عُثْمَان بْنِ حُنَيْفٍ: أَنَّ رَجُلًا، كَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ فِي حَاجَةٍ، وكان لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَلَا يَنْظُرُ فِي حَاجَتِهِ، فَشَكَى ذَلِكَ لابْنِ حُنَيْفٍ، فَقَالَ لَهُ: ائْتِ الميضَأَةَ فَتَوَضَّأْ، ثُمَّ ائْتِ المسْجِدَ فَصَلِّ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قُل: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيئِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيءِ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّد إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ لِيَقْضِي حَاجَتِي. وَتَذْكُرُ حَاجَتَكَ.

فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ فَصَنَعَ ذَلِكَ، ثُمَّ أَتَى بَابَ عُثْمَانَ فَجَاءَهُ الْبَوَّابُ حَتَّى أَخَذَ بِيَدِهِ فَأَدْخَلَهُ عَلَى عُثْمَانَ فَأَجْلَسَهُ عَلَى الطِّنْفِسَةِ[4]، فَقَالَ: حَاجَتكَ؟ فَذَكَرَ حَاجَتَهُ فَقَضَاهَا لَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا ذَكَرْت حَاجَتَكَ حَتَّى السَّاعَة، ومَا كَانَ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ فَأَذْكُرْهَا.

ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ فَلَقِيَ ابْنَ حُنَيْفٍ، فَقَالَ لَهُ: جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا مَا كَانَ يَنْظُرُ فِي حَاجَتِي حَتَّى كَلَّمْتَهُ لِي، فَقَالَ ابْنُ حُنَيْفٍ: وَاللهِ مَا كَلَّمْتُهُ، وَلَكِنِّي شَهِدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَتَاهُ ضَرِيرٌ فَشَكَا إِلَيْهِ ذَهَابَ بَصَرِهِ، فَقَالَ النَّبِيءُ ﷺ: ((**أَوَ تَصْبِرْ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَيْسَ لِي قَائِدٌ، وَقَدْ شَقَّ عَلَيَّ، فقال لهُ النَّبِيءُ ﷺ: ايتِ الميْضَأَةَ، فَتَوَضَّأْ، ثُمَّ صَلِّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ ادْعُ بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ**)). فوَاللهِ ما

---

(1) الفصل منقول من كتاب خلاصة الوفا للسمهودِي، فما استطعت ردّه إلى أصلِهِ من النّقولِ ذكرته وإلّا اكتفيت بتخرِيجه مِن المرجعِ.

(2) المستدرك، الحاكِم، حدِيث (4228).

(3) سنن النَّسَائِي، حدِيث (10419) وَسنن الترمذِي، حدِيث (3578) ودلائل النبوة، البيهَقِي حدِيث (2407).

(4) الطنفسة: النمرقة على الراحلة، وقيل البساط الذي له خمل رقيق. لسان العرب (طنفس).

تَفَرَّقْنَا، وطَالَ مِنَّا الْحَدِيثُ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْنَا الرَّجُلُ كَأَنَّهُ لم يَكُنْ بِهِ ضُرٌّ قَطُّ[1].

وقَدْ قالَ ﷺ فِي دُعَائِهِ لِفاطِمَةَ بنتِ أَسَدٍ عَنْدَ قَبْرِها: ((**بِحَقِّ نَبِيئِكَ وَالْأَنْبِيَاءِ الذِينَ مِنْ قَبْلِي**))[2].

وذِكْرُ المحْبُوبِ أو المعَظَّمِ قدْ يكُونُ سَبَبًا لِلإِجابَةِ، وفِي العَادَةِ أَنَّهُ مَنْ تَوَسَّلَ بِمَنْ لَهُ قَدْرٌ عِندَ شَخْصٍ أَجَابَ إِكْرَامًا لَهُ، وقَدْ يُتَوَسَّلُ بِمَنْ لَهُ جَاهٌ إِلَى مَنْ هُوَ أَعْلَى مِنْهُ[3].

وإِذَا جَازَ التَّوَسُّلُ بالْأَعْمَالِ كمَا فِي حَدِيثٍ عَنْهُ ﷺ: ((أَنَّ ثَلَاثَةً آوَوْا مِنَ المطَرِ إِلى غَارٍ فسَقَطَتْ صَخْرَةٌ سَدَّتْهُ، فَتَوَسَّلَ أَحَدٌ بِتَرْكِ الزِّنَى وقدْ تَمَكَّنَ مِنْهُ مَعَ تَرْكِ مَا أَعْطَى، والآخَرُ بِمُرَاقَبَةِ اسْتِيْقَاظِ وَالِدَيْهِ إِلَى الفَجْرِ، والآخَرُ بِتجْرِهِ بأُجْرَة مُسْتَأْجَرِهِ، تَرَكَهَا حَتَّى نَمَتْ بِهَا بَقَرَاتٌ))[4] والأَعْمَالُ مَخْلُوقَةٌ فَالسُّؤالُ بِهِ ﷺ أَوْلَى، ولَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ التَّوسُّلِ والِاسْتِغَاثَةِ والتَّشَفُّعِ والتَّوَجُّهِ، وقَدْ يَكونُ بِمَعْنَى طَلَبِ أَنْ يَدْعُو كمَا فِي حَالِ الْحَيَاةِ إِذْ هُوَ غَيْرُ مُمْتَنِعٍ مَعَ [47ظ] عِلْمِهِ بِسُؤَالِ مَنْ يَسْأَلُهُ[5].

ورَوَى الْبَيْهَقِيُّ وابنُ أَبِي شَيْبَةَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: عنْ مَالِكٍ الدَّارِ، وكَانَ خَازِنَ عُمَر، أَنَّهُ أَصَابَ النَّاسَ قَحْطٌ فِي زَمانِ عُمَر بنِ الخَطَّابِ فجَاءَ رَجُلٌ إِلَى قَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ فقَالَ: يا رَسُولَ اللهِ اسْتَسْقِ لِأُمَّتِكَ فإِنَّهُمْ قَد هَلَكُوا، فأَتَاهُ رسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّومِ فقَالَ: ايتِ عُمَرَ فأَقْرِ[ئْ]هُ السَّلَامَ وأَخْبِرْهُ أَنَّهُ مُسْقَوْنَ، وقُلْ لَهُ: عَلَيْكَ الْكَيْسَ الْكَيْسَ. فأَتَى الرَّجُلُ عُمَرَ فأَخْبَرَهُ فَبَكَى عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَبِّ مَا آلُو إِلَّا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ[6].

وذَكَرَ بَعْضُ السَّلَفِ أَنَّ الذِي رَأَى هذَا المنَامَ بِلالُ بنُ الْحَارِثِ أَحَدُ الصَّحَابَةِ، وكَذَا ذَكَرَ سَيْفٌ[7] فِي الْفُتُوحِ[8][9].

---

(1) المعجم الكبِير، الطبراني حدِيث (8311) والمعجم الصَّغِير، الطَّبراني حدِيث (508) ودلائل النبوة، البيهَقِي، حدِيث (2409).

(2) المعجم الكبِير، الطبراني حدِيث (871) والمعجم الأوسَط، الطَّبراني حدِيث (189).

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص108.

(4) مسنَد البزَّار، حدِيث (906).

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص108.

(6) المصنف، ابن أبِي شيبة، حدِيث (32002) ودلائل النبوة، البيهَقِي، حدِيث (2965).

(7) سَيْف بن عمر التميمي: مؤرخ، كوفي الأصل، توفي ببغداد سنة 200هـ. من مؤلفاته: الجمل، كتاب الردة والفتوح. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 805/1.

(8) كتاب الفتوح الكبِير والردة، أو كتاب الرِّدَّة والفتوح: الفهرست، ابن النديم، ص137، والمعجم المفهرس، ابن حجر، 77/1.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص109.

وقَالَ أَبُو بَكْر بنُ المقْرِئ[1]: كُنْتُ أنَا والطَّبَرَانِي[2] وأَبُو الشَّيْخ[3] فِي حَرَمِ رَسولِ اللهِ ﷺ وكُنَّا فِي حَالَةٍ وأَثَّرَ فينَا الجُوعُ ووَ[ا]صَلْنَا ذلِكَ الْيَوْم. ولَمَّا كانَ وَقْتُ العِشَاءِ حضَرْتُ قَبْرَ النَّبِيءِ ﷺ فقُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ الْجُوع، فانْصَرَفْتُ ونِمْتُ أنَا وأبُو الشَّيْخ والطَّبَرَانِيّ جَالِسٌ ينْظُرُ فِي شَيْءٍ فحَضَرَ علَوِيٌّ مَعهُ غُلامَانِ معَ كُلّ وَاحِدٍ زِنْبِيلٌ[4] فِيهِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، فجَلَسْنَا وأَكَلْنَا، وتَرَكَ عِنْدَنَا البَاقِي، وقَالَ: يَا قَوْمُ أَشَكَوْتُمْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الْجُوعَ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُهُ في المنَامِ فَأَمَرَنِي أَنْ أَحْمِلَ بِشَيْءٍ إِلَيْكُمَا[5].

وقَالَ أَبُو العَبَّاسِ بنُ نَفِيس الضَّرِير[6]: جُعْتُ بالمدِينَةِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ فَجِئْتُ إِلى الْقَبْرِ فقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ جُعْتُ، ثُمَّ بِتُّ ضَعيفًا فرَكَضَتْنِي جَارِيَةٌ بِرِجْلِهَا فقُمْتُ مَعَها إِلَى دِارِها، فقَدَّمَتْ إِلَيَّ خُبْزَ بُرٍّ وتَمْرًا وسَمْنًا، وقَالَتْ: كُلْ يا أَبَا الْعَبَّاسِ فقَدْ أَمَرَنِي بِهَذا جَدِّي ﷺ، ومَتَى جُعْتَ فَأْتِ إِلَيْنَا[7].

وذَكَر أَبُو سُلَيْمَان الشَّاذُلِي[8]: أَنَّ الذِي يَأْمُرُهُ ﷺ بِذلِكَ، ولَا سِيَّما إِذَا كانَ طَعَامًا، إِنَّما يَكُونُ مِنَ القَرَابَة لَهُ ﷺ، إِذْ مِنْ أَخْلَاقِ الكِرَامِ إِذَا سُئِلُوا ذلِكَ أَنْ يَتَوَلَّوْهُ بِأَنْفُسِهِم أَوْ بِمَنْ يَكُونُ مِنْهُمْ[9].

وقَالَ أَبُو مُحَمَّد الإِشْبِيلِيّ[10]: نَزَلَتْ بِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ غِرْنَاطَةَ عِلّةٌ عَجَزَ عَنْهَا الأَطِبَّاءُ وأَيِسُوا مِنْ بُرْئِهَا فكَتَبَ عَنْهُ الْوَزِيرُ ابنُ أَبِي الخِصَالِ[11] كِتَابًا إِلَى النَّبِيءِ ﷺ يَسْأَلُهُ فِيهِ الشِّفاءَ لِدَائِهِ وضَمَّنَهُ شِعْرًا أَوَّلُهُ:

---

(1) سبقت ترجمته.

(2) سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني صاحب المعجم الكبير وغيره.

(3) أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر الأنصاري، الأصبهاني، ويعرف بأبي الشيخ، محدث ومفسر، توفي في 369هـ، من تصانيفه: التفسير، كتاب عظمة الله ومخلوقاته ذكر فيه عظمة الله وعجائب الملكوت العلوية. سير أعلام النبلاء، 276/16، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 276/2.

(4) الزَّبِيل والزِّنْبِيل: الجِراب، وقيل: الوِعاء يُحْمل فيه. لسان العرب (زبل).

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص109.

(6) أحمد بن سعيد المعروف بابن نفيس، أبو العباس الطرابلسي الأصل ثم المصري أمام ثقة كبير انتهى إليه علو الإسناد، قرأ على أبي عدي عبد العزيز بن علي صاحب أبي بكر بن سيف وعلى أبي أحمد عبد الله السامري وعلى أبي طاهر الأنطاكي، قرأ عليه يوسف بن جبارة الهذلي وابن الفحام الصقلي وابن بليمة، ت:453هـ. غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزرِي، 56/1.

(7) معجم السفر، أحمد بن محمد الأصبهاني، ص35.

(8) داود بن عمر بن إبراهيم الشاذلي، الاسكندري صوفي، فقيه، نحوي، بياني، توفي بالاسكندرية سنة 733هـ. من تصانيفه: عيون الحقائق، اللطيفة المرضية في شرح دعاء الشاذلية، شرح التلقين للقاضي عبد الوهاب البغدادي في فروع الفقه المالكي، وكتاب البيان والانتصار. بغية الوعاة، السيوطِي، 562/1، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 701/1.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص109.

(10) عبد الحق بن عبد الرحمن، الأندلسي الإشبيلي، المعروف بابن الخراط. محدث، حافظ، فقيه، خطيب، رحل إلى بجاية، وتخيرها وطنا، وتوفي بها في 582هـ. من مؤلفاته: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، المعتل من الحديث. سير أعلام النبلاء، 198/21، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 58/2.

(11) محمد بن أبي الخِصَالِ، أبو عبد الله، محدِّثٌ أدِيب، لغوِي، ناثِر، ذو الوزارتين، من أهل فرغلِيط سكن قرطبة وغرناطَةَ، توفي مقتولا بقرطبة سنة 540هـ، من آثارِه: سراج الأدبِ، ظل الغمامةِ وطوق الحمامةِ في مناقبِ من خصَّهُ رسولُ الله ﷺ مِن صحابتِه بالكرامةِ. بغية الوعاة، السيوطِي، 243/1، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 714/3.

كِتَـابُ وَقِيـدٍ مِـنْ زَمَـانِتـهِ مَشْـــفَى بِقَبْرِ رَسُـــولِ اللهِ أَحْمَدَ يسْـــتَشْـــفى[1]

فمَا هُوَ إِلَّا أَنْ وَصَلَ الرَّكبُ إِلَى المدِينَةِ وقُرِئَ علَى قَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ هذَا الشِّعْرُ وبَرِئَ الرَّجُلُ مِنْ سَاعَتِهِ مَكَانَهُ[2].

وقَدْ أَمَرَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بِالاسْتِسْقَاءِ عنْدَ الْجَذْبِ بِقَبْرِهِ ﷺ، بلْ يَجُوزُ كمَا قَالَ السُّبكي: التَّوَسُّلُ بِسَائِرِ الصَّالِحِينَ[3]، وإِنْ نُقِلَ عن ابْنِ عَبْدِ السَّلَامِ [48و] أَنَّ سُؤَالَ اللهِ بعَظِيمٍ مِنْ خلْقِهِ يَنْبَغِي أَنْ يَخْتَصَّ بِالنَّبِيءِ ﷺ[4].

ففِي الصَّحِيحِ: عَنْ أَنَسٍ أَنَّ عُمَر بنَ الْخَطَّاب كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المطَّلِبِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيئِنَا ﷺ فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيئِنَا فَاسْقِنَا قَالَ: فَيُسْقَوْنَ[5].

وفِي رِوايَةٍ لِأَبِي القَاسِمِ هِبَةِ اللهِ[6]: عن ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عُمَرَ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَسْقِيكَ بِعَمِّ نَبِيئِكَ ﷺ وَنَسْتَشْفِعُ إِلَيْكَ بِشَيْبَتِهِ فَسُقُوا، وفي ذلِكَ يقُولُ عَبَّاسُ بنُ عُتْبَةَ بنِ أَبِي لَهَب:

بِعَمِّي سَـــقَى اللـهُ الحِجَـازَ وَأَهْلَـهُ عَشِـــيَّةَ يَسْـــتَسْـــقِي بِشَـــيْبَتِهِ عُمَرْ[7][8]

وفِي رِوايَةٍ لِلزُّبَيْرِ بنِ بَكَّار: أَنَّ العَبَّاسَ قالَ في دُعَائِهِ: وقَدْ تَوَجَّهَ بِيَ القَوْمُ إِلَيكَ لمكَانِي مِنْ رَسولِكَ ﷺ اسْقِنَا الغَيْثَ، فأَرْخَت السَّماءُ مِثْلَ الجِبَالِ حَتَّى أَخْصَبَت الأَرْضُ، وفِي رِوَايَةٍ لَهُ عن ابْنِ عُمَر أَنَّ ذلِكَ عَامَ الرَّمادَةِ[9].

وفِي "الشِّفَاء" عن ابْنِ حُمَيْد وهِيَ إِحْدَى الرِّوَايَتَيْن عنْ مَالِك: نَاظَرَ أَبُو جَعْفَرٍ أَمِيرُ المؤْمِنِينَ مَالِكًا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ المؤْمِنِينَ، لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ فِي هَذَا المسْجِدِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَدَّبَ قَوْمًا فَقَالَ: ﴿ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾[10] الآية ومَدَحَ قَوْمًا فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ ﴾[11] الآية، وذَمَّ قَوْمًا فقَالَ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ ﴾[12] الآية، وإِنَّ

(1) البيت من الطويل.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص109- 110.

(3) شفاء السقام، السبكي، ص365.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص110.

(5) صحيح البخارِي، حدِيث (1010).

(6) هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري، الرازي، الشافعي، اللالكائي (أبو القاسم) فقيه، محدث، حافظ، متكلم. قدم بغداد فاستوطنها، ودرس الفقه الشافعي على أبي حامد الإسفراييني، وتوفي بالدينور سنة 418هـ، من آثاره: مذاهب أهل السنة، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 419/17، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 54/4.

(7) البيت من الطويل. ذكره البلاذرِي ونسبه للفضل بن عبّاسٍ بن عتبة مع أبياتٍ أخرَى. جمل من أنساب الأشراف، 14/4.

(8) كرامات الأولياء، أبو القاسم هبة الله، ص120.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص110.

(10) سورة الحجرات: 2.

(11) سورة الحجرات: 3.

(12) سورة الحجرات: 4.

حِرْمَتَهُ مَيِّتًا كَحِرْمَتِهِ حَيًّا، فاسْتَكَانَ لَهَا أبُو جَعْفَرٍ، وقَالَ: يَا أبَا عَبْدِ اللهِ أَسْتَقْبِلُ وأَدْعُو أَمْ أَسْتَقْبِلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فقَالَ: ولِمَ تَصْرِفُ وَجْهَكَ عنْهُ وهُوَ وَسِيلَتُكَ ووَسِيلَةُ أَبِيكَ آدَمَ عليه السلام إِلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ، بَل اسْتَقْبِلْهُ واستَشْفِعْ بِهِ فيُشَفِّعْكَ اللهَ تَعَالَى، وقَدْ قَالَ اللهُ تعَالَى:﴿ وَلَوَ اَنَّهُمُ إِذ ظَّـلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾[1] الآية[2].

وفِي "المسْتَوْعَب" لِأَبِي عَبْدِ اللهِ السَّامِرِي الْحَنْبَلِي[3] فِي بَابِ زِيَارَةِ قَبْرِ النَّبِيِّءِ ﷺ: ثُمَّ يَأْتِي حَائِطَ القَبْرِ فَيَقِفُ نَاحِيَةً ثُمَّ يَجْعَلُ القَبْرَ تِلْقَاءَ وجْهِهِ والقِبْلَةَ خَلْفَ ظَهْرِهِ والمنْبَرَ عَلَى يَسَارِهِ. وذَكَرَ السَّلَامَ والدُّعَاءَ، ومِنْه: اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ لِنَبِيئِكَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كِتَابِكَ: ﴿ وَلَوَ اَنَّهُمُ إِذ ظَّـلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾[4] الآيَة، وإِنِّي أَتَيْتُ نَبِيئَكَ مُسْتَغْفِرًا فَأَسْأَلُكَ أَنْ تُوجِبَ لِي المغْفِرَةَ كَمَا أَوْجَبْتَهَا لمنْ أَتَاهُ فِي حَيَاتِهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيئِكَ مُحَمَّد ﷺ إِلَخ[5].

وقَالَ عيَاض: قَالَ مَالِك فِي رِوايَةِ ابنِ وَهْب[6]: إِذَا سَلَّمَ علَى النَّبِيءِ ﷺ ودَعَا يَقِفُ [48ظ] ووَجْهُهُ إِلَى القَبْرِ لَا إِلَى الْقِبْلَةِ ويَدْعُو[7] ويُسَلِّمُ. وفِي رِوَايَةٍ عَنِ "المبْسُوطِ"[8] أَنَّهُ قَالَ: لَا أَرَى أَنَّهُ يَقِفُ عِنْدَ الْقَبْرِ يَدْعُو، ولَكِنْ يُسَلِّمُ ويَمْضِي[9].

وهُوَ مُخَالِفٌ لما سَبَقَ ولِمَا فِي مَذْهَبِنَا، ولِمَا نَقَلَهُ ابنُ المؤَّازِ[10]، إِذْ قَالَ: قِيلَ لمالِك فالذِي يَلْتَزِمُ، أَتَرَى لَهُ أَنْ يتَعَلَّقَ بأَسْتَارِ الكَعْبَةِ عنْدَ الوَدَاعِ؟ قَالَ: لَا، ولَكِنْ يَقِفُ ويَدْعُو، قِيلَ لَهُ: وكَذَلِكَ عِندَ قَبْرِ النَّبِيءِ

(1) سورة النساء: 64.

(2) الشفا، القاضِي عياض، ص401.

(3) محمد بن عبد الله بن الحسين السامري الحنبلي، ويعرف بابن سُنَيْنَة فقيه، محدث. ولد بسامراء، وسمع من ابن البطي وأبي حكيم النهرواني وغيرهما ببغداد، وولي القضاء بسامراء وأعمالها مدة، ثم ولي القضاء والحسبة ببغداد، وتوفي ببغدادسنة 616هـ. من تصانيفه: المستوعب في الفقه، الفروق، والبيان في الفرائض. ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب، 248/3، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 436/3.

(4) سورة النساء: 64.

(5) المستوعب، السامري، 524/1-525.

(6) عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي بالولاء، المصري، المالكي (أبو محمد) فقيه، مفسر، محدث، مقرئ، روى عن عدد من العلماء، وصحب مالك بن أنس عشرين سنة، وتوفي سنة 198هـ، من تصانيفه: الجامع في الحديث، أهوال القيامة، الموطأ الصغير، الموطأ الكبير، وتفسير القرآن. الديباج المذهب، ابن فرحون، 415/1، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 304/2،

(7) في خلاصة الوفا والشفا: ويدنو.

(8) المبسوط للقاضِي إسماعيل بن إسحاق الأزدِي المالكِي ت:282هـ، صاحب فضل الصلاة على النبي ﷺ.

(9) الشفا بتعريف حقوق المصطفَى، القاضِي عياض، ص446.

(10) محمد بن إبراهيم بن زياد الإسكندري المالكي، المعروف بابن المواز (أبو عبد الله) فقيه، ولد في رجب، وأخذ عن أصبغ ابن الفرج وعبد الله بن عبد الحكم، وتوفي بدمشق سنة 269هـ. من آثاره: مصنف في الفقه. والديباج المذهب، ابن فرحون، 2/ 166، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 2/3.

ﷺ، قَالَ: نَعَمْ[1]. وحَمَلَ مَا فِي "المبْسُوطِ" علَى مَنْ لم يُؤْمَنْ بِهِ سُوءُ أَدَبٍ فِي دُعائِهِ عِنْدَ الْقَبْرِ[2].

وفِي "رُؤوسِ المسَائِلِ" لِلنَّوَوِيّ: عنْ أَبِي مُوسَى الأَصْبَهَانِي[3] أَنَّهُ رَوَى عَنْ مَالِك أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ أَن يَأْتِيَ قَبْرَ النَّبِيءِ ﷺ يسْتَدْبِرُ القِبْلَةَ ويَسْتَقْبِلُ النَّبِيءَ ﷺ، وَيُصَلِّي عَلَيْهِ ويَدْعُو لَهُ[4].

وعَنْ يُونُس[5] عن ابْنِ حَبِيب أَنَّهُ قَالَ: ثُمَّ اقْصِدْ بَعْدَ الرَّكعَتَيْنِ إِلَى الْقَبْرِ ومِنْ وِجَاهِ القِبْلَةِ ثُمَّ ادْنُ مِنْهُ ثُمَّ سَلِّمْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَثْنِ عليْهِ، وعَلَيْكَ السَّكِينَةُ والوَقَارُ، فَإِنَّهُ ﷺ يَسْمَعُ ويَعْلَمُ وُقُوفَكَ بيْنَ يَدَيْهِ، وتُسَلِّمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وتَدْعُو لَهُمَا[6].

وقَالَ إِبْراهِيمُ الحَرْبِي[7] فِي "مَنَاسِكِهِ[8]": تُوَلِّي ظَهْرَكَ القِبْلَةَ وتَسْتَقْبِلُ وسَطَهُ، يَعْنِي وَسَطَ الْقَبْرِ[9].

وقالَ أَبُو القاسِم طَلْحَةُ[10] عنْ أَبي حَنيفَةَ: جَاءَ أَيُّوبُ السِّخْتِيَانِي فَدَنَا مِنْ قَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ فاسْتَدْبَرَ القِبْلَةَ وأَقْبَلَ بوَجْهِهِ إِلَى القَبْرِ وبَكَى بُكَاءَ غَيْرِ مُتَبَاكٍ[11]؛ أَيْ: بَكَى مِنْ قَلْبِهِ بِلَا تَكَلُّفٍ.

وقَالَ المجْدُ اللُّغَوِيّ: روينَا عنْ عَبْدِ اللهِ بنِ المبَارَكِ سَمِعْتُ أَبَا حَنِيفَةَ يقُولُ: قَدِمَ أَيُّوبُ السِّخْتِيَانِي وأَنَا بِالمدِينَةِ فَقُلْتُ لَأَنْظُرَنَّ مَا يَصْنَعُ، فجَعَلَ ظَهْرَهُ مِمَّا يَلِي القِبْلَةَ ووَجْهَهُ مِمَّا يَلِي وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وبَكَى غَيْرَ مُتَبَاكٍ، فقَامَ مَقَامَ رَجُلٍ شَرِيفٍ[12].

وأَخْرَجَ أَبُو ذَرّ الهَرَوِي[13] فِي "سُنَنِهِ" فِي بَيَانِ الإِيمَانِ والإِسْلَامِ: أَنَّ حَمَّاد بنَ زَيْدٍ حَدَّثَ أَبَا حَنِيفَةَ بالحَدِيثِ فِي ذَلِكَ عَنْ شَيْخِهِ أَيُّوب السِّخْتِيَانِي، فقَالَ لَهُ أَبُو حَنِيفَةَ: فحَدَّثَكَ أَيُّوبُ بِهَذَا؟ وبَكَى، ثُمَّ قَالَ: مَا ذَكَرْتُ أَيُّوبَ السِّخْتِيَانِي إِلَّا بَكَيْتُ، وقَدْ رأَيْتُهُ يَلُوذُ بِقَبْرِ رَسولِ ﷺ شَيْئًا مَا رَأَيْتُهُ

---

(1) الصارم المنكِي، ابن عبد الهادي، ص278.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص111.

(3) محمد بن عمر بن أحمد المديني، الأصبهاني، الشافعي، حافظ، ولغوي، ولد بأصبهان في ذي القعدة، وزار بغداد وهمذان، وسمع من غانم البرجي، توفي بأصبهان سنة 581هـ، من تصانيفه الكثيرة: اللطائف من دقائق المعارف في علوم الحفاظ، والأعارف، تتمة الغريبين (غريب القرآن والحديث) للهروي في مجلد وسماه المغيث. سير أعلام النبلاء، 152/21، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 557/3.

(4) رؤوس المسائل، النووي، ص185.

(5) في خلاصة الوفا: ابن يونس، أحمد بن يونس القسنطيني، المعروف بابن يونس. توفي في 878هـ شوال. من تأليفه: ترجيح ذكر السيادة في الصلاة على النبي ﷺ. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 331/1.

(6) شفاء السقام، السبكي، ص355.

(7) إبراهيم الحربِي: أَبُو إِسْحَاق إِبْرَاهِيْم بنُ إِسْحَاق بنِ إِبْرَاهِيم بنِ بَشِيْرٍ البَغْدَادِيُّ، فقيه وأديب ولغوِيّ، سمع من أَبِي نعيم وغيره، أصله من مرو، وتوفي ببغداد سنة 285هـ، من أشهر كتبه: غريب الحدِيث. سير أعلام النبلاء، الذَّهبِي، 356/13، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 13/1.

(8) كتاب: المناسك، وأماكن طرق الحجّ ومعالم الجزيرة، لأبِي إسحاق الحربِي، مطبوع.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص112، شفاء السقام، السبكي، ص221. لم أقف عليه في المطبوع من المناسِك.

(10) أبو القاسِم طلحة بن محمد بن جعفر: البغدادِيّ، المؤرّخ، من تأليفه: أخبار القضاة، ت:380هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 396/16.

(11) شفاء السقام، السبكي، ص221.

(12) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص112، وفِيه: رجل فقيه، بدل رجل شريف، وينظر المغانم المطابة.

(13) في الأصلِ: أبو در.

مِنْ أَحَدٍ[1]، وذَلِكَ هوَ المشْهورُ، وعَلَيْهِ الجُمْهُورُ.

وذَكَرَ الْحَسَنُ بنُ زِيَادٍ[2] عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ: أَنَّ الزَّائِرَ يَسْتَقْبِلُ القِبْلَةَ في سَلامِهِ، يَعْنِي فَيَكُونُ القَبْرُ بَيْنَهُ وبَيْنَ القِبْلَةِ، وكَذَا قَالَ السَّرُوجِي[3] مِنَ الحَنَفِيَّة، يَقِفُ عِنْدَ مُسْتَقْبِلِ القِبْلَةِ، وقَالَ الكَرْمَانِيّ[4] مِنْهُم: يَقِفُ عنْدَ رَأْسِهِ ويَكُونُ وُقُوفُهُ بَيْنَ القَبْرِ والمنْبَرِ مُستَقْبِلَ القِبْلَةِ، وعَنْ أَصْحَابِ الشَّافِعِي وغَيْرِهِ: يَقِفُ وظَهْرُهُ إِلَى القِبْلَةِ ووَجْهُهُ إِلَى الْحَضْرَةِ، وهُوَ قَوْلُ ابنِ حَنْبَل، روَاهُ أَبُو اللَّيْثِ. ا.هـ[5]

وقَالَ الكَمَالُ بنُ الهُمَامِ[6]: إِنَّ مَا نُقِلَ عَنْ أَبِي اللَّيْثِ مَرْدُودٌ [49و] بِمَا رَوَى أَبُو حَنِيفَةَ فِي "مُسْنَدِهِ" عَن ابْنِ عُمَر أَنَّهُ قَالَ: مِنَ السُّنَّةِ أَنْ تَأْتِيَ قَبْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ قِبَلِ الْقِبْلَةِ وتَجْعَلَ ظَهْرَكَ إِلَى الْقِبْلَةِ وتَسْتَقْبِلَ القَبْرَ بِوَجْهِكَ ثُمَّ تَقُولَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيءُ ورَحْمَةُ اللهِ وبَرَكَاتُهُ[7].

وفِي "المنْسَكِ الْكَبِيرِ" لابْنِ جَمَاعَة[8]: مَذْهَبُ الْحَنَفِيَّةِ أَنَّهُ يَقِفُ لِلسَّلَامِ عنْدَ الرَّأْسِ المقَدَّسِ بِحَيْثُ يكُونُ علَى يَسَارِهِ، ويَبْعُدُ عَنِ الجِدَارِ قَدْرَ أَرْبَعَةِ أَذْرُعٍ ثُمَّ يَدُورُ إِلَى أَنْ يَقِفَ قُبَالَةَ الْوَجْهِ المقَدَّسِ مُسْتَدْبِرًا القِبْلَةَ، وشَذَّ الكَرْمَانِي مِنَ الحَنَفِيَّةِ فقَالَ: يَقِفُ مسْتَدْبِرا لِلْقَبْرِ المقَدَّسِ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ، وتَبِعَهُ بَعْضٌ ولَيْسَ بِشَيْءٍ، فَاعْتَمد عَلَى مَا نَقَلْتُهُ. اهـ[9]

ولَا يَنْبَغِي أَنْ يتردَّدَ فيهِ، إِذ المـيّتُ يُعَامَلُ مُعَامَلَةَ الْحَيّ، والْحَيُّ يُسَلَّمُ عَلَيْهِ مُسْتَقْبِلًا لَهُ، ومَا تَقَدَّمَ مِنْ أَنَّ النَّاسَ كانُوا قَبْلَ إِدْخَالِ البَيْتِ فِي المسْجِدِ يَقِفُونَ عَلَى بَابِ البَيْتِ يُسَلِّمُونَ سَبَبُهُ تَعَذُّرُ اسْتِقْبَالِ الوَجْهِ الشَّرِيفِ حِينَئِذٍ، فَكَانُوا يَسْتَقْبِلُونَ الْقَبْرَ الشَّرِيفَ مِنْ نَاحِيَةِ بابِ الْبَيْتِ ومِنْ نَاحِيَةِ الرَّأْسِ الشَّرِيفِ، لما سَبَقَ عَنِ المطَرِي: مِنْ أَنَّ مَوْقِفَ عَلِيّ بنِ الحُسَيْنِ عِنْدَ الأُسْطُوانَةِ التِي تَلِي الرَّوْضَةَ، قالَ وهُوَ

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص112.

(2) الحسن بن زياد اللولؤي، الكوفي من أصحاب أبي حنيفة، ت: 204هـ، من تصانيفه: أدب القاضي، معاني الإيمان، الخراج، الفرائض، والنفقات. الجواهر المضية، 56/2 ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 552/1.

(3) أحمد بن إبراهِيم بن عبد الغنِيّ السَّروجِي: نِسْبَة إِلَى سروج بنواحي حران من بِلَاد الجزيرة، تفقه على قاضِي القضاةِ صدر الدِّينِ سليمان بن أَبِي العِزّ وُهَيْب ت: 710هـ، ووضع كتابا على الهِدايَةِ سمَّاهُ الغاية ولم يكمِلْهُ. الجواهِر، محيِي الدين الحنفِي، 123/1.

(4) عبد الرحمن بن محمد بن أميرويه، ولد بكرمان وتوفِّيَ بمَرْو سنة 543هـ، إمام أصحاب أَبِي حنيفة بخراسانَ، من تصانيفهِ: الجامع الكبِير، والتجرِيد في الفقهِ. الجواهر المضية، 388/2.

(5) شفاء السَّقام، السُّبكِي، ص344- 345، نقلا من الفتاوى لأبِي الليث السمرقندِي.

(6) محمد بن عبد الواحد، الكمال بن الهمام بن مسعود السواسي الأصل، عالم في الفقه والأصول والتفسير، وعلم الطبيعة والفرائض والحساب والتصوف وغير ذلك، ت: 861هـ، من تصانيفه: شرح الهداية في فروع الفقه الحنفي وسماه فتح القدير للعاجز الفقير. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 469/3.

(7) فتح القدِير، الكمال بن الهمام، 168/3.

(8) عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم، المعروف بابن جماعة، من تصانيفه: هداية السالك إلى معرفة المذاهب الأربعة، وهو المنسك الكبِير. طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة، 101/3.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص113.

مَوْقِفُ السَّلَف قَبْلَ إِدْخَالِ الحُجُرَات، كَانُوا يَسْتَقْبِلُونَ السَّارِيَةَ التِي فِيهَا الصُّنْدُوقُ مُسْتَدْبِرِينَ الرَّوْضَةَ، ولَمَّا أُدْخِلَت الْحُجُرَاتُ وَقَفُوا مِمَّا يَلِي الْوَجْهَ الشَّرِيفَ[1].

ولابنِ زَبَالَةَ عنْ مسلَمَةَ بنِ وَرْدَانَ[2]: رَأَيْتُ أَنَسَ بنَ مَالِكٍ إِذَا سَلَّمَ عَلَى النَّبِيءِ ﷺ يَأْتِي فَيَقُومُ أَمَامَهُ[3].

(1) سبق تخريجه: خلاصة الوفا، السمهودِي، ص113، التعريف، المطرِي، ص71.

(2) صوابه: سلمة بن وردان: أَبُو يعلى الجندعي، الليثي مولاهم سَمِعَ أنس بن مالك ومالك بْن أوس، روى عَنْهُ الثَّوْرِيّ وابْن المبارك ووكيع، وَقَالَ أَبُو حفص بْن علي: هو أخو عَبْد الرَّحْمَن بن وردان. التاريخ الكبير، البخارِي، 77/4.

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص113.

[آدَابُ زِيَارَةِ المدِينَةِ][1]

وَمِنْ آدَابِ الزِّيَارَةِ مَا يتَعَلَّقُ بِسَفَرِهَا: تَجْدِيدُ التَّوبَةِ والتَّوْصِيَةُ وإِرْضَاءُ مَنْ يتَوَجَّهُ إِرْضَاءُهُ وإِطابَةُ النَّفَقَةِ والتَّوْسِعَةُ فِي الزَّادِ وعَدَمُ المشَارَكَةِ فِيهِ وتَوْدِيعُ الأَهْلِ والإِخْوَانِ والمنْزِلِ بِرَكْعَتَيْنِ والدُّعَاءُ عَقِبَهُما والتَّصَدُّقُ بِشَيْءٍ عِنْدَ الْخُرُوجِ مِنْهَا، وغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يُذْكَرُ لِسَفَرِ الْحَجِّ[2].

ومِنْهَا: إِخْلَاصُ النِّيَّة، فيَنْوِي التَّقَرُّبَ بِالزِّيَارَةِ ويَنْوِي معَهَا التَّقَرُّبَ بِشَدِّ الرِّحَالِ لِلْمَسْجِدِ النَّبَوِي والصَّلاةِ فِيهِ، كمَا قَالَهُ أَصْحَابُنَا والشَّافِعِيَّةُ وغَيْرُهُمْ بِحَتِّهِ ﷺ علَى ذَلِكَ، ففِيهِ تَعْظِيمُهُ بامْتِثَالِ أَوَامِرِه.

والمرَادُ مِنْ حَدِيثِ: ((**لَا تَحْمِلُهُ حَاجَةٌ إِلَّا زِيَارَتِي**))[3] اجْتِنَابُ حَاجَةٍ لم يَدْعُهُ الشَّارِعُ إِلَيْها، فلْيَنْوِ مَعَ ذَلِكَ أَيْضًا الاعْتِكَافَ فِيهِ والتَّعَلُّمَ والتَّعْلِيمَ وذِكْرَ اللهِ، وإِكْثَارَ الصَّلاةِ والسَّلَامِ علَى النَّبِيءِ ﷺ والصَّدَقَةَ عَلَى جِيرَانِهِ، وخَتْمَ القُرْآنِ عِنْدَهُ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُسْتَحَبُّ لِلزَّائِرِ فِعْلُهُ [49ظ] فنِيَّةُ المؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ، ويَنْوِي أَيْضًا اجْتِنَابَ المكْرُوهَاتِ، لَا يَفْعَلُها فَضْلًا عَن المحْظُورَاتِ حَيَاءً مِنَ اللهِ ورَسُولِهِ ﷺ[4].

ومِنْهَا أَنْ يَزْدادَ بالْعَزْمِ شَوْقًا وصَبَابَةً وتَوْقِيرًا، وكُلَّما ازْدَادَ دُنُوًّا ازْدَادَ غَرَامًا وحُنُوًّا؛ إِذْ مِنْ لَازِمِ حُبِّهِ ﷺ كَثْرَةُ الشَّوْقِ إِلَيْهِ، وطَلَبُ الْقُرْبِ مِنْ مَعَاهِدِهِ وآثارِهِ وأَمَاكِنِهِ ومَهَابِطِ أَنْوَارِهِ.

تِلْكَ الدِّيَارُ التِي قَلْبُ الـــــمحِبِّ لَهُ ... شَـــوْقٌ إِلَيْـهَـا وَتـذْكَـارٌ وَأَشْـــجَـانُ

وَأَنَّـــةٌ وَحَـنِـيـــنٌ كُـــلَّـــمَـا ذُكِـرَتْ ... وَلَـوْعَـةٌ وَشَـــجًـا مِـنْـهُ وَأَحْـزَانُ[5]

ومِنْهَا: أَنْ يَقُولَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ: بِسْمِ اللهِ آمَنْتُ بِاللهِ، بسْمِ اللهِ حَسْبِيَ اللهُ، تَوَكَّلْتُ علَى اللهِ، لَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، اللَّهُمَّ إِلَيْكَ خَرَجْتُ، وأَنْتَ أَخْرَجْتَ، اللَّهُمَّ سَلِّمْنِي وسَلِّمْ مِنِّي ورُدَّنِي سَالمًا في دِينِي كَمَا أَخْرَجْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ وأَزِلَّ أو أُزَلَّ، وأَظْلِمَ أَوْ أُظْلَم أو أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ عَزَّ جَارُكَ وجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وتبَارَكَ اسْمُكَ، ولَا إِلَهَ غَيْرُكَ، اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ وَبِحَقِّ مَمْشَايَ هَذَا إِلَيْكَ، إِلَى آخِرِ ذِكْرِ القَاصِدِ لِلْمَسْجِدِ[6].

ومِنْهَا: الإِكْثَارُ فِي المسِيرِ مِنَ الصَّلَاةِ والسَّلامِ عَلَيْهِ ﷺ بَلْ يَسْتَغْرِقُ أَوْقاتَ فَرَاغِهِ فِي ذَلِكَ وغَيْرِهِ مِنَ القُرُباتِ. ويَتْبَعُ مَا فِي طَرِيقِهِ مِنَ المسَاجِدِ والآثَارِ المنْسُوبَةِ للنَّبِيءِ ﷺ فَيُحْيِيهَا بِالزِّيارَةِ والصَّلاةِ

---

(1) الفصل منقول من كتاب خلاصة الوفا للسمهودِي، فما استطعت ردّه إلى أصلِهِ من النّقولِ ذكرته وإلّا اكتفيت بتخرِيجه مِن المرجعِ.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص113.

(3) سبَقَ تخرِجُهُ، المعجم الكبير، الطبراني، حدِيث (13149) والمعجم الأوسَط، الطبراني، حدِيث (4546).

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص114.

(5) البيتان من البسِيط، دون نسبةلم أقف عليهما في غيرِ "خلاصة الوفا"، السمهودِي، ص114.

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص114.

فِيهَا، ولَا يُخِلّ بِمَا يُمْكِنُهُ مِنَ الْأَمْرِ بِالمعْرُوفِ والنَّهْيِ عنِ المنْكَرِ، والْغَضَبِ عِنْدَ تَضْيِيعِ شَيْءٍ مِنْ حُقُوقِهِ ﷺ إِذْ مِنْ عَلَامَاتِ المحَبَّةِ غيْرةُ المحِبِّ لمحْبُوبِهِ، وأَقْوَى النَّاسِ دِيَانَةً أَعْظَمُهُمْ غيرَةً، وادِّعَاءُ المحَبَّةِ بِلَا غيرَةٍ كَذِبٌ[1].

ومِنْها: إِذَا دَنَا مِنْ حَرَمِ المدِينَةِ الشَّرِيفَةِ، وأَبْصَرَ رُبَاهَا وأَعْلَامَها، فلْيَزْدَدْ خضُوعًا وخُشُوعًا ولْيَسْتَبْشِر بالهَنَاءِ وبُلُوغِ المنَى، وإِنْ كَانَ علَى دَابَّةٍ حَرَّكَهَا أَوْ بَعِيرٍ أَوْضَعَهُ تَبَاشُرًا بِالمدِينَةِ، ولله دَرُّ القَائِلِ:

قُـرْبُ الـدِّيَـارِ يَـزِيـدُ شَـــوْقَ الْـوَالِـهِ ... لَا سِـــيَّـمَـا إِنْ لَاحَ نُـورُ جَـمَـالِـهِ
أَوْ بَشَّـــرَ الْـحَـادِي بِـأَنْ لَاحَ النَّـقَـا ... وَبَـدَتْ عَـلَـى بُـعْـدٍ رُؤُوسُ جِـبَـالِـهِ
فَهُنَاكَ غِيلَ[2] الصَّـــبْرُ مِنْ ذِي صَـــبْوَةٍ ... وَبَـدَا الـذِي يُـخْـفِـيـهِ مِـنْ أَحْـوَالِـهِ[3]

ويَجْتَهِدُ حِينَئِذٍ فِي مَزِيدِ الصَّلاةِ والسَّلام وتَرْدِيدِهِمَا كُلَّما دَنَا مِنْ تِلْكَ الأَعْلَامِ، ولَا بَأْسَ بالتَّرَجُّلِ والمشْيِ إِذَا قَرُبَ؛ لِأَنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ [50و] لما رَأَوا النَّبِيءَ ﷺ نزَلُوا عَنْ رَوَاحِلِهِمْ ولَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِمْ ﷺ، وقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ دَاوُد[4]: إِنَّ ذَلِكَ يَتَأَكَّدُ لمن أَمْكَنَهُ مِنَ الرِّجالِ تَوَاضُعًا للهِ وإِجْلَالًا لِنَبِيئِهِ ﷺ[5].

وفِي "الشِّفَاءِ": إِنَّ أَبَا الفَضْلِ الْجَوْهَرِي[6] لما ورَدَ المدِينَةَ زَائِرًا وقَرُبَ مِنْ بُيُوتِها تَرَجَّلَ باكِيًا منشِدًا:

وَلَمَّـا رَأَيْنَـا رَسْـــمَ مَنْ لـــــم يَـدَعْ لَنَـا ... فُـؤَادًا لِـعِـرْفَـانِ الـرُّسُـــومِ وَلَا لُـبَّـا
نَـزَلْـنَـا عَـنِ الأَكْـوَارِ نَـمْشِـــي كَـرَامَـةً ... لِـمَـنْ بَـانَ عَـنْـهُ أَنْ نُـلِـمَّ بِـهِ رَكْـبَـا[7]

وَمِنْها: إِذَا بَلَغَ حَرَمَ المدِينَةِ فلْيَقُلْ بعْدَ الصَّلاةِ والسَّلَامِ عَلَيْهِ: اللَّهُمَّ إِنَّ هذَا هُوَ الحَرَمُ الذِي حَرَّمْتَهُ علَى لِسَانِ حَبِيبِكَ ورَسُولِكَ ﷺ، ودَعَاكَ أَنْ تَجْعَلَ فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ والبَرَكَةِ مِثْلَ ما هُوَ لِحَرَمِ بَيْتِكَ الحَرَامِ، فحَرِّمْنِي علَى النَّارِ وأَمِّنِّي مِنْ عذَابِكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عبَادَكَ، وارْزُقْنِي ما رَزَقْتَهُ أَوْلِيَاءَكَ وأَهْلَ طاعَتِكَ، ووَفِّقْنِي فِيهِ لِحُسْنِ الأَدَبِ وفِعْلِ الخَيْرَاتِ وتَرْكِ المنْكَرَاتِ. وإِنْ كَانَ طَرِيقُهُ عَلَى ذِي الحُلَيْفَة فلَا يُجَاوِزُ المُعرّس[8] حَتَّى يُنِيخَ بِهِ، ويُصَلِّي بِمَسْجِدِهِ ومَسْجِدِ ذِي الْحُلَيْفَةِ[9].

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص114- 115.

(2) في خلاصة الوفا: عِيلَ.

(3) الأبيات من الكامل، في خلاصة الوفا، ص115، ووفاء الوفا، 89/5، لم أقفْ عليها في غيْرِهما، ولم يذكرْ قائلها.

(4) أبو سليمان: داود بن عمر بن إبراهِيم، الشاذُلِي، سبق تعيفه.

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص115.

(6) أبو الفضل الجوهَرِي: عبد الله بن الحسين المصري ابن الجوهري، حدث عن أبي سعد الماليني، روى عنه الحميدي وجماعة، وكان أبوه من العلماء العاملين، ت:480هـ. سير أعلام النبلاء، الذَّهبِي، 495/18.

(7) الشفا، القاضِي عياض، ص416. البيتان من الطَّوِيل، لأبِي الطيِبِ المتنبّي، الديوان، ص325.

(8) اسم لمسجد ذِي الحليفة على ستّة أميالٍ من المدينة. كان يُعرسُ فيه النَّبِي ﷺ ويُصلي فيه الصبح ثُمَّ يَرْحَل. الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، الحازِمِي، ص849 والمغانم المطابة، ص386.

(9) إرشاد السالك، ابن فرحون، 553/2.

ومِنْهَا: الْغُسْلُ لِدُخُولِ المدِينَةِ ولَبْسُ أَنْظَفِ ثِيَابِهِ، صَرَّحَ بِاستِحْبَابِهِ جَمَاعَةٌ مِن الشَّافِعِيَّةِ والحَنَابِلَةِ وغَيْرِهِمْ. وفِي حَدِيثِ قَيْسِ بنِ عَاصِم[1] فِي قُدُومِهِ معَ وَفْدِهِ[2] وحَدِيثِ المنْذِرِ بنِ سَاوَى التَّمِيمِي مَا يَشْهَدُ لِذَلِكَ[3].

وفِي "الْإِحْيَاءِ": ولْيَغْتَسِلْ قَبْلَ الدُّخولِ مِنْ بِيرِ الْحَرَّةِ، ولْيَتَطَيَّبْ ويَلْبِسْ أَنْظَفَ ثِيَابِهِ[4].

وقَالَ الْكَرْمَانِي مِنَ الْحَنَفِيَّةِ: وإِنْ لم يَغْتَسِلْ خَارِجَ المدِينَةِ فَلْيَغْتَسِلْ بَعْدَ دُخولِهَا، ولْيَحْذَرْ مَا يفْعَلُهُ بَعْضُ الْجَهَلَةِ مِنَ التَّجرُّدِ عَنِ المخِيطِ تَشْبِيهًا بِحَالِ الْإِحْرَامِ[5].

ومِنْهَا: إِذَا شَارَفَ المدِينَةَ الشَّرِيفَةَ وتَرَاءَتْ لَهُ الحُجْرَةُ المنِيفَةُ فَلْيَسْتَحْضِر عَظَمَتَها وتَفْضِيلَها، وأَنَّها البُقْعَةُ التِي اخْتَارَهَا اللهُ لِحَبِيبِهِ ﷺ ويُمثِّلُ فِي نَفْسِهِ مَوَاقِعَ أَقْدَامِهِ الشَّرِيفَةِ عنْدَ تَرَدُّدِهِ فِيهَا، وإِنَّهُ مَا مِنْ مَوْضِعٍ يَطَؤُهُ إِلَّا وَهُوَ مَوْضِعُ قَدَمِهِ العَزِيزةِ، معَ خُشوعِهِ وسَكِينَتِهِ وتَعْظِيمِ اللهِ لَهُ حَتَّى أَحْبَطَ عمَلَ مَنْ انْتَهَكَ شَيْئًا مِنْ حِرْمَتِهِ، ولَوْ بِرَفْعِ صَوْتِهِ فَوْقَ صَوْتِهِ، ويتَأَسَّفُ علَى فَوَاتِ رُؤْيَتِهِ فِي الدُّنْيَا، وإِنَّهُ مِنْ ذَلِكَ فِي الآخِرَةِ لِقُبْحِ فِعلِهِ عَلَى خَطَرٍ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ لِذُنُوبِهِ ويَلْتَزِمُ سُلُوكَ سَبِيلِهِ لِيَفُوزَ بِالإِقْبَالِ عِنْدَ اللِّقَاءِ، ويَحْظَى بِتَحِيَّةِ القبُولِ مِنْ ذَوِي التُّقَى[6].

ومِنْهَا: أَنْ يَقُولَ عِنْدَ دُخُولِهِ مِنْ بَابِ البَلَدِ: بِسْمِ اللهِ مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ [50ظ] واجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا، آمَنْتُ بِاللهِ حَسْبِيَ اللهُ إِلخ مَا سَبَقَ، ولْيَتَفَوَّهْ فِي قَلْبِهِ شَرَفُ المدِينَةِ وأَنَّهَا حَوَتْ أَفْضَلَ الْبِقَاعِ بِالإِجْمَاعِ، وفِي ذَلِكَ قِيلَ:

أَرْضٌ مَشَى جِبْرِيلُ فِي عَرَصَاتِهَا ... وَاللهُ شَرَّفَ أَرْضَهَا وَسَمَاءَهَا[7]

ومِنْها: أَنْ يُقَدِّمَ صَدَقَةً بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاهُ، ويَبْدَأُ بِالمسْجِدِ الشَّرِيفِ ولَا يَعْرُجُ علَى مَا سِواهُ مِمَّا لا ضَرُورَةَ لَهُ إِلَيْهِ، فإِذَا شاهَدَهُ فَلْيَسْتَحْضِرْ أَنَّهُ أَتَى مَهْبِطَ أَبِي الفُتُوحِ جِبْرِيلَ، ومَنْزِلَ أَبِي الغَنَائِمِ مِيكَائِيلَ، ومَوْضِعَ الوَحْيِ والتَّنْزِيلِ، فلْيَزْدَدْ خُضُوعًا وخُشوعًا يَلِيقُ بالمقَامِ، ويَقْصِدْ بَابَ جِبْرِيلَ لِقَوْلِ بَعْضٍ: إِنَّ الدُّخُولَ مِنْهُ أَفْضَلُ،

---

(1) قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ المنْقَرِيُّ: وفد على رسول اللَّه ﷺ في وفد بني تميم فأسلم، فقال رسول اللَّه ﷺ: «هذا سيّد أهل الوبر» وكان سيدا جوادا، وقال أبو عمر: قيل للأحنف: ممن تعلمت الحلم؟ قال: من قيس بن عاصم. الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، 367/5، ومعرفة الصحابة، أبو نعيم، 2302/4.

(2) الحدِيث في صحيح ابن حبَّان، رقم (1420).

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص116.

(4) إحياء علوم الدين، الغزالي، 306/1.

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 116.

(6) (م، س)، ص 116.

(7) (م، س)، ص 116-117. البيت من الكامل، دون نسبة، وينظر: وفاء الوفا، 92/5.

فإِذَا أَرَادَ الدُّخُولَ فلْيُفْرِغْ قَلْبَهُ، ولْيُصَفِّ ضَمِيرَهُ مُسْتَحْضِرًا عظِيمَ مَا هُوَ مُتَوجِّهٌ إِلَيْهِ[1].

قالَ أَبُو سُلَيْمَانَ دَاوُد: ويَقِفُ يَسِيرًا كَالمسْتَأْذِنِ كَمَا يَفْعَلُهُ مَنْ يَدْخُلُ عَلَى العُظَمَاءِ، ويُقَدِّمُ رِجْلَهُ اليُمْنَى فِي الدُّخُولِ قَائِلًا: أَعُوذُ باللهِ العَظِيمِ وبِوَجْهِهِ الكَرِيمِ وبِنُورِهِ القَدِيمِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللهِ والحَمْدُ للهِ ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، اللَّهُمَّ صَلِّ علَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ ورَسُولِكَ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيمًا كثِيرًا، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنوبِي وافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، ووَفِّقْنِي وسَدِّدْنِي وأَعِنِّي علَى مَا يُرْضِيكَ، ومُنَّ عَلَيَّ بِحُسْنِ الأَدَبِ، السَّلَامُ علَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيءُ ورَحْمَةُ اللهِ وبَرَكَاتُهُ، السَّلامُ علَيْنَا وعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، ولَا يَتْرُكُهُ كُلَّما دَخَلَ المسْجِدَ أَوْ خَرَجَ، إِلَّا أَنَّهُ يَقُولُ عِنْدَ الْخُرُوجِ: وافْتَحْ لِي أَبْوابَ رَحْمَتِكَ[2].

ومِنْهَا: أَنَّهُ إِذَا صارَ فِي المسْجِدِ فَلْيَنْوِ الِاعْتِكَافَ وإِنْ قَلَّ زَمَانُهُ، ثُمَّ يتَوَجَّهُ لِلرَّوضَةِ الشَّرِيفَةِ خاشِعًا غَاضًّا طرْفَهُ غَيْرَ مشْغُولٍ بالنَّظَرِ إِلَى شَيْءٍ مِنْ زِينَةِ المسْجِدِ وغَيْرِهِ، معَ الْهَيْبَةِ والوَقَارِ والخَشْيَةِ والِانْكِسَارِ والخُضُوعِ والِافْتِقَارِ، ثُمَّ يَقِفُ فِي المصَلَّى النَّبَوِيِّ إِنْ كَانَ خَالِيًا، وإِلَّا ففِيمَا قَرُبَ مِنْهُ ومِنَ المنْبَرِ، وإِلاَّ فَفِي غيْرِ ذَلِكَ فَيُصَلِّي التَّحِيَّةَ رَكْعَتيْنِ خَفِيفَتَيْنِ يَقْرَأُ فِيهِمَا: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ ﴾[3] والإِخْلَاص، فَإِنْ أُقِيمَت مَكْتُوبَةٌ، أَوْ خَافَ فَوْتَها صَلَّاهَا وحَصَلَت التَّحِيَّةُ، ثُمَّ يَحْمَدُ اللهَ ويَشْكُرُهُ ويَسْأَلُهُ الرِّضَا والتَّوْفِيقَ والقَبُولَ وأَنْ يَهَبَ لَهُ مِنْ مُهِمَّاتِ الدَّارَيْنِ نِهَايَةَ السّولِ، ويَسْجُدَ شُكْرًا للهِ تعَالَى عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ[4].

ووَافَقَهُم الطَّبَرِي، ويَبْتَهِلُ فِي أَنْ يَتِمَّ لَهُ ما قَصَدَ مِنَ الزِّيارَةِ النَّبَوِيَّةِ، ومَحَلُّ تقْدِيمِ التَّحِيَّةِ إِذَا لم يَكُنْ مُرُورُهُ قُبَالَةَ الْوَجْهِ الشَّرِيفِ، فإِنْ كَانَ اسْتُحِبَّت الزِّيَارَةُ أَوَّلًا كمَا قَالَهُ بَعْضٌ[5].

ورَخَّصَ بَعْضُ المالِكِيَّةِ فِي تَقْدِيمِ الزِّيارَةِ علَى الصَّلَاةِ، وقَالَ [51و] كُلُّ ذَلِكَ وَاسِعٌ[6].

ودَلِيلُ الأَوَّلِ: أَنَّ النَّاسَ في حَيَاتِهِ ﷺ إِذَا دَخَلُوا المسْجِدَ صَلُّوا رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَاؤُوا فسَلَّمُوا علَيْهِ، ويَأْمُرُهُم بِذَلكَ ويُقِرُّهُم عَلَيْهِ.

قالَ جَابِر بنُ عبْدِ اللهِ: ((**قَدِمْتُ مِنْ سَفَرٍ فَجِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُسَلِّمُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَدَخَلْتَ**

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 117.

(2) (م، س)، ص 117.

(3) سورة الكافرون:1.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 117.

(5) التشوِيق إلى البيتِ العتِيقِ" لمحمَّد بن محبّ الدِّينِ الطَّبَرِي، ص231.

(6) إرشاد السالك، ابن فرحون، 556/2.

المسْجِدَ فَصَلَّيْتَ فِيهِ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَاذْهَبْ فَادْخُلِ المسْجِدَ وَصَلِّ فِيهِ ثُمَّ ايتِنِي وَسَلِّمْ عَلَيَّ))[1].

قالَ اللَّخْمِي[2]: تَبْدَأُ فِي مَسْجِدِ النَّبِيءِ ﷺ بِتَحِيَّةِ المسْجِدِ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ الْقَبْرَ، هذَا قَوْلُ مالِك. وقَالَ ابْنُ حَبِيب[3]: يَقُولُ إِذَا دَخَلَ المسْجِدَ: بِسْمِ اللهِ وَالصَّلَاةُ والسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ، يرِيدُ أَنَّهُ يَبْتَدِئُ بِالسَّلَامِ مِنْ مَوْضِعِهِ، ثُمَّ يَرْكَعُ ولَوْ كَانَ دُخُولُهُ مِنْ البَابِ الذِي بِنَاحِيَةِ القَبْرِ، ومُرورُهُ عَلَيْهِ فوَقَفَ وسَلَّمَ ثُمَّ عادَ إِلَى مَوْضِعٍ يُصَلِّي فِيهِ لم يَكُنْ ضَيِّقًا. ا.هـ[4]

ومُرادُ ابنِ حَبِيبٍ الإِتْيَانُ أَوَّلًا بالسَّلامِ المستَحَبِّ لِدَاخِلِ المسْجِدِ لِحدِيثِ: **((إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُم المسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ))**[5].

ومِنْهَا: أَنْ يَتَوَجَّهَ بعْد ذَلِكَ إِلَى الضَّرِيحِ الشَّرِيفِ مُسْتَعِينًا باللهِ فِي رِعَايَةِ الأَدَبِ لِهَذَا المؤْقِفِ المنِيفِ، فيَقْفُ بِخُضُوعٍ ووَقَارٍ وذِلَّةٍ وانكِسَارٍ، غَاضّ الطَّرْفِ مَكْفُوفَ الْجَوَارِحِ واضِعًا يَمِينَهُ عَلَى شِمالِهِ، كمَا فِي الصَّلاةِ، فِيمَا قالَهُ الكَرْمَانِي مِنَ الْحَنَفِيَّة، مُسْتَقْبِلًا لِلْوَجْهِ الشَّرِيفِ تُجَاهَ مِسْمَارِ الفِضَّةِ، وذَلكَ فِي مُحاذَاةِ الضرعة[6] الثَّانِيَة مِنْ بَابِ المقْصُورَة القبليّ التِي عَنْ يَمِينِ مسْتَقْبِلِه، وَقَدْ حدثَ في مَكَانِ الضّرْعَتَيْنِ شبَّاكٌ مِنْ نُحَاسٍ، ومَوْقِفُ السَّلَفِ قَبْلَ دُخولِ الحُجْرَةِ فِي المسْجِدِ وبَعْدَهُ داخِلَ تِلْكَ المقْصُورَةِ، وهُوَ السُّنَّةُ إِذ المنْقُولُ الوُقُوفُ علَى نَحْوِ أَرْبَعَةِ أَذْرُعٍ مِنْ رَأْسِ الْقَبْرِ، وقالَ ابنُ عَبْدِ السَّلامِ ثَلاثَةٌ[7].

وقَالَ ابنُ حَبِيب فِي "الوَاضِحَة": واقْصِد القَبْرَ الشَّرِيفَ مِنْ وِجَاهِ القِبْلَةِ واذْنُ مِنْهُ[8].

قالَ الغَزَّالِي فِي "الإِحْيَاءِ": يَنْبَغِي أَنْ تَقِفَ بَيْنَ يَدَيْهِ كمَا وَصَفْنَا، يَعْنِي مِثْلَ مَا ذَكَرْتُ، وتَزُورهُ مَيِّتًا كمَا تَزُورُ حَيًّا، ولَا تَقْرُبْ مِنْ قَبْرِهِ إِلَّا كمَا كُنْتَ تَقْرُبُ مِنْ شَخْصِهِ الكَرِيمِ لَوْ كانَ حَيًّا[9].

ولْيَنْظُر الزَّائِرُ إِلَى أَسْفَل ما يَسْتَقْبِلُهُ مِنَ الحُجْرَةِ ولْيَحْذَرْ مِن اشْتِغَالِ النَّظَرِ بِشَيءٍ مِمَّا هُنَاكَ مِنَ الزِّينةِ، فإِنَّهُ ﷺ كمَا قَالَ فِي "الإِحْيَاءِ": عالم بِحُضُورِكَ وقِيَامِكَ وزِيَارَتِكَ لَهُ، قَالَ: فَمَثِّلْ صُورَتَهُ الكَرِيمَةَ مَوْضُوعًا فِي اللَّحْدِ بِإِزَائِكَ وأَحْضِرْ عَظِيمَ رُتْبَتِهِ فِي قَلْبِكَ. ا.هـ[10]

---

(1) الحدِيثُ في صحيح ابن خزيمة، حدِيث (1828).

(2) علي أبو الحسن بن محمد الربعي المعروف باللخمي، قيرواني نزل صفاقس، له تعليق كبير على المدونة سماه التبصرة، ت478هـ. ينظر: الديباج المذهب، ابن فرحون، 105/2.

(3) عبد الملك بن حبيب: سبق تعريفه.

(4) شفاء السَّقام، السُّبكِي، ص353. والقول كله للخمِي: التبصرة، اللخمِي، ص75.

(5) السنن الكبرَى، النسائِي حدِيث (9838).

(6) فِي خلاصة الوفا: الصرعة.

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 118.

(8) إرشاد السالك، ابن فرحون، 560/2.

(9) إحياء علوم الدِّين، الغزالِي، 320/1.

(10) إحياء علوم الدِّين، الغزالِي، 320/1-321.

ثُمَّ سَلِّمْ مقْتَصِدًا مِنْ غَيْرِ رَفْعِ صَوْتٍ وَلَا إِخْفَاءٍ فتَقُولُ بِحَيَاءٍ ووَقَارٍ: السَّلَامُ عَلَيْكَ [51ظ] أَيُّها النَّبِيءُ ورَحْمَةُ اللهِ وبَرَكاتُهُ ثَلاثًا، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، يا رَسُولَ رَبِّ العَالمينَ، السَّلَامُ عَلَيْك يا خَيْرَ الخَلَائقِ أَجْمَعِينَ، السَّلامُ علَيْكَ يا سَيِّدَ المرْسَلِين وخَاتِمَ النَّبِيئِينَ، السَّلامُ علَيْكَ يا إِمامَ المتَّقِينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا قَائِدَ الغُرِّ المحَجَّلِينَ، السَّلامُ علَيْكَ أَيُّها المبْعُوثُ رَحْمَةً لِلْعَالمينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَفِيعَ المذْنِبِينَ، السّلامُ علَيْكَ يَا حَبِيبَ اللهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا خِيرَةَ اللهِ، السَّلامُ علَيْكَ يا صَفْوَةَ اللهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الهَادِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، السَّلامُ علَيْكَ يا مَنْ وَصَفَهُ اللهُ بقَوْلِهِ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿4﴾ ﴾[1] وبقوْلِهِ: ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿128﴾ ﴾[2] السَّلامُ علَيْكَ يا مَنْ سَبَّحَ الحَصَى فِي يَدَيْهِ وحَنَّ الجِذْعُ إِلَيْهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا مَنْ أَمَرَنَا اللهُ بطَاعَتِهِ والصَّلاةِ والسَّلامِ عَلَيْهِ، السَّلامُ علَيْكَ وعَلَى سَائِرِ الأَنْبِئاءِ والمرْسَلينَ وعِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ ومَلَائِكَةِ اللهِ المقَرَّبين وعَلَى آلِكَ وأَزْوَاجِكَ الطَّاهِرَاتِ أُمَّهَاتِ المؤْمِنِينَ وأَصْحَابِكَ كَثِيرًا دَائمًا أَبَدًا كمَا يُحِبُّ رَبُّنا ويَرْضَى، جَزَاكَ اللهُ عنَّا خيْرًا أَفْضَلَ ما جازَى بهِ رَسولًا عن أُمَّتِهِ، وصلَّى عَلَيْكَ أَفْضَلَ وأَكْمَلَ وأَزْكَى وأَنْمَى صَلَاةً صَلَّاها عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، أَشْهَدُ أن لَا إِلَه إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّكَ عَبْدُهُ ورَسُولُهُ وخِيرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، وأَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ الرِّسَالَةَ وأَدَّيْتَ الأَمَانَةَ ونَصَحْتَ الأُمَّةَ وكَشَفْتَ الغُمَّةَ وأَقَمْتَ الحُجَّةَ وأَوْضَحْتَ المحَجَّةَ وجَاهَدْتَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وكُنْتَ كَمَا نَعَتَكَ اللهُ في كِتَابِهِ حيْثُ قالَ: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿128﴾ ﴾[3] فصَلَواتُ اللهِ وملَائِكَتِهِ وجَمِيعِ خلْقِهِ فِي سَمَاوَاتِهِ وأَرْضِهِ عَلَيْكَ يا رَسُولَ اللهِ. اللَّهُمَّ آتِهِ الوَسِيلَةَ والفَضِيلَةَ وابْعَثْهُ المقَامَ المحْمُودَ الذِي وَعَدْتَهُ وآتِهِ نِهَايَةَ مَا يَنْبَغِي أنْ يَسْأَلَهُ السَّائِلونَ. ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿53﴾ ﴾[4] آمَنْتُ باللهِ ومَلَائكَتِهِ وكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ واليَوْمِ الآخِرِ وبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ. اللَّهُمَّ فَثَبِّتْنِي عَلَى ذَلِكَ ولَا تَرُدَّنَا علَى أَعْقَابِنَا، ولَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ. اللَّهُمَّ صَلِّ علَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ ورَسُولِكَ النَّبِيءِ الأُمِّيِّ وعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وأَزْوَاجِهِ وذُرِّيَّتِهِ

(1) سورة القلم: 4.

(2) سورة التوبة: 128.

(3) سورة التوبة: 128.

(4) سورة آل عمران: 53.

كمَا صَلَّيْتَ علَى إِبْرَاهِيمَ وعلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ في العَالمينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. ومَنْ عَجَزَ عَنْ حِفْظِ ذَلكَ أَوْ ضَاقَ علَيْهِ الوَقْتُ اقْتَصَرَ علَى بَعْضِهِ وأَقَلِّهِ، السَّلامُ علَيْكَ أَيُّها النَّبِيءُ ورَحْمَةُ اللهِ وبرَكَاتُهُ، بلْ السَّلامُ علَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ [52و] صلَّى اللهُ علَيْكَ وسلَّمَ[1].

وعَن ابْنِ عُمَر وغَيْرِهِ الاقْتِصَارُ جِدًّا. وعَنْ مَالِكٍ يقُولُ: السَّلامُ علَيْكَ أَيُّها النَّبِيءُ ورَحْمَةُ اللهِ وبَرَكاتُهُ[2]. واخْتَارَ بَعْضُهُم التَّطْوِيلَ وعَلَيْه الأَكْثَرُ[3].

وقَالَ ابنُ حَبِيب: ثُمَّ تَقِفُ بِالْقَبْرِ فَتُصَلِّي عَلَيْهِ ﷺ وتُثَنِّي بِمَا يَحْضُرُكَ. ا.هـ[4]

ثُمَّ إِنْ كَانَ أَوْصَاكَ أَحَدٌ بِالسَّلامِ فَقُل السَّلامُ عَلَيْكَ يا رَسُولَ اللهِ مِنْ فُلان بنِ فُلان، أَوْ فُلَانُ بنُ فلَانٍ يُسَلِّمُ علَيْكَ يا رَسُولَ اللهِ ونَحْوه. ثُمَّ يَتَأَخَّرُ الزَّائرُ إِلَى صَوْبِ يَمينِهِ قَدْرَ ذِرَاعٍ فَيَصِيرُ تُجَاهَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ فيقُولُ: السَّلامُ علَيْكَ يا أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، صَفِيَّ رَسُولِ الله ﷺ وثَانِيهِ في الغَارِ، ورَفِيقَه فِي الأَسْفَارِ، جزَاك اللهُ عنْ أُمَّةِ رسُولِ اللهِ ﷺ خيْرَ الجَزَاءِ. ثُمَّ يَتَأَخَّرُ إِلَى صَوْبِ يَمِينِهِ قَدْرَ ذِرَاعٍ ثُمَّ يَقُولُ: السَّلَامُ علَيْكَ يا عُمَر الفَارُوق الذِي أَعَزَّ اللهُ بهِ الإِسْلَامَ، جَزَاكَ اللهُ عن أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ الجَزَاءِ، هذَا مَا ذَكَرَهُ النَّووِي وغَيْرُهُ مِنَ الشَّافِعِيَّة[5].

وذَكَرَ ابنُ حَبِيبٍ السَّلامَ والثَّناءَ علَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وعطَفَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ: والسَّلَامُ عَلَيْكُمَا يَا صَاحِبَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يا أَبَا بَكْرٍ وعُمَر، جَزَاكُما اللهُ عنِ الإِسْلَامِ وأَهْلِهِ أَفْضَلَ مَا جَازَى وَزِيرَ نَبِيءٍ عَنْ وَزَارَتِهِ في حَيَاتِهِ، وعلَى حُسْنِ خلَافَتِهِ إِيَّاهُ في أُمَّتِهِ بَعْدَ وفَاتِهِ، فَقَدْ كُنْتُمَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وزِيرَيْ صِدْقٍ في حَيَاتِهِ وخَلَفْتُمَاهُ بالْعَدْلِ والإِحْسَانِ فِي أُمَّتِهِ بَعْدَ وفَاتِهِ، فَجَزَاكُما اللهُ عَلَى ذَلِكَ مرَافَقَتَهُ في جَنَّتِهِ وإِيَّانا مَعَكُم برَحْمَتِهِ.ا.هـ[6]

قال النَّوَوِيّ: ثُمَّ يرْجِعُ الزَّائِرُ إِلَى مَوْقِفِهِ قبَالَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فيَتَوَسَّلُ بِهِ ويَسْتَشْفِعُ إِلَى رَبِّهِ وأَحْسَنُ ما يَقُولُ ما حُكِيَ عن العُتْبِي[7] مُسْتَحْسِنِينَ لَهُ، قَالَ: كنْتُ جالِسًا عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ فجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكَ يا رَسُولَ اللهِ، سَمِعْتُ اللهَ يَقُولُ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ

(1) متن الإيضاح في المناسِك، النَّووِي، ص451.

(2) إرشاد السالك، ابن فرحون، 563/2، وإتحاف الزائر، ابن عساكر، ص47.

(3) إرشاد السالك، ابن فرحون، 564/2.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 120.

(5) متن الإيضاح في المناسِك، النَّووِي، ص453.

(6) إرشاد السالك، ابن فرحون، 564/2.

(7) محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبِي سفيان صخر بن حرب ت:228هـ. سير أعلام النبلاء، 96/11، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 479/3.

﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾[1] الآية وقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَغْفِرًا مِنْ ذَنْبِي مُسْتَشْفِعًا بِكَ إِلَى رَبِّي، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُهُ ... فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكَمُ

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ ... فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ[2]

ثُمَّ انصرَفَ، فَحَمَلَتْنِي عَيْنَايَ فَرَأَيْتُ النَّبِيءَ ﷺ في النَّوْمِ فقَالَ: يا عتْبِيّ الْحَقِ الأَعْرَابِيَّ فَبَشِّرْهُ بأَنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَهُ[3].

قالَ صاحِبُ "خُلَاصَةِ الْوَفَاءِ": قُلْتُ ولْيُقَدَّم عَلَى ذَلِكَ مَا تَضَمَّنَهُ خبَرُ ابْنِ أَبِي فُدَيْك[4] عَنْ بَعْضِ مَنْ أَدْرَكَهُ قَالَ: مَنْ وَقَفَ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ فقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (56)﴾[5] صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ يا مُحَمَّد [52ظ] يَقُولُها سَبْعِينَ مَرَّةً نَادَاهُ مَلَكٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ يا فُلَان، لم تسْقطْ لَكَ اليَوْمَ حَاجَةٌ[6].

قال بَعضُهُم: والأَوْلَى أَنْ يقُولَ صَلَّى اللهُ علَيْكَ يا رَسُولَ اللهِ، إِذْ مِنْ خَصَائِصِهِ أَنْ لَا يُنادَى بِاسمِهِ، والذِي يَظْهَرُ أَنَّ ذَلِكَ فِي النِّدَاءِ الذِي لَا يَقْتَرِنُ بِهِ الصَّلَاةُ والسَّلامُ، ثُمَّ يُجدِّدُ التَّوْبَةَ بَعْدَ ذَلكَ ويُكْثِرُ مِنَ الاسْتِغْفَارِ والتَّضَرُّعِ إِلَى اللهِ والاسْتِشْفَاعِ بِنَبِيئِهِ ﷺ في جَعْلِهَا تَوْبَةً نَصُوحًا، ثُمَّ تَقولُ: يا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ تعَالَى قَالَ فِيمَا أَنْزَلَ عَلَيْكَ:﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾[7] الآية، وقَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وأَتَيْتُ بِجَهْلِي أَمْرًا كَبِيرًا، وقَدْ وَفدْتُ علَيْكَ زائِرًا وبِكَ مُسْتَجِيرًا، وجِئْتُكَ مُسْتَغْفِرا مِنْ ذَنْبِي سَائِلًا مِنْكَ أَنْ تَشْفَعَ لِي إِلَى رَبِّي، وأَنْتَ شَفِيعُ المذْنِبِينَ المقْبُولُ الوَجِيهُ عِنْدَ رَبِّ العَالمينَ، وهَا أَنَا ذَا مُعْتَرِفٌ بِخَطَئِي، مُقِرٌّ بِذَنْبِي مُتَوَسِّلٌ بِكَ إِلَى اللهِ مُسْتَشْفِعٌ بِكَ إِلَيْهِ، وأَسْأَلُ اللهَ البَرَّ الرَّحِيمَ بِكَ أَنْ يَغْفِرَ لِي ويُمِيتَنِي عَلَى سُنَّتِكَ ومَحَبَّتِكَ ويَحْشُرَنِي فِي زُمْرَتِكَ ويُورِدَنِي وأَحْبَابِي حَوْضَكَ غَيْرَ خزَايَا ولَا نَادِمِينَ، فَاشْفَعْ لِي يَا رَسُولَ رَبِّ العالمينَ وشَفِيعَ المذْنِبِينَ، فَهَا أَنَا ذَا فِي حَضْرَتِكَ وجِوَارِكَ ونَزِيلُ بَابِك وعَلَّقْتُ بِكَرَمِ رَبِّي الرَّجَاءَ، لَعَلَّهُ يَرْحَمُ عبْدَهُ وإِنْ أَسَاءَ، ويَعْفُو عَمَّا جَنَا ويَعْصِمُهُ ما بَقِيَ فِي الدُّنيَا

(1) سورة النساء:64.

(2) البيتان من البسِيط.

(3) المجموع شرح المهذب، النووي، 256/8، والإيضاح في المناسِك، النَّووِي، ص454.

(4) محمد بن إسماعيل بن أبي فديك المدني: صدوق مشهور يحتج به في الكتب الستة، حدث عن ابن أبي ذئب، والضحاك بن عثمان، وعنه سلمة بن شيب، وعبد بن حميد، ت:200هـ. ميزان الإعتدال، الذهبِي، 483/3.

(5) سورة الأحزاب: 56.

(6) الدرة الثمينة، ابن النجار، ص223، والمدخل، ابن الحاج، 261/1.

(7) سورة النساء: 64.

بِبَرَكَاتِكَ وشَفَاعَتِكَ يَا خَاتِمَ النَّبِيِّينَ وشَفِيعَ المذْنِبِينَ[1]. قَال صَاحِبُ "خُلَاصَةِ الْوَفَاءِ":

أَنْـتَ الشَّـــفِـيـعُ وَآمَـالِـي مُـعَـلَّـقَـةٌ ... وَقَدْ رَجَوْتُكَ يَا ذَا الْفَضْـــلِ تَشْـــفَعُ لِي

هَـذَا نَزِيلُـكَ أَضْـــحَى لَا مَلَاذَ لَـهُ ... إِلَّا جَنَـابُـكَ يَـا سُـــؤْلِي ويَـا أَمَلِي

ضَـــيْفٌ ضَـــعِيفٌ غَرِيبٌ قَدْ أَنَاخَ بِكُمْ ... وَمُسْـــتَجِيرٌ بِكُمْ يَـا سَـــادَةَ الْعَرَبِ

يَا مُكْرِمَ الضَّـــيْفِ يَا غَوْثَ الزَّمَانِ وَيَا ... غَوْثَ الْفَقِيرِ وَمَرْمَى الْقَصْـــدِ وَالطَّلَـبِ

هَـذَا مقَـامُ الـذِي ضَـــاقَـتْ مَـذَاهِبُـهُ ... وَأَنْتُمُ فِي الرَّجَـا مِنْ أَعْظَمِ السَّـــبَـبِ[2]

وذَكَر الأَصْمَعِي: أَنَّهُ وَقَفَ أَعْرَابِيٌّ مُقَابِلَ القَبْرِ الشَّرِيفِ، فقالَ: اللَّهُمَّ هذَا حَبِيبُكَ وأَنَا عَبْدُكَ والشَّيْطَانُ عَدُوُّكَ، فإِنْ غَفَرْتَ لِي سرَّ حَبِيبُك، وفَازَ عَبْدُكَ، وغَضِبَ عَدُوُّكَ، وإِنْ لم تَغْفِرْ لِي غَضِبَ حَبِيبُكَ، ورَضِيَ عَدُوُّكَ وهَلَكَ عَبْدُكَ، وأَنْتَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ تُغْضِبَ حَبِيبَكَ وتُرْضِي عدُوَّكَ وتُهْلِكَ عَبْدَكَ. اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَرَبَ الكِرَامَ إِذَا مَاتَ فِيهِمْ سَيِّدٌ أَعْتَقُوا عَلَى قَبْرِهِ، وهَذَا سَيِّدُ الْعَالمينَ والمرْسَلِينَ فَأَعْتِقْنِي عَلَى قَبْرِهِ. قالَ الأَصْمَعِي: فَقُلْتُ يَا أَخَا العَرَبِ: إِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ وأَعْتَقَكَ بِحُسْنِ هَذَا السُّؤَالِ[3].

ويَجْلِسُ الزَّائِرُ إِنْ شَقَّ عَلَيْهِ طُولُ الْقِيامِ فَيُكْثِرُ مِن الصَّلاةِ والتَّسْلِيمِ ويَتْلُو مَا تَيَسَّرَ ويَقْصِدُ الآيَ والسُّوَرَ الجَامِعَةَ لِصِفَاتِ الإِيمَانِ ومَعَانِي التَّوْحِيدِ[4].

وفِي "شَرْحِ المهَذَّبِ"[5] عن "آدَابِ زِيَارَةِ القُبُورِ" لِأَبِي مُوسَى الأَصْبَهَانِي[6] أَنَّ الزَّائِرَ بِالْخِيَارِ إِنْ شَاءَ قَائِمًا وإِنْ شَاءَ قَعَدَ كَمَا يَزُورُ [53و] أَخَاهُ فِي الْحَيَاةِ فَرُبَّمَا جَلَسَ ورُبَّمَا زَارَ قَائِمًا ومَارًّا. ا.هـ[7].

ويَدعُو بِمُهِمَّاتِهِ ولِوَالِدَيْهِ وإِخْوانِهِ المسْلِمِينَ. قالَ النَّوَوِي: ثُمَّ يَتَقَدَّمُ، أَيْ: بَعْدَ الدُّعَاءِ والتَّوَسُّلِ قُبَالَةَ الْوَجْهِ الشَّرِيفِ إِلَى رَأْسِ القَبْرِ فيَقِفُ بَيْنَ الْقَبْرِ والأُسْطُوَانَةِ التِي هُنَاكَ ويَسْتَقْبِلُ القِبْلَةَ، ويَحْمَدُ اللهَ تعالَى ويُمجِّدُهُ ويَدْعُو لِنَفسِهِ بِمَا أَهمَّهُ ومَا أَحَبَّهُ ولِوَالِدَيْهِ ولِمَنْ شَاءَ مِنْ أَقَارِبِهِ وأَشْيَاخِهِ وإِخْوَانِهِ وسَائِرِ المسْلِمِينَ[8].

وفِي كُتُب الحَنَفِيَّة وغَيْرِهِم نَحْوُ هَذَا، وفِي كُتُب بَعْضِ المالِكِيَّةِ سَرْدُ الدُّعاءِ والسَّلَام والزِّيَارَة مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ العودِ. وقَالَ العِزُّ بنُ جَمَاعَة: إِنَّ ما ذَكَرُوهُ مِنَ العودِ إِلَى قُبَالَةِ الوَجْهِ الشَّرِيفِ ومِنَ التَّقَدُّمِ إِلَى

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 122.

(2) الأبيات من البسِيط، خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 123.

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 123.

(4) (م، س)، ص 123.

(5) المهذب في الفروع، وقال حاجي خليفة: المهذب المخلص من العيوب، لأبِي إسحاق الشيرازِي الشافعِي، ت:476هـ، وشرحه للنووِي. كشف الظنون، حاجي خليفة، 1912/2.

(6) أبو موسى الأصبهانِي: محمد بن عمر بن أحمد المدِينِي، الحافِظ، الثِّقَة، ت: 581هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 152/21.

(7) المجموع شرح المهذَّب، النَّوَوِي، 311/5.

(8) المجموع شرح المهذَّب، النَّوَوِي، 275/8.

رَأْسِ القَبْرِ المقَدَّسِ لِلدُّعَاء عَقِبَ الزِّيَارَةِ لم يُنْقَلْ عَنْ فِعْلِ الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ[1].

قَالَ صَاحِبُ "خُلَاصَةِ الْوَفَاءِ" غَرَضُ مَنْ رَتَّبَ ذلِكَ هَكَذَا تَأْخِيرُ الدُّعَاءِ عِنْدَ الْوَجْهِ الشَّرِيفِ عَنِ السَّلَامِ عَلَى الشَّيْخيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، والْجَمْعُ بَيْنَ مَوْقِفَيْ السَّلَفِ قَبْلَ إِدْخَالِ الحُجْرَةِ وبَعْدَهُ مَعَ الدُّعَاءِ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ فِي الثَّانِي وهُوَ حَسَنٌ[2].

ومِنْ آدابِ الزِّيَارَةِ: أَنْ يَقِفَ عِنْدَ المنبَرِ الشَّرِيفِ ويَدْعُو اللهَ تعَالَى ويَحْمَدهُ علَى مَا يَسَّرَ لَهُ ويَسْأَلهُ مِنَ الخَيْرِ أَجْمَعَ ويَسْتَعِيذ بِهِ مِنَ الشَّرِّ أَجْمَع. وعَنْ يَزِيد بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ قُسَيْطٍ[3]: رَأَيْتُ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذا خَلَا المسْجِدُ يَأْخُذُونَ بِرُمَّانَةِ المنْبَرِ العُلْيَا التِي كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُمْسِكُها بِيَدِهِ، ثُمَّ يَسْتَقْبِلُونَ القِبْلَةَ ويَدْعُونَ ويُصَلُّونَ عِنْدَ أُسْطُوَانِ المهَاجِرِينَ وغَيْرِهَا مِنَ الأُسْطُوَاناتِ ذَوَاتِ الْفَضْلِ، ويُكْثِر مِنَ الصَّلاةِ والدُّعاءِ بِالرَّوْضَةِ الشَّرِيفَةِ[4].

ومِنْهَا: أَنْ يَجْتَنِبَ لمسَ جِدَارِ القَبْرِ وتَقْبِيلَهُ والطَّوَافَ بِهِ. قَالَ النَّوَوِيّ: لَا يَجُوزُ أَنْ يُطافَ بِهِ ويُكْرَهُ إِلْصَاقُ الظَّهْرِ والبَطْنِ بِهِ، قَالَهُ الْحَلِيمِي[5] وغَيْرُهُ. قَالَ: ويُكْرَهُ مَسْحُهُ بِاليَدِ وتَقْبِيلُهُ، بَل الأَدَبُ أَنْ يَبْعُدَ مِنْهُ، كَمَا يَبْعُدُ مِنْهُ لَوْ حَضَرَ في حَيَاتِهِ. هذَا هُوَ الصَّوَابُ وهُوَ الذِي قَالَهُ العُلَمَاءُ وأَطْبَقُوا عَلَيْهِ، ومَنْ خَطَرَ بِبَالِهِ أَنَّ المسْحَ بالْيَدِ ونَحْوِها أَبْلَغُ في الْبَرَكَةِ فَمِنْ جَهْلِهِ وغَفْلَتِهِ؛ لِأَنَّ البَرَكَةَ فِيمَا وَافَقَ الشَّرْعَ وأَقْوَالَ الْعُلَمَاءِ[6].

وَفِي "الإِحْيَاءِ": مَسُّ الشَّاهِدِ[7] وتَقْبِيلُهَا عَادَةُ النَّصَارَى واليَهُود.ا.هـ[8]. وعَن الزَّعْفَرَانِي[9] أَنَّ

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 123-124.

(2) (م، س)، ص 124.

(3) يَزِيْدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ قُسَيْطٍ اللَّيْثِيّ المدَنِيّ: الإِمَامُ، الفَقِيْهُ، الأَعْرَجُ، روَى عَنْ: أَبِي هُرَيْرَةَ، وَابْنِ عُمَرَ، وَعُبَيْدِ بنِ جُرَيْجٍ، وَسَعِيْدِ بنِ المسَيِّبِ، وَعُرْوَة بنِ الزُّبَيرِ، وروَى عَنْهُ: أَبُو صَخْرٍ حُمَيْدُ بنُ زِيَادٍ، وَابْنُ إِسْحَاقَ، وَمَالِك، وَابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، وَاللَّيْثُ بنُ سَعْدٍ، وَآخَرُوْنَ. وَرَوَى مَالِكٌ عَنْهُ قَلِيْلاً، مَاتَ: سَنَةَ 122هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 266/5.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 124.

(5) الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم، البخاري، الشافعي (أبو عبد الله) فقيه، محدث، متكلم، أديب، ولد ببخارى، ونشأ بها، وولي القضاء، ت:403هـ، من تصانيفه: منهاج الدين في شعب الإيمان، آيات الساعة وأحوال القيامة. سير أعلام النبلاء، الذَّهَبِي، 231/17، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 607/01.

(6) المجموع شرح المهذب، النووِي، 257/8، ومتن الإيضاح، النووِي، ص456. ومنه نقل قول الحليمي.

(7) خطأ، صوابُهُ المشاهِد.

(8) إحياء علوم الدين، الغزالِي، 320/1.

(9) محمد بن مرزوق بن عبد الرزاق بن محمد البغدادي، الزعفراني، الجلاب، الشافعي (أبو الحسن) فقيه، محدث، كان تاجرا جوالا، فرحل إلى أصبهان والشام ومصر والبصرة، وسمع الكثير، توفي ببغداد سنة 517هـ، من آثاره: تحرير أحكام الصيام، الضحايا، ومناسك الحج. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 471/19، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 711/3.

ذَلِكَ مِنَ الْبِدَعِ التِي تُنْكَرُ شَرْعًا[1].

وعَنْ أَنَس بنِ مَالِك: أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا وَضَعَ يَدَهُ عَلَى قَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ فَنَهَاهُ، فقَالَ: مَا كُنَّا نعْرِفُ هذَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ[2].

وقَالَ السَّرُوجِي[3] مِنَ الْحَنَفِيَّةِ: لَا يُلْصِقُ بَطْنَهُ بِالجِدَارِ، ولَا يَمسُّهُ بِيَدِهِ[4].

ومِنْ كِتَابِ أَحْمَد [53ظ] بنِ سَعِيدٍ الْهِنْدِي[5] كَمَا فِي "الشِّفَاءِ": إِنَّهُ لَا يلْصقُ بِالقَبْرِ ولَا يَمُسُّه ولَا يَقِفُ عِنْدَهُ طَوِيلًا[6].

وفِي "المغْنِي" للْحَنَابِلَة: ولَا يُسْتَحَبُّ التَّمَسُّحُ بِحَائِطِ قَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ ولَا يُقَبِّلُهُ[7].

وقالَ أَبُو بَكْر الْأَثْرَم[8]: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ، يَعْنِي ابْنَ حَنْبَل: قَبْرُ النَّبِيءِ ﷺ يُلْمَسُ ويُتَمَسَّحُ بِهِ؟ قَالَ: مَا أَعْرِفُ هَذَا، قُلْتُ لَهُ: فَالمنْبَرُ؟ أَيْ: قَبْلَ احْتِرَاقِهِ، قَالَ: أَمَّا المنْبَرُ فَنَعَمْ، قدْ جَاءَ فِيهِ شَيْءٌ يَرْوُونَهُ عَن ابْنِ أَبِي فُدَيْك عَنْ أَبِي ذِيبٍ عَن ابْنِ عُمَر أَنَّهُ مَسَحَ المنْبَرَ، ويَرْوُونَهُ عَنْ سَعِيد بنِ المسَيِّبِ فِي الرُّمَّانَةِ. ويُرْوَى عَنْ يَحْيَى بنِ سَعِيدٍ شَيْخِ مَالِكٍ أَنَّهُ حِينَ أَرَادَ الْخُرُوجَ إِلَى الْعِرَاقِ جَاءَ إِلَى المنْبَرِ فَمَسَحَهُ ودَعَا فَرَأَيْتُهُ اسْتَحْسَنَ ذَلِكَ. قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ إِنَّهُمْ يُلْصِقُونَ بُطُونَهُمْ بِجِدَارِ الْقَبْرِ، وقُلْتُ لَهُ: رَأَيْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ المدِينَةِ لَا يَمُسُّونَهُ ويَقُومُونَ نَاحِيَتَهُ ويُسَلِّمُونَ، فقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: نَعَمْ وهَكَذَا كَانَ ابْنُ عُمَر يَفْعَلُ ذَلِكَ، نَقَلَهُ ابنُ عَبْدِ الْهَادِي عَنْ تَأْلِيفِ شَيْخِهِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ[9].

وذَكَرَ ابنُ عَساكِر فِي "تُحْفَتِهِ"[10] عن ابْن عُمر أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُكْثَرَ مَسُّ قَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ[11]. فَفِيهِ إِجَازَةُ المسِّ وتَقْيِيدُهَا بِتَرْكِ الْإِكْثَارِ. وفِي كِتَابِ "الْعِلَلِ والسُّؤَالَات" لِعَبْدِ اللهِ بنِ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَل:

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 124.

(2) (م، س)، ص 124.

(3) أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني السَّروجي الحنفي، (شمس الدين، أبو العباس) قاضي قضاة الديار المصرية، توفي بالقاهرة سنة 710هـ، من تصانيفه: اعتراضات على ابن تيمية في علم الكلام، شرح على الهداية وسماه الغاية. الجواهر المضية في طبقات الحنفية، محي الدين الحنفِي، 123/1، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 89/1.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 126.

(5) أحمد بن سعيد بن إبراهيم الهمذاني، المعروف بابن الهندي (أبو عمر) فقيه، حافظ لأخبار أهل الأندلس، ت:399هـ، من مؤلفاته: كتاب في علم الشروط. الديباج، ابن فرحون، 172/1، معجم المؤلفين، رضا كحالة، 144/1.

(6) الشفا، القاضِي عياض، ص448.

(7) المغنِي، ابن قدامة المقدِسِي، 468/5.

(8) أحمد بن محمد بن هانئ الإسكافي الطائي الأثرم، محدث وفقيه، صاحب أحمد بن حنبل، ت:261هـ. من آثاره: السنن في الفقه على مذهب أحمد وشواهده من الحديث التأريخ، العلل، والناسخ والمنسوخ في الحديث. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 623/12، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 302/1.

(9) الصارم المنكِي، ابن عبدالهادِي، ص145، وتأليف ابن تيمية المقصود هنا: إقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم.

(10) عنوان الكتاب كاملا: إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر في زيارة النبي ﷺ، لـ: أبو اليمن بن عساكر عبد الصمد بن عبد الوهاب بن أبي الحسن الدمشقي نزيل مكة، ت:686هـ.

(11) إتحاف الزَّائِر، أبو اليمن ابن عساكر، ص62.

سَأَلْتُ أَبِي عَن الرَّجُلِ يَمسُّ قَبْرَ النَّبِيءِ ﷺ يَتَبَرَّكُ بِمَسِّهِ وتَقْبِيلِهِ، ويَفْعَلُ ذَلِكَ بالمنْبَرِ رَجَاءَ ثَوَابِ اللهِ تَعَالَى، قَالَ: لَا بَأْسَ بِذَلِكَ[1].

قَالَ العِزُّ بنُ جَمَاعَة: وهَذَا يُبْطِلُ ما نُقِلَ عَنِ النَّوَوِي مِنَ الإِجْمَاعِ[2].

قَالَ السُّبْكِي: عَدَمُ التَّمَسُّحِ بِالقَبْرِ لَيْسَ مِمَّا قَامَ الإِجْمَاعُ عَلَيْهِ[3].

واسْتَنَدَ في ذَلِكَ لما روَاهُ يَحْيَى بنُ الْحَسَنِ[4] عنْ مُحَمَّد بنِ خَالِد[5] عَنْ أَبِي نبَاتَةَ عَنْ كَثِير بنِ زَيْدٍ عَن المطَّلِبِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ حَنْطَب قَالَ: أَقْبَلَ مَرْوَانُ بنُ الحَكَم فَإِذَا رَجُلٌ مُلْتَزِمٌ الْقَبْرَ، فأَخَذَ مرْوَانُ بِرَقَبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا تَصْنَعُ؟ فأَقْبَلَ عَلَيْهِ فقَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لم آتِ الحَجَرَ ولَمْ آتِ اللَّبِنَ إِنَّمَا جِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ. أَيْ: لم آتِ المحَرَّمَ ولَمْ أَبْعُدْ عَنِ الجمَاعَةِ والْجُمُعَةِ بِالذَّهَابِ إِلَى لَبِنِ الصَّحْرَاءِ، أَو حَجَرِ البِنَاءِ ولَبِنَاتِهِ. والرَّجلُ أَبُو أَيُّوب الأَنْصَارِي[6].

قالَ السُّبكِيّ: وعُمَرُ بنُ أَحْمَد لم أَعْرِفْهُ، وابنُ نُبَاتَةَ ومَنْ فَوْقَهُ ثِقَاتٌ، فَإِنْ صَحَّ هَذَا الإِسْنَادُ لم يُكْرَهْ مَسُّ جِدَارِ الْقَبْرِ[7].

قَالَ صَاحِبُ "خُلَاصَةِ الْوَفَاءِ": رَوَاهُ أَحْمَد بِسَنَدٍ حَسَنٍ، ولَفْظُهُ: أَقْبَلَ مَرْوانُ يَوْمًا فَوَجَدَ رَجُلًا وَاضِعًا وَجْهَهُ عَلَى الْقَبرِ، فَأَخَذَ مَرْوانُ بِرَقَبَتِهِ ثُمَّ قالَ: هَلْ تَدْرِي مَا تَصْنَعُ؟ فأَقْبَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لم آتِ الحَجَرَ، إِنَّمَا أَتَيْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ، ولَمْ آتِ الحَجَرَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ [54و] يقول: ((**لَا تَبْكُوا عَلَى الدِّينِ إِذَا وَلِيَهُ أَهْلُهُ، وَلَكِن ابْكُوا عَلَى الدِّينِ إِذَا وَلِيَهُ غَيْرُ أَهْلِهِ**))[8]. وَمَرَّتْ قِصَّةُ بِلال أَنَّهُ أَتَى الْقَبْرَ فَجَعَلَ يَبْكِي ويُمرِّغُ وَجْهَهُ عَلَيْهِ.

وذَكَرَ الْخَطِيبُ بنُ جمْلَة[9] أَنَّ بِلَالًا ﷺ وَضَعَ خَدَّيْهِ علَى الْقَبْرِ الشَّرِيفِ، وأَنَّ ابْنَ عُمَر كانَ يَضَعُ يَدَهُ اليُمْنَى عَلَيْهِ، قالَ: ولَا شَكَّ أَنَّ الاسْتِغْرَاقَ فِي المحَبَّةِ يَحْمِلُ عَلَى الإِذْنِ فِي ذَلِكَ، والقَصْدُ بِهِ التَّعْظِيمُ، والنَّاسُ تَخْتَلِفُ مرَاتِبُهُم كمَا فِي الْحَيَاةِ، فمِنهُمْ مَنْ لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ بلْ يُبَادِرُ إِلَيْهِ، ومِنْهُمْ مَنْ فِيهِ

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 126، العلل ومعرفة الرجال، أحمد بن حنبل، 492/2.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص126.

(3) (م، س)، ص126، شفاء السقام، السبكي، ص342.

(4) يحيَ بن الحسَنِ بن جعفر بن عبيد الله، سبق تعريفه.

(5) في خلاصة الوفا: عمر بن خالد.

(6) لم أجد هذه الرواية، أو أن فيها تداخلا مع كلام المؤلف.

(7) شفاء السَّقام، السُّبكِي، ص343.

(8) مسند أحمد، حدِيث (23585).

(9) فِي خلاصة الوفا: بن حملة.

محمود بن محمد بن إبراهيم بن جملة بن مسلم المحجي الدمشقي، فقيه، أفتى وتولى الخطابة بالجامع الأموي بدمشق، ت:764هـ، له كتب كثيرة، منها: الوقاية الموضحة لشرف المصطفى. طبقات الشافعية الكبرى، السبكِي، 385/10، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 827/3.

أَنَاةٌ فَيَتَأَخَّرُ[1].

ونقلَ عَن ابْنِ أَبِي الصَّيْفِ[2] والمحِبّ الطَّبَرِي[3] جَوَازُ تَقْبِيلِ قبُورِ الصَّالِحِينَ[4].

وعَنْ إِسْمَاعِيلَ التَّيْمِي[5] كَانَ ابْنُ المنكدر[6] يُصِيبُ[لهُ] الصَّماةُ[7] فكَانَ يَقُومُ فَيَضَعُ خَدَّهُ علَى قَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ فعُوتِبَ علَى ذَلِكَ، فقَالَ: إِنَّهُ يَسْتَشْفِي بِقَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ[8].

ومِنْها: اجْتِنَابُ الِانْحِنَاءِ لِلْقَبْرِ عِنْدَ التَّسْلِيمِ، فَهُوَ مِنَ البِدَعِ، ويَظُنُّ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ أَنَّهُ مِنْ شِعَارِ التَّعْظيمِ، وأَقْبَحُ مِنْهُ تَقْبِيلُ الأَرْضِ لِلْقَبْرِ. قَالَ العِزُّ بنُ جَمَاعَةَ: ولَيْسَ عَجَبِي مِمَّنْ جَهِلَهُ وارْتَكَبَهُ، بَلْ مِمَّنْ أَفْتَى بِتَحْسِينِهِ مَعَ عِلْمِهِ بِتَقْبِيحِهِ[9].

قالَ فِي "الْخُلَاصَة": شَاهَدْتُ بَعْضَ القُضَاةِ فَعَلَهُ، وزَادَ السُّجُودَ بِجَبْهَتِهِ بِحَضْرَةِ الْعَوَامِ فتَبِعُوهُ، ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ[10].

ومِنْهَا: أَنْ لَا يَسْتَدْبِرَ الْقَبْرَ المقَدَّسَ فِي صَلَاتِهِ ولَا فِي غَيْرِهَا، ولَا يُصَلِّي إِلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ: وإِذَا أَرَدْتَ صَلَاةً فلَا تَجْعَلْ حُجْرَتَهُ ﷺ وراءَ ظَهْرِكَ، ولَا بَيْنَ يَدَيْكَ، قَالَ: والأَدَبُ مَعَهُ ﷺ بَعْدَ وَفَاتِهِ مِثْلُهُ فِي حَيَاتِهِ، فَمَا كُنْتَ صَانِعَهُ فِي حَيَاتِهِ فَاصْنَعْهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ؛ مِن احْتِرَامِهِ والإِطْرَاقِ بَيْنَ يَدَيْهِ وتَرْكِ الخِصَامِ، وتَرْكِ الخَوْضِ فِيمَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يَخُوضَ فِيهِ فِي مَجْلِسِهِ، فإِنْ أَبَيْتَ فَانْصِرَافُكَ خَيْرٌ مِنْ بَقَائِكَ[11].

قالَ الأَذْرَعِيّ[12]: يَجِبُ الْجَزْمُ بتَحْرِيمِ الصَّلَاةِ إِلَى قُبُورِ الأَنْبِيَاءِ والأَوْلِيَاءِ تَبَرُّكًا أَوْ إِعْظَامًا. وفِي

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص127.

(2) محمد بن إسماعيل بن أبي الصيف: أبو عبد الله محدث، من أهل زبيد سكن مكة، وتوفي بها سنة 609هـ. من آثاره: الميمون في فضائل أهل اليمن. طبقات الشافعية الكبرى، السبكِي، 46/8، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 133/3.

(3) سبق تعرِيفُهُ.

(4) فتح البارِي، ابن حجر، 475/3.

(5) إسماعيل بن يعقوب التيمي، ذكره ابن حبان في الثقات، 93/8.

(6) في الأصل: مكندر. مُحَمَّدُ بنُ المنْكَدِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ القُرَشِيُّ التَّيْمِيّ، الإِمَامُ، الحَافِظُ، وَحَدَّثَ عَنِ: سَلْمَانَ، وَأَبِي رَافِعٍ، وَأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ، وَأَبِي قَتَادَةَ، وَطَائِفَةٍ مُرْسَلاً. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 353/5.

(7) هكذا ضبطه المؤلّف، وفي لسان العرب: صُمات وهو السكوت. لسان العرب (صمت).

(8) سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 258/2.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص128.

(10) (م، س)، ص128.

(11) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 128، والنَّصُّ من كتاب مناسك الحجّ للعزّ بن عبد السَّلام.

(12) الأذرَعِي: نسبة إلى أذرعات الشام، إسحاق بن إبراهيم بن هاشِم، المحدِّث، شيخ دمشق، ارتحل وسمع بمصر وحمص، ت: 344هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 478/15.

"التَّتِمَّةِ"[1]: إنَّ الصَّلاةَ إِلَى قَبْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَرَامٌ. قَالَ الأَذْرَعِيّ: ويَنْبَغِي أَنْ لَا يَخْتَصَّ هَذَا بِقَبْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَلْ هُوَ كَمَا ذَكَرْنَا[2].

وعَجِيبٌ مِن قَوْلِ النَّوَوِي فِي "التَّحقيقِ" تَحرُمُ الصَّلاةُ مُتَوَجِّهًا إِلَى رَأْسِ قَبْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ويُكْرَهُ إِلَى غَيْرِهِ. ا.هـ[3]

ويَجْتَنِبُ مَا يَفْعَلُهُ الْجَهَلَةُ مِنَ التَّقَرُّبِ بِأَكْلِ التَّمْرِ الصَّيْحَانِي بِالمسْجِدِ وإِلْقَاءِ النَّوَى بِهِ[4].

ومِنْهَا: أَنْ لَا يَمُرَّ بِالْقَبْرِ الشَّرِيفِ ولَوْ مِنْ وَرَاءِ المسْجِدِ إِلاَّ يَقِفُ ويُسَلِّمُ. حَدَّثَ أَبُو حَازِمٍ[5] أَنَّ [54ظ] رَجُلًا أَتَاهُ فَحَدَّثَهُ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيءَ ﷺ يقُولُ: قُلْ لِأَبِي حَازِمٍ أَنْتَ المارُّ بِي مُعْرِضًا، لَا تَقِفُ تُسَلِّم عَلَيَّ. فلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ أَبُو حَازِمٍ مُنذُ بَلَغَتْهُ الرُّؤْيَا[6].

قَالَ ابنُ رُشْدٍ فِي "جَامِعِ الْبَيَانِ"[7]: وسُئِلَ، يَعْنِي مَالِكًا، عَنِ المارِّ بِقَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ: أَتَرَى أَنْ يُسَلِّمَ كُلَّما مَرَّ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَرَى ذَلِكَ عَلَيْهِ كُلَّمَا مَرَّ، وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ، فَأَمَّا إِذَا لم يَمُرَّ بِهِ فَلَا أَرَى ذَلِكَ، وذَكَرَ حَدِيثَ: ((**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا**))[8] فإِذَا لم يَمُرَّ بِهِ فَهُوَ فِي سَعَةٍ مِنْ ذَلِكَ. وَسُئِلَ عَن الْغَرِيبِ يَأْتِي قَبْرَ النَّبِيءِ ﷺ كُلَّ يَوْمٍ فَقَالَ: مَا هَذَا مِنَ الأَمْرِ، ولَكِنْ إِذَا أَرادَ الخُرُوجَ. قَالَ ابنُ رُشْدٍ: مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَلْزَمُهُ أَنْ يُسَلِّمَ مَتَى مَا مَرَّ، ولَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يَمُرَّ فَيُسَلِّمَ إِلَّا لِلْوَدَاعِ عِنْدَ الْخُرُوجِ. ويُكْرَهُ أَنْ يُكْثِرَ المرُورَ بِهِ وَالسَّلَامَ عَلَيْهِ والإِتْيَانَ كَلَّ يَوْمٍ[9].

وقَالَ مالِكٌ فِي "المبْسُوطِ"[10]: لَيْسَ يَلْزَمُ مَنْ دَخَل المسْجِدَ وخَرَجَ مِنْهُ مِنْ أَهْلِ المدِينَةِ الوُقُوفُ بالْقَبْرِ، وإِنَّما ذَلِكَ لِلْغُرَبَاءِ، وقَالَ فِيهِ: لَا بَأْسَ لمنْ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ أَوْ خرَجَ إِلَى سَفَرٍ أَنْ يَقِفَ إِلَى قَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ فَيُصَلِّي عَلَيْهِ ويَدْعُو لَهُ ولِأَبِي بَكْرٍ وعُمَرٍ. فقِيلَ لَهُ: إِنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ المدِينَةِ لَا يَقْدمُونَ مِنْ سَفَرٍ ولَا يُرِيدُونَهُ، ويَفْعَلُونَ ذَلِكَ فِي الْيَوْمِ مرَّةً أَوْ أَكْثَرَ أَوْ فِي الجُمُعَةِ أَو الأَيَّامِ، فقَالَ: لم يبْلُغْنِي هَذَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الفِقْهِ ببَلَدِنَا وتَرْكُهُ واسِعٌ، ولَا يُصْلِحُ هَذِهِ الأُمَّةَ إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلَهَا، ولَمْ يبْلُغْنِي عنْ

---

(1) الكتاب: تتمة الإبانة عن أحكام فروع الديانة، عبد الرحمن بن محمد المتولّي الشَّافِعِي ت:478 هـ.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 128.

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص128، لم أقف عليهِ في المطبوع من التحقيق للنووِي.

(4) إرشاد السالك، ابن فرحون، 576/2.

(5) أبو حازِم: سلمة بن دينار المديني المخزومِي، شيخ المدينة، روَى عن سهل بن سعد وسعيد بن المسيب وغيرهما، وممن روى عنه ابن شهاب، ومالك. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 96/6.

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص128 والأثر في: المنامات، ابن أبِي الدُّنيا، حدِيث (323).

(7) في وفاء الوفا: الجامع من البيان لابن رشد شرح العتبية. 111/5.

(8) الحدِيث فِي مسند أحمد رقم (7358).

(9) البيان والتحصِيل، ابن رشد، 444/18، شفاء السَّقام، السُّبكِي، ص215.

(10) المبسوط للقاضِي إسماعيل بن إسحاق الأزدِي المالكِي ت:282هـ، صاحب كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ.

أَوَّلِ هَذِهِ الأُمَّةِ وصَدْرِهَا أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ، ويُكْرَهُ إِلَّا لمنْ جاءَ مِنْ سَفَرٍ أَوْ أَرَادَهُ[1].

قالَ البَاجِي: ففَرَّقَ بَيْنَ أَهْلِ المدِينَةِ والغُرَبَاءِ لِأَنَّ الغُرَبَاءَ قَصَدُوا لِذَلِكَ وأَهْلُ المدِينَةِ مقِيمُونَ بِهَا، لم يَقْصِدُوهَا مِنْ أَجْلِ الْقَبْرِ والتَّسْلِيمِ[2].

قالَ السُّبْكِي: والمتَلَخَّصُ مِنْ مَذهَبِ مَالِكٍ أَنَّ الزِّيَارَةَ قُرْبَةٌ، ولَكِنَّهُ علَى عَادَتِهِ فِي سَدِّ الذَّرَائِعِ يَكْرَهُ مِنْهَا الإِكْثَارَ الذِي يُفْضِي إِلَى مَحْذُورٍ. والمذَاهِبُ الثَّلَاثَةُ يقُولُونَ بِاسْتِحْبَابِهَا واسْتِحْبَابِ الإِكْثَارِ مِنْهَا؛ لِأَنَّ الإِكْثَارَ مِنَ الْخَيْرِ خَيْرٌ[3]. وهَذَا مَذْهَبُنَا للْغَرِيبِ وغَيْرِهِ مَعْشَرَ الإِبَاضِيَّةِ.

قَالَ النَّوَوِيّ مِنَ الشَّافِعِيَّة: يُسْتَحَبُّ الإِكْثَارُ مِنَ الزِّيَارَةِ وأَنْ يُكثرَ الوُقُوف عِنْدَ قبُورِ أَهْلِ الخَيْرِ والفَضْلِ[4].

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّد بنِ عَقِيل شَارِحُ "أَلْفِيَّةِ بنِ مَالِك": كُنْتُ أَخْرُجُ كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ حتَّى آتِيَ المسْجِدَ، فَأَبْدَأُ بِالنَّبِيءِ ﷺ فأُسَلِّمُ عَلَيْهِ[5].

ولابْنِ زَبَالَةَ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بنِ مُحَمَّد[6]: رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ المدِينَةِ، يُقالُ لَهُ مُحَمَّد بنُ كَيْسَانَ، يَأْتِي إِذَا صَلَّى العَصْرَ مِنْ يَوْمِ الجُمُعةِ، ونَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ رَبِيعَةَ، فيَقُومُ عِندَ الْقَبْرِ فَيُسلِّمُ ويَدْعُو حَتَّى يُمْسِي [55و] فَيَقُولُ جلَسَاءُ رَبِيعَةَ: انْظُرُوا إِلَى مَا يَصْنَعُ هذَا فَيَقُولُ: دَعُوهُ فَإِنَّمَا لِلْمَرْءِ مَا نوَاهُ[7].

قالَ الشَّافِعِي: قالَ ابْنُ عَجْلان[8] لبَعْضِ الأُمَرَاءِ: إِنَّكَ تُطِيلُ ثِيَابَكَ، وتُطِيلُ الخُطْبَةَ، وتُكْثِرُ المجِيءَ إِلَى قَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ، فقَالَ: أَمَّا ثِيَابِي فَإِنِّي أُكْسَاهَا، وأَمَّا الخُطْبَةُ فَإِنِّي أَتَعلَّمُها، وأَمَّا كَثْرَةُ المجِيءِ إِلَى قَبْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فلَوْ كَانَ فِيهِ العَجلَانُ مَا أَتَيْتُهُ[9].

ولَعَلَّهُ أَرَادَ بالعَجْلَانِ أَبَا ذَلِكَ الرَّجُلِ، أَوْ كَانَ الأَمِيرُ رَافِضِيّا، فيَكُونُ اللَّفْظُ تَثْنِيَةً، ولَا أَدْرِي ما المرَادُ، غَيْرَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وعُمَر رَضِيَ اللهُ عنْهُمَا لَا أَفْضَل فِي الصَّحَابَةِ ولَا فِي صَحَابَةِ الأَنْبِيَاءِ مِنْهُما، وإِنَّمَا سَمَّاهُما بِاسْمِ الْعجل بَعْضُ الرَّوَافِضِ لَعَنَهُم اللهُ.

---

(1) الشفا، القاضِي عياض، ص448.

(2) الشفا، القاضِي عياض، ص448.

(3) شفاء السَّقام، السُّبكِي، ص216.

(4) الأذكار النوويَّة، النَّوَوِي، ص226.

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص130.

(6) عبد العزيز بن محمد بن عبيد الدَّرَاوَرْدِي (دراورد قرية بخراسان) العالم المحدّث نزل المدينة، ت: 187هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 366/8.

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 130، وينظر: اقتضاء الصِّراط المستقِيم، ابن تيميّة، 731/2.

(8) محمد بن عجلان القرشي المدنِي: ولد في خلافة عبد الملك بن مروان، حدث عن أبيه وغيره، حدث عنه شعبة وسفيان وغيرهما، وكان فقيها عابدا، ت: 148هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 317/6.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 130.

ومِنْهَا: الإِكْثَارُ مِنَ الصَّلاة والسَّلَامِ واغْتِنَامُ مَا أَمْكَنَ مِنَ الصِّيَامِ والحِرْصُ علَى الصَّلَواتِ الخَمْسِ بالمسْجِدِ النَّبَوِيّ فِي الْجَمَاعَةِ، والإِكْثَارُ مِنَ النَّفْلِ فِيهِ مَعَ تَحَرّي المسْجِدِ الأَوَّلِ والأَمَاكِنِ الفَاضِلَةِ مِنْهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الصَّفُّ الأَوَّلُ خَارِجَهُ، ولْيَغْتَنِمْ مُلازَمَةَ المسْجِدِ إِلَّا لمصْلَحَةٍ رَاجِحَةٍ، وكُلَّما دَخَلَهُ جَدَّدَ نِيَّةَ الاِعْتِكَافِ، ولْيَحْرِصْ عَلَى المبِيتِ فِيهِ، ولَوْ لَيْلَةً يُحْيِيهَا، وعَلَى خَتْمِ القُرْآنِ العَظِيمِ بِهِ[1].

وأَخْرَجَ سَعِيدُ بنُ مَنْصُور[2] عَنْ أَبِي مخلد[3] أَنَّهُ قَالَ: كَانُوا يُحبُّونَ لمنْ أَتَى المسَاجِدَ الثَّلَاثَةَ أَنْ يَخْتِمَ فيهَا الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ[4]. قَالَ المجْدُ: ويُدِيم النَّظَرَ إِلَى الحُجْرَةِ الشَّرِيفَةِ فَإِنَّهُ عِبَادَةٌ قِيَاسًا عَلَى الْكَعْبَةِ، فَإِذَا كَانَ خَارِجَ المسْجِدِ الحَرَامِ وأَدَامَ النَّظَرَ إِلَى قُبَّتِهَا مَعَ المهَابَةِ والْحُضُورِ[5]. وَأَرَادَ بِالمسْجِدِ الحَرَامِ المسْجِدَ النَّبَوِيّ.

ومِنْهَا: أَنْ يَخْرُجَ اسْتِحْبَابًا كُلَّ يَوْمٍ إِلَى البَقِيعِ بَعْدَ السَّلامِ عَلَى النَّبِيءِ ﷺ خصُوصًا يَوْمَ الجُمُعَةِ، قَالَهُ النَّوَوِي. فَيَقُولُ إِذَا انْتَهَى إِلَيْهِ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وإِنَّا إِنْ شاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، يَرْحَمُ اللهُ المسْتَقْدِمِينَ منْكُمْ والمسْتَأْخِرِينَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ ولَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُمْ، واغْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ، ثُمَّ يَزُورُ الْقُبُورَ الظَّاهِرَةَ[6].

قالَ فَضْلُ اللهِ بنُ الغوري[7] مِنَ الحَنَفِيَّة: إِذَا أَرَادَ زِيَارَةَ البَقِيعِ يَخْرُجُ مِنْ بَابِ البَلَدِ، ويَأْتِي قُبَّةَ العَبَّاس بنِ عَبْدِ المطَّلِبِ، ويَخْتِمُ بِصَفِيَّةَ بِنْتِ عَبْدِ المطَّلِبِ[8].

وذَلِكَ أَنَّ مَشْهَدَ العَبَّاسِ أَوَّلُ مَا يلْقَى الخَارِجُ مَنَ البَلَدِ علَى يَمِينِهِ، فمُجَاوَرَتُهُ مِنْ غَيْرِ سَلَامٍ جَفْوَةٌ، فإِذَا سَلَّمَ عَلَيْهِ سَلَّم عَلَى مَنْ يَلِيهِ أَوَّلًا فَأَوَّلًا فِي أُمُورِهِ فيَخْتِمُ بِصَفِيَّةَ فِي رُجوعِهِ[9].

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص 130.

(2) سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني، المروزي، الطالقاني، البلخِي، محدث، وحافظ، ومفسر، ولد بجوزجان، ونشأ ببلخ، وطاف البلاد، وسكن مكة، وتوفي بها سنة 227هـ، من تصانيفه: السنن، وتفسير القرآن الكريم. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 586/10، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 770/1.

(3) أبو مخلد: في إعلام الساجد: أبو مجلَز وفي خلاصة الوفا: أبو محلد.

اسم أبي مجلز لاحق بن حميد السدوسِي البصرِي، مات قبل الحسن بقلِيل، ومات الحسن سنة عشرة ومئة، سمع ابن عمَر، وابن عبَّاس وأنس بن مالِك، روَى عنهُ قتادةُ وسليمان التَّيْمِي. التاريخ الكبِير، البخارِي، 258/8.

(4) إعلام الساجد، الزركشِي، ص288، لم أجده في المطبوع من سنن أبِي منصور.

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص130.

(6) المجموع شرح المهذَّب، 258/8، وفِيهِ: الطَّاهرة.

(7) فضل الله بن النصير بن الغورِي: لم أقف على ترجمة له، له كتاب في الوعظ مخطوط، فهرس مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز، رقم: 21469، ومخطوط آخر عنوانه: التحف المكية والأخبار المدنية المذيلة بالآثار المحكية، في مركز الملك فيصل، رقم: 1504-1-ف.

(8) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص131.

(9) (م، س)، ص131.

[55ظ] وقَدْ صَرَّحَ النَّوَوِي أنْ يَخْتِمَ بِهَا[1].

وقالَ ابْنُ فَرِحُونَ[2] مِنْ قَوْمِنَا: الأَوْلَى بِالتَّقدِيمِ سَيِّدُنا عُثْمانُ بنُ عفَّانَ لِأَنَّهُ أَفْضَلُ مَنْ هُنَاكَ. قُلْتُ ذَلِكَ خَطَأٌ. واخْتَارَ بعْضُهُم البدْأَةَ بإبْرَاهِيمَ ابنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ[3].

قالَ بَعْضٌ: إذَا دَخَلَ بَابَ البَقِيعِ فلْيَشْهَدْ سَيِّدِي مَالِكَ بنَ سِنَان[4] ويَأْتِي قُبُورَ الشُّهَدَاءِ بِأُحُدٍ[5].

قالَ ابنُ الهُمامِ[6]: ويُزارُ جَبَلُ أُحُدٍ نَفسُهُ، فَفِي الصَّحِيحِ: ((**أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**))[7]، ويُبَكِّرُ بَعدَ صَلاةِ الصُّبْحِ بالمسْجِدِ النَّبَوِيِّ حَتَّى يَعُودَ ويُدْرِكَ الظُّهرَ بِهِ، ويَبْدَأُ بِسَيِّدِ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةَ رضي الله عنه[8]. قَالُوا وأَفْضَلُهَا يَوْمُ الخَمِيسِ، وكَأَنَّهُ لِضِيقِ الجُمُعَةِ عَنْ ذَلِكَ[9].

وقَدْ قالَ مُحَمَّدُ بنُ وَاسِع[10]: بَلَغَنِي أَنَّ المَوْتَى يَعْلَمُون بِزُوَّارِهِم يَوْمَ الجُمُعَةِ ويَوْما قَبْلَهُ ويوما بَعْدَهُ.ا.هـ[11].

ويُسْتَحَبُّ اسْتِحْبَابًا متَأَكِّدًا إتْيَانُ مَسْجِدِ قُبَاء، وهُوَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ أَوْلَى، فَيَتَوَضَّأُ ثُمَّ يَذْهَبُ إلَيْهِ، ويُسْتَحَبُّ إتْيَانُ بَقِيَّةِ المسَاجدِ والآثَارِ المنْسُوبَةِ إلَى النَّبيءِ ﷺ. وفي "مَنَاسِكِ خَلِيل" مِنَ المالِكِيَّة مَا نَصُّهُ: ونَحْوُهُمَا بَعْدَ ذكْرِ اسْتِحْبَاب زِيَارَةِ البَقِيعِ ومَسْجِدِ قُبَاء، وهَذَا فِيمَنْ كَثُرَتْ إقَامَتُهُ، وإلَّا فَالمقامُ عِنْدَهُ ﷺ لاغْتِنَامِ مُشَاهَدَتِهِ أَحْسَنُ[12].

قالَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ[13]: دَخَلْتُ مسْجِدَ المدِينَةِ فمَا جَلَسْتُ إلاَّ الجُلُوسَ فِي الصَّلَاةِ، ومَا زِلْتُ

---

(1) المجموع شرح المهذَّب، النووِي، 258/8.

(2) ابن فَرِحُون: إبراهيم بن عليّ بن محمّد بن محمّد المالكي المدني، ولد بالمدينة ونشأ بها وسمع بها من الجمال المطرِي، تفقه وبرع وصنف وولِيَ قضاء المدينة، من تآليفه: الديباج المذهب. الدرر الكامنة، ابن حجر، 53/1، الوافي بالوفيات، الصفدي، 72/22.

(3) إرشاد السَّالِك، ابن فرحون، 582/2.

(4) مالك بن سنان: بن عبيد الخدري والد سعيد، استشهد يوم أحدٍ. الإصابة، ابن حجر، 538/5.

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص131.

(6) محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد ابن مسعود السواسي الأصل، الحنفي، المعروف بابن الهمام فقيه ومتصوّف ومشارِك في النحو والصرف والمعاني وغير ذلك، توفي بالقاهرة سنة 861هـ. من تصانيفه: شرح الهداية في فروع الفقه الحنفي وسماه فتح القدير للعاجز الفقير. بغية الوعاة، السيوطِي، 166/1، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 469/3.

(7) صحيح البخارِي، حدِيث (1482).

(8) فتح القدِير، ابن الهمام، 172/3.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص131.

(10) محمد بن واسِع: حدث عن أنس بن مالك ومحمد بن سيرين وغيرهم، حدث عنه سفيان الثورِي وغيره، ت:123هـ، وقيل غير ذلك. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 119/6.

(11) إحياء علوم الدين، الغزالي، 1874/4، وزاد المعاد، ابن القيم، 402/1.

(12) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص132.

(13) أبو محمَّد عبد الله بن أبِي جمرة الأندلسِي، محدِّث مقرِئ، من آثاره: مختصر الجامع الصحيح للبخاري، وشرح بهجة النفوس. طبقات الأولياء، ابن الملقن، ص439، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 234/2.

واقِفًا هُنَاكَ حَتَّى رَحَلَ الرَّكْبُ، وخَطَرَ لِي الخُرُوجُ لِلْبَقِيعِ فقُلْتُ: إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ؟ هذَا بَابُ اللهِ تعَالَى مَفْتُوحٌ لِلسَّائِلِينَ والمتَضَرِّعِينَ، ولَيْسَ ثَمَّ مَنْ يَقْصِدُ مِثْلهُ[1].

قالَ في "الخُلَاصَةِ": هذَا فِيمَنْ مُنِحَ دَوَامَ الحُضُورِ وعَدَمَ الملَلِ، وإِلَّا فَالتَّنَقُّلُ فِي تِلْكَ البِقَاعِ أَوْلَى وأَدْعَى لِلنَّشَاطِ[2].

ومِنْهَا: أنْ يُلَاحِظَ بقَلْبِهِ مُدَّةَ إِقَامَتِهِ بالمدِينَةِ جَلَالتَهَا وتَرَدُّدَهُ ﷺ فِيهَا ومَشْيَهُ فِي بِقَاعِهَا ومَحَبَّتَهُ لَهَا وتَرَدُّدَ جِبْرِيلَ فِيهَا عليه السلام بِالْوَحْيِ، ولَا يَرْكَبُ بِهَا دَابَّةً مَهْمَا قَدَرَ علَى المشْيِ، كمَا فَعَلَ مالِك، وقَالَ: أَسْتَحِي مِنَ اللهِ أَنْ أَطَأَ تُرْبَةً فيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحَافِرِ دَابَّتِي، وفِي رِوَايَةٍ: أَخْشَى أنْ يَقَعَ حافِرُ الدَّابَّةِ فِي مَحَلِّ مَشْيِ رَسُولِ اللهِ ﷺ[3].

ويَزُمُّ نفْسَهُ مُدَّةَ إِقَامَتِهِ بزِمَامِ الخَشْيَةِ والتَّعْظِيمِ، ويَخْفِضُ جَنَاحَهُ ويَغُضُّ صَوْتَهُ، قالَ اللهُ تعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿3﴾﴾[4]. ولَمَّا نَزَلَتْ قالَ أبُو بَكْرٍ: آلَيْتُ أَن لَا أُكَلِّمَ [56و] رَسُولَ اللهِ ﷺ إلاَّ كَأَخِي السِّرَارِ[5]. وحرْمَتُهُ ﷺ مَيِّتًا كَحرْمَتِهِ حَيًّا[6].

ومنْهَا: مَحَبَّةُ سُكَّان المدِينَةِ، ولَاسِيَّمَا العُلَمَاء والصُّلَحَاء والأَشْرَاف والْخَدَم. قالَ المجْدُ: وهَلُمَّ جَرًّا إِلَى عَوَامِّهَا وحَوَامِّهَا علَى حسَبِ مَرَاتِبِهِم، إِلَى مَنْ لَا تَبْقَى لَهُمْ مَزِيَّةٌ سِوَى كَوْنِهِمْ جِيرَانًا، فأَعْظِمْ بالْجَارِ مَزِيَّةً لِأَنَّهُ ﷺ أَوْصَى بالجَارِ، ولَمْ يَخُصَّ جَارًا مِنْ جَارٍ[7].

قالَ: وكُلُّ ما احْتَجَّ بِهِ مُحْتَجٌّ مِنْ رَمْيِ عوَامِّهِمْ بالابْتِدَاعِ وتَرْكِ الاتِّبَاعِ، فَإِنَّهُ إِذَا ثبَتَ فِي شَخْصٍ لَا يُتْرَكُ إِكْرَامُهُ، فَإِنَّهُ لَا يَخْرُجُ مِنْ حُكْمِ الجَارِ ولَوْ جَارَ، ولَا يَزُولُ عنهُ شَرَفُ مُسَاكَنَتِهِ في الدَّارِ كَيْفَ دَارَ، بَلْ يُرْجَى أَنْ يُخْتَمَ لَهُ بالْحُسْنَى ويُمْنَحَ ببَرَكَةِ القُرْبِ الصُّورِي قُرْبَ المعْنَى.

فَيَا سَاكِنِي أَكْنَافَ طَيْبَةَ كُلُّكُمْ ... إِلَى الْقَلْبِ مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ حَبِيبُ[8]

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص132.

(2) (م، س)، ص132.

(3) (م، س)، ص132.

(4) سورة الحجرات: 3.

(5) مسند البزَّار، حدِيث (56)، والمستدرك، الحاكم، حدِيث (3720).

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص132.

(7) (م، س)، ص132.

(8) البيت من الطَّوِيل. ينظر: نفح الطيب، المقري، 45/1. وروضة المحبين، ابن القيم، ص381. كلاهما دون نسبة، وقد نسبه محقق روضة المحبين للأحنف بن قيس.

ا.هـ[1]

ويُسْتَحَبُّ أَنْ يتَصَدَّقَ فِيهَا بِمَا أَمْكَنَهُ، قالَ فِي "شَرْحِ المهَذَّب": ويَخُصُّ أَقَارِبَهُ ﷺ بِمَزِيدٍ لِحَديثِ مُسْلِم: ((**أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**))[2].

ومِنْهَا: اسْتِحْبَابُ المجَاوَرَةِ بِهَا لمنْ قَدرَ عَلَيْهَا، مَعَ رِعَايَةِ الأَدَبِ وانْشِرَاحِ الصَّدْرِ ودَوَامِ السُّرُورِ، والفَرَحِ بِمُجَاوَرَةِ هَذَا النَّبِيءِ الكَرِيمِ، والإِكْثَارُ مِنَ التَّضَرُّعِ والدُّعاءِ بِالتَّوْفِيقِ لِشُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ، وقَرْنُهَا بِحُسْنِ الأَدَبِ اللَّائِقِ بِهَا، وجَبْرُ التَّقْصِيرِ فِي القِيَامِ بِحَقِّهَا والاِعْتِرَافُ بذَلِكَ، مَعَ الحِرْصِ علَى فِعْلِ أَنْوَاعِ الخَيْرَاتِ بِحَسَبِ الإِمْكَانِ، ولَا يَضِيقُ عَلَى مَنْ بِهَا بِسُكْنَى الأَرْبِطَةِ وأَخْذِ الصَّدَقَةِ، إِلَّا أَنْ يَحْتَاجَ، فَيَقْتَصِرُ عَلَى قَدْرِ الحَاجَةِ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِذَلِكَ، ولَا إِشْرَافِ نَفْسٍ. ولَا يَنْتَحِلُ مَا صُورَتُهُ عِبَادَةٌ وفَائِدَتُهُ دُنْيَا كَإِمَامَةٍ وأَذَانٍ وتَدْرِيسٍ وقَرَاءَةٍ، أَوْ خِدْمَةٍ فِي الحَرَمِ إِلَّا أَنْ يُخْلِصَ النِّيَّةَ أَوْ تَدْعُوهُ الحَاجَةُ إِلَيْهِ. قَالَهُ الأَقْشهري[3][4].

ومِنْهَا: إِذَا أَرَادَ الرُّجُوعَ فَلْيُوَدِّعْ المسْجِدَ الشَّرِيفَ بِرَكْعَتَيْنِ بالمصَلَّى النَّبَوِيِّ، أَوْ مَا قَرُبَ مِنْهُ، ثمَّ يقُولُ بَعْدَ الحَمْدِ والصَّلاةِ والسَّلامِ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا البِرَّ والتَّقْوَى، ومِنَ الْعَمَلِ ما تُحِبُّ وترْضَى، وغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يُسْتَحَبُّ لِلْمُسَافِرِ ويَدْعُو بِمَا أَحَبَّ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْهُ آخِرَ العَهْدِ بِهَذَا المحَلِّ الشَّرِيفِ، ويخْتِمُ بِالْحَمْدِ والصَّلَاةِ والسَّلَامِ، ويَأْتِي القَبْرَ الشَّرِيفَ ويُسَلِّمُ ويَدْعُو بِمَا تَقَدَّمَ أَوَّلًا، ويَقُولُ: نَسْأَلُكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ تَسْأَلَ اللهَ تَعَالَى أَلَّا يَقْطَعَ آثارَنَا مِنْ زِيارَتِكَ، وأَنْ يُعِيدَنا سَالمينَ، وأَنْ يُبَارِكَ لَنَا فِيمَا وَهَبَ لَنَا، ويَرْزُقَنَا الشُّكْرَ علَى ذلِكَ. اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْهُ آخِرَ العَهْدِ بِحَرَمِ رَسُولِكَ ﷺ وحَضْرَتِهِ الشَّرِيفَةِ، ويَسِّرْ لِي العَوْدَ إِلَى الْحَرَمَيْنِ سَبِيلًا [56ظ] سهْلَةً وارْزُقْنِي العَفْوَ والعَافِيَةَ فِي الدُّنيَا والآخِرَةِ[5].

وصَرَّحَ الكَرْمَانِي بِتَقْدِيمِ وَدَاعِ النَّبِيءِ ﷺ علَى تَوْدِيعِ المسْجِدِ بِالرَّكْعَتَيْن. والأَوَّلُ هُوَ المشْهُورُ والأَصْلُ فِي ذَلِكَ حَدِيثُ: ((**كَانَ لَا يَنْزِلُ مَنْزِلًا إِلَّا وَدَّعَهُ بِرَكْعَتَيْنِ**))[6].

ثمَّ ينْصَرِفُ الزَّائِرُ عَقِبَ ذَلِكَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، ولَا يَمْشِي إِلَى خَلْفِهِ، ويَكُونُ مُتَأَلِّمًا مُتَحَزِّنًا عَلَى الفِرَاقِ ومَا يَفُوتُهُ مِنَ البرَكَاتِ. وهُنَاكَ تَظْهَرُ مِنَ المحِبِّينَ شَوَاهِدُ العَبَرَاتِ وتَتَصَعَّدُ مِنْ بَوَاطِنِهِمْ لوَاحِقُ الزَّفَرَاتِ، ويكُونُ معَ ذلِكَ دَائِمَ الأَشْوَاقِ لِذَلِكَ المزارِ، مُتَعَلِّقَ القَلْبِ بِالْعَوْدِ لِتِلْكَ الدِّيَارِ، ولله دَرُّ القَائِلِ:

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص133.

(2) صحيح مسلم، حَدِيث (36) والمجموع شرح المهذَّب، النَّووِي، 259/8.

(3) سبقت ترجمته، قال د. قاسم السامرائي: الظاهر أن أقوالَ الآقشهرِي هذهِ من كتابه الآخر "منسك القاصِد الزّائِر" الذِي لم يصل إلينا بعد. وفاء الوفا، 123/5، الحاشية رقم1.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص133.

(5) (م، س)، ص133.

(6) الحدِيثُ فِي مسند أبِي يعلَى، حدِيث (4315) والمعجم الأوسَط، الطبرانِي، حدِيث (3441) والسنن الكبرَى، البيهَقِي، حدِيث (10323) وصحيح ابن خزيمة، حدِيث (2568).

أحـنُّ إِلـى زِيَـارَةِ حَـيِّ لَـيْـلَـى وَعَـهْـدِي مِـنْ زِيَـارَتِـهَـا قَـرِيـبُ
وَكُـنْـتُ أَظُـنُّ قُـرْبَ الـدَّارِ يُـطْـفِـي لَـهِـيـبَ الشَّـوْقِ فَـازْدَادَ اللَّـهِـيـبُ[1]

ولَا يسْتَصْحِبُ شَيْئًا مِنْ تُرَابِ الحَرَمِ، ولَا مِنَ الأَكْوَارِ[2] المعْمُولَةِ مِنْهُ، بَلْ يَسْتَصْحِبُ هدَيَّةً يُدْخِلُ بِهَا السُّرُورَ عَلَى أَهْلِهِ وإِخْوَانِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يتَكَلَّفَهَا، ولَا سِيَّمَا ثِمَار المدِينَةِ الشَّرِيفَةِ ومَيَاه آبَارِهَا المبَارَكَةِ[3].

ومِنْهَا: أَنْ يَتَصَدَّق بِشَيْءٍ مَعَ خُروجِهِ، ويَنْوِي حِينَئِذٍ مُلَازَمَةَ التَّقْوَى والاسْتِعْدَادَ لِلِقَاءِ اللهِ ورَسُولِهِ ﷺ فِي يوْمِ المعَادِ، ولْيَحْذَرْ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ مُقَارَفَةِ الذُّنُوبِ، فإِنَّ النَّكْسَةَ أَشَدُّ مِنَ المرَضِ، ويُحَافِظ علَى الوَفَاءِ بِمَا عَاهَدَ علَيْهِ اللهَ، ولَا يَكُونُ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿ **فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾** ﴾[4][5].

الفَصْلُ الثَّالِثُ: فِي فَضْلِ المسْجِدِ النَّبَوِيّ[6]

قال اللهُ تَعَالَى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾[7].

في "صَحِيحِ مُسْلِم" عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيّ: ((**دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ المسْجِدَيْنِ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى؟ فَأَخَذَ كَفًّا مِنْ حَصْبَاء، فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ، ثُمَّ قَالَ: هُوَ مَسْجِدُكُمْ هَذَا**)) لمسْجِدِ المدِينَةِ[8].

ولِأَحْمَد والتِّرْمِذِيّ عنْ أَبِي سَعِيد الخُدرِيّ: اخْتَلَفَ رجُلَانِ فِي المسْجِدِ الذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: هُوَ مَسْجِدُ النَّبيءِ ﷺ، فسَأَلَاهُ عَنْ ذَلِكَ، فقَالَ: ((**هُوَ هَذَا، وَفِي ذَاكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ**))[9] يَعْنِي مَسْجِدَ قُبَاء.

---

(1) الأبيات من الوافِر، للقاضِي بدر الدين مُحَمَّد بن إبراهيم، المعروف بابْن جمَاعَة، الشافعي، ت: 733هـ. ينظر: الوافِي بالوفيات، الصفدِي، 16/2.

(2) فِي خلاصة الوفا: الأكر.

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص134.

(4) سورة الفتح: 10.

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص134.

(6) الفصل منقول من كتاب خلاصة الوفا للسمهودِي، فما استطعت ردّه إلى أصلِهِ من النّقولِ ذكرته وإلّا اكتفيت بتخرِيجه مِن المرجعِ.

(7) سورة التوبة: 108.

(8) صحيح مسلم، حدِيث (514).

(9) مسند أحمد، حدِيث (11178)، وسنن الترمِذي، حدِيث (323).

قال مَالِك فِي "العُتبِيَّة"[1]: إِنَّهُ مَسْجِدُ المدِينَةِ، قالَ: أَيْنَ كَانَ يَقُومُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَلَيْسَ فِي هَذَا؟ ويَأْتُونَهُ أُوْلَئِكَ مِنْ هُنَالِكَ، وقَالَ تعَالَى:﴿ **وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا** ﴾[2] فَإِنَّمَا هُوَ هَذَا. وقالَ عُمَر ﷺ: لَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أوْ سَمِعْتُهُ، يُرِيدُ أنْ يُقَدِّمَ القِبْلَةَ، قَالَ عمَرُ بِيَدِهِ هكَذَا، مَا قَدَّمْتُهَا، ثُمَّ قَدَّمَهَا عُمَر[3].

أَيْ: إِنَّ عُمَرَ لم يَسْتَجِزْ ذَلِكَ مَعَ قَوْلِه ﷻ:﴿ **لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ** ﴾[4] إِلَّا لِلْحَدِيثِ المذْكُورِ، وإِنَّ قَوْلَهُ لِأَهْلِ قُبَاء لمّا نَزَلَتْ: ((**إِنَّ اللهَ أَثْنَى عَلَيْكُمْ**)) الحَدِيث، لَا دَلَالَةَ فِيهِ علَى أَنَّهُ مَسْجِدُ قُبَاء؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَأْتُونَ إِلَى هَذَا المسْجِدِ أَيْضًا، قالَهُ ابن رشْد[5].

وقَوْلُهُ تَعالَى: [57و] ﴿ **مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ** ﴾[6] ظَاهِرٌ فِي أَنَّهُ مَسْجِدُ قُبَاءَ؛ إذ المرَادُ مِنْ أَوَّلِ يَوْمِ الحُلُولِ بِدَارِ الهِجْرَةِ، وأَيْضًا قُوبِلَ بِهِ مسْجِدُ الضِّرَارِ، إِلَّا أَنْ يُقالَ المرَادُ مِنْ أَوَّلِ يَوْمِ تَأْسِيسِهِ، ويُجْمَعُ بأَنَّ كُلًا مِنْهُما أُسِّسَ علَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمِ تَأْسِيسِهِ. والْحِكْمَةُ فِي إجَابَتِهِ ﷺ عنْ ذلِكَ بِمَسْجِدِ المدِينَةِ دَفْعُ مَا تَوَهَّمَهُ السَّائِلُ مِن اخْتِصَاصِ ذَلِكَ بِمَسْجِد قُبَاء، وإِظْهَارُ فَضْلِ مسْجِدِهَا عَلَى مَسْجِدِ قُبَاء، ولِذَلِكَ قَالَ: ((**وَفِي ذَاكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ**))[7].

وكَأَنَّهُ قِيلَ: كُلُّ مَسْجِدٍ أُسِّسَ علَى التَّقْوَى حَقِيقٌ بِالقِيَامِ فِيهِ بِخِلَافِ مَسْجِدِ الضِّرار.

وفِي "الصَّحِيحَيْنِ" حَدِيث: ((**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِي هَذَا والمسْجِدِ الْحَرَامِ وَالمسْجِدِ الْأَقْصَى**))[8].

وفِي "مُسْلِم": ((**إِنَّمَا يُسَافَرُ إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْكَعْبَة وَمَسْجِدِي وَمَسْجِدِ إِيلْيَا**))[9].

ولِابْنِ حِبَّانَ فِي "صَحيحِهِ" والطَّبَرَاني فِي "الأَوْسَط": ((**خَيْرُ مَا رُكِبَتْ إِلَيْهِ الرَّوَاحِلُ مَسْجِدِي هَذَا وَالْبَيْتُ الْعَتِيقُ**))[10].

---

(1) المسائل العتبية، لمحمد بن أحمد العتبي الأندلسي المالكي ت:260هـ

(2) سورة الجمعة: 11.

(3) البيان والتحصيل، ابن رشد، 1/406- 407.

(4) سورة التوبة: 108.

(5) البيان والتحصيل، ابن رشد، 1/407.

(6) سورة التوبة: 108.

(7) سبق تخريجه: مسند أحمد حدِيث (11178).

(8) صحيح البخارِي، حدِيث (1995)، وصحيح مسلِم، حدِيث (415).

(9) صحيح مسلِم، حدِيث (513).

(10) الحدِيثُ فِي صحيح ابن حبان، حدِيث (1616) والمعجم الأوسَط، الطبراني، حدِيث (740).

ولِلْبَزَّارِ: ((**خَيْرُ مَا رُكِبَتْ إِلَيْهِ الرَّوَاجِلُ**[1] **مَسْجِدُ إِبْرَاهِيم وَمَسْجِدُ مُحَمَّد** ﷺ))[2].

ولِلْبَزَّارِ حَدِيثُ: ((**أَنَا خَاتمُ الأَنْبِيَاءِ وَمَسْجِدِي خَاتمُ مَسَاجِدِ الأَنْبِيَاءِ، أَحَقُّ المسَاجِدِ أَنْ يُزَارَ، وَتُشَدّ إِلَيْهِ الرِّحَالُ المسْجِدُ الْحَرَامُ، وَمَسْجِدِي**)) وفيه ضعف[3].

وفي "الصَّحِيحَيْن": ((**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ المسَاجِدِ إِلَّا المسْجِدَ الْحَرَامَ**))[4] زادَ مسْلِمٌ: ((**فَإِنِّي آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ مَسْجِدِي آخِرُ المسَاجِدِ**))[5] أَيْ: آخِرُ مَسَاجِدِ الأَنْبِيَاءِ فَـ "الْ" لِلْعَهْدِ، فالصَّلَاةُ فِي هَذَا المسْجِدِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِي سَائِرِ مَسَاجِدِ الأَنْبِيَاءِ إِلَّا المسْجِد الحَرَام، فالصَّلَاةُ فِي هَذَا المسْجِدِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ بِبَيْتِ المقْدِسِ، إِذْ لم يُسْتَثْنَ كَما اسْتَنْبَطَهُ المجْدُ تَبَعًا لأَبِي سُلَيْمَانَ دَاوُد المالِكِي الشَّاذُلِيّ[6].

ويَدُلُّ لَهُ حَدِيثُ الطَّبَرَاني فِي "الكَبِيرِ" عنِ الْأَرْقَمِ، وكَانَ بَدْرِيًّا: جِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لِأُوَدِّعَهُ وأَنَا أُرِيدُ الخُرُوجَ إِلَى بَيْتَ المقْدِسِ، قَالَ: ((**وَمَا يُخْرِجُكُ إِلَيْه، أَفِي تِجَارَةٍ؟**)) قُلْتُ: لَا، وَلَكِنِّي أُصَلِّي فِيهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((**صَلَاةٌ هَهُنَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ ثَمَّ**))[7].

ولِلْبَزَّارِ عنْ أَبِي سَعِيد: وَدَّعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا فقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قالَ: بَيْت المقْدِسِ، فقَالَ رسُولُ الله ﷺ: ((**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِي غَيْرِهِ إِلَّا المسْجِد الْحَرَامَ**)) ورَوَاهُ يَحْيَى[8] وغَيْرُهُ مَعَ بَيَانِ أَنَّ الرَّجُلَ هُو الأَرْقَمُ[9].

ورَوَى أَبُو يَعْلَى: إِنَّ الصَّلَاةَ فِي بَيْتِ المقْدِسِ بِأَلْفِ صَلَاةٍ، أَيْ: في غَيْرِهِ إِلَّا المسْجِدَيْنِ لما سبَقَ[10].

فَالصَّلَاةُ بِمَسْجِدِ المدِينَةِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صلَاةٍ فيمَا سِوَاهُ مِنْ مَسَاجِدِ سَائِرِ البِلَادِ إِلَّا الأَقْصَى، فَهِيَ أَفْضَلُ منْ أَلْفِ صَلَاةٍ بِهِ بِمَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَهُ إِلَّا اللهُ تعَالَى، وإِلَّا المسْجِدُ الحَرَامُ، أَيْ: مسْجِدُ الكَعْبَةِ لما تَقَدَّمَ، ولِرِوَايَةِ [57ظ] النَّسَائِي وغَيْرِهِ: ((**إِلَّا مَسْجِدَ الْكَعْبَةِ**))[11] ورِوَايَةِ يَحْيَى: ((**إِلَّا**

---

(1) في خلاصة الوفا وكشف الأستارِ: الرواحِلُ.

(2) لم أقفْ عليهِ في مسنَد البزَّارِ، وهو فِي كشف الأستارِ عن زوائد البزار، الهيثَمِي، حدِيث (1075).

(3) لم أقف عليهِ في مسنَد البزَّارِ، وهو فِي كشف الأستارِ عن زوائد البزار، الهيثَمِي، حدِيث (1193).

(4) صحيح البخارِي، حدِيث (1190) وصحيح مسلِم، حدِيث (505).

(5) صحيح مسلِم، حدِيث (507).

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص136.

(7) المعجم الكبِير، الطبراني، حدِيث (907).

(8) يحي بن الحسَن بن جعفر الحجَّة، سبق تعريفه.

(9) الدرة الثمينة، ابن النجار، ص89. ولم أقف عليهِ فِي مسند البزار ولا فِي كشف الأستارِ للهيثمِي.

(10) مسند أبِي يعلَى، حدِيث (7088).

(11) السنن الكبرَى، النسائِي، حدِيث (772).

الْكَعْبَة)) أَيْ: إِلَّا مَسْجِدَهَا، وهَذَا الاسْتِثْنَاءُ يَحْتَمِلُ مُسَاوَاةَ مَسْجِدِ المدِينَةِ والكَوْن دُونَهُ، فالصَّلَاة فِيهِ بِدُونِ الْأَلْفِ والْكَوْنُ أَعْلَى فَزِيدَ علَى الأَلْفِ، وقَدْ بَيَّنَهُ الأَحَادِيثُ، ورَجَّحَ ابن بَطَّال الأَوَّلَ[1] إِذِ النَّقْصُ أو الزّيدُ لا يُعلَمُ إِلَّا بِدَلِيلٍ، والمسَاوَاةُ ظَاهِرَةٌ. وفِيهِ أَنَّ الأَحَادِيثَ بَيَّنَت الزّيدَ. وذَهَبَ مَالِك فِي رِوَايَةِ أَشْهَب عَنْهُ وابْنِ نَافِع وجَمَاعَة مِنْ أَصْحَابِ مَالِك إِلَى أَنَّهُ دُونَ مَسْجِدِ المدِينَةِ[2].

قالَ بعضُهُمْ: والصَّلَاةُ فِي المسْجِدِ الحَرَامِ بِمِئَةِ صَلَاةٍ، لقَوْلِ ابنِ الزُّبَيْرِ: إِنَّ عُمَرَ قَالَ: صلَاةٌ فِي المسْجِدِ الحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِئَةِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، وتعقب بأَنَّ المحْفُوظَ صلَاةٌ فِي المسْجِدِ الحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا مَسْجِدَ الرَّسُولِ، فإِنَّمَا فَضْلُهُ عَلَيْهِ بِمِئَةِ صَلَاةٍ وهُوَ عَكْسُ هذَا الْقَوْلِ[3].

وفِي "الأَوْسَط" لِلطَّبَرانِي عَنْ عَائِشَةَ مَرْفُوعًا إِلَيْهِ ﷺ: **((صَلَاةٌ فِي المسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِئَة فِي غَيْرِهِ))**[4] قِيلَ: وفِيهِ سُوَيْدُ بنُ عَبْدِ العَزِيزِ[5] فِي حَدِيثِهِ نَظَرٌ لَا يحتمل[6].

ولِعَبْدِ الرَّزَّاقِ عن ابْنِ الزُّبَيْرِ مَرْفُوعًا إِلَيْهِ ﷺ: **((صَلَاةٌ فِي المسْجِدِ الْحَرَامِ خَيْرٌ مِنْ مِئَةِ صَلَاةٍ فِيهِ))** أَيْ: فِي مَسْجِدِ المدينَةِ[7].

وذَكَرَ أَحْمَدُ والبزَّارُ وابنُ حِبَّان وصَحَّحَهُ عنِ الزُّبَيْرِ[8] عَنْهُ ﷺ: **((صَلاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أفضَلُ مِنْ ألفِ صَلاةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ المساجِدِ، إِلّا المسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلَاةٌ فِي المسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِئَةِ صَلَاةٍ فِي هَذَا))**[9] ولَفْظُ ابنِ حِبَّان: **((وَصَلَاةٌ فِي ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنْ مِئَةِ صَلَاةٍ فِي مَسْجِدِ المدِينَةِ))**[10] ولَفْظُ البزَّار: **((إِلَّا المسْجِدَ الْحَرَامَ فَإِنَّهُ يَزِيدُ عَلَيْهِ بِمِئَةٍ))**[11] وضَمِيرُ "أَنَّهُ" يَحْتَمِلُ كُلًا مِنْهُمَا، فلَيْسَ نَصًّا، ويَحْتَمِلُ لَفْظَ الحَدِيثِ، ومَا عَدَاهُ مِنَ الرِّوَايَةِ بِالمعْنَى عِنْدَ رُوَّاتِهِ بِحَسَبِ فهْمِهِ فِي مَرْجِعِ الضَّمِيرِ، فلَيْسَ قَاطِعًا فِي البَابِ رَافِعًا لِلْخِلَافِ، وإِنْ قَالَهُ ابنُ عَبْدِ البَرِّ، نَعَمْ هُوَ ظَاهِرٌ فِي تَرْجِيحِ مذْهَبِ زِيَادَةِ المسْجِدِ الحَرَامِ؛ إِذ الرَّاوِي أَعْرَفُ بِفَهْمِ مَرْوِيِّهِ. وقَد اخْتلفَ عنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فِي

---

(1) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، 181/3.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص137.

(3) فتح الباري، ابن حجر، 67/3.

(4) المعجم الأوسَط، الطبرانِي، حدِيث (6751).

(5) سويد بن عبد العزيز: قاضي بعلبكّ الدمشقي المقرِئ، قال ابن معين: ليس حديثه بشيء، وقال أبو حاتم: ليس بالقوِيّ، وقال الدارقطني: يُعتَبَرُ به، ت:194هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبي، 18/9.

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص137.

(7) مصنَّف عبد الرزاق، حدِيث (9139).

(8) صوابه ابن الزبير، وهو عبد اللهِ.

(9) مسند أحمد، حدِيث (16117).

(10) صحيح ابن حبان، حدِيث (1620).

(11) مسند البزَّار، حدِيث (2196).

رَفْعِهِ ووَقْفِهِ. قالَ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ: ومَنْ رَفَعَهُ أَحْفَظُ، ومِثْلُهُ لَا يُقَالُ مِنْ قِبَلِ الرَّأْيِ[1].

قالَ ابْنُ حَزْم: ورَوَاهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ مِنْ قَوْلِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ بِسَنَدٍ كَالشَّمْسِ فِي الصِّحَّةِ، ولَا مُخَالِفَ لَهُما مِنَ الصَّحَابَةِ[2]، فَصَارَ كَالْإِجْمَاعِ[3].

ولِلطَّبَرَانِي والبَزَّارِ، وفِي بَعْضِ رُوَّاتِهِ كَلَامٌ، عَن أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنْهُ ﷺ: ((**الصَّلَاةُ فِي المسْجِدِ الحَرَامِ بِمِئَةِ أَلْفِ صَلَاة، وَالصَّلَاةُ فِي مَسْجِدِي بِأَلْفِ صَلَاة، وَالصَّلَاةُ فِي بَيْتِ المقْدِسِ بِخَمْسِ مِئَةِ صَلَاةٍ**))[4] وهُوَ مُوَضِّحٌ لِكَوْنِ المرَادِ بالاسْتِثْنَاءِ تَفْضِيلُ المسْجِدِ الحَرَامِ، ولَا يَقْدَحُ فِيمَا قَدَّمْنَاهُ مِنْ أَنَّ الصَّلَاةَ بِمَسْجِدِ المدِينَةِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ بِبَيْتِ المقْدِسِ؛ لِأَنَّ مَفْهُومَ العَدَدِ لَيْسَ بِحُجَّةٍ ولَا يَنْفِي الزَّائِدَ، ولِأَنَّ فِي "الصَّحِيحَيْن" وغَيْرِهِمَا: [58و] ((**أَنَّ الصَّلَاةَ بِمَسْجِدِ المدِينَةِ خَيْرٌ مِنْ أَلْف**))[5] وَتِلْكَ الزِّيَادَةُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَهَا إِلَّا اللهُ تعَالَى، فَهُوَ مُعَارِضٌ لما دَلَّ عَلَيْهِ هَذَا الحَدِيثُ ومَا فِي "الصَّحِيحَيْنِ" مُقَدَّمٌ. ويُعَارِضُهُ أَيْضًا ثُبُوتُ الْأَلْفِ لِبَيْتِ المقْدِسِ كَمَا سَبَقَ، ويُقَالُ فِيهِ كَمَا يُقَالُ فِي نَظَائِرِهِ، يُحْتَمَلُ أَنَّهُ ﷺ أَخْبَرَ بالْقَلِيلِ بِحَسَبِ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ ثُمَّ أعْلمَ بالزِّيَادَةِ[6].

وكَذَا يُقالُ فِي حَدِيثِ الطَّبَرَانِي عن أَبِي ذَرّ: تَذَاكَرْنَا وَنَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَيُّمَا أَفْضَلُ، أَمَسْجِدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوْ بَيْتُ المقْدِسِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ فِيهِ، وَلَنِعْمَ المصَلَّى هُوَ**))[7] والمعَوَّلُ عَلَيْهِ الأَخْذُ بِرِوَايَةِ الزِّيَادَةِ لما سَبَقَ[8].

وذَكَرَ ابنُ مَاجَةَ عَنْهُ ﷺ: ((**صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ بِصَلَاةٍ، وَصَلَاتُهُ فِي مَسْجِدِ الْقَبَائِلِ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ صَلَاة، وَصَلَاتُهُ فِي المسْجِدِ الذِي يُجَمَّعُ فِيهِ بِخَمْسِ مِئَةِ صَلَاةٍ، وَصَلَاةٌ فِي المسْجِدِ الْأَقْصَى بِخَمْسِينَ أَلْفِ صَلَاةٍ، وَصَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي بِخَمْسِينَ أَلْفًا، وَصَلَاةٌ فِي المسْجِدِ الْحَرَامِ بِمِئَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ**))[9] والمذْهَبُ كَمَا قالَ النَّوَوِيّ: إنَّ المضَاعَفَةَ المذْكُورَةَ تَعُمُّ الفَرْضَ والنَّفْلَ، خِلافًا

---

(1) فتح الباري، ابن حجر، 67/3.

(2) المحلَّى، ابن حزم، 285/7.

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص138.

(4) مسند البزَّار، حدِيث (4142). ولم أجده فِي المعجم الكبير ولا المعجم الأوسَط للطبراني.

(5) صحيح البخارِي، حدِيث (1190)، صحيح مسلم، حدِيث (506).

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص138.

(7) المعجم الكبِير، الطبرانِي، حدِيث (6983).

(8) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص138.

(9) سنن ابن ماجة، حدِيث (1413).

لِلطَّحَاوِي[1] وغَيْرِهِ مِنَ المالِكِيَّة[2]، ولَا يُنافِي ذَلِكَ تَفْضِيلُ النَّفْلِ بِالبَيْتِ بِحَدِيثِ: ((**أَفْضَلُ صَلَاةِ المرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا المكْتُوبَةُ**))[3] إِذْ غَايَتُهُ أَنَّ لِلْمَفْضُولِ مَزِيَّةً هِيَ المضَاعَفَةُ لَيْسَتْ لِلْفَاضِلِ، ومَزِيَّةُ الفَاضِلِ أَرْجَحُ مِنْهَا كمَا قَالَهُ الزَّرْكَشِي وغَيْرُهُ[4].

وقالَ ابْنُ حَجَر: يُمْكِنُ إِبْقَاءُ حَدِيثِ: ((**أَفْضَلُ صَلَاةِ المرْءِ فِي بَيْتِهِ**)) عَلَى عُمُومِهِ فتَكُونُ النَّافِلَةُ فِي بَيْتِهِ بالمدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ تُضَاعَفُ علَى صلَاتِهِ بِبَيْتٍ فِي غَيْرِهِمَا، وكَذَا فِي المسْجِدَيْن، وإِنْ كَانَتْ فِي البُيُوتِ أَفْضَل مُطلَقَ التَّضعِيفِ، والتَّفْضِيلُ المذْكُورُ يرْجِعُ إِلَى الثَّوابِ لَا إِلَى الإِجْزَاءِ عَمَّا فِي الذِّمَّةِ مِنَ المقْضِيَّاتِ إِجْمَاعًا، خِلَاف ما يُوهِمُهُ قَوْلُ النَّقَّاشِ[5]: حَسِبْتُ الصَّلاةَ بِالمسْجِدِ الحَرَامِ فبَلَغَتْ صَلَاةٌ واحِدَةٌ بِهِ عُمُرَ خَمْسٍ وخَمْسِينَ سَنَةً وسِتَّةَ أَشْهُرٍ وعِشْرِينَ لَيْلَةً ا.هـ[6] وهَذَا مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنْ كَوْنِ الصَّلاةِ فِيمَا سِوَى المسَاجِدِ الثَّلَاثةِ بِعَشْرٍ، إِذ الحَسَنَةُ بعَشْرِ أَمْثَالِها، وعنْ تَضْعِيفِ الجَمَاعَةِ والسِّوَاكِ ونَحْوِهِمَا، ثُمَّ إِنَّ هَذَا التَّضْعِيفَ لَا يَخْتَصُّ بِالصَّلاةِ كمَا صرّحَ بِهِ فِي مَكَّةَ[7].

وَذَكَرَ فِي "الْإِحْيَاءِ": إِنَّ الأَعْمَالَ فِي المدِينَةِ تُضَاعَفُ، وذَكَرَ حدِيثَ: ((**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي بِأَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ**))[8] ثُمَّ قالَ: وكَذَلِكَ كُلُّ عَمَلٍ بِالمدِينَةِ بِأَلْفٍ[9].

وصَرَّحَ بِهِ أَيْضًا أَبُو سُلَيْمَانَ دَاوُدُ الشَّاذلِيّ المالِكِيّ، ويَشْهَدُ لَهُ مَا رَوَى البَيْهَقِيُّ عَنْ جَابِر عنهُ ﷺ: ((**الصَّلَاةُ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ** [58ظ] **إِلَّا المسْجِدَ الْحَرَامَ، وَالْجُمُعَةُ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ جُمُعَةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا المسْجِدَ الْحَرَامَ وَشَهْرُ رَمَضَانَ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ شَهْرِ رَمَضَانَ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا المسْجِدَ الْحَرَامَ**)) وعَن ابْنِ عُمَر نَحْوُهُ[10].

---

(1) الطحاوِي: أحمد بن محمد بن سلامة المصري الحنفِي، محدث مؤرخ حافظ، من تصايفه: أحكام القرآن، المختصر في الفقه، مشكل الآثار. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 27/15، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 267/3.

(2) المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، ص863، وإعلام الساجِد، الزركشِي، ص124.

(3) صحيح البخارِي، حدِيث (7290).

(4) إعلام الساجِد، الزركشِي، ص125.

(5) محمد بن الحسن بن محمد البغدادي، المعروف بالنقاش (أبو بكر) مقرئ، مفسر، سمع بالكوفة والبصرة ومكة ومصر والشام والجزيرة والموصل والجبال وخراسان وما وراء النهر، وحدث عن خلق كثير، ت: 351هـ. من تصانيفه: شفاء الصدور في التفسير، الاشارة في غريب القرآن، أخبار القصاص. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 214/9 ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 233/3

(6) فتح البارِي، ابن حجر، 68/3.

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص139.

(8) صحيح البخارِي، حدِيث (1190).

(9) إحياء علوم الدِّين، الغزالِي، 288/1.

(10) شعب الإيمان، البيهَقِي، حدِيث (3851).

ولِلطَّبَرَانِي في "الكَبِيرِ" عنْ بِلال بنِ الحَارِثِ عنْهُ ﷺ: ((**رَمَضَانُ بِالمدِينَةِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ رَمَضَانَ فِيمَا سِوَاهَا مِنَ الْبُلْدَانِ، وَجُمُعَةٌ بِالمدِينَةِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ جُمُعَةٍ فِيمَا سِوَاهَا مِنَ الْبُلْدَانِ**))[1]، وهُوَ فِي "شَرَفِ المصْطَفَى" لابْنِ الجَوْزِي عن ابْنِ عُمَر، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: كَصِيَامِ أَلْفِ شَهْرٍ، وقَالَ: كَأَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهَا[2].

وهَذهِ الأَحَادِيثُ تَتَعَلَّقُ بالْفَضَائِلِ وضعْفُهَا مُنْجَبِرٌ بِمَا أَشَارَ إِلَيْهِ الغَزَّالِي مِنَ القِيَاسِ علَى مَا صَحَّ فِي الصَّلَاةِ، مَعَ مُوَافَقَتِهِ لِلْمُخْتَارِ فِي مَكَّةَ مِنْ أَنَّ التَّضْعِيفَ يَثْبُتُ لِكُلِّ بقَاعِهَا فَضْلًا عَمَّا زِيدَ فِي مَسْجِدِها[3].

وقَالَ النَّوَوِيّ باخْتِصَاصِ المضَاعَفَةِ بِمَسْجِدِهِ ﷺ الذِي كَانَ فِي زَمَانِهِ دُونَ مَا زِيدَ فِيهِ بِقَوْلِهِ ﷺ: ((**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا**))[4].

قَالَ فِي "الخُلَاصَةِ": قُلْتُ تَقْيِيدُهُ بِهَذَا لِإِخْرَاجِ غَيْرِهِ مِنَ المسَاجِدِ المضَافَةِ إِلَيْهِ بِالمدِينَةِ لَا لِلْاِحْتِرَازِ عَمَّا سَيَسْتَقِرُّ عَلَيْهِ مِنَ الزِّيَادَةِ، وقَدْ سُئِلَ مَالِك عَنْ ذَلِكَ فِيمَا قَالَ ابنُ نَافِع صاحِبُهُ، فقَالَ: بَلْ هُوَ يَعْنِي المسْجِدَ الذِي جَاءَ فِيهِ الخَبَرُ عَلَى ما هُوَ الآنَ؛ لِأَنَّ النَّبِيءَ ﷺ أَخْبَرَ بِمَا يَكُونُ بَعْدَهُ، زُوِيَت لَهُ الأَرْضُ فَأُرِيَ مَشَارِقَهَا ومَغَارِبَها، وتَحَدَّثَ بِمَا يَكُونُ بَعْدَهُ وَلَوْ[لَا][5] هَذَا مَا اسْتَجَارَ[6] الخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ أَنْ يَزِيدُوا فِيهِ بِمَحْضَرِ الصَّحَابَة، ولَمْ يُنْكِرْ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ مُنْكِرٌ. ا.هـ[7]

ويَشْهَدُ لَهُ مَا رَوى ابنُ شَبَّةَ ويَحْيَى، والدَّيْلَمِي فِي "مُسنَدِ الفِرْدَوْس" عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْهُ ﷺ: ((**لَوْ مُدَّ هَذَا المسْجِدُ إِلَى صَنْعَاءَ كَانَ مَسْجِدِي**))[8] قُلْتُ: هذَا يَدُلُّ علَى جَوَازِ الزِّيَادَةِ فِي المسْجِدِ ولَوْ مِنْ جِهَةِ المحْرَابِ، وذَكَرْتُ فِيهِ كَلامًا فِي "شَرْحِ النِّيلِ"[9] وذَلِكَ أَنَّ اليَمَنَ فِي جِهَةِ القِبْلَةِ مِنَ المدِينَةِ، وصَنْعَاءُ مِنَ الْيَمَنِ.

زَادَ ابْنُ شَبَّةَ ويَحْيَى: وكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يقُولُ: لَوْ مُدَّ هذَا المسْجِدُ إِلَى بَابِ دَارِي ما عَدَوْتُ أَنْ

---

(1) المعجم الكبير، الطبراني، حدِيث (1144).

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص140، ولم أقف عليهِ فِي كتاب "شرف المصطفى لابن الجوزِي" والحدِيث في العلل المتناهية، ابن الجوزِي، حدِيث (947).

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص140.

(4) الحدِيثُ سبق تخريجه، صحيح البخارِي، حدِيث (1190) وصحيح مسلِم، حدِيث (505)، وقول النَّووِي ينظر فِي: المجموع شرح المهذب، النّووِيّ، 260/8.

(5) زيادة لتتمة المعنى.

(6) في خلاصة الوفا: لولا هذا ما استجارَ، وهو الأصوَبُ.

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص140.

(8) الفردوس بمأثور الخطاب، الديلمي، حدِيث (5152)، وفيه صنم بدل صنعاء، والدرة الثمينة، ابن النجار، ص171.

(9) كتاب النيل وشفاء العلِيل لعبد العزيز بن إبراهِيم الثميني ت:1130هـ، وشرحه للمؤلف أمحمد بن يوسف أطفيش، وهو موسوعة في أبواب الفقه.

أُصَلِّي فِيهِ[1]، وفِي سَنَدِهِ عَبْدُ اللهِ بنُ سَعِيد المقْبُرِي، قِيلَ هُوَ وَاهٍ[2].

ولِيَحْيَى: حَدَّثَنَا هَارُونُ عن مُوسَى القَرَوِي[3] عنْ عُمَر بنِ أَبِي بَكْرٍ المَوْصِلِي عنْ ثِقَاتٍ مِنْ عُلَمَائِهِ مَرْفُوعًا إِلَيْهِ ﷺ: ((**هَذَا مَسْجِدِي وَمَا زِيدَ فِيهِ فَهُوَ مِنْهُ، وَلَوْ بَلَغَ مَسْجِدِي صَنْعَاءَ كَانَ مَسْجِدِي**)) وهُوَ مُعْضَل[4].

ولَهُ ولابْنِ شَبَّةَ عَن [ابْنِ أَبِي عمرة][5] قَالَ: زَادَ عُمَر بنُ الخَطَّابِ فِي المسْجِدِ مِنْ شَامِيِّهِ، ثُمَّ قالَ: لَوْ زَادَ فِيهِ حَتَّى نَبْلُغَ بِهِ الْجَبَّانَةَ كانَ مَسْجِدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ[6]، [زَادَ يَحْيَى: وجَاءَهُ اللهُ بِعَامِر][7]، وفِيهِ عَبْدُ العَزِيزِ بنُ عِمْرَانَ المدَنِيّ[8]، قِيلَ: مَتْرُوكٌ[9].

ولَهُمَا عنْ أَبِي [59و] ذِيبٍ، وهُوَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ[10] الفَقِيه المشْهُورُ، قالَ: قَالَ عُمَر بنُ الخَطَّابِ: لَوْ مُدَّ مَسْجِدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى ذِي الحُلَيْفَةِ كَانَ مِنْهُ[11]، وهُوَ معْضَلٌ لَكِنْ يَنْجَبِرُ ذَلِكَ بِمَا أَشَارَ إِلَيْهِ مَالِك، وقَدْ سَلَّمَ النَّوَوِيّ عُمُومَ المضَاعَفَةِ لما زِيدَ فِي المسْجِدِ الحَرَامِ[12].

قالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: وهُوَ الذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ كَلَامُ المتَقَدِّمِينَ وعَمَلُهُمْ، وكَانَ الأَمْرُ علَيْهِ فِي زَمَانِ عمَر وعُثْمَانَ، فزَادَا فِي قِبْلَةِ المسْجِدِ، وكَانَ مقَامهُمَا فِي الصَّلاةِ والصَّفِّ الأَوَّلِ الذِي هُوَ أَفْضَلُ ما يُقامُ بِهِ فِي الزِّيَادَةِ، قالَ: ومَا بَلَغَنِي عَنْ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ خِلَافُ هذَا، ومَا عَلِمْتُ سَلَفًا لمنْ خَالَفَ فِي ذَلِكَ مِنَ المتَأَخِّرِينَ[13].

---

(1) الصارم المنكي، ابن عبد الهادي، ص153.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص140.

(3) في خلاصة الوفا: هارون بن مُوسَى القَرَوِي: لم أقف على ترجمة مطابقة له.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص140.

(5) في خلاصة الوفا: أبِي عمرة.

(6) الصارم المنكي، ابن عبد الهادي، ص153.

(7) في وفاء الوفا: زادَ يَحيَى: وخار الله لعمرَ. وقد نقل المحقِّق هذا التصحيح من المناسك للحربِي، بتحقيق حمد الجاسر. وفاء الوفا، السمهودِي، 242/2.

(8) عبد العزيز بن عمران: هو ابْن عُمَر بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن عَوْف الزُّهْرِيّ المدَنِيّ، أَبُو ثابت، لا يكتب حديثه، منكر الحديث. التاريخ الكبير، البخاري، 29/6.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص141.

(10) ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ العَامِرِيّ المدنِي، سمع عكرمة وشرحبيل بن سعد، حدث عنه ابن المبارك وابن أبِي فديك، ت: 158هـ وقيل غير ذلك. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 139/7.

(11) الصارم المنكي، ابن عبد الهادي، ص153.

(12) فتح البارِي، ابن حجر، 66/3، والمسجد الحرام أي الحرم المكِّي.

(13) الصارم المنكي، ابن عبد الهادي، ص153.

ونَقَلَ الخَطِيبُ بنُ جمْلَةَ[1] عنِ المحِبِّ الطَّبرِي[2] عُمُومَ المضَاعَفَةِ لما زِيدَ فِي المسْجِدِ النَّبَوِي واسْتَحْسَنَهُ علَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ النَّوَوِي، وهُوَ المعْتَمَدُ، بلْ نَقلَ ابنُ فَرِحُونَ[3] أَنَّهُ لم يُخَالِفْ فِي ذَلِكَ إلاَّ النَّوَوِيّ، وأَنَّ الطَّبَري نَقَلَ فِي "الإِحْكَامِ"[4] لَهُ رُجوعَهُ عن ذَلكَ، وفِيهِ نَظَرٌ، ففِي "الْوَفَاءِ" لابْنِ الجَوْزِي نَقَلَهُ عَن ابن عَقِيل الحَنْبَلِي[5]. والذِي فِي "الْإِحْكَام" للطَّبَرِي فِي بَيَانِ أَنَّ المضَاعَفَةَ تَعُمُّ مَا زِيدَ فِي المسْجِدِ النَّبَوِي بَعْدَ ذِكْرِ بَعْضِ الأَخْبَارِ والآثَارِ السَّابِقَةِ مَا نَصُّهُ: وقَدْ يَتَوَهَّمُ بَعْضُ مَنْ لم يَبْلُغْهُ ذَلِكَ قَصْرُ الفَضِيلَةِ علَى المَوْجُودِ فِي زَمَانِهِ ﷺ، ووَقَعَ ذَلِكَ لِبَعْضِ أَئِمَّة الْعَصْرِ، ولَمَّا رَوَيْتُ لهُ مَا سَبَقَ جَنَحَ إِلَيْهِ وتَلَقَّاهُ بِالْقَبُولِ[6].

وَلَيْسَ مَسْأَلَةُ الحَلْفِ علَى أَنْ لَا يَدْخُلَ هذَا المسْجِدَ فَزِيدَ فِيهِ مِنْ هَذَا؛ لِأَنَّ الأَيْمَانَ يَلْحَظُ فيهَا العُرْفُ[7]، والحَالِفُ قَصَدَ إِلَى مَوْجُودٍ مَخْصُوصٍ، ولَمْ يَسْتَشْعِرْ مَا يُزَادُ.

قَالَ البَيْهَقِيّ عقِبَ حدِيثِ فَضْلِ مَسْجِدِ قُبَاء: ورَوَاهُ يوسف بن طهمان عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بنِ سَهْلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْهُ ﷺ وزَادَ: ((**وَمَنْ خَرَجَ عَلَى طُهْرٍ لَا يُرِيدُ إِلَّا مَسْجِدِي هَذَا يُرِيدُ مَسْجِدَ المدِينَةِ لِيُصَلِّي فِيهِ كَانَتْ لَهُ بِمَنْزِلَةِ حَجَّةٍ**))[8].

وضَعَّفَ البُخَارِي وابنُ عَدِيّ يوسُفَ بنَ طهمان، وذَكَرَهُ ابنُ حِبَّان فِي "الثِّقَات"، وهَذَا مِن الفَضَائِلِ. ويُقَوِّيهِ مَا ثَبَتَ لمسْجِدِ قُبَاء، وحِينَئِذٍ فثَوَابُ الْحَجِّ زَائِدٌ علَى المضَاعَفَةِ المتقَدِّمَةِ[9].

ولِأَحْمَدَ والطَّبَراني فِي "الْأَوْسَطِ" عنْ أَنس بن مالك عَنْهُ ﷺ: ((**مَنْ صَلَّى فِي مَسْجِدِي أَرْبَعِينَ صَلَاةً**، زاد الطَّبَرَانِي: **لا تفوتُهُ صلاةٌ، كُتِبَ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وبراءَةٌ مِنَ الْعَذَابِ، وبراءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ**))[10].

ولابن حبَّان فِي صَحِيحِهِ عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْهُ ﷺ: ((**أَنَّهُ من حِينِ يَخْرُجُ أَحَدُكُم مِنْ مَنْزِلِهِ إِلَى**

(1) محمود بن محمد بن إبراهيم بن جملة، ت:764هـ، سبق التعريف به.

(2) أحمد بن عبد الله بن محمد، محبُّ الدِّين الطَّبَرِي، ت:694، سبق التعريف به.

(3) برهان الدين إبراهيم بن علي بن فرحون اليعمري ت:799هـ. سبق التعريف به.

(4) غاية الإحكام في الأحاديث والأحكام، لمحب الدين الطبري.

(5) ابن عقيل الحنبلي، سبق تعريفه.

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص141.

(7) (م، س)، ص143.

(8) شعب الإيمان، البيهَقِي، حدِيث (3893).

(9) التاريخ الكبير، البخارِي، 378/8، والثقات، ابن حبَّان، 552/5، والكامل، ابن عدِي، 509/8

(10) مسند أحمد، حدِيث (12583)، والمعجم الأوسط، الطبراني، حدِيث (5444).

مَسْجِدِي فَرِجْلٌ تَكْتُبُ لَهُ حَسَنَةً، وَرِجْلٌ تَحُطُّ عَنْهُ خَطِيئَةً))[1].

ولِيَحْيَى عنْ سَهْلِ بنِ سَعْد عَنْهُ ﷺ: **((مَنْ دَخَلَ مَسْجِدِي هَذَا يَتَعَلَّمُ فِيهِ خَيْرًا، أَوْ يُعَلِّمُهُ كَانَ بِمَنْزِلَةِ المجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَنْ دَخَلَهُ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَحَادِيثِ النَّاسِ كَانَ كَالذِي يَرَى مَا يُعْجِبُهُ وَهُوَ لِغَيْرِهِ))**[2].

وفِي رِوَايَةٍ عَنْه ﷺ: **((مَنْ دَخَلَ مَسْجِدِي هَذَا لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا لِيُعَلِّمَ** [59ظ] **خَيْرًا أَوْ يتعَلَّمُهُ))** الحَدِيث[3].

ولابنِ مَاجَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْهُ ﷺ: **((مَنْ جَاءَ مَسْجِدِي هَذَا، لم يَأْتِهِ إِلَّا لِخَيْرٍ يَتَعَلَّمُهُ أَوْ يُعَلِّمُهُ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ المجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ جَاءَ لِغَيْرِ ذَلِكَ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الرَّجُلِ يَنْظُرُ إِلَى مَتَاعِ غَيْرِهِ))**[4].

ولِلطَّبَرانِي عنْ سَعْدٍ مَعْنَاهُ: إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: **((مَنْ دَخَلَ مَسْجِدِي هَذَا لِيَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ لِيُعلِّمهُ))**[5].

ولابْنِ حِبَّان فِي "صَحِيحِهِ" عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مِثْلُهُ[6].

ولِيَحْيَى عنْ زَيْدِ بنِ أَسْلَم[7]: **((مَنْ دَخَلَ مَسْجِدِي هَذَا لِلصَّلَاةِ أَوْ لِذِكْرِ اللهِ، أَوْ لِيَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ يُعَلِّمَهُ كَانَ بِمَنْزِلَةِ المجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ))**. ولَمْ يجْعَلْ ذَلِكَ لمسْجِدٍ غَيْرِهِ[8].

ولَهُ عنْ أَبِي سعيد المقْبرِي: **((لَا أَخَالُ إِلَّا أَنَّ لِكُلِّ مِنْكُم مَسْجِدًا فِي بَيْتِهِ، قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَوَاللهِ لَوْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَتَرَكْتُمْ مَسْجِدَ نَبِيئِكُمْ وَلَوْ تَرَكْتُمْ مَسْجِدَ نَبِيئِكُمْ لَتَرَكْتُمْ سُنَّتَهُ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّتَهُ إِذًا لَضَلَلْتُمْ))**[9].

وذَكَرَ البُخَارِي حدِيثَ: **((مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، يَعْنِي الثُّومَ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا))**[10].

---

(1) صحيح ابن حبان، حدِيث (1622).

(2) المعجم الكبير، الطبراني، حدِيث (5911).

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص143.

(4) سنن ابن ماجة، حدِيث (227).

(5) المعجم الكبير، الطبراني، حدِيث (5911).

(6) صحيح ابن حبَّان، حدِيث (87).

(7) زيد بن أسلم: بن ثعلبة بن عديّ، ذكره موسى بن عقبة، والزّهريّ، وابن إسحاق فيمن شهد بدرا. وزعم ابن الكلبيّ أن طليحة قتله. وذكره ضرار بن صرد أحد الضعفاء بسنده عن عبيد اللَّه بن أبي رافع فيمن شهد صفّين مع علي. الإصابة، ابن حجر، 489/2.

(8) الدرة الثمينة، ابن النجار، ص149.

(9) ورد بمعناه في صحيح مسلم، حدِيث (257).

(10) صحيح البخارِي، حدِيث (853).

قَالَ التّيْميّ[1]: قالَ بَعْضُهُم: النَّهْيُ إِنَّمَا هوَ عَنْ قُرْبِ مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ خَاصَّةً مِنْ أَجْلِ مَلَائكَةِ الْوَحْيِ. والأَكْثَرُ علَى أَنَّهُ عَامٌّ؛ أَيْ: لِأَنَّهُ يَضُرُّ الملَائِكَةَ والنَّاسَ[2].

وحكَى ابنُ بَطَّال الاخْتِصَاصَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ، ووَهَّاهُ[3].

وفي "الصَّحِيحيْن" عنْ عبد الله بنِ زَيد: ((**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ**))[4].

ولِلْبُخَارِي أَيْضًا عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مِثْلُهُ، وزَادَ: ((**وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي**))[5]، ولَهُمَا عَن ابن عمر: ((**مَا بَيْنَ قَبْرِي وَمِنْبَرِي**)) الحَدِيث[6].

ولِلْبَزَّارِ عَنْ سعْد بنِ أَبِي وَقَّاص عَنْهُ ﷺ: ((**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي، أَوْ قَبْرِي وَمِنْبَرِي**))[7] الحَدِيث. ولِأَحْمَدَ عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ وأَبِي سَعِيدٍ: ((**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي**)) الحَدِيث[8].

قُلْتُ: ذَكَرَ القَبْرَ لِعِلْمِهِ أَيْنَ يَكُونُ، ولَمْ يُخبِرْ بِهِ النَّاسَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَتَعَدَّاهُ، أَوْ لم يَعْلَمْ أَيْنَ يَكُونُ، ولَكِنْ عَلِمَ أَنَّ ما بيْنَهُ وبَيْنَ منْبَرِهِ رَوْضَةٌ مِنَ الجَنَّةِ.

ولَهُ ولأبي يَعلَى والبَزَّارِ ويَحْيَى، وفِيهِ عليّ بن زيد[9]، وقَدْ وُثِّقَ، عنْ جَابِر عَنْهُ ﷺ: ((**مَا بَيْنَ بَيْتِي إِلَى مِنْبَرِي**)) الحَديث وزَادَ: ((**وَإِنَّ مِنْبَرِي عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الْجَنَّةِ**))[10] ولفظُ يحيَى: ((**رُتْعَةٌ مِنْ رُتَعِ الْجَنَّةِ**))، وَلَهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وغَيْرِهِ مِثْلُهُ[11].

ولِأَحْمَدَ عنْ سَهْلِ بنِ سَعْد: ((**مِنْبَرِي عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الْجَنَّةِ**)) وفَسَّرَ التُّرْعَةَ بالبَابِ[12].

وقِيلَ التُّرْعَةُ: الرَّوْضَة علَى المكَانِ المرْتَفِعِ، وقِيلَ: الدَّرَجَة[13].

---

(1) التيمي: إسماعيل بن محمد القرشِي، الملقب بقوام السنة، مصنف كتاب الترغيب والترهِيب، سمع ابن مندة وعائشة بنت الحسَن، حدث عنه أبو سعد السمعانِي وأبو القاسم بن عساكِر، ت: 535هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 80/20.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص144.

(3) شرح صحيح البخارِي، ابن بطَّال، 465/2، وفتح البارِي، ابن حجَر، 340/2،

(4) صحيح البخارِي، حدِيث (1195) صحيح مسلم، حدِيث (500).

(5) صحيح البخارِي، حدِيث (1196).

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص144.

(7) كشف الأستَار عن زوائد البزار، الهيثَمِي، حدِيث (1195).

(8) مسند أحمد، حدِيث (7223) وحدِيث (10008).

(9) علِيّ بن زيد: بن جُدعان التيمِي، حدث عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيّب، حدَّث عنه شعبة وسفيان، وُلِد أعمَى وكان من أوعية العلم، قال البخاري: لا يحتج به، وقال أبو خزيمة: لا أحتجُّ به لسوءِ حفظه، ت:131هـ.سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 206/5.

(10) مسنَد أحمَد، حدِيث (15187) ومسند أبِي يعلَى، حدِيث (1784)، وكشف الأستار عن زوائد مسند البزار، الهيثَمِي، حدِيث (1196) و(1197).

(11) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص145.

(12) مسنَد أحمَد، حدِيث (22841).

(13) غريب الحدِيث، أبو عبيد، 119/1.

ولِلطَّبَرَانيّ فِي "الكَبِيرِ" عنْ أَبي واقد اللَّيثي: ((**قَوَائِمُ مِنْبَرِي رَوَاتِبُ فِي الْجَنَّةِ**))[1].

وعَنْ أَبِي المعَلَّى الأَنْصَارِيّ[2]، وكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، أنَّ النَّبِيءَ ﷺ قالَ وَهُوَ علَى المنْبَرِ: ((**إِنَّ قَدَمَيَّ عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الْجَنَّةِ**))[3].

وعنْ أبي سعيد الخدريّ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ وهُوَ قَائِمٌ علَى مِنْبَرِهِ: ((**أَنَا قَائِمٌ السَّاعَةَ عَلَى عقْرَةِ حَوْضِي**)) ولابْنِ زَبَالَةَ عَنْهُ: ((**إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ الْآنَ**))[4].

ولَهُ عَنْ نَافع بنِ جبير عَنْ أَبِيهِ عَنْهُ ﷺ: [60و] ((**أَحَدُ شِقَّي المنْبَرِ عَلَى عُقْرِ الْحَوْضِ، فَمَنْ حَلَفَ عِنْدَهُ عَلَى يَمِينٍ فَاجِرَةٍ يَقْتَطِعُ بِهَا حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**))[5] وعقْرُ الحَوْضِ: هوَ مَصَبُّ الماءِ فِي الْحَوْضِ[6].

ولأبي داود وابْنِ حِبَّانَ والحاكم وصَحَّحَاهُ عَنْ جَابِر: ((**لَا يَحْلِفُ أَحَدٌ عِنْدَ مِنْبَرِي هَذَا، عَلَى يَمِينِ آثِمَةٍ، وَلَوْ عَلَى سِوَاكٍ أَخْضَر، إِلَّا تَبَوَّأَ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، أَوْ وَجَبَتْ لَهُ**))[7].

وللنّسائي عنْ أَبي أُمامَة بنِ ثعْلَبة عَنْهُ ﷺ: ((**مَنْ حَلَفَ عِنْدَ مِنْبَرِي هَذَا يَمِينًا كَاذِبَةً اسْتَحَلَّ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالملَائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا**))[8].

ولِلطَّبَرَانِي فِي "الْأَوْسَطِ" عَنْ أَبي سعيد الخدري عنْهُ ﷺ: ((**مِنْبَرِي عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الْجَنَّةِ، وَمَا بَيْنَ المنْبَرِ وَبَيْتِ عَائِشَةَ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ**))[9].

ولَهُ عَنْ أَنس بن مالك: ((**مَا بَيْنَ حُجْرَتِي وَمُصَلَّايَ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ**))[10]. وَفِي سَنَدِهِ مَتْرُوكٌ.

---

(1) المعجم الكبِير، الطبراني، حدِيث (3296).

(2) أبو المعلَّى بن لوذان الأنصارِي: قيل اسمه زيد بن المعلَّى. الإصابة، ابن حجر، 314/7.

(3) فضائل الصَّحابة، أحمد بن حنبل، حدِيث (237) وغريب الحدِيث، أبو عبيد، 120/1.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص145.

(5) ورد بلفظ قريب: مصنف عبد الرزاق، حدِيث (5241).

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص145.

(7) المستدرك، الحاكم، حدِيث (7810)، وصحيح ابن حبان، حدِيث (4368) وسنن أبِي داود حدِيث (3246) واللَّفظُ لأبي داود.

(8) السنن الكبرى النسائِي، حدِيث (5974).

(9) المعجم الأوسَط، الطبراني، حدِيث (3112).

(10) المعجم الأوسَط، الطبراني، حدِيث (5231).

ولِيَحْيَى[1] وأَبِي الطَّاهر بنِ المخَلِّص[2] فِي "انتقَائِهِ"[3] عَنْ سعْدٍ، هُوَ ابنُ أَبِي وَقَّاص: ((**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمُصَلَّايَ**)) الحديث[4].

ولابْنِ زَبَالَةَ عَنْهُ: ((**مَا بَيْنَ قَبْرِي وَالمصَلَّى**)) الحَدِيث، قِيلَ المرَادُ: المصَلَّى بِالمسْجِدِ النَّبَوِيّ، وقِيلَ مُصَلَّى العِيدِ، وكَذَا قَالَ طَاهِرُ بنُ يَحْيَى[5] عَقِبَ رِوَايَتِهِ لِذَلكَ أَنَّ أَبَاهُ يَحْيَى قَالَ: سَمِعْتُ غَيْرَ واحِدٍ يقُولُونَ إِنَّ سَعْدًا لما سَمِعَ هذَا الحَدِيثَ مِنَ النَّبِيءِ ﷺ بَنَى دَارَيْهِ فِيمَا بَيْنَ المسْجِدِ والمصَلَّى. ا.هـ[6]

ويُؤَيِّدُهُ مَا رَوَى ابن شبّة عَنْ جنَاح النّجّار[7] قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عائشة بِنت سَعْد بنِ أَبِي وقَّاص إِلى مَكَّةَ فقَالَتْ: أَيْنَ مَنْزِلُكَ؟ فقُلْتُ لَهَا: بالْبلاطِ، فقَالَتْ لِي: تَمَسَّكْ بِهِ فَإِنِّي سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ: ((**مَا بَيْنَ مَسْجِدِي هَذَا . المسْجِدَ . وَمُصَلَّايَ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ**))[8]. قِيلَ: والبِلَاطُ هذَا هُوَ الممْتَدُّ مِنَ المسْجِدِ إِلَى المصَلَّى، وهُوَ مُؤَيِّدٌ لما سَيَأْتِي مِنْ أَنَّ المسْجِدَ النَّبَوِيَّ كُلَّهُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ[9].

وفِي "زَوَائِدِ المسْنَدِ"[10] عنْ عَبْدِ اللهِ بنِ زَيْد المازِنِي[11] عنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: ((**مَا بَيْنَ هَذِهِ الْبُيُوتِ يَعْنِي بُيُوتَهُ ﷺ إِلَى مِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ وَالمنْبَرُ عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الْجَنَّةِ**))[12].

وَحَاصِلُ هَذِهِ الأَحَادِيثِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى المنْبَرِ أَنَّهُ بِعَيْنِهِ يُعَادُ فِي الْقِيَامَةِ كَمَا يُعَادُ الخَلَائِقُ، ويَكُونُ علَى مَحَلِّهِ مِنَ المسْجِدِ النَّبَوِيّ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الجَنَّةِ عنْدَ عُقْرِ الحَوْضِ، وهُوَ مُؤَخّرُهُ. وفِي الإِخْبَارِ بِذَلِكَ التَّرْغِيبُ التَّامُّ فِي العِبَادَةِ بذَلِكَ المحَلِّ وأَنَّهَا تُورِدُ الحَوْضَ. وهَذَا جَمْعٌ بَيْنَ قَوْلِ الْخَطَّابِي: المعْنَى أَنَّ مُلَازَمَةَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ هنَاكَ تُورِدُ الْحَوْضَ وتُوجِبُ الشُّرْبَ مِنْهُ، وقَوْلِ [60ظ] غيْرِهِ: المرَادُ أَنَّ المنْبَرَ

---

(1) يحي بن الحسَن بن جعفر. سبق تعريفه.

(2) محمد بن عبد الرحمن بن العباس، المحدّث المعمّر، سمع من أبي القاسم البغوِي، والقاضي المحَامِلِي، حدث عنه خلق كثير، ت:393هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 478/16.

(3) الانتقاء في أخبار المدينة، لأبي طاهر بن المخلص. كشف الظنون، حاجي خليفة، 175/1.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص146.

(5) طَاهِر بن يحيَ العلوِي. سبق تعريفه.

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص146.

(7) جناح النجار: المدنِي مولى ليلى بنت سُهَيْل القرشية يروي عَن عَائِشَة بنت سعد بْن أَبِي وَقاص روى عَنهُ عمر بن زِيَاد. الثقات، ابن حبان، 155/6.

(8) تاريخ المدينة، ابن شبَّة، 138/1.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص146.

(10) زوائد المسنَد: غاية المقصد فى زوائد المسند، لـ: أبِي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ).

(11) عَبْد اللهِ بنِ زَيْد المازِنِي: من فضلاء الصحابة. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 377/2.

(12) غاية المقصد في زوائد المسند، الهيثَمِي، حدِيث (1755)، وليس فيه عن عبد الله بن زيد.

الذِي كَانَ فِي الدُّنْيَا بِعَيْنِهِ يكُونُ علَى حَوْضِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، واعْتَمَدَ ابْنُ النَّجَّار هَذَا الثَّانِي[1]، وقَالَ ابنُ عَسَاكِر: إِنَّهُ الأَظْهَرُ، وعَلَيْهِ أَكْثَرُ النَّاسِ. وقِيلَ: المرَادُ مِنْبَرٌ يَخْلُقُهُ اللهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ اليَوْمِ[2].

وأَمَّا مَا جَاءَ فِي الرَّوْضَةِ فَحَمَلَهُ مالِكٌ علَى ظَاهِرِهِ، فقَالَ: إِنَّهَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ تُنْقَلُ إِلَيْهَا ولَيْسَتْ كَسَائِرِ الأَرْضِ تَذْهَبُ وتَفْنَى، ووَافَقَهُ علَى ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنَ العُلَمَاءِ كَمَا نَقَلَهُ ابن فرحون عن ابنِ الجوزي وغَيْرِهِ[3]، ونَقَلَهُ الخَطِيب بنُ جملة[4] عن الدَّرَاوَرْدِي[5] وصَحَّحَهُ ابن الحاج[6]، وقِيلَ: العِبَادَةُ فِيهَا تودِي إِلَى الْجَنَّةِ، أَوْ هِيَ كَرَوْضَةٍ مِنَ الجَنَّةِ فِي نُزُولِ الرَّحْمَةِ وَحُصُولِ السَّعَادَةِ بِمُلَازَمَةِ العِبَادَةِ، ولَا سِيَّمَا فِي عَهْدِهِ ﷺ[7].

وذَكَرَ ابْنُ حَجَر هَذَا الخِلَافَ فِي مَوْضِعٍ مِنَ "الْفَتْحِ". وقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: المرَادُ أَنَّ تِلْكَ البُقْعَةَ تَنْتَقِلُ إِلَى الْجَنَّةِ فَتَكُونُ رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِها، أَوْ أَنَّهُ عَلَى المجَازِ لِكَوْنِ الْعِبَادَةِ فِيهَا تَؤُولُ إِلَى دُخُولِ رَوْضَةِ الْجَنَّةِ، قَالَ: وهَذَا فِيهِ نَظَرٌ، إِذْ لَا اخْتِصَاصَ لِذَلِكَ بِتِلْكَ البُقْعَةِ، والْخَبَرُ مَسُوقٌ لمزِيدِ شَرَفِ تِلْكَ الْبُقْعَةِ علَى غَيْرِهَا[8].

وفِي "الْخُلَاصَةِ": الْأَحْسَنُ كَمَا قَالَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ[9]: الْجَمْعُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ لِقِيَامِ الدَّلِيلِ علَيْهِمَا. أَمَّا الْأَوَّلُ فَلِأَنَّ الأَصْلَ عَدَمُ المجَازِ، واسْتَدَلَّ لَهُ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ بِإِخْبَارِهِ ﷺ بِأَنَّ المنْبَرَ عَلَى الْحَوْضِ، قَالَ: لم يَخْتَلِفْ أَحَدٌ مِنَ العُلَمَاءِ فِي أَنَّهُ عَلَى ظَاهِرِهِ، وأَنَّهُ حَقٌّ مَحْسُوسٌ مَوْجُودٌ علَى حَوْضِهِ. وأَمَّا الثَّانِي فَلِمَا سَبَقَ فِي فَضْلِ المسْجِدِ النَّبَوِي، وزَادَ هَذَا المحَلُّ بِإِحاطَةِ هَذَيْنِ الحَدَّيْنِ الشَّرِيفَيْنِ بِهِ، وكَثْرَةِ تَرَدُّدِهِ ﷺ فِيهِ بَيْنَهُمَا، واتِّصَالِهِ بِقَبْرِهِ الشَّرِيفِ الذِي هُوَ الرَّوْضَةُ العُظْمَى، وقُرْبِهِ مِنْهُ فَلِذَلِكَ اخْتَصَّ بِذَلِكَ، أَوْ هُوَ تَعَبُّدٌ، قَالَ[10]: وقَدْ تَقَرَّرَ مِنْ قَوَاعِدِ الشَّرْعِ أَنَّ البُقَعَ المبَارَكَةَ مَا فَائِدَةُ

---

(1) الدرة الثمينة، ابن النجار، ص158، ومنه نقل قول الخطابي.

(2) إتحاف الزائر، ابن عساكر، ص75، هذه الأقوال نقلا مِن: خلاصة الوفا، السمهودِي، ص147.

(3) إرشاد السَّالك إلى أفعالِ المناسك، ابن فرحون، 559/2.

(4) محمود بن محمد بن إبراهيم بن جملة، ت:764هـ.

(5) عبد العزيز بن محمد بن عبيد، ت: 187هـ. سبق تعريفه.

(6) المدخل، ابن الحاج، 257/1.

محمد بن محمد بن محمد العبدري، الفاسي، الشهير بابن الحاج، ولد بفاس وتفقه بها، وقدم مصر، وحج، وكفَّ بصرُهُ في آخر عمره، وتوفي بالقاهرة سنة 737هـ، من آثاره: شموس الأنوار وكنوز الأسرار في علوم الحروف وماهيته، المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على كثير من البدع المحدثة والعوائد المنتحلة، ومدخل الشرع الشريف على المذاهب الأربعة. الديباج، ابن فرحون، 321/2، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 682/3.

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص147.

(8) فتح الباري، ابن حجر، 100/4.

(9) سبق تعريفه.

(10) أيْ: ابن أبي جمرة.

بَرَكَتِهَا، والإِخْبَارُ بِذَلِكَ إِلَّا تَعْمِيرُهَا بِالطَّاعَاتِ[1].

وفِي "الْخُلَاصَة": قُلْتُ: ولِذَا رَوَى ابنُ زَبَالَةَ عَنْ إِبْرَاهِيم قَالَ: وجَدَنِي أُسَامَةُ بنُ زَيْد بنِ حارثةَ أُصَلِّي فِي نَاحِيَةِ المسْجِدِ فَأَخَذَ بِعُنُقِي فَسَاقَنِي حَتَّى جَاءَ بِي إِلَى المنْبَرِ، فَقَالَ: صَلِّ هَا هُنَا[2].

ثُمَّ قَالَ[3]: ويَحْتَمِلُ أَنَّ تِلْكَ البُقْعَةَ نَفْسَهَا الآنَ مِنَ الجنَّةِ كَمَا أَنَّ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ مِنْهَا ويَعُودُ رَوْضَةً فِيهَا ولِلْعَامِلِ بالْعَمَلِ فِيهِ رَوْضَةٌ، قَالَ: وهُوَ أَظْهَرُ لِعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ ﷺ ولِيَكُونَ بَيْنَهُ وبَيْنَ الأُبُوَّةِ الْإِبْرَاهِيمِيَّةِ فِي هَذَا شَبَهٌ فَالْخَلِيلُ[4] خُصَّ بِحَجَرٍ مِنَ الْجَنَّةِ والْخَلِيلُ بِالرَّوْضَةِ مِنْهَا[5].

قالَ صَاحِبُ "الْخُلَاصَةِ": هَذَا هُوَ الأَرْجَحُ والظَّاهِرُ أَنَّهُ مُرَادُ مَالِك لِحَمْلِهِ اللَّفْظَ عَلَى ظَاهِرِهِ إِذْ لَا مُقْتَضَى لِصَرْفِهِ عَنْهُ، ولِذَا اسْتَدَلُّوا بِهِ عَلَى تَفْضِيلِ المدِينَةِ بِضَمِيمَةِ [61و] حَدِيثِ: ((**لَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**))[6] وتَعَقَّبَهُ ابْنُ حَزْمٍ بِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ مِنَ الجَنَّةِ حَقِيقَةً لَكَانَتْ كَمَا قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿**إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾**﴾[7] وإِنَّمَا المرَادُ أَنَّ الْعَمَلَ فِيهَا يُودِي إِلَى الجَنَّةِ[8].

وقَالَ الجَمَالُ الرَّاسَانِي[9]: إِنَّ القَوْلَ بِأَنَّهَا نُقِلَتْ مِنَ الجنَّةِ يُودِي إِلى إِنْكَارِ المحْسُوسَاتِ أو الضَّرُورَاتِ، ومِثْلُ هَذَا إِنَّما طَرِيقُهُ التَّوْقِيفُ كمَا جَاءَ فِي الْحجرِ الأسود والمقَامِ[10].

قُلْتُ: المخْبِرُ بِأَنَّهَا مِنَ الجَنَّةِ هُوَ المخبِرُ بأَنَّ الحَجَر والمقامَ [منها][11] ولا يَشْهَدُ[12] في ذلِكَ شُهودُ المذْكورَاتِ كمَخْلوقَاتِ الدُّنْيا لمنْعِ الحُجُبِ الكَثِيفَةِ عَنْ شُهُودِ الأُمُورِ الأُخْرَوِيَّةِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا، ولَا يَلْزَمُ مِن انْتِفَاءِ الجُوعِ والعُرِي عَمَّنْ حَلَّ فِي الْجَنَّة انْتِفَاؤُهُما عَمَّن حَلَّ فِيما نُقِلَ مِنْهَا، وإِلَّا لَزِمَ بذَلِكَ نَفْيُ كَوْنِ الحَجَرِ والمقَامِ منْها حَقِيقَةً، ولَا قَائِلَ بِهِ، والأَصْلُ عَدَمُ المجَازِ[13].

---

(1) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص148، وينظر: بهجة النفوس، ابن أبي جمرة، 91/2 وما بعدها.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص148.

(3) أيْ: ابن أبِي جمرة.

(4) في الأصل: فالخلل، وهو خطأ، كما يبينه النص المنقول أسفله.

(5) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص148 وفيه: فالخليل خُصَّ بالحجرِ من الجنة، والحبيبُ بالرَوضَة. وينظر: بهجة النفوس، ابن أبِي جمرة، 93/2.

(6) مسند أحمد، حدِيث (12556) و(12557).

(7) سورة طه: 118.

(8) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص148. وقول ابن حزم نقله من فتح البارِي، 100/4.

(9) الجمال الراساني: محمد بن عبد الله بن أبِي بكر الزَّيْمِي اليمَنِي، فقيه، درس وأفتى، وكان مقدما عند الملوك، وتولى قضاء الأقضية بزبيد، من آثاره: التفقيه في شرح التنبيه للشيرازي في فروع الفقه الشافعي، بغية الناسك في المناسك، والمعاني البديعية في اختلاف علماء الشريعة. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 432/3.

(10) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص148.

(11) زيادة من خلاصة الوفا.

(12) في خلاصة الوفا: ولا يقدح.

(13) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص149.

وقَدْ نَقَلَ الرّاساني[1] عَنِ الخطيبِ بن جملة الاخْتِلَافَ فِي أَمْرِ الرَّوْضَةِ، قالَ: فَقِيلَ اللَّفْظُ علَى حَقِيقَتِهِ بِمَعْنَى أَنَّهَا نُقِلَت مِنَ الجنَّةِ أَو سَتُنْقَلُ[2] إِلَيْها، وقِيلَ: مَجَازٌ لِتَنَزُّلِ الرَّحْمَةِ وحُصُولِ المغْفِرةِ بِهَا، كَمَا سَمَّى مَجَالِسَ الذِّكْرِ رِيَاضَ الْجَنَّةِ حَيْثُ قَالَ: ((**إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: المسَاجِدُ**)) الحَدِيث[3]. أَوْ شَبَّهَهَا بالْجَنَّةِ لِكَرِيمِ مَا يُجْتَنَى فِيهَا لمّا كَانَ ﷺ يَجْلِسُ فيهَا لِلتَّعْلِيمِ، ولِأَنَّها تَؤُولُ إِلَى الْجَنَّةِ كَقَوْلِهِ ﷺ: ((**الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيوفِ**))[4] و((**الْجَنَّةُ تَحْتَ أَقْدَامِ الْأُمَّهَاتِ**))[5] ولأَنَّ العِبَادَةَ فِيهَا تُؤَدِّي إِلَى الْجَنَّةِ كَقَوْلِهِ ﷺ: ((**عَائِدُ المرِيضِ فِي مَخْرِفِ الْجَنَّةِ**))[6] ثُمَّ تَعَقَّبَ الخَطِيبُ الثَّانِي بِأَنَّهُ لَا يَبْقَى حِينَئِذٍ لِهَذِهِ الرَّوْضَةِ مَزِيَّةٌ، وقَدْ فَهِمَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ المزِيَّةَ العَظِيمةَ التِي بِسَبَبِها فَضَّلَهَا مَالِكٌ علَى سَائِرِ البِقَاعِ[7].

قالَ الرَّاسَانِي: بَلْ هُوَ الأَظْهَرُ لِاتِّفاقِ الخَطَّابِي وابْنِ عبْدِ البَرِّ عَلَيْهِ، ولِأَنَّ النَّظَائِرَ تُؤَيِّدُهُ[8]. وجَوَابُ مَا ذَكَرَهُ الخَطِيبُ أَنَّ العَمَلَ فِي تِلْكَ النَّظَائِرِ يُودِي إِلَى رِيَاضِ الْجَنَّةِ، والْعَمَلُ فِي هَذَا المحَلِّ يُودِي إِلَى رَوْضَةٍ أَعْلَى مِنْ تِلْكَ الرِّيَاضِ[9].

قُلتُ: لَيْسَ فِي الْحَدِيثِ وَصْفُها بأَنَّها أَعْلَى الرِّيَاضِ بَل الذَّاهِبُ إِلَى تَفْضِيلِ مَكَّة يَقُولُ العَمَلُ فيهَا مُودٍ إِلَى مَا هُوَ أَعْلَى والذِي فَهِمَهُ الجُمْهُورُ أَنَّ هَذَا المَوْضِعَ روْضَةٌ سَوَاءٌ أَكَانَ بِهِ ذَاكِرٌ أَوْ عَابِدٌ أَمْ لَا بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنَ المسَاجِدِ[10].

والذِي حَمَلَ الرَّاسَانِي علَى ذَلِكَ دَعْوَاهُ أَنَّ اسْمَ الرَّوْضَةِ يَعُمُّ مَسْجِدَهُ ﷺ كُلَّهُ مَعَ مَا زِيدَ [61ظ] فِيهِ لِأَنَّهُ مَجَازٌ، وذَلِكَ لتَضْعِيفِ أَجْرِ الطَّاعَةِ بِهِ، وذَلِكَ لَا يَخْتَصُّ بِمَوْضِعٍ مِنْهُ[11].

---

(1) محمد بن عبد الله بن أبي بكر الحثيثي، الصروفي، الريمي، اليمني، الشافعي، فقيه، درس وأفتى، وكان مقدما عند الملوك، وتولى قضاء الأقضية بزبيد، ت:791هـ، من آثاره: التفقيه في شرح التنبيه للشيرازي في فروع الفقه الشافعي في نحو من عشرين مجلدا، اتفاق العلماء، خلاصة الخواطر، بغية الناسك في المناسك، والمعاني البديعية في اختلاف علماء الشريعة. الدرر الكاملنة، ابن حجر، 233/5، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 203/10.

(2) في الأصل: استنقل.

(3) المعجم الكبير، الطبراني، حدِيث (11158).

(4) صحيح البخارِي، حدِيث (2818).

(5) البر والصِّلة، ابن الجوزِي، حدِيث (44) عن ابن عبَّاس.

(6) صحيح مسلم، حدِيث (39).

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص149.

(8) قول الخطابِي وابن عبد البر في: الدرة الثمينة، ابن النجار، ص160-161.

(9) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص149.

(10) (م، س)، ص149.

(11) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص150.

وسُئِلَ أبو جعفر الدَّاودي[1] عنْ قوْلِهِ: ((**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي**)) الحديث[2]، فقال: هُوَ رَوْضَةٌ كُلُّهُ[3].

وقالَ الخَطِيبُ بنُ جملَةَ: قَوْلُهُ ((**بَيْتِي**)) مُفْرَدٌ مُضافٌ قَدْ يُفِيدُ العُمُومَ في بُيُوتِهِ، وكَانَتْ مُطِيفَةً بالمسْجِدِ مِنَ القِبْلَةِ والمشْرِقِ والشَّامِ، والمنْبَرُ فِي غَرْبِيّهِ ولِهَذَا قالَ السّمعاني: لما فَضَّل اللهُ هذَا المسْجِدَ وشَرَّفَهُ وبَارَكَ فِي الْعَمَلِ فِيهِ وضَاعَفَهُ فسَمَّاهُ رَسُولُ الله ﷺ رَوْضَةً فتَرَاهُ جَعَلَهُ كُلَّهُ رَوْضَةً، والمشْهُورُ أَنَّ المرَادَ بَيْتٌ خَاصٌّ هُوَ بَيْتُ عَائِشَةَ لِرِوَايَةِ: ((**مَا بَيْنَ قَبْرِي**)) الحَدِيث[4].

قالَ ابن خزيمة: أَرَادَ بَيْتِي الذِي أُقْبَرُ فِيهِ، إِذْ قَبْرُهُ فِي بيْتِهِ الذِي تسْكُنُهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا[5].

قالَ الخَطِيبُ: فعَلَى هذَا تُسَامِتُ الرَّوْضَةُ حائِطَ الحُجْرَةِ مِنَ القِبْلَةِ والشّمَالِ ولَا تَزَالُ تَقْصُرُ أَيْ: فِي الْعرْضِ إِلَى المنْبَرِ أَوْ تُؤْخَذُ المسَامَتَةُ مُسْتَوِيَةً فلْيُنْظَرْ؛ أيْ: فإِنْ أُخِذَتْ مُسْتَوِيَةً دخَلَ مَا سَامَتَ الْحُجْرَةَ مِنْ جِهَةِ الشّمَالِ، وإِنْ لم تُسَامِتِ المنْبَرَ، ومَا سَامَتَ طرَفَ المنْبَرِ القَبْلِي وإِنْ لم تُسَامِتِ الحُجرَةَ لِتَقَدُّمِ المنْبَرِ فِي جِهَةِ القِبْلَةِ فتَكُونُ الرَّوْضَةُ مُرَبَّعَةً وَهِيَ لِرِوَاقِ المصَلَّى الشَّرِيفِ والرِّوَاقَانِ بَعْدَهُ، وذَلِكَ مُسقف مقدم المسْجِدِ فِي زَمَنِهِ ﷺ لما اتَّضَحَ لَنَا فِي جدَارِ الحُجْرَةِ الشَّامِي عِنْدَ عِمَارَتِهَا مِنْ مُحَادَاتِهِ نِصْفَ أُسْطُوَانِ الوُفُودِ، لَكِنَّ المنْبَرَ كَانَ مُتَأَخِّرًا يسِيرًا عَنْ جِدَارِ الْقِبْلَةِ فيخْرجُ قَدْر ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ البَقِيَّةِ، وكذَا إِنْ أُخِذَتِ المسَامَتَةُ غَيْرَ مُسْتَوِيَةٍ، بَلْ يَخْرُجُ المصَلَّى الشَّرِيفُ أَوْ مُقَدَّمُهُ لِعَدَمِ مُحَادَاتِهِ لِكُلٍّ مِنْ طَرَفَي المنْبَرِ والحُجْرَةِ؛ إِذْ مُتَّسَعُ الرَّوْضَةِ مِمَّا يَلِي الحُجْرَةَ فِي المشْرِقِ وتَكُونُ غَيْرَ مُسْتَقِيمَةٍ لِتَأَخُّرِ الحُجْرَةِ إِلَى الشَّامِ عَنِ المنْبَرِ، ثُمَّ تَضَايق كمُثَلَّثٍ انْطَبَقَ ضِلْعَاهُ علَى قَدْرِ امْتِدَادِ القَبْرِ النَّبَوِيّ وهُوَ خَمْسَةُ أَشْبَارٍ، ويَكُونُ مَوْقِفُ الصَّفِّ الأَوَّلِ مِمَّا يَلِي الحُجرَةَ لَيْسَ بالرَّوْضَةِ؛ لِأَنَّ جِدَارَ الحُجْرَةِ القَبْلِيّ الذِي فِي جَوْفِ الحَائِزِ فِي مُوَازَاةِ الأَسَاطِينِ التِي خلْفَ القَائِمِ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ، فهَذَا الِاحْتِمَالُ مَرْدُودٌ، إِذْ مُعْظَمُ السَّبَبِ فِي جَعْلِ ذَلِكَ رَوْضَةً اشْتِمالُهُ علَى مَحَلِّ الجِهَةِ الشَّرِيفَةِ الميْمُونَةِ، ولَمْ يَقُلْ أَحَدٌ بِخُرُوجِ شَيْءٍ مِنَ المصلَّى الشَّرِيفِ مِنَ الرَّوْضَةِ، بَلْ كَلَامُهُمْ مُتَّفِقٌ علَى جَعْلِهِ مِنْهَا، وأَخْذُ المسَامَتَةِ مُسْتَوِيَةً هُو ظَاهِرُ ما عَلَيْهِ غالِبُ العُلَمَاءِ والنَّاسِ، إِلَّا أَنَّ نِهَايَةَ الحُجْرَةِ لم تَكُنْ مَعْلُومَةً لَهُمْ فَقَالَ جَمَاعَةٌ منهُمْ: لم يَتَحَرَّرْ لنَا عرْضُ [62و] الرَّوْضَةِ[6].

---

(1) أحمد بن نصر الداودي أبو جعفر، كان بطرابلس وبها أصل كتابه في شرح الموطأ "النامي في شرح الموطأ" ثم انتقل إلى تلمسان، كان علمه بإدراكه ولم يتفقه على عالم مشهورٍ، حمل عنه أبو عبد الملك البوني، ت:402هـ. الديباج، ابن فرحون، 166/1.

(2) سبقَ تخريجهُ، صحيح البخارِي، حدِيث (1195) صحيح مسلم، حدِيث (500).

(3) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص150.

(4) (م، س)، ص150.

(5) (م، س)، ص150.

(6) (م، س)، ص150-151.

فقَالَ الرَّاسَانِي: غَالِبُ النَّاسِ يَعْتَقِدونَ أَنَّ نِهَايَتَهَا، أَيْ: مِنَ الشَّامِ فِي مُقَابَلَةِ أسطوَان عَلِيّ، وَلِهَذَا جعَلُوا الدَّرَابِزَ الذِي بَيْنَ الأَسَاطِينِ يَنْتَهِي إِلَى صَفِّهَا، واتَّخَذُوا الفُرُشَ لِذَلِكَ فَقَطْ[1].

قالَ فِي "الخلاصة": الصَّوَابُ ما تَقَدَّمَ مِن امتِدَادِها إِلَى صَفِّ أُسْطُوَانِ الوُفُودِ وأَمَّا عُمُومُهَا لِلْمَسْجِدِ النَّبَوِيّ فَمَبْنِيٌّ علَى مَا مَرَّ، وعَلَى مَا ذَكَرَ ابْنُ النَّجَّارِ مِنْ أَنَّ نِهَايَةَ المسْجِدِ فِي المغْرِبِ الأُسْطُوَانَةُ التِي تَلِي المنْبَرَ، وقَدْ ظَهَرَ لَنَا خِلَافُهُ. ا.هـ[2]

قالَ المراغي[3]: ينْبَغِي اعْتِقادُ كَوْنِ الرَّوْضَةِ لَا تَخْتَصُّ بِمَا هُوَ مَعْرُوفٌ الآنَ، بَلْ تَتَّسِعُ إِلَى بُيُوتِهِ ﷺ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّامِ وهُوَ آخِرُ المسْجِدِ فِي زَمَنِهِ ﷺ فيَكُونُ كُلُّهُ رَوْضَة إِذَا فَرَّعْنَا علَى عُمُومِ المفْرَدِ المضَافِ[4].

ثُمَّ ذَكَرَ مَا تَقَدَّمَ، وفَاتَهُ وغَيْرَهُ الاسْتِدْلَالُ بِحَدِيثِ "زَوَائِدِ أَحْمَدَ" المتَقَدِّمِ بلَفْظِ: ((**مَا بَيْنَ هَذِهِ الْبُيُوتِ**، يَعْنِي بُيُوتَهُ، **إِلَى مِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ**))[5] فَإِنَّهُ نوقِشَ في تَمَسُّكِهِ بما سَبَقَ بأَنَّ فِي رِوَايَةِ "قَبْرِي" و"بَيْت عَائِشَةَ" بيَانُ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ المرَادُ مِنَ المفْرَدِ المضَافِ وَهُوَ مرْدُودٌ بِأَنَّهُ مِنْ قَبِيلِ إِفْرَادِ فَرْدٍ مِنَ العَامِّ بِحُكْمِهِ، وهُوَ لَا يَقْتَضِي إِلَّا الاِهْتِمَامَ بِذَلِكَ الفَرْدِ[6].

وقالَ القرطبي[7]: الرِّوَايَةُ الصَّحِيحَةُ ((**بَيْتِي**)) ويُرْوَى ((**قَبْرِي**)) وكَأَنَّهُ بِالمعْنَى[8].

وحَمَلَ القرَافي[9] عمُومَ المفْرَدِ علَى مَا إِذَا وَقَعَ علَى القَلِيلِ والكَثِيرِ كالماءِ والمالِ بِخِلَافِ مَا لَا يَصْدُقُ إِلَّا علَى الوَاحِدِ كَالْعَبْدِ، مَذْهَبٌ مَرْجُوحٌ اخْتَارَهُ ابنُ دقيق العيد[10] كمَا أَفَادَهُ السُّبْكِي وعَدَمُ

---

(1) خلاصة الوفا، ص151.

(2) (م، س)، ص151.

(3) أبو بكر بن الحسين بن عمر بن محمد، العثماني، المراغي، المصري، الشافعي، نزيل المدينة، ويعرف بابن الحسين المراغي، مؤرخ، فقيه، ولد بالقاهرة، ونشأ بها، وأخذ عن التقي السبكي، توفي بالمدينة سنة 816هـ، من آثاره: تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة. الضوء اللامع، السخاوِي، 28/11، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 437/1.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص151.

(5) سبَقَ تخريجهُ، غاية المقصد فى زوائد المسند، الهيثَمِي، حدِيث (1755).

(6) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص151.

(7) القرطبِي: أحمد بن عمر بن إبراهيم، ولد بقرطبة، ورحل إلى المشرق، وتوفي سنة 656هـ بالاسكندرية، من تصانيفه: المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، مختصر الصحيحين، والتذكرة في ذكر الموتى وأحوال الآخرة. تاريخ الإسلام، الذَّهبِي، 795/14، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 214/1.

(8) المفهم، القرطبِي، 502/3.

(9) القرافِي: أحمد بن إدريس شهاب الدين، أبو العباس، فقيه، أصولي، مفسر، ولد بمصر، وتوفي سنة 684هـ ودفن بالقرافة. من تصانيفه: الذخيرة في الفقه، شرح التهذيب، شرح محصول فخر الدين الرازي، التنقيح في أصول الفقه، وأنوار البروق في أنواع الفروع في أصول الفقه. الديباج، ابن فرحون، 236/1، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 100/1.

(10) محمد بن علي بن وهب المعروف بابن دقيق العيد، محدث وفقيه، رحل إلى الشام ومصر وسمع الكثير، وولي قضاء الديار المصرية وتوفي بالقاهرة سنة 702هـ، من تصانيفه: الاقتراح في علوم الحديث، شرح مختصر ابن الحاجب في فروع الفقه المالكي لم يكمل، الالمام في أحاديث الأحكام، شرح مقدمة المطرزي في أصول الفقه. طبقات الحفاظ، السيوطِي، ص516، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 553/3.

العُمومِ في قَوْلِكَ: عَبْدِي حُرٌّ وزَوْجِي طَالِقٌ كمَا قَالَ الإسنوي[1] لِكَوْنِهِ مِنْ بَابِ الأَيْمَانِ، فيُسْلَكُ بِهِ مَسْلَك العُرْفِ[2]. قُلْتُ: بَلْ لِعَدَمِ قَرِينَةٍ لِأَنَّ ذَلِكَ مَجَازٌ.

ونُقِلَ عن ابن عبد السّلام[3] طَلَاقُ الجَمِيعِ وعِتْقُهُمْ، وهُوَ الذِي نَصَّ علَيْهِ أَحْمَدُ، حَيْثُ لاَ نِيَّةَ جَرْيًا عَلَى الْقَاعِدَةِ وَحوطَةً، فهَذَا مَعَ الحَدِيثِ مِنْ أَحْسَنِ الأَدِلَّةِ، لَكِنْ عَلَى عُمُوم الرَّوْضَةِ لما بَيْنَ الْقَبْرِ والبُيُوتِ، والمنْبَرُ دَاخِلٌ بالأَدِلَّةِ السَّابِقَةِ أَفْضَلُ، وأَمَّا القَبْرُ الشَّرِيفُ فَهُوَ الرَّوْضَةُ العُظْمَى[4].

وذَكَرَ ابنُ زَبَالَةَ أَنَّ ذِرْعَ مَا بَيْنَ المنْبَرِ والقَبْرِ وَهُوَ مَوْضِعُ بَيْتِهِ ﷺ أَرْبَعٌ وخَمْسُونَ ذِرَاعًا وسُدُس. وفِي "الخُلَاصَة" هذِهِ الرِّوَايَة مَعَ إِدْخَالِ عُرْضِ جِدَارِ الحَائِزِ الذِي بَنَاهُ عمَر بن عَبد العزيز وهُوَ نَحْوُ ذِرَاعٍ وسُدُس. وذَكَر ابنُ زَبَالَةَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّ ذِرْعَ مَا بَيْنَهُما ثَلَاثٌ وخَمْسُونَ وشِبْر، وقَد اعْتُبِرَتْ مِنْ طَرَفِ الجِدَارِ القَبْلِيّ إِلَى طَرَفِ المنْبَرِ القَبْلِيّ مَعِ إِدْخالِ عَرْضِ الرُّخَامِ، فَإِنَّهُ لم يَكُنْ فِي زَمَانِ ابنِ زَبَالَةَ، فكَانَ ثلَاثًا وخَمْسِينَ ذِرَاعًا، وهُوَ ذِرَاع غَيْر ثُمُنٍ مِنْ ذِرَاعِ [62ظ] الْحَدِيدِ[5].

وهُوَ مُوَافِقٌ لما ذَكَرَ [أبو غسّان][6] صَاحِبُ مَالِك، وهُوَ محمّد بنُ يحيى، مِنْ أَنَّ بَيْنَهُما ثَلَاثًا وخَمْسِينَ ذِرَاعًا، وابن جَمَاعَة، حَيْثُ ذَكَرَ مِنْ ذِرْعِهِ بِذِرَاعِ العَمَلِ مَا يَقْتَضِي أَنَّ بَيْنَهُمَا اثْنَيْنِ وخَمْسِينَ ذِرَاعًا بِالذِّرَاعِ المتَقَدِّمِ، لم يُدْخِلْ عَرْضَ رُخَامِ الحُجْرَةِ وذِرْعٌ عَلَى الاسْتِقَامَةِ ولَمْ يعْتَبر الدِّرْع مِنَ الطَّرَفَيْنِ المذْكُورَيْنِ[7].

وأَمَّا المرَاغِي فاعْتَبَرَ مَعَ ذَلِكَ ذِرَاعَ المدِينَةِ وهُوَ أَزْيَدُ مِنَ الذِّرَاعِ الذِي تَقَدَّمَ تَحْرِيرُهُ بِنَحْوِ قِيرَاطٍ وثُلُثٍ، فقَالَ: وقَد اعْتَبَرْتُهُ فوَجَدْتُهُ خَمْسِينَ إِلَّا ثُلُثَيْ ذِرَاعٍ، وهَذَا المنْبَرُ مُقَدَّمٌ عَلَى مَحَلِّ المنْبَرِ الأَصْلِيّ لِجِهَةِ القِبْلَةِ عِشْرِينَ قِيرَاطًا مِنْ ذِرَاعِ الْحَدِيدِ، وإِلَى جِهَةِ الرَّوْضَةِ مِنْ مُقَدَّمِهِ نَحْو ثَلَاثَةِ قَرَارِيطَ[8] واللهُ أَعْلَمُ.

---

(1) الإسنوِي: عبد الرحيم بن الحسن الشافعي، نزيل القاهرة، مؤرخ، مفسر، فقيه، أصولي بإسنا من صعيد مصر، ت:772هـ، من تصانيفه الكثيرة: التمهيد في تنزيل الفروع على الأصول، شرح ألفية ابن مالك في النحو. طبقات الشافعية، بن قاضي شهبة، 98/3، ومعجم المؤلفين، 129/2.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص152.

(3) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم، الدمشقي الشافعي، ت:660هـ. سبق تعريفه.

(4) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص152.

(5) (م، س)، ص152.

(6) في الأصل: ابن عساكر، والتصحيح من خلاصة الوفا، قال: نقله الأقشهري عن أبِي غسَّان وهو محمد بن يحي صاحب مالك.

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص152.

(8) (م، س)، ص153.

الفَصْلُ الرَّابِعُ:

رَوَى يَحْيَى[1] عَنْ خارجة بنِ زيْد بن ثَابت: بَنَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَسْجِدَهُ سَبْعِينَ فِي سِتِّينَ[2]. قلْنَا هَذَا فِي البِنَاءِ الأَوَّلِ.

رَوَى جعْفر بن محمّد عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُمْ قَالُوا: يا رَسُولَ اللهِ لَوْ زِيدَ فِيهِ، فزَادُوا وجَعَلُوا طُولَهُ مِمَّا يَلِي الْقِبْلَةَ إِلَى مُؤَخِّرِهِ مِئَةَ ذِرَاعٍ وكَذَا فِي الْعرْضِ، وكَانَ مُرَبَّعًا[3].

وفِي هذَا البِنَاء الثَّانِي رَوَى يَحْيَى عَنْ أسامةَ بنِ زيدٍ عَنْ أَبِيهِ: كَانَ الذِينَ أَسَّسُوا المسْجِدَ جَعَلُوا طُولَهُ مِمَّا يَلِي القِبْلَةَ إِلَى مُؤَخّرِهِ مئَةَ ذِرَاعٍ، وفِي الجَانِبَيْنِ الآخَرَيْنِ مِثْل ذَلِكَ، فَهُوَ مُرَبَّعٌ[4] وقِبْلَتُهُ إِلَى بَيْتِ المقْدِسِ.

ورَوَى ابْنُ زَبَالةَ أَنَّهُ ﷺ زَادَ فِيهِ منَ المشْرِقِ والمغْرِبِ دُونَ القِبْلَةِ والشَّامِ[5].

ورَوَى يَحْيَى عَنْ محمّد بنِ يحْيى[6] صَاحِبِ مَالِكٍ: هُوَ مِن القِبْلَةِ إِلَى الشَّامِ أَرْبَعَةٌ وخَمْسُونَ ذِرَاعًا وثُلُثا ذِرَاعٍ ومِنَ المشْرِقِ للْمَغْرِبِ ثَلَاثٌ وسِتُّون ذِرَاعًا[7]. قُلْنَا: هَذَا قَبْلَ الزِّيَادةِ فيهِ، وبَعْدَهَا كانَ مِئَةً فِي مِئَةٍ.

وعَوَّلَ ابنُ النَّجَّار ومَن تَبِعَهُ مِنَ المتَأَخِّرِينَ علَى السَّبْعِينَ مِنَ القِبْلَةِ لِلشَّامِ، وعلَى السِّتِّين مِنَ المشْرِقِ إِلَى المغْرِبِ[8]. وابْنُ زَبَالةَ مِنْ أصْحَابِ مَالِك، ويَحْيَى مِنْ أَصْحَابِ أصْحَابِهِ. واللهُ أَعْلَمُ ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلاَّ باللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ.

39 وَقُلْ يَا أَعَزَّ المرْسَلِينَ وَمَنْ لَهُ عَلَى الدُّرْوَةِ الْعَلْيَاءِ أَرْفَعُ أَفْنَانِ

40 وَخَيْرَ نَبِيءٍ جَاءَ مِنْ خَيْرِ عنْصرٍ[9] بِخَيْرِ كِرَامٍ هَدْيُهُم خَيْرُ قُرْآنِ

41 وأَوَّلَهُم خَلْقًا وَنَشْرًا إِذَا دُعُوا وآخرَهم بَعْثًا وَأَكْرَمَ جِيرَانِ

42 لَكَ المعجِزَاتُ الغُرُّ لاَحَتْ خَوَارِقًا وأَبْهَرُ آياتٍ لَدَيْكَ وسُلْطَانِ

وقُلْ أَيُّهَا الزَّائرُ الوَاقِفُ فِي حِمَى خَيْرِ الوَرَى: يا مَنْ هُوَ عنْدَ اللهِ أَفْضَلُ وأَحَبُّ، وأَكْرَمُ عِنْدَ اللهِ

---

(1) يحيى بن الحسن بن جعفر، العلوي سبق تعريفه.

(2) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص210.

(3) (م، س)، ص210-211، نقلا عن رزين.

(4) (م، س)، ص211.

(5) (م، س)، ص211.

(6) محمد بن يحيى بن حبان الأنصارِي، حدث عن ابن عمر وأنس بن مالك، حدث عنه مالك وابن إسحاق والليث، وهو إمام مجمع على ثقته، وهو من أعيان مشيخة مالك، ت: 121هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 186/5.

(7) خلاصة الوفا، السمهودِي، ص213.

(8) الدرة الثمينة، ابن النجار، ص182، وخلاصة الوفا، السمهودِي، ص214.

(9) ضبطَ العينَ والصَّاد بالشَّكلين، الضمّ والفتحُ.

مِنْ سَائِرِ المرْسَلِينَ، ويَا مَنْ لَهُ أَرْفَعُ أَنْوَاعِ الدِّينِ والدُّنْيَا والآخِرَةِ علَى مَنْ هُوَ أَعْلَى وَأَيَّدُ علُوًّا.

ويَا خَيْرَ نَبِيءٍ جَاءَ مِنْ أَفْضَلِ الأُصُولِ والأَحْسَابِ بِخَيْرِ الكِرَامِ الذِينَ جاؤُوا بِخَيْرِ مَا يُقْرَأُ كالتَّورَاةِ والإِنْجِيلِ [63و] والزَّبورِ.

ويَا أَوَّلَهُمْ خَلْقًا مِنَ العَدَمِ إِلَى الوُجُودِ، ونَشْرًا مِنَ القَبْرِ إِذَا دَعَاهُمْ إِسْرَافِيلُ، ويَا آخِرَهُم بَعْثًا بالنُّبُوَّة والرِّسالَةِ، ويَا أَكْرَمَهُمْ جِيرانًا.

لَكَ الأُمُورُ الخَارِقَةُ لِلْعَادَةِ في الاسْتِدْلالِ علَى النُّبُوءَةِ والرِّسالَةِ حالَ كَوْنِها لَاحَتْ، حالَ كَوْنِهَا خَوَارِقَ للْعَادَاتِ.

وإِنَّ لَكَ أَبْهَرَ[1] وإِنَّ عنْدَكَ آيَاتٍ وقُوَّةً أَعْظَم قَطْعًا لِلشُّبَهِ والأَعْدَاءِ مِنْ كُلِّ آيَةٍ وقُوَّةٍ.

فـ"مَنْ" وَ "خَيْرَ نَبِيءٍ" وَ "أَوَّلَهُمْ وَ"آخِرَهُمْ" وَ "أَكْرَمَ" مَعْطُوفاتٌ علَى المنَادَى.

و"عَلَى الذُّرْوَةِ": مُتَعَلِّقٌ بـ "أَرْفَعُ" قُدِّمَ عَلَيْهِ لِلضَّرُورَةِ، وسهّلهُ أَيْضًا أَنَّهُ ظَرْفٌ وإِلاَّ فَ "أَرْفَع" اسْمُ تَفْضِيلٍ لَا يَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ مَعْمُولُهُ ولَوْ لم يَكُنْ مَدْخُولَ "مِن" التَّفْضِيلِيَّةِ إِلَّا فِي نَحْوِ: زَيْدٌ مُفْرَدًا أَنْفَعُ مِنْ عَمْرُو مُعَانًا. ودُرْوَةُ الشَّيْءِ: أَعْلَاهُ بِضَمِّ الدَّالِ، فَنَعَتَهُ بِـ "الْعَلْيَاءِ" لِلتَّأْكِيدِ ومَزِيدِ المبالَغَةِ فِي الْعُلُوِّ. و"الْعَلْيَاءُ": بفَتْحِ الأَوَّلِ وبِالمدِّ صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ كَالْحَسْناءِ بِفَتْحٍ ومَدٍّ.

و"أَرْفَعُ": اسْمُ تفْضِيلٍ مِنَ المبْنِيّ لِلْمَفْعُول بِنَاءً علَى قِيَاسِهِ مِنْهُ، بَلْ لِوُرودٍ فِي هَذَا اللَّفْظِ، وذَلِكَ لِأَنَّ المرَادَ أَنَّ أَفْنَانَهُ مَرْفُوعَةٌ فَوْقَ أَفْنَانِ غَيْرِهِ.

و"الأَفْنَانُ": جَمْعُ فَنَنٍ وهُوَ الغُصْنُ، وهُوَ استِعَارَةٌ لِلْأُمورِ الدِّينِيَّةِ والدُّنْيَوِيَّة والأُخْرَوِيَّةِ الطَّيِّبَةِ.

و"لَهُ": خَبَرٌ، و"أَرْفَعُ": مُبْتَدَأ، والجُمْلَةُ صِلَةُ "مَنْ" أَوْ نَعْتُهُ، والموْصُولُ المنَادَى فِي مَحَلِّ نَصْبٍ؛ لِأَنَّهُ شَبِيهٌ بِالمضَافِ لِطُولِهِ بِالصِّلَةِ، وإِذَا قُلْتَ "مَنْ" مَنْعُوتَةٌ فَمَحَلُّهَا رَفْعٌ لِأَنَّها نَكِرَةٌ مَقْصُودَةٌ.

و"الْعُنْصر": بِضَمِّ العَيْنِ والصَّادِ أَوْ بِفَتْحِهمَا الأَصْلُ والْحَسَبُ.

والْجَائِي مِنْ خَيْرِ عُنْصرٍ بِخَيْرِ كِرَامٍ هَدْيُهُمْ خَيْرُ قُرْآنٍ هُوَ غَيْرُ نَبِيئِنَا ﷺ بِمَعْنَى أَنَّهُ يُخْتَارُ أَفْضَلُ الأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ سِوَاهُ ﷺ فَيَفْضُلُ علَيْهِ نَبِيئُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ فَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِك الفَاضِلِ، فَهُوَ لُبُّ اللُّبِّ. و"خَيْرِ كِرَامٍ" مَا يُضافُ إِلَى النَّاسِ الكِرَامِ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا والدِّينِ والآخِرَةِ.

و"الهَدْيُ": السِّيرَةُ مِنَ الدِّيَانَةِ ومَكارِمِ الأَخْلَاقِ. فقَد اخْتَارَ خَيْرَ الأَنْبِيَاءِ غَيْره، الذِي لَهُ أَفْضَلُ خَيْرٍ وأَفْضَلُ كِتَابٍ مُنَزَّلٍ يُقْرَأُ، ولَهُ صَحَابَةٌ كِرَامٌ وفَضلَ عَلَيْهِ نَبِيئُنَا ﷺ. وعَلَى أَصْحَابِهِ وخَيْرِهِمْ وهَدْيِهِمْ صَحَابَةُ نَبِيئِنا وسِيرَتُهُم وهَدْيُهُمْ، وعَلَى كِتَابِهِ كتَابُ نبِيئِنَا ﷺ فخَيْرُ سائِرِ الكُتُبِ التَّورَاةُ غَيْرِ القُرْآنِ، والقُرْآنُ أَفْضَلُ مِنْهَا.

(1) فوق العبارة خطٌّ صغير.

وهَذَا عَلَى أَنَّ "جَاءَ" نَعْتُ "نَبِيءٍ" ويَجوزُ أَنْ يَكُونَ نَعْتَ "خَيْر" فيَكُونُ "خَيْر كِرَامٍ" مَا لِخِيَارِ هَذِهِ الأُمَّة والصَّحَابَةِ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ والدِّينِ، ويَكُونُ الْكِرَامُ الصَّحَابَةُ أَوْ أَهْلُ التَّقْوَى والعِلْمِ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ. والْخَيْرُ المضَافُ لِلْقُرْآنِ هُوَ القُرْآنُ المنَزَّلُ علَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ [63ظ] و"قُرْآن": المضَافُ إِلَيْهِ خَيْرٌ شَامِلٌ لِكُتُبِ اللهِ جَلَّ وعَلَا. و"النَّشْرُ": البَعْثُ مِنَ القَبْرِ. وفَاعِلُ "دُعُوا" النَّائِبُ عَنْهُ الوَاوُ هُوَ إِسْرَافِيلُ. و"البَعْثُ": الإِيحَاءُ إِلَيْهِ وإِرْسَالُهُ.

وأَصْلُ "جِيرَان" النَّصْبُ علَى التَّمْيِيزِ؛ أَيْ: وأَكْرَمَهُمْ جِيرانًا، لَكِنْ جُرَّ بالإِضَافَةِ؛ فالمعْنَى أَنَّ مَنْ جاوَرَهُ وهُوَ الصَّحابَةُ أَوْ أَهْلُ البَقِيعِ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ جِيرَان، أَمَّا الصَّحابَةُ فَمُطْلَقًا فإِنَّ صَحَابَتَهُ خَيْرٌ مِنْ صَحَابَةِ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ. وأَمَّا الجِوَارُ بِالدَّفْنِ فَمِنْ حَيْثُ الجِوَارُ فَإِنَّ مُجَاوَرَتَهُ أَفْضَلُ مِنْ مُجَاوَرَةِ كُلِّ أحَدٍ، وَكَذَا مُجَاوَرَتُهُ إِلَى الآن بِالمدِينَةِ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ مُجَاوَرَةٍ. أَوْ "جِيرَانِ" بِالْإِضَافَةِ مِنْ أَوَّلِ فذَلِكَ وَجْهَانِ، الأَوَّلُ: أَنَّ جِيرَانَهُ أَكْرَمُ جيرَانٍ، والثَّانِي: أَنَّهُ ﷺ أَفْضَلُ جَارٍ والوَاحِدُ جَارٌ.

وجُمْلَةُ "لَاحَتْ": حَالٌ مِنَ المسْتَتِرِ فِي "لَكَ"، و"خَوَارِق": حَالٌ مِنَ المستَتِرِ فِي "لَاحَتْ".

والْغُرُّ بِضَمِّ الغَيْنِ: جَمْعُ غَرّاء بِفَتْحِهَا والمدِّ؛ أَيْ: البِيضُ مِنْ بَيَاضِ عُلُوِّ الشَّأْنِ لَا بَيَاضِ لَوْنٍ.

وَ"أَبْهَر": مُبْتَدَأ، و"لَدَيْكَ": خَبَر، و"سُلْطَان": مَعْطُوفٌ علَى "آيَات"؛ أَيْ: وعِنْدَكَ آياتٌ تُتْلَى وقُوَّةٌ فِي أَمْرِ الدِّينِ والدُّنْيَا أَبْهَرُ.

فَ "أَبْهَرُ": نَعْتٌ قُدِّمَ وأُضِيفَ لِلْمُبْتَدَأِ وهُوَ اسْمُ تَفْضِيلٍ يَجِبُ إِفْرَادُهُ؛ لِأَنَّهُ نَكِرَةٌ غَيْرُ مُضَافٍ لَوْ أُخِّرَ، ومُضَافٌ لِنَكِرَةٍ إِذْ قُدِّمَ.

وهُنَا فُصُولٌ فِي فَضْلِهِ ﷺ علَى غَيْرِهِ والرِّسَالَةِ والنُّبُوءَةِ وأَوَّلِ الخَلْقِ خَلْقًا وأَوَّلِهِمْ بَعْثًا مِنْ قَبْرٍ، والمعْجِزَةِ.

الفَصْلُ الأَوَّلُ: [فَضْلُهُ ﷺ علَى غَيْرِهِ]

قالَ اللهُ جَلَّ وعَلَا: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[1] وَصَفَ الأَنْبِيَاءَ بِالأَوْصَافِ الحَمِيدَةِ، وأَمَرَهُ بِالاقْتِدَاءِ بِهِمْ، ففِيهِ أَوْصَافُهُمْ وزِيَادَةٌ، فهُوَ أَفْضَلُ بِمُجَرَّدِ جَمْعِ أَوْصافِهِمْ فَكَيْفَ وقَدْ زَادَ.

وكَذَا دَلَّ علَى فَضْلِهِ عَلَيْهِمْ حَدِيثُ الشَّفَاعَةِ؛ إِذْ تَدَافَعَهَا آدم ومَنْ بَعْدَهُ حَتَّى تَنْتَهِي إِلَيْهِ ﷺ فيَشْفَعُ فَهُوَ أَفْضَلُ بِهَذَا وكَيْفَ وقَدْ قَالَ أَيْضًا: ((**أَنَا لَهَا**))[2].

(1) سورة الأنعام: 90.

(2) صحيح البخاري، حديث (7510) وصحيح مسلم، حديث (326).

وفِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: ((**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ**))[1] وفِي رِوَايَةٍ: ((**أَنَا أَكْرَمُهُمْ عَلَى رَبِّي**)) وفِي حدِيثِ التِّرْمِذِي: ((**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ بِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيءٍ، آدَم فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي**))[2] وهُوَ صَرِيحٌ فِي دُخُولِ آدَمَ كحَدِيثِ البُخَارِي وغَيْرِهِ: ((**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**))[3] وحَدِيثِ: ((**أَنَا سَيِّدُ الْعَالمينَ**))[4] صَحَّحَهُ الحاكِمُ واعْترضَ، وإِذَا صَحَّ فضْلُهُ علَى الأَنْبِيَاءِ بِهَذِهِ الأَدِلَّةِ ومَا بَعْدَها تبَادَرَ أَنَّهُ المرَادُ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وعَلَا:﴿ **وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ** ﴾[5] كمَا قَالَ الزّمخشري: إِنَّ فِي هَذَا الإِبْهَامِ مِنْ تَفْخِيمِ فَضْلِهِ وإِعْلَاءِ قَدْرِهِ مَا لَا يَخْفَى لما فِيهِ مِنَ الشَّهَادَةِ عَلَى أَنَّهُ العَلَمُ الذِي لَا يَشْتَبِهُ[6].

ومِنْ تِلْكَ الدَّرَجَاتِ أنَّ آيَاتِهِ [64و] ومُعْجِزَاتِهِ أَكْبَرُ وأَبْهَرُ، إِذْ مَا مِنْ مُعْجِزَةٍ لِنَبِيءٍ قَبْلَهُ إِلَّا ولَهُ مِثْلُهَا أَوْ أَبْهَرُ مِنْهَا كَمَا أَنَّهُ خَلَقَ اللهُ لَهُ مِنَ الجَنَّة رَوْضَتَهُ وهِيَ أَعْظَمُ مِنَ الحجر الأَسود الذِي جَاءَ بِهِ الملَكُ جبْرِيلُ عليه السلام لِأَبيهِ إبراهيم، وزَادَ علَيْهِمْ بِمُعْجِزَاتٍ لم يَقَعْ نَظِيرُها لِأَحَدٍ مِنْهُم ونَاهِيكَ بكِتَابِهِ القُرْآنِ، فإِنَّهُ لَا تَتَنَاهَى مُعْجِزَاتُهُ ولَا تَنْقَضِي آيَاتُهُ، وإِنَّ أُمَّتَهُ أَزكَى وأَكْثَرُ وأَطْهَرُ مِنْ بَقِيَّةِ الأُمَمِ بِنَصِّ ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ۝ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾[7] وخَيْرِيَّةُ الأُمَّةِ تَسْتَلْزِمُ خَيْرِيَّةَ نَبِيئِهَا وأَفْضَلِيَّةَ دِينِهَا.

وانْظُرْ إِلَى سَيِّدِنا مُوسَى عليه السلام، سَأَلَ اللهَ أَنْ يَجْعَلَهُ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الملَائِكَةِ لأَنَّ آدَمَ أَفْضَلُ مِنْهُمْ بِنَصِّ الآيَةِ، وهُوَ ﷺ أَفْضَلُ مِنْ آدمَ عليه السلام، وقَدْ قالَ ﷺ: ((**أَنَا أَكْرَمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ**))[8] قِيلَ: هذَا شَامِلٌ لِلْمَلَائِكَةِ كغَيْرِهِمْ. قالَ آدَمُ: ((يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ ﷺ لما غَفَرْتَ لِي)) أَيْ: إِلَّا غَفَرْتَ لِي كَمَا هُوَ رِوَايَة، وفِيهِ أَنَّهُ قالَ: ((يا آدَمُ كَيْفَ عَرَفْتَهُ ولَمْ أَخْلُقْهُ؟ قالَ: يَا رَبِّ لمّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ أَيْ: بِقُدْرَتِكَ البَاهِرَةِ ونَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ أَيْ: سِرِّكَ العَجِيبِ الذِي لَا يَعْلَمُ حَقِيقَتَهُ أَحَدٌ غَيْرُكَ، رَفَعْتُ رَأْسِي فرَأَيْتُ علَى قَوَائِمِ العَرْشِ مَكْتُوبًا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لم تُضِفْ إِلَى اسْمِكَ إِلَّا أَحَبَّ الخَلْقِ إِلَيْكَ. قالَ اللهُ تعالَى: صَدَقْتَ يَا آدَمُ إِنَّهُ لَأَحَبُّ

---

(1) صحيح مسلم، حديث (3).

(2) سنن الترمذِي، حديث (3148).

(3) صحيح البخارِي، حديث (4712).

(4) المستدرك للحاكم، حديث (4229)، وفيه: ((هَذَا سَيِّدُ العَالمينَ)) وقال: أظنه موضوعا فبعضه باطل.

(5) سورة البقرة: 253.

(6) الكشاف، الزمخشري، 144/1.

(7) سورة آل عمران: 110.

(8) سنن الترمذي، حديث (3616).

الخَلْقِ إِليَّ وإِذْ سَأَلْتَنِي بِحَقِّ مُحَمَّدٍ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ، ولَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ))[1] صَحَّحَهُ الحاكِمُ واعْتَرَضَ. لَكِنْ صَحَّ عَن ابن عبَّاس رضِيَ اللهُ عنْهُمَا ولَهُ حُكْم المرْفُوعِ إِلَيْهِ ﷺ: ((**وَلَوْلَا مُحَمَّد مَا خَلَقْتُ آدَمَ، وَلَوْلَا مُحَمَّد مَا خَلَقْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَلَقَدْ خَلَقْتُ الْعَرْشَ عَلَى الماءِ، فَاضْطَرَبَ فَكَتَبْتُ عَلَيْهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ فَسَكَن**))[2].

وفِي رِوَايَاتٍ أُخَرَ: ((**لَوْلَاهُ مَا خَلَقْتُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَلَا الطُّولَ وَلَا الْعَرْضَ، وَلَا وَضْعَ ثَوَاب وَلَا عِقَاب وَلَا خَلَقْتُ جَنَّةً وَلَا نَارًا وَلَا شَمْسًا وَلَا قَمَرًا**))[3].

وصَحَّ عنْهُ ﷺ: ((**أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ فأُلْبَسُ الحُلَّةَ مِنْ حُلَلِ الجَنَّةِ ثُمَّ أَقُومُ عنْ يَمِينِ العَرْشِ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ يَقُومُ ذَلِكَ المقَامَ غَيْرِي**))[4].

وفِي رِوَايَة ذَكَرَهَا البُلقيني[5] فِي "فَتَاوِيهِ" أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: ((**قَدْ مَنَنْتُ عَلَيْكَ بِسَبْعَةِ أَشْيَاءَ أَوَّلُهَا أَنِّي لم أَخْلُقْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْكَ**))[6].

وفِي أُخْرَى ذَكَرَهَا أَيْضًا: ((**أَنَّ جِبْرِيلَ** عليه السلام **قَالَ لَهُ: أَبْشِرْ فَإِنَّكَ خَيْرُ خَلْقِهِ وَصَفْوَتُهُ مِنَ الْبَشَرِ، حَبَاكَ اللهُ بِمَا [64ظ] لم يُحْبِ بِهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ لَا مَلَكًا مُقَرَّبًا وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلًا**)) الحديث[7].

وصَحَّ عنْ بحيرا الرّاهب وهُوَ مِنْ علَمَاءِ أَهْلِ الكِتَابِ الذِينَ لَا يقُولُونَ شَيْئًا إِلَّا عَن الكِتابِ: هَذَا سَيِّدُ العَالمينَ[8].

وصَحَّ عنْ عبد الله بن سلّام الصَّحَابِيّ الجَلِيلِ إِمامِ أَهْلِ الكِتَابِ بِشَهَادَتِهِ ﷺ أَنَّهُ ذَكَرَ يَوْمَ الجُمُعَةِ بالمسْجِدِ أُمُورًا مِنْها: إِنَّ أَكْرَمَ خَلِيقَةِ اللهِ علَى اللهِ أَبُو القَاسِمِ ﷺ، فقِيلَ لَهُ: فأَيْنَ الملَائِكَةُ؟ فضَحِكَ وقَالَ لِلسَّائِلِ: يَا ابْنَ أَخِي هلْ تَدْرِي ما الملَائِكَةُ؟ إِنَّمَا الملَائِكَةُ خَلْقٌ كَخَلْقِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ والرِّياحِ والسَّحابِ والجِبَالِ وسَائِرِ خَلْقِ اللهِ التِي لا تَعْصِي اللهَ شَيْئًا، وإِنَّ أَكْرَمَ الخَلْقِ علَى اللهِ أَبُو القَاسِمِ ﷺ[9].

---

(1) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، 437/7، المستدرك، الحاكم، حديث (4228).

(2) المستدرك، الحاكم، حديث (4227).

(3) لم أقفْ عليهِ بلفظِهِ.

(4) الفتاوى الحديثية، ابن حجر الهيثمي، ص190.

(5) عمر بن رسلان الكناني، البلقيني الأصل، الشافعي (سراج الدين) فقيه، متكلم، مفسر، محدث، ت: 805هـ، من تصانيفه: ترجمان شعب الإيمان، حاشية على الكشاف. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 558/2.

(6) الفتاوى الحديثية، ابن حجر الهيثمي، ص190.

(7) (م، س)، ص190.

(8) مسند البزار، حدِيث (3096)، والمستدرك، الحاكم، حدِيث (4229).

(9) المعجم الكبِير، الطبراني، حدِيث (400)، والمستدرك، الحاكم، حدِيث (8698).

وبَيَّن البُلْقِيني أَنَّ هَذا لهُ حُكْم المرْفُوعِ[1]، وهُوَ كَذَلِكَ فَإِنَّهُ مِنْ أَجَلِّ الصَّحَابَةِ فلَا يَقُولُ إلاَّ عنْهُ ﷺ أوْ عَمَّا صَحَّ مِنَ التَّورَاةِ.

واخْتِيَارُ الباقلّاني[2] والحليمِي[3] أَفْضَلِيَّةَ الملَائِكةِ يُمكِنُ حَمْلُهُ علَى غَيْرِ نَبِيئِنَا ﷺ[4]. وبِهَذَا جَزَمَ بعْضُ أَجِلاَّءِ تلَامِذَتِهِ كَالزّركشي[5][6]، أو علَى تفْضِيلٍ فِي نَوْعٍ خَاصٍّ لِأَنَّهُ قَدْ يوجَدُ فِي المفْضُولِ مَزِيَّةٌ بلْ مَزَايَا لَا تُوجَدُ إلَّا فِي الفَاضِلِ[7].

والكلَامُ في تفْضِيلِهِ ﷺ فَرْضُ كِفَايَةٍ وأَكِيدٌ. وقالَ بَعْضُ الأشعريّة: إِنَّهُ فَرْضُ عَيْنٍ أنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ أَفْضَلُ الخلْقِ؛ لِأَنَّهُ صَحَّ الحدِيثُ المشْهُورُ: ((**ثَلَاثَةٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا**))[8].

وأمَّا قولُهُ تعالى: ﴿**لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ**﴾[9] وقولهُ: ﴿**لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ**﴾[10] فهُوَ بِاعتِبَارِ الإيمَانِ بِهِمْ ومَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ، لَا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ.

وأَمَّا الأَحَادِيثُ الصَّحيحَة: ((**لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ**))[11] **و** ((**لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى الْأَنْبِيَاءِ**))[12] ((**لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ**))[13] فهِيَ قَبْلَ عِلْمِهِ بالتَّفضِيلِ، وقَبْلَ علْمِهِ بأَنَّهُ أفْضَلُهُم. أو هِيَ في تَفْضِيلٍ يودِي إِلَى النَّقصِ مِنْ أَحَدِهِمْ والغَضِّ مِنْ أَحَدِهِمْ، كما يَدُلُّ عَلَيْهِ سِياقُ الحَديثِ. أوْ هِيَ فِي تَفْضِيلٍ في ذاتِ النُّبوءَةِ والرِّسالَةِ فإنَّهُم لم يتَفَاوَتُوا فِيهِمَا بَلْ فِي زِيَادَةِ الأَحْوَالِ والمعَارِفِ والخُصُوصِيَّاتِ والكَرَامَاتِ.

---

(1) الفتاوى الحديثية، ابن حجر الهيثمي، ص191.

(2) محمد بن الطيب بن محمد البصري، ثم البغدادي، المعروف بالباقلاني (أبو بكر) متكلم على مذهب الأشعري، ولد بالبصرة، وسكن بغداد، سمع بها الحديث، ت: ببغداد 403هـ، من تصانيفه: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، إعجاز القرآن، أسرار الباطنية، وهداية المسترشدين في الكلام. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 373/3.

(3) الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم سبق تعريفه.

(4) الفتاوى الحديثية، ابن حجر الهيثمي، ص191.

(5) الزركشِي: محمد بن بهادر بن عبد الله المصري الزركشي، الشافعي (بدر الدين، أبو عبد الله) فقيه، أصولي، محدث، أديب، تركي الأصل، مصري المولد، أخذ عن جمال الدين الأسنوي، وسراج الدين البلقيني، ورحل إلى حلب، ولي مشيخة خانقاه كريم الدين بالقرافة الصغرى، وتوفي بالقاهرة 794هـ، من تصانيفه: البحر في أصول الفقه في ثلاثة أسفار، شرح جمع الجوامع للسبكي. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 174/3.

(6) ينظر: تشنيف المسامع بجمع الجوامع، الزركشِي، 176/4.

(7) ينظر الأقوال في المسألة: الحبائك في أخبار الملائِكِ، السيوطِي، ص203.

(8) صحيح ابن حبَّان، حدِيث (237).

(9) سورة البقرة: 285.

(10) سورة البقرة: 136.

(11) صحيح البخارِي، حدِيث (3414)، وصحيح مسلم، حدِيث (159)، وفيهما: ((لا تفضلوا بين أنبياء الله)).

(12) البداية والنهاية، ابن كثير، 395/1.

(13) صحيح البخارِي، حدِيث (2412)، وصحيح مسلم، حدِيث (163).

وأَمَّا ما قِيلَ مِنْ حَمْلِها علَى التَّواضُع فلَا يَصِحُّ؛ لِأَنَّهُ لَا يَحِلُّ لَه النَّهْيُ عمَّا هُوَ حَقٌّ مُوحَى بِهِ فلَا يَفْعَلُهُ حاشَاهُ.

وقِيلَ: هِيَ فِي التَّفضيلِ بالرَّأْيِ، ورُدَّ هذا بِالإِجْمَاعِ على مَنْعِ تَفْضِيلِهِ بالرَّأْيِ وَفِيهِ أنَّ الإِجْمَاعَ على مَنْعِهِ لَا يَمْنَعُ مِنْ كَوْنِهِ مُرَادًا في الحَدِيثِ بالمنْعِ.

وأَمَّا الحدِيثَانِ الصَّحِيحَان عنهُ ﷺ: ((**مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بنِ متّى**))[1] ((**مَنْ قَالَ أَنَا** [65و] **خَيْرٌ مِنْ يُونُس بن مَتَّى فَقَدْ كَذبَ**))[2]. ففِيهِمَا الأَجْوِبَةُ السَّابِقَةُ، وزِيَادَةُ أَنَّ حِكْمَةَ التَّخْصِيصِ فِيهِمَا بِيُونُسَ نَفْيُ تَوَهُّمِ التَّفَاوُتِ بَيْنَهُمَا فِي القُربِ مِنَ الحَقِّ جَلَّ وعَلَا؛ لِاخْتِلَافِ مَحَلِّهِمَا الصُّورِيّ بِرَفْعِ نَبِيئِنَا ﷺ إِلَى مَا فَوْق سِدْرَةِ المنْتَهَى، ونُزُولِ يُونُسَ إِلَى قَعْرِ البَحْرِ؛ أَيْ: لَا تَتَوَهَّمُوا مِنْ هَذَا التَّفَاوُتِ الحِسِّي تفَاوُتًا فِي القُرْبِ والبُعدِ مِنَ اللهِ، بَلْ نِسْبَةُ كُلٍّ إِلَيْهِ واحِدَةٌ وإِنْ تَفَاوَتَ مَكَانُهُ لِتَعَالِيهِ عَن الجِهَةِ والمكَانِ فَهُوَ نَهْيٌ عنْ تَفْضِيلٍ بِمَكَانٍ، لا مُطْلَقًا.

ومِن فَضْلِهِ ﷺ أَنَّهُ صَلَّى إِمامًا لِلْأَنْبِئَاءِ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ.

وعنْ عَلِيّ بنِ أَبي طالِب أَنَّهُ قالَ: لم يَبْعَث اللهُ تعَالَى نَبِيًّا مِنْ آدَم فمَنْ بَعْدَهُ إِلَّا أَخَذَ علَيْهِ العَهْدَ فِي مُحَمَّدٍ ﷺ لَئِنْ بُعِثَ وهُوَ حَيٌّ لَيُومِنَنَّ بِهِ ولَيَنْصُرَنَّهُ، ويأْخُذُ العَهْدَ بِذَلِكَ علَى قَوْمِهِ[3]. وهُوَ يُرْوَى عن ابنِ عبّاس أَيْضًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا[4].

وقِيلَ: إِنَّ اللهَ تعَالَى لمَّا خَلَقَ نورَ نبِيئِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ أَمَرَهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى نُورِ الأَنْبِئَاءِ عَلَيْهِم السَّلَامُ فغَشِيَهُم مِنْ نُورِهِ ما أَنْطَقَهُم اللهُ بِهِ، وقَالُوا: يا رَبَّنا مَنْ غَشِيَنا نورُهُ؟ فقَال اللهُ تعَالَى: هذَا نُورُ مُحَمَّد بنِ عبْدِ اللهِ، إِنْ آمَنْتُم بِهِ جَعَلْتُكُم أَنْبِئَاءَ، قالُوا: آمَنَّا بِهِ وبنُبُوءَتِهِ، فقالَ اللهُ تعَالَى: أَشْهدُ علَيْكُم؟ قالُوا: نَعَمْ، فذَلِك قوْلُهُ تعالَى: ﴿**وَإِذَ اَخَذَ اَللَّهُ مِيثَٰقَ اَلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ**﴾ إلى قولِهِ: ﴿**وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ اَلشَّٰهِدِينَ ﴿81﴾**﴾[5][6].

---

(1) صحيح البخارِي، حدِيث (4603)، وصحيح مسلم، حدِيث (43).

(2) صحيح البخارِي، حدِيث (4604).

(3) تفسير الطَّبَرِي، 555/6، والشفا، القاضِي عياض، ص140.

(4) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 66/1.

(5) سورة آل عمران: 81.

(6) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 67/1.

قال السُّبْكِي: هذِهِ الآيةُ تنْوِيهٌ بالنَّبِيءِ ﷺ وتعْظِيمُ قَدْرِهِ العَلِيّ ما لَا يخْفَى، وعلَى تقْدِيرِ مَجِيئِهِ في زمَانِهِم يكُونُ مُرسَلًا إِلَيْهِمْ، فرِسَالَتُهُ عامَّة لِجَمِيعِ الخَلْقِ منْ زَمَانِ آدَمَ إِلَى يَوْمِ القِيَامةِ، فالأَنْبِئَاءُ وأُمَمُهُم كُلُّهم مِنْ أُمَّتِهِ ﷺ[1].

فالأَنْبِئَاءُ قبْلَهُ نُوَّابٌ عنهُ يبَلِّغُونَ شَرَائعَ خاصَّةً في زَمَانٍ خَاصٍّ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ.

ويكُونُ قولُهُ ﷺ: ((**بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً**))[2] لَا يَخْتَصُّ بِهِ النَّاسُ مِنْ زمَانِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، بلْ يَتَناوَلُ مَنْ قَبْلَهُم أيْضًا ويَتَبَيَّنُ بهَذَا مَعْنَى قَوْلِه ﷺ: ((**كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ**))[3] فالنَّبِيءُ ﷺ نَبِيءُ الأَنْبِئَاءِ فَهُمْ لِذَلِكَ تَحْتَ لِوَائِهِ يوْمَ القِيَامةِ، ومأْمُومُونَ لَهُ لَيْلَةَ الإِسْراءِ[4]. ا.هـ

قالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَإِذَ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ**﴾[5] الآيةَ قالَ الحسن وطاوس وقتادة: أَخْبَرَ تعَالَى أَنَّهُ أَخَذَ مِيثاقَ كُلِّ نَبِيءٍ بَعَثَهُ مِنْ لَدُنْ آدمَ علَى مُحَمَّدٍ ﷺ أَنْ يُصَدِّقَ بعضُهُمْ بَعْضًا[6]؛ أَيْ: فكُلٌّ يُصَدِّقُ جَمِيعَ مَنْ بعْدَهُ حَتَّى يُصَدِّقَ كُلُّهُم سَيِّدَنا مُحَمَّدًا ﷺ، وقِيلَ: المعْنَى أنَّه تعالَى أَخَذَ الميثَاقَ [65ظ] مِنَ النَّبيئينَ وأُمَمِهِمْ، واسْتَغْنَى بِذِكْرِهِمْ، عَنْ ذِكْرِ الأُمَمِ.

وعَنْ عليّ بنِ أبي طالب وابنِ عَبَّاسٍ: ما بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِئَاءِ إِلَّا أَخَذَ علَيْهِ الميثَاقَ لَئِنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ وهُوَ حَيٌّ لَيُومِنُنَّ بِهِ ولَيَنْصُرنَّهُ[7].

وما قَالَهُ قتادة والحَسَنُ وطَاوُسُ لَا يُضَادُّ ما قَالَهُ عَلِيّ وابنُ عَبَّاسٍ ولَا يَنْفِيهِ بلْ يَرْجِعُ إِلَيْهِ كمَا فَسَّرْتُهُ.

وقِيلَ: إنَّ الأَنْبِئَاءَ كانُوا يأْخُذُون الميثَاقَ مِنْ أُمَمِهِمْ بِأَنَّهُ إِذَا بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ أنْ يُؤْمِنُوا بِهِ وأَنْ يَنْصُرُوهُ، واحْتُجَّ لَهُ بِأَنَّ الذِينَ أخَذَ اللهُ الميثَاقَ مِنْهُمْ يَجِبُ عليْهِم الإِيمَانُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ عنْدَ مَبْعَثِهِ، وكانَ الأَنْبِئَاءُ عِنْدَ مَبعَثِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ جُمْلَةِ الأَمْوَاتِ والميّتُ لا يكُونُ مُكَلَّفًا، فتَعَيَّنَ أن يَكُونَ الميثَاقُ مأْخُوذًا علَى الأُمَمِ. ويُؤَكِّدُ هذَا أَنَّهُ تعَالَى حَكَمَ عَلَى الذِينَ أَخَذَ عَلَيْهِم الميثَاقَ وأَنَّهُمْ لَوْ تولَّوْا لكَانُوا فاسِقِينَ، وهَذَا الوَصْفُ لَا يَلِيقُ بالأَنْبِئَاءِ، وإِنَّما يَلِيقُ بالْأُمِمِ.

وأجَابَ الفَخْرُ بِأَنَّ المرادَ أَنَّ الأَنْبِئَاءَ لوْ كانُوا في الحَيَاةِ لَوَجَبَ علَيْهِم الإِيمَانُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، ونَظِيرُهُ

---

(1) المواهب اللَّدنية، 67/1، التعظيم والمنة، السبكي، ص85.

(2) صحيح البخاري، حدِيث (438).

(3) مسند أحمد، حدِيث (16623).

(4) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 67/1، التعظيم والمنة، السبكي، ص86.

(5) سورة آل عمران: 81.

(6) تفسير القرآن العظِيم، ابن كثِير، 100/3.

(7) (م، س)، 100/3.

قوْلُهُ تعالَى: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ ﴾[1] وقَدْ عَلِمَ اللهُ أنَّهُ لا يُشرِكُ، ولَكِنْ خَرَجَ هذَا الكَلَامُ علَى سَبِيلِ الفَرْضِ والتَّقْدِيرِ، وكذَا خرَجَ قوْلُهُ عزَّ وعَلَا: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا ﴾[2] وقَوْلُهُ في الملَائِكَةِ: ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ ﴾[3] الآيتَيْنِ[4]. بلْ قوْلُهُ: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ ﴾ إلخ نَفْيٌ فإذا وجَبَ على الأَنْبِيَاءِ الإيمَانُ بهِ ﷺ فأَوْلَى أنْ يَجِبَ علَى أُمَمِهِمْ، فصَرْفُ هذَا الميثَاقِ إلى الأَنْبِيَاءِ أَقْوَى في تَحْصِيلِ المقْصُودِ، وإنَّما أَخَذَ لَهُ المواثِيقَ علَى الأَنْبِيَاءِ لِيَعْلَموا أنَّهُ المقدَّمُ علَيْهِمْ، وأنَّهُ نَبِيئُهُم ورَسُولُهُمْ.

وفِي أَخْذِ المواثِيقِ لَطِيفَةٌ هِي: كأَنَّها أَيمانُ البَيْعَة التِي تُؤخَذُ للْخُلَفَاءِ، ولَعَلَّ أيْمَانَ الخُلَفَاءِ أُخِذَتْ مِنْ هُنَا، والمواثِيقُ فِي مَعْنَى الاسْتِحْلَافِ، كمَا دَخَلَتْ لَامُ القَسَمِ بعْدَهَا، فرِسَالَتُهُ إلَيْهِمْ أَمْرٌ حاصِلٌ لَهُ، وإنَّما أَمْرُهُ مُتَوَقِّفٌ على اجْتِمَاعِهِم مَعَهُ فَتَأَخُّرُ ذلكَ لِأَمْرٍ رَاجِعٍ إلَى وُجُودِهِمْ، لَا إلَى عَدَمِ اتِّصافِهِمْ بِمَا يَقْتَضِيهِ.

وفَرْقٌ بَيْنَ تَوَقُّفِ الفِعْلِ علَى قبُولِ المحَلِّ، وتَوَقُّفِهِ علَى أهْلِيَّةِ الفَاعِلِ، وهُنَا لَا تَوَقُّفَ مِنْ جِهَةِ الفَاعِلِ ولَا مِنْ جِهَةِ ذَاتِ النَّبِيءِ ﷺ الشَّرِيفَةِ، وإنَّمَا هِيَ مِنْ جِهَةِ وجُودِ العَصْرِ المشْتَمِلِ علَيْهِ، فلَوْ وُجِدَ في عَصْرِهِم لَزِمَهُم اتِّباعُهُ بِلَا شَكٍّ، ولِهَذَا يَأْتِي عِيسى في آخِرِ الزَّمَانِ على شَرِيعَتِهِ. وهُوَ نَبِيءٌ كرِيمٌ علَى حَالِهِ، إلَّا أَنَّهُ واحِدٌ مِنَ الأُمَّة؛ لِأَنَّهُ يَتَّبِعُهُ فيَحْكُمُ بالقرآنِ والسُّنَّةِ، فَهُوَ رَسُولٌ إلَى الأَنْبِيَاءِ وأُمَمِهِمْ، فنُبُوءَتُهُ ورِسَالَتُهُ أَعَمُّ وأَشْمَلُ وأَعْظَمُ ومُتَّفِقَةٌ مع شرَائِعِهِم في الأُصولِ لأَنَّها لا تَخْتَلفُ. وتَقَدُّمُ شَرِيعَتِهِ ﷺ فيمَا عَسَاهُ يقَعُ الاخْتِلَافُ فِيهِ مِنَ الفُروع [66و] إمَّا علَى سبِيلِ التَّخصِيصِ وإمَّا على النَّسْخِ، أوْ لَا نَسْخَ ولا تَخْصِيصَ بلْ تَكُونُ شَرِيعَةُ النَّبِيءِ ﷺ في تِلْكَ الأوْقَاتِ بالنِّسْبَةِ إلَى أُولَئِكَ الأُمَم مِمَّا جاءَتْ بهِ أَنْبِئَاءُهُم، وفِي هَذَا الوَقْتِ بالنِّسْبَةِ إلَى هذِهِ الأُمَّة الشَّرِيفةِ، والأَحْكامُ تَخْتَلِفُ باخْتِلَافِ الأَشْخَاصِ والأَوْقَاتِ.

وقَدْ مَرَّ أنَّهُم نَائِبُونَ عَنْهُ فكُتُبُهُم ووَحْيُهُم كُتُبٌ ووَحْيٌ لَه ﷺ، وإنَّما يَفْتَرِق الحَالُ بَيْنَ ما بَعْدَ وُجُودِهِ ﷺ وبُلُوغِ الأَرْبَعِينَ وما قَبْلَ ذَلِكَ بِالنِّسْبةِ إلى المبْعُوثِ علَيْهِمْ وتَأَهُّلِهِمْ لِسَماعِ كلامِهِ لَا بالنِّسْبةِ إلَيْهِ ولَا إلَيْهِمْ لَوْ تَأَهَّلوا قَبْلَ ذَلِكَ.

وتَعْلِيقُ الأَحْكَامِ على الشُّروطِ قَدْ تكونُ بِحَسَبِ المحَلِّ القَائِلِ، وقدْ تكونُ بِحَسَبِ الفَاعِلِ المتَصَرِّفِ، فهُنَا التَّعليقُ إنَّمَا هُوَ بِحَسَبِ المحَلِّ القَابِلِ وهُوَ المبعُوثُ إلَيْهِمْ وقُبُولِهِمْ سمَاعَ الخِطَابِ

(1) سورة الزمر: 65.

(2) سورة الحاقة: 44.

(3) سورة الأنبياء: 29.

(4) التفسير الكبير، الرَّازِي، 8/127-128.

والجَسَدِ الشَّريفِ الذِي يخَاطِبُهُمْ بلِسَانهِ، وهَذَا كَمَا يُوَكِّلُ الأَبُ رجُلًا في تَزْوِيجِ ابنَتِهِ إذَا وَجَدَتْ كُفْؤًا، فالتَّوْكِيلُ صَحِيحٌ وذَلِكَ الرَّجُلُ أَهْلٌ لِلْوَكَالَةِ ووكَالتُهُ ثابِتَةٌ، وقَدْ يَحْصُلُ تَوَقُّفُ التَّصَرُّفِ علَى وُجُودِ الكُفْءِ ولَا يوجَدُ إلَّا بَعْدَ مُدَّةٍ وذَلِكَ لا يَقْدَحُ في صِحَّة الوَكَالَةِ وأَهْلِيَّةِ الوَكِيلِ.

وقَدْ حَضَرَهُ أيْضًا الخَضِرُ وإلْيَاسُ وبَقِيَا بعْدَهُ وهُمَا يَعْمَلانِ بالقُرْآنِ والسُّنَّةِ واخْتُلِفَ في نُبُوءَةِ الخَضِرِ.

ومِمَّا يدُلُّ على فَضْلِهِ علَيْهِمْ نِدَاءُهُ عزَّ وعلا إيَّاهُ بِالرَّسولِ والنَّبِيءِ، وتَقْدِيمُ العَفْوِ علَى العِتَابِ فِي قَوْلِهِ عزَّ وعلَا: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾[1]وغَيْرُ ذَلكَ مِمَّا يُعْلَمُ مِنَ القُرْآنِ العَزِيزِ. قال ابن خطيبِ الأندلس:

مَـدَحَتْـكَ آيَـاتُ الْكِتَـابِ فَمَـا عَسَـى ... يُـثْنِي عَـلَى عُـلْيَـاكَ نَـظْمُ مَـدِيحِي

فَـإِذَا كِتَـابُ اللـهِ أَثْـنَى مُـفْصِـحًـا ... كَانَ الْقُصُـورُ قُصَـارَى كُلِّ فَصِـيح[2]

وثَبَتَ أنَّ اللهَ جلَّ وعلَا كَلَّمَهُ ﷺ كمَا كَلَّمَ موسَى وإنَّما لُقِّبَ مُوسَى كَلِيمًا، ولَمْ يُلَقَّبْ هُوَ ﷺ كَلِيمًا؛ لِأَنَّ وَجْهَ التَّسْمِيَةِ لا يُوجِبُها، قالَ العَضُدُ[3] والسَّعْدُ[4]: لا يَلْزَمُ فِي كُلِّ مَنْ قَامَ بِهِ الوَصْفُ أنْ يُشْتَقَّ مِنْهُ لَهُ اسْمٌ، فلَا يَلْزَمُ تَسْمِيَةُ كُلِّ ما يَسْتَقِرُّ فِيه الشَّيْءُ كالإبْرِيقِ والخَابِيَةِ والبِيرِ والدَّارِ قارُورَةً، ولَا يَجِبُ الاشْتِقاقُ إلَّا حَيْثُ لَا تَمْيِيزَ إلَّا بِهِ، ولَا واجِبَ علَى اللهِ جَلَّ وعَلَا[5].

وقَالَت المعْتَزِلَةُ: لا فَضْلَ لِنَبِيءٍ علَى آخَرَ، ويقُولونَ فِي مِثْلِ قوْلِهِ عزَّ وعَلَا: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[6] أَنَّهُ تَفْضِيلُ العَطَاءِ، وتُرَدُّ عَلَيْهِمْ سَائِرُ الأَدِلَّةِ مِثْلَ مَا مَرَّ. وقَالَ قَوْمٌ: آدمُ أفْضَلُ لِحَقِّ الأُبُوَّةِ، وتَوَقَّفَ بَعْضٌ فقَالَ: السُّكوتُ أَفْضَلُ[7].

والجُمْهُورُ علَى أَنَّ الرُّسُلَ أَفْضَلُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، والرُّسُلُ بَعْضٌ أَفْضَلُ [66ظ] مِنْ بَعْضٍ؛ كَمَا قَالَ:

---

(1) سورة التوبة: 43.

(2) البيتان من الكامِل للسان الدِّينِ بنِ الخطيب، ينظر: نفح الطيب، المقري، 451/6. وينظر الإحاطة في أخبار غرناطة.

(3) عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار الإيج، عضد الدين، عالم في أصول الفقه وأصول الدين، والمعاني والبيان والنحو والفقه وعلم الكلام، ولد بإيج من نواحي شيراز، وتوفي مسجونا بقلعة در يميان سنة756هـ، من مؤلفاته: الرسالة العضدية في الوضع، الفوائد الغياثية في المعاني والبيان. الدرر الكامنة، 110/3، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 76/2.

(4) مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، فقيه ونحوي وبياني، ولد بتفتازان، ت:791هـ بسمرقند، من تصانيفه الكثيرة: شرح تلخيص المفتاح في المعاني والبيان، حاشية علي الكشاف للزمخشري في التفسير، التهذيب في المنطق. بغية الوعاة، 285/2، و معجم المؤلفين، 849/3.

(5) ينظر: المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 120/3.

(6) سورة الإسراء: 55.

(7) ينظر: المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 121/3.

﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[1] وقال: ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾[2][3].

ففَضَّلَ اللهُ جلَّ وعلَا سيِّدَنا مُحَمَّدًا ﷺ برَفْعِ الذَّاتِ الحِسِّيِّ فِي الإِسْرَاءِ، وبالسِّيَادَةِ علَى جمِيعِ البَشَرِ وبالمعجِزَاتِ. ولَا شَكَّ أنَّ كَوْنَهُ فَوْقَ سِدْرَةِ المنْتَهَى أَفْضَلُ مِنْ كَوْنِ يونس فِي قَعْرِ البَحْرِ، فالفَضْلُ بالمكَانَةِ.

وتَقَدَّمَ أنَّ قَوْلَهُ: ((**لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ**))[4] وَ ((**لَا تُفَضِّلُونِي عَلَيْهِمْ**))[5] إِنَّمَا هُوَ قَبْلَ عِلْمِهِ بتَفَاضُلِهِمْ، وعِلْمِهِ بفَضْلِهِ عَلَيْهِمْ، ولَا يُقالُ هذَا مَنْظُورٌ فِيهِ؛ لِاحْتِيَاجِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ المتقدِّمِ تَارِيخًا؛ لأَنَّا نَقُولُ: لَا شَكَّ فِي تَأْخِيرِ علْمِهِ بالتَّفَاضُلِ والفَضْلِ عَنْ نَهْيِهِ؛ لِأَنَّ عِلْمَهُ بإِخْبَارِ اللهِ، والخَبَرُ لا يَدْخُلُهُ النَّسْخُ ولا النَّهْيُ عنْ مَضْمُونِهِ بِلَا نَسْخٍ.

ونَظَرَ فِيهِ بعْضٌ بِأَنَّ مِنْ رُوَّاتِهِ أَبِي هُرَيْرَةَ، ومَا هَاجَرَ إِلَّا عامَ حُنَينٍ مُتَأَخِّرًا، فيَبْعُدُ أَنَّهُ لم يعْلمْ إِلَّا بَعْدَ هذَا.

وفِيهِ أَنَّهُ لَا بُعْدَ وإِنَّهُ جَاءَ أَيْضًا مِنْ رِوَايَةِ أَبِي سَعِيد نعم الإنعام[6] نزل بِمَكَّةَ قبل فافهمْ.

وقَوْلُه: ((**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ**))[7] تفْضِيلٌ على أولَادِ آدمَ لا عَلَى آدمَ، وإِنَّمَا يَدُلُّ علَى فَضْلِهِ علَى آدَمَ أَيْضًا قوْلُهُ: ((**وَمَا مِنْ نَبِيءٍ آدَمَ وَمَنْ دُونَهُ**))[8] إلخ ونَحْوُهُ.

ورَوَى البَيْهَقِيّ فِي "فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ"[9]: أَنَّهُ ظَهَرَ عليّ بن أبي طالب مِنَ البُعْدِ فقَالَ ﷺ: ((**هذَا سَيِّدُ العَرَبِ، فقَالَتْ عَائِشَةُ: أَلَسْتَ بِسَيِّدِ العَرَبِ؟ فقَالَ: أَنَا سَيِّدُ العَالمينَ، وهُوَ سَيِّدُ العَرَبِ**))[10].

ورَوَى الحَاكِمُ هذَا الحدِيثَ فِي "صَحِيحِهِ" عن ابْنِ عبَّاسٍ بِلَفْظِ: ((**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَعَلِيٌّ سَيِّدُ الْعَرَبِ**))[11]. وقَالَ: إِنَّهُ صَحِيحٌ ولَهُ شاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ عروة عن عائِشَةَ، وسَاقَهُ مِنْ طرِيقِ أَحمد

---

(1) سورة الإسراء: 55.

(2) سورة البقرة: 253.

(3) ينظر: المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 121/3.

(4) سبق تخريجه: صحيح البخارِي، حدِيث (3414)، وصحيح مسلم، حدِيث (159)

(5) سبق تخريجه: البداية والنهاية، 1//395.

(6) عبارة لم أفهمها.

(7) سبق تخريجه: صحيح مسلم، حديث (3).

(8) سبق تخريجه: سنن الترمذِي، حديث (3148).

(9) لم أقف على الكتابِ، وهو مذكور في مصنفات البيهقِي.

(10) لم أقفْ عليهِ في كتب الحدِيثِ، ينظر: مفاتيح الغيبِ، 524/6.

(11) المستدرك، الحاكم، حديث (4625)، وقد أورده عن سعيد بن جبير عن عائشة.

بنِ عُبَيد بنِ ناصح[1] عنِ الحسَين بنِ علوَان[2]، وهُمَا قِيلَ: ضعِيفَانِ ولَا أَعْلَمُ صِحَّةَ ضعفِهِمَا، عن هِشَام بنِ عُرْوَةَ عنْ أَبِيهِ بِلَفْظِ: ((**ادْعُ لِي سَيِّدَ الْعَرَبِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَسْتَ سَيِّدَ الْعَرَبِ؟ فَقَالَ: أَنَا سَيِّدُ الْعَالمينَ وَهُوَ سَيِّدُ الْعَرَبِ**))[3].

وكَذَا أَوْرَدَهُ مِنْ حَدِيثِ عمَر بنِ مُوسَى الوجِيهي[4]، قِيلَ: وهُوَ ضَعِيفٌ، ولَا أَعْلَمُ صِحَّةَ ضعْفِهِ، عنْ أَبِي الزّبيْر عنْ جَابِر عَنْهُ ﷺ، وقالَ الذَّهَبِي: مَوْضُوع[5].

واخْتَلَفُوا في تَفْضِيل الأَنْبِيَاءِ علَى الملَائِكَةِ، ثُمَّ إِنَّ الجمهور علَى أَنَّ خَوَاصَّ بَنِي آدمَ، وهُم الأَنْبِيَاءُ أَفْضَلُ مِنْ خوَاصِّ الملَائِكَةِ، وهُمْ جِبْرِيل ومِيكَائِيلُ وإِسْرَافِيلُ وعِزْرَائِيلُ وحَملَةُ العَرْشِ والمقَرَّبُونَ والكَرُوبِيُّون والرّوحانِيُّون، وخَوَاصُّ الملَائِكَةِ أَفْضَلُ مِنْ عَوَامِّ بنِي آدَمَ، قالَ التّفتازاني بالإِجْمَاعِ بَل بالضَّرورَةِ، وعَوَامُّ بني آدَمَ أَفْضَلُ مِنْ عَوَّامِ الملَائِكَةِ، فالمسْجُودُ لَهُ أَفْضَلُ مِن السَّاجدِ، فإِذَا ثَبَتَ تَفْضِيلُ الخَوَاصِّ علَى الخَوَاصِّ، ثَبَتَ تَفْضِيلُ العَوَامِّ علَى العَوَامِّ، فعَوامُّ الملَائِكَةِ خُدَّام عُمَّال الخَيْرِ، والمخدُومُ لَهُ فَضْلٌ علَى الخَادِمِ، ولِأَنَّ المؤمِنِينَ رُكِّبَ فِيهِمْ الهَوَى والعَقْلُ مع تَسْلِيطِ الشَّيْطانِ علَيْهِمْ بِوَسْوَسَتِهِ، والملَائِكَةُ رُكِّب [67و] فِيهِم العَقْلُ دونَ الهَوَى، ولا سَبِيلَ لِلشَّيْطانِ علَيْهِمْ، فالإِنْسَانُ يُحَصِّلُ الفَضَائلَ والكَمَالَاتِ العِلْمِيَّةَ والعَمَلِيَّةَ معَ وُجُودِ العَوَائقِ والموَانِعِ مِنَ الشَّهْوَةِ والغَضَبِ، وسُنُوحِ الحَاجَاتِ الضَّرُورِيَّةِ الشَّاغِلَةِ عن اكْتِسَابِ الكَمَالاتِ، ولَا شَكَّ أنَّ العِبَادَةَ وكَسْبَ الكمَالِ معَ الشَّوَاغِلِ والصَّوارفِ أَشَقُّ وأَدْخَلُ فِي الإِخْلَاصِ، فتكُونُ أَفْضَلُ[6].

والمرادُ بِعَوَامِّ بَنِي آدمَ الصُّلَحَاءُ لا الفَسَقَة، كمَا نَبَّهَ علَيْهِ صَاحِبُ "المَوَاهِبِ" عَن ابنِ أَبِي شريف المقْدِسِيّ[7] عَن البَيْهَقِيّ قالَ فِي "شُعَبِهِ": قَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ قَدِيمًا وحَدِيثًا في الملَائكَةِ والبَشَرِ، فذَهَبَ ذاهِبُونَ إِلَى أنَّ الرُّسُلَ مِنَ البَشَرِ أَفْضَلُ مِنَ الرُّسُلِ مِنَ الملائكَةِ، وأَنَّ الأَوْلِيَاءَ مِنَ البَشَرِ أَفْضَلُ مِنَ

---

(1) أَبُو عَصِيدَةَ أَحْمَد بنُ عُبَيْدِ بنِ نَاصِحٍ الدَّيْلَمِيّ، حدث عن علي بن عاصم ويزيد بن هارون، وأبي داود الطيالسي، في حديثه مناكِيرُ، ت:278هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبي، 193/13.

(2) الحُسَيْن بنِ علْوَانَ: الكلبي يروي عن الأعمش، وهشام بن عروة. وقال أبو حاتم والنسائي والدارقطني: متروك الحديث. ميزان الاعتدال، الذهبي، 542/1.

(3) المستدرك، الحاكم، حديث (4626)، وفيه: ((أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَعَلِيٌّ سَيِّدِ الْعَرَبِ)).

عبارة:" وهما قيل ضعيفان ولا أعلم صحة ضعفهما" من كلام المؤلِّفِ.

(4) عمر بن موسى بن وجيه الوجيهى الحمصي. يروي عن مكحول، والقاسم بن عبد الرحمن، ويروي عنه أبو نعيم، وإسماعيل بن عمرو البجلي، وآخرون، قال البخاري: منكر الحديث، وقال ابن معين: ليس بثقة، وقال ابن عدي: هو ممن يضع الحديث متنا وإسنادا. ميزان الاعتدال، الذهبي، 224/3.

(5) لم أجد السند في المطبوع من المستدرك، وهو الحدِيث (4627) حذف إسناده كما نبه إليه محقِّقًا كتاب مختصر تلخيص الذهبي، 1361/3.

(6) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 129/3.

(7) محمد بن محمد بن أبي بكر، الشيخ كمال الدين أبو المعالِي، أخذ عن ابن حجر والكمال بن الهمام، من تصانيفه: حاشية على شرح العقائِدِ للتفتازاني وشرح الإرشاد في الفقه لابن المقرئ. نظم العقيان، السيوطِي، ص159.

الأَوْلِيَاءِ مِنَ الملَائِكَةِ[1].

وقالَتِ المعْتزلة والفَلاسِفَة وبَعْضُ الأشعرِيَّة: الملَائكَةُ أَفْضَلُ، واختَارَهُ البَاقِلَّانِي وأبُو عَبْدِ اللهِ الحليمِي، وتَمَسَّكوا بِأَوْجُهٍ[2].

الأَوَّلُ: إِنَّ الملَائِكَةَ أرْواحٌ مُجرَّدَةٌ كامِلَةٌ بالفِعْلِ مُبَرَّأةٌ عنْ مبَادِئِ الشُّرورِ والآفاتِ كالشَّهوَةِ والغَضَبِ، وعن ظُلُمَاتِ الهيُولِي والصُّورةِ، قَوِيَّةٌ علَى الأَفْعَال العَجِيبةِ عالمةٌ بالكَائِنِ مَاضِيهِ وآتِيهِ مِن غَيْرِ غَلَطٍ[3].

الجَوابُ: أنَّها أَجْسَامٌ لَا تَعْلَم مِنَ الكَوائِنِ شَيْئًا إِلَّا ما عَلَّمهُم اللهُ جلَّ وعلَا، وأَنَّها مِنْ جِنْسِ الهَيُولِي والصُّورَةِ، وقُوَّتُها على الأَفْعَالِ العَجِيبةِ لَا كَسْبَ لَهُمْ فِيهَا، وأفعَالُهُم كَسْبٌ، واللهُ سُبحانَهُ بَرَّأَهُم لَا بِكَسْبٍ منهُم، فذَلِكَ كَخَلْقِ الجَبَلِ قَوِيًّا لا يَعْصِي.

الثَّانِي: أنَّ الأنبِيَاءَ معَ كَوْنِهم أفْضَل البَشَرِ يتَعَلَّمون ويَسْتَفِيدونَ مِنْهُمْ بدَلِيلِ قَوْلِهِ عزَّ وعَلَا: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿5﴾ ﴾[4] وقَوْلِهِ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿193﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿194﴾ ﴾[5] ولا شَكَّ أَنَّ المعَلِّمَ أفْضَلُ مِنَ المتَعَلِّمِ. والجوَابُ: أنَّ التَّعْليمَ مِنَ اللهِ والملَائِكَةُ مُبلِّغونَ[6].

الثَّالِثُ: أنَّهُ اطَّردَ في الكتَابِ والسُّنَّة تَقْديمُ ذكْرِهِمْ علَى ذِكْرِ الأَنْبِيَاءِ ومَا ذلِكَ إلاَّ لِتَقَدُّمِهِمْ في الشَّرَفِ والرُّتْبَةِ. الجوابُ: أنَّ ذَلِكَ لتَقَدُّمِهِمْ في الوُجودِ، أوْ لِأَنَّ وُجُودَهُم خفِيٌّ فالإِيمَانُ بِهِمْ أَقْوَى، وبالتَّقْدِيمِ أوْلَى[7] ولِاتِّصافِهِمْ بالطَّاعةِ وحْدَها فالتَّقدِيمُ لَهَا لَا لَهُمْ إِذْ تَصْدُرُ مِنْهُم علَى شبهِ الطَّبِيعةِ.

الرَّابِعُ: قوْلُهُ تعالَى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾[8] فإنَّ أَهْلَ اللِّسانِ يفْهَمُونَ مِنْ ذَلِكَ أفْضَلِيَّةَ الملائِكَةِ مِنْ عِيسَى، إذ القِياسُ في مِثْلِهِ

(1) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 129/3، وشعب الإيمان، البيهَقِي، 307/1.
(2) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 130/3.
(3) (م، س)، 130/3.
(4) سورة النجم: 5.
(5) سورة الشعراء: 193-194.
(6) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 130/3.
(7) (م، س)، 130/3.
(8) سورة النساء: 172.

التَّرقِّي مِنَ الأدْنَى إلى الأعْلَى؛ فيُقالُ: لا يَسْتَنْكِفُ مِنْ هذَا الأَمْرِ الوَزِيرُ ولَا السُّلْطانُ، ولا يُقالُ: السُّلطانُ ولا الوَزِيرُ [67ظ] ثُمَّ لا قَائِلَ بالفَضْلِ[1] بَيْنِ عِيسَى عليه السلام وغَيْرِهِ مِنَ الأنْبِيَاءِ عَلَيهِم السَّلامُ[2].

الجَوابُ: إنَّ النّصارى استعظَمُوا المسيحَ بِحَيْثُ يَتَرَفَّعُ مِن أن يكونَ عبدًا مِنْ عبادِ اللهِ، بلْ ينْبَغِي أن يكونَ ابْنًا لهُ؛ لأَنَّهُ مُجَرَّدٌ لا أَبَ لهُ، وكانَ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ ويُحْيِي الموْتَى بِخِلَافِ سائِرِ العِبَادِ مِنْ بنِي آدمَ، فردَّ عليْهِمْ بأنَّهُ لا يَسْتَنْكِفُ مِنْ ذَلِكَ المسِيحُ ولَا مَنْ هُوَ أعْلَى مِنْهُ فِي هذا المعْنَى، وهُم الملائِكَةُ الذِين لا أبَ لَهُم ولَا أُمَّ، ويَقْدِرون بِإِذْنِ اللهِ على أَفْعال أَقْوَى وأَعْجَبَ مِنْ إِبْرَاءِ الأَكْمَهِ والأَبْرَصِ وإحْيَاءِ الموتَى، فالتَّرَقِّي إنَّما هُوَ في مُجَرَّدِ التَّجَرُّدِ، وإظْهَارِ الآثارِ القَوِيَّةِ لا فِي مُطْلَقِ الشَّرَف والكَمَالِ، فلَا دَلالَةَ علَى أَفْضَلِيَّةِ الملَائِكَةِ[3].

ثُمَّ إنَّ الملائِكَةَ بَعْضٌ أفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ، وأفْضَلُهُم الرُّوحُ الأَمِينُ جِبْرِيلُ، المزَكَّى مِنْ ربِّ العالمينَ، المقُولُ فِيهِ مِنْ ذِي العِزَّةِ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿19﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿20﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿21﴾﴾[4] فوَصَفَهُ بِسَبْعِ صِفاتٍ، وهُوَ أفضَلُ الملائكةِ عَلَى الإِطْلَاقِ[5].

ومِنْ تَفْضِيلِ رسُولِ اللهِ ﷺ قولُهُ تعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿4﴾﴾[6] أَيْ: رَفَعْنَاهُ على كُلِّ مَخلُوقٍ.

روَى الطّبري مِنْ حديثِ أبي سَعِيدٍ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: ((**أَتَانِي جِبْرِيلُ عليه السلام، فَقَالَ: إِنَّ رَبِّي وَرَبَّكَ يَقُولُ: أَتَدْرِي كَيْفَ رَفَعْتُ ذِكْرَكَ؟ قُلْتُ: اللهُ أَعْلَمُ. قَالَ: إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِي**))[7] وصَحَّحَهُ ابنُ حبَّان[8].

قالَ الشَّافِعِي: أَخْبَرَنَا ابنُ عُيَينة[9] عن ابنِ أَبِي نَجِيحٍ[10] معناهُ: لا أُذكَرُ إِلَّا ذُكِرْتَ مَعِي، أَشْهَد

---

(1) في المواهب اللدنية: الفصل.

(2) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 131/3.

(3) (م، س)، 131/3.

(4) سورة التكوير: 19-21.

(5) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 131/3.

(6) سورة الشرح: 4.

(7) جامع البيان، الطبري، 494/24.

(8) صحيح ابن حبَّان، حدِيث (3382)، والمواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 133/3.

(9) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، مولده بالكوفة، سمع من عمرو بن دينار وغيره كثير، ت: 198هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبي، 454/8.

(10) عبد الله بن أبي نجيح يسار أبو يسار الثقفي، حدث عن مجاهد وطاووس وعطاء وغيرهم، حدث عنه شعبة والثوري وسفيان بن عيينة. سير أعلام النبلاء، الذهبي، 125/6.

أن لَا إِلَه إِلَّا اللهُ وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رسُولُ اللهِ. قال الشَّافِعِي: يَعْنِي واللهُ أَعْلَمُ ذِكْرُهُ عنْدَ الإيمانِ باللهِ والأَذَانِ، قال: وَيَحْتَمِلُ ذِكْرُهُ عندَ تِلَاوَةِ الكِتَابِ وعِنْدَ العَمَلِ بالطَّاعةِ والوُقوفِ عن المعْصِيَةِ[1].

وقِيلَ رَفَعَهُ بِالنُّبوءَةِ، أيْ: رَفَعَهُ فَوْقَ كُلِّ مَنْ يُذْكَرُ بِهَا، وعَلَيْهِ يَحْيَى بنُ آدَمَ[2][3].

وعَنْ أبِي عَطَاء[4]: جَعَلْتُكَ ذِكْرًا مِنْ ذِكْرِي فَمَنْ ذَكَرَنِي ذَكَرَكَ. وعَنْهُ أيْضًا: جَعَلْتُ تَمَامَ الإيمانِ بِذِكْرِكَ مَعِي. ولَعَلَّ العِبَارَةَ مقْلُوبَةٌ فِيهِمَا لِقَوْلِ جعْفَر بنِ مُحَمَّد الصَّادِقِ[5]: لَا يَذْكُرُكَ أَحَدٌ بالرِّسالَةِ إِلَّا ذَكَرَنِي بالرُّبوبِيَّة[6].

ومِنْ تَفْضِيلِهِ: قَرْنُ طاعَتِهِ ﷺ بطَاعَةِ اللهِ جَلَّ وعَلَا، فِي مِثْلِ قوْلِهِ سبْحَانَهُ: ﴿ **مَّنْ يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ** ﴾[7] ﴿ **وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ** ﴾[8] ﴿ **وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ** ﴾[9] و ﴿ **أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ** ﴾[10] ﴿ **وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ** ﴾[11][12].

وما قَالَ ذَلِكَ لِرَسُولٍ غَيرِهِ، ولَا قَرَنَ ذِكْرَ رسُولٍ بِذِكْرِهِ علَى [68و] اطِّرادٍ، ولَا خَطِيبٌ ولَا متَشَهِّدٌ ولا مُصَلِّيَ إِلَّا يقُولُ: أشهَدُ أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ، وكذَا لَا أَذَانَ ولَا إِقامَةَ إِلَّا بِذَلِكَ، ويُوذَّنُ باسْمِهِ فِي يَوْمِ القِيَامَةِ، وكُتِبَ اسمُهُ فِي كُلِّ سَماءٍ وعَلَى الْعَرْشِ وفِي الْجَنَّة وأَشْجَارِهَا.

رَوَى البَزَّارُ عن ابنِ عُمَر عنهُ ﷺ: ((**عرجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، مَا مَرَرْتُ بِسَمَاءٍ إِلَّا وَجَدْتُ اسْمِي فِيهَا مَكْتُوبًا: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ**))[13].

---

(1) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 133/3. وينظر: تفسِير الإمام الشّافعِيّ، 1447/3.

(2) يحيَى بن آدم بن سليمان، الأمَوِي الحافظ، أبو زَكريا، روَى عن عيسَى بن طهمان وسفيان الثورِي، وغيرهما، حدَّث عنه ابن أبِي شيبة وغيره، وثقه يحيَى بن معين والنسائِي، ت: 203هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 523/9.

(3) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 134/3.

(4) في المواهب اللدنية: ابن عطاء.

هو: أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمِي البغدادِي، حدَّثَ عن يوسف بن موسى القطان، وعنه محمد بن علِيّ، ت:399هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 255/14.

(5) جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علِي بن أبِي طالِب، ولد سنة 80هـ ورأى بعض الصحابة، حدث عن أبِيه وعروة بن الزبيرِ، حدث عنه ابنه موسى الكاظِم، وأبو حنيفة ت: 184هـ. (م، س)، 255/6.

(6) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 134/3.

(7) سورة النساء: 80.

(8) سورة النساء: 13.

(9) سورة الأنفال: 1.

(10) سورة آل عمران: 32.

(11) سورة التوبة: 62.

(12) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 134/3.

(13) كشف الأستار، الهيثمِي، حدِيث (2482).

ورَوَى أبُو نعيمٍ في "الحِلْيَةِ" عن ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْهُ ﷺ: ((**مَا فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ عَلَيْهَا وَرَقَةٌ إِلَّا مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ**))[1].

وَذَكَرَ الطَّبراني عنْ جابر بنِ عبدِ الله عَنهُ ﷺ: ((**كَانَ نَقْشُ خَاتمِ سُلَيْمَانَ بنِ دَاوُد عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ**)) ﷺ وذَكَرَهُ ابن رجب[2] عنْ كِتَابِ أَبِي عَلِيّ الخَالِدِي[3][4] وقالَ: إنَّهُ بَاطِلٌ مَوْضُوعٌ[5]. وسمَّاهُ مُحَمَّدًا كَمَا أَنَّ اسْمَهُ تَعَالَى مَحْمُود.

وقالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿56﴾ ﴾[6] فَهُوَ يُصَلِّي عَلَيْهِ أَهْلُ العَالم العُلْوِيّ، وأَهْلُ العَالم السُّفْلِيّ أُمِرُوا بِذَلكَ، ويُصَلِّي علَيْهِ خَالِقُهُ.

ومِنْ تفضِيلِهِ: بذِكْرِهِ باسمِ الرَّسولِ والنَّبِيءِ في النِّداءِ، والأنْبياء بأَسْمَائِهِم نَحْو: ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنَ أَنتَ ﴾[7] ﴿ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ ﴾[8] و ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿104﴾ ﴾[9] ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿11﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾[10] ﴿ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي ﴾[11]. قال بَعْضٌ:

فَدَعَا جَمِيعَ الرُّسلِ كُلًّا بـاسـمِـهِ وَدعَـاكَ وحْـدَكَ بِـالرَّسُـولِ وَبِـالنَّبِي[12]

قال ابن عبدِ السّلام: ولا يَخْفَى علَى أَحَدٍ أَنَّ السَّيِّدَ إذَا دعَا عَبِيدَهُ بأَفْضَلِ مَا لَهُمْ مِنَ الأَوْصافِ العَلِيَّةِ والأَخْلَاقِ السَّنِيَّةِ، ودعا آخَرِينَ بأَسْمائِهِم الأَعْلَامِ التِي لا تُشْعِرُ بِوَصْفٍ أنَّ مَنْزِلَةَ مَن دعَاهُ بأَفْضَلِ

---

(1) حلية الأولياء، أبو نعِيم، 304/3.

(2) ابن رجب: عبد الرحمن بن الحسن بن محمد بن أبى البركات مسعود البغدادِي الحنبلي المحدث الحافظ زين الدين ولد ببغداد سنة 706هـ وقدم دمشق مع والده فسمع معه من محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الخباز، ت:795هـ. الدرر الكامنة، ابن حجَر، 321/2.

(3) في كتاب أحكام الخواتِيم لابن رجب: وفِي جزأي علي الخالدِي بإسناده عن جابر بن عبد الله. ص66.

(4) أبو علي الخالدِي: منصور بن عبد الله بن خالد، من أهل هراة حدث عن جماعة من الخرسانيين بالغرائب والمناكِيرِ. تاريخ بغداد، البغدادي، 97/15.

(5) أحكام الخواتِيم، ابن رجب، ص66. ذكره ابن رجب ولم يقل فيه: إنَّهُ باطل موضوع، كما فِي المواهب اللدنية.
لم أجد رواية الطبراني في معاجمه الثلاثة، الصغير والأوسط والكبِير.

(6) سورة الأحزاب: 56.

(7) سورة البقرة: 35.

(8) سورة هود: 48.

(9) سورة الصافات: 104.

(10) سورة طه: 11-12.

(11) سورة المائدة: 110.

(12) البيْت من الكامل، المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 144/3 دون نسبة.

الأسماءِ والأوصافِ أعَزُّ وأقرَبُ إليْهِ مِمَّنْ دعاهُ بِاسْمِهِ العَلَم، وهذَا مَعْلومٌ بالعُرْفِ أَنَّ مَن دُعِيَ بأفْضَلِ أوْصَافِهِ وأخْلَاقِهِ كانَ ذَلِكَ مبالَغةً فِي تعْظِيمِهِ واحْتِرَامِهِ[1].

(1) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 3/144-145.

الفَصْلُ الثَّاني: فِي الرِّسَالَةِ والنُّبُوَّةِ

المشْهورُ أنَّ النَّبيءَ عبارَةٌ عن إِنْسَانٍ أُنزِلَ علَيْهِ شريعَةٌ منْ عِنْدِ اللهِ بِطَرِيقِ الوَحْيِ، تَتَضَمَّنُ تلْكَ الشَّرِيعَةُ بيَانَ كَيْفِيَّةِ تَعَبُّدِهِ للهِ تعالَى، فإِنْ أُمِرَ بتَبْليغِها إِلَى الغَيْرِ سُمِّيَ رَسُولًا، وهذَا هُوَ الصَّحيحُ، وكذلِكَ قالَ فِي "شَوَاهِدِ النُّبُوءَةِ"(1)(2).

وكَذَا فِي "الفُتُوحاتِ المكِيَّة"، ولَفْظُهُ: النَّبِيءُ هوَ الذِي يَأْتِيهِ الملَكُ بالوَحْيِ مِنْ عِنْدِ اللهِ يتَضَمَّنُ ذلِكَ الوَحْيُ شَرِيعَةً يَتَعَبَّدُ بهَا في نَفْسِهِ، فإِنْ بُعِثَ بهَا إِلَى غَيْرِهِ كَانَ [68ظ] رسولًا(3).

وفِي "شَرْحِ عقَائِدِ العَضُدِ"(4): النَّبِيءُ إِنْسَانٌ بَعَثَهُ اللهُ إلى الْخَلْقِ لِتَبْلِيغِ ما أَوْحاهُ اللهُ إِلَيْهِ، والرَّسولُ قَدْ يُسْتَعْمَلُ مُرادِفًا لهُ، وقَدْ يَخْتَصُّ بِمَنْ هُوَ صاحِبُ كِتابٍ، فَيكونُ أَخَصَّ مِنَ النَّبِيءِ(5).

وفِي "أَنْوَارِ التَّنْزِيلِ": الرَّسُولُ مَنْ بَعَثَهُ اللهُ تعَالَى بِشَرِيعةٍ مُجَدِّدَةٍ يَدْعُو النَّاسَ إِلَيْها، والنَّبِيءُ يعُمُّهُ ومَنْ بعَثَهُ لتَقْرِيرِ شَرْعِ سابِقٍ، كأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائيلَ الذِينَ كانُوا بَيْن موسَى وعِيسَى عَلَيْهِم السَّلامُ، ولِذَلِكَ شَبَّهَ ﷺ علَمَاءَ أُمَّتِهِ بِهِمْ، إِذْ قال: ((**عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ**))(6) فالنَّبِيءُ أَعَمُّ مِنَ الرَّسُولِ، ويَدُلُّ لَهُ أَنَّهُ ﷺ سُئِلَ عن الأَنْبِيَاءِ فقَالَ: ((**مِئَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، قِيلَ: كَمِ الرُّسُلُ مِنْهُمْ؟ قَالَ: ثَلَاثُ مِئَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا**))(7)(8). فَهَذَا نَصٌّ في أَنَّ النَّبِيءَ أَعَمُّ، إِذْ جَعَلَ الرُّسُلَ بعْضًا مِن الأَنْبِيَاءِ، وجَعَلَهُ أَقَلّ.

وقِيلَ: الرَّسولُ مَنْ جَمَعَ إلى المعْجِزةِ كتَابًا مُنزَّلًا علَيْهِ، والنَّبِيءُ غَيْرُ الرَّسولِ، مَنْ لا كتَابَ لَهُ. وقِيلَ الرَّسولُ مَنْ يَأْتِيهِ الملَكُ بِالوَحْيِ، والنَّبِيءُ يُقالُ لَهُ ولِمَنْ يأْتِيهِ في النَّومِ(9) أو توجَدُ لهُ كِتَابَةٌ.

وفي "العُروةِ الوُثقَى"(10): كُلُّ مَن كانَ تَصَرُّفُهُ في ظَوَاهِرِ الخَلْقِ وبواطِنِ المؤمِنِينَ مُؤَيَّدًا مِنْ عندِ الله مُستَغْنِيًا بنفسهِ في التَّلقِّي مِنْ ربِّهِ عن بَشَرٍ مِثلِهِ فهُوَ نبيءٌ، فالنَّبِيءُ سُلطانٌ في الظَّاهِرِ وَلِيٌّ في الباطنِ مُسْتَغْنٍ في إِرْشَادِ الخلْقِ عن بَشَرٍ مِثْلِهِ، فإذا اجْتَمَعتِ السَّلطَنَةُ والوَلَايةُ في شَخْصٍ واحدٍ انتَشَرَ

---

(1) شواهد النبوة: فارسي، لـ: نور الدين: عبد الرحمن بن أحمد الجامي ت:898هـ، وترجمه: محمود بن عثمان ت:938هـ. كشف الظنون، حاجي خليفة، 1066/2.

(2) تاريخ الخميس، الدِّيار بَكْري، 7/1.

(3) الفتوحات المكية، ابن عربي، 356/2.

(4) شرح عقائِد العضُدِ: جلال الدين الدواني ت:928هـ، والمتن المشروح لعضد الدين الإيجي، ت:756هـ.

(5) تاريخ الخميس، الدِّيار بَكْري، 7/1.

(6) الدرر المنتثرة، السيوطِي، ص148. وَقال حدِيث لا أصل لهُ.

(7) صحيح ابن حبَّان (361).

(8) أنوار التنزيل، البيضاوِي، 75/4.

(9) أنوار التنزيل، البيضاوِي، 75/4.

(10) العروة الوُثْقَى للسمناني الحلبِي أبو القاسم علي بن محمد بن أحمد الحنفي، ت:499هـ. كشف الظنون، حاجي خليفة، 1133/2.

العَدْلُ في الظَّاهِرِ والبَاطِنِ، وتَمَّ أَمْرُ مَعَاشِ النَّاسِ ومَعَادِهِم على نَحْوٍ أَكْمَلَ وأَفْضَلَ، والرَّسولُ عامٌّ يُطلَقُ على الملَكِ والبَشَر، والنَّبيءُ خَاصٌّ لا يُطلَقُ إلَّا علَى الْبَشَرِ[1].

والمذكورُ فِي القُرآنِ بالاِسْمِ العَلَمِ ثمَانِيَةٌ وعِشْرُونَ نَبِيًّا[2].

وفِي "اليَنَابِيعِ"[3] عنِ الْكَلبِي عنْ كَعْبِ الأَحْبَارِ أنَّ الأَنْبِيَاءَ أَلْفَا أَلْفٍ ومِئَتَا أَلْف وخَمْسَةٌ وعشْرُونَ أَلْفًا، والرُّسُلُ ثلَاثُ مِئَةٍ وثَلَاثَةَ عَشَرَ[4].

وذكَرَ أبو يعلى عن أَنَسٍ عَنْهُ ﷺ: ((**كَانَ فِيمَنْ خَلَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي ثَمَانِيَةُ آلَافٍ، ثُمَّ كَانَ عِيسَى، ثُمَّ كُنْتُ**))[5].

وفِي "العُمْدَةِ"[6]: لَم يَبْعَث اللهُ نَبِيًّا مِنْ أَهْلِ البادِيَةِ قَطُّ، ولَا مِنَ النِّساءِ ولَا مِنَ الجِنِّ لِقَوْلِه تعالَى: ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓ** ﴾[7][8]. قُلْتُ: هذا دَلِيلٌ علَى القُرَى فَقَطْ، لا عَلَى الإِنْسِ؛ لأَنَّ الذُّكُورَ البُلَّغَ مِنَ الجنِّ أيْضًا رِجَالٌ لِقَوْلِهِ تعالَى:﴿ **بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ** ﴾[9].

وفي "رَبِيع الأَبْرَارِ" عن فرقد السنجي[10]: لم يُبْعَثْ نَبِيءٌ قَطُّ مِنْ مِصْرٍ مِنَ الأَمْصارِ، وإِنَّمَا بُعِثوا مِن القُرَى؛ لأنَّ أَهْلَ الأمصَارِ أَهْلُ السَّوادِ، والرِّيف وأَهْلُ القُرَى أَرَقُّ[11].

قال أبُو ذرّ الغِفاري: ((**قُلْتُ يا رَسولَ اللهِ مَنْ أَوَّلُ الأَنْبِيَاءِ؟ قالَ: آدمُ، فقُلْتُ: أَنَبِيءٌ مُرْسَلٌ؟ قالَ: نَعَمْ. ثمَّ قالَ: يا أبَا ذرٍّ أَرْبَعَةٌ سرْيَانِيُّون: آدمُ وشيثُ وأَخْنُوخ وهُوَ إدْرِيسُ، وهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَطَّ وخاطَ، ونُوحٌ، وأَرْبَعَةٌ مِنَ العَرَبِ: هودٌ وصَالِحٌ وشُعَيْب ونَبِيئُكَ** [69و] **يا أبَا ذرّ، وأَوَّلُ أَنْبِيَاءِ بَنِي**

---

(1) تاريخ الخمِيس، الدِّيار بَكْري، 7/1.

(2) (م، س)، 7/1.

(3) في تاريخ الخمِيس: تفسير الينابِيع، ولم أجد مؤلفه في كتب الفهارِس.

(4) (م، س)، 7/1.

(5) مسند أبِي يعلَى، حدِيث (4092). الفقرة أضافها المؤلِّف على الهامِشِ.

(6) نقل منه صاحب تاريخ الخمِيس في مواضع متعددة، ولم أتعرفه لأنّه يذكره مختصرا ويبدو من نقوله أنه من كتب التفسير أو التاريخ.

(7) سورة يوسف: 109.

(8) تاريخ الخمِيس، الدِّيار بَكْري، 7/1. القول للحسنِ، ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبِي، 274/9.

(9) سورة الجن: 6.

(10) في ربيع الأبرار: فرقد السبخي.

فرقد بن يعقوب السبخِي، نسبة إلى سبخة البصرة، روى عن إبراهيم النخعِي، وأنس بن مالك، وقيل فيه ليس صاحب حدِيث. تهذيب الكمال، المزّي، 164/23.

(11) ربيع الأبرار، الزمخشرِي، 275/1.

إِسْرَائيلَ مُوسَى وآخِرُهُمْ عِيسَى))[1].

أَيْ: أَوَّلُ الأَنْبِيَاء الذِينَ خَرَجُوا مِنْ أولَادِ إِسْرَائيلَ، فلَا يُشْكِلُ بيُوسُف، لأَنَّهُ ابْنُ إِسْرَائيلَ، لا مُتَوَلِّدٌ مِنْ وَلَدِ إِسْرَائيلَ. وكَذَا قُلْتُ فِي "مُختَصَرِ القَوَاعِدِ والْحَاشِيَة"[2]. [ذَكَرَهُ ابنُ حِبَّان وصَحَّحَهُ[3]، وقالَ ابنُ الجَوْزِي مَوْضُوعٌ[4]][5].

قالَ أَبُو ذرّ: كَمْ أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتابٍ؟ قالَ: مِئَةُ صَحِيفةٍ وأَرْبَعَةُ كُتُبٍ، علَى شِيتَ خَمْسِين صَحِيفةً، وعلَى أَخْنوخَ ثَلاثِينَ صَحِيفَةً، وعلَى إِبْرَاهيمَ عَشْرَ صَحَائفَ، وعلَى موسَى قَبْلَ التَّورَاة عشْرَ صَحَائِفَ، وأَنْزَلَ التَّورَاةَ والإِنْجِيلَ والزَّبُورَ والفُرْقَانَ))[6].

وفِي "اليَنَابِيع"[7]: عَشْرَ صَحائِفَ على آدَمَ، ولَمْ يذْكُرْ صُحُفَ مُوسَى[8].

وفي "المدَارِكِ"[9]: أَنْزَلَ التَّوْراةَ وهِيَ سبْعُونَ وقْر بَعِيرٍ لم يَقْرَأْهَا كُلَّها إِلَّا أَرْبَعَةٌ: مُوسَى ويُوشَعُ وعُزَيْرُ وعِيسَى عَلَيْهِم السَّلَامُ[10].

وفِي "بَحْرِ العُلُومِ"[11]: وعِشْرِينَ صَحِيفَةً علَى إِبْرَاهِيمَ، والتَّوْراة علَى مُوسَى أَلْف سُورَةٍ، كُلُّ سُورةٍ أَلْفُ آيَةٍ[12].

وفي "الإِنْسان الكَامِل"[13]: الزَّبُورُ لَفْظَةٌ سُرْيَانِيَّةٌ وهِيَ بِمَعْنَى الكِتَابِ، فاستَعْمَلَها العَرَبُ حتَّى أَنْزَلَ اللهُ تعَالَى: ﴿ **وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ** ﴿52﴾ ﴾[14] أَيْ: في الكِتَابِ، وأَنْزَلَ الزَّبُورَ على دَاوُدَ آياتٍ مُفصَّلاتٍ، ولكَنَّهُ لم يُخْرِجْهُ إِلَى قَوْمِهِ إِلَّا جُمْلةً واحِدَةً، بَعْدَ أن كَملَ اللهُ نُزولَهُ علَيْهِ[15].

---

(1) تاريخ الخمِيس، الدِّيار بَكْري، 7/1.

(2) مختصر القواعِد والحاشية، مؤلَّف لأطفِيّش سمّاهُ الذّهب الخالِص المنوّه بالعلم القالِص، مطبوع ينظر مطلب آثار أطفِيّش.

(3) صحيح ابن حبَّان، حدِيث (361).

(4) ينظر: تفسير القرآن العظِيم، ابن كثير، 372/4.

(5) أضاف المؤلِّف هذه العبارة في الهامِشِ.

(6) تاريخ الخمِيس، الدِّيار بَكْري، 7/1.

(7) تفسير الينابيع وتبصير الرحمن: هكذا ذكر في تاريخ الخمِيس، ولم أقف عليه في فَهارس الكتبِ.

(8) تاريخ الخمِيس، الدِّيار بَكْري، 7/1.

(9) مدارك التنزِيل: تفسير النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، مؤلفه: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي المتوفى: 710هـ.

(10) مدارك التنزِيل، النسفِي، 604/1.

(11) بحر العلوم، تفسِير نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندِي، ت: 373هـ.

(12) تاريخ الخمِيس، الدِّيار بَكْري، 7/1.

(13) الإنسان الكامِل في معرفة الأواخِرِ والأوائِلِ: لـ: عبد الكريم بن إبراهِيم الجِيلِي الصوفِي ت:832هـ، وهو كتاب في اصطلاح الصوفية. كشف الظنون، حاجي خليفة، 181/1.

(14) سورة القمر: 52.

(15) تاريخ الخمِيس، الدِّيار بَكْري، 1/ 7-8.

وفِي "الإِنْسَانِ الكَامِل": أَنْزَلَ اللهُ الإِنْجِيل علَى عِيسَى بِالسُّرْيَانِيَّة، وقُرِئَ على سَبْعَ عَشْرَةَ لُغَة، وأَوَّلُ الإِنْجِيلِ: باسْمِ الأَبِ والأُمِّ والابْنِ، فظَنُّوا أنَّ الأَبَ والأُمَّ والابْنَ عِبَارةٌ عنِ الرُّوحِ ومَرْيَم وعِيسَى، فقالُوا: ثَالِثُ ثلاثَةٍ، ولَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ المرَادَ بالأَبِ هُو اسْمُ اللهِ، وبالْأُمِّ كُنْه الذَّاتِ المعَبَّرِ عنْهَا بِمَاهِيةَ الحقَائِقِ، وبالابْنِ الكِتَاب، وهُوَ الوُجودُ المطلَق لِأَنَّهُ فَرْعٌ، ونَتِيجةٌ عَنْ ماهِيَةِ الكُنْهِ، كما قال اللهُ جلَّ وعلَا: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿39﴾﴾[1][2].

وفي "أَنْوَار التَّنْزِيلِ": إنَّ السَّبَبَ في وُقوعِ النَّصارَى فِي هذِهِ الضَّلالَةِ أَنَّ أرْبَابَ الشَّرائِعِ المتَقَدِّمةِ كانوا يُطْلِقُون الأَبَ علَى اللهِ؛ باعْتِبَارِ أَنَّهُ السَّببُ الأَوَّلُ حتَّى قالُوا إِنَّ الأبَ هُوَ الرَّبُّ الأَصْغَرُ، واللهُ سبْحَانَهُ هُوَ الرَّبُّ الأَكْبَرُ، ثُمَّ ظنَّت الجَهَلَةُ مِنْهُم أَنَّ المرَادَ بهِ الوِلَادَة، فاعْتَقَدُوا ذلكَ تَقْلِيدًا، ولِذلكَ كُفِّرَ قائِلُهُ ومُنِعَ مُطلَقا، حَسْمًا لمادَّةِ الفَسادِ[3].

وعَنْ وَهْب بنِ مُنَبِّهٍ: أُنْزِلَتْ صُحُفُ إبراهِيمَ عليه السلام، في أَوَّل لَيْلةٍ مِنْ شهْرِ رمَضَانَ، وأُنْزِلَتْ التَّورَاةُ على مُوسَى علَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لِستِّ لَيَالٍ مضِينَ مِنْ شَهْرِ رمضَانَ بَعْدَ صُحُف إبْراهيمَ بسَبْعِ مِئةِ عامٍ، وأُنزِلَ الزَّبورُ علَى دَاوُدَ عليه السلام لِاثْنَتَيْ عشْرَةَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ شهْرِ رَمَضَانَ بعدَ التَّوراةِ بِخَمْسِ مِئةِ عامٍ، وأُنْزِلَ الإِنْجِيلُ على عِيسَى عليه السلام لِثلاثَ عشْرَةَ علَى مَا فِي "الكَشَّافِ"[4]، وقِيلَ لثَمَانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ شَهْرِ رَمضَانَ [69ظ] بَعْدَ الزَّبورِ بِأَلْفِ عامٍ ومِئَتَيْ عامٍ، وأُنْزِلَ الفُرْقانُ علَى مُحَمَّدٍ ﷺ لأَرْبَعٍ وعِشْرِينَ أَوْ سبْعٍ وعِشْرِينَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ شَهْرِ رمَضَانَ بَعْدَ الإِنْجِيلِ بِستِّ مِئةِ عامٍ وعشرِينَ عامٍ[5].

واخْتُلِفَ في كيْفِيَّة إنْزَالِهِ علَى ثلاثَةِ أَقْوالٍ: فقِيلَ نَزَلَ جُملَةً مِنَ اللَّوحِ المحفُوظِ إلى بَيْتِ العِزَّة في السَّماءِ الدُّنيَا، وأَمْلاهُ جبْرِيلُ علَى السَّفَرَةِ، ثُمَّ نَزَلَ بعدَ ذَلِكَ نُجومًا علَى سَيِّدِنا مُحَمَّد ﷺ في عشْرِينَ عامًا أو ثلَاثَةٍ وعشْرِين أوْ خمْسَةٍ وعشرينَ على حَسَب الاِخْتلافِ في مُدَّةِ إقامَتِهِ ﷺ في مَكَّةَ بعْدَ النُّبُوَّةِ، قِيلَ: عشَرَةُ أعوامٍ، وقِيلَ: ثلاثَةَ عشَرَ، وقِيلَ: خمْسَةَ عَشَر، ولَمْ يُخْتَلَفْ في مُدَّة إقامَتِهِ بالمدِينةِ أَنَّها عَشَرَةٌ[6].

وعلَى الْأَوَّلِ[7] الجُمهُورُ، ويدُلُّ لهُ روايَة الحَاكِمِ عن ابْنِ عبَّاسٍ: أَنَّهُ أُنْزِلَ القرآنُ جُمْلَةً واحِدةً إلى

---

(1) سورة الرعد: 39.

(2) تارِيخ الخمِيس، الدِّيار بَكْري، 8/1.

(3) أنوار التنزِيل، البيضَاوِي، 103/1.

(4) الكشَّاف، الزمخشَرِي، ص113.

(5) تارِيخ الخمِيس، الدِّيار بَكْري، 8/1-9. أصله فِي مسند أحمد حدِيث (16984). ولم أقفْ على من نقل عن وهب بن منبه.

(6) تارِيخ الخمِيس، الدِّيار بَكْري، 8/1-9.

(7) أي: نزل جملةً من اللوح المحفوظ...

السَّماءِ الدُّنْيَا في لَيْلَةِ القدْرِ، ثُمَّ نَزَلَ بَعْدَ ذلِكَ في عِشْرِينَ سَنَة[1].

القوْلُ الثَّاني: أَنَّهُ نزَلَ مِنَ اللَّوحِ المحفوظِ[2] إلى السَّمَاءِ الدُّنيا فِي عشْرِينَ لَيْلَةِ قَدْرٍ مِنْ عشرِينَ سَنَةٍ، وقِيلَ: في ثَلاثٍ وعِشْرِينَ لَيْلَة قَدْرٍ مِنْ ثلاثٍ وعشْرِينَ سَنَةً، وقِيلَ: في خَمْسٍ وعشْرِينَ لَيْلَة قَدْرٍ منْ خَمْسٍ وعشرِينَ سنَةٍ، نَزَلَ في كلِّ لَيْلةٍ جُمْلةٌ منهُ قَدْرَ ما يَنْزِلُ في كلِّ سَنَةٍ منَجَّمًا، وهذَا معْنَى قَوْلِ بعْضِ العُلمَاءِ: كانَ يَنْزِلُ مِنَ القرآنِ في كُلِّ ليْلَةِ قَدْرٍ مِن السَّنةِ إلى السَّنةِ ما يكْفِيهِ إلى مِثْلِها مِنَ القابِلِ، وكانَ جبرِيلُ يَنْزِلُ في لَيْلَة القَدْرِ مِنَ السَّماءِ السَّابعةِ إلى بَيْتِ العِزَّةِ فِي السَّماءِ الدُّنيا ثُمَّ يَنْزِلُ عليهِ مِنَ السَّماءِ الدُّنيَا بِحَسَبِ المصَالِحِ والوَقَائِعِ إلَى لَيْلَة القَدْرِ مِنْ قابِل، وإذَا كانَ لَيْلَةُ القَدْر مِنْ قابِل أُنْزِلَ علَيْهِ مِثْلُ ما أُنْزِلَ في لَيْلَة القَدْرِ التِي قَبْلَها، وبِهَذَا القَوْلِ الثَّانِي قالَ مقاتل والحَلِيمِي فِي "مِنْهاجِهِ"[3] والماوَرْدِي فِي "تَفْسِيرِهِ"[4][5].

القَوْلُ الثَّالِثُ: أَنَّهُ ابتَدَأَ إنْزالُهُ مِنَ اللَّوحِ المحفوظِ إلَيْهِ ﷺ في لَيْلَةِ القَدْرِ، واسْتَمَرَّ إنزالُهُ منهُ إلَيْهِ بِحَسَبِ الحاجَاتِ والمصَالِحِ فِي سَائِرِ الأيَّامِ واللَّيَالِي.

وقِيلَ: كَلَّمَ اللهُ بالقرآنِ جمْلَةً جبْرِيلَ عليه السلام لَيْلَةَ القَدْرِ فحَفِظَهُ وأملاهُ على الملائِكَةِ فِي السَّماءِ الدُّنيَا، وكتَبُوهُ، ثُمَّ نَزَلَ إلَيْهِ ﷺ نجُومًا أَيْ: أوْقَاتًا، فقِيلَ إنَّ رسُولَ اللهِ يَنْخَلِعُ إلَى صُورَةِ الملَكِيَّةِ فَيَأْخُذُ، ولَعَلَّ ذلك في البَاطِنِ وإلَّا فَهُوَ يُرَى حالَ الوَحْيِ علَى صورَتِهِ البَشَرِيَّة ﷺ.

وقِيلَ: ينْخَلِعُ جبْرِيلُ إلى صُورَةِ البشَرِ وفِيهِ أَنَّ هذا فِي بَعْضِ الأَحْوَالِ فَقَطْ، لَا فِي كُلِّها كمَا قال ﷺ: ((**أَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الملَكُ بَشَرًا**))[6] والمنَزَّلُ هوَ اللَّفظُ بِعيْنِهِ.

وقِيلَ: نَزَلَ جبريلُ بالمعَانِي وَعَبَّر رَسُولُ الله ﷺ بالأَلْفَاظِ لقَوْلِه تعالى: ﴿ **نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ** ﴾[7] ولَمْ يَقُلْ على أُذُنيْكَ.

وفِيهِ: أَنَّه إن أَنْزَل اللَّفظَ صَحَّ أن يكونَ على القَلْبِ [70و] كما علَى الأُذُنِ، وإلَّا كانَ إلْهَامًا لا بِلِسَان جِبْرِيلَ، وإنْ كانَ علَى الأُذُنِ لم يَمْتَنِعْ أنْ يكُونَ أَيْضًا بعِبَارةٍ يُؤْمَرُ أن يُؤَدِّيَها بعِبَارَتِهِ ﷺ كما قِيلَ

---

(1) المستدرك، الحاكم، حدِيث (2879).

(2) من اللوح المحفوظ زيادة من المؤلف.

(3) منهاج الحلِيمي: منهاج الدين في شعب الإيمان لـ: الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم، ت:403هـ. سبق تعريفه. كشف الظنون، حاجي خليفة، 1871/2.

(4) تفسير الماوردِي: الإمام أبو الحسن علي بن حبيب الشافعي ت:450هـ. كشف الظنون، حاجي خليفة، 458/1.

(5) ينظر: تَفسِير مقاتل بن سليمان، 161/1.

(6) صحيح البخارِي، حدِيث (2).

(7) سورة الشعراء: 193-194.

إِنَّهُ أُنْزِلَ عليْهِ المعْنَى وعَبَّرَ بِهَذِهِ الأَلْفَاظِ.

واللُّغاتُ التِي نَزَل بهَا كلَامُ اللهِ: العَرَبِيَّة والعِبْرانِيَّة والسُّرْيانِيَّة، القرآنُ بالعرَبِيَّة، والتَّوراةُ بالعِبْرانِيَّة، والزَّبورُ والإِنْجيلُ بالسُّرْيانِيَّة[1].

وفي "صحِيحِ البُخارِي" في قِصَّة ورقة بن نوفل أَنَّه تَنَصَّر فِي الجَاهِلِيَّة وكانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيّ، يكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بالعَرَبِيَّة، فيُفْهَمُ مِنْهُ أنَّ الإِنجِيلَ كانَ بالعِبْرَانِيَّة[2].

وفي رِوايَة: الزَّبُور باللُّغةِ العبْرَانِيَّة وهُو مِئةٌ وخَمْسُون سورَةً، فإذَا عُبِّر عنْ كلامِ اللهِ بالعَرَبِيَّة يُسمَّى قُرْآنًا، وإنْ عُبِّرَ بالعِبْرَانِيَّة يُسَمَّى تَوْرَاةً، وإذَا عُبِّرَ بالسُّريانِيَّة يُسَمَّى زبورًا وإِنْجِيلًا[3].

ثُمَّ إنَّهُ لا يَبْلُغُ أَحَدٌ مِنَ الأولياءِ بوَلَايَتِهِ، ولا أَحَدٌ مِن الصِّدِّيقِينَ بصَدَاقَتِهِ دَرَجَة نَبِيءٍ وإنْ كانُوا في أعَالِي مرَاتِبِهِمْ، قال أبُو يَزِيدَ البَسْطَامِي[4]: آخِرُ نِهَايَةِ الصِّدِّيقِينَ أَوَّلُ أحْوَالِ الأَنْبِيَاءِ[5]. وقَالَ ابنُ عطَاءِ اللهِ[6]: أَدْنَى مَراتِبِ المرسَلِينَ أَعْلَى مَرِاتِبِ الأنْبِيَاءِ، وأَدْنَى مرَاتِبِ الأَنْبِيَاءِ أعْلَى مرَاتِبِ الصِّدِّيقينَ، وأَدْنَى مَرَاتِبِ الصِّدِّيقينَ أعْلَى مرَاتِبِ الشُّهَداءِ، وأَدْنَى مرَاتِبِ الشُّهداءِ أعْلَى مَرَاتبِ الصَّالحِينَ، وأَدْنَى مَرَاتِبِ الصَّالحينَ أَعْلَى مرَاتِبِ المؤْمِنِينَ[7].

فمَا نُقِلَ عنْ بعْضِ الأَوْلِيَاءِ مِنْ أنَّ الوَلايةَ أَفْضَلُ مِنَ النُّبُوءَةِ فمَبْنِيٌّ علَى أنَّ لِلنَّبِيءِ جِهَتَيْن، إحْداهُمَا جِهَةُ الوَلَايَةِ التِي هِيَ باطِنُ النُّبوَّةِ، ثانِيَتُهُما جِهَةُ النُّبُوءَة التِي هِيَ ظاهِرُ الوَلايَةِ، فالنَّبِيءُ بِجِهَةِ الوَلَايةِ يَأْخُذُ الفَيْضَ والعُلَا مِن اللهِ تعَالَى، وبِجِهَة النُّبُوءَةِ تَبْلِيغهُ لِلْخَلْقِ، ولا شَكَّ أنَّ الوَجْهَ الذِي إلى الحَقِّ أَشْرَفُ وأفْضَلُ مِنَ الوَجِهِ الذِي إلى الخَلْقِ، فالمرَادُ أنَّ جِهَةَ وَلايَةِ نَبِيءٍ أفْضَلُ مِن جِهَةِ نبُوءَتِهِ، وإنَّهُ منْ حيْثُ إنَّهُ وَلِيٌّ أفْضَلُ مِنْ حيْثُ إنَّهُ نَبِيءٌ، ولَيْسَ المرادُ أنَّ وَلايَةَ غَيْرِ نَبِيءٍ أفضَلُ مِنْ نُبُوءَةِ نَبِيءٍ، فلا يَلْزَمُ أنَّ الوَلِيَّ أفْضَلُ مِنَ النَّبِيءِ كما يَتَوَهَّمُهُ القَاصِرون، فإنَّ مرْتَبَةَ الوَلايَةِ قدْ حَصَلَتْ لِلنَّبِيءِ على وَجْهٍ أكْمَلَ مِن وَلاية الوَلِيّ معَ أمْرٍ زائدٍ وهُو مرْتَبَة النُّبُوءَةِ، فكُلُّ نبِيءٍ وَلِيٌّ مِنْ غَيْرِ عَكْسٍ، وما

---

(1) تاريخ الخمِيس، الدِّيار بَكْرِي، 9/1.

(2) صحيح البخارِي، حدِيث (3).

(3) تاريخ الخمِيس، الدِّيار بَكْرِي، 15/1.

(4) أبو يزيد البسطامي طيفور بن عيسى، سلطان العارفين. ت:261هـ. سير أعلام النبلاء، 86/13.

(5) تاريخ الخمِيس، الدِّيار بَكْرِي، 15/1.

(6) ربّما هو السّكندرِي، صاحبُ الحكم العطائِيَّة. النّصُّ لم أقفْ عليهِ في غير تاريخ الخمِيس.

(7) تاريخ الخمِيس، الدِّيار بَكْرِي، 16/1.

وَقَعَ في كلَامِ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيّ الحَكِيمِ التِّرْمِذِي[1] والحَمَوِي[2] مِنْ أَنَّ نِهايةَ الأَوْلِيَاءِ[3] بَدَاءَةُ الأَوْلِيَاءِ معْنَاهُ أَنَّ نِهَايةَ الأَنْبِيَاءِ فِي الشَّرائعِ بدَاءَةُ الأَوْلِياءِ فيهَا، ولَمَّا كانَتْ شرَائِعُ الأَنْبِيَاءِ تَكْمُلُ وتَتِمُّ في أَوَاخِرِ أَحْوَالِهِم قِيلَ لَهُ ﷺ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[4] والْوَلِيُّ ما لم يَأْخُذ الشَّريعَةَ بكَمَالِها، أعْنِي يَتَسَيَّرُ بِهَا، لم يَكُنْ لَهُ الشُّرُوعُ فِي الوَلايَةِ[5].

فمَنْ ماتَ قَبْلَ تمامِ نزولِ القُرآنِ لم تَكُنْ لهُ تِلْكَ المرْتَبَةُ، ولَوْ كانَ مِنْ أَهْلِ الجنَّةِ، اللَّهُمَّ إِلَّا بِنِيَّتِهِ الأَبَدِيَّة العامَّةِ لِكُلِّ خَيْرٍ.

والنَّبِيءُ يتَحَدَّى الخلْقَ بالمعجزَةِ ويسْتَعْجِزُهُم عن الإِتْيَانِ بِمِثْلِهَا [70ظ] ويُخْبِرُهُمْ عَن اللهِ تعالَى بِخَرْقِ العَادَةِ بهَا لِتَصْديقِهِ ولَوْ كانَ كَاذِبًا، لم تَنْخَرِق العادَةُ على يَدَيْهِ، ولَوْ خَرَقَه اللهُ علَى يَدِ كاذِبٍ لخَرَقَها علَى أَيْدِي المعارِضِينَ لِلْأَنْبِيَاءِ، وأَمَّا الوَلِيُّ والسَّاحِرُ فلا يَتَحَدَّيَان الخَلْقَ ولَا يَسْتَدِلَّانِ علَى نبُوءَةٍ ولَو ادَّعَيَا شَيْئًا لم تَنْخَرِقْ العَادَةُ لَهُمَا[6].

وأَمَّا الفَرْقُ بَيْنَ الوَلِيّ والسَّاحِرِ فمِنْ وَجْهيْنِ أَحَدُهما، وهُوَ المشهُورُ، إجْماعُ المسلِمينَ علَى أَنَّ السِّحْرَ لا يَظْهَرُ إِلَّا عَلَى يَدِ فاسِقٍ، والكَرامَةُ لا تظْهَرُ إِلَّا علَى يَدِ وَلِيّ، وبِهَذا جزَمَ إِمامُ الحرَمَيْنِ، وأَبُو سَعِيدٍ المتَولِّي[7] وغَيْرُهُما. والثَّانِي: أنَّ السِّحْرَ يكونُ نَاشِئًا بفِعْلٍ ومَزْجٍ ومعَانَاةٍ وعلَاجٍ، والكَرَامةُ لا تَفْتَقِرُ إلى ذَلِكَ، وفِي كَثِيرٍ مِنَ الأَوْقاتِ تَقَعُ اتِّفاقًا مِنْ غَيْرِ أن يَشْعُرَ بها أَوْ يسْتَدْعِيهَا[8]. والفِعْلُ الخَارِقُ لِلْعادَةِ إِذَا ظَهَرَ علَى يَدِ إِنْسانٍ مقْرونٌ بالدَّعْوَى أَوْ لَا.

والأَوَّلُ الدَّعوَى فِيهِ دَعْوَى الإِلَهِيَّةِ أَوْ النُّبُوءَةِ أَوْ الوَلَايَةِ أوِ السِّحرِ وطَاعَةِ الشَّيْطانِ، فأَمَّا دَعْوَى الإِلَهِيَّة فقَدْ ظَهَرَتْ لَهَا خَوارِقُ معَ الاسْتِدْلالِ بهَا علَيْهَا، كمَا نُقِلَ عن فرعون دعْوَى الإِلَهِيَّة والاسْتِدْلالِ علَيْهَا بالمحِيءِ بالمطَرِ، كانَ يعْرِفُ اسْمَ اللهِ الأَعْظَم فيدْعُو بِهِ، وكَمَا أَنَّ الدّجّال يَدَّعِيهَا فيَأْمُرُ الجَبَلَيْن

(1) محمد بن عليّ بن الحسن بن بشير الحكيم الترمذي محدث، حافظ، سمع الكثير بخراسان والعراق، وقدم نيسابور وحدث بها، ت: 318 هـ. من تصانيفه: الأكياس والمغترين، رياضة النفس، الكسب وكلها في التصوف، نوادر الأصول في معرفة أخبار الرسول ﷺ، وعلل العبودية. طبقات الشافعية، السبكي، 245/2، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 502/3.

(2) محمد بن المؤيد بن محمد بن حمويه الحمَوي الجويني، سبق تعريفه.

(3) خطأ صوابه: الأنبياء كما في تاريخ الخميس.

(4) سورة المائدة: 3.

(5) تاريخ الخميس، الدّيار بَكْري، 16/1، وعبارة " أعني يتسيَّرُ بها" من كلام المؤلّفِ.

(6) تاريخ الخميس، الدّيار بَكْري، 16/1.

(7) عبد الرحمن بن مأمون بن علي بن إبراهيم النيسابوري أبو سعيد المتولي (ت: 478)، تفقه بمرو على الفوراني، له كتاب التتمة، ينظر: طبقات الشافعية، السبكي، 5/ 106.

(8) تاريخ الخميس، الدّيار بَكْري، 16/1.

ينْتَطِحَانِ ويَحْرُثُ ويُنْبِتُ ويُدْرك وَيخْبزُ في ساعَةٍ، وقال رسولُ اللهِ ﷺ: ((**إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَر**))[1] وَ ((**إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ جِسْمًا ولَا عَرَضًا**)) أيْ: ولَا جَوْهَرا.

وقِيلَ في فِرْعَوْنَ إنَّهُ لا يَسْتَدِلُّ عَلَيْهَا، وإنَّما وَقعَ ذلكَ؛ لِأَنَّ شكْلَ المخْلُوقِ ولَا سِيَّمَا فِرْعَوْن في عَرَجِهِ وقِصَرِه، والدَّجَّال في عَوَرِهِ يَدُلُّ على الكَذِبِ لِحُدوثِهِ وعَجْزِه، فلَا يُفْضِي إلى التَّلْبِيسِ.

وأَمَّا ادِّعاءُ النُّبُوءَةِ فمَعَ الكَذِبِ لا تَظْهَرُ الخوَارِقُ، ومَعَ الصِّدقِ تظْهَرُ، وبتَقْدِيرِ ظُهورِها علَى يَدِ كاذِبٍ حَصَلَت المعَارَضَةُ، ولا بُدَّ.

وأَمَّا كَرَامَةُ الأَوْلِيَاءِ فالْحَقُّ وقُوعُهَا، واخْتَلَفُوا هلْ تَجُوزُ دعْوَاها فتَظْهَرُ أَمْ لا تَجُوزُ دَعْوَاهَا والنَّصْبُ لِظُهورِهَا. وأَمَّا خَوَارِقُ السِّحْرِ والشَّيْطانِ فالصَّحيحُ وقوعُهَا ومَنَعَتْهُ المعْتَزِلَةُ.

وأَمَّا الظُّهورُ بلَا قَرْنٍ بالدَّعْوَى فمِنَ الوَلِيِّ كرَامَةٌ، وأَنْكَرَتْها المعْتَزِلَة إِلَّا أبَا الحُسين البصري[2] وصاحِبَه محمود الخوارزمي[3][4]، ومِنَ الخَبِيث المذْنِبِ فاسْتِدْرَاجٌ. واللهُ أَعْلَمُ، وهُوَ الوَلِيُّ.

وذَكَرَ ابن عادل[5] فِي "تفْسِيرِهِ"[6] أنَّ جبْرِيلَ عليه السلام نَزَلَ على النَّبِيءِ ﷺ أربَعَةً وعِشْرِين أَلْفَ مَرَّةٍ، ونَزَلَ على آدَمَ اثْنَتَيْ عشْرَةَ مَرَّةً، وعلَى إدريس أَرْبَعَ مرَّاتٍ، وعلَى نوح خمْسِينَ مَرَّةً، وعلَى إبراهِيمَ اثْنَتَيْن وأَرْبَعينَ مَرَّةً، وعلى مُوسَى أَرْبَعَ مِئَةِ مَرَّةٍ، وعلَى عيسى عَشْرَ مَرَّاتٍ[7].

وفي ذَلِكَ نَظَرٌ، وإِنَّمَا يثْبُتُ ذلكَ بِحَدِيثٍ صحِيحٍ ولَمْ نَرَهُ، وصَاحِبُ "المواهِبِ" لمّا ذكَرَهُ قالَ: كَذا[8]. قالَهُ إِشَارَةً إِلَى ضُعْفِ [71و] ذلِكَ واللهُ أَعْلَمُ.

الفَصْلُ الثَّالِثُ: [أَوَّلُ الخَلْقِ خَلْقًا]

جاءَ الخَبَرُ أَنَّ أَوَّلَ المخلُوقَاتِ نورُ سيِّدِنَا مُحَمَّد ﷺ. وفي "الأُنْسِ الجَلِيلِ"[9] :إنَّ اللهَ خَلَقَ أَوَّلًا نورَ رسولِ الله ﷺ قبْلَ العَرْشِ والكُرْسِيِّ واللَّوحِ والقلَمِ والماءِ والسَّماءِ والأرضِ والجنَّةِ والنَّارِ بأَلْفِ

---

(1) صحيح البخارِي، حدِيث (4402).

(2) أبو الحسين البصري: مُحَمَّدُ بنُ عَلِيِّ بنِ الطَّيِّبِ، معتزلِي كان فصيحا بليغا عذب العبارة يتوقَّد ذكاءً، صاحب تصانيف منها: المعْتَمد فِي أصُول الْفِقْه، وصلح الأدلَّة، ت:436هـ. الوافي، الصفدِي، 92/4، وسير أعلام النبلاء، الذهبِي، 587/17.

(3) محمود بن محمد الخوارزمي: ابن الملاحمِي ت: 536هـ، له كتاب: المعتمد في أصول الدين.

(4) تارِيخ الخمِيس، الدِّيار بَكْرِي، 17/1.

(5) عمر بن عادل: الدمشقِي الحنبلِي، من تصانيفه: اللباب في علوم الكتابِ، ت:880هـ. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 568/2.

(6) اللُّباب في علوم الكتابِ.

(7) تفسير اللباب، ابن عادل، 3/12.

(8) المواهِب اللدنيّة، القَسْطَلَّانِي، 210/1.

(9) الأنس الجليل، بتاريخ القدس والخليل، للقاضِي عبد الرحمن بن محمد العليمي الحنبلِي، ت: 928هـ. كشف الظنون، حاجي خليفة، 177/1، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 112/2.

أَلْفٍ وسِتِّ مئَةٍ وسَبْعِينَ ألْفِ سَنَةٍ[1].

وفي رِوايَةٍ: أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ العقْل، فقال لهُ: أَقْبِلْ فأقْبَل، وقال لَهُ: أَدْبِرْ فأَدْبَر، فقالَ: وعِزَّتِي وجلَالِي بِكَ أُعْطِي وبِكَ أمنَعُ وبِكَ أُثِيبُ وبِكَ أُعاقِبُ[2].

وعن أَبي هريرة عن النَّبِيءِ ﷺ لما خَلَقَ اللهُ العَقْلَ قال لَهُ: قُمْ فقَامَ، ثُمَّ قال لَهُ: أَدْبِرْ فأَدْبَر، ثُمَّ قالَ لهُ: أَقْبِلْ فأَقْبَل، ثُمَّ قال لَه: اقْعُدْ فقَعَدَ، ثُمَّ قال لهُ: ما خَلَقْتُ خَلْقًا هو خَيْرٌ مِنْكَ ولا أَفْضَلُ مِنْكَ ولَا أحْسَنُ مِنْكَ، بِكَ آخُذُ، وبِكَ أُعْطِي وبِكَ أُعْرَف، وبِكَ أعاقِب، وبِكَ الثَّوابُ وعلَيكَ العقَابُ. وقَدْ تَكَلَّمَ فيه بَعْضُ علمَاءِ الجَرْحِ والتَّعدِيل. رواهُ فِي "شُعَبِ الإِيمانِ" البَيْهَقِيّ[3].

وعن عُبادة بن الصّامت عنْ رسُولِ اللهِ ﷺ: ((**أَوَّلُ ما خَلَقَ اللهُ القَلَم فقالَ لَهُ: اكتُبْ، فقالَ لَهُ: رَبِّ ما أَكْتُبْ؟ قال: اكْتُبْ مقادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ**)) رواهُ أَحْمَد والتِّرمِذِي وصَحَّحَهُ. فجَرَى القَلَمُ بمَا هُوَ كائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيامَةِ[4].

وفي خَبَرٍ آخَرَ: أَوَّلُ ما خَلَقَ اللهُ اللَّوْح المحْفُوظ[5].

وذكَرَ القسطلّاني[6]: أَنَّ الخِلَافَ في أَوَّل المخْلُوقَاتِ بعْدَ النُّورِ المحَمَّدِي، فقَالَ أبو يَعْلَى الهمَدَانِي[7] الأَصَحُّ أنَّ العَرْشَ قَبْلَ القَلَمِ لما فِي "الصَّحِيحِ" عنْ عبد الله بن عمْرو قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: ((**قَدَّرَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الماءِ**))[8] فالتَّقْدِيرُ وَقَعَ بَعْدَ خَلْقِ العَرْشِ، وذلِكَ عنْدَ أَوَّلِ خَلْقِ القَلَمِ لِحَدِيثِ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ[9].

---

(1) تاريخ الخمِيس، الدِّيار بَكْري، 17/1، لم أجد النص في المطبوع من الأنس الجليل.

(2) (م، س)، 17/1.

(3) مشكاة المصابيح، التبريزِي، حدِيث (5064)، وقال الألباني محقِّقُ الكتَابِ: موضوع، وشعب الإيمان، البيْهَقِي، حدِيث (4313).

(4) سنن الترمذِي، حدِيث (2155) و(3319)، ومسند أحمد، حدِيث (22707).

(5) تاريخ الخمِيس، الدِّيار بَكْري، 18/1.

(6) القَسْطَلَّانِي: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك المصري، الشافعي، شهاب الدين، أبو العباس، محدث، مؤرخ فقيه، ومقرئ، ولد بمصر وقدم مكة، وتوفي بالقاهرة سنة 923هـ، من تصانيفه: إرشاد الساري على صحيح البخاري، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 254/1.

(7) أبو يعلَى (أبو العلاء) الهمداني: الحسن بن أحمد، سمع من عبد الرحمن بن حمد الدوني وخلق بهمذان، وسمع ببغداد، كان من أئمة القراءات والحدِيث، ت: 569هـ، من تصانيفه: زاد المسافِر. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 40/21.

(8) ورد بلفظ قريبٍ فِي صحيح مسلم، حدِيث (16).

(9) تاريخ الخمِيس، الدِّيار بَكْري، 18/1، والمواهب اللدنيَّة، القَسْطَلَّانِي، 72/1- 73.

وروَى أَحْمَدُ وصَحَّحَهُ أيْضًا مِنْ حَدِيثِ أبي رزين العقيلي[1] عنْهُ ﷺ: ((**إنَّ الماءَ خُلِقَ قَبْلَ الْعَرْشِ**))[2].

ورَوَى السّدِّي[3] بأَسَانِيدَ متَعَدِّدَةٍ: إنَّ اللهَ لم يَخلُقْ شيْئًا قبْلَ الماءِ، فيُجْمَعُ بَيْنَهُ وبَيْنَ ما قَبْلَهُ بأَنَّ أَوَّلِيَّةَ القَلَمِ بالنِّسبَةِ إلى مَا عَدَا النُّورِ المحَمَّدِي والماءِ والعَرْشِ[4].

وأَوَّلُ شَيْءٍ كتَبَهُ القَلَمُ: بِسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحيمِ إنِّي أَنَا اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، مُحَمَّدٌ عبدِي ورَسُولي، مَن اسْتَسْلَمَ لِقَضَائي[5] وصَبَرَ عَلَى بلَائِي وشَكَرَ نَعْمَائي وَرَضِيَ بِحُكْمِي كَتَبْتُهُ صِدِّيقًا وبعَثْتُهُ يوْمَ القِيامَةِ معَ الصِّدِّيقِينَ، ومَنْ لم يَسْتَسْلِمْ لِقَضَائِي، ولَمْ يَصْبِرْ علَى بلَائِي ولَمْ يَشْكُرْ نَعْمَائِي، ولَمْ يَرْضَ بحُكْمِي، فَلْيَخْتَرْ إِلَهًا سِوَايَ[6].

وسُمِّيَ مَحْفوظًا لِأَنَّهُ حُفِظَ مِنْ وُصُولِ الشَّيَاطِينِ[7].

قال البيضاوي: القَلَمُ يُشْبِهُ أنْ يَكُونَ هُوَ العَقْلُ الأَوَّلُ لقَوْلِهِ ﷺ: ((**أَوَّل مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَم، قَالَ لَهُ: اكْتُب الْقَدَرَ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ إِلَى الْأَبَدِ**))[8]. ولَعَلَّ المرَادَ بالْأَبَدِ ما قَبْلَ القِيَامَةِ، إذْ لا مُنتَهَى لما بَعْدَها فلَا يَسَعُهُ اللَّوْحُ.

قالَ: واللَّوْحُ هو الخَلْقُ الثَّانِي، قالَ: وهُوَ العَرْشُ أو مُتَّصِلٌ بِهِ لقَوْلِهِ ﷺ: ((**مَا مِنْ** [71ظ] **مَخْلُوقٍ إِلَّا وَصُورَتُهُ تَحْتَ الْعَرْشِ**))[9]. وعن ابنِ عَبَّاسٍ: اللَّوْحُ مِنْ دُرَّةٍ بَيْضَاءَ[10]. ويُرْوَى: جَبْهَةُ مَلَكٍ. وفِي "المدارِكِ": أَنَّهُ عند الحَسَنِ شَيْءٌ يلوحُ للْملائِكَة فيقْرَؤُونَهُ. وعن مُقاتِل: هوَ عَنْ يَمِينِ العَرْشِ[11]. وقِيلَ: أَعْلَاهُ معْقُودٌ بالْعَرْشِ، وأَسْفَلُهُ في حِجْرِ مَلَكٍ عَظِيمٍ[12].

ويُجْمعُ بيْنَ أحادِيثِ أَوَّل المخْلُوقاتِ بأَنَّ الأَوَّلَ الحقِيق مِنَ الخَلْقِ نورُ نَبِيئِنَا مُحَمَّد ﷺ وأَوَّلِيَّةُ العقْلِ والقَلَمِ إضَافِيَّة، أَوَّلُ مخْلُوقٍ مِنَ المجَرَّداتِ العَقْلُ، ومِنَ الأَجْسَام القَلَمُ، أو بِأَنَّ أَوَّلَ العقُولِ

---

(1) أبو رزين العقيلي: لقيط بن عامر، صحابِي. الإصابة، ابن حجر، 508/5.

(2) تارِيخ الخمِيس، الدِّيار بَكْري، 18/1، والمواهب اللدنيَّة، القَسْطَلَّانِي، 73/1، وفي مسند أحمد، حدِيث (16200)، بلفظ:((ثُمَّ خَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الماءِ)).

(3) إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبِير، الإمام المفسر حدث عن أنس بن مالك وابن عباس، وحدث عنه شعبة وسفيان الثورِي، ت:127هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 265/5.

(4) تاريخ الخمِيس، الديار بكري، 18/1، والمواهب اللدنيَّة، القَسْطَلَّانِي، 74/1.

(5) في الأصل: لقضاء.

(6) تاريخ الخمِيس، الديار بكري، 18/1.

(7) مدارك التنزيل، النسفِي، 626/3.

(8) الحدِيث فِي سنن الترمذِي (2155).

(9) تاريخ الخمِيس، الديار بكري، 18/1، نقلا من طوالع الأنوار، البيضاوِي. ولم أجد الحدِيث.

(10) تاريخ الخمِيس، الديار بكري، 18/1.

(11) تفسير مقاتل، 224/4.

(12) نقلا من مدارك التنزيل، النسفِي، 626/3.

العقْلُ المطَاوِعُ للهِ عزَّ وجلَّ، فيَفُوزُ مِنْ رَبِّ العِزَّةِ بأَنْوَاعِ الإِعْزَاز، وأَوَّلُ الأَقْلَام القَلَمُ الذِي كتَبَ في اللَّوحِ المحْفُوظِ، وأَوَّلُ الأَنْوارِ نورُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وقَدْ يقَالُ المرَادُ شَيْءٌ واحِدٌ تَعَدَّدَ باعْتِبَارِ النَّسبِ والحَيْثِيَّاتِ، كمَا يُقالُ لِلْحبْرِ أَسْوَدٌ وبُرَاقٌ ومَائِغٌ[1].

قال بَعْضٌ: المعْلُولُ الأَوَّلُ مِنْ حَيْثُ إنَّهُ مُجَرَّدٌ تُعقَل ذاتُه ومبْدَؤُهُ يُسَمَّى عَقْلًا، ومِنْ حَيْثُ إنَّه واسِطَةٌ في صُدُورِ سائِرِ الموْجُوداتِ ونُقُوشِ العلُومِ يُسَمَّى قلَمًا، ومِنْ حيْثُ تَوَسُّطُهُ في إفَاضَةِ أنْوارِ النُّبُوءَةِ، ومِنْ حَيْثُ إنَّ الكَمَالاتِ المحَمَّدِيَّةَ مِنْ أَثَرِ نُورِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ سَيِّدِ الأَنْبِيَاءِ مِنْ حَيْثُ إنَّهُ سَبَبٌ لِلْحَيَاةِ يُسمَّى رُوحًا[2].

وفِي "شَواهِد النُّبُوءَة": إنَّ نبِيَّنا ﷺ وإنْ كانَ آخِرَ الأَنْبِيَاءِ في عالَمِ الشَّهادَةِ لَكِنَّهُ أَوَّلُهُم فِي عالَم الْغَيْبِ، قال ﷺ: ((**كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الماءِ وَالطِّينِ**))[3] بيَانُهُ أنَّ اللهَ جَلَّ وعلَا فِي أَزَلِ الآزالِ كان ولَا شَيْءَ مَعَهُ، فجَمِيع الشُّؤُون مِنْ غَيْرِ امْتِيَازٍ مِنْ بَعْضٍ، وصُورَةُ معْلُومِيَّة ذلِكَ الشَّأنِ تُسَمَّى تَعَيُّنًا أَوَّلًا وحَقِيقَةً مُحَمَّدِيَّة، وحقَائِقُ سَائِرِ الموْجُوداتِ الحَوَادِث كُلُّهَا أجْزَاءٌ وتفاصِيلٌ، فتِلْكَ الحَقِيقَةُ والتَّجَلِّيَاتُ التِي وقَعَتْ بِصُوَرِها فِي الغَيْبِ إنَّما نَشَأَتْ وانْبَعَثَتْ مِنَ التَّجَلِّي بِصُوَرِ تِلكَ الحَقَائِقِ والصُّورَةُ الوُجودِيَّةُ لِتِلْكَ الحقِيقَةِ أَوَّلًا فِي مَرْتَبَةِ الأَرْوَاحِ كانَتْ جوْهَرًا مُجَرَّدًا عبَّرَ عنهُ الشَّارِعُ ﷺ تارَةً بالْعَقْلِ وتَارَةً بالقَلَمِ وتارَةً بالنُّورِ وتارَةً بالرُّوحِ، حَيْثُ قالَ ﷺ: ((**أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْعَقْل**))[4] و ((**أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَم**))[5] و ((**أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ رُوحِي أَوْ نُورِي**))[6] واخْتلافُ العبَارَاتِ رُتبِيّ، إذْ مرْتَبَةُ الأَوَّلِيَّة حَقِيقَةٌ لَا تَصْلُحُ لِغَيْر شَيْءٍ واحِدٍ، والصُّورَةُ الوُجودِيَّة لِتِلكَ الحقِيقَةِ مرْتَبَةٌ بعْدَ مَرْتَبَةٍ حتَّى انْتَقَلَتْ إلَى الصُّورةِ الجِسْمِيَّةِ العُنْصُرِيَّة الإِنْسَانِيَّة التِي أَوَّلُ أفْرَادهَا آدَمُ فهُوَ وسَائِرُ الأَنْبِيَاءِ مَا لم يَظْهَرُوا بصُورَةٍ جسْمِيَّةٍ عُنْصُرِيَّة في الشَّهادَةِ لم يُوصَفُوا بالنُّبُوءةِ، بِخِلَافِ نبِيِّنَا ﷺ فإنَّهُ لما وُجِدَ بِوُجودٍ رُوحَانِيّ [72و] بَشَّرَهُ وأعْلَمَهُ بالنُّبُوءَةِ بالفِعْلِ، وفِي كُلِّ الشَّرَائِعِ أَعْطَى الحُكْمَ لهُ لَكِنْ بأَيْدِي الأَنْبِيَاءِ والرُّسُلِ الذِينَ كانُوا نُوَّابَهُ، فإنَّ ثبوتَ النُّبُوءَةِ لَيْسَ إلَّا بِاعْتِبَارِ شَرْعٍ مُقَرَّرٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فجَمِيعُ الشَّرائِعِ شرِيعَةٌ إلى الْخَلْقِ بِأَيْدِي نُوَّابِهِ، ولَمَّا ظَهَرَ بالوُجُودِ الجِسْمَانِيّ العُنْصُرِيّ نَسَخَ تِلْكَ الشَّرائِعَ التِي كانَ اقْتَضَاهَا بِحَسَبِ

---

(1) تاريخ الخمِيس، الديار بكري، 1/18-19، بِتصرُّف.

(2) (م، س)، 1/19.

(3) الدرر المنتثرة، السيوطي، حديث (331)، وقال: لا أصل له بهذا اللفظ.

(4) سبق تخريجه: مشكاة المصابِيح، التبرِيزِي، حدِيث (5064)، وقال الألبانِي محقِّقُ الكتَابِ: موضوع، وشعب الإيمان، البيْهَقِي، حدِيث (4313).

(5) سبق تخريجه: سنن الترمذِي، حدِيث (2155) و(3319)، ومسند أحمد، حدِيث (22707).

(6) لم أقف عليه بلفظِهِ.

الباطِنِ، فإنَّ اخْتِلافَ الأُمَمِ فِي الاسْتِعْدادَاتِ والقَابِلِيَّاتِ مُقْتَضٍ لِاخْتِلافِ الشَّرائِعِ[1]. وقِيلَ: أَوَّلُ ما خُلِقَ مِنَ الأَجْسَامِ طِينَتُهُ ﷺ.

وفي "فُصُوصِ الحِكَمِ"[2] وَ"شَرْحِهِ"[3]: ما كَانَ مِنْ نَبِيءٍ يأْخُذُ شَيْئًا مِنَ الكَمَالاتِ إِلَّا مِنْ مِشْكَاةِ خَاتِمِ النَّبِيئِينَ، وإِنْ تَأَخَّرَ عَنْهُم وجُودُ طِينَتِهِ إِذْ لَا تَعَلُّقَ لمشْكَاتِهِ بوُجُودِهِ الطِّينِيّ فَإِنَّهُ بِحَقِيقَتِهِ مَوْجُودٌ[4] قَبْلَهُمْ؛ لِأَنَّه أبُو الأَرْوَاحِ كمَا أَنَّ آدَمَ أبُو الأَشْبَاحِ[5].

فهَذَا ظاهِرٌ في تَأَخُّرِ طِينَتِهِ، ولَعَلَّهُ أرادَ بِتأَخُّرِ طِينَتِهِ تأخُّرها بالوُجودِ الصُّورِيّ لَه ﷺ ونُورُهُ ﷺ قبْلَ كُلِّ مخْلُوقٍ.

وكانَ فِي فضَاءِ عَالم القُدْسِ فتَارَةً يأْمُرُهُ بالسُّجودِ وتَارَةً يأْمُرُه بالتَّسبِيحِ والتَّقْدِيسِ وخَلَقَ لهُ حُجُبًا وأقَامَهُ في كُلِّ حِجَابٍ مُدَّةً مَدِيدَةً يُسبِّحُ اللهَ تعَالَى فِيهَا بتَسْبِيحٍ خَاصٍّ، وَلعَلَّ هَذِهِ الحُجُبَ كنَايَةٌ عن عَدَمِ وجُودِ سِوَاهُ مِنَ المخْلُوقاتِ؛ لأَنَّ الفَرْضَ أَنَّهُ خُلِقَ قَبْلَ كُلِّ خَلْقٍ، وبعْدَ مَا خرَجَ مِنَ الحُجُبِ تَنَفَّسَ بأَنْفَاسٍ فخُلِقَ مِنْ أَنْفاسِهِ أَرْوَاحُ الأَنْبِئَاءِ والأَوْلِيَاءِ والصِّدِّيقِينَ والشُّهَدَاءِ وسائِرِ المؤْمِنِين والملَائِكَةِ، كمَا رُوِيَ عنْ جابِرِ بنِ عبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيّ أَنَّهُ قَالَ: ((**سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ أَوَّلِ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللهُ قالَ: هُوَ نُورُ نَبِيئِكَ يا جَابِر خلَقَهُ ثُمَّ خلَقَ مِنْهُ كُلَّ خَيْرٍ، وخَلَقَ بعْدَهُ كُلَّ شَيْءٍ وحِينَ خَلَقَهُ أَقَامَهُ قُدَّامَهُ فِي مقَامِ القُرْبِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ سَنَةٍ ثُمَّ جعَلَهُ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ، خلَقَ العَرْشَ مِنْ قِسْمٍ والكُرْسِيَّ منْ قِسْمٍ وحَمَلَةَ العَرْشِ وخَزَنَةَ الكُرْسِيّ مِنْ قِسْمٍ، وأَقامَ القِسْمَ الرَّابعَ فِي مقامِ الحُبِّ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ جَعَلَهُ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ فخَلَقَ الخَلْقَ مِنْ قِسْمٍ واللَّوْحَ منْ قِسْمٍ والجَنَّة مِنْ قِسْمٍ، وأَقَامَ القِسْمَ الرَّابعَ فِي مقَامِ الخَوْفِ اثْنَتَيْ عشَرَ أَلْفَ سَنَةٍ ثُمَّ جعَلَهُ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ فخَلَقَ الملائكَةَ مِنْ جُزْءٍ والشَّمسَ مِنْ جُزْءٍ والقَمَرَ والكَوَاكبَ مِنْ جُزْءٍ وأَقَامَ الجُزْءَ الرَّابعَ في مقَامِ الرَّجاءِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ سَنَةٍ ثُمَّ جعَلَهُ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ فخَلَقَ العَقْلَ منْ جُزْءٍ والحِلْمَ والعِلْمَ** [72ظ] **مِنْ جُزْءٍ والعِصْمَةَ والتَّوفِيقَ مِنْ جُزْءٍ، وأقامَ الجُزْءَ الرَّابعَ مقَامَ الحيَاءِ اثْنَيْ عشَرَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ نَظَرَ اللهُ سبحَانَه وتعَالَى عنْ صِفَاتِ الخَلْقِ، أيْ: أَظْهَرَ لَهُ ما شَاءَ فتَرَشَّحَ عرَقًا، فقَطَرَتْ مِنْهُ مِئةُ أَلْفٍ وعشرُونَ أَلْفًا وأَرْبَعةُ آلَافِ قَطْرَة مِنْ نورٍ فخَلَقَ اللهُ سبحَانَهُ وتعَالَى مِنْ كُلِّ قَطْرَةٍ رُوحَ نَبِيءٍ أَوْ رَسُولٍ ثُمَّ تَنَفَّسَتْ أَرْوَاحُ الأَنْبِئَاءِ فخَلَقَ اللهُ منْ أَنْفَاسِهِم أَنْوَارَ الأَوْلِيَاءِ والسُّعَداءِ والشُّهدَاءِ**

(1) تاريخ الخمِيس، الديار بكري، 19/1.

(2) فصوص الحكم: لـ: محيي الدين أبو عبد الله محمد بن عليّ المعروف بابن عربي الطَّائي، ت:638هـ. كشف الظنون، حاجي خليفة، 1261/2.

(3) من شروح فصوصِ الحِكَمِ: شرح الجامِي الملَّا عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الملقب بنور الدِّين، ت: 898هـ، ينظر ص103 منه.

(4) فصوص الحكم، ابن عربي، ص63.

(5) تاريخ الخمِيس، الديار بكري، 19/1.

والمطِيعِينَ مِنَ المؤْمِنينَ إلَى يَوْمِ القِيامةِ، فالعَرْشُ والكُرْسِيّ مِنْ نُورِي، والكَرُوبِيُّونَ مِنْ نُورِي، والرّوحَانِيُّون منَ الملائِكَةِ مِنْ نُوري، وملَائِكَةُ السَّماوَاتِ السَّبْعِ مِنْ نُورِي، والجَنَّةُ ومَا فِيهَا مِنَ النَّعيمِ مِنْ نُورِي، والشَّمْسُ والقَمَرُ والكَوَاكِبُ مِنْ نُورِي، والعَقْلُ والعِلْمُ والتَّوْفِيقُ مِنْ نورِي، وأَرْوَاحُ الأَنْبِيَاءِ والرُّسُلِ مِنْ نُورِي، والشُّهَدَاءُ والصَّالحُونَ مِنْ نَتَائِجِ نُورِي، ثُمَّ خَلَقَ اللهُ سبحَانَهُ وتَعَالَى اثْنَيْ عَشَرَ حِجَابًا، فأَقَامَ النُّور وهُو الجُزْءُ الرَّابِعُ في كُلِّ حجَابٍ أَلْفَ سَنَةٍ، وهِيَ مَقَامَاتُ العُبُودِيَّةِ، وهِيَ حِجَابُ الكَرَامَةِ والسَّعادَةِ والهَيْبَةِ والرَّحْمَةِ والرَّأْفَةِ والحِلْمِ والعِلْمِ والوَقَارِ والسَّكِينةِ والصَّبْرِ والصِّدْقِ واليقِينِ، فعَبَدَ اللهَ ذلكَ النُّورُ فِي كُلِّ حِجابٍ أَلْفَ سَنَةٍ، ولَمَّا خَرَجَ النُّورُ مِنْ الحُجُبِ رَكَّبَهُ اللهُ في الأَرْضِ وكَان يُضِيءُ منهُ ما بَيْنَ المشْرِقِ والمغْرِبِ كالسِّراجِ في اللَّيْلِ المظْلِمِ، ثُمَّ خَلَق اللهُ آدمَ فِي الأَرْضِ ورَكَّبَ فيهِ النُّورَ فِي جَبِينِهِ ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْهُ إِلَى شِيتَ ومِنهُ إِلَى يانِش وهكَذَا مِنْ طَاهِرٍ إِلَى طَيِّبٍ إِلَى أَنْ أَوْصَلَهُ اللهُ إِلَى صُلْبِ عبد اللهِ بن عَبْدِ المطَّلِب، ومِنْه إِلَى رَحِمِ آمنة بنت وَهب ثُمَّ أَخْرَجَنِي إِلَى الدُّنيَا فجَعَلَنِي سَيِّد المرْسَلِين وخَاتِمَ النَّبِيئِينَ ورَحْمَةً لِلْعَالمينَ وقَائِدَ الغُرِّ المحَجَّلينَ، هكَذَا بَدْءُ خَلْقِ نَبِيئِكَ يَا جَابِر))[1].

وأَخْرَجَ مسلِم مِنْ حدِيثِ عبدِ اللهِ بنِ عمْرو عنِ النَّبِيءِ ﷺ: **((إِنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَكان عَرْشُهُ عَلَى الماءِ))** ومِنْ جُمْلَةِ ما كُتِبَ في الذِّكْرِ، وهُوَ أُمُّ الكتَابِ، أَنَّ مُحَمَّدًا خَاتِمُ النَّبِيئِينَ[2].

وعَنِ العربَاضِ بنِ سارِية عَنِ النَّبِيءِ ﷺ: **((إِنِّي عَبْدُ اللهِ وَخَاتمُ النَّبِيئِينَ، وَإِنَّ آدَمَ لمنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُخْبِرُكُمْ بِأَوَّلِ أَمْرِي، أَنَا دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ وَبِشَارَةُ عِيسَى وَرُؤْيَا أُمِّي التِي رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْنِي وَقَدْ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ))** رواهُ أَحْمَد والبَيْهَقِي والحَاكِم، وصَحَّحَهُ[3].

وأَمَّا ما اشْتهرَ علَى الأَلْسِنَةِ مِنْ لَفْظِ: **((كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الماءِ وَالطِّينِ))** فقَالَ أبو الخير السَّخَاوِيّ[4]: لم أَقِفْ عَلَيْهِ بِهَذَا اللَّفْظِ[5].

ومَعْنَى انْجِدالِهِ [73و] في الطِّينَةِ كَوْنُهُ طِينًا مُلْقًى علَى الأَرْضِ لم يُنْفَخْ فِيهِ الرُّوحُ.

---

(1) تاريخ الخمِيس، الديار بكري، 1/19-20. لم أقف عليهِ في كتب الحدِيثِ.

(2) صحيح مسلم، حدِيث (2653).

(3) مسند أحمد، حدِيث (17150) والمستدرك، حدِيث (4175) ورد بلفظٍ قرِيبٍ فِيهما، ودلائل النبوة، البيهقِي، 1/80.

(4) أبو الخير السخاوِي: محمد بن عبد الرحمن فقيه، مقرئ محدث، مؤرخ، أصله من سخا من قرى مصر، وولد بالقاهرة وتوفي بالمدينة سنة907هـ، من تآليفه الكثيرة : الضوء اللامع لاهل القرن التاسع، المقاصد الحسنة في الأحاديث الجارية على الألسنة. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 3/399.

(5) المقاصِد الحسنَة، السخاوِي، ص327.

وعَنْ ميسرة الضَّبِّي قُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ متَى كُنْتَ نَبِيًّا؟ قَالَ: ((**وَآدمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ**)) هذا لَفْظُ أحمَد والبُخَارِي في "تَارِيخِهِ"، وأَبِي نعيم فِي "الْحِلْيَة" وصَحَّحَه الحَاكِمُ[1].

ورواهُ ابنُ رَجَب: مَتَى كُتِبْتَ نَبِيًّا؟ منَ الكِتَابَة، قالَ: ((**كُتِبْتُ وآدمُ بَيْنَ الرُّوحِ والجَسَدِ**))[2].

وحَاصِلُ هَذِه الرِّوايَةِ ورِوَايَةِ العِرْباضِ ثُبُوتُ نُبُوءَتِهِ ووُجُوبُهَا وظُهُورُهَا في الخَارِجِ، قال اللهُ جلَّ وعلَا: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾[3] وقال: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾[4][5].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَة قالوا: يا رَسُولَ اللهِ متَى وَجَبَتْ لكَ النُّبُوءَةُ؟ قالَ: ((**وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالجَسَدِ**)) روَاهُ التّرمذي وحَسَّنهُ[6].

وفي جُزْءٍ مِنْ "أَمَالِي ابنِ سَهْلِ القَطَّانِ[7]"[8] عنْ سهل بنِ صالح الهمداني[9] قالَ: سأَلْتُ أبَا جعْفَر مُحَمَّد بنَ علِيّ[10]: كيْفَ كانَ مُحَمَّدٌ ﷺ يتَقَدَّمُ الأَنْبِيَاءَ وهُوَ آخِرُ مَنْ بُعِثَ؟ قالَ: إنَّ اللهَ تعالَى لمّا أَخَذَ مِنْ بنِي آدَمَ منْ ظُهورِهِم ذرِّيَّاتِهِمْ، وأَشْهَدَهُم علَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ برَبِّكُم؟ قَالَ محَمَّدٌ ﷺ: بلَى قَبْلَهُم، فلِذَا صَارَ مُقَدَّمَ الأَنْبِيَاءِ، وهُوَ آخِرُ مَنْ بُعِثَ[11].

وإنْ قِيلَ إنَّ النُّبُوءَةَ وَصْفٌ لا بُدَّ أنْ يكُونَ الموْصُوفُ بِهِ مَوْجودًا، وإنَّما يكُونُ بعْدَ بُلُوغِ الأَرْبَعِين سَنَةً، فكَيْفَ يُوصَفُ بِهِ قبْلَ وجُودِهِ؟ فقَدْ أجَابَ الغَزَّالِي فِي هذَا وفِي قَوْلِه ﷺ: ((**أَنَا أَوَّلُ الأَنْبِيَاءِ خَلْقًا وآخِرُهُمْ بَعْثًا**)) بأَنَّ المرادَ هُنا التَّقْدِيرُ دونُ الإيجادِ، فإنَّ الغايَاتِ والكَمَالاتِ موْجُودَةٌ سابِقَةٌ في التَّقدِيرِ، لاحِقَةٌ في الوُجودِ، وهُو مَعْنَى قوْلِهِمْ: أَوَّلُ الفِكْرَةِ آخرُ العَمَلِ وآخِرُ العمَلِ أَوَّلُ الفِكْرَة،

---

(1) مسند أحمد، حدِيث (20596)، والتاريخ الكبِير، 374/7، وحلية الأولياء، أبو نعِيم، 53/9، والمستدرك، الحاكِم، حدِيث (4209).

(2) مسند أحمد، حديث (20596). وتاريخ الخمِيس، الديار بكري، 20/1.

(3) سورة البقرة: 183.

(4) سورة المجادلة: 21.

(5) تاريخ الخمِيس، الديار بكري، 20/1، بتصرف.

(6) سنن الترمذِي، حدِيث (3609).

(7) هو أبو سهل القطان وليس ابن سهل.

أبو سهل القطان: أحمد بن محمد بن عبد الله، البغدادِيّ المحدث الثقة، سمع إسماعيل القاضِي ومحمد بن عيسى المدائِني، وسمع منه الدارقطنِي، وابن مندة والحاكم، ت:350هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 521/15.

(8) أمالي ابن سهل القطان: أمالي أبو سهل القطان، منه نسخة بالظاهرية، 165 [مجموع 34]، الرقم التسلسلي في الفهرس: 1334. الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامِي، ص241.

(9) سهل بن صالح الهمدانِي: من أصحاب الإمام الصادق. معجم رجال الحدِيث، الخوئِي، 371/9. لم أجد له ذكرا في كتب الرجال.

(10) أبو جعْفَر مُحَمَّد بنَ علِيّ: ولد سنة 56 في حياة عائشة وأبي هريرة، حدث عنه ابنه والأعرج والزهرِي، اشتهر بالباقر من بقر العلم أي شقه، ت:114هـ بالمدينة. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 401/4.

(11) تاريخ الخمِيس، الديار بكري، 20/1.

فالمهَنْدِس المقَدِّرُ للدَّارِ أَوَّلُ ما يَمْثُلُ في نَفْسِهِ صورَةُ الدَّار، ثُمَّ يُقَدِّرُ ما يَمْثُلُ فتَحْصُلُ في تَقْدِيرِهِ دارٌ كامِلَةٌ، وآخِرُ ما يُوجَدُ مِنْ أعْمَالِهِ هِيَ الدَّارُ الكامِلَةُ، فالدَّارُ الكامِلَةُ هيَ أَوَّلُ الأَشْيَاءِ في حَقِّهِ تقْدِيرًا، وآخِرُها وُجُودًا؛ لأَنَّ ما قَبْلَهَا مِنْ ضَرْبِ اللَّبنَاتِ وبِناءِ الحِيطَانِ وتَرْكِيبِ الجُذُوعِ وسِيلَةٌ إلى غَايةٍ وكَمَالٍ، فالغَايَةُ هيَ الدَّارُ ولأَجْلِهَا تُقَدَّمُ الآلاتُ والأَعْمالُ[1].

قُلْتُ: تعالَى اللهُ عن التَّفكُّرِ؛ لِأَنَّ المتفَكِّرَ جاهِلٌ، تعالى اللهُ عن الجَهْلِ، وعِلْمُهُ أَزَلِيّ لاَ أَوَّلَ لَهُ، وإنَّما الحَقُّ أن يُقالَ: أرادَ بالتَّقْدِيرِ إظْهَارَ الشَّيْءِ خارِجًا بِخَلْقِهِ إيَّاهُ كالنُّورِ والطِّينِ.

قال: وأَمَّا قَوْلُهُ: ((**كُنْتُ نَبِيئًا**)) فإنَّهُ كان نبِيئًا في التَّقْدِيرِ، قَبْلَ خلْقَةِ آدمَ عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ؛ لِأَنَّهُ لم يُنشِئْ خلْقَ آدَمَ إلَّا لِيَنْتَزِعَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ مُحَمَّد ﷺ ويسْتَصْفِيهُ تدْرِيجًا إلَى أَنْ يَبْلُغَ كَمَالَ الصَّفَاءِ[2].

وعَن كعب الأحبار: [73ظ] لمّا أرادَ اللهُ أن يَخْلُقَ مُحَمَّدًا ﷺ أمَرَ جِبْرِيلَ فأَتاهُ بالقَبْضَةِ البيضَاءِ التِي هِيَ موْضِعُ قَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ فعُجِنَتْ بماءِ التَّسنِيمِ، ثُمَّ غُمِستْ في أنهَارِ الجنَّةِ وطِيفَ بها في السَّماوَاتِ والأرضِ فعَرَفَتْهُ ﷺ الملائكةُ والحوتُ وغيرُ ذلكَ، والسَّماواتُ والأرضُ وغَيرُ ذلكَ، قبْلَ أن تَعْرِفَ آدمَ عليه السلام ثُمَّ عجَنَها بطِينَةِ آدَمَ[3].

وعن ابْنِ عبَّاسٍ عن النَّبِيءِ ﷺ أنَّهُ قالَ: ((**كُنْتُ نُورًا بَيْنَ يَدَي اللهِ قبْلَ أنْ يَخْلُقَ اللهُ عزَّ وجَلَّ آدمَ بِأَلْفَيْ عامٍ، يُسَبِّحُ ذلكَ النُّورُ، وتُسَبِّحُ الملائِكَةُ بتَسْبِيحِهِ، ولَمَّا خَلَقَ اللهُ آدمَ ألقَى ذلكَ النُّورَ في صُلْبِهِ، قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: ((فأَهْبَطَنِي اللهُ إلَى الأَرْضِ في صُلْبِ آدمَ، وجَعَلَنِي في صُلبِ نُوحٍ في السَّفِينَةِ، وقَذَفَ بِي في النَّارِ فِي صلْبِ إبْرَاهِيمَ، ثُمَّ لم يَزَلْ ينقُلُنِي منْ الأَصْلابِ الكَرِيمةِ والأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ حَتَّى أخْرَجَنِي مِنْ أَبَوَيَّ لم يَلْتَقِيَا علَى سِفاحٍ قَطُّ**))[4].

وما تَقَدَّم مِنْ تقَدُّمِ وجُودِهِ قَبْلَ سائرِ الخلْقِ بأُلُوفِ سنَةٍ إنَّمَا هُوَ تقْدِيرٌ بأَمْثَالِ السِّنِينَ، وإلَّا فلَا شَمْسَ ولا قَمَرَ. قال الشَّاعِرُ:

أَلَا بِأَبِي مَنْ كَانَ مَلْكًا وَسَيِّدا ... وآدمُ بيْنَ الماءِ والطِّينِ وَاقِفُ
فَذَاكَ الرَّسُولُ الأَبطَحِيُّ مُحَمَّدٌ ... لَهُ فِي العُلَا مَجْدٌ تَلِيدٌ وَطَارِفُ
أَتَى بِزَمَانِ السَّعْدِ فِي آخِرِ المدَى ... وكَانَ لهُ في كلِّ عَصْرٍ مَوَاقِفُ
إِذَا رَامَ أَمْرًا لَا يَكُونُ خَلَافُهُ ... وَلَيْسَ لِذَاكَ الْأَمْرِ فِي الْكَوْنِ صَارِفُ[5]

(1) تاريخ الخمِيس، الديار بكري، 20/1-21، عن الغزالي في كتاب النفخ والتسوِيَة.

(2) تاريخ الخمِيس، الديار بكري، 21/1، عن الغزالي في كتاب النفخ والتسوِيَة.

(3) تاريخ الخمِيس، الديار بكري، 21/1.

(4) المطالب العالية، ابنُ حجر، حدِيث (4209).

(5) الأبيات من الطوِيل، المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 56/1، دون نسبة. وهِي لابن عربِي، الفتوحات المكِّيَّة، 330/2.

وما تَقَدَّمَ عن الغزّالي آنفًا مخالِفٌ لما مَرَّ مِنْ أنَّ أوَّلَ الخَلْقِ على الإطلاقِ نورُهُ ﷺ.

قال السُّبْكِي: قدْ جاءَ أنَّ اللهَ خلقَ الأرواحَ قبْلَ الأجسادِ، فقدْ تكُون الإشارةُ بقَوْلِهِ: ((**كُنْتُ نَبِيئًا**)) إلى رُوحِهِ المشَرَّفَةِ أوْ إلَى حَقِيقَةٍ مِن الحقائقِ، والحقائقُ تَقْصُرُ عقولُنا عن مَعْرِفَتِها، وإنَّما يعْلَمُها خالقُها ومَنْ أمَدَّه اللهُ بنُورٍ إلَاهِيٍّ في الفَضْل والإجْلالِ والتَّكريمِ وغيْرِ ذلِكَ، ثُمَّ إنَّ تلكَ الحقائِقَ يُؤْتِي اللهُ كلَّ حقيقَةٍ منْهَا ما يشاءُ في الوَقْتِ الذي يشَاءُ، فحقِيقةُ النَّبِيءِ ﷺ قدْ تكونُ مِنْ قَبْلِ خلْقِ آدَمَ أتَاهَا اللهُ ذلكَ الوَصْفَ بأن يكونَ خلَقهَا متَهَيِّأَةً لذلكَ وأفاضَهُ عليْهَا منْ ذلكَ الوَقْتِ فصَارَ نَبِيئًا، وكَتَبَ اسمَهُ على العَرْشِ وغَيْرِه، وأخْبَرَ عنهُ بالرِّسالَةِ لِيَعلَمَ مَلائِكَتُهُ وغيْرُهُم كرَامَتَه عِنْدَهُ[1].

فكُلُّ ما أَظْهَرَ مِن شأْنِهِ مِمَّا ذُكِرَ وَنَحوهُ اتِّصافهُ بِهِ هُو كونه نَبِيئًا قبْلَ كذَا، ولَيْسَ المرَادُ بكَوْنِهِ نَبِيئًا قبْلَ كذَا علم الله بأَنَّه سيَكُونُ نَبِيئًا لِأَنَّه لَا خُصُوصِيَّة لهُ بهَذَا، فإِنَّ جَمِيعَ الخَلْقِ كذَلِكَ.

وعن الشّعبي: قال رَجُلٌ: يا رسُولَ اللهِ متَى اسْتُنْبِئْتَ؟ قال: ((**وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ، حِينَ أُخِذَ مِنِّي الميثَاقُ**)) رَواهُ ابنُ سعد[2].

فهذَا يَدُلُّ على أَنَّه مِنْ حينِ صُوِّرَ آدمُ طِينا استُخْرِجَ منْه مُحَمّدٌ ﷺ ونُبِّئَ وأُخِذَ منْهُ الميثَاقُ، ثمَّ أُعِيدَ إلى ظَهْرِ آدمَ حَتَّى يَخْرُجَ وَقْتَ خُروجِهِ[3]. وهذا يدُلُّ على أنَّهُ [74و] استُخْرِجَ ونُبِّئ قبْلَ نفْخِ الرُّوحِ في آدَمَ.

وأَكْثَرُ الأحَادِيثِ دَلَّتْ على أنَّ استِخْراجَ الذُّرِّيَّةِ بعْدَ نَفْخِ الرُّوح فِيهِ، أجَابَ بَعضٌ بأنَّهُ ﷺ خُصَّ باستِخْراجِهِ مِنْ ظَهْرِ آدمَ قبْلَ نفْخِ الرُّوحِ؛ لأَنَّه ﷺ هُوَ المقصُودُ مِنَ النَّوعِ الإِنْسَانِي[4].

وهُو فِي النَّوعِ كالدُّرَّة اليَتِيمةِ في وَسَطِ العِقْدِ، ثُمَّ إنَّ كونَهُ نَبِيئًا وَقتَ كذا لا يُنافِي كوْنَهُ نَبِيئًا قَبْلَهُ، إذْ لَا حَصْرَ ولَوْ وَقَعَ جَوابَ سُؤَالٍ.

وأيْضًا لَعَلَّهُ تَمْثِيلٌ بما يَسْهُلُ فهْمُهُ، ولَمَّا خاطَبَ اللهُ جَلَّ وعلا السَّماءَ والأَرْضَ بقوْلِهِ: ﴿**إِيتِيَا طَوْعًا اَوْ كَرْهًا**﴾[5] كانَ أَوّل ما أجَابَ بالطَّوْعِ موْضِعُ الكَعْبَةِ منَ الأَرْضِ ومَا يُحادِيها مِنَ السَّماءِ. وقدْ قال ابْنُ عبَّاسٍ: أَصْلُ طِينةِ رسولِ اللهِ ﷺ مِنْ سُرَّة الأَرْضِ بِمَكَّةَ، فقِيلَ: هذا يُشْعِرُ بأنَّ ما أجابَ مِنَ الأَرْضِ طِينةُ رسولِ الله ﷺ مِنْ مَوْضِعِ الكعْبَةِ ومِنْ موْضِعِهَا دُحِيَت الأَرْضُ، فرسُولُ اللهِ ﷺ هو

(1) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 63/1.

(2) الطبقات الكبرى، ابن سعد، 123/1.

(3) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 65/1.

(4) (م، س)، 66/1.

(5) سورة فصلت: 11.

الأصْلُ في التَّكوينِ والكائِناتِ، والكائِناتُ تَبَعٌ لَهُ، وقدْ قِيلَ لذلِكَ سُمِّيَ أُمِّيًّا [لأنَّ] مَكَّةَ أُمُّ القُرَى وطِينَتُهُ أُمُّ الخلِيقَةِ[1]. وقَدْ تقَدَّمَ أَنَّ الماءَ ذَهَبَ بتُرْبَتِهِ مِنْ أرضِ الكَعْبَةِ إلى مَدْفَنِهِ بالمدِينةِ.

وفِي "المَوْلِدِ الشَّرِيفِ"[2] لابْنِ طُغْرِيد[3]: لمّا خَلَقَ اللهُ آدمَ عليه السلام أَلْهَمَهُ أن قَالَ: يَا رَبّ، لِمَ كَنَّيْتَنِي أبَا مُحَمَّد؟ فقالَ اللهُ تعالى: يا آدمُ ارْفَعْ رأْسَكَ. فرَفَعَ رأْسَهُ فرأَى نُورَ مُحَمَّدٍ في سُرادِقِ العَرْشِ. فقالَ: يا رَبّ ما هَذَا النُّورُ؟ قال: هذَا نُورُ نَبِيءٍ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ اسْمُهُ فِي السَّماءِ أَحْمَد وفِي الأرْضِ مُحَمَّد، لوْلَاهُ ما خَلَقْتُكَ ولَا خَلَقْتُ سَمَاءً ولَا أَرْضًا[4].

ويشْهَدُ لَهَا ما رَوَاهُ الحاكِمُ: أنَّ آدمَ عليه السلام رأَى اسْمَ مُحَمَّدٍ ﷺ مكْتُوبًا علَى العَرْشِ وأَنَّ اللهَ جلَّ وعلَا قالَ لِآدمَ: لَوْلَاهُ ما خَلَقْتُكَ[5]. ولله دَرُّ القائِلِ:

وكَانَ لَدَى الْفِرْدَوْسِ فِي زَمَنِ الصِّبَا ... وَأَثْوَابُ شَمْلِ الأُنْسِ محْكَمَةُ السَّدَى
يُشَاهِدُ فِي عَدْنٍ ضِيَاءً مُشَعْشَعًا ... يَزِيدُ عَلَى الْأَنْوَارِ فِي الضَّوْءِ وَالْهُدَى
فقالَ: إلَهِي مَا الضِّيَاءُ الذِي أَرَى؟ ... جنُودُ السَّمَا تَعْشُو إِلَيْهِ تَرَدُّدَا
فَقَالَ: نَبِيءٌ خَيْرُ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى ... وَأَفْضَلُ مَنْ فِي الْخَيْرِ رَاحَ أَوِ اغْتَدَى
تَخَيَّرْتُهُ مِنْ قَبْلِ خَلْقِكَ سَيِّدًا ... وَأَلْبَسْتُهُ قَبْلَ النَّبِيّينَ سُودَدا[6]

وظَاهِرُ ذلِكَ وسَائِر الأحَاديثِ والآياتِ تَعْلِيل أفْعالِ اللهِ بالأَغْرَاضِ، والجَوَابُ أَنَّ ذَلِكَ تَعْلِيلٌ بالمصَالِحِ لا عِلَل بوَاعِث لَهُ تعالى، لأَنَّه تعالى غَنِيٌّ علَى الإطْلاقِ، لا يَسْتَكْمِلُ بِشَيْءٍ، وقادِرٌ علَى إيصَالِ المنْفَعَة إلَى غَيْر بلَا واسِطَة عَمَلِ عامِلٍ[7].

ورَوَى عبد الرّزّاق عنْ جابر بنِ عبْدِ اللهِ الأنصَارِي: قلْتُ يا رسولَ اللهِ بأبِي أنْتَ وأُمِّي أخْبِرْنِي عنْ أَوَّلِ شَيْءٍ خلَقَهُ اللهُ تعالَى قبْلَ الأشْيَاءِ، قال: ((**يا جَابِر إِنَّ اللهَ تعالَى خَلَقَ قَبْلَ الأَشْيَاءِ نُورَ نَبِيئِكَ فجَعَلَ ذلِكَ النُّورَ بالقُدْرَةِ يدُورُ حَيْثُ شاءَ اللهُ تعالَى، ولَمْ يكُنْ فِي ذلِكَ الوَقْتِ لَوْحٌ ولَا قَلَمٌ، ولا جَنَّةٌ ولا نَارٌ ولا مَلَكٌ ولا سَماءٌ ولَا أَرْضٌ ولا شَمْسٌ ولَا قَمَرٌ ولا جِنِيٌّ ولا إِنْسِيٌّ، ولَمَّا**

(1) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 69/1.

(2) عنوان الكتاب كاملاً: الدر النظِيم في مولد النبي الكريم. إيضاح المكنون، الباباني، 454/1.

(3) فِي المواهب اللدنية: ابن طغر بك.

عمر بن طغرو بك: سيف الدين أبو جعفر عمر بن أيوب بن عمر الدمشقي التركي، ت:670هـ. من آثاره: الدر النظِيم في مولد النبي الكريم. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 2/ 555.

(4) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 70/1.

(5) المستدرك، الحاكم، حدِيث (4228).

(6) الأبيات من الطوِيل. المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 70/1 دون نسبة، وينظر: مصباح الظلام، المراكشِي، ص31، وقد نسبها لصالح بن الحسين الشافعِي.

(7) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 71/1، بتصرف.

أَرَادَ اللهُ أنْ يَخْلُق الخَلْقَ قَسَّمَ ذلِكَ النُّورَ أَرْبَعَةَ أجْزَاءٍ، فخَلَقَ مِنَ الجُزْءِ الأَوَّلِ القَلَمَ، ومنَ الثَّانِي اللَّوحَ، ومنَ الثَّالثِ العَرْشَ، ثُمَّ قَسَّم الجُزْءَ الرَّابعَ [74ظ] **أرْبَعَةَ أجْزَاءٍ، فخَلَقَ مِنَ الجُزْءِ الأَوَّلِ حمَلَةَ العَرْشِ، ومِنَ الثَّانِي الكُرْسِيّ، ومِنَ الثَّالِثِ باقِي الملَائِكَةِ، ثُمَّ قَسَّم الجُزْءَ الرَّابعَ أرْبَعَةَ أجْزَاءٍ فخَلَقَ مِنَ الأَوَّلِ السَّماواتِ ومن الثَّانِي الأَرْضِينَ ومِنَ الثَّالثِ الجَنَّة والنَّارَ، ثُمَّ قَسَّمَ الرَّابعَ أرْبَعَةَ أجْزاءٍ فخَلَقَ مِنَ الأَوَّلِ نورَ أبْصَارِ المؤْمِنينَ ومِنَ الثَّانِي نورَ قلُوبِهِمْ، وهِيَ المعْرِفَةُ باللهِ تعَالَى، ومنَ الثَّالِثِ نُورَ أُنْسِهِمْ وهُوَ التَّوحيدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ))**[1] الحَديث، واللهُ أَعْلَمُ.

الفَصلُ الرَّابع: [أَوّلُ الخَلْقِ بَعْثًا مِنْ قَبْرٍ]

في رِوايَة مسلِم أنَّه ﷺ قال:((**أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ**))[2] وهو ﷺ أَوَّلُ مَن يفِيقُ مِنَ الصَّعقَةِ، قال ﷺ: ((**أَنَا أَوَّل مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ بَعْدَ النَّفْخَةِ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَقَامَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ**))[3] رَوَاه البخاري مِن حديثِ أبي هريرة، أيْ: لم يصْعَقْهُ اللهُ لأنَّهُ أصْعَقَه في الطُّورِ، والظَّاهِرُ أنَّهُ ﷺ لم يكُنْ عنْدَهُ عِلْمُ ذلكَ حتَّى أعْلَمَهُ اللهُ تعالى، فقَدْ أخْبَرَ عنْ نفْسِهِ الكَرِيمةِ أنَّهُ ﷺ أوَّلُ مَنْ تنْشَقُّ عنهُ الأَرْضُ[4].

ورُوِيَ أنَّه يُحشَرُ في سبعِينَ ألْفًا مِن الملائِكَةِ، روَى كعْبُ الأحْبَارِ: ما مِنْ فَجْرٍ يطْلُعُ إلَّا نَزَلَ سبعُونَ ألْفَ مَلَكٍ يَحُفُّون بِقَبْرِهِ عليه السلام، يضرِبُونَ بأجْنِحَتِهِمْ حتَّى إذَا أَمْسُوا عرَجُوا وهَبَطَ سبعُونَ ألْفَ مَلَكٍ، حَتَّى إذا انْشَقَّتْ عنهُ الأرضُ خرَجَ في سَبْعِينَ ألْفِ مَلَكٍ يُوَقِّرُونَهُ ﷺ[5].

وذكَرَ الطَّبرِي أنَّه يُحْشَرُ ﷺ راكِبَ البرَاقِ.

ويُكسَى في الموْقِفِ أعْظَمَ الحُلَلِ مِنَ الجنَّةِ، روَاهُ البيهقي، بلَفْظِ: ((**فأُكْسَى حُلَّةً مِنَ الجَنَّةِ لا يقُومُ لهَا البَشَرُ**))[6] ورواهُ كعب بن مالِك بِلَفْظِ: ((**يُحْشَرُ النَّاسُ يوْمَ القيَامَةِ فأكُونُ أنَا وأُمَّتِي علَى تَلٍّ ويَكْسُوني رَبِّي حُلَّةً خَضرَاءَ**))[7] رواه الطَّبرِيّ[8]، وهُوَ عندَ ابن أبي شيْبة بلَفْظِ: ((**يُحْشَرُ النَّاسُ**

---

(1) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 1/71-72. لم أجد الحدِيث في مصنف عبد الرزاق، وأشار محقِّق شرح المواهب اللدنية إلى أن هذا الحدِيثَ مروِيٌّ خطأ عن عبد الرزاق، فلم يجده في مصنفه ولا فِي جامعه ولا فِي تفسِيرِه. ينظر: شرح المواهب اللدنية، الزرقانِي، 1/89.

(2) لم أجده في صحيح مسلم، وهو في صحيح البخارِي، حدِيث (2412).

(3) صحيح البخارِي، حدِيث (4813) و(3398).

(4) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 2/698.

(5) نقلا من الدرة الثمينة في أخبار المدينة، ابن النجار، ص223.

(6) الأسماء والصفات، البيهقِي، 2/276.

(7) المستدرك، الحاكم، حدِيث (3383).

(8) فِي المواهب اللدنية: البخارِي.

علَى تَلٍّ وأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ))[1][2].

وعنْدَ الطَّبرِي مِنْ حديثِ ابن عمر: ((**فيَرْقَى هُوَ، يَعْنِي مُحَمَّدًا ﷺ، وأُمَّتَهُ على كُومٍ فَوْقَ النَّاسِ**))[3][4].

وعنْ أَبِي هُرَيرَةَ: قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ بِسُوقِ المدِينَةِ: وَالذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ، فَرَفَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَدَهُ فَلَطَمَهُ، قَالَ: تَقُولُ هَذَا وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: ((**قَالَ اللَّهُ ﷻ:** ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾[5] فقالَ: ((**قالَ اللهُ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَرَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ ﷻ، وَمَنْ قَالَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بنِ مَتَّى فَقَدْ كَذَبَ**)) ذَكَرَهُ مسْلِم وابن ماجة والتّرمِذِي وصَحَّحهُ[6].

وفِي رِوايَة: ((**يصْعَقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يفِيقُ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ** [75و] **الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ**))[7]. أيْ: بُعِثَ قبْلَ الأنبِيَاءِ قَدْرَ صَعْقَتِهِ عندَمَا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ.

وفي حدِيثٍ طويلٍ عن أبي هُرَيْرَةَ عنهُ ﷺ: ((**ثُمَّ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْكُمْ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُ فَتَخْرُجُونَ مِنْهَا شَبَابًا كُلُّكُمْ، أَبْنَاءَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ، وَاللِّسَانُ يَوْمَئِذٍ بِالسّرْيَانِيَّة**))[8].

وعَن نافِع عن ابن عمر عنِ النَّبِيءِ ﷺ: ((**أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، فَأَجْلِسُ جَالِسًا فِي قَبْرِي فَيفْتحُ لِي بَابًا إِلَى السَّمَاءِ بِحِيَالِ رَأْسِي حَتَّى أَنْظُرَ إِلَى الْعَرْشِ، ثُمَّ يَفْتَحُ لِي بَابًا مِنْ تَحْتِي حَتَّى أنظرَ إلى الأَرْضِ السَّابِعَةِ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَى الثَّرَى، ثُمَّ يفْتَحُ لِي بَابٌ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَنْظُرَ إِلَى الْجَنَّةِ وَمَنَازِلِ أَصْحَابِي، وَإِنَّ الأَرْضَ تَحَرَّكَتْ تَحْتِي، فَقُلْتُ لَهَا: مَا لَكِ أَيَّتُهَا الأَرْضُ؟ قَالَتْ: إِنَّ**

---

(1) لم أجده في المصنف لابن أبِي شيبة. والرواية في المنهاج شرح صحيح مسلم للنووِي، عن ابن أبِي خيثمة، ص229، فلعله وقع تصحيف بين "خيثمة" و"شيبة".

(2) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 699/2.

(3) جامع البيان، الطبرِي، 530/17.

(4) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 699/2-700.

(5) سورة الزمر: 68.

(6) سنن ابن ماجة، حدِيث (4274)، وسنن الترمذِي، حدِيث (3245)، ولم أقفْ عليهِ فِي صحيح مسلِم.

(7) جزء من حدِيث، صحيح البخارِي، حدِيث (3398).

(8) التذكرة، القرطبِي، ص484. لم أقفْ عليهِ في كتب الحدِيثِ.

رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُلْقِيَ ما فِي جَوْفِي، وأَنْ أَتَخَلَّى، فَأَكُون كَمَا كُنْتُ إِذْ لَا شَيْءَ فِيَّ))[1].

والمسْتَثْنَى في قوْلِهِ تعالَى: ﴿**إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ**﴾[2] الملَائِكَةُ أو الأَنْبِياءُ أَو الشُّهَدَاءُ، واختارَه الحليمي، قالَ: وهُوَ مرْوِيٌّ عن ابْنِ عبَّاسٍ؛ لأنَّ الشُّهَدَاءَ أَحْيَاءٌ عنْدَ رَبِّهِمْ يرْزَقون، واختَارَ بعضُهُم أنَّ الكُلَّ مُحْتَمَل إذْ لم يَرِدْ فيهِم خَبَرٌ صحِيحٌ، ورَوَى أبو هريرة أنَّهُم الشُّهداءُ[3].

وكذا روَاه النَّحَّاسُ عن سَعيدِ بنِ جُبير، قال: هُم الشُّهداءُ يتقَلَّدُونَ السُّيوفَ حوْلَ العَرْشِ[4].

وعن الحَسَنِ: اسْتَثْنَى اللهُ طوَائفَ مِنْ أَهْلِ السَّماءِ يمُوتُونَ بيْنَ النَّفخَتَيْنِ. قالَ يحيَى بنُ سلَّام[5]: بلَغَني أنَّ آخِرَ مَنْ يبْقَى منْهُم جبْرِيلُ وميكائِيلُ وملَكُ الموْتِ[6].

واعْتُرِضَ بأَنَّ حَمَلَةَ العَرْشِ ليسُوا مِنْ سُكَّان السَّماواتِ والأَرْضِ؛ لأنَّ العَرْشَ فوْقَ السَّماوَاتِ، وجِبْرِيل وميكائِيل ومَلَك الموْتِ مِنَ المسَبِّحِينَ الصَّافِّينَ حَوْلَ العَرْشِ، فما هُمْ فِي الأَرْضِ ولا فِي السَّمَاءِ[7].

ويُجَابُ بأَنَّ المرادَ مَنْ فِي جِهةِ السَّماءِ، فشَملَ مَنْ عنْدَ العَرْشِ، وأيْضًا أَرْجُل الحَمَلَةِ وأجسَامُهُم خَرَقَت السَّماوَاتِ والأَرْضِينَ.

وقِيل: المستثنَى الحُورُ والوِلدَانُ، واعْتُرِضَ بأَنَّهمْ في الجَنَّة فوْقَ السَّماوَاتِ والأَرْضِ، وأُجِيبَ بأنَّ المرادَ في جِهَةِ السَّمَاءِ والأَرْضِ. وقِيلَ: موسَى، وفِيهِ أنَّهُ ماتَ، فكيْفَ يَمُوتُ عنْدَ النَّفْخِ؟[8]

وقالَ بَعْضٌ: الصَّعْقَة صعْقَةُ غَشْيٍ، لا مَوْتٍ، ويدُلُّ لهذَا حَدِيثُ الصَّعْقِ المذْكُور فِيهِ: ((**فلَا أَدْرِي أفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ**))[9][10].

وقيلَ: المرَادُ الموْتُ أَوَّلَ يوْمِ القيَامَةِ، فيكُون المعنَى: فلَا أَدْرِي أبَعَثَهُ قَبْلِي أمْ كَانَ وَهْبَةً لَهُ وتَفْضِيلًا، كمَا فُضِّلَ بالتَّكلِيمِ. وفِيه: إنَّ الوارِدَ التَّرَدُّدُ، هلْ جُوزِيَ بصَعْقَةِ الطُّور؟[11]

---

(1) كتاب الديباج، الختلي، ص102. لم أقفْ عليهِ في كتب الحدِيثِ.

(2) سورة النمل: 87.

(3) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 621/4.

(4) معاني القرآن، النحاس، 194/6.

(5) يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة أبو زكريا البصري، صاحب التفسير، روى الحروف عن أصحاب الحسن البصري عن الحسن بن دينار وغيره، نزل المغرب وسكن أفريقية دهرا وسمع الناس بها كتابه في تفسير القرآن وليس لأحد من المتقدمين مثله وكتابه الجامع، ت200هـ. غاية النهاية، ابن الجزرِي، 325/2.

(6) التذكرة، القرطبِي، ص456.

(7) (م، س)، ص457.

(8) (م، س)، ص457.

(9) سبق تخريجهُ: جزء من حدِيث، صحيح البخارِي، حدِيث (3398).

(10) التذكرة، القرطبِي، ص457.

(11) (م، س)، ص458.

وقالَ أَحْمد بن عُمر[1]: الحَدِيثُ يدُلُّ أنَّ ذلِكَ بعْدَ البَعْثِ[2]. فقِيلَ: إنَّ موسَى لم يَمُتْ، [75ظ] وهذا بَاطِلٌ لتَحَقُّقِ موْتِهِ.

وقال عِيَاض: المرادُ نَفْخَةُ فَزَعٍ بعْدَ النَّشرِ، حينَ تَنْشَقُّ السَّماوَاتُ، واعْتُرِضَ بأنَّهُ ﷺ حِينَ يَخْرُجُ مِنْ قَبْرِهِ يرَى موسى متعلِّقا بالعَرْشِ، وإنَّما هذَا عنْدَ البَعْثِ[3].

وقِيل: إنَّ الأَنْبِيَاء والشُّهَدَاءَ أحيَاءٌ بعْدَ الموْتِ، ولا يُصْعَقُون بالنَّفْخِ فهُم المسْتَثْنَوْنَ، والنَّفْخُ نَفْخُ الموْتِ، لا نَفْخُ البَعْثِ، فالأحْيَاءُ يمُوتُونَ بالنّفْخِ، والأنْبِيَاءُ والشُّهداء أَحْيَاءٌ بعدَ مَوْتِهِم لا يمُوتُونَ بِنَفْخِ الموْتِ[4].

وقِيلَ: صعْقُ الأنْبِيَاءِ غَشْيَةٌ، فتَرَدَّد هلْ بُعِثَ موسَى قَبْلَهُ مِنْ غَشْيَتِهِ أو بَقِيَ علَى الحَالِ التي كانَ علَيْهَا قَبْلَ نفْخَةِ الصَّعْقِ مفِيقًا، ولا يَلْزَمُ مِنْ ذلكَ تفْضِيلُ موسَى ؛لِأَنَّ هذِهِ فَضِيلَةٌ مشْكوكٌ فيهَا، وأيْضًا هِي جُزْئِيَّةٌ لا تُوجِبُ التَّفضِيلَ المطْلَقَ[5].

الفَصْلُ الخَامِسُ: [المعْجِزَةُ]

المعْجِزةُ هِيَ الأمْرُ الخارقُ للْعَادَةِ المقْرُونُ بالتَّحدِّي الدَّالُ على صِدْقِ الأنبِيَاءِ عليهم السَّلامُ، سُمِّيَتْ معجِزَةً للْعَجْزِ عن الإتْيَانِ بمِثْلِهَا، فعُلِم أنَّ لَهَا شرُوطًا أحَدُها: أن تَكونَ علَى خِلافِ العادةِ، كانْشِقاقِ القَمَرِ وانْفِجَارِ الماءِ مِنْ بَيْنِ الأَصَابِعِ وقلْبِ العصَا حَيَّةً وإخْرَاج نَاقَةٍ مِنْ صَخْرَةٍ، وإعْدَامِ جَبَلٍ، فخَرَجَ ما لم يُخَالِفْ العادَةَ كإخْراجِ الماءِ مِنَ الأَرْضِ والنَّارِ مِنَ الزِّنَادِ[6].

الثَّانِي: طلَبُ المعَارَضَةِ والمقَابَلَة. قال الجوهري: يُقَال تَحَدَّيتُ فلانًا إذَا بارَيْتُهُ فِي فِعْلٍ ونَازَعْتُهُ لِلْغَلَبَة[7]. وفي "القَاموسِ" نَحْوُهُ، وفِي "الأَسَاسِ" مِنَ المجَازِ: تَحَدَّى أَقْرَانَهُ إذَا بَاراهُمْ ونازَعَهُم لِلْغَلَبَةِ[8]، وأصْلُهُ الحَد يتَبَادَرُ فيهِ الحادِيَانِ أَيْ: المغَنّيانِ فِي سيَاقِ الإبِلِ، ويتَعَارَضانِ فيتَحَدَّى كلُّ واحِدٍ منهُمَا صاحِبَهُ؛ أَيْ: يطْلُبُ حداه، كَمَا يُقَالُ تَوفَّاه بِمَعْنَى اسْتَوْفَاهُ[9].

---

(1) أحمد بن عمر بن إبراهِيم بن عمر الأنصارِي القرطبِي، سبق تعريفه.

(2) التذكرة، القرطبِي، ص459.

(3) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 620/4.

(4) التذكرة، القرطبِي، ص460.

(5) (م، س)، ص460-461.

(6) المواهِبُ اللدنيَّة، القَسْطَلَّانِي، 495/2.

(7) الصحاح، الجوهري، (حدا).

(8) أساس البلاغة، الزمخشَرِي، (حدو).

(9) المواهِب اللدنيَّة، القَسْطَلَّانِي، 495/2-496، وفِيه: أصله الحداء يتبارَى (...) أي يطلب حداءه (...).

وذَكَر بَعْضٌ: أَنَّهُمْ كانوا عِنْدَ الحَدْوِ يقُومُ حَادٍ عنْ يَمِينِ القطارِ، وحَادٍ عن يسارِهِ يتَحَدَّى كُلُّ واحِدٍ منهُمَا صاحِبَهُ بِمَعْنَى يسْتَحْدِيهِ؛ أيْ: يطْلُبُ منهُ حداهُ، ثُمَّ اتُّسِعَ فيهِ حتَّى اسْتُعْمِلَ فِي كلِّ مبَارَاةٍ[1].

قُلتُ: ويجُوز أن يكُونَ مِنَ الحَدِّ، أصْلُهُ التَّحَدُّدُ، قُلِبَت الدَّالُ الثَّالثَةُ ياءً كالتَّقَضِّي مِنَ التَّقَضُّضِ، كأَنَّ مُدَّعِي الرِّسالةِ يقولُ: أنَا فِي حَدٍّ لا يُطاقُ أن يُؤْتَى بِمِثْلِهِ.

الثَّالثُ: أن لَا يَأْتِي أحَدٌ بِمِثْلِ ما أتَى بِهِ المتَحَدِّي على وَجْهِ المعارَضَةِ، وعَبَّر عَنْه بَعْضٌ بدعْوَى الرِّسالَةِ معَ أَمْنِ المعَارَضَةِ، وهُو أَحْسَن مِنَ التَّعْبِير بِعَدَمِ المعَارَضَةِ، لأَنَّه لا يَلْزَمُ مِنْ عَدَمِ المعَارَضَة امتِنَاعُهَا، والشَّرْطُ إِنَّما هوَ عَدَمُ إمْكَانِهَا[2].

وخَرَجَ بقَيْدِ التَّحَدِّي الخارِقُ مِنْ غيْرِ تَحَدٍّ، وهُوَ كرامَةٌ لِلْوَلِيّ، وبالمقارَنَةِ الخارِقُ المتَقَدِّمُ علَى التَّحدِّي كإِظْلالِ الغَمَامِ، وشَقِّ الصَّدرِ الواقِعَيْنِ للنَّبِيءِ ﷺ قبْلَ دَعْوى الرِّسالَةِ، وكَلامِ عِيسَى فِي المهْدِ عليه السلام وما شَابَهَ ذلِكَ، مِمَّا يَسْبِقُ الرِّسالَةَ، فلَيْسَت معْجِزاتٍ بلْ كرامَاتٍ ظَهَرَتْ علَى أيْدِي الأَنْبِيَاءِ قَبْل دعْوَى النُّبُوءَةِ، والكَرامَةُ تَظْهَرُ علَى يَدِ وَلِيّ، والأَنْبِيَاءُ لا يَقْصرُون عَنْ دَرَجَةِ الأوْلِياءِ، فهِيَ إِرْهَاصٌ [76و] أيْ: تأْسِيسٌ للنُّبوءَة، كما صَرَّحَ بِهِ الجرجاني[3] في "شَرْح المواقِفِ"[4] وغيرُهُ، وهُوَ مذْهَبُ جمهُورِ أَئِمَّة الأُصولِ وغَيْرِهم[5].

وخَرَج أيْضًا بقَيْدِ المقَارنَةِ ما تأَخَّرَ عن التَّحَدِّي بِمَا يُخْرِجُه عن المقَارَنَة العُرْفِيَّة، مِثْل ما رُوِيَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ﷺ مِنْ نُطْقِ بعْضِ المؤْتَى بالشَّهادَتَيْنِ[6].

وخَرَجَ بأَمْنِ المعارَضَة السِّحْرُ المقرُون بالتَّحَدِّي فإِنَّهُ يمْكِن معارَضَتُهُ بالإِتْيَان مِنْ مِثْلِهِ مِن المرْسَلِ إِلَيْهِمْ[7].

واخْتُلِفَ هل السِّحْرُ قَلْبُ عَيْنٍ وإِحَالَةُ طَبْعٍ؟ فقِيلَ: نَعَم، حَتَّى جعَلُوا مِنَ المَمْكِنِ قَلْبُ السَّاحِرِ الإِنْسَانَ حِمَارًا، وقِيلَ: لَا، وهُوَ الحَقُّ، وإِنَّما فَعَلَ اللهُ جَلَّ وعلَا ذلِكَ لا غَيْرُه لِأَنْبِئَائِهِ مثَلًا، وإن قُلْنَا يَفْعَلُ اللهُ ذلِكَ لِلنَّبِيءِ والسَّاحِرِ لم يَبْقَ فَرْقٌ بيْنَهُمَا[8].

---

(1) المواهِب اللدنيَّة، القَسْطَلَّاني، 496/2.

(2) (م، س)، 496/2.

(3) علِي بن محمد الجرجانِي: الحسيني الحنفي، ويعرف بالسيد الشريف، ولد بجرجان وتوفي بشيراز سنة816هـ، من تصانيفه: حاشية على شرح التنقيح للتفتازاني في الأصول، حاشية على تفسير البيضاوي، حاشية على شرح وقاية الرواية في مسائل الهداية في فروع الفقه الحنفي، وحاشية على المطول للتفتازاني في المعاني والبيان. الضوء اللامع، 328/5، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 515/2.

(4) شرح المواقف: لـ: علي بن محمد الجرجاني ت:816، والمواقف لـ: عضد الدين الإيجي. ينظر: 249/8 منه.

(5) المواهِب اللدنيَّة، القَسْطَلَّاني، 496/2-497.

(6) (م، س)، 497/2.

(7) (م، س)، 497/2.

(8) (م، س)، 497/2.

وأجابَ البَاقلَّانِي بالفَرقِ بالتَّحدِّي، واعْتُرِضَ بأَنَّه لا دَلِيلَ علَى شَرْطِ التَّحَدِّي مِنْ كِتابٍ ولَا سُنَّةٍ، ولا صَحَابِيّ ولا إجْماعٍ، وبأَنَّ أَكْثَرَ آياتِهِ ﷺ بلا تَحَدٍّ، كنُطْقِ الحَصَى ونَبْعِ الماءِ ونُطْقِ الجِذْعِ، وإطعَامِ الكَثِيرِ بقَلِيلٍ حتَّى يشْبعُوا، ويَبْقَى كما هُوَ أَو أَكْثَر، وتَفْلِهِ في العَيْنِ، وتَكَلُّمِ الذّراعِ، وشَكْوى البَعِيرِ، وسائِرِ معْجِزَاتِه العِظامِ[1].

وإنْ قِيلَ: لَعَلَّهُ لم يَتَحَدَّ بِغَيْرِ القرآن، وتَمَنّي الموْتِ، فلَا يُسَمَّى غَيْرُهُمَا مُعْجِزَةً.

قُلْتُ: هذَا ضَعيفٌ باطِلٌ، كَيْفَ يُجْنَحُ إلى تَرْكِ معْجِزاتٍ كثِيرَةٍ جِدًّا، ويُقْتَصَر عليْهِمَا، ومَنْ قَالَ لَيْسَتْ معْجِزاتٍ فهُوَ قَيْدٌ أقْرَبُ إلى الشِّرْكِ مِنْه إلى البِدْعَةِ.

قالُوا: وقَدْ كانَ ﷺ يقولُ عَقِبَ الآيةِ لَكِنْ هَؤُلاء الآيات: ((**أَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ**))[2] كما قالَ عندَ قَتْلِ الرَّجُلِ الذِي أبْلَى جِهادًا: ((**إِنَّهُ فِي النَّارِ**))[3] وقَدْ قالَ قَبْلَ ذلِكَ إِنَّهُ فِيهَا[4].

واعْتُرِضَ أيضًا بقَوْلِه تعالى: ﴿ **وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ** ﴾ إلى قوله: ﴿ **وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿109﴾** ﴾[5] وقوله: ﴿ **وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ** ﴾[6] الآية، إذْ لم يَشْتَرِطْ تَحَدِّيًا، وأُجِيبَ بأَنَّه يكْفِي في التَّحَدِّي دَعْوَى الرِّسالَةِ، وإِلَّا كَفَى تَحَدٍّ وَاحِدٌ عندَ دعْوَاهَا، فكُلُّ ما بَعْدُ فهُوَ معجِزَاتٌ، ولَوْ لم يُعَدْ ذِكْرُ التَّحَدِّي.

الرَّابِعُ: أن يَقَعَ على وَفقِ دَعْوَى المتَحَدِّي بها، فلَوْ قالَ مُدَّعِي الرِّسالَةِ: آيَةُ نُبُوءَتي أنْ تَنْطِق يَدِي، أو هذِهِ الدَّابَّة فنَطَقَتْ يدُهُ أو الدَّابَّةُ بتَكْذِيبِهِ لم تَكُنْ معْجِزَةً، ومِنْ ذلكَ أَنَّ مُسَيْلِمَةَ الكذَّابَ تَفَلَ في بِئْرٍ ليَكْثُرَ ماءُها، فغَارَتْ[7]، ومسَحَ علَى صَبِيٍّ تَبَرُّكًا لهُ فَأَقْرَعَ.

واعْلَمْ أَنَّهُ تَظْهرُ علَى أيْدِي الدَّجَّالِ لَعَنَهُ اللهُ أمُورٌ خوَارِقُ، لكِنَّه يَدَّعي بهَا الرُّبُوبِيَّةَ، وقَدْ بانَ مِنْهُ أنَّه مخْلُوقٌ حادِثٌ عَاجِزٌ.

وكبَائِرُ الأَئِمَّةِ يسَمُّونَ معْجِزَاتِ الأَنْبِيَاءِ دلائلَ النُّبُوءَةِ، ولَمْ يَرِدْ في القرآنِ والسُّنَّةِ لَفْظُ المعْجِزَةِ، بلْ لَفْظُ الآيَة والبَيِّنَة والبُرْهَان[8].

---

(1) المواهِب اللدنيَّة، القَسْطَلَّاني، 2/497-498، بتصرُّف.

(2) صحيح البخارِي، حدِيث (5443).

(3) (م، س)، حدِيث (2898).

(4) المواهِب اللدنيَّة، القَسْطَلَّاني، 2/498، بتصرُّف.

(5) سورة الأنعام: 109.

(6) سورة الإسراء: 59.

(7) المواهِبُ اللدنيَّة، القَسْطَلَّاني، 2/499، بتصرُّف.

(8) (م، س)، 2/500.

وقال الشّنواني[1]: المعْجِزةُ أَمْرٌ خارِقٌ لِلْعادَةِ يصَدِّقُ اللهُ بهِ أَنْبِيَاءَه حِين إيتَائِهِم النُّبُوءَةَ، فخَرَجَ السِّحْرُ وما ظَهَرَ على يَدِ كَاذِبٍ.

ولا يَلْزَمُ دَوْرٌ مِنْ أَخْذِ النَّبِيءِ في تَعْرِيفِ ما تَثْبُتُ [76ظ] بِهِ النُّبُوءَة؛ لأَنَّ النُّبُوءَةَ لا تَتَوَقَّفُ على العِلْمِ بتَحَقُّقِ ذاتِ المعْجِزَةِ، وأَيْضًا المعْجِزَةُ خارِجَةٌ عن ذَاتِ النُّبوءَةِ.

وسَمَّى الأَبُوصِيرِي[2] في الهَمْزِيَّةِ ما جَرَى لَهُ قَبْلَ النُّبُوءَةِ مُعْجِزَةً، إِذْ قَالَ: وبدَا فِي رَضَاعِهِ مُعْجِزَاتٌ، جَرْيًا على طَرِيقِ الأَوائِلِ كَأَحْمد بنِ حَنْبَل، فإِنَّهمْ يُطْلِقُون المعْجِزَةَ على كُلِّ خَارِقٍ لَيْسَ بِسِحْرٍ، والأَكْثَرُ على أَنَّ المعْجِزَةَ لا تُطْلَقُ حَقِيقَةً إِلَّا على الأَمْرِ الخَارِقِ لِلْعادَةِ، المقْرُونِ بالتَّحَدِّي، الدَّالِّ على صِدْقِ الأَنْبِيَاءِ، عليْهِم الصَّلاةُ والسَّلامُ، والله أَعْلَمُ، ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّة إِلَّا باللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

43 وَلَكِنْ سَنَأْتِي مِنْ بَدَائِعِ حُسْنِها بِنَزْرٍ بَهِيٍّ مُزْهِرٍ فَوْقَ أَغْصَانِ

وَلَا تَتَوَهَّمْ مِنْ قَوْلِي إِنَّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ المُعْجِزَاتِ الغُرَّ، والآياتِ البَاهِرةَ أَنِّي آتي بهَا كُلِّهَا، بَلْ آتي بِقَلِيلٍ بَهِيٍّ جَمِيلٍ حَسَنٍ، شبيهٍ بِنُوَّارِ[3] الشَّجَرِ فَوْقَ أَغْصَانِهَا.

"مِنْ بَدَائِعِ حُسْنِهَا": أَعْنِي المُعْجِزَاتِ، فَالاستِدْرَاكُ بِـ"لَكِنْ" عَائِدٌ إِلَى مَا يُتَوَهَّمُ مِن استِحْضَارِها كُلِّهَا.

وفيهِ أَنَّهُ قَدْ يُقَالُ: لَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِ المُعْجِزَاتِ لَهُ أَنْ يَذْكُرَهَا تَفْصِيلًا، بَلْ يَجُوزُ أَنْ يَذْكُرَ أَنَّ لَه مُعْجِزَاتٍ وَلَا يُفصِّلُهَا، والأَوْلَى أَنْ يَقُولَ: وَإِنِّي سَآتِي أَوْ وَإِنَّا سَنَأْتِي.

وَيُجَابُ بِأَنَّهُ رُبَّمَا تَبَادَرَ لِمَنْ رَأَى قَوْلَهُ: "لَكَ المُعْجِزَاتُ" أَوْ سَمِعَهُ أَنَّهُ يَجْمَعُهَا، وَإِلَّا فَقَدْ يَتَوَهَّمُ مَنْ رَأَى جرْمَ أَوْرَاقِ القَصِيدَةِ مَكْتُوبَةً قَبْلَ تَصَفُّحِهَا بَيْتًا بَيْتًا، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهَا فِي المُعْجِزَاتِ، أَوْ سَمِعَ أَنَّهَا فِي المُعْجِزَاتِ أَنَّهُ يَجْمَعُهَا.

والنُّونُ فِي "نَأْتِي" لِلنَّاظِمِ: تَعْظِيمًا لِلمُعْجِزَاتِ، كأَنَّ القَلِيلَ مِنْهُنَّ أمرٌ ثَقِيلٌ لَا يَسْتَقِلُّ بِهِ وَاحِدٌ، لَا تَعْظِيمًا لنَفْسِهِ إِذْ هُوَ هَاضِمٌ لَهَا. أَوْ للنَّاظِمِ وَعُلَمَاءِ السِّيَرِ جَمْعًا بَيْنَ الحَقِيقَةِ وَالمَجَازِ، أَوْ مِنْ عُمُومِ المَجَازِ، وذلكَ أَنَّهُ آتٍ فِي هَذِهِ القَصِيدَةِ بِذَلِكَ النَّزرِ حَقِيقَةً، وَغَيْرُهُ آتٍ بِهِ فِيهَا مَجَازًا، إِذْ كَانَ السَّبَب. أَوْ لَهُ وَلَهُمْ، ولِمَنْ عَلِمَهُ المَعْقُولُ وَالمَنْقُولُ.

و"مِن": للابْتِدَاءِ مُتَعَلِّقٌ بِـ: "نَأْتِي" أَوْ للتَّبْعِيضِ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ حَالٌ مِنْ "نَزْرٍ"، قُدِّمَ عَلَيْهِ مَعَ

---

(1) الشنواني: لم أتعرفهُ.

(2) الأبوصيرِي: محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله الصنهاجي، الدلاصي، البوصيري صوفي، ولد بدلاص، ونشأ في أبو صير، وتوفي بالاسكندرية. من آثاره: قصيدة الكواكب الدرية في مدح خير البرية المعروفة بالبردة. الوافي بالوفيات، 88/3، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 317/3.

(3) النُّوّارُ بالضم والتشديد كالنَّوْرِ واحدته نُوَّارَةٌ وقد نَوَّرَ الشجرُ والنبات. لسان العرب (نور).

أَنَّهُ مَجْرُورٌ بِحَرْفِ جرٍّ غيْرِ زَائِدٍ لِلضَّرُورَة، أَوْ بِنَاءً عَلَى قَوْلِ ابنِ مَالك: وَلَا أَمْنَعُهُ فَقَدْ وَرَدَ[1].

وَ"مُزْهِرٍ": تَشْبِيهٌ بِزَهرِ الشَّجَرِ، كَمَا تَقُولُ اسْتَأْسَدَ وَتَحَجَّرَ الطِّينَ، أَوْ بِمَعْنَى: مُبَيَّضٌ بِفَتْحِ الهَاءِ، أَوْ بِكَسْرِهَا بِمَعْنَى مُبَيِّضٌ لِغَيْرِهِ.

وَلَوَّحَ بِالأَغْصَانِ إِلَى أَعْضَائِهِ ﷺ، إِذْ هُوَ مَنْبَعٌ وَأَصْلٌ لِمُعْجِزَاتِهِ، كَالشَّجَرَةِ أَصْلًا لِأَغْصَانِهَا، فَذَلِكَ اسْتِعَارَةٌ تَمْثِيلِيَّةٌ. لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

44 لَقَدْ رَفَعَ الرَّحْمَنُ ذِكْرَكَ فَاغْتَدَى يُقَارِنُ ذِكْرَ اللهِ فِي كُلِّ الَاَزْمَانِ

45 رَأَى آدمٌ فِي الْعَرْشِ ذِكرَكَ ثَابِتًا يَلِي ذِكْرَ رَبِّ الْعَرْشِ فِي وَقْتِ إِعْلَانِ

46 فَبَاتَ يُنَاجِي رَبَّهُ مُتَضَرِّعًا بِحَقِّكَ لَمَّا أَنْ دَعَاهُ لِغُفْرَانِ

[77و] واللهِ لَقَد رَفَعَ الرَّحمن ذكرَكَ، وصارَ مقارِنًا لذِكْرِ اللهِ في كُلِّ زَمَانِ الصَّلاةِ والسَّلامِ علَيْكَ والْأَذانِ والإِقَامَةِ والصَّلَاةِ والخُطبَةِ والدُّخُولِ في الْإِسْلامِ ونَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا مَرَّ صَيْرُورَةً عظِيمَةً.

رَأَى آدمُ ذِكْرَكَ ثَابِتًا فِي الْعَرْشِ مَعَ اسْمِ اللهِ فِي وَقْتِ الْجَهْرِ بذِكْرِكُما. فصَارَ يَتَكلَّمُ لِرَبِّهِ بِصَوْتٍ غَيْرِ جَهِيرٍ، حالَ كَوْنِهِ مُتَضَرِّعًا بِحَقِّكَ يَا مُحَمّدُ إِلَى اللهِ لمَّا دَعَا اللهَ لِيَغْفِرَ لَهُ ذَنْبَهُ، الذِي هُو الأَكْلُ مِنَ الشَّجرةِ.

وأَظْهَرَ اسْمَ اللهِ، وهُوَ لفظُ "الرَّحمنِ"؛ لِأَنَّ الِاسْمَ الْمُقْسَمَ بِهِ مَحْذُوفٌ تقْدِيرُهُ "واللهِ"، وذَكَرَهُ باسْمِ الرَّحْمَةِ؛ لِرَغْبَتِهِ فِي الرَّحمةِ، ولَوْ أُضْمِرَ لعُلِمَ مِنَ المقامِ، لكنَّ الإظهارَ أوضَحُ.

ولو ذَكَرَ المقسَمَ بِهِ لكان الإظهارُ أيضًا أَوْلَى، بِأَنْ يقُولَ: واللهِ لَقَدْ رَفَعَ الرَّحمنُ؛ لأَنَّ الْأَصْلَ أَنْ لَا يَرْجِعَ الضَّميرُ مِنْ جُمْلَةِ جَوَابِ الْقَسَمِ إِلَى الْمُقْسَمِ بِهِ.

وَ"اغْتدَى": مبَالَغَةُ غَدَا، وأَصْلُهُ الذَّهابُ غُدْوَةً، واستُعمِلَ في الذَّهابِ فِي مُطْلَقِ الزَّمانِ، مَجَازٌ لِلْإِطْلَاقِ والتَّقْيِيدِ، ثمَّ استُعْمِلَ فِي مُطْلَقِ التَّحَوُّلِ إلى صِفَةٍ إِذْ كانَ الذَّهابُ نَوْعًا مِن التَّحَوُّلِ، فهُوَ مَجَازٌ مَبْنِيٌّ على مَجَازٍ، وكِلَاهمَا مُرْسَلٌ تَبَعِيٌّ.

و"ال" في "الأَزْمَانِ" لِلْحَقِيقَةِ لَا لِلْاِستِغْرَاقِ؛ لِأَنّ الِاسْتِغْرَاقَ مُسْتَفَادٌ مِنْ "كُلِّ" قَبْله.

ونقَلَ فَتْحَ هَمْزَةِ "أَزْمَانِ" إِلَى لَامِ "ال" ولَا يَصِحُّ الْوَزْنُ إِلاَّ بِهَذَا معَ حَذْفِ الهَمْزَةِ، ولَوْ قالَ: فِي كُلِّ "أَزْمَانِ" بِدُونِ "ال" لَصَحَّ، ولَعَلَّهُ أَعْرَضَ عَنْ هذا؛ لِأَنَّ أَصْلَ مَعْنَى هذَا الْجَمْع المُنَكَّر، فإِنَّ الْمَعْنَى فِي كُلِّ جماعَةٍ مِنْ جَمَاعَاتِ الْأَزْمَانِ، بِخِلَافِ الأَزْمَانِ بِالتَّعرِيفِ فإِنَّهُ كَالمُفرَدِ بِـ: "ال" الْحَقِيقِيَّة. لِأَنَّ الْجَمْعَ يَجُوزُ استِعْمَالُهُ فِي مَعْنَى الْمُفْرَدِ بِأَنْ يُقرَنَ بِـ: "ال" فَلَوْ قالَ: واللهِ لا يَشْتَرِي الْعَبِيدَ لحَنَثَ،

---

(1) قول ابن مالك في باب الحال:

وَسَبْقَ حالٍ مَا بِحَرْفٍ جُرَّ قَدْ أَبَوْا، وَلَا أَمْنَعُهُ فَقَدْ وَرَدْ

ولَوْ بوَاحِدٍ. فكَأَنَّهُ بِـ: "الـ" قالَ: في كُلِّ زَمَانٍ أو فِي كُلِّ الزَّمانِ. والْمُفْرَدُ "زَمَنٌ" بِدُونِ أَلِفٍ بَعْدَ الْمِيمِ، وأَمَّا بِالْأَلِفِ فَالْجَمْعُ "أَزْمِنَةٌ".

و"آدَمُ" مَصْروفٌ لِضرُورَةِ الْوَزْنِ، والذِي رأَى آدمُ حُرُوفَ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله ﷺ في الْعَرْشِ، لا ذِكرَهُ، لكِنْ لمَّا كان الْحُرُوفُ المكتُوبَةُ سببًا للنُّطقِ والذِّكرِ بمُسَمَّاها ومَلزومًا لَهُ في الْجُمْلَةِ عبَّرَ عنْهَا بِالذِّكرِ، والرُّؤيَةُ بَصَرِيَّةٌ.

وَ"ثابتًا": حَالٌ، وَإِنَّما أَظْهَرَهُ ولَمْ يسْتَغْنِ عنْهُ بقَوْلِهِ: "فِي الْعَرْشِ" مع أَنَّهُ كوْنٌ عامٌّ للضَّرورةِ.

وَوَجهٌ آخَرُ: أنْ لا يَكُونَ "فِي الْعَرْشِ" مُتَعَلِّقًا بِهِ ظَرْفًا لَهُ، بَلْ مُتَعَلِّقٌ بِـ: "رأَى" فلَا إِشْكَالَ.

ووَجْهٌ آخَرُ: أَنْ يُرِيدَ بالثُّبوتِ الرُّسُوخَ، لا مُطْلَق الحصولِ، فهوَ كَوْنٌ خَاصٌّ يُذْكَرُ ولا ضَيْرَ، بلْ لَا يُحْذَفُ إلاَّ لِدَلِيلٍ. وكذَا ذِكرُ ربِّ الْعَرْشِ بمَعْنَى حُرُوف اسْمِهِ تَعَالَى.

و"فِي وَقْتِ إِعْلَانِ": كالتَّرشِيحِ لِلْمجَازِ المُرْسَلِ، كما يُرشَّحُ المجازُ الِاسْتِعَارِي.

ويَجُوزُ تَقْدِيرُ مضَافٍ فيَبْقَى "ذِكْرَ" في الموضعَيْنِ بِمَعْنَى النُّطق على ظاهرِهِ، فيكونُ "وَقْت إِعْلَانِ" على ظاهرِهِ مِنَ الجَهْرِ بِالنُّطقِ، أيْ: رأَى دَالَّ ذِكْرِكَ يَلِي دَالَّ ذِكْرِ رَبِّكَ، بتَشْدِيدِ اللَّامِ.

ومَعْنَى "باتَ": صَارَ، فهُوَ مَجَازٌ مُرْسَلٌ لعَلَاقةِ الإِطْلَاقِ والتَّقييدِ. أَوْ بعدمَا كانَ مَجَازًا [77ظ] مُرسَلًا هَكذَا، استَعْمَلَهُ استعَارَةً بأَنْ شَبَّهَ كَوْنَهُ يُنَاجِي، في مِقْدَارٍ مِنْ غيْرِ اللَّيْلِ، بِكَوْنِهِ يُناجِي فِي لَيْلٍ، لعَلَاقَةِ الاسْتِواءِ في الْمُدَّةِ. بِمَعْنَى أَنَّهُ بقِيَ في المُنَاجاةِ قَدْرَ اللَّيْلِ، هَكَذَا مُطلَقًا.

ويَجُوزُ أَنْ يكُونَ "باتَ" علَى ظاهرِهِ بأَنْ يكون وقتُ مُنَاجَاتِهِ لَيْلًا، إِذْ هُوَ وقْتُ الإجابةِ. وعلَى كلِّ حالٍ المرادُ المناجاةُ في الدُّنيَا؛ لأَنَّهُ لمَّا أَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ لمْ يَبْقَ في الجنَّةِ. والفَاءُ في قَوْلِهِ "فَبَاتَ" لمجرَّدِ السَّبَبِيَّةِ دُوَن الاتِّصَالِ.

ثمَّ إنَّهُ لَا مَانِعَ مِن أَنْ يُرِيدَ بِالمنَاجَاةِ قولَهُ في الجنَّةِ يَدعُو وَيُناجِي في تَنَقُّلِهِ: ﴿**قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ** ﴿23﴾﴾[1]. فلَا يكونُ قَوْلُهُ: "باتَ" علَى ظَاهِرِهِ، إِذْ لَا لَيْلَ فِي الْجَنَّةِ، ولا اتِّصَالَ بالْفَاءِ علَى كُلّ حَالٍ، لِأَنَّهُ بَقِيَ مُدَّةً في الْجَنَّةِ بَعْدَ رُؤْيَةِ اسْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ في الْعَرْشِ، وقَبْلَ الْمَعْصِيَةِ.

والْخِطَابُ في قوْلِهِ: "بِحَقِّكَ" لِرَسُولِ اللهِ ﷺ. و"بِحَقِّكَ" تنَازعُهُ "يُنَاجِي" و"مُتَضَرِّعًا". و"أن" زَائِدٌ بَعْدَ "لمَّا" وضَمِيرُ "دَعَا" لِآدمَ، والْهَاءُ للهِ جَلَّ وعَلَا. وأَحَادِيثُ البَيْتِ قدْ تقدَّمَتْ.

وأَذْكُرُ الآنَ أَنَّهُ إِذَا كانَ رسُولُ اللهِ ﷺ أَفْضَلَ مِنَ الأَنْبِيَاءِ كلِّهِمْ، فكيْفَ يُكْسَى إبراهيمُ عليه السلام قَبْلَهُ؛

(1) سورة الأعراف: 23.

فإنَّهُ رَوَى مُسْلِمٌ عن ابن عبَّاسٍ ﷺ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ مِنْ حَدِيثٍ فيهِ طُولٌ: ((**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ** عليه السلام))[1].

قُلْتُ: قَدْ مَرَّ الخِلافُ، هَلْ يَدْخُلُ المُتكلِّمُ في خِطابِ نفسِهِ، فلعَلَّهُ ﷺ لمْ يدْخُلْ في عمُومِ كلَامِهِ، فَمُرَادُهُ ﷺ بالنَّاسِ مَنْ عَدَاهُ، وبه صرَّحَ بعضُ الأَنْدَلُسِيِّينَ مِنْ شُرَّاحِ مسلمٍ[2].

إلَّا أنَّ الصَّحِيحَ عِنْدِي دُخُولُ المُتَكَلِّمِ في خطابِ نفسِهِ؛ أَعْنِي في عُمُومِ كَلَامِهِ، إلَّا لِمَانِعٍ ظاهرٍ مُقتَضٍ لِعَدَمِ دُخُولِهِ، كقَوْلِكَ: مَنْ أَكْرَمَنِي أَكرَمَهُ اللهُ.

وأَيْضًا: رَوَى بَعْضُ الأَنْدَلُسِيِّينَ[3] عَنْ "رَقَائِقِ ابن المُبارَكِ" بِسندٍ إلى عليّ بنِ أبي طالبٍ: ((**أَوَّلُ مَنْ يُكْسَى خَلِيلُ اللَّهِ إِبْرَاهِيمُ عليه أَفْضَلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ قُبْطِيَّتَيْنِ ثُمَّ يُكْسَى مُحَمَّدٌ ﷺ حُلَّةً حِبَرَةً**))[4]. ورواه البَيْهَقِيّ أَيْضًا[5]. وهو مَوْقُوفٌ عَلَى عليٍّ؛ لأَنَّهُ فِي حُكْمِ المرْفُوعِ، لأنَّ هَذَا مِمَّا لَا مَجَالَ فِيهِ للرَّأْيِ.

ومِثْلُهُ مَا رواهُ عبّاد بنُ كثير عن ابنِ الزُّبَيْرِ[6] عَنْ جابر بنِ عبد الله مِنْ حَدِيثٍ: ((**إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُكْسَى مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ إِبْرَاهِيمُ** عليه السلام **خَلِيلُ اللهِ، ثُمَّ مُحَمَّدٌ ﷺ ثُمَّ النَّبِيئُونَ وَالرُّسُلُ عَلَيْهِم السَّلَامُ، ثُمَّ يُكْسَى الْمُؤَذِّنُونَ**)) الحديث[7].

وذَكَرَ أَبُو نُعَيْمٍ مِنْ حَدِيثِ الأسود وعَلْقَمَةَ وَأبي وائل عَنْ عبد الله بن مسعُود مَرْفُوعًا، مِنْ حديث: ((**يَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ** عليه السلام**، يَقُولُ: اكْسُوا خَلِيلِي، فَيُؤْتَى بِرَيْطَتَيْنِ بَيْضَاوَيْنِ فَيَلْبَسُهُمَا، ثُمَّ يَقْعُدُ مُسْتَقْبِلَ الْعَرْشِ، ثُمَّ أُوتَى بِكِسْوَتِي فَأَلْبَسُهَا**[78و] **فَأَقُومُ عَنْ يَمِينِهِ مَقَامًا لَا يَقُومُهُ أَحَدٌ غَيْرِي، يَغْبِطُنِي فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ**))[8].

وخَرَّجَ البَيْهَقِيّ عن ابنِ عبَّاسٍ مِن حدِيثِ: ((**أَوَّلُ مَنْ يُكْسَى مِنَ الْجَنَّةِ إِبْرَاهِيمُ** عليه السلام **يُكْسَى حُلَّةً مِنَ الْجَنَّةِ وَيُؤْتَى بِكُرْسِيٍّ فَيُطْرَحُ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ وَيُؤْتَى بِي فَأُكْسَى حُلَّةً مِنَ الْجَنَّةِ لَا يَقُومُ لَهَا الْبَشَرُ ثُمَّ أُوتَى بِكُرْسِيٍّ فَيُطْرَحُ عَلَى سَاقِ الْعَرْشِ**))[9].

---

(1) صحيح مسلم، حدِيث (58).

(2) ينظر: التذكرة بأحوال الموتَى وأمور الآخِرَة، القرطبي، 533/1.

(3) ينظر: (م، س)، 533/1.

(4) الزهد والرقائق، ابن المبارَك، ص511.

(5) شعب الإيمان، البيهقِي، 548/1.

(6) في التذكرة: عن الزُّبيرِ.

(7) ينظر: التذكرة بأحوال الموتَى وأمور الآخِرَة، القرطبي، 533/1. والمنهاج، الحلِيمِي، 1/ 446.

(8) حلية الأولياء، أبو نعِيم، 238/4، والتذكرة بأحوال الموتَى وأمور الآخِرَة، القرطبي، 534/1.

(9) (م، س)، 534/1، والأسماء والصفات، البيهَقي، حدِيث (839)، وفتح البارِي، ابن حَجَر، 384/11.

وهؤلاءِ الأحاديثُ صريحةٌ في تَقديمِ إبراهيمَ عليه السلام في الكِسْوَةِ على نَبيِّنَا ﷺ، فقِيل: الحِكْمَةُ في ذَلِكَ أنَّهُ لم يَكُنْ في الأَوَّلِينَ وَلَا في الآخِرِينَ أَخْوَفُ مِنْ إبْرَاهِيمَ عليه السلام، فَتُعَجَّلُ لَهُ كِسْوَتُهُ أَمَانًا لَهُ، وَلِيَطْمَئِنَّ قَلبُهُ.

وَيُحْتَمَلُ أَنَّ ذَلِكَ لأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أُمِرَ بِلَبْسِ السَّرَاوِيلِ إِذَا صَلَّى، مُبَالَغَةً في التَّسَتُّرِ، وَحِفْظًا لِفَرْجِهِ أنْ يَمسَّ مَصَلَّاهُ أو رِجْلَهُ أو ساقَهُ، فجُوزِيَ بأَنْ يكون أوَّلَ مَن يُسْتَرُ. ويُحتمَلُ أنَّهُ أَلْقوهُ في النَّار عارِيًا بِحَضرةِ النَّاس، فجُوزِيَ بِرَدِّهَا في الدُّنيا، وبتقدِيمِهِ بالكِسوةِ يومَ القيامةِ، وبالثَّواب العظيمِ، إِذْ فُعِل بِهِ ذلكَ الإلقاءُ في ذاتِ الله عز وجل، صابرًا محتسِبًا.

فليسَ ذلك تفضيلًا على سيِّدنَا محمَّدٍ ﷺ. ورجح هذا الاحتمَالُ الأَخِيرُ، وقدْ قُوبِلَ ذلكَ البدْأُ بِجَعْلِ كِسْوَةٍ أَفْضَل منْ كِسوةِ إبراهيمَ صلَّى اللهُ وسلَّم عليْهِمَا، فكأَنَّهُ كُسِيَا معًا[1]. وزادَ بِمَقَامٍ يَغْبِطُهُ بِهِ إبراهيمُ عليه السلام وغيرهُ واللهُ أعلمُ. ولا حوْل ولا قوَّة إلَّا بالله العليّ العظيمِ، لا ملجأ مِنَ الله إلَّا إليْهِ.

47 وَفِي كُلِّ كُتْبِ اللهِ نَعْتُكَ قَدْ أَتَى تِلاَوَةَ عِرْفَان أَتَى بَعْدَ عِرْفَانِ

48 فَتَوْرَاةُ مُوسَى وَالزَّبُورُ بِمَدْحِكُمْ وَإِنْجِيلُ عِيسَى قَدْ أَتَتْ قَبْلَ قُرْآنِ

49 وَكُلُّ نَبِيءٍ جَاءَ بَشَّرَ قَوْمَهُ بِأَنَّكَ تَأْتِي خَاتِمًا كُلَّ الاَدْيَانِ

ونعتُكَ قدْ أتَى فِي كلِّ كُتُبِ اللهِ حالَ كوْنِهِ مَتْلُوَّ عِرْفَانٍ آتٍ بَعْدَ عِرْفَانٍ.

وإنْ قُلْتَ مثِّلْ لي بعضَ تلكَ الكتبِ، ولا مَطْمَعَ فيها كُلِّها، فأنَا أقولُ: توراةُ موسَى، والزَّبورُ وإنجيلُ عيسى قدْ أَتَتْ بِمَدْحِكُمْ قَبْلَ مَجِيءِ القرآنِ العظيمِ بهِ.

وكُلُّ نَبِيءٍ جاءَ قَوْمًا، فإنَّهُ قدْ بَشَّرَ قوْمَهُ هؤلاءِ بأنَّك تأْتي خاتمًا كلَّ الأديانِ بدِينِكَ.

و"تِلَاوَةَ": حالٌ مِنْ ضميرِ "نعْت" فِي "أَتَى" بمَعْنَى مَتْلُوٌّ. وجُمْلةُ "قَدْ أَتَى": نَعْتُ "عِرْفَانٍ".

وتقْدِيرِي: وإن قُلْتَ...إلخ، بِنَاءً على جَوازِ خِطابَيْنِ لمُتَغَايِرَيْنِ في كلامٍ واحدٍ، نَحوُ: ضَرَبْتكَ، خاطبْتَ بالتَّاءِ زيْدًا، وبالكَافِ عَمْرا، ومنهُ قولهُ تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[2] علَى أنَّ الكافَ الأَوَّلَ للنَّبِيءِ ﷺ، والثَّاني لقومِهِ، والصَّحيحُ أنَّ ذلك لَا يَجُوزُ، وأنَّ الكافَ الأوَّلَ لبَعْضِ مَنْ لهُ الكافُ الثَّاني [78ظ] كما تقُولُ في كلَامَيْنِ: لِمَ جئْتَ وأَنْتُمْ كارِهُونَ، تُخاطِبُ بِ "أنتَ" مَنْ دَخَلَ في أَنْتُمْ.

فالْفَاءُ عَاطِفَةٌ على الْجُمْلَةِ الاِسْمِيَّة للجُمْلَةِ الاسمِيَّة، أو يُقَدَّر شَرْطٌ هكذا: فإن قُلْتَ: يا رَسُول مثِّلْ لي، فأنا أقولُ: وإنَّما قَدَّرْتُ "فأَنَا أَقُولُ" لأنَّ التَّوراةَ والإنجيلَ والزَّبور إلخ.

---

(1) التذكرة بأحوال الموتَى وأمور الآخِرَة، القرطبي، 1/534-535.

(2) سورة آل عمران: 182.

والكافُ في "مَدْحِكُمْ": لِلنَّبِيءِ ﷺ، وميمُ الجَمْعِ تعْظِيمٌ، فالكافُ ضَمِيرٌ لِلْجَمَاعةِ هُنَا بدَلِيلِ المِيمِ، كقَوْلِهِ تعالَى: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿99﴾﴾[1] رَجَعَ الضَّميرُ إلى اللهِ جَمْعًا، وهو الوَاوُ، تعظِيمًا. ويَجُوز أَنْ يكون للهِ ﷻ والملَائِكَةِ، جَلَّ الله. والرَّاجحُ: "أَتَيْنَ" لأَنَّ الثَّلاثَةَ غيرُ عُقَلَاء، ولم تَبْلُغْ حَدَّ جَمْعِ الكَثْرَةِ.

ونَكَّرَ قُرْآنًا لِلتَّعظيمِ، ويجُوزُ أَنَّهُ نَكَّرَهُ لأَنَّهُ أرادَ بعْضَهُ؛ فإِنَّهُ قُرْآن وبعْضُهُ قرآنٌ، فالمرادُ مَا كان مِنْهُ في مَدْحِ رسُولِ الله ﷺ.

والكَلامُ في "كُلِّ الاَدْيَانِ" كالكَلامِ في "كُلِّ الاَزْمانِ". وجُملَة "جَاءَ": نَعْتُ "نَبِيءٍ" والمرادُ كُلُّ نَبِيءٍ جاءَ قَبْلَكَ[2].

وهنَا فصْلانِ، الأَوَّلُ فيمَا جَاءَتْ بهِ الكُتُبُ، والثَّانِي فِيما بَشَّرَتْ الأَنْبِيَاءُ بِهِ[3].

الفَصْل الأَوَّلُ: [ما جَاءَتْ بِهِ الكُتُبُ]

قال عطاء بنُ يسار: "قُلْتُ لعبدِ الله بن عمْرو بنِ العَاصِي: أَخْبِرْنِي عنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فقَالَ: أَجَلْ، واللهِ إنَّه لَمَوْصُوفٌ في التَّورَاةِ بِبَعضِ صِفَتِهِ في القُرْآنِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿45﴾﴾[4] وحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْت عبْدِي ورَسُولِي، سَمَّيتُكَ المتَوَكِّل، لَيْسَ بِفَظٍّ ولا غَلِيظٍ، ولا صَخَّابٍ في الأَسْوَاقِ، ولا يَدْفَعُ بالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، ولَكِنْ يعفُو ويَغْفِرُ، ولَنْ يَقبضَهُ اللهُ حتَّى يُقيمَ بهِ المِلَّة العَوْجَاءَ، يقولُ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ويَفْتَحُ بِهِ أَعْيُنًا عُمْيًا وآذانًا صُمًّا، وقلُوبًا غُلفًا"[5].

ومِثلُهُ عن عَبْدِ اللهِ بنِ سَلَّام[6] وكعْبِ الأَحْبَارِ[7].

وفي رِوَايةٍ: ولا صَخَّابٍ في الأَسْوَاقِ، ولا مُتَزَيِّنٍ بالفُحْشِ، ولا قَوَّالٍ للخنَّاء[8]، أُسدِّدُه لكلِّ جَميلٍ، وأَهَبُ لَهُ كُلَّ خُلقٍ كَرِيمٍ، ثُمَّ أَجْعَلُ السَّكينَةَ أَسَاسَهُ[9]، والبِرَّ شِعارَهُ، والتَّقْوَى ضَمِيرَهُ، والحِكْمَةَ

---

(1) سورة المؤمنون: 99.

(2) عبارة "وجُملَة "جَاءَ": نَعْتُ نَبِيءٍ والمرادُ كُلُّ نَبِيءٍ جاءَ قَبْلَكَ " أضافها المؤلف على الهامِشِ.

(3) العبارة أضافها –أو كتبها– المؤلف على الهامِشِ.

(4) سورة الأحزاب: 45.

(5) ورد بلفظٍ قرِيب: صحيح البخارِي، حدِيث (2125)، والمواهب اللدنية، القسطلانِي، 178/3، وتاريخ المدينة، ابن شبَّة، 633/2.

(6) رواية عبد الله بن سلَّام فِي: المواهب اللدنية، القسطلانِي، 177/3، وتاريخ دمشق، ابن عساكِر، 387/3.

(7) رواية كعب الأحبارِ فِي: المواهب اللّدنيّة، القسطلانِي، 178/3.

(8) الخنا: من قبيح الكلام، والفحش. لسان العرب (خنا).

(9) في المواهب اللدنية: السكينة لباسَهُ.

معقُولَهُ، والصِّدْقَ والوَفَاءَ طَبِيعَتَهُ، والعَفْوَ والمَعْرُوفَ خُلُقَهُ، والعَدْلَ سِيرَتَهُ، والحَقَّ شَرِيعتَهُ، والهُدَى إمَامَهُ، والإسْلَامَ مِلَّتَهُ، وأَحْمَدَ اسْمَهُ، أَهْدِي بِهِ بَعْدَ الضَّلالةِ، وأُعَلِّمُ بِهِ بعدَ الجَهَالَةِ، وأَرْفَعُ بِهِ بعْدَ الخَمالَةِ، وأُسَمِّي بِهِ بَعْدَ النّكرَةِ، وأُكْثِرُ به بَعْدَ القِلَّةِ، وأُغْنِي بِهِ بعْدَ العيلَةِ، وأجْمَعُ بِهِ بعْدَ الفُرقةِ، وأُؤَلِّف بِهِ بَيْنَ قلوبٍ مختَلِفَةٍ وأهْوَاء متَشَتِّتَةٍ، وأُمَمٍ مُفْترقةٍ، وأَجعَلُ أُمَّتَهُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ[1].

وفي حَدِيثٍ آخَرَ: أَخْبَرَنَا رسُولُ اللهِ ﷺ عن صِفَتِهِ في التَّورَاةِ: ((**عَبْدِي أَحْمَدُ الْمُخْتَار، مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ وَمُهَاجَرُهُ بِالْمَدِينَةِ، أَوْ قَالَ: طَيْبَةُ، أُمَّتُهُ الْحَامِدُونَ للهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ**))[2].

وكانَ النّعمان السّبائي مِنْ أحبَارِ يَهُود باليَمَنِ، ولَمَّا سَمِعَ بذِكْرِ النَّبِيءِ ﷺ قدِمَ عَلَيهِ يَسألُهُ عنْ أشْيَاءَ ثُمَّ قالَ: [79و] للنَّبِيءِ ﷺ: إنَّ أبِي كانَ يَخْتِمُ على سِفْرٍ ويقُولُ: لا تَقُولُ[3] على يهُود حَتَّى تَسْمعَ بِنَبِيءٍ قدْ خَرَجَ بِيَثْرِب فإذَا سَمِعْتَ بِهِ فافْتَحْهُ، فلمَّا سَمِعْتُ بكَ فتَحْتُهُ، فإذَا فِيهِ صفَتُكَ كمَا أرَاكَ السَّاعَةَ، وإذَا فِيهِ ما تُحِلُّ وما تُحَرِّمُ، وإذَا فِيهِ أنَّكَ خَيْرُ الأنْبِيَاء وأُمَّتُك خَيْرُ الأُمَمِ، واسمُكَ أَحْمَد، وأُمَّتُكَ الحَامِدُون، قُرْبانُهُمْ دِمائُهُمْ، وأنَاجِيلُهُمْ صدُورُهُمْ، لا يَحْضُرُونَ قِتالًا إلَّا وجِبْرِيلُ عليه السلام معَهُم، يَتَحَنَّنُ اللهُ علَيهِمْ كتَحَنُّنِ النِّسْرِ علَى أوْلَادِهِ؛ أَيْ: يرْحَمُهُمْ. ثُمَّ قالَ لِي: إذا سَمِعْتَ بِهِ فاخْرُجْ إلَيْهِ، وآمِنْ بِهِ وصَدِّقْ بِهِ. وكانَ النَّبِيءُ ﷺ يُحِبُّ أن يَسْمَعَ حدِيثَهُ أصحَابُه، فأَتَاهُ يوْمًا فقَالَ لهُ النَّبِيءُ ﷺ: يا نُعْمانُ حَدِّثْنا، فابتَدَأَ النُّعْمانُ الحَدِيثَ مِنْ أَوَّلِه فَرُئِيَ النَّبِيءُ ﷺ يومئِذٍ يتَبَسَّمُ، ثُمَّ قال: أَشْهَدُ أَنِّي رسُولُ اللهِ. والنُّعمانُ هذَا هُوَ الذِي قَتَلَهُ الأسوَد العَنسي وقَطَّعهُ عُضْوًا عُضوًا، وهُوَ يقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رسُولُ اللهِ ﷺ، وإنَّك كَذَّابٌ مُفْتَرٍ علَى اللهِ تعالَى ثُمَّ أَحْرَقَهُ بِالنَّارِ[4].

قالَ عِيسَى عليه السلام: مَنْ أبْغَضَنِي فقَدْ أبْغَضَ الرَّبَّ، ولَوْلَا أَنِّي صَنَعتُ صنائِعَ بحَضْرَتِهِمْ لَمْ يصْنَعْهَا أَحَدٌ قَبْلِي ما كَانَتْ علَيْهِم خَطِيئَة ولكِنْ مِنَ الآنَ بَطِرُوا، وظَنُّوا أنَّهم يعِزُّونَنِي، وأيْضًا لِلرَّبِّ، ولكِنْ لا بُدَّ مِنْ أنْ تَتِمَّ الكلِمَةُ التِي في النَّاموسِ أنَّهمْ أَبْغَضُوني مجَّانًا؛ أَيْ: باطِلًا، فلَوْ جاءَ المُنْحَمنَّا هذا الذِي يُرسِلُهُ اللهُ إلَيْكُمْ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ رُوح القِسْطِ هذا الذِي مِنْ عندِ الرَّبِّ خرَجَ، فهُوَ شَهِيدٌ عَلَيَّ وأَنْتُمْ أيضًا، لَكِنَّكمْ قَدِيمًا كُنْتُم معِي، هذَا قُلْتُ لَكُم لِكَيْمَا تَشُكُّوا[5]، فالْمُنْحَمنَّا بالسُّرْيَانِيَّةِ مُحَمَّد ﷺ وهُوَ

(1) المواهب اللدنية، القسطلاني، 3/178-179 عن ابن إسحاق.

(2) إتحاف الخيرة المهرة، البوصيري، حدِيث (8582).

(3) في عيون الأثر: لا تَقْرَأْهُ.

(4) عيون الأثَر، ابن سيِّد النَّاس، 1/131-132، نقلا عن الواقِدِي.

(5) هداية الحيارَى، ابن القيِّم، ص194-195.

بالرُّوميَّة البَرْقَلِيطِسْ[1]. ووَقَعَ في أَوَّلِ سِفْرٍ مِنَ التَّوراة عن إِسْماعيلَ: "وسَتَلِدُ عظِيما لِأُمَّةٍ عظِيمةٍ" فهُوَ عَظيمٌ عَلَى خُلُقٍ عظيمٍ ﷺ [2].

وسُمِّيَ النَّبِيءُ ﷺ في "كِتَابِ دَاوُدَ" عليه السلام بجبَّارٍ فقَالَ: "تقَلَّدْ أيُّهَا الجبَّارُ سَيْفَكَ، فإِنَّ نامُوسَكَ وشَرَائِعَكَ مَقْرُونَةٌ بِهَيْبَةِ سَيْفِكَ"[3].

وفي "التَّورَاةِ": "إِنَّ اللهَ تعالَى قالَ لِمُوسَى عليه السلام: إِنّي أُقِيمُ لبَنِي إِسْرَائيلَ مِنْ إِخْوَتِهم نَبِيئًا مثلَكَ، أَجْعَلُ كلَامِي علَى لِسَانِهِ، مَنْ عصَاهُ انْتَقَمْتُ مِنْهُ" وإِنْ قِيلَ ذلكَ يُوشَعُ فقَدْ قُيِّد في "التَّوْرَاةِ": "لا يَخْلِفُ [79ظ] نَبِيءٌ مِنْ بَنِي إِسرَائِيلَ مثْل موسَى" فالذِي بُشِّرَ بهِ فِي "التَّوْرَاةِ" لَا يكُونُ مِنْ بنِي إِسْرَائِيلَ بَلْ مِنْ إِخْوَةِ بنِي إِسْرَائيلَ إِمَّا الْعَرَبُ وإِمَّا الرُّومُ، أَمَّا الرُّوم فلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ نبِيءٌ إِلاَّ أَيُّوب عليه السلام وهُوَ قبْلَ مُوسَى عليه السلام فلَمْ يَبْقَ إِلَّا العَرَب فهُوَ إِذَنْ مُحَمَّدٌ ﷺ[4].

وذاكَ النَّصُّ بهِ خُتِمَت "التَّوْراةُ" ولَفْظُهُ: "ولَمْ يَقُمْ نَبِيءٌ في بَنِي إِسْرَائيلَ مِثْلُ مُوسَى الذِي كَلَّمَ اللهَ"[5].

وذَكَرَهُ بعضُ المُحَقِّقينَ مِنْ علَمَاءِ قُرْطُبَةَ فِي كِتَابٍ سَمَّاهُ "مقَامِعُ الصُّلْبَانِ"[6] وهُوَ كِتابٌ عظِيمُ القَدْرِ أَقَامَ فِيهِ الحُجَّةَ علَى أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ كُتُبِهِمْ، وأَوْضَحَ البُرهَانَ ونَقَلَهُ حَرفًا بِحَرْفٍ، وطالَعَهَا وطَالَعَ بعْضَ تفَاسِيرِهَا ولَمْ يَزِدْ ولَمْ يُنْقِصْ، وكانَ عَارِفًا بقَلَمِهِمْ وبالمَعْنَى العِبْرِيّ.

وفِي "التَّورَاةِ": "جاءَ النُّورُ مِنْ سِيناءَ وأَشْرَقَ منْ ساغِينَ واسْتَعْلَى مِنْ جَبَلِ فَارَان، ومعَهُ جماعَةٌ مِنَ الصَّالِحِينَ" سيناءُ "لتَوْرَاة" مُوسَى، وسَاغِينَ: جبَالُ الرُّوم "لِإِنجيلِ" عِيسَى، وجَبَلُ فَارَانَ: جِبَالُ مَكَّة لِلْقُرْآنِ وهِيَ مَكَّة.

وفِي التَّورَاةِ: "إِنَّ اللهَ أَسْكَنَ هاجَرَ وابْنَهَا إِسْمَاعِيلَ فَارَانَ"[7] قال ذَلِكَ المحقِّقُ القُرْطُبِيّ[8].

ناظَرَني يَوْمًا أَحَدُ أَحبَارِ اليَهُودِ وأَهْلِ الذَّكاءِ منْهُم في قَوْلِهِ في التَّوراةِ:" إِنّي أُقِيمُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ

---

(1) سيرة ابن هشام، 233/1، وعيون الأثَر، ابن سيِّد النَّاس، 142/1-143 نقلا عن ابن إسحاقَ. ومقامع الصلبان، الخزرَجِي، ص127، مع تغيير في الألفاظ.

(2) الشفا، القاضِي عياض، ص265.

(3) مقامع الصلبان، الخزرَجِي، ص126، مع تغيير في الألفاظ.

(4) (م، س)، ص119، مع تغيير في الألفاظ.

(5) (م، س)، ص119، مع تغيير في الألفاظ.

(6) مقامع الصلبان، أحمد بن عبد الصمد الخزرَجِي، 519- 582هـ/1125-1186م، تح: عبد المجِيد الشَّرفِي، الجامعة التونسيَّة، نشريَّة مركز الدِّراسات والأبحاث الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، د س ن.

(7) مقامع الصلبان، الخزرَجِي، ص123، مع تغيير في الألفاظ.

(8) أحمد بن عبد الصمد الخزرجِي: القرطبِي، نزل بجاية، وسكن غرناطة واستوطن فاس ومات بها سنة 582هـ، من مؤلفاته: آفاق الشموس وأعلاق النفوس في أحكام النبي، مقامع الصلبان. الوافي بالوفيات، الصفدِي، 43/7، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 170/1.

إِخْوَتِهِمْ نَبِيًّا مِثْلَكَ... إِلَخ" فقالَ: هذا كُلُّهُ صَحِيحٌ لا أَجِدُ اعْتِرَاضًا علَيْهِ غَيْرَ أَنَّهُ قالَ: "سأُقِيمُ لِبَني إِسْرائِيلَ" ولَمْ يَكُنْ مُحَمَّدٌ إِلَّا إِلَى العَرَبِ، قُلْتُ: ما عَلَى الأَرْضِ مَنْ يَجْهَل أَنَّ مُحَمَّدا قال: ((**بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ**))[1]، **وَالْحُرِّ وَالْعَبْدِ، وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى** وهذَا كِتابُهُ ينْطِقُ أَنَّهُ مبْعُوثٌ إِلى الخَلْقِ كافَّةً، فكَيْفَ يمكِنُكَ أَنْ تقولَ بُعِثَ إِلى العَرَبِ خاصَّةً، أَوَتَستقِيمُ لكَ حُجَّةٌ؟ فقالَ: لا يُمْكِنُنِي ولا غَيْرِي دَفْعُ ذلِكَ، وبذَلِكَ أَخْبَرَنَا أسلافُنا اليَهُودُ أَنَّه بُعِثَ إِلَى الخلْقِ كلِّهِمْ، إِلَّا فِرْقَةً مِنْ اليَهُودِ يقالُ لُهُم: اليعسوقية[2]، تقولُ بنُبُوءَتِه ومُعجِزَاتِهِ، وتُنْكِر بَعْثَهُ إِلَى غَيْرِ العَرَبِ، ولَسْنَا علَى شَيْءٍ مِمَّا هُمْ علَيْهِ.

وقال لِيَهودِيّ بِجَنْبِه: نَشَأْنَا على اليَهُودِيَّةِ، واللهِ مَا أَدْرِي كيْفَ الخَلاصُ مِنْ أَمْرِ هذَا، وأَقَلُّ ما نأْخُذُ بِهِ أنفُسَنَا النَّهْيُ عَنْ ذِكْرِهِ بِسُوءٍ[3].

وفي "التَّوراةِ": "يُقالُ لهَاجَرَ أُمِّ إِبْرَاهيمَ[4] عليها السلام قَدْ سَمِعْتُ خشوعَكِ فِي إِسْمَاعِيلَ، وستَكُونُ يدُهُ فوْقَ يَدِ الجَمِيعِ، وَيَدُ الجَمِيعِ مبْسُوطَةٌ إِلَيْهِ بالخُضُوعِ، ولَا شَكَّ أَنَّ وَلَدَ إِسْمَاعِيلَ تَحْتَ وَلَدِ إِسْحَاقَ؛ لِأَنَّ النُّبوءَة فِي وَلَدِ إِسْحَاق"[5].

ولمَّا أَخَذَ قيْدار التَّابوتَ إِلَى مَكَّةَ، وهُوَ ولَدُ إِسْمَاعيلَ بَعَثَ إِلَيْهِ عَمُّهُ إِسحاقُ أَوْ ولَدُهُ يعقوب: ارْدُدْهُ إِلَيْنَا فإِنَّ لكَ نُورًا واحِدًا، يعْنِي سَيِّدَنا مُحَمَّدًا ﷺ.

ولمَّا بَعَثَ اللهُ سيِّدَنا مُحَمَّدًا ﷺ وهُوَ مِنْ نَسْلِ سَيِّدِنَا إسماعيل علَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ كانَتْ بِهِ يدُ وَلَدِ إِسْمَاعيلَ فَوْقَ يَدِ الجَمِيعِ، ورَدَّ [80و] النُّبُوءةَ فِيهِمْ ونَمَّاهُم وعَظَّمَهُمْ، وبَارَكَ فِيهِمْ جِدًّا جِدّا[6].

ويدُلُّ لِهَذَا أيْضًا قوْلُهُ فِي إسماعِيلَ: "يُقَاتلُ النَّاسَ جَمِيعًا، ويقَاتِلُونَهُ ويَضَعُ فسْطَاطَهُ فِي وَسَطِ إِخْوَتِهِ" وما ذَلِكَ إِلَّا بابْنِهِ مُحَمَّدٍ بنِ عبْدِ اللهِ ﷺ.

وفي التَّوْرَاةِ أيْضًا: "أَقْبَلَ السَّيِّدُ مِن سِيناءَ، ومِنَ التَّبِيرِ تراءَى لنَا، وأَقْبَلَ منْ جبلِ فاران[7] ومعَهُ آلافٌ مِنَ الصَّالحينَ ومَعَهُ كتابٌ نَارِيٌّ، وهُوَ خَتْمُ الأَجْنَاسِ، وجَمِيعُ الصَّالِحِينَ في قَبْضَتِهِ، ومَنْ تدَانَا مِنْ قَدَمَيْهِ يُصَبُّ مِنْ عِلْمِهِ"[8].

---

(1) جزء من حدِيث مسند أحمد، (2742).

(2) فِي مقامع الصلبان: العيسويَّة.

(3) مقامع الصلبان، الخزرَجي، ص120-122، مع تغيِير في الألفاظ.

(4) خطأ صوابه: أم إسماعِيل.

(5) (م، س)، ص123-124، مع تغيِير في الألفاظ.

(6) (م، س)، ص124، مع تغيِير في الألفاظ.

(7) في الأصل: فازان.

(8) مقامع الصلبان، الخزرَجي، ص124، مع تغيِير في الألفاظ.

ومعْنَى نَارِيّ: نُورِيٌّ، كما قال الله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿15﴾ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿174﴾ ﴾[2].

وفِي "التّورَاةِ": "إنَّ الله تعَالى قالَ لِإبراهِيمَ عليه السلام حينَ دعاهُ في ابْنِهِ إِسْماعِيلَ: قَدْ أَجَبْتُكَ فِي إِسْماعِيلَ وبارَكْتُ علَيْهِ وكَثَّرتُهُ وعَظَّمتُهُ جِدًّا جِدًّا، وقالَ: أَجْعَلُهُ لأُمَّةٍ عظِيمَةٍ" يُرِيدُ أُمَّة سَيِّدنَا مُحَمَّدٍ ﷺ[3].

وفِي "الزّبور": "تَقَلَّدْ أيُّها الجَبَّارُ السَّيْفَ، فإِنَّ نامُوسَكَ وشَرِيعَتَكَ مقْرُونةٌ بِيمِينِكَ، وسِهامُكَ مَسْنونَةٌ، والأُمَمُ يَخِرُّونَ تَحْتَكَ[4].

وفِي الزَّبورِ: يقولُ اللهُ سبْحانَه لدَاوُدَ: "سَيُولَدُ لَكَ وَلَدٌ أُدْعَى لَهُ أَبًا، ويُدْعَى لِي ابْنًا، فقَالَ داود عليه السلام: اللَّهُمَّ ابْعَثْ جَاعِلَ السُّنَّةِ، وهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ الذِي يُعَلِّم النَّاسَ، كَيْ يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهُ بَشَرٌ"[5].

وذلِكَ الذِي يُدْعَى ابنًا هُوَ عِيسَى عليه السلام وبَعَثَ اللهُ سَيِّدَنا مُحَمَّدًا ﷺ، وأَعْلَمَ النَّاسَ أنَّ عِيسَى بَشَرٌ ولا قَائِمَ في ذلكَ إلَّا سيِّدُنا محمد ﷺ وأمَّتُه.

وكَذَلِكَ قالَ سَيِّدُنا عِيسَى عليه السلام فِي "الإِنْجِيلِ": "اللَّهُمَّ ابْعَث البَارقْلِيط لِيُعلِمَ النَّاسَ أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ بَشَرٌ"[6].

وفِي الإِنْجِيلِ الذِي عنْ يوحَنّا: "البَارقْلِيط لَا يَجِيئُكُمْ مَا لَمْ أَذْهَبْ، فإِذَا جَاءَ وَبَّخَ العَالَمَ عَلَى الخَطِيئةِ، ولا يقولُ مِنْ تِلْقَاءِ نفسِه شَيْئًا، ولَكِنْ مِمَّا يَسْمَعُ يُكَلِّمكم ويَسُوسُكُمْ بالحَقِّ، ويُخْبِرُكُمْ بالحَوَادِثِ والعِبَرِ"[7]، إلى أَنْ قال: "وسَيُعَظِّمُنِي" وذَكَرَ كَيْفَ يقْهَرُ أصحَابَ الدُّنيا، وتمادَى عَلَى وَصْفِهِ بكلَامٍ ظَاهِرٍ[8]، ثُمَّ قالَ: "وَهُوَ يشْهَدُ لِي وأَنَا أَشْهَدُ لهُ، وأنَا أَجِيئُكُمْ بالأَمْثَالِ، وهُوَ يَجِيئُكُمْ بِالتَّأْوِيلِ[9].

والبَارقْلِيط بِلِسَانِهِمْ مُحَمَّدٌ ﷺ، وكذَلِكَ يقولُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ القِسِّيسِينَ. وقدْ كانَ نَصْرَانيٌّ يقْرَأُ على شَيْخِهِ ويَسْأَلُهُ عَن البَارقْلِيط [80ظ] فَلَا يُجيبُهُ، فأَلَحَّ عليهِ يومًا في خلْوَتِهِ، فقَالَ لهُ: ما تريدُ مِنْ

---

(1) سورة المائدة: 15.

(2) سورة النساء: 174.

(3) مقامع الصلبان، الخزرَجِي، ص123، مع تغيير في الألفاظ.

(4) (م، س)، ص126.

(5) (م، س)، ص126. عبارة: وهو محمد ﷺ الذي يعَلِّم الناسَ، من المؤلِّفِ.

(6) (م، س)، ص126. وفِيه: الفارقلِيط، بدل البارقليط.

(7) في مقامع الصلبان: بالحوادِثِ والغيوب.

(8) في مقامع الصلبان: بكلام بيِّنٍ.

(9) (م، س)، ص127.

ذَلك؟ هو محمَّدٌ رسولُ الله ﷺ، قال: فقلْتُ لهُ: إذَا عَلِمْتَ ذلكَ فمَا مَنَعَكَ مِنَ الإيمانِ بهِ؟ فقالَ لهُ: أنَا مُومِنٌ بِهِ، فَقَالَ لَه: وما مَنَعَكَ أَنْ تَرحَلَ إِلَى أَرْضِ الإِسْلَامِ؟ فقالَ لَهُ: أنَا شَيْخٌ لا أقْدِرُ علَى الانْتِقَال، فوَقعَ الإِسْلَامُ فِي قَلْبِي وعَزَمْتُ عَلَى الهِجْرةِ إِلَى دَارِ الإِسْلَامِ، قالَ: فَفَهِمَ عَنِّي، فقَالَ لِي: إِيَّاكَ أَنْ تُظْهِرَ للنَّصَارَى شَيْئًا مِمَّا تكلَّمنَا بِه ولَئِنْ خالَفْتَنِي لأَتبرَّأَنَّ مِنْكَ، وإِنْ رَجَمُوكَ رجَمتُكَ معهُم. فكَتَمْتُ أَمْرِي إِلَى أَنْ تَيسَّرَ لِي مَركَبٌ إلى مَدِينَةِ تونس وأَظْهَرْتُ إِسْلَامِي فيهَا، والحَمْدُ للهِ.

وفي إِنْجِيل بأَيْدِي النَّصَارَى أَنَّهُ قال لِلْيَهودِ: "تقُولُونَ لَوْ كُنَّا في زمانِ آبائنَا لَمْ نُسَاعِدْهُمْ على قَتْلِ الأَنْبِيَاءِ، أَتِمُّوا كيْلَ[1] آبائِكمْ يا ثَعَابِينَ بنِي الأَفَاعِي، كيْف لكُم النَّجاةُ مِنْ عذَابِ النَّارِ"[2].

ثُمَّ تمَادَى في مُخَاطبَتِهِمْ إلى أَنْ قالَ: "وأَنَا أقُولُ لكُمْ لا تَرَوْنِي الآن حَتَّى يأْتِي مَنْ تقُولُونَ لَهُ يا مُبَارَكُ، يأْتِي عَلَى اسمِ اللهِ"[3].

فَبشَّرَ بسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ المُبَارِكِ الذِي صَدَعَ بالْحَقِّ المُبينِ وقَطَعَ الشَّكَّ باليَقِينِ، وأَيَّدَهُ مَوْلاهُ بالبَرَاهِينِ وأَنْزَلَ عليْهِ كِتَابهُ المبِينَ، فمَنْ نَكَصَ بَعْدُ على عَقِبَيْه فلَنْ يضُرَّ اللهَ شيْئًا وسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ.

وفِي الإِنْجِيلِ: عَنْ متّى عَنْ عِيسَى: "الحَقُّ اليَقينُ أقولُ لَكُمْ" وذَكَرَ كلامًا في حقِّ يَحْيَى لمَّا حُبِسَ، وفي آخِرِ الكلامِ: "وأَمَّا الآنَ فإِنْ شِئتُم فأَقْبِلُوا فإِنَّ أَيْل مَعَ مَنْ يَأْتِي[4]، فمَنْ له أُذُنَانِ سامِعَتَانِ فلْيَسْتَمِعْ"[5] فهَذِهِ بِشارةٌ مِنْ عيسى عليه السلام بسَيِّدِنَا محمَّدٍ ﷺ، وأَيْل: هُو اللهُ.

وفي "التَّوراة": "جاءَ اللهُ مِنْ سِيناءَ" وَ "أَقْبَلَ مِنْ فاران" أيْ: كِتَابُ اللهِ[6].

وفي إِنْجِيلٍ عَن المَسِيحِ كلامٌ صَرِيحٌ في أُمَّةِ سيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وفي آخِرِه: "أقولُ لكُمْ إِنَّهُ سَيُزاحُ عنْكُمْ مُلْكُ اللهِ، وتُعْطَاهُ الأُمَّةُ المُطِيعةُ العَامِلَةُ"، ثُمَّ ضرَبَ مثَلًا بِصَخْرةٍ، وقَالَ: "مَنْ سَقَطَ علَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ يتَكَسَّرُ، ومَنْ سَقَطَتْ علَيْهِ يتَهَشَّمُ"[7]. أَرَادَ مَنْ نَاوَى رسُولَ اللهِ ﷺ كانَ مغْلُوبًا.

وفي صُحُفِ إشعْياء النَّبيءِ: "ستُمْلَأُ البادِيَةُ والمدائِنُ بآلِ قَيْدَارَ يُسبِّحونَ، ومِنْ رؤُوسِ الجبالِ يُنادُونَ الذِين يجعَلُونَ للهِ الكرَامةَ ويبثُّونَ تسْبِيحَهُ في البرِّ والبَحْرِ"[8].

وفِي مُصحفِ حزقيال النَّبِيءِ يَقُول عَنِ الله تعالى: "إِنِّي مُؤَيِّدٌ قَيْدَارَ بالملائكةِ"، وقَيْدارُ وَلدُ

---

(1) لعلها: كيد، كما في مقامع الصلبان.

(2) مقامع الصلبان، الخزرَجي، ص128.

(3) (م، س)، ص128. عبارة: ثُمَّ تمَادَى في مخاطبتهم إلى أن قال، من كلام المؤلف.

(4) في مقامع الصلبان: مزمع أن يأتي.

(5) (م، س)، ص129.

(6) (م، س)، ص130.

(7) (م، س)، ص132.

(8) (م، س)، ص132-133.

إسْمَاعيلَ[1]، وقَدْ صَدَقَ اللهُ وعْدَهُ ونَصَرَ عبْدَهُ ومَلأَ البَسِيطَةَ مِنْ وَلَدِ إسماعِيلَ وآلِ قيْدَارَ ينَادُونَ بالآذانِ والتَّلبِيَةِ باللَّيْلِ [81و] والنَّهارِ، ويَجْأَرُونَ بِهِمَا في الحواضِرِ والبوادِي والقِفَارِ، ويَجْعَلُون للهِ الكَرَامَةَ بالصَّلاةِ والحَجِّ وسائِرِ القُرَبِ في البَرَارِي والبِحارِ، وهذِهِ صِفَةُ هذِهِ الأُمَّةِ المُحَمَّديَّةِ الكَريمةِ على اللهِ جلَّ وعَلاَ.

قال إشَعْيَاء النَّبِيءُ عن اللهِ ﷻ: "عبْدِي الذِي سُرَّتْ به نفْسِي أُنْزِلُ علَيْهِ وَحْيِي، فيُظهِرُ في الأُمَمِ عَدْلِي يُوصِي الأُمَمَ بالوَصايا، لَا يَضْحَك ولا يُسْمَع صَوْتُهُ في الأَسْواقِ، ويَفْتَحُ العيُونَ العُورَ، ويُسْمِع الآذان الصُّمَّ، ويُحيِي القلوبَ الغُلْفَ، وما أَعْطَيْتُهُ لا أُعْطِيهِ غَيْرَهُ، أَحْمَدُ يَحْمَدُ اللهَ حَمْدًا حديثًا يأتِي مِنْ أقْصَى الأَرْضِ تَفْرَحُ البَرِيَّةُ وسُكَّانُهَا يُهَلِّلُونَ اللهَ على كُلِّ شَرَفٍ ويُكَبِّرُونَهُ علَى كُلِّ رَابِيَةٍ، لا يَضْعُفُ ولا يُغْلَبُ ولا يَمِيلُ إلى الهَوَى، ولا يُسْمَعُ في الأسواقِ صَوْتُهُ، ولا يُذِلُّ الصَّالحينَ الذِين هُمْ كالعصْفَةِ[2] الضَّعِيفةِ بَلْ يُقَوِّي الصَّالِحِينَ[3] الصِّدِّيقِينَ، وهُوَ رُكْنٌ لِلْمتَوَاضِعِينَ، وهو نُورُ اللهِ الذِي لا يُطفَأُ ولا يُحْصَمُ حتَّى يُثْبِتَ في الأَرْضِ حُجَّتِي ويَنْقَطِعَ بِهِ العُذرُ، وإلى تَوْرَاتِهِ ينقَادُ الخَلْقُ"[4]، وهذَا تَبْشِيرٌ بنَبِيئِنا مُحَمَّدٍ ﷺ.

ومَعْنَى سُرُورُ اللهِ رِضاهُ؛ لِأَنَّهُ لا يَضرُّهُ شَيْءٌ، ولا يَحْتَاجُ إلَى شَيْءٍ ولَا يَعْجِزُ. ومَعْنَى جَعْلِ الكَرامَةِ للهِ: جَعْلُ العِبادَةِ لَهُ.

وفي صُحُفِ حيقون النَّبِيءِ: "جاءَ اللهُ مِنَ المتِينِ وتَقَدَّسَ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ وامْتَلأَت الأَرْضُ مِنْ تَحْمِيدِ أَحْمدَ وتقْدِيسِهِ ومَلَكَ الأَرْضَ بِهَيْبَتِهِ". وقال أَيْضًا: "تضِيءُ لنُورِهِ، وسَتَنْزَعُ فِي قِسِيِّكَ إِغْرَاقًا وتَرْتَوِي السَّامُّ[5] بأَمْرِكَ ارْتِوَاءً"[6].

وفي صُحُفِ إِشَعْيَاء النَّبِيءِ يقُولُ: قِيلَ لِي قُمْ ناظرًا فانْظُرْ فَمَا تَرَ تُخْبِرْ بِهِ، قُلتُ: أَرَى راكِبَيْنِ مُقبلَيْنِ أَحَدُهُمَا علَى حِمَارٍ والآخَرُ علَى جَمَلٍ، يقولُ أَحَدُهُما لصَاحِبِهِ: سَقَطَتْ بابل وأصْنامُهَا النَّخِرَةُ". فصَاحِبُ الجَمَلِ هُو نَبِيئُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ وصَاحِبُ الحِمَارِ اتِّفَاقًا مِنَّا ومِنَ النَّصَارَى عِيسَى بنُ مرْيَمَ"[7]. ومَازَالَ أَهْلُ بَابِلَ يَعْبُدُونَ الأَصنَامَ مِنْ لَدُنْ إبْرَاهِيمَ فما زَالَتْ إلَّا بنَبِيئِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وأُمَّتِهِ المبَارَكَةِ.

وفِي صُحُفِ إِشَعْيَاء: "لِتَفْرَحْ أَرْضُ البَادِيَةِ العَطْشَاء وتَبْتَهِج البَرارِي والفَلَواتُ لأَنَّهَا سَتُعْطَى بأَحْمَدَ

(1) مقامع الصلبان، الخزرَجِي، ص133.

(2) في مقامع الصلبان: كالقصبة.

(3) فوق الصالحين خاء، يبدو أن الكلمة محذوفة، كما في مقامع الصلبان.

(4) في مقامع الصلبان: ينقاد للحق. مقامع الصلبان، الخزرَجِي، ص133.

(5) لعله السهام، كما في مقامع الصلبان.

(6) (م، س)، ص134-135.

(7) (م، س)، ص135.

مَحَاسِنَ لُبْنانَ"[1]. وهذا تَصْرِيحٌ بهِ ﷺ أَمَاتَنَا اللهُ علَى مِلَّتِهِ.

وفي صُحُفِ دانْيال: "لا تَقُومُ دَعْوَةُ باطلٍ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةٍ"[2]. وهذِهِ دَعْوَةُ نَبِيئِنَا ﷺ قامَتْ أَكْثَرَ مِنْ ثلَاثَ عَشْرَةَ مِئَةِ سنةٍ.

وفي عَصْرِي هذَا دَخلَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ القرارة بلادَ الأندلس فَبَيْنَما هُوَ معَ رَجُلٍ فِي دارِهِ إِذْ دَخَلَ الرَّجُلُ وهُوَ بِصُورَةِ نَصْرَانِيٍّ مَطْمُورَةً وتَطَهَّرَ وَلَبِسَ لِبَاسًا آخَرَ وصَلَّى صلَاةً مِن الخَمْسِ، فقَالَ لهُ القَرَارِيُّ: [81ظ] ما هَذَا؟ قالَ: إِنِّي مُسلِمٌ ومَعِي أَهْلِي نَسْتُرُ إِسْلَامَنَا خَوْفًا مِنَ النَّصارَى.

وأَهْلُ الكِتابِ يَعْلَمون صِدْقَ رَسُولِ اللهِ ﷺ خُصُوصًا القِسِّيسينَ والرُّهبانَ وكَثِيرٌ مِنْهُمْ يُخْفُونَ إِيمانَهُمْ إِبْقاءً علَى أَنْفُسِهِمْ وأَمْوَالِهِمْ وقَرَابَتِهِمْ، والواجِبُ علَى مَنْ آمَنَ مِنْهُم أَنْ يُهاجِرَ إِلَى أَرْضِ الإِسْلَامِ لِيَتَعلَّمَ الشَّريعَةَ.

وقَال إِشَعْيَاء النَّبِيءُ مخَاطِبًا لِمَكَّةَ: "أَبْشِرِي واهْتَزِّي أَيَّتُها العاقِرُ التِي لَمْ تَلِدْ وانْطِقِي بالتَّسبيحِ وافْرَحِي إِذْ لَمْ تَحْبلي، فإِنَّ أَهْلَكِ سيكونُونَ أَكْثَرَ مِنْ أَهْلِي"[3].

شبَّهَ مَكَّةَ بالعَاقِرِ؛ لِأَنَّهُ لا نَبِيءَ مِنْهَا إِلَّا إِسماعِيل، فجَاءَ نَبِيئُنا ﷺ كوَلَدٍ بَعْدَ عُقْمٍ، وأَهْلُ إِشَعْيَاء بَيْتُ المَقْدِسِ وأَكْثَرُ الأَنْبِئَاءِ بالشَّامِ، فلَا تُشْبِهُ العاقِرَ.

ووُجِدَتْ نُسخَةٌ قَديمَةٌ يُذكَرُ فيهَا أَنَّهَا الزَّبُورُ وأَنَّهَا مِنْ رِوايةِ وهب بن منبّه، وهُوَ مِنَ التّابعين، عارِفٌ بِخُطوطِ الأَقْدَمِينَ وخطوطِهِمْ[4] صلَّى الفَجْرَ بوضُوءِ العِشاءِ أَرْبَعينَ عامًا، وهِيَ نُسخَةٌ قصدر[5] أبو عُبيدٍ الكاذِبُ، فذُكِرَ فيها أنَّ اللهَ قال: "مَلْعونٌ مَلْعُونٌ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ وعَلَى أَحَدٍ مِنْ رُسُلِي"[6].

وقال في المزمورِ السِّتِّينَ:" لَيْسَ الخُدلانُ خُدْلانُ الفَوَاحِشِ؛ لِأَنَّ لَهَا الاسْتِغْفَارَ يُطفئُها، كَمَا يُطفِئُ الماءُ النَّارَ الحارَّةَ، إِنَّمَا الخُدلانُ خُدلانُ رَجُلٍ أَحْدَثَ حَدَثًا لِيُغَيِّرَ بِه شَرِيعَةً مِنْ شَرَائِعِي، ولِيَسْتَنَّ سُنَّةً لَيْسَتْ مِنْ سُنَنِي.

وفِي المَزْمُورِ السَّادِسِ والأَرْبَعِينَ مِنْ مزَامِيرِ دَاوُدَ عليه السلام: "مَنْ كَذَبَ علَيَّ أَوْ عَلَى أَحَدٍ مِنْ رُسُلي استَوْجَبَ النِّقمةَ في الدُّنيَا والآخِرَةِ".

وفِي المَزْمُورِ السَّابِعِ والتِّسعِينَ: "يا دَاوُد استَعِذْ بِي مِنْ شرِّ زَمَانٍ يكثُرُ فِيهِ الكَذِبُ علَى العِلْمِ، فكُلُّ مَنْ هَوَى حديثًا ابْتَدَعَ لَهُ حُجَّةً، فإِذَا وَرَدَ القِيامةَ رُدَّت أَعْمَالهُمْ كلُّهَا، يا دَاوُدَ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ أَوْ

(1) مقامع الصلبان، الخزرَجِي، ص136، وفيه: محاسن اللسان.

(2) (م، س)، ص137، وفيه: لا تقوم لداع كاذب دعوةٌ أكثر من ثلاثين سنة.

(3) هداية الحيارَى، ابن القيم، ص171.

(4) في العبارة تكرار.

(5) لم أفهم العبارة.

(6) لم أقِفْ عليهِ.

قالَ مَا لَمْ أَقُلْ، أَوْ قالَ علَى أَحَدٍ مِنْ رُسُلِي، عَقَدْتُ طَرَفَ لِسَانِهِ مِنْ داخِلِ أمعَائِهِ في النَّارِ، ثُمَّ سَدَدْتُ ما بَقِيَ مِنَ اللِّسانِ بِجَفْنِ حَدَقَتَيْهِ، ثُمَّ جعَلْتُهُ أَزْرَقَ العَيْنَيْنِ بصاصًا، ثُمَّ نَكسْتُهُ على الحَدَقَةِ واللِّسانِ في النَّارِ، مَنْ قال علَيَّ ما لَمْ أُنْزِلْهُ حَشَرْتُهُ في وادٍ يُقالُ لهُ الغَضْبَانُ، ومَكَّنْتُ ذَلِكَ الوَادِي مِنْ باطِنِهِ وظَاهِرِهِ. ما كَانَ مِنْ حَقٍّ يُصَدِّقُ الكُتُبُ فيهِ بعْضهَا بَعْضًا، فهُوَ مِنِّي وأنا قُلْتُهُ، ومَا اختَلَفَتْ فِيهِ، ووُصِفْتُ فيهِ بغَيْرِ الحقِّ، فأنَا مُبرَّأٌ منهُ ولَم أقُلْهُ، مِنْ شأْنِي أنِّي أنَا الرَّبُّ الذي لا يُشْرَكُ بي غَيْرِي. يا داودُ اتْلُ كتَابِي واحْلُ بي خلْوةَ حَبِيبٍ يُحِبُّ حَبِيبَهُ".

وقال: "مَنْ كَذَبَ عَلَى اللهَ بَعُدَ مِنَ الله، ومَنْ زادَ في كُتُبِ الله برِئَ مِنَ اللهِ، ومَنْ حاولَ أَنْ يُخْمِدَ حقَّ اللهِ أَخْمَدَهُ اللهُ، ومَنْ أَحبَّ اللهَ راقَبَ اللهَ، ومَنْ نَصرَ دِينَ اللهِ نَصَرَهُ اللهُ علَى الأَعْدَاءِ وجَعَلَ لهُ الكلِمَةَ العُلْيَا".

وفي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْهُ: مَنْ زادَ حرْفًا في كِتَابِي، أو قَالَ علَى الأنبِيَاءِ ما لَمْ يقُولُوا أو اسْتَهَانَ [82و] بالمَوْعظَةِ قَفَلْتُ على قُفْلِهِ كالخَرَاجِ الذِي لا يَنْدمِلُ، يكُونُ حِجابًا بَيْنَهُ وبَيْنَ الإيمَانِ".

وفي مَوْضِعٍ آخَرَ منْهُ: مَن استَحْيَى مِنَ اللهِ كفاهُ اللهُ، ومَن استعَانَ بغَيْرِ اللهِ أسْلَمَهُ اللهُ، ومَنْ كَذَبَ على اللهِ أو رُسُلِهِ ما لم يقُلْ عذَّبهُ اللهُ عذَابًا مُهِينًا".

وفي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْهُ: يا داودُ مَنْ كَذَبَ عليَّ أو عَلَى أَحدٍ مِنْ رُسُلِي أو تعامَلَ بالرِّبا أَوْ أفْشَى الزِّنَى، علَّقتُهُ في النَّارِ بأنيَابِ حيَّاتٍ كأنَّها البَخَاتِي، تُذِيبُ اللَّحمَ وتمزِّقُ الجلدَ، وتُهْرِي الأمعَاءَ".

وقالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: "يا داوُدُ مَنْ قال عَلَيَّ أو علَى أَحَدٍ مِنْ رُسُلي كَذِبًا فَقَدْ بَاءَ بغَضَبٍ، يا دَاوُدُ اعْلَمْ أنَّه مَن انْقَطَعَ إليَّ كفَيْتُهُ ومَن استنْصَرَنِي نَصَرْتُهُ".

وقال فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: مَنْ حَرَّمَ حلَالًا كان كَمَنْ أَحَلَّ حرامًا، ومَن ادَّعَى في شَيْءٍ مِنْ كُتُبِي مالَمْ أَقُلْهُ لِيُشبِّهَ على النَّاسِ ويَجْعَلَه مِظَلَّةً لَهمْ، فقَدْ أَشْرَكَ بِي وإِنْ كانَ مُؤْمِنًا عِنْدَ نفْسِهِ، مُرْ بَنِي إسرَائِيلَ أَن لا يُخَالِفوا ما أمَرْتُ بهِ، وأنْ يأْخُذُوا الأَحْكَامَ مِنْ جَمِيعِ المِلَلِ، يأْخُذُ كُلُّ واحدٍ بِكِتَابِهِ أو سُنَّة نَبِيئِهِ، ومَنْ تَوَرَّعَ أنْ يَزِيدَ في كتابِي حَرْفًا وكانَ على البَصِيرةِ والتَّقلِيدِ جَازَيْتُهُ الجَنَّةَ التِي جعَلْتُهَا أُمْنِيَةَ المُتَمَنِّينَ. يا دَاوُدَ لَيَنْتَهِيَنَّ أُناسٌ عَنْ أن يَقُولُوا علَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ، أوْ عَلَى أَحَدٍ مِنْ رُسُلِي، فَمَنْ لَمْ يَنْتَهِ مِنْهُم فلَوْ جاءَ بمِثْلِ الدُّنيا مِئَةَ ضِعْفٍ فِضَّةً ليَفْتَدِيَ بِهِ ما تُقُبِّلَ مِنْهُ خَرْدَلَةٌ، وكانَ مَأْوَاهُ النَّارُ وبِئسَ المَصِيرُ".

وقال فِي آخِرِ الزَّبُور: "يا دَاوُدُ مَنْ كَذَبَ علَيَّ وعلَى رُسُلِي أَخْزَيْتُهُ خِزيًا عظِيمًا، وأَعْدَدْتُ لهُ نَارَ جَهنَّمَ خالِدًا فِيها، ذَلكَ الخِزْيُ العَظِيمُ".

وقالَ فِي المزْمُورِ السَّابِعِ مِنَ الزَّبورِ: "ما أَشْغَلَ قَلْبَ مَنْ عَرَفَنِي عن قَاذُوراتِ الدُّنيَا، وعِزَّتِي ما جَاءَتْ رُسُلي إلَّا بالحقِّ، ولَوْ عَرَفْتُ نَبيئًا يقُولُ علَيَّ ما لَمْ أَقُلْ لَجعَلْتُهُ عِبْرَةً لِلْأَنْبِئَاءِ والرُّسُلِ، وجَعَلْتُهُ

حدِيثًا لِأَهْلِ الدُّنيا". ومِصْدَاقُهُ في القرآنِ قوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿44﴾﴾[1] الآيَةَ.

وفِي المزمُورِ الثَّامِنِ عَشَر: "الأَيْمَانُ الكاذِبَةُ تُسَوِّدُ القَلْبَ وتُظْلِمُهُ مِنَ الهُدَى، والكَذِبُ خَتْمٌ على الفُؤَادِ".

وقالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: "يا بَنِي إسْرَائِيلَ احْكُمُوا بما أنزَلْتُ ولا تَتَعَدَّوْهُ فإنَّ قوْمًا تعَمَّدُوا كُتُبِي وأحْكَامِي وتَأَوَّلُوا تَأْوِيلَاتٍ مِنْ رَأْيِهِم فضَلُّوا وأَضَلُّوا كَثِيرًا"؛ أَيْ: قَصَدُوا كُتُبِي وأَوَّلُوا.

وفِي المَزْمُورِ السَّابِعِ والثَّلاثين مِنْ نُسْخَةِ وهْب المذْكُورَةِ أَنَّ آدمَ نَظَرَ فإذَا بذِكْرِ حَبِيبِي مكْتُوبٌ على سَاقِ عَرْشِي، وكَانَ آدمُ مُلْهَمًا خَلَقْتُهُ بكُلِّ الإِلْهَامِ بالكتُبِ والحِسَابِ وجَمِيعِ أعْمَالِ أَهْلِ الأَرْضِ، ولمَّا قَرَأَ ذِكْرَهُ ظَنَّ أنّي أشْرَكْتُ معهُ آخَرَ في الجَنَّة، فهُوَ لَمْ يَسْلَمْ مِنَ الدَّغَلِ والمَكْرِ، أتُسْلِمُونَ يَا بَنِيهِ وهُوَ أَطْهَرُ منْكُمْ؟ فقال بَاكِيًا: إلَاهِي ما هَذَا؟ فقُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ ذُرِّيتِكَ أُظْهِرُهُ على الدِّين كُلِّهِ وعلَى جَمِيعِ [82ظ] الأَدْيَانِ، بِهِ يَتِمُّ عُمْرَانُ الدُّنيا وعُمْرَان الآخِرَة، وبِهِ خَلَقْتُ الجَنَّةَ وبِهِ ابتَدَعْتُ السَّمَاوَاتِ، ثُمَّ قُلتُ: أَينَ الحامِدُون؟ فَجَمَعْتُ بَيْنَهُ وبَيْنَ ملَائِكَةٍ تُصَلِّي عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ أَخْلُقَ آدَمَ بِأَلْفَيْ عامٍ، ثُمَّ انْصَرَفَ وهُوَ مُسْتَبْشِرٌ إلَى الجَنَّةِ.

وقالَ في المزْمُورِ السَّابعِ والمِئَة: "مُحَمَّدٌ الممْدُوحُ الرَّفيعُ الدَّرجَةِ العَزِيزُ البُرْهانِ العَظِيمُ الحُجَّةِ المحْمُودُ المهَيْمِنُ المصْطَفَى الصَّادِقُ، العَزيزُ الطَّاهِرُ الذِي خُلِقَ مِنْ شَجَرةِ طُهْرٍ، الشَّدِيدُ البَأْسِ فيمَا يُسْخِطُنِي، الذِي يسْمجني[2] وهو مسْتَقِرٌّ في الأرحامِ، والصَّحيحُ العَزْمِ الواثقُ اليقينِ، الشَّديدُ الحِرْصِ على ديني الذي لم تَغْلِبْهُ زَهْرَةُ الدُّنيا وبَهجَتُهَا، ففِيهِ نورُ القَمَرِ والشَّمسِ، وأنتمْ يا معشَرَ الأنبِيَاءِ كالنُّجومِ عندهُ، إذا وَقَرَت السَّحَابُ أكثَرَ مِنْ طاقَتِهَا مَطَرًا سَأَلَتْنِي بحقِّهِ فَخَفَّفْتُ حمْلَهَا، لولَاهُ ما أهْبَطْتُ آدمَ مِنَ الأرضِ ولا عَمَّرتُ الدُّنيا، تَدْرِي مَنْ هُو يا دَاوُدُ؟ هُوَ فَرْعٌ مِنْ فرعِ إبراهيمَ بِهِ أَهَلَّ آدمُ، مَنْ كَفَرَ بِهِ فعَلَيْهِ لَعْنَتِي، وسيَخْرُجُ قَوْمٌ يَدَّعونَ الرَّهبانيَّة يمْحُونَ اسمهُ مِنْ كُتُبي، أتَدْرِي يا دَاوُدُ أيْنَ هؤلاءِ الكفَّارُ؟ هَذَا مِنْ عُقُولِهِمْ؛ لِأَنَّ الشَّيْطانَ واقَعَ أُمَّهَاتِهِمْ معَ آبَائِهِمْ فأُشْرِكَتْ نطفَتُهُ مع نُطْفَةِ آبائهمْ فَضَلُّوا وكفرُوا وأَضَلُّوا كثيرًا، وضَلُّوا عنْ سواءِ السَّبيلِ، مَنْ آمَنَ بمُحَمَّدٍ فقَد اسْتَمْسَكَ بالعُرْوَةِ بالإيمان بهِ، ومَنْ كَفَرَ بِمُحَمَّدٍ فقَدْ كَفَرَ بِي وبِكُتُبي، وَمَنْ آمَنَ بالتَّوْرَاةِ والإنجيلِ والزَّبورِ وَلم يُفرّقْ بَيْنَ شيْءٍ مِنْ كتبِي أجزَيْتُهُ أجرَهُ موَفَّرًا وأنا العَزِيزُ الحَكِيمُ".

وقالَ في مَوْضِعٍ آخَرَ: "يا دَاوُدُ لَمْ أَجْعَلْ كتابَ أَحَدٍ مِنَ الأَنْبَغَاءِ نَظْمًا، كمَا نظَمْتُ كتَابَ صاحِبِ التَّوْحِيدِ، الذِي في آخِرِ الزَّمانِ، فِيهِ البَيَانُ والشِّفَاءُ، وقَدْ أَنْزَلْتُ علَيْكُمْ مَعْشرَ الأَنْبِغَاءِ مِنْ بَعْضِهِ، وجَعلتُهُ

(1) سورة الحاقة: 44.

(2) لعله: يسبحني.

كلامًا في كُتُبِكُمْ، إذا دَبَّرَهُ العَاقِلُونَ عَلِمُوا أنَّ الذِي جاءَ بِهِ الأَنْبِئاءُ مِنّي وأنَا قُلتُهُ".

وفي آخِرِ الزَّبورِ: "يا دَاوُدُ سَيْأتِي مِنْ بَعْدِكَ نَبِيءٌ يُسَمَّى مُحَمَّدًا ﷺ لا أغْضَبُ عَلَيْهِ أبدًا؛ لأنَّهُ قد غَفَرْتُ لهُ مِنْ قَبْلِ أنْ يَعْصِيَنِي وأَعْطَيْتُ أُمَّتَهُ النَّوافِلَ ما أَعْطَيْتُ الأنْبِئَاءَ والرُّسُلَ، وفَرَضْتُ علَيْهِم الفَرَائِضَ التِي فَرضْتُ علَى الرُّسُل حتَّى يَأْتُوا يَوْمَ القِيَامةِ نورُهُمْ نُورُ الأنبئاءِ، وذلِكَ أَنِّي فَرَضْتُ علَيْهِم الصَّلواتِ والوُضُوءَ للصَّلاةِ ولم أَفْرِضْهُ إلَّا علَى الأنْبئاءِ مِنْ قَبْلِهِمْ وأَمَرْتُهُمْ بالحجِّ كما أَمَرْتُ الأنبئاءَ والرُّسُلَ. يا دَاوُدُ إنِّي فَضَّلْتُ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ كما فضَّلتُ مُحَمَّدًا ﷺ على جَمِيعِ الأنْبئاءِ لا آخذُهُمْ بالخَطَايَا مَا دَامُوا يَسْتغفِرُونَنِي، والثَّانِيةُ ما قدَّمُوا مِنْ أمْوَالِهِمْ طَيِّبةً بها أنْفُسُهُمْ، أُعَجِّلُ لَهُم الخُلْفَ أضْعَافًا مضَاعَفَةً، لَهُمْ المدخور أضعَافًا مضاعَفَةً، وأعطِيهِمْ على المصَائِبِ والبلاءِ إذَا صَبَرُوا وقالُوا: إنَّا للهِ وإنَّا إلَيهِ راجعونَ، الصَّلاة والرَّحمة والهُدَى [83و] إلى جنَّاتِ النَّعيم، وأقول لهم: ادعُونِي اسْتَجِبْ لَكُمْ، فإمَّا تَرَوْنَهُ عَاجِلًا وإمَّا أَصْرِفُ عنْكُمْ سُوءًا، وإمَّا أَدَّخِرُ لَكُمْ أَجْرًا، وأقولُ لَكَ يا دَاوُدُ: اشْهدْ عَلَيَّ مَنْ لقِيَنِي مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ يَشْهدُ أَنَّ لا إلَهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لِي، صَادِقًا بهَذَا قلبُهُ ولسَانُهُ فهُوَ منّي في جنَّتِي، ومَنْ لقِيَنِي وهُوَ مُكَذِّبٌ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَرَدَّ عَلَيَّ ما جاءَ بِهِ واسْتَهْزَأَ بشَيْءٍ مِمَّا جاءَ بِهِ، صَبَبْتُ العَذَابَ علَيْهِ صَبًّا، وضَرَبَت الملائِكَةُ وجهَهُ ودُبرَهُ في الدَّرَك الأسْفَلِ مِنَ النَّارِ"[1].

وقالَ داوُدُ: "اللَّهُمَّ ابْعَثْ لنَا مُحَمَّدًا مُقْرِئَ السُّنَّةِ بَعْدَ الفَتْرَة"[2].

ومِنْ أسمائِهِ في الكُتُب: المتَوَكِّل والمخْتَارُ ومُقيمُ السُّنَّةِ والمقَدَّسُ ورُوحُ الحَقِّ والبَارقْلِيطْ الذي يفرِّقُ بَيْنَ الحقِّ والباطِل، ومَادْمَادْ أَيْ: طيِّب، وحمطايا والحَاكِم والخَاتِم، وبالسُّريانيَّة مشفح، والمنحمنا وفي التَّوراةِ أحيد، وصاحب القضِيب أَيْ: السَّيْفِ، وفِي الإنجيلِ: مَعَهُ قَضِيبٌ مِنْ حَدِيدٍ.

ومِنْ أسمائِهِ في الكُتُبِ المتقدِّمَةِ: الضَّحُوكُ وحمياطَا أو حمطايا وأحيد وبَارقْلِيط وفَارقْلِيط، وفَارْقِليطَا ومَاذمَاذ والمشفح والمنْحَمنا والمختار ورُوحُ الحقِّ، ومُقِيمُ السُّنَّة والمقدَّس وحِرْزُ الأُمِّيِّين. ومعْلُومٌ أنَّ أكْثَرَ الأسْمَاءِ المذْكُورَةِ صفاتٌ، وإطْلَاقُ الأَسْماءِ أيْ: الأَعْلام عليْهَا مَجَازٌ[3] وإنْ أُرِيدَ مقابِل الفِعْلِ والحَرْفِ.

وحَمْطَايَا بفَتْحِ الحاءِ وإسْكانِ الميمِ معْنَاهُ حَامِي الحرَمِ، وحَمْيَاطَا معْنَاهُ يحْمِي الحَرَمَ مِنْ الحرَامِ، ويُوطِئُ الحَلَالَ[4].

---

(1) دلائل النبوة، البيهقي، 380/1.

(2) الشفا، القاضِي عياض، ص261.

(3) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 206/1.

(4) (م، س)، 206/1، والمواهب اللدنية، القسطَلاني، 53/2.

وأحيد بضمٍّ ففتحٍ فإسكانٍ أو بِفَتْحِ الهمزةِ وكسرِ الحاءِ وفتحِ الياءِ، وهو المشهُورُ أو بفتحِ الهمزةِ وكسرِ الحاءِ وإسْكانِ الياءِ. قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((**اسْمِي فِي القُرْآنِ محمدٌ وَفِي الإِنْجِيلِ أَحْمَد، وفِي التَّوْرَاةِ أُحَيْد، وَإِنَّمَا سُمِّيتُ أُحَيْدُ لِأَنِّي أُحِيدَ عَنْ أُمَّتِي نَارَ جَهَنَّمَ**))[1][2].

وأمَّا بَارقِليط وفَارقِليط بالبَاءِ أو بالفَاءِ أو بِحَرْفٍ بيْنَهُما وفَتْحِ الرَّاءِ والقَافِ أو بسُكونِ الرَّاءِ معَ فَتْحِ القَافِ، وبِكَسْر الرَّاءِ أو بِكَسْرِ الرَّاءِ وإسْكَانِ القَافِ، فوقَعَ في إنْجِيلِ يُوحَنَّا ومعْنَاهُ رُوحُ الحَقِّ. وقال ثعْلب: معناهُ الذي يُفَرِّق بيْنَ الحقِّ والباطِلِ[3].

وإنَّما قُلْنَا في إنْجيلِ يُوحَنَّا؛ لِأَنَّ عِيسَى لمْ تَظْهَر دَعْوَتُهُ في عَصْرِهِ وإنَّمَا أُخِذَ الإنجيلُ عَنْ أربعةٍ مِنَ الحَوَارِيّين: متَّى ويُوحَنَّا ومرْقُس ولوقا، تَكَلَّم كلُّ وَاحِدٍ مِنْ هؤلاءِ بعبَارةٍ عبَّرَهَا لِلْأُمَّة الذِين تابَعُوهُ دَعَاهَا بِلُغَتِهم نجّلها أيْ: ولَّدَها مِمَّا سَمِعَ مِنَ المسِيحِ عليه السلام، ولذلك اخْتَلَفَتْ الأنَاجِيلُ الأرْبَعَةُ اخْتِلافًا شدِيدًا[4].

وماذماذ بإعجَامِ الدَّاليْنِ، معناهُ طيّبٌ طيّب، وهو طيّبُ الفِعْلِ [83ظ] والقولِ والاعْتِقَادِ، أو طيّبُ الرَّائِحَة وكان يُؤْخَذُ مِنْ عَرَقِهِ ليُتَطَيَّبَ بهِ. وقِيلَ: بِضَمّ الميمِ وإشْمَامِ[5] الهمزَةِ ضمَّةً بيْنَ الوَاوِ والألفِ ممدُودًا، قالهُ رجلٌ مِمَّن أسْلَمَ مِنْ بنِي إسرائيلَ، وقال معناهُ طيّبٌ طيّبٌ[6].

والمُشَفَّحُ بضَمّ الميم وفَتْحِ الشِّينِ والفاءِ المُشَدَّدةِ، ورُوِيَ بالقَافِ بَدَلَ الفاءِ مِنَ الشَّفْحِ، والشَّفْحُ بمعنَى الحَمْد في السُّرْيَانِيَّةِ[7].

والمُنْحَمِنَّا بضمّ الميمِ وإسْكَانِ النُّونِ وفَتْح الحَاء وكَسْرِ الميمِ الثَّانية وشَدِّ النُّونِ الثَّانِيَةِ أَوْ بفَتْحِ المِيمَيْنِ مُحَمَّدٌ بالسُّرْيَانِيَّة[8].

وَعنْ كَعْبِ الأَحْبَار رَحِمَهُ الله: اسْمُ النَّبيءِ ﷺ في التّوراة: موذموذ، وفي الإنجيل: طَاب طَاب، وفي الصُّحُفِ: عَاقِبٌ، وفي الزَّبُورِ: فَارُوقٌ[9]. وإنَّما أَذكُرُ هُنَا ما في الكُتُبِ الأُولَى مِنْ أسْمَائِهِ.

ومِنْ أَدِلَّة نُبوءَتِهِ ﷺ قوْلُهُ: ((**إنّي فِي كُتُبِكُمْ نَبِيءٌ**))[10] فإنَّ هَذَا مِمَّا يزِيدُهُمْ بُعْدًا عَن الإيمانِ

---

(1) نقله صاحب تاريخ الخمِيس والمواهب اللدنية عن النووي في تهذيب الأسماء واللغاتِ، 22/1، والحدِيث في تاريخ دمشق، ابن عساكِر، 32/3، ذكره الألباني في السلسلة الموضوعة.

(2) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 206/1، والمواهب اللدنية، القسطَلاني، 54/2.

(3) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 206/1، والمواهب اللدنية، القسطَلاني، 53/2.

(4) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 206/1

(5) في الأصل: إسمام، والتصحيح من المواهب وتاريخ الخمِيس.

(6) (م، س)، 206/1، والمواهب اللدنية، القسطلاني، 38/2.

(7) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 206/1، والمواهب اللدنية، القسطلاني، 54/2.

(8) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 206/1، والمواهب اللدنية، القسطلاني، 54/2.

(9) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 207/1، المواهب اللدنية، القسطلاني، 56/2.

(10) لم أقف عليه بلفظه.

بهِ، لَوْ لَمْ يَكُنْ الأمرُ كَمَا قالَ.

وقال اللهُ ﷻ: ﴿ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ ﴾[1] إلخ وبَعْضُهُمْ لَمْ يُسْلِمْ لَمَّا كان مِنَ العَرَبِ، لا مِنْ بني إِسْرائيلَ، وبعضهُمْ أسْلَمَ كعبْدِ الله بنِ سَلَّام ومُخيْرق وتميم الدَّاري فإنَّهُ مِنَ اليهودِ، وأسلمَ كعبُ الأحبارِ بَعْدُ في خلافَةِ عمرَ رضيَ الله عنهُمَا.

قال محمَّدُ بنُ حمزةَ بنِ عبْدِ الله بنِ سلَّام عَنْ جدِّهِ عبدِ الله بنِ سلَّام: ((إنَّهُ لَمَّا سَمِعَ بِمَخْرَجِ النَّبيءِ ﷺ بِمكَّةَ خَرَجَ فلَقِيَهُ النَّبيءُ ﷺ فقَالَ لَهُ: أنْتَ عبدُ الله بن سَلَّام عالِمُ أَهْلِ يثْرِبَ؟ قال: نعم، قال: نَاشَدْتُكَ اللهَ، الذي أَنْزَلَ التَّوراةَ، هَلْ تجدُ صِفَتِي في كِتَابِ اللهِ؟ قالَ: أُنْسُبْ رَبَّك يا مُحَمَّد، فارْتَجَّ النَّبِيءُ ﷺ، فقالَ لَهُ جِبْرِيلُ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾[2] فقال له ابنُ سَلَّام: أشْهَدُ أنَّكَ رسُول اللهِ وأنَّ اللهَ مُظْهِرُك ومُظهِرُ دينِكَ على الأَدْيانِ، وإنِّي لَأَجِدُ صِفَتَكَ في كِتابِ الله: يأيُّها النَّبيءُ إنَّا أرسلْنَاكَ شَاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، أنتَ عبدِي ورَسُولي))[3] إلى آخِرِ مَا مرَّ.

وقوله: "ليسَ بفَظٍّ ولَا غَلِيظٍ" مُوافِقٌ لقوله﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾[4] إلخ.

وأمَّا قولُهُ:﴿ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾[5] فمَحْمُولٌ على معالجةِ طَبْعِهِ الكَرِيمِ بأنْ يُغْلِظَ على الكُفَّارِ.

قَالَتْ أمّ الدّرْداء امرأةُ أَبِي الدَّرْدَاء: قُلْتُ لِكعْب: كَيْفَ تَجِدُونَ صِفَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ؟ قَالَ: كُنَّا نَجِدُهُ: مَوْصُوفًا فِيهَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ، اسْمُهُ: المتَوَكِّلُ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ ولا صَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وأُعْطِيَ الْمَفَاتِيحَ لِيُبَصِّرَ بِهِ أَعْيُنًا عُورًا، وَيُسْمِعَ بِهِ [84و] آذَانًا صُمًّا، وَيُقِيمَ بِهِ أَلْسِنَةً مُعْوَجَّةً حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، يُعِينُ الْمَظْلُومَ وَيَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يُسْتَضْعَفَ[6].

وتَقدَّمَ قولُهُ: "تَجلَّى اللهُ مِنْ سِيناءَ وأَشْرَفَ مِنْ ساعير واستَعْلَنَ مِنْ [جَبَلِ فَارَانَ][7]". فَسِيناءُ: جَبَلٌ كلَّمَ اللهُ سبحَانَه موسَى عليه السلام فِيهِ. وسَاعِيرُ: بالرَّاءِ وقيلَ بالنُّونِ جَبلٌ كلَّم اللهُ ﷻ فيهِ عيسَى عليه السلام وظَهَرَتْ فيه نبُوءَتُهُ. وجِبَالُ فَارَانَ: جِبَالُ مكَّة وهي جبالُ بني هَاشِم التي كانَ رَسُولُ الله ﷺ يتَحَنَّثُ

(1) سورة الأعراف: 157.

(2) سورة الإخلاص: 1-4.

(3) تاريخ دمشق، ابن عساكِر، 387/3.

(4) سورة آل عمران: 159.

(5) سورة التوبة: 73.

(6) تاريخ دمشق، ابن عساكر، 395/3، ودلائِل النبوّة، البيْهقي، 377/1 مع تغيير.

(7) في المواهب: جبال.

في بعْضِهَا وهو أَحَدُ ثَلاثةٍ، أبي قبيس[1] والمُقَابِلِ لهُ وهو قُعَيْقِعان[2] إلى بَطْنِ الوادِي، وَجَبَلٍ شَرْقِيٍّ هُوَ شِعْبُ بَنِي هاشِم، وفِيهِ مَوْلِدُهُ ﷺ[3].

في قَوْلِهِ: "ومَجِيءُ الله": مَجِيءُ وَحْيِهِ. وسَاعِيرُ: مِنْ أَرْضِ الخليل، ومِنْهَا قَرْيَةٌ تُسمَّى ناصِرة. ولا يُنكِرُ أَهْلُ الكِتَابِ أَنَّ فَارَانَ مَكَّةُ، فَفِي التَّورَاة: "إِنَّ اللهَ أَسْكَنَ هاجَر وإسماعيلَ فَارَانَ". واسْتَعْلَنَ: ظَهَرَ، ولا نَبِيءَ ظَهَر ظهُورَهُ ﷺ[4].

وقال اللهُ تعالى لمُوسَى عليه السلام: "واللهُ رَبُّك يُقِيمُ نَبِيًّا مِنْ إخوتِكَ، فاسْتَمِعْ لَهُ كَالذِي سأَلْتَ[5] رَبَّكَ في حُوربت[6] يومَ الاجْتِمَاعِ، حِينْ قُلتَ: لا أَعُودُ أسْمَع كَلَامَ رَبِّي لئَلَّا أَمُوتَ، فَقَالَ اللهُ: نعم مَا قَالُوا، وسَأقيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِثْلَكَ مِنْ إخْوَتِهِمْ، وأَجْعَلُ كَلَامِي فِي فِيهِ فَيَقُولُ لَهُمْ كُلَّ شيْءٍ آمُرُ بِهِ، وأيُّما رَجُلٍ لَمْ يُطِع مَنْ تَكَلَّمَ بِاسْمِي فإنّي أَنْتَقِمُ منهُ"[7].

قال بَعْضُ اليَهُودِ: هذا النَّبِيءُ يوشع، قُلْنَا: يُوشَعُ مِنْ بَنِي إسْرَائيلَ لَا مِنْ إخْوَتِهِمْ، وإنَّه ليسَ مِنْ فَارَانَ، وإنَّهُ خَادِمٌ لموسَى في حَياتِهِ ومُؤَكِّدٌ لدَعْوَتِهِ بَعدَهُ، بَلْ أُوحيَ إلَيْهِ آخرَ عُمُرِ مُوسَى عليهِمَا السَّلام. وإنَّ الذي جَعَلَ اللهُ كَلَامَهُ فِي فَمِهِ هُوَ نَبِيُّنَا ﷺ لأنَّهُ لَا يَقْرَأُ كِتَابَةً فَلَمْ يُنْزِلْ عَلَيْهِ صُحُفًا.

قال يُوحَنَّا في إنْجِيلِهِ عَن المسيح: "أَنَا أطلُبُ لَكُمْ مِنَ الأبِ أَنْ يُعْطِيَكُمْ فَارْقَلِيط آخَرَ يَثبُتُ معكُمْ إلى الأبَدِ، رُوحَ الحَقِّ الذِي لَنْ يُطِيقَ العَالَمُ أَنْ يَقْتُلُوهُ[8]"[9].

وفي لفْظٍ آخَرَ: "إِنْ أَجَبْتُمُونِي[10] فاحْفَظُوا وَصِيَّتِي وأَنَا أَطْلبُ إلى أَبِي فيُعطيكم فارقليط آخَر يكون معكُم الدَّهرَ كُلَّهُ"[11] ومَا هَذَا إلَّا صِفَة سيّدِنا محمَّدٍ ﷺ.

وفسَّرَ بعضُ النَّصَارَى فَارْقَلِيطَ بِالحامِدِ، وبعضٌ بالمُخلِّص بشدِّ اللَّامِ و [84ظ] لا شَكَّ أَنَّ لِسَيّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ تَخْلِيصِ الخَلْقِ مِنَ الكُفْرِ مَا ليْسَ لِغيْرِهِ، ولَفْظُ الحَامِدِ أَقْرَبُ إلى محمَّدٍ وأحَمْد، وَلا شَكَّ أَنَّ الفَارْقَلِيط الآخَرَ هُوَ سَيِّدُنَا مُحَمَّد ﷺ والمُتَقَدِّمُ عَلَيْهِ زَمَانًا هُوَ سيّدُنَا عيسَى عليه السلام.

---

(1) أبو قبيس: الْأَخْشَبَانِ: الجَبَلَانِ الْمُطِيفَانِ بِمَكَّةَ، وهُمَا أَبُو قُبَيْس والأَحْمَرُ، وَهُوَ جَبَلٌ مُشْرِفٌ وَجْهُهُ عَلَى قُعَيْقِعَان. النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، 32/2.

(2) قعيقعان: قِيلَ: سمِّي بِهِ، لأَنَّ جُرْهُماً لَمَّا تَحارَبُوا كثُرت قَعْقَعَةُ السِلاح هناك. النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، 88/4.

(3) نهاية الأرب، النويري، 76/16.

(4) نهاية الأرب، النويري، 76/16.

(5) في المواهب اللدنية ونهاية الأرب: سمعت.

(6) في المواهب اللدنية: حوريت.

(7) نهاية الأرب، النويري، 77/16.

(8) في هداية الحيارى: أن يقبلوهُ.

(9) هداية الحيارى، ابن القيم، ص129.

(10) في المواهب اللدنية: أحببتموني.

(11) المواهب اللدنية، القسطلاني، 181/3.

وفي الإنجِيلِ: "إنَّ هَذَا الكَلامَ الذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ هُوَ لِي، بَل الأَبُ الذِي أَرْسَلَنِي بِهَذَا الكَلَام لَكُمْ. وأَمَّا الفَارْقَلِيط رُوحُ القُدُسِ الذِي يُرْسِلُهُ أَبي باسْمِي فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شيْءٍ، وهُوَ يُذَكِّرُكُمْ كُلَّ مَا قُلْتُه لكُمْ"[1].

ومعنَى يُرْسلهُ بِاسمِي: يُرْسِلُهُ بِأَنَّ عِيسَى رَسُولُ الله صَادِقٌ. والأَبُ: عِنْدهُمْ اسمٌ لِمَنْ يُعظَّمُ. وقَدْ مرَّ عَنْ عيسَى أنَّ ذلك الرَّسُولَ يُمجِّدُنِي، ولا نعْلمُ أحَدًا مَجَّدَ عيسَى كتَمْجِيدِ سيِّدِنَا محمَّدٍ ﷺ لهُ بالرِّسالَة وتَبْرِئتِهِ، وتَبْرِئةِ أمِّهِ ممَّا نُسِبَ إليْهِمَا.

قال أبو محمّد الشُّقراطسي[2] مِنْ قصيدةٍ لهُ:

تَوْرَاةُ مُوسَـــى أَنَـتْ عَنْـهُ فَصَـــدَّقَهَـا ... إنْجِيـلُ عِيسَـــى بِحَقٍّ غَيْرِ مُفْتَعَـلِ
أَخْبَـارُ أَحْبَـارِ أَهْـلِ الْكُتْـبِ قَـدْ وَرَدَتْ ... عَمَّا رَأَوْا أَوْ رَوَوْا فِي الْأَعْصُـــرِ الأُوَلِ[3]

وقال ابن جابر[4]:

لِـمَبْـعَـثِـهِ فِـي كُـلِّ جِـيـلٍ عَـلَامَـةٌ ... عَلَى مَـا حَكَتْـهُ الْكُتْـبُ مِنْ أَمْرِهِ الْجَلِي
فَجَـاءَ بِـهِ إِنْجِيـلُ عِيسَـــى بِـآخِر ... كَمَا قَدْ مَضَـــتْ تَوْرَاةُ مُوسَـــى بِأَوَّلِ[5]

وفي زَبُورِ دَاودَ عليه السلام في مزمُورِ أَرْبَعةٍ وأربعينَ: "فاضَتِ النِّعْمَةُ مِنْ شفَتَيْكَ مِنْ أجْلِ هذا بَارَكَ اللهُ إِلَى الأبَدِ، تَقَلَّدْ أيُّها الجبَّارُ السَّيْفَ"[6] إلخ مَا مَرَّ.

قَالَ وَهْبُ بنُ مُنَبِّه: قَرأْتُ في بَعْضِ الكُتُبِ القَديمةِ قال اللهُ تعالى: "وَعِزَّتِي وجَلَالِي لَأُنْزِلَنَّ علَى جِبَالِ العَرَبِ نُورًا يملَأُ ما بَيْنَ المشْرق والمغربِ ولَأُخْرِجَنَّ مِنْ وَلَدِ إسماعيلَ نَبيئًا عَرَبِيًّا أُمِّيًّا يُؤْمِنُ بِهِ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ ونَبَاتِ الأَرْضِ، كُلُّهُمْ يُومِنُ بِي رَبًّا وَبِهِ رَسُولًا ويَكْفُرُونَ بِمُلْكِ آبائِهِمْ ويَفِرُّونَ منهَا. قال موسَى: سُبْحَانَكَ وتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ لَقَدْ كَرَّمْتَ هَذَا النَّبيءَ وشَرَّفْتَهُ، قالَ الله: يَا مُوسَى إنِّي أَنْتَقِمُ مِنْ عدُوِّهِ في الدُّنيَا وَالآخرةِ، وأُظْهِرُ دَعوَتَهُ علَى كلِّ دَعْوَةٍ، وأُذِلُّ مَنْ خالَفَ شَرِيعتَهُ، بالعَدْلِ زَيَّنْتُهُ ولِلْقِسْطِ أَخْرَجْتُهُ، وعِزَّتِي لأَسْتَنْقِذَنَّ بِهِ أُمَمًا مِنَ النَّارِ، فَتَحْتُ الدُّنيَا بِإِبراهِيمَ وخَتَمْتُهَا بمُحَمَّدٍ، فمَنْ

(1) المواهب اللدنية، القسطلاني، 182/3.

(2) يحي بن علي بن زكريا: الشقراطسِي (شقراطس حصن بقرب قفصة بالجنوب التونسِي) ولد بقسطيلية وتعلم بالقيروان، وحج واستقر بتوزر ت:415هـ، من آثاره: أرجوزة في مناسك الحجّ، مجموعة الأسئلة الفقهية. تراجم المؤلفين التونسيين، 204/3، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 105/4.

(3) البيتان من البسِيط، المواهب اللدنية، القسطلاني، 184/3. وينظر القصيدة بتمامِها مقال: من أروع الشعر أنجم السياسية وقصائد أخرى، عبد الله كنون، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ع53، 92/1، صفر 1399 – يناير 1979م.

(4) محمد بن أحمد بن علي الهواري المغربِيّ الأندلسيّ، قدم دمشق وحلبَ وسمع بها، قرأ القرآن والنحو على ابن يعيش، والفقه على أبِي عبد الله الرندِي، ت:780هـ. الوافي، الصفدِي، 110/2، بغية الوعاة، السيوطِي، 34/1.

(5) البيتان من الطَّويل، المواهب اللدنية، القسطلاني، 184/3.

(6) المواهب اللدنية، القسطلاني، 185/3.

أَدْرَكَهُ ولَمْ يومِنْ بِهِ، ولم يَدْخُل في شَرِيعَتِهِ فَهُوَ مِن اللهِ بَرِيءٌ"[1] واللهُ المُسْتَعَانُ ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بالله العليّ العَظِيم.

[85و] وعَنْ كَعْبِ الأحْبَارِ: نَجِدُ مَكْتُوبًا، يَعْنِي في التَّوْرَاةِ "محمَّدٌ رسُولُ اللهِ عَبْدٌ مُخْتَارٌ، لَا فَظٌّ وَلَا غَلِيظٌ وَلَا صَخَّابٌ فِي الأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، أُمَّتُهُ الحمَّادُونَ يُكَبِّرُونَ اللهَ وَيَحْمَدُونَهُ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ، رُعَاةٌ لِلشَّمْسِ، يُصَلُّونَ الصَّلَاةَ إِذَا جَاءَ وَقْتُهَا يَأْتَزِرُونَ عَلَى أَنْصَافِهِمْ، ويَتَوَضَّؤُونَ عَلَى أَطْرَافِهِمْ، مُنَادِيهِمْ يُنَادِي فِي جَوِّ السَّمَاءِ، صَفُّهُمْ فِي القِتَالِ وَصَفُّهُمْ فِي الصَّلَاةِ سَوَاءٌ، لَهُمْ دَوِيٌّ فِي اللَّيْلِ، كَدَوِيِّ النَّحْلِ مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَمُهَاجرُهُ بِطابة، ومُلْكُهُ بِالشَّامِ"[2].

وفي بَعْضِ الكُتُبِ الأُولَى: "أُمَّةُ محمَّدٍ حُلَمَاءُ رُحَمَاءُ عُلَمَاءُ، كَأَنَّهُمْ فِي الفِقْهِ أَنْبِيَاءُ"[3].

وقال يَعقُوبُ[4] عليه السلام: "جاءَ اللهُ بالبَيَانِ مِنْ فَارَانَ، وامْتَلَأَت الفَلَوَاتُ[5] مِنْ تَسْبِيحِ أَحْمَدَ وَأُمَّتِهِ، يحْملُ حبه[6] فِي البَحْرِ كَمَا يحْملُ فِي البَرِّ، يَأْتِينَا بِكِتَابٍ جَدِيدٍ يُعرفُ"[7].

وقال موسَى لِبَنِي إسرائيل: "سَيَأْتِيكُمْ نَبِيءٌ مِنْ بَنِي إِخْوَتِكُمْ فَلَهُ صَدِّقُوا ومِنْهُ فَاسْمَعُوا"[8] يَعْنِي مِنْ أَعْمَامِكُمْ.

وفي السِّفْرِ الخَامِسِ مِنَ التَّوْرَاةِ السَّبْعِينِيَّةِ التِي اتَّفقَ سبْعُونَ مِنَ أَحْبَارِ اليَهُودِ عَلَى صِحَّتِهَا: "إِنِّي أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ بَنِي إِخْوَتِهِمْ"[9] إلخ مَا مَرَّ. وَفَسَّر بعضُهُم الفَارْقَلِيط بِالحكِيمِ الذِي يَعرِفُ السِّرَّ[10].

وقال يوحَنَّا أحَدُ الحواريّين وَهُوَ أَحَبُّ الخَلْقِ إِلَى عِيسَى: "أَخْبَرَنِي المَسِيحُ بِدِينِ محمَّدٍ العَرَبِيِّ وبشَّرنِي أَنَّهُ يكونُ بَعْدَهُ، فبشَّرتُ بِهِ الحَوَارِيِّينَ فآمَنُوا بِهِ"[11].

واعْلَمْ أَنَّهُ لم يُفْسَحْ لِعِيسَى عليه السلام أَنْ يَنْشُرَ ما أُنْزِلَ عَلَيْهِ وإِنَّمَا نَشَرَهُ عَنْهُ أَرْبَعَةٌ مِنَ الحَوَارِيِّينَ، يُوحَنَّا وَمَتَّى وَمردقوش.....[12]بَعْدَ رَفْعِهِ، فَلِكُلِّ وَاحِدٍ إِنْجِيلٌ يُنْسَبُ إِلَيْهِ، وكُلُّ وَاحِدٍ فِي غيْرِ مَا فِيهِ الآخَرُ،

---

(1) المواهب اللدنية، القسطلاني، 186/3.

(2) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 24/1، وورد في مصابِيح السنة للبغوِي مع اختلاف، ينظر: 42/4.

(3) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 24/1. وينظر: البحر المحيط، أبو حيان، 259/8.

(4) في الاحتجاج: حيقوق.

(5) في تاريخ الخميس والاحتجاج: السماوات.

(6) في الاحتجاج: خيله.

(7) الاحتجاج، الطبرسي، 180/2. وفي النّصِّ بتر، تمامه: يعرَفُ بعد خرابِ بيتِ المقدسِ.

(8) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 25/1.

(9) (م، س)، 25/1.

(10) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 423/8.

(11) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 26/1.

(12) ترك المؤلف فراغا، والفراغ للحوارِيِّ الرّابِع واسمه: لوقا.

فإمَّا أَنْ يَكُونَ مجمُوعُهُنَّ إِنْجِيلًا واحدًا روَى كُلُّ وَاحِدٍ مَا لَمْ يَرْوِ الآخَرُ، وَلَيْسَتْ مُتَنَاقِضَةً، وإِمَّا كَمَا قِيلَ اسْتَخْرَجَ كُلٌّ مِنْهُمْ مِنْ كَلَامِ عِيسَى مَا أَطَاقَ". وعَنْ دَاودَ عليه السلام: "اللَّهُمَّ ابْعَثْ مُقِيمَ السُّنَّةِ بَعْدَ الفَتْرَةِ"[1].

وفي مَزْمورٍ مِنْ مزَامِيرِ دَاوُدَ عليه السلام: "إِنَّ اللهَ أَظْهَرَ مِنْ صهيون إِكْلِيلًا مَحْمُودًا". وَصهْيُون: مَكَّةُ، والإِكْلِيلُ: مَثَلٌ للرِّيَاسَةِ[2].

وعنْ عبدِ الرَّحمَنِ بنِ زيْدٍ عَنْ آدَمَ عليه السلام: "إِنِّي لَسَيِّدُ البشَرِ يَوْمَ القيَامَةِ، إِلَّا رَجُلًا مِنْ ذُرِّيَتِي مِنَ الأَنْبِيَاءِ يُقَالُ لهُ أحْمَدُ، فُضِّلَ عَلَيَّ بِاثْنَتَيْنِ: كَانتْ زَوْجُهُ لهُ عونًا وكَانتْ عَلَيَّ زَوْجِي عَوْنًا وشَيْطَانُهُ أَسْلَمَ، وشَيْطَانِي كَفَرَ"[3].

قال أبيّ بن كعب: "لَمَّا عَزَمَ تبّع عَلَى أَنْ يَقْتُلَ كُلَّ يهودِيٍّ بِالمَدِينَةِ حتَّى تَكُونَ عَلَى دِينِ العَرَبِ، يعني عِبَادَة الأَصْنَامِ، قال شامول اليَهُودِيُّ وهُوَ يَوْمَئِذٍ أَعْلَمُهُمْ: أَيُّهَا [85ظ] المَلِكُ لا تَفْعَلْ فإِنَّ هذا البَلَدَ مُهَاجَرُ نَبِيءٍ مِنْ وَلَدِ إسمَاعِيلَ مَوْلِدُهُ بِمكَّةَ، واسْمُهُ أَحمَدُ وهَذِهِ دَارُ هِجْرَتِهِ ومَنْزِلُكَ الذِي أَنْتَ بِهِ يكُونُ فيهِ مِنَ القَتْلِ والجِرَاحِ أَمْرٌ كَثِيرٌ في أَصْحَابِهِ. قال تُبَّعٌ: فَمَنْ يُقَاتِلُهُ وهُوَ نَبِيءٌ كَمَا تَزْعَمُونَ؟ قال يَسِيرُ إِلَيْهِ قَومٌ فَيُقْتَلونُ هُنَا. قال: فَأَيْنَ يكون قَبْرُهُ؟ قال: بِهَذَا البَلَدِ، قَالَ: فَلِمَنْ تَكُونُ الدَّائِرَة؟ قَالَ: عَليهِ مَرَّةً وَلَهُ مَرَّةً، وَبِهَذَا المكَانِ الذِي أَنْتَ بِهِ غَلَبَتُهُ، يُقْتَلُ بِهِ أَصْحَابهُ ويَقْتُلُونَ في مَوَاطِنَ ثُمَّ تَكُونُ لَهُ العَاقِبَةُ فَيَظْهَرُ، فَلَا يُنَازِعُهُ أَحَدٌ. قال: فما صِفَتُهُ؟ قال: لَيْسَ بِالطَّوِيلِ ولا بالقَصِيرِ، في عيْنَيْهِ حُمْرَةٌ، يَرْكَبُ البَعِيرَ ويلبسُ الشَّمْلَةَ، سيْفُهُ علَى عَاتقِهِ لا يُبَالِي مَنْ لَاقَى لهُ أَخٌ وابنُ عَمٍّ أو عمٌّ حتَّى يَظْهَرَ أمرُهُ[4].

وكان أبو عمرو الرّاهب يُحِبُّ دينَ إِبْرَاهِيمَ، وذُكِرَ لَهُ كَاهِنٌ بِاليَمَنِ، قَالَ: فَتَوَجَّهْتُ إليهِ مُنْفَرِدًا، وسَرَيْتُ في ليْلَةٍ قَمْرَاءَ، فغَشِيَنِي النَّومُ فَمَا أفَقْتُ إِلَّا ورَاحِلَتِي تَعْسفُ بِي مَجْهَلًا حَزَنًا مُنْكَرًا فَرَاعَنِي ذَلكَ، فَأَوْجَسْتُ خَوْفًا وتَلَفَّتُّ فإِذَا نِيرَانٌ كالنُّجُومِ، فَنَحَوْتُهَا عَسْفًا وَخَبْطًا حتَّى دَنَوْتُ مِنْهَا، فإِذَا هِي مُتَقَارِبَةٌ قَدْ حَفَّ بها مُصْطَلُونَ لا يُشْبِهُونَ البَشَرَ، لهم لَغطٌ وَلَمْ أرَ بُيُوتًا ولا نَعَمًا، فَقَفَّ شَعْرِي وقَامَتْ رَاحِلَتِي فَتَفَاجَتْ ورَجِزَتْ، فَأَلْقَيْتُ نَفْسِي عَنْهَا وَانْعَطَفَتْ تِلْكَ الأَشْخَاصُ زُرَ[ا]فَاتٍ نَحْو[ي] فَصَرَخْتُ بِأَنْدَى صَوْتِي: أَنَا عَائِذٌ بِزَعِيمِ هَذِهِ الزُّرَافَاتِ فَأَتَانِي أَرْبَعَةٌ مِنْهُمْ فَحَيّونِي، وَجَلَسُوا إِليَّ فإِذا صُوَرٌ مُشَوَّهَةٌ وَمَنَاظِرُ فَظِيعَةٌ، فقالَ لِي أَحَدُهُمْ: مِمَّن الْإِنْسِيّ؟ فقُلْتُ: مِنْ غَسَّانَ مِنْ بَنِي قَيْلَةَ، قال: أَيْنَ نَوَيْتَ؟ قلْتُ: أَلَسْتُ

(1) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 26/1.
(2) (م، س)، 26/1.
(3) (م، س)، 26/1.
(4) (م، س)، 27/1.

فِي ذمَّةِ جوَارٍ؟ قَالُوا: بَلَى، فَلَا بَأْسَ علَيْكَ. فأَخْبَرْتُهُمْ خَبَرِي مِنْ فَصِّهِ، ثُمَّ قلتُ: إنَّا مَعْشَرَ الإنسِ إنَّمَا نَعْتَمِدُ الكُهَّانَ لِمَا يَأْخُذُونُهُ عَنْكمْ مِنَ العِلمِ فَأَخْبِرُونِي بِطِلْبَتِي، فأشار ثَلَاثَةٌ مِنْهُمْ إلى الرَّابِعِ، وَقَالُوا: على الخَبِيرِ سَقَطْتَ فَخَصَّصْتُهُ بالمَسْأَلَةِ، فقَالَ: أبُو مَنْ أنْتَ؟ فقُلْتُ: أبُو عَمرو، قالَ: نَعَمْ يَا أَبَا عَمْرو ونَعَامَة عَيْن فَدُونَكَ عِلْمًا لَيْسَ بالهَيِّن: يا أبا عَامِرَ، أقسم بِنَا عش القَفْرِ الغَامِرِ بِالقَطْرِ الهَامِرِ، لَتَعْملنَّ العَنَاسِرُ الضَّوَامِرِ، إلَى أَكْرَمِ آمِرِ، يحشّ العَكْسَ المغَامر، ويَفحم عَنِ السَّمَرِ السَّامِرِ، يَا أَبَا عَامِرِ إنَّ اللهَ قَدْ أَسْفع هبَاع دغامر، ومُبَاع غَوَامر، وكَانَ قَدْ نَدَبَ هَاصِرٌ أَكَاسِر وقَيَاصِر وَزَافَى غَوَايَاتٍ أَعَاصِر. قال أَبُو عَامِرْ: فَقُلْتُ: أمَلِكٌ هَذَا المَنْدُوبُ؟ قَالَ: كلاَّ بَلْ نَبيءٌ شِرَافٌ كِرَامٌ وَافٍ مَوْطِأَ الأَكْنَافِ مِنْ بَنِي هَاشِمِ بنِ عَبدِ مَنَافٍ. فَقَالَ أبو عامر: أَرَاكَ تَنْسُبُهُ فَهَلْ تَصِفُهُ لِي؟ فَقَالَ: أَجَلْ إنَّهُ لَأَزْهَرُ وضَّاحٌ لَيْسَ [86و] بِالطَّوِيلِ المِلْوَاحِ ولاَ بِالقَصِيرِ الدَّحْدَاح، إذَا نَظَرَ رنَا أَوْ لَاحَ، وَإِذَا أُوذِيَ أَعْرَضَ وأَشَاحَ، فِي عَيْنِهِ نَجْلَةٌ وَلَا مُرَّةٌ وشَكْلَة غَيْرُ ممفرَة وَبَيْنَ كَتِفَيْهِ أَمْرُهُ، وَهُوَ أُمِّيٌّ لَا يَزْبرُ السّطْرَه، يَأْتِي بِالحَنِيفِيَّةِ المُيَسَّرَه فَيَسْعَدُ مَنْ قَافَ أثَرَهُ سَمِعَ أذنِي مِنَ المُجَنَّحَةِ المُسْفِرَةِ[1]. قال أبُو عامر: ثمَّ نهَضَ واسْتَتْبَعَ الثَّلاثَةَ فَتَبِعُوهُ، ولَزِمْتُ مَكَانِي سَائِرَ لَيْلَتِي فَلَمَّا أَصْبَحْتُ عُدْتُ لِطِيَّتِي. وَلَمَّا بَعَثَ اللهُ سيِّدَنا محمَّدًا ﷺ كَفَرَ بِهِ حَسَدًا، وخَذَلَ النَّاس عَنْهُ، وبنَى مسجد الضّرار، قال اللهُ تعالى﴿ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾[2] وهو أوَّلُ مَنْ أنْشَبَ الحَرْبَ يَومَ أُحُد، ودَعَا النَّبيءُ ﷺ أَنْ يُمِيتَهُ اللهُ طَرِيدًا وَحِيدًا فاسْتَجَابَ اللهُ دُعَاءَهُ، فَعَاوَدَ عِبَادَةَ الأَصْنَامِ، وأَقَامَ بِمَكَّةَ إلَى يَوْمِ الفَتْحِ فَفَرَّ وَلَحِقَ بِأَرْضِ الرُّومِ فَتَنَصَّرَ وَمَاتَ بِهَا طَرِيدًا وَحِيدًا نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ[3].

ورُوِيَ أنَّ مرْثد بن عبد كلال كَانَ مَلِكًا عَظِيمًا رَأَى فِي مَنَامِهِ رُؤْيَا أَخَافَتْهُ فِي حَالِ مَنَامِهِ، وَلَمَّا اسْتَيْقَظَ أُنْسِيَهَا، حَتَّى لَا يَتَذَكَّر مِنْهَا شَيْئًا وَبقِيَ اِرتعَادُهُ فِي قَلْبِهِ، واسْتَقَرَّ خَوفُهُ فِي نَفْسِهِ، فَانْقَلَبَ سُرُورُهُ حُزْنًا فَجَمَعَ الكُهَّانَ وَاسْتَخْبَرَهُمْ فَمَا أَخْبَرَهُ أَحَدٌ بِرُؤْيَاهُ وَلَا بِتَأْوِيلِهَا، إلَى أَنْ خَرَجَ يَوْمًا إلى الصَّيْدِ، فَأَوْغلَ في طَلَبِهِ وانفردَ عَنْ أَصْحَابِهِ، فَرُفِعَتْ لَهُ أَبْيَاتٌ في دَارِ أجبل، وَقَدْ لَفحَهُ الهَجِيرُ، فَعَدَلَ إلَى الأَبْيَاتِ، وَقَصَد بَيْتًا مِنْهَا مُنْفَرِدًا فَبَرَزَتْ إلَيْهِ مِنْهُ عَجُوزٌ فَقَالَتْ لَهُ: انْزِلْ بِالرَّحْبِ والسَّعَة والأَمْنِ والدَّعَة والجَفِينَة المُدَعْدَعَة والغَلَبَةِ المُتْرَعَة. فَنَزَلَ عَنْ جَوَادِهِ وَدَخَلَ البَيْتَ، فَلَمَّا احْتَجَبَ عَن الشَّمْسِ وَخفقَتْ عَلَيْهِ الأَرْوَاحُ نام فلمْ يَسْتَيْقِظْ حتَّى تَصَرَّمَ الهَجِيرُ، فَجَلَسَ يَمْسَحُ عَيْنَيْهِ، فإذا بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَاةٌ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا فِي الجَمَالِ، فَقَالَتْ لَهُ: أَيُّهَا المَلِكُ الهُمَامُ هَلْ لَكَ فِي الطَّعَامِ، فاشْتَدَّ إشْفَاقُهُ وخَافَ على نَفْسِهِ إذْ

(1) فِي تاريخ الخمِيس: من المحتحة السفره.

(2) سورة التوبة: 107.

(3) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 28/1.

عَرَفَتْهُ فَتَصَامَمَ عَنْ كَلِمَتِهَا، فَقَالَتْ لَهُ: لَا حَذَر فِدَاؤُكَ البَشَر فَجَدُّكَ الأَكْبَر وَحَظُّنَا بِكَ الأَوْفَر. ثُمَّ قَرَّبَتْ إِلَيْهِ ثَرِيدًا وَقَدِيدًا وَجيسًا[1] وَقَامَتْ تَدبُّ عنهُ حَتَّى انْتَهَى أَكْلهُ ثُمَّ سَقَتْهُ لَبَنًا صَرِيفًا وضَرِيفًا، فَشَرِبَ مَا شَاءَ وَجَعَلَ يَتَأَمَّلُها مُقْبِلَةً ومُدْبِرَةً فَمَلأَتْ عَيْنَهُ جَمَالًا، وَقَلْبَهُ هَوًى. فَقَالَ لَهَا: مَا اسْمُكِ يَا جَارِيَة؟ قالتْ: اسْمِي عفيراء، قَالَ لَهَا: يا عُفيراءَ مَن الذِي دَعَوْتِهِ المَلِكَ الهُمَامَ؟ قالَتْ: مَرْثَد عَظِيمُ الشَّأْنِ حَاشِرُ الكَوَاهِنِ والكُهَّان المُعْضِلَة يَعِدُ بِهَا الجَانّ. قال المَلِكُ: يا عُفيراء أَتَعْرِفِينَ مَا تِلْكَ المعْضِلَةُ؟ قالَتْ: أَجَلْ أَيُّهَا المَلِكُ الهُمَامُ، إِنَّهَا رُؤْيَا مَنَامٍ لَيْسَتْ بِأَضْغَاثِ أَحْلَامٍ، قَالت[2]: أَصَبْتِ [86ظ] يا عُفَيْرَاءُ فَمَا تِلْكَ الرُّؤْيَا؟ قَالَتْ: رَأَيْتَ أَعَاصِرَ رَوَابِع بَعْضُهَا لِبَعْضٍ تَابِع فِيهَا لَهَبٌ لَامِع وَلَهَا دُخَانٌ سَاطِع، يَقْفُوهَا نَهْرٌ مُتَدَافِع، وَسَمِعْتَ فِيمَا أَنْتَ سَامِع دُعَاءَ ذِي جَرسٍ صَادِع هَلُمُّوا إِلَى المَشَارِعِ رَوْيٍ جَارِعٍ وَعَذْقٍ كَارِعٍ. قَالَ المَلِكُ: أَجَل هَذِهِ رُؤْيَايَ هاتِ تَأْوِيلَهَا يَا عُفَيْرَاءَ. قالت: الأَعَاصِرُ الزَّوَابِعُ مُلُوكٌ تَبَابِع، وَالنَّهْرُ عِلْمٌ وَاسِعٌ، والدَّاعِي نَبِيءٌ شَافِعٌ، والجَارِعُ وَلِيٌّ تَابِعٌ وَالكَارِعُ عُدُوٌّ لَهُ مُنَازِعٌ. قال المَلِكُ: يا عفيراء أَسِلْمٌ هَذَا النَّبِيء أَمْ حَرْبٌ؟ قالت: أُقْسِمُ بِرَافِعِ السَّمَاء وَمُنْزِل المَاءِ مِنَ الغَمَاء إِنَّهُ لَمَطْلُ الدِّمَاء ومُنْطِقُ العَقَائِلِ نُطْقَ الإِمَاء. قال المَلِكُ: إلى مَاذَا يَدْعُو يا عفيراء؟ قالت: إلى صَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَصِلَةِ أَرْحَامٍ وَكَسْرِ أَصْنَامٍ وتَعْطِيلِ أَزْلَامٍ وَاجْتِنَابِ آثَامٍ. قال الملكُ: يا عُفَيْرَاءُ مَنْ قَوْمُهُ؟ قالت: مضر بن نزار وَلَهُمْ مِنْهُ نَقْع مُثَار يَنْجَلِي عَنْ ذَبْحٍ وَأَسَار. قال يا عفيراء: إِذَا ذَبَحَ قَوْمَهُ فَمَنْ أَعْضَادُهُ؟ قالت: أعضادُهُ غَطَارِيفُ يمَانُون طَائِرهُمْ بِهِ قَيِّمُونَ يَغْزُو بِهِمْ فَيَغْزُون، وَيَدْمَثُ بِهِم الحُزُونَ وإِلى نَصْرِهِ يَعْزُون[3].

قال لهيب بن مالك اللَّهبي: حَضَرْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فذكرت الكَهَانَة فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله نَحْنُ أَوَّلُ مَنْ عَرَفَ حِرَاسَةَ السَّمَاءِ وَزَجْرَ الشَّيَاطِينِ وَمَنْعَهُمْ مِنْ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ عِنْدَ قَذْفِ النُّجُومِ، وَذَلِكَ أَنَّا اجْتَمَعْنَا إِلَى كَاهِنٍ لَنَا يُقَالُ لَهُ خَطرُ بن مَالِكٍ أَتَى عَلَيْهِ مِئَة وَثَمَانُونَ سَنَةً وهُوَ أَعْلَمُ كُهَّانِنَا فَقُلْنَا لَهُ: يَا خَطرُ هَلْ عِنْدَكَ عِلْمٌ مِنْ هَذِهِ النُّجُومِ التِي يُرْمَى بِهَا، خِفْنَا عَاقِبَتَهَا؟ فقال: ايتُونِي بِسَحَرٍ أُخْبِرْكُمْ الخَبَرَ بخَيْرٍ أَمْ ضَرَر وَأَمْنٍ أَمْ حَذَر. فانْصَرَفْنَا وأَتَيْنَاهُ سَحَر فَإِذَا هو قائمٌ علَى قدَمَيْهِ شاخِصٌ إِلَى السَّمَاءِ بِعَيْنَيْهِ فَنَادَيْنَاهُ: يَا خَطْر، فَأَوْمَى إِلَيْنَا أن اسْكتُوا، وانْقَضَّ نجمٌ عظيمٌ مِنَ السَّمَاءِ فَصَرَخَ قَائِلًا: أَصَابَهُ أَصَابه، خَامَرَهُ عِقَابُه، عَاجَلَهُ عَذَابُه، أَحْرَقَهُ شِهَابُه زَايَلَهُ جَوَابُه، يَا وَيْلَهُ مَا حَالُه، بَلْبَلَهُ بَلْبَالُه، عَاوَدَهُ خَبَالُه، تَقَطَّعَتْ حِبَالُه، وَحُيِّرَتْ أَحْوَالُه، ثمَّ أَمْسَكَ طويلًا، ثمَّ قالَ: يا مَعْشَرَ بَنِي قَحْطَانْ، أُخْبِرُكُم بِالحَقِّ والبَيَان أَقْسَمْتُ بِالكَعْبَة والأَرْكَان، والبَلَدِ المُؤتَمَنِ السُّكَّان، قَدْ مُنِعَ السَّمْعَ عُتَاةُ الجَان، بثاقب بِكَفِّ ذِي سُلْطَان، مِنْ أَجْلِ مَبْعُوثٍ عَظِيمِ

(1) في تاريخ الخميس: وحيسا.

(2) صوابهُ: قال.

(3) تاريخ الخميس، الديار بكري، 29/1.

الشَّان، يُبْعَثُ بِالتَنْزِيلِ وَالقُرآن، وبِالهُدَى وفَاصِلِ القُرْآن، تَبْطُلُ بِهِ عِبَادَةُ الأَوْثَان.

فَقُلْنَا: أَمْرٌ عَجِيبٌ فَما ترَى لقومِكَ؟ قال: أرى لقوْمِي مَا أَرَى لِنَفْسِي، أَنْ يَتَّبِعُوا خَيْرَ نَبيء الإِنْس، بُرْهَانُهُ مثلُ شُعَاعِ الشَّمْس، يُبْعَثُ مِنْ مَكَّةَ دَارِ الحمْس، بِمُحْكَمِ التَّنْزِيلِ غَيْرِ اللّبْس.

فقلنا يا خطر مِمَّنْ هُوَ؟ فَقَالَ: والحَيَاةِ [و] العَيْشِ إِنَّهُ لَمِنْ قُرَيْشٍ مَا فِي حِلْمِهِ[1] طَيْش، وَلَا فِي خلقِهِ هَيْش، يَكُونُ فِي جَيْشٍ وَأَيِّ جَيْش، مِنْ آل قحطان وآل أَيش. فَقُلْتُ لَهُ: بَيِّنْ لَنَا مِنْ أيِّ قُرَيْش، قال والبَيْتِ ذي الدّعَائِم، والرُّكنِ والأحَاتِم، إنَّه لمِنْ نَجْلِ هَاشِم، مِنْ مَعْشَر أَكَارِم، يُبْعَثُ بِالمَلَاحِم، وقَتْلِ كلِّ ظالِم. ثمّ قال: هذا هو البَيَان، أَخْبَرَنِي بِهِ رئيسُ الجَانّ، ثم قال: اللهُ أَكْبَر جَاءَ الحقُّ وظَهَر، وانْقَطَعَ عَن الجِنِّ الخَبَر. ثمَّ سَكَتَ وأُغميَ عَلَيهِ ثَلَاثَ ليَالٍ، ثمَّ قَال: لا إله إلَّا اللهُ. قال رسُولُ اللهِ ﷺ: ((**سُبْحَانَ اللهِ لَقَدْ نَطَقَ عَنْ مِثْلِ نُبُوءَة، وإِنَّهُ لَيُبْعَثُ يوْمَ القِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ**))[2][3]. كذا رواهُ قَومُنَا واللهُ تعالَى أَعْلَمُ، ولَا حوْلَ ولَا قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

الفَصْلُ الثَّانِي: [ما بَشَّرَت الأَنْبِيَاءُ بِهِ]

قالَ اللهُ جَلَّ وعلَا: ﴿ **وَإِذَ**[87و] **اَخَذَ اَللَّهُ مِيثَٰقَ اَلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم** ﴾[4] وقالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: ((**أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَكَانَ آخِرُ مَنْ بَشَّرَ بِي عِيسَى بنُ مَرْيَمَ**))[5] رَوَاهُ عبادة بن الصّامت. ويُرْوَى: ((**أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبِشَارَةُ عِيسَى**))[6].

أَخْبَرَنَا اللهُ جَلَّ وَعَلَا أَنَّهُ أَخَذَ مِيثَاقَ كُلِّ نَبِيءٍ بَعَثَهُ مِنْ لَدُنْ آدَمَ عليه السلام إِلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ أَنْ يُصَدِّقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، قَالَهُ الحسَنُ وَطَاوُسُ وقَتَادَةُ[7]. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّهُ تَعَالَى أَخَذَ المِيثَاقَ مِنَ النَّبِيئِين وَأُمَمِهِمْ، واسْتَغْنَى بِذِكْرِهِمْ عَنْ ذِكْرِ الأُمَمِ.

وعَنْ عَلِيّ بنِ أَبِي طَالِب وابنِ عبَّاسٍ: مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الميثاقَ لئِنْ بَعَثْتُ مُحمَّدًا ﷺ وهُوَ حيٌّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرَنَّهُ[8].

وَمَا قَالَهُ قَتَادَةُ وَالحَسَنُ وطاووس لَا يُضَادُّ مَا قَالَهُ عَلِيٌّ وابنُ عَبَّاسٍ وَلَا يَنْفِيهِ بَلْ يقْتَضِيهِ. وقِيلَ: معْناهُ إنَّ الأنبِيَاءَ عليهِمُ السَّلامُ كانُوا يأْخُذونَ الميثَاقَ مِنْ أُممِهِم بِأَنَّهُ إِنْ بُعِثَ محمَّدٌ ﷺ آمنُوا بِهِ

(1) في عيون الأثر: حكمهِ. وهو الأنسب.

(2) لم أقف عليه في كتب الحدِيثِ.

(3) الخبر نقله من تاريخ الخميس، الديار بكرِي، 30/1. وينظر: عيون الأثر، 157/1، والإصابة، ابن حجر، 396/9، وأصل الخبرِ عن العقيلي.

(4) سورة آل عمران: 81.

(5) تاريخ دمشق، ابن عساكِر، 393/3.

(6) جامع البيان، الطبرِي، 82/3.

(7) تفسير القرآن العظيم، ابن كثِير، 100/3.

(8) تفسير القرآن العظيم، ابن كثِير، 100/3.

ونَصَروهُ، واحْتُجَّ لهُ بأَنَّ الذينَ أَخَذَ اللهُ الميثاقَ مِنهُم يَجِبُ عَلَيْهِم الإيمَانُ بِسيّدِنا محمَّدٍ ﷺ عندَ بعثِهِ، والأنبِيَاءُ عِنْدَ بَعثِهِ ﷺ مِنْ جُمْلَة الموتَى، والمَيّتُ لا يَكونُ مُكلَّفًا فتَعَيَّنَ أَنْ يَكُون الميثاقُ مأْخُوذًا على الأُمَمِ. ويُؤَكِّدُ هَذَا أنَّ اللهَ تَعَالى حَكَمَ عَلَى الذِينَ أَخَذَ عَلَيْهِم المِيثَاقَ أَنَّهُمْ لَوْ تَوَلّوا لَكَانُوا فَاسِقِينَ، وهذا الوَصْفُ لَا يَلِيقُ بالأنبيَاءِ بَلْ بِالأُمَمِ.

وَأُجِيبَ بأَنَّ المُرادَ مِنَ الآيَة أَنَّ الأَنْبِيَاءَ لَوْ كَانُوا في الحياةِ لوَجَبَ علَيْهِم الإيمانُ بمحمَّدٍ ﷺ كقَوْلِهِ تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[1] وقد عَلِمَ اللهُ أَنَّهُ لَا يُشْرِكُ. ولكِنْ خَرَجَ الكلامُ عَلى سبِيل الفَرْضِ والتَّقْرِيرِ، وقالَ عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿44﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿45﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿46﴾﴾[2] وقال في الملائكةِ: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾[3] معَ أَنَّهُ سُبحانهُ أَخْبَرَ عنهُم بأَنَّهُ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿27﴾﴾[4] فذلك فرضٌ وَتقديرٌ، فالمعنَى أَنَّهُ تَعَالَى أَوْجَبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يؤْمِنُوا بِهِ لو كَانُوا أحياءً عِنْدَ مبْعَثِهِ، وَأَنَّهُ لَوْ لم يُؤمِنوا وَقَدْ أدركَوهُ لكَفَرُوا، فلوْ كانُوا في زَمَانِهِ لَكَانُوا هُمْ وأُمَمُهُمْ مِنْ أمَّتِهِ فيجبُ عليْهِم الإيمانُ، بلْ هُمْ وأُممهُم مُطْلَقًا مِنْ أُمَّتِهِ، وأَنَّهُ يجبُ عَلَيْهِم وعَلى أُممِهِمْ أن يعلمُوا أَنَّهُ سيَجِيءُ وأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وأَنَّهُ مُقَدَّمٌ رتبَةً وَيَدلُّ لِذَلِكَ قوله ﷺ: ((**بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ**))[5] بَلْ يَحْتَمِلُهُ ويُنَاسِبُ ذلكَ احْتِمَالًا قولهُ ﷺ: ((**آدمُ ومَن دونَهُ تَحْتَ لِوَائِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**))[6].

فَالميثَاقُ في الآيَةِ كأَنَّها [87ظ] أَيْمَانُ البَيْعةِ التِي تُؤْخَذُ للخُلفاءِ، ولعلَّ أَيْمَانَ الخُلَفَاءِ أُخِذَتْ مِنْ هُنَا، إِلَّا أَنَّهُم يَجُورُونَ إِلَّا قَلِيلًا. وكَذَلِكَ يُنَاسِبُهُ صلاتُهُ بهِمْ ليْلَةَ الإسْرَاءِ فَهُوَ ﷺ نبيءُ الأَنْبِيَاءِ فرِسَالتُهُ إليْهِم حَقٌّ وَأَمْرُهُ مُتَوقِّفٌ عَلَى اجْتِمَاعِهِمْ مَعَهُ فتأَخَّرَ وُجُودُهُ.

وَأيْضًا إلياس والخضر، عَلَى خِلَافٍ في نبوءَتِهِ، حَيَّانِ في المشْهُورِ جَارِيَانِ عَلَى شَرِيعتِهِ. ويُنَزِّلُ الله عيسَى عليه السلام ويحكمُ بشَرِيعةِ سيّدِنَا محمَّدٍ ﷺ ولا يُخَالِفُهُ، ويَكُون هُوَ وَمَنْ آمَنَ بِهِ مِن اليَهودِ والنَّصارَى مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، إِلَّا أَنَّ لهُ فَضْلَ الرِّسالةِ عَلَى آحَادِ النَّاسِ غَيْرِ رسولِ الله ﷺ فإِنَّهُ أفضلُ الخلقِ.

ولا تظُنَّ أَنَّ عِيسَى عليه السلام يَنْحطُّ عن دَرَجَةِ الرِّسَالَة إِذَا أُنْزِلَ، بل رِسَالتُهُ ﷺ إلى الأنبيَاءِ وَأُمَمِهِمْ

---

(1) سورة الزمر: 65.

(2) سورة الحاقة: 46-45-44.

(3) سورة الأنبياء: 29.

(4) سورة الأنبياء: 27.

(5) صحيح البخاري، حديث (335).

(6) مسند أحمد، حديث (2546).

فِي زَمَانِهِمْ بِأَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ عَلَى حدِّ مَا مرَّ، وبما تَجيءُ بِهِ أُمَمُهُم وهم نُوّابُهُ وَكَأَنَّهُ جاء هو بِهِ، فالنَّاسُ في قوله ﷺ: ((**بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً**)) يَشْملُ آدمَ ومَنْ بَعْدَهُ. ويدلُّ لذلك أَيْضًا قولُهُ ﷺ: ((**كُنْتَ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالجَسَدِ**)) وقد خَلَقَهُ اللهُ نَبِيًّا ورسولًا قَبْلَ الأربعينَ، وذَلِكَ كما يُوَكِّلُ الأبُ الرَّجلَ على تَزْوِيجِ بِنْتِهِ إِذَا وَجَدَتْ كُفْؤًا، فَالتَّوكِيلُ صَحِيحٌ والرَّجُلُ أَهْلٌ للوَكَالَةِ والوَكالَةُ ثَابتةٌ، فالتَّعَلُّقُ بِحَسَبِ المحلِّ القَابلِ، وهو المَبْعُوثُ إِلَيْهِم وقبُولهمْ.

وَفَرْقٌ بَيْنَ تَوَقُّفِ الفِعْلِ على قبُولِ المَحَلِّ وتَوَقُّفِهِ على أَهليَّةِ الفَاعلِ، وَلَا تَوقُّفَ هنَا مِنْ جِهَةِ الفَاعِلِ ولا مِنْ جِهَةِ ذَات النَّبيءِ ﷺ، بل مِنْ جِهةِ وُجودِ العَصْرِ المُشْتَمِلِ عَلَيْهِ، فَلَوْ وُجِدُوا فِيهِ لكَانَتْ شَرِيعَتُهُ شَرِيعَةً لَهُمْ.

قال كَعْبُ الأحبارِ: أَنْزَلَ اللهُ تعالى علَى آدمَ عليه السلام عِصِيًّا بِعَدَدِ الأنبيَاءِ والمُرسلِينَ، ثُمَّ أَقْبَل على ابْنِهِ شِيتَ، فقال: أَيْ بُنيَّ أَنْتَ خَليفَتِي مِنْ بَعْدِي فَخُذْهَا بِعِمَارَةِ التَّقوَى والعُرْوَةِ الوُثْقَى، فكُلَّمَا ذَكَرْتَ اللهَ فَاذْكُرْ اسْمَ محمَّدٍ، فَإِنِّي رَأَيْتُ اسمهُ مَكْتُوبًا على ساقِ العَرْشِ وَأَنَا بَيْنَ الرُّوحِ والطِّينِ، وإِنِّي طُفْتُ السَّماوَاتِ فَلمْ أرَ في السَّماواتِ مَوضعًا إِلَّا رَأَيْتُ اسْمَ محمَّدٍ مكتُوبًا عَلَيْهِ، وإِنَّ رَبِّي أَسْكَنَنِي الجَنَّةَ، فَلَمْ أَرَ فِي الجنَّةِ قَصْرًا ولا غُرْفَةً إِلَّا اسمُ محمَّدٍ مكتوبٌ عليْهِ. ولَقَدْ رأَيْتُ اسْمَ مُحَمَّدٍ مَكْتُوبًا علَى نُحُورِ الحُورِ الْعِينِ وعلَى وَرَقِ قَصَبِ أجامِ الجنَّة وعلى وَرَقِ شَجَرَةِ طُوبَى، وعلَى وَرَقِ سِدْرَةِ المُنتَهَى وعلى أَطْرَافِ الحُجُبِ وبَيْنَ أَعْيُنِ الْمَلَائِكَة، فأَكْثِرْ ذِكْرَهُ فإِنَّ المَلائِكَة تُكْثِرُهُ في كلِّ سَاعَاتِها[1].

وَهُوَ مِن [88و] الإِسْرَائِيلِيَّاتِ، وحَكَمَ بَعْضُ الحُفَّاظِ بِوَضْعِهِ، وأُجِيبَ بأَنَّ الحُكمَ بوَضْعِ جُمْلَةِ أَلْفَاظِهِ لَا يَسْتَلزِمُ عَدَمَ ثُبُوتِ مَعَانيهَا؛ إِذْ يَجُوزُ ثُبُوتُ بَعْضِ مَعَانِي بَعْضِهَا في أَحَادِيثَ، فَنَظَرُوا إِلَيْها مِنْ حَيْثُ وُجُودُها فِي غَيْرِ حَدِيثِ كَعْبٍ.

واعتُرِضَ بأَنَّ هذا تجويزٌ عَقْلِيٌّ، لا يَلْتَفِتُ إليهِ المحدِّثونَ؛ إِذْ كَلَامُهُم إِنَّمَا هُوَ في الإِسْنَادِ الذِي هو المِرْقَاةُ. وثبوتُ معنى الموضوعِ في القرآنِ أو الأحاديثِ لا يُؤَيِّدُ الموضُوعَ فيُنْفى عَنْهُ الوَضعُ. ويُجَابُ بِأَنَّ المرَادَ إِثْبَاتُ مَعْنَاهُ وَلَوْ كَانَ مَوْضُوعًا لَا نَفْيُ اسْمِ الوَضْعِ عَنْهُ.

وَعَنْ عليِّ بنِ أبي طالب: مَا بَعَثَ اللهُ نَبيًّا إِلَّا أَخَذَ المِيثَاقَ عَلَيْهِ لئِن بَعَثَ محمَّدًا ليُومِنُنَّ بِهِ ويَأْخُذُ هُوَ الميثاقَ عَلَى أُمَّتِهِ بِذَلِكَ[2].

وكعبٌ المذكورُ هو كعبُ الأحْبارِ، كَعْبُ بنُ مَانِع الحِميري، كَانَ يَهُودِيًّا مِنْ أَحْبَارِ اليَمَنِ أَدْرَكَ النَّبيءَ ﷺ وَأَسْلَمَ. وقيلَ أَسْلَم فِي خِلافَةِ أبي بكرٍ، وقيل في خلافةِ عمر رضيَ اللهُ عنهُمْ، وَهُوَ الرَّاجِحُ، وَسَكَنَ الشَّامَ وماتَ في خِلَافَةِ عُثْمَانَ، ولهُ أكثر مِنْ مِئةِ سَنَةٍ.

---

(1) تاريخ دمشق، ابن عساكِر، 281/23، والدر المنثور، السيوطِي، 132/5.

(2) تفسير القرآن العظِيم، ابن كثِير، 100/3.

واعْتَرَضَ بعضٌ على مَنْ أَكْثَرَ النَّقْل عَنِ التَّوراةِ والإنْجِيلِ وغَيْرِهِمَا مِنَ الكُتُبِ المَنْسُوخَةِ؛ لأَنَّ الاشْتِغَالَ بِهَا يُنَافِي الغَرَضَ مِنْ نَسْخِهَا، وَقَدْ حَرَّم الفُقَهَاءُ قِرَاءَتها والنَّظرَ فيها لأَنَّهَا مُحَرَّفَةٌ مُبَدَّلَةٌ، واخْتَلفُوا هَل التَّحْرِيفُ بِالزِّيَادَةِ والنّقْصِ؟ قيلَ: بِهِمَا، وقيل: بِتَفْسِيرِهَا بِغَيْرِ المُرَادِ.

قُلْنَا: لا يَخْفَى جَوَازُ قِرَاءَتِها لِلْعَارفِ الفَاطِنِ لِمَعْرِفَةِ النَّبيءِ ﷺ فِيهَا، ولِإلْزَامِهِمْ بِمَا أَنْكَرُوهُ، وكَيْفَ يُحَرَّمُ ذَلِكَ وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى﴿ **قُلْ فَاتُوا۟ بِالتَّوْرَىٰةِ فَاتْلُوهَآ** ﴾[1] وفي الأحَادِيثِ النَّقْلُ عَنْهَا، نعم يُحْذَرُ الزَّلَلُ وَالإكْثَار الذِي يُؤَدِّي إِلَيْهِ.

وَيُرْوَى أَنَّهُ لَمَّا فَتَحَ المُسْلِمُونَ حلْوَانَ العِراقِ، والأَمِيرُ سعد بنُ أبي وقّاص خَرَجُوا وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، يُقَالُ لَهُ جعونَة بن نضْلة، فَمَرَّ بِشِعْبٍ وقَدْ حَضَرَت الصَّلَاةُ فَإِذَا هُوَ بماءٍ فَتَوَضَّأ، وَأَخَذَ بِعِنَانِ فَرَسِهِ، وَصَعِدَ عَلَى صَخْرةٍ فَقَالَ: الله أكبرُ الله أكبر، فَنَادَاهُ مُنَادٍ: كبَّرتَ كَبِيرًا، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إِلّا اللهُ، فَقَالَ: أَخْلَصْتَ، فَنَظَرَ إلى ذرْوَةِ الجَبَلِ ولَابَتِهِ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا فَفَزِعَ وقال: أَشْهَدُ أَنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ فَقَالَ: هُوَ رسُولُ اللهِ حقًّا. فَقَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ فَقَالَ: فَرِيضَةٌ وُضِعَتْ وَنَظَرَ إِلَى ذرْوَةِ الجَبَلِ وَلَابَتِهِ وَلَمْ يَرَ شَيْئًا. فَقَالَ: حَيَّ عَلى الفَلَاحِ. فَقَالَ: أَفْلَحَ مَنْ أَجَابَها وَاسْتَجَابَ لَهَا. فَنَادَاهُ جَعُونَةُ: مَنْ أَنْتَ؟ وَمَا أَنْتَ؟ فَأَشْرَفَ عَلَيْهِ رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الرَّأسِ واللِّحْيةِ مِنْ كَهْفٍ، فَقَالَ: مَا أَنْتَ إِنْسِيّ أَمْ جِنّي؟ قال: بَلْ إِنْسِيٌّ أَنَا زُرَيْبُ بنُ بَرْثَمْلا مِنْ حَوَارِيّي عِيسَى بنِ مَرْيَمَ عَلَى محمَّدٍ وعَلَيْهِ السَّلَامُ، أَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أنَّ [88ظ] مُحمَّدًا رَسُولُ اللهِ الذِي جَاءَ بِالحَقِّ مِنْ عِنْدِ الله، وَأَنّهُ الذِي بَشَّرَ بِهِ مُوسَى فِي التَّوْرَاةِ، وَعِيسَى فِي الإنْجِيلِ، وَلَقَد أَرَدْتُ الوُصُولَ إِلَيْهِ فَحَالَتْ بَيْنِي وبينهُ فَارِس، أَقْرِئُوا مِنّي صَاحِبَكُم السَّلَامَ. يَعْنِي عُمَرَ ﷺ، وَلَا يُحْتَمَلُ أَنَّهُ يَظُنُّ حَيَاةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَرَادَهُ بِالصَّاحِبِ؛ لأَنَّهُ لَوْ كانَ كذلكَ لمَضَى لِلِقَائِهِ. وأَخْبَرَ سَعْدًا وكَانَ أَمِيرَ العَسْكَرِ، فَكَتَبَ بِذَلك إِلَى عُمر، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمر بِالبَحْثِ عَنهُ وتوجيههِ إليهِ، فَطُلِبَ فِي كُلِّ شِعْبٍ فَلَم يوجَد[2]. وقيل: مَكَثُوا ينَادُونَ بِالصَّلَوَاتِ هُنَاك أَرْبَعِين يومًا ولم يَروا جَوَابًا.

ويُروَى أَنَّ إِبرَاهِيمَ عليه السلام كان يَرْتَادُ فِي جِبَالِ إِيلْيَا[3] لِمَاشِيتِهِ الكَلَأَ فَسَمِعَ صَوتًا فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ طُولُهُ ثمانيةَ عَشَرَ ذِراعًا بِذراعِ ذَلِك القرنِ، فَقَالَ لهُ إبراهيمُ عليه السلام: السَّلَامُ عليْكَ يَا عبدَ اللهِ، قال: وعَلَيْكَ السَّلامُ، قال إِبْرَاهِيمُ: مَنْ رَبُّك؟ قال: رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ، وَهُوَ رَبُّ مَنْ فِيهِمَا وَرَبُّ مَنْ تَحْتَهُمَا وخَالِقُ كلِّ شيْءٍ ومُصَوِّرهُ والقادرُ عليهِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا إِلَهَ إِلَّا هوَ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لهُ، واجْتَازَ

(1) سورة آل عمران: 93.

(2) اللآلئ المصنوعة، السيوطي، 179/1.

(3) في إثبات صفة العلو: جبل من جبال بيت المقدس.

مَعَهُ عَلَى الوَادِي إلى مَغَارَتِهِ مَاشِيَيْن عَلَى المَاءِ، وَقِبْلَتُهُ فيها قِبْلَةُ إبرَاهيم، فقَالَ لهُ إبراهيمُ: يا عَبْدَ الله أيّ الأيَّامِ أَشَدُّ هَوْلًا وَأَعْظَمُ؟ قال: يَوْمَ يَضَعُ اللهُ كرسيَّهُ لِلْحِسَابِ وَيَأمرُ بجهنَّمَ فَتَزْفُرُ زَفْرَةً فَلَا يَبْقَى مَلَكٌ مقَرَّبٌ ولا نبيءٌ مُرْسَلٌ إلَّا خَرَّ لِوَجْهِهِ صَعِقًا تهمُّهُ نفسُهُ غير النَّبيءِ العَرَبيّ صَاحِبِ الرِّدَاءِ والإزارِ وَالسَّيْفِ والسَّوط والعَصَا والحِمَارِ والفَرَسِ، فَقَالَ لَهُ إبراهيمُ: مَنْ تَعْنِي؟ فَقَالَ: أعنِي نبيًّا بَيْنَكَ وبَيْنَهُ زَمَانٌ بَعِيدٌ، ذَلِكَ خَيْرُ الأنبيَاءِ والرُّسُل خَاتِمُهُم، اسمُهُ أَحْمَد و محَمَّد ومَحْمُود وفَارْقَلِيط، يُفَرِّقُ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ وأَمِينٌ وَصَادِقٌ، لَهُ أَسْماءٌ كَثِيرَةٌ لَا يَضْرِبُ بِسَيْفِهِ وَلَا سَوطِهِ وَلَا عَصَاهُ إلَّا فِي سَبِيلِ اللهِ، يُظهِرُ التَّوْحِيد فِي الأرضِ ويَكْثرُ فِي زَمَانِهِ وَيَفْشُو، أُمَّتُهُ الحَمَّادُونَ وَأُمَّتُهُ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ، قَالَ إبْرَاهِيم: فَهَلْ لَكَ يَا عَبْدَ اللهِ أَنْ تَدْعُوَ اللهَ لِي وَلَكَ، لَعَلَّ اللهَ يُنْجِينَا مِنْ هَوْلِ يَوْمِ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ الرَّجلُ: وَمَا تَصْنَعُ بِدُعَاءٍ وَلِي فِي السَّمَاءِ دَعْوَةٌ مَحْبُوسَةٌ مُنْذُ زَمَانٍ؟

قال إبراهيم: أفلا أخبرك مَا حَبَسَ دَعْوَتَكَ في السَّماءِ؟ قال الرَّجُلُ: بَلَى فَأَخْبِرْنِي، فَقَالَ لَهُ إبراهيم عليه السلام : فإنَّ الله تعالَى إذَا أَحبَّ عَبْدًا حَبَسَ حَاجَتَهُ مَعَ دَعْوَتِهِ [89و] لحُبِّهِ لَهُ وَلِصَوْتِهِ ودُعائِهِ، ثمَّ يَجْعل لهُ كُلَّ مَسْألة سَأَلَهَا دُخْرًا لَا يَخْطُرُ الدُّخْرُ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ وَيغْفِرُ لَهُ مِنَ الذُّنُوبِ بِقَدْرِ دُعَائِهِ أَوْ يَدْفَعُ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثلَ دُعَائِهِ وَرُبَّمَا عَجَّل لِلْمُؤْمِنِ مِنْ بَعْضِ حَاجَتِهِ لئلَّا يَقْنط. فَقَالَ لَهُ: أَخْبرني ما دَعْوتُكَ المَحْبُوسَة؟ قَالَ: مرَّ هُنَا شَابٌّ لم أرَ أَحْسَنَ مِنْهُ ولا أَبْهى[1] شَبِيهٌ بِكَ، مَعَهُ[2] غَنَمٌ يَرْعَاهَا كَأَنَّما حُشِيَتْ شَحْمًا، وَبَقَرٌ كَأَنَّمَا دُهِنَتْ بِالدُّهْنِ، فقلتُ: يا عبدَ الله لِمَنْ هَذَا الغَنَمُ والبَقَرُ؟ فَقالَ: لِإبراهيمَ خَلِيل الرَّحمَنِ عز وجل، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ إنْ كَانَ لَكَ فِي الأَرْضِ خليلٌ فَأَرِنيهِ قَبْلَ خُرُوجِي مِنَ الدُّنْيَا، فَقَالَ لَهُ إبْرَاهِيمُ عليه السلام: يا عبد الله قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكَ أَنَا إبْرَاهِيم خَلِيل الرَّحمن فَعَانقهُ الرَّجلُ[3]. فإبراهيم أَوَّلُ مَنْ عانَقَ واللهُ أَعْلَمُ.

ويُروَى أنَّ بخت نصر[4] سَأَلَ دانيال عليه السلام عَنْ رُؤيَا وطَلَبَهُ أَنْ يُخْبِرَهُ بها وَبِتَأْوِيلها، فَقَال دانيال عليه السلام: أيُّها المَلِكُ رَأَيْتَ صَنَمًا بَارِعَ الجَمَالِ أَعْلَاهُ مِنْ ذَهَبٍ وَوَسَطُهُ مِنْ فِضَّة وأَسْفَلُهُ مِنْ نُحاسٍ وسَاقَاه مِنْ حديد وقدماه[5] مِنْ فَخَّارٍ، فَبَيْنَمَا أَنْتَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ وَقَدْ أَعْجَبَكَ إِذْ ذَقَّهُ اللهُ بِحَجَرٍ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى رَأْسِهِ فَطَحَنَهُ، حَتَّى خَلَطَ ذَهَبَهُ وَفِضَّتَهُ وَنُحَاسَهُ وَحَدِيدَهُ وفَخَّارَهُ، ثمَّ إنَّ الحَجَرَ رَبَا وَعَظُمَ حَتَّى مَلَأَ الأَرْضَ كُلَّها. فَقَالَ بَخت نصر: صَدَقْتَ فَأَخْبِرْنِي بِتَأْوِيلِهَا. فَقَالَ دَانْيَالُ عليه السلام: الصَّنَمُ أُمَمٌ

(1) في الأصل: أبها.

(2) في الأصل: معها.

(3) إثبات صفة العلو، ابن قدامة، ص140.

(4) في الإعلام بما في دين النصارى: نبوخذ ناصر، وهو تصحيح من محقق الكتاب فقد قال في الهامش: في المخطوطة: بخت نصر. ص227.

(5) عليها علامة تصحيح، وفي الهامش: ورجلاهُ، كما في الإعلام بما في دين النصارى.

مُخْتَلِفَةٌ والرَّأْسُ أَنْتَ، والفِضَّةُ ابْنُكَ بَعْدَكَ، وَالنُّحَاسُ الرُّومُ، والحَدِيدُ الفُرْسُ، والفَخَّارُ أُمَّتَانِ ضَعِيفَتَانِ تَمْلِكُهُمَا امْرَأَتَانِ بِالشَّامِ وَاليَمَنِ، وَالحَجَرُ دِينُ نَبِيءٍ وملك أَبَدِيّ، يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَغْلبُ الأُمَمَ كُلَّها، ثُمَّ يَعْظُمُ حَتَّى يَمْلَأَ الأَرضَ كُلَّهَا كَمَا مَلَأَهَا ذَلِكَ الحَجَرُ[1]. ولا حَوْلَ ولَا قُوَّة إلَّا باللهِ العليّ العَظِيمِ.

50 وَمَنْ أَكَّدَ المِيزَانَ أَكَّدَ مَوثِقًا بِهَدْيِكَ أَنْ يُلْقَى إِلَى أَهْلِ مِيزَانِ

والذِي أَكَّدَ العَدْلَ مُطلَقًا، أو الوَفَاءَ في الوزْنِ مِن كُلِّ مَنْ يَزِنُ مِن مالِهِ للنَّاسِ أَكَّدَ وُثُوقًا بِهَدْيِكَ بأنْ يُلْقَى إِلَى أَهْلِ العَقْلِ.

فـ"مَن": مُبْتدَأ خبَرُهُ "أَكَّدَ مَوْثِقًا" إلخ، أوْ يكُون[2] أَنْ يكونَ الواوُ للْقَسمِ لِمَا قَبْلَهُ مِنْ تبْشِيرِ الرُّسُل.

وعِنْدِي فِي مِثْلِ أن[3] لَا جَوَابَ للْقَسَمِ مُقَدَّرٌ، بلْ قَدْ يُغنِي عَنْ جوَابِهِ مَا قَبْلَهُ وكذَا فِي الشَّرْطِ، وذَلِكَ أَنَّكَ إذَا قُلْتَ: زَيْدٌ قَائِمٌ واللهِ، أو زَيْدٌ قائِمٌ إنْ قُمْتَ، لا تُرِيدُ زَيْدٌ قائِمٌ واللهِ زَيْدٌ قَائِمٌ، ولَا تُرِيدُ زَيْدٌ قَائِمٌ إنْ قُمْتَ فَزَيْدٌ قَائِمٌ. فكَيْفَ يُقَدَّرُ مَا لَا يَقْصِدُهُ الْمُتَكَلِّمُ. وعلَى الْقَسَمِ يكُون "أَكَّدَ مَوْثِقًا" بَدَلًا مِنْ قَوْلِهِ: "أَكَّدَ الميزانَ".

[89ظ] ومَوْثِقًا بفَتْحِ المِيمِ: مصْدَرٌ ميمِيٌّ بِمَعْنَى الْوُثُوقُ والتَّمَسُّك.

و"بِهَدْيِكَ": مُتَعَلِّقٌ بِـ"مَوْثِقًا". وهَدْيُهُ: أفْعَالُهُ وأقْوَالُهُ. و"أَنْ يُهْدَى"[4] بَدَلٌ منْ قَوْلِهِ: "هَدْيكَ" أَوْ مِنْ قَوْلِكَ: "بهديك" إنْ قُدِّرَ البَاءُ فِي "أَنْ يُهْدَى" والأَصلُ عَدَمُ الحذْفِ.

والميزَانُ عَقْدٌ، والْمُؤَكِّدُ للْمِيزَانِ هو اللهُ جَلَّ وعَلَا، والْمهْدِيّ إلَى أَهْلِ ميزَان النَّبِيءُ ﷺ. أَيْ: فَرَضَ اللهُ وأَكَّد علَى نَبِيئِهِ ﷺ أَنْ يَهْدِي هَدْيَهُ إلَى أَصْحَاب العُقُولِ، وكَذَا فَرَضَ علَى أُمَّتِهِ أنْ يَهْدِيَهُ بَعْضٌ إلَى بَعْضٍ، وإنَّمَا عَمَّ الكلَامُ ذلِكَ لِبِنَاءِ "يُهْدَى" للْمَفْعُولِ.

وكُلُّ آيَةٍ أَمَرَنَا اللهُ فيهَا بِإيفاءِ الْمِيزَانِ أَوِ الْكَيْلِ، أَوْ ذكَرَ فيهَا وَعِيدَ مَنْ لَا يُوَفِّي فَقَدْ أَكَّدَ فيهَا الْمِيزَانَ. بَل الْعَدْلُ يَعُمُّ الإِيفَاءَ بالوَزْنِ فِي الْمَعْنَى، وإذَا أَمرنَا بِالإِيفَاءِ في الْوزْنِ فأَوْلَى في الْكَيْلِ، وذَلِكَ كقوْلِهِ تَعَالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾[5] إلخ وقوله: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾[6] إلخ وقَولِهِ

(1) الإعلام بما في دين النصارى، شمس الدين القرطبي، ص277.

(2) لعله يقصِد: يمكنُ.

(3) لم أفهم موقع "أن" في السِّياقِ. أو أن في الجملة سقط ونقول: في مثل هذا أن لا جوابَ.

(4) في البيت: "أن يُلقَى" ويبدو أنَّ الشَّارِح استبدلهُ بمعناهُ.

(5) سورة المطففين: 1.

(6) سورة الأنعام: 152.

وجَلَّ: ﴿ وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ ﴾[1] إلخ، وقولِهِ عَزَّ وعَلَا: ﴿فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ ۖ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ﴾[3] وقوله جلَّ جلالُهُ: ﴿ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ﴾[4] وقوله تبارك وتعالى: ﴿ أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ۖ ۝١٨١ ﴾[5] إلخ، ونحوِ ذلك.

وإِنَّمَا ذَكَرْتُ آيَاتٍ، ولَوْ كانَتْ فِي غَيْرِ هَذِهِ الآية[6]، والمذْهَبُ أنَّ شَرْعَ مَنْ قبْلَنَا لَيْسَ شرْعًا لَنَا؛ لِأَنَّ الْوَفَاءَ فِي الْكَيْلِ والْوَزْنِ مِمَّا لَا يدْخُلهُ نَسْخٌ. والْمُرَادُ: ومَنْ أَكَّدَ وفَاءَ الْمِيزانِ.

وهَدْيُهُ ﷺ الْخُلُقُ الْعَظِيم المذْكُورُ فِي قوْلِهِ تعَالَى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۖ ۝٤ ﴾[7] . ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَظِيمِ.

51 وَزَارَ سُلَيْمَانُ بنُ دَاوُدَ طَيْبَةً وَبِالْهِجْرَةِ الْغَرَّاءِ بُشْرَى سُلَيْمَان

زارَ سلَيْمَانُ بنُ داوُد الْمَدِينَةَ، مِنْ أجْلِ أَنَّها مُهَاجَرُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ والْمُهَاجِرِين[8]، ومَحَلُّ الأَنْصَارِ المبْتَدِئِينَ فِي فَتْحِ البِلَادِ إِلَى الْإِسْلَامِ.

و"بُشْرَى سُلَيْمَانَ" حَاصِلَةٌ بِهِجْرَةِ سيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، بَشَّرَهُ اللهُ بهَا، وبَشَّرَ بهَا قَوْمَهُ، حَمَلَتْهُ وقومَهُ الرِّيحُ مِنَ الشَّام إِلَى الْمَدِينَةِ قَصْدًا مِنْهُ لِزِيَارةِ المدِينَةِ، أَوْ مَضَى إِلَى جِهةِ الْيَمَنِ ولَمَّا قارَبَ الْمَدِينةَ قَصَدَهَا للزِّيَارَةِ، وأَوْحَى اللهُ إليهِ أَنَّها مُهَاجَرُ النَّبِيء العَرَبِيّ القَائِمِ بدِينِ اللهِ قِيَامًا مَا قَامَهُ مِثْلُهُ هو وأُمَّتُهُ، ونَزَلَ بهَا وصَلَّى.

ثمَّ إِنَّهُ إِنْ حَمَلْنَا الْبُشرَى فِي الْبَيْتِ علَى تبْشِيرِ اللهِ وجَلَّ سليمَانَ وتَبْشِيرِ سلَيْمَانَ قَوْمَهُ صَحَّ، ولَمْ يكُنْ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ الحَقِيقَةِ والمَجَازِ ولَا مِنْ عُمُوم الْمَجَازِ، ولَا مِن اسْتِعْمَالِ الكَلِمَةِ فِي معْنَيَيْهَا، ولَا مِنْ إضافَةِ اسمِ الْمَصْدَرِ إِلَى مفْعُولِهِ، بأَنْ يكُونَ الْمُرادُ تَبْشِيرُ اللهِ وجَلَّ سلَيْمَانَ عليه السلام، ولَا إلى فَاعِلِهِ بأَنْ يكُونَ الْمَعْنَى تَبْشِيرُ سلَيْمَانَ قَوْمَهُ، بل المُرَادُ جِنْسُ البِشَارَةِ [90و] المنسُوبَةِ إِلَى سلَيْمَان بِقَطْعِ النَّظَرِ عن خُصُوصِ كوْنِهِ مبَشَّرًا مِنَ اللهِ، وعنْ خُصُوصِ كونِهِ مبَشِّرًا لقَوْمِهِ. فالإِضَافَةُ بِمَعْنَى اللَّامِ

---

(1) سورة الرحمن: 7.

(2) سورة الأعراف: 85.

(3) سورة هود: 84.

(4) سورة هود: 85.

(5) سورة الشعراء: 181.

(6) لعلَّه يقصِد: الأمَّة.

(7) سورة القلم: 4.

(8) على الهامش: قف ما مضت ..... البيت.

كقوْلِكَ: عمرو وبَنُوهُ مولُودو[1] زَيْد. وإِنْ جَعَلْناهُ مِنْ إِضَافَةِ اسْمِ المَصْدَرِ إِلَى فَاعِلِهِ، فالْمَعْنَى أَنَّ سلَيْمَانَ بَشَّرَ قومَهُ بالْهِجْرَةِ فيَكُونُ داخِلًا فِي قوْلِهِ: وَكُلُّ نبِيءٍ إلخ، وخَصَّهُ بِالذِّكْرِ لِعَدَمِ شُهْرَةِ تَبْشِيرِ قَوْمِهِ بِهَا.

والأَنْسَبُ أنْ يتَّصِلَ هذا الْبَيْتُ بقَوْلِهِ "إِلَى أَهْل مِيزان". والجوابُ: حمل قوله "أَنْ يُلْقَى" علَى الْعُمُومِ فيَشْمَلُ أنْ يُلْقِيَ الأَنبِيَاءُ قبلَهُ ذِكْر هَدْيِهِ إِجْمَالًا وتَفْصِيلًا إِلَى أُمَمِهِم بِحَسَبِ مَا أعْلَمَهُم اللهُ بِهِ، فيَكُونُ هذَا الْبَيْتُ: وزَارَ إلخ عَقِبَ التَّعْميمِ بلَا فَصْلٍ.

وتقَدَّم وصُولُ مُوسَى وهارُونَ الْمدِينَةَ صلَّى اللهُ علَيْهِمَا وسلَّمَ، ومَوْتُ هارُونَ فيهَا، ودَفْنُ موسَى إِيَّاهُ عند أُحُدٍ فِيمَا قِيلَ.

قالَ وهْبُ بنُ مُنَبِّه وكعْبُ الأَحْبَارِ: كانَ سُلَيْمَانُ إِذَا رَكِبَ حَمَلَ أَهْلَهُ وخَدَمَه وحشَمَهُ، وقَد اتَّخَذَ محَابِزَ ومطابِخَ تُحْمَل فيهَا تنَانِيرُ(2) الحَدِيدِ وقُدُورٌ عظَامٌ يَسَعُ كُلُّ قِدْرٍ عَشْرَ جُزُرٍ. فيَطْبَخُ الطَّبَّاخونَ ويَخْبِزُ الخبَّازونَ، وتَجْرِي الدَّوَابُ بَيْنَ يَدَيْهِ بَيْنَ السَّماءِ والأَرْضِ والرِّيحُ تَجْرِي بِهِمْ، وهُمْ علَى بِسَاطٍ بيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ، وسَار يَوْمًا مِن اصطخر إِلَى الْيَمَنِ فسَلَكَ مدِينَةَ الرَّسُولِ ﷺ فقالَ: هَذِهِ دارُ هِجْرَةِ رسُولٍ يَخْرجُ آخِرَ الزَّمانِ، طوبَى لِمَنْ آمَنَ بِهِ وطُوبَى لِمَن اتَّبَعَهُ[3].

ثمَّ مضَى سلَيْمانُ حَتَّى مَرَّ بوَادِي السر[4]، وهُوَ وَادٍ مِنَ الطّائف، فأتَى علَى وادِي النَّمْلِ، هكذَا قالَ كَعْب: إِنَّهُ وادٍ بالطَّائِف. وقال قَتَادَةُ ومقَاتِل: هُوَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، وقِيلَ: وَادٍ تسْكُنُهُ الْجِنُّ، وأُوْلَئِكَ النَّمْل مرَاكِبُهُمْ[5].

قالَ أيّوب الحموي[6][7]: كَانَ ذلِكَ النَّملُ كالذِّئابِ[8]. وقِيلَ: كالبَخَاتِي والمشْهُورُ أنَّه النَّمل الصَّغيرُ[9]. وقالَ الشَّعْبِيّ: كانَتْ تلْكَ النَّمْلةُ ذاتَ جَنَاحَيْنِ[10]. وقَالَ الضّحّاك: كانتْ عَرْجَاء اسْمُهَا

(1) في الأصل: مولودوا، استعمل المؤلف هذه الألِفَ في مواضع، منها: ولَوْ قَالَ زَاكوا النُّفُوسِ لَصَحّ،[91و] وفي هذا الموضِعِ.

(2) التَّنُّورُ عَمَّتْ بكلِّ لسانٍ، وصاحبُه تَنّار، وجمعُه تنانير. معجم العين (تنر).

(3) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 242/1، نقلا من معالم التنزِيل، البغوِي، 150/6، بتصرف.

(4) في تاريخ الخمِيس: وادي السرير، وفِي تفسير البغوِي: وادي السدير، 150/6. وصوابه السُّرَيْر وهو وادٍ من أودية خيبَر. معجم ما استعجم، البكرِي، 737/3.

(5) معالم التنزِيل، البغوِي، 150/6.

(6) خطأ صوابه: نوف الحميرِي كما في تفسير البغوِي.

(7) نوف بن فضالة الحميري البكالي، من أهل دمشق، ويُقال: من أهل فلسطين، وهو ابن امرأة كعب الأحبار. تهذيب الكمال، المزِي، 65/30.

(8) خطأ، صوابه: الذباب كما في تفسير البغوِي.

(9) معالم التنزِيل، البغوِي، 151/6.

(10) (م، س)، 151/6.

طاخية، وقالَ غَيْرُه: منذرة[1]. وقَالَ مقاتِل: اسْمُهَا حزما[2]، ويقالُ: شاهدة.

ودَخَلَ قتادَةُ الكوفة فالْتَفَّ علَيْهِ النَّاسُ فقالَ: سلُوا مَا شِئْتُم، فسَأَلَهُ أبو حنيفة وهُوَ شَابٌّ عنْ نَمْلَةِ سلَيْمَانَ أَذَكَرٌ هيَ أم أُنثَى؟ فلَمْ يَدْرِ الجَوَابَ، فقَالَ أبو حَنِيفَةَ: أنثى، فقِيلَ لهُ بِمَاذَا عَرَفْتَ؟ قال بِقَوْلِهِ تعَالَى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾[3] ولَمْ يقُلْ قَالَ[4].

يعْنِي أنَّ ما يُفَرّقُ بَيْنَ جَمْعِهِ ومُفردِهِ بالتَّاءِ في مُفْرَدِهِ يُمَيَّز مؤَنَّثُهُ بتَأْنِيث الفِعْلِ أو الْوَصْفِ أو الضَّمِيرِ أو الإِشَارَةِ أَوْ نَحْو ذلِكَ.

قُلْتُ: [90ظ] الواضحُ أنَّهُ يؤنَّثُ ولو مُذَكَّرًا، تَقُول: جاءت بقرَةٌ، وهذِهِ بَقَرَةٌ، ولو ذَكَرًا، وإِنَّما يُقالُ بقَرَةٌ ذَكَرٌ أو بَقَرَةٌ أُنْثَى.

ولَمَّا قالَتْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ﴾[5] إلخ أَلْقَتِ الرِّيحُ قوْلَهَا في سمعهِ مِنْ ثلَاثَةِ أمْيَالٍ، فتَبَسَّمَ مُتَعَجِّبًا مِنْ حذَرِهَا واهْتِدَائِهَا لِمَصَالِحِها ونُصْحِها لِلنَّملِ، أحَسَّتْ بِصَوْت الْجُنُود ولَا تَدْرِي أَنَّهمْ فِي الْهَوَاءِ، أَوْ خافَتْ أنْ يكُونُوا فِي الْأَرْضِ، فأَمَرَ سُلَيْمانُ الرِّيحَ فوَقَفَتْ حَتَّى دَخَلْنَ مسَاكِنَهُنَّ. ولَمَّا أَتَى إِلَيْها قَالَ لَهَا: حَذرْتِ ظُلْمِي أمَا عَلِمْتِ أَنِّي نَبِيءٌ عادِلٌ حينَ قُلْتِ: لَا يَحْطِمَنَّكُم سُلَيْمانُ وجُنُودُهُ؟ فقَالَتْ: أَوَ مَا سَمِعْتَ قَوْلِي وهُمْ لَا يَشْعُرُونَ؟ مَعَ أَنِّي لَمْ أُرِدْ حَطْمَ النُّفوسِ بَلْ حَطْمَ القُلُوبِ بِأَنْ يَتَمَنَّيْنَ مَا أُعطِيتَ فيَشْتَغِلْنَ بالنَّظَرِ إِلَيْكَ عن التَّسبيحِ. فقَالَ لهَا: عِظِينِي، قالَتْ: هلْ علِمْتَ لِمَ سُمِّيَ أبوكَ دَاوُد؟ قالَ: لَا، قالَتْ: لِأَنَّهُ داوَى جُرْحَهُ فزَادَ. وهَلْ تدْرِي لمَ سُمِّيتَ سلَيْمَان؟ قالَ: لَا، قالَتْ: لِأَنَّكَ سليمُ الصَّدْرِ، وبسَلَامَةِ صَدْرِكَ آنَ لكَ أنْ تَلْحَقَ بأبِيكَ دَاوُد. وهَلْ تدْرِي لِمَ سَخَّرَ اللهُ لَكَ الرِّيحَ؟ قالَ: لَا، قالَتْ: أَخْبَرَكَ اللهُ أنَّ الدُّنيا كُلّها رِيحٌ. وهَلْ تدْرِي لِمَ جُعِل مُلْكُكَ في فصِّ خاتَمِكِ؟ قالَ: لَا، قالَتْ: أعْلَمَكَ الله أنَّ الدُّنيَا لا تُسَاوَى بقطْعَةِ حَجَرٍ. ثُمَّ قال لَهَا سُليمَانُ: أجُنْدِي أَكْثَرُ أمْ جُنْدُكِ؟ قالَتْ: جُنْدِي. قالَ سلَيْمَانُ: أَرِنِي جنْدَكِ، فنَادَتْ جِنْسًا واحِدًا مِنْ جنْدِهَا فخَرَجُوا سَبْعِينَ يوْمًا حَتَّى امْتَلَأَت البَرَارِي والجِبَالُ والأَوْدِيَةُ. قالَ: هلْ بَقِيَ مِنْ جُنْدِكِ شَيْءٌ؟ قالَتْ: يا سُلَيْمانُ ما خَرَجَ بعْدُ جِنْسٌ واحِدٌ، وإِنَّ لِي مِثْلَ هذَا سبْعِين جِنْسًا[6].

ويُروَى أَنَّهُ لـمَّا فرَغَ مِن بناءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ عَزَمَ على الخرُوجِ إِلَى أَرْضِ الحَرَمِ فتَجَهَّزَ للمَسِيرِ،

---

(1) مدارك التنزيل، النسفي، 597/2.

(2) في تاريخ الخميس: خرما، وفي معالم التنزيل: جرمى.

(3) سورة النمل: 18.

(4) مدارك التنزيل، النسفي، 597/2.

(5) سورة النمل: 18.

(6) تاريخ الخميس، الديار بكري، 242/1، بتصرف.

واسْتَصْحَبَ مِن الإنسِ والْجنِّ والشَّياطينِ والطُّيورِ والوُحوشِ ما يَبْلُغُ مُعَسْكَرُهُ مِئَةَ فرسَخٍ، فحَمَلَتْهُم الرِّيحُ فوَافَى الْحَرَمَ وحَجَّ وأَقَامَ بِهِ ما شَاءَ اللهُ، وكانَ يَنْحرُ كلَّ يَوْمٍ طُولَ مقامِهِ خَمْسَةَ آلافِ ناقَةٍ، ويذْبَحُ خَمْسَةَ آلافِ ثَوْرٍ وعشْرِينَ أَلْفَ شَاةٍ، وقَالَ لِمَنْ حَضَرَهُ منْ أَشْرَافِ قَوْمِهِ: هذَا مَكانٌ يَخْرُجُ مِنْهُ نَبِيءٌ عَرَبِيٌّ صِفَتُهُ كَذَا وكَذَا، يُعْطَى النُّصرةَ علَى جَمِيع مَنْ نَاوَأَهُ، وتبْلُغُ رَهْبَتُهُ مَسِيرَةَ شَهْرٍ. القَرِيبُ والْبَعِيدُ فِي الحَقِّ عِنْدَهُ سَوَاءٌ، لا تَأْخُذهُ فِي اللهِ لَوْمَة لَائِمٍ. قالُوا: فَأَيّ دِينٍ يدِينُ يا نَبِيءَ اللهِ؟ قال: يدِينُ بدِينِ الحَنِيفِيَّةِ، وطُوبَى لِمَنْ أدرَكَهُ وآمَنَ بِهِ. قالُوا: كَمْ بَيْنَ خرُوجِهِ وبَيْنَ زمَانِنَا يا نَبِيءَ اللهِ؟ قالَ: مقْدَار أَلْفِ عَامٍ، فلْيُبَلِّغ الشَّاهِدُ منْكُم الغَائِبَ فإنَّهُ سيِّدُ الأَنْبِئَاءِ وخَاتِمُ الرُّسلِ، فأَقَامَ بِمَكَّةَ حتَّى قَضَى نُسُكَهُ ثمَّ خرَجَ مِنْ مَكَّةَ صباحًا وسَارَ نَحْوَ الْيَمَنِ، فَوَافَى صنعاء وَقْتَ الظَّهِيرَةِ والزَّوالِ، وذلِكَ مَسِيرَةُ شَهْرٍ[1]. ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ الْعَظِيمِ.

52 ولَمَّا أَظَلَّتْ مُدَّةُ الْمَوْلِدِ [91و] الذِي بِهِ نَوَّرَ الرَّحْمَنُ أَلْبَابَ عُمْيَانِ

53 تَدَاوَلَت الأَحْبَارُ أَخْبَارَكَ التِي يَهِيمُ بِهَا زَاكِي النُّفوسِ بأشْجانِ

54 وجاءَ سطيحٌ بِالصَّرِيحِ مُثَنِّيًا بِمَا قَالَ شقّ مِنْ تَبَدُّدِ أَوْثَانِ

وَلَمَّا أَشْرَفَتْ مُدَّةُ زمَانِ الوِلَادَةِ الذِي نوَّرَ اللهُ بِهِ لَا بِغَيْرِهِ عقُولَ جُهَّالِ ذَلِكَ الزَّمَانِ الشَّبِيهِينَ بِعُمْيِ الأَبْصَارِ. تَنَاوَلَتِ العُلَمَاءُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ، ونَحْوُهم مِمَّن لهُ عِلْمٌ بالْكُتُبِ الْأُولَى، أَخْبَارَ نبُوءَتِكَ ورِسَالَتِكَ وهَدْيِكَ وعَلَامَاتِكَ بأَلْسِنَتِهِمْ، يذْكُرُها بَعْضٌ لبَعْضٍ ولِغَيْرِهِم، الْمَوْصُوفَةُ تِلْكَ الأَخْبَارُ بِأَنَّهَا يَصِيرُ بِهَا، لِشِدَّة الْحُبِّ، كالتَّائِهِ الْحَائِرِ الذِي لَا يَدْرِي إِلَى أَيْنَ يَهْتَدِي، جِنْسُ مَنْ زَكَتْ نفُوسُهُم مَصْحُوبًا بأَحْزَانِ.

وجَاءَ سطيحٌ بِالْخَبَرِ الصَّرِيحِ فِي شَأْنِهِ مِن تفَرُّقِ الْأَوْثَانِ بِهِ ﷺ عَاقبًا لِشقّ، ومُصَيِّرًا لِلْعَدَدِ اثْنَيْنِ سطيح وشقّ بِمَا قَالَ شقّ.

واخْتَارَ لَفْظَ "الرَّحْمَنِ" إِيذَانًا بِأَنَّ إِرْسَالَهُ ﷺ رَحْمَةٌ لِأَهْلِ فَتْرَةٍ عمت ومَنْ يَأْتِي بَعْدُ، إِلَّا مَنْ أَبَى. والرَّحمَنُ: مُرِيدُ الإِنْعَامِ أَو المُنعِمُ، فَالرَّحْمَةُ صِفَةٌ لهُ ﷻ أو فِعْلٌ لَهُ.

والمُرادُ بالزَّاكِي: جِنْسُ مَنْ طَهُرَتْ نَفْسُهُ، ولِذَلِكَ جَمَعَ النُّفوسَ، ولَوْ قَالَ: زَاكو[2] النُّفُوسِ لَصَحَّ.

ومَعْنَى إِظْلَالُ الْمُدَّةِ قُرْبُ آخِرِ الأَجَلِ، علَى أَنَّ المُدَّةَ جُمْلَةُ ما سَبَقَ الْمَحْدُود لهُ، أَوْ قُرْبُ الْمَحْدُود لَهُ، علَى أَنَّ المُدَّةَ نَفْسُ ما حُدَّ لَه.

---

(1) معالم التنزيل، البغوي، 6/153-154.

(2) في الأصلِ: زاكوا، وتقدمت الإشارة إلى هذه الألف التي يستعملها الشَّارِحُ، كما فِي قولهِ: كقوْلِكَ: عمرو وبَنُوهُ مولُودوا زَيْد، [90و].

رُوِيَ أَنَّهُ كانَ رَبِيعةُ بنُ نَصر مَلِكُ الْيَمَنِ بَيْنَ أَضْعَافِ مُلُوك التَّبابِعَة[1]، ورَأَى رُؤيَا أَفْضَعَتْهُ[2] فلَم يدَعْ كَاهِنًا ولا سَاحِرًا ولَا عَائِفًا ولَا مُنجِّما مِنْ أَهْلِ مَمْلكَتِهِ إِلَّا جَمَعهُ إِلَيْهِ، فقَالَ لهمْ: إِنِّي رَأَيْتُ رُؤْيَا هَالَتْنِي وفَضعْتُ[3] بِهَا، فأَخْبِرُونِي بِهَا وبتَأْوِيلِها. فقَالُوا: اقْصُصْها عليْنَا حتَّى نُخبِرَكَ بتَأْوِيلِهَا. فقَالَ: إِنِّي إِنْ أَخْبَرْتُكُم بِهَا لمْ أَطْمَئِنّ إِلَى تَأْوِيلِكُم، إِنَّهُ لَا يَعْرِفُ تَأْوِيلَها إِلَّا مَنْ عَرَفَهَا قَبْلَ أَنْ أُخْبِرَ بِها. فقالَ رَجُلٌ مِنْهُم: إِنْ كانَ الْمَلِكُ يرِيدُ هذَا فَلْيَبْعَثْ إِلَى شقّ وسطيح يُخْبِرَاهُ.

أَمَّا سطيح فَهُو رَبِيعُ بنُ صمّ[4]. وأَمَّا شقّ فَشقّ بن صَعْب، فَبَعَثَ إِلَيْهِما، فقَدِمَ عَليهِ سطيح قَبْل شقّ، فَقَال لَهُ: إِنِّي رَأَيْتُ رُؤْيَا هَالَتْنِي وفَضعتُ[5] بِهَا، فأَخْبِرنِي بِهَا فإِنَّكَ إِنْ أصَبْتَها أصَبْتَ تَأْوِيلَهَا. فقالَ: رَأَيْتَ حُممَة[6] خَرَجَتْ مِن ظلمَة، فوَقَعَتْ أرْضَ تَهِمة، فأَكلَتْ مِنْها كُلّ ذاتِ جمجمة. فقالَ الْمَلِكُ: ما أَخْطَأتَ مِنها شَيْئًا يا سطيح، فمَا عِنْدَكَ فِي تَأْوِيلِهَا؟

فقَالَ: أحلفُ بِمَا بَيْنَ الحرَّتَيْنِ مِنْ حَنَش[7] لَيَهْبِطَنَّ أَرْضَكُمْ الْحبش فلَيَمْلِكنَّ ما بَيْنَ أَبين[8] إِلَى جُرَش[9] فقالَ الْمَلِكُ: وأَبِيكَ يَا سطيح إِنَّ هَذَا لَنَا لَغَائِظٌ مُوجِعٌ فمَتَى هُوَ كَائِنٌ فِي زَمَانِي أَمْ بَعْدَهُ؟ فقَالَ: لَا بَلْ بَعْدَهُ بِحِين، أَكْثَر مِنْ سِتّين أو سَبْعِينَ يَمْضِين مِنَ السِّنِين.

قالَ: أَفَيَدُومُ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِهِمْ أَمْ يَنْقَطِعْ؟ قالَ: بَلْ يَنْقَطِع لِبضْعٍ مِنْ سَبْعِين، ثُمَّ يُقْتَلُونَ ويَخْرُجُونَ مِنْهَا هَارِبين. قالَ: ومَنْ يَلِي ذَلِكَ مِنْ قتْلِهِمْ وإِخْرَاجِهِمْ؟ قالَ: يَلِيهِ [91ظ] إِرَمُ ذو يزن، يَخْرُجُ علَيْهِمْ مِنْ عَدَن ولَا يَتْرُكُ مِنْهُمْ أَحَدًا. قالَ: أَفَيَدُومُ ذلِكَ مِنْ سُلْطَانهِ أَمْ يَنْقَطِع؟ قالَ: بَلْ يَنْقَطِع. قالَ: ومَنْ يَقْطَعُهُ؟ قالَ: نَبِيءٌ زَكِيّ، يأتِيهِ الوَحْيُ مِنْ قِبَلِ الْعَلِيّ. قالَ: وَمِمَّنْ هذَا النَّبِيءُ؟ قالَ: رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ غَالِب بنِ فِهْر بنِ مَالِك بنِ النَّظر[10]، وقَوْمهُ[11] إِلَى آخِرِ الدَّهرِ. قالَ: وهَلْ لِلدَّهْرِ مِنْ آخِر؟ قالَ: نَعَمْ، يَوْمَ يُجْمَعُ فيهِ الأَوَّلُون والآخِرُون ويَسْعَدُ فِيهِ المُحسِنون ويَشْقَى فِيهِ المُسيئُون. قالَ: أَحَقٌّ مَا تُخْبِرُنِي بِهِ؟ قال: نَعَمْ والشَّفَقِ والغسَق، والفَلَقِ إِذَا اتَّسَق، إِنَّ مَا أَنْبَأتُكَ بِهِ لَحَقّ.

---

(1) القصة في سيرة ابن إسحاق، 22/1، وتاريخ الرسل والملوك، الطبري، 112/2 عن ابن إسحاق.

(2) خطأ صوابه: أفظَعَتْهُ.

(3) خطأ صوابه: فَظِعتُ.

(4) خطأ صوابه: ربيع بن ربيعة بن مسعود، وليس في نسبه صم. ينظر: تاريخ الرسل والملوك، الطبري، 112/2.

(5) خطأ صوابه: فظِعتُ.

(6) الحُمَمُ: الفَحْمُ واحدته حُمَمَةٌ. لسان العرب (حمم).

(7) الحنَش: الحيَّة. لسان العرب (حنش).

(8) أبْين: يفتح أوله ويكسر، من مخاليف اليمن. معجم البلدان، ياقوت، 86/1.

(9) جُرش: من مخاليف اليمن من جهة مكة. معجم البلدان، ياقوت، 126/2.

(10) خطأ صوابه: النضر.

(11) أسقط المؤلِّف من النص: يكون الملك في قومه. سيرة ابن إسحاق، 23/1، وتاريخ الرسل والملوك، 113/2،

ثُمَّ قَدِمَ علَيْهِ شقّ، فقَالَ لَهُ كَقَوْلِهِ سطيح وكَتَمَهُ مَا قالَ سطيح لِيَنْظُرَ أيَتَّفِقَانِ أمْ يَخْتَلِفَانِ.

قالَ: نَعَمْ رَأَيْت حُمَمة، خَرجت مِنْ ظلمَة، فوَقَعَتْ بيْنَ رَوْضَةٍ وأكمه فأَكَلَتْ مِنْها كُلّ ذِي نسمة. فَعَرَفَ أَنَّهُمَا اتَّفَقَا، وأَنَّ قَوْلَهُمَا واحِدٌ في الْمَعْنَى، ولَو اخْتَلَفَ بعْضُ اللَّفظِ. فَقَالَ: ما أَخْطَأْتَ يَا شقّ، فمَا تَأْوِيلُهَا؟

فقَالَ: أَحْلِفُ بِمَا بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ مِنْ إِنْسَان ليَنْزِلَنَّ أرْضَكُمْ السودان فيَغْلِبنَّ علَى كُلّ طفْلَةٍ[1] رخصة البنان، ولَيَمْلِكُنَّ مَا بَيْنَ أَبْيَن إِلَى نجران.

فقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: وأَبِيكَ يَا شقّ إِنَّ هذَا لَغَائِظٌ مُوجِعٌ، فمَتَى هُوَ كَائِنٌ فِي زمَانِي أَمْ بَعْدَهُ؟ قالَ: لَا بَلْ بَعْدَهُ بِزَمَانٍ، ثُمَّ يَسْتَنْقِذكمْ مِنْهَا عَظِيمٌ ذُو شَأْنٍ ويُذِيقُهُمْ أَشَدَّ الْهَوَانِ. قالَ: ومَنْ هُوَ هذَا الْعَظِيمُ الشَّأنِ؟ قالَ: غُلَامٌ ليْسَ بدَنِيّ ولا مُدَنّ[2] يخرجُ مِنْ بَيْتِ ذي يزن. قال: أَفَيَدُومُ سُلطانُهُ أمْ يَنْقَطِع؟ قالَ: بلْ يَنْقَطِع بِرَسُولٍ مُرْسَلٍ يأْتِي بالْحَقّ والْعَدْلِ بَيْنَ أَهْلِ الدِّينِ والْفَضْلِ يَكُونُ الْملك في قَوْمِهِ إِلَى يَوْمِ الْفَصْلِ. قالَ: ومَا يَوْمُ الْفَصْلِ؟ قالَ: يَوْمَ تُجزَى فيهِ الولاة ويُدْعَى فِيهِ مِنَ السَّماءِ بدَعَوَاتٍ يسْمَعُ مِنْهَا الأَحْيَاءُ والْأَمْوَاتُ ويُجْمَعُ فِيهِ النَّاسُ للْمِيقَاتِ، يكُونُ فِيهِ لِمَن اتَّقَى الْفَوْزُ والْخَيْرَاتُ. قالَ: أَحَقٌّ مَا تَقُولُ؟

قالَ: إِي ورَبِّ السَّمَاءِ والأَرْض، ومَا بَيْنَهُمَا مِنْ رَفْعٍ وخَفْض، إِنَّ ما أَنْبَأتُكَ بِهِ لَحَقٌّ مَا فيهِ أمْض[3]. فوَقَعَ فِي نَفْسِ ربيعة بن نصر مَا قَالَاهُ[4]. ومِن بَقِيَّةِ وَلَدِ رَبِيعَةَ بنِ نَصْر النّعمان بن المنذر[5].

وكانَ سطيح جسَدًا مُلْقىً لَا جوَارِحَ لَهُ فِيمَا يَذْكُرُونَ، ولَا يَقْدِرُ علَى الْجُلُوسِ إِلَّا إِذَا غَضِبَ انْتَفَخَ فجَلَسَ، وأَمَّا شقّ فَكَانَ شق إِنْسَانًا بِيَدٍ واحِدٍ ورِجْلٍ واحِدَةٍ، وعَيْنٍ واحِدَةٍ. وقيل لِسطيح: مِنْ أَيْنَ لَكَ هذا الْعِلْمُ؟ فقَالَ: لِي صَاحِبٌ منَ الجِنّ اسْتَمَعَ أَخْبَارَ السَّماءِ مِنْ طورِ سِينَاءَ حِينَ كَلَّمَ اللهُ مُوسَى، فَهُوَ يُودي إِليَّ مِنْ ذَلِكَ مَا يُودِيهِ[6].

والحُمَمة: قِطْعَةٌ مِن نَارٍ، وخُرُوجُهَا مِنْ ظُلْمَةٍ يُشبِهُ خرُوجَ الْحَبَشَةِ مِنَ السُّودَانِ. والأَرْضُ التَّهِمَة: المنْخَفِضَة ومِنْهُ تهامة. وإرم ذو يزن: سيف ذو يزن، وجَعَلَ إرَما مَكَانَ سَيْف مَدْحًا بالْعِلمِ، أَو شبَّهَهُ

---

(1) الطِّفْلُ: الرَّخْصُ النَّاعِمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. تاج العروس (طفل).

(2) المُدَنِّي المُقَصِّر عما ينبغي له أن يَفْعَله. لسان العرب (دنا)، وسيشرحه المؤلِّف بـ: مَنْ يَجْمَعُ إِلَى الدَّنَاءَةِ الضُّعْفَ.

(3) الأَمْضُ: الباطلُ وقيل الشَّكّ. لسان العرب (أمض).

(4) أسقَط المؤلِّف عبارةَ:" فجهّز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرّزاد، فأسكنهم الحيرة". تاريخ الرسل والملوك، الطبري، 112/2، والعبارة ليست في سيرة ابن إسحاق.

(5) سيرة ابن إسحاق، 22/1- 25، وتاريخ الرسل والملوك، الطبري، 112/2- 114.

(6) الروض الأنف: السهيلي، 67/1.

بعَادٍ فِي القُوَّةِ. والمُدَنّي: مَنْ يَجْمَعُ إلَى الدَّنَاءَةِ الضُّعْفَ. والأَمْضُ: الشَّكّ[1].

وعُمِّر سطيح زمانًا طَوِيلًا حتَّى أَدْرَكَ مَوْلِدَ النَّبِيء ﷺ، فرأَى كسرى أنو شروان مَا رَأَى مِنْ [92و] ارْتِجَاسِ الإِيوَانِ وخمُود النِّيرانِ، ولَمْ تَكُنْ خمَدَتْ قَبْلَ ذَلِكَ بأَلْفِ عامٍ، وسَقَطَتْ مِنْ قَصْرِهِ أَرْبَعَ عشْرَةَ شرافَةً وأَخْبَرَهُ الموبذان؛ أَيْ: القَاضِي والمُفتِي، أَنَّهُ رأَى إِبِلًا صِعَابًا تَقُودُ خيُولًا عِرابًا، فانْتَشَرَتْ فِي بلَادِهِمْ وغَارَتْ بحيرة سَاوَة، فأَرْسَلَ كسرى و[2]عبد المسيح ابن عمرو الغَسَّانِي إِلَى سطيح يَسْتَخْبِرُهُ عِلْمَ ذَلِكَ ويَسْتَعْبِرُهُ رُؤيا الموبذان، فقَدِمَ عَلَيْهِ وقَدْ أَشْرَفَ[3] علَى الْمَوْتِ، فسلَّمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ سطيح أَنْ يَرُدَّ جوَابًا، فأَنْشَأَ عبدُ الْمَسِيحِ يقُولُ:

أَصَمُّ أَمْ يَسْمَعُ عِطْرِيفُ الْيَمَن ... أَمْ فَادَ فَإِن لمَّ فِي شَأْوِ الْعَنَن[4]

يَا فَاصِلَ الخُطَّةِ أَعْيَتْ مَنْ وَمَنْ ... أَتَاكَ شَيْخُ الْحَيِّ مِنْ آلِ سَنَنْ

وَأُمُّهُ مِنْ آلِ ذِيبِ بنِ حَجَنْ ... أَبْيَض فَضْفَاض الرِّدَاءِ وَالْبَدَنْ

رَسُولُ قيلِ الْعجْم يَسْرِي لِلْوَسَنْ ... لَا يَرْهَب الرَّعْدَ وَلَا رَيْبَ الزَّمَنْ

تَجُوبُ [بِي] الْأَرْض عَلَنْدَاةٌ شَزَنْ ... تَرْفَعُنِي وجْنٌ وَتَهْوِي بِي وجنْ

حَتَّى أَتَى عَارِي الْجَآجِي وَالْقَطَنْ ... تَلُفُّهُ فِي الرِّيحِ فَوْغَاءُ الدِّمَنْ[5]

فقَالَ سَطِيحٌ: عَبْد المسِيحِ علَى جَمَلٍ مُشِيح جَاءَ إِلَى سطِيح، حِينَ أَوْفَى عَلى الصَّرِيح[6] بعَثَهُ مَلِكُ بَنِي ساسَان لِارْتِجَاسِ الإِيوَان، وخمُودِ النِّيرَان، ورؤيا الموذبان. رَأَى إِبِلًا صِعابًا تَقُودُ خَيْلًا عِرَابًا قدْ قَطَعَتْ دجلة وانْتَشَرَتْ فِي بلَادِهَا. عبْد الْمَسِيحِ إِذَا كَثُرَت التِّلَاوةُ وظَهَرَ صاحِبُ الْهراوَة، وخَمدَتْ نَارُ فَارِسَ وغَارَتْ بحيرة سَاوَة، وفَاضَ وادي السّماوة، فلَيْسَ الشَّام لِسَطِيحٍ شَامًا يَمْلِكُ مِنْهُمْ ملُوكٌ وملِكَاتٌ عَلَى عَدَدِ الشُّرفاتِ، وكُلُّ ما هُوَ آتٍ آت. ثمَّ قَضَى سَطِيحٌ مكَانَهَ وخَرَجَتْ رُوحُهُ[7].

ولَمَّ: قبض، وشأْوُ الْعَنَن: الْمَوْتُ، وفَضْفَاض الرِّدَاء: وَاسِعَة، والعَلَنْدَاة: الضَّخْمَةُ مِنَ الإِبِل، وشَزِنَتْ الإِبِلُ: أَعْيَتْ مِنَ الْحَفَاءِ، والْجُؤْجُؤ: الصَّدْرُ، والفَوْغَاء: التُّرَابُ.

ويُرْوَى أَنَّ سابور ذَا الأَكْتَافِ مِنْ مُلُوك بَنِي سَاسَان وَطِئَ أَرْضَ الْعَرَبِ، وكَانَ يَخْلَعُ أَكْتَافهُمْ، وبِذَلِكَ لُقِّبَ. ومَرَّ بِأَرْضِ تميم ففَرُّوا مِنْهُ وتَرَكُوا الْعِنْبَر عمرَ بنَ تَمِيم وهُوَ ابْنُ ثَلَاثِمِئَة سَنَةٍ، ترِكَ في

(1) الروض الأنف: السهيلي، 1/69-70.

(2) واو زائدة.

(3) في الروض الأنف: أشفَى.

(4) في الروض الأنف: غطريف، فازلمَّ بدل فإن لمَّ.

(5) الأبيات من الرجز.

(6) في الروض: الضَّرِيح.

(7) القصَّة في الروض الأنف، 1/70-72.

أجمة[1] وقِيلَ: مُغَلَّفًا فِي قُفَّةٍ بِعَمُودِ الْخَيْمَةِ، فأُخِذَ وجِيءَ بِهِ إِلَى الْمَلِكِ فوَجَدَهُ ذَا معْرِفَةٍ، فقَالَ لَهُ: لِمَ تَفْعَلُ أيُّها الْمَلِكُ هذَا بالْعَرَبِ؟ فقَالَ: يزْعُمُون أَنَّ مُلْكَنَا يصيرُ إِلَيْهِمْ بِمَبْعَثِ نَبِيءٍ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، فقَالَ لَهُ عَمْرو: فأَيْنَ حِلْمُ الْمُلُوكِ وعَقْلُهُمْ إِنْ كانَ هَذَا الأَمْرُ باطِلًا فلَنْ يَضُرَّكَ، وإِنْ كانَ حَقًّا [92ظ] ألفَاكَ ولَمْ تَتَّخِذْ عنْدَهُمْ يَدًا يكافِئُونَكَ عَلَيْهَا، ويَحْفَظُونَكَ بِهَا فِي ذَوِيكَ، فيُقَالُ إِنَّ سَابُور انْصَرَفَ عَنْهُمْ، واسْتَبْقَى بَقِيَّتَهُمْ وأَحْسَنَ إِلَيْهِم بَعْدَ ذَلِكَ، واللهُ أعلمُ[2].

ثُمَّ إِنَّهُ كانَ منْ أَمْرِ اللهِ أنْ أَظْهَرَ دِينَهُ ونَصَرَ نَبِيئَهُ ﷺ، ومكَّنَ أُمَّتَهُ منْ ملكِ فَارِسَ، وقَدْ أدْرَكَ الإِسْلامَ مَلِكُهُم [أجرو بن هرمز][3]، ومعناهُ: مُظَفَّر، وهُوَ الذِي رَأَى فِي المنَامِ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: سلِّمْ مَا فِي يَدِكَ لِصَاحِبِ الْهراوةِ، فلَمْ يزَلْ مَذْعُورًا مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى بعَثَ إِلَيْهِ النُّعمانُ بظُهُورِ النَّبِيء ﷺ بتهَامَةَ، فعَلِم أَنَّ الْأَمْرَ يَصِيرُ إِلَيْهِ[4].

وهُوَ الذي سُئِلَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((**مَا حُجَّةُ الله على كِسرى؟ فقالَ: إنَّ اللهَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ مَلَكًا فسَلَكَ يدَهُ فِي الجِدَارِ حَتَّى أخْرَجَهَا إِلَيْهِ فَارْتَاعَ، فقَالَ له الملكُ: لِمَ ترعْ يا كِسْرَى؟ إِنَّ اللهَ قَدْ بعَثَ رَسُولًا، فأَسْلِمْ تسْلَمْ، فقَالَ: سأَنْظُرُ**))[5] ثُمَّ تولَّى بَعْدهُ ابْنُهُ سَابُور نَحْوَ شَهْرَيْن، ثُمَّ أخُوهُ شيرَويه نَحْوَ سِتَّة أَشْهُرٍ ثُمَّ أخْتُهُما بوران فقَالَ النَّبِيءُ ﷺ: ((**لَا يُفْلِحُ قَوْمٌ مَلَكَتْهُم امْرَأَة**))[6] فمَلكَتْ سنَةً ومَاتَتْ وتَشَتَّتَ أمْرُهُم، واجْتَمَعُوا على يزدجر[7]، والْمُسْلِمُونَ قَدْ تَغَلَّبوا علَى أَطْرَافِ أَرْضِهِم، ثُمَّ كانَتْ حُرُوبُ القَادِسِيَّة واسْتَأْصَلَهُم الإِسْلَامُ علَى يَدِ عمر بن الخطّاب[8].

قالَ عطاء عَن ابْنِ عَبَّاسٍ: لَمَّا خَرَجَ عبد المطّلب بابْنِهِ لِيُزوِّجَهُ بِنْتِ وَهْبٍ مَرَّ بِهِ عَلى كاهِنَةٍ مِنْ قالة[9] منهودَة[10] قَرَأَت الكُتُب، يُقَالُ فاطِمَة بنتُ مرّ الخثْعَمِيَّة، أوْ علَى قُتيلة وَهِيَ عنْدَ الكعْبَةِ، بِضَمّ القَافِ وفَتْحِ التَّاءِ، امرَأَةٌ مِن بَنِي أسيد بنِ عبْدِ العُزَّى يُقالُ لهَا رقيّة بنت نوفل، فرَأَتْ نُورَ النُّبوءَة فِي وَجْهِ عبْدِ اللهِ فقَالَتْ: قَع عَلَيَّ ولَكَ مِثلُ الْإِبِلِ التِي نُحِرَتْ علَيْكَ، تَعْنِي مِئَةَ بَعِيرٍ نَحرَهَا أبُوهُ فِدَاءً

(1) الأَجَمَة الشجر الكثير الملتفُّ والجمع أُجْمٌ. لسان العرب (أجم).

(2) القصَّة في الروض الأنف، 76/1.

(3) خطأ صوابه: أبرويز بن هرمز، كما في الروض الأنف.

(4) القصَّة في الروض الأنف، 76/1.

(5) تاريخ الطبري، 190/2، والمنتظم، ابن الأثير، 362/2.

(6) المستدرك، الحاكم، حديث (8599)، وفيه: تملكهم.

(7) في تاريخ الطبري والروض الأنف: يزدجرد.

(8) القصَّة في الروض الأنف، 77/1-78.

(9) فِي المصادِر: من تبالة، وهو موضع من بلاد اليَمَنِ، معجم البلدان، الحموي، 9/2.

(10) لعلها متهوِّدة، كما في المصادرِ التي ذكرت القصَّة.

لهُ عَنْ ذَبْحِهِ؛ إِذْ نَذَرَ بذَبْحِهِ إِذْ أَمَرَتْهُ الكَاهِنَةُ أَنْ يُقَرِّبَهُ وعَشْرَةً مِنَ الإِبِلِ، وكانَت العَشَرَةُ دِيَّةَ الرَّجُلِ عِنْدَهُم، فإِنْ وقَعَتْ علَيْهَا، وإِلَّا فَزِدْ عَشَرَةً عشَرَةً عَلى [أَنْ] تَقَعَ علَيْهَا، فوقَعَتْ علَى الْمِئة، فكَانَت الدِّيَّةُ مِئَةً وأَقَرَّها الإِسْلَامُ لِلْمُسْلِمِين بأَمْرِ اللهِ ﷻ، وذلكَ أَنَّها رَأَتْ نُورَ النُّبوءَةِ فِي وَجْهِهِ، ورَجَتْ أَنْ تَحْمِل بِهَذا النَّبِيء ﷺ فقال لَهَا: أَنَا مَعَ أَبِي ولا أَسْتَطيعُ خِلَافَهُ ولَا فِراقَهُ. وقِيلَ أَجَابَها بِقَوْلِهِ:

أَمَّـا الْـحَـرَامُ فَـالْـمَـمَـاتُ دُونَـهُ وَالْـحِـلُّ لَا حِـلَّ فَـأَسْـتَـبِـيـنَـهُ

فَـكَـيْـفَ بِـالْأَمْـرِ الـذِي تَـبْـغِـيـنَـهُ يَـحْـمِـي الْـكِـرَامُ عِـرْضَـهُ وَدِيـنَـهُ[1]

فلمَّا أَتَى بِهِ إِلَى وهْب بن عبد مناف بنِ زُهْرَة، وهُوَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدُ [93و] بَنِي زهْرَة نَسَبًا وشَرَفًا فزَوَّجهُ ابنَتَهُ آمِنَةَ، وهِيَ أَفْضَلُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ نَسَبًا ومَوْضِعًا، فزَعَمُوا أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْها، وقَعَ علَيْهَا يَوْمَ الاثْنَيْن أَيَّام مِنىً، فِي شعب أبي طالب عِنْدَ الجَمْرَة الوُسْطَى، فحَمَلَتْ برَسُولِ اللهِ ﷺ. ثُمَّ خَرَجَ مِن عِنْدِها فأَتَى الْمَرْأَةَ التِي عرَضَتْ علَيْهِ ما عَرَضَتْ، فقالَ لَهَا: مَا لَكِ لَا تَعْرِضِين عَلَيَّ الْيَوْمَ ما عَرَضْتِ بالأَمْسِ؟ فقَالَتْ: فارَقَكَ النُّورُ الذِي كانَ معَكَ بالأَمْسِ فلَيْسَ لِي بِكَ الْيَومَ حاجَةٌ، إِنَّما أَردْتُ أَنْ يَكُونَ النُّورُ فِيَّ، فأَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَهُ حَيْثُ يشاء[2]. قال بَعْضٌ:

لَوْ أَبْصَـرَ الشَّـيْطَـانُ طَلْعَـةَ نُورِهِ فِـي وَجْـهِ آدمَ كَـانَ أَوَّلَ مَـنْ سَـجَـدْ

أَوْ لَـوْ رَأَى الـنُّـمْـرُوذُ نُـورَ جَـمَـالِـهِ عَبَـدَ الْجَلِيـلَ مَعَ الْخَلِيـلِ وَمَـا عَنَـدْ

لَـكِـنْ جَـمَـال الـلـهِ عَـزَّ[3] فَـلَا يُـرَى إِلَّا بِتَخْصِـيصٍ مِنَ اللـهِ الصَّـمَـدْ[4][5]

ولـمَّا حَمَلتْ آمنة بِرَسُولِ اللهِ ﷺ ظَهَرَ لِحَمْلِهِ عجَائِب، ووجد لإِيجَادِهِ غَرَائِب. فذَكَرُوا أَنَّهُ لَمَّا اسْتَقَرَّتْ نُطْفَتُهُ الزَّكِيَّةُ ودُرَّتُهُ المُحَمَّدِيَّةُ فِي صدفة آمنَةَ القُرَيْشيَّة، نُودِيَ فِي الْمَلَكُوتِ ومَعَالِمِ الجَبَرُوتِ أَنْ عَطِّروا جوَامِعَ القُدْسِ الأَسْنَى، وبَخِّرُوا جهَاتِ الشَّرَفِ الأَعْلَى، وافرشُوا سَجَّاداتِ العِبَادَاتِ فِي صفف الصَّفا لِصُوفِيَّة الملائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ أَهْلِ الصِّدْقِ والوَفَاءِ، فقَد انْتَقَلَ النُّورُ المَكْنُونُ إِلَى بَطْنِ آمنَةَ ذاتِ الْعَقْلِ البَاهِرِ والفَخْرِ المصُونِ، قَدْ خَصَّها الْقَرِيبُ المُجِيبُ بهَذَا السَّيِّدِ الْمُصْطَفَى الْحَبِيبِ؛ لِأَنَّهَا أَفْضَلُ قوْمِها حَسَبًا، وأَنْجَبُ وأَزْكَاهُم أَصْلًا وفَرْعًا وأَطْيَبُ[6].

---

(1) البيتان من الرجز، والقصَّة في تاريخ الطبري، 2/244-245، وتاريخ دمشق، ابن عساكر، 3/404، والروض الأنف، السهيلي، 2/91، والمواهِب اللدنية، القسطلَّاني، 1/ 116، وتاريخ الخميس، الديار بكري، 1/184

(2) المواهِب اللدنيَّة، القسطلَّاني، 1/116-117.

(3) في المواهِب: جلَّ.

(4) الأبيات أضافها المؤلِّف على الهامِش.

(5) الأبيات من الكامِل، من قصِيدة لسيدي علِي وفا، الشاذلِي المالِكِي ت:807هـ، المواهِب اللدنيَّة، القسطلَّاني، 1/84، ينظر ترجمته فِي: شذرات الذهب، ابن العماد، 8/352.

(6) المواهِب اللدنيَّة، القسطلَّاني، 1/117-118.

لَمَّا أَرَادَ اللهُ خَلْقَ مُحَمَّدٍ ﷺ في بَطْنِ أُمِّهِ ليْلَةَ رجَبٍ، وكَانَتْ لَيْلَةَ جُمُعَةٍ أَمَرَ اللهُ تعَالَى فِي تلْكَ اللَّيْلَةِ رضْوَان خَازِن الجِنَانِ أنْ يَفْتَحَ الفِرْدَوْسَ، ونَادَى مُنَادٍ فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْضِينَ: أَلَا إِنَّ النُّورَ المَخْزُونَ المَكْنُونَ الذِي يكُونُ مِنْهُ النَّبِيءُ الْهَادِي فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ يَسْتَقِرُّ فِي بَطْنِ أمِّه، الذِي يَتِمُّ فيهِ خَلْقُهُ ويَخْرُجُ إِلَى النَّاسِ بشِيرًا ونَذِيرا[1].

وعنْ كَعْب الأَحْبَارِ: نُودِيَ تلْكَ اللَّيْلَة فِي السَّمَاءِ وصِفَاحِهَا، والأَرْضِ وبقَاعِها أَنَّ النُّورَ الْمَكْنُونَ الذِي منْهُ رسُولُ اللهِ ﷺ يسْتَقِرُّ اللَّيْلَةَ فِي بطْنِ آمنَةَ، فيَا طُوبَى لَهَا ثُمَّ يا طُوبَى. بِمَعْنَى أنَّ كَوْنَهُ فِي بطْنِها شَيْءٌ حسَنٌ جَمِيل عَظِيمٌ وأَصْبَحَتْ أَصْنَامُ الدُّنيَا كُلُّهَا منْكُوسةً[2].

وتَأْتِي قِصَّةُ الكَاهِنِ خَطر فِي قَوْلِه: كَمَا صُرِفَ الشَّيْطَانُ[3][4]. ولا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

55 وَمَا زِلْتَ نُورًا سَاطِعًا فِي شُؤُونِهِ بِأَطْهَرِ أَصْلَابٍ كِرَامٍ ذَوِي شَانِ

56 ولَمَّا أرادَ اللهُ إِظْهَارَ مُضْمَرٍ عَلَى عَلَمٍ [93ظ] يَهْدِي لِعرْفٍ وَعِرْفَانِ

57 أَضَاءَ لِعَدْنَانَ وَكُلِّ الْوَرَى سَنًا بِجَبْهَةِ عَبْدِ اللهِ أَشْرَفِ عَدْنَانِ

لمْ تَزَلْ يا رَسُولَ اللهِ بعْدَ أنْ وُضِعْتَ فِي آدمَ نُورًا مُرْتَفِعًا؛ أَيْ: كَنُورٍ عَالٍ فِي الْجَوّ، حَالَ كونِهِ فِي شؤُونِهِ مِنْ رُكُوعٍ وسُجُودٍ وتَسْبِيحٍ وتَعْظِيمٍ وذِكْرٍ ونُطقٍ، إِذَا شَاءَ اللهُ. وَذَلِكَ السُّطوع في أَطْهَرِ أَصْلَابٍ كِرَامٍ ذَوِي شَأْنٍ عظِيمٍ، طَاهِرٍ عن الزِّنَا بِالْفرْجِ ومَا يُحَرِّكُهُ، ولَيْسَ في النُّطفَةِ التِي خُلِقَ مِنْهَا شَيْءٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ، كَاستِحْضَارِ المُجامِعِ بِقَلْبِهِ امْرَأَةً غَيْرَ التِي يُجامِعُها، وقَدْ كانَ قَبْلَ ذلِكَ نُورًا لامِعًا حَيْثُ شَاءَ اللهُ كالْعَرْشِ والجنَّةِ، وكَانَ أَوَّلَ مَخْلُوقاتِ اللهِ ﷻ، خَلَقَهُ اللهُ قَبْلَ المَاءِ والقَلَمِ واللَّوْح والكُرْسِيِّ والْعَرْشِ.

ولَمَّا أَرَادَ اللهُ ﷻ إِظْهَارَ دِينٍ أَوْ شَرَفٍ مُضْمَرٍ علَى إِنْسَانٍ كَرِيمٍ عَلَى رَبِّهِ أَفْضلِ خَلْقِهِ، ظَاهِرٍ كظُهُورِ الْعَلَمِ؛ أَي: الجَبلِ، هَادٍ لِلْأَمْرِ المعْرُوفِ لِلْعُقُولِ الذِي تأْلَفُهُ، وللْمَعْرِفَةِ بِاللهِ ورُسُلِهِ وكتُبِهِ وسَائِرِ أَمْرِ دِينِهِ.

أَضَاءَ لِذُرِّيَّةِ عدْنَانَ خصُوصًا بِالشَّرَفِ وكُلِّ الوَرَى، عدْنَان وغَيْرِهِمْ، بالْهُدَى حالَ كوْنِهِ فِي جَبْهَةِ

---

(1) (م، س)، 118/1.

(2) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 119/1.

(3) العبارة أضافها المؤلف على الهامِشِ.

(4) سيذكر ذلك الكاهِن واسمه: خطر، عند شرحِ البيت من القصيدة:

كَمَا صُرِفَ الشَّيْطَانُ عَنْ خَبَرِ السَّمَا وَأَوْلَادُهُ بَعْدَ اسْتِرَاقٍ لِشَيْطَانِ

عبد الله بن عبد المطّلب أبيهِ أفضْل ذُرِّيَّةِ عدنان.

والمُرَادُ بقَوْلِهِ: "مَا زِلْتَ" إلَخ: ما زالَ بعْدَ أنْ جَعَلهُ اللهُ فِي أَجْسَامِ الآباء؛ لاخْتِصَاصِ اللهِ بالْأَزَلِيَّةِ، وهذَا ظَاهِرٌ؛ لِأَنَّهُ قالَ: بِأَطْهَرِ أَصْلَاب.

و"الشُّؤُون": جمْعُ شَأْنٍ بهَمْزٍ سَاكِنَةٍ، إلَّا أَنَّهُ قالَ: ذَوِي شَان بالأَلِفِ وهُوَ لُغَةٌ، فقد استَعْمَلَ لُغَتَيْن لغَةَ الْهَمْزِ إلَّا أنَّها فِي الْجَمْعِ وهُوَ مُنْبَنٍ علَى الْمُفْرَدِ، ولُغَةَ الأَلِفِ خرُوجًا عَنْ سِنَادِ الرِّدفِ. ولَوْ أَبْقَى الْهَمْزَةَ كانَ كَقَوْلِه:

إِذَا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مُرْسِلًا فَأَرْسِلْ حَكِيمًا وَلَا تُوصِهِ

وَإِنْ بَابُ أَمْرٍ عَلَيْكَ الْتَوَى فَشَاوِرْ لَبِيبًا وَلَا تَعْصِهِ[1]

أَثْبَتَ الرِّدْفَ فِي قَوْلِهِ: لَا تُوصِهِ دُونَ قَوْلِهِ: لَا تَعْصِهِ.

والبَاءُ فِي "بأَطْهَرِ" و"بِجَبْهَة" بِمَعْنَى "فِي". وَ"سَنا": فاعِل أضَاءَ. و"عَدْنَان": ذُرِّيَّة عدْنَان، كما تَقُولُ: فُلَانٌ أشْرَفُ بَنِي فُلَان أوْ نَسَب؛ أيْ: أَفْضَلُ رَجُلٍ عَدْنَانِي كمَا أَفْضَلُ قُرَشِيّ.

ولمْ يكْتُبْ يَاءَ النَّسَبِ إلَّا أنَّ الذِي عنْدِي أَنْ يَكْتُبَ ياءَ الإِطْلَاقِ إذَا كانَتْ لَامَ الْكَلِمَةِ أوْ للنَّسبِ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ لَا لِمُجَرَّدِ الإِطْلَاقِ.

قالَ عبْدُ الرَّزَّاق بسَنَدِهِ عنْ جَابِر بنِ عبْدِ اللهِ الأنصَارِيّ: ((**قُلْتُ يا رَسُولَ اللهِ: بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي أخبرنِي عَنْ أَوَّلِ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ تعَالَى قبْلَ الأَشْيَاءِ، قَالَ: يا جَابِر إنَّ اللهَ تعَالَى خَلَقَ قبْلَ الأَشْيَاءِ نُورَ نَبِيئِكَ مِنْ نُورِهِ، فجَعَلَ ذَلِكَ النُّورَ يدُورُ بالْقُدْرةِ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ولَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لَوْحٌ ولا قَلَمٌ ولَا جَنَّةٌ ولا نَارٌ ولَا مَلَكٌ ولَا سَمَاءٌ ولَا أَرْضٌ ولَا شَمْسٌ ولَا قَمَرٌ ولَا جِنِّيٌّ ولَا إِنْسِيٌّ، ويُرْوَى أنَّ اللهَ خلَقَ أَوَّلًا نُورَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَبْلَ الْعَرْشِ والكُرْسيِّ واللَّوْحِ والْقَلَمِ والسَّمَاءِ والأَرْضِ والْجَنَّةِ والنَّارِ بِأَلْفِ أَلْفٍ وسِتِّمِئَةٍ وسَبْعِينَ أَلْف سَنَةٍ، ويُرْوَى أَنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْعَقْلَ.**

ولَمَّا أرَادَ اللهُ أَنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ قسَمَ ذَلِكَ [94و] النُّورَ أرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ، فخَلَقَ مِنَ الْجُزءِ الأَوَّلِ القَلَمَ ومِنَ الثَّانِي اللَّوْح ومِنَ الثَّالِثِ الْعَرْش، ثُمَّ قَسَّمَ الْجُزْءَ الرَّابِعَ أرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ، فخَلَقَ منَ الْجُزءِ الأَوَّلِ حمَلَةَ الْعَرْشِ، ومِنَ الثَّانِي الكُرْسِيَّ ومِنَ الثَّالِثِ باقِي الْمَلَائِكَةِ، ثُمَّ قَسَّمَ الجُزْءَ الرَّابعَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ، فخَلَقَ مِنَ الأَوَّلِ السَّماوَاتِ ومِنَ الثَّانِي الأَرْضِينَ ومِنَ الثَّالِثِ الْجَنَّة والنَّار، ثُمَّ قَسَّمَ الرَّابعَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ فخَلَقَ مِنَ الأَوَّلِ نُورَ أَنْصَارِ المؤْمِنِينَ ومنَ الثَّانِي نُورَ قلوبِهِمْ وهُوَ المعْرِفةُ بِاللهِ تعَالَى،

(1) البيتان من المتقارب في طبقات فحول الشعراء للجمحِي، يقال إنَّهما للزبير بن عبد المطلب، 246/1.

ومِنَ الثَّالِثِ نورَ أُنْسِهِمْ وهو التَّوحيد))[1].

وعَنْ عُبَادةَ بنِ الصَّامِتِ قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: **((أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ))**[2]. ورَوَى السّدِّي: **((أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ المَاء))**[3] ويُجْمَعُ بِأَنَّ أَوَّلِيَّة القَلَمِ بالنِّسْبَةِ إِلَى مَا عدَا النُّورِ المُحَمَّدِيّ والْمَاءِ والْعَرْشِ[4]، أو بأنَّ أوَّلَ الأنوارِ نورُهُ ﷺ. قال عليّ بن أبي طالب إنّ النَّبِيء ﷺ قال: **((كُنْتُ نُورًا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّي قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ بِأَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْف عَامٍ))**[5][6].

ويُروَى أنَّهُ لمَّا خلق اللهُ تعالَى آدَمَ جَعَلَ ذلِكَ النُّورَ في ظَهْرِهِ فكَانَ يلْمَعُ فِي جَبِينِهِ فيَغْلبُ على سَائِرِ نورِهِمْ، ثُمَّ رَفَعَهُ اللهُ تعالى علَى سَرِيرِ مَمْلَكَتِهِ، وحَمَلهُ على أَكْتَافِ ملائكَتِهِ وأمَرَهُم فطَافُوا بِهِ فِي السَّمَاوَاتِ يَرَى عَجَائِبَ مَلَكُوتِهِ[7].

ويُروَى عن ابن عبَّاسٍ أَنَّ اللهَ خَلَقَ حوّاء مِنْ ضِلعٍ مِنْ أضْلَاعِ آدمَ اليُسرَى وهُوَ نَائِمٌ، ولمَّا اسْتَيْقَظَ وجَدَهَا عِنْدَهُ فمَدَّ يَدَهُ إِلَيْهَا وقَدْ سَكَنَ إِلَيْهَا، فقالت الملائكةُ: مَهْ يا آدمُ قال: ولِمَ وقَدْ خَلَقَها اللهُ لِي؟ فقَالُوا: حَتَّى تُؤَدِّيَ مَهْرَها، قالَ: ومَا مَهْرُها؟ قال: تُصَلِّي علَى مُحَمَّدٍ ﷺ ثلَاثَ مَرَّاتٍ[8].

وقال ابنُ الْجَوْزِيّ: لمَّا رَامَ القُرْبَ مِنْهَا طَلَبَتْ مِنهُ الْمَهْرَ، فقَالَ: يا رَبِّ ومَاذَا أُعْطِيهَا، فقَالَ: يا آدَمُ صَلِّ علَى حَبِيبِي محَمَّد بنِ عَبْدِ اللهِ عشْرِينَ مَرَّةً فَفَعَلَ[9].

ورُوِيَ أَنَّهُ لمَّا خَرَجَ آدمُ مِنَ الْجَنَّةِ رأَى مكْتُوبًا على سَاقِ الْعَرْشِ وعَلَى كُلِّ موْضِعٍ مِنَ الْجَنَّةِ اسْم مُحَمَّدٍ ﷺ مقْرُونًا بِاسْمِ اللهِ تعَالَى، فقَالَ: يَا رَبِّ هذَا مُحَمَّدٌ مَنْ هُوَ؟ فقَالَ اللهُ: هذَا وَلَدُكَ الذِي لوْلَاهُ مَا خَلَقْتُكَ، فقَالَ: يَا رَبِّ بِحَقِّ هذَا الْوَلَدِ ارْحَمْ هَذَا الوَالِد فنُودِيَ يَا آدَمُ لَوْ تشَفَّعْتَ إِلَيْنَا فِي أَهْلِ السَّمَاواتِ والْأَرْضِ لَشَفَّعْنَاكَ[10].

وعنْ عُمَر بنِ الخَطَّاب [94ظ] قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: **((لمَّا اقْتَرَفَ آدمُ الخَطِيئةَ قَالَ: يَا رَبِّ أسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمّدٍ لمَا غَفَرْتَ لي، فقَالَ لهُ اللهُ: يا آدَمُ وكيْفَ عرَفْتَ مُحَمَّدًا ولَمْ أَخْلُقْهُ؟ قالَ:**

---

(1) سبق تخريج الحدِيث والإشارة إلى أنه منسوب إلى عبد الرزاق الصنعاني خطأ، ينظر الورقة [74].

(2) سبق تخريجه ينظر الورقة [75].

(3) ورد بمعناه في جامع البيان، الطبري، 462/1.

(4) سبق تخريجه، المواهب اللدنيَّة، القسطلَّاني، 74/1.

(5) ورد بمعناه في فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل، حدِيث (1130).

(6) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 74/1.

(7) (م، س)، 75/1.

(8) (م، س)، 76/1.

(9) (م، س)، 76/1، نقلا من "سلوة الأحزان" لابن الجوزِي.

(10) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 81/1-82.

يا رَبِّ لِأَنّكَ لمَّا خلَقْتَنِي بِيَدِكَ ونَفَخْتَ فِيَّ مِنْ روحِكَ رَفَعْتُ رَأْسِي فرَأَيْتُ علَى قوَائِمِ الْعَرْشِ مكْتُوبًا لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، فعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَى اسْمِكَ إِلاَّ أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ، فقَالَ اللهُ تعالَى: صَدَقْتَ يَا آدَمُ إِنَّهُ لَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ، وإِذْ سَأَلْتَنِي بحقِّهِ فقَدْ غَفَرْتُ لَكَ، ولَوْلَا مُحَمَّدٌ ما خَلَقْتُكَ، وهُوَ آخِرُ الأنبِئاءِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ))[1].

ورُوِيَ أَنَّه خَلَقَ اللهُ شِيتَ وَحْدَهُ فِي بَطْنِ حَوَّاءَ لَا مَعَ أُخْتٍ كرامَةً لِلنُّبُوءَةِ، وكانَ فِيهِ نورُ نَبِيِّنا مُحَمَّد ﷺ، وكَانَ شِيتُ وَصِيَّ آدمَ عليه السلام، ثمَّ أَوْصَى شيتُ ولَدَهُ أن لَا يَضَعَ هَذَا النُّورَ إِلَّا في المطهَّرَاتِ، ولَمْ تَزَلْ هَذِهِ الوَصِيَّةُ جارِيةً إِلَى أَنْ أَدَّى اللهُ هذَا النُّورَ إِلَى عَبْدِ المطَّلِبِ وابنِهِ عَبْدِ اللهِ، وطَهَّرَ اللهُ هذَا النَّسَبَ الشَّرِيفَ مِنْ سفَاحِ الْجَاهِلِيَّةِ. قالَ ابنُ عَبَّاسٍ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **((مَا وَلَدَنِي مِنْ سِفَاحِ الْجَاهلِيَّةِ شَيْءٌ مَا وَلَدَنِي إِلَّا نِكَاحُ الإِسْلَامِ))**[2][3]. أيْ: بالْوَلِيّ والشُّهودِ والصَّدَاقِ، واعْلَمْ أَنَّ الأَنْبِئاءَ كُلّهم أَجْدَادُهُ قبْلَ إِسْمَاعِيلَ علَيْهِم السَّلامُ.

قال هشامُ بن محمّد ابن السّائب الكَلبي عَنْ أَبِيهِ: كَتَبْتُ لِلنَّبيءِ ﷺ خَمْسَمِئَة أُمّ، ومَا وجَدْتُ فِيهِنَّ سِفَاحًا ولَا شَيْئًا مِمَّا كانَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ[4].

وعَنْ عَلِيّ بنِ أَبِي طَالِب أَنَّ النَّبِيءَ ﷺ قَالَ: **((خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ، وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ وَلَدَنِي أَبِي وَأُمِّي))**[5] لم يُصِبْنِي مِنْ سِفَاحِ الجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ[6].

وعَن ابنِ عَبَّاسٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: **((لَمْ يَلْتَقِ أَبَوَايَ قَطُّ علَى سِفاحٍ، لَمْ يَزَل اللهُ ينْقُلُنِي مِنَ الْأَصْلَابِ الطَّيِّبَةِ إِلَى الأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ مُصَفًّا مُهَذَّبًا، لا تَتَشَعَّبُ شُعبَتَانِ إِلاَّ كُنْتُ في خَيْرِهِمَا))**[7].

وعنهُ في قولِهِ تعالى: ﴿ **وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ** (219) ﴾[8] قال: **((مِنْ نَبِيءٍ إِلَى نَبِيءٍ حَتَّى أَخْرَجْتُكَ نَبِيئًا))**[9]. وإِنَّهُ ما زال النَّبيءُ ﷺ يتقلَّبُ في أَصْلَابِ الْأَنْبِئَاءِ حتَّى وَلَدَتْهُ أُمُّهُ[10].

---

(1) المستدرك، الحاكِم، حدِيث (4228) ودلائل النبوة، البيهَقِي، 488/5.

(2) السنن الكبرى، البيهقِي، حدِيث (14076).

(3) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 85/1.

(4) (م، س)، 86/1.

(5) المعجم الأوسَط، الطبراني، حدِيث (4728).

(6) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 86/1.

(7) دلائل النبوة، أبو نعِيم، حدِيث (15).

(8) سورة الشعراء: 219.

(9) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 86/1، وذكر أنه رواه البزار، ولم أجده فِي مسند البزار، ولا في كشف الأستار للهيثَمِي.

(10) دلائِل النبوة، أبو نعِيم، حدِيث (17)، والمواهب اللَّدنيَّة، القسطلَّاني، 87/1.

وعن جَعْفَر بنِ مُحَمَّد عنْ أَبِيهِ فِي قَوْلِهِ تعَالَى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾[1] لَمْ يُصِبْهُ شَيْءٌ مِنْ وِلَادَةِ الْجَاهِلِيَّة، قالَ: وقَالَ النَّبِيء ﷺ: ((**خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ غَيْرِ سِفَاحٍ**))[2].

وعَنْ أَنَس: قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾[3] ففَتَحَ الفَاءَ وقَالَ: ((**أَنَا أَنْفَسُكُم نسَبًا وصِهْرًا وحسَبًا، لَيْسَ فِي آبَائِي**[4] **منْ لَدُنْ آدَمَ سِفَاحٌ، كُلُّنَا نِكَاحٌ**))[5].

وعن عائشةَ عَنْهُ ﷺ عَنْ جبْرِيلَ: ((**قَلَبْتُ مشَارِقَ الْأَرْضِ ومَغَارِبَها فلَمْ أَرَ رَجُلًا أَفْضَلَ مِنْ مُحَمَّدٍ، ولَمْ أرَ بَنِي أَبٍ أَفْضَلَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**))[6].

وعن أبي هُرَيْرَةَ عَنْهُ ﷺ: ((**بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا حَتَّى كُنْتُ مِنَ القَرْنِ الذِي كنْتُ** [95و] **فِيهِ**))[7].

قالَ واثِلةُ بنُ الأَسْقَع قالَ رَسُولُ الله ﷺ: ((**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**))[8].

ويُروَى ((**اخْتَارَ العَرَبَ مِنْ بَنِي آدَمَ، واخْتَارَ مِنَ الْعَرَبِ كنانة، واخْتَارَ قُرَيْشًا مِنْ كنَانَةَ، واخْتَارَ بَنِي هاشِم مِنْ قُرَيْشٍ، واخْتَارَ مِنْ بني هاشم عَبْدَ اللهِ، واخْتَارَنِي مِنْ عَبْدِ الله**))[9].

وعَن العَبَّاسِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((**إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فجَعَلَنِي فِي خَيْرِ فِرْقَتِهِمْ وخَيْرِ الْفَرِيقَيْنِ، ثُمَّ تَخَيَّرَ القَبَائِلَ فجَعَلَنِي فِي خَيْرِ الْقَبِيلَةِ، ثُمَّ تَخَيَّرَ البُيُوتَ فجَعَلَنِي فِي خيْرِ بُيُوتِهِمْ، فأَنَا خَيْرُهُمْ نَفْسًا، وخَيْرُهُمْ بَيْتًا؛ أَيْ: خَيْرُهُمْ رُوحًا وَذَاتًا، وخَيْرُهُمْ بَيْتًا**))[10] أَيْ: أَصْلًا.

وعَن ابن عمر عَنْهُ ﷺ: ((**إِنَّ اللهَ اخْتَارَ مِنْ خلْقِهِ بني آدم، واختارَ مِن بني آدمَ العربَ،**

---

(1) سورة التوبة: 128.

(2) الطبقات الكبرَى، ابن سعد، 43/1، والمواهب اللَّدنيَّة، القسطلَّاني، 87/1،

(3) سورة التوبة: 128.

(4) في الدر المنثور: ليس فِيَّ ولا فِي آبائي.

(5) المواهب اللَّدنيَّة، القسطلَّاني، 87/1 عن ابن مردويه. وينظر: الدر المنثور، السيوطِي، 602/7، عن ابن مردويه أيضا.

(6) دلائل النبوة، البيهقِي، 176/1، والمواهب اللَّدنيَّة، القسطلَّاني، 87/1، عن أبِي نعِيم، دلائل النبوة، لم أجده فِيه.

(7) صحيح البخارِي، حدِيث (3557).

(8) صحيح مسلِم، حدِيث (2276).

(9) لم أقف عليهِ بلفظِهِ.

(10) سنن الترمذِي، حدِيث (3607).

واخْتَارَنِي مِنَ الْعَرَبِ، فلَمْ أزَلْ خِيَارًا مِنْ خِيَارٍ، أَلَا مَنْ أَحبَّ الْعَرَبَ فَبِحُبِّي أحبَّهُم، ومَنْ أَبْغَضَ الْعَرَبَ، فَبِبُغْضِي أَبغَضَهُمْ))[1].

واعْلَمْ أَنَّهُ ﷺلَمْ يُشْرِكْهُ فِي وِلَادَتِهِ مِنْ أَبَوَيْهِ أَخٌ ولَا أُخْتٌ لِانْتِهَاءِ صَفْوَتِهِمَا إِلَيْهِ، وقُصُورِ نَسَبِهِمَا عَلَيْهِ، لِيَكُونَ مُخْتَصًّا بنَسَبٍ جَعَلَهُ تعَالَى لِلنُّبُوءَةِ غَايَةً، ولِتَمَامِ الشَّرَفِ نِهَايَةً، وأَنْتَ إِذَا اخْتَبَرْتَ حَالَ نَسَبِهِ وعَلِمْتَ طَهَارَةَ مَوْلِدِهِ تَيَقَّنْتَ أَنَّهُ سُلَالَةُ آباءٍ كِرَامٍ[2].

قالَ عبد الله بن عمرو بنِ العاصي: **((إِنَّ اللهَ ﷻ كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاواتِ والأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْف سَنَةٍ، وكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ))**[3].

وكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَا كتبَ فِي الذِّكْرِ، وهُوَ أُمُّ الْكِتَابِ، أَنَّ مُحَمَّدًا خَاتِمُ النَّبِيئِين[4].

وَخَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ تَمْثِيلٌ لِأَنَّه لَا أَوَّلَ لِعِلْمِ اللهِ ﷻ، أَوْ أَرَادَ أَنَّهُ كتبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وأَنَّهُ خلق قَبْلَ السَّمَاوَاتِ.

قالَ العرباض بن سارية، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **((إِنِّي عَبْدُ اللهِ خَاتِمُ النَّبِيئِين، وإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ))**[5] أَيْ: قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فيهِ.

قالَ ميسرة الضّبّي[6]: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَتَى كُنْتَ نَبِيًّا؟ قَالَ: **((وآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ والْجَسَدِ))**[7]، ويُروَى: **((كُنْتُ نَبِيًّا وآدَمُ بَيْنَ الْمَاءِ والطِّينِ))**[8] وهُوَ مَوْضُوعُ اللَّفْظِ صَحِيحُ الْمَعْنَى. ويُروَى: **((مَتَى كُتِبْتَ نَبِيًّا؟))**[9].

قالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قالُوا: مَتَى وجَبَتْ لَكَ النُّبُوءَةُ؟ قالَ: **((وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ))**[10].

وسَأَلَ سهيل بنُ صالح الهَمَدَانِي[11] أَبَا جَعْفَر محمّد بن عليّ[12]: كَيْفَ صارَ مُحَمَّدٌ ﷺ يتَقَدَّمُ

---

(1) الشفا، القاضِي عياض، ص165 عن الطبرِي.

(2) المواهب اللَّدنيَّة، القسطلَّاني، 89/1.

(3) صحيح مسلم، حدِيث (2653).

(4) المواهب اللَّدنيَّة، القسطلَّاني، 57/1.

(5) مسند أحمد، حدِيث (17150).

(6) في المسنَد: ميسرة الفجرِ.

(7) شرح مشكل الآثار، الطحاوِي، حدِيث (5977).

(8) سبق التنبِيه إليه، ينظر الورقة [71ظ].

(9) مسند أحمد، حدِيث (20596).

(10) سنن الترمذِي، حدِيث (3609).

(11) المواهِب اللدنية: سهل بن صالِح.

(12) أبو جعفر محمد بن علِيّ بن الحسين بن علي بن أبِي طالِب.

الْأَنْبِيَاءَ وهُوَ آخِرُ مَنْ بُعِث؟ قالَ: لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ قَالَ: بَلَى حِينَ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾[1][2].

ومَعْنَى نبُوءَته قَبْلَ وُجُودِهِ الْحُكْمُ بِهَا الأَزَلِيّ، أَوْ مَعَ خَلْقِ اللهِ الأَرْوَاحَ بَعْدَ العَدَمِ وقَبْلَ وجُودِ الأَجْسَامِ أَوْ معَ خَلْقِ حقِيقَةٍ لَهُ تَقْصُرُ الْعُقُولُ عَنْ إِدْرَاكِها، مُتَّصِفَةٍ بِالنُّبُوءَةِ وأَوْصَافِهِ ﷺ ولوْ كانَ الْمُرَادُ الْقَضَاء والْعِلْم لَمْ تَكُنْ لَهُ مَزِيَّةٌ بِذَلِكَ لِأَنَّ الأَنْبِيَاءَ كَذَلِكَ.

[95ظ] وقَدْ يُقَالُ أرَادَ الإِخْبَارَ بِتَحَقُّقِ شَأْنِهِ لَا الخُصُوصِيَّة، فضْلًا عَنْ أَنْ يُقَالَ الأَنْبِيَاءُ كَذَلِكَ.

قالَ الشَّعْبِيُّ: قَالَ رَجُلٌ يا رَسُولَ اللهِ متَى اسْتُنْبِئْتَ؟ قال: ((**وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ، حِينَ أخذَ مِنِّي الْمِيثَاق**))[3]. ولعَلَّ المُرَادَ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ حِينَئِذٍ بِأَنَّكَ نَبِيءٌ. ثُمَّ إِنَّ قَوْلَهُ: "وآدَمُ بَيْنَ المَاءِ والطِّينِ" أَوْ "بَيْنَ الرُّوحِ والْجَسَدِ" يَدُلُّ أَنَّ خُرُوجَ الذُّرِيَّة مِنْ آدَمَ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ، وأَكْثَرُ الأَحَادِيثِ أَنَّهُ قَبْلَ النَّفْخِ.

الجَوَابُ: أَنَّهُ أجَابَ قَبْلَ الخُرُوجِ وهُوَ ومَا بَعْدَ الْخُرُوج يَوْمٌ وَاحِدٌ، أَوْ خصَّ بِاسْتِخْرَاجِهِ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ.

ويُرْوَى أَنَّهُ لَمَّا خَلَقَ اللهُ نورَ نَبيئِنا مُحَمَّدٍ ﷺ أَمَرَهُ أن يَنْظُرَ إِلَى نُورِ الأَنْبِيَاءِ علَيْهِم السَّلَامُ فغَشِيَهُمْ مِنْ نُورِهِ فأَنْطَقَهُم اللهُ وقَالُوا: يَا رَبَّنا مَنْ غشِيَنا نُورُهُ؟ فقَالَ اللهُ تعَالَى: هذَا نُورُ مُحَمَّد بنِ عَبْدِ اللهِ إِنْ آمَنْتُمْ بِهِ جَعَلتُكُمْ أَنْبِيَاءً. قالُوا: آمَنَّا بِهِ وبنُبُوءَتِهِ. فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: أشهد عَلَيْكُمْ؟ قالُوا: نَعَمْ. فذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ** ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿81﴾** ﴾[4][5].

قالَ كَعْبُ الأَحْبَارِ: لَمَّا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى خَلْقَ محمَّدٍ ﷺ أمَرَ جِبْرِيلَ عليه السلام أنْ يَأْتِيَهُ بِالطِّينَةِ التِي هِيَ قَلْبُ الأَرْضِ وبَهاؤُهَا ونُورُها، فهَبَطَ جِبْرِيلُ فِي مَلَائِكَةِ الفِرْدَوْسِ وملَائِكَةِ الرَّفِيعِ[6] الأعلَى فَقَبَضَ قَبْضَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَوْضِعِ قَبْرِهِ الشَّرِيفِ وهِيَ بيْضَاءُ مُنِيرَةٌ، فعُجِنَتْ بِمَاءِ التَّسْنِيمِ فِي مَعِينِ أَنْهَارِ الجَنَّةِ حَتَّى صَارَتْ كالدُّرَّةِ الْبَيْضَاءِ لَهَا شُعَاعٌ عَظِيمٌ، ثُمَّ طَافَتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ حَوْلَ الْعَرْشِ والكُرْسيّ وفِي السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ والْجِبَالِ والْبِحَارِ فعرَفَت الْمَلَائِكَةُ والخَلْقُ فَضْلَهُ قَبْلَ أنْ تَعرِفَ آدَمَ علَيْهِمَا السَّلامُ[7].

---

(1) سورة الأعراف: 172.

(2) المواهب اللَّدنيَّة، القسطلَّاني، 61/1 رواية في جزء من أمالي أبِي سهل القطان.

(3) الطبقات، ابن سعد، 123/1.

(4) سورة آل عمران: 81.

(5) سبقَ تخرِيجُهُ، ينظر: [65و] المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 67/1.

(6) في المواهب: الرَّقِيع.

(7) سبقَ تخرِيجُهُ، المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 68/1.

وقِيلَ: لَمَّا قالَ اللهُ عزَّ وعَلَا: ﴿ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا ﴾[1] أجابَ مَوْضِعُ الكعْبَةِ الشَّرِيفَةِ ومِنَ السَّمَاءِ مَا يُحَاذِيهَا. قَالَ ابْنُ عَبَّاس: أَصْلُ طِينَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ سُرَّةِ الأَرْضِ بِمَكَّةَ، فيَدُلُّ أَنَّه أجَابَتْ تُرْبَتُهُ ﷺ مِنْ مَوْضِعِ الكَعْبَةِ، ومِنْ مَوْضِعِ الكَعْبَةِ دُحِيَت الأَرْضُ. فرَسُولُ اللهِ ﷺ هوَ الأَصْلُ فِي التَّكْوِينِ والكَائِناتُ تَبَعٌ لهُ. قِيلَ فَسُمِّيَ أُمِّيًا؛ لِأَنَّ مَكَّةَ أُمُّ الْقُرَى، وتَمَوَّجَ الماءُ إِلَى حَيْثُ دُفِنَ ﷺ وأَلْقَى فِيهِ زُبْدَتَهُ التِي تَصِيرُ تُرْبتهُ[2].

ويُروَى لمَّا خلقَ اللهُ آدمَ أَلْهَمَهُ أنْ قَالَ: يَا رَبِّ لِمَ كنَّيتَنِي أبَا مُحَمَّدٍ؟ قالَ اللهُ تَعَالى: يَا آدَمُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، فرَفَعَ رَأْسَهُ فرَأَى نُورَ مُحَمَّدٍ فِي سرَادِقِ العَرْشِ، فقَالَ: يَا رَبِّ مَا هَذَا النُّورُ؟ قالَ: هذَا نُورُ نَبِيءٍ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ اسْمُهُ فِي السَّماءِ أَحْمَدُ وفِي الأَرْضِ مُحَمَّدٌ، لَوْلَاهُ مَا خَلَقْتُكَ ولَا خَلَقْتُ سَمَاءً ولَا أَرْضًا[3]. قالَ قَائِلٌ:

وكَانَ لَدَى الْفِرْدَوْسِ فِي زَمَنِ الصِّبَا ... وَأَثْوَاب شَمْلِ الْأُنْسِ مُحْكَمَةُ السَّدَا
يُشَاهِدُ [96و] في عدْنٍ ضِياءً مُشَعْشَعًا ... يَزِيدُ عَلَى الْأَنْوَارِ فِي الضَّوْءِ وَالْهُدَى
فَقَالَ: إِلَهِي مَا الضِّيَاءُ الذِي أَرَى؟ ... جُنُودُ السَّمَا تَعْشُو إِلَيْهِ تَرَدُّدا
فَقَالَ: نَبِيءٌ خَيْرُ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى ... وَأَفْضَلُ مَنْ فِي الْخَيْرِ رَاحَ أَوِ اغْتَدَى
تَخَيَّرْتُهُ مِنْ قَبْلِ خَلْقِكَ سَيِّدَا ... وَأَلْبَسْتُهُ قَبْلَ النَّبِيِّينَ سُودَدا[4]

وإِنْ قُلْتَ في الصَّحِيحَيْنِ: ((**كُلُّ مَوْلُودٍ يَنْخَسُهُ الشَّيْطَانُ فيَصِيحُ إِلَّا عِيسَى بن مَرْيَمَ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ:** ﴿ **وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ** ﴾[5] **إلخ**))[6] قُلْتُ: لِنَبِيئِنَا مِنَ الْمَزَايَا مَا يَنْغَمِرُ هَذَا فِي جَنْبِ أَدْنَاهَا، وقَدْ يكُونُ فِي الْمَفْضُولِ مَزِيَّةٌ أَوْ مزَايَا لَيْستْ فِي الْفَاضِلِ، لَكِنْ فِيهِ مَا يَخْلفُ ذَلِكَ ويَفُوقُهُ.

وأَفْعالُ اللهِ عنْدَنَا وعِنْدَ الأشاعرة لَا تُعَلَّلُ بالأَغْرَاضِ؛ لِأَنَّ تَعْلِيلَها بِهَا يسْتَدْعِي اسْتِكْمَالًا وهُوَ فَرْعٌ تَقَدَّم النَّقْصَ والْحَاجَة تَعالَى اللهُ عَنْهُمَا. ومَا أَوْهَمَ ذلِكَ فمَعْنَاهُ أَنَّ الْحِكْمَةَ اقْتَضَتْ ذَلِكَ، وأَنَّ ذَلِكَ مصَالِحُ لِخَلْقِهِ لَا بَوَاعِث لِأَفْعَالِهِ.

ويُذْكَرُ أَنَّهُ كَانَ تُسْمَعُ تَلْبِيَةُ النَّبِيء ﷺ بالحَجِّ مِنْ صُلْبِ جَدِّهِ إلياس بنِ مُضَر. وعَن ابْنِ عَبَّاسٍ

---

(1) سورة فصلت: 11.

(2) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 69/1، بتصرُّف.

(3) (م، س)، 69/1-70 بتصرُّف.

(4) الأبيات من الطويل، سبقَ تخريجها، ينظر: [74و].

(5) سورة آل عمران: 36.

(6) صحيح البخاري، حدِيث (4548)، وصحيح مسلم، حدِيث (2366).

أَنَّه ﷺ كَانَ إِذَا انْتَسَبَ لَمْ يُجَاوِزْ مَعد بنَ عَدْنَان ويُمْسِكُ ويَقُولُ: ((**كَذَبَ النَّسَّابُونَ**))[1] مَرَّتَيْنِ أَوْ ثلَاثًا، وفِي بعْضِ الرِّوَايةِ ثَلاثًا، وذَكَرَ السّهيليّ أَنَّ الْأَصَحَّ أَنَّ هَذَا مِنْ كَلَام ابْنِ مَسْعُودٍ[2][3].

وذَكَر بعضٌ أَنَّه إذَا قرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ **أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ** ﴾ إلى قولهِ: ﴿ **لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ** ﴾[4] قالَ: ((**كَذَبَ النَّسَّابُونَ**))[5]. وقَالَ عُمَر ﷺ: إنَّمَا أَنْتَسِبُ إِلَى عَدْنَانَ، ومَا فَوْقَ ذَلِكَ لَا نَدْرِي مَا هُوَ[6].

ولا يلزمُ مِنَ عَدمِ مَعْرِفةِ .....[7] عَدَمُ مَعْرِفَةِ غَيْرِه، لَكِنْ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ الْمُدَّعَاةُ غَيْرُ مُحَقَّقَةٍ بَلْ مُريبَةٌ.

وعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: بَيْنَ عدْنَانَ وإِسْمَاعِيلَ ثَلَاثُونَ أَبًا لَا يُعْرَفُونَ[8]. وقِيلَ: أَرْبَعَةٌ وقِيلَ: سبْعَةٌ وقِيلَ: أَرْبَعَة وقِيلَ: ثَمَانِيَة وقِيلَ: تِسْعَةٌ وقِيلَ: عَشَرَةٌ وقِيلَ: خَمْسَةَ عَشَرَ وقِيلَ: عِشْرُونَ وقِيلَ: ثَمَانِيَةٌ وثَلَاثونَ وقِيلَ تِسْعَةٌ وَثَلَاثُونَ وقِيلَ: أَرْبَعُونَ وقِيلَ: أَحَدٌ وأَرْبَعُونَ وقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ. وقَالَ عُروة بن الزّبَير: مَا وَجَدْنَا أَحَدًا يَعْرِفُ بَعْدَ معد بنِ عدْنان[9].

وسُئِلَ مَالِك عنْ رَجُلٍ يَعْرِفُ نَسَبَهُ إِلَى آدمَ فكَرِهَ ذَلِكَ وقَالَ: مَنْ أَخْبَرَهُ بذلِكَ؟ وكذَا رُوِيَ عَنْهُ فِي رَفعِ نَسَبِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ[10].

فالوَاجِبُ علَيْنَا الإِعْرَاضُ عمَّا فوْقَ عدْنَانَ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّخْلِيطِ والتَّغْيِير وصُعُوبَةِ تلْكَ الأَلْفَاظِ مَعَ قِلَّةِ الفَائِدَةِ[11].

وعَنْ كَعْب الأَحْبَارِ: إنَّ نُورَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لمَّا صارَ إِلَى عَبْدِ المطَّلِبِ وأَدْرَكَ نَامَ يَوْمًا فِي الْحِجْرِ فانْتَبَهَ مكْحُولًا مَدْهُونًا، قَدْ كُسِيَ حُلَّةَ البَهَاءِ والْجَمَالِ، فبَقِيَ مُتَحَيِّرًا لَا يَدْرِي مَنْ فَعَلَ بِهِ ذَلِكَ، فأَخَذَ أَبُوهُ بِيَدِهِ وانْطَلَقَ بِهِ إِلَى كَهَنَةِ قُرَيْشٍ فأَخْبَرَهُم بذَلِكَ فقَالُوا لَهُ: اعْلَمْ أَنَّ إِلَهَ السَّماءِ قَدْ أَذِنَ لِهَذَا الْغُلَامِ أَنْ يَتَزَوَّجَ، فزَوَّجَ لهُ قيلة فوَلَدَتْ لَهُ الحارث ثُمَّ مَاتَتْ، فزَوَّجَهُ بعْدَهَا فاطمة بنت عمْرو. وكَانَ عَبْدُ

---

(1) تاريخ دمشق، ابن عساكِر، 52/3.

(2) الروض الأنف، السهيلي، 34/1.

(3) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 95/1.

(4) سورة إبراهيم: 9.

(5) ينظر: جامع البيان، الطبري، 604/13.

(6) ينظر: الروض الأنف، 34/1.

(7) كلمة غير واضِحة، لعلَّها الجَدّ.

(8) ينظر: الروض الأنف، 42/1.

(9) ينظر: الإنباه على قبائل الرواة، ابن عبد البر، ص17.

(10) ينظر: الروض الأنف، 42/1.

(11) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 96/1-97.

الْمُطَّلِبِ يَفُوحُ مِنْهُ رِيحُ الْمِسْكِ الأَذْفَرِ، ونُورُ رَسُول اللهِ يُضِيءُ فِي غُرَّتِهِ، وكانَتْ قُرَيْشٌ إِذَا أَصابَها قَحْطٌ تَأْخُذُ بِيَدِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فتَخْرُجُ بِهِ إِلَى جبل ثَبير فَيَتَقَرَّبُون بِهِ إِلَى اللهِ تعَالَى ويَسْأَلُونَهُ أَنْ يَسْقِيَهُم الْغَيْثَ، فيَسْقِيهم اللهُ ببَرَكَةِ نُورِ سَيِّدِنَا مُحَمَّد ﷺ غَيْثًا عَظِيمًا[1].

[96ظ] ولمَّا قَدِمَ أبْرهة مَلِكُ اليَمَنِ مِنْ قِبَلِ أصحمة النّجاشي لِهَدْمِ هَذَا الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَبَلَغَ عَبْدَ المُطَّلِبِ ذَلِكَ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ لَا يَصِلُ إِلَى هَدْمِ هذَا البَيْتِ؛ لأَنَّ لِهَذَا الْبَيْتِ رَبًّا يَحْمِيهِ ويَحْفَظُهُ، وجاءَ أَبْرَهةُ فَاسْتَاقَ إِبِلَ قُرَيْش وغنَمَهَا وكانَ لِعَبْدِ المُطَّلِبِ فيهَا أَرْبَعُ مِئَةِ نَاقَةٍ، فرَكِبَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ فِي قُرَيش حَتَّى طَلَعَ جَبَلَ ثَبِير، فاسْتَدَارَتْ دَائِرَةُ غُرَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى جَبِينِهِ كَالْهِلَالِ، واشْتَدَّ شُعَاعُها علَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ مِثْلَ السِّرَاجِ، فَلَمَّا نَظَرَ عَبْدُ المطَّلِبِ إِلَى ذَلِكَ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ارْجِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ هَذَا الْأَمرَ، فوَاللهِ مَا استَدَارَ هَذَا النُّورُ مِنِّي إِلَّا أنْ يَكُونَ الظَّفَرُ لنَا، ورَجَعَ العَدُوُّ مُتَفَرِّقًا وأَرْسَلَ أَبْرَهَةُ رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ ودَخَلَ مَكَّةَ، ونَظَرَ إِلَى وَجْهِ عَبْدِ المطَّلِبِ فخَضَعَ وتَلَجْلَجَ لِسَانُهُ وخَرَّ مَغْشِيًّا عليْهِ، فكَانَ يَحُورُ كمَا يَحُورُ الثَّوْرُ عنْدَ ذَبْحِهِ، ولَمَّا أَفَاقَ خَرَّ ساجِدًا لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ وقالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ سَيِّدُ قُرَيْشٍ حَقًّا. وَلَمَّا حَضَرَ عبْدُ الْمُطَّلِبِ عِنْدَ أَبْرَهَةَ أَمَرَ بِسَائِسِ فِيلِهِ الأَعْظَمِ الذِي كانَ لا يَسْجُدُ لِلْمَلِكِ أَبْرَهَة كَمَا تَسْجُدُ سائِرُ الفِيَلَةِ لَهُ أنْ يُحْضِرَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فأَحْضَرَهُ، فنَظَرَ إِلَى وَجْهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فبَرَكَ كَمَا يَبْرُكُ البَعِيرُ وخَرَّ سَاجِدًا وأَنْطَقَ اللهُ تعَالَى الْفِيلَ، فقَالَ: السَّلَامُ عَلَى النُّورِ الذِي فِي ظَهْرِكَ يَا عَبْدَ الْمُطَّلِبِ[2].

والْمُعْجِزَةُ يَجُوزُ تقَدُّمُها علَى دَعْوَى الرِّسَالَةِ تَمْهِيدًا لَهَا، كمَا أَظَلَّتْهُ الغَمَامَةُ قَبْلَ الْبِعْثَةِ، وَكَمَا جَعَلَهُ اللهُ نُورًا فِي أَبِيهِ ومَنْ قَبْلَه. وقِيلَ: لا يُسَمَّى مُعْجِزَةً قَبْلَهَا، ولَمَّا تَأَكَّدَتْ نبُوءتُهُ ﷺ لمْ يُهْلِك اللهُ الحَجّاج فِي هَدْمِ الكَعْبَةِ، كَمَا أَهْلَكَ أَصْحَابَ الفِيلِ كَذَا قِيلَ.

والوَاضِحُ أَنَّهُ لَمْ يهْلكْ؛ لِأَنَّهُ تَأَوَّلَ رَدَّها علَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي زمَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

ولَمَّا أَهْلَكَ اللهُ أَصْحَابَ الفِيلِ نامَ عبْدُ الْمُطَّلِبِ فِي الْحِجْرِ رأَى رُؤْيَا عَظِيمَةً وقَصَّها عَلَى كَهَنَةِ قُرَيْشٍ فقَالُوا: إِنْ صَدَقَتْ رُؤْيَاكَ لَيَخْرُجنَّ مِنْ صُلبِكَ مَنْ يُومِنُ بِهِ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ ولَيَكُونَنَّ فِي النَّاسِ عَلَمًا مُبِينًا، فتَزَوَّجَ امْرَأَةً تُسَمَّى فاطِمَة فحَمَلَتْ فِي الْوَقْتِ بِعَبْدِ اللهِ[3].

ويُرْوَى أَنَّ عبْدَ الْمُطَّلِبِ رَأَى فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ سِلْسِلَةً مِنْ فِضَّةٍ خرَجَتْ مِنْ ظَهْرِهِ لَهَا طَرَفٌ فِي السَّماءِ وطَرَفٌ فِي الْأَرْضِ وطَرَفٌ في الْمَشْرِقِ وطَرَفٌ فِي الْمَغْرِبِ ثُمَّ عادَتْ كأَنَّهَا شَجَرَةٌ علَى كُلِّ

(1) المواهب اللدنية، القسطلّاني، 1/97-98.

(2) (م، س)، 1/99-103.

(3) (م، س)، 1/106-107.

وَرَقَةٍ منْهَا نُورٌ، وإذَا أَهْلُ الْمَشْرِقِ والْمَغْرِبِ يتَعَلَّقونَ بِهَا فقَصَّهَا، فعُبِّرَتْ لهُ بِمَوْلُودٍ يَكُونُ مِنْ صُلبِهِ يتَّبِعهُ أَهْلُ الْمَشْرِقِ والْمَغْرِبِ ويَحْمَدُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ والأَرْضِ، ولِذَلِكَ سمَّاهُ مُحَمَّد[ا]، مَعَ ما حَدَّثَتْ بِه أُمُّهُ مِنْ أَنَّهُ قِيلَ لَهَا: إِنَّكِ قَدْ حَملْتِ بِسَيِّدِ هذِهِ الْأُمَّةِ، فإِذَا وَضَعْتِهِ فَسَمِّيهِ مُحَمَّدًا[1].

[97و] قال أبو الخيتَم[2]: سَمِعْتُ أبا طَالب يُحَدِّثُ عنْ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ في الحِجْرِ إِذْ رَأَيْتُ رُؤْيَا هَالَتْنِي ففَزِعْتُ منْهَا فَزَعًا شَدِيدًا فأَتَيْتُ كاهِنَةَ قُرَيْشٍ فقُلْتُ لهَا: إِنِّي رأَيْتُ اللَّيْلَة كَأَنَّ شَجَرَةً نبَتَتْ. وفِي رِوَايَةِ غَيْرِه: رَأَيْتُ نُورًا ثُمَّ صَارَ شَجَرَةً، وعلَى كُلِّ حَالٍ. قَدْ نَالَ رأسُهَا السَّماءَ وضَرَبَتْ بِأَغْصَانِهَا الْمَشْرِقَ والْمَغْرِبَ، ومَا رَأَيْتُ نُورًا أَزْهَرَ مِنْهَا، أعْظَم مِنْ نُورِ الشَّمْسِ سبْعِينَ ضِعْفًا، ورَأَيْتُ العَرَبَ والْعَجَمَ لَهَا سَاجِدِينَ، وهِيَ تَزْدَادُ كُلَّ ساعَةٍ عِظَمًا ونُورًا وارْتِفَاعًا، ساعَةً تَخْفَى وسَاعَةً تظْهرُ، ورَأَيْتُ رَهْطًا مِنْ قُرَيْشٍ تعَلَّقُوا بأَغْصَانِها، ورَأَيْتُ رَهْطًا مِنْ قُرَيْشٍ يرِيدُونَ قطْعَهَا، فإِذَا دَنَوْا مِنْهَا أَخَذَهُمْ شَابٌّ لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ وَجْهًا، ولَا أَطْيَبَ رِيحًا فيَكْسِرُ أَظْهُرَهُمْ ويقْلعُ أعْيُنهَمْ فرَفَعْتُ يَدَيَّ لِأَتَنَاوَلَ منْهَا نَصِيبًا فلَمْ أَنَلْ، فقُلْتُ لِمَن النَّصِيبُ؟ فقَالَ: النَّصِيبُ لهَؤُلَاءِ الذِينَ تَعَلَّقوا بِهَا وسبقُوكَ فَانْتَبَهْتُ مَذْعُورًا فَرَأَيْتُ وَجْهَ الكَاهِنةِ قَدْ تَغَيَّرَ ثُمَّ قَالَتْ: لَئِنْ صَدَقَتْ رُؤْيَاكَ لَيَخْرُجَنَّ مِنْ صُلْبِكَ رَجُلٌ يَمْلِكُ الْمَشْرِقَ والْمَغْرِبَ وتَدِينُ لهُ النَّاسُ. فقَالَ عبْدُ المُطَّلِبِ لأبي طالب: لَعَلَّكَ المَوْلُودُ. فَكَانَ أَبُو طَالِبٍ يُحَدِّثُ بِهَذَا الْحَدِيثِ، والنَّبِيءُ ﷺ قَدْ خَرَجَ؛ أيْ: بُعِثَ، ويَقُولُ: كَانَت الشَّجَرَةُ واللهِ أَبَا الْقَاسِمِ الأَمِينَ، فيُقَالُ لَهُ أَلَا تُؤْمِنُ بِهِ؟ فيَقُولُ: السُّبَّة والعَار[3]، أيْ: أَخْشَى السّبَّة أو تَمْنَعُنِي.

وبُرُوكُ الفِيلِ: إِمَّا خُضُوعُهُ وإِمَّا سقُوطُهُ لِلْأَرْضِ وإِمَّا لُزُومُ الأَرْضِ، وإِمَّا بُرُوكٌ حَقِيقٌ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الفِيلَ مِنْ نَوْعٍ مِنَ الْفِيَلَةِ يَبْرُكُ. قالَ السُّهَيْلِيّ: سَمِعْتُ أَنَّ فِي الفِيلِ نَوْعًا يَبْرُكُ[4]. وإِمَّا أَنَّ بُرُوكَهُ إِرْهَاصٌ لِلنَّبِيءِ ﷺ أَوْ مُعْجِزَةٌ.

ورُوِيَ أَنَّهُ لمَّا وُجِّه الفِيلُ إِلَى مَكَّةَ أَقْبَلَ نُفَيْل فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ فقَالَ: ابْرُكْ مَحْمُود أَو ارْجِعْ رَاشِدًا فَإِنَّكَ فِي بَلَدِ اللهِ الْحَرَامِ، فبَرَكَ[5].

ومَحْمُود: اسْمٌ لِذَلِكَ الفِيلِ وكَانَ أَبْيَضَ أَعْظَمَ. وهَلَكَت الفِيَلَةُ التِي جَاءَ بِهَا كُلّهَا؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَرْجِعْ إِلَّا مَحْمُودًا لِرُجُوعِهِ ومَجْمُوعُهُنَّ ثَلاثَةَ عَشَرَ أَوْ عَشَرَةٌ أَوْ أَلْفٌ أَوْ ثَمَانِيَةٌ أَوْ لَمْ يَجِئْ إِلَّا بِمَحْمُودٍ، أَقْوَالٌ[6].

---

(1) المواهب اللدنية، القسطلّاني، 11/2.

(2) أبو بكر بن عبد الله بن أبِي الجَهمِ، كما في رواية أبِي نعيم، وأبو بكر بن عبد الله بن أبِي الخيثم عند الزرقاني.

(3) دلائل النبوة، أبو نعيم، حدِيث (51).

(4) الروض الأنف، السهيلي، 156/1.

(5) سيرة ابن هشام، 52/1.

(6) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 163/1.

ويُرْوَى أنّهُ لمَّا خرَّ الْفِيلُ سَاجِدًا دَعَا بِالسَّحَرَةِ والكُهَّانِ فقَالُوا: لَمْ يَسْجُدْ لَهُ وإِنَّمَا سَجَدَ لِلنُّورِ الذِي بَيْنَ عَيْنَيْهِ[1].

قيلَ: إِنَّهُ ﷺ وُلِدَ بَعْدَ الفِيلِ بأَرْبَعِينَ سَنَةً أوْ بِخَمْسِينَ سَنَةً وهُوَ مَرْدُودٌ، أوْ بِثَلَاثِينَ سَنَةً أو بِسَبْعِينَ أوْ بِثَلَاثٍ وعِشْرِينَ أَوْ بِسَنَتَيْنِ[2].

وقِيلَ: كانَ عَبْدُ اللهِ مَوْجُودًا، فالنُّورُ منْتَقِلٌ إِلَيْهِ وهُوَ مَبْنِيٌّ علَى أَنَّ وِلادَةَ الْمُصْطَفَى ﷺ بَعْدَ الفِيلِ بِعَامَيْنِ، وأَمَّا علَى الْقَوْلِ بِأَنَّهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ فمُشْكِلٌ؛ لِأَنَّ النُّورَ انْتَقَلَ إِلَى آمِنَة[3].

وكَذَا أَشْكَلَ إِنْ كَانَ عَبْدُ اللهِ مَوْجُود[ا] فإِنَّ النُّورَ يَكُونُ فِيهِ، فكَيْفَ يَكُونُ فِي وَجْهِ عبْدِ الْمُطَّلِبِ، فإِمَّا أنْ يَرُدَّهُ اللهُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِهِما أوْ يُحْدِثَ اللهُ فِي وَجْهِهِ مِثْلَ ذَلِكَ النُّورِ وزِيَادَة؛ لِأَنَّهُ الْمَدْعُوّ [97ظ] إِلَى أبْرَهَةَ لِكِبَرِهِ وشُهْرَتِهِ، ولِيُخلِّصَ إِبِلَهُ إِذْ أخذَهَا كُلَّها. وقِيلَ أَخَذَ مِئَتَيْن. وذَكَر بَعْضٌ احْتِمَالَ أَنَّ مَنْ كانَ فِيهِ نُورُهُ ﷺ مَنْ يَظْهَرُ فِيهِ تَامًّا فيُدْرَكُ بِلَا تَأَمُّلٍ، ومَنْ يَظْهَرُ فِيهِ بِتَأَمُّلٍ وهُوَ مُنْتَقِلٌ مِنْ جَبْهَةٍ إِلَى جَبْهَةٍ نصّوا على ذلكَ.

ومَرَّ أَنَّهُ تلَأْلَأَ نُورٌ فِي جَبِينِ عَبْد المُطَّلِبِ، وإِذَا لَمْ يَظْهرْ فإِنَّه أَوْدَعَ اللهُ الْعِلْمَ بِهِ ضَرُورَةً فيُوصَى بِهِ أَنْ يُوضَعَ في مطهرة[4].

قِيلَ: ولَمْ يُوصِ عَبْدُ الْمُطِّلِبِ وَلَدَهُ .....[5] آمِنَة مَعَ عِلْمِهِ بِمَكَانِها مِنَ النَّسَب والصَّوْنِ.

ولَمْ يَظْهَرْ نُورُ رَسُولِ اللهِ ﷺ.....[6] وَجْه أَحَدٍ مَا ظَهَرَ فِي وَجْهِ عبد الله أَبِيهِ.....[7] أَقْوَى ظُهُورًا لَا يَخْفَى عَنْ أَحَدٍ، ولَا يَظْهَرُ ثمَّ يَخْفَى بِخِلَافِ غَيْرِهِ؛ فَإِنَّ ظُهُورَهُ فِيهِ دُونَ ذَلِكَ، ويَظْهَرُ لِأَحَدٍ ولَا يَظْهَرُ لِآخَرَ فِيهِ، وتَارَةً يَظْهَرُ بِتَأَمُّلٍ. لَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

58 وَآمِنَةٌ لَمْ تَلْقَ فِي حَمْلِهَا أَذًى وَقَدْ أَمِنَتْ مِن كُلِّ ضيْمٍ بِإِيذَانِ
59 وقيلَ لَهَا لِلْأُنْسِ: آمِنَةُ ابْشِرِي بِحَمْلِ رَسُولِ الله آمَن إِنْسَانِ
60 وَقَدْ أَبْصَرَتْ نُورًا أَضَاءَ لَهَا بِهِ مَعَاهِدُ بُصرَى كَيْ تَنَوَّرَ عَيْنَانِ
61 وُلِدْتَ سعيدًا رافعَ الرَّأْسِ وَاضِعًا يدَيْكَ بِتَعْظِيمِ الإِلَهِ بِجُثْمَانِ
62 فَيَا لِرَبِيعٍ قَدْ بَنَى لِذَوِي التُّقَى رُبُوعًا مِنَ التَّقْوَى جَنًا رَوْضُهَا دَانِي

(1) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 162/1.
(2) (م، س)، 166/1.
(3) (م، س)، 162/1.
(4) كلمة لم أفهمها.
(5) كلمة لم أفهمها، لعلها: لتعاطيه.
(6) كلمة لم أفهمها.
(7) كلمة لم أفهمها، لعلها: فإنَّه.

63 وَأَصْبَحَ عَامُ الْفِيلِ- مَحمُودٍ الذِي وُلِدْتَ بِهِ- الْمَحْمُودَ رَحْمَةَ رَحْمَنِ
64 وَإِيوَانُ كِسْرَى باتَ بِالصَّدْعِ ذَا فَنَا كَمَا شَمْلُ كِسْرَى اشْتَتَّ مِنْ بَعْدِ إِيوَانِ
65 وَسَاوَةُ قَدْ سِيئَتْ بِغَيْضِ بُحَيْرَةٍ وَقَدْ خَمَدَتْ لِلْفُرْسِ نَارٌ كَصُلْبَانِ
66 كَمَا صُرِفَ الشَّيْطَانُ عَنْ خَبَرِ السَّمَا وَأَوْلَادُهُ بَعْدَ اسْتِرَاقٍ لِشَيْطَانِ

وأُمُّهُ آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبٍ لَمْ تَلْقَ فِي حَمْلِهَا بِهِ ﷺ وَجَعًا كَمَا تَلْقَاهُ الْحُبالَى. وقَدْ أَمِنَتْ مِنْ كُلِّ ظُلْمٍ بِإِعْلَامٍ مِنَ الْمَلَائكَةِ أَنْ لَا تَخَافِي مِنْ ضُرِّ إِنْسٍ ولَا جِنٍّ.

وقَالَتْ لَهَا الْمَلَائكَةُ لِلْأُنسِ، بِضَمِّ الْهَمْزَةِ؛ أَيْ: لِتَسْتَأْنِسَ ولَا تَسْتَوْحِشَ: يَا آمِنَةُ أَبْشِرِي بِحَمْلِ رَسُولِ اللهِ فَائِقِ كُلِّ إِنْسَانٍ فِي الْأَمْنِ يَوْمَ القِيَامَةِ؛ إِذْ كُلُّ نَبِيءٍ يَقُولُ: نَفْسِي نَفْسِي وهُوَ يَقُولُ: أُمَّتِي أُمَّتِي، وفِي الدُّنْيَا حِينَ قَالَ اللهُ ﷻ لهُ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[1].

وقَدْ أَبْصَرَتْ نُورًا أَضَاءَ لَهَا بِهِ حين وَلَدَتْهُ قُرَى بُصرى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، وهِيَ فِي مَكَّةَ، لِتَرَاهَا عَيْنَانِ عَظِيمَتَانِ وهُمَا عَيْنَا آمِنَةَ. فمَعْنَى "تَنَوَّر" بالبِنَاءِ للفاعِلِ: تُبْصِرُ.

"وُلِدْتَ": بالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ وفَتْحِ التَّاءِ يَا رَسُولَ اللهِ حَالَ كَوْنِكَ سَعِيدًا، رَافِعَ الرَّأْسِ إِلَى السَّمَاءِ، وَاضِعًا يَدَيْكَ فِي الْأَرْضِ، بِسَبَبِ أَنَّكَ عَظَّمْتَ اللهَ بِجَسَدِكَ فِي ذَلِكَ الرَّفْعِ وفِي ذَلِكَ الْوَضْعِ، فهَذَا خَيْرٌ عَظِيمٌ دِينِيٌّ شَبِيهٌ بِالْمَطَرِ النَّافِعِ حَصَلَ.

وأَثْبتَ لِمَنْ شَأْنُهُ التُّقَى عِنْدَ اللهِ، مَنَازِلَ خَيْرٍ تُشْبِهُ مَنَازِلَ الْحَرْثِ والرَّبِيعِ وهِيَ التَّقْوَى. وفِي ذِكْرِ الرَّبِيعِ تَلوِيحٌ إِلَى زَمَانِ ولَادَتِهِ، وهُوَ رَبِيع الْأَوَّلُ. ويَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ نَفْسَ رَبِيع الْأَوَّل. ثَوابُها[2] قَرِيبٌ مُصَاحِبٌ لِأَهْلِها بالتَّوفِيقِ والْإِثْبَاتِ فِي الصَّحَائِفِ. والْخَيْرُ الدُّنيَوِيّ أَيْضًا تشْبِيهُ [98و] ثِمَارِ شَجَرٍ فِي مَاءٍ، ثِمَارُهَا طَابَتْ وقَرُبَتْ لِجِهَةِ الْأَرْضِ لِمَنْ لَهُ أَخْذُهَا.

وأَصْبَحَ الْعَامُ الْمُسَمَّى عَام الْفِيلِ الْمُسَمَّى مَحْمُودٌ الذِي وُلِدْتَ فِيهِ هُوَ الْمَحْمُود وَرَحْمَة رَحْمَنٍ عَظِيمٍ، هُوَ اللهُ جَلَّ وعَلا.

وبُنْيَانُ كسْرَى الْمُصْطَفُّ الْمَعْدُودُ عِنْدَهُ لِلتَّشَاوُرِ وإِبْرَازِ الرَّأْيِ، انْشَقَّ كمَا تَشَتَّتَ شَمْلُ أَصْحَابِهِ بَعْدَ تَشَقُّقِ الإِيوَانِ.

وأَهْلُ ساوة سَاءَهَا ذَهَابُ مَاءِ بُحَيْرَتِها، وخمَدَتْ نَارُ الفُرس الْمَعْبُودَةُ لَهُمْ، وقَد اجْتَهَدُوا فِي إِيقَادِهَا، خُمُودًا شَبِيهًا بِانْتِكَاسِ الصُّلبَانِ، فِي كُلِّ مَوْضِعٍ هِيَ فِيهِ. كَمَا صُرِفُ إِبْلِيسُ وأَوْلادُهُ عَن اسْتِرَاقِ السَّمْعِ بالشُّهُبِ.

---

(1) سورة المائدة: 67.

(2) الهاء تعود إلى "التقوى".

والْعَطْفُ عَطْفُ قِصَّةٍ علَى الأُخْرَى فِي الْأَبْيَاتِ، وتصحُّ في بَعْضِهَا الْحَالِيَّةُ كَقَوْلِهِ:" وقَدْ خَمَدَتْ" وصَرَفَ "آمِنَة" لِلضَّرُورةِ.

و"الأَذَى" هُنَا مَا يَلْحَقُ الْحَامِلَ مِنْ وَجَعٍ وَكَرَاهَةِ بَعْضِ الأَطْعِمَةِ. والضَّيْمُ: الضُّرُّ هُنَا سَوَاءٌ أَكَانَ مِنْ مَخْلُوقٍ كَجِنِّ أَوْ مِنْ غَيْرِ مَخْلُوقٍ. و"بِإِيذَانٍ": بِإِعْلَامٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ والْهَوَاتِفِ أَنْ لَا بَأْسَ عَلَيْكِ. و"آمِنَةٌ": مُنَادَى بِمَحْذُوفٍ، وآمَنُ: اسْمُ تَفْضِيلٍ كَمَا تَقُولُ أَفْضَلُ رَجُلٍ. و"مَعَاهِدُ": بِالرَّفْعِ فَاعِلُ "أَضَاءَ" بِمَعْنَى قَدْ أَبْصَرَتْ نُورًا ظهَرَ لَهَا بِهِ بلَادٌ مَعْهُودَةٌ لِبُصرى بِوُقُوعِ النُّورِ عَلَيْهَا.

و"مَعَاهِدُ": جَمْعُ مَعْهَد، ومَعْهَد مَصْدَرٌ مِيمِيّ بِمَعْنَى مَفْعُول. والْعَهْدُ: الْعِلْمُ أَيْ: بِلَادٌ مَعْهُودَةٌ. أَوْ اسْمُ مَكَان مِيمِي؛ أَيْ: مَوْضِعُ الْعِلْمِ أَيْ: مَوْضِع تَسَلَّطَ الْعِلْمُ عَلَيْهَا، أَيْ: وَقَعَ بهَا.

و"تَنَوَّرَ": تَنْظُرُ مِنْ بَعِيدٍ، ونَكَّرَ قَوْلَهُ: "عينَانِ" إِعْظَامًا. ويَجُوزُ بِنَاءُ "تَنَوَّرَ" لِلْمَفْعُولِ، وَأَنْ تَكُونَ الْعَيْنَانِ عَيْنُ الْبَصَر وعَيْنُ الْبَصِيرَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، لَا مِنْ خُصُوصِ آمِنَةَ.

و"الْجُثْمَانُ": الْجَسَدُ، وفِي ذِكْرِ بُصْرَى إِشَارَةٌ إِلَى تَنْوِيرِ الأَبْصَارِ والْبَصَائِرِ، وَفِي ذِكْرِ جُثْمَان إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ رِسَالَتَهُ بِالْأَفْعَالِ، ورِسَالَةُ عِيسَى بالْمَقَالِ، صلى الله عليْهما وسَلَّمَ.

واللَّا فِي "يا لِرَبِيع" لِلتَّعَجُّبِ والاسْتِعْظَامِ.

وثَبَتَتْ فِي الْخَطِّ يَاءُ "دَانِي"؛ لِأَنَّهَا مِنَ الْكَلِمَةِ بَدَل مِنْ وَاوٍ، وكَذَا يُكْتَبُ كُلُّ يَاءٍ مِنَ الْكَلِمَةِ، أَوْ يَاء الْإِضافَةِ. و"عَام": اسْمُ "أَصْبَحَ" أَيْ: صَارَ، وخَبَرُهُ "الْمَحْمُودَ".

و"مَحْمُود": بِالْجَرِّ بَدَلٌ مِنَ الْفِيلِ، بَلْ عَطْفُ بَيَانٍ. و"بِهِ": بِمَعْنَى فِيهِ، و"رَحْمَةَ": خَبَرٌ ثَانٍ لِـ"أَصْبَحَ".

وأَصْلُ "رَحْمَن": الرَّحْمَن حَذَفَ "ال" لِلضَّرُورةِ، أو جعلَ لفْظَ "رحمان" بغيْرِ "ال" لا يختصُّ باللهِ جلَّ وعَلَا، فجاءَ بِهِ نكرَة للتَّعظِيمِ. وظاهِرُ إِسْقاطِ الألَفِ في الخَطِّ مِنْ بعدِ المِيمِ أنَّهُ المقرونُ بِـ "ال" حُذِفَتْ للضَّرورةِ؛ لِأَنَّ الذِي يُخَفَّفُ فِي الخَطِّ قِيَاسًا الْعَلَمُ الزَّائِدُ علَى أَرْبَعةٍ، ولَا بُدَّ مِنْ ثُبُوتِهِ لَفْظًا وكفَى النُّطْقُ بِهِ فِي كَوْنِهِ رِدْفًا. و"ذَا فَنَا": صَاحِبُ فَنَاءٍ، وقَصَرَ "فَنَاءٍ" لِلضَّرُورةِ.

و"مَا" زَائِدَة كَافَّة. وَ"شَمْلُ": مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ "اشْتَتَّ" أَيْ: كَمَا شَمْلُ أَصْحَابِ كِسْرَى تَفَرَّقَ بَعْدَ تَفَرُّقِ إِيوَانِهِ بِالصَّدْعِ، أَوْ "شَمْلِ" بِالْجَرِّ بِالْكَافِ عَلَى حَذْفِ مُضَاف، و"مَا" غَيْرُ كَافَّةٍ، أَيْ: كَشَمْلِ أَصْحَابِ كِسْرَى حَالَ كَوْنِهِ مُتَفَرِّقًا.

و"سَاوَةُ": بَلْدةٌ [98ظ] عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، أَيْ: أَهْلُ سَاوَةَ سَاءَتْ بِنَضْبِ مَاءِ بَحْرٍ صَغِيرٍ فِيهَا؛ أَيْ: ذَهَابُ مَائِهِ.

وَصَغَّرَ بحْرًا لِلنِّسْبَةِ إِلَى الْبَحْرِ الْمَالِحِ أَوْ نَحْو بحر النّيل، وَإِلَّا فَهُوَ نَهْرٌ عَظِيمٌ سِتَّةُ أَمْيَالٍ طُولًا وَعرْضًا، وقَدْ يُقَالُ صُغِّرَ لِلتَّعْظِيمِ.

و"كَصُلْبَانِ": أَيْ كَخُمُودِ صُلْبَانٍ؛ فَإِنَّ تَنَكُّسَهَا شَبِيهٌ بِخُمُودِ النَّارِ، والْخُمُودُ الْمَذْكُورُ لِلنَّارِ حَقِيقَةٌ، والْخُمُودُ الذِي حُذِفَ وقُدِّرَ لِلصُّلْبَانِ مَجَازٌ. أَوْ أَرَادَ تَشْبيهَ خُمُودِ النَّارِ بِتَنَكُّسِ الصُّلْبَان، أَيْ: خُمُودًا كَتَنَكُّسِ الصُّلْبَانِ.

و"الشَّيْطَانُ": إِبْلِيسُ بِدَلِيل قَوْلِهِ: وأَوْلَادِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالشَّيْطان جِنْسُ الشَّيَاطِين الكِبَارِ مُطْلَقًا، إِبْلِيسُ وغَيْرُهُ والْعِيَاذُ بِاللهِ. و"لِشَيْطَان": نَعْتٌ لِ"اسْتِرَاق".

وهُنَا فُصُولٌ: فَصْلٌ لِلْحَمْلِ، وفَصْلٌ لِلْوِلَادَةِ وفَصْلٌ لِصَدْعِ إِيوَانِ كِسْرَى وَنَحْوِهِ، وَفَصْلٌ لِمَنْع اسْتِرَاقِ السَّمْعِ، وإِخْبَارِ الْجِنّ.

الفَصْلُ الْأَوَّلُ: فِي حَمْلِ آمِنَةَ بِالنَّبِيءِ ﷺ

رُوِيَ أَنَّ عَبْدَ اللهِ وقَعَ عَلَى آمِنَةَ حِينَ مَلَكَهَا مَكَانَهُ يَوْمَ الاثْنَيْنِ أَيَّامَ مِنىً فِي شِعبِ أَبِي طَالِبٍ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الْوُسْطَى، فَحَمَلَتْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ(1).

وأَضَاءَتْ لَهَا قُصُورُ الشَّامِ عِنْدَ حَمْلِهَا بِهِ، كمَا أَضَاءَتْ لَهَا عِنْدَ وَضْعِهِ. ولِكَوْنِ الشَّامِ دَارَ مُلْكِهِ أَضَاءَتْ لَهُ، وَلِذَلِكَ أَيْضًا هَاجَر إِلَيْهَا عِنْدَ الإِسْرَاءِ، كما هَاجَر إِلَيْهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ.

وذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاق: أَنَّ آمِنَةَ كَانَتْ تُحَدِّثُ أَنَّها أُتِيَتْ حِينَ حَمَلَتْهُ ﷺ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّكِ حَمَلْتِ بِسَيِّدِ هَذِهِ الْأُمَّةِ. وقَالَتْ: مَا شَعَرْتُ بِأَنِّي حمَلْتُ بِهِ ولَا وَجَدْتُ لَهُ ثِقْلًا ولَا وَحمًا كَمَا تَجِدُ النِّسَاءُ، إِلَّا أَنِّي أَنْكَرْتُ رَفْعَ حَيْضَتِي وأَتَانِي آتٍ وأَنَا بَيْنَ النَّائِمَةِ واليَقْظَانَةِ، فقَالَ: هَلْ شَعَرْتِ بِأَنَّكِ حَمَلْتِ بِسَيِّدِ الْأَنَامِ؟ ثُمَّ أَمْهَلَنِي حَتَّى إِذَا دَنَتْ وِلَادَتِي أَتَانِي فقَالَ لِي: قُولِي:

أُعِيذُهُ بِالْوَاحِد مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِد

ثُمَّ سَمِّيهِ مُحَمَّدًا(2). وَرَوَى غَيْرُ ابْنِ إِسْحَاق زِيَادَةَ: وَعلِّقِي عَلَيْهِ هَذِهِ التَّمِيمَة. قَالَتْ: فانْتَبَهْتُ وعِنْدَ رَأْسِي صَحِيفَةٌ مِنْ ذَهَبٍ فِيها مكْتُوبٌ:

أُعِيذُهُ بِالْوَاحِد مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِد
وَكُلّ خَلْقٍ رَائِد مِنْ قَائِمٍ وَقَاعِد
عَنِ السَّبِيلِ حَائِد عَلَى الْفَسَادِ جَاهِد
مِنْ نَافِث أَوْ عَاقِد وَكُلِّ خَلْقٍ مَارِد
يَأْخُذُ بِالْمَرَاصِد فِي طُرُقِ الْمَوَارِد

(1) سبق تخريجُهُ: المواهِب اللدنيَّة، القسطلَّاني، 1/116-117.

(2) سيرة ابن هشام، 1/158.

وهُوَ أَبْيَاتٌ مِنَ الرَّجَزِ الْمَجْزُوءِ، وجَعَلَها بَعْضُ أهل السّيَر مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، ولَا أَصْلَ لَهَا[1]. إِلَّا أَنَّهُ ذَكَرَ الْبَيْهَقِيّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاق:

أُعِيذُهُ بِالْوَاحِدْ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدْ
مِنْ [كُلِّ] بِرٍّ عَاهِدْ وَكُلِّ عَبْدٍ رَائِدْ
يَرُودُ غَيْرَ رَائِدْ فَإِنَّهُ عَبْدُ الْحَمِيدِ الْمَاجِدْ
حَتَّى أَرَاهُ قَدْ أَتَى الْمَشَاهِدْ [2]

وعَنْ شدّاد بن أوْس أنَّ رَجُلًا مِنْ بني عامِر سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَا حَقِيقَةُ أَمْرِكَ؟ قَالَ: ((**بَدْءُ شَأْنِي أَنَّي دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وبُشْرَى أَخِي عِيسَى، وَأَنِّي كُنْتُ بِكْرَ أَبِي وأُمِّي، وأَنَّهَا حَمَلَتْ بِي كأَثْقَلِ مَا تَحْمِلُ النِّسَاءُ وجَعَلَتْ تَشْتَكِي إِلَى صَوَاحِبَتِهَا ثِقْلَ مَا تَجِدُ، ثُمَّ إِنَّ أُمِّي رَأَتْ فِي مَنَامِهَا أَنَّ الذِي فِي بَطْنِهَا نُورٌ**))[3]. وتَقَدَّم عَنْ بَعْضٍ أَنَّهَا حَمَلَتْ بِهِ لَيْلَةَ أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ رَجَب، لَيْلَةَ جُمُعَةٍ. وَأَكْثَرُ الْأَحادِيثِ أَنَّها لَمْ تَجِدْ ثِقْلًا ويُجْمَعُ بَيْنَهَا وبَيْنَ حدِيثِ وُجُودِ الثِّقْلِ بِأَنْ وَجَدَتْ ثِقْلًا عِنْدَ الْعُلُوقِ بِهِ وَخِفَّةً بَعْدُ إِلَى أَنْ وَضَعَتْهُ، وذَلِكَ خرُوجٌ [99و] عَن الْمُعْتَادِ[4].

قالَ ابْنُ عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عنْهُمَا: كَانَ دَلالَةُ حَمْلِ آمِنَةَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ كُلَّ دَابَّةٍ كَانَتْ لِقُرَيْشٍ نَطَقَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وقَالَتْ: حُمِلَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ ورَبِّ الكَعْبَةِ، وهُوَ إِمَامُ الدُّنْيَا وسِرَاجُ أَهْلِهَا، ولَمْ يَبْقَ سَرِيرٌ لِمَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا إِلَّا أصْبَحَ مَنْكُوسًا، ومَرَّت[5] وُحُوشُ الْمَشْرِقِ إِلَى وُحُوشِ الْمَغْرِبِ بِالبِشَارَاتِ، وكَذَلِكَ أَهْلُ الْبِحَارِ يُبَشِّرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَلَهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ مِنْ شُهُورِ حَمْلِهِ نِدَاءٌ فِي الأَرْضِ ونِدَاءٌ فِي السَّمَاءِ: أَنْ أَبْشِروا فقَدْ آنَ لِيَظْهَرَ أبو القاسم ﷺ ميْمُونًا مُبَارَكًا الْحَدِيث. وهُوَ شَدِيدُ الضَّعْفِ[6].

وعَنْ غَيْرِهِ: لَمْ يَبْقَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ دَارٌ إِلَّا أَشْرَقَتْ، ولَا مَكَانٌ إِلَّا دَخَلَهُ النُّورُ، ولَا دَابَّةٌ إِلَّا نَطَقَتْ[7].

وعَنْ أَبِي زَكَرِيَّاءَ يحيَى بن عائذ[8]: بَقِيَ ﷺ فِي بَطْنِ أُمِّهِ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ كملًا لَا تَشْكُو وَجَعًا ولَا مَغصًا ولَا رِيحًا ولَا مَا يَعْرِضُ لِذَوَاتِ الْحَمْلِ مِنَ النِّسَاءِ، وكَانَتْ تَقُولُ: واللهِ مَا رَأَيْتُ؛ أَيْ: عَلِمْتُ،

(1) المواهب اللدنية، القسطلّاني، 120/1-121.
(2) دلائل النبوة، البيهَقِي، 82/1.
(3) المواهب اللدنية، القسطلّاني، 121/1.
(4) (م، س)، 121/1 بتصرُّف.
(5) في المواهِب اللدنية: وفَرَّتْ، وفِي دلائل النبوة: فرَّت.
(6) دلائل النبوة، أبو نعِيم، ص610.
(7) المواهب اللدنية، القسطلّاني، 122/1.
(8) يحيى بن مالك بن عائِذ: أَبُو زَكَرِيَّا الأندلسي، سمع أَبَا سهل بن زِيَاد الْقطَّان، وأملى بِجَامِع قرطبة، مات فِي شعْبَان سنة 375هـ. ينظر: تاريخ علماء الأندلس، ابن الفرضِي، 192/2، وطبقات الحفاظ، السيوطِي، 399/1.

مِنْ حَمْلٍ أَخَفَّ مِنْهُ، ولَا أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْهُ[1].

ولـمَّا تَمَّ لَهَا مِنْ حَمْلِهَا شَهْرانِ مَاتَ أَبُوهُ عَبْدُ اللهِ. وصَحَّحَهُ بَعْضٌ لِقَوْلِ قيْس بن مخرَمة: مَاتَ أَبُو النَّبِيءِ ﷺ وأُمُّهُ حُبْلَى بِهِ[2]. وقِيلَ: مَاتَ وهُوَ فِي الْمَهْدِ، وعَن ابن أبي خَيْثمة: وهُوَ ابْنُ شَهْرَيْنِ، وقِيلَ: ابْنُ سَبْعَة، وقِيلَ: ابْنُ ثَمَانِيَةٍ وعِشْرِينَ شَهْرًا، والرَّاجِحُ الْمَشْهُورُ الْأَوَّلُ[3].

وقِيلَ: مَاتَ قَبْلَ وِلَادَتِهَا بِشَهْرَيْنِ وصحح. وقِيلَ عَن الْجُمْهُورِ: أَنَّهُ مَاتَ وهُوَ فِي الْمَهْدِ لِقَوْلِ عَبْدِ المُطَّلِبِ لِأَبِي طَالِبٍ:

أُوصِـــيكَ يَـا عَبْـدَ مَنَـافٍ [بعـدِي] بِـــمُـــؤْتـــمٍ بَـــعْـــدَ أَبِـــيـــهِ فَـــرْدِ

فَـارَقَـهُ وهْـوَ ضَـــجِـيـعُ الْـمَـهْـدِ[4]

وقِيلَ: ابْنُ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ[5].

وكَانَ أَبُوهُ عَبْدُ اللهِ قَدْ رَجَعَ ضَعِيفًا مَعَ قُرَيْشٍ مِنْ تجارَتِهِمْ، ومَرُّوا بِالْمَدِينَةِ فأُخْلِفَ عِنْدَ أَخْوَالِهِ بني عديّ بن النّجّار، فَأَقَامَ عِنْدَهُمْ مَرِيضًا شَهْرًا، ولَمَّا قَدِمَ أَصْحابُهُ مَكَّةَ سَأَلَهُمْ عبْدُ المُطَّلِبِ عَنهُ فقَالُوا: خَلَّفْنَاهُ مَرِيضًا فبَعَثَ إِلَيْهِ الْحَارِثَ، وقِيلَ: الزُّبير[6]، فوَجَدَهُ قَدْ تُوُفِّيَ ودُفِنَ فِي دَارِ النّابغة[7]، وقِيلَ: دُفِنَ بِالأبْواءِ[8].

وعُمُرُهُ أَرْبَعَةٌ وعِشْرُونَ عَامًا وهُوَ الْأَثْبتُ أَوْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ واخْتَارَهُ العلائي[9] وابْنُ حَجَر والسّيوطي، أو ثَلَاثُونَ أَوْ ثَمَانِيَةٌ وعِشْرُونَ. وَرَثَتْهُ آمِنَةُ بِقَوْلِها:

عَفَـا جَـانِـبُ الْبَطْحَـاءِ مِنْ آلِ هَـاشِـــم وَجَـاوَرَ لَحْـدًا خَـارِجًـا فِي الغَمَـاغِمِ[10]

دَعَـتْـهُ الْـمَـنَـايَـا دَعْـوَةً فَـأَجَـابَـهَـا وَمَا تَرَكَتْ فِي النَّاسِ مِثْلَ ابْنِ هَاشِـــمِ

عَشِـــيَّـةَ رَاحُـوا يَـحْـمِـلُـونَ سَـــرِيـرَهُ تَـعَـاوَرَهُ أَصْـــحَـابُـهُ فِـي الـتَّـزَاحُـمِ

---

(1) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 122/1.

(2) عبارة: "وصَحَّحَهُ بَعْضٌ لِقَوْلِ قَيْس بنِ مَخْرَمَة: مَاتَ أَبُو النَّبِيءِ ﷺ وأُمُّهُ حُبْلَى بِهِ " أضافها المؤلف على الهامِشِ، وليست في المواهِبِ، ينظر: المستدرك، الحاكِم، حدِيث (4191).

(3) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 123/1.

(4) الأبيات من الرَّجز. الروض الأنف، السهيلِي، 268/1.

(5) الفَقْرَةُ من "وقِيلَ عَن الْجُمْهُورِ... تسعة أشهر" أضافها المؤَلِّفُ على الهامِشِ. ليست في المواهِب، يُنظر: شرح المواهب، الزرقاني، 205/1.

(6) "وقيل الزبير" إضافة من المؤلف في الهَامِشِ، ليْسَتْ فِي المواهِبِ.

(7) في المَواهب اللدنية: دار التابعة، ودار النابغة، ودار التبابعة.

(8) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 123/1.

(9) العلائِي: خليل بن كيكلدي، ولد سنة 694هـ، وجدَّ في طلب الحدِيث، درس بدمشق، وعمل في القُدسِ في المدرسة الصلاحِيَّة. من كتبه: تنقيح الفهوم في صيغ العموم، ت:761هـ. طبقات الشافعية، السبكِي، 13/10.

(10) في المواهب اللدنية: في الغمائِمِ.

فَـإِنْ تَـكُ غَـالَتْـهُ الْمَنَـايَـا وَرَيْبُهَـا فَقَـدْ كَـانَ مِعْطَـاءً كَثِيرَ التَّرَاحُمِ[1]

ويُذكَرُ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ لَمَّا تُوُفِّيَ عبْدُ اللهِ قَالَ الْمَلَائِكَةُ: يَا إِلَهَنَا وَسَيِّدَنَا بَقِيَ نَبِيئُكَ يَتِيمًا. فقَالَ اللهُ تَعَالَى: إِنِّي لَهُ حَافِظٌ وَنَصِيرٌ[2].

وقِيلَ لجعفر الصّادق: لِمَ يُتِّمَ النَّبِيءُ ﷺ مِنْ أَبَوَيْهِ؟ فقَالَ: لِئَلَّا يَكُونَ عَلَيْهِ حَقٌّ لَمَخْلُوقٍ[3]. ومُدَّةُ حَمْلِهِ تِسْعَةُ أَشْهُرٍ أَوْ عَشَرَةٌ أَوْ سَبْعَةٌ أَوْ ثَمَانِيَةٌ، أَقْوَالٌ.

ويُروَى أَنَّه لمَّا استقرَّت النُّطفةُ فِيهَا أَصْبَحَتْ أَصْنَامُ الدُّنْيَا مَنْكُوسَةً، واخْضَرَّت الْأَرْضُ وحملت الأَشْجَارُ وَكَانَتْ قُرَيْش فِي جَذْبٍ شَدِيدٍ وسُمِّيَتْ تِلْكَ السَّنةُ سَنَةَ الْفَتْحِ[4].

وإِنَّهُ نُودِيَ فِي الْمَلَكوتِ أنَّ النُّورَ المَكْنُونَ قَد انْتَقَلَ إِلَى بَطْنِ آمِنَةَ ذَاتِ الْعَقْلِ [99ظ] البَاهِرِ، والْفَضْلِ الظَّاهِرِ قَدْ خَصَّها اللهُ تَعَالَى بِهَذَا الْحَبِيبِ؛ لِأَنَّها أَفْضَلُ قَوْمِهَا حَسَبًا وأَزْكَاهُمْ أَصْلًا وفَرْعًا[5].

ورُوِيَ أَنَّهَا أتاهَا آتٍ لمَّا مَضَتْ سِتَّةُ أَشْهُرٍ مِنْ حَمْلِهَا وقَالَ: يا آمِنَةُ أَنْتِ حَمَلْتِ بِسَيِّدِ الْعَالَمِينَ فإِذَا وَضَعْتِهِ فسَمِّيهِ مُحَمَّدًا واكْتُمِي شَأْنَهُ[6]. ويُرْوَى ضَعِيفًا: أَنَّهُ لَمْ تَحْمِلْ أُنْثَى لَيْلَةَ حُمِلَ بِهِ ﷺ إِلَّا بِذَكَرٍ[7].

الفصل الثَّانِي: في ولادته

قِيلَ: لمَّا وُلِدَ قالَ: اللهُ أَكْبَر، وقِيلَ: قَالَ اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا والْحَمْدُ للهِ كثِيرًا وسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا[8]. وقِيلَ: جَلَالُ رَبِّي الرَّفِيعِ[9]. وقِيلَ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وإِنِّي رَسُولُ اللهِ، ويُجْمَعُ بِأَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ كُلَّهُ[10].

قالَ عمرو بن قتيبة: سَمِعْتُ أَبِي، وكَانَ مِنْ أَوْعِيَةِ الْعِلْمِ، يقُولُ: لَمَّا حَضَرَتْ آمِنَةَ الوِلَادَةُ قَالَ اللهُ لِلْمَلَائِكَةِ: افْتَحُوا أَبْوَابَ السَّمَاءِ كُلَّها وأَبْوَابَ الْجِنَانِ كُلَّهَا وهُنَّ ثَمَانٌ وقِيلَ: أَرْبَعٌ، واحْتُجَّ لَهُ بِمَا فِي سُورَةِ

(1) الأبيات من الطويل، المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 123/1- 124.
(2) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 124/1.
(3) البحر المحيط، أبو حيان، 481/8.
(4) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 119/1، بتصرُّف عن كعب الأحبارِ.
(5) (م، س)، 118/1.
(6) (م، س)، 124/1، بتصرُّف.
(7) (م، س)، 124/1. عبارة أضافها المؤلِّفُ على الهامِش.
(8) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 277/1، نقلا عن ابن عائذ.
(9) (م، س)، 277/1، نقلا عن السهيلي في الرَّوض عن الواقِدِي، ولم أجده في الروض.
(10) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 277/1، نقلا عن شواهد النبوة.
العبارات الثلاث السابقة أضافها المؤلِّفُ على الهامِشِ.

الرَّحْمَن، وقِيلَ: وَاحِدَةٌ سُمِّيَتْ بِأَسْمَاء وأُلْبِسَتْ الشَّمسُ نُورًا عَظِيمًا[1].

قالَتْ آمِنَةُ: أخَذَنِي مَا يَأْخُذُ النِّسَاء، مِنَ الطَّلق[2]، ولَمْ يَعْلَمْ بِي ذَكَرٌ ولَا أُنْثَى، وإِنِّي لَوَحِيدةٌ فِي الْمَنْزِل وعَبْدُ الْمُطَّلِبِ فِي طَوَافِهِ، فسَمِعْتُ وجبَةً عَظِيمَةً، أَيْ: هَدَّة[3]، وأَمْرًا عَظِيمًا هَالَنِي ثُمَّ رَأَيْتُ كَأَنَّ جنَاحَ طَائِرٍ أبْيَض قَدْ مَسَحَ علَى فُؤَادِي، فذَهَبَ عنِّي الرّوعُ[4] وكلُّ وَجَعٍ أجِدُهُ ثُمَّ الْتَفتُّ فإِذَا أَنَا بِشَرْبَةٍ بَيْضَاءَ ظَنَنْتُهَا لَبَنًا، وكُنْتُ عطْشَى فشَرِبْتُها فإِذَا هِيَ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ[5] فأَصَابَنِي نُورٌ عَالٍ ثمَّ رأَيْتُ نِسْوَةً كالنَّخِيلِ، طِوَالًا كأَنَّهنَّ مِنْ بَنَاتِ عَبْدِ منَاف، في الطُّولِ والْجَمَالِ[6] يُحدِّقنَ، فبَيْنَما أنَا أَتَعَجَّبُ وأَقُولُ: واغوْثَاهُ[7] فقُلْنَ لِي: نَحْنُ آسية امْرَأَةُ فِرْعَون ومرْيم بنت عمْرَان وهَؤُلاءِ مِنَ الحُورِ الْعينِ، ولَعلَّهُنَّ مِنْ أَزْوَاجِهِ ﷺ فِي الْجَنَّة كمَا في الْحَدِيثِ أنَّ آسِيَةَ ومريم زَوْجَانِ لَهُ فِي الْجَنَّة[8]، واشْتَدَّ بِي الْأَمْرُ وإِنِّي أَسْمَعُ الْوَجْبَةَ في كُلِّ ساعَةٍ أَعْظَم وأهول فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ جِيءَ بدِيبَاجٍ أَبْيَضَ قَدْ مُدَّ بَيْنَ السَّماءِ والْأَرْضِ وإِذَا بقَائِلٍ يقُولُ: خُذاهُ عنْ أَعْيُنِ النَّاسِ، ورَأَيتُ رِجَالًا وَقَفُوا فِي الْهَوَاءِ، أَيْ: وَهُمْ ملائِكَة[9]، بِأَيْدِيهِم أبَارِيقُ مِنْ فِضَّةٍ، ثُمَّ نَظَرْتُ فإِذَا أنَا بِقِطْعةٍ مِنَ الطَّيْرِ قَدْ أَقْبَلَتْ حَتَّى غَطَّتْ حُجْرَتِي، أيْ: لِكَثْرَتِها[10]، منَاقِيرُها مِنَ الزُّمرُّد وأجْنِحَتُها مِنَ الْيَاقوتِ، فكَشَفَ اللهُ عنْ بَصَرِي فرَأَيْتُ مشَارِقَ الْأَرْضِ ومَغَارِبَها، ورَأَيْتُ ثلاثَةَ أعْلَامٍ مضْرُوباتٍ عَلَمًا بالْمَشْرِقِ وعَلَمًا بالْمَغْرِبِ وعلَمًا عَلى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ. ونقُولُ: إِشَارَةً إِلَى أنَّ شَرْعَهُ يَعُمُّ الْمَشَارِقَ والْمَغَارِبَ ويَعْلُو علَى مَكَّةَ ويَصِيرُ بَيِّنًا وَاضِحًا[11]، فأَخَذَنِي الْمَخَاضُ فوَضَعْتُ مُحَمَّدًا ﷺ فنَظَرْتُ إلَيْهِ فإِذَا هُوَ ساجِدٌ قَدْ رَفَعَ إِصبعَيْهِ، أَيْ: السَّبَّابَتَيْن[12]، إِلَى السَّماءِ كالْمُتَضرِّعِ الْمُبْتَهلِ، ثُمَّ رَأَيْتُ سحَابَةً بَيْضاءَ قَدْ أَقْبلَتْ مِنَ السَّماءِ، حتَّى غَشِيَتْهُ فَغَيَّبْتْهُ عَنِّي، ثمَّ سَمِعْتُ منَادِيًا يُنَادِي طُوفُوا بِهِ مشَارِقَ الأَرْضِ ومَغَارِبَها وأَدْخِلُوهُ البِحَارَ، أَيْ: السَّبعةَ[13]،

---

(1) المواهب اللدنية، القسطلّاني، 124/1، نقلا عن أبِي نعِيم، دون ذكر المصدرِ.

(2) من الطلق، ليست في المواهِبِ.

(3) أي: هدة، ليست في المواهِبِ.

(4) في المواهِب: الرعب.

(5) عبارة: "ظننتها لبنا وكنت عطشَى فشربتُها فإذا هيَ أحلَى مِن العسَلِ" ليست فِي المواهِبِ.

(6) في الطولِ والجمالِ، ليست في المواهِبِ.

(7) في المواهِب إضافة: واغوثاه من أين علمن بِي، قال في غيرِ هذه الرِّوايَةِ: فقلن...

(8) ولعلَّهُنَّ مِنْ أزواجِهِ ﷺ في الجنَّة كما في الحديثِ أنَّ آسية ومريم زوجان لهُ في الجنة، ليست في المواهِبِ.

(9) وهم ملائكة، ليست في المواهِبِ.

(10) أي: لكثرتها، ليسَت فِي المواهِبِ.

(11) عبارة: "ونقول: إشارةً إِلَى أنَّ شرعهُ يعمُّ المشارقَ والمغاربَ ويعلو على مكَّة ويصيرُ بيِّنا واضِحاً" ليست في المواهِبِ.

(12) أي: السبابتين. ليست في المواهِبِ.

(13) أي: السَّبعةَ. ليست في المواهِبِ.

ليعْرِفُوهُ بِاسْمِهِ [100و] ويقالُ: اسمه الماحِي[1]، وبنعتِهِ وصورتِهِ، فهُمْ يعلمُون أَنَّهُ يُسَمَّى في البحارِ الماحِي، لَا يبقَى شيءٌ مِنَ الشِّركِ إِلَّا مُحِيَ في زمنِهِ. ولعلَّ وجهَ ذلكَ أنَّ البَحْرَ تمحو الأدرانَ[2]، ثمَّ انْجلَتْ عنهُ فِي أَسْرعِ وقتٍ[3].

ورُوِيَ أنَّ آمنةَ قالتْ لمَّا وَضَعَتْهُ: رأَيْتُ سَحابةً عظيمةً لها نورٌ، أسمعُ فيَها صَهِيلَ الخيلِ، وخَفْقَانَ الأجنِحَةِ، وكلامَ الرِّجالِ، حتَّى غشيتهُ وغُيِّبَ عَنِّي، فَسَمِعْتُ مُنَادِيًا يُنَادِي طُوفُوا بِمُحَمَّدٍ مَشَارِقَ[4] الْأَرْضِ ومَغَارِبَها، وأَدْخِلُوهُ البِحَارَ ليعْرِفُوهُ بِاسْمِهِ ونَعْتِهِ وصُورَتِهِ في جَمِيعِ الْأَرْضِ[5]. واعْرِضوهُ على كلِّ روحانِي مِنَ الْجِنِّ والإنسِ والْمَلَائكَةِ، والطُّيُورِ والوُحوشِ، وأعطوهُ خلق آدمَ ومَعْرِفَةَ شيت، وشجاعةَ نوحٍ وخلَّةَ إبْرَاهِيمَ ولسان إسماعيل ورضا إسحاق وَفَصاحةَ صالِح وحِكْمَةَ لوط[6] وشدَّةَ موسَى وصَبْرَ أيّوب وطاعةَ يُونُس وجِهَادَ يوشع وَصَوْتَ داود وحُبَّ دانيال ووَقَارَ إلْيَاسَ وعِصْمَةَ يَحْيَى وزُهْدَ عِيسَى[7]. قالَتْ: ثمَّ انْجلَى عَنِّي فإِذَا بِهِ قَدْ قَبَضَ علَى حَرِيرةٍ خَضْراءَ مَطْوِيَّةٍ طَيًّا شَديدًا، يَنْبُعُ منْهَا ماءٌ، وإِذَا بِقائِلٍ يقُولُ: بخ بخ قَبَضَ مُحَمَّد علَى الدُّنْيَا كُلِّها، لمْ يَبْقَ خَلْقٌ مِنْ أهلها إِلَّا دَخَلَ طائعًا في قَبْضَتِهِ. قالَتْ: ثُمَّ نظَرْتُ إِلَيْهِ ﷺ فإِذَا هُوَ كالْقَمَرِ لَيْلَةَ البدْرِ، ريحُهُ يسطعُ كالْمِسْكِ الأَذْفر، وإذا بثَلاثَةِ نفَرٍ، فِي يَدِ أَحدِهِم إِبْرِيقٌ مِنْ فِضَّةٍ، وفِي يَدِ الآخَرِ طستٌ مِنْ زمرد، وَفِي يَدِ الثَّالِثِ حَرِيرةٌ بيْضَاء فَنشَرَهَا، فأَخْرَجَ منْهَا خَاتَما تَحَارُ أبصَارُ النَّاظِرِين دُونهُ، فغَسَلَه مِنْ ذلِكَ الإِبْرِيقِ سَبْعَ مرَّاتٍ، ثمَّ خَتَمَ بَيْن كتِفَيْهِ بالخاتمِ ولَفَّهُ فِي الْحَرِيرةِ ثُمَّ احْتَمَلهُ فأَدْخَله بَيْن أجْنِحَتِه ساعةً[8].

ومَعنَى أَعْطُوهُ خَلْقَ آدمَ: شبه صُورتِهِ بفَتْحِ الخَاءِ وإِسْكَان اللَّامِ، قالَ ﷺ: ((**أَنَا أَشْبَهُ النَّاسِ بِأَبِي آدَمَ، وَكَانَ أَبِي خَلِيلُ الرَّحْمَنِ أَشْبَهَ النَّاسِ لِي خَلْقًا وَخُلُقًا**))[9].

ولسانُ إِسْماعِيلَ: لُغتُهُ، قالَ عَلِيُّ بنُ أبي طَالِبٍ: ((أَوَّلُ مَنْ فَتَقَ اللهُ لسانَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ البيِّنَةِ إِسْماعِيلُ))[10] وكان رَسُولُ اللهِ ﷺ أفصَحَ الخلْقِ على الإطْلَاقِ[11].

---

(1) "ويقالُ: اسمه الماحِي" ليست فِي المواهِبِ.

(2) عبارة: "ولعلَّ وجهَ ذلكَ أنَّ البحرَ تمحو الأدرانَ" ليست فِي المواهِبِ.

(3) دلائل النبوة، أبو نعِيم، ص610، وغيرِهِ.

(4) في المَوَاهِبِ: جمِيع.

(5) عبارة: "ومَغَارِبَها وأَدْخَلُوهُ البِحَارَ ليعْرِفُوهُ بِاسْمِهِ ونَعْتِهِ وصُورَتِهِ في جَمِيعِ الْأَرْضِ" ليست في المواهِبِ.

(6) في المواهِب زيادة: وبشرى يعقوب.

(7) في المواهِب زيادة: واغمسوه في أخلاق النَّبِيين.

(8) المواهِب اللدنية، القسطلَّاني، 1/125-126، نقلا من كتاب السعادة والبشرَى عن الخطِيبِ البغدادِي.

(9) تاريخ دمشق، ابن عساكِر، 3/363.

(10) فتح الباري، ابن حجَر، 6/403، نقلا عن الزبير بن بكَّار في النَّسَبِ ولم أقفْ عليهِ.

(11) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/213.

وقالَ ابْنُ عمَر قال عُمَر: يا نَبِيءَ اللهِ ما لَكَ أفْصَحُنَا، ولم تخرج من بين أظهرنا؟ فقال ﷺ: ((**كَانَتْ لغَةُ إِسْمَاعِيلَ قَدْ دَرسَتْ فجَاءَنِي بِهَا جِبْرِيلُ فحَفِظْتُهَا**))[1] بلْ زَادَ علَى ذَلِك فكَانَ يُخاطِبُ كُلَّ ذِي لُغَةٍ بِلُغَتِهِ اتِّسَاعًا فِي الْفَصَاحَة[2]. ومَعْنَى رِضا إسحاقَ: أَنَّه صَبَر علَى الذَّبْحِ.

روِيَ أنَّ ((داوُدَ سَألَ رَبَّهُ أَنْ يَجْعَلَهُ كإِبْرَاهِيمَ وإِسْحَاقَ ويَعْقُوبَ فأَوْحَى إِلَيْهِ إِنِّي ابتَلَيْتُ إِبْرَاهِيمَ بِالنَّارِ [100ظ] فصَبَرَ، وابْتَلَيْتُ إِسْحَاقَ بِالذَّبْحِ فَصَبَر، وابْتَلَيْتُ يَعْقُوبَ فَصَبَرَ))[3].

ومَعْنَى بُشْرَى يعْقُوبَ، أَنَّه بُشِّرَ بسَلَامةِ يوسف ومَجِيئِهِ أَوْ بدَعْوَةِ أَبِيهِ دُونَ أَخِيهِ عيص[4].

ومِنْ طاعَةِ يُونس أَنَّهُ بلَغَ سبْعَ سِنِينَ، فَقَالَ لِأُمِّهِ: أُرِيدُ جُبَّةَ صُوفٍ فَأَلْحَقَ بالْعُبَّادِ، ولَمْ يَزَلْ بِها حَتَّى كَسَتْهُ، وكانَ مَعَهُم حَتَّى تَمَّ لهُ خمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً[5].

وَمِنْ عِصْمَةِ يَحْيَى أَنَّهُ تَعَلَّمَ التَّورَاةَ فِي صِغَرِهِ، ودعَاهُ الصِّبْيَانُ لِلَّعِبِ فقالَ: أَوَ لِلَّعِبِ خُلِقْنا[6].

ومَعنَى دُخُولِ النَّاسِ جميعًا فِي قَبْضَتِهِ أَنَّهُ آمَنَ مَنْ آمَنَ، وتبَيَّنَ لِمَنْ امْتَنَعَ أَنَّ الحَقَّ معَهُ فيمَا مَعَهُم مِن الكتُبِ والأَخْبَارِ، فلَمْ يَبْقَ إِلَّا العِنَادُ.

ويُرْوَى أنَّ ورَقَةَ بن نوفل وزيْد بن عمرو بن نُفَيْل وعبْد الله بن جحش وعثمان بن الحوَيْرث كانُوا عنْدَ صنَمٍ يُعَظِّمونَهُ وينْحرُون لهُ الجزُورَ، ويَأْكُلونَ ويَشْرَبُون الْخَمْرَ ويعكُفُون فكَبَّ علَى وَجْهِه فأَقَاموهُ، فكَبَّ بِعُنْفٍ فأَقَاموهُ، فكَبَّ ثَالِثَةً فقَالَ عثمان بن الحوَيْرث:

أَيَا صَنَمَ الْعِيدِ الذِي صُفَّ حَوْلَهُ ... صَنَادِيدُ قَوْمٍ[7] مِنْ بَعِيدٍ وَمِنْ قُرْبِ
تَنَكَّسْتَ[8] مَغْلُوبًا فَمَا ذَاكَ؟ قُلْ لَنَا ... بَعَاكَ سَفِيهٌ أَوْ[9] تَكَوَّسْتَ لِلْعتبِ
فَإِنْ كَانَ عَنْ ذَنْبٍ أَتَيْنَا فَإِنَّنَا ... نَبُوءُ بِإِقْرَارٍ وَنَلْوِي عَنِ الذَّنْبِ[10]
وَإِنْ كُنْتَ مَغْلُوبًا تَكَوَّسْتَ صَاغِرًا ... فَمَا أَنْتَ فِي الْأَوْثَانِ بِالسَّيِّدِ الرَّبِّ[11]

---

(1) نقلهُ الزرقاني من تاريخ أصبهان، أبو نعِيم، 153/1، بلفظ مغايِر، والخبَرُ فِي تاريخ دمشق، ابن عساكِر، 3/4.

(2) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 213/1.

(3) الدر المنثور، السيوطي، 437/12، نقلا من الديلمِي، عن أبِي سعيد الخدرِي عن رسول اللهِ ﷺ.

(4) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 213/1، وفيه: عبصو.

(5) (م، س)، 213/1-214، نقلا عن الثَّعلبِي، دون تحدِيد المصدرِ.

(6) شرح المواهب اللَّدنيَّة، الزَّرقاني، 214/1-215، نقلا عن الثَّعلبِي، دون تحدِيد المصدرِ.

(7) في تاريخ دمشق: صناديد وفدٍ.

(8) في تاريخ دمشق: توكَّسْت، والبداية والنهاية: تَكوَّسْتَ.

(9)في تاريخ دمشق: أذاكَ سفِيه لم، وفي البداية والنهاية: أذاكَ سفِيهٌ أمْ.

(10) في تاريخ دمشق: الرَّتبِ.

(11) الأبيات من الطوِيل، رويت في كتب كثِيرة، ينظر: تاريخ دمشق، ابن عساكِر، 424/3، والبداية والنهاية، ابن كثِير، 579/3،

فأَقَامُوهُ فأُجيبَ مِنْ جَوْفِهِ:

تَـرَدَّى لِـمَـوْلُـودٍ أَضَـــاءَتْ لِـنُـورِهِ جَمِيعُ فِجَاجِ الْأَرْضِ بـالشَّـــرْقِ والْغَرْبِ
وَخَـرَّت لَـهُ الأَوْثَـانُ طُـرًّا وَأَرْعـدَتْ قُـلُوبُ مُلُوكِ الْأَرْضِ طُرًّا مِنَ الرُّعْـبِ
وَنَارُ جَمِيعِ الْأَرْضِ[1] بَاخَتْ وَأَظْلَمَتْ وَقَدْ بَاتَ شَـــاهُ الْفُرْسِ فِي أَعْظَمِ الْكَرْبِ
وَطَارَتْ عَنِ الْأَوْثَانِ بِالْغَيْبِ[2] جِنُّهَا فَلَا مُخْبِرٌ مِنْهُمْ بِحَقٍّ وَلَا كَـذْبِ
فَيَـا لقُصَـــيّ ارْجِعُوا عَنْ ضَـــلَالِكُمْ وَهُبُّوا إِلَى الْإِسْـــلَامِ وَالْمَنْزِلِ الرَّحْـبِ[3]

ولَمَّا سَمِعُوا قَالُوا: تصَادَقُوا مَا حَجَرٌ نَطُوفُ بِهِ لَا يَضُرُّ ولا يَشْفَعُ، فخَرَجُوا يَطْلُبُونَ دِينَ إبرَاهِيمَ. فاتَّصَلَ زَيْدٌ بِرَاهِبٍ فِي الحِيرة، وقَالَ لَهُ: لَا تَجِدُ مَنْ يَحْمِلُكَ علَى دِينِ إِبْرَاهيمَ إِلَّا نَبِيءٌ يَخْرُجُ مِنْ بَلَدِكَ مكَّة، فَرَجَعَ إِلَيْهَا وقَتَلَتْهُ لَخْمٌ فِي طَرِيقِهِ[4].

وعَن ابْنِ عَبَّاس: لَمَّا وُلِدَ ﷺ قالَ فِي أُذُنِهِ رضوان خَازِنُ الجِنَان: أَبْشِرْ يَا مُحَمَّد فَمَا بَقِيَ لِنَبِيءٍ عِلْمٌ إِلَّا وقَدْ أُعْطِيتَهُ فأَنْتَ أَكْثَرُهُمْ عِلْمًا وأَشْجَعُهُمْ قَلْبًا[5].

وعَنْ عطَاء وابْنِ عَبَّاس أَنَّ آمِنَةَ قالَتْ: لَمَّا فَصَلَ عَنِّي؛ تَعْنِي النَّبِيءَ ﷺ، خرَجَ مَعَهُ نورٌ أضاءَ لَهُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ والْمَغْرِبِ ثُمَّ وَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ مُعْتَمِدًا علَى يَدَيْهِ، ثُمَّ أَخَذَ قبْضَةً مِن التُّرَابِ فقَبَضَها ورَفَعَ رأسَهُ إِلَى السَّماءِ[6].

ورُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا وَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ وَقَعَ مقْبُوضَةً أَصَابِعُ يَدِهِ مُشِيرًا بِالسَّبَّابَةِ كَالْمُسَبِّحِ بِهَا[7].

وعنْ عثمان بن أبي العاصي عَنْ أُمِّهِ أُمّ عثْمان الثّقفيّة، واسْمُها فَاطمة بنت عبد الله: لَمَّا حَضَرَتْ وِلَادَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَأَيْتُ بَيْتَ آمِنَةَ حِينَ وَقَعَ قَد امْتَلَأَ نُورًا، ورَأَيْتُ النُّجومَ تَدْنُو حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّها سَتَقَعُ عَلَيَّ[8].

قالَ الْعِرْباضُ بنُ سَارِيَةَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((**إِنِّي عَبْدُ اللهِ وخَاتمُ النَّبِيئِينَ، وإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ وسأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ: دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيم وبِشَارَةُ عِيسَى ورُؤْيَا أُمِّي التِي رَأَتْ،**

(1) في البداية والنهاية: الفرسِ.

(2) في تاريخ دمشق والبداية والنهاية: وصدَّت عن الكُهَّانِ بالغيبِ.

(3) الأبيات من الطويل، رويت في كتب كثيرة، ينظر: تاريخ دمشق، ابن عساكِر، 425/3، والبداية والنهاية، ابن كثِير، 579/3،

(4) كتب المؤلِّفُ القِصَّة كاملةً على الهامِشِ. والقصة في تاريخ دمشق، ابن عساكِر، 424/3-425، والخصائِص الكبرَى، السيوطِي، 129/1.

(5) المواهِب اللَّدنيَّة، القسطلَّاني، 126/1-127، نقلا عن بدر الدين الزركَشِي في شرح بردة المدِيح.

(6) الطبقات الكبير، ابن سعد 82/1.

(7) المواهِب اللدنية، القسطلَّاني، 127/1، نقلا عن الطبرِي دون ذكر المصدرِ.

(8) المواهِب اللدنية، القسطلَّاني، 127/1، نقلا عن البيهقِي دون ذكر المصدر.

وَكَذَلِكَ أُمَّهَاتُ الأَنْبِيَاءِ يَرَيْنَ؛ أَيْ: يَرَيْنَ حِينَ الْحَمْلِ والوَضْعِ مَا يَدُلُّ عَلَى النَّجَابَةِ[1]، وإِنَّ أُمَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْهُ نُورًا أَضَاءَ لَهُ قُصُور الشَّامِ))[2].

قالَتْ أمّ سلمة: قَالَتْ آمِنَةُ: لَقَدْ رَأَيْتُ لَيْلَةَ وَضْعِهِ نُورًا أَضَاءَتْ لَهُ قُصُور الشَّامِ حَتَّى رَأَيْتُهَا[3].

وعَنْ حليمة أَنَّ آمِنَةَ قَالَتْ: لَمَّا ولَدْتُهُ خَرَجَ مِنْ فَرْجِي نُورٌ أَضَاءَ لَهُ قصُور الشَّام، فوَلَدْتُهُ نَظِيفًا[4] مَا بِهِ قَذَرٌ[5]. وفِي ذَلِكَ قَالَ العبّاس رضي الله عنه:

وَأَنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقَتِ ... الْأَرْضُ وَضَاقَ[6] بِنُورِكَ الْأُفُقُ

فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ[7] وَفِي النُّو ... رِ وَسُبل الرَّشَادِ تَخْتَرِقُ[8]

وخُرُوجُ هذَا النُّورِ عِنْدَ وضْعِهِ إِشَارَةٌ إِلَى ما يَجِيءُ بِهِ مِنَ النُّورِ الذي اهْتَدَى بِهِ أَهْلُ الأَرْضِ، وزَالَ بِهِ ظُلْمَة الشِّرْكِ، كما قَالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ﴾[9] وأَمَّا إِضَاءَةُ قُصورِ بُصْرَى بِالنُّورِ الذِي خَرَجَ مَعَهُ، فهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى مَا خَصَّ الشَّامَ مِنْ نُورِ نُبُوءَتِهِ [101و] فإِنَّهَا دَارُ مُلْكِهِ، كمَا ذَكَرَ كَعْب أَنَّ فِي الْكُتُبِ السَّالفَةِ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ مَولِدُهُ بِمَكَّةَ ومُهَاجَرُهُ بِيَثْرِبَ ومُلْكُهُ بِالشَّام، فمِنْ مَكَّة بدَأَتْ نبُوءَتُهُ وإِلَى الشَّامِ انْتَهَى مُلْكهُ، ولِهَذَا أُسْرِيَ بِهِ ﷺ إِلَى الشَّامِ، وبِهَا يَنْزِلُ عِيسَى بنُ مَرْيَم، وهِيَ أَرْضُ الْمَحْشَرِ والْمَنْشَرِ[10].

قالَ عبْدُ الرَّحمَنِ بنُ عَوْفٍ عَنْ أُمِّهِ الشّفاء: لَمَّا وَلَدَتْ آمِنَةُ رسُولَ اللهِ ﷺ وَقَعَ علَى يَدِي فَاسْتَهَلَّ؛ أَيْ: عَطِسَ، فسَمعت قائِلًا يَقُولُ: رَحِمَكَ اللهُ. وأَضَاءَ لِي مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ والْمَغْرِبِ حَتَّى نظَرْتُ إِلَى بَعْضِ قُصُورِ الرُّومِ؛ أَيْ: بِالشَّامِ، إِذْ كانَ يَوْمَئِذٍ مَمْلَكَةً لِلرُّومِ[11]، قالَتْ: ثُمَّ أَلْبَنْتُهُ؛ أَيْ:

---

(1) أي: يرين حين الحمل والوضع ما يدلُّ على النجابة: من كلام المؤلِّفِ.

(2) مسند أحمد، حدِيث (17150) والمستدرك، حدِيث (4175) مع تغيير فِيهما، ودلائل النبوة، البيهقِي، 80/1.

(3) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 128/1، نقلا عن أبِي نعِيم دون ذكر المصدرِ.

(4) في الأصلِ: نضيفا.

(5) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 128/1، عن همام بن يحيَ عن إسحاق بن عبد الله، وليس فيهِ عن حليمة. روايةً عن ابن سعد، الطبقات الكبير، 82/1.

(6) في المواهب اللدنية وغرِيب الحدِيث: وضاءت، وهو أسلم للوزنِ.

(7) في الأصل كتبها المؤلف دون همزة.

(8) البيتان من المنسَرِح في غرِيب الحدِيث، ابن قتيبة، 359/1، والمواهب اللدنية، القسطلَّاني، 128/1.

(9) سورة المائدة: 16.

(10) لطائف المعارِف، عبد الرحمن بن رجب، ص88.

(11) عبارة: "أي بالشَّامِ، إذ كان يومئذٍ مملكة للروم" من كلام المؤلِّفِ.

سَقَيْتُهُ اللَّبَنَ، فتُضَمُّ إِلَى مُرْضِعَاتِهِ آمِنَةَ وحَلِيمَةَ وثويْبَة[1] وأمّ أيْمن، والحافظ حجة وامرأة كضرة[2]، وثلاث أبكار وأمّ فروة وخولة[3]. وأَضْجَعْتُهُ فلَمْ أَنْشَبْ أنْ غَشِيتْني ظُلْمَةٌ ورُعْبٌ وقشْعَرِيرَةٌ ثُمَّ غيب عَنِّي، فَسَمِعْتُ قَائِلًا يقُولُ: أَيْنَ ذَهَبَ بِهِ؟ قالَ: إِلَى الْمَشْرِقِ. قالَتْ: فلَمْ يَزَل الْحَدِيثُ مِنِّي علَى بَالٍ حتَّى بَعَثَهُ اللهُ، فكُنْتُ فِي أَوَّلِ النَّاسِ إِسْلَامًا[4].

وهذَا يُنَافِي مَا مَرَّ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَحْضُرْ عِنْدَ وِلَادَتِها أَحَدٌ، ولَعَلَّ المُرَادَ أَنَّهُ لَمْ يَحْضُرْ ثُمَّ حَضَرَتْ عِنْدَ الوَضْعِ.

قالَ حسّان بن ثابت: إِنِّي لَغُلَامٌ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ أَوْ ثَمَانٍ أَعْقِلُ ما رَأَيْتُ وسَمِعْتُ، إِذَا يَهُودِيٌّ يَصْرُخُ ذاتَ غَداةٍ: يَا مَعْشَرَ يَهُود فاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ وأَنَا أَسْمَعُ، قالُوا: وَيْلَكَ مَا لَكَ؟ قالَ: طلَعَ نَجْمُ أَحْمَدَ الذِي وُلِدَ بِهِ اللَّيْلَةَ[5].

وعَنْ عائِشَةَ: كانَ يهُودِيّ قَدْ سَكَنَ مَكَّةَ، أَيْ: أَرْبَعِينَ سَنَةً، يَتَحَسَّسُ خَبَرَهُ ﷺ[6]. قال: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ هَلْ وُلِدَ فِيكُم اللَّيْلَةَ مَوْلُودٌ؟ قالُوا: لَا نَعْلَم. قَالَ: انْظُرُوا فَإِنَّهُ وُلِدَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ نَبِيءُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلامَةٌ. فانْصَرَفُوا فقِيلَ لَهُمْ: قَدْ وُلِدَ لعبد الله بن عَبد المطّلِب غلامٌ. فذَهَبَ اليَهُودِيُّ مَعَهُمْ إِلَى أُمِّهِ فأَخْرَجَتْهُ لَهُمْ، فلَمَّا رأَى الْيَهُودِيُّ العَلَامةَ؛ أي: الْخَاتم[7]، خَرَّ مَغْشِيًّا علَيْهِ، وقَالَ: ذَهَبَت النُّبُوءَةُ مِنْ بَنِي إِسْرَائيلَ، يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَمَا واللهِ ليَسْطُوَنَّ بِكُمْ سطْوَةً يَخْرُجُ خبَرُهَا إِلَى الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ[8]. ونَقُول هِيَ وَقْعَةُ بَدْرٍ، واللهُ أَعْلَمُ.

قال قائلٌ:

ضَـــاءَتْ لِمَوْلِـدِهِ الآفَـاقُ وَاتَّصَـــلَـتْ ... بُشْـــرَى الهَوَاتِفِ فِي الإِشْـــرَاقِ وَالطّفلِ
وَصَـــرْحُ كِسْـــرَى تَـدَاعَى مِنْ قَوَاعِـدِهِ ... وَانْقَضَّ مُنْكَسِـــرَ الْأَرْجَـاءِ ذَا ميَـل
وَنَـارُ فَـارِسَ لَمْ تُوقَـدْ وَمَـا خَمـدَتْ ... مُـذْ أَلْفِ عَـامٍ وَلَهْوُ الْقَوْمِ لَمْ يَسِـــلِ

(1) في الأصلِ: توبية.

(2) عبارة لم أفهم معناها.

(3) عبارة: "أي: سقيتُهُ اللَّبَنَ... وأم فروة وخولة" من كلام المؤلف، أضافها على الهامِشِ.

(4) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 1/129-130، نقلا عن أبِي نعِيم دون ذكر المصدرِ.

(5) (م، س)، 1/130 عن البيهقِي وأبِي نعِيم دون ذكر المصدرِ.

(6) عبارة: "أي: أربعين سنةً، يتحسَّسُ خبرَهُ ﷺ" ليست في المواهب.

(7) أي: الخاتم، ليست في المواهِب.

(8) المواهب اللدنيّة، القسطلَّاني، 1/130.

خَرَّتْ لِـمَبْـعَثِـهِ الْأَوْثَـانُ وَانْـبَـعَثَـتْ ثَوَاقِبُ الشُّـهْبِ تَرْمِي الْجِنَّ بِالشُّـعلِ[1]

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: وُلِدَ ﷺ مَعْذُورًا؛ أيْ: مَخْتُونًا، مَسْرُورًا؛ أيْ: مَقْطُوعَ السُّرَّةِ[2].

وعَنْ أَنَس أَنَّ النَّبِيءَ ﷺ قالَ: ((**مِنْ كَرَامَتِي عَلَى رَبِّي أَنِّي وُلِدْتُ مَخْتُونًا، لَمْ يَرَ أَحَدٌ سَوْأَتِي**))[3]. قالَ [101ظ] ابْنُ عُمَر: وُلِدَ النَّبِيءُ ﷺ مسْرُورًا مَخْتُونًا[4].

ويُقالُ: تَوَاتَرَت الأَخْبَارُ أَنَّهُ وُلِدَ مَخْتُونًا ﷺ[5] واعْترضَ ادِّعَاء التَّواتُرِ، ولَعَلَّ مرَاد مَنْ قَالَ بِهِ اشْتِهارُ الأَخْبَارِ وكَثْرَتُهَا لَا التَّواتُرُ الْمُصْطَلَح علَيْهِ[6]. وضَعَّفَ بَعْضُهُم أحَادِيثَ كَوْنِهِ وُلِدَ مَخْتُونًا[7]. ولَيْسَ ذلِكَ مِنْ خُصُوصِيَّاتِهِ فإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ وُلِدَ مَخْتُونًا[8].

والْعَرَبُ تَزْعمُ أنَّ الغُلَامَ إِذَا وُلِدَ فِي القَمَرِ فسخت قُلْفَتُهُ؛ أي اتَّسَعَتْ، وصَارَ كالمخْتُونِ[9].

قال ابنُ الكلبي: بَلَغَنَا أَنَّ ثَلَاثَةَ عَشَرَ نَبِيًّا آدَمَ وشِيتَ وإِدْرِيسَ ونُوحا وساما ولُوطًا ويُوسُف ومُوسَى وسُلَيْمَان وشُعَيْبًا ويَحْيَى وهُودا وصَالِحا وسيِّدَنَا مُحَمَّدًا ﷺ علَيْهِ وعلَيْهِمْ وُلِدُوا مَخْتُونِينَ[10].

ومَعْنَى الْخَتْنِ فِي ذَلِكَ، خَلْقُهُ علَى صُورَةِ الْمَخْتُونِ، ولَيْسَ سَامُ نَبِيًّا خِلَافًا لِهَذِهِ الرِّوَايَةِ وللسّمرقندي.

وقِيلَ خَتَنَهُ جدُّهُ عبْدُ الْمُطَّلِبِ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ؛ أيْ: أَمَرَ بِهِ فخُتِنَ، وصَنَعَ لهُ مَأْدُبَةً وسمَّاهُ مُحَمَّدا. وهُوَ مَرْوِيٌّ عن ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عنْهُمَا[11].

وعنْ أَبِي بَكْر: ختَنَهُ جِبْرِيلُ عِنْدَ حَلِيمَةَ، بِفَتْحِ الحَاءِ وكَسْرِ اللَّامِ، حينَ طَهَّرَ قَلْبَهُ[12]. قالَ الذَّهَبِيّ: هَذَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ[13].

والختْنُ: قَطْعُ القُلْفَةِ التِي تُغَطِّي الْحَشَفَةَ مِنَ الرَّجُلِ، أَوْ بَعْض الْجِلْدَةِ التِي فِي أَعْلَى فَرْجِ الْمَرْأَةِ.

---

(1) المواهب اللدنيّة، القسطلَّاني ، 132/1، الأبيات من البسيط، من الشُّقراطسِيَّة. ينظر: مقال: من أروع الشعر أنجم السياسية وقصائد أخرى، عبد الله كنون، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ع53، 92/1، صفر 1399 – يناير 1979م. الشقراطسِي: أبو محمد عبد الله بن أبِي زَكريا يحيى بن علِي، ت:415هـ. سبقت ترجمته.

(2) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 133/1، عن ابن عساكر دون ذكرِ المصدرِ.

(3) المعجم الأوسَط، حدِيث (6148) وغيرِهِ.

(4) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 133/1، عن ابن عساكر دون ذكر المصدرِ.

(5) المستدرك، حدِيث (4177).

(6) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 133/1–134، بتصرُّف عن الحافظ الذهبِي دون ذكر المصدرِ.

(7) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 134/1، حكاية عن الحافظ زين الدين العراقِي، عن الكمال بن العدِيم.

(8) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 134/1، عن ابن القيم دون ذكر المصدرِ.

(9) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 134/1، حكاية عن ابن حجر، فتح البارِي، 340/10.

(10) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 134/1، نقلا من الوشاح لابن دريد عن ابن الكلبِي.

(11) التمهِيد، ابن عبد البر، 140/23، وغيرِهِ.

(12) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 135/1–136، عن ابن القيم وغيره، دون ذكر المصدرِ.

(13) المواهِب اللدنية، القسطلَّاني، 136/1.

وهُوَ واجِبٌ في حَقِّ الرِّجَالِ مُسْتَحَبٌّ فِي حَقِّ النِّسَاءِ[1].

وأَمَّا حديثُ أسامَةَ عَنْهُ ﷺ: ((**الْخِتَانُ سُنَّةٌ لِلرِّجَالِ مَكْرُمَةٌ لِلنِّسَاءِ**))[2] فمعناهُ سُنَّةُ الوُجُوبِ، أَلَا تَرَى أَنَّ خِتَانَ النِّسَاءِ أَيْضًا سُنَّةٌ؛ أَيْ: غَيْرُ وَاجِبَةٍ، فلَوْلَا وجُوبُهُ فِي الرَّجُلِ لَمْ يَخُصَّهُ فيهِ بِالسُّنَّةِ، ويَدُلُّ علَى الْوُجُوبِ قوْلُهُ تعالَى: ﴿**أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ**﴾[3] والأَمْرُ لِلْوُجُوبِ. ومَنْ يَقُلْ إِنَّ الخِتَانَ غَيْرُ وَاجِبٍ فِي مِلَّةِ إِبْرَاهيمَ طُولِبَ بِالدَّلِيلِ.

وقَوْلُه ﷺ لِرَجُلٍ أَسْلَمَ: ((**أَلْقِ عَنْكَ شَعْرَ الكُفْرِ وَاخْتَتِنْ**))[4] وإِلقَاءُ الشَّعْرِ قَامَ الدَّليلُ عَلَى عَدَمِ وُجُوبِهِ، ولَمْ يَقُمْ عَلَى الْخِتَانِ مَعَ أَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنَّ شَعْرَ الْكُفْرِ مَا يُوجِبُ الإِسْلَامُ قطْعَهُ كالشَّارِبِ والإِبِطِ والْعَوْرَةِ. وأَمَّا كوْنُ القُلْفَةِ تَحْبِسُ النَّجَسَ وتَمْنَعُ الصَّلاةَ فكذَلِكَ يدُلُّ، لَكِنْ يَقُولُ الْخَصْمُ هَذِهِ دَعْوَاكُمْ. وقَالَ مَالِك وأبُو حَنِيفَةَ وبَعْضُ الشَّافِعِيَّة بِعَدَمِ وجُوبِهِ. وبالوُجُوبِ قُلْنَا نَحْنُ وسحنون وجُمْهُورُ الشَّافِعِيَّةِ.

وحِكْمَةُ الخِتَانِ أَنَّ الإِسْلَامَ وَسَطٌ لَا إِفْرَاطَ ولَا تَفْرِيطَ فَإِنَّ الْحَشَفَةَ قَوِيَّةُ الْحِسِّ، فمَا دامَتْ مَسْتُورَةً بالْقلفَة تَقْوَى اللَّذَّةُ عِنْدَ الْمُبَاشَرَةِ، فإِذَا قُطِعَت القلفَةُ تَصَلَّبَت الحَشَفَةُ فضَعُفَت اللَّذَّةُ، فهِيَ لذَّةٌ بَيْنَ عَدَمِهَا أَلْبَتَّة، كما يَقْطَعُ بَعْضُ النَّاسِ قضِيبَهُمْ أو يَعْمَلُونَ الأَدْوِيَةَ حَتَّى تَكُون الْمَرْأَةُ عنْدَهُمْ كالْحَجَرِ كمَا تَفْعَلُ الْمَانَوِيَّة[5][6]، وبَيْنَ لَذَّةٍ قَوِيَّة جِدًّا بإِبْقَاءِ الْقُلْفَة. والْمَذْهَبُ أَنَّهُ يَجِبُ علَى الْوَلِيِّ وقائِمِ الْيَتِيمِ خَتْنُ الصَّبِيِّ قَبْلَ البُلُوغِ، وبِهِ قالَ بَعْضُ الشّافعيّة. وقال جُمْهُورُهُم: إِنَّهُ لا يَجِبُ إِلَّا بعْدَ الْبُلُوغِ، كما رَوَى البُخَارِي: ((**أَنّه سُئِلَ ابْنُ عَبَّاس مِثْلُ** [102و] **مَنْ أنْتَ حِينَ قُبِضَ رسُولُ اللهِ ﷺ؟ فقَالَ: أَنَا يوْمَئِذٍ مَخْتُونٌ، وكَانُوا لَا يَخْتِنُونَ الرَّجُلَ حَتَّى يُدْرِكَ**))[7]. قُلْنَا: لَعَلَّ الْمُرَادَ بالْإِدرَاكِ الْقُوَّةَ، أو الْمُرَاهَقَة لَا نَفْسُ الْبُلُوغِ.

واخْتُلِفَ في عامِ ولَادَتِهِ ﷺ الأَكْثَرُ أَنَّه عام الفِيلِ، وبِهِ قالَ ابْنُ عَبَّاس، ومِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ حَكَى الاتِّفَاقَ علَيْهِ، وقالَ: كُلُّ قَوْلٍ يُخَالِفُهُ وَهمٌ والْمَشْهُورُ أَنَّه وُلِدَ بَعْدَ الفِيلِ بِخَمْسينَ يَوْمًا، وإِلَيْهِ ذَهَبَ

---

(1) المواهِب اللدنية، القسطلَّاني، 136/1، بتصرُّف.

(2) مسند أحمد حدِيث (20719).

(3) سورة النحل: 123.

(4) سنن أبي داود، حدِيث (356).

(5) المانوية: أشهر العقائد وأكثرها اتباعا في بلاد فارِس بعد عقيدة زرادشت، نسبة إلى ماني بن فاتك، الفيلسوف الفارسي الذي ولد عام 215م. ظهر في زمان سابور بن أردَشِير، وقتله بهرام بن هرمز بن سابور، وذلك بعد عيسى ابن مريم عليه السلام. أحدث دينا بين المجوسية والنصرانية، وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام، ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام. الملل والنحل، الشهرستاني، 49/2، وموسوعة الأديان، سعدون محمد الساموك، 1/ 94.

(6) مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، 261/20.

(7) صحيح البخارِي، حدِيث (6299).

السُّهَيْلِيّ وجماعَةٌ، وقِيلَ بَعْدَهُ بِخَمْسٍ وخَمْسِينَ يَوْمًا، وقِيلَ: بِشَهْرٍ، وقِيلَ بأَرْبَعِينَ يَوْمًا، وقِيلَ: بَعْدَ الفِيلِ بِعَشْرِ سِنِينَ، وقِيلَ: قَبْل بِخَمْسَ عشْرَةَ سَنَة، والْمَشْهُورُ أَنَّهُ بعْدَ الْفِيلِ؛ لِأَنَّ قِصَّةَ الفِيلِ تَوْطِئَةٌ لنُبُوءتِهِ وتقدمه لظُهُورِهِ وبَعْثِهِ، وإِلَّا فأَصْحَابُ الفِيلِ كانُوا نَصَارَى أَهْلَ كِتَابٍ، وكانَ دِينُهُمْ خَيْرًا مِنْ دِينِ أَهْلِ مَكَّةَ إِذْ ذَاكَ؛ لِأَنَّهُمْ كانُوا عُبَّاد أَوْثَانٍ، فنَصَرَهُمْ اللهُ علَى أَهْلِ الْكِتَابِ نَصْرًا لا صُنْعَ فِيهِ لِلْبَشَرِ، إِرْهَاصًا لِلنَّبيءِ ﷺ الذِي خَرَجَ مِنْ مَكّةَ، وتعْظيمًا لِلبلَدِ الْحَرَامِ[1].

واخْتُلِفَ أَيْضًا فِي الشَّهْرِ الذِي وُلِدَ فيهِ والْمَشْهُورُ أَنَّهُ وُلِدَ فِي شهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّل، وهُوَ قَوْلُ جمَاهِيرِ العُلَمَاءِ. ونَقَلَ ابنُ الْجَوْزِي الاتِّفَاقَ علَيْهِ. ولَيْسَ كذَلِكَ، فقَدْ قِيلَ: فِي صَفَر، وقِيلَ: فِي رَبِيع الثَّانِي، وقِيلَ: فِي رَجَب، ولَا يَصِحُّ، وقِيلَ: فِي رَمَضَانَ، وهُوَ مَرْوِيٌّ عَن ابْنِ عُمَر بِسَنَدٍ لَا يَصِحُّ، وهُوَ مُوَافِقٌ لِمَنْ قَالَ: حَمَلَتْ بِه أُمُّهُ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، وأَغْرَبَ مَنْ قَالَ: فِي عَاشوراءَ[2].

وكَذَلِكَ اخْتُلِفَ فِي أَيِّ يَوْمٍ مِنَ الشَّهْرِ، فَقِيلَ: غَيْرُ مُعَيَّنٍ، إِنَّما وُلِدَ يَوْمَ الاثْنَيْن مِنْ رَبِيعِ الأَوَّلِ مِنْ غَيْرِ تَعْيِينٍ، والْجمْهُورُ علَى التَّعْيِينِ، فقِيلَ: لِلَيْلَتَيْنِ مضَتَا مِنْهُ، وقِيلَ: لِثَمَانٍ مَضِينَ منْهُ، وهُوَ اخْتِيَارُ أَكْثَرِ أَهْلِ الْحَدِيثِ، ونُقِلَ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ وجبيْر بن مطْعم، وهُوَ اخْتِيَارُ أَكْثَرِ مَنْ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِهَذا الشَّأْنِ، واخْتَارَهُ الحميدي[3] وشَيْخُهُ ابْنُ حَزْم. ويقَالُ: أَجْمَعَ علَيْهِ أَهْلُ الزِّيج[4]. ورَوَاهُ الزّهريّ عَنْ محمّد بن جبير بنِ مطعم، وكَانَ عَارِفًا بِالنَّسَبِ وأَيَّامِ الْعَرَبِ، أَخَذ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ جبير[5].

وأَهْلُ الزِّيجِ: أَهْلُ الْمِيقَاتِ. والزِّيجُ لُغَةً: خَيْطُ البَنَّاءِ، وجُعِلَ عَلَمًا لِعِلْمِ الْمِيقَاتِ؛ لِأَنَّهُمْ يُعَوِّلُونَ علَى الْخَيْطِ فِي أَخْذِ اسْتِوَاءِ النُّجُومِ.

وقِيلَ: لِعَشْرٍ، وقِيلَ: لاثْنَتَيْ عَشْرَةَ، وعَلَيْهِ يُحْمَلُ عَمَلُ أَهْلِ مَكّةَ فِي زِيَارَتِهِم مَوْضِعَ مَولِدِهِ فيه. وَقِيلَ: لِسَبْعَ عَشْرَةَ، وقِيلَ: لِثَمَانَ عَشْرَةَ، وقِيلَ: لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنْهُ، وقِيلَ: هَذَانِ القَوْلانِ غَيْرُ صَحِيحَيْنِ عمَّنْ حُكِيَا عَنْهُ، والْمَشْهُورُ أَنَّه وُلِدَ ثَانِي عشَرَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وهُوَ قَوْلُ ابْنِ إِسْحَاق وغَيْرِهِ. وإِنَّمَا كانَ فِي شَهْرِ رَبِيع الْأَوَّلِ علَى الصَّحيحِ، ولَمْ يَكُنْ فِي رَمَضَانَ ولَا فِي الْمُحَرَّمِ ولَا فِي رَجَب، أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الشُّهورِ ذَوَاتِ الشَّرَفِ؛ لِأَنَّهُ ﷺ لَا يتَشَرَّفُ بِالزَّمَانِ، وإِنَّمَا الزَّمَانُ يَتَشَرَّفُ بِهِ كَالأَمَاكِنِ، فلَوْ وُلِدَ

---

(1) المواهب اللدنية، القسطلّاني، 1/139-140 بتصرف.

(2) (م، س)، 1/140 بتصرف.

(3) محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدِي الحميدِي الميورقِي، محدث أصُولِي مؤرِّخ، سمع من ابن عبد البَرِّ وابن حزم الظاهِرِي ورحل إلى المشرِق، توفي ببغداد سنة 488هـ، من تصانِيفِهِ: جذوة المقتبس في أخبار علماء الأندلُسِ، تسهِيل السَّبِيلِ إلى علم التَّرْسِيل. سِير أعلام النبلاء، الذهَبِي، 19/120، ومعجم المؤلِفِين، رضا كحالة، 3/583.

(4) الزيج: خيْطُ البَنَّاءِ وهو المِطْمَر، فارِسِي معرَّب. لسان العرب (زيج).

(5) المواهب اللدنية، القسطلّاني، 1/140-141.

فِي شَهْرٍ مَشْهُورٍ بِالشَّرَفِ لَتُوهِّمَ أَنَّهُ تَشَرَّفَ [102ظ][1] بِهِ. فجَعَلَ اللهُ مَوْلِدَهُ فِي غَيْرِهَا لتَظْهَرَ عنَايَتُهُ بِهِ وكَرَامَتُهُ عَلَيْهِ، وإِذَا كانَ يَوْمُ الجُمعَةِ الذِي خُلِقَ فيهِ آدَمُ عليه السلام خصَّ بسَاعَةٍ لا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يسْأَلُ اللهَ فيهَا خَيْرًا إِلَّا أعطَاهُ إيَّاهُ، فمَا بَالُكَ بِالسَّاعةِ التِي وُلِدَ فيهَا سَيِّدُ المرْسَلِينَ، ولَمْ يَجْعَل اللهُ تعَالَى فِي يَوْمِ الاثْنَيْنِ، يوْم مولِدِهِ عليه السلام مِنَ التَّكْلِيفِ بالعِبادَاتِ مَا جَعَلَ فِي يَوْمِ الجمُعَةِ المخْلُوقُ فيهِ آدَمُ مِن الْجُمُعَةِ والْخُطْبَة وغَيْرِ ذلِكَ إِكْرَامًا لِنبِيئِهِ ﷺ بالتَّخْفِيفِ عن أُمَّتِهِ بِسَبَبِ عنايَةِ[2] وجُودِهِ. قال اللهُ تعالَى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[3] ومِنْ جُمْلَةِ الرَّحْمَة بِهِ عَدَمُ التَّكلِيفِ بِأَمْرٍ زَائِدٍ علَى سائِرِ الأيَّامِ. فعَنْ قتادة الأنصاريّ أَنَّه سُئِلَ رسُولُ اللهِ ﷺ عنْ صِيَامِ يوْمِ الاثْنَيْنِ فقالَ: ((**ذَلِكَ يَوْم وُلِدْتُ فِيهِ وأُنْزِلَتْ علَيَّ فِيهِ النُّبُوءَةُ**))[4] وهذَا يَدُلُّ علَى أَنَّهُ وُلِدَ نَهَارًا[5].

وعَن ابْنِ عبَّاس: وُلِدَ ﷺ يوْمَ الاثْنَيْنِ واسْتُنْبِئَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَخَرَجَ مُهَاجِرًا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ يَوْمَ الاثْنَيْن، ودَخَلَ الْمَدِينَةَ يوْمَ الاثْنَيْنِ، ووَضَعَ الْحَجَرَ يوْمَ الاثْنَيْنِ[6]. رَفَعَهُ إِلَى موْضِعِهِ ﷺ ووَضَعَهُ فِي مَحَلِّهِ مِنَ الرُّكنِ حِينَ بَنَتْهُ قُرَيْشٌ[7]. وكذَا قِيل حمل يَوْمَ الاثْنَيْنِ. وفَتَحَ مَكَّةَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، ونَزَلَتْ سورَةُ الْمَائدَةِ يَوْمَ الاثْنَيْن[8].

ورُوِيَ أَنَّهُ وُلِدَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ عِنْدَ طلُوعِ الْفَجْرِ. فعِنْدَ[9] عبْد الله بن عمْرو بن العاصي كانَ بِمرّ الظهران رَاهِبٌ يُسَمَّى عيصى، مِنْ أَهْلِ الشَّامِ. وكانَ يقُولُ: يُوشِكُ أَنْ يُولَدَ فِيكُمْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ موْلُود تَدِينُ لهُ الْعَرَبُ، أَيْ: تَخْضَعُ[10]، ويمْلِك الْعَجَم هذَا زَمَانُهُ، وكَانَ لَا يُولَدُ بِمَكَّةَ موْلُودٌ إِلَّا سألَ عَنْهُ. فَلَمَّا كَانَ صَبِيحَة الْيَوْمِ الذِي وُلِدَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، خَرَجَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ حتَّى أَتَى عيصى، فنَادَاهُ فأَشْرَفَ عَلَيْهِ فقَالَ لهُ عيصى: كُنْ أَبَاهُ، أَي: اعْتَقِدْ أَنَّكَ أَبُوهُ، فَقَدْ ولِدَ ذَلِكَ الْمَوْلُودُ الذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُم عنْهُ يَوْمَ الاثْنَيْن، ويُبْعَثُ يوْمَ الاثْنَيْنِ وَيمُوتُ يَوْمَ الاثْنَيْنِ. قَالَ: وُلِدَ لِي اللَّيْلَةَ مَعَ الصُّبحِ مَوْلُودٌ، قالَ: فَمَا سَمَّيْتَهُ؟ قالَ: مُحَمَّد، قالَ: واللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَشْتَهِي أنْ يكُونَ هَذَا الْمَوْلُودُ فيكُمْ أَهْلَ

---

(1) على الهامش: من أوله إلى هنا عشر كراريس عارية عند عمِّنا الحاج أحمد بن صالح بن عمر يرجعون لمالكِهِ محمد بن إبراهيم كله.

(2) في المواهب اللدنية: غاية.

(3) سورة الأنبياء: 107.

(4) ورد بمعناهُ فِي صحيح مسلِم، حدِيث (1162).

(5) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 1/142-143.

(6) (م، س)، 1/143.

(7) عبارة "رفعه...قريش" أضافَها المؤلِّف على الهامِشِ.

(8) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 1/143.

(9) خطأ صواب: فعنْ.

(10) أي: تخضَعُ، من كلام المؤلِّفِ.

هَذَا الْبَيْتِ بثلَاثِ خِصَالٍ، فقَدْ أَتَى عَلَيْهِنَّ منْهَا أَنَّه طلَعَ نَجْمُهُ البَارِحَةَ وأَنَّهُ وُلِدَ الْيَوْمَ وأَنَّ اسْمَهُ مُحَمَّد)) روَاهُ [ابْنُ شَيْبَةَ][1] وخَرَّجَهُ أبُو نُعَيْمٍ فِي "الدَّلَائِلِ" بِسَنَدٍ فِيهِ ضُعفٌ[2]. ومَعْنَى مُلْكِهِ الْعَجَمَ، ادِّعَاؤُهُمْ لدِينِهِ رِضًا أَوْ بِقِتَالٍ، فلَا يُنَافِي أَنَّهُ خُيِّرَ فاخْتَارَ النُّبوءَةَ لَا الْمُلْكَ.

ويُقَالُ: كانَ مَوْلِدُهُ ﷺ عِنْدَ طُلوعِ الْغَفْر، بِفَتْحٍ وإسْكَانٍ، وهِيَ ثَلَاثَةُ أنْجُمٍ صِغَارٍ ينزلها الْقَمَر، وهُوَ مَوْلِدُ النَّبِيئِينَ، ووَافَقَ ذلِكَ مِنَ الشُّهورِ الشَّمْسِيَّة نَيْسَان، بِفَتْحِ النُّونِ، وهُوَ بُرْجُ الْحَمَل لعِشْرِينَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْهُ[3].

وَنيسانُ هُوَ سابعُ الْأَشْهُرِ الرُّومِيَّة، والبَدْأ مِنْ أُكْتُوبَر فَنيسَان هُوَ أَبْرِيل. وفِي بَعْضِ الكُتُبِ وُلِدَ فِي بُرْجِ الْحَمَل، وهُو يحتملُ أَنْ يَكُونَ فِي نيسَان وأَنْ يكُونَ فِي آذَارَ، كذَا قِيلَ، ويُشْكِلُ فإنَّ الْحَمَلَ مِنْ بُرُوجِ الرَّبِيعِ، والغَفْر مِنْ [103و] منَازِلِ الْخَرِيفِ.

وذكَرَ أبو معشر البلخي[4] أنّه قال: استَخْرَجْتُ طالِعَ النَّبِيءِ ﷺ عشْرِينَ دَرَجَةً مِنَ الْجَدْيِ وزحَل والْمُشتَرِي فِي ثَلَاثِ درج مِنَ الْمَغْرِبِ، مقْتَرِنَانِ فِي درَجَة وَسَط السَّماءِ والمريخ فِي بَيْتِه فِي الحمل والشَّمْس في الحمل في الشرف والزهرة في الحوتِ في الشرف وعطارد في الحوتِ والقَمَرُ فِي أَوَّلِ الْمِيزَانِ والرَّأس فِي الْجَوْزَاءِ فِي الشرف والذنب فِي الْقَوْسِ فِي الشرف فِي بَيْتِ الإعداد[5].

وذكَرَ القيرواني[6] في "تَنْبِيهِ الْأَنَامِ"[7] أَنَّهُ وُلِدَ فِي عشْرِينَ مِنْ أَبْرِيلَ والشَّمْسُ بِأَوَّلِ الثّور، والزهرة في أبسطِه.....[8] والقَمَرُ بالأَسَدِ، وأَنَّهُ وُلِدَ فِي السَّاعَةِ العَاشِرَةِ مِنْ لَيْلَةِ الاثنَيْن، وأَنَّهُ وُلِدَ بِأَوَّلِ الحُوتِ فِي السَّاعَةِ العَاشِرَةِ مِنْ لَيْلَةِ الاثنَيْنِ، وأنَّ تِلْكَ الطَّوَالِعَ طوَالِعُ النَّبِيئِينَ، وأَنَّهُ وُلِدَ فِي أَبْرِيلَ فِي عِشْرِينَ مِنْهُ مِنْ عَامِ اثْنَيْنِ وثَمَانِينَ وثَمَانِي مئة من تاريخ الإسكندر، وأَنَّهُ وُلِدَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بثَلَاثٍ وخَمْسِينَ

---

(1) يعني: ابن أبي شيبة.

(2) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 143/1-144، لم أقف على الأثَرِ فِي المطبوع من دلائل النبوة لأبِي نعيم. وقد ورد فِي البداية والنهاية، 405/3، ولطائف المعارِف، ابن رجب، ص182.

(3) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 144/1.

(4) جعفر بن محمَّد بن عمر البلخِي، المنجِّم البغدادِي ت:272هـ، من مصنفاتِهِ: إثباتُ علم النُّجوم، الاختبارات، أسرار النُّجوم. هدية العارفين، البابانِي، 251/1.

(5) الفقرة أضافها المؤلف على الهامِشِ. لم أقف على من نقل النص، ووقفت على كتاب لأبي معشر البلخي، طبعة قديمة، يصعب البحث فيها.

(6) عبد الجليل بن محمد بن أحمد بن عظوم المرادي القيرواني، صوفي، من تصانيفه: تذكرة أهل الإسلام في الصلاة على خير الأنام، تنبيه الأنام في بيان علو مقام نبينا محمد ﷺ، ت: 960هـ. معجم المؤلفين، 49/2.

(7) تنبيه الأنام، في بيان علو مقام نبينا محمد – عليه الصلاة والسلام – لعبد الجليل بن محمد بن أحمد بن حطوم المرادي، القيرواني ت:960هـ، جمع فيه: الصلاة على النبي ﷺ المروية، أو المأثورة واستوعب، ثم لخصه. كشف الظنون، 486/1. الكتاب مطبوع في دار الكتب العلمية 2009، لم أقف عليهِ.

(8) كلمة لم أتبيّنها.

سَنَةً بالْهِلَالِ، وأَنَّهُ وُلِدَ سنَةَ ثلاثٍ وسِتّينَ وأَرْبَعِ مئَةٍ وأَرْبَعَةِ آلافِ سَنَةٍ مِنْ مَهْبِطِ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ.

وقِيلَ: وُلِدَ لَيْلًا فَعَنْ عائِشَةَ: كانَ بِمَكَّةَ يهُودِيٌّ يَتَّجِرُ فيهَا فَلَمَّا كانَت اللَّيلةُ التِي وُلِدَ فيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْش هلْ وُلِدَ فيكُم اللَّيْلَةَ مَوْلُودٌ؟ قالُوا: لا نَعْلَمُهُ، قالَ: وُلِدَ اللَّيْلَةَ نَبِيءُ هَذِهِ الأُمَّةِ الأَخِيرَةِ بَيْنَ كَتْفَيْهِ علَامَةٌ فِيهَا شَعَرَاتٌ مُتَوَاتِرَاتٌ كَأَنَّهُنَّ عَرْفُ فَرَسٍ. فَخَرجُوا بالْيَهُودِيّ حَتَّى أَدْخَلُوهُ علَى أُمِّهِ فقالُوا: أَخْرِجِي لنَا ابْنَكِ، فأَخْرَجَتْهُ وكشَفُوا عَنْ ظَهْرِهِ فرأَى تِلْكَ الشَّامَةَ، فوَقَعَ مَغْشِيًّا عليْهِ. فلَمَّا أَفَاقَ قالُوا: مَالَكَ وَيْلَكَ؟ قالَ: ذَهَبَتْ واللهِ النُّبُوءَةُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ[1].

والصَّحِيحُ أَنَّهُ وُلِدَ نَهَارًا، وَعُورِضَ بمَا مَرَّ مِنْ تَدَلِّي النُّجُومِ، وأُجيبَ بِصُلُوحِ ظهُورِهَا وتَدَلِّيهَا نَهارًا؛ لأَنَّ زَمَانَ النُّبُوءَةِ صَالِحٌ لِلْخَوَارِقِ[2].

وأَيْضًا يُقالُ: وُلِدَ بَعْدَ الْفَجْرِ، والوَقْتُ فَجْرٌ إِلَى طلُوعِ الشَّمْسِ، وفِيهِ بَقِيَّةُ النُّجُومِ. أوْ سُمِّيَ لَيْلًا لِجِوَارِ اللَّيْلِ علَى الْقَوْلِ بِأَنَّ ذَلِكَ الْوَقْتَ مِنَ النَّهَارِ، وعَلَى أَنَّهُ وُلِدَ لَيْلًا فلَيْلَةُ الْمَوْلِدِ أَفْضَلُ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ؛ لِأَنَّها لَيْلَةُ ظُهُورِهِ ﷺ. ولَيْلَةُ القَدْرِ مُعْطَاةٌ لهُ ومَا شَرفَ بِظُهُورِ ذاتِ الْمُشَرَّفِ مِنْ أَجْلِهِ أَشْرَفُ مِمَّا تَشَرَّفَ بِسَبَبِ مَا أُعْطِيَهُ، ولا نِزَاعَ فِي ذَلِكَ. ولأَنَّ ليْلَةَ القَدْرِ شَرُفَتْ بِنُزُولِ الْمَلَائكَةِ فِيهَا، ولَيْلَةُ الْمَوْلِدِ شَرُفَتْ بِظُهُورِهِ ﷺ فيهَا والنَّبِيءُ ﷺ أَفْضَلُ منَ المَلَائكَةِ علَى الْأَصَحّ، ولِأَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ وقَعَ التَّفَضُّلُ فِيهَا على أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ولَيْلَةُ الْمَوْلِدِ الشَّرِيفِ وَقَعَ التَّفَضُّلُ فِيهَا عَلَى سَائِرِ الْمَوْجُودَاتِ فَهِيَ أَعَمُّ نَفْعًا[3].

قلْنَا: لَيْلَةُ القَدْرِ متجَدِّدَةٌ كُلَّ سَنةٍ، وجَاءَ تَفْضِيلُهَا علَى اللَّيَالِي بَعْدَ حصُولِ لَيْلَةِ الْمَوْلِدِ، فَلَيْلَتُهُ دَاخِلَةٌ فِيمَا فضلَتْ عَلَيْهِ لَيْلةُ الْقَدْرِ.

ومَوْلِدُهُ رِبِيعٌ لِلْقُلُوبِ، كمَا أَشَارَ إِلَيْهِ النَّاظِمُ بِقَوْلِهِ: "فَيَا لِرَبِيعِ" قال قَائِلٌ:

يَـقُـولُ لَـنَـا لِسَـــانُ الْـحَـالِ مِـنْـهُ ... وَقَـوْلُ الْـحَـقِّ يَـعْـذُبُ لِـلسَّـــمِـيعِ

فَـوَجْـهِي وَالـزَّمَـانُ وَشَـــهْرُ وَضْـــعِي ... رَبِـيـعٌ فِـي رَبِـيـعٍ فِـي رَبِـيـعِ[4]

ووُلِدَ ﷺ في الدَّارِ التِي كَانَتْ لِمحمّد بنِ يوسف، أَخِي الْحَجَّاج. وقِيلَ: فِي شِعْبِ أَبِي طَالِب، وقِيل: بِالرّدم، وقِيلَ: بعسفان[5]. وصَوَّبَ بعضٌ أَنَّهُ وُلِدَ في الشِّعبِ، والمشْهُورُ أَنَّهُ بالْمَسْجِدِ الْمَشْهُورِ الآنَ بالْمولِدِ، وهُوَ الدَّارُ المذكورةُ.

والقَوْلُ بِأَنَّهُ وُلِدَ بعسفان شاذٌّ لا مُعَوَّل علَيْهِ؛ فَمِمَّا نَعْتَقِدُهُ أَنَّهُ وُلِدَ بمكَّةَ ودُفِنَ بِالْمَدِينَةِ.

---

(1) المستدرك، الحاكم، حدِيث (4177).

(2) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 145/1، عن بدر الدين الزركشِي بتصرُّف.

(3) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 145/1، بتصرُّف.

(4) البيتان من الوافر. المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 146/1، لم يذكر أنها لشاعر، وكأنه هو القائل.

(5) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 146/1.

قال بَعْضُ شُرَّاحِ الْهَمْزِيَّة: صَرَّحَ بَعْضُ أَئِمَّتِنَا، يعْنِي الشَّافِعِيَّة، إِنَّ أَوَّلَ واجِبٍ علَى الأَوْلِيَاءِ أن يُعلِّموا صِبْيَانَهُم أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ وُلِدَ بمَكَّةَ ودُفِنَ بِالْمَدِينةِ[1]. بلْ إِنْكارُ ذَلِكَ كُفْرٌ لاستِلْزَامِهِ إِنْكَارَ وُجودِ النَّبِيءِ ﷺ.

وَلـمَّا وُلِدَ النَّبِيءُ ﷺ هتَفَ هَاتِفٌ علَى الحجون[2]:

فَـأُقْسِـــمُ مَـا أُنْثى مِنَ النَّـاسِ أَنْجَبَـتْ وَلَا وَلَـدَتْ أُنْثَى مِنَ النَّـاسِ وَاحِـدَه

كَمَـا وَلَـدَتْ [103ظ] زهْرِيَّـةٌ ذَاتُ مَفْخَر مُـجنِّبَـة لَـوْمَ الْقَـبَـائِـلِ مَـاجِـدَه[3]

يَعْنِي آمِنَة بِنْتَ وَهْبِ بنِ عَبْدِ مَنَاف بنِ زُهْرَةَ بنِ كلاب بنِ مُرَّة. وهِيَ تَلْتَقِي مَعَ رَسُولِ الله ﷺ مِنْ جِهَةِ آبائِهَا فِي كلاب. وكانَ وَهْبٌ سَيِّدَ بَنِي زُهْرَةَ نَسَبًا وَشَرَفًا. وأُمُّ آمِنَةَ مرّة بنْت عبد العزَّى بنِ قُصَيّ بنِ عَبْدِ الدَّارِ بنِ قُصَيّ بنِ كلَاب.

ووُلِدَ ﷺ فِي رَبِيع لِأَنَّهُ أعْدَلُ الفُصُولِ، لَيْلُهُ ونَهَارُهُ مُعْتَدِلَانِ بَيْنَ الْحَرّ والْبَرْدِ، ونسِيمُهُ مُعْتَدِلٌ بَيْنَ الرُّطُوبَةِ والْيُبُوسَةِ وشَمْسُهُ مُعْتَدِلَةٌ فِي الْعُلُوّ والْهُبُوطِ، وهُوَ زَمَانُ انْشِقَاقِ الأَرْض بالنَّبَاتِ، والشَّجَرِ بالنّوارِ، كمَا أَنَّهُ مَنْبَعُ أَنْوَارِ الدِّين.

وإِذَا قُلْنَا: وُلِدَ ﷺ نهَارًا فالظَّاهِرُ أنَّ وَقْتَ ولادَتِهِ أَفْضَلُ مِنْ وَقْتِ بَعْثِهِ؛ لِأَنَّ وِلَادَتَهُ نِعْمَةٌ على الْعَالَمِينَ، وبَعْثُهُ مُتَرَتِّبٌ علَيْهِ، فالْوُجُودُ أَصْلٌ والبِعْثَةُ طارِئَةٌ علَيْهِ، وقَدْ يُقَالُ: وَقْتُ بِعْثَتِهِ أَفْضَلُ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بالذَّاتِ إِثْبَاتُ شَرِيعَةِ التَّوْحِيدِ ومَا يَتْبَعُهُ.

وهَلْ مَوْضِعُ ولادَتِهِ أَفْضَلُ مِنْ مَدْفَنِهِ؟ الجوَابُ أَنَّ مدْفنَهُ أفْضَلُ لِتَبَيُّنِهِ بلَا خِلافٍ فيهِ، ولِلْاتِّفَاقِ علَى تأْكيدِ زِيَارَتِهِ، ولَا اتِّفاقَ علَى تأْكِيدِ زِيَارَةِ موْضِعِ وِلَادَتِهِ، ولَا حيفَ فِيمَنْ لَمْ يَزُرْهُ بِخِلَافِ مَنْ حَجَّ ولَمْ يَزُرْ قَبْرَهُ ﷺ بَلْ هُوَ فِيهِ حَيٌّ، ولَا اتِّفَاقَ علَى تَعْيِينِ مَوْضعٍ وُلِدَ فِيه وَقَدْ مَرَّ الْخِلَافُ فيهِ.

ومِنَ الأَقْوالِ فيهِ: أَنَّهُ وُلِدَ بِدَارِ محمّد بن يوسُف، أخِي الْحَجَّاجِ، بزقاق المدكك، وكانت قَبْلُ فِي يَدِ عقيل بنِ أَبِي طَالِب[4].

قِيلَ: إِنَّ النَّبيءَ ﷺ وَهَبَهَا لَهُ، فلَمْ تَزَلْ فِي يَدِهِ حتَّى تُوُفِّيَ، فبَاعَهَا وَلَدُهُ مِنْ محمّد بن يوسف، وقِيلَ: إِنَّ عقيلا باعَهَا بَعْدَ هِجْرَةِ النَّبِيءِ ﷺ وهِجْرَةِ عَلِيٍّ تَبَعًا لِقُرَيْش حينَ بَاعُوا دُورَ الْمُهَاجِرِينَ[5].

---

(1) ربما هو "المنح المكية في شرح الهمزية" المسمى أفضل القرى لقراء أم القرى. لم أقف على المطبوع.

(2) الحجون: الحجن الاعوجاج، ومنه غزوة حجون التي يظهر الغازي الغزو إلى موضع ثم يخالف إلى غيره، وقيل: هي البعيدة. والحجون: جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها. وقيل غير ذلك. معجم البلدان، 225/2.

(3) البيتان من الطويل، هواتف الجنان، ابن أبي الدُّنيا، ص60.

(4) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 257/1.

(5) (م، س)، 257/1، نقلا عن ابن الأثير دون ذكر المصدرِ.

فأَدْخَلَ مُحَمَّدُ بنُ يُوسُفَ ذَلِكَ الْبَيْتَ الذِي وُلِدَ فيهِ ﷺ فِي دَارِهِ التِي يقَالُ لَهَا الْبَيْضَاء، ولَمْ تزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى حَجَّتْ خيزران، جَارِيَةُ الْمَهْدِي، أمُّ هَارُونَ الرَّشِيدِ، فأَفْرَدَتْ ذَلِكَ الْبَيْتَ وجَعَلَتْهُ مَسْجِدًا يُصَلَّى فِيهِ[1].

وقِيلَ: بَنَتْها زبيدة زوجةُ[2] هَارُون الرَّشِيد مَسْجِدًا حِينَ حَجَّتْ، وهِيَ عِنْدَ الصَّفَا[3]. وقِيلَ: فِي شِعْبِ أَبِي طالِب. وقِيلَ: شِعْبِ بَنِي هَاشِم[4]؛ وَهُمَا وَاحِدٌ، وهُوَ مِنَ الطَّرَفِ الشَّرْقِيِّ لِمَكَّةَ. ويُبْحَثُ فِي ذَلِكَ بِأَنَّ بيْنَ الشِّعْبِ والصَّفَا مَسَافَةٌ بَعِيدَةٌ. وقِيلَ: فِي الرَّدْمِ، ردم بني جمح، ويُقَالُ: بعسفان عَلَى سِتَّةٍ وثلاثِينَ ميلًا مِنْ مَكَّةَ[5].

وعَلَى كُلِّ قَوْلٍ قَدْ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابِ مَوْضع وُلِدَ فِيهِ، ولا يَتَنَافَى قَبْضَاته، بَلْ تَجْتَمِعُ فتَارَةً قَبَضَ بِيَدِهِ التُّرَابَ وتَارَةً رَفَعَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَتَيْنِ، وتَارَةً رَفَعَ إِحْدَاهُما، وتَارَةً قَبَضَ أَصَابِعَهُ كُلَّهَا، وتَارَةً قَبَضَ عَلَى حَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ، وتَارَةً عَلَى خَضْرَاءَ وتَارَةً رُئِيَ ساجِدًا، وتَارَةً رَافِعًا رَأْسَهُ لِجِهَةِ السَّماءِ. وقَبْضُ التُّرابِ: غَلَبَتُهُ [104و] لِأَهْلِ الْأَرْضِ، والرَّفعُ إِلَى السَّمَاءِ: عُلُوُّ مَقَامِهِ، وسُجُودُهُ: قُرْبُهُ مِنْ رَبِّهِ لِقَوْلِهِ ﷺ: ((**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ**))[6].

الْفَصْلُ الثَّالِث: فِي صَدْعِ إِيوَانِ كِسْرَى ونَحْوِه:

الإِيوَانُ بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ بَعْدَها يَاءٌ، ويُقَالُ أَيْضًا: إِوَانٌ بِإِسْقاطِ الْيَاءِ ككِتَاب، وهُوَ الصُّفَّةُ العَظِيمَةُ، وهُوَ بَيْتٌ مَبْنِيٌّ طُولًا غَيْرُ مَسْدُودِ الْوَجْهِ. فهُوَ صُفَّةٌ طَوِيلَةٌ واسِعَةٌ وقِيلَ: بَيْتٌ عَالٍ، وقِيلَ: بَيْتٌ كَبِيرٌ مُسْتَطِيلٌ ذُو شُرُفَاتٍ، وقِيلَ: بَيْتُ الْمَلِكِ الْمُعَدُّ لجُلُوسِهِ معَ أَرْبَابِ مَمْلَكَتِهِ لِتَدْبِيرِ مُلْكِهِ.

وكِسْرى بِفَتْحِ الْكَافِ وكَسْرِهَا وَهُوَ مُعَرَّبُ قسر[7]، ومَعْنَاهُ: وَاسِعُ الْمُلْكِ وهُوَ أنو شروان. لَمَّا وُلِدَ رسُولُ اللهِ ﷺ انْشَقَّ إِيوانُهُ شَقًّا بَيِّنًا آلَ بِهِ إِلَى خَرَابِهِ مَعَ ما هُوَ عَلَيْه مِنَ الإِتْقَانِ الذِي يُظَنُّ أَنَّهُ لا يَهْدِمُهُ إِلَّا نَفْخُ الصُّورِ، فإِذْ قَدْ تَحَرَّكَ وسَقَطَ مِنْهُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ شُرْفَةً عُلِمَ بِالْقَطْعِ الْبُرْهَانِيِّ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ إِلَّا مَحْض آيَةٍ لَهُ ﷺ لِلْوُجودِ علَى نُبُوءَتِهِ، وَأَنَّهُ لَا مُلْكَ وَلَا عِزَّ يَبْقَى لِأَحَدٍ مَعَ مُلْكِهِ وَعِزِّهِ.

---

(1) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 257/1-258، نقلا من تاريخ الخمِيس، الدِّيار بكرِي، 198/1.

(2) في الأصلِ: بنت، والتصحيح من المواهب اللدنية وشرحه.

(3) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 258/1، نقلا عن النُّور السَّافِر، محيي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العَيْدَرُوس، ولم أجده في المطبوع منه، وينظر: الرَّوض الأنف، السهيلي، 99/2.

(4) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 258/1.

(5) (م، س)، 258/1، بتصرُّف.

(6) صحيح مسلم، حدِيث (215).

(7) فِي لسان العرب: معرّب هو بالفارسية خُسْرَوْ. مادة (كسر).

وَسِرُّ الْأَرْبَعَ عَشْرَةَ الإِشَارَةُ إِلَى أَرْبَعَةَ عَشَرَ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِهِمْ يتَمَلَّكُونَ فيَنْقَطِعُ الْمُلْكُ عنْهُمْ. فَمَلَكَ عَشَرَةٌ فِي أَرْبَعِ سنِينَ وأَرْبَعَةٌ إِلَى زَمَانِ عُثْمَانَ، فُتِحَ فِي زَمَانِ عُمَر ﷺ إِقْلِيمُ فارس، وكسِرَ كِسْرَى وأُهِينَ غايَةَ الْإِهانَةِ وتَقَهْقَرَ إِلى أَقْصَى مَمْلَكَتِهِ ثُمَّ قُتِلَ فِي زَمَانِ عُثْمَانَ وزَالَ مُلْكُهُ بِالْكُلِّيَّةِ.

قالَ ﷺ: ((**إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَأَمْوَالُهُ وَكُنُوزُهُ تُنْفَقُ فِي سَبِيلِ اللهِ**))[1] فَانْقَطَعَ مُلْكُهُ وزالَ مِنْ جَمِيعِ الأَرْضِ، وتَمَزَّقَ مُلْكُهُ كُلَّ مُمَزَّقٍ؛ لِأَنَّهُ ﷺ دعَا عَلَيْهِ بِذَلِكَ لَمَّا جاءَهُ كتابهُ فمَزَّقَهُ.

وقد بَشَّرَ ﷺ أُمَّتَهُ فِي حَفْرِ الْخَنْدَقِ بِمُلْك بلادِهِ، وقَالَ ﷺ لسراقة، وكَانَ مِنْ فُقَرَاءِ أَصْحَابِهِ: ((**كَيْفَ بِكَ إِذَا لَبِسْتَ سِوَارَي كِسْرَى**))[2] فلَمَّا أُتِيَ بِهِمَا عُمَرُ أَلْبَسَهما إِيَّاهُ إِظْهَارًا لِلْمُعْجِزَةِ، وذَلِكَ عُذْرٌ مُبِيحٌ، وقَالَ: الْحَمْدُ للهِ الذِي أَلْبَسَهُمَا كِسْرَى وأَلْبَسَهُمَا سُرَاقَة[3].

ولَمَّا رَأَى كِسْرَى ما وَقَعَ بإِيوانِهِ ورَأَى تِلْكَ اللَّيْلَةَ الموبذان طَلَبَ تَأْوِيلَ الرُّؤْيَا، فقِيلَ لَهُ: إِنَّهُ حَدَثٌ يكُونُ مِنْ نَاحِيَةِ الْعَرَبِ، فآلَ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ عبرَهَا سطيح وشقّ عَلَى حَدِّ مَا مَرَّ.

وَرُوِي أَنَّ كِسْرَى أَرْسَلَ إِلَى النُّعمَانِ بنِ الْمُنْذِرِ مَلِكِ الْعَرَبِ، أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِ أَعْلَمَ مَنْ فِي أَرْضِهِ مِنَ الْعَرَبِ، فبَعَثَ إِلَيْهِ عبْدَ الْمَسِيحِ بنَ عَمْرو الغَسَّانِي، فدَلَّهُمْ علَى خَالِهِ سطيح بالشَّامِ، فأَمَرَهُ كِسْرَى بِالذَّهَابِ إِلَيْهِ.

وخَمدَتْ فِي تِلْكَ اللَّيلَةِ كُلُّ نَارٍ فِي كُلِّ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الْفُرْسِ، وكانُوا يَعْبُدُون النَّارَ ويَشْتَدُّ إِيقادُهُمْ، حَتَّى إِنَّ لَهَا أَلْفَ سَنَةٍ لَمْ تَخْمُدْ. والفُرْسُ بِضَمِّ الْفَاءِ وإِسْكَانِ الرَّاءِ أُمَّةٌ عظِيمَةٌ، شَمَالَ العراق، مِنَ الْفِرَاسةِ بالْفَتْحِ؛ وهِيَ الشَّجَاعةُ. لمَّا وُلِدَ رَسُولُ اللهِ غَارَتْ عُيُونٌ لَهُمْ.

ومَعْنَى أَنُو شِرْوَانَ: مُجَدِّدُ الْمُلْكِ. وقِيلَ فِيهِ: إِنَّ كِسْرَى مُعَرَّب خسر، وقِيلَ فِي سطيح إِنَّهُ عاشَ سَبْعَ مِئَةِ عامٍ وأَدْرَكَ الإِسْلَامَ ولَمْ يُسْلِمْ، ورُوِيَ أَنَّهُ هَلَكَ عندَمَا وُلِدَ النَّبِيءُ ﷺ.

وعَن ابْنِ عَبَّاسٍ [104ظ] أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ سطيحا لَحْمًا عَلَى وَضَم[4]، يُحْمَلُ فَيُؤْتَى بِهِ حَيْثُ شاءَ ولَا عَصَبَ فِيهِ ولَا عَظْمَ إِلَّا الْجُمجُمَة والعُنُق والكَفَّيْن، وكَانَ يُطْوَى مِنْ تَرْقُوَتِهِ كمَا يُطْوَى الثَّوْبُ، ولَمْ يَكُنْ فِيهِ شَيْءٌ يَتَحَرَّكُ إِلَّا لِسَانُهُ[5] ولَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِالسَّجْعِ.

ويُقَالُ عَيْنُ ساوَةَ، وبُحَيْرَةُ طبريّة، وسَاوَةُ بَلَدٌ مَعْرُوفٌ، وطُولُ تِلْكَ الْعَيْنِ سِتَّةُ أَمْيَالٍ وعُرْضُها

---

(1) ورد بلفظ: ((**إِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ وَإِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**)) صحيح البخارِي، حدِيث (6629).

(2) لم أقف عليه، ينظر: جامع الأصول، 435/12.

(3) القصة في المواهب اللدنية، القسطلَّانِي، 561/3، وغيره.

(4) الوَضَم كلُّ شيء يوضع عليه اللحمُ. لسان العرب (وضم).

(5) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 201/1.

كَذَلِكَ كانَتْ تُحِيلُ العَادَةُ أَنْ يَغيضَ ماؤُهَا لِكَثْرَتِهِ.

وَذَكَرَ بَعْضٌ أنَّ أعْظَمَ الْحَوَادِثِ عِنْدَ مَوْلِدِ النَّبِيء ﷺ انشِقَاقُ إيوَانِ كسْرَى، ثُمَّ بَقَاؤُهُ كذَلِكَ إِلَى زمَانِنا، يَعْنِي عَامَ سِتٍّ وأَرْبَعِينَ وسَبْعِمِئَةٍ[1]، ثمَّ اللهُ أعْلَمُ إِلَى أَيِّ زَمَانٍ يَبْقَى[2].

قالَ مَخْزُومُ بنُ هَانِئ الْمَخْزُومِيُّ عَنْ أَبِيهِ، وكانَتْ لَهُ مِئَةٌ وخَمْسُونَ سنَةً: لَمَّا وُلِدَ رسُولُ اللهِ ﷺ ارْتَجسَ إِيوانُ كِسْرَى أنُو شِرْوَانَ، فسَقَطَتْ مِنْهُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ شُرْفَةً، وكَانتْ لَهُ اثْنَتَان وعِشْرُونَ شُرفَةً، وانْشَقَّ بِحَيْثُ سُمِع صَوْتُهُ، وبقيَ كذلكَ آيةً. وخمدَتْ نَارُ فَارِسَ وَلَمْ تَخْمدْ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَلْف سَنَةٍ، وغَاضَتْ بُحَيْرَةُ سَاوَةَ، وهِيَ بَيْنَ هَمَدَانَ وقُم. وكانَتْ أَكْثَرَ مِنْ سِتَّةِ فَرَاسِخَ فِي الطُّولِ والْعرْضِ. وكَانَ يُعْبرُ عَنْهَا بِالسَّفِينَةِ، وبَقِيَتْ كَذَلِكَ نَاشِفَةً يابِسَةً علَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، حَتَّى بُنِيَتْ موْضِعهَا مَدِينَةُ سَاوَة الْبَاقيَةُ الْيَوْمَ[3]، يَعْنِي عامَ سِتَّةٍ وأَرْبَعِينَ وسَبْعِمِئَةٍ.

ورأَى الْمُوبِذَان كَأَنَّ إِبِلًا صِعَابًا تَقُودُ خَيْلًا عرابًا، حَتَّى عَبَرَتْ دجْلَة وانْتَشَرَتْ فِي بِلَادِ فارِسَ، فلَمَّا أَصْبَحَ تجلد[4] كسرَى وجَلَسَ عَلَى سَرِيرِ مُلْكِهِ، ولَبِسَ تَاجَهُ وأَرْسَلَ إِلَى مُوبذان فقَالَ: يَا موبذان إِنَّهُ سَقَطَ مِنْ إِيوانِي أَرْبَعَ عَشْرَةَ شُرْفَةً وخَمدَتْ نارُ فارِسَ، ولَمْ تَخْمُدْ قَبْلَ الْيَوْمِ بِأَلْفِ سَنَةٍ. قالَ الْموبذان: وأَنَا أيُّهَا الْمَلِكُ قَدْ رَأَيْتُ كأَنَّ إِبِلًا صعَابًا تَقُودُ خَيْلًا عرَابًا حَتَّى عَبَرَتْ دَجْلَة وانْتَشَرَتْ فِي بِلَادِ فَارِسَ. قالَ: فمَا تَرَى ذَلِكَ يَا موبذان؟ وكانَ موبذان أَعْلَمَهُمْ، قال: حَدَثٌ يكونُ مِنْ جانِبِ الْعَرَبِ، فَكَتَبَ كِسْرَى إِلَى النُّعْمَانِ أَن ابْعَثْ إِلَيَّ رَجُلًا مِنَ العَرَبِ يُخْبِرُنِي عَمَّا أَسْأَلُهُ عَنْهُ، فبَعَثَ إِلَيْهِ عبد المسيح بن حيّان بن عمْرو الغسّانِي، قِيلَ: كانَ لَهُ مِنَ الْعُمْرِ قَرِيبٌ مِنْ أَرْبَعِ مِئَةٍ، فقَالَ لَهُ كِسْرَى: يَا عَبْدَ الْمَسِيحِ هَلْ عِنْدكَ عِلْمٌ بِمَا أَسْأَلُكَ عنْهُ؟ فقَالَ: يَسْأَلُنِي الْمَلِكُ فإِنْ كانَ عِنْدِي عِلْمٌ أَعْلَمْتُهُ، وَإِلَّا أَعْلَمْتُهُ بِمَنْ عنْدَهُ عِلْمٌ بِهِ فأَخْبَرَهُ فقَالَ: عِلْمُهُ عِندَ خَالٍ لِي، يسْكُنُ مشَارِفَ الشَّامِ، يُقَالُ لَهُ سَطِيح[5].

واسْمُهُ رَبِيعُ بنُ رَبِيعَةَ بنِ مَازِن بنِ مَسْعُود بنِ ذِئْب بنِ عَدِيّ بنِ مَازِن بنِ غَسَّانَ[6]. ويُقَالُ: سَطِيح الْغَسَّانِي كَاهِنُ بني ذئْب، لَمْ يَكُنْ كَاهِنٌ مِثْلُه مِنْ بَنِي آدمَ[7].

قِيلَ: لَا عَظْمَ فِيهِ ولَا عَصَبَ. قِيلَ: لِكَوْنِهِ مَخْلُوقًا مِنْ مَاءِ امْرَأَتَيْنِ، ووَجْهُهُ فِي [105و] صَدْرِهِ،

---

(1) ينقلُ صاحِبُ تاريخ الخمِيس عن الشيخ جمال الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف الزرندِي في كتاب الأعلام ت:747هـ. ينظر ترجمته: معجم المؤلّفينَ، 781/3.

(2) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 200/1.

(3) (م، س)، 200/1-201.

(4) في الأصلِ تحلد، والتصحيح من تاريخ الخمِيس، ومعناه: أَظهر الجَلَد.

(5) تاريخ الخمِيس، الديار بكري، 201/1.

(6) سيرة ابن هشام، 15/1.

(7) تاريخ الخمِيس، الديار بكري، 201/1.

لَا رَأْسَ لَهُ ولَا عُنُقَ، عُمِلَ لَهُ سَرِيرٌ مِنْ سَعفٍ وَجَرِيدٍ، إِذَا أُرِيدَ نَقْلُهُ طُوِيَ مِنْ رِجْلَيْهِ إِلَى تَرْقُوَتِه كمَا يُطوَى الثَّوبُ، فيُوضَعُ علَى ذَلِكَ السَّرِيرِ، فيُذْهَبُ بِهِ إِلَى حَيْثُ يَشاءُ، وإِذَا أُرِيدَ تَكهّنه وإِخْبَارهُ، يُحَرّكُ كَمَا يُحَرَّكُ وطب المخيضِ[1]، فيَنْتَفِخُ ويَمْتَلِئُ ويَعْلُوهُ النَّفسُ فيُخْبِر. وكَذَلِكَ ينْتَفِخُ إِذَا غَضِبَ، وَيَمْتَلِئُ مِنَ الرِّيحِ فيَقْعُدُ، وكَانَ يَسْكُنُ الجابية[2] مِنْ مَشَارِفِ الشَّامِ[3].

ويُقَالُ: وُلِدَ فِي يَوْمِ مَاتَتْ طريفة الكاهنة امْرَأَةُ عمرو بن عامر، دَعَتْ بِسَطِيح قبْلَ أَنْ تَمُوتَ، فتَفَلَتْ فِي فِيهِ، وأَخْبَرَتْ أَنَّهُ يَخْلُفُها فِي عِلْمِهَا وكَهَانَتِها، ودَعَتْ بِشقّ ففَعَلَتْ بِهِ مِثْل ذَلِكَ ثُمَّ ماتَتْ، قِيلَ: قَبْرُهَا بِالْجُحَفَةِ[4].

قِيلَ: شقُّ بنُ صَعْبِ بنِ يَشْكُر بنِ رُهْم بنِ أَفْرَكَ بنِ قَسْر بنِ عَبْقَر بنِ أَنْمَار بنِ نِزَار. وأَنْمَار أَبُو بَجِيلَة وخَثْعَم[5].

وكَان شقّ إِنْسَانٌ لَهُ يَدٌ وَاحِدَةٌ ورِجْلٌ وَاحِدَةٌ وأُذُنٌ وَاحِدَةٌ وعَيْنٌ وَاحِدَةٌ، [ويُقَالُ إِنَّ أَبَا الْفَرَجِ بنَ خالِد بنِ عَبْدِ اللهِ القشيري][6] كَانَ مِنْ وَلَدِ شِقّ، ويُقَالُ كَانَتْ وِلَادَتُهُ فِي زَمَنِ سَيْلِ الْعَرِمِ، خَرَجَ مِنَ الْمَأْرَبِ مَعَ رَهْطٍ مِنَ الْأَزْدِ فِي أَيَّامِ تَفَرُّقِ النَّاسِ مِنْهَا، وعَاشَ إِلَى زَمَانِ وِلَادَةِ النَّبِيءِ ﷺ وكَانَ لَهُ قَرِيبٌ مِنْ سِتِّ مِئَةِ عُمرا. وفِيهِ نَظَرٌ[7].

وعَنْ وَهْبِ بن مُنَبِّه: سُئل سَطِيح مِنْ أَيْنَ لَكَ عِلْمُ الْكَهَانَةِ؟ قالَ: إِنَّ لِي قَرِينًا مِنَ الْجِنِّ قَد اسْتَمَعَ أَخْبَارَ السَّماءِ فِي زَمَان كَلَّمَ اللهُ مُوسَى فِي الطُّورِ، فيَقُولُ لِي مِنْ ذَلِكَ أَشْيَاءً وأَنَا أَقُولُها لِلنَّاسِ[8].

قالَ كِسْرَى لِعَبْدِ الْمَسِيحِ: اذْهَبْ إِلَيْهِ وَسَلْهُ وأَخْبِرْنِي بِمَا يُخْبِرُكَ بِهِ، ولَمَّا أَنْشَدَ عَبْدُ الْمَسِيحِ أَبْيَاتًا قَدْ تَقَدَّمَتْ[9] قَالَ سَطِيحٌ: عَبْد الْمَسِيح مِنْ بَلَدٍ نَزِيح، عَلَى جَمَلٍ مشيح إلخ مَا مَرَّ[10]. وفِيهِ: نزيح كمَا رَأَيْتَ.

---

(1) الوَطْبُ سِقاءُ اللبنِ، وفي الصحاح سِقَاءُ اللَّبنِ خاصَّة وهو جِلْدُ الجَذَعِ فما فوقه. لسان العرب (وطب). والمَخِيضُ والمَمْخُوض اللَّبن الذي قد مُخِضَ وأُخذ زُبده. لسان العرب (مخض).

(2) الجابية بكسر الباء وياء مخففة وأصله في اللغة الحوض الذي يجبى فيه الماء للإبل، وهي قرية من أعمال دمشق. معجم البلدان، 91/2.

(3) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 201/1، بتصرُّف.

(4) حياة الحيوان، الدميرِي، 73/2.

(5) سيرة ابن هشام، 15/1.

(6) في العبارة خطأ، صوابه: ذكر أبو الفرج الأصبهانِي أن خالد بن عبد الله القسرِي. ينظر: وفيات الأعيان، 230/2، والأغانِي، 271/22.

(7) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 201/1.

(8) (م، س)، 201/1.

(9) ينظر الورقة [92و].

(10) ينظر الورقة [92و].

وفِيهِ: لَمْ يَكُنْ بَابِل لِلْفُرْسِ مقَامًا، ولَا الشَّام لسَطِيح شَامًا. وفِيهِ: وغَاضَتْ بُحَيْرَةُ ساوَة، وفَاضَ وادي سماوة[1].

والسَّمَاوَةَ بِالْفَتْحِ مَفَازَة بَيْنَ الْكُوفَةِ والشَّامِ، وقِيلَ: بَيْنَ الموصل والشَّام، وَهِيَ مِنْ أَرْضِ كلب[2].

وعَن الأصمعيّ: السَّماوةُ قَلِيلَةُ العُرْضِ طَوِيلَةٌ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِعُلُوِّها وَارْتِفَاعِهَا[3].

ولَمَّا رَجَعَ عَبْدُ الْمَسِيحِ إِلَى كِسرَى وأَخْبَرَهُ بتَمَلُّكِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ مَلِكًا، قالَ: هذَا زَمَانٌ طَوِيلٌ. ولَمْ يَدْرِ أَنَّ عَشَرَةً مِنْهُمْ يَجْمَعُهُمْ أَرْبَعُ سِنِينَ، وأَرْبَعةٌ إِلَى زَمَانِ عُثْمَانَ[4].

ويُروَى أنَّ عَبْدَ الْمَسِيحِ هذَا هُوَ الذِي صَالحَ خالد بن الوليد علَى الْحِيرَةِ. وكَانَ ذَلِكَ الْمَالُ أَوَّلَ مَالٍ ورَدَ علَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق[5]. ومُدَّةُ مُلْكِ كِسْرَى سَبْعٌ وأَرْبَعُونَ سَنَةً وأَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ.

وَرُوِيَ أنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ قالَ: كُنْتُ لَيْلَة مِيلَادِ مُحَمَّد فِي الطَّوَافِ، فَلَمَّا مضَى نِصْفُ اللَّيلِ رَأَيْتُ الْكَعْبَةَ سَجَدَتْ نحْوَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ وسَمِعْتُ صَوْتَ التَّكْبِيرِ اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكبَرُ، الآن طهرت مِنْ أَنْجَاسِ الْمُشْرِكِينَ وأَرْجَاسِ الْجَاهِلِيَّةِ [105ظ] ثُمَّ تَسَاقَطَت الأَصْنَامُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى هُبَل الذِي هوَ أَكْبَرُ الْأَصْنَامِ فرَأَيْتُهُ سَقَطَ مُتَنَكِّسًا عَلَى الْحَجَرِ، ونادَى مُنَادٍ أَلَا إِنَّ آمِنَةَ قَدْ وَلَدَتْ مُحَمَّدًا[6].

ومِنْ بابِ الشق ما رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا وُلِدَ علَى الْأَرْضِ رَفَعَ رَأْسَهُ وقَالَ بِلِسَانٍ فَصِيحٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وإِنّي رَسُولُ اللهِ[7].

وأَنَّه سَجَدَ حِينَئِذٍ وغطَّت عليهِ أُمُّهُ بإناءٍ فَوَجَدَتْه قَدْ تَفَلَّقَ الإناءُ عنْهُ، وهُوَ يمُصُّ إبهامَهُ تَشْخَبُ[8] لبنًا[9].

ويُقالُ: إِنَّهُ غطَّتهُ حتَّى جاءَ عبد المطَّلبِ فانْشَقَّ لهُ، وإِنَّهُ انْشَقَّ لها الْجَوُّ وانْشَقَّتْ لهَا الْجِبَالُ، أو خَفَضَها اللهُ، أَوْ رفَعَ الشَّامَ لهَا، ولَوْ لَمْ يَظْهَرْ ذَلِك لِغَيْرِها، واللهُ علَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[10]، حَتَّى رَأَتْ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ ببُصْرَى وأَسْوَاقَ بُصْرَى.

وَمِنْ عادَتِهِم إِذَا وُلِدَ إِنْسَانٌ لَيْلًا كَفَؤوا علَيْهِ قِدْرًا حَتَّى يُصْبِحَ، ففَعَلُوا ذَلِكَ بِالنَّبِيءِ ﷺ فأصبَحُوا

---

(1) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 201/1، بتصرُّف.

(2) معجم ما استعجم، البكرِي، 88/5.

(3) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 201/1-202، عن أبِي حاتِم، دون ذكر المصدرِ. وينظر: معجم ما استعجم، 754/3.

(4) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 202/1.

(5) (م، س)، 202/1.

(6) (م، س)، 202/1.

(7) (م، س)، 203/1.

(8) الشَّخْبُ والشُّخْبُ ما خَرَجَ مِن الضَّرْعِ مِن اللَّبن، قيل الشَّخْبُ صوتُ اللَّبنِ عند الحَلبِ شَخَبَ اللبنُ يَشْخُبُ ويَشْخَب. لسان العرب (شخب).

(9) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 204/1 بتصرف.

(10) عبارة " أو خَفَضَها...قدير" أضافَها المؤلف على الهامِشِ.

وقَد انْشَقَّ عَنْهُ الْقِدْرُ، وهُوَ شَاخِصٌ بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ[1].

ورُوِيَ أَنَّها لَمَّا وَلَدَتْهُ أَرْسَلَتْ إِلَى عَبدِ الْمُطَّلِبِ، وجَاءَهُ الْبَشِيرُ وهُوَ جَالِسٌ فِي الْحِجْرِ معهُ وَلَدُهُ ورِجَالٌ مِنْ قَوْمِهِ، فأَخْبَرَهُ أَنَّ آمِنَةَ وَلَدَتْ غُلامًا فَسُرَّ بذَلِكَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، فأَدْخَلَهُ جَوْفَ الْكَعْبَةِ، وقَامَ عِندَهَا يَدْعُو اللهَ ويَشْكُرُهُ بِمَا أَعْطَاهُ فقَالَ:

الْحَمْدُ للهِ الذِي أَعْطَانِي ... هَذَا الْغُلَامَ الطَّيِّبَ الْأَرْدَانِ

قَدْ سَادَ فِي الْمَهْدِ عَلَى الْغِلْمَانِ ... أُعِيذُهُ بِالْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ

حَتَّى أَرَاهُ بَالِغَ الْبَيَانِ ... أُعِيذُهُ مِنْ شَرِّ ذِي شَنَآنِ[2]

وإِنَّهُ لمَّا جاءهُ عبدُ المطَّلِبِ انْشَقَّتْ لهُ القِدْرُ، وسَمَّاهُ مُحَمَّدا، رَجَاءَ أَنْ يَحْمَدَهُ أَهْلُ الأَرْضِ والسَّماءِ. وكَذَلِكَ قَالَ الْهَاتِفُ لِآمِنَةَ سَمِّيهِ مُحَمَّدا كَمَا مَرَّ.

وَمِمَّا يُشْبِهُ الْهَدْمَ بِسَبَبِ وِلَادَتِهِ، أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام غَمَسَ عَرْشَ إِبْلِيسَ أَسْفَلَ الْبَحْرِ فِي رُكْنٍ مِنْهُ ضَيِّقٍ سَيِّءٍ حَتَّى اسْوَدَّ، وانْقِلَابُ سُرُرِ السَّلاطِينِ وكَرَاسِيِّهِمْ، وانْتِكَاسُ الأَصْنَامِ.

ومَا رُوِيَ فِي وِلَادَةِ أَبِيهِ عبد الله بنِ عبد المطّلب، وذَلِكَ أَنَّهُ وُلِدَ عَبْدُ اللهِ أَبُوهُ لِأَرْبَعٍ وعِشْرِينَ سَنةً مَضَتْ مِنْ مُلْكِ كِسْرَى أَنُو شِرْوَانَ، وكانَ يَوْمَ وُلِدَ عَبْدُ اللهِ علْمٌ بِمَوْلِدِه لجَمِيعِ أَحْبَارِ الشَّامِ. كَانَتْ عِنْدَهُم جُبَّةُ صُوفٍ بيْضَاءُ مَعْمُوسَةٌ فِي دَمِ يَحْيَى بنِ زَكَرِيَّاءَ، وكَانُوا قَدْ وَجَدُوا فِي كُتُبِهِمْ: إِذَا رَأَيْتُم الْجُبَّةَ البَيْضَاءَ والدَّمُ يَقْطُرُ منْهَا، فَاعْلَمُوا أَنَّ أَبَا مُحَمَّدٍ المصْطَفَى قَدْ وُلِدَ تِلْكَ اللَّيْلَة. ونَهَضُوا بأَجْمَعِهِمْ إِلَى الْحَرَمِ، وأَرَادُوا أَنْ يَغْتَالُوا بعَبْدِ اللهِ فصَرَفَ اللهُ شَرَّهُم عَنْهُ، ورَجَعُوا إِلَى بِلادِهِمْ. ولَمْ يَكُنْ يَقْدُمُ علَيْهِمْ أَحدٌ مِنَ الحَرَمِ إِلَّا سَأَلُوهُ عَنْ عَبْدِ اللهِ، فيَقُولُونَ: تَرَكْنَا نُورًا يتَلأْلأُ فِي قُرَيْشٍ، فتَقُولُ الأَحْبَارُ: لَيْسَ ذَلِكَ النُّورُ لعَبْد اللهِ، إِنَّما ذَلِكَ النُّورُ لِمُحَمَّدٍ عليه السلام. فخَرَجَ عبْدُ اللهِ أَجْمَلَ قُرَيْشٍ، فشَغَفَتْ بهِ كُلُّ نِسَاءِ قُرَيْشٍ وكِدْنَ تدْهَلُ[3] عُقُولُهُنَّ. فلَقِيَ عَبْدُ اللهِ، فِي زَمَنِهِ مِنَ النِّساءِ، ما لَقِيَ يُوسُفُ فِي زَمَانهِ مِن امْرَأَةِ الْعَزِيزِ، وَكانَ عَبْدُ اللهِ يُخْبِرُ أَبَاهُ بِمَا رَأَى مِنَ الْعَجَائِبِ [106و] يقُولُ: يا أَبَتِ إِنِّي إِذَا خَرَجْتُ إِلَى بَطْحَاء مَكَّةَ، وصِرْتُ علَى جَبَل ثبير، خرَجَ مِنْ ظَهْرِي نُورَانِ أَخَذَ أَحَدُهُمَا شَرْقَ الْأَرْضِ، والآخَرُ غَرْبَها، ثُمَّ إِنَّ ذَيْنِكَ النُّورَيْنِ يسْتَدِيرَانِ حَتَّى صارَا كَالسَّحابَةِ، ثُمَّ تَنْفَرِجُ لَهُمَا السَّماءُ، فيَدْخُلَانِ فِيهَا، ثمَّ يَخْرُجَانِ ويَرْجِعَانِ إِلَيَّ فِي لَمْحَةٍ واحِدَةٍ. وإِنِّي لَأَجْلِسُ فِي الْمَوْضِعِ الْيَابِسِ، أَوْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، الْيَابِسَةِ فَتَخْضَرُّ وتُلْقِي عَلَيَّ أَغْصَانَها، فإِذَا قُمْتُ وتَرَكْتُها عَادَتْ إِلَى مَا كَانَتْ. فقَالَ لهُ: عَبْدَ اللهِ أَبْشِرْ يا بُنَيَّ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ ظَهْرِكَ الْمُسْتَوْدَعَ الْمُكَرَّمَ، فإِنَّا قَدْ وُعِدْنَا

(1) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 204/1.

(2) الأبيات من الرجز، تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 204/1، مع تغيير، وفيه زيادة شطر: من حاسد مضطرب العينان.

(3) دهل: قال ابن الأَعرابي: الدّاهِل المُتَحيِّر. قال الأَزهري: أَصله دالٌ ولا دَهْل أَي لا تَخَفْ نَبَطِيَّة معرَّبة. لسان العرب (دهل).

ذَلِكَ، وإِنِّي رأَيْتُ قبلَكَ رُؤْيَا كُلُّها تَدُلُّ علَى أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ظَهْرِكَ أَكْرَمُ العَالَمِينَ. وكَانَ عَبْدُ اللهِ أَبُو النَّبِيءِ ﷺ كُلَّمَا أَصْبَحَ، وَدَخَلَ علَى الصَّنمِ، اللَّاتِ أو العزَّى، صَاحَ الصَّنَمُ كالْهِرَّةِ ونَطَقَ: مَا لَنَا وَلَكَ أيُّها المسْتَوْدَعُ ظَهْرَه نُورُ مُحَمَّدٍ، الذِي يَكُونُ هَلاكنَا وهَلَاك أَصْنَامِ الدُّنْيَا عَلَى يَدَيْهِ[1].

الفَصْلُ الرَّابِعُ: فِي مَنْعِ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ وفِي أَخْبارِ الجِنّ

لمَّا دَنَا مَبْعثُهُ ﷺ حُجِبَت الشَّيَاطِينُ عَنِ السَّمعِ بِالشُّهُبِ، كانُوا يَسْتَرِقُونَ السَّمع فيَخْطِفُ أحدُهُم الْكَلِمَةَ فيَضُمُّ إِلَيْهَا مِئَةً أَوْ تِسْعَةً وتِسْعِينَ كِذْبَةً ثُمَّ يُلْقِيهَا لِلْكَاهِنِ.

والشِّهابُ: شعْلَةُ نَارٍ تَخْرِقُ الشَّيْطَانَ الْمُسْتَرِقَ لِلسَّمْعِ أوْ تخبله، وذلِكَ أنَّ الْمَلائِكَةَ يتَكَلَّمُونَ بِمَا يَقَعُ فِي الْأَرْضِ؛ لِكَوْنِ رَئِيسِهِمْ يُلْقِيهِ عَلَيْهِمْ لِيَكْتُبوهُ فيَتَلَقَّوْنَهُ منْهُ، أَوْ أَنَّ بعْضَهُمْ يَنْسَخُهُ مِنْ كُتُبِ الْبَعْضِ الآخَرِ زِيَادَةً للْاعْتِنَاءِ، أَوْ لِأَنَّ ذَلِكَ يَجْرِي وُقُوعُهُ فِي الْأَرْضِ عَلَى أَيْدِيهِم، فيَدْرُسُونَهُ أَوْ يَكْتُبُونَهُ. وأَصْلُ ذَلِكَ قَوْلُه تعَالَى: ﴿قُلْ اوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ إلى ﴿رَّصَدًا﴾[2] ولَمَّا سَمِعَ الْجِنُّ ذَلِكَ عَرَفُوا الْحَقَّ فآمَنُوا ثمَّ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قائِلِينَ مَا ذَكَرَ اللهُ عَنْهُمْ فِي "الْأَحْقَافِ".

ويُوَافِقُ هذَا مَا يُروَى: أَنَّهُ لَمَّا حِيلَ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ خَبَرِ السَّماءِ قالُوا: إِنَّ ذَلِكَ لِأَمْرٍ حَدَثَ، فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الأَرْضِ ومَغَارِبَها فَانْظُرُوا مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وبَيْنَ خَبَرِ السَّماءِ، فخَرَجَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ مِنْ جِنِّ نصيبين باليَمَنِ قِبَلَ تهامَةَ، فوَجَدُوا النَّبِيءَ ﷺ بِنَخْلَةٍ قَرِيبَةٍ علَى لَيْلَةٍ مِنْ مَكَّةَ، مَعَ أَصْحَابِهِ يُصَلِّي الصُّبح وهُو يَقْرَأُ القرآنَ فاسْتَمَعُوا لهُ، ثُمَّ قَالُوا: هَذَا الذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وبَيْنَ خَبَرِ السَّماءِ، فأَسْلَمُوا ووَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ. وفي ذَلِكَ نَزَلَ: ﴿قُلْ اوحِيَ﴾[3] الآيَاتِ ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا﴾[4] الآية[5].

ورُوي أَنَّهُ ﷺ خرَجَ إلى الطَّائفِ يدْعُوهُم إِلَى الإِسْلامِ، وانْصَرَفَ عنْهُمْ فَباتَ بنَخْلَةٍ يَقْرَأُ فَاسْتَمَعَ جِنُّ نَصِيبين[6]. وفِيهِ نَظَرٌ، فإِنَّ اسْتَمَاعَهُم لَمْ يَكُنْ تلْكَ اللَّيْلَة بلْ فِي ابْتِدَاءِ الْوَحْيِ، كمَا يَدُلُّ لَهُ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ: كانَ الْجِنُّ يسْتَمِعُونَ الْوَحْيَ، فيَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ فيَزِيدُونَ معَهَا عَشْرًا؛ أَيْ: بَعْضٌ يزِيدُ عشْرًا، وبَعْضٌ مِئَةً مثَلًا، وتَارَةً تَكُونُ الزِّيَادَةُ عشْرًا وتارةً أَكْثَرُ، بَلْ ذَلِكَ تَمْثِيلٌ، فقَدْ يَزِيدُون أَقَلَّ مِنْ عَشَرَةٍ أَوْ

(1) تاريخ الخمِيس، الدِّيار بكرِي، 182/1، بتصرُّف.

(2) سورة الجن: 1-9.

(3) سورة الجن: 1-9.

(4) سورة الأحقاف: 29.

(5) صحيح البخارِي، حدِيث (773)، وينظر: الدر المنثور، السيوطِي، 5/15-6.

(6) تفسير ابن كثِير، 31/13.

مِنْ مِئَةٍ، أَوْ أَقَلَّ مِنْ مِئَةٍ[1]. فيَكُونُ ما يَسْمَعُونَهُ [106ظ] حقًّا ومَا زَادُوهُ بَاطِلًا.

وكانت النُّجومُ لَا يُرْمَى بِهَا قَبْلَ ذَلِكَ، ولَمَّا بُعِثَ ﷺ كانَ أَحَدُهُمْ لَا يَأْتِي مقْعَدَهُ إِلَّا رُمِيَ بشِهَابٍ يَحْرِقُ ما أَصابَ مِنْهُ. فشَكَوْا ذَلِكَ إِلَى إِبْلِيسَ، فقَالَ: مَا هذَا إِلَّا أَمْرٌ عظِيمٌ قَدْ حَدَثَ، فبَعَثَ جُنُودَهُ فإِذَا بِالنَّبِيءِ ﷺ يُصَلِّي بَيْنَ جبلي نخلة، فأَخْبَرُوهُ فقَالَ: هَذَا الْحَدَثُ الذِي حَدَثَ في الْأَرْضِ[2]. ونَخلَة: مَوْضِعٌ عَلَى لَيْلَةٍ مِنْ مَكَّةَ.

وأَمَّا خُروجُهُ إلى الطَّائِفِ فبَعْدَ مَوْتِ عَمِّهِ أبي طالب. وعَن ابْنِ مَسْعُودٍ: هبَطُوا عَلَيْهِ ﷺ وهُوَ بِبَطْنِ مَكَّةَ يقْرَأُ الْقُرْآنَ ولَمَّا سَمِعُوهُ قالُوا: أَنْصِتُوا فأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ﴾[3]الآيَةَ فهَذَا مَعَ رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ، يَقْتَضِي أَنَّهُ ﷺ يشْعُرُ بِحُضُورِهِمْ هَذِهِ الْمَرَّةَ، وَإِنَّمَا اسْتَمَعُوا قِرَاءَتَهُ ﷺ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، وبعْدَ ذَلِكَ وَفَدُوا إِلَيْهِ أَرْسَالًا قَوْمًا بَعْدَ قَوْمٍ[4].

ومِمَّا يُروَى: أَنَّهُ ذَهَبَ بِابْنِ مَسْعُودٍ وخَطَّ علَيْهِ خَطًّا، فجَعَلَ يَعِظُ الْجِنَّ عَالِمًا بِهِمْ[5].

وذَهَابُهُ إِلَى الطَّائفِ بَعْدَ مَوْتِ عَمِّه أَبِي طَالِبٍ سَنَةَ عَشْرٍ مِنَ الْبِعْثَةِ، ثُمَّ مَوْت خَدِيجَةَ بَعْدَهُ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَوْ خَمْسَةٍ، ثُمَّ تَزَوُّجهُ بِسَوْدَةَ بَعْدَ أَيَّامٍ.

وكَانَ خُرُوجُهُ ﷺ إلى الطَّائِفِ بَعْدَ مَوتِ خديجة بثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ فِي شَوَّالَ لِمَا نَالَهُ مِنْ قُرَيْش، وكَان مَعَهُ مَوْلاهُ زيد بن حارِثة، فأَقَامَ بِهِ شَهْرًا يدْعُو أَشْرافَ ثقيف، فَلَمْ يُجِيبُوهُ وأَغْرَوْا بِهِ سُفَهَاءَهُمْ وعَبِيدَهُمْ يَسُبُّونَهُ[6].

قَالَ موسى بن عقبة: ورَمَوْا عَقِبَيْهِ بالْحِجَارةِ، حَتَّى اخْتَضَبَ نَعْلَاهُ بِالدَّمِ. قالَ غَيْرُهُ: إِذَا أَذْلَقَتْهُ[7] الحِجَارَةُ؛ أيْ: أَضْعَفَتْهُ[8] قَعَدَ إِلَى الأَرضِ، فَيَأْخُذُونَه بِعَضُدَيْهِ فيُقِيمُونَهُ، فإِذَا مَشَى رَجَمُوهُ وهُمْ يَضْحَكونَ، وزَيْدُ بنُ حَارِثَةَ يَقِيهِ بنَفْسِهِ، حَتَّى لَقَدْ شجَّ فِي رَأْسِهِ شجّا[9][10].

وفي الصَّحِيحَيْنِ: أَنَّهُ لَقِيَ مِنْهُمْ أَشَدَّ مِمَّا لَقِيَ يَوْمَ أُحُد. وأَنَّ جِبْرِيلَ نَزَلَ علَيْهِ حِينَئِذٍ، ومَعَهُ مَلَكُ الِجبَالِ؛ لِيَأْمُرهُ فِي قَوْمِهِ بِمَا شَاءَ، جَزَاءً لِضَرْبِهِمْ إِيَّاهُ بِالْحِجَارةِ، إِذ الْجِبَالُ حِجَارَةٌ، فقَالَ ﷺ:

---

(1) في العبارة تكرار.

(2) تفسير ابن كثِير، 30/13، والحدِيث في مسند أحمد (2482)، وفقرةُ " أي: بعضٌ يزيدُ عشرا... أقلَّ من مئة" من كلام المؤلِّف.

(3) سورة الأحقاف: 29.

(4) تفسير ابن كثِير، 31/13.

(5) (م، س)، 41/13.

(6) المواهب اللَّدنيَّة، القسطلَّاني، 267/1.

(7) فِي المواهب اللدنية: أزلقته.

وذَلَق السَّمُومُ، أَو الصَّومُ فُلاناً أَي: أَضْعَفَه وأَهزلَه وأَقلَقَه. تاج العروس (ذلق).

(8) "أي: أضعفته" من كلام المؤلِّفِ.

(9) فِي المواهب اللدنية: شجاجا.

(10) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 267/1، مع تغيِير.

((بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا))[1].

وعَن ابْنِ عبَّاسٍ: إنَّ الشَّيَاطِينَ كانُوا لَا يُحْجَبُونَ عنِ السَّمَاوَاتِ وكانُوا يدْخُلُونَهَا ويأْتُونَ بِأَخْبَارِها، فيُلْقُونَ علَى الْكَهَنَةِ. فلمَّا وُلِدَ عيسَى مُنِعُوا مِنْ ثلَاثِ سَمَاوَاتٍ، ولمَّا وُلِدَ سيِّدُنا محمَّدٌ ﷺ مُنِعوا مِنَ السَّماواتِ كلِّهَا، فمَا مِنْهُمْ مِن أَحَدٍ يُرِيدُ اسْتِراقَ السَّمعِ إِلَّا رُمِيَ بشِهَابٍ، وهُوَ الشُّعلةُ مِنَ النَّارِ، فلَا تُخطِئُ أَبدًا. فمِنْهُمْ مَنْ تَقْتُلُهُ ومِنْهُمْ مَنْ تَحْرِقُ وَجْهَهُ، ومِنْهُم مَنْ تخبلهُ فيصيرُ غولًا يُضلُّ النَّاسَ فِي الْبَرَارِي[2].

قالَ الْأَئِمَّةُ: لَمْ يكُنْ هذَا ظَاهِرًا قَبْلَ مبْعَثِهِ ﷺ ولَمْ يَذْكُرْهُ أَحَدٌ قَبْل زَمَانِهِ، وَإِنَّما ظَهَرَ فِي بَدْأِ أَمْرِهِ تَأْسِيسًا لِنُبُوءَتِهِ [107و] ﷺ[3].

نَعَمْ، جَاءَ عَنْ معْمَر[4] تِلْمِيذِ الزُّهرِيّ، أَنَّهُ قالَ لِلزُّهْرِي: أَكَانَ يُرْمَى بِالنُّجُومِ فِي الجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: أَفَرَأَيْتَ قَوْلَهُ تَعالَى: ﴿ وَإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ﴾[5]. قالَ: غُلِّظَتْ وشُدِّدَ أَمْرُهَا، حِينَ بُعِثَ ﷺ[6].

وكَذَا قَالَ ابن قتيبة: إِنَّه كانَ الرَّجْمُ قَبْلَهُ ﷺ ولَكِنْ لَمْ يَكُنْ فِي شِدَّةِ الحِرَاسَةِ مِثْلهُ بَعْدَ مَبْعَثِهِ[7].

وأفادَ حديثُ ابْنِ عبَّاسٍ أَنَّ الرَّجمَ بالشُّهُبِ لَا بنَفْسِ الْكَوْكَبِ، وأنَّ الكَوْكَبَ لَا يْنَفِصلُ مِنْ مَحَلِّهِ. وقِيلَ: يَنْفَصِلُ ثُمَّ يَرْجِعُ، ووَجْهُ دخُولِ السَّماواتِ أَنَّ اللهَ أَقْدَرَ بَعْضَهُم علَى سُرْعَةِ الطَّيَرانِ كالْمَلَائكَةِ، وبَعْدَ المَنْعِ مِن الدُّخُولِ يسْتَمِعُونَ مِنْ ملَائِكَةٍ تَحْتَ السَّماءِ أَوْ قَرِيبًا مِنَ الْأَرْضِ، أَوْ مِنْ داخِلِ السَّماءِ بِلَا نُفُوذٍ، ويرْجمُونَ داخِلَهَا كذَلِكَ، والسَّماءُ شفَّافَةٌ فترَى الشِّهَاب، وقَبْلَ الْمَنْع يسْتَمِعُونَ بِمَا وَجَدُوا مِنْ ذلِكَ وبالدُّخولِ والنُّفُوذ، واللهُ أَعْطَاهُمْ شَيْئًا يقولُونَهُ أو يَفْعَلونَهُ؛ فيَتَشَكَّلونَ بهِ علَى أَيِّ صُورَةٍ، فهُوَ قَلْبٌ وتصْوِيرٌ مِنَ اللهِ لَا مِنْهُمْ.

وكانَتِ الأَحْبَارُ مِنَ اليَهُودِ والرُّهبانُ مِنَ النَّصارَى والكُهَّانُ، قَدْ تحَدَّثوا بِأَمْرِ رسولِ اللهِ ﷺ قبْلَ بِعْثَتِهِ، أَمَّا الأَحْبارُ والرُّهبانُ فعَمَّا وَجَدُوا فِي كُتُبِهِمْ مِنْ صِفَتِهِ وزَمَانهِ ﷺ ومَا كَانَ مِنْ عَهْدِ أنبِيَائِهِم، وأَمَّا الكُهَّانُ مِنَ الْعَرَبِ فأَخْبَرَتْهُم الشَّياطِينُ بِمَا تَسْتَرِقُ إِذْ كانَتْ لَا تُحْجَبُ.

---

(1) الحدِيث في صحيح البخارِي (3231) وصحيح مسلم (1795).

(2) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 633/2.

(3) (م، س)، 633/2-634.

(4) معمر بن راشد، الأزدِي البصرِي نزِيلُ اليَمَن، شهد جنازة الحسن البصرِي، حدَّثَ عن قتادة والزهرِي، وعمرو بن دينار، ت: 152هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 5/7.

(5) سورة الجن: 9.

(6) تفسير البغوِي، 374/4.

(7) تفسير البغوِي، 374/4، وينظر تأوِيل مشكل القرآن، ابن قتيبة ص430.

وكان الكُهَّانُ والكَوَاهِنُ يذْكُرُونَ بعْضَ أمُورِهِ ولَا تُلْقِي الْعَرَبُ لِذَلِكَ فِيهِ بَالًا، حَتَّى بعَثُه اللهُ تعَالَى، فَتَذاكَرُوا مَا سَبَقَ مِنْ ذَلِكَ ومَا حَضَرَ فَعَرَفُوا. فلَمَّا تقَارَبَ بَعْثُهُ حُجِبَت الشَّياطِينُ عَن السَّمْعِ بالرَّجْمِ، لِئَلَّا يلبِسُوا علَى أَهْلِ الْأَرْضِ.

فقِيلَ: يشعل مِنَ النُّجومِ وهِيَ فِي الْفلكِ الثَّامِنِ، وقِيلَ: يُرمَى بِهَا فتَرْجِعُ، وعلَى هذَا فَهِيَ صِغارٌ لا كِبَارٌ....[1] قِيلَ: كُلُّ نَجْمٍ أكْبَرُ مِن الدُّنْيا، وعَلَى الأوَّلِ سُمِّيَ مَا شعل مِنَ النَّجْمِ نَجْمًا، أوْ كانَت النُّجُومُ تَحْتَ السَّماءِ، بَعْضُها فوْقَ بَعْضٍ معَ الدراري فيكون الكسوفُ؛ لأنَّ بَعضًا فَوْقَ بعْضٍ، والْقَمَر بِمَجِيد الشَّمْسِ عنْ مَجْرَاها.

وشهرَ أَنَّ الدّرَارِي كُلُّ واحِدٍ فِي سَمَاءٍ، ولَعَلَّ اللهَ سبْحَانه يَخْلُقُ النُّجومَ الصِّغارَ لِلرَّمْيِ، فتَرجِع أو تَزْدَادُ.

ولَمَّا سَمِعَت الجنُّ الْقُرْآنَ عرَفُوا الْحَقَّ ورَجَعُوا مُنْذِرِينَ إِلَى قوْمِهم، وكَانُوا يَهُودًا لأَنَّهُمْ قالُوا: ﴿كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾[2] ذَكَرَ ذَلِكَ عبد الله بن سلَّام وكانُوا سَبْعَةً[3].

وذَكَرَ أبو بكر بن طاهر الإشبيليّ القَيْسِي فِي فَضائِلِ عُمَر بنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: بَيْنَمَا عُمَرُ بنُ عبْدِ الْعَزِيزِ يَمْشِي فِي فَلَاةٍ فَإِذَا حَيَّةٌ مَيِّتَةٌ فكَفَّنَهَا بِفضْلَةٍ مِنْ رِدَائِهِ ودَفَنَهَا، فإِذَا قَائلٌ يَقُولُ: يَا سُرّق أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ لَكَ: ((**سَتَمُوتُ بِأَرْض فَلَاةٍ فَيُكَفِّنُكَ ويَدْفِنُكَ رَجُلٌ صالِحٌ**)) فقَالَ: مَنْ أنْتَ يَرْحَمكَ اللهُ؟ فقَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْجِنِّ الذِينَ سَمِعُوا الْقُرآنَ مِنْ رسُولِ اللهِ ﷺ، لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا أنَا وسُرَّق، وهَذَا سُرَّق قَدْ مَاتَ[4].

وَرُوِيَ أَنَّهُ كانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَمْشِي فِي نَفَرٍ مِنْ أصْحَابِ رسُولِ اللهِ ﷺ يَمْشُونَ فرُفِعَ لهُم [107ظ] إِعْصارٌ ثُمَّ إِعْصَارٌ أعْظَمُ فانْقَشَعَ عَنْ حَيَّةٍ قتِيلٍ، فكَفَّنَهَا بعْضُنا بِفضْلَةٍ مِنْ ردَائِهِ ودَفنَهَا، فلَمَّا جَاءَ اللَّيلُ إذَا بِامْرأَتَيْنِ تَسْأَلَانِ أيُّكُمْ كَفن ودَفَنَ عمرو بنَ جابر؟ فقُلْنا: ما نَدْرِي مَنْ عمرو بن جابر. فقَالَتَا: إنْ كُنْتُم ابْتَغَيْتُم الْأَجْرَ فقَدْ وجَدْتُموهُ، إِنَّ فَسَقةَ الْجِنِّ اقْتَتَلُوا معَ المُؤْمِنينَ مِنْهُم، فقُتِلَ عَمرو وهُوَ الْحَيَّةُ التِي رَأَيْتُم، وهُوَ مِنَ النَّفَرِ الذِينَ استَمَعُوا الْقُرْآنَ مِنْ مُحَمَّد ﷺ ثمَّ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم منْذِرِينَ[5]. وذَلِكَ مِنْ عمر بن عبد العزيز والصَّحابيِّ فِرَاسَةُ الْمُؤْمِنِ.

قالَ لهيبُ بن مالك: حَضَرْتُ معَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فذَكَرْتُ عنْدَهُ الكَهَانَةَ، فقُلْتُ: بأَبِي أنْت وأُمِّي نَحْنُ أَوَّلُ مَنْ عَرَفَ حِراسَةَ السَّماءِ وزجْرَ الشَّياطِينِ، ومَنْعَهُمْ مِن اسْتِراقِ السَّمْعِ عِنْدَ قَذْفِ النُّجُومِ،

(1) كلمة غير مفهومة كأنها: كما.

(2) سورة الأحقاف: 30.

(3) الروض الأنف، السهيلي، 197/2، والجامع لأحكام القرآن، القرطُبِي، 213/16.

(4) الروض الأنف، السهيلي، 198/2، والجامع لأحكام القرآن، القرطُبِي، 214/16.

(5) الروض الأنف، السهيلي، 198/2، والجامع لأحكام القرآن، القرطُبِي، 214/16.

اجْتَمَعْنا إِلَى أَعْلَمِ كُهَّانِنا خطر بن مالك، لهُ مِئَةٌ وثَمانُونَ سَنَةً[1]، فقُلْنا: مَا هَذِهِ النُّجومُ التِي يُرمَى بِهَا؟ فإِنَّا خِفْنَا عاقِبَتَها، فقَالَ: ايتُونِي بِسَحَر فجَاؤُوهُ قائِمًا شاخِصًا إِلَى السَّمَاءِ فنَادَيْنَاهُ: يَا خَطر فأَوْمَى إِلَيْنَا أَنْ أمْسِكوا، فانْقَضَّ نَجْمٌ عظِيمٌ وَصَرَخَ خَطَر: أَصَابَهُ إصَابه، خامَرَهُ عقابُه، عَاجَلَهُ عَذَابُه، أَحْرَقَهُ شهَابُه، زايَلَهُ جَوابُه، يَا وَيْلَهُ مَا حالُه، بَلْبَلَهُ بَلْبَالُه[2] عَاوَدَهُ خَبَالُه، تَقَطَّعَتْ حبَالُه، وغُيِّرَتْ أَحْوَالُه.

وأَمْسَكَ طَوِيلًا فقالَ: يا مَعْشَرَ بني قحطان أُخْبِرُكُمْ بالْحَقِّ والْبَيَان، أَقْسَمْتُ بِالْكَعبَةِ والأَرْكَان، والْبَلَدِ الْمُؤتمنِ السّدان، قَدْ مُنِعَ السَّمْعَ عتَاةُ الْجَانّ، بثَاقِبٍ بِكَفٍّ ذِي سُلْطَان، مِنْ أَجْلِ مبْعُوثٍ عَظِيمِ الشَّان، يُبْعَثُ بِالتَّنْزِيلِ والْقُرْآن، بالْهُدَى وفَاصِلِ الفُرْقان، تَبْطُلُ بِهِ عِبَادةُ الأَوْثَان. فقُلْنَا: هذَا أَمْرٌ عظِيمٌ، فمَا لِقَوْمِكَ؟ فقَالَ: أَرَى لَهُمْ مَا أَرَى لِنَفْسِي أَنْ يتَّبِعوا خَيْرَ أَنْبِيَاء الإِنْس، برْهَانُهُ مِثْلُ شعَاعِ الشَّمس، يُبْعَثُ مِنْ مَكَّةَ دَارِ الْحُمْس[3]، بِمُحْكَم التَّنْزِيلِ غَيْرِ اللَّبْس. فقُلْنا: مِمَّنْ هوَ؟ فقَالَ: والْحَياةِ والْعَيْش إِنَّهُ لَمِنْ قُرَيْش، مِنْ آلِ قحطانَ وآلِ أَيْش. فقُلْنَا: مِنْ أيِّ قُرَيْش؟ فقالَ: مِنْ نَجْلِ هَاشِم، مِنْ مَعْشَر أَكَارِم، يُبْعَثُ بِقَتْلِ كُلِّ ظَالِم، هذَا الْبَيَانُ عَنْ رَئِيسِ الْجَانّ، اللهُ أَكْبَرُ جاءَ الْحَقُّ وظَهَرَ وانْقَطَعَ عَن الْجِنِّ الخَبرُ وأُغْمِيَ علَيْهِ، فمَا أفَاقَ إِلَّا بَعْدَ ثلَاثِ لَيَالٍ، فقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فقَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: ((**لَقَدْ نَطَقَ عَنْ مِثْلِ نُبُوءَةٍ، وإِنَّه يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ**))[4].

و"إصابه" الثَّانِي: مكسُورُ الْهَمْزةِ عنْ واوٍ، أصْلُهُ وصَابَه جَمْعُ وَصَب. و"آلُ قَحْطَانَ" الأَنْصَارُ. و"آلُ أيش": قَبِيلةٌ مِنَ الْجِنِّ أَقْسَمَ بِهَا، أَو تَعْظِيمٌ، يُقالُ فِي التَّعظيمِ: فُلانٌ أَيُّ شَيْءٍ أيْ: عَظِيمٌ[5].

وكَانَ لفاطمة بنت النعمان النّجاريّة تَابِعٌ مِنَ الجِنِّ يَزْنِي بهَا فِيمَا قِيلَ، فقَعَدَ يَومًا عَلَى حائِطِ الدَّارِ فقَالَتْ: لِمَ لا تدْخُل؟ فقَالَ: بُعِثَ نَبِيءٌ يُحَرِّمُ الزِّنَا، فذَلِكَ أَوَّل ما ذُكِرَ النَّبيءُ ﷺ بالمَدِينَةِ[6].

قالَ سواد بنُ قَارب، وكَانَ فِي الْجَاهِلِيَّة كَاهِنًا ثُمَّ أَسْلَمَ [108و] جَاءَني رِئْيٌ مِنَ الْجِنِّ؛ أَيْ: تابِعٌ، قُبَيْلَ الإِسْلَامِ وشَيْعِهِ، أيْ: قَرِيبًا مِنْهُ، فقال: أَلَمْ تَرَ إِلَى الْجِنِّ وإِبْلَاسها، ولُحُوقِهَا بالقِلَاص[7] وأَحْلَاسهَا[8]. قالَ عُمَر: واللهِ إِنِّي لعِنْدَ وَثَنٍ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ، فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْش قَدْ ذَبَحَ لهُ رَجُلٌ

(1) في عيون الأثَر والروض الأنف: مئتا وثمانون سنة.

(2) قال ابن عاشور: أَيْ بلْبالٌ مُتَمَكِّنٌ مِنْهُ. التحرير والتنوير، 491/30.

(3) الحُمْسُ قريش لأنهم كانوا يتشددون في دينهم وشجاعتهم فلا يطاقون. لسان العرب (حمس).

(4) الروض الأنف، السهيلي،204/2-206 وعيون الأثر، ابن سيِّد النَّاس، 157/1-158، بتصرُّف.

(5) الروض الأنف، السهيلي، 206/2، وعيون الأثر، ابن سيِّد النَّاس، 159/1، بتصرف.

(6) الروض الأنف، السهيلي، 203/2.

(7) جمع القَلُوص وهِي الفَتِيَّة من الإبل. لسان العرب (قلص).

(8) الأَحْلاس هو الكساء الذي على ظهر البعير تحت القَتَب شبهها بها للزومها ودوامها. لسان العرب (حلس).

مِنَ العَرَبِ عِجْلًا، فنَحْنُ نَنْتَظِرُ قسْمَهُ لِيَقْسِمَ لنَا مِنْهُ، إِذْ سَمِعْتُ مِنْ جَوْفِ الْعِجْلِ صَوْتًا، مَا سَمِعْتُ قَطُّ أَنْفَذَ مِنْهُ يقُولُ: يا دُرِيح أَمْرٌ نَجِيح، رَجُلٌ يَصِيح، بِلِسَانٍ فَصِيح، يقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ[1].

ورُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بنَ الخطَّابِ ﷺ مازحَ سواد بن قارب وقَالَ: مَا فَعَلَتْ كَهَانَتُكَ يَا سَوَاد؟ فغَضِبَ وقَالَ: كُنْتُ أنَا وَأَنْتَ عَلَى شَرٍّ مِنْ هَذَا مِنْ عبَادةِ الْأَوْثَانِ، وأَكْلِ الْمَيْتَةِ، أفَتُعَيِّرُنِي بِأَمْرٍ قَدْ تُبْتُ منْهُ، وما رَأَيْتُكَ قُلْتَ لِأَحَدٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ مَا قُلْتَ لِي، فقَالَ عُمَرُ ﷺ: اللَّهُمَّ غُفْرًا[2]،

قد كُنَّا في الجاهِلِيَّةِ على شَرٍّ مِنْ هَذَا نَعْتَنِقُ الأَوْثَانَ ونَعْبُدُهَا حتَّى أَكْرَمَنَا اللهُ ﷻ برَسُولِهِ ﷺ وبِالْإِسْلَامِ.

قَالَ: أَخْبِرْنِي يا سَوادُ بِأَمْرٍ مِنْ ذَلِكَ فقَال لَهُ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤمنِينَ، جَاءَنِي رِئْيٌ قُبَيْلَ الإِسْلَامِ[3] إِلَخ ما مَرَّ آنِفًا.

ويُروَى أَنَّه كَانَ سَوَادُ بنُ قَارِب نائِمًا علَى جَبَلٍ مِنْ جبَالِ السّرات[4] لَيْلَةً مِنَ اللَّيالِي[5]، فأَتَاهُ آتٍ فضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ وقَالَ: قُمْ يَا سَوَاد بن قَارِب، أَتَاكَ رَسُولٌ مِنْ لؤيّ بن غالب، فرَفَعْتُ رَأْسِي وجَلَسْتُ فَأَدْبَرَ وَهُوَ يَقُولُ:

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتِطْلَابِهَا ... وَشَدِّهَا الْعِيسَ بِأَقْتَابِهَا

تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى ... مَا صَادِقُ الْجِنِّ كَكَذَّابِهَا

فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ ... لَيْسَ الْمُقَدم[6] كَأَذْنَابِهَا[7]

وأتاهُ اللَّيلةَ الثَّانِيَةَ فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ وقَالَ: قُمْ يا سَوَاد بن قارِب، أَتَاكَ رَسُولٌ مِنْ لُؤَيِّ بنِ غَالِب، فرَفَعْتُ رَأْسِي وجَلَسْتُ فأَدْبَرَ وهُوَ يَقُولُ:

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَإِبْلَاسِهَا[8] ... وَمُنُوقِهَا[9] الْعِيسَ بِأَكْوَارِهَا

تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى ... مُؤْمِنُهَا لَيْسَ كَكُفَّارِهَا[10]

---

(1) سيرة ابن هشام، 211/1، مع تَغيير.

(2) الروض الأنف، السهيلي، 210/2 مع تغيير، يبدو أنَّ المؤلِّفَ جمع بين روايَةٍ ذكرت في الروض الأنف وروايةِ سيرة ابن هشام.

(3) سيرة ابن هشام، 210/1، مع تغيير.

(4) السَّراة: جبل مشرِف على عرَفَة، ينقادُ إلى صنعاءَ، سمِّيَ بذلِكَ لعلُوِّهِ، وسراةُ كلِّ شَيْءٍ: ظهرُهُ. الأمكنة والمياه والجبال، الزمخْشَرِي، ص119.

(5) لم أجِدْ من قال ذلكَ غير الكلاعِي في الاكتفاء.

(6) في الروض وعيون الأثَرِ والمعجم الكبِير والاكتفاء: قداماها.

(7) الأبيات من السَّرِيع، وفي الخصائص والمعجم الكبِير كانت هذه الأبيات في اللية الثانية، وفي عيون الأثَرِ والروض: كانت في اللية الأولَى.

(8) في الخصائِص: وتجسارها، وفي الاكتفاء: وأخبارها.

9 في الروض وعيون الأثَرِ والمعجم الكبِير والخصائِص: وشَدِّها، وفي الاكتفاء: ورَحْلها.

(10) في الخصائص: ليسَ ذوو الشَّرِّ كأخْيارِها.

فَـارْحَـلْ إِلَى الصَّـــفْوَةِ مِنْ هَـاشِـــم لَـيْـسَ الْـمُـقَـدَّمُ كَـأَدْبَـارِهَـا[1][2]

وأتاهُ في اللَّيلَةِ الثَّالِثَة فضَرَبهُ بِرِجْلِهِ وقَالَ: قُمْ يا سَوَاد بن قَارِب، أَتَى رَسُولٌ مِنْ لُؤَيِّ بنِ غَالِب، فرَفَعْتُ رَأْسِي وجَلَسْتُ، فأَدْبرَ يَقُولُ:

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَإِبْلَاسِهَا [3] وَشَدِّهَا الْعِيسَ بِأَحْلَاسِهَا

تَهْوِي إِلَى مكَّة تبغِي الهُدَى مَا طَاهِرُ الْجِنِّ كَأَنْجَاسِهَا [4]

فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ لَيْسَ ذنابا الطَّيْرِ مِنْ رَأْسِهَا [5]

قَالَ: فلَمَّا أَصْبَحْتُ رَكِبْتُ بَعِيرِي، فَأَتَيْتُ مَكَّةَ، فإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ ظَهَرَ فأَخْبَرْتُهُ الْخَبرَ وبَايَعْتُهُ[6]. وفِي رِوَايَةٍ: أَنَّهُ أَنْشَدَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ:

أَتَـانِـي رِئِـيٌّ[7] بَـعْـدَ هَـدْءٍ وَرَقْـدَةٍ وَلَـمْ يَـكُ فِـيـمَـا قَـدْ بَـلَـوْتُ بِـكَـاذِبِ

ثَـلَاثَ لَـيَـالٍ قَـوْلُـهُ كُـلَّ لَـيْـلَـةٍ: أَتَـاكَ رَسُـــولٌ مِـنْ لُـؤَيِّ بْـنِ غَـالِـبِ

فَـرَفَّـعَـتُ أَذْيَـالَ[8] الْإِزَارِ وَشَـــمَّـرَتْ بِيَ [108ظ] العِرْمِسُ الْوَجْنَا هجُولُ السَّبَاسِبِ

فـأَشْـــهَـدُ أَنَّ الـلـهَ لَا رَبَّ[9] غَـيْـرُهُ وَأَنَّـكَ مَـأْمُـونٌ عَـلَـى كُـلِّ غَـائِـبِ

وَأَنَّـكَ أَدْنَـى الْـمُـرْسَـلِـيـنَ وَسِـيـلَـةً إِلَـى الـلـهِ يَـا ابْـنَ الْأَكْـرَمِـيـنَ الْأَطَـائِـبِ

فَـمُـرْنَـا بِـمَـا يَـأْتِـيـكَ مِـنْ وَحْـيِ رَبِّـنَـا وَإِنَّكَ فِيمَا[10] جِئْتَ شِـيـبُ الذَّوَائِبِ[11]

وَكُنْ لِي شَـــفِيعًـا يَوْمَ لَا ذُو شَـــفَـاعَـةٍ بِـمُـغْـنٍ فَـتِـيـلًا عَـنْ سَـــوَادِ بـنِ قَـارِبِ[12]

ولـمَّا ماتَ النَّبيءُ ﷺ اضْطَرَبَ قَوْمُهُ فثَبَّتَهُمْ وأَطَاعُوهُ[13].

---

(1) لم أجد رواية هذا العجز في الروض وعيون الأثَرِ والمعجم الكبِير والخصائِص.

(2) في الخصائص كانت هذه الأبيات في الليلة الثالثة، وفي عيون الأثَرِ والروض: كانت في الليلة الثَّانِيَة.

(3) في الروض: وتنفارها، وفي المعجم الكبِير: وأخبارها، وفي عيون الأثَر: وتجساسها، وفي الخصائص: وأنجاسها.

(4) في الاكتفاء: ما مؤمنها مثلُ أرجاسِها.

(5) الأبيات من السَّرِيع، روَى السُّهيلِي هذا العجز في الليلة الثانِيَة، ولم أجده في غيرِهِ.

(6) القصَّة في الروض الأنف، السهيْلِي، 210/2، والخصائص، السيوطِي، 253/1، وعيون الأثر، ابن سيد الناس، 151/1، والمعجم الكبِير، الطبرانِي، حدِيث (6475) و(6476) والاكتفاء، الكلاعِي، 173/1.

(7) في الروض وعيون الأثَر والمعجم الكبِير: نجِيٌّ.

(8) في الأصلِ: أديال.

(9) في الروض: لا شَيْءَ.

(10) في الروض وعيون الأثَر والمعجم الكبِير والخصائِص: وإن كانَ فِيما.

(11) في الأصل: الدّوائب.

(12) الأبيات من الطويل، لم أجد رواية متطابقة مع روايَة المؤلّف، فقارنتها مع رواية الروض الأنف، وأثبتُّ الاختلافات بينهما، وهذا توثِيق الأبيات: في الروض الأنف، السهْيلِي، 211/2، والخصائص، السيوطِي، 256/1، وعيون الأثَرِ، 152/1، والمعجم الكبِير، الطبرانِي (6476)، الاكتفاء، الكلاعِي، 173/1.

(13) ذكر تفصِيلَ ذلك السهيلِي بعد ذكر الأبْيَاتِ، الروض، 211/2.

ويُروَى: أَنَّهُ قدِمَ وائل بن حجر مِنَ الْيَمنِ إِلَى النَّبِيء ﷺ مُسْلِمًا وَافِدًا، فأَصْعَدَهُ النَّبِيءُ ﷺ إِلَيْهِ علَى الْمِنْبَرِ وأقْطَعَهُ وكَتَبَ لهُ عَهْدًا وقَالَ: ((**هذَا سَيِّدُ الْأَقْيَالِ**[1])) ثُمَّ نَزَلَ الكُوفَةَ، وكانَ لَهُ قَبْلَ ذلِكَ صَنَمٌ مِنْ عَقِيقٍ يَعْبُدُهُ ويَسْجُدُ لَهُ فنامَ عِنْدَهُ فِي الظَّهيرةِ فَسَمِعَ صَوْتًا هَائِلًا فأَتَاهُ فسَجَدَ لَهُ، فسَمِعَ هَاتِفًا:

وَاعَـجَـبًـا لِـوَائِـلِ بـنِ حُـجْـرِ ... يَـخَـالُ يَـدْرِي وَهْـوَ لَـيْـسَ يَـدْرِي

مَـاذَا تُـرَجِّـي مِـنْ نَـحِـيـتِ صَـخْـرٍ ... لَـيْـسَ بِـذِي عُـرْفٍ وَلَا ذِي نُـكْـرِ

وَلَا بِـذِي نَـفْـعٍ وَلَا ذِي ضُـرِّ ... لَـوْ كَـانَ ذَا حِـجْـرٍ أَطَـاعَ أَمْـرِي[2]

فرَفَعَ رأْسَهُ فقَالَ: بِمَاذَا تَأْمُرُنِي؟ فقَالَ:

ارْحَـلْ إِلَـى يَـثْـرِبَ ذَاتِ الـنَّـخْـلِ ... وَسِـرْ إِلَـيْـهَـا سَـيْـرَ مُسْـتَـقِـلِّ

فَـدِنْ بِـدِينِ الصَّـائِـمِ الْـمُصَـلِّي ... مُـحَـمَّـدٍ خَـيْـرِ جَـمِـيعِ الـرُّسْـلِ[3]

ثمَّ خرَّ الصَّنَمُ لِوَجْهِهِ، فقامَ إِلَيْهِ فجَعَلَهُ رُفَاتًا. ثُمَّ سارَ حَتَّى أَتَى الْمَدِينةَ، ودَخلَ الْمَسْجِدَ فأَدْناهُ النَّبِيءُ ﷺ وبَسَطَ لَهُ رِدَاءَهُ وأَجْلَسَهُ معهُ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنبَرَ وقَالَ: يَا أَيُّها النَّاسُ، هذَا وَائِلُ بنُ حُجْر، أَتَاكُم مِنْ أَرْضٍ بَعِيدةٍ راغِبًا فِي الإِسْلَامِ، فقَالَ: يا رَسُولَ اللهِ بلَغَنِي ظُهُورُكَ وأَنَا فِي مُلْكٍ عَظِيمٍ، فتَرَكْتُهُ واخْتَرْتُ دِينَ اللهِ فقَالَ: صدَقْتَ، اللَّهُمَّ بَارِكْ في وَائِل ووَلَدِهِ ووَلَدِ وَلَدِهِ[4].

ويُروَى: أَنَّهُ كانَ لجنْب[5]، وهُوَ بطْنٌ مِنَ الْيَمَنِ، كاهِنٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، ولَمَّا ذُكِرَ أَمْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وانْتَشرَ فِي الْعَرَبِ، قالَتْ لَهُ جَنْب: انْظُرْ لنَا فِي أَمْرِ هذَا الرَّجُلِ فَاجْتَمَعُوا لهُ أَسْفلَ جبَلِهِ، فنَزَلَ حِينَ طَلَعت الشَّمسُ، فوَقَفَ لهُمْ قائِمًا مُتَّكِئًا علَى قَوْسٍ لَهُ، فرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ طَوِيلًا يَتَزوَّى[6] ثُمَّ قالَ: أَيُّها النَّاسُ إِنَّ اللهَ أَكْرَمَ مُحَمَّدًا واصْطَفَاه، وطهَّرَ قَلْبَهُ وحشَاه، ومُكْثُهُ فِيكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ قَلِيلٌ، ورَجَعَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ[7].

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: إِنَّ قَوْمًا مِنْ خثعم كَانُوا عِنْدَ صَنَمٍ لَهُمْ، وكَانُوا يتَحَاكَمُونَ إِلَى أصْنَامِهِمْ، فَيُقَالُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: هلْ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ؟ فيَقُولُ: قَدْ واللهِ فَعَلْتُ فأَكْثَرْتُ، فالْحَمْدُ للهِ الذِي أَنْقَذَنِي بِمُحَمَّد

---

(1) قال أبو عبيدة: المقاول ملوك اليمن. قال: ويروى ومقاول الأقيال. فمن رواه الأقيال فجمعه على قيل، ومن رواه الأقوال رده إلى الأصل، كذا فسره أبو عبيدة والأصمعي. شرح نقائض جرير والفرزدق، أبو عبيدة، 452/2.

(2) الأبيات من الرجز.

(3) البيتان من الرجز، في شرح المواهب: محمد الرسول خير الرسل.

(4) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 435/5.

(5) ولَدُ يزِيد بن حَرْب بن عُلة: صُدَاء، بطن ضخم، ومُنَبه، والحارِث، والغلى، وسِنْحان، وهِفَّان، وشِمْران، تحالفَ هؤلاء السِّتة على ولَدِ أخِيهِم صُداء، فسموا جَنْب. جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص413.

(6) في سيرة ابن هشام: يَنزُو. وتَزَوَّى: صار في زاويَةٍ. لسَان العرب (زوي)

(7) سيرة ابن هشام، 209/1.

ﷺ. قالَ: بَيْنَمَا الْخَثْعَمِيُّونَ عِنْدَ صَنَمٍ لَهُمْ إِذْ سَمِعوا هَاتِفًا:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ذَوِي الْأَجْسَامِ ... وَمُسْنِدِي الْحُكْمِ إِلَى الأَصْنَامِ
أَكُلُّكُمْ أَوْرَهُ كَالْكَهامِ ... أَلَا تَرَوْنَ مَا أَرَى أَمَامِي
مِنْ سَاطِعٍ يَجْلُو دُجَا الظَّلَامِ ... ذَاكَ نَبِيءٌ سَيِّدُ الْأَنَامِ
مِنْ هَاشِمٍ فِي ذرْوَةِ السَّنَامِ ... مُسْتَعْلِنٌ بِالْبَلَدِ الْحَرَامِ
يُجَاهِدُ الْكُفَّارَ[1] بِالْإِسْلَامِ ... أَكْرَمَهُ الرَّحْمَنُ مِنْ إِمَامِ[2]

قال أَبُو هُرَيْرَةَ: فأَمْسَكُوا ساعَةً حَتَّى حفِظُوا ذَلِكَ ثُمَّ تَفرَّقُوا، فَلَمْ تَمْضِ بِهِمْ ثَالِثَةٌ حَتَّى فَجأَهُمْ خَبَرُ رسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ ظَهَرَ بِمَكَّةَ، فَأَسْلَمَ الْخَثْعَمِيُّونَ[3].

والْأَوْرَهُ: الأَخْرَقُ فِي الْعَمَلِ، والْحُمْقُ. والشَّيْءُ الكَهَامُ: الْبَطِيءُ.

قال رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ لِعُمَرَ ﷺ: انْطَلَقْتُ أَنَا وصَاحِبَانِ لِي نُرِيدُ الشَّامَ، حتَّى إِذَا كُنَّا بِقفْرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ نَزَلْنَا بِهَا، فبَيْنَمَا نَحْنُ كذَلِكَ إِذْ لَحِقَنَا راكِبٌ فكُنَّا أَرْبَعَةً، وقَدْ أَصَابَنَا سَغَبٌ[4] شَدِيدٌ، فَالْتَفَتُّ فإِذَا أَنَا بِظَبْيَةٍ عَضْبَاءَ[5]، تَرْعَى قَرِيبًا مِنَّا، فوَثَبْتُ إِلَيْها، فقَالَ الرَّجلُ الذِي لَحِقَنَا: خَلِّ سَبِيلَهَا لَا أَبَا لَكَ، واللهِ لَقَدْ رَأَيْتُها ونَحْنُ نَسْلُكُ هذَا الطَّرِيقَ، ونَحْنُ عشَرَةٌ وأَكْثَرُ، فمَا يُهَيِّجُهَا أَحَدٌ، فقُلْتُ: واللهِ لَا أُخَلِّيها، فَارْتَحَلْنَا وقَدْ شَدَدْتُها معِي، حَتَّى إِذَا ذَهَبَ سُدَفٌ مِنَ اللَّيْلِ إِذَا هَاتِفٌ يقُولُ:

يَا أَيُّهَا الرَّكْبُ السِّرَاعُ الْأَرْبَعَةْ ... خَلُّوا سَبِيلَ النَّاقَةِ الْمُفَزَّعَة
خَلُّوا عَنِ الْعَضْبَا فِي الْوَادِي سَعَة ... لَا تَذْبَحُنَّ الظَّبْيَةَ الْمُرَوَّعَة
فِيهَا لِأَيْتَامٍ صِغَارٍ مَنْفَعَة[6]

فَخَلَّيْتُ سبِيلَهَا، ثُمَّ انْطَلَقْنَا [109و]حَتَّى أَتَيْنَا الشَّامَ فقَضَيْنا حَوَائِجَنا، ثُمَّ أَقْبَلْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا بالْمَكَانِ الذِي كُنَّا فِيهِ هَتَفَ هاتِفٌ مِنْ خَلْفِنَا:

إِيَّاكَ لَا تَعْجَلْ وَخُذْهَا مِنْ ثِقَةْ ... فَإِنَّ شَرَّ السَّيْرِ سَيْرُ الحَقْحَقَةْ[7]
قَدْ لَاحَ نَجْمٌ فَأَضَاءَ مشْرِق ... يُخْرِجُ مِنْ ظَلْمَا عَسُوفٍ[8] مُوبقه
ذَاكَ رَسُولٌ مُفْلِحٌ مَنْ صَدَّقَهْ ... اللهُ أَعْلَى أَمْرَهُ مُحَقِّق

(1) في عيون الأثرِ: جاءَ يَهُدُّ الكفرَ.

(2) الأبيات من السريع.

(3) عيون الأثر، ابن سيد الناس، 161/1 والاكتفاء، الكلاعي، 174/1، عن الواقِدِي.

(4) السغب: الجوع، وقيل الجوع مع التعبِ. لسان العرب (سغب).

(5) عضباءَ: العضْبُ هو القطْع، وناقة عَضْباءُ مَشْقُوقة الأُذُن، وشاة عَضْباءُ مكسورة القَرْن. لسان العرب (عضب).

(6) الأبيات من مشطور الرجز.

(7) الحقحقة: شِدَّة السَّيْر، لسان العرب (حقق).

(8) العَسْفُ: السَّير بغير هداية، منه قيل رجل عَسوفٌ إذا لم يَقْصِد الحق، ورجل عَسُوف إذا كان ظلوماً. لسان العرب (عسف).

فأَتَيْنا مَكَّةَ فإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يدْعُو إِلَى الْإِسلامِ، فقَالَ عُمَر ﷺ: الْحَمْدُ للهِ الذِي أكرَمَنَا بِمُحَمَّدٍ ﷺ[1].

قالَ الْكَلبِي[2]: لَقِيتُ شُيُوخًا مِنْ شُيُوخِ طيء فسَأَلْتُهُمْ عَنْ قِصَّةِ مازن وسَبَبِ إِسْلَامِهِ، ووُفُودِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وكَانَ بِقَرْيَةٍ تُدْعَى: سنابل، مِنْ قُرَى عمان، فأَخْبَرُوهُ عَنْ مَازِن أَنَّهُ قالَ: عَتَرْتُ ذاتَ يَوْمٍ عَتِيرَةً؛ وهِيَ الذَّبِيحَةُ، فسَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ الصَّنَمِ يَقُولُ: يَا مَازِن أَقْبِلْ أَقْبِلْ، فَاسْمَعْ ما لَا تَجْهَلْ، هذَا نَبِيءٌ مُرْسَل، جَاءَ بِحَقٍّ مُنْزَل فآمِنْ بِهِ كَيْ تُعْزَلْ، عَنْ حَرِّ نَارٍ تُشْعَلْ، وقُودُهَا بِالْجَنْدَلْ، قَالَ: فقُلْتُ: واللهِ إِنَّ هذَا لَعَجَبٌ.

ثُمَّ عَتَرْتُ بَعْدَ أَيَّامٍ عَتِيرَةً أُخْرَى، فَسَمِعْتُ صَوْتًا أَبْيَنَ مِنَ الْأَوَّلِ: يَا مَازِن اسْمَعْ تُسَرْ، ظَهَرَ خَيْرٌ وبَطَنَ شَرّ، بُعِث نَبِيءٌ مِنْ مُضَر، يَدِينُ للهِ الْكُبَر، فَدَع نَحِيتًا مِنْ حَجَر، تَسْلَمْ مِنْ حَرِّ سَقَرْ. قالَ مَازِن: فقُلْتُ: هَذَا واللهِ لَعَجَب وَإِنَّهُ لَخَيْرٌ يُرادُ بِي.

وقَدِمَ عَلَيْنَا رَجُلٌ مِنَ الحجاز، فقُلْنَا مَا الْخَبَرُ وَرَاءَكَ؟ قالَ: خَرَجَ بتِهَامَةَ رَجُلٌ، يَقُولُ لِمَنْ أَتَاهُ: أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ يُقَالُ لَهُ أَحْمَدُ. فقُلْتُ لَهُ: هذَا واللهِ نَبَأٌ مَا سَمِعْتُ، فثُرْتُ إِلَى الصَّنَمِ فكَسرْتُهُ جُذَاذًا، وشَدَدْتُ رَاحِلَتِي ورَحَلْتُ، حَتَّى أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فشَرَحَ لِي الإِسْلَامَ فأَسْلَمْتُ[3].

وكَانَ خنافر بن التّوأم كاهِنًا، وقَدْ أُتِيَ بَسْطَةً فِي الْجِسْمِ والْمَالِ، وكَانَ عَاتِيًا، فَلَمَّا وَفِدَتْ وفُودُ الْيَمَنِ علَى النَّبِيءِ ﷺ وظَهَرَ الْإِسْلامُ، أَغَارَ عَلَى إِبِل [مِنْ مراد[4]][5] وَخَرجَ بِأَهْلِهِ ومَالِهِ ولَحِقَ بِالشّحر[6]، فحالَفَ جودان بن يحيى[7]، وكَانَ سَيِّدًا مَنِيعًا، ونَزَلَ بِوَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ الشِّحْرِ[8] مُخْصِبٍ كَثِيرِ الشَّجَرِ.

قالَ خُنَافِر: وكَانَ لِي رِئْيٌ اسْمُهُ شصار[9] لَا يَغِيبُ عَنِّي، فلَمَّا شَاعَ الْإِسْلامُ فقَدْتُهُ مُدَّةً طَوِيلةً، فَسَاءَنِي ذَلِكَ. فبَيْنَما أَنَا فِي ذَلِكَ الْوَادِي لَيْلَةً قَائِمًا، إِذْ أَهْوَى إِلَيَّ هَوِيّ الْعُقَابِ، فقَالَ: خُنَافِر، فقُلْتُ: شصار، فقالَ: اسْمَعْ أَقُلْ، قُلْتُ: أَسْمَع، فقَالَ: عِه تَغْنَمْ، لِكُلِّ مُدَّةٍ نِهَايَة، وكُلُّ ذِي أَمَدٍ إِلَى

---

(1) القصة كلها مع الرَّجز، الاكتفاء، الكلاعِي، 175/1.

(2) ابْنُ الكَلْبِيِّ أَبُو المُنْذِرِ هِشَامُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ السَّائِبِ.

(3) الاكتفاء، الكلاعِي، 176/1-177. والقصة في دلائل النبوة، البيهقِي، 256/2، وغيرِه، مع تغيير.

(4) مراد: من قبائل اليمن، تقع مساكنها إلى الغرب الجنوبِي من مأرب، ويبلغ عدد رجالها القاتلِينَ أربعة آلافٍ. واسم مراد يحابر بن مالك بن أدَد بن زيد. جمهرة أنساب العرب، ابن حزم ص406، ومعجم قبائل العرب، رضا كحالة، 1066/3.

(5) في الاكتفاء: لمرادَ.

(6) في الأصْلِ: بالشحن. الشِّحْرُ: الشَّطُّ، وهو صقع (ناحِيَة) على ساحِلِ بحرِ الهند من ناحِيَة اليَمَنِ، قال الأصْمَعِي: هو بينَ عَدَن وعُمان. معجم البلدان، الحموِي، 327/3.

(7) جَوْدَانَ بنَ يَحْيَى الفرضمِي، كما في الأمالِي، لم أقف على ترجمة له.

(8) في الأصْلِ: الشحن.

(9) إضافة على الهامِشِ.

غَايَة. قُلْتُ: أَجَلْ، قَالَ: كُلُّ دولَةٍ إِلَى أجَل، ثُمَّ يتاحُ لهُمْ حِوَل، قَدْ تنسَّخَتِ النِّحَل، وَرَجَعَتْ إِلَى حقَائِقِها الْمِلَل، إِنَّكَ شَجِيرٌ[1] مَوْصُول، والنُّصْحُ لَكَ مَبْذُول، إِنِّي آنَسْتُ بِأَرْضِ الشَّامِ نَفَرًا مِنْ أَهْلِ الْقوام[2] [109ظ] حُكَّامًا علَى الْحُكَّام، [يزْبرُونَ[3] دُررًا][4] مِنَ الْكَلامِ لَيْسَ بِالشِّعْرِ الْمُؤَلَّف، ولَا السَّجْعِ الْمُتَكَلّف، فَأَصْغَيْتُ فزُجِرْت، فعَاوَدْتُ فطلبت[5]، فقُلْتُ: بِمَ تهينمونَ[6] وَإِلَى مَنْ تَعْتَزُونَ؟ فقَالُوا: خِطَابُ كُبار، جَاءَ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ الْجَبَّار، فَاسْمَعْ يَا شصار عَنْ أصْدَقِ الْأَخْبَار، واسْلُكْ أَوْضَحَ الْآثار تَنْجُ مِنْ أُوَارِ النَّارِ، فقُلْتُ: ومَا هَذَا الْكَلَامُ؟ فقالُوا: فُرْقَانٌ بَيْنَ الْكُفْرِ والْإِيمَانِ، رَسُولٌ مِنْ مضر، ابْتُعِثَ فظَهَر، فجَاءَ بِقَوْلٍ قَدْ بَهَر، وأَوْضَحَ نَهْجًا قَدْ أثر، فِيهِ مَوَاعِظُ لِمَن اعْتَبَر، ومَعَاذٌ لِمَن ازْدَجَر، أُلِّفَ بِالْآيِ الْكُبَر. فقُلْتُ: ومَنْ هذَا الْمَبْعُوثُ مِنْ مُضَر؟ قالُوا: أَحْمَدُ خَيْرُ الْبَشَر، فإِنْ آمَنْتَ أُعْطِيتَ الشَّبَر[7]، وإِنْ خَالَفْتَ أُصْلِيتَ سَقَر، فآمَنْتُ يا خُنَافِر، وأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ أُبَادِر، فجَانِبْ كُلَّ رِجْسٍ كَافِر، وشَايِعْ كُلَّ مُؤْمِنٍ طَاهِر، وإِلَّا فَهُوَ الْفِرَاقُ ولَا مِنْ تَلَاق. فَقُلْتُ: مِنْ أَينَ أَبْغِي هَذَا الدِّين؟ قال: مِنَ النَّفَرِ اليَمَانِين، أَهْلِ الْمَاءِ وَالطِّين. قُلْتُ: أَوْضِحْ، قالَ: الْحقْ بِيَثْرِبَ ذَاتِ النَّخْل، فهُنَالِكَ أَهْلُ الْفَضْلِ والطَّوْل، والْمُوَاسَاةِ والنَّوْل، ثمَّ انملَسَ عَنِّي، فَبِتُّ مذْعُورًا أُرَاعِي الصَّباحَ، فلَمَّا بَرَقَ لِي النَّورُ امْتَطَيْتُ رَاحِلَتِي، وآذَنْتُ أَعْبُدِي، واحْتَمَلْتُ بِأَهْلِي حَتَّى وَردْتُ الجرفَ[8][9]، فرَدَدْتُ الْإِبِلَ على أَرْبابِها وأَقْبَلْتُ أُرِيدُ صَنْعَاءَ فأَصَبْتُ فِيهَا معاذ بن جبل أَمِيرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فبَايَعْتُهُ علَى الإِسْلَامِ وعَلَّمَنِي مِنَ الْقُرْآنِ فَمَنَّ اللهُ عَلَيَّ بِالْهُدَى بَعدَ الضَّلالةِ والْعِلْمِ بَعْدَ الْجَهالَةِ وقُلْتُ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللـهَ عَـادَ بِـفَضْـــلِـهِ فَأَنْقَدَ مِنْ حَرِّ[10] الزَّخيخِ[11] خُنَافِرَا

(1) في الاكتفاء وأمالي القالي: سجِير. شَجِير: الغريبُ والصاحبُ. لسان العرب (شجر).

(2) فِي الاكتفاء: العزام، وفِي أمالي القالي: العُذَام.

(3) الزَّبْرُ: الكتابة، وزَبَرَ الكتابَ يَزْبُرُه ويَزبِرُه زَبْراً كتبه، وقيل: النَّقْشُ في الحجارة. لسان العرب (زبر).

(4) في أمالي القالي: يَذْبُرونَ ذا رَوْنَق، وفي الاكتفاء: يذكرون ذا رونَق.

(5) في أمالي القالي والاكتفاء: فظُلِفْت. وظَلَفه عن الأمر يَظْلِفُه ظَلْفاً منعه. لسان العرب (ظلف).

(6) الهَيْنَمة: الصوت وهو شِبْه قراءة غير بيِّنة. لسان العرب (هنم).

(7) في الأصْلِ: الشَّيَر، وسيشرحهُ المؤلف بالخيرِ، ولم أجد ضبْطَهُ بالياءِ، بل هو بالباءِ.

الشَّبَر: الخير والفضل والعطاء. مقاييس اللغة (شبر).

(8) في الاكتفاء وأمالي القالي: الجوف.

(9) في معجم البلدان مواضِع كثِيرة باسم الجوفِ، ومما اخترته مناسباً للمقامِ قولُهُ: "والجوف أيضا: من أرض مراد، رواه الحميدي الجرف ورواه النّسفي الحول، وهو فاسد، وهو في أرض سبأ". معجم البلدان، الحموِي، 188/2.

(10) في أمالي القالي والاكتفاء: لفح.

(11) في أمالي القالي والاكتفاء: لفح. الزَّخيخُ: النار، يمانية، وقيلَ: هي شدَّة بريق الجمر. لسان العرب (زخخ).

وَكَشَّـــفَ لِي عَن حَجْمَتَيَّ[1] عَمَاهُمَا وَأَوْضَـــحَ لِي نَهْجًا وَقَدْ كَانَ دَاثِرًا[2]
دَعَانِي شِـــصَـــارٌ لِلتِي لَوْ رَفَضْـــتُهَا لَأُصْـــلِيتُ جَمْرًا مِنْ لَظَى الْهَوْبِ وَاهِرَا[3]
فَأَصْبَحْتُ وَالْإِسْـلَامُ حَشْـوُ جَوَانِحِي وَجَـانَبْـتُ مَنْ أَمْسَـــى عَنِ الْحَقِّ نَـائِرَا
وَكَانَ مُضِـــلِّي مَنْ هُدِيتُ بِرُشْـــدِهِ فَلِلـهِ مُغْوٍ عَـادَ بِـالرُّشْـــدِ آمِرا
نَجَوْتُ بِحَمْـدِ اللهِ مِنْ كُـلِّ فَجْعَةٍ[4] تُوَرِّثُ هلْكًا يَوْمَ[5] شَـايَعْتُ شَـاصِـرَا[6]

والشَّجِيرُ: الصَّدِيقُ، والشِّيَرُ: الْخَيْرُ، حُرِّكت ياءُهُ لِلسَّجْعِ، والأُوَارُ: شِدَّةُ الْحَرِّ، والزَّخِيخُ: النَّارُ بِلُغَةِ الْيَمَنِ، والْحَجْمَتَانِ: العَيْنَانِ بِلُغتِهِم أيْضًا، والْهَوْبُ: النَّارُ بِهَا، ونَائِرا: نَافِرا.

وكانَ لِمرداس السّلميّ صَنَمٌ يُقَالُ لَهُ: ضمَار، وهُوَ حَجَرٌ، فلَمَّا احْتَضَرَ مِرْدَاسُ قالَ لِابْنِهِ عبَّاسٍ: أَيْ بُنيَّ اعْبُدْ ضمَارًا فَإِنَّهُ يَنْفعُكَ ويَضُرُّكَ، فبيْنَمَا عَبَّاسٌ عِنْدَ ضِمَار إِذْ سَمِعَ مِنْ جَوْفِ ضمَار مُنَادِيًا يقولُ:

قُـلْ لِلْقَبَـائِـلِ مِـنْ سُـــلَيمٍ كُـلِّهَـا أَوْدَى[7] ضـــمَار وَعَاشَ أَهْلُ الْمَسْـــجِدِ
إِنَّ الـذِي وَرِثَ الـنُّـبُـوءَةَ وَالْـهُـدَى بَعْـدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَـدِي
أَوْدَى ضِـــمَـار وَكَـانَ يُـعْـبَـدُ مَـرَّةً قَبْـلَ الْكِتَـابِ إِلَى النَّبِيءِ مُحَمَّـدِ[8]

فَأَحْرَق العبَّاسُ ضمارًا، فلَحِقَ بِالنَّبيءِ ﷺ فأَسْلَمَ[9].

وكَانَ العبّاس بن مِرداس فِي لِقَاحٍ[10] لَهُ نِصْف [110و] النَّهارِ، فاطَّلَعَتْ عَلَيْهِ نَعَامَةٌ بَيْضَاءُ عليْهَا رَاكِبٌ علَيْهِ ثِيَابٌ بِيضٌ، فقَالَ لِي: يا عبَّاس بن مِرْدَاس، أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّماءَ كَفَّتْ أَحْرَاسَها، وأَنَّ الْحَرْبَ جَرَعَتْ أَنْفَاسَها، وأَنَّ الْخَيْلَ وَضَعَتْ أَحْلَاسَها، وأَنَّ الذِي أُنْزِلَ علَيْهِ البِرُّ والتَّقْوَى يَوْمَ الاثْنَيْن لَيْلَة الثُّلَاثَاء صَاحِب الْقصْوَى. قالَ: فخَرَجْتُ مَرْعُوبًا قَدْ رَاعَنِي مَا رَأَيْتُ وَسَعَيْتُ حَتَّى جِئْتُ وَثَنًا يُقَالُ لهُ الضّمار، وكُنَّا نَعْبُدُهُ ونُكَلِّمُ مِنْ جَوْفِهِ، فكَنَسْتُ مَا حَوْلَهُ ثُمَّ تَمَسَّحْتُ بِهِ، فإِذَا صَائِحٌ يَصِيحُ مِنْ جَوْفِهِ:

---

(1) يقصِد العيْنيْن.

(2) الدُّثور: الدروس. قيده بالتاء وهو بالثاءِ.

(3) الهوب: اسم النار، واشتعال النار ووهجها يمانيَّة. لسان العرب (هوب).

واهر: لَهَبٌ واهِرٌ ساطِعٌ. لسان العرب (وهر).

(4) في الاكتفاء وأمالي القالي: قحْمَة.

(5) في الأصْلِ: يوماً، وينكسر الوزن به.

(6) الأبيات من الطويل، والقصة في أمالي القالي، 169/1، والاكتفاء، الكلاعِي، 178/1-179،

(7) أَوْدَى الرجلُ هَلَكَ فهو مُودٍ. لسان العرب (وِدِي).

(8) الأبيات من الكامل.

(9) الاكتفاء، الكلاعِي، 179/1-180.

(10) لقاح: جمعُ لِقْحَة وهِي: الناقة حِينَ يَسمنُ ولدها، حتى يمضِي له سبعة أشهُرٍ.

قُلْ لِلْقَبَائِلِ الْأَبْيَاتِ.

فخرَجْتُ مذْعُورًا حَتَّى جِئْتُ قَوْمِي، فقَصَصْتُ عَلَيْهِم الْقِصَّةَ وأَخْبَرْتُهُم الْخَبَرَ، فخَرَجْتُ في ثَلَاثِ مِئَةٍ مِنْ قَوْمِي مِن بَنِي حَارِثَةَ[1]، إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْمَدِينةِ، فدَخَلْنَا الْمَسْجدَ فلَمَّا رآنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ تَبَسَّمَ وقَالَ لِي: يَا عبَّاسُ كيْفَ إِسْلَامُكَ؟ فقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ، قَالَ: صدَقْتَ، فَأَسْلَمْتُ أنَا وَقَوْمِي[2].

وكانَ لبَنِي عُذْرَةَ[3] صَنَمٌ يُقالُ لَهُ: طارق[4]، فلمَّا بَعَثَ اللهُ رسُولَهُ ﷺ سُمِعَ مِنْ جَوْفِهِ صَوْتٌ: يا طَارِق، بُعِثَ النَّبِيءُ الصَّادِق، جَاءَ بِوَحْيٍ نَاطِق، ثُمَّ وَقَعَ الصَّنَمُ لِوَجْهِهِ فتَكَسَّرَ، فأَتَيْتُ النَّبِيءَ ﷺ فأَخْبَرْتُهُ قالَ: ذَلِكَ مِنْ مُؤْمِنِ الْجِنِّ[5].

وكانَ العوام بنُ جُهَيل[6] مِنْ همَدَانَ يَسْدنُ يَغُوثَ. قالَ: كُنْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ ذَاتِ رِيحٍ وبَرْدٍ ورَعْدٍ وبَرْقٍ، فِي بَيْتِ الصَّنَمِ، فسَمِعْتُ هاتِفًا مِنَ الصَّنَمِ: يَا ابْنَ جُهَيْل[7]، حَلَّ الْوَيْلُ بالأَصْنَام، هذَا نُورٌ ساطِعٌ مِنْ أَرْضِ الْحَرَام [قَارَبَ الأَطَام، ثُمَّ انْتَشَرَ فِي يَمَن وشَام][8]، فَوَدِّعْ يَغُوثَ بِالسَّلام. فكَتَمْتُ ما سَمِعْتُ، [حَتَّى كُنْتُ فِي مِثْلِ تِلْكَ اللَّيْلةِ مِنَ الْعَامِ الثَّانِي][9] إِذِ الْهَاتِفُ يقُولُ:

هَـلْ تَسْـمَعنَّ الْقَوْلَ يَـا عَوَامِي[10]
أَوْ قَـدْ صَـمِمْـتَ عَنْ نَبَـا[11] الْكَلَام
قَـدْ كُشِـفَـتْ حَنَـادِسُ[12] الظَّلَام
وَأَصْـفَقَ[13] النَّـاسُ عَلَى الْإِسْـلَام

فقُلْت:

يَا أَيُّهَا الْهَاتِفُ بِالنُّوام

(1) في الروض: بني جارِيَة، وفي هواتف الجنان: بني الحارِث.

(2) القصة في الروض الأنف، السهيلي، 261/7، وهواتف الجنان، ابن أبي الدنيا، ص74.

(3) بنو عُذْرَة بن سعد وهم: عامر، بطن وكبير بن عُذْرة، بطنٌ، ورفاعة بن عُذرة. جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص448.

(4) في عيون الأثَر: خُمَام.

(5) أورد المؤلّف القِصَّة مختصرة، ينظر: عيون الأثَر، ابن سيد الناس، 156/1، وبحار الأنوار، 598/6.

(6) في الأصل: جميل، والتصحيح من أسد الغابة.

(7) في الأصل: جميل، والتصحيح من أسد الغابة.

(8) العبارة ليست في أسد الغابة ولا الإصابة.

(9) العبارة ليست في أسد الغابة ولا الإصابة.

(10) على الهامِشِ دون إشارة إلى موضِعِهِ: وعوامِي إضافة للعلم إلى الياءِ. وفي الإصابة وأسد الغابة: عوام.

(11) في الإصابة وأسد الغابة: مَدَى.

(12) في الإصابة وأسد الغابة: دياجِرُ.

(13) من الصفقة وهوَ الاجتماع، أيْ اجتمعوا عليهِ.

لَسْتُ بِذِي وَقْرٍ عَنِ الْأَنَام[1]

فقَالَ:

ارْحَلْ عَلَى اسْمِ اللهِ وَالتَّوْفِيق
إِلَى فَرِيقٍ خَيْرِ مَا فَرِيق
إِلَى النَّبِيءِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوق
تَفُزْ بِدِينٍ غَيْرِ مَا مَمْدُوق [2]

فَجِئْتُ فِي وَفْدِ هَمَدَانَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فأَسْلَمْتُ وأمرْتُ بِكَسْرِ الصّنَمِ[3].

والمدق: الخلط[4].

وكَانَ إِيَاس فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَأْتِي إِلَى صَنَمٍ يَعْبُدُهُ، ودَعَاهُ يَوْمًا فكلَّمه فلَمْ يُكَلِّمْهُ. فقَالَ: لَا أَخْرُجُ مِنْ عِنْدِكَ حَتَّى تُكلِّمنِي. فَجَلَسَ طَوِيلًا فقَالَ لهُ هَاتِفٌ: أَيُّها الْجَالِسُ قَدْ تَفَرَّقَ الْأَبْلَاس، ولَحِقَتْ بأرضِ الأقتابِ والأحلاس. وكانَ عندَ خروجِ النَّبيءِ ﷺ[5].

ورُوِيَ عن عمر الهدَلي أَنَّهُ قال: حَضَرْتُ مَعَ رَجُلٍ مِن قَوْمِي صَنَمًا سواغًا[6]، وقَدْ سِيقَتْ إِلَيْهِ الذَّبائِح، فكُنْت أَوَّلَ مَن قرَّبَ إِلَيْهِ بَقَرَةً سَمِينَةً، فذبَحْتُها لِلصَّنَمِ. فسمِعْتُ مِنْ جَوْفِهِ: الْعَجَب كُلّ العُجَابِ: نَبِيءٌ بَيْنَ [110ظ] الأخاشِب، يُحَرِّمُ الزِّنا والذَّبْحَ لِلْأَصْنَامِ [وحُرِسَتِ السَّماءُ، ورُمِينَا بِالشُّهُب][7] ففَرَّقَنا فقَدِمْنَا مَكَّةَ، فلَقِينَا أَبَا بَكْر الصِّدِّيقَ ﷺ فقُلنَا: أَخَرَجَ أَحَدٌ بِمَكَّةَ يدْعُو إِلَى اللهِ تعَالَى؟ فقَالَ: ومَا ذَلكَ؟ فأَخْبَرْناهُ الْخَبَرَ، قالَ: نَعَمْ، هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ دعانِي إِلَى الْإِسْلَامِ، فقُلْتُ: حَتَّى أَرَى مَا يَفْعَلُ قَوْمُنا، ويَا لَيْتَنَا أَسْلَمْنَا[8].

قالَ أبو رياب[9]: كنتُ مولَعًا بالصَّيْدِ مستَهْتِرًا فِي أَمرِهِ، وابْتُلِيتُ بأَن لا تعِيشَ لِي جارِحَةٌ مِنْ جَوَارِحِهِ، فشَكَوْتُ ذلكَ إِلَى صَنَمٍ لَنَا، يقَالُ لَهُ: قراض[10]، بعْدَ أَنْ ذَبَحْتُ لَهُ ذَبِيحَةً وأطَفْتُ بِهِ،

(1) في الإصابة وأسد الغابة: الكلام.

(2) هذا الشطْرُ من الرَّجزِ ليسَ فِي أسد الغابة ولا في الإصابة، وفيهما شطر لم يَذكره المؤلِّفُ.

(3) ينظر القصة فِي: أسد الغابة، ابن الأثِير، ص969، والإصابة، ابن حجر، 547/7.

(4) لم أقف على اللفظ في المعاجِمِ.

(5) لم أقف على الخبر.

(6) في الإصابة: سواع، وليس في كتاب الأصنام ذكر لسواغ.

(7) العبارة لم تذكر في الإصابَة، وقد ذكرها أبو نعيم، في قصة تتداخل مع هذه القِصَّة، دلائل النبوة، ص121.

(8) القصة في الإصابة، ابن حجَر، 391/7، ولم يرِو نهاية القِصَّة كما رواها المؤلِّف هنا، ولم أشر إلى الاختلاف مخافة التَّطوِيلِ.

(9) في فنون العجائِب: عن عبد الله بن أبي ذُباب عن أبِيهِ. وذكر في أسد الغابة القصة مختصرة، فقال كما في فنون العجائِبِ. أسد الغابة، ابن الأثِير، ص1316.

(10) في فنون العجائِب: فراض.

وقُلْتُ:

قِـرَاضُ أَشْـــكُـو هـلْـكَ الْـجَـوَارِحْ مِـنْ طَـائِـرٍ ذِي مَـخْـلَـبٍ وَنَـابِـح
وَأَنْـتَ لِـلْأَمْـرِ الشَّـــدِيـدِ الْـفَـادِح فَـافْـتَـحْ فَـقَـدْ أُهِّـلْـتَ لِـلْـمَـفَـاتِـح

فأجابَنِي من الصَّنَمِ مجيبٌ:

دُونَـكَ كَـلْـبًـا سَـــادِكًـا مُـبَـارَكَـا يَصِـــيـــدُكَ الْأَوَابِـدَ الْـبَـوَارِكَـا
تَـرَاهُ فِـي أَنْـحَـارِهِـنَّ سَـــالِـكَـا[1]

ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى رَحْلِي فوَجَدْتُ كلْبًا هَائِلًا، واسْمُ الْكَلْبِ: حياض، فصارَ يُرْغِدُ عيْشَهُ بالصَّيْدِ الكثِيرِ كلَّ يومٍ، إِلَى أَنْ شَاعَ ظُهُورُ النَّبيءِ ﷺ وأَقْبَلَ إِلَى الْحَيِّ إِنْسانٌ، فحَدَّثَ أَبَا رِيابٍ بِحَدِيثِ النَّبيءِ ﷺ، وحِيَاض هذَا مُصِيخ ثُمَّ صارَ لَا يَصيدُ شَيْئًا، وكُلَّما أشلاهُ[2] أبو رياب على شيءٍ لَمْ يَمْتَثِلْ وسَالَمَ الصَّيْدَ.

فبيْنَمَا أَبُو رِيابٍ يسِيرُ يَوْمًا فِي الظَّهيرةِ وهُوَ يُفَكِّرُ فيمَا دَهَاهُ مِنْ كَلْبِهِ حياض، إِذْ رَأَى رَجُلَيْنِ عظِيمَيْنِ خَلْقًا، أَحَدُهُمَا رَاكِبٌ عِير وحش والآخَرُ راكِبٌ قرهبا[3]، وَوَرَاءَهُما عَبْدٌ أَسْوَد يقُودُ كلْبًا عَظِيمًا شَنِيعَ الْمَنْظَرِ فصَاحَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ بِحِياض:

وَيْلَـكَ يَـا حِيَـاضُ لَا تَصِـــدْ شَـــيْ ئًـا إلا مـا حـوتْـهُ الْـبِـيـدُ
الـلـهُ أَعْـلَـى وَلَـهُ الـتَّـوْحِـيـدُ وعـبـدُهُ مـحـمَّـدٌ ســـديـدٌ
يَـا وَيْـلَ قِـرَاضٍ لَـهُ الـتَّـنْـكِـيـدُ قَـدْ ضَـــلَّ لَا يُبْـدِي وَلَا يُعِيـدُ[4]

فَانْصَرَفا وَقَد ذلَّ الكلبُ حياض ذُلًّا شَدِيدًا.

قال أَبُو رياب: فلَمَّا جنَّ اللَّيلُ اسْتَلْقَيْتُ علَى فِراشِي مُتَفَكِّرًا، فسَمِعْتُ حِسَّ الْكَلْبِ الذِي كان يقُودُهُ الغُلَامُ قَدْ دَخَلَ فَوَثَبَ إِلَيْهِ حياض فقَالَ: أَخْفِ أَمْرَكَ حَتَّى أَنْظُرَ أَنَائِمٌ هُو، أَمْ يقْظَانُ. ثُمَّ تطَاوَلَ يَنْظُرُ فتَنَاوَمْتُ لَهُ، فقَالَ: هُوَ نَائِمٌ. فقَالَ لهُ الْكَلْبُ الدَّاخِلُ إِنَّ الرَّجُلَيْنِ الذَيْنِ كُنْتُ خلفَهُمَا هُمَا مِنْ عُظَمَاءِ الزَّواجِرِ مِن الجِنِّ، وقَدْ أَسْلَمَا وآمَنا بِالنَّبيءِ ﷺ وأَمَرَهُما بقَتْلِ شيَاطِينِ الْأَوْثَانِ، وقَالَا: مَا تَرَكْنَا حيَاضًا أمْسِ إلاَّ لِضُعْفِهِ وعِلْمِهما أَنَّهُ يَهْرُبُ إِذَا سَمِعَ بهِما. ثُمَّ ذَكَرَ هذَا الكَلْبُ المُتَحَدِّثُ أَنَّهُما نَكَّلَا بِهِ؛ لِأَنَّهُ شَيْطانُ وَثَنٍ يارِق وأَرَادَا قَتْلَهُ إِلَى أن اسْتَوْثَقا منْهُ أَنَّهُ يَفِرُّ عنْ وَثَنِهِ ولَا يَقْرَبُهُ أَبَدًا. فقَالَ له حياضٌ: فمَا تَرَى لِي قالَ: الذِي أَرَى لِنَفْسِي، وهُوَ الفِرَارُ إِلَى الهِنْدِ، فهَرَبَا مَعًا، فأَوْقَعَ اللهُ في قَلْبِهِ الإِسْلامَ والْهِجْرَةَ إِلَى النَّبيءِ ﷺ [111و] فعَرَضَ ذلِكَ علَى قَوْمِهِ، فَسَفَّهوهُ وعنَّتوهُ علَى تَرْكِ دِينِهِ ودِين

(1) من الرَّجزِ.

(2) أَشْلَيْت الكَلْبَ بمعنى أَغْرَيْته. لسان العرب (شلي).

(3) القَرْهَب من الثيران المُسِنُّ الضَّخْمُ. لسان العرب (قرهب).

(4) تختلف عن رواية فنون العجائِبِ. لم أقفْ على الأبيات في المصادِر.

آبائِهِ فَأَظْهَرَ موَافَقَتَهُمْ، وإنْ ذلِكَ علَى وَجْهِ الاسْتِشَارَةِ لَهُمْ، وهُوَ على مَا عَزَمَ علَيْهِ، حَتَّى اسْتَغْفَلَهُم.

قالَ: فقَصَمْتُ الصَّنَمَ حُطَامًا، ووَفِدْتُ علَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فأَتَيْتُهُ يَوْمَ الجُمُعةِ، فكُنتُ أَسْفَلَ مِنْبَرِهِ فَصَعِدَ فخَطَبَ، فقالَ بعْدَ أنْ حَمِدَ اللهَ تعالَى وأثنَى عَلَيْهِ: إنِّي لَرَسُول اللهِ إلَيْكُمْ، نَبِيءٌ بالآياتِ والعَجَائِبِ والبَيِّناتِ، وإنَّ أَسفَلَ مِنْبَرِي هَذَا الرَّجُلُ مِن سَعْدِ الْعَشِيرةِ قَدِمَ يُرِيدُ الإِسْلامَ، ولَمْ أرَهُ قَطُّ ولَمْ يرَنِي إلاَّ في ساعَتِي هَذِهِ، ولَمْ أُكَلِّمْهُ ولَمْ يُكَلِّمْنِي وسيُخْبِرُكم بَعْدَ أنْ أُصَلِّيَ عَجَبًا.

قَالَ: فَصَلَّى النَّبِيءُ ﷺ وقَد امْتَلأْتُ رُعْبًا، فلَمَّا صَلَّى قَالَ: ادْنُ لِي يا أخَا سَعْد العَشِيرة، حدِّثْنا خَبَرَكَ وخبرَ حياض وقراض وما سَمِعْتَ وما رأَيْتَ، فقُمْتُ على قَدَمِي وحَدَّثْتُهُ والمسْلِمُون يسْمَعُونَ، حتَّى أَتَيْتُ علَى آخِر حَدِيثِي فرَأَيْتُ وَجْهَ رسُولِ اللهِ ﷺ كأَنَّهُ لِلسُّرورِ مذهْبٌ، فدَعَانِي للْإِسْلامِ وتَلَا عَليَّ الْقُرْآنَ، فأَقَمْتُ عِنْدَهُ حِينًا ثُمَّ استَأْذَنْتُهُ فِي القُدوم عَلَى قوْمِي فأَتَيْتُهُمْ وَرَغَّبْتُهُمْ في الإِسْلَام فأسْلَمُوا، وأَتَيْتُ بِهِم النَّبِيءَ ﷺ وفِي ذَلِكَ أقُولُ:

تَبِعْتُ رَسُــولَ اللهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى ... وَخَلَّفْتُ قِرَاضًــا بِدَارِ هَــوانِ
شَــدَدْتُ عَلَيْهِ شِــدَّةً فَتَرَكْتُهُ ... كَأَنْ لَمْ يَكُنْ. وَالدَّهرُ ذُو حَدَثَانِ
رَأَيْتُ لَهُ كَلْبًا يَقُومُ بِأَمْرِهِ ... يُهَدِّدُ بِالتَّنْكِيلِ وَالرَّجَفَانِ
وَلَمَّا رَأَيْتُ اللهَ يُظْهِرُ دِينَهُ ... أَجَبْتُ رَسُولَ اللهِ حِينَ دَعَانِي
وَأَصْبَحْتُ لِلْإِسْلامِ -مَا عِشْتُ- نَاصِرًا ... وَأَلْقَيْتُ فِيهِ كَلْكَلِي وَجِرَانِي
فَمَنْ مُبْلِغٌ سَعْدَ الْعَشِيرَةِ أَنَّنِي ... شَرَيْتُ الذِي يَبْقَى بِمَا هُوَ فَانِي؟[1]

والعِير: الحِمَار، والْقَرْهَب: الثَّورُ الضَّخْمُ، والكَلْكَلُ: صَدْر كُلِّ شَيْء، وكَذَا الْجِرَان.

واللهُ أعْلَمُ ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

67 وَفَازَ بَنُو [2] سَعْدٍ بِسَعْدٍ وَإِنَّمَا ... أَضَاعَ لَهُمْ عَرْفًا رَضَاعُكَ عَدْنَانِي
68 فَدَرَّتْ لَهُمْ شَاةٌ وَأَرْبَدَ شَارِفٌ ... وَكَانَتْ قَدِيمًا لاَ تَبِضُّ لِعَطْشَانِ
69 وَكَانَ لَهَا الأغنامُ إذ ذاكَ جُفَّلًا ... بِشَأْنٍ وَأَغْنَامُ الْمَرَاضِعِ فِي شَأْنِ
70 وجاءَتْكَ أملاكُ السَّمَاءِ بِأَرْضِهَا ... فَأَخْرَجَ ذَا الْقَلْبَ الْكَرِيمَ الْكَرِيمَانِ
71 وعنْهُ أَزَاحَتْ مَا أَزَاحَتْ وَأَثْبَتَتْ ... وَقَدْ مَلَأَتْهُ كُلَّ عِلْمٍ وَإِيمَانِ

وفَازَ بنُو سَعْدٍ بسَعْدٍ، أيْ: سَعَادَة أو رَسُول الله ﷺ، وإنَّما أَثْبَتَ لَهُمْ شَيْئًا عَظِيمًا دِينِيًّا ودُنْيَوِيًّا شَبِيهًا بالرَّائِحَةِ الطَّيِّبَةِ، رَضَاعُكَ فِيهِمْ إذْ أرضعَتْهُ حَلِيمَةُ، بِفَتْحِ الحَاءِ وكَسْرِ اللَّامِ، وهِيَ منْهُمْ يا نَبِيءَ عَدْنَانِي.

(1) الأبيات من الطويل. القصة في فنون العجائِبِ، النقاش، ص223.

(2) في الأصلِ: بنوا، والألف يضيفها المؤلف في مثل هذه المواضِعِ.

و"دَرَّتْ لَهُمْ" بِسَبِبكَ؛ [111ظ] أيْ: أخْرَجَت الدَّرَّ، وهُوَ اللَّبَنُ، شَاةٌ حقِيرَةٌ قَبْلُ وعَظِيمةٌ بعْدَ كَوْنِ النَّبِيءِ فيهِمْ ﷺ، وشَاةٌ كَبِيرَةُ السِّنِّ حَتَّى كانَ لِلَبَنِهَا زَبَدٌ أو زُبْدٌ، ومِنْ قَبْلِكَ لا تُخْرِجُ قَلِيلًا مِنَ اللَّبَنِ لمُحْتَاجٍ إِلَيْهِ، كمَا يَحْتَاجُ العَطْشانُ لِلْمَاءِ.

سَقَتْكَ حلِيمَةُ لَبنَها فَسَقَتْهَا وقَبِيلَهَا الشّاةُ اللَّبَنَ. و"تَبضُّ": بالضَّادِ المعْجَمَة تسْمَحُ وبالْمُهْمَلَة تَلْمَع.

وكان لِلْقَبيلَةِ بني سعدٍ الأَغْنَامُ مُمْتَلِئَة الضّرُوعِ لَبَنًا، حِينَ ذَلِكَ المذْكُورِ مِنْ رَضَاعِ النَّبِيءِ ﷺ فيهِمْ مَوْجُودٌ. بِسَبَبِ شَأْنٍ عَظِيمٍ هُوَ كَوْنُهُ ﷺ فِيهِمْ وَرَضِيعًا، وذَلِكَ بَعْدَ مَا اخْتَصَّ الْخَيْرُ بِهَا؛ لِيَعْلَموا أنَّ مَا أصَابَهُمْ مِنَ الْخَيْرِ بِبَرَكَتِهِ ﷺ. وأَغْنَامُ السِّخالِ[1] الرَّضِيعَاتِ فِي شَأْنٍ آخَر هُوَ الهُزَالُ وعَدَمُ اللَّبَنِ.

وجاءَكَ أَمْلاكٌ مِن أَمْلاكِ السَّماءِ، حَالَ كَوْنِكَ فِي أَرْضِ بَنِي سعْدٍ، فأَخْرَجَ هذَا الْقَلْبَ الكَرِيمَ، قلْبَ النَّبِيءِ ﷺ، القَرِيب مِنَّا بِالْحُبِّ لَهُ والشُّعُورِ بِهِ، الْمُتَأَهِّل لِلْحُضُورِ فِي مَقامِ الْخَيْرِ، الملَكَانِ الكَرِيمَانِ.

وأَبْعَدَتِ الملَائِكَةُ مَا فِيهِ مِمّا يُطبَعُ عَلَيْهِ الْبَشَرُ مِنْ مَسَاوِئِ الْقَلْبِ، فِي ضِمْنِ إِخْرَاجِ الْعَلَقَةِ، ومَلَأَتْهُ بِكُلِّ علْمٍ كَتَبَهُ اللهُ لهُ وإِيمَانٍ.

وثُلَاثِيُّ "أضَاعَ": ضَاعَ يضُوعُ؛ أيْ: ظَهَرَتْ رائِحَتُهُ. و"عَرْفًا": مَفْعُول بِهِ، أيْ: أرَاحَهُمْ رَائِحَةً. وإِسْنَادُ الإِضَاعَةِ للرّضاعِ تَجَوُّزٌ فِي الإِسْنَادِ وَحَقِيقَتُهُ أظْهَرَ اللهُ. و"عَدْنَانِيّ": بيَاءِ النَّسَبِ مُنَادَى لِمَحْذُوف.

و"شَاة" و"شَارِف": بِالْإِفْرَادِ والتَّنْكِيرِ تَمْثِيلٌ بِالوَاحِدَة، أو اسْتَعْمَلَ النَّكِرَةَ فِي الْعُمومِ الشُّمُولِيّ معَ الإِثْبَاتِ علَى القِلَّةِ.

و"أَمْلَاك": لِلْحَقِيقَةِ أو تَقْدِير مُضَافٍ؛ أيْ: بَعْضُ أَمْلَاك السَّمَاءِ. وإِسْنَادُ الإِخْرَاجِ لِلْأَمْلَاكِ، وكَذَا الإِزَاحَةِ؛ أيْ: الإِبْعَاد كل لَا كُلِّيَّة. وأَصْلُ مَلَكٍ "مَلْأَك"، بِهَمْزَةٍ مَفْتُوحَةٍ بَعْدَ لَامٍ سَاكِنَةٍ كَقَوْلِهِ:

وَلَسْتَ لِإِنْسِيٍّ وَلَكِنْ لِمَلْأَكٍ تَنَزَّلَ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ[2]

وقيلَ: أَصْلُهُ "مَأْلَك" بِهَمْزَةٍ سَاكِنَةٍ ولامٍ مَفْتُوحَةٍ، مِنَ الأُلُوكَة وهِيَ الرِّسالَة، والْمِيمُ زَائِدٌ عَلَى القَوْلَيْن. وقِيلَ: المِيمُ أَصْلٌ، ولَا هَمْزَة مُقَدَّرة، ويُنَاسِبُهُ الْجَمْعُ علَى أَمْلَاك، وَأَمَّا الجَمْعُ علَى ملَائِكَة فيُنَاسِبُ الأَوّل.

ولَمّا وُلِدَ رسُولُ اللهِ ﷺ نادَى مَلَكٌ بَيْنَ السَّماءِ والأرض، كمَا رُوِيَ أوْ لِسَانُ الحَالِ: مَنْ يكْفُلُ هذِهِ الدُّرَّةَ التِي لَا نَظِيرَ لَهَا؟ قالَت الطُّيُورُ: نَحْنُ، والوُحُوشُ نَحْنُ، والأَنْعَام نَحْنُ، فنُودِيَ: قَضَى اللهُ

(1) السَّخْلَةُ ولد الشاة من المَعَز والضَّأْن ذكراً أَو أُنثى والجمع سَخْلٌ وسِخَالٌ. لسان العرب (سخل).

(2) البيت من الطويل في مجاز القرآن لأبِي عبيدة، 33/1، وقد ذكر المحقق مضان البيتِ والاختلافات في عزوه.

بِهِ لِحَلِيمَةَ الحلِيمَةِ[1]؛ أيْ: لِأَنَّها أَعْقَلُ نِسَاءِ بَنِي سَعْد.

ويُرْوَى أنَّ عبْدَ المطَّلِبِ سَمِعَ عِنْدَ دُخُولِ حَلِيمَةَ هاتِفًا يقُولُ:

إِنَّ ابْـنَ آمِـنَـةَ الْأَمِـيـنَ مُـحَـمَّـدًا خَـيْـرُ الْأَنَـامِ وَخِـيـرَةُ الْأَخْـيَـار
مَـا أن لَـهُ غَيْر الْحَلِيمَـةِ مُرْضِـعَـهْ نِـعْـمَ الْأَمِـيـنَـةُ ذِي عَـلَـى الْأَبْـرَار
مَـأْمُـونَـةٌ مِـنْ كُـلِّ عَـيْـبٍ فَـاحِـشٍ وَنَـقِـيَّـةُ الْأَثْـوَابِ وَالْأَزْرَار
لَا تُسْـلِـمَـنْـهُ إِلَـى سِـوَاهَـا إِنَّـهُ أَمْـرٌ وَحُـكْـمٌ جَـا مِـنَ الْـجبَّـار[2][3]

وهِيَ حَلِيمَةُ بنْتُ أَبِي ذُؤَيْب عبْدِ اللهِ بنِ الْحَارِث، وقِيلَ: بِنْتُ أَبِي ذُؤَيْب الحَارِثِ بنِ عَبْدِ اللهِ[4].

قالَ عطَاء بنُ يَسَار: جَاءَتْ حَلِيمَةُ بنْتُ أَبِي ذُؤَيْب إِلَى النَّبِيء ﷺ يَوْمَ حُنَيْن، فقَامَ إِلَيْهَا وبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ فَجَلَسَتْ عَلَيْهِ[5].

قالَتْ: قَدِمْتُ مَكّةَ فِي نِسْوَةٍ مِنْ نِسَاءِ بَنِي سَعْدِ بنِ بَكر، نلْتَمِسُ الرُّضَعَاءَ فِي سَنِة شَهْبَاءَ؛ أيْ: مُجْدِبَةٍ عَلَى أَتَان لي؛ أيْ: حِمارٍ أُنْثَى، ومَعِي صَبِيٌّ لنَا وشَارِفٌ لَنَا، واللهِ مَا تَبِضُّ لَنَا بِقَطْرَةٍ؛ أيْ: مَا تَسْمَحُ بِهَا أوْ مَا تَلْمَعُ بِها، ومَا نَنَامُ لَيْلَنَا أَجْمَع، وصَبِيُّنَا لَا يَجِدُ فِي ثَدْيِي مَا يُغْنِيهِ، ولَا فِي شَارِفِنَا مَا يُغَذِّيهِ. والشَّارِفُ: النَّاقَةُ الكَبِيرَةُ السِّنِّ، أشْرَفَتْ عَلَى الْهَلَاكِ لِكِبَرِهَا. ومَا عَلِمْتُ امْرَأَةً إلاّ عُرِضَ علَيْهَا رَسُولُ [112و] اللهِ ﷺ فتَأْبَاهُ، إِذَا قِيلَ: يَتِيمٌ. وأَخَذَتْ كُلُّ امْرَأَةٍ رَضِيعًا غَيْرِي فلَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ، فقُلْتُ لِزَوْجِي: إِنِّي واللهِ لَأَكْرَهُ أَنْ يَرْجِعَ صَوَاحِبِي بِرُضَّعٍ غَيْرِي، فَوَاللهِ لآخُذَنَّ ذَلِكَ الْيَتِيمَ، فأَتَيْتُهُ فإِذَا بِهِ مُدْرَجٌ فِي ثَوْبِ صُوفٍ، أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ يَفُوحُ مِنْهُ الْمِسْكُ، وتَحْتَهُ حَرِيرَةٌ خَضْرَاءُ، رَاقِدٌ عَلَى قَفَاهُ، يَغُطُّ؛ أيْ: يَنْفُخُ، فأَشْفَقْتُ أَنْ أُوقِظَهُ مِنْ نَوْمِهِ لِحُسْنِهِ وجَمَالِه، فدَنَوْتُ مِنْهُ رُوَيْدًا فوَضَعْتُ يَدِي عَلَى صَدْرِهِ فتَبَسَّمَ ضَاحِكًا، ففَتَحَ عَيْنَيْهِ يَنْظُرُ إِلَيَّ، فخَرَجَ مِنْ عَيْنَيْه نُورٌ حَتَّى دَخَلَ خِلَالَ السَّماءِ، وأَنَا أَنْظُرُ فقَبَّلْتُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وأَعْطَيْتُهُ ثَدْيِي الأَيْمَنَ فأَقْبَلَ عَلَيْهِ بِمَا شَاءَ مِنْ لَبَنٍ، فَحَوَّلْتُهُ إِلَى الْأَيْسَرِ فَأَبَى، وكَانَتْ تِلْكَ حَالُهُ بَعْدُ؛ أيْ: أَلْهَمَهُ اللهُ أَنَّ لَهُ شَرِيكًا، وأَلْهَمَهُ الْعَدْلَ. قالتْ: فَرَوَى وَرَوَى أخُوهُ، ثُمَّ أَخَذْتُهُ فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ جِئْتُ بِهِ رَحْلِي فقَامَ صَاحِبِي؛ تعْنِي زَوْجَهَا، إِلَى شَارِفِنَا تِلْكَ فَإِذَا إِنَّها لَحَافِلٌ، فَحَلَبَ ما شَرِب، وَشَرِبْتُ حتَّى رَوِينَا، وبِتْنَا بِخَيْرِ لَيْلَةٍ. فقَالَ صَاحِبِي: يَا حَلِيمَةُ واللهِ إِنِّي لَأَرَاكِ قَدْ أَخَذْتِ نسمةً

(1) ينظَر: المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 150/1.

(2) الأبيات من الكامل، والقصة فِي شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 264/1.

(3) أضاف المؤلِّف هذِهِ القصة والنقلينِ الموالِيَيْنِ على هامِشٍ طوِيلٍ، وكأنَّه اطّلع عليها بعد أن كتب هذه الورقةَ، بدلِيلِ أنَّ نقلَهُ متواصِلٌ من كتابِ المواهِبِ، وهذه القِصة والنقلانِ كله من شرْحِ المواهِبِ.

(4) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 265/1.

(5) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 265/1، والاستيعاب، ابن عبد البر، 1813/4.

مبَارَكَةً، أَلَمْ تَرَيْ مَا بِتْنَا بِهِ اللَّيْلَةَ مِنَ الْخَيْرِ والبَرَكَةِ حِينَ أَخَذْنَاهُ، فلَمْ يَزَل اللهُ يَزِيدُنَا خَيْرًا[1].

وفِي رِوَايَةٍ: لَمَّا نَظَرَ صَاحِبِي إِلَى هَذَا قالَ لِي: اسْكُتِي واكْتُمِي أَمْرَكِ، فَمِنْ لَيْلَةِ وُلِدَ هَذَا الغُلَامُ أَصْبَحَت الأَحْبَارُ قُوَّامًا عَلَى أَقْدَامِهَا، لَا يَهْنَؤُهَا عَيْشُ النَّهارِ ولَا نَوْمُ اللَّيْلِ[2].

فوَدَّعَت النِّساءُ بَعْضَهُنَّ بَعْضًا. ووَدَّعَتُ أُمَّ النَّبِيءِ ﷺ ثُمَّ رَكِبْتُ أَتَانِي وَأَخذْتُ مُحَمَّدًا بَيْنَ يدَيَّ فنَظَرْتُ إِلَى الأَتَانِ وقَدْ سَجَدَتْ إِلَى الْكَعْبَةِ ثَلاثَ سَجْدَاتٍ، ورَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ مَشَتْ حَتَّى سَبَقَتْ دَوَابَّ النَّاسِ، وصَارَ النّاسُ يَتَعَجّبونَ مِنِّي، وتَقُولُ النِّساءُ وهُنَّ ورَائِي: يَا بنْتَ أَبِي ذؤيب، هَذهِ أَتَانُكِ التِي كُنْتِ علَيْهَا وأَنْتِ جَائِيَةٌ مَعَنَا تخْفِضُكِ مَرّةً وتَرْفَعُكِ أخْرَى؟ فأَقُولُ: تَاللهِ إِنّهَا هِيَ. فيَتَعَجَّبْن مِنْهَا[3] ويَقُلْنَ: إِنَّ لَهَا لَشَأْنًا عَظِيمًا. وكُنْتُ أَسْمَعُ أَتَانِي تَقُولُ: وَاللهِ إِنَّ لِي لَشَأْنًا ثُمّ شَأْنًا، بَعَثَنِي اللهُ بَعْدَ مَوْتِي، وَردَّ لِي سِمَنِي بَعْدَ هُزَالِي، ويْحَكُنَّ يَا نِسَاءَ بَنِي سعْدٍ، إِنَّكُنَّ لَفِي غَفْلَةٍ، وهَلْ تَدْرِينَ مَنْ عَلَى ظَهْرِي؟ خَيارُ النَّبِيئِينَ وسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، وخَيْرُ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ، وحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ[4].

والنَّسْمَةُ: الشَّخْصُ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى. وسَجَدَت الأَتَانُ شُكْرًا بِإِلْهامٍ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَ ﷻ. وفِي كَوْنِ السُّجودِ ثَلاثًا إِشَارَةٌ إِلَى الْوَحْدَانِيَّةِ للهِ تعَالَى، وإِلاّ فالشُّكْرُ حَصَلَ بوَاحِدَةٍ، وزَادَتْ مَا يكُونُ السُّجودُ بِهِ وتْرًا لِلتَّوْحِيدِ، ورَفَعَتْ رَأْسَهَا لِلسّماءِ دُعَاءَ أَنْ يُوصِلَ اللهُ نَبِيئَهُ ﷺ [112ظ] بلادَهَا مُسْتَرِيحًا عَلَيْهَا. واللهُ أَعْلمُ.

ورَقَدَ عَلَى قَفَاهُ: لِلْمُشَاهَدَةِ لِمَا يَنْزِلُ ولِلْوَحْيِ بَعْدُ، وكَذَا الصَّالِحُونَ لِلْمُشَاهَدَةِ، ورُقَادُ الأَوْلِيَاءِ عَلَى الْيَمِينِ لِيَتَعَلّقَ القَلْبُ فَلَا يسْتَغْرِقَ فِي النَّوْمِ، ورُقَادُ الْحُكَماءِ علَى الْأَيْسَرِ لِلْاِسْتِرَاحَةِ، والرُّقادُ عَلَى الْوَجْهِ رُقُودُ الشَّيَاطِينِ.

قالَتْ: وقَدِمْنَا منَازِلَ بَنِي سَعْدٍ ولَا نَعْلَمُ أَرْضًا أَجْدَب مِنْهَا، وكَانَتْ غَنَمِي تَرُوحُ عَلَى حِينِ قَدِمْنَا بِهِ شُبَّاعًا لُبَّنًا، فنَحْلِبُ ونَشْرَبُ وَمَا يَحْلِبُ إِنْسَانٌ قَطْرَةَ لَبَنٍ ولَا يَجِدُهَا فِي ضِرْعٍ. حتَّى كَان الْحَاضِرُ مِنْ قَوْمِنَا يقُولُونَ لِرُعيَانِهِمْ: اسْرحُوا حَيْثُ يَسْرَحُ رَاعِي غَنَمِ بنت أبي ذؤيب. فتَرُوحُ أغنَامُهُمْ جِياعًا مَا تَبِضُّ بقَطْرَةِ لَبَنٍ، وَتَرُوحُ أَغْنَامِي شُبَّاعًا لُبَّنًا[5].

قالَتْ حَلِيمةُ: لَقَدْ كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَمُسُّ ضرْعَ شَاةٍ لَنَا، يُقَال لها ضلال، فَمَا يطلب مِنْهَا

(1) المواهب اللدنية، القسطلّاني، 151/1.

(2) (م، س)، 152/1.

(3) في الأصل: منه.

(4) المواهب اللدنية، القسطلّاني، 152/1-153.

(5) (م، س)، 153/1.

لَبَنَ سَاعَةٍ منَ السَّاعَاتِ إلاَّ حَلَبَتْ صَبوحًا وعَبُوقًا، ومَا عَلَى الْأَرْضِ شَيْءٌ تَأْكُلُهُ دَابَّةٌ[1].

وَهذَا أَوَّلَ الْأَمْرِ، ثُمّ عمَّ الْخَيْرُ بَنِي سَعْدٍ لِيَعْلَمَ العَاقِلُ أَنّ ذَلِكَ بِبَرَكَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. ومَا زَالَتْ مَوَاشِي حَلِيمَةَ تَنْمُو ثُمّ كانَ ذَلِكَ لِبَنِي سَعْدٍ.

لَقَدْ بَلَغَتْ بِالْهَاشِمِيّ حَلِيمَةٌ ... مَقَامًا عَلَا فِي ذِرْوَةِ الْعِزّ وَالْمَجْدِ

وَزَادَتْ مَوَاشِيهَا وَأَخْصَبَ رَبْعُهَا ... وَقَدْ عَمَّ هَذَا السَّعْدُ كُلَّ بَنِي سَعْدِ[2]

وكانت تَقُولُ فِي تَرْقِيصِهِ ﷺ:

يَا رَبّ إِذْ أُعْطِيتُهُ فَأَبْقِهِ ... وَأَعْلِهِ إِلَى الْعُلَا وَأَرْقِهِ

وَادْحِضْ أَبَاطِيلَ الْعِدَا بِحَقِّهِ[3]

وكانَت الشَّيْمَاءُ أُخْتُهُ مِنَ الرَّضَاعِ تَحْضُنُه وتُرَقِّصُهُ وتقُولُ:

هَذَا [أَخٌ لِي][4] لَمْ تَلِدْهُ أُمِّي ... وَلَيْسَ مِنْ نَسْلِ أَبِي وَعَمِّي

فُدِيتُهُ مِنْ مُخْوِلٍ مُعِمّي ... فَأَنْمِهِ اللَّهُمَّ فِيمَا يُنمي[5]

والمُخوِل والْمُعِمّ: بِضَمِّ الْمِيمِ وكَسْرِ الوَاوِ والعَيْنِ، الْجَيِّدُ الخَالِ والجَيِّدُ الْعَمِّ.

وقالَتْ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ كانَ عِنْدَهَا:

يَا رَبَّنَا أَبْقِ لَنَا مُحَمَّدَا ... حَتَّى أَرَاهُ يَافِعًا وَأَمْرَدَا

ثُمَّ أَرَاهُ سَيِّدًا مُسَوَّدَا ... وَاكْبِتْ أَعَادِيهِ مَعًا وَالْحَسَدَا

وَأَعْطِهِ عِزًّا يَدُومُ أَبَدا [6]

قالَ العبّاس بن عبد المطّلب: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: دعَانِي إِلَى الدُّخُولِ فِي دينِكَ أَمَارَةٌ لِنُبُوءَتِكَ، رأَيْتُكَ فِي مَهْدِكَ تُنَاغِي القَمَرَ وتُشِيرُ إِلَيْهِ بِإِصْبِعِكَ، فَحَيْثُ أَشَرْتَ إِلَيْهِ مَالَ. قَالَ: ((**إِنِّي كُنْتُ أُحَدِّثُهُ ويُحَدِّثُنِي ويُلْهِينِي عَن الْبُكَاءِ، أَسْمَعُ وَجْبَتَهُ حِينَ يَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ**))[7]. والتَّنَاغِي: مَا يُشْبِهُ مِنَ الصَّبِيِّ الكَلَام قَبْلَ أَنْ يتَكَلَّمَ، ونَاغَتْهُ أُمُّهُ: لاطَفَتْهُ بالمحَادَثَةِ والملَاعَبَةِ.

---

(1) ينظر: تاريخ ابن الوردِي، 99/1.

(2) البيتان من الطَّوِيل، المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 153/1 دون نسبة كأنّهما من نظمِهِ.

(3) الأبيات من مشطور الرَّجز. المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 153/1. نقلا مِن كتاب "التَّرقِيص" لأبِي عبد الله محمد بن المعلَّى الأزدِي.

(4) المواهب اللدنية: أخَيّ.

(5) الأبيات من الرَّجَز. المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 154/1.

(6) الأبيات من مشطور الرَّجز. الإصابة، ابن حجر، 733/7. وشرح المَواهِب، الزرقاني، 275/1،

(7) البيهقِي وغيره، دلائل النبوة، 41/2.

وفِي سَنَد الْحَدِيثِ إبراهيم الجيلي[1]، وهُوَ مَجْهُولٌ[2]. والحدِيثُ غَرِيبُ الإِسْنَاد والْمَتْنِ، وهُوَ فِي الْمُعْجِزَاتِ حَسَنٌ[3].

ورُوِيَ أَنَّهُ ﷺ تكَلَّمَ فِي أَوَّلِ مَا وُلِد وقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ[4]. ويُرْوَى أنَّ مَهْدَهُ يَتَحرَّكُ بتَحْرِيكِ الملائِكَةِ[5].

قالَ ابن عبّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: ((**كَانَتْ حَلِيمَةُ تُحَدِّثُ أَنّ رسُولَ اللهِ ﷺ تكلَّم أَوَّلَ مَا فَطِمَتْهُ فقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرا، والْحَمْدُ للهِ كثِيرًا، وسُبْحانَ اللهِ بُكرَةً وأصِيلا، وَلَمَّا تَرَعْرَع كانَ يَخْرُجُ فيَنْظُر إِلَى الصِّبْيَانِ يلْعَبُونَ فيَجْتَنِبُهُمْ**))[6].

قال ابْنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنْهُمَا: كانَتْ حَلِيمَةُ لَا تَدَعهُ يَذْهَبُ بَعِيدًا فغَفَلَتْ عَنْهُ، فخَرَجَ معَ أُخْتِهِ الشّيماء [113و] فِي الظَّهِيرَةِ إِلَى الْبَهْمِ، وهِيَ أَوْلَادُ الْغَنَمِ الصِّغَار، فخَرَجَتْ حَلِيمَةُ تَطْلُبُهُ، حَتَّى وَجَدَتْهُ مَعَ أُخْتِهِ، فقَالَتْ: فِي هَذَا الْحَرِّ؟ فقَالَتْ أُخْتُهُ: مَا وَجَدَ أَخِي حَرًّا، رأَيْتُ غمَامَةً تُظِلُّ عَلَيْهِ، إِذَا وَقَفَ وَقَفَتْ، وإِذَا سَارَ سَارَتْ حَتَّى انْتَهَى إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ[7].

وكَانَ ﷺ يَشِبُّ شَبَابًا لا يَشِبُّهُ الغِلْمَانُ. قالَتْ حَلِيمَةُ: فَلَمَّا فَصلتهُ قَدِمْنَا بِهِ عَلَى أُمِّهِ، ونَحْنُ أَحْرَصُ شَيْءٍ علَى مُكْثِهِ فِينَا، لِمَا نَرَى مِنْ بَرَكَتِهِ [أَيْ: أَحْرَصَ علَى مكثِهِ حِرْصًا أَعْظَمَ مِنْ حرصِ كُلِّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُحِبُّهُ، فهَذَا أَشَدُّ مُبَالَغَةً مِن أَنْ تَقُولَ أَحْرَص النَّاسِ][8]، فقُلْنَا لِأُمِّهِ: اتْرُكِيهِ فينَا حَتَّى يَغْلُظَ، فإِنَّا نَخْشَى علَيْهِ وَبَاءَ مَكَّةَ، فلَمْ نَزَلْ بِهَا حَتَّى رَدَّتْهُ ﷺ معَنَا فرَجَعْنَا بِهِ، فوَاللهِ إِنَّهُ لَبَعْدَ مَقْدَمِنَا بِشَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ مَعَ أَخِيهِ مِنَ الرَّضاعِ، لَفِي بَهْمٍ لَنَا، خَلْفَ بُيُوتِنا جَاءَ أخُوهُ يَشْتَدُّ، فقالَ: ذَاكَ أَخِي القُرَيْشِيُّ قَدْ جاءَهُ رَجُلَانِ عَلَيْهِما ثِيَابٌ بِيضٌ، فأَضْجَعَاهُ وشَقَّا بطْنَهُ، فخَرَجْتُ أَنَا وأَبُوهُ نَشْتَدُّ نَحوَهُ، فنَجِدُهُ قَائِمًا مُنتقِعًا لَوْنُهُ فاعْتَنَقَهُ أَبُوهُ، وقَالَ لهُ أبوهُ: أَيْ بُنَيَّ مَا شَأْنُكَ؟ قالَ: جَاءَنِي رَجُلانِ علَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ فأَضْجَعَانِي، فشَقَّا بَطْنِي ثُمَّ اسْتَخْرَجَا مِنْهُ شَيْئًا فطَرَحَاهُ ثُمَّ رَدَّاهُ كَمَا كَانَ فرَجَعْنَا بِهِ مَعَنَا. فقَالَ أَبُوهُ: يا حَلِيمةُ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يكُونَ ابْنِي قَدْ أُصِيبَ فانْطَلِقِي نَرُدُّهُ إِلَى أَهْلِهِ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ بِهِ

---

(1) أحمد بن إبراهِيم الجِيلِي، هكذا ذكرهُ في المواهِبِ، وفي دلائل النبوة: أحمد بن إبراهِيم الحلبِي، ترجم له الرازِي في الجرح والتعدِيلِ، قال: سألت أبِي عنهُ، وعرضت عليهِ حدِيثه فقال: لا أعرفه وأحادِيثه باطلة موضوعةٌ كلُّها، ليسَ لها أصولٌ يدلُّ حدِيثه على أنَّه كذَّابٌ. 40/2.

(2) البيهقِي، دلائل النبوة، 41/2.

(3) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 154/1، عن الصابوني، في المئتين.

(4)فِي فتح البارِي، ابن حجر، 480/6، عن سيرة الواقدِي، ولم يذكر فيه "الله أكبر". المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 155/1.

(5) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 155/1، عن ابن سبع في الخصائِص.

(6) ابن عساكر، تاريخ دمشق، 474/3، ودلائل النبوة، البيهقي، 140/1.

(7) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 155/1، عن ابن عساكر، تاريخ دمشق،360/4، وغيره.

(8) العبارة من كلام المؤلِّفِ.

مَا نتَخَوَّفُ علَيْهِ. قالَتْ حلِيمَةُ: فاحْتَمَلْنَاهُ حَتَّى قَدِمْنَا بِهِ إِلَى أُمِّهِ فقَالتْ: مَا ردَّكُما بهِ وقَدْ كُنْتُما حَرِيصَيْنِ علَيْهِ؟ قُلْنَا: نَخْشَى علَيْهِ الإِتْلَافَ والأَحْدَاثَ، فقَالَتْ: ما ذَاكَ بِكُما؟ فاصْدُقَانِي شَأْنَكُما، فلَمْ تَدَعْنا حَتَّى أخْبَرْنَاها خَبَرَهُ. قالَتْ: أَخَشِيتُما علَيْهِ الشَّيطانَ، كلَّا واللهِ ما لِلشَّيطَانِ عَلَيْهِ سَبِيلٌ، وَإِنَّهُ لَكَائِنٌ لابْنِي هذَا شأْنٌ، فدَعَاهُ عَنْكُمَا[1].

وعن شَدَّاد بنِ أَوْس أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: ((**كُنْتُ مُسْتَرْضِعًا فِي بني ليث[2] بنِ بَكْر فبَيْنَما أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ فِي بَطْنِ وَادٍ، مَعَ أَتْرابٍ لِي مِنَ الصِّبْيَانِ، إِذَا أَنَا بِرَهْطٍ ثَلَاثَةٍ، مَعَهُمْ طسْتٌ منْ ذَهَبٍ، مَلِيءٍ ثَلْجًا فأَخَذُونِي مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِي، وانْطَلَقَ الصِّبْيَانُ هِرَابًا مُسْرِعِينَ إِلَى الْحَيِّ فعَمدَ أَحَدُهُم فأَضْجَعَنِي علَى الْأَرْضِ إِضْجَاعًا لَطِيفًا، ثُمَّ شَقَّ مَا بَيْنَ مِفْرَقِ صَدْرِي إِلَى مُنْتَهَى عانَتِي، وأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ، لمْ أَجِدْ لِذَلِكَ مَسًّا، ثُمَّ أَخْرَجَ أَحْشَاءَ بَطْنِي، ثُمَّ غسَلَها بِذَلِكَ الثَّلْجِ، فأَنْعَمَ غَسْلَها، ثُمَّ أعادَهَا مكَانَها، ثُمَّ قامَ الثَّانِي فقَالَ لِصَاحِبِهِ: تَنَحَّ ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَوْفِي، وأَخْرَجَ قَلْبِي وأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ، فصدعهُ ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْهُ مُضْغَةً سَوْدَاءَ، فرَمَى بِهَا، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ يُمنَةً ويسْرَةً؛ [أيْ: أَخَذَ الْخَاتَمَ مِنْ جِهَةِ اليَمِينِ، وكَانَ فِي حريرَةٍ، فجَعَلَهَا عَنْ يَسَارِهِ بَعْدَ أَخْذِ [113ظ] الْخَاتَمِ مِنْهَا][3] فَإِذَا بِخَاتَمٍ فِي يَدِهِ مِنْ نُورِهِ يَحَارُ النَّاظِرُ دُونَهُ، فخَتَمَ بِهِ قَلْبِي فَامْتَلَأَ نُورًا، وذَلِكَ نورُ النُّبُوءَةِ والْحِكْمَةِ، ثُمَّ أعَادَهُ مَكَانَهُ فوَجَدْتُ بَرْدَ ذَلِكَ الْخَاتَمِ فِي قلْبِي دَهْرًا، ثُمَّ قالَ الثَّالِثُ لصَاحِبِهِ: تَنَحَّ فأَمَرَّ يَدَهُ بَيْنَ مَفْرِقِ صَدْرِي إِلَى منْتَهَى عَانَتِي، فَالْتَأَمَ ذَلِكَ الشَّقُّ بِإِذْنِ اللهِ تعالَى، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ فأَنْهَضَنِي مِن مَكَانِي إِنْهَاضًا لَطِيفًا، ثُمَّ قالَ لِلْأَوَّلِ زِنْهُ بِعَشْرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنُونِي بِهِمْ، فَرَجَحْتُهُم ثُمَّ قالَ: زِنْهُ بِمئةٍ مِنْ أُمَّتِهِ فرَجَحْتُهُمْ، ثُمَّ قالَ: زِنْهُ بِأَلْفٍ، فرَجحْتُهُم فقَالَ: دَعُوهُ فلَوْ وَزِنْتُموهُ بِأُمَّتِهِ كُلِّها لرَجَحَهُم، ثُمَّ ضَمُّونِي إِلَى صُدُورِهِم وقَبَّلوا رَأْسِي وما بَيْنَ عَيْنيَّ ثُمَّ قالُوا: يَا حَبِيبُ لمْ تُرَعْ، لَوْ تَدْرِي مَا يُرادُ بِكَ مِنَ الْخَيْرِ لَقَرَّتْ عَيْنَاكَ**))[4].

قالَ ابن دريد: الْحِكْمَة: الْعِلْمُ المقْرُونُ بالْعَمَلِ، والإِرَاعَةُ: التَّخْوِيفُ، والرَّوعُ: الخَوْفُ.

والثَّلاثةُ جِبْرِيلُ ومِيكَائِيلُ وإِسْرَافِيلُ، وذَكَرَ بَعْضٌ أَنَّه غُسِلَ قَلْبُهُ فِي الطُّفُولِيَّةِ قَبْلَ الْمُرَاهَقَةِ لِيُقَدَّسَ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ دَمِيمٍ، ويُنَقَّى مِنْ مَظْهَرِ الشَّيْطَانِ، وعِنْدَ رَفْعِهِ لَيْلَةَ الإِسْراءِ و.....[5] ذَلِكَ لِيَتَحَمَّلَ ما هنَالِكَ منَ الْعَجَائِبِ والْفَرَائِضِ، وذَلِكَ فِي أَوائِلِ النُّبوءَةِ، وغُسِلَ أَيْضًا قَرِيبًا مِنْ عَشْرِ سِنِينَ عِنْدَ مُرَاهَقَتِهِ وقُرْبِ تَكْلِيفِهِ.

---

(1) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 1/155-156.

(2) في المواهب: بني سعدٍ، وهو المشهورُ.

(3) العبارة من كلام المؤلِّفِ.

(4) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 1/156-157.

(5) كلمة غير واضِحة.

قالَ ثابت البناني عَنْ أَنَس عَنْهُ ﷺ: ((**أُتِيتُ فَانْطُلِقَ بِي إِلَى زَمْزَمَ، فشرحَ عَنْ صَدْرِي، ثُمَّ غُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ أعادَهُ كَمَا كَانَ**))[1].

وعَنْ أَبِي ذَرّ عَنْهُ ﷺ: ((**فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عليه السلام ففَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَم، ثُمَّ جَاءَ بِطسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وإِيمَانًا، فأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي فأَطْبَقَهُ وأَخَذَ بِيَدِي وعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ**))[2] وهذَا الشَّقُّ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ.

وَفِي روَايَةٍ: ((**انْطُلِقَ بِي إِلَى زَمْزَم، فشُرِحَ عَنْ صَدْرِي ثُمَّ غُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَم**))[3] وهَذَا فِي صِغَرِ سنِّهِ عِنْدَ المُرَاهَقَةِ فيمَا أَظُنُّ. وعَنْ أَبِي ذَرّ: ذَلِكَ بِبَطْحاء مَكَّةَ، وعَنْ أَنَس: كانَ ذَلِكَ وهُو نَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ، وعَنْ أَنَس: بَيْنَ النَّائِمِ واليَقْظَانِ[4].

وعَن ابْنِ عَبَّاسٍ: ((**جَاءَنِي ابْنِي ضمرة يَعْدُو فَزِعًا وجَبِينُهُ يَرْشحُ بَاكِيًا يُنَادِي: يَا أَبَاهُ يا أُمَّاهُ الْحَقَا مُحَمَّدًا فمَا تَلْحَقَانِه إِلَّا مَيِّتًا، أَتَاهُ رَجُلٌ فَاخْتَطَفَهُ مِنْ أَوْسَاطِنا وعَلَا بِهِ ذرْوَةَ الْجَبَلِ حَتَّى شَقَّ صَدْرَهُ إِلَى عَانَتِهِ**))[5].

وفِي روَايَةٍ: ((**قَالَ جِبْرِيلُ: قَلْبٌ وَكِيعٌ؛ أيْ: شَدِيدٌ، فِيهِ عَيْنَانِ تُبْصِرانِ، وأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ، ثُمَّ قالَ: زِناهُ بِعَشْرَةٍ** إلخ))[6].

وفي هَذِهِ الرِّوايةِ[7] أَنَّهُ ﷺ قال: ((**أَتَانِي رَهْطٌ ثَلَاثَةٌ بِيَدِ أَحَدِهِم إِبْرِيقٌ مِنْ فِضَّةٍ وفِي يَدِ الثَّانِي طَسْتٌ مِنْ زمردَةٍ خَضْرَاءَ**)) الحديث[8].

ووَرَدَ فِي خَبَرِ التَّابوتِ والسَّكينةِ أَنَّهُ كانَ فيهِ الطّسْتُ الذِي غسلَت فِيهِ قُلُوبُ الأَنْبِئاءِ، كما رُوِي عنْ أَبِي مَالِك عن ابْنِ عَبَّاس[9]، فقِيلَ: لَيْسَ ذلِكَ مِنْ خُصُوصِيَّتِهِ ﷺ.

الجوابُ: أَنَّهُ ﷺ خُصَّ بتَكْرِيرِ الشَّقِّ بلْ بالشّقِّ أيْضًا، وقُلُوبُ الأَنْبِئَاءِ غُسِلَتْ بِلَا شَقٍّ، وخُتِمَ قَلبُهُ ﷺ إِشَارَةً إِلى خَتْمِ النُّبوءَةِ والرِّسالَةِ. وفيهِ أَنَّهُ قيلَ: ليسَ الخَاتَمُ خَاصًّا به، وعلَيْهِ فخَاتَمُهُ يُمَيِّزُهُ عنْ

---

(1) الحدِيث أضافه المؤلِّف على الهامِشِ، ورد بمعناه فِي صحيح مسلم، حدِيث (162).

(2) صحيح البخارِي، حدِيث (3342).

(3) صحيح مسلم، حدِيث (162) ودلائل النبوة، البيهقِي، 147/1.

(4) الفقرة أضافها المؤلِّف على الهامِشِ.

(5) دلائل النبوة، البيهقِي، 140/1، والمواهب اللدنية، 157/1.

(6) الرواية أضافها المؤلِّف على الهامِشِ، وقد ورد بمعناه في سنن الدَّارمِي، حدِيث (54).

(7) رواية ابن عباس فِي دلائل النبوة، البيهقِي، 140/1.

(8) دلائل النبوة، البيهقِي، 140/1، والمواهب اللدنية، 157/1.

(9) ينظر: المواهب اللدنية، القسطلانِي، 158/1، وفي تفسِير الطبرِي الذي نقل منه القسطلانِي: عَنْ أَبِي مَالِكٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: 248] قَالَ: طَسْتٌ مِنْ ذَهَبٍ مِنَ الْجَنَّةِ، كَانَ يُغْسَلُ فِيهِ قُلُوبُ الْأَنْبِيَاءِ". جامع البيان، الطبرِي، 470/4.

أَهْلِ زَمَانِهِ وخَاتَمُهُ أعْظَمُ وأَبْيَنُ لَهُ مِن خَواتِمِ الأنبيَاءِ، وأَعْظَمُ مِنْهَا وأَبْهَى شَكْلًا وأَفْخَمُ، والمُرادُ بوَزْنِهِ إِظْهَارُ رُجْحَانِهِ في الْفَضْلِ، وإِنَّما يُوزَنُ بعُظَمَاءِ الْمُسْلِمينَ مِنْ أُمَّتِهِ، والمرادُ أنْ يُخْبِرَ الرَّسولُ ﷺ بذلِكَ أمَّتَهُ ويُعتقَدُ ذلكَ. وشُقَّ صدْرُهُ الشَّريف أيضًا ﷺ مَرَّةً أُخرَى عِنْدَ مَجِيءِ جِبْرِيلَ لهُ بِالْوَحْيِ فِي غار حراء، ومرَّةً أُخْرَى عندَ الإِسْرَاءِ بهِ، ويَأْتِي كُلٌّ في مَوْضِعِهِ إنْ شَاءَ اللهُ عِندَ ذِكْرِ النَّاظِمِ.

ورُوِي الشَّقّ أيضًا وهُوَ ابنُ عَشْرٍ أو نَحْوهَا مَعَ قِصَّةٍ لهُ مع عَبْدِ المطَّلِبِ، ورُوِي شقٌّ خامِسٌ لا يَثْبُتُ[1].

والْحِكمَةُ فِي شَقِّ صَدْرِهِ الشَّريفِ ﷺ في حَالِ صِبَاهُ واسْتِخْرَاجِ العَلَقَةِ مِنْهُ، تَطْهِيرُهُ عنْ حالَاتِ الصِّبا، حَتَّى يتَّصِفَ فِي سِنِّ الصّبَا بأَوْصَافِ الرُّجُولِيَّةِ، ولِذَلِكَ نَشَأَ علَى أَكْمَلِ الأَحْوَالِ مِنَ الْعِصْمَةِ[2].

ورُوِيَ أَنَّهُ خُتِمَ بِخَاتَم [114و] النُّبوءَةِ بَيْنَ كتِفَيْهِ، وكانَ يشمُّ[3] مِسْكًا وإِنَّهُ مثْل زِرِّ الحَجْلَة، وجمع فيه خِيلَان[4] كَأَنَّها التَّآلِيلُ[5] السُّودُ عنْدَ نَغْضِ[6] كَتِفِهِ[7]، ويُرْوَى غُضْرُوف كَتِفِهِ اليُسْرَى، ويُرْوَى الأَيْمَنِ، ويُرْوَى كبَيْضَةِ الحمَامَةِ[8].

وزِرُّ الْحَجَلة: بيْضَتُهَا كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ التِّرْمِذِيّ[9]، وقِيلَ الزِّرّ: بَيْتٌ كالْقُبَّة، والخِيلَانُ: النّقط، والتّولولة: قُرْحَةٌ قَدْرَ الحمّصةِ، ونَغْضُ الْكَتِفِ: أعلَاهُ، والغُضْرُوفُ: عَظْمٌ يَلِي العَضُدَ والمُرَادُ عِنْدَ قُرْبِ نَغْضِ الْكَتِفِ؛ وَسُمِّيَ نَغْضًا لِتَحَرُّكِهِ.

ويُرْوَى: شَعْرٌ مُجْتَمِعٌ، ورُوِيَ: مِثْلُ السّلعة[10]، وَهِيَ مَاءٌ أَصْفَر يَنْصَبُّ فِي مَحلٍّ مِنَ الْبَدَنِ ثُمَّ يَصِيرُ لَحْمًا أَصْفَر، وهُوَ مَرَضٌ.

ورُوِيَ بضْعةٌ نَاشِزَةٌ، ورُوِيَ مثْلُ شَيْءٍ يُخْتَمُ بِه، ويُرْوَى مِثل البَنْدَقَة، ويُرْوَى كالتُّفّاحَةِ[11].

ويُرْوَى كالْجُمعِ، وَهُوَ الكَفُّ والأَصَابِعُ معَ اجْتِمَاعٍ لهَا إِلَى الْكَفِّ.

ويُرْوَى: كَأَثَرِ الْمِحْجَمَة القَابِضَةِ علَى اللَّحْمِ، ويُرْوَى شَامَةٌ خَضْراءُ غائِرَةٌ فِي اللَّحْمِ، ويُرْوَى:

---

(1) روايات الشق نقلها المؤلف من المواهب اللدنية، القسطلّاني، 1/158-159.

(2) المواهب اللدنية، 1/159.

(3) في المواهِبِ: ينمُّ.

(4) خِيلان: جمع خال وهي الشامَة في الجسد. لسان العرب (خيل).

(5) الثآليل: جمع ثؤلُل، وهو الحَبَّة تظهر في الجِلد كالحِمَّصة فما دونها. لسان العرب (ثأل).

(6) النُّغْضُ والنَّغْضُ والنّاغِضُ أعلى الكتِف وقيل هو العَظْمُ الرَّقِيقُ الذي على طرَفِه. لسان العرب (نغض).

(7) صحيح مسلم، حدِيث، (2346).

(8) المواهب اللدنية، القسطلّاني، 1/160.

(9) سنن الترمذِي، حدِيث (3643).

(10) المواهب اللدنية، القسطلّاني، 1/160.

(11) (م، س)، 1/161.

شَامَةٌ سَوْدَاء تَضْرِبُ إِلَى الصُّفْرَةِ حَوْلَهَا شَعَراتٌ مُتَّصِلَةٌ كعَرْفِ الْفَرَسِ، ويُرْوَى ثَلاثُ شَعراتٍ مُجْتَمِعَات، ويُرْوَى: كبَيْضَةِ الْحَمَامِ مَكْتُوب فِي باطِنِها: اللهُ وحْدَهُ لاَ شرِيكَ لهُ. وفِي ظَاهِرِهَا: تَوَجَّهْ حَيْثُ شِئْتَ، فإِنَّكَ مَنْصُورٌ[1].

ورُوِي: نُورٌ يتَلأْلأ، ورُوِيَ: عدْرَة كعُدْرَة الْحَمَامِ[2]، وهُو دمل صَغِيرٌ يَخْرُجُ فِي دَاخِلِ حَلْقِ الصّغير.

وعِبَارَةُ بَعْضٍ: قرطمَة الْحمامَة[3]، وهِيَ نُقْطتَان عَلَى أَصْلِ مِنْقَارِهِ. ورُوِيَ: مِثْلُ الْبُنْدُقَة مِنْ لَحْم مكتُوبٌ فيهِ باللَّحْمِ: مُحَمَّدٌ رسُولُ اللهِ. وعنْ عائِشَةَ: كَتنيةٍ[4] صَغِيرةٍ، تضْرِبُ إِلَى الدّهْمَةِ وكانَ مِمَّا يَلِي الفِقَارَ، فلَمَسْتُه حِينَ ماتَ فوَجَدْتُهُ قَدْ رُفِعَ[5].

وفي بَعْضِ شرُوحِ البُخَارِي كفتح الباري: لَا يثْبِتُ مَا رُوِيَ مِنْ أنَّ الخاتَمَ كانَ كَأَثَرِ محجمٍ أوْ كالشَّامَةِ السَّوْدَاء أو الخَضْرَاء، مكْتُوبٌ عليْهَا مُحَمَّدٌ رسُولُ اللهِ، ولَوْ صَحَّحهُ ابن حبّان غَفْلَةً. وَفِي شَرْحِ صَحِيحِ ابْنِ حِبَّان[6] فِي حَدِيث: ((**أَنَّهُ مثلُ البُنْدُقَة مَكْتُوبٌ علَيْهِ مُحَمَّدٌ رسُولُ اللهِ**)) أنَّهُ اخْتلطَ علَى بعْضِ الرُّواةِ خَاتَمُ النُّبُوءَةِ بالْخَاتَمِ الذِي كانَ يَخْتِمُ بِهِ[7].

وجَمَعَ بعْضُ العُلَمَاءِ تِلْكَ الرِّوَاياتِ بأَنَّ الخاتَمَ لَحْمٌ مُتَشَخِّصٌ فيهِ شعرَاتٌ هُوَ علَى قَدْرِ الكَفِّ الْمُجْتَمِعَةِ شَكْلًا لاَ كِبَرًا، أو عَلَى قَدْرِ البَيْضَةِ والزّرّة صِغَرًا، أوْ قِيلَ يَصْغُرُ ويكْبُرُ ويكُونُ إلى حُمْرَةٍ وسَوَادٍ وصُفْرَةٍ.

قِيلَ: وهذَا الْخَاتَمُ أَثَرُ شَقِّ الملَكيْنِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ. ويُبْحَثُ بأنّ الشّقَّ فِي أَسْفَلِ صَدْرِهِ وفِي بطْنِهِ كمَا قالَ أَنَس: فلَقَدْ رأَيْتُ أَثَرَ الْمَخِيطِ فِي صدْرِهِ[8].

ويُجَابُ بأَنَّ في حَدِيثِ [عقبة بن عبد السلميّ][9]: أنَّ الْمَلَكَيْنِ لَمَّا شَقَّا صَدْرَهُ قالَ أحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: [خِطْهُ فخَاطَهُ][10]، وخَتَمَ علَيْهِ بِخَاتَمِ النُّبُوءَةِ[11].

فلَمَّا ثَبَتَ أنّ خَاتَمَ النُّبُوءَةِ كانَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، حَمَلَ عياض ذلِكَ الخاتَمَ علَى أنَّ الشَّقَّ لَمَّا وَقَعَ

---

(1) (م، س)، 161/1.

(2) (م، س)، 162/1.

(3) (م، س)، 162/1.

(4) في المواهب: كتينة.

(5) المواهب اللدنية، 162/1.

(6) هو موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبَّان، لأبِي الحسن الهيثمِي، كما في المواهب اللدنية.

(7) فتح البارِي، ابن حجر، 563/6، وينظر: موارد الظمآن، الهيثمِي، 445/6.

(8) صحيح مسلم، حدِيث، 162.

(9) في فتح البارِي: عتبة، وكذا فِي مسند أحمَد.

(10) فِي مسنَد أحمد: حصه فحاصَهُ.

(11) مسند أحمد، حديث (17648)، وفتح البارِي، ابن حجر، 561/6.

فِي صَدْرِهِ ثُمَّ خِيطَ حَتَّى الْتَأَمَ كمَا كانَ، ووَقَعَ الْخَتْمُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ كانَ ذَلِكَ أثَر الْخَتْمِ.

ويُجَابُ أَيْضًا بأَنَّ قَوْلَهُ: بَيْنَ كَتِفَيْهِ مُتعلِّقٌ بِقَوْلِهِ: بِأَثَرِ الخَتْمِ لَا بِالشَّقِّ كما قِيلَ. ويُجَابُ أَيْضًا بِأَنَّهُ لَمَّا شقَّ وظَهَرَ ومُلِئَ حِكْمَةً [114ظ] وإيمانًا احْتَاجَ لِلْخَتْمِ، فكَانَ إِثْر الشَّقِّ؛ أَيْ: كانَ بَعْدَهُ بنَاءً علَى أَنَّهُ لَمْ يُولَدْ بِالْخَاتَمِ. وصَحَّحَ السُّهَيْلِيّ أَنَّهُ عِنْدَ نغْضِ كَتِفِهِ الْأَيْسَرِ[1].

واختُلِفَ هلْ أُولِدَ بِهِ أَوْ وُضِعَ بَعْدَ وِلَادَتِهِ قَوْلَانِ، ويَدُلُّ لِلثَّانِي حدِيثُ أبي ذرّ قُلْتُ: يَا رسُولَ اللهِ كَيْفَ علِمْتَ أنَّكَ نَبِيءٌ، وبِمَ عَلِمْتَ حَتَّى اسْتَيْقَنْتَ؟ قالَ: ((**أَتَانِي آتِيَانِ**، وَفِي رِوَايَةٍ: **ملَكَانِ، فوَقَعَ أحدُهُمَا بالْأَرْضِ، وكانَ الآخَرُ بَيْنَ السَّماءِ والْأَرْضِ، فقالَ أحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أهُوَ هُوَ؟ قالَ: هُوَ هُوَ، قالَ: فَزِنْهُ بِرَجُلٍ، فوَزَنَهُ فَرَجَحَ فقَالَ: زِنْهُ بِعَشَرَةٍ... الْحَدِيث. ثُمَّ قَالَ أحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: شُقَّ بَطْنَه، فشَقَّ بطْنِي فأَخْرَجَ قلْبِي، فأخرج مِنْهُ مَغْمَزَ الشَّيْطَانِ، وعَلَقَ الدَّمِ فطَرَحَهُمَا. فقَالَ أحدُهُمَا لصَاحِبِهِ: اغْسِلْ بَطْنَهُ غَسْلَ الإِنَاءِ واغْسِلْ قَلْبَهُ غَسْلَ الْملَاءِ.** وفِي رِوَايَةٍ: **وامْسَحْ قَلْبَهُ مَسْحَ الْمُلَاءِ**[2]. **ثُمَّ قَالَ أحَدُهُما لِصَاحِبِهِ: خط بَطْنَهُ فخَاطَ بَطنِي وجَعَلَ الخاتَمَ بَيْنَ كَتِفَيَّ كمَا هُوَ الآنَ ووَلِيَا عَنِّي وكَأَنِّي أَرَى الأَمْرَ مُعَايَنَةً**))[3].

وَأَنَّهُ ﷺ لَمَّا وُلِدَ ذَكَرَتْ أُمُّهُ أنَّ الْمَلَكَ غَمَسَهُ فِي الْمَاءِ الذِي أنْبَعَهُ ثَلَاثَ غَمْسَاتٍ، ثُمَّ أخْرَجَ سَرَقَةً[4] مِنْ حَرِيرٍ بيْضَاء فإِذَا فِيهَا خَاتَمٌ، فضربَ على كَتِفِهِ كالْبَيْضَةِ الْمَكْنُونَةِ تُضِيءُ كالزّهْرَة، وقِيلَ وُلِدَ بِهِ[5]. قِيلَ: هَذِهِ الْحَرِيرَةُ مِنَ الْحَرِيرَةِ التِي قَبَضَ علَيْهَا بِيَدِهِ حِينَ وُلِدَ.

عن وَهْب بنِ مُنَبِّه: لَمْ يَبْعَث اللهُ نَبِيًّا إِلَّا وَقَدْ كانَ علَيْهِ شَامَاتُ النُّبُوءَةِ فِي يَدِهِ الْيُمْنَى إِلاَّ أَنْ يكُونَ نَبِيئنَا ﷺ فإِنَّ شامَةَ النُّبُوءَةِ كانَتْ بَيْنَ كَتِفَيْهِ. فيَكُونُ وَضْعُ الْخَاتَمِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ بِإِزَاءِ قَلْبِهِ مِمَّا اخْتَصَّ بِهِ عَنْ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ[6].

ولمَّا بَلَغَ رسولُ اللهِ ﷺ أَربَعَ سِنِينَ أَوْ خَمْسًا أو سِتًّا أَوْ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا أو اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وشَهْرًا أو عَشَرَةَ أَيَّامٍ أَقْوَالٌ، ماتَتْ أُمُّه بالأبواء، وقِيلَ: بِشعب أبي ذؤيب بالحَجُونِ، وقِيلَ: بِدَارِ رَائعَةَ بِمَكَّةَ، ودُفِنَتْ فِيهَا[7].

---

(1) الروض الأنف، 115/2.

(2) العبارة ليست في المواهِبِ، أضافها المؤلف على الهامِشِ.

(3) مسند البزار، حدِيث (4048).

(4) سَرَقَةٍ مِنْ حَرِير أي قِطْعة من جَيِّد الحرير. لسان العرب (سرق).

(5) المواهب اللدنية، القسطَّلاني، 167/1.

(6) المستدرك، الحاكم، حدِيث (4105).

(7) المواهب اللدنية، القسطَّلاني، 168/1.

ورُوِيَ: أَنَّهُ لـمَّا بَلَغَ رسُولُ اللهِ ﷺ سِتَّ سِنِينَ خرَجَتْ بِهِ أُمُّهُ إِلَى أَخْوَالِهِ بَنِي عَدِيّ بنِ النَّجَّارِ بالمدينة تَزُورُهُمْ ومَعَهَا أمّ أيمن فنَزَلَتْ بِهِ دار التّابعة، فأقَامَتْ بِهِ عِنْدَهُمْ شَهْرًا، فَكَانَ ﷺ يذكُرُ أُمُورًا كانَتْ فِي مقامِهِ ذلكَ ﷺ. وَنَظَرَ إِلَى الدَّارِ وَقالَ: هَاهُنا نَزَلَتْ بِي أُمِّي وَأَحْسَنَت العَوْمَ فِي بِئْرِ بَنِي عَدِيّ بنِ النَّجَّارِ وكَانَ قَوْمٌ مِنَ الْيَهُودِ يَخْتَلِفونَ ويَنْظُرُونَ إِلَيّ. قالَتْ أُمُّ أَيْمَنَ: فسَمِعْتُ أحَدَهُمْ يقُولُ: هُوَ نَبِيءُ هذِهِ الأُمَّةِ، وهَذِهِ دارُ هِجْرَتِهِ. فوَعَيْتُ ذلِكَ كُلَّهُ مِنْ كَلَامِهِمْ ثُمَّ رَجَعَتْ بِهِ أُمُّهُ إِلَى مَكَّةَ، فلَمَّا كَانتْ بِالأَبْوَاءِ تُوُفِّيَتْ[1].

قالَتْ بنت رهم[2] عن أمِّهَا[3]: شَهِدْتُ آمِنَةَ أُمَّ النَّبِيءِ ﷺ فِي عِلَّتِها التِي مَاتَتْ بِهَا وَمُحَمَّدٌ ﷺ غلامٌ يَفِعٌ لَهُ خَمْسُ سِنِينَ فنَظرَتْ إِلَى وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَتْ:

[115و] بَارَكَ رَبِّي فِيكَ مِنْ غُلَام ... يَا ابْنَ الذِي مِنْ حوْمَةِ الْحمَام
نَجَا بِعَوْنِ الْمَلِكِ الْمِنْعَام ... فُودِي غَدَاةَ الضَّرْبِ بِالسِّهَام
بِمِئَةٍ مِنْ إِبِلٍ سَوَام ... إِنْ صَحَّ مَا أَبْصَرْتُ فِي الْمَنَام
فَأَنْتَ مَبْعُوثٌ إِلَى الْأَنَام ... مِنْ عِنْدِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَام
تُبْعَثُ فِي الْحِلِّ وَفِي الْحَرَام ... تُبْعَثُ فِي الْحَقِّ وَفِي الْإِسْلَام
دِينُ أَبِيكَ الْبَرِّ إِبْرَاهَام ... فَاللهُ أَنْهَاكَ عَنِ الْأَصْنَام
أَن لَا تُوَالِيهَا مَعَ الْأَقْوَام[4]

أيْ: فاتَّقِ اللهَ أنْهَاكَ أنَا عَنِ الأَصْنَامِ، ثُمَّ قالَتْ: كُلُّ حَيٍّ مَيِّتٌ وكُلُّ جَدِيدٍ بَالٍ، وكُلُّ كَثِيرٍ يَفْنَى، وأنَا مَيِّتَةٌ وذِكرِي بَاقٍ، وقَدْ تَرَكْتُ خَيْرًا ووَلَدْتُ طهرًا. ثمَّ ماتَتْ فكُنَّا نَسْمَعُ نوحَ الجِنّ عَلَيْها فحَفِظْنَا مِنْ ذَلِكَ:

تَبْكِي الْفَتَاة الْبَرَّة الْأَمِينَة ... ذَات الْجَمَالِ الْعَفَّة الرَّزِينَة
زَوْجَة عَبْدِ اللهِ وَالْقَرِينَة ... أُمّ نَبِيءِ اللهِ ذِي السَّكِينَة
وَصَاحِب الْمِنْبَرِ بِالْمَدِينَة ... صَارَتْ لَدَى حُفْرَتِهَا رَهِينَة[5]
[لَوْ فُودِيَتْ لَفُودِيَتْ ثَمِينَة ... وَلِلْمَنَايَا شَفْرَةٌ سَنِينَة
لَمْ تُبْقِ ظِعَانًا وَلَا ظَعِينَة ... إِلَّا أَتَتْ وَقَطَعَتْ وَتِينَه
أَمَا حَلَلْتِ أَيُّهَا الْحَزِينَة ... عَنِ الذِي ذُو الْعَرْشِ أَعْلَى دِينَه

(1) الطبقات الكبرى، ابن سعد، 1/94-95.

(2) أم سماعة بنت أبِي رهم، لم أقف على ترجمتها.

(3) الخبرُ ورد فِي الحاوِي للفتاوى الحديثِيَّة، السّيوطِي، 222/2 عن أبي نعيم بسندٍ ضعِيفٍ فِي دلائل النُّبوَّة.

(4) الأبيات من مشطور الرَّجَز، في المواهِبِ اللدنية، القسطلَّاني، 169/1 وغيره.

(5) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 169/1-170، عن أبو نعِيم، دون ذكر المصدرِ.

فَكُلُّنَا وَالِهَةٌ حَزِينَةٌ تَبْكِيكِ لِلعُطْلَةِ أَوْ لِلزِّينَةِ
وَلِلضَّعِيفَةِ وَلِمِسْكِينَةِ][1]

وتلكَ الألفاظُ ألْفَاظُ إيمَانٍ مِنْ أُمِّهِ ﷺ لكِنَّ المشهُورَ مَا يُخَالِفُ.

وقد رُوِيَ أنَّ آمنةَ آمَنَتْ بهِ ﷺ بعد موتِها، وفي الحديثِ الصَّحيحِ: ((**زارَ قَبْرَ أُمِّهِ فِي الأَبْوَاءِ فِي أَلْفِ مُقَنَّعٍ**[2]، **فَبَكَى وَأَبْكَى**))[3].

وعنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أنَّ النَّبيءَ ﷺ نزَلَ الحجُونَ كَئِيبًا حَزِينًا، فأَقَامَ بِهِ مَا شاءَ اللهُ ﷻ، ثُمَّ رَجَعَ مَسْرُورًا قالَ: ((**سَأَلْتُ رَبِّي ﷻ فأَحْيَا لِي أُمِّي فآمَنَتْ بِي ثُمَّ رَدَّهَا**))[4].

وَفِي رِوَايةٍ قالَتْ عائِشَةُ: حَجَّ بِنَا رسُولُ اللهِ ﷺ حَجَّةَ الوَدَاعِ فَمَرَّ بِي عَلَى عَقَبَةِ الحجُونِ وَهُوَ بَاكٍ حَزِينٌ مُغْتَمٌّ فبَكَيْتُ لِبُكَائِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ نَزَلَ فقَالَ: ((**يَا حُمَيْرَاءَ اسْتَمْسِكِي، فَاسْتَنَدْتُ إِلَى جَنْبِ الْبَعِيرِ فَمَكَثَ مَلِيًّا، ثُمَّ عاد إِلَيَّ وهُوَ فَرِحٌ مُتَبَسِّمٌ فقَالَ: ذَهَبْتُ لِقَبْرِ أُمِّي فسَأَلْتُ رَبِّي أنْ يُحْيِيهَا، فأَحْيَاهَا فَآمَنَتْ بِي**))[5].

وأَوْرَدَ السُّهَيْلِيّ[6] والخطِيبُ حدِيثَ عَائِشَةَ: أَنَّ اللهَ ﷻ أَحْيَى لَهُ ﷺ أَبَوَيْهِ فَآمنَا بِهِ ﷺ. قالَ السُّهَيْلِيّ: وفِي إِسْنَادِهِ مَجَاهِيل. وقالَ ابْنُ كَثِير: حَدِيثٌ مُنْكَرٌ جِدًّا وسَنَدُهُ مَجْهُولٌ. وقَالَ ابْنُ دِحْيَةَ: حَدِيثٌ مَوْضُوعٌ. وقَالَ غَيْرُهُ: الصَّحيحُ أَنَّهُ ضَعِيفٌ لَا مَوْضُوعٌ[7]. وهُوَ حَدِيثٌ يَرُدُّهُ القُرْآنُ والإِجْمَاعُ[8].

وزَعَمَ بَعْضُ العُلَمَاءِ أَنَّ أَبَوَيْهِ نَاجِيانِ ولَيْسا فِي النَّارِ مُتَمَسِّكًا بنحْوِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ، وتَعَقَّبَهُ آخَرٌ بِأَنَّهُ لَمْ يَرَ أَحَدًا صَرَّحَ بِأَنَّ الإِيمَانَ بَعْدَ انْقِطَاعِ الْعَمَلِ بالْمَوْتِ يَنْفَعُ صاحِبَهُ، فَإِن ادَّعَى أَحَدٌ الخصُوصِيَّةَ فعَلَيْهِ الدَّلِيلُ.

وكذَلِكَ قالَ ابن دحية أبُو الْخَطَّابِ، إِذْ قَالَ: مَنْ مَاتَ كَافِرًا لَمْ يَنْفَعْهُ إِيمَانُهُ بَعْدَ الرَّجْعَةِ، بل لَوْ آمنَ عِنْدَ المعَايَنَةِ لَمْ يَنْفَعْهُ ذَلِكَ، فَكَيْفَ بَعْدَ الإِعَادَةِ[9].

وتعقَّبَهُ القُرْطُبِيُّ: بأَنَّ فضَائِلَهُ ﷺ وخَصَائِصَهُ لَمْ تَزَلْ تتَوَالَى حَتَّى مَاتَ [115ظ] فيَكُونُ هذَا

---

(1) الوزن منكسر وصوابه: وللضعيفات وللمسكينة. الأبيات من مشطور الرَّجز. الأبيات الأربعة الأخِيرة أضافها المؤلِّف من شرح الزرقاني، 313/1.

(2) رجل مُقنَّع: إذا كان غائصا في السلاح.

(3) الروض الأنف، السهيلي، 262/5، وجامع الأصُول، ابن الأثِير، حدِيث (8667). أضاف المؤلِّف هذا الحدِيث في الهامِشِ.

(4) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 171/1، عن الطبرِي دون ذكر المصدرِ.

(5) اللآلئ المصنوعة، السيوطِي، 244/1.

(6) الروض الأنف، 121/2، عن أبي بكر الخطيب البغدادِي فِي "السابق واللّاحق"، لم أقف عليه في المطبوع منه.

(7) العبارة ليست في المواهِب.

(8) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 172/1.

(9) (م، س)، 172/1-173، دون ذكر المصدرِ.

مِمَّا فضَّلَهُ اللهُ بهِ وأَكْرَمَهُ، قالَ: ولَيْسَ إِحْيَاؤهُما وإِيمَانُهُما مُمْتَنِعًا عقْلًا ولَا شرعًا، ولَقَدْ وَرَدَ فِي الكتابِ العَزِيزِ إِحْيَاءُ قَتِيلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وإِخْبارُهُ[1] بقَاتِلِهِ. وكان عِيسَى عليه السلام يُحيِي المَوتَى، وكَذَلِكَ نَبِيُّنَا علَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ أَحْيَى اللهُ عَلى يَدِهِ جمَاعَةً مِنَ الْمَوْتَى، وإِذَا ثَبَتَ هَذَا فَمَا يَمْنَعُ إِيمانهما بَعْدَ إِحْيَائِهِما ويكُونُ ذَلِكَ زِيَادَةً فِي كَرَامَتِهِ وفَضِيلَتِهِ[2].

قُلْتُ: ينَاسِبُهُ قولُهُ تعَالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا﴾[3]؛ فَإِنَّهُ يَدُلُّ أنَّ الْمَوْتَى بَعْدَ رُجوعِهِم إِلَى الدُّنيَا لَوْ رَجَعُوا يكُونُونَ كحَالِهِمْ فيهَا قَبْلَ المَوْتِ فِي الخُرُوجِ عَنْ حَدِّ الآخِرَةِ وأَحْوالِها. وأبَوَاهُ إِنْ أَحْيَاهُما اللهُ فَقَدْ آمَنَا وقَبِلَ إِيمَانَهما؛ لِأَنَّهُما وَلَوْ بقِيَا فِي الْقَبْرِ لكنَّهُمَا كالخَارِجِ فقَدْ عادَا إِلى الحيَاةِ، وخَرَقَ اللهُ المعْتَادَ بِقبُولِ إِيمانِهِما، وإِنَّما الإِيمَانُ الذِي لَا يُقْبَلُ مَا كَانَ بِلَا إِحْيَاءٍ لِلْإِيمانِ، بَلْ كانَ بِمجَرَّدِ العيَانِ لِلْآخِرَةِ، فهُما بَعْدَ مَا عَايَنا آمَنَا اضْطِرَارًا، وَلَمْ يَنْفَعْهُما كما يَصْدُرُ مِنْ كُلِّ مُشْرِكٍ بَعْدَ الْمَوْتِ ولَا يَنْفَعُ. ولمَّا أَحْيَاهُما اللهُ لِلْإِيمانِ فآمنَا أجْزَاهُما. وهَذَا بَيِّنٌ وَلَمْ يظْهَرْ لِقَوْمِنا ولَا عَرَجُوا عَلَيْهِ ولَكِنْ فَرْضُ مَسْأَلَةٍ، ولَمْ يتَحَقَّقْ عِنْدَنَا إِحْيَاءُهُما وإِيمَانُهُما واللهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ.

قال القُرْطُبِيّ: وقَوْلُهُ: ومَنْ مَاتَ كافِرًا إلخ، مَرْدُودٌ بِمَا رُوِيَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى ردَّ الشَّمسَ علَى نَبِيئِهِ ﷺ بَعْدَ مَغِيبِهَا ذَكَرَهُ الطّحاوي[4]، وقَالَ: إِنَّهُ حَدِيثٌ ثَابِتٌ[5].

قالَ ابْنُ حَجَر: مَا ذَكَرَهُ الطَّحَاوِيّ صَحِيحٌ لَا مُضْطَرِبٌ[6].

قالَ القُرْطُبِيّ: فلَوْ لَمْ يَكُنْ رُجُوعُ الشَّمْسِ نَافِعًا، ولَمْ يكُنْ يتَجَدَّدُ بِهِ الْوَقْتُ لَمَّا رَدَّهَا[7].

واللهُ تَعالَى أَعادَ مَعَهُما الزَّمانَ الأَوَّلَ الذِي كانَا كَافِرَيْنِ فِيهِ، وعَلَى هَذَا يَنْفَعُهُما الإِيمَانُ بِخِلَافِ مَنْ أُحْيِيَ، ولَمْ يَعُدْ مَعَهُ الزَّمَانُ الذِي كَانَ فِيهِ كَافِرًا، فنَفَعَهُما إِيمانُهُمَا.

واحْتَجَّ بَعْضٌ علَى نَجَاتِهِمَا بِأَنَّهُمَا مَاتَا قَبْلَ الْبِعْثَةِ فِي زَمن الْفَتْرَةِ، ولَا تَعْذِيبَ قَبْلَها لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾[8][9].

---

(1) في الأصلِ: وإحيَائِهِ والتصحيح من المواهِبِ.

(2) المواهب اللدنية، القسطلّاني، 173/1، عن القرطُبِي في التذكرة، ص140.

(3) سورة الأنعام: 28.

(4) أبو جعفر الطحاوِي: سبقت ترجمته.

(5) المواهب اللدنية، القسطلّاني، 173/1، وشرح مشكل الآثار، الطحاوِي، 142/1.

(6) لم أجد النقل في فتح البارِي.

(7) المواهب اللدنية، القسطلّاني، 173/1، وشرح مشكل الآثار، 142/1.

(8) سورة الإسراء: 15.

(9) المواهب اللدنية، القسطلّاني، 174/1.

قُلْنا: أَهْلُ الفَتْرَةِ غَيْرُ مَعْذُورِينَ وَقَدْ أَرْسلَ رَسُولًا قَبْلَهُمْ.

وزَعَمَت الأَشعريَّةُ أنَّ أَهْلَ الفَتْرةِ معْذورُونَ، وزَعَمَ بَعْضٌ[1] أَنَّ آباءَ الأَنْبِيَاءِ مَا كَانوا كُفَّارًا، فآزرُ عَمُّ إِبْرَاهِيمَ لَا أبُوهُ، كذَا قِيلَ. وقَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿219﴾ ﴾[2] أيْ: يَنْتَقِلُ مِنْ صُلْبِ مُصَلٍّ للهِ، إِلَى صُلْبِ مُصَلٍّ فآبَاؤهُ ﷺ كُلُّهُم مُسْلِمونَ[3].

قلْنَا: يَتَقَلَّبُ فِي أَصْحَابِهِ السَّاجدينَ بِالصَّلاةِ فِي جُمْلَتِهِمْ، أوْ يَتَصَفَّحُ أحْوَالَهُم. ومِنْهُ أَنَّهُ يتَقَلَّبُ مِنْ دَارِ صَحَابيٍّ إِلَى دَارِ آخَر لِيَنْظُرَ هَلْ حرِصُوا عَلَى العِبَادَةِ لَيْلَةَ نَسْخِ فَرْضِ قِيَامِ اللَّيلِ، ففَعَلَ ذَلِكَ فوَجَدَهُمْ يُقِيمُونَ اللَّيْلَ وبيُوتُهُم كبيُوتِ النَّحْلِ دَوِيًّا[4].

وأبُو إِبْرَاهيمَ مُشْرِكٌ، قالَ اللهُ تعَالَى: ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾[5]إلخ مَعَ مَا تَقَدَّمَ قَبْلُ منْ هَذِه الآيَةِ والْقَوْلُ بِأَنَّ آزَرَ عَمُّهُ عدُولٌ عَنِ الظَّاهِرِ بِلَا دَلِيلٍ[6].

وأمَّا قولُهُ ﷺ: ((**لَمْ أَزَلْ أُنْقَلُ مِنْ أَصْلَابِ الطَّاهِرِينَ إِلَى أَرْحامِ الطَّاهِرَاتِ**))[7] فاسْتُدِلَّ بِهِ علَى إِسْلَامِ آبَائِهِ لِوَصْفِهِمْ بِالطُّهْرِ، والمُشْرِكُ [116و] هُوَ النَّجِسُ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾[8].

قُلْنَا: الطَّاهِرِينَ والطَّاهِرَاتِ مِنَ الزِّنَى.

قال بريدة: إِنَّ النَّبيءَ ﷺ لمَّا قدِمَ مَكَّةَ أَتَى رَسْمَ قَبْرٍ فجَلَسَ إِلَيْهِ فجَعَلَ يخَاطِبُ ثُمَّ قامَ مسْتَعْبِرًا، فقُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ إِنَّا رأَيْنَا مَا صَنَعْتَ قَالَ: ((**إِنِّي اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّي فأَذِنَ لِي، واسْتَأْذَنْتُهُ فِي الاسْتِغْفَارِ لَهَا فلَمْ يَأْذَنْ لِي**))[9] فمَا رُئِيَ بَاكِيًا أَكْثَرَ مِنْ يَوْمَئِذٍ[10].

وهَذَا عامَ الْفَتْحِ، ومَا تَقَدَّمَ عَنْ عائِشَةَ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ فالإِذْنُ فِي الاسْتِغْفَارِ لها مُتَأَخِّرٌ.

قال ابن مسعود: أوى[11] رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمَقَابِرِ فَاتَّبَعْنَاهُ، فجَلَسَ إِلَى قَبْرٍ مِنْها فنَاجَى طَوِيلًا ثُمَّ بَكَى فَبَكَيْنا لبُكَائِهِ، ثُمَّ قامَ فقَامَ إِلَيْهِ عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ ﷺ فدَعَاهُ ثُمَّ دعانَا فَقَالَ: ((**مَا أَبْكَاكُم؟**

---

(1) هو فخر الدين الرازي في "أسرار التنزيل" كما في المواهِبِ.

(2) سورة الشعراء: 219.

(3) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 174/1.

(4) (م، س)، 175/1، بتصرُّف.

(5) سورة التوبة: 114.

(6) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 175/1، عن البيضاوي في تفسِيرِهِ.

(7) لم أجد تخريجا للحدِيث في مصادر الحدِيثِ. ذكره الفخر الرازِي، مفاتيح الغيب، 33/13، وأبو حيان، البحر المحِيط، 199/8.

(8) سورة التوبة: 28.

(9) صحيح مسلم، حدِيث (105).

(10) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 175/1-176، عن ابن جرِير، جامع البيان، 22/12.

(11) في المواهِبِ: أومأ.

قلْنَا: بَكينَا لبُكَائِكَ، فقَالَ: إِنَّ الْقَبْرَ الذِي جلَسْتُ إِلَيْهِ قَبْرُ آمِنَةَ، وإِنِّي اسْتَأْذَنْتُ ربِّي فِي زِيَارَتِها، فأَذِنَ لِي وَإِنِّي اسْتَأْذَنْتُهُ فِي الدُّعاءِ لَهَا فلَمْ يَأْذَنْ لِي. وأَنْزَلَ اللهُ عَلَيَّ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنْ يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ ﴾[1] **فَأَخَذَنِي مَا يَأْخُذُ الوَلَد لِلْوَالِدِ))**[2]. وكَذَا عَن ابْنِ عَبَّاسٍ[3].

وفِي رِوَايَةٍ: **((اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي فلَمْ يَأْذَنْ لِي، واسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَها فأَذِنَ لِي، فزُورُوا القُبُورَ فَإِنَّها تُذَكِّرُ الآخِرَةَ))**[4].

قال عِيَاض: بُكَاؤُهُ ﷺ علَى مَا فَاتَها مِنْ إِدْرَاكِ أَيَّامِهِ وَالإِيمانِ بِهِ[5].

ورُوِيَ أَنَّ رَجُلًا قالَ: يا رَسُولَ اللهِ أيْنَ أَبِي؟ قالَ: **((فِي النَّارِ، فَلَمَّا قَفا دَعَاهُ قَالَ: إِنَّ أَبِي وأَبَاكَ فِي النَّارِ))**[6].

وصحَّحوا أَنَّ الرِّوايةَ أَنَّهُ دعاهُ فعادَ إليهِ فقالَ: **((إِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِ كَافِرٍ فَبَشِّرْهُ بِالنَّارِ))**[7]. قال النّوويّ: مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا فَهُو فِي النَّارِ ولَا تَنْفَعُهُ قَرَابَةُ الْمُقَرَّبِينَ[8].

قالَ الْفَخْرُ: مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا فهُوَ فِي النَّارِ ولَوْ قَبْلَ الْبِعْثَةِ، ولَمْ يَزَلْ قُبْحُ الشِّرْكِ مَعْلُومًا مِنْ دِينِ الرُّسُلِ، والعِقَابُ علَيْهِ مَعْلُومًا، فَللَّهِ الْحُجَّةُ البَالِغَةُ علَى الْمُشْرِكِينَ فِي كُلِّ وَقْتٍ، ولَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا ما فَطَرَ اللهُ علَيْهِ عِبَادَهُ مِنْ تَوْحِيدِ رُبُوبِيَّتِهِ[9].

وهَذَا مَبْنِيٌّ علَى أَنَّ مَعْرِفَةَ اللهِ عقْلِيَّةٌ، وفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى عُذْرِ أَهْلِ الفَتْرَةِ فِي تَفصِيلِ الشَّرْعِ إِذَا لَمْ يَجِدُوا مَنْ يُعَلِّمُهُم، وقَطْعِ عذرِهِمْ فِي جَهْلِ التَّوْحِيدِ. والرَّاجحُ عِنْدَ الجُمهُورِ أَنَّها نَظَرِيَّةٌ ومَن بلَغَتْهُم الدَّعْوَةُ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الْفَتْرَةِ، وَهِيَ مَا بَيْنَ اضْمِحْلَالِ عِلْمِ نَبِيءٍ إِلَى مُجَدِّدٍ مِنْ نَبِيءٍ أَوْ غَيْرِهِ، وَالْمَشْهُورُ مَا بَيْنَ الرَّسولَيْنِ بَعْدَ الاضْمِحْلَالِ، كالْفَتْرَةِ بَيْنَ نُوحٍ وهُودٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وبَيْنَ عِيسَى ونَبِيئِنا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ علَيْهِمَا.

قالَ سلمان ﷺ: الْفَتْرَةُ بَيْنَهُما سِتُّ مِئَةِ سَنَةٍ[10].

---

(1) سورة التوبة: 113.

(2) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظِيم، 1893/6.

(3) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 176/1، عن الطبراني دون ذكر المصدرِ.

(4) صحيح مسلم، حدِيث (976)، المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 176/1.

(5) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 176/1.

(6) صحيح مسلِم حدِيث (203).

(7) الروض الأنف، السهيلي، 121/2، والمعجم الكبِير، الطبراني، حدِيث (326).

(8) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 177/1. المنهاج، النَّوِوي، ص241.

(9) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 177/1.

(10) (م، س)، 178/1، عن البخارِي، حديث (3948).

ودَلَّتِ القَوَاطِعُ علَى أَنَّهُ لَا تعْذِيبَ حَتَّى تقُومَ الْحُجَّةُ. فقُلْنَا: قامَتْ علَى أَهْلِ الفَتْرَةِ لِتَقَدُّمِ الكِتَابِ والرَّسُولِ، فَإِمَّا بحُصُولِ مُنَبِّهٍ مِنْ مَلَكٍ أوْ مَا شَاءَ اللهُ، فيَقُولُ الخَصْمُ مَا ذَاكَ؟ يَفْتَرِي لِلْوُصولِ وإِمَّا تقْلِيدًا لِقَوْلِهِ تعَالَى [116ظ] ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[1] فيقولُ الخَصْمُ: المَعْنَى بَعْدَ إِخْبَارِ الرُّسُلِ، وأَهْلُ الْفَتْرَةِ لَمْ يَبْلُغهُمْ خَبَرُ الرَّسولِ.

وإِمَّا بِتَعْذِيبِ أَهْلِ الفَتْرَةِ الوَارِدِ فِي الآثارِ، فإِذا ثَبَتَ هَذَا التَّعْذِيبُ رجَعْنَا بِهِ إِلَى تَفْسِيرِ الآيَةِ بأَنَّ الرُّسُلَ حُجَّةٌ عليْهِمْ ولَوْ لَمْ تَبْلُغْهُمْ أخبَارُهُم، ومِنْ ذَلِكَ قوْلُهُ ﷺ: ((**رَأَيْتُ عَمْرو بنَ لُحَيّ فِي النَّارِ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ**))[2] و((**رَأَيْتُ صَاحِبَ الْمِحْجَنِ فِي النَّارِ، وهُوَ الذِي يَسْرِقُ الْحُجَّاجَ بِمِحْجَنِهِ فَإِذَا بُصِر بِهِ قَالَ: إِنَّمَا تَعَلَّقَ بِمِحْجَنِي**))[3] والقُصْبُ: الْمَصَارِين. وَفِي رِوَايَةٍ: ((**رَأَيْتُ عمْرو بنَ لُحَيّ يَجُرُّ مَصَارِينَهُ فِي النَّارِ كُلُّ مصْرَانٍ كَجَبَلٍ عَظِيمٍ، والْمَلَائِكَةُ تَضْرِبُهُ، فَإِذَا قَامَ وَقَعَ علَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ**))[4].

وإِنْ قِيلَ: هَذِهِ أَخْبَارُ آحَادٍ لَا تُعارِضُ الْقَطْعَ. قُلْنَا: أخبَارُ آحَادٍ تُفَسِّرُهُ ولَا تُعَارِضُهُ. وَإِنْ قِيلَ: يَقْصُر التَّعْذِيبُ علَى مَنْ وَرَدَ فِيهِ. قُلْنا: الأَصْلُ عَدَمُ الخُصُوصِيَّةِ. وإِنْ قِيلَ: يقْصرُ عَلَى مَنْ عَبَدَ الأَوْثَانَ وغَيَّرَ الشَّرائِعَ. قُلْنَا: لَا دَلِيلَ عَلَى هَذَا الْحَصْرِ.

وقَسَّمَ بَعْضُ قَوْمِنَا[5] أَهْلَ الْفَتْرَةِ علَى ثَلاثَةٍ: الأَوَّل مَنْ أَدْرَكَ التَّوحِيدَ ببَصِيرتِهِ ولَمْ يَدْخُلْ في شرِيعَةٍ كقسّ بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل، أَوْ دَخَلَ فِي شَرِيعَةِ حَقٍّ قائِمَةِ الرَّسْمِ كتُبَّع وقَوْمِهِ مِنْ حِمْيَر، وأَهْلِ نَجْرانَ ووَرَقَةَ بنِ نَوْفَل وعَمِّهِ عثْمَانَ بنِ الْحُوَيْرِث.

والثَّانِي: مَنْ بَدَّلَ ولَمْ يُوَحِّدْ وأَشْرَكَ، شَرعَ لِنَفْسِه فَحَلَّلَ وحَرَّمَ وهُم الأَكْثَرُ كعَمْرو بنُ لُحَيّ أَوَّل مَنْ سَنَّ لِلْعَرَبِ عبَادَةَ الأَصْنَامِ وشَرَّعَ الأَحْكَامَ، فبَحَرَ الْبَحِيرَةَ وسَيَّب السَّائبةَ ووَصَلَ الوَصِيلَةَ وحَمَى الْحَامِي.

الثَّالِثُ: مَنْ لَمْ يُوَحِّدْ ولَمْ يجعَلْ غَيْرَ اللهِ إِلَهًا، ولَمْ يَدْخُلْ فِي دينِ نَبِيءٍ وَلَمْ يَعْبُدْ صَنَمًا أَوْ غَيْرَهُ، ولَمْ يَخْتَرِعْ دِينًا بَلْ بَقِيَ عُمُرَهُ علَى حَالِ غَفْلَةٍ.

---

(1) سورة النساء: 165.

(2) البخاري، حديث (3521).

(3) مسلم، حديث (904).

(4) لم أقفْ على الرواية في مصادر الحدِيثِ.

(5) ذكر هذه التقْسِيماتِ القسطلَّاني في المواهب اللدنية، 1/179-180.

فحَمَلُوا مَنْ صَحَّ تَعْذيبُهُ علَى الْقِسْمِ الثَّانِي، فَإِنَّهُ كُلَّمَا ذكرَ حَال أَحَدٍ سجّل عَلَيْهِمْ بالكُفْرِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾ إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[1]. والثَّالِثُ: هُمْ أَهْلُ الْفَتْرَةِ حَقِيقَةً، وهُمْ غَيْرُ مُعَذَّبِينَ. قلْنَا: مُعَذَّبُونَ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَشْكُرُوا فَهُم كَفَرُوا لِقَوْلِهِ تَعَالَى:﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝3﴾[2] والكُفْرُ يكُونُ بالإِشْرَاكِ والفِسْقِ، وهُمْ أَهْلُ الْفَتْرَةِ، وبِالْفِسْقِ دُونَ الإِشْرَاكِ.

وأَمَّا القِسْمُ الأَوَّلُ فَقَدْ قالَ ﷺ فِي قسّ وزيد بن عمرو: ((**أَنَّهُمَا يُبْعَثَانِ أُمَّةً وَحْدَهُما**))[3].

وأَمَّا عُثْمَانُ بنُ الْحُوَيْرِث وتُبَّع وقَوْمُهُ، وأَهْلُ نَجْرَانَ فحُكْمُهُم حُكْمُ أَهْلِ دِينٍ دَخَلُوا فِيهِ مَا لَمْ يَلحَقْهُمْ نَاسِخٌ عَرَفوا بِهِ.

فجَعَلَ بَعْضُهُم أبَوَيّ النَّبِيءِ ﷺ مِنْ أَهْلِ الْفَتْرَةِ الْمَعْذُورِينَ. قالَ بعْضُ الْعُلَمَاءِ: لَا، ولَكِنْ آمَنَا.

قَالَ محمّد بن ناصر الدّمشقيّ[4]:

حَبَا اللهُ الرَّسُولَ مَزِيدَ فَضْلٍ ... عَلَى فَضْلٍ، وَكَانَ بِهِ رَؤُوفًا

فَأَحْيَا أُمَّهُ وَكَذَا أَبَاهُ ... لِإِيمَانٍ بِهِ فَضْلًا لَطِيفًا

فَسَلِّمْ فَالْإِلَهُ بِذَا قَدِيرُ ... وَإِنْ كَانَ الْحَدِيثُ بِهِ ضَعِيفًا[5]

[117و] ثُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ أُمُّ أَيْمَن حاضِنَتَهُ بَعْدَ مَوْتِ آمِنَةَ ﷺ. وكَانَ ﷺ يقُولُ لَهَا: أَنْتِ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي. ويُقالُ لَهَا: أُمُّ إِبْرَاهِيمَ وأُمُّ أنَس وأُمُّ القَاسِمِ.

وماتَ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ كافِلُهُ ولَهُ ثَمَانُ سِنِينَ، وقِيلَ: وَشَهْرٌ وعشْرَةُ أَيَّام، وقِيلَ: تِسْعُ سِنِينَ، وَقِيلَ: عَشْرٌ، وقِيلَ: سِتٌّ. وقِيلَ: ثَلَاثٌ وفِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّهُ يَلْزَمُ أَنَّهُ مَاتَ قَبْلَ آمنَةَ، وقَد اتَّفَقُوا أَنَّهُ ماتَ بَعْدَها بثَمَانِ سِنِينَ وعُمُرُهُ ﷺ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَة، إِذَا مَاتَ وعُمُرُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَشْرٌ ومِئَةُ سَنَةٍ. وقِيلَ: مِئَةٌ وأَرْبَعُونَ سَنَة. وقِيلَ: مِئَةٌ وعِشْرُونَ، قالَ الوَاقِدِي: وَلَيْسَ يَثْبُتُ، وقِيلَ: خَمْسٌ وتِسْعُونَ، وقِيلَ: خَمْسٌ وَثَمَانُونَ، وقِيلَ: اثْنَتَانِ وثَمَانُونَ، وعَمِيَ عِنْدَ مَوْتِهِ ودُفِنَ بِالْحَجُون[6]. وكَفَلَهُ أبو طالب شَقِيقُ عَبْدِ اللهِ، ولِذَلِكَ أَوْصَى عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بهِ ﷺ إِلَيْهِ[7].

---

(1) سورة المائدة: 103.

(2) سورة الإنسان: 3.

(3) الطيالِسِي، حديث (231)، وذكر فيه زيد بن عمرو فقط، وذكر البيهقي حديث: ((رحِم الله قسا، إنِّي لأرجو أنْ يبعثه اللهُ أُمَّةً وحدَهُ)) دلائل النبوة، 113/2.

(4) محمَّد بنُ ناصِر الدِّمَشْقِيّ: ت: 842هـ، محدث، حافظ ناظم، من تصانيفه: المولد النبوي في ثلاث مجلدات، منظومة بديعة البيان عن موت الأعيان وشرحها وسماه التبيان. معجم المؤلِّفين، كحالة، 112/9.

(5) الأبيات من الوافِر. المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 182/1. والمقاصد الحسنة، ص25.

(6) العبارة: "وقِيل...بالحجونِ" ليست في المواهِبِ، أضافها المؤلِّف في الهامِشِ، ونقلها من شرحِ المواهِبِ، الزرقاني، 354/1.

(7) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 184/1، بتصرُّف.

وعَنْ جُلهُمة بن عُرفُطة: قَدِمْتُ مَكَّةَ وهُمْ فِي قَحْطٍ. فقَالَ قَائِلٌ: اعْمِدُوا اللَّات والعُزّى. وقَالَ قَائِلٌ: اعْمِدُوا مَنَاة. وقَالَ شَيْخٌ وَسِيمٌ حَسَنُ الْوَجْهِ جَيِّدُ الزِّيِّ: أَنَّى تُوفَكُونَ وَفِيكُمْ بَقِيَّةُ إِبْرَاهِيمَ وسُلَالَةُ إِسْمَاعِيلَ. قالُوا: عَنِيتَ أبَا طَالِبٍ قَالَ: نَعَمْ، فذهَبُوا إِلَيْهِ جَمِيعًا فدَقُّوا عَلَيْهِ الْبَابَ[1]. فقَالَتْ قرَيْش: يَا أَبَا طَالِب أَقْحَطَ الْوَادِي وأجْدَبَ الْعِيَالُ فَهَلُمَّ فَاسْتَسْقِ. فَخَرَجَ أبُو طَالِبٍ ومَعَهُ غُلَامٌ كَأَنَّهُ شَمْسُ دَجْنٍ[2] تَجَلَّتْ عَنْهُ سَحَابَةٌ وَحَوْلَهُ أُغَيْلِمَةٌ[3]، فأَخَذَهُ أبُو طَالِبٍ فأَلْصَقَ ظَهْرَهُ بِالْكَعْبَةِ، ولَاذَ الْغُلَامُ بِإِصْبَعِهِ وَمَا فِي السَّمَاء قَزَعَةٌ، فأَقْبَلَ السَّحابُ مِنْ هَا هُنَا وهَا هُنَا، وأَغْدَقَ واغْدَوْدَقَ وانْفَجَرَ لَهُ الْوَادِي وأَخْصَبَ النَّادِي والبَادِي. وفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو طَالِب:

وأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ

مِنْ قَصِيدَةٍ هِيَ أَكْثَرُ مِنْ ثَمَانِينَ بَيْتًا اطَّلَعْتُ مِنْهَا عَلَى جُلِّها وَلَمْ أُتِمَّهَا.

قالَ ابن إسحاق: هِيَ ثَلَاثَةٌ وثَمَانُونَ بَيْتًا، وقَالَ غَيْرُهُ: مِئَةٌ وَعَشَرَة، وقِيلَ: زَادَ فِيهَا النَّاسُ حتَّى إنَّ الأَصْمَعِيّ سَأَلَ محمّد بن سلّام: أَتَدْرِي مُنْتَهَاهَا؟ قَالَ: لَا[4].

وَقِيلَ: هذَا الْحَدِيثُ الْمَذْكُورُ عَنْ جُلْهُمَةَ بَاطِلٌ.

وفِي شِعْرِ أَبِي طَالِبٍ دَلَالةٌ علَى مَعْرِفتِهِ بنُبُوءَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَبْلَ الْبِعْثَةِ لِخَبَرِ بحيرى وغَيْرِهِ[5].

وقَالَ ابْنُ إِسْحَاق: هَذَا الشِّعْرُ بَعْدَ بَعْثِهِ ﷺ، وجَاءَتْ مَعْرِفَةُ أَبِي طالِب بِنُبُوءَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَخْبَارِ، وَتَمَسَّك بِهَا الشِّيعَةُ فِي أَنَّهُ مُسْلِمٌ[6].

والزُّبَيْر أَيْضًا شَقِيقُ عَبْدِ اللهِ، ولَكِنْ خَصَّ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ أبَا طَالِبٍ لِأَنَّهُ أَكْبَرُ سِنًّا. وَقِيلَ شارَكَهُ الزُّبَيْرُ أَيْضًا فِي كَفَالَتِهِ ﷺ بلَا إِيصَاءٍ، ولَكِنْ خَصُّوا أَبَا طَالِبٍ بِالذِّكرِ لِطُولِ حَيَاتِهِ.

وأَمَّا أَنْ يُقالَ كفَلَهُ الزُّبيرُ حَتَّى ماتَ ثُمَّ كفَلَهُ أبُو طَالِبٍ فَلَا يَصِحُّ لِمُنَافَاتِهِ الوَصِيَّةَ لِأَبِي طَالِبٍ، ولِأَنَّ الزُّبيرَ شَهِدَ حِلْفَ الفُضُولِ وَلِلنَّبيءِ ﷺ نَيِّفٌ وعِشْرُونَ سَنَةً، وأَجْمَعَ العُلَمَاءُ أَنَّهُ شَخَصَ مَعَ أَبِي طالِبٍ إِلَى الشَّامِ بَعْدَ مَوْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِأَقَلّ مِنْ خَمْسِ سِنِينَ، فَأَبُو طَالِبٍ هُوَ الذِي كَفَلَهُ[7].

---

(1) العبارة: "فقال قائل...الباب" أضافها المؤلف على الهَامِش، وقد نقلها من شرح المواهِب.

(2) الدَّجْنُ ظلُّ الغيم في اليوم المَطير. لسان العرب (دجن).

(3) قيل: [الغلامُ] هو من حين يولد إلى أَن يشيب والجمع أَغْلِمَةٌ وغِلْمَةٌ وغِلْمانٌ ومنهم من استغنى بِغِلْمَةٍ عن أَغْلِمَةٍ وتصغير الغِلْمة أُغَيْلِمَةٌ. لسان العرب (غلم).

المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 1/184-185، نقلا عن ابن عساكر دون ذكر المصدرِ، ولم أجده فِي تاريخ دمشقَ لهُ.

(4) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/358. أضاف المؤلِّفُ هذه العبارة على الهامِشِ. ينظر: طبقات فحول الشعراء، 1/244.

(5) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 1/186.

(6) (م، س)، 1/186. فتح الباري، 2/496. لم أقفْ على قولِ ابن إسحاق فِي السِّيرة.

(7) شرح المواهب، الزرقاني، 1/354، وتاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 1/253.

وكانَ عِيَالُ أبي طَالِب إِذَا أَكَلُوا لَمْ يَشْبَعُوا، وَإِذَا أَكَلَ ﷺ مَعَهُم شَبِعُوا. وكَانَ أَبُو طالِبٍ إِذَا حَضَرَ الطَّعامُ قال: اثبُتُوا حَتَّى يَجِيءَ وَلَدِي، وَكَانَ [117ظ] إِذَا شَرِبَ أَوَّلًا مِنْ قَعْبٍ وَشَرِبُوا مِنْهُ كَفَاهُمْ، فيَقُولُ أَبُو طَالِبٍ: إِنَّكَ لَمُبَارَكٌ، وإِنْ كانَ أَحَدُهُم لَيَشْرَبُ قَعْبًا وَحْدَهُ[1].

وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ يُحِبُّهُ حُبًّا شَدِيدًا لا يُحِبُّهُ أَوْلَادَهُ، ولَا يَنَامُ إِلَّا إِلَى جَنْبِهِ ويَخْرُجُ بِهِ متَى خَرَجَ، وإِذَا وُضِعَ الطَّعَامُ تَطَاوَلَتْ إِلَيْهِ أَيْدِي الصِّبْيَانِ ويَقْصرُ يَدَهُ تَكَرُّمًا واستِحْيَاءً ونزَاهَةً وقنَاعَةً ويُصْبِحُونَ غُمْصا[2] رُمْصًا، مُصْفَرَّةَ الوُجُوهِ مِنْهُمْ، ويُصْبِحُ صقِيلًا دَهِينًا، كَأَنَّهُ في أَنْعَمِ عَيْشٍ وَأَعَزِّ كِفَايَةٍ لُطْفًا مِنَ اللهِ بِهِ[3].

وَاسْمُ أَبِي طَالِبٍ عَبْدُ مَنَاف، وَشَذَّ قَوْلٌ بِأَنَّهُ عِمْرَان، بَلْ هُوَ قَوْلُ الرّافضة، وأَوَّلُوا بِهِ قَوْلَهُ: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ** ﴾[4] وَهُوَ بَاطِلٌ، وتَوَاتر الأَخْبَار أَنَّ اسْمَهُ كُنْيَتُهُ[5].

وأُمُّ أَيْمَنَ المذْكُورِ حَبَشِيَّةٌ وَاسْمُها بَرَكَة، وأَيْمَنُ وَلَدُهَا، وهُوَ ابْنُ عبيْد الخزرجي، مَاتَ يَوْمَ حُنَيْن شَهِيدًا، وكَانَ لَهَا إِدْلَالٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وكَانَ أَبُو بَكْرٍ وعُمَر رَضِيَ اللهُ عَنْهُما يَزُورَانِها بَعْدَهُ ﷺ. وكَانَتْ تَبْكِي وَتَقُولُ: أَنَا أَبْكِي لِخَبَرِ السَّماءِ كَيْفَ انْقَطَعَ عَنَّا[6].

وَلَمَّا هَاجَرَتْ أُمُّ أَيْمَنَ مِنْ مَكَّةَ أَمْسَتْ بِالْمنصرف، دُونَ الرَّوْحَاءِ، فعَطِشَت فَدُلِّيَ عَلَيْها مِنَ السَّماءِ دَلْوٌ بِحَبْلٍ أَبْيَضَ، فأَخَذَتْهُ فشَرِبَتْ حَتَّى رَوِيَتْ. قَالَتْ: كانَ لا يُصِيبُنِي بَعْدَ ذَلِكَ عَطَشٌ وأَنَا أَصُومُ مِنَ الْهَوَاجِرِ[7].

ورُوِيَ أَنَّ عبدَ المطَّلِبِ قَالَ لِأُمِّ أَيْمَنَ: لَا تَغْفَلِي عَن ابْنِي، وإِنِّي وَجَدْتُهُ مَعَ غِلْمَانٍ قَرِيبًا مِنَ السّدْرَةِ، وَإِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَقُولُونَ إِنَّهُ نَبِيءُ هَذِهِ الْأُمَّةِ[8].

---

(1) شرح المواهب، الزرقاني، 354/1 بتصرُّف.

(2) في الأصل: عمصا، وهكذا ذكرها الزرقاني، وقد نقلها من غريب الحدِيثِ لابن قتيبَةَ، وفِيه: "غمصاً، والغُمص والرمص واحِدٌ، وهو الغَمَص في العيْنِ". غريب الحدِيث، 381/1. ومنه يظهر خطأ النَّقلِ.

وفي لسان العرب: قيل الغَمَصُ ما سالَ والرَّمَصُ ما جَمَدَ، وقيل هو شيء تَرْمِي به العينُ مثل الزَّبَد. (غمص).

(3) شرح المواهب، الزرقاني، 355/1 بتصرُّف.

(4) سورة آل عمران: 33.

(5) فتح الباري، ابنُ حَجَر، 194/7.

(6) حلية الأولياء، أبو نعيم، 68/2.

(7) تاريخ المدينة، ابن شبَّة، 497/2.

(8) طبقات ابن سعد، 97/1.

وأَمَّا قُسُّ بنُ سَاعِدَةَ الإيَادِي فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِالْبِعْثَةِ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، وأَوَّلُ مَن اتَّكَأَ على عَصَا فِي الْخُطْبَةِ، وأَوَّلُ مَنْ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فِي قَوْلٍ، وأَوَّلُ مَنْ كَتَبَ مِن فُلَان إِلَى فُلَان، وعَاشَ ثَلَاثَ مِئَةٍ وثَمَانِينَ سَنَةً، وقِيلَ: سِتُّ مِئَةٍ، وكَانَ خَطِيبًا حَكِيمًا عَاقِلًا لهُ نَبَاهَةٌ وفَضْلٌ[1].

وكانَ يَخْطُبُ فِي عكاظ وقَالَ: سَيعلَمُ حَقّ مَنْ هَذَا الوَجْهِ، وأَشَارَ إِلَى جِهَةِ مَكَّةَ، وقَالُوا: مَا هَذَا الْحَقُّ؟ قالَ: رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ لؤيّ بن غالب، يدْعُوكُمْ إِلَى الْإِخْلَاصِ وعَيْشِ الْأَبَد ونَعِيمٍ لَا يَنْفَد، فَإِنْ دَعَاكُمْ فأَجِيبُوه، ولَوْ عَلِمْتُ أَنِّي أَعِيشُ إِلَى بَعْثِهِ لَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَسْعَى إِلَيْهِ[2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْهُ ﷺ: ((**رَحِمَ اللهُ قُسًّا كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ عَلَى جَمَلٍ أَوْرَق تَكَلَّم بِكَلَامٍ لهُ حَلَاوَةٌ لَا أَحْفَظُهُ، فقَالَ بَعْضُ قَوْمِهِ: نَحْنُ نَحْفَظُهُ، فقَالَ: هَاتُوا، فَذَكَرُوا حِكْمَتَهُ الْمَشْحُونَةَ بِالْحِكَمِ وَالْمَوَاعِظِ**))[3].

وعن ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْهُ ﷺ: ((**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ عَلَى جَمَلٍ أَوْرَق، تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ لَا أَحْفَظُهُ، فقَالَ أبُو بَكْر أَنَا أَحْفَظُهُ، قَالَ: أُذْكُرْهُ، فذَكَرَهُ**))[4].

وَرَوَى أَنَّهُ لمَّا قَدِمَ بكر بن وائل علَى النَّبِيءِ ﷺ قالَ لَهُمْ: ((**مَا فَعَلَ قُسُّ بنُ سَاعِدَةَ الإيَادِي؟ قالُوا: مَاتَ يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ [118و] قالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ فِي سُوقِ عُكَاظ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَر**))[5].

قالَ الجاحظ: [لِقُسٍّ وقَوْمِهِ فَضِيلَةٌ][6] لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنَ العَرَبِ؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَوَى كَلَامَهُ ومَوْقِفَهُ علَى جَمَلِهِ بِعُكَاظ ومَوْعِظَتَهُ، وعجبَ مِنْ حُسْنِ كَلَامِهِ، وأَظْهَرَ تَصْوِيبَهُ، وهَذَا شَرَفٌ[7] تَعْجزُ عَنْهُ الْأَمَانِي وتَنْقَطِعُ دُونَهُ الْآمَالُ، وإِنَّما وَفَّقَ اللهُ لِذَلِكَ قُسًّا لِتَوْحِيدِهِ وإِظْهَارِهِ الإِخْلَاص، وإِيمَانِهِ بِالْبَعْثِ، ومِنْ ثَمَّ كانَ قُسّ خَطِيبَ الْعَرَبِ قَاطِبَةً[8].

ورُوِيَ أَنَّهُ ﷺ سأَلَ جَمَاعَةً مِنْ عَبْدِ القَيْسِ فَقَالَ: ((**هَلْ فِيكُمْ مَنْ يَعْرِفُ لَنَا قُسًّا؟** فقَالُوا: كلُّنَا يَعْرِفُهُ يا رَسُولَ اللهِ، فقَامُوا واحِدًا بعْدَ وَاحِدٍ يَذْكُرُ مَا رَأَى مِنْهُ، أَوْ سَمِعَ.

---

(1) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 342/1، عن المرزباني دون ذكر المصدرِ.

(2) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 342/1، عن أبِي نعيم في الدلائل، ولم أجده في المطبوعِ منهُ.

(3) الموضوعات، ابن الجوزِي، 214/1.

(4) الإصابة، ابن حجر، 218/9.

(5) ابن حجر، الإصابة، 218/9، أخرجه عن عبد الله بن أحمد في زيادات الزُّهد، وشرح المواهب اللدنية، الزرقانِي، 343/1.

(6) في البيان والتبيين: لإيادٍ وتمِيمٍ في الخُطبِ خَصلةٌ.

(7) في البيان والتبيين: إسنادٌ.

(8) الإصابة، ابن حجر، 218/9، وينظر: البيان والتبيين، الجاحظ، 51/1.

ثُمَّ قامَ رَجُلٌ مِن الأَنْصَارِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ مِن قُسٍّ عَجَبًا، خَرَجْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَطْلُبُ بَعِيرًا [نَدَّ لِي][1]، أَقْفُو أَثَرَهُ فِي نَفَانِفَ[2] لَيْسَ فِيهَا لِرَاكِبٍ مَقِيلٌ، ولَا لِغَيْرِ الْجِنِّ سَبِيلٌ، وَإِذَا أَنَا بموبلٍ مَهُولٍ فِي طَوْدٍ عَظِيمٍ لَيْسَ فِيهِ إِلَّا الْبُومُ، فأَدْرَكَنِي اللَّيْلُ فَوَلَجْتُهُ مَدْعُورًا لآمنَ[3] فِيهِ حَتْفِي، وَلَا أَرْكَنُ إِلَى غَيْرِ سَيْفِي، فَبِتُّ فِيهِ حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ عَسْعَسَ، وكَادَ الصُّبْحُ أَنْ يَتَنَفَّسَ، هَتَفَ بِي هَاتِفٌ يَقُولُ:

يَـا أَيُّهَـا الرَّاقِـدُ فِي اللَّيْـلِ الْأَحَمّ[4] قَـدْ بَعَـثَ اللـهُ نَبِيئًـا فِـي الْحَرَمْ
مِـنْ هَـاشِـــمٍ أَهْـلِ الرَّجَـاءِ وَالْكَرَمْ يَنْفِي دُجُنَّـاتِ[5] الـدَّيَـاجِي وَالْبُهَمْ[6]

فَأَدَرْتُ طَرْفِي فَمَا رَأَيْتُ شَخْصًا، فَأَنْشَأْتُ أَقُولُ:

يَـا أَيُّهَـا الْهَـاتِفُ فِي دُجَـا الظُّلَمْ أَهْلًا وَسَـــهْلًا بِـكَ مِن طَيْفٍ أَلَم
بَيِّنْ هَـدَاكَ اللـهُ فِي لَحْنِ الْكَلِمْ هَـذَا الـذِي تَـدْعُو إِلَيْـهِ يُغْتَنَمْ[7]

فَإِذَا بِنَحْنَحَةٍ وَقَائِلٍ يَقُولُ:

ظَهَرَ النُّور وبَطلَ الزُّور وبُعِثَ النَّبِيءُ ﷺ بالْحُبُور، صَاحِبُ النَّجِيبِ[8] الْأَحْمَر، والتَّاجِ وَالْمِغْفَر[9]، والوَجْهِ الْأَزْهَر، صَاحِبُ شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، فذَلِكَ الْمَبْعُوثُ إِلَى الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَر، أَهْلِ الْوَبَرِ وَالْمَدَر، ثُمَّ قَالَ:

الْحَمْدُ للهِ الذِي لَمْ يَخْلُق الْخَلْقَ عَبَثْ
أَرْسَلَ فِينَا أَحْمَدَ خَيْرُ نَبِيءٍ قَدْ بُعِثْ
صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا حَجَّ لَهُ رَكْبٌ وَحَث[10]

---

(1) في دلائل النبوة وتاريخ دمشق: شرد منِّي.

(2) في دلائل النبوة: حقائف، وفِي تاريخ دمشق: تنائف.

(3) في دلائل النبوة وتاريخ دمشق: لا آمنُ.

(4) الأحمُّ الأسْود من كلِّ شَيْءٍ. لسان العرب (حمم).

(5) دُجُنّات: جمع دُجنّة وهي الظلمة. لسان العرب (دجن).

(6) بُهَم جمع بُهمة، وهِيَ مشكلات الأمورِ. لسان العرب (بهم). البيتان من الرَّجَزِ.

(7) البيتان من الرَّجَزِ.

(8) النَّجِيبِ من الإبل مفرداً ومجموعاً وهو القويُّ منها الخفيف السريع. لسان العرب (نجب).

(9) المِغْفَرُ والمِغْفرةُ والغِفارةُ زَرَدٌ ينسج من الدروع على قدر الرأْس يلبس تحت القلنسوة وقيل هو زَفَرُفُ البيضة وقيل هو حَلَقٌ يَتَقَنَّعُ به المُتَسَلِّحُ. لسان العرب (غفر).

(10) الرجز فِي دلائل النبوة، البيهقي، 110/2، وتاريخ دمشق، ابن عساكِر، 434/3. وكلاهما بزيادة شَطرٍ:

لم يُخْلِنا حِيناً سُـدى من بعدِ عِيسَـى واكترثْ

قالَ: فَذَهلْتُ عَن الْبَعِير واكْتَنَفَنِي السُّرُور ولَاحَ الصَّبَاحُ فتَرَكْتُ الْغورَ[1] وأَخَذْتُ فِي الْجَبَلِ فَإِذَا بالْبَعِيرِ، فمَلَكْتُ خِطَامَهُ وعَلَوْتُ سنَامَهُ، فمرح طَاعَةً وهَدَرَ[2] سَاعَةً، حَتَّى إِذَا تَعِبَ وَذَلَّ مِنْهُ مَا صَعُبَ، وحَمِيَت الوِسَادَةُ، وتَبَرَّدَت الْمَزَادَةُ لِلزَّادِ، فَبَرَكتُهُ فَبرَكَ وأَذِنْتُ لَهُ فِي رَوْضَةٍ خَضِرَةٍ نَظِرَةٍ، فجَعَلَ يَرْتَعِي أَبًّا وأَصِيدُ ضَبًّا، حتَّى إِذَا أَكَلْتُ وَأَكَلَ، ونَهَلْتُ وَنهَلَ، وعَلَلْتُ وعَلَّ، حَلَلْتُ عِقَالَهُ وَعَلَوْتُ جُلَالَهُ، وأَوْسَعْتُ مَجَالَهُ، يسْتَبِقُ الرِّيحَ، ويَقْطَعُ [عَرْشَ الشِّيحِ][3]، حَتَّى أَشْرَفْتُ علَى وَادٍ وَشَجَرٍ، مِنْ شَجَرِ عَادٍ بِرَوْضَةٍ مُونِقَةٍ، فَدَنَوْتُ فإِذَا أَنَا بِقُسّ بنِ سَاعِدَةَ فِي ظِلّ شجَرَةٍ، بِيَدِهِ قضِيبٌ مِن أَرَاكٍ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، ويَتَرَنَّمُ بِشِعْرٍ:

يَـا نَـاعِي الْمَوْتِ وَالْمَلْحُودُ فِي جَـدَثِ ... عَـلَـيْـهِـمُ مِـنْ بَـقَـايَـا بِـرِّهِـمْ خِـرَقُ
دَعْهُمْ فَـإِنَّ لَهُمْ يَوْمًـا يُصـــاحُ بِهِمْ ... فَـهُـمْ إِذَا نُـبِّـهُـوا مِـنْ نَـوْمِـهِـمْ فَـرَقُـوا
حَـتَّـى يَـعُـودُوا لِـحَـالٍ غَـيْـرِ حَـالِـهِـمُ ... خَلْقًـا جَـدِيـدًا كَـمَـا مَنْ قَبْلَهُمْ خُلِقُوا
مِـنْـهُـمْ عَـرَاةٌ وَمِـنْـهُـمْ فِـي ثِـيَـابِـهِـمُ ... مِنْهَا الْجَدِيدُ [118ظ] وَمِنْهَا الْمَنْهَجُ الْخَلَقُ[4]

قالَ: فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلامَ، فَإِذَا عَيْنٌ خَرَّارَةٌ، فِي أَرْضٍ خَوَّارَة، ومَسْجِدٌ بَيْنَ قَبْرَيْنِ، وأَسدان عَظِيمَانِ يَلُوذَانِ بِه، ويَتَمَسَّحانِ بِأَثْوَابِهِ، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْبِقُ صَاحِبَهُ إِلَى الْمَاءِ، فَتَبِعَهُ الآخَرُ يَطْلُبُ الْمَاءَ، فضَرَبَهُ بِالْقَضِيبِ الذِي فِي يَدِهِ، وقَالَ: ارْجِعْ حَتَّى يَشْرَبَ الذِي قَبْلَكَ. فَرَجَعَ ثُمَّ وَرَدَ بَعْدَهُ. فقُلْتُ لَهُ: مَا هَذَانِ الْقَبْرَانِ؟ فقالَ: هَذَانِ قَبْرَا أَخَوَيْنِ لي كَانَا يَعْبُدَانِ اللهَ تَعَالَى مَعِي فِي هَذَا الْمَكَانِ، لَا يُشْرِكَانِ بِاللهِ شَيْئًا، فَأَدْرَكَهُمَا الْمَوْتُ، وهَا أَنَا بَيْنَ قَبْرَيْهِمَا حَتَّى أَلْحَقَ بِاللهِ. ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ، فتَغَرْغَرَتْ عَيْنَاهُ بِالدُّمُوع، وقَالَ:

خَلِيلَيَّ هُبَّـا طَـالَ مَـا قَـدْ رَقَـدْتُمَـا ... أَجِـدّكُـمَـا مَـا تَـقْـضِـيَـانِ كَـرَاكُـمَـا
أَلَـمْ تَـعْـلَـمَـا أَنِّـي بِسَـمْـعَـانَ مُـفْـرِدُ ... وَمَـالِـيَ فِيهَـا مِنْ خَلِيـلٍ سِـوَاكُمَـا؟
[وَ] أَبْكِيكُمَـا طُولَ الْحَيَـاةِ وَمَـا الـذِي ... يَـرُدُّ عَـلَـى ذِي لَـوْعَـةٍ أَنْ بَـكَـاكُـمَـا؟
أَمِـنْ طُـولِ نَـوْمٍ لَا تُـجِـيـبَـانِ دَاعِـيًـا ... كَـأَنَّ الذِي يَسْـقِي الْمُدَامَ[5] سَـقَـاكُمَا
كَـأَنَّكُمَـا وَالْمَوْتُ أَقْرَبُ غَـائِـبٍ[6] ... بِـرُوحِـيَ فِـي قَـبْـرَيْكُـمَـا قَـدْ أَتَـاكُـمَـا

(1) في دلائل النبوة: المواراء، وفِي تاريخ دمشق: المور.
(2) في دلائل النبوة وتاريخ دمشق: فهززته.
(3) في دلائل النبوة وتاريخ دمشق: عرض الفسِيح.
(4) الأبيات من البسِيط فِي دلائل النبوة، البيهقِي، 111/2، وتاريخ دمشق، ابن عساكِر، 435/3.
(5) فِي دلائل النبوة وتاريخ دمشق: العُقارَ.
(6) فِي دلائل النبوة: غايَةٍ. والبيتُ ليْسَ فِي تاريخ دمشق.

فَـلَـوْ جُـعِـلَـتْ نَـفْـسٌ لِـنَـفْـسٍ وِقَـايَـةً لَجُدْتُ بِنَفْسِـــي أَنْ تَكُونَ وَقَاكُمَا[1][2]

فقَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**رَحِمَ اللهُ قُسًّا، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ**[3] **أُمَّةً وَحْدَهُ**))[4].

ويُروَى أَنَّهُ كَانَ يَعِظُ النَّاسَ فِي عُكَاظ عَلَى بَعِيرٍ كَكَبْشٍ، ورُبَّما طَالَ وَيَغِيبُ. وَمِنْ وَعْظِهِ: إِنَّ للهِ دينًا غَيْرَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ.

ويُروَى أَنَّ حَلِيمَةَ لَمَّا رَجَعَتْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أُمِّهِ، حَضَرَتْ بِهِ سوق ذي المجاز، وفِيهِ عَرَّافٌ مِنْ هوازن يُؤتَى بِالصِّبْيَانِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، فنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ وَإِلَى الْحُمْرَةِ فِي عَيْنَيْهِ، وإِلَى خَاتَمِ النُّبُوءَةِ فَصَاحَ: يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَهْلُ الْمَوْسِمِ فقَالَ: اقْتُلُوا هَذَا الصَّبِيَّ، وانْسَلَّتْ بِهِ حَلِيمَةُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ: أَيُّ صَبِيّ؟ وَهُو يَقُولُ: هذَا الصَّبِيُّ، فلَا يَرَوْنَ شَيْئًا، قَد انْطلَقَتْ بِهِ أُمُّهُ. فَقِيلَ لَهُ مَا هُوَ؟ فقَالَ: رَأَيْتُ غُلامًا لَيَغْلِبَنَّ أَهْلَ دِينِكُمْ، ولَيَكْسِرَنَّ أَصْنامَكُمْ، ولَيَظْهَرَنَّ أَمْرُهُ علَيْكُمْ، فَطُلِبَ بِعُكَاظ فَلَمْ يُوجَدْ، ورَجَعَتْ بِهِ حَلِيمَةُ إِلَى مَنْزِلِهَا، فكَانَتْ بَعْدُ لَا تعرضُهُ لأَحَدٍ[5].

ورُوِيَ أَنَّهُ نَزَلَ بِهِمْ عَرّافٌ، فأُخْرِجَ إِلَيْهِ صِبْيَانُ أَهْلِ الْحَضَرِ، فأَبَتْ حَلِيمَةُ أَنْ تُخْرِجَهُ، إِلَى أَنْ غَفَلَتْ عَنْهُ ﷺ فخَرَجَ مِنْ المِظَلَّةِ[6][7] فَرَآهُ العَرَّافُ فَدَعَاهُ ﷺ فَأَبَى، ودَخَلَ الْخَيْمَةَ، فجَهِدَهُم الْعَرَّافُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَيْهِ فَأَبَتْ، فَقَالَ: هَذَا نَبِيءٌ[8].

وقَدْ عَرَضَهُ أَبُو طَالِبٍ عَلَى عَائِف[9] مِنْ لهبٍ[10] كانَ إِذَا قَدِمَ مَكَّةَ، أَتَاهُ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ بِغِلْمَانِهِمْ، يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ويَعْتَافُ لَهُمْ، فَأَتَاهُ بِهِ أَبُو طَالِبٍ وهُوَ غُلَامٌ مَعَ مَنْ يَأْتِيهِ، فنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ شغَلَهُ عَنْهُ شَيْءٌ فَقَالَ: [أَيْنَ الْغُلَامُ عَلَيَّ بِهِ][11]، فَلَمَّا رَأَى أبُو طَالِبٍ حِرْصَهُ عَلَيْهِ غَيَّبَهُ عَنْهُ، فجَعَلَ يَقُولُ: وَيْلَكُمْ رُدُّوا عَلَيَّ الغُلَامَ الذِي رأَيْتُ آنِفًا، فَوَاللهِ لَيَكُونَنَّ لَهُ شَأْنٌ، وَانْطَلَقَ بِهِ أَبُو طَالِبٍ[12].

---

(1) فِي دلائل النبوة وتاريخ دمشق: فِداكُما.

(2) الأبيات من الطويل في تاريخ دمشق، ابن عساكِر، 436/3، ودلائل النبوة، البيْهَقِي، 112/2.

(3) فِي دلائل النبوة وتاريخ دمشق: أن يبعثَهُ.

(4) الحدِيث في تاريخ دمشق، ابن عساكر، 433/3 وما بعدها، وفِي دلائل النبوة، البيْهَقِي، 109/2 وما بَعدهَا.

(5) الاكتفاء، الكلاعِي، 138/1، والخصائص الكبْرَى، السيوطِي، 145/1.

(6) في الأصلِ: مضلة، والتصوِيب من الاكتفاء. مَضِلَّةٌ ومَضَلَّةٌ: يُضَلّ فيها ولا يُهْتَدى فيها للطريق. لسان العرب (ضلل) وهذا لا يناسِبُ السِّياقَ.

(7) والمِظَلَّة والمَظَلَّة بيوت الأَخبية وقيل المِظَلَّة لا تكون إلا من الثياب وهي كبيرة ذات رُواقٍ وربما كانت شُقَّة وشُقَّتين وثلاثاً وربما كان لها كِفَاءٌ وهو مؤخَّرها. لسان العرب (ظلل).

(8) الاكتفاء، الكلاعِي، 138/1.

(9) من العيافة، وهِيَ زجْرُ الطير والتفاؤل بأَسمائها وأَصواتها ومَمَرِّها وهو من عادة العرب كثيراً. لسان العرب (عيف).

(10) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَلَهَبٌ: مِنْ أَزْدشَنُوءَةَ. السيرة، 179/1.

(11) في الاكتفاء: "الغلامَ عليَّ به" بإسقاط أين.

(12) الاكتفاء، الكلاعِي، 138/1.

وكَانَتْ حَلِيمَةُ بَعْدَ رُجُوعِها بِهِ مِنْ مَكَّةَ [119و] لَا تَدَعُهُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ، فغَفَلَتْ عَنْهُ يَوْمًا فِي الظَّهِيرَةِ، فأَدْرَكَتْهُ معَ أُخْتِهِ كَمَا مَرَّ، وقَدْ أَخْبَرَتْها أَنَّهُ تَقِيهِ السَّحابَةُ، فقَالَتْ لَهَا أُمُّهَا: أَحَقًّا يَا بِنْتِي؟ قَالَتْ: إِي وَاللهِ، فقَالَتْ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ مَا يُحْذَرُ عَلَى ابْنِي[1].

وَكَانَ ابْنُ عَبَّاس يَقُولُ: رَجَع إِلَى أُمِّهِ وهُوَ ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ، وقَالَ غَيْرُهُ: هُوَ ابْنُ أَرْبَعِ سِنِينَ[2]. وشَهُرَ.

ولَمْ تَرَهُ حَلِيمَةُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا مَرَّتَيْنِ، إِحْدَاهُما بَعْدَ تَزَوُّجِهِ خَدِيجَةَ، رَضِي الله عَنْهَا، جاءَتْهُ تشْكُو السَّنَةَ، وأَنَّ قَوْمَها قَدْ أَسْنَتُوا[3]، فَكَلَّمَ لَهَا خَدِيجَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فأَعْطَتْهَا عِشْرِينَ شَاةً وَبَكَرَاتٍ[4]، والْمَرَّةَ الثَّانِيَةَ يوْمَ حُنَيْن[5]. واخْتَارَ السُّهَيْلِيّ أَنَّهُ رَجَعَ إِلَى أُمِّهِ، وهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَشهر[6].

وذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاق: أَنَّ مِمَّا هَاجَ أُمَّهُ السَّعْدِيَّة عَلَى رَدِّهِ إِلَى أُمِّهِ، مَعَ مَا ذَكَرَتْ لِأُمِّهِ أَنَّ نفَرًا مِنَ الْحَبَشَةِ نَصَارَى رَأَوْهُ معَهَا، حِينَ رَجَعَتْ بِهِ بَعْدَ فِطامِهِ فنَظَرُوا إِلَيْهِ، وسَأَلُوها عَنْهُ، وَقَبَّلُوهُ[7] ثُمَّ قَالُوا لَهَا: لَنَأْخُذَنَّ هذَا الْغُلَامَ، فَلَنَذْهَبَنَّ بِهِ إِلَى مَلِكِنَا وبِلَادِنَا، فَإِنَّ هَذَا الْغُلَامَ كائِنٌ لهُ شَأْنٌ، نَحْنُ نَعْرِفُ أَمْرَهُ، فَانْفَلَتَتْ بِهِ مِنْهُمْ بِشِدَّةٍ[8].

وعَن ابْنِ عَبَّاسٍ[9]: لمَّا ظهرَ سيف ابن ذي يزن عَلَى الْحَبَشَةِ بَعْدَ مَوْلِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَتَتْهُ وُفُودٌ مِنَ الْعَرَبِ وأَشْرَافِهَا وشُعَرَائِهَا تُهنِّئُهُ وتَمْدَحُهُ، وتَذْكُرُ ما كَانَ مِنْ بَلَاءِهِ، وطَلَبِهِ بِثَأْرِ قَوْمِهِ، فأَتَاهُ وَفْدُ قُرَيْشٍ، وفِيهِ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ ابنُ هَاشِم، وغَيْرُهُ مِنْ وُجُوهِ قُرَيش وأَهْلِ مَكَّةَ، فأَتَوْهُ بصَنْعاءَ وهُوَ فِي قَصْرٍ لَهُ يُقَالُ لهُ عمدان[10]، فَاسْتَأْذَنُوا عَلَيْهِ فَأَذِنَ لهُم، فإِذَا هُوَ مُتَضَمّخ بالْعَبِيرِ[11]، يَبِصُّ[12] وَبِيصُ الْمِسْكِ مِنْ مَفْرِقِهِ وسَيْفُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَعَن يَمِينِهِ ويسَارِهِ الْمُلُوكُ والْمقَاوِلُ، فدَنَا عَبْدُ الْمُطَّلِبِ فاسْتَأْذَنَ فِي الْكَلَامِ، فقَالَ لَهُ سيف بن ذي يزن: إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يَتَقَدَّمُ بَيْنَ يَدَي المُلُوكِ فقَدْ أَذِنَّا لَكَ.

---

(1) الاكتفاء، الكلاعِي، 138/1.

(2) (م، س)، 139/1.

(3) في الأصْل: استنوا، والتصويب من الروض الأنف.

(4) البَكْر: الفتيّ من الإبل، والأنثى بَكْرَة، والجمع بَكْرات وبِكار وبِكارة، وقد يُجمع البَكْرة من الإبل: بَكَرات. جمهرة اللغة، ابن دريد (برك).

(5) الروض الأنف، السهيْلِي، 115/2.

(6) (م، س)، 115/2.

(7) فِي سيرة ابن هشام: وقلَّبوهُ.

(8) سيرة ابنِ هِشام، 167/1.

(9) سأوثِّقُ هذا الخبرَ وأقابله على روايتَيْ دلائل النبوة للبيهقِي، وأخبار مكة للأزرقِي، فقد ذكر الخبرَ غيرُهُما، لكن رواية هذين المصدرَيْن هي الأقربُ إلى روايةِ المؤلِّف، وسأثبتُ ما أراهُ ضرورِيّاً من الاختلافاتِ.

(10) في أخبار مكة ودلائل النبوة: غمدان.

(11) العَبِير أَخْلاطٌ من الطيب تُجْمَع بالزعفران وقيل هو الزعفران وحده وقيل هو الزعفران عند أَهل الجاهلية. لسان العرب (عبر).

(12) يَبِصّ بَصّاً وبَصيصاً بَرَقَ وتلأْلأَ. لسان العرب (بصص).

فقَالَ لهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَلَّكَ أيُّها الْمَلِكُ مَحَلًّا رَفِيعًا، صَعْبًا مَنِيعًا شَامِخًا باذِخًا، وأَنْبَتَكَ مَنْبَتًا طَابَتْ رَوْضَتُهُ وعَزَّتْ جُرْثُومَتُهُ، وثَبَتَ أَصْلُهُ وبَسَقَ فَرْعُهُ فِي أَكْرَمِ مَعْدَنٍ وأَطْيَبِ مَوْطِنٍ، وأَنْتَ، أَبَيْتَ اللَّعنَ، رَأْسُ الْعَرَبِ الذِي إِلَيْهِ تَنْقَادُ، وعَمُودُها الذِي عَلَيْهِ الْعِمَادُ، ومعلقها[1] الذِي يَلْجَأُ إِلَيْهِ الْعِبَادُ، سَلَفُكَ خَيْرُ سَلَفٍ، وأَنْتَ لنَا مِنْهُمْ خَيْرُ خَلَفٍ، فلَنْ يَحْمُلَ[2] ذِكْرُ مَنْ أَنْتَ سَلَفُهُ، ولَنْ يَهْلِكَ مَنْ أنْتَ خلَفُهُ.

أيُّهَا الْمَلِكُ نَحْنُ أَهْلُ حَرَمِ اللهِ، وسَدَنَةُ بَيْتِهِ، أشْخَصَنَا إِلَيْكَ الذِي أَبْهَجَنَا بِكَشْفِ الْكَرْبِ الذِي فَدَحَنا، فنَحْنُ وَفْدُ التَّهْنِئَةِ لَا وَفْدُ الرَّزِيَّة[3].

قَالَ: وأَيُّهُمْ أَنْتَ أَيُّها الْمُتَكَلِّمُ؟ قالَ: أَنَا عَبْدُ المطَّلِبِ بنُ هَاشِم بنِ عَبْدِ مَنَاف. قالَ: ابْنُ أُخْتِنَا. قالَ: نَعَمْ، فَادْنُ فأَدْنَاهُ، ثمَّ أَقْبَلَ علَيْهِ وعَلَى الْقَوْمِ، فقَالَ: مَرْحَبًا وأَهْلًا [119ظ] ونَاقَةً ورَحْلًا، ومُسْتَنَاخًا سَهْلًا، وَمَلِكًا رِبَحْلًا، يُعْطِي عَطَاءً جَزِيلًا، قَدْ سَمِعَ الْمَلِكُ مقَالَتَكُمْ، وعَرَفَ قَرَابَتَكُمْ، وقَبِلَ وَسِيلَتَكُمْ، فأَنْتُمْ أَهْلُ اللَّيْلِ والنَّهَارِ، لَكُم الكَرَامَةُ مَا أَقَمْتُمْ، والْحِبَاءُ إِذَا ظَعنْتُمْ، ثُمَّ نَهَضُوا إِلَى دَارِ الضِّيافَةِ والوُفُودِ، فأَقَامُوا شَهْرًا لَا يَصِلُونَ إِلَيْهِ، ولَا يَأْذَنُ لهُمْ فِي الانْصِرَافِ، وأُجْرِيَتْ عَلَيْهِم الإِنْزَالَاتُ.

ثُمَّ انْتَبَهَ لَهُم انْتِبَاهَةً، فأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فأَدْنَاهُ وأَحْلَى مَجْلِسَهُ ثُمَّ قَالَ: يا عَبْدَ المطَّلِبِ إِنّي مُفْضٍ إِلَيْكَ مِنْ سِرِّ عِلْمِي أَمْرًا، لَوْ غَيْرُكَ كَانَ لَمْ أَبُحْ لَهُ بِهِ، ولَكِنْ وَجَدْتُكَ مَعْدِنَهُ فأَطْلَعْتُكَ عَلَيْهِ، فلْيَكُنْ عِنْدَكَ مَكْتُومًا حَتَّى يَأْذَنَ اللهُ فِيهِ، فَإِنَّ اللهَ بَالِغٌ فِيهِ أَمْرَهُ.

إِنّي أَجِدُ فِي الْكِتَابِ الْمَكْنُونِ والْعِلْمِ الْمَخْزُونِ الذِي اخْتَرْنَاهُ لِأَنْفُسِنَا وَاحْتَجَبْنَاهُ دُونَ غَيْرِنَا خَبَرًا جَسِيمًا وخَطَرًا عَظِيمًا، فيهِ شَرَفُ الْحَيَاةِ وفَضِيلةُ الْوَفَاةِ لِلنَّاسِ عَامَّةً ولِرَهْطِكَ كَافَّةً ولَكَ خَاصَّةً.

قال: أيُّها المَلِكُ مِثْلُكَ مَنْ سرّ وبرّ، فَمَا هُوَ فِدَاؤُكَ أَهْلُ المدَرِ وَالْوبَرِ، زُمَرٌ بَعْدَ زُمَرٍ؟

قالَ: إِذَا وُلِدَ بتِهَامَةَ غُلَامٌ بِهِ عَلَامَة، كانَتْ لَهُ الْإِمَامَة، ولَكُمْ بِهِ الزَّعَامَة إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَة. فقالَ لَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: أَبَيْت اللَّعْنَ، لقَدْ أُبْتُ بِخَيْرِ مَا آبَ بِهِ وَلِيدُ قَوْمٍ، ولَوْلَا هَيْبَةُ الْمُلْكِ وإِعْظَامُهُ وإِجْلَالُهُ لَسَأَلْتُهُ [من بِشَارَتِهِ إِيَّايَ][4] مَا أَزْدَادُ بِهِ سُرُورًا، فإِنْ رَأَى الْمَلِكُ أَنْ يُخْبِرَنِي بإِفْصَاحٍ فقَدْ أَوْضَحَ لِي بَعْضَ الْإِيضَاحِ.

---

(1) في أخبار مكة ودلائل النبوة: معقلها.

(2) في أخبار مكة ودلائل النبوة: يخمد.

(3) في أخبار مكة ودلائل النبوة: المرزأة.

(4) في أخبار مكة: من سارة آبائي، وفي دلائل النبوة: من سراره إيايَ.

فقَالَ لَهُ ابن ذي يزن: هَذَا حِينُهُ الذِي يُولَدُ فِيهِ، أَوْ قَدْ وُلِدَ، اسْمُهُ مُحَمَّد، بَيْنَ كَتِفَيْهِ شامَةٌ، يَمُوتُ أَبُوهُ وأُمُّهُ، ويَكْفلُهُ جَدُّهُ وعمُّهُ، وقَدْ وجَدْنَاهُ[1] مِرَارًا، واللهُ بَاعِثُهُ جِهَارًا، وجاعِلٌ لَهُ مِنَّا أَنْصَارًا، يُعِزُّ بِهِم أَوْلِياءَهُ، ويُذِلُّ بِهِمْ أَعْدَاءَهُ، ويَضْرِبُ بِهِم النَّاسَ عَنْ عرض، ويَسْتَبِيحُ بِهِم كرَائِمَ الْأَرْضِ، يَعْبُدُ الرَّحْمَنَ ويَدْحضُ الشَّيْطانَ، ويَكْسِرُ الأَوْثَانَ ويُحْمِدُ النِّيرَانَ، قَوْلُهُ فَصْلٌ وحُكْمُهُ عَدْلٌ، يَأْمُرُ بالْمَعْرُوفِ ويَفْعَلُهُ، ويَنْهَى عَن الْمُنكَرِ ويُبْطِلُهُ. قالَ: فَخَرَّ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ ساجِدًا فقَالَ: ارْفَعْ رأْسَكَ، ثلج صَدْرُكَ، وعَلَا كَعْبُكَ، فهَلْ أَحْسَسْتَ مِنْ عِلْمِهِ شَيْئًا؟

قالَ: نَعَمْ أَيُّها الْمَلِكُ، كانَ لِي ابْنٌ وَكُنْتُ بِهِ مُعْجَبًا وعَلَيْهِ رَفِيقًا، فزَوَّجْتُه كَرِيمَةً مِنْ كرَائِمِ قَوْمِهِ، آمِنَةَ بِنْت وَهْبِ بنِ عَبْدِ مَنَاف بنِ زُهْرَةَ، فجَاءَتْ بِغُلَامٍ سَمَّيتُهُ مُحَمَّدًا، مَاتَ أَبُوهُ وأُمُّهُ وكفَلْتُهُ أنَا وعَمُّهُ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ شَامَةٌ، وفِيهِ كُلُّ مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَلَامَةٍ.

قالَ: والْبَيْتِ ذِي الْحُجُب، والْعَلَامَاتِ ذِي النّصب، إِنَّكَ يا عَبْدَ الْمُطَّلِبِ لَجَدُّهُ غَيْر الكَذِب، وإِنَّهُ الذِي قُلْتُ لَكَ فِيهِ مَا قُلْتُ، فَاحْفَظْ بِابْنِكَ واحْذَرْ عَلَيْهِ الْيَهُودَ فَإِنَّهُمْ لَهُ أَعْدَاءٌ، ولَنْ يَجْعَلَ اللهُ تَعَالَى لَهُمْ عَلَيْهِ سَبِيلًا، وَاطْوِ مَا ذَكَرْتُ لَكَ دُونَ هَؤُلَاءِ الرَّهْطِ الذِينَ مَعَكَ، فإِنِّي لَسْتُ آمَنُ أَنْ تَدْخُلَهُم النَّفَاسَةُ، مِنْ أَنْ تَكُونَ لَهُم الرِّيَاسَةُ فيَبْغُون لَهُ الْغَوَائِلَ، ويَنْصِبُون لهُ الْحَبَائِلَ، وهُمْ فَاعِلُونَ أَوْ أَبْنَاؤُهُمْ، وَلَوْلَا أَنَّ الْمَوْتَ مُجْتَاحِي قَبْلَ مَبْعَثِهِ لَسِرْتُ بِخَيْلِي ورَحْلِي [120و] حَتَّى أَصِيرَ بِيَثْرِبَ دَارِ مَمْلَكَتِهِ، فَإِنِّي أَجِدُ فِي الْكِتَابِ النَّاطِق والْعِلْمِ السَّابِق، أَنَّ بِيَثْرِبَ اسْتِحْكَامَ أَمْرِهِ وأَهْلَ نَصْرِهِ ومَوْضِعَ قَبْرِهِ، ولَوْلَا أَنِّي أَخَافُ عَلَيْهِ الْعَاهَاتِ، وأَحْذَرُ عليْهِ الآفَاتِ لأَوْطَأْتُ أَسْنَانَ الْعَرَبِ كَعْبَهُ، ولَأَعْلَيْتُ علَى حَدَاثَةِ سِنِّهِ ذِكْرَهُ، وَلَكِنِّي صَارِفٌ ذَلِكَ إِلَيْكَ، مِن غَيْرِ تَقْصِيرِ مَنْ مَعَكَ.

ثمَّ أَمَرَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ بِمِئَةِ بَعِيرٍ وعَشرَةِ أَعْبُدٍ وعَشْرِ إِمَاءٍ، وعَشْرَةِ أَرْطَالِ ذَهَبٍ، وعَشرةِ أَرْطَالِ فِضَّة، وكَرشَةٍ مَمْلُوءَةٍ عِنْبَرًا، وأَمَرَ لِعَبْد المطَلِّبِ بِعَشرَةِ أَضْعَافِ ذَلِكَ كُلِّهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: ايتِني بِخَبَرِهِ وَمَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِهِ عِنْدَ رَأْسِ الْحَوْلِ، وَمَاتَ سيف بن ذي يزن قَبْلَ الْحَوْلِ[2].

وكَانَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، لَا يَغْبِطُنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ بِجَزِيلِ عَطَاءِ الْمَلِكِ فَإِنَّهُ إِلَى نَفَادٍ، ولَكِنْ لِيَغْبِطْنِي بِمَا يَبْقَى لِي وَلِعَقِبِي شَرَفُهُ وذِكْرُهُ وفَخْرُهُ، فإِذَا قِيلَ لَهُ: مَا ذَاكَ؟ يَقُولُ: سَيُعْلَمُ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ[3].

---

(1) في أخبار مكة ودلائل النبوة: ولدناهُ.

(2) الخبر في دلائل النبوة، البيهقي، 9/2 وما بعدها، وأخبار مكة، الأزرَقي، 149/1 وما بعدها.

(3) الخبر في دلائل النبوة، البيهقي، 14/2، وأخبار مكة، الأزرَقي، 154/1.

وجَلَسَ عبدُ الْمُطَّلِبِ يَوْمًا فِي الْحِجْرِ، وَعِنْدَهُ أَسْقُفُ نَجْرَانَ وَكَانَ لَهُ صَدِيقًا، وهُوَ يُحَادِثُهُ ويقُولُ: إِنَّا نَجِدُ صِفَةَ نَبِيءٍ تَقِيٍّ[1]، مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ هَذِهِ[2] مَوْلِدُهُ [يَعْنِي مَكَّةَ][3] ومِنْ صِفَتِهِ كَذَا وَكَذَا، فَنَظَرَ إِلَى عَيْنَيّ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَإِلَى كَتِفَيْهِ، وهُوَ حَاضِرٌ مَعَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فقَالَ لَهُ: مَا هَذَا مِنْكَ؟ قَالَ: ابْنِي. قَالَ الْأَسْقُفُ: لَا، مَا نَجِدُ أَبَاهُ حَيًّا. قالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: هُوْ ابْنُ ابْنِي، مَاتَ أَبُوهُ وأُمُّهُ حُبْلَى بِهِ. قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ لبَنِيهِ: تَحَفَّظُوا بِابْنِ أَخِيكُمْ، أَلَا تَسْمَعُونَ مَا يَقُولُ فِيهِ[4].

وفِي رِوَايَةٍ: هَذَا مَوْلِدُهُ[5]؛ أَي: الزَّمَانُ.

وَإِنَّما عَلِمَ سيف بن ذي يزن ذلِكَ مِنْ جِهةِ تُبَّع؛ لِأَنَّهُ أَلْقَى خَبَرَهُ إِلَى الْمُلُوكِ يتَعَاقَبُونَهُ واللهُ أَعْلَمُ.

وأَمَّا زيد بن عمرو بن نفيل وَهُوَ عَمُّ عُمَر بنِ الْخَطَّابِ فوَحَّدَ اللهَ وَصَلَّى إِلَى الْكَعْبَةِ، وانْتَظَرَ النَّبِيءَ ﷺ وآمَنَ بهِ، وجانَبَ الْأَوْثَانَ، وقالَ لعامر بن ربيعة: إِنْ أَدْرَكْتَ النَّبِيءَ مِنْ بنِي إِسْمَاعِيلَ فأَقْرِهِ مِنِّي السَّلامَ، فأَدْرَكَهُ عَامِر وبَلَّغَهُ سَلَامَهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ وترَحَّمَ عَلَيْهِ، وقَالَ ﷺ: ((**رَأَيْتُهُ فِي الْجَنَّةِ يَسْحَبُ ذُيُولًا**))[6].

ورُوِيَ أَنَّ زيدًاكانَ بالشَّامِ، فبَلَغَهُ خَبَرُ النَّبِيءِ ﷺ فأَقْبلَ إِلَيْهِ، فقُتِلَ بِأَرْضِ البَلقاء، وقِيلَ تَوَسَّطَ بِلَادَ لخم فَقَتَلُوهُ، وقِيلَ: مَاتَ قَبْلَ الْبَعْثِ بِخَمْسِ سِنِينَ.

وأَمَّا عَمْرو بنُ لُحَيّ فَأَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ، وَرُوِيَ أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ وبِهَا يَوْمَئِذٍ الْعَمَالِقَةُ يَعْبُدونَ الْأَصْنَامَ، فاسْتَوْهَبَ مِنْهُمْ وَاحداً[1] وهُوَ هُبَل، فنَصَبَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ[7].

وَقِيلَ: كانَ لَهُ تَابِعٌ مِنَ الْجِنِّ يُقالُ لهُ أبو تمامة فأَتَاهُ لَيْلَةً فقَالَ لَهُ: [120ظ] أَجِبْ أَبَا تُمَامَةَ، فقَالَ: لَبَّيْكَ مِنْ تِهَامَة، ادْخُلْ بِلَا مَلَامَة، فَقَالَ: ايتِ سَيْفَ جُدَّة تَجِدْ آلِهَةً مُعَدَّة، فَخُذْهَا وَلَا تَهَبْ، وَادْعُ إِلَى عِبادَتِها تُجَبْ. فَتَوَجَّهَ إِلَى جُدَّة، فَوَجَدَ الْأَصْنَامَ التِي تُعْبَدُ زَمَنَ نُوحٍ عليه السلام فحمَلَهَا إِلَى مَكَّةَ، وُدّا وسُوَاعًا ويَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْرًا[8] والْعِيَاذُ بِاللهِ مِنَ الْكُفْرِ.

---

(1) في الاكتفاء: بقِيَ.

(2) فِي دلائل النبوة لأبِي نعيم: "هذا" وأضاف المحقق كلمة البلد لتتمة المعنَى، وسيذكر المؤلف الرواية ويعلِّقُ عليها.

(3) من كلام المؤلِّفِ لتوضِيحِ المعنَى.

(4) الاكتفاء، الكلاعِي، 140/1، ودلائل النبوة، أبو نعيم، ص165.

(5) في دلائل النبوة، أبو نعِيم، ص165.

(6) الطبقات الكبِير، ابن سَعْد، 135/1.

(7) فتح البارِي، ابن حجر، 549/6، وتارِيخ اليعقوبِي، 307/1.

(8) فتح البارِي، ابن حجر، 549/6.

وكانَ التَّلْبِيَةُ مِنْ عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِلَى كان[1] يُلبّي بِهَا فَتَمَثَّلَ لَهُ الشَّيطانُ شَيْخًا فقَالَ: لَا شَرِيكَ لَكَ إِلَّا شَرِيكًا تَمْلِكُهُ ومَا مَلَك. فأَنْكَرَ عَلَيْهِ فقَالَ لَهُ: قُلْ ولَا بَأْسَ عَلَيْكَ.

وَلُحَيّ هُو بِضَمِّ اللَّامِ وفَتْحِ الْحَاءِ وشَدِّ اليَاءِ.

وحَلِيمَةُ أَسْلَمَتْ ورَوَتْ عَن النَّبِيءِ ﷺ، ورَوَى عَنْهَا عبدُ الله بن جعفر. وقَدْ ذَكَرَ ابنُ حبَّان وأَبُو يعلَى حَدِيثَ عَبْدِ اللهِ بنِ جَعْفَر بِقِصَّة إِرْضَاعِها، وَصَرَّحَ ابْنُ حبَّان بِالتَّحْدِيثِ بَيْنَ عبْدِ اللهِ بنِ جَعْفَر وحَلِيمَةَ. وقالَ ابن كثير: لَمْ تُدْرِك الْبِعْثَةَ. ورُدَّ بِأَنَّ عَبْدَ اللهِ بنَ جَعْفَر حَدَّثَ عَنْهَا عِنْدَ أبي يعلى والطَّبرانِيّ وابْن حِبَّان، وهُوَ إِنَّما وُلِدَ بعْدَ الْبِعْثَةِ[2].

وقَالَ الدّمياطيّ[3] وأبو حيّان[4]: إِنَّهَا لَمْ تُسْلِمْ وهُوَ مَرْدُودٌ بذَلِكَ، وَبِأَنَّ ابن أبي خيتمة وابن عبد البرّ وابن الجوزيّ عَدُّوهَا فِي الصَّحَابَةِ، والْحَافِظُ حُجَّةٌ والمُثْبِتُ مُقَدَّمٌ علَى النَّافِي، وكَذا قَالَ ابْنُ حَجَر: هِيَ أَسْلَمَتْ[5].

قِيلَ: أَرْضَعَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَشْرُ نِسْوَةٍ، الْأُولَى: أُمُّهُ أَرْضَعَتْهُ تِسْعَةَ أَيَّامٍ، وقِيلَ: ثَلَاثَة، وقِيلَ: سَبْعَة، وقِيلَ: سبْعَة أَشْهُرٍ، وهُوَ غَلَطٌ مِنَ الْقَائِلِ عَنْ أَيَّام إِلَى أَشْهُر أَوْ مِنْ نَاسِخٍ[6].

الثَّانيَةُ: ثُوَيبة أَيَّامًا قَلَائِل قَبْل قُدُومِ حَلِيمَةَ، وأَرْضَعَتْ قَبْلَهُ حَمْزَةَ وبَعْدَهُ أبا سلمة المخزوميّ[7]، بِضَمِّ الثَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ وَفَتْحِ الْوَاوِ وَإِسْكَانِ الْيَاءِ، مَاتَتْ بِمَكَّةَ سَنَةَ تِسْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، واخْتَلَفُوا فِي إِسْلَامِها فَقَال بِهِ ابن مندة. قَالَ الذَّهَبِيّ: يُقَالُ إِنَّهَا أَسْلَمَتْ وهُوَ لَفْظٌ يُفِيدُ ترْجِيحَ عَدَمِ إِسْلَامِها. وقَالَ ابن العربيّ: إِنَّهُ لَمْ تُرْضِعْهُ مُرْضِعَةٌ إِلاَّ أَسْلَمَتْ، ونَقَلَهُ السّيوطي عَنْ بَعْضِهِمْ، ولَعَلَّهُ أَرَادَ ابْنَ الْعَرَبِيّ. وقِيلَ: هِيَ أَوَّلُ مُرْضِعاتِهِ؛ أَيْ: بَعْدَ أُمِّهِ وأَعْتَقَها أبو جهل، ولَعَلَّهُ قَبْلَ إِرْضَاعِها وَاللهُ أَعْلَمُ، وَإِنَّمَا أَعْتَقَتْهُ بِلبَنِ ابْنِهَا مسروح.

---

(1) عبارة غير مفهومة.

(2) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 265/1

(3) عبد المؤمن بن خلف التوني الحافظ، من أهل تونة قرية من عمل دمياط، رحل إلى الحجاز ودمشق وحلب وحماة والجزيرة وبغداد، وأخذ عن كثير من الشيوخ، توفي بالقاهرة سنة705هـ. من تصانيفه: فضل الخيل على طريقة المحدثين، معجم شيوخه في مجلدين كبيرين. طبقات الشافعية، السبكي، 49/10، ومعجم المؤلفين، 326/2.

(4) النحوي.

(5) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 265/1.

(6) (م، س)، 258/1.

(7) (م، س)، 259/1، عن ابن سعد.

الثَّالِثَةُ: حَلِيمَةُ، والرَّابِعَةُ: خولة بنت المنذر بنِ زَيْدٍ أُمُّ بردة الأنصاريّة، قِيلَ: وَهُوَ وَهمٌ وإنَّمَا أَرْضَعَت ابْنَهُ إِبْرَاهِيمَ ﷺ[1].

وأَرْضَعَتْهُ أَيْضًا امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي سَعْدٍ حِينَ كَانَ عِنْدَ حَلِيمَةَ[2].

وأُمُّ أَيْمَن بَرَكَة الْحَبَشِيَّة، وَالْمَشْهُورُ أَنَّهَا مِنَ الْحَوَاضِنِ لَا مِنَ المَرَاضِعِ. وأُمُّ فَرْوَةَ[3]. وثَلَاثُ نِسْوَةٍ مِنْ بني سليم، أبكارٌ مَرَّ عَلَيْهِمْ فَأَخْرَجْنَ ثَدْيَهُنَّ إِلَى فِيهِ، فدَرَّتْ فِيهِ كُلُّ وَاحِدَةٍ اسمُها عَاتِكَة، فَرُوِيَ أَنَّهُ ﷺ قالَ: ((**أَنَا ابْنُ الْعَوَاتِكِ** [121و] **مِنْ سليم**))[4].

والْمَشْهُورُ أَنّهُ قَالَ: ((**أَنَا ابْنُ الْعَوَاتِكِ**)) فِي جَدَّاتٍ لَهُ يُسَمَّيْنَ عَوَاتِكَ، وَيُجمع ذَلِكَ كُلُّهُ.

واعْلَمْ أَنَّ بَيْنَ حَلِيمَةَ وَرَسُولِ اللهِ ﷺ مُنَاسَبَةً، وذَلِكَ أَنَّهُ أَبَتْهُ الْمُرْضِعَاتُ لِيُتْمِهِ وَقِلَّةِ الْمَالِ، وأَبَتْهَا أَصْحَابُ الرُّضَعَاءِ لِفَقْرِهَا وفِيهَا فَأْلٌ حسَنٌ: الْحِلْمُ والسَّعَادَةُ وكَانَ ﷺ يُحِبُّ الفَأْلَ الْحَسَنَ.

قَالَ المسور بن مخرمة[5]: إِنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ كَانَ إِذَا وَرَدَ الْيَمَنَ، نَزَلَ عَلَى عَظِيمٍ مِنْ عُظَمَاءِ حِمْيَرَ، فنَزَلَ عَلَيْهِ مَرَّةً، فَوَجَدَ رَجُلًا قَدْ أُمْهِلَ عَلَيْهِ فِي الْعُمُرِ وقَدْ قَرَأَ الْكُتُبَ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ الْمُطَّلِبِ أَتَأْذَنُ أَنْ أُفَتِّشَ مَكَانًا مِنْكَ؟ فَقَالَ: لَيْسَ كُلّ مِنّي آذَنُ لَكَ فِي تَفْتِيشِهِ، فقَالَ: إِنَّمَا هُمَا مِنْخَرَاكَ قَالَ: فَدُونَكَ، قَالَ: أَرَى نُبُوءَةً ومُلْكًا وأَرَى أَحَدَهُمَا فِي بَنِي زُهْرَةَ. فَرَجَعَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ فَتَزَوَّجَ هالة بنت وهب بن عبد مناف، وزَوَّجَ ابْنَهُ عَبْدَ اللهِ آمنة بنت وهب بن عبد مناف، فوَلَدَتْ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا ﷺ[6].

ورُوِيَ أَنَّهُ قَالَ لَهُ: هَلْ لَكَ مِنْ شَاغِرَةٍ[7]؟ أَيْ: زَوْجَةٍ، فَقَالَ: لَا، فقَالَ: إِذَا رَجَعْتَ فتزَوَّجْ فِيهِمْ ففَعَل فوَلَدَتْ لهُ حَمْزَة وصَفِيَّة[8].

وَفِي رِوَايَةٍ: أَرَى أَحَدَهُما فِي عَبْدِ مناف بنِ قصيّ، والْآخَرَ فِي عَبْدِ مَنَاف بنِ زُهْرَةَ.

قالَ كعْب بن مالِك عَنْ أَبِيهِ: حَدَّثَنِي أَشْيَاخُ قَوْمِي إِنَّهُمْ خَرَجُوا عُمّارًا، وَعَبْدُ الْمُطَّلِبِ يَوْمَئِذٍ حَيٌّ بِمَكّةَ، ومَعَهُمْ يَهُودِيٌّ يَقْصِدُ مَكَّةَ والْيَمَنَ لِلتِّجْرِ، فنَظَرَ إِلَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فقالَ: إِنَّا نَجِدُ فِي كتَابِنَا الذِي لَمْ يُبَدَّلْ، إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا نَبِيءٌ يَقْتُلُنَا وقَوْمَنا قَتْلَ عاد[9].

---

(1) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 259/1، عن ابن الأمِين في ذيل الاستيعاب.

(2) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 259/1.

(3) (م، س)، 259/1.

(4) الاستيعاب، 692/2.

(5) ينظر ترجمته في الإصابة، ابن حجر، 176/10.

(6) الطبقات الكبِير، ابنُ سَعد 67/1.

(7) فِي دلائل النبوة: شاعة.

(8) دَلائل النبوة، أبو نعِيم، ص130.

(9) (م، س)، ص165.

وَكَانَ بمَكَّةَ حَبْرٌ لَيْلَةَ الْمَوْلِد وَقَالَ: يُولَدُ اللَّيْلَةَ فِي بَلَدِكُمْ هَذَا النَّبِيءُ الذِي يُوصَفُ بأَنْ يُعَظِّمَ مُوسَى وهَارُونَ ويَقْتُلَ أُمَّتَهُمَا، فَإِنْ أَخْطَأَكُمْ فبَشِّرُوا بِهِ أَهْلَ الطَّائِفِ وأَهْلَ أَيْلة. فوُلِدَ فِي آخِرِ تِلْكَ اللَّيْلَة، فخَرَجَ الْيَهُودِيُّ فدَخَلَ الْحِجْرَ، وقَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُوسَى حَقٌّ وأَنَّ مُحَمَّدًا قَافٍ لِمُوسَى حَقٌّ مُؤْمِنٌ بِهِ، ثُمَّ فُقِدَ ولَمْ يُقْدَرْ عَلَيْهِ.

وكَذَلِكَ كَانَ يَهُودِيٌّ يَتَّجِرُ بِمَكَّةَ، وقَالَ فِي مَجْلِسٍ مِنْ قُرَيْشٍ: هَلْ وُلِدَ فِيكُم اللَّيْلَةَ مَوْلُودٌ؟ قَالُوا: لا نَدْرِي. قَالَ: اللهُ أَكْبَر، أَمَّا إِذَا أَخْطَأَكُمْ فَلَا بَأْسَ؛ أَيْ: لَا كَذِب. احْفَظُوا مَا أَقُولُ لَكُمْ: وُلِدَ فِيكُم اللَّيْلَة مَوْلُودٌ هُوَ نَبِيءُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلَامَةٌ، فِيهَا شَعرَاتٌ مُتَوَاتِرَةٌ، كَأَنَّهَا عَرْفُ فَرَسٍ. فَأَخْبَرَهُمْ أَهْلُهُمْ أَنَّهُ وُلِدَ اللَّيْلَةَ مَوْلُودٌ لِعبد الله بن عبد المطّلب وسَمَّوْهُ مُحَمَّدًا. فَالْتَقَوْا فَقَالُوا: هَلْ سَمِعْتُمْ كَلَامَ الْيَهُودِيِّ؟ ولَمَّا بَلَغَ الْخَبَرُ الْيَهُودِيَّ حَرَّ مَغْشِيًّا وقَالَ: ذَهَبَت وَاللهِ النُّبُوءَةُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ[1].

واللهُ أَعْلَمُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ، واللهُ الْمُستَعَانُ.

72 [121ظ][2]**وأَبْصَرَ في بصْرَى بَحِيرَى غَمَامَةً عَلَيْكَ اسْتَوَتْ حَتَّى بَدَا ظِلُّهَا الدَّانِي**

73 **وَشَاهَدَ أَغْصَانًا عَلَيْكَ تهصَّرَتْ فَسُرَّ بِأَوْصَافٍ لَدَيْهِ بِأَزْمَانِ**

74 **وَمَيْسَرَةٌ قَدْ عَايَنَ الملَكَيْنِ إِذْ أَظَلَّاكَ لَمَّا عُدْتَ فِي سَيْرِكَ الثَّانِي**

وأَبْصَرَ الرَّاهِبُ بحيرى فِي بُصْرَى، وهِيَ بَلْدَة بالشَّامِ، غَمَامَةً مُسْتَوِيَةً علَيْكَ يا رَسُولَ اللهِ حتَّى ظَهَرَ ظِلُّها القَرِيبُ علَيْكَ.

وشاهَدَ فِي بُصْرَى بَحِيرَى الرّاهِبُ أَيْضًا أَغْصَانًا متَمَايِلَةً عَلَيْكَ مِنْ شَجَرَةٍ قعَدْتَ عنْدَهَا، فأَفْرَحَ اللهُ بَحِيرَى بأَوْصَافٍ متَقَدِّمَةٍ عنْدَهُ بأَزْمَان تَقَوَّتْ بالْغَمامَةِ والأَغْصانِ المذْكُورةِ.

وكَذَلِكَ ميسرة عايَنَ الملَكَيْنِ المعْهُودَيْنِ عنْدَ عُلَماءِ السِّيَرِ، إِذْ صارَا مُظِلَّانِ علَيْكَ حِينَ رَجَعْتَ مِنَ الشَّامِ في عَاقِبَةِ سَيْرِكَ الثَّاني إِلَى الشَّامِ.

وهُنا فُصولٌ: اثْنَانِ في قِصَّتَيْ بَحِيرَى ومَيْسَرَة، والآخَرُ في بَعْضِ ما تَقَدَّمَ فِي الأَزْمانِ السَّابِقةِ علَيْهِ مِنْ شَأْنِهِ ﷺ.

الفَصْلُ الأَوَّلُ:

في هَذَا قالَ هشام بن العاصي الأُمَوِيّ: بعَثَنِي أبو بكرﷺ إِيَّايَ ورَجُلًا مِنْ قُرَيْشَ إِلَى هرقل ندْعوهُ إِلَى الإِسْلامِ فقَدِمْنا الغوطة، يعْنِي دمشق، فنَزَلْنَا علَى جبلة بن الأيهم الغسّاني وأَرْسَلَ إِلَيْنَا بِرَسُولٍ نُكَلِّمهُ

(1) المستدرك على الصحيحين، الحاكِم، حدِيث (4177).

(2) في الهامش عبارتان: قف في شرح الأبيات هذه إن شاء الله أذكر مسائل أيدرة قف وفيه إن شاء الله أذكر صور الأنبياء.

فقُلْنَا: واللهِ لَا نُكَلِّمُ رَسُولًا إِنَّما بُعِثْنَا إلى الملِكِ فإِنْ أَذِنَ لنَا كَلَّمْنَاهُ وإِلَّا لَمْ نُكَلِّم الرَّسول، فرَجَعَ الرَّسولُ إِلَيْهِ فأَخْبَرَهُ بذَلِكَ فأذِنَ لَنَا، قالَ هِشامُ: فكَلَّمْتهُ ودَعَوْتُهُ إِلَى الإِسْلامِ فإِذَا علَيْهِ ثيَابٌ سودٌ، فقُلْت لَهُ: ما هَذِهِ الثِّيَابُ التِي عليْكَ؟ قال: لَبِسْتُها وحَلَفْتُ أَلَاّ أَنْزَعَهَا حَتَّى أُخْرِجَكُمْ مِنَ الشَّامِ، قُلنَا: ومَجْلِسُكَ هَذَا واللهِ لنَأْخُذَنّهُ ولَنَأْخُذَنّ مُلْكَ الملِكِ الأَعْظَمِ إِنْ شاءَ اللهُ، أَخْبَرَنَا بذَلِكَ نَبِيُّنَا ﷺ فقالَ: لسْتُمْ بِهُمْ، فقَالَ: بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَصُومونَ النَّهارَ ويفْطرُونَ باللَّيلِ فكَيْفَ صَوْمُكُمْ؟ فأَخْبَرْنَاهُ، فامْتَلأَ وجْهُهُ سوادًا ثُمَّ قالَ: قُومُوا وبَعَثَ معَنَا رسُولًا إِلَى الملِكِ، فخَرَجْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا قَرِيبًا مِنْ مدِينَةِ الملِكِ قالَ لَنَا الذِي مَعَنَا: إِنَّ دَوَابَّكُمْ هذِهِ لَا تَدْخُلُ مدِينَةِ الملِكِ، فإِنْ شِئْتُمْ جعلْنَاكُمْ علَى بَرَادِينَ قُلْنَا: لَا نَدْخُلُ إِلَّا عَلَيْهَا، فأَرْسَلَ إِلَى الملِكِ إِنَّهُمْ يأْبَوْنَ، فَأَذِنَ لَنَا فدَخَلْنَا علَى رَوَاحِلِنَا متقَلّدِينَ سيوفَنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى غُرْفَتِهِ، فأَنَخْنَا فِي أَصْلِهَا وهُوَ ينْظُرُ إِلَيْنَا فقُلْنَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ واللهُ أَكْبَرُ، واللهُ يعْلَمُ لَقَدْ تَنَقَّضَت الغُرْفَةُ [122و] حَتَّى صَارَتْ كأَنَّهَا عِدْقٌ تَصْفِقُهُ الرِّياحُ. فأَرْسَلَ إِلَيْنَا لَيْسَ لَكُمْ أنْ تجْهَرُوا[1] علَيْنَا بِدِينِكُمْ، وأَرْسَلَ إِلَيْنَا أن ادْخُلُوا فدَخَلْنَا عَلَيْهِ وهُوَ علَى فِرَاشٍ لَهُ وعِنْدَهُ بطَارِقَتُهُ مِنَ الرُّومِ، وكُلُّ شَيْءٍ فِي مَجْلِسِهِ أَحْمَر، ومَا حَوْلَهُ أَحْمَر وعَلَيْهِ ثِيَابٌ حُمْرٌ، فدَنَوْنَا مِنْهُ فَضَحِكَ وقَالَ: ما عَلَيْكُم لَوْ حَيَّيْتُمُونِي بتَحِيَّتِكُمْ فيمَا بيْنَكُمْ، وإِذَا عِنْدَه رجُلٌ فَصيحٌ بالعَرَبِيَّةِ كثِيرُ الكَلامِ فقُلْنَا: إِنّ تَحِيَّتَنَا فِيمَا بَيْنَنَا لَا تَحِلُّ لَكَ، وتَحِيَّتُكَ التِي تُحَيَّى بِهَا لَا يَحِلُّ لنَا أَنْ نُحَيِّيكَ بِهَا، فقَالَ: كَيْفَ تَحِيَّتُكُمْ بَيْنَكُم؟ فقُلْنَا: السَّلامُ علَيْكُمْ قالَ: كَيْف تُحَيُّونَ مَلِكَكُمْ؟ قلْنَا: بِهَا قالَ: كيْفَ يَرُدُّ عَلَيْكُم؟ قلْنَا: بِهَا، قالَ: فَمَا أَعْظَمُ كلَامِكُمْ؟ قلْنَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ واللهُ أَكْبَرُ، واللهُ يَعْلَمُ لَقَدْ تَنَقَّضَت الغُرْفَةُ حَتَّى رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا. قالَ: فَهَذِهِ الكَلِمَة التِي قُلْتُموهَا فَتنَقَّضَت الغُرْفَةُ كلَّمَا قُلْتُمُوهَا فِي بُيُوتِكُمْ تَنقض بيوتكُمْ علَيْكُمْ؟ قلْنَا: مَا رَأَيْنَا هذَا قَطُّ إِلَّا عنْدَكَ، قالَ: لَوَدِدْتُ أَنَّكمْ كُلَّمَا قُلْتُمُوهَا تَنَقَّضَ كُلُّ شيْءٍ علَيْكُم، وإِنّي خَرَجْتُ مِنْ نِصْفِ مُلْكِي قُلْنَا: لِمَ؟ قال: لأَنَّهُ أَيْسَرُ لشَأْنِهَا وَأَجْدَرُ أنْ تَكُونَ مِنْ أَمْرِ النُّبُوءَةِ وأَن لا تَكُونَ مِنْ حِيَلِ النَّاسِ. ثُمَّ سَأَلَنا عَمَّا أَرَادَ فأَخْبَرْنَاه ثُمّ قَالَ: كَيْفَ صلاتُكُمْ وصَوْمُكُمْ؟ فأَخْبَرْنَاهُ قالَ: قُومُوا فقُمْنَا فأَمَرَ لنَا بِمَنْزِلٍ ونزلٍ كَثِيرٍ، فأَقَمْنَا ثَلاثًا ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْنَا فدَخَلْنَا عَلَيْهِ، فاسْتَعَادَ قَوْلَنَا فأَعَدْنَاهُ فدَعَا بِشَيْءٍ كَهَيْئَةِ الرَّبْعَةِ العظِيمَةِ مذَهَّبَةٍ فِيهَا بُيوتٌ صِغارٌ وعَلَيْهَا أَبْوَابٌ ففَتَحَ قُفْلًا فاسْتَخْرَجَ حرِيرَةً سوْدَاءَ فنَشَرَهَا فإِذَا فِيهَا صُورَةٌ حمْرَاء فِيهَا رَجُلٌ ضَخْمُ العَيْنَيْنِ، عَظِيمُ الإِلْيَتَيْنِ لَمْ أَرَ مِثْلَ طولِ عُنُقِهِ، وإِذَا لَيْسَ لَهُ لِحْيَةٌ وإِذَا لَهُ ضَفِيرَتَانِ أَحْسَنُ مَا خَلَقَ اللهُ فقالَ: هلْ تعْرِفُونَ هَذَا؟ قُلْنَا: لَا قَالَ: هُوَ آدَمُ عليه السلام فإِذَا هُوَ أَكْثرُ النّاسِ شَعْرًا. ثُمَّ فَتَحَ بابًا آخَرَ فاسْتَخْرَجَ منْهُ حَرِيرَةً سَوْداءَ [فإِذَا فِيهَا][2] صُورَةٌ بيْضَاء وإِذَا رَجلٌ لهُ شَعْرٌ قَطَط،

(1) في الأصْل: تهجر.

(2) زيادة من دلائل النبوة.

أَحْمَرُ الْعَيْنَيْنِ، ضَخْمُ الهَامَةِ حَسَنُ اللِّحْيَةِ فقَالَ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قُلْنَا: لَا قَالَ: هَذَا نُوحٌ عليه السلام. ثُمَّ فَتَحَ بَابًا آخَرَ وأَخْرَجَ حَرِيرَةً سَوْدَاءَ[1] وإِذَا فِيهَا رَجُلٌ شَدِيدُ البيَاضِ حسَنُ العَيْنَيْنِ صِلْتُ الجَبِينِ طَوِيلُ الخَدِّ أَبْيَضُ اللِّحْيَةِ كأَنَّهُ يتَبَسَّمُ فقَالَ: هَلْ تَعْرِفونَ هَذَا؟ قُلْنَا: لَا قَالَ: هَذَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام. ثُمَّ فَتَحَ بابًا آخَرَ فاسْتَخْرَجَ حَرِيرَةً سَوداءَ فَإِذَا فِيهَا صُورَةٌ بَيْضَاءُ وإِذَا واللهِ رسُولُ اللهِ ﷺ فقالَ: هَلْ تَعْرِفُونَ هذَا؟ قُلْنَا: نَعَمْ مُحَمَّدٌ رسُولُ اللهِ ﷺ فبَكَيْنَا واللهُ أَعْلَمُ أَنَّه قَامَ قائِمًا ثُمَّ جلَسَ فقَالَ: آللهِ هوَ؟ قلْنَا: نَعَمْ إِنَّهُ لَهُوَ واللهِ كَأَنَّا نَنْظُر إِلَيْهِ فأَمْسَكَ سَاعَةً ينْظُرُ إِلَيْهَا ثُمَّ قالَ: أَمَا وَاللهِ إِنّهُ آخِر البُيُوتِ ولَكِنّي عَجَّلْتُهُ لَكُمْ لِأَنْظُرَ مَا عِنْدَكُم، ثُمَّ فَتَحَ بابًا آخَرَ [122ظ] فاسْتَخْرَجَ منْهُ حَرِيرَةً سوْدَاء فإِذَا فِيهَا صُورَةٌ أَدْمَاءُ سَمْحاءُ، وإِذَا رَجُلٌ جَعْدٌ قَطَطٌ غَائِرُ العَيْنَيْنِ، حَدِيدُ النَّظَرِ متَرَاكِبُ الأَسْنانِ مُقَلّص الشَّفَةِ كَأَنَّهُ غضْبَانُ فقَالَ: هَلْ تَعْرِفُون هَذَا؟ قُلْنَا: لَا، قَالَ: هذَا مُوسَى عليه السلام وإِلَى جَنْبِهِ صُورَةٌ تُشْبِهُهُ مُدْهَامُّ الرّأس عرِيضُ الجَبِينِ قالَ: هَلْ تَعْرِفونَ هَذَا؟ قُلْنَا: لَا قَالَ: هَذَا هارون بن عمران عليه السلام. ثُمّ فَتَحَ بابًا آخَرَ فاسْتَخْرَجَ منْهُ حَرِيرةً بيْضَاءَ فِيها صُورَةُ رَجُلٍ آدَمَ سِبْطِ رَبْعَةٍ كَأَنَّهُ غَضْبَان فقَالَ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قلْنَا: لَا قَالَ: هَذَا لُوطُ عليه السلام. ثمَّ فَتَحَ بابًا آخَرَ فاسْتَخْرَجَ مِنْه حَرِيرَةً بيْضَاءَ فيهَا رَجُلٌ أَبْيَض مُشْرَبٌ بِحُمْرَةٍ، خَفِيفُ العَارِضَيْنِ حَسَنُ الوَجْهِ فقَالَ: هَلْ تعْرِفونَ هذَا؟ قُلْنَا: لَا قَالَ: هذَا إِسْحاقُ عليه السلام ثُمَّ فَتَحَ بَابًا آخرَ فَاسْتَخْرَجَ منْهُ حَرِيرَةً بيْضَاء، فإِذا فِيهَا صُورَةٌ تُشْبِهُ صُورَةَ إسحَاق إِلَّا أنَّ عَلَى شَافَتِهِ السُّفلَى خَالًا فقَالَ: هَلْ تَعْرِفُونَ هذَا؟ قلْنَا: لَا قالَ: هَذَا يعْقُوبُ عليه السلام. ثمَّ فتَحَ بابًا آخرَ فاسْتَخْرَج مِنْه حَرِيرةً بيْضَاءَ فِيهَا صورَةُ رَجُلٍ أَبْيَضَ حَسَنِ الوَجْهِ أَقْنَى الأَنْفِ، حسَن القَامَةِ يعْلُو وجْهَهُ النُّورُ، يُعْرَف فِي وَجْهِهِ الخُشُوعُ، يضْرِبُ إِلَى الحُمْرَةِ فقَالَ: هَلْ تَعْرِفُونَ هذَا؟ قُلْنَا: لَا قَالَ: هذَا إِسْماعِيلُ عليه السلام جَدُّ نَبِيئِكُمْ عليه السلام. ثمَّ فَتَحَ بابًا آخَرَ فاستَخْرَجَ منْهُ حَرِيرَةً بيْضَاءَ فِيهَا صُورةٌ بيْضَاء كَصُورَةِ آدَمَ عليه السلام كأَنَّ وَجْهَهُ الشّمْسُ فَقَالَ: هلْ تَعْرِفون هَذَا؟ قُلْنَا: لَا قالَ: هذَا يُوسُفُ عليه السلام. ثُمَّ فَتَحَ بابًا آخَرَ فاسْتَخْرَجَ منْهُ حرِيرَةً بيْضَاءَ، فِيهَا رَجُلٌ أَحْمَرُ حَمْشُ السَّاقَيْنِ أَخْفَشُ العَيْنَيْنِ ضخْمُ البَطْنِ رَبْعَةٌ متَقَلّدٌ سَيْفًا قالَ: هلْ تَعْرفونَ هذَا؟ قُلْنَا: لَا، قالَ: هذَا داوود عليه السلام. ثُمّ فَتَحَ بابًا آخَرَ فاسْتَخرَجَ مِنْهُ حَرِيرَةً بَيْضاءَ فِيهَا رَجُلٌ ضَخْمُ الإِلْيَتَيْنِ طوِيلُ الرِّجْلَيْنِ راكِبٌ فَرَسَهُ قالَ: هَلْ تعرِفُونَ هذا؟ قُلْنَا: لَا قالَ: هَذَا سليمان عليه السلام. ثُمّ فَتَحَ بابًا آخرَ فاسْتَخْرَجَ مِنْه حَرِيرَةً سوْدَاء فِيهَا صُورَةٌ بَيْضاءُ وإِذَا رَجُلٌ شَدِيدُ سوَادِ اللِّحْيَةِ كَثِيرُ الشَّعْرِ حَسَنُ العَيْنَيْنِ، حَسَنُ الوَجْهِ قالَ: هَلْ تعْرِفُونَ هَذَا؟ قُلْنَا: لا قالَ: هذَا عيسى بن مريم عليه السلام قلْنَا لَهُ: مِنْ أَيْنَ لكَ هَذِهِ الصُّوَرُ؟ لأَنَّا نَعْلَمُ أَنّها علَى صُورَةِ مَا صُوِّرَتْ عليْهِ الأَنْبِئَاءُ عليهم السلام ورَأَيْنَا فِيهَا صُورَةَ نَبِيئِنَا ﷺ مِثْلَهُ، فقَالَ: إِنَّ آدَمَ عليه السلام سأَلَ رَبَّهُ أَنْ يرِيَهُ الأَنْبِئَاءَ مِنْ وَلَدِهِ فأَنْزَلَ اللهُ سبْحَانَهُ صُوَرَهُمْ [123و] علَيْهِ فكانَتْ في خِزَانَةِ

(1) العبارة "صورة بيضاء...سوداء" أضافها المؤلِّف على الهامِشِ.

آدَمَ عليه السلام فاستَخْرَجَهَا ذو القرنين مِنْ مَغْرِبِ الشّمسِ فدَفَعَهَا إِلَى دَانْيَالَ فصَوَّرَهَا دَانيالُ فِي خِرَقٍ مِنْ حَرِيرٍ هِيَ هذِهِ بأَعْيَانِهَا ثمّ قالَ: أَنَا واللهِ إنَّ نفْسِي طابَتْ بالخُرُوجِ مِنْ مُلْكِي ثُمّ أجازنَا وأَحْسَنَ إجَازَتَنَا وَسَرَّحَنَا.

فلَمَّا أَتَيْنَا أبَا بَكْرٍ الصِّدّيقَ رضي الله عنه حَدَّثْنَاهُ بِمَا رَأَيْنَا ومَا أَخْبَرَنَا بِهِ فبَكَى أبُو بَكْرٍ رضي الله عنه ثُمَّ قَالَ: أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّهُمْ واليَهُود يجِدُونَ نَعْتَ مُحَمَّدٍ ﷺ عِنْدَهُمْ[1].

وكذَا قَالَ أبو سفيان: دَخَلْتُ الشّام فقَالَ مَلِكُ الرُّومِ: أتَعْرِفُ صُورَةَ صاحِبِكَ إذَا رَأَيْتَهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ فأَدْخَلَنِي بَيْتًا فِيهِ صُوَرُ الأَنْبِيَاءِ فرَأَيْتُ صُورَةَ النَّبِيءِ ﷺ وإِذَا عَنْ يَمِينِهِ رَجُلٌ وَعَنْ يسَارِهِ رَجُلٌ قَدْ صوّرَ فَسَأَلْتُهُ عنْهُمَا فقَال: هُمَا صَاحِبَاهُ دُونَ النَّاسِ أَبُو بَكْرٍ وعُمَر رضي الله عنهما.

وفِي رِوَايَةٍ: أَدْخَلَهُ رَجُلٌ بَيْتا فِيهِ صُوَرُ الأَنْبِيَاءِ عَلَيهِمُ السّلَامُ ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ فقالَ: فِيمَ أنتُمَا؟ قَالَا: نَنْظُرُ صُورةَ مُحَمَّدٍ ﷺ في الأَنْبِيَاءِ، وقالَ: تَعَالَ فَاتَّبَعَهُ فأَدْخَلَهُ بَيْتًا فِيهِ صُورَتُهُ ﷺ وأَنّه رَأَى صُورَتَيْنِ بعَقِبِهِ فَقَالَ لَهُ: إِنّهُمَا خَلِيفَتَان بَعْدَهُ والحَمْدُ للهِ.

وذَكَرَ دحية الكلبيّ: إنَّ قيصرا بَعَثَ إِلَيْهِ مِنْ غَدِ يَوْم أَعْطَاهُ كِتابَ النَّبِيءِ ﷺ سِرّا فأَدْخَلَهُ بيْتًا عَظِيمًا فِيهِ ثَلاثُ مِئةٍ وثَلاثُ عَشْرَةَ صُورَةٍ، فإِذَا هِيَ صُوَرُ الأَنْبِيَاءِ المرْسَلِينَ، فقَالَ: انْظُرْ أَيْنَ صاحِبُكَ مِنْ هؤُلاءِ؟ فرَأَيْتُ صُورةَ النَّبِيءِ ﷺ كأَنّهُ ينْطِقُ قُلْتُ: هذَا قَالَ: صَدَقْتَ، رَوَاهُ أبو نعيم.

وذَكَرَ الشّيخ أحمد بن قاسم بن أحمد بن الفقيه قاسم بن الشّيخ الحجريّ الأندلسيّ[2]: وجَدْتُ[3] نُسْخَةً مِنَ الكُتُبِ التِي وُجِدَتْ تَحْتَ الأَرْضِ فِي خندق الجنّة بِغَرْبِ غرناطة مَكْتُوبَةً فِي وَرَقِ الرّصَاصِ مِنْ عَهْدِ الصَّالِحَةِ مريم عليها السّلام المسَمَّى بِكِتَابِ: مَوَاهِبِ الثَّوَابِ لِعِبَادِ اللهِ المؤمِنِينَ فِي حَقِيقَةِ الإِنْجِيلِ والأَمْرِ بِهَا فِي التّارِيخِ فِي آخرِ الزّمَانِ واللّعْنَةِ بعَكْسِهَا بالمُعَاكِسِينَ إِلَيْهَا، فِيهَا ثَمَانُ مَسَائِلَ لِيدره مَعَ جمْهُورِ الحَوَارِيّينَ لِلصّالِحَةِ العَذْرَاءِ مَرْيَمَ وجَوَابُهَا إِلَيْهِ لَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ علَى فَهْمِ مَعَانِي تَوَارِيخِ الحَقِيقَةِ تَمَا[4] دُونَهُ لِيعقوب بن شامخ الحواريّ عَاقِبَةِ الدّينِ، مَكْتُوبٌ علَى يَدِ تِلْمِيذِهِ وكَاتِبِهِ تصفي[5] بنِ العَطَّارِ الأَعْرَابِيّ.

قالَ يعقوب الحواريّ: جمَاعَةُ جُمْهُورِنَا الحَوَارِيّين الاثْنَيْ عَشَرَ مَعَ الصَّالِحَةِ مَرْيَمَ فِي بَيْتِهَا بَعْدَ نُزُولِ حَقِيقَةِ الإِنْجيلِ عَلَيْهَا ووَصْفِهَا لِلْأَمْرِ فِيهِ إِلَيْنَا [123ظ] فخَاطَبْتُنَا بِقَوْلٍ قد سَحَرَتْ بِهِ عقولَنَا،

---

(1) القصّة في دلائل النبوة، البيهقي، 386/1، وتاريخ الخميس، الديابكري، 21/1.

(2) أحمد بن قاسم بن الشيخ الحجري (نسبةً إلى الحجر، إحدَى قُرَى غرناطَة) أصله من إشبيلية ثمَّ انتقل إلى المغرِبِ، باحِث ومترجِم من الإسبانية، عمل لدى السُّلطانِ زيدان بن أحمَد المنصُور السَّعْدِي، من مصَنَّفَاتِهِ: ناصر الدين على القوم الكافِرِينَ، ورحلة الشهاب إلى لقاء الأحبابِ، ولم يعرَف مصِيرُهُ إلى سنة 1048هـ. الأعلام، الزركلي، 148/1.

(3) هذا النقلُ وهو قوله: وجدت نسخة ....غَفَرَ اللهُ لهُ جميع ذنوبه. نقله المؤلِّف من: رحلة أفوقاي الأندلسِي، مختصر رحلة الشِّهَاب إلى لقاء الأحبابِ، أحمد بن قاسم الحجرِي، ص154-159.

(4) هكذا في الأصل وفِي رحلة أفوقاي، وقال المحقِّق: ربما هي كما.

(5) كلمة غير واضحة، وفي رحلة أفوقاي: تصفون.

وطَابَتْ بهِ نفُوسُنَا وسكَنَتْ قلوبُنَا وخَشَعَتْ لِمَا يَجِبُ الخشُوعُ إلَيْهِ مِنْ أَحْسَنِ الذِّكْرِ والعَمَلِ الصّالِحِ والطّاعَةِ للهِ ثُمَّ خطَبَتْنَا بِأَسْرار عَظِيمَةٍ.

وقالَتْ: وقَفَ الملَائكَةُ في السَّماءِ، والإنسُ في الثَّرَى تَعْظِيما للهِ ووَعْظا ومَا رَأَيْتُ أطْيَبَ نفْسا منْهَا ولَا أَفْصَحَ منْهَا ولَا أَكْبَرَ عِلْما بِهَا بَعْدَ سَيِّدِنَا يسُوع. وذَلِكَ الوَصْفُ كُلُّهُ كانَ في خَوَاصِّ حقِيقَةِ الإِنْجِيلِ العزِيزِ شكْرا للهِ تعالَى علَى تِلْكَ النِّعَمِ، وأَطْلُبُ منْكَ أنْ تَقُصَّ علَيْنَا ثَمَانِي مَسَائِلَ في مَوَاهِبِ ثَوَابِهَا، وعَن المتَوَكِّلِينَ لِلْأَمْرِ بهَا، والتّابِعينَ لَهَا بالإِيمَانِ، وعَنْ ثوَابِهِم الموْصُوفِينَ فِي وَصْفك بالتّاريخ للعِبادِ فِي آخِرِ الزّمَانِ، وما ينْبَغِي بالعَكْسِ للمُعَاكِسِينَ إِلَيْهَا، مِن اللَّعْنَةِ والعَذَابِ[1]، ليكتسب[2] جمهورنا والعباد مِنْ بَعْدِنا فِي آخرِ الزَّمانِ، فقَالَتْ: يا يدره صِفْ أَوَّلًا منْهُنَّ قالَ: أَخْبِرِينِي عنْ حقِيقَةِ الإِنْجِيلِ، قالَ[تْ]: هِيَ رُوحُ الإِنْجيلِ، وهِيَ كَنْزٌ مِنْ كنُوزِ العَرْشِ، فلَاحٌ لْلمُؤْمِنينَ مَا مِنْ[3] عَبْدٍ يؤْمِنُ حَقَّ الإيمانِ؛ بإِخْلَاصٍ ونِيَّةٍ لمْ يُخالِطْهَا شَيْءٌ مِنَ الشَّكِّ، وماتَ علَى ذلِكَ، إِلَّا يَكْتُبُ اللهُ لهُ برَاءَةً مِنَ النَّارِ، ويَغْفِر لهُ جَمِيعَ ذنُوبِهِ، ولَوْ كَانَتْ لَمْ تُحْصَ في الْعَدَدِ، ومَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ يأْتِي لَهَا علَى عِلْمٍ بَعْدَ شَرْحِهَا للْعِبَادِ، يَرْفَعُهُ اللهُ فِي الجَنَّةِ دَرَجةً عالِيَةً، والعَامِلُ بالعَكْسِ لَا شفَاعَةَ فِيهِ، يَلْعَنُهُ اللهُ ومَلائِكَتُهُ أَلْفَ مَرَّةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ، وهُوَ تَحْتَ سَخَطِ اللهِ ويُخَلِّدُهُ في نَارِ جَهَنَّمَ، إِلَّا أَن يَرْجِعَ مِنْ ذَلِكَ حَقَّ الرُّجُوعِ للهِ.

ثمّ قَالَ[تْ]: يا يَدْرُه صِفْ لِي الثَّانِيَةَ، قالَ: أَخْبِرينَا عَنْ فَضْلِ العَرَبِ أَنْصَارِ الدِّينِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وعَنْ ثوَابِهِمْ وعَنْ فَضْلِ لِسَانِهِمْ علَى الأَلْسُنِ يا مَوْلَاتنَا. فقَالَت: العَرَبُ أَنْصَارُ الدِّينِ فِي آخِرِ الزَّمانِ وفَضْلُ لِسانِهِمْ علَى الأَلْسُنِ مِثْل فَضْلِ الشَّمْسِ علَى دَرَارِي السَّمَاءِ، اخْتَارَهُم اللهُ لِذَلِكَ الأَمْرِ، وأَيَّدَهُم بنَصْرِه. وفَضْلُ المؤمِنِينَ عنْدَ اللهِ كَبِيرٌ، وثَوابُهُم جَسِيمٌ، ما مِنْ عَبْدٍ مؤْمِنٍ يَدْعُو لَهُمْ بالنَّصْرِ والتَّأْيِيدِ بَعْدَ أنْ يُشْهِرَ اللهُ حَقِيقةَ الإِنْجيلِ فِي الموْضِعِ المقَدَّسِ الذِي يرَى فِيهِ إِلَّا ويَنْصُرُهُ اللهُ النّصْرَ المبِينَ، ويَكْتُبُهُ اللهُ حَقًّا عَبْدَهُ تَابِعًا [124و] لِمَرْضِيَّتِهِ ومُنِيبًا لنُصْرَتِهِ[4] دينِهِ الرَّشِيدِ، ومَنْ يُرِدْهُم بِسُوءٍ يلْعَنْهُ اللهُ وملائِكَتُهُ أَلْفَ مرَّةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ، وهُوَ تَحْتَ سَخَطِهِ، إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ عنْ ذَلِكَ كلِّهِ حَقَّ الرّجُوع للهِ.

ثمّ قَالتْ: صِف الثَّالِثَةَ يا يَدْرُه، قالَ: أَخْبِرِينَا عنْ صَالِحُو الفِقْهِ الذِي يُشْهِرُ اللهُ الحَقِيقةَ علَى يَدَيْهِ، معَ ثوابِهِ يَا مَوْلَاتَنَا. فقَالَتْ: إِنَّمَا صالِحُو الفِقْهِ حَقًّا المؤْمِنُونَ بِمَا وَضَعَ اللهُ فِي الوُجودِ مِنْ كلِمَاتِهِ التّامَّةِ، بالإِنْجِيلِ العَزِيزِ علَى فِيهِ رُوحِ يَسُوعَ بالحَقِيقةِ روحة مِنْ بَعْدِه ما دُونَ الشُّكُوكِ والظَّنِّ،

(1) فِي رحلة أفوقاي: العقاب.

(2) في رحلة أفوقاي: ليكتب.

(3) في رحلة أفوقاي: آمين.

(4) صوابه: لنصرةِ.

وذَلِكَ المؤْمِنُ الصَّالِحُ العَالِمُ المنَوَّرُ بنُورِ الإيمانِ والرَّحْمَةِ، والخَلِيفَةُ اليَسُوعِيَّة الموكَلَةُ عَلَيْهِ بقُدْرَةِ النِّهايَةِ والأَمرِ والحَلِّ والرّبْطِ، وتلْكَ الحقِيقَةُ بَرْنَامَجُ حَقِّها ونورُهَا فلاحُ المؤمِنِينَ، لَا نُورَ لَهُمْ دُونَهَا ولَا لِأَحَدٍ مِنَ العَالَمِينَ، فمَا مِنْ عَبْدٍ يُؤْمِنُ بذَلِكَ كلِّهِ حَقَّ الإيمانِ لِطاعَةِ اللهِ لمْ يَخْلِطْهَا شَيْءٌ مِنَ الشَّكِّ، ويَحُثُّ نفْسَهُ علَى تَسْهِيلِ الأَمْرِ بالْحَقِيقَةِ لِلْمُجْتَمَعِ الأَكْبَرِ بجزيرة السّبر، بمشارق البندقيّة، وشَرْحُهَا يدْخُلُ بِهَا فِي دِينِ اللهِ إلَّا ويُكْتَبُ عَبْدهُ صَالِحُ الفِقْهِ حَقًّا، وعُصْبَة منْ ذَلِكَ الجُمْهُورِ وصُلُوحِيَّتِهِ، ويَصِلُ سِلْسِلَةَ رفقَتِهِ فِي عُنُقِهِ، ويَنْظُرُهَا بِعَيْنِ عنَايَتِهَا، وكَفَلَهُ بِكَنَفِ رَحْمَتِهِ.

وإِنْ أَنْفَقَ لِذَلكَ الأَمْرِ دِرْهَمًا طَيِّبًا مِنْ مَالِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ يَغْفِرُ اللهُ لَهُ جَمِيعَ ذُنُوبِهِ، ويَحْشُرُهُ تَحْتَ رِضاهُ ويُعْطِيهِ فِي الجَنَّةِ أَجْرَ المصَدِّقَةِ التِي بَنَتْ مَسْجِدَ نَبِيءِ اللهِ سلَيْمانَ بنِ دَاوُودَ؛ لأَنَّهُ اسْتَبْنَى المسْجِدَ لِلْمُؤمِنِينَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ صَدَقَةً مقْبُولَةً مِنْهُ.

وبالْعَكْسِ ما مِنْ عَبْدٍ يَصِلُ توريخَهَا بِيَدَيْهِ، وخَواصّ الأَمْرِ بِهَا في عِلْمِهَا ويَشُكُّ فِيهَا ويرِيدُ طولَ الأَمَلِ بِهَا ويَرْضَى بِكِتْمَانِهَا وكِتْمَانِ تَارِيخِهَا، وكِتَابُ هذَا أَدْنَى حِينًا مِنَ الدَّهْرِ مِنْ ذلِكَ الجُمْهُورِ ومِنَ الخَلِيفَةِ اليَسُوعِيّ ومِن العرَبِ الأَنْصارِ، ومِنَ النّاصِرِ السَّاكنِ فِي المشْرِقِ، وَمِنْ ملُوكِ الأَرْضِ ومِنْ عِبادِ اللهِ، ليَتَّبِعُوا مَوَدَّتَهُ وليَنَالُوا مِنْ ثَوابِ الحَقِيقةِ الموْهوبَةِ لَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ، إِلَّا ويَرْفُضُهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ الجمْهُورِ وصُلُوحِيَّتِهِ، ويَقْطَعُ مِنْه عِصَابَتَهُ، ويَخْلَعُ سِلْسِلَةَ رِبْقَتِهِ مِنْ عُنُقِهِ، ويُكْتَب فِي غَيْبِهِ عَدُوًّا لَهُ معَاكِسًا لِمَرْضِيَّتِهِ، ويَلْعَنُهُ [124ظ] اللهُ وملائِكَتُهُ أَلْفَ لَعْنَةٍ، تَلْزَمُ في الحِينِ لِكُلِّ مَنْ لَمْ يُبَلِّغْ قَوْلِي هَذَا وتَارِيخ الأَمْرِ عِنْدهُ كَانَ مَنْ كانَ، ويَجْعَلُهُ كَمِشْكَاةٍ دُونَ مِصْباحٍ، ويُقْعِدهُ في نَارِ جهَنَّمَ ملُومًا مَدْحُورًا خَالِدًا في عَذَابِهَا مَا دَامَ مُلْكُهُ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ مِنْ ذلِكَ كُلِّهِ حَقَّ الرُّجوعِ إِلَى اللهِ ويَعْفُو.

ثُمَّ قالَتْ: صِفْ لِي الرَّابعَةَ أَيْدَرُه، قالَ: أَخْبِرينَا عن النَّاصِرِ السَّاكنِ فِي المشْرِقِ وعَنْ ثَوابِهِ يَا مولَاتنَا. قالَت: النَّاصرُ مَلِكٌ مِنْ ملُوكِ العَرَبِ ولَيْسَ أَعْرَابِيّا سَاكِنًا بأَرْضِ الأَنَانِيّينَ، عَدُوٌّ بَالِغٌ للْأَجْنَاسِ العَجَمِيّةِ وَلِمِلَّتِهِمْ ومَذَاهِبِهِمْ واختِلَافِهِمْ فِي الدِّينِ، يكُونُ لَهُ نماية جَمِيلَةٌ فِي الدِّينِ وطاعَة اللهِ ولِنَصْرِ دينِهِ الرّشِيدِ، أَيّدَهُ اللهُ بنَصْرِهِ وأَلْقَى نَصْرَ حَقِيقةِ الإِنْجيلِ العَزِيزِ فِي حُكْمِهِ، ويُوقِفُ لِواءَ الدِّينِ فِي يَدِهِ، وأَيَّدَهُ بالنَّصْرِ والتَّمْكِين في الوُجُودِ علَى سَائرِ الأَدْيَان والأَجْنَاسِ فِي ذلكَ الزَّمان، ولَهُ نُورٌ وعِلْمٌ لطَاعَتِهِ ذلِكَ الأَمْر، وهُوَ في غَفْلَةٍ مِنْ قَوْلِي هذَا إِلَى وَقتٍ يَبْلُغُ الأَمْر بالحَقيقَةِ المكْفُولَةِ عندَهُ. وذَلِكَ كلُّهُ سابِقٌ فِي سابِقِ عِلْمِ اللهِ سبْحَانَه، لِيَهَبَ فَضْلَه مَنْ يشَاءُ، حاشَا أَنْ يكُونَ فِي مُلْكِهِ ما لَا يُرِيدُ، والمستَرْضِي لِأَمْرِهِ لَهُ عنْدَ اللهِ ثَوابٌ كبِيرٌ ودَرَجَةٌ عالِيَةٌ، فمَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ باللهِ بالنَّصْرِ والتَّأْيِيدِ، ويُعِينُهُ بنَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ لِذلكَ الأَمرِ، ومَاتَ علَى ذَلِكَ، إِلَّا يَغْفِر اللهُ جمِيعَ ذنُوبِهِ ويُعْطِيهِ فِي الجَنَّةِ أَجْرَ الشُّهَداءِ، الذِينَ يَسْتَشْهِدُونَ علَى الدِّينِ.

وَمَنْ يأْتِهِ بالعَكْسِ يلْعَنُهُ اللهُ وملائِكَتُهُ أَلْفَ مرَّةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ، ويَرْفُضُهُ مِنْ رَحْمَتِهِ إِلَّا أنْ يَرْجِعَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ.

ثُمَّ قَالتْ: صِفْ لِي الخَامِسَة أَيْدُرَة، قَالَ: أَخْبِرِينَا عن المتَأَلِّفِينَ قُلُوبَهُم لِلْمُجْتَمَعِ الأَكْبَرِ وعَنْ ثَوَابِهِمْ يَا مَوْلَاتِنَا. فقَالَتْ: إِنَّما المتَأَلِّفُونَ لِلْمُجْتَمَعِ الأَكْبَرِ الذِينَ تَمِيلُ وتَخْشَعُ قلُوبُهُمْ للهِ واستِيذَانُهُمْ إِلَى الإِنْجِيلِ العَزِيزِ ولِحَقِيقَتِهِ ولِلْمُؤْمِنينَ بمَا تَجْمَعُ إِلَيْهِ الحَقِيقةُ كَانُوا مَنْ كانُوا مِنْ جَمِيعِ الأَجْنَاسِ، وأَيْضًا الذِينَ يَهَبُونَ الصّدَقَةَ ويَحُثُّونَ نفُوسَهُمْ والعِبَادَ إِلَى الحُضُورِ فِيهِ بِقَدْرِ الاسْتِطَاعَةِ وبِالنِّيَّةِ، ومَا مِنْ عَبْدٍ مِنْ عبادِ اللهِ يَفْعَلُ بِهِ ويَهَب نِيَّتَهُ وصَدَقَتَهُ الطَّيِّبَةَ إِلَيْهَا بِنِيَّةٍ وإِخْلَاصٍ فِي سَبيلِ اللهِ لذَلِكَ الأَمْرِ، وماتَ علَى الإِيمانِ، إِلَّا يَغْفِرُ اللهُ لَهُ جمِيعَ ذنُوبِهِ، ولَوْ كانَتْ لَمْ تُحْصَ فِي العَدَدِ فيَكْتُبَهُ مِنَ المتَأَلِّفِينَ قُلُوبَهُم [125و] إِلَيْهِ وإِنْ حَضَرَ فِيهِ ويُؤْمِنُ بالمَجْمُوعِ إِلَّا ويَكْتُبُ اللهُ لهُ برَاءَةً مِنَ النَّارِ، ويُعْطِيهِ أَجْرَ الشُّهداءِ المسْتَشْهِدِينَ علَى الدِّينِ، والمُعَاكِسُ لِذَلكَ والمَانِعُ لِلْعِبادِ مِنَ الحُضُورِ فِيهِ لا شَكَّ فِي حُلُودِهِ في نَارِ جَهَنَّمَ وعَذَابِهِ الأَكْبَرِ، إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ حَقَّ الرُّجوعِ للهِ.

ثُمَّ قالَتْ: صِفْ لِي السّادِسَةَ أيدرة. قالَ: أَخْبِرِينَا عنِ المتَرْجِمِينَ المفَسِّرِينَ، ومَا ثَوَابُهُمْ يَا مولَاتنَا. قَالتْ: إِنَّمَا المتَرْجِمُونَ حَقًّا متَرْجِمُون لِلْكُتُبِ التِي بِحَقِيقَةِ الإِنْجِيلِ بَعْدَ شَرْحِهَا لِلْعِبادِ فِي المجْتَمَعِ الأَكْبَرِ، يَبْعَثُهُم اللهُ مصَابِيحَ بَيْنَ أَجْنَاسِ الوُجودِ، يتَلَأْلَؤُون نُورًا بنورِ العِلْمِ والفِقْهِ المؤْهُوبِ، ويدْخُلونَ فِي أَرْضِ السّبر، يَزِيدُهُم قُوَّةً مِنْ فَضْلِهِ في العِلْمِ ولُغَةِ الأَلْسُنِ للتَّرْجَمَة المذْكُورَةِ والتَّفْسِيرِ لِيَسْتَقِيمَ[1] بعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وقَوْلهمْ في القَوْمِ لِشَرحِ دِينِهِ الرَّشيدِ والاسْتِقامَةِ[2] فِيهِ لِسَعَتِهِ، ولَكِنْ يكُونُ عِندَهُمْ قَلِيلٌ ثُمَّ قَلِيلٌ بَيْن الأجْناسِ لبُرْهانِ مُعْجِزةِ اللهِ فِي العَالَمِينَ، ورَأْسُهُمْ أَضْعَفُ خِلْقَةً شَارِح الحَقِيقَةِ طَائعًا للهِ ولِخَلِيفَتِهِ، المؤْمِن بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ ومُؤْمِنًا بذَلِكَ الإِيمانِ، وعِصَابَةٌ متَّصِلَةٌ مِنْ جُمْهورِهِ يبْعَثُهُ اللهُ فِي ذلِكَ الزّمَانِ بنُورِ العِلْمِ والفِقْهِ والرّحْمَة لذَلِكَ الأَمْرِ، كَمَا وَصَفْتُ لَكُمْ وكُلُّهمْ أَلْقَاهُم اللهُ فِي كَفَالَةِ المـلُوكِ والمتَرَبِّينَ، واللهُ يُحِبُّ أَهْلَ العِلْمِ الصَّالِحِينَ، ويَكْرَهُ أَهْلَ الفِسْقِ الجَاهِلِينَ، وجَزَاءُ المؤْمِنينَ مِنْهم عِنْدَ اللهِ كَبِيرٌ، وثوابُهُمْ جَسِيمٌ ولَهُمْ دَرَجَةٌ عِنْدَ اللهِ عالِيَةٌ فِي الجَنَّةِ.

ومَا مِنْ مَلِكٍ أو مُتْرَفٍ أو عَبْدٍ مِنْ عبادِ اللهِ الصَّالحينَ يُحسِنُ إِلَيْهِم ويُهَيِّئُ أمُورَهُمْ لِلْمجْمُوعِ الأَكْبَرِ المذْكُورِ وشَرْحِ الحَقِيقةِ، إِلَّا ويَغْفِرُ اللهُ لهُ جَمِيعَ ذُنوبِهِ ويَكْتُبُهُ عِنْدهُ مِنَ الشُّهَدَاءِ الذِينَ يسْتَشْهِدونَ علَى الدِّينِ، ويَرْفَعُ لَهُمْ بِكُلِّ دِرْهَمٍ طَيِّبٍ يُنْفَقُ لذَلِكَ الأَمْرِ مِنْ مالِهِ دَرَجةً في الْجَنّةِ، ومَنْ يرِدْهُمْ بِسوءٍ أو مُعَاكَسَةٍ يلْعَنُهُ اللهُ ومَلائِكَتُهُ أَلْفَ مَرّةٍ في كُلِّ يَوْمٍ، ويَرْفُضُهُ مِنْ رَحْمَتِهِ إِلَّا أَنْ يرْجِعَ مِنْ ذلِك كُلِّهِ حَقَّ الرُّجُوع إِلَيْهِ.

(1) في رحلة أفوقاي: ليستفهموا. والمعنى غير واضِح.

(2) في رحلة أفوقاي: الاستفهام. والمعنى غير واضِح.

ثمّ قالَتْ: صِفْ لِي السّابِعَةَ أَيْدُرَة. قالَ: أَخْبِرينَا عنْ أضْعَفِ خلْقِ اللهِ شارِحِ حَقِيقَةِ الإنْجِيلِ في المجْتَمَع الأَكبَرِ وعَنْ ثَوابِهِ يا مَوْلَاتِنَا.

فقالَتْ: اللهُ يَخْتَصُّ برَحْمتِهِ تأْويلَ العِلْمِ مَنْ يشَاءُ مِنْ عبَادِهِ، وذَلِكَ العَبْدُ مِنَ المخْصُوصِينَ في عِلْمِ [125ظ] غَيْبِهِ، ومَوَاهِبُه ومِنَنُهُ عَلَيْهِ كَبِيرَةٌ، ورَحْمَتُهُ ومُعْجِزَتُهُ ظاهِرَةٌ فيهِ لِلْعبَادِ المخْلِصِينَ الذِينَ يشَاءُ اللهُ، يُطْلِعُهُمْ عليْهِ مِنْ فضْلِهِ ولَكِنْ يكُونُ عَددُهُمْ في العَالَمِين قَلِيلًا. عُنْصُرُهُ طَيّبٌ زَكِيٌّ عَرَبِيّ؛ لِأَنّ النّصْرَ لَا يَنْبَغِي لِغَيْرِ العَرَبِ، والنّاصِرُ في ذَلِكَ الزّمَانِ هُوَ مظهر مِنْ جَميعِ العُلومِ كما كَانَ ابْنِي يَسُوعُ، ولَا يعْدَمُ فَهْمَ جَوَابِ السّائِلِينَ، مُنَوّرٌ بنُورِ الإحسانِ والرّحْمَةِ، خَالِصٌ بِالنّيّةِ ولَهُ عِلْمٌ كَثِيرٌ مِنَ اللهِ، لَيْسَ يُوصَفُ بِهِ بَيْنَ العِبادِ لَهُ نَشْأَةٌ معْتَدِلَةٌ وبَشَاشَةٌ فِي وَجْهِهِ مُشْتَمِلَةٌ، وفَصَاحَةٌ في اللّسانِ بلَفْظٍ قَصِيرٍ وعِلْمٍ كَثِيرٍ وإتْقَانٍ يَبْعَثُهُ اللهُ، ويُعَلّمُهُ اللهُ الذّكْرَ ويَضَعُ الضّالّينَ والفَاسقِينَ مِنْ جَمِيعِ الأَجْناسِ، صَبورًا علَى أَذَى الفَقْرِ والآفَاتِ، يَجْتَنِبُ المحارِمَ والعُيُوبَ، صَادِق القَوْلِ والوَعْدِ حَافِظ الأَمَانَةِ، لَا يَغْفَلُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ والْخَشْيَةِ بالْقَلْبِ، وإنْ تَلْحَقهُ مَعْصِيَةٌ يَسْبِقُهَا بالنّدَمِ ويَرْتَجِي مِنَ اللهِ العَفْوَ والغُفْرانَ، وثَوَابُهُ عنْدَ اللهِ كبِيرٌ وأجْرُهُ جَسيمٌ علَى قَدْرِ نِيّتِهِ وإيمَانِهِ وعِلْمِهِ وطاعَتِهِ ويَزِيدُهُ مِنْ فَضْلِهِ، إنّ اللهَ لَا يُضيعُ أَجْرَ المحْسِنينَ. يَهَبُ اللهُ لَهُ شَرْحَ حقِيقَةِ الإنْجيلِ العَزيزِ المقْبُولَةِ وأَلْقَى عِلْمَهَا فِي قَلْبِهِ وفَهْمِهِ وشَرْحَهَا فِي مَحْفُوظِهِ، ونَوّرَ قَلْبَهُ بإيمَانِهِ وذَلِكَ سَابِقَةٌ في عِلْمِ غيْبِهِ شَارِحِ الحَقِيقَةِ إذَا يشَاءُ اللهُ بشرحها[1] لذَلِكَ المجْتَمَعِ لطَاعَتِهِ يُنْبِئُهُ اللهُ بالحَقِيقَةِ، وما مِنْ عَبْدٍ مُؤمِنٍ يدْعُو إِلَيْهِ ويقُولُ: اللّهُمَّ رَبّ احْرُسْ بعِنَايَتِكَ أضْعَفَ خلْقِكَ شَارِحَ حقِيقَةِ الإنْجيلِ العَزيزِ فِي المجتَمَع الأَكْبَرِ وهَيّئْ أَمْرَهُ إِلَيْكَ، واجعَلْنِي بِمَا شَرَحَ فِيهَا مِنَ الحَقّ مُؤْمِنًا، ويَسّرْ علَيّ حفْظَهَا وعَامِلًا بمَا أَمَرْتَ فِيهَا، إنّكَ علَى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، إِلَّا نَظَرَ اللهُ بِعَيْنِ رَحْمَتِهِ وحَرَسَهُ مِنْ جَميعِ الآفَاتِ، ومَنْ يُرِدْهُ بالْعَكْسِ يلْعَنُهُ اللهُ ومَلائِكَتُهُ أَلْفَ مَرّةٍ فِي كُلّ يَوْمٍ، إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ مِنْ ذَلِكَ كُلّهِ حَقَّ الرّجُوعِ للهِ. والمُرَادُ بِشَرْحِ حَقِيقَةِ الإنْجِيلِ: القُرْآنُ والسُّنَّة.

ثم قَالَتْ: صِف الثَّامِنَةَ أيْدُرة قالَ: أخْبِرينَا عنْ بَرَكَةِ الموْضِعِ الذِي يُرَامُ بالْحَقِيقَةِ في ثَوابِ زيَارَةِ العِبَادِ يا موْلَاتنَا. قالَتْ: الموْضِعُ المقَدَّسُ الذِي يَجْمَعُ أَسْمَاءَ الحَقِيقَةِ مَا مِنْ عَبْدٍ مُخْلِصٍ بِنِيَّةٍ بلَا شَكٍّ في الإنْجِيلِ ولَا فِي الحَقِيقَةِ ويقُولُ: اللّهُمَّ رَبّ آمَنتُ حَقَّ الإيمَانِ بِكَلِمَاتِكَ التَّامَّةِ التِي أَرْسَلْتَ بِهَا سَيّدَنَا يَسُوعَ رُوحكَ وبِحَقِيقَةِ إنْجِيلِكَ الذِي شَرَحْتَ نُسْختَهَا فِي ذَلِكَ الموْضِعِ المقَدَّسِ، والكِتَابِ الثَّابِتِ الصَّحيحِ الذِي معهَا، أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ [126و] العَظِيمِ الأَعْظَمِ وفَضْلِكَ ورَحْمَتِكَ على عِبَادِكَ

(1) في رحلة أفوقاي: يشرحها.

أنْ تَرْفَعَ بِهَا وبِهِ لِوَاءَ دِينِكَ الرَّشِيدِ علَى الأَدْيانِ كلِّها، وأَنْ تُؤَيِّدَ بِهَا وبِهِ مَسْجِدَكَ المقَدَّسَ، وأَنْ تدْخلَ بِهَا وبِهِ عبَادَكَ المؤْمِنينَ فِي كَنَفِ رَحْمَتِكَ إِلَّا غَفَرَ اللهُ لَهُ جَمِيعَ ذُنُوبِهِ[1] واللهُ الموَفِّقُ.

قالَ أَبُو مُحَمَّد عبد الحقّ ناصر الدّين بن المؤيّد الإسلاميّ[2]، وكَان يَهُودِيًّا ثُمّ أسْلَمَ: أَطْلَعَنِي اللهُ علَى الحَقِّ مُنْذُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً وآمَنْتُ بسَيّدِنَا مُحَمّدٍ ﷺ وكَتَمْتُ وأَخْفَيْتُ وأَلْهَمَنِي اللهُ بإفْشَائِهِ، وإِنّهُ لا يُخَلِّصُنِي إِلَّا إفْشاؤُهُ، فبادَرْتُ إِلَى مَا يُجِيرُني مِنَ العَذابِ الأَلِيمِ ويُقرّبُنِي منَ الجَنَّةِ، فقُلْتُ ظاهِرًا بِمَا فِي قَلْبِي: أَشْهَدُ أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ ولهُ الحَمْدُ وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وأَشْهَدُ أنَّ مُحَمّدًا عبْدُهُ ورسُولُهُ البَشِيرُ النّذِيرُ، ثُمَّ أسْلَمَ عَلَى يَدَيَّ أَهْلِي وولَدِي، ومَنْ سَبَقَتْ لَهُ السَّعادَةُ مِمَّنْ كانَ يلْتَزِمُنِي، ولَمّا مَنَّ اللهُ عَلَيَّ بالإِسْلامِ أشَارَ عَلَيَّ بَعْضُ طلَبَةِ سبتة أَنْ أُؤَلِّفَ جُزْءًا في الرَّدِّ علَى اليَهودِ، ففَعَلْتُ مُسْتَعينًا باللهِ الواحِدِ القَهَّارِ، مُؤْمنًا برَسولِهِ مُحَمَّد بنِ عبْدِ اللهِ، وإِنّما أرْمِيهِمْ بأَحْجَارِهِمْ مسْتَخْرِجًا لهَا مِنْ كُتُبِهِم المنَزّلَةِ[3].

ففِي الكتَابِ المسَمَّى: ملاخيم[4] الذِي ينْسبُونَهُ لليسع عليه السلام في قِصَّةِ بنِي إسْرَائيلَ المسَمَّى عنْدَهُم: أحأب وكانَ مِنْ كِبارِ ملُوكِ بَنِي إسْرَائيلَ وكَانَ يعْتَقِدُ دِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وكانَت اليَهُودُ يكَفِّرونَهُ لِذَلِكَ إِلَى الآنَ، ويَعْتَقِدُون أَنّهُ مِنْ أَعْظَمِ الكُفّارِ لِذَلكَ. يُرْوَى أَنّهُ جاءَهُ مَلِكٌ مِنْ ملُوكِ الرّوم اسمُهُ: برهادد[5] بِجُيُوشٍ لَا يَعْلمُ بعِدَّتِها إِلَّا اللهُ الذِي خلَقَهَا، ومَعَهُ اثْنَانِ وثَلاثُونَ سلْطَانًا، وحَصَرَهُ بمَدينَةِ همرون[6] وبَعَثَ إِلَيْهِ أرسَالًا، وطَلَبَ منهُ أنْ يُعْطِيَهُ جمِيعَ ما لَدَيْهِ مِنَ الذَّهَبِ والفِضّةِ وأَوْلَادِهِ ونسَائِهِ رَهْنًا، وطَلَبَ منْهُ العَلَمَ الذِي كانَ يُقاتِلُ بِهِ [126ظ] وكانَ فِيهِ مكْتوبًا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُحمَّدٌ رسُولُ اللهِ، وكَانَ يغْلِبُ بِهِ في الحرُوبِ كُلِّها، فأَجابَهُ إِلَى ذَلِكَ إِلاَّ العَلَمَ. ونَصُّ ذَلِك فِي "ملاخيم": "كِي إِمْ كَفِّتْ مَحَرْ أَشْلَحْ إِتْ عَبَدَيْ إِلِيخَ وَ حِبَّسُوا إِتْ بِثِيخَ وَ إِتْ بَتِي عَبَدِيخَ وَهَيَا محمّد عَينِيخَ يَسيموا بَيَرَمْ وَ لَغَاصوا"[7] وشرْحُهُ: إذا كَان غَدٌ أُرْسِلُ إِلَيكَ عبِيدِي يفَتّشونَ بيْتَكَ وبيُوتَ عبِيدِكَ وحَيْثُما كانَ مُحَمَّدٌ عنَايَتُكَ يَجْعلُونَهُ فِي أَيْدِيهِمْ ويأْخُذُونَهُ، يَعْلم[8] العَلَم الذِي فِيهِ سَيّدُنا مُحَمَّدٌ ﷺ يأْخُذُه عَبيدِي

(1) نهاية النَّقلِ من كتاب رحلة أفوقاي الأندلسِي، ص159.

(2) عبد الحقّ بن سعِيد بن محمد المغرِبِي المالِكِي، كان حيا 761هـ، ولِي قضاء مكناس، أخذ عنه لسان الدين بن الخطِيب، من تآليفه: الجازمة على الرسالة الحاكمة. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 57/2.

(3) الحسام الممدود في الرد على اليهود، عبد الحق الإسلامِي، ص25-26.

(4) في الحسام الممدود: ملاخم.

(5) في الحسام الممدود: ابْنُ هَدَدْ.

(6) في الحسام الممدود: سمرون.

(7) النص في الحسام الممدود مع تغيِير.

(8) ربما يعْنِي، كما في الحسام الممدود.

مِنْ أَيْديهِمْ، ويُزِيلُونَ انتِصَارَكُمْ. ولَمّا قَرَأَ أَحْأَب الرِّسالَةَ اجْتَمَعَ معَ أَشْيَاخِ اليهود وأَحْبَارِهِمْ وقَرَأَ عَلَيْهِم الرّسَالَةَ واسْتَشَارَهُمْ فوَافَقُوا إلّا العَلَمَ فأَبوا مِن إعْطائِهِ فَبَعَثَ إلَى مَلِكِ الرُّومِ بذلِكَ. فحَلفَ ليَخْرِبَنَّ ديَارَهُمْ ويَسْبِي أَمْوالَهُمْ، ويقْتُلَهُم جَميعًا فتَشَفَّعَ لَهُمْ أَحْأَب بالنَّبِيءِ ﷺ فلَمْ يَقْبَلْ الشَّفاعَةَ، فجَاءَهُ نَبِيءٌ فقَالَ: لَا تَخَفْ يُنَجِّيكَ اللهُ بتَوَكُّلِكَ علَى اللهِ، وبإيمانِكَ بِنَبِيئِهِ مُحَمَّد ﷺ ويَنْصُرُكَ فإنَّ اللهَ لا يُضيعُ مَنْ آمَنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ. فخرَجَ إلَيْه أحْأَبْ ففَرُّوا بَيْنَ يَدَيْهِ ونَجَا أَحْأَب ومَنْ مَعَه. وهَذَا المِلِكُ أَحْأَب ماتَ مُسْلِمًا شَهِدَتْ نُصُوصهُمْ بِذَلكَ[1].

"وهَميلَخْ هَيَإِ محمد بَمْرَكبا نونَحْ أَرَمْ" ومعنَاهُ: والمَلِكُ كانَ يذْكُرُ مُحَمَّدًا، ويقَابِلُ الرُّومَ، فانْظُرْ كَيْفَ هو صَرِيحٌ في كُتُبِهِمْ، ويَتَحَقَّقُ هؤلَاءِ أنَّ نَصْرَ أَحْأَب علَى مَلِكِ الرُّومِ بِسببِ إيمَانِهِ بِمُحَمَّد ﷺ وكَانَ سَيِّدَهُم، ولَمَّا آمَنَ سَبُّوهُ[2].

"ما تعسوا ليوم موعِدْ وليوم مضيْ أُذْنَيْكي هْنى هَلْخو مِشودْ مِصرايم موق تِقبَّرَمْ محمّد لَحْسَبَمْ كِمّوسْ بير شيمْ جُوَحْ باهليهم" معناه: أَيُّ شَيْءٍ تفْعَلونَ؟ أَمْ كَيْفَ يكُونُ حالُكُمْ فِي اليَوْمِ المَوْعُودِ وفِي اليَوْمِ المشْهُودِ، ما زِلْتُمْ تسْلُكُونَ وتَنْتَقِلونَ مِنْ نَحْسٍ إلَى نَحْسٍ، المصريّون أَسَرُوكُمْ والرُّومُ قتَلُوكُم، مُحَمَّد يَسْبِي أَمْوالَكُمْ [127و] والكموس[3] يطرُدُونَكُم، والشِّرْكُ في أَخْبِيَتِكمْ ومُحَمَّد لخسيم[4] معْناهُ: النَّبِيء ﷺ يأمُرُ بتَغْرِيمِ المالِ، وَالكموس قَبِيلٌ مِنَ العَرَبِ، وَجَوَحْ معْناهُ: الشّرْك، مُحَمَّد ﷺ يَمْحُو أثرَهُم ولَا مَنْفَعَة فِيهِمْ[5].

"بِأويُمي هَبَّقُّدَهْ هَشِلّومْ إويلْ هَبّي مُشْجَعْ إيشَرْ هَروحُ عَلْ روبْ عَوُنَخْ و رَبّهْ مَسْطيمَهْ" معناه: وصَلَتْ أيَّامُ المطالَبَةِ وصَفَتْ أيَّامُ الانْتِصافِ، بِسَبَبِ وقُوعِكُم بالنَّبِيء ﷺ قُلْتُم: إنّهُ جَاهِلٌ، وقُلْتُم إنَّه أَحْمَقٌ مرياح، وهَذَا أَعْظَم ذنُوبِكُمْ، وبِهِ كَثُرَ الحِقْدُ ووَجَبَ بغضُكُم وعُدْوانُكُم، وأَخَذَ مُحَمَّدٌ ﷺ مِمّا لَا يُبَدِّلونَهُ، ولَوْ بَدَّلُوا غَيْرَه وهُوَ شيع المذْكُورُ قَبْلَ النَّبِيءِ ﷺ وعَلَى آلِهِ بأَلْفِ سَنَةٍ، وصَرَّحَ بِهِ ﷺ[6].

"وَيّا عَسَرْ إلوهيمْ إثْ شِنِي هَمُّقُ روثْ تمجَّدُ وِلِيمْ" معناه: خلَقَ الله النُّورَيْنِ العَظِيمَيْنِ، وتَمَجّدُ وِليمْ: عدَدُهُ ثمانِيَة وتِسْعونَ، يَخْتَصُّ منْهَا مُحَمَّدٌ باثْنَيْنِ وتِسْعِينَ والسِّتَّة البَاقِيَةُ لِيَوْمِ الجُمُعَة سَادِسِ

(1) الحسام الممدود، عبد الحق الإسلامِي، ص30-31.

(2) (م، س)، ص31-32.

(3) في الحسام الممدود: والكؤس.

(4) في الحسام الممدود: محمد كَخْسِيم.

(5) الحسام الممدود، عبد الحق الإسلامِي ص32-33 مع تغيير.

(6) (م، س) ص33 مع تغيير.

الأَيّامِ، ولَمْ يَخْلُق اللهُ النُّورَيْنِ الشّمْسَ والقَمَرَ إِلَّا مِنْ نُورِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وهُوَ ينْسَخُ السّبْتَ بِيَوْمِ الجُمُعَة وفَسَّروهُ لَعَنَهُم اللهُ أَنَّ مُحَمَّدًا يكُونُ مِنْهُمْ[1].

وفي الحِزْبِ الأَوَّل مِنَ التَّوراةِ: إنّ اللهَ أَخْبَرَ مُحَمَّدًا يَدْخُلُ الجنَّة قَبْلَ الخَلْقِ، والنَّصُّ هَذَا: "وَيَطَّعْ أُذُنَيْ إلوهيم جَنْ بعيدنْ مِقّيدّمْ" معنَاهُ: يَدْخُلُ الجَنَّةَ قبْلَ الخَلْقِ وعَدَدُهُ ثلَاثَةٌ وخَمْسُونَ كَمَا هُوَ أَحْمَدُ[2].

"وَلِيَشْمعيل شَمَعتيخُ بيني بِرُحْتي أُوثُوَهي بِشَيْء أَرِثُوا بِمَأَدْمَأدَشيمْ عَسَرْ نسيم يُوليدْ وُنْثَنينْ لَجولَيْ جَدول" معْناهُ: دَعْوتُكَ لإسماعيل مقْبُولَةٌ سأُبارِكُ فِيهِ، وأُكثرُهُ وأُنَمّيهِ وأُخْرِجُ منْهُ مُحَمَّد. و"مَادْمادْ" مُحَمَّد، وعَدَدُهُ اثنَانِ وتِسْعُونَ مُحَمَّد كَذَلِكَ[3].

"وَيُومِرْ أُذنَيْ ألوهيم هِنْ هأْدَمْ هَيَهْ كأحدِ مِمّنو" معنَاهُ: قالَ السَّيِّدُ اللهُ إنّي أَخْلُقُ آدَمَ لنُخْرِجَ مِنْ ظهْرِهِ أَحْمَدَ ويكُونُ كَأَحَدِكُمْ، قال عُلَماؤُهُمْ: يعْنِي في الرُّتْبَة وأعْلَى ويَدُلُّ علَى أَحْمَدَ "هِيَهْ كأحدِ" إذْ عَدَدُهُ [127ظ] ثلاثَةٌ وخَمْسُونَ وأَحْمَدُ كذَلِكَ، وإنْ تَرَكُوا هذَا العَدَدَ لَزِمَهُمْ نقْضُهُ فِي سَائِرِ ما يَبْنُونَ علَيْهِ دِينَهُم مِنْ ذَلِكَ الحِسَابِ[4].

"وَبَرْ إلوهيم إِثْ كُلْ أَشِرْ عسا وهَنِّهْ طوبْ مَأْذُنْ" وعَلِمَ اللهُ كُلَّ ما خَلَقَ وأَنَّ خَيْرَهُم مُحَمَّدٌ ﷺ والخَمْسُ الصَّلَوَاتُ والجُمُعَةُ والعِيدان وعَدَدُ قَوْلِهِ " وهَنِّهْ " سِتَّة وسِتُّونَ منْهَا لِأَحْمَدَ ثلاثَةٌ وخَمْسُونَ ولِلْجُمُعَةِ سِتَّةٌ؛ لِأَنّهَا سَادِسُ الأَيّامِ، وخَمْسَةٌ لِخَمْسِ صَلَوَاتٍ واثْنَانِ للْعِيدَيْنِ، قالَ: ومَا زِلْتُ أَتَكَلَّمُ مَعَهُم قَبْلَ إسْلَامِي وخَرَسُوا، والنَّصُّ أَنَّ أَحْمَدَ خَيْرُهُم وهَذَا يُناسِبُ النسخ لبَعْضِ التَّوْراةِ والإِنْجِيلِ[5].

"وَيُومِرْ أَذَنَيْ أَلْ أَبْرَمْ لَخَ مِنْيَ صُخْ شِرَإِ رابيدا يَعَسَخْ لَجولَيْ يَدْوِلْ وأباصَخْ ومِمّوا أَلْرَنَخُ وَ ميبْتِ أَتيخَ أل هارِصْ وأعَذَ لأَ شَميخَ وهَبْ بَرَ براضَهْ وأَرْضَهْ مُبارَ خيخَ ومُقَلَلَخْ أُوُورْ ونما رِضَخَ كلْ مشْلَحوتِ هأَدَمَّا" قالَ اللهُ لإبراهيم: امْضِ مِنْ بلَادِكَ إلَى الأَرْضِ التِي أُرِيكَ وأَخْلِفُ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ مُحَمَّدًا، أُبارِكُ فِيهِ وأُعَظِّمُهُ وسيَكُونُ برَكَةً وأبَارِكُ فِيمَنْ تَبَرَّكَ بِهِ وأَلْعَنُ مَنْ يَسُبُّهُ، ويُعَظِّمُهُ الأَكْثَرُ مِنْ مخلُوقَاتِ العَالَمِ، ولَا يُمْكِنُ لَفْظٌ يَفِي بِعدَدِ "لَجوليْ جَدْوَلْ" إِلَّا مُحَمَّد ﷺ[6].

---

(1) الحسام الممدود، عبد الحق الإسلامِي ص34-35 مع تغيير.

(2) (م، س)، ص35، مع تغيير.

(3) (م، س) ص35، مع تغيير.

(4) (م، س) ص36، مع تغيير.

(5) (م، س) ص37-38، مع تغيير.

(6) (م، س) ص37-38، مع تغيير.

"هِياكَ بَرْ أُذَنَيْ إِذْ أَلْبَرَمْ با مَجْزي لِيُومْ أُلْ تِيرَ أَبْرَمْ أَلِخ مَجِنْ لُخْ مَخَارْ هاخَرْ في مَيِّدْ" معنَاهُ: لا تَخَفْ يا إِبْراهِيمُ أنَا ومُحمَّد تِرْسٌ لَكَ، ويَدُلُّ لِذَلِكَ لَفْظُ: مَجِنْ الذِي فِي النَّصِّ؛ لِأَنَّ عدَدَهُ ثَلَاثَةٌ وتِسْعونَ، لِاسْمِ مُحَمَّد مِنْهَا اثْنَانِ وتِسْعُونَ والوَاحِدُ البَاقِي مِنَ العَدَدِ لِلْوَاحِدِ البَاقِي سبْحَانَهُ[1].

"قُوِّمِ سَإِراتْ هَنْعَرِدِ لجوليْ جَدول إِشِمينُقْ" معنَاهُ: قُومِي أَرْفَعُ الغُلامَ إِنّ مُحَمَّدًا يَخْرُجُ مِنْهُ، وذَلِكَ حِين عَطِشَ فِي مَكَّةَ إِسْمَاعِيلُ وأَخْرَجَ اللهُ لَهَا زمزم[2].

"ويَشَعْ أَبْرَمْ هَلوخ ونَسَوَعْ هَنِّجْبَهْ" معْناهُ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كانَ كَثيرَ الرّحِيلِ إِلَى مَكّةَ بعْدَ ذَلِكَ ويُصَلِّي فِيهَا[3].

"بني أَقيمْ لَهِمْ مِقيرِبْ أخيهم كَمُوخِ وبَتَتِي دَبْرَكْ يَفيقْ وَدَبِرَ إليهم أَتْ كُلْ أَشِرْ أَصَوّيَنُ" [128و] معنَاهُ سيَقومُ نَبِيء مِنْ قَرابةِ بنِي إِسْرَائيلَ وهُوَ نَبِيءٌ مِثْلُكَ، وأَجْعَلُ خطابِي فِيهِ، ويتَكَلَّمُ بِجَمِيعِ ما آمُرُهُ بِهِ، وعَدَدُ "يَفيقْ" ثَمَانِيَةٌ وتسْعُونَ مُحَمَّدٌ باثْنَيْنِ وتِسْعِينَ وسِتَّةٌ لِلْجُمُعَة وهُوَ ﷺ نَبِيءٌ كمَا أَنَّ موسَى نَبِيءٌ وزَاد فضْلًا علَى مُوسَى[4].

"نَبِي مِقِرّ وبيخَ ميئا حيقَ كَموشِي يَقيمْ لَخْ أذنَيْ ألوهيخَ إِلُو تستمعون" معناه: أَحْضِرُوا بالكُمْ يا بَنِي إِسْرَائيلَ سيَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمانِ مِنْ قَرَابَةِ إِخْوَتِكُمْ نَبِيءٌ مِثْلِي، اسْمُهُ مقَارِن اسْمَ رَبِّهِ، فاتّبِعوهُ واسْتَمِعُوا لَهُ[5].

"وأَروعَمْ عنني شِمْيَكَبَرْ أَنيشْ أتي هو أَوْعَدْ عتيق يُومِيَا مطافْ فرْموهي هَقْرَبوهي" معناه: رأَيْتُ عِنْدَ سحَائِبِ السَّماءِ كابْنِ آدَمَ طالِع مُحَمَّد هُوَ وَصَلَ إِلَى الرَّبِّ الأَزَلِيّ وبيْنَ يَدَيْهِ تقَرَّبَ[6].

"وَليهْ يَهيبْ شُلْطان ويَقْرو ملْخُوَّ وضلّ عميمِيّا أُمِّيّا وَلِشابِيَاليه يفتحون شلطانية شلطان علم دي لا يعدِي وَمَلْخوتِيه دي لا تَتحبّلْ" معناه: ولِمُحَمَّد تُعْطى العِزَّةُ والمَمْلَكَةُ، وكَثْرَةُ الأُمَمِ والشَّعْب، والإِنْسُ لِدِينِهِ يرْجعُونَ، دِينُهُ ثَابتٌ لا يَزُولُ ورِيَاضُة آمِنَةٌ لَا تَحُولُ ولَا تَفْسُدُ[7].

"هيَتِ شَلَحْ ملأخِ أو فنا آشِلَرْ أتمْ مُبَقْتِسِيمْ وملْأَدْ هبَّرْ أشِرْ أنِمْ حَقِصيمْ يبني بلامرْ أذني صباؤُتْ" معْناهُ: أنَا باعِثُ رَسُولِي، ينَقِّي الطَّرِيقَ بَيْنَ يَدَيّ، وفِي غَفْلَة يأْتِي إِلَى مَكّةَ السَّيِّدُ الذِي أنْتُم

(1) الحسام الممدود، عبد الحق الإسلامِي ص39-40، مع تغيِير.
(2) (م، س) ص40-41، مع تغيِير.
(3) (م، س) ص41، مع تغيِير.
(4) (م، س) ص42-43، مع تغيِير.
(5) (م، س) ص44، مع تغيِير.
(6) (م، س) ص61، مع تغيِير.
(7) (م، س) ص61، مع تغيِير.

طالِبُونَ، محَمَّد الذِي يأْمُرُ بِخَمْسِ صلَوَاتٍ، الذِي أَنْتُم لَهُ مُحِبّونَ، هاهُوَ ذَا يأْتِي ويُنَقِّي الطَّرِيقَ وينَقِّي الكُفْرَ، وملأد هَبُرَيْث: عدَدُ سَيِّدِنا مُحَمَّد وخَمْسِ الصَّلَوَاتِ[1].

"إِلْ أدونْ علْ كَلْ هَمْعسيم وبروخ وميورخ يفي ضد هَنَشَمية" معناهُ: السَّيِّدُ علَى جَمِيعِ العَالَمِ هُوَ مُحَمَّدٌ، قدْ بارَكَ فِي كُلِّ مخْلوقٍ، ويَدُلُّ علَى مُحَمّدٍ "وإل أدون" عَدَدُ مُحَمَّد[2].

ومِمَّا يذْكُرُونَ فِي صَلاتِهِمْ أَنَّ الشَّمسَ والقَمَرَ يَمْدَحانِ أَحْمَدَ والنَّصُّ فِي ذَلِكَ: "طَوَبيم مأورثُ شبر الُّوهينوا مُليم ويوْ وَمَفِيقِم نَجَهْ" معْناه: أَجْوَدُ الأَنوارِ التِي خَلَقَ اللهُ رَبُّنَا يَمْدَحُ أَحْمَدَ، وهَذَا فِي صَلاتِهِم المفْرُوضَةِ [128ظ] علَيْهِمْ ونَجِدُ عدَدَ ثَمانِيَة وخَمْسِينَ ثلاثٌ وخَمْسُونَ لِأَحْمَدَ والخَمْسُ لِلصَّلَواتِ الخَمْسِ[3].

وفي كِتَابِ إشَعْيَاء: البَرَكَةُ بَرَكَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ والحَالِفُ بالْحَقِّ إِنَّما يَحْلِفُ باسْمِ مُحَمَّدٍ ﷺ، والنَّصُّ في ذَلِكَ: "أَشِرْ هَمَّتبرَخْ بأرض يتبرخ بالوهي امن وهنشبع بأرض يشبع بالوهي أأمن"[4]

ومِن ذَلِكَ الكِتَابِ في كُفْرِ اليَهُودِ: "نبِي آدم بَضلْمِينوا كرمو ثينو" ومَعْنَاهُ: أَصْنَعُ ابْنَ آدَمَ كصُورَتِنَا، وهَذَا تَجْسِيمٌ لَعَنَهُم اللهُ[5].

"ونيناحم أَدَنَي كي عسا إث لهادم بأرص وينعصب إل لبو" ومعناهُ: نَدِمَ اللهُ الذِي خلَقَ الآدمِيّينَ في الأَرْضِ، وتَغَيَّرَ في قَلْبِهِ" وهَذَا كُفْرٌ وتَجْسِيمٌ[6].

"ويارَحْ أَذَنَيْ إِثْ ريح هنيجوخ" معناه: شَمَّ اللهُ الرَّائِحَةَ وهذَا كُفْرٌ[7].

"إيرَدَن وإزاي هكضعفته هباه إلى عسوكلا وإم لو إداعه" معناه: نهبِطُ إلى الأرضِ فأُفْنِيهِمْ، وإِلَّا فاعْلَم الحَقَّ، وهذَا وصْفٌ للهِ بالجَهْلِ، جَلَّ اللهُ وعَزَّ[8]. " بَني أثم لاذ ندي إلوهيخِمْ" ومعناهُ: أَنْتُم للهِ رَبِّكُمْ[9].

" وأمرت إل بَرعو كو أمَرْ أَذَنَي بنِي بخوري إسرائيل" معناهُ تقُولُونَ لِفِرْعَونَ هَكَذَا قَالَ اللهُ "ابني بكري إسرائيل" يعنونَ أَنَّ للهِ بنينَ أَكْبَرُهُم إسْرَائِيلُ، وهذَا كُفْرٌ[10].

---

(1) الحسام الممدود، عبد الحق الإسلامِي ص62-63، مع تغيير.

(2) (م، س) ص63، مع تغيير.

(3) (م، س) ص63-64، مع تغيير.

(4) (م، س) ص64، مع تغيير.

(5) (م، س) ص48، مع تغيير.

(6) (م، س) ص48، مع تغيير.

(7) (م، س) ص49، مع تغيير.

(8) (م، س) ص49-50، مع تغيير.

(9) (م، س) ص50، مع تغيير.

(10) (م، س) ص50، مع تغيير.

"كو أمَرْ أذَنَيْ أزي سِيفرْ كَرِتثوثْ أَمّخِمْ أَشِرْ شْلخِثِيها" معناه: أيْن عقْدُ طلَاقِ أُمّكُمْ التِي طلَّقتُهَا، وهَذَا كُفْرٌ[1]. ورَدَّ علَيْهِم في قَوْلِهِم لَهُ بَنُونَ:" سَنِيتها واثّن إثْ سيفر كرّيثوثيها" معناهُ: بغَضْتُهَا وطَلَّقْتُهَا[2].

" ويّيرابت ألوهي إسرائيل وتاحث رغلو كمَعَسِي ليتَتْ هَسَبيرْ وضعوهم هشَمايِمْ لطوهر" معناه: رأَوا الإِلَهَ إسرَائِيلَ وتَحْتَ ساقِه مفْرُوشًا بآجُورٍ مِن ذَهَبٍ أو يَاقُوتٍ، وكَنَقَاءِ السَّماءِ للظهر، وهذَا أفْحَشُ مِنَ الذِي قبْلَهُ لَعَنَهُم اللهُ[3].

"وغَسولِي مَفْرَش وشاخَنْتي بتوخم" معناه: اِصنعْ لِي قبَّةً لِأَسْكُنَ مَعَكُم فِيهَا[4]، فاليهُودُ لعَنَهُم اللهُ مُجَسِّمَةٌ مُشَبِّهَةٌ.

"ونوعرتي لخْشم ودبرتي إتخ ميعل هكيوريثي مبين شني هكروبيم كل أشر أصولي أولتخ آل [129و] بني إسرائيل" معناه: سأحْضُرُ معَكَ يا مُوسَى فِي القُبَّةِ وأُخاطِبُكَ منْ أَعْلَى الغشَاءِ مِنْ بَيْنِ الصُّورَتَيْن اللَّتَيْنِ أَمَرْتُكَ أنْ تَعْمَلَهُمَا فِي القُبَّةِ مِنْ ذهَبٍ، علَى صُورَةِ ولَدَيْنِ صغِيرَيْنِ[5].

" لو تعسى لخ يبصل وخذثمونا أشر بشمائم مما عل وأشر بأرض متامث" معناه: لا تَصْنَعْ شكْلًا ولا شَبَهًا مِمَّا فِي السَّماءِ وما فِي الأَرْضِ، فانْظُرْ هذَا النَّصَّ مَعَ الذِي قَبْلَهُ ما بَيْنَهُما مِنَ التَّناقُضِ والحَقُّ واضِحٌ[6]. "جَوْرَل ءاحَر لأذنَيْ رجورل أخر لعزازيل" معناهُ سهم لله وسهمٌ لعزرائِيلَ[7].

" باينْ اِلتيسخْ ريبعتْ هعّين تقريبْ ريح يتجوجْ لاذَني" معناه: إنَّ اللهَ أمَدَّهُم بالْخَمْرِ، وإنَّهُ يُحِبُّ رائِحتَها. تعالى اللهُ عن ذلكَ عُلُوًّا كَبِيرًا[8].

" كي أَذَنَيْ أَلوهِيخ إشِرْ أوخلاص" معنَاهُ: إنَّ للهِ ربّكمْ نارًا مُحْرِقَةً، قَد اختَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ عبادَةَ النَّارِ، فكَانَ مَصِيرُهُم إِلَيْها، ونَحْنُ المسْلِمينَ اخْتَرْنَا عبَادَةَ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وآمَنَّا بِجَمِيعِ الرُّسُل ومَصِيرُنا إنْ شَاءَ اللهُ إلَى الْجَنَّةِ[9].

---

(1) الحسام الممدود، عبد الحق الإسلامِي ص50، مع تغيِير.

(2) (م، س) ص51، مع تغيِير.

(3) (م، س) ص51-52، مع تغيِير.

(4) (م، س) ص52، مع تغيِير.

(5) (م، س) ص53، مع تغيِير.

(6) (م، س) ص53، مع تغيِير.

(7) (م، س) ص54، مع تغيِير.

(8) (م، س) ص54، مع تغيِير.

(9) (م، س) ص54-55، مع تغيِير.

الفَصْلُ الثَّانِي: فِي قِصَّةِ بَحِيرَى:

لَمَّا بلَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثمانِيَ سِنينَ ماتَ جدُّهُ عبد المطَّلِبِ وأَوْصَى بهِ إلَى عمِّهِ أَبِي طالِبٍ، وكانَ أبُو طَالِبٍ هُوَ الذِي يَلِي أَمْرَ رسولِ اللهِ ﷺ بعدَ جدِّهِ فكانَ إليهِ ومعهُ. وكان عيالُ أبِي طالِبٍ إذا أكلوا وحدَهُم لَمْ يشْبَعُوا، وإذا أكَلَ مَعَهُم النَّبيءُ ﷺ شبِعوا. وكانَ أبو طالِبٍ إذا أرادَ أن يُعشِّيهم أو يغذِّيهِم يقول: كما أنتُم حتَّى يأتِيَ ابنِي فيأتِي نَبيءُ اللهِ ﷺ فيأكلُ معهُم، فيُفْضِلُون مِنْ طعَامِهِم، وكذَلِكَ في شُربِ اللَّبَنِ[1].

ثمَّ إنَّ أبا طالِبٍ خرجَ في رَكْب تاجرًا إلى الشَّامِ فلمَّا تهيَّأ للرَّحِيلِ صبَّ به رَسُولُ اللهِ ﷺ فرقَّ لهُ أبو طالِبٍ فخرجَ بهِ معهُ. ولمَّا نزلَ الرَّكبُ بصرى مِن أرضِ الشَّامِ وبها راهِبٌ يقالُ لهُ بحيرَى في صومعةٍ لهُ، وكان ينتَهِي إليهِ علمُ النَّصرانيّة، وكانوا كثيرًا ما يمرُّون به قَبْلَ ذلكَ فلَا يكَلِّمُهُم ولا يعْرِضُ لَهُمْ، حتَّى كانَ ذلك العامُ. فلمَّا نزلوا بهِ قريبًا [129ظ] مِنْ صَوْمَعِتِهِ صَنعَ لهُم طعَامًا كثِيرًا، أو ذلكَ فيما ذَكَرُوا لِشيءٍ رآه في صوْمَعَتِهِ. ويذكرُون أنَّهُ رأَى رسولَ اللهِ ﷺ وهو في صومَعَتِهِ في الرَّكبِ حينَ أَقْبَلُوا وغمَامَةٌ تُظِلُّهُ، ثمَّ إنَّهُ نَزَلَ في ظِلِّ شجَرَةٍ قرِيبًا منهُ، فنَظَرَ إلى الغَمَامَةِ حينَ أَظَلَّت الشَّجرةَ وتَهَصَّرَتْ أغْصَانُ الشَّجَرَةِ على النَّبيءِ ﷺ حتَّى اسْتَظلَّتْ علَيْهِ[2].

وفي رِوايَةٍ أنَّهُ رَأَى علَيْهِ غَمَامَةً تُظلُّهُ، فلمَّا دنَا مِنَ القَوْمِ وجَدَهُم قدْ سَبَقوه إلَى فَيْءِ الشَّجَرَةِ، فلَمَّا جَاءَ هُوَ ﷺ مالَ علَيْهِ فَيْءُ الشَّجرةِ[3].

فلَمَّا رأَى ذلِكَ بحِيرَى نَزَلَ مِنْ صومعتِهِ وقدْ أمرَ بذلِكَ الطَّعامِ فيُصْنَع، ثُمَّ أَرْسَلَ إلَيْهِم وقال: إنِّي قدْ صَنَعْتُ لكُم طعامًا يا مَعْشَرَ قريش، وإنِّي أريدُ أن تحضُرُوا كلُّكُم كبيرُكُم وصغيرُكُم حرُّكُم وعبيدُكُم، فاجتمعوا إليه فلمَّا نظَرَ بحِيرَى في القَوْمِ لَمْ يَرَ الصِّفَةَ التي يعْرِف فقَالَ: يا مَعْشَرَ قُرَيشٍ لا يتخَلَّفَنَّ أحَدٌ منْكُمْ عن طعَامِي، قالوا: ما تَخَلَّفَ أحدٌ إلَّا غلامٌ أَحْدَثُ القَوْمِ سِنًّا، تخلَّفَ في رحَالِهِمْ، قال: لا تفْعَلُوا، فأتَوْا بِهِ فأجلسوهُ معهُم، فلَمَّا رآهُ بحِيرَى جعَلَ ينْظُرُ إلى أشيَاءَ مِن جَسَدِهِ، قدْ كانَ يَجِدُها عندَهُ مِن صفتِهِ حتَّى إذا فَرَغَ القَوْمُ مِن طعَامِهِم، قالَ بَحِيرَى: يا غلامُ باللهِ أَخْبِرْنِي عمَّا أسْأَلكَ عَنْهُ فقال: سلْ عَمَّا بَدَا لكَ، فجعَلَ يسْأَلُهُ عن أشْيَاءَ مِن حالِهِ فِي نَومِهِ وهَيْئاتِه وأمُورِهِ، وَجعلَ رسُولُ اللهِ

(1) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 354/1، عن الواقدِي، بتصرُّف.

(2) سيرة ابن هشام، 181/1.

(3) الروض الأنف، السهيلي، 144/2.

ﷺ يُخْبِرُهُ، فوافَقَ ذلِكَ ما عِندَ بَحِيرَى مِن صِفَتِه، ثمَّ نَظَرَ إلى ظَهْرِهِ فرَأَى خاتَمَ النُّبوءَةِ بيْنَ كتِفَيْهِ علَى موْضِعِهِ مِنْ صِفَتِهِ التِي عنْدَهُ. قالَ ابنُ هِشامٍ: كانَ مِثْلَ أثَرِ المحْجَم[1].

قال السُّهيْلِيّ: يعْنِي أَثَرَ المحْجَمَةِ القابِضَةِ على اللَّحمِ حتَّى يكُونَ نَاتِيًا[2].

ثمَّ أقْبَلَ بحِيرَا على عَمِّهِ أبي طالب فقالَ: ما هذا الغُلامُ مِنكَ؟ قال: ابْنِي، فقالَ لَهُ بَحِيرَى: ما هُو بِابْنِكَ وما ينْبَغِي لهذَا الغُلامِ أنْ يكُونَ أبُوهُ حَيًّا. قال: فَإِنَّهُ ابنُ أَخِي. قالَ: فمَا فَعَلَ أبُوهُ؟ قالَ: مَاتَ وأُمُّهُ حُبْلَى بِهِ. قال: صَدَقْتَ ارجِعْ بابنِ أخِيكَ إلَى بلَدِهِ واحذَرْ علَيْهِ يَهُودَ، فوَاللهِ لئِنْ رَأَوْهُ وعرَفُوا منْهُ ما عَرَفْتُ ليَبْغُنَّهُ شَرًّا، فإنَّهُ كائِنٌ لابْنِ أخِيكَ هذَا شَأْنٌ عَظِيمٌ، فأَسْرِعْ بِهِ إلَى بلادِهِ. فخَرَجَ به عَمُّهُ سرِيعًا حتَّى قَدِمَ مَكَّةَ حينَ فَرَغَ مِنْ تِجَارَتِهِ بالشَّامِ[3]. روَى الحَدِيثَ ابن إسحاق.

وقَدْ رَوَى حدِيثَ بَحِيرَى التِّرْمِذِي وغَيْرُهُ، وقالَ فِيهِ التِّرْمِذِيّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ، وزادَ التِّرمِذِي أنَّهُم: ((لمَّا [130و] أشْرَفُوا على الرَّاهِبِ حَطُّوا رِحالَهُمْ، فخرَجَ إلَيْهِم الرَّاهِبُ، فجَعَلَ يتَخَلَّلُهُم حتَّى أَخَذَ بِيَدِ رسولِ الله ﷺ فَقال: هذا سَيِّدُ العالَمِينَ هذا رسُولُ رَبِّ العالَمِينَ، يَبْعَثُهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ، فَقَالَ لهُ أشيَاخٌ مِن قرَيْشٍ: ما عِلْمُكَ بهَذَا؟ فقال: إنَّكُم حِينَ أشْرَفْتُم مِنَ العَقَبَة لَمْ يبْقَ حَجَرٌ ولا شَجَرٌ إلاَّ خَرَّ ساجِدًا ولا تَسْجُدُ إلَّا لِنَبِيءٍ، وإنِّي أَعْرِفُهُ بخَاتَمِ النُّبوءَةِ أسفَلَ مِن غضْرُوفِ كتِفَيْهِ مثْل التُّفَّاحَة. ثُمَّ رَجَعَ فصَنَعَ لَهُم طعامًا، فلمَّا أتَاهُمْ بهِ وكَانَ هُوَ ﷺ في رِعْيَةِ الإبِلِ، قالَ: أرْسِلوا إلَيْهِ، فأقْبَلَ وعلَيْهِ غَمامَةٌ تُظِلُّهُ فلمَّا دَنَا إلى القَوْمِ وجَدَهُمْ قَدْ سبَقُوهُ إلَى فَيْءِ الشَّجرة فَمالَ عَلَيْهِ فقَالَ: انْظُرُوا إلَى فَيْءِ الشَّجَرَةِ مَالَ))[4] علَيْهِ الحَدِيث.

وفِي هذِهِ القِصَّةِ قال أبو طَالِبٍ:

أَلَم تَرَنِي مِنْ بَعْدَ هَمٍّ هَمَمْتُهُ ... بِفُرْقَةِ [خَيْرِ الْوَالِدَيْنِ][5] كِرَامِ
بِأَحْمَدَ لَمَّا أَنْ شَدَدْتُ مَطِيَّتِي ... لِتَرْحَلَ إِذْ وَدَّعْتُهُ بِسَلَامِ
بَكَى حزنًا وَالْعِيسُ قَدْ فَصَلَتْ بِنَا ... [وَقَدْ شَذَّ][6] بِالْكَفَّيْنِ فَضْلَ زِمَامِ
ذَكَرْتُ أَبَاهُ ثُمَّ رَقْرَقْتُ عَبْرَةً ... تَجُودُ مِنَ الْعَيْنَيْنِ ذَات سِجَامِ
فَقُلْتُ تَرُوحُ رَاشِدًا فِي عُمُومَةٍ ... مُوَاسِينَ فِي الْبَأْسَاءِ غَيْرِ لِئَامِ

(1) سيرة ابن هشام، 182/1.
(2) الروض الأنف، السهيلي، 142/2.
(3) سيرة ابن هشام، 183/1.
(4) سنن التّرمذِي، حدِيث (3620)، وفِيه: غضروف كتفه، وقد يكون المؤلِّفُ نقل الرِّواية مِن: هداية الحيارَى، ابن القيم، ص228.
(5) في الروض: حر الوالدين.
(6) في الروض: وأمسكت.

فَرُحْنَا مَعَ الْعِيرِ التِي رَاحَ أَهْلُهَا ... شَآمِيّ الْهَوَى وَالْأَصْلُ غَيْرُ شَآمِي
فَلَمَّا هَبَطْنَا أَرْضَ بُصْرَى تَشَرَّفُوا ... لَنَا فَوْقَ دُورٍ يَنْظُرُونَ جِسَامِ
فَجَاءَ بَحِيرَا عِنْدَ ذَلِكَ حَاشِدًا ... لَنَا بِشَرَابٍ طَيِّبٍ وَطَعَامِ
فَقَالَ: اجْمَعُوا أَصْحَابَكُمْ لِطَعَامِنَا ... فَقُلْنَا: جَمَعْنَا الْقَوْمَ غَيْرَ غُلَامِ[1]
يَتِيمٍ فَقَالَ: ادْعُوهُ إِنَّ طَعَامَنَا ... كَثِيرٌ عَلَيْهِ الْيَوْمَ غَيْرُ حَرَامِ
فَلَمَّا رَآهُ مُقْبِلًا فَوْقَ رَأْسِهِ ... يُوَقِّيهِ حَرَّ الشَّمْسِ ظِلُّ غَمَامِ
حَنَا ظَهْرَهُ شِبْهَ السُّجُودِ وَضَمَّهُ ... إِلَى نَحْرِهِ وَالصَّدْرِ أَيَّ ضِمَامِ[2]

وبَعْدَ هذِهِ الأَبْيَاتِ قال ابنُ قُتَيْبَةَ: سَمِعوا قبْلَ الإِسلامِ بقلِيلٍ هاتِفًا يَهْتِفُ: إنَّ خَيْرَ أَهْلِ الأَرْضِ ثلَاثَةٌ: بَحِيرَى ورئاب بن البراء الشّنّي والثَّالِث المنْتَظَر[3]. فكَانَ الثَّالثُ رسولُ اللَّهِ ﷺ قالَ ابنُ قتيبة: وكانَ قَبْرُ رِئَاب الشّنّي وقَبْرُ وَلَدِهِ مِنْ بَعْدِهِ لَا يزَالُ يُرَى علَيْهِمَا طَشّ[4]. والطَّشُّ: المطَرُ الضَّعِيفُ[5].

ومعنَى قولِهِ "صَبَّ النَّبِيءُ ﷺ بعمّهِ": رقَّ شوقُهُ. وفِي رِوَايةٍ: ضَبَثَ بِهِ ﷺ؛ أيْ: لَزِمَهُ[6].

والنَّبِيءُ ﷺ في هَذِهِ السَّفْرَةِ ابنُ تِسعِ سِنينَ فيمَا رَوَى السُّهيلِيّ [130ظ] عن بعْضٍ، وذَكَرَ الطَّبرِيّ أنَّهُ ابنُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَة[7]، وعَلَيْه الأَكْثرُ.

وقِيل عن الطَّبرِي: ابْنُ تِسعٍ.

وقِيل: اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً وشَهْرانِ وعَشَرَة أيَّامٍ، وقِيل: اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وشَهْرًا، قِيلَ: لِعَشْرٍ مَضِينَ مِن رَبِيعِ الأَوَّل سَنَةَ ثَلَاثَ عشْرَةَ منَ الفِيلِ، خرجَ أبو طالِبٍ إلى الشَّامِ، فيكون قَدْ خَرَجَ في السَّنَةِ الثَّالِثَةَ عشَر. ولمْ يُرِدْ أبُو طالِبٍ أن يذهبَ معهُ لكنْ لمَّا تهَيَّأَ للرَّحِيلِ، وأجْمَعَ لِلسَّيْرِ هَبَّ لهُ رسُولُ اللهِ ﷺ فأخَذَ بِزِمامِ ناقتِهِ وقال: يا عمُّ إلى مَنْ تَكِلُنِي، لا أبَ لِي ولا أُمَّ، فرَقَّ لهُ أبو طالب فَقالَ: واللّهِ لأَخْرُجَنَّ بِهِ مَعِي ولا يفَارِقُنِي ولا أُفارقه أبدًا. فَخَرَجَ به مَعَهُ، وذلك في المرَّةِ الأولَى. قال بَعْضٌ: فسارَ الرَّكبُ حتَّى نزلُوا قريَةً مِن قُرَى الشَّام يقالُ لها: كفر، ومِنها إلى بصرَى ستَّةُ أميال أو ثمانِيَة، وكانَ يسكُنُها راهِبٌ يقال له بحِيرَى، بفتح الباءِ الموحَّدَةِ وكسرِ الحاءِ المهملةِ وإسكان المثنَّاة التَّحتِيَّةِ، آخرُهُ راءٌ مقصورة،

(1) الشعر في الروض الأنف، السهيلي، 145/2. وليسَ فِيه الأبيات الثلاثة الأخِيرة.
(2) الأبيات من الطوِيلِ.
(3) المعارِف، ابن قتيبَة، ص58.
(4) (م، س)، ص58.
(5) الروض الأنف، السهيلي، 140/2.
(6) (م، س) ، 141/2.
(7) (م، س) ، 141/2-142.

[ومدّهُ مغلَطاي[1] وابن الهايم[2] وابن المرحّل[3]][4] رأَى رَسُولَ اللهِ ﷺ قبْلَ البَعثِ وآمَنَ بهِ، ذكرَهُ أبو نعيم[5] وابنُ مَنْدَة[6]، بِفَتْح الميمِ، في الصَّحابَةِ[7].

وفِي هذا تَصْرِيحٌ بأَنَّهُ مَن آمَنَ برَسُولِ اللهِ ﷺ قبْلَ البِعثَةِ، ورآهُ عارِفًا لهُ بعَلامتِهِ وماتَ عَلَى الحَنِيفِيَّةِ يُعَدُّ مِن الصَّحابةِ. وهُوَ مَحَلُّ بَحْثٍ، وجَزَمَ صاحِبُ "الإصابة" بأَنَّهُ لَا يُعَدُّ فِي الصَّحابَةِ[8].

وفِي "سِيرَةِ الزُّهرِي" كانَ حَبْرًا مِنْ يهُودِ تيمى[9]. وفِي "المسعودي" إنَّه كانَ مِنْ عبد القيس، واسمُهُ جرجيس[10].

واشْتَهَرَتْ تِلكَ القَرْيَةُ بدير بَحِيرَى، وكان ذَا عِلْمٍ فِي النَّصرَانيَّة، ولَمْ يَزَلْ في تِلْكَ الصَّومعَةِ راهِبٌ مِنْ عُلَمَاءِ النَّصارَى يَصِيرُ إلَيْهِ عِلْمُهُم عنِ كتَابٍ يدْرُسونَهُ فِيمَا يزْعُمُونَ يتَوَارَثُونَها كَابِرًا عنْ كابِر، فلَمَّا نزَلُوا ببَحِيرَى نَزَلُوا مَنْزِلا قَرِيبًا مِنْ صوْمَعَتِهِ كانوا ينْزِلُونَهُ قَبْلَ ذلِكَ كُلَّما مَرُّوا بهِ ولَا يُكَلِّمُهُم بَحِيرَى. حَتَّى إذا كَانَ ذلِكَ العَامُ ونزَلُوا صَنَعَ لَهُم طعَامًا ثمَّ دعاهُمْ، وإنَّما حَمَلَهُ على دُعائِهِم أنَّهُ رأَى حِين طلَعُوا علَى تِلكَ الأماكِنِ غَمَامَةً تُظِلُّ رسُولَ اللهِ ﷺ مِن بَيْنِ القَوْمِ، حَتَّى نزَلُوا تَحْتَ الشَّجَرةِ، ثُمَّ نظَرَ إلى الغمامةِ أظَلَّتْ تِلْكَ الشَّجَرَةَ، وأخْصَبَتْ[11] أغصَانُ تِلْكَ الشَّجَرَةِ علَى النَّبِيءِ ﷺ حتَّى اسْتَظَلَّ تَحْتَها [وهذَا يَدُلُّ على أَنَّ أغصَانَهَا قَبْلَ ذَلِكَ كانَتْ رَثَّةً][12]، فلَمَّا رَأَى بَحِيرَى ذلكَ نَزَلَ مِنْ صوْمَعَتِهِ، وأَمَرَ بالطَّعَامِ فأَرْسَلَ إلَيْهِم فقَالَ: صنَعْتُ لَكُم طعَامًا يا مَعْشَرَ قُرَيْش وأنَا أُحِبُّ أن تَحْضُرُوهُ كُلُّكُم، ولا يَتَخَلَّف منْكُمْ صَغِيرٌ ولا كَبِيرٌ، ولَا حُرٌّ ولا عَبْدٌ، فإِنَّ هذَا شَيْءٌ تكْرِمُونَنِي بهِ. فقَال رَجُلٌ: إنَّ لَكَ لَشَأْنًا يا بَحِيرَى ما كُنتَ تَصْنَعُ بنَا هذَا قَبْلُ، فمَا شأْنُكَ اليَوْمَ؟ فقالَ: إنِّي أحْبَبْتُ أن أكْرِمَكُم فلَكُم علَيَّ حَقٌّ، فَاجْتَمَعُوا إلَيْهِ وتَخَلَّفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِن بَيْنِ القَوْمِ، فِي رِحالِهِم تَحْتَ الشَّجرَةِ لِحَدَاثَةِ سِنِّهِ؛ إذْ لَيْسَ في القَوْمِ أصْغَرُ منْهُ سِنًّا، فلَمَّا نَظَرَ بَحِيرَى إلى القَوْمِ ولَمْ يَرَ الصِّفَةَ التِي يعرِفُها ويَجِدُهَا عِنْدَهُ، وجَعَلَ ينْظُرُ فلَا يَرَى الغَمَامَةَ علَى أحَدٍ مِنَ القَوْمِ، وَيَرَاهَا مُتَخَلِّفَةً

(1) الإشارة إلى سيرة المصطفى، مغلطاي، ص76.

(2) محمد بن أحمد بن محمد بن عماد، محب الدين ابن الهائم، صنف "الغرر المضية في شرح نظم الدرر السنية" شرح لألفية العراقي في السيرة، ت: 798، شذرات الذهب، 605/8.

(3) عبد اللطيف بن عبد العزيز بن يوسف، شهاب الدين بن المرحل ت: 744هـ، شيخ جمال الدين ابن هشام النّحوِي. طبقات الشافعية، ابن قاضِي شهبة، 36/3.

(4) العبارة أضافها المؤلِّف على الهامِشِ، ليْسَتْ فِي تاريخ الخمِيسِ. ينظر: شرح المواهب، 364/1.

(5) ينظر: معرفة الصّحابة، أبو نعَيم، 445/1.

(6) ينظر: معرفة الصحابة، ابن منده، 314.

(7) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 257/1.

(8) الفقرةُ أضافها المؤلِّف على الهامِشِ. ينظر: الإصابة، ابن حجر، 643/1.

(9) تَيما: بليدة في بادِيَة تبوك على نصف طريق الشامِ من خيبَرَ. النسبة إلى المواضع والبلدان، الحميرِي، ص173.

(10) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 257/1، عن السهيلِي، الروض الأنف، 140/2، وفيه: سرجس. وينظر: مروج الذهب، المسعودِي، 75/1.

(11) فِي تاريخ الخمِيس: أخصت، وفِي المواهِب: تهصَّرت.

(12) العبارة ليْسَتْ في تارِيخ الخمِيسِ.

فَوْقَ الشَّجَرَةِ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ [131و] فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ لا يَتَخَلَّفَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ عَنْ طَعَامِي. فقَالُوا: مَا تَخَلَّفَ أَحَدٌ إِلَّا غُلامٌ هُوَ أَحْدَثُ الْقَوْمِ سِنًّا فِي الرِّحَالِ فَقَالَ: ادْعُوهُ فَلْيَحْضُرْ طَعَامِي، فَمَا أَقْبَحَ أَنْ تَحْضُرُوا وَيَتَخَلَّفَ رَجُلٌ وَاحِدٌ منكُم، مَعَ أَنِّي أَرَاهُ مِنْ أَنْفسِكُمْ. فَقَالَ الْقَوْمُ: هُوَ وَاللَّهِ مِن أَوْسَطِنَا نَسَبًا، وَهُوَ ابْنُ أَخِي هَذَا الرَّجُلِ، يَعْنُونَ أَبَا طَالِبٍ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ عَبْدِ المطَّلِبِ مِنْ بَيْنِنا، ثمَّ احتَضَنَهُ الْحَارِثُ وأَقبَلَ بِهِ حتَّى أَجْلَسَهُ عَلَى الطَّعَامِ، وَالْغَمَامَةُ تَسِيرُ عَلَى رَأْسِهِ، وَجَعَلَ بَحِيرَى يَلْحَظُهُ لَحْظًا شَدِيدًا، وَيَنْظُرُ إِلَى أَشْيَاءَ فِي جَسَدِهِ، قَدْ كَانَ يَجِدُهَا عِنْدَهُ فِي صِفَتِهِ. فَلَمَّا تَفَرَّقُوا عَنِ الطَّعَامِ قَامَ إِلَيْهِ الرَّاهِبُ، فَقَالَ: يَا غُلامُ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ اللَّاتِ وَالْعُزَّى أَلا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لا تَسْأَلْنِي بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَوَاللَّهِ مَا أَبْغَضْتُ شَيْئًا بُغْضَهُمَا" قَالَ: بِاللَّهِ أَلا خبَّرْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ؟ قَالَ: "سَلْنِي عَمَّا بَدَا لَكَ" فَجَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاء مِنْ حَالِهِ حَتَّى نَوْمِهِ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُهُ، وَيُوَافِقُ ذَلِكَ مَا عِنْدَهُ. ثُمَّ جَعَلَ يَنْظُرُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ كَشَفَ عَنْ ظَهْرِهِ فَرَأَى خَاتَمَ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلَى الصِّفَةِ التِي عِنْدَهُ، فَقَبَّلَ مَوْضِعَ الْخَاتَمِ. قَالَتْ قُرَيْشٌ: إِنَّ لِمُحَمَّدٍ عِنْدَ هَذَا الرَّاهِبِ لَقَدْرًا، وَجَعَلَ أَبُو طَالِبٍ يَخَافُ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ لِمَا يَرَى مِنَ الرَّاهِبِ. قَالَ الرَّاهِبُ لأَبِي طَالِبٍ: مَا هَذَا الْغُلامُ مِنْكَ؟ قَالَ: ابْنِي، قَالَ: مَا هُوَ بابْنِكَ، وَمَا يَنْبَغِي لِهَذَا الْغُلامِ أَنْ يَكُونَ أَبُوهُ حَيًّا. قَالَ: ابْنُ أَخِي، قَالَ: فَمَا فَعَلَ أَبُوهُ؟ قَالَ: ماتَ وَأُمُّهُ حُبْلَى بِهِ. قَالَ: فَمَا فَعَلَتْ أُمُّهُ؟ قَالَ: تُوُفِّيَتْ قَرِيبًا. قَالَ: صَدَقْتَ، ارْجِعْ بِابْنِ أَخِيكَ إِلَى بَلَدِهِ، وَاحْذَرْ عَلَيْهِ الْيَهُودَ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ رَأَوْهُ وَعَرَفُوا مِنْهُ مَا عَرَفتُ لَيَقْصُدُنَّ قَتْلَهُ، فَإِنَّهُ كَائِنٌ لابْنِ أَخِيكَ هَذَا شَأْنٌ عَظِيمٌ نَجِدُهُ فِي كُتُبِنَا وَمَا رُوِّينَا عَنْ آبَائِنَا، وَأَعْلَم أَنِّي قَدْ أَدَّيْتُ إِلَيْكَ النَّصِيحَةَ. وَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ تِجَارَتِهِمْ خَرَجُوا بِهِ سَرِيعًا، وَكَانَ رِجَالٌ مِنْ اليَهُودِ قَدْ رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَعَرَفُوا صِفَتَهُ، وَأَرَادُوا أَنْ يَغْتَالُوهُ فَذَهَبُوا إِلَى بَحِيرَى فَذَاكَرُوهُ أَمْرَهُ فَنَهَاهُمْ أَشَدَّ النَّهْيِ، وَقَالَ لَهُمْ: أَتَجِدُونَ صِفَتَهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا لَكُمْ إِلَيْهِ سَبِيلٌ فَصَدَّقُوهُ وَتَرَكُوهُ. وَرَجَعَ أَبُو طَالِبٍ إلى مَكَّةَ سالِمًا فَمَا خَرَجَ بِهِ سَفَرًا بَعْدَ ذَلِكَ خَوْفًا عَلَيْهِ[1].

وفِي "المشْكَاةِ" عن أَبِي موسَى ما تقدَّمَ إِلَّا أنَّ فِيهِ: خرَجَ بهِ ﷺ أبو طَالِبٍ في أَشْيَاخ مِنْ قُرَيْش. وأنَّهُ قال: أنْشدُكُمْ باللهِ أيُّكُمْ وَلِيُّه؟ قالوا: أبُو طَالِب، فلَمْ يَزَلْ يُناشِدُهُ حتَّى رَدَّهُ أبو طالِب، وبَعَثَ مَعَهُ أبو بَكْر بِلَالًا [131ظ] وزوَّدهُ الرَّاهِبُ كعكًا وزيْتًا[2] رواهُ التِّرمِذِي[3].

قلْتُ: كَيْفَ يكونُ أبُو بكْرٍ في ذلِكَ الوَقْتِ كَبِيرًا مالِكًا لِبلال مُسَافِرًا في تَجْرٍ؟، ولَعَلَّ بلالًا ﷺ يومئِذٍ في بلادِهِ.

---

(1) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 257/1- 258، وهداية الحيارَى، ابن القيم، ص231-232.

(2) مشكاة المصابِيح، التبرِيزي، 1663/3.

(3) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 258/1، سبق تخرِيج الحدِيث في سنن الترمذِي رقم (3620).

وقَدْ قِيلَ: إنَّ بلالًا يومَئِذٍ لَمْ يولَدْ، وهذَا يُنافِي ما قالَ ابنُ حبَّان: سِنُّهُ سِنُّ أبِي بَكْرٍ.

وإنْ كانَ قدْ ملَكَهُ قُرَيشٌ فلَيْسَ في ملْكِ أبِي بَكْرٍ، وإنَّما ملَكَهُ بعْدَ بِعْثَتِهِ ﷺ وإيمانِهِ باللهِ ورسولِهِ ﷺ بنَحْوِ ثلاثِينَ سَنَة تقْرِيبًا، ولَعَلَّ ذلِكَ منْ أَحَدِ الرُّواةِ أدْرَجَهُ وَهْمًا.

وفي القِصَّةِ أنّهُ ﷺ رَعَى الإبِلَ، قالَ أبُو هُريرَةَ قال رسُولُ اللهِ ﷺ: ((**مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا راعِيَ الغَنَم، فقَالَ أصْحَابُهُ: وأَنْتَ؟ قالَ: نَعَمْ كُنْتُ أرْعَاهَا علَى قَرَارِيطَ أرْعَاهَا لِأَهْلِ مكَّةَ**)) رواهُ البُخَارِي[1].

وفِي روايَةِ سعيد بن أبي أُحَيحة وفِيه: ((**كُنْتُ أَرعَاهَا لِأَهْلِ مَكَّةَ بالقَرَارِيطِ**)) أيْ: مِنَ الفِضَّةِ، قال سُوَيد بن أبي سعيد: يعْنِي كُلَّ شَاةٍ بقِيراط[2]، وقال الحربيّ[3]: القَرَارِيطُ مَوضِعٌ، ولَمْ يُرِدْ قَرَارِيط الفضَّة[4].

وذَكَرَ مغلطاي في سيرتِهِ: أنَّهُ رَعَى الغنَمَ في سَنَةِ عِشْرِين، وقال: كانَ يرْعَى غنَمَ أَهْلِهِ بأجْيادٍ عَلَى قَرَارِيطَ[5].

وعن ابْنِ عبَّاسٍ أَنَّ أبَا بَكْرٍ رضيَ اللهُ عنهُمَا، صَحِبَ النَّبِيءَ ﷺ وهو ابنُ ثمانِي عشرةَ سنَةٍ، والنَّبِيءُ ﷺ ابنُ عشْرِين سَنَةٍ، وهُمْ يرِيدُونَ الشَّامَ في تِجَارَةٍ حتَّى نَزَلُوا مَنْزِلًا فِيه سدْرَةٌ، فجلَسَ النَّبِيءُ ﷺ في ظِلِّها ومضَى أبو بَكْرٍ إلى رَاهِبٍ يقَالُ لهُ بَحِيرَى يَسْأَلُهُ عنْ شَيْءٍ فقَالَ: مَنِ الرَّجلُ الذِي في ظِلِّ السِّدْرَة؟ قال أبو بَكْر: ذلِكَ مُحَمَّد بنُ عبْدِ اللهِ بنِ عبْدِ المطَّلِب. فقَالَ بحِيرَى: هُوَ واللهِ نَبِيءٌ، ما استَظَلَّ تَحْتَهَا بعْدَ عِيسَى بنِ مَرْيَمَ إلَّا مُحَمَّد، فوَقَعَ في قَلْبِ أبِي بَكْرٍ اليقِينُ والتَّصديقُ قَبْلَ مَا نُبِّئَ ﷺ[6].

وفِي "المنتَقَى"[7]: هذَا السَّفَر هو الذِي كانَ معَ أَبِي طالِبٍ؛ فإنَّ أبا بَكْر حِينئِذٍ كانَ مَعَهُ[8].

الفَصْلُ الثَّالِثُ: [في بَعْضِ ما تَقَدَّمَ فِي الأَزْمانِ السَّابِقةِ علَيْهِ مِنْ شَأْنِهِ]

قَالَ بَعْضُ الصَّحابةِ: كان رسُولُ اللهِ ﷺ مِن بَدْئِهِ أفْضَلَ قَوْمِهِ وأحسَنَهُم خُلُقًا، وأكْرَمَهُم حَسَبًا، وأحسَنَهُم جِوارًا، وأعْظَمَهُم حِلْمًا، وأَصْدَقَهُم حدِيثًا، وأَعْظَمَهُمْ أمَانَةً، وأبْعَدَهُم مِنَ الفُحْشِ والأَخْلاقِ

(1) صحيح البخارِي، حدِيث (2262).

(2) الحدِيث وقول سويد في سنن ابن ماجه، حدِيث (2149).

(3) في الأصل: الجريري، والتصحيح من عمدة القارِي، 80/12، وفتح البارِي، 441/4. وهو صاحب غرِيب الحدِيث، ولم أقف عليه في المطبوع منه.

(4) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 259/1. لم أقف عليه في المطبوع من المناسِك للحربِي.

(5) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 259/1. والإشارة إلى سيرة المصطفى، مغلطاي، ص79.

(6) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 261/1.

(7) لم أتعرَّف الكتاب.

(8) (م، س)، 261/1.

التي تُدَنِّسُ الرِّجَالَ تنَزُّهًا وتَكَرُّمًا، حَتَّى إنَّهُ مَا كَانَ اسْمُهُ في قَوْمِه إلَّا الأَمِين، لِمَا جَمَعَ اللهُ فِيهِ مِنَ الأُمُورِ الصَّالِحَةِ[1].

وَكان رَسُولُ اللهِ ﷺ فيمَا ذُكِرَ لِي يُحَدِّثُ عمَّا كانَ اللهُ يَحْفَظُه بِهِ في صِغَرِهِ وأمْرِ جَاهِلِيَّتِهِ؛ مِن ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ ينْقُلُ الحجَارَةَ لِبِنَاءِ الكَعْبَةِ عَارِيًا، جاعِلًا إزارَهُ[2] علَى كَتِفِهِ يَحْمِلُ عليْهِ الحِجَارةَ، فإنِّي لَأُقْبِلُ وأُدْبِرُ إذ لَكَمَنِي لَاكِمٌ ما أَراهُ، لَكْمَةً وَجِيعةً ثُمَّ قالَ: شُدَّ علَيْكَ إزَارَكَ[3].

وفِي البُخارِي: ((**كَانَ ﷺ ينْقُلُ الحِجَارَةَ معَ قَوْمِهِ علَى عَاتِقِهِ، وإزَارُهُ مَشْدُودٌ عَلَيْهِ، فقَالَ لَهُ العَبَّاسُ: يا ابنَ أَخِي لَوْ جَعَلْتَ إزارَكَ علَى عَاتِقِكَ، ففَعَلَ فَسَقَطَ مَغْشِيًّا علَيْهِ؛ أَيْ: وهُوَ طِفْلٌ صَغِيرٌ، ثمَّ قالُ: إزَارِي إزَارِي فشدَّ عَلَيْهِ إزَارهُ**))[4].

وفِي حدِيثٍ آخَرَ: ((**أنَّهُ لمَّا سقَطَ ضَمَّهُ العبَّاسُ إلى نفْسِهِ وسألَهُ عن شَأْنِهِ فأَخْبَرَ أَنَّهُ [132و] نودِيَ مِن السَّماءِ أن اشْدُدْ علَيْكَ إزارَكَ يا مُحَمَّد، وإنَّه أوَّل ما نُودِيَ**))[5] وحَدِيث ابن إسحاق إنْ صَحَّ فَحَمْلُهُ عَلَى أنَّ هذَا الأَمْرَ كانَ مَرَّتَيْنِ[6].

قالَ ابْنُ هِشَام: ولَمَّا بلَغَ رسُولُ اللهِ ﷺ خمْسًا وعِشْرِينَ سنةً تزوَّجَ خديجة بنت خُوَيْلد رضي الله عنها، وكانَتْ تاجِرَةً ذَات شَرَفٍ ومَالٍ تَسْتَأْجِرُ الرِّجالَ في مَالِها، وتُضَارِبُهُم إيَّاهُ بِشَيءٍ تجْعَلُهُ لَهُمْ، وكانَتْ قُرَيْشٌ قوْمًا تُجَّارًا. فلَمَّا بَلَغَها عن رَسُولِ اللهِ ﷺ ما بَلَغَها مِن صِدْقِ حَدِيثِهِ وعَظِيمِ أمانتِهِ، وكَرَمِ أخْلَاقِهِ، بعَثَتْ إلَيْهِ فعَرَضَتْ علَيْهِ أن يَخْرُجَ في مالٍ لَهَا إلَى الشَّامِ تاجِرًا، وتُعْطِيهِ أفْضَلَ ما كانَتْ تُعْطِي غَيْرَهُ مِنَ التُّجارِ مع غُلَامٍ لها يقالُ له ميسرة، فقَبِلَهُ رسولُ اللهِ ﷺ منْهَا وخَرَجَ في مالِها ذلكَ، وخرَجَ معهُ غلامُها ميسرةُ حتَّى قدِمَ الشَّامَ فَنَزَلَ رسُولُ اللهِ ﷺ في ظِلِّ شَجَرَةٍ، قرِيبًا مِن صَوْمَعَةِ راهِبٍ. فاطَّلع الرَّاهِبُ إلى ميسَرَة فَقَالَ: مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الذِي نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ؟ فَقَالَ لَهُ مَيْسَرَةُ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ أَهْلِ الْحَرَمِ. فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: مَا نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ قَطُّ إلا نَبِيءٌ. ثُمَّ بَاعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سِلْعَتَهُ التِي خَرَجَ بِهَا وَاشْتَرَى مَا أَرَادَ أَنْ يَشْتَرِيَ ثُمَّ أَقْبَلَ قَافِلا إِلَى مَكَّةَ وَمَعَهُ مَيْسَرَةُ. فكَانَ مَيْسَرَةُ فِيمَا يذكرونَ يقُولُ: إِذَا كَانَتِ الْهَاجِرَةُ وَاشْتَدَّ الْحَرُّ يرَى مَلَكَيْنِ يُظِلَّانِهِ ﷺ مِنَ الشَّمْسِ، وَهُوَ

---

(1) سيرة ابن هِشام، 183/1.

(2) في الأصْلِ: لإزاره.

(3) في سيرة ابن هِشام:" نَنْقُلُ حِجَارَةً لِبَعْضِ مَا يَلْعَبُ بِهِ الْغِلْمَان" وصحَّح السُّهيلي: أَنَّهُ كان ذلكَ في بناء الكعبة، وهذا ما نقله المؤلِّف هنا، ينظر: سيرة ابن هشام، 183/1. والروض الأنف، السهيلي، 145/2 وما بعدها.

(4) صحيح البخارِي، حدِيث (364).

(5) لم أقفْ عليه بلفظِهِ في كتب الحدِيثِ.

(6) الروض الأنف، السهيلي، 146/2.

يَسِيرُ عَلَى بَعِيرِهِ. فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ عَلَى خَدِيجَةَ بِمَالِهَا، بَاعَتْ مَا جَاءَ بِهِ بِأَضْعَاف أَوْ قَرِيبًا، وَحَدَّثَهَا مَيْسَرَةُ عَنْ قَوْلِ الرَّاهِبِ، وَعَمَّا كَانَ يَرَى مِنْ إِظْلالِ الملَكَيْنِ إِيَّاهُ[1]. قال السُّهيْلِيّ: ذكروا أنَّ اسمَهُ نسطور[2].

قالَتْ نفيسة بنت منبّه: لمَّا بلغَ رسولُ اللهِ ﷺ خمسًا وعِشرِينَ سنَةً، ولَيسَ لهُ بِمَكَّةَ اسْمٌ إلَّا الأَمِينُ؛ لِما تكامَلَتْ فيهِ مِنْ خصالِ الخيْرِ، قال لهُ أبو طَالِبٍ: يا ابنْ أخِي أنَا رَجُلٌ لا مَالَ لِي، وقَد اشْتَدَّ الزَّمانُ عليْنَا، وألَحَّتْ عليْنَا سنُونُ مُنْكِرَة، ولَيْسَتْ لنَا مادَّةٌ ولَا تِجَارَةٌ، وهذَا عِيرُ قَوْمِكَ قدْ حضَرَ خروجُها إلى الشَّامِ، وخديجة بنت خُويلِد تَبْعَثُ رجَالًا مِنْ قوْمِكَ فِي عِيرِها، فيتَّجِرونَ لها فِي مالِهَا، ويُصِيبُونَ منافِعَ، فلَوْ جِئْتها وعَرَضْتَ نفسَكَ عليْها لأَسْرعَتْ إليْكَ، وفَضَّلتْكَ على غَيْرِكَ، لِمَا يَبْلُغهَا عنْكَ منْ طهَارَتِكَ، وإنْ كُنتُ أكرَهُ أنْ تَأْتِي الشَّامَ، وأخَافُ علَيْكَ مِنَ اليهودِ، ولكِنْ لا نَجِدُ مِنْ ذَلِكَ بُدًّا. وكانتْ خدِيجَةُ ذاتَ شرَفٍ ومالٍ كثِيرٍ وتِجارَةٍ، تَبعَثُ بهَا إلَى الشَّامِ فتكُونُ عِيرُهَا كعامَّة عِيرِ قرَيْشٍ، وكانَتْ تستَأْجِرُ الرِّجالَ وتدْفَعُ إلَيْهم المالَ مضَارَبَةً، وكانَتْ قُريشٌ قوْمًا تُجّارًا ومَنْ لَمْ يكُنْ مِنْ قُرَيش تاجرًا فلَيْسَ عنْدَهُم بِشَيءٍ، فقالَ [132ظ] رسولُ اللهِ ﷺ: فلعلَّها ترْسِلُ إلَيَّ في ذَلِكَ، فقالَ أبو طَالِبٍ: أخافُ أن تُوَلِّي غَيْرَكَ فتطلُبَ أَمْرًا مُدْبِرًا كالخرقاءِ[3].

فَبلغَ خديجةَ ما كانَ مِن محَاوَرَةِ عَمِّه لَه، وقبْلَ ذلِكَ ما كانَ بلَغَهَا مِن صِدْقِ حدِيثِهِ وعِظَمِ أمانَتِه وكَرَمِ أخلَاقِهِ، فقالَتْ: ما عَلِمْت أنَّهُ يرِيدُ هذَا، ثُمَّ أرْسَلَتْ إلَيْهِ فقالَتْ: إنَّه دعَانِي إلى البِعثةِ إلَيْكَ ما بَلغَنِي مِنْ صدْقِ حدِيثِكَ وعِظَمِ أمَانتِكَ وكَرَمِ أخلَاقِكَ، وأنا أُعْطيكَ ضِعْفَ ما أُعْطِي رجُلًا مِنْ قوْمِكَ، ففَعَلَ رسولُ اللهِ ﷺ وَلَقِيَ أبا طَالِبٍ فذَكَرَ ذلِكَ لهُ فقال: إنَّ هذا لَرِزْقٌ ساقَهُ اللهُ إلَيْكَ. فخرَجَ معَ غلَامِهَا مَيْسَرَة، وجعَلَ عُمُومَتَهُ ﷺ يوصونَ بهِ أَهْلَ العِيرِ، حتَّى قَدِمَ بصرَى مِنَ الشَّام، فنزَلَ في ظِلِّ شجرَةٍ قرِيبَةٍ منْ صَوْمَعةِ رَاهِبٍ يُقَالُ لَه نسطور. فاطَّلَعَ الرَّاهبُ إلى مَيْسَرَة – وكان يَعْرِفُه – فقال: يا مَيْسَرَة مَنْ هذا الذي نَزَلَ تَحْتَ هذهِ الشَّجَرة؟ قالَ ميسرة: هُوَ رَجُلٌ مِن قُرَيش مِن أَهْلِ الحرَمِ، فقال لهُ الرَّاهِبُ: ما نَزَلَ تحتَ هذِهِ الشَّجرةِ قَطُّ أَحَدٌ بعدَ عِيسَى بنِ مَرْيَم إلَّا نَبِيءٌ، ثمَّ قال: وَفي عيْنَيْه حُمْرَةٌ؟ قال ميسرة: نعَمْ لا تُفارِقُهُ. قَال الرَّاهِبُ: هو هو، وهو آخِرُ الأنبِيَاءِ علَيهِم السَّلامُ، فَيا ليتَنِي أدْرَكْتُه حينَ يؤمَرُ بالخروجِ، فوَعَى ذلكَ ميسرةُ. ثمَّ حضَرَ رسولُ اللهِ ﷺ سوقَ بُصرَى فباع بضاعتَهُ التي خَرَجَ بها واشْتَرَى فكانَ بَيْنَه وبيْنَ رَجُلٍ اختِلافٌ في سِلْعَةٍ، فقال الرَّجُل: احْلِف باللَّات والعُزَّى فَقال رسولُ اللهِ ﷺ: ما حلَفْتُ بهِمَا قَطُّ، وإنّي لأَمُرُّ فأُعْرِضُ عنْهُمَا، فَقال الرَّجُلُ: فَالقَوْلُ قوْلُكَ. ثمَّ خَلَا

(1) سيرة ابن هشام، 1/188-189.

(2) الروض الأنف، السهيلي، 2/152.

(3) دلائل النبوة، الأصبهاني، 1/172، وفيه: فافترقا، بدل كالخرقاءِ.

الرَّجُلُ بميسرة وقالَ لَه: يا ميسرةُ هذا نَبِيءٌ، والذِي نفسِي بيَدِهِ إنَّهُ لهُوَ تجدُهُ أحبَارُنَا منْعُوتًا في كتُبِهِم، فوَعَى ذلكَ ميسرة ثُمَّ انصرَفَ أهْلُ العِير جَميعًا، وَكانَ ميسرة يَرَى النَّبِيءَ ﷺ إذَا كانَت الهَاجِرَة واشْتَدَّ الحرُّ يُظِلُّهُ ملَكانِ وهو علَى بَعِيرِهِ[1].

حتَّى دَخَلَ مكَّةَ في ساعَةِ الظَّهِيرةِ، وخديجةُ معها نِساءٌ في عِلِّيَّة لهَا، معَهُنَّ نفِيسة بنت منبّه، فرأتْ رسُولَ اللهِ ﷺ حينَ دخَلَ وهُوَ راكِبٌ علَى بَعِيرِهِ ومَلَكانِ يُظِلَّانِهِ فأَرَتْهُ نسَاءَهَا فعَجِبْنَ لذَلِكَ، فلمَّا أن دَخَلَ ميْسَرةُ علَيْهَا أخْبَرَتْهُ بما رأَتْ، فقالَ لَهَا ميسرةُ: قَدْ رَأَيْتُ هَذَا مُنْذُ خرَجْنا مِنَ الشَّامِ، وأخبَرَهَا بقَوْلِ الرَّاهبِ نسطور، وبِقَوْلِ الآخَرِ الذي خالَفَ في البَيْع، وقَدِمَ رسولُ اللهِ ﷺ بتِجَارتِهِ، فربِحَتْ ضعْفَ ما كانَتْ تَرْبَحُ، وضَعَّفَتْ لَهُ [133و] ضِعفَ ما كانت قَدْ سَمَّتْ لهُ[2].

فلمَّا استقَرَّ عندَهَا هَذَا، وكَانت امْرَأَةً حَازِمةً شرِيفَةً لَبِيبَةً، معَ ما أَرَادَ اللهُ بِهَا مِنَ الْكَرامَةِ والْخَيْرِ، وهِي يَوْمَئِذٍ أَوْسَطُ نسَاءِ قُرَيْشٍ نَسَبًا، وأَعْظَمُهُنَّ شرَفًا وأَكْثَرُهُنَّ مالًا، وكلُّ قومِها كانَ حرِيصًا على تزوُّجِها، لو قَدَرُوا علَى ذَلِكَ لبَذَلُوا الأموالَ وطلَبُوهَا. قالتْ نفيسة: فأرسَلَتْنِي إليهِ دسِيسًا فقُلت: يا مُحَمَّد ما يَمْنَعُكَ أن تَتَزَوَّجَ؟ قال: ما بِيدِي ما أَتَزَوَّجُ بِهِ، فقالت: أبَعْدَ أنْ دُعيتَ إلَى الحَلال والشَّرفِ والمالِ لَا تُجيبُ؟ قال: بلَى فَمَن هِي؟ قالتْ: خَدِيجَةُ، قالَ: وَكَيْفَ لِي بِذَلِكَ؟ قالَتْ: علَيَّ ذلِكَ. قالَ: فَافْعَلِي. فذَهَبَتْ نفِيسةُ فأَخْبرَتْ خَدِيجَةَ، فأَرْسَلَتْ إليهِ أن ايتِ سَاعَةَ كذَا وكَذَا، وأَرْسلَتْ إلَى عَمِّهَا عمرو بن أسد فحَضَرَ، فَدَخَل رسولُ اللهِ ﷺ فِي عمُومَتِهِ فزوَّجَهُ أحَدُهُم، قال عمرو: هذا الفَحْلُ الذِي لا يُقْرَعُ أَنْفُهُ[3].

قال ابن إسحاق: بعثَتْ خدِيجةُ رضِي اللهُ عنها: إنّي قد رغبتُ فِيكَ لِقرابتِكَ وسطَتِكَ في قوْمِكَ، وأَمَانَتِكَ وحُسْنِ خُلُقِكَ، وصِدْقِ حدِيثِكَ، ثُمَّ عرَضَتْ علَيْهِ نفسَهَا، فذكَرَ رسولُ اللهِ ﷺ ذلِكَ لأَعْمامِهِ، فخَرَجَ معهُ حمزة بن عبد المطّلب حتَّى دَخَلَ عَلَى خُوَيْلد بن أسد فخَطَبَها إلَيْهِ فتَزَوَّجَهَا. قال ابن هشام: أَصْدَقَهَا عشْرِينَ بكَرَة، قال ابنُ إسحاق: وَلَدَتْ لرَسُولِ اللهِ ﷺ ولَدَهُ كلَّهُم إلَّا إبرَاهِيم، ولَدَتْ لهُ القاسِم وَبِهِ كَانَ يُكَنّى ﷺ وَالطّيّب وَالطّاهِر وَزينب وَرقيّة وَأمّ كلْثوم وَفَاطِمَة. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَكْبَرُ بَنِيهِ الْقَاسِمُ ثُمّ الطّيّب ثُمّ الطّاهِرُ، وَأَكْبَرُ بَنَاتِهِ رُقَيّةُ ثُمّ زَيْنَبُ ثُمّ أُمّ كلْثُومٍ ثُمّ فَاطِمَةُ. قَالَ ابْنُ إسْحَاق: ماتَ الْقَاسِمُ وَالطّيّبُ وَالطّاهِرُ فِي أيّامِ الْجَاهِلِيّةِ، وأمَّا بناتُهُ فكلُّهُنَّ أَدْرَكْنَ الإِسْلَامَ وأَسْلمْنَ وهاجَرْنَ معهُ ﷺ[4].

(1) دلائل النبوة، الأصبهاني، 173/1-174.

(2) الطبقات الكبير، ابن سعد، 131/1.

(3) (م، س)، 109/1.

(4) سيرة ابن هشام، 189/1.

وقال السُّهيليّ وغيرُهُ: إنَّ أولادَهُ ﷺ كلّهُم وُلِدوا بعد النُّبوءَةِ[1]، ويُجمَعُ بأنَّ الذُّكورَ الثَّلاثَةَ وُلِدُوا بعد دلائِلِ النُّبوءَةِ وماتوا قَبْل البعثَةِ.

وأمَّا إبراهِيمُ فولدتْهُ مارية، وهي سَرِيَّةٌ لهُ ﷺ أهْدَاهَا إلَيْهِ المقوقس[2].

ويُروَى أنَّ خدِيجةَ رضِيَ اللهُ عنها، ذَكَرَتْ لورقة بن نوفل بن أسد، وكَانَ ابْنَ عَمِّهَا وكانَ نَصْرَانِيًّا، قَدْ تَتَبَّعَ الكتُبَ وعلِمَ مِنْ علْمِ النَّاسِ ما ذَكَرَ لها غلامُها ميْسَرة مِنْ قَوْلِ الرَّاهِبِ، وما كان يَرَى منهُ إذْ كانَ الملَكَانِ يُظِلَّانِهِ، فقالَ وَرَقَةُ بنُ نوفَل: لَئِنْ كانَ هذَا حَقًّا يا خدِيجَةُ إنَّ مُحَمَّدًا لَنَبِيءُ هَذهِ الأمَّةِ، قد عَرَفْتُ [133ظ] أنَّهُ كائِنٌ لهذه الأمَّةِ نبِيءٌ يُنتَظرُ هذا زمانُهُ[3]. قال وَرَقَةُ:

لَجِجْتُ، وَكُنْتُ فِي الذِّكْرَى لَجُوجًا ... لِهَمٍّ طَالَمَا بَعَثَ النَّشِيجَا
وَوَصْفٌ مِنْ خَدِيجَةَ بَعْدَ وَصْفٍ ... فَقَدْ طَالَ انْتِظَارُكِ يَا خَدِيجَا
بِبَطْنِ الـمكَّتَيْنِ[4] عَلَى رَجَائِي ... حَدِيثَكِ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجَا
بِمَا خَبَّرْتِنِي مِنْ قَوْلِ قِسٍّ ... مِنَ الرُّهْبَانِ أَكْرَهُ أَنْ يَعُوجَا
بَأَنَّ مُحَمَّدًا سَيَسُودُ يَوْمًا ... فَيَخْصِمُ مَنْ يَكُونُ لَهُ حَجِيجَا
وَيُظْهِرُ فِي الْبِلَادِ ضِيَاءَ نُورٍ ... يُقِيمُ بِهِ الْبَرِيئَةَ أَنْ تَمُوجَا
فَيَلْقَى مَنْ يُحَارِبُهُ خَسَارًا ... وَيَلْقَى مَنْ يُسَالِمُهُ فُلُوجَا
فَيَا لَيْتِي إِذَا كَانَ مَا كَانَ ذَاكُم ... شَهِدْتُ وَكُنْتُ أَوَّلَهُمْ وُلُوجَا
وُلُوجًا فِي الذِي كَرِهَتْ قُرَيْشٌ ... وَلَوْ عَجَّتْ بِمَكَّتِهَا عَجِيجَا
أُرَجِّي بِالذِي كَرِهُوا جَمِيعًا ... إِلَى ذِي الْعَرْشِ إِنْ سَفَلُوا عُرُوجَا
وَهَلْ أَمْرُ السَّفَالَةِ غَيْرُ كُفْرٍ ... لِمَنْ يَخْتَارُ منْ سَمَكِ الْبُرُوجَا
فَإِنْ يَبْقوا وَأَبْقَ تَكُنْ أُمُورٌ ... يَضِجُّ الْكَافِرُونَ لَهَا ضَجِيجَا
وَإِنْ أَهْلِكْ فَكُلُّ فَتًى سَيَلْقَى ... مِنَ الْأَقْدَارِ مَتْلَفَةً خُرُوجَا[5]

وقال ورَقَةُ أيْضًا:

أَتُبْكِرُ أَمْ أَنْتَ الْعَشِيَّةَ رَائِحُ ... وَفِي الصَّدْرِ مِنْ إضْمَارِك الْحزنَ قَادِحُ
لِفُرْقَةِ قَوْمٍ لَا أُحِبّ فِرَاقَهُمْ ... كَأَنّك عَنْهُمْ بَعْدَ يَوْمَيْنِ نَازِحُ

(1) الروض الأنف، السهيلي، 156/2.
(2) سيرة ابن هشام، 189/1-190.
(3) (م، س)، 191/1.
(4) على الهامِش دون إحالة إلى مكانِها: والمكَّتان: مكَّة والطَّائِف.
(5) الأبيات من الوافر، سيرة ابن هشام، 191/1-192.

وَأَخْبَارِ صِدْقٍ خَبّرَتْ عَنْ مُحَمّدٍ ... يُخَبّرُهَا عَنْهُ إذَا غَابَ نَاصِحُ
فَتَاكِ الذِي وَجّهْت يَا خَيْرَ حُرّةٍ ... بِغَوْرٍ وَبِالنَّجْدَيْنِ حَيْثُ الضَّحَاضِحُ[1]
إلَى سُوقِ بُصْرَى فِي الرّكَابِ الّتِي غَدَتْ ... وَهُنّ مِنَ الْأَحْمَالِ [قُمْصٌ دَوَابِحُ][2]
يُخَبّرنَا عَنْ [كُلّ حَبْرٍ][3] بِعِلْمِهِ ... وَلِلْحَقّ أَبْوابٌ لَهُنَّ مَفَاتِحُ
بِأَنّ ابْنَ عَبْدِ اللهِ أَحْمَدَ مُرْسَلٌ ... إلَى كُلّ مَنْ ضَمّتْ عَلَيْهِ الْأَبَاطِحُ
وَظَنّي بِهِ أَنْ سَوْفَ يُبْعَثُ هَادِيًا ... كَمَا بُعِثَ الْعَبْدَانِ هُودٌ وَصَالِحُ
وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمُ حَتّى يُرَى لَهُ ... بَهَاءٌ وَمَنْشُورٌ مِن الذّكْرِ وَاضِحُ
وَيَتْبَعُهُ حَيًّا لُؤَيُّ بنُ غَالِبٍ ... شَبَابُهُمْ وَالْأَشْيَبُونَ الْجَحَاجِحُ
فَإِنْ أَبْقَ حَتَّى يُدْرِكَ النَّاسَ دَهْرُهُ ... فَإِنّي بِهِ مُسْتَبْشِرُ الْوُدِّ فَارِحُ
وَإِلَّا فَإِنّي يَا خَدِيجَةُ فَاعْلَمِي ... عَنْ أَرْضِكِ فِي الْأَرْضِ الْعَرِيضَةِ سَائِحُ[4]

وقال ورَقَةُ أيْضًا:

يَا لِلرّجَالِ لِصَرْفِ الدّهْرِ وَالْقَدَر ... وَمَا لِشَيْءٍ قَضَاهُ اللهُ مِنْ غِيَرِ
حَتَّى خَدِيجَة تَدْعُونِي لِأُخْبِرَهَا ... وَمَالَهَا بِخَفِيّ الْغَيْبِ مِنْ خَبَرِ
جَاءَتْ لِتَسْأَلَنِي عَنْهُ لِأُخْبِرَهَا ... أَمْرًا عَظِيمًا سَيَأْتِي النَّاسَ مِنْ أُخرِ
فَخَبَّرَتْنِي بِأَمْرٍ قَدْ سَمِعْتُ بِهِ ... فِيمَا مَضَى مِنْ قَدِيمِ الدَّهْرِ وَالْعُصُرِ
بِأَنَّ أَحْمَدَ يَأْتِيهِ فَيُخْبِرُهُ ... جِبْرِيلُ أَنَّكَ مَبْعُوثٌ إلَى الْبَشَرِ
فَقُلْتُ عَلَّ الذِي تَرْجِينَ يُنْجِزُهُ ... لَكِ الْإِلَهُ فَرَجّي الْخَيْرَ وَانْتَظِرِي
وَأَرْسِلِيهِ إلَيْنَا كَيْ نُسَائِلَهُ ... عَنْ أَمْرِهِ مَا يَرَى [134و] فِي النّومِ والسَّهَرِ
فَقَالَ حِينَ أَتَانَا مَنْطِقًا عَجَبًا ... يَقِفُّ مِنْهُ عَظِيمُ الْجَلْدِ وَالشَّعَر
إنّي رَأَيْتُ أَمِينَ اللّهِ وَاجَهَنِي ... فِي صُورَةٍ أُكْمِلَتْ مِنْ أَهْيَبِ الصُّوَر
ثُمَّ اسْتَمَرَّ فَكَادَ الْخَوْفُ يذْعرُنِي ... مِمَّا يُسَلِّمُ مِنْ حَوْلِي مِنَ الشَّجَر
فَقُلْتُ: ظَنّي وَمَا أَدْرِي أَيَصْدُقُنِي؟ ... أَن سَوْفَ تُبْعَثُ تَتْلُو مُنْزَلَ السُّوَرِ
وَسَوْفَ أَبْلِيكَ إنْ أَعْلَنْتَ دَعْوَتَهُمْ ... مِنَ الْجِهَادِ بِلَا مَنّ وَلَا كَدَرِ[5]

والضِّياء: هو المنتشِرُ عن النُّورِ والنُّور هو الأَصْلُ لِلضَّوءِ ومنهُ مبدؤهُ.

---

(1) في الروض: الصَّحاصِح. لم أقفْ على اللّفظِ فِي المعاجم. ذكر ابن كثِير لفظة "الضحاضح" في شعرِ لأشجع بن عمرو السلمي المري. ينظر: البداية والنهاية، 191/9.

(2) في الروض: قُعصٌ دوالِحُ. لم أقفْ على معنى اللفظينِ.

(3) في الروض: كل خيرٍ.

(4) الأبيات من الطَّوِيل، الروض الأنف، السهيلِي، 167/2-168، ودلائل النبوة، البيهقِي، 127/2.

(5) الأبيات من البسِيط، الروض الأنف، السهيلِي، 161/2-162، ودلائل النبوة، البيْهَقِي، 150/2.

ولمَّا بلغَ رسولُ اللهِ ﷺ خمسًا وثلاثِينَ سنةً اجتمعَتْ قريْشٌ لبِنَاءِ الكَعْبَةِ وتسْقِيفِها فبَنَوْها، حتَّى بَلَغُوا بالبناءِ مَوْضِعَ الحَجَرِ، فأرادتْ كلُّ قبِيلةٍ أن تضَعهُ في موضِعِهِ، حتَّى همُّوا بالقتالِ. ثمَّ إنَّهُم اجْتَمَعُوا فِي المسْجِدِ فَتَشاوَرُوا وتنَاصَفُوا، فقَالَ أبو أميّة بن المغيرة فيما رُوِيَ: يا معشَرَ قريْشٍ اجْعَلُوا بَيْنَكُم فيما تَخْتلِفُون فِيهِ أوَّلَ مَن يدْخُلُ مِن بابِ هذا المسْجِدِ يقْضِي بَيْنَكُم فِيهِ ففَعَلُوا، فكان أوَّلُ مَنْ دَخَلَ رسولُ الله ﷺ فلَمَّا رأوه قالوا: هذا الأمِينُ، رضِينَا هذا مُحَمَّد. فلَمَّا انْتَهَى إلَيْهِمْ وأخبَرُوهُ الخبَرَ، قَالَ ﷺ: هَلُمّ إليَّ ثَوْبًا، فأُتِيَ بِهِ، فأَخَذَ الرُّكنَ، يعنِي الحجَرَ الأسودَ فوضَعَهُ في الثَّوبِ بيَدِهِ، ثُمَّ قالَ: لِتَأْخُذْ كُلُّ قبيلَةٍ بنَاحِيَةٍ منَ الثَّوبِ ثُمَّ ارفَعُوهُ جَمِيعًا، ففعَلُوا حَتّى إذَا بلغُوا بِهِ موْضِعَهُ، فوَضَعَه ﷺ بيَدِهِ ثُمَّ بُني علَيْهِ. وكانَتْ قُرَيْشٌ تُسَمّيهِ ﷺ قبْلَ نزولِ الوَحْيِ الأمِينَ.

وذكَرَ حسيْن بن محمّد[1]: أنَّهُ خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ في المرَّة الثَّانِيَةِ إلى الشَّامِ مع ميسرةَ، عبْدِ خدِيجةَ، لأَرْبَعَ عَشْرَةَ ليْلَةً بَقِيَت منْ ذِي الحجَّة، وتزوَّجَها بعدَ ذلكَ بشهْرَيْنِ وخمْسَةٍ وعِشْرِينَ يوْمًا عقِبَ صفَر سَنَةَ ستٍّ وعِشرِينَ منَ الفِيلِ[2].

وأنَّهُ لمَّا بلغَ رسولُ اللهِ ﷺ خمْسًا وعِشْرِينَ سَنَةً قال أبو طالِبٍ: أنا رجُلٌ مُعَيَّلٌ؛ أيْ: ذُو عِيَالٍ، لا مَالَ لِي وقَد اشْتَدَّ الزَّمانُ، وهذِهِ عِيرُ قَوْمِكَ حضَرَ خرُوجُها إلَى الشَّامِ وخديجة بنتُ خويْلِد تبْعَثُ رجالًا مِن قَوْمِك في تِجَارَتِها فلَوْ ذهَبْتَ إليْهَا وقُلْتَ لها في ذلِكَ لَعَلَّهَا تقْبَل. وبلغَ خَدِيجةَ ذلِكَ فأَرْسَلَتْ إلَى النَّبِيءِ ﷺ فقالَتْ: أُعطِيكَ ضِعْفَ ما أُعْطِي رَجُلًا مِن قَوْمِكَ[3].

وفي رِوايَةٍ: أتَاهَا أبُو طالِب فقَالَ لهَا: هَلْ لَكِ أن تسْتأْجِري مُحَمَّدا؟ فقدْ بلغَنا أنَّكِ استأْجَرْتِ فلانًا بِبكْرَين ولسْنَا نَرْضَى لِمُحَمَّد دونَ أرْبَعِ بَكْرَات. فقالتْ خديجة: لو سَأَلْتَ ذلِكَ لِبَعِيدٍ [134ظ] بَغِيضٍ لفَعَلْتُ، فكَيْفَ وقَدْ سأَلْتَ لِحَبِيبٍ قَرِيبٍ، فقَالَ أبو طَالِب للنَّبِيءِ ﷺ: هذا رِزْقٌ ساقَهُ اللهُ إلَيْكَ[4].

وفِي رِوايَة: كانَتْ بيْنَ خزيمة بنِ حكِيم السُّلمِيّ ثمَّ البهزِي وبينَ خدِيجةَ قرابةٌ، فوجَّهتهُ معَ رسولِ اللهِ ﷺ وغلَامٍ لهَا يُقَالُ له ميسَرَة في تجارَةٍ إلَى بصرَى مِنْ أرْضِ الشَّامِ، فسَارُوا حتَّى إذَا كانُوا بَيْنَ الشَّام والحجازِ أعْيَا علَى مَيسرةَ بعِيرانِ لِخَديجةَ، وكَانَ رسولُ اللهِ ﷺ فِي أَوّلِ الرَّكبِ فخافَ مَيْسَرةُ على نَفْسِه وعلَى البَعِيرَيْنِ، فانْطَلَقَ يسْعَى إلَى رسول الله ﷺ فأخْبَرَهُ بذلِكَ، فأَقْبَلَ النَّبِيءُ ﷺ إلَى البَعِيرَيْنِ فوَضَعَ يَدَهُ على أخفَافِهِمَا وعَوَّذَهُمَا، فانْطَلَقَ البعِيرانِ يسْعَيَان في أَوَّلِ الرَّكْبِ ولهُمَا رُغاءٌ، فلَمَّا

(1) حسين بن محمد بن الحسن الديار بكرِي، القاضي المالكي، ت: 966هـ بمكَّةَ، صاحب تاريخ الخمِيس في أحوال أنفسِ نفِيسٍ. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 634/1.

(2) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 261/1.

(3) (م، س)، 262/1.

(4) (م، س)، 262/1.

رأَى خزيمة ذلِكَ عَلِمَ أنّ لَهُ شأْنًا عظِيمًا، فحرِصَ علَى ملازَمَتِهِ ومحافَظَتِهِ. فلمَّا دخلوا الشَّامَ نزَلُوا بُصرَى عنْدَ صوْمَعَة بَحِيرَى، وكان فِيهَا يوْمَئِذٍ راهِبٌ منْ رُهْبَانِ الشَّامِ يقال لَهُ نسطور، ولَيْسَ بَحِيرَى في هذا القولِ، وَنَزَلَ النَّاسُ متفَرِّقِينَ ونزَل رسولُ اللهِ ﷺ تحتَ شَجَرَةٍ يابِسَةٍ نُخِرَ عودُهَا، ولَمَّا اطْمَأنّ تحتَهَا اخضرَّتْ وأنْوَرَتْ واعشَوْشَبَ ما حَوْلَهَا، وأَيْنَعَ ثَمَرُهَا وتدَلَّتْ أغصانُهَا، فرفْرَفَتْ على رسُولِ الله ﷺ وذلِكَ بِعَيْنِ الرَّاهِبِ، فلَمْ يتَمالَكْ أن انْحَدَرَ مِن صومَعَتِهِ وقالَ لهُ: باللَّاتِ والعُزَّى ما اسْمُكَ؟ فقالَ: إلَيْكَ عنّي ثكِلَتْكَ أمُّكَ، ما تَكَلَّمَتِ العَرَبُ بكَلِمَةٍ أثْقَل عَلَيَّ مِن هذهِ الكَلِمَة. وكان ذلكَ مكْرًا مِنَ الرَّاهِبِ، وكان معَهُ حِين نَزَلَ مِنْ صوْمَعَتِهِ رَقٌّ أبْيَض فجَعَلَ ينْظُرُ فيهِ مَرّةً وإلَى النَّبِيءِ ﷺ أخْرَى، ثُمَّ أَكَبَّ ينْظُرُ فِيهِ مَلِيًّا فقال: هو هو ومنَزِّلِ الإنجيلِ. فلمَّا سَمِعَ ذلِكَ خزيمة ظَنَّ أنّ الرَّاهِبَ يُريدُ بالنَّبِيءِ ﷺ مكْرًا فأَخَذَ بِمِقْبَضِ سيْفِهِ فانْتَزَعَهُ وجعَلَ يَصِيحُ بأعْلَى صوْتِهِ يا آل غالب يا آل غالِب، فأَقْبَلَ النَّاسُ يُهْرَعُون إلَيْهِ مِن كلِّ ناحِيَةٍ يقولُونَ: ما الذِي أفزَعَكَ؟ فلَمَّا نظَرَ الرَّاهبُ إلى ذَلِكَ أقْبَلَ يسْعَى إلَى صوْمَعَتِهِ، فدخَلَ فيها وأغلَقَ علَيْهِ بابَهَا ثُمَّ أشرَفَ علَيْهِم فقالَ: يا قَوْمُ ما الذِي راعَكُمْ مِنّى، فَوَالذِي رَفعَ السَّموَاتِ بغَيْرِ عَمَدٍ ما نَزَلَ بِي رَكْبٌ هو أَحَبّ إلَيَّ منْكُمْ، وإنّي لَأَجِدُ فِي هَذِهِ الصَّحِيفةِ أنَّ النَّازِلَ تَحْتَ هذِهِ الشَّجَرَةِ، وأشارَ بِيَدِهِ إلَى الشَّجَرَةِ التِي تحتَها [135و] رسولُ الله ﷺ، وهُوَ رسولُ اللهِ ﷺ، رسُولُ رَبِّ العَالَمِين يَبْعَثُهُ اللهُ بالسَّيْفِ المسْلُولِ وبالذَّبْحِ الأَكْبَرِ وهو خاتِم النَّبِيئِينَ، فمَنْ أطَاعَهُ نجَا ومَنْ عصَاه غَوَى. ثمَّ أقْبَلَ علَى خزيمة فقال: ما تكون مِنْ هذَا الرَّجُل، أرَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ؟ قال: لا ولَكِن خادِمٌ لَهُ، وحَدَّثَهُ بِحَديث البَعِيرَيْنِ. فقالَ لهُ الرَّاهبُ: أيُّهَا الرَّجُلُ إنَّه النَّبِيءُ الذِي يُبْعَثُ فِي آخِرِ الزَّمان وإنّي أجِدُ فِي هذه الصَّحِيفةِ أنَّهُ يَظْهَرُ علَى البِلاد وينْصَرُ على العِبادِ، ولا تُرَدُّ له رايَةٌ ولا تُدْرَكُ له غَايَةٌ، وإنّ لَهُ أعْدَاءً أكثُرُهُم اليهُودُ، أعْدَاءُ اللهِ فاحْذَرْهُمْ علَيْهِ. فأَسَرَّ خزيمة ذلِكَ فِي نفسِهِ، ثمَّ أقْبَلَ الرَّاهِبُ على رسولِ الله ﷺ فقال: يا محمَّد إنّي لأَرَى فِيكَ شيئًا ما رَأَيْتُه فِي أَحَدٍ مِن النَّاسِ، إنّي لأحسبُكَ النَّبِيءَ الذِي يَخْرُجُ مِن تِهَامَةَ وإنَّك لَصَرِيحٌ فِي مِيلادِكَ ولَأَمينٌ فِي نَفْسِكَ وقَوْمِكَ، وإنّي لأرَى علَيْكَ مَحَبَّةً مِن النَّاسِ، وإنّي مصدِّقُكَ فِي قولِكَ وناصِرُكَ على عدُوِّكَ[1].

وكان قَدْ ألْقَى اللهُ عَلَيْهِ المحبَّةَ مِن مَيْسَرَةَ، وكانَ كَأَنَّهُ عَبْدٌ له، ولمَّا بلَغُوا في رُجُوعِهِم مرّ الظّهران، تَقَدَّمَ رسُولُ اللهِ ﷺ ودخَلَ مكَّةَ فِي وَقْتِ الظَّهِيرةِ، وخَدِيجة في علِّيَّة لها تنْظُرُ السَّحابَةَ علَيْهِ. ورَجعَ خزيمة إلى بلادِهِ وقالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: إذا سَمِعْتُ بخُرُوجِكَ أَتَيْتُكَ، ووفَدَ علَى رسُولِ اللهِ مُسلِمًا بَعْدَ فتْحِ مَكَّة. واللهُ أعْلَمُ[2].

(1) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 262/1.

(2) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 263/1.

ويُروَى أنَّ خدِيجةَ دُكِرَتْ لورقةَ يتزوَّجُها ولمْ يقضِ اللهُ بينَهُما تزوّجا، وذلكَ أوَّل ما دُكِرَتْ لِلتَّزوُّجِ فِي صِغَرِها[1].

وذكرَ الزُّهرِي أنَّها تزوَّجَتْ قبل النَّبِيءِ ﷺ رَجُلَيْنِ، الأوَّلُ: عتيق بن عائد بن عبد اللهِ بنِ عَمْرو بنِ مَخْزُوم، فوَلَدَتْ لَه جارِيَةً اسْمُهَا هند، فأَسْلَمَتْ وتَزَوَّجَتْ[2].

وفِي رِوَايَةٍ وَلَدَتْ لهُ عَبْدَ اللهِ وقِيلَ: طِفْلًا سمَّتْهُ عبْد مَنَاف، ثُمَّ خلَفَ عَلَيْها بَعْدَهُ أبو هالة النّبّاش بن زرارة، ويُكَنَّى أبا هالةَ، ويُقالُ لَهُ: هند، وهُوَ من بني أسد بن عمرو، فولَدَتْ لهُ طِفلًا يُقالُ لَهُ هِنْد، وامرأةً يُقالُ لَهَا هَالَة[3].

ويُروَى: وَلَدَتْ لهُ هندا والحارِثَ وزيْنَبَ، وتُكَنَّى أمّ هِند، وتُدعَى الطَّاهِرَة[4].

وفِي روَايَةٍ: وَلَدَتْ لهُ هند وهالة، وهُمَا ذَكَرَانِ[5].

قال محمَّد بن إسحاق: تزوَّجَتْ وهِيَ بِكرٌ عتِيق بن عائِد، وهَلَكَ عَنها فتَزَوَّجَها أبُو هالَة النَّبَّاش بن زرارة أَحَدُ بنِي عامِر بن تميم حلِيف بنِي عبد الدَّار، فولَدَتْ لهُ رجُلًا وامرأةً ثمَّ هلَكَ عَنْهَا[6].

وقال الدّارقطنِي: أبو هالة مالك بن النَّبَّاش بن زرارة[7]، وعن قتادةَ مثله،وقال: أبو هالة هند بن زرارة بن النَّبَّاش[8]، فولَدَتْ لهُ هِند بن هند[9].

قال الزُّهرِيّ: تزوَّجَها أوَّلًا [135ظ] أبو هالة ثمّ عتيق وصَحَّحَهُ ابن عبد البرّ[10].

قال أبو عمرو ابن عبد البرّ وابن قتيبة قبله وأبو سعيد[11]: عاشَ ابنُ خَديجَةَ هند بن هند رَبيبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مسْلِمًا حَتَّى قُتِلَ معَ عَلِيّ يوم الجمل ذَكَرَهُ الزُّبَيْرُ بنُ بَكَّار[12].

---

(1) (م، س)، 263/1، عن المنتقَى.

(2) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 263/1، نقلا من السمط الثمين، محب الدين الطبرِي، ص23.

(3) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 263/1، نقلا من سيرة مغلطاي.

(4) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 263/1، نقلا من سيرة مغلطاي.

(5) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 263/1، نقلا من المنتقَى.

(6) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 263/1.

(7) المؤتلف والمختلف، الدارقطنِي، 1641/3.

(8) التاريخ الكبِير، ابن أبِي خيثمة، 580/1.

(9) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 263/1، دون ذكر المصدَرِ.

(10) (م، س)، 263/1. الاستعياب، ابن عبد البرّ، 1817/4.

(11) عبد الملك بن محمد بن إبراهِيم الخركوشِي (سكة بنيسابور) محدث حافظ مفسر، رحل إلى العراق والشام ومصر والحجاز، ت:407هـ، من آثاره: شرف النبوة، تهذيب الأسرارِ في طبقات الأخيارِ. سير أعلام النبلاء، 256/17، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 321/2.

(12) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 263/1. والاستعياب، ابن عبد البرّ، 1545/4.

وقِيلَ: ماتَ بالبصرة فِي طاعُونٍ، فازْدَحَمَ النّاسُ على جنازَتِهِ وتَرَكُوا جنَائِزَهُم وقالُوا: رَبيبُ رسُولِ اللهِ ﷺ. وكان فَصيحًا بلِيغًا وصَّافًا، وَصَفَ رسولَ اللهِ ﷺ فأَحْسَنَ وأَتْقَنَ وكَانَ يقُولُ: أنَا أَكْرمُ النّاسِ أبًا وأُمّا وأَخًا، أَبِي رسُولُ اللهِ ﷺ يعْنِي أَنّه رَبِيبُهُ وأَنّهُ ﷺ تزوَّجَ أُمَّهُ، وأُمّي خَديجَةُ وأَخِي القَاسِم وأُخْتِي فاطِمَة رَضِي الله عَنْهَا وعَنْهُمْ[1].

وشَهِدَ بدْرًا وقِيلَ: أُحُدا، ورَوَى عنْهُ الحسن بن عليّ فقَالَ: حَدَّثَنِي خالِي؛ لِأَنّهُ أخُو فَاطمةَ لِأُمِّهَا. قَالَ التجانِي[2]: الصَّحيحُ أنَّ الذِي مَاتَ فِي الطّاعُونِ ولَدُهُ واسْمُهُ هِنْد كَأَبِيهِ[3].

وكانتْ خدِيجَةُ بنتُ خوَيْلِد بنِ أَسَد بنِ عَبْدِ العُزَّى بنِ قُصَيّ بنِ كِلَاب القُرَيْشِيَّة الأَسَدِيَّة تُدْعَى في الجاهِلِيّةِ الطّاهِرَة. وأمُّهَا فاطمة بنت زائدة بن الأَصَمّ بنِ جنْدُب بنِ هرم بنِ روَاحَةَ بنِ حِجْر بنِ مَعِيص بنِ لُؤَي[4].

تزَوَّجَ رسُولُ اللهِ ﷺ خدِيجَةَ رضِيَ اللهُ عنْهَا وهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وعِشْرينَ سَنَةً، وقِيلَ: ثَلاثِينَ، وقالَ ابنُ جُرَيْج: لَهُ سبْعٌ وثَلاثُونَ سنَة، وقِيلَ: تِسْعٌ وعشْرُون، وقَدْ راهَقَ الثَّلاثين وخَدِيجةُ بنتُ أرْبعِينَ وقِيلَ: خَمْسٍ وأربَعِين وقِيلَ: ثلاثُونَ وقِيلَ: ثمَانٌ وعِشرُونَ وأقَامَتْ معَهُ أرْبَعًا وعشْرِينَ سَنَة[5].

زَوَّجَهَا أبُوها خُوَيْلد بنُ أَسَد[6]، ويُقَالُ: أخُوهَا عمْرو بنُ خُوَيلِد[7] وفِي "المُنْتَقَى": زَوَّجَهَا عمُّهَا عمْرو بنُ أسَد[8]. وعن الزُّهْرِيّ: قِيلَ لخويلد بن أسد وهُوَ ثَمِلٌ مِنَ الخَمرِ: هذَا ابْنُ أخِيكَ مُحمَّدُ بنُ عبْدِ اللهِ بنِ عبْدِ المطَّلِبِ يخطُبُ خَدِيجةَ وقَدْ رَضِيَتْ. فدَعاهُ فسَأَلَهُ عنْ ذلِكَ، فخَطَبَ إلَيْه فأنْكَحَهُ، فخَلَّقَتْ[9] خديجَةُ أباهَا وحَلَّتْ عليْهِ حُلَّةً، ودَخَل رسُولُ اللهِ بِهَا، فلمَّا صَحَا مِنْ سَكرَتِه قال: ما هذَا الخَلُوقُ[10] وما هَذِهِ الحُلَّةُ؟ قالَتْ ابنَتُه أخْتُ خديجَةَ: هذِهِ حُلَّةٌ كسَاكَهَا ابنُ أخِيكَ مُحَمَّدُ بنُ عبْدِ اللهِ بنِ عبْدِ المطَّلِبِ أنْكَحْتَه خدِيجَةَ ودَخَلَ بهَا فأَنْكَرَ، ثُمَّ صارَ إلَى أنْ سلَّم واسْتَحْيَى[11].

---

(1) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 263/1.

(2) التجانِي: أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن أحْمَد الأدِيب، لَهُ تحفة الْعَرُوس ونزهة النفوسُ، وله الوفا فِي شَرْح الشِّفا للقاضِي عياض. هدية العارفين، البابانِي، 141/2.

(3) الفقرة أضافها المؤلِّف على الهامِشِ، شرح المواهب اللدنية، الزرقانِي، 373/1.

(4) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 263/1.

(5) (م، س)، 264/1.

(6) (م، س)، 264/1، عن ابن إسحاق، ينظر: سيرة ابن هشام، 190/1.

(7) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 264/1، نقلا من السمط الثَّمِين، محب الدين الطبرِي، ص27. ينظر: سيرة ابن هشام، 643/2.

(8) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 264/1. ينظر: الروض الأنف، 154/2.

(9) تخلَّق وخلَّقتُه طليْتهُ بالخَلوقِ، وهو الطِّيبُ. لسان العرب (خلق).

(10) الخَلُوقُ والخِلاقُ ضَرب من الطِّيب وقيل الزَّعْفران. لسان العرب (خلق).

(11) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 264/1. ينظر: دلائل النبوة، البيهقِي، 85/1.

قال الواقِدِيّ: هذَا غَلَطٌ والصَّحيحُ عنْدَ أهْلِ العِلْمِ أنَّ عمَّهَا عمرُو بنُ أَسَدٍ زَوّجَهَا، وأَنَّ أباهَا ماتَ قَبْلَ الفُجَّار[1] الأخِيرِ. وهُوَ حَرْبٌ وقَعَتْ سنَةَ أرْبَعَ عَشْرَةَ أوْ خَمْسَ عشْرَةَ مِنْ مولِدِه ﷺ.

وعَن [136و] ابنِ عَبَّاسٍ: إنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ ذُكِرَ لخَدِيجةَ، فصَنَعَتْ طعَامًا وشَرابًا، وَدَعَتْ أباهَا ونَفَرًا مِنْ قُرَيشٍ، فطَعِمُوا وشَرِبُوا فَقَالَتْ خدِيجَةُ لِأَبِيهَا: إنَّ مُحَمّدَ بنَ عبْدِ اللهِ يَخْطُبُنِي فزَوَّجَهَا إيّاه، فخَلَّقَتْهُ وألْبَسَتْهُ حُلَّةً، وكذَلِكَ كانُوا يَصْنَعونَ إذَا زَوَّجُوا نِسَاءَهُمْ[2].

وعنْ جابر بن سمرة أوْ غيْرِه: كانَتْ خَدِيجَةُ تَبْعَثُ إلَى رسُولِ اللهِ ﷺ بالشَّيْءِ يبْعَثُ بِهِ إلَى أبِيهَا حَتَّى يَرْغَبَ فِيهِ فيُزَوّجُهُ[3].

ويُروَى: أنّه حَضَرَ أبو طَالِبٍ ورُؤَساءُ مضَر، فخَطَبَ أبو طَالِب فقَالَ: الحَمْدُ للهِ الذِي جعَلَنَا مِنْ ذُرّيّةِ إبْرَاهيمَ وزَرْعِ إسْماعِيلَ وضِيضِئِ مَعدٍّ وعُنْصُرِ مُضَر وجَعلَنَا، حَضَنَةَ بَيْتِه وسُوّاسَ حَرَمِهِ، وجَعَلَ لنَا بَيْتًا مَحْجُوبًا، وحَرَمًا آمِنًا وجَعَلنَا الحُكَّامَ علَى النّاسِ. ثُمَّ إنَّ ابنَ أخِي هذَا مُحَمَّدُ بنُ عبْدِ اللهِ لا يُوزَنُ بهِ رَجُلٌ مِنْ قَرْيتِهِ إلَّا رَجَحَ، وإنْ كانَ فِي المالِ قَلَّ، فإنَّ المالَ ظِلٌّ زائِلٌ، وأَمْرٌ حائِلٌ، ومُحَمَّدٌ مَنْ قَدْ عرَفْتُم قرَابَتَهُ، وقَدْ خطَبَ خدِيجَةَ بنتَ خُويلِد وبَذَلَ لهَا ما آجِلُه وعَاجِلُهُ مِنْ مَالِي كذَا، وهُوَ بعْدَ هذَا واللهِ لَهُ نَبَأٌ عَظيمٌ وخَطَرٌ جَلِيلٌ جسِيمٌ. فتَزَوّجَهَا رسُولُ اللهِ ﷺ[4].

ثُمَّ قالَ ورَقَةُ بنُ نوْفَل: الحَمْدُ للهِ الذِي جعَلَنَا كمَا ذَكَرْتَ، وفَضَّلنَا علَى ما عَدَدْتَ، فنَحنُ سادَةُ العَرَبِ وقادَتُها، وأَنتُمْ أهْلُ ذلِكَ كُلِّهِ، لا تُنْكِرُ العَشيرَة فضْلَكُم، ولَا يَرُدُّ أحَدٌ مِنَ النَّاسِ فَخْرَكُم وشرَفَكُم، وقَدْ رَغِبْنَا في الاتّصَالِ بحَبْلِكُم وشَرَفِكمْ، فاشْهَدُوا عَلَيّ معَاشِرَ قُرَيْشٍ بِأَنّي قَدْ زَوّجْتُ خدِيجَةَ بنتَ خوَيْلِد بِمُحَمّد بنِ عَبْدِ اللهِ علَى أرْبَعِ مِئةِ دينَارٍ، فقَالَ أبُو طالِبٍ: وقَدْ أحْبَبْتُ أن يُشْرِكَكَ عمُّهَا، فقَالَ عمُّهَا: اشْهَدُوا عَلَيَّ يا مَعْشَرَ قُرَيْش أنّي قَدْ أنْكَحْتُ مُحَمَّدَ بنَ عبْدِ اللهِ خدِيجَةَ بنتَ خوَيْلِدَ وشَهِدَ على ذَلِكَ صنَادِيدُ قُرَيش[5].

وقَدْ تقَرَّرَ أنَّهُ أصْدَقَها عشْرِينَ بكَرَةً، ويُجْمَعُ بأنّهُ أَصْدَقَها أبُو طالِبٍ وزَادَ رسُولُ اللهِ ﷺ فِي صدَاقِهَا فكَانَ الكُلُّ صَدَاقًا واحِدًا[6]. أو عُدَّت العشْرُونَ لِلدّنَانيرِ ودَخَلَتْ بإصْداقِ أَبِي طَالِبٍ.

---

(1) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 264/1، نقلا من المنتَقَى.

(2) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 264/1، عن الدولابي. ينظر: مسند أحمد، حدِيث (2849).

(3) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 264/1، نقلا من السمط الثمين للمحب الطبرِي، ص30. ينظر: أطراف الغرائب والأفراد، المقدسي، حدِيث (1896).

(4) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 264/1، عن ابن إسحاق. ينظر الخطبة فِي الكامل، المبرد، 4/4.

(5) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 264/1، نقلا من المنتقى.

(6) (م، س)، 265/1.

وكذا ذَكَرَ الدّولابيّ وغَيْرُه: إنَّمَا ﷺ أصْدَقَ خدِيجَةَ اثْنَتَيْ عشْرَةَ أُوقِيَةً ذَهَبًا[1] أو تَقَدَّمَ صدَاقُ رَسولِ اللهِ ﷺ وزَادَ أبُو طَالِبٍ، أوْ عَدَّهُ فيمَا أَصْدَقَهُ.

ولَمَّا تزَوّجها ذهَبَ ليَخْرُجَ فقَالَتْ له خَدِيجَةُ: إلى أَيْنَ يَا مُحَمّد؟ اذْهَبْ وانْحَرْ جَزورًا أوْ جزُورَيْن وأَطْعِمِ النَّاسَ ففَعَلَ ذَلكَ ﷺ [136ظ] وهِيَ أَوَّلُ وَلِيمَةٍ أَوْلَمَها رسُولُ اللهِ ﷺ[2].

وأمَرَتْ خدِيجَةُ جوَارِيها أنْ يَرْقُصْنَ ويضْرِبْنَ بالدّفُوفِ وقالَتْ: يا مُحَمَّد، مُرْ عمّكَ أبَا طالِبٍ بِنَحْرِ بَكَرة مِنْ بَكَرَاتِكَ وأطْعِمِ النَّاسَ علَى البَابِ، وهَلُمَّ وقِلْ مَعَ أَهْلِكَ، فأَطْعَمَ النّاسَ، ودَخلَ رسُولُ اللهِ ﷺ فقَالَ معَ أَهْلِهِ خدِيجَةَ، فَأَقَرَّ اللهُ عيْنَهُ، وفَرِحَ أبُو طَالِبٍ فرَحًا شَديدًا وقَالَ: الحَمْدُ للهِ الذِي أذْهَبَ عنَّا الكُروبَ ودَفَعَ عنّا الهُمومَ، وعَاشَتْ خدِيجَةُ بعْدَ النّكاحِ أرْبَعًا وعِشْرينَ سَنَةً وخَمْسَةَ أشْهُر وثَمَانِيَة أيَّامٍ وقِيلَ: خَمْسَ عَشرَةَ سنَةً قَبْلَ الوَحْيِ والبَاقِي بَعْدَهُ[3].

وفي بَعْضِ السِّيَرِ: إنّه لَمّا بلَغَ رسُولُ اللهِ ﷺ اثْنَتَيْ عشْرَةَ سَنَةً عنْدَ الأَكْثرِ، أوْ تِسْعَ سِنينَ عنْدَ الطَّبَرِيّ وغَيْرِهِ، أو ثَلَاثَ عشْرَةَ وحكَاهُ ابنُ عَبْدِ البَرّ، أو اثْنَتَيْ عشْرَةَ وشَهْرَيْنِ وعَشَرَةَ أيَّامٍ أوْ وَشَهْرًا، ويُمْكِنُ حَمْلُ الأَوَّلِ علَيْهِ، بأنَّ المرادَ وما قَارَبَها، خَرَجَ معَ عَمّهِ أبِي طَالِبٍ إلَى الشَّامِ حَتَّى بلَغَ بُصرَى، بضَمّ الباءِ وهِيَ مدِينَة حوران، فُتِحَتْ صُلْحًا لِخَمْسٍ بقِينَ مِنْ رَبِيعِ الأَوّلِ سنَةَ ثلَاثَ عَشْرَةَ، وهِيَ أَوَّلُ مدِينَةٍ فتِحَتْ بالشَّامِ، ورَدَهَا رسُولُ اللهِ ﷺ مرَّتَينِ، فرَآهُ بَحِيرَى، واسْمُهُ جِرجيس بِكَسْر الجِيمَيْنِ، ويُرْوَى بإِسْقاطِ اليَاءِ، وبَحِيرى: حَبر يَهُودِ تيما، وفِي "مروج الذّهب"[4]: أَنَّه نَصْرَانيّ مِنْ عَبْدِ القَيْس[5].

وفي روايَةٍ: فلمَّا قالوا لَهُ: إنّ الغُلامَ في رِحالِنَا أو إِبِلِنَا قالَ: ادْعُوهُ أُرْسلْ مَنْ يَحْفَظُ لَكُم مالَكُمْ.

ويُجْمَع بيْنَ رِوايَةِ تَخْليفِهِ ﷺ في رِحالِهِمْ، ورِوايَةِ تخْلِيفِهِ لرِعَايَةِ الإِبِلِ عِنْدِي بِقُرْبِ مَوْضِعِ الرّعْيِ منْ رِحالِهِمْ، وهَذا أَوْلَى مِنْ تَقْديمِ بعْضِهِمْ روَايَة رِعايَةِ الإِبِلِ لِصِحّتِهَا بِخِلافِ تَخَلُّفِهِ فِي الرّحَالِ فإنّه مُعْضَل. ويحْتَملُ أنّهُ صَنَعَ لهُم الطّعامَ مَرّتَيْنِ، مَرّةً خلَّفُوهُ في رِحالِهِمْ ومَرَّةً في رَعْيِ الإِبِلِ، وهذَا دُونَ ما ذَكَرْتُ أوَّلًا، وهُما أَفْضَلُ مِنَ الوَجْهِ الثَّاني؛ لِأَنّ فِيهِمَا العَمَلَ بالرّوايَتَيْن.

---

(1) (م، س)، 265/1.

(2) (م، س)، 265/1، نقلا من المنتقى.

(3) تاريخ الخميس، الديار بكري، 264/1، نقلا من المنتقى.

(4) سَبقت ترجمته، مروج الذهب، المسعودي، 75/1.

(5) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 362/1.

وفي رِوايَة: أنّ بَحِيرَى قال لِرَسولِ اللهِ ﷺ في سَفَرِهِ في تِجَارَةِ خدِيجَةَ رضِيَ اللهُ عنْهَا: قَدْ عرَفْتُ العلَامَاتِ فيكَ كُلَّها إلاَّ خاتَمَ النُّبوءَةِ، فاكْشِفْ لِي عنْ ظَهْرِكَ، فكَشَفَ لَهُ عنْهُ فرآه فقَالَ: أشْهَدُ أن لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأشهَدُ أنّكَ رسُولُ اللهِ، النَّبِيءُ الأمّيّ الذِي بَشّرَ بِهِ عيسَى بنُ مرْيَمَ[1].

وإنْ قُلْتَ: قَدْ رأَى الخَاتَمَ حِينَ سافَرَ رسولُ اللهِ ﷺ معَ عَمّهِ، فكَيْفَ يقُولُ فِي السَّفَرِ بَعْدَ ذَلِكَ في تِجَارَةِ خدِيجَةَ [137و] إنّه بَقِيَ لِي الخاتَمُ؟

قلْتُ: يَحْتَمِلُ أنّهُ نَسِيَ رُؤْيَتَه أوَّلًا، وأنَّهُ أرَادَ أنَّهُ رأَيْتُ العلَامَةَ كُلّهَا الآنَ، وأُرِيدُ أن أنْظُرَ الآن ما رَأَيتُ أَوَّلًا مِن الخَاتَمِ إذا كان مَسْتُورًا، أو أَرادَ أَنْ .....[2] علَيْهِ، أوْ تَرَدَّدَ فِي أنَّهُ الخَاتَمُ فأَرَادَ التَّثَبُّتَ.

وفي رِوايَةٍ: أنّ بَحِيرا بيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ علَى أبِي طَالِبٍ وَمَنْ مَعَهُ، ينُاشِدُهُمْ أنْ لَا يَذْهبُوا بِهِ إلَى الرّومِ، فإنَّ الرُّوم إنْ عَرَفُوهُ بالصِّفةِ قَتَلُوهُ، فَالْتَفَتَ فإذَا سَبْعَةٌ قَدْ أقْبَلُوا مِنَ الرُّومِ فَاسْتَقْبَلَهُم بَحِيرَا وقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمْ؟ فقَالُوا: إنَّ هذَا النَّبِيءَ الذِي بُشِّرَ بِهِ فِي كُتُبِنا خَارِجٌ فِي هذَا الشَّهرِ؛ أيْ: إلَى السَّفَرِ لا إلَى النّبُوءةِ؛ لأَنَّهُ ليْسَ فِي سِنِّ النُّبُوءةِ، فلَمْ يبْقَ طَرِيقٌ إلَّا بَعَثَ مَلِكُهُم بأُناسٍ إلَيْهِ وإنَّا مُنْذُ أُخْبِرْنَا خَبَرَهُ بُعِثْنا إلَى طرِيقِكَ هذَا، فَقالَ: هلْ خَلْفَكُمْ أحَدٌ هُوَ خَيْرٌ منْكُمْ؟ قالُوا: إنَّما أُخْبِرْنَا خبَرَهُ بطَرِيقِكَ هَذَا. قالَ: أفَرَأَيْتُم أمْرًا أرَادَ اللهُ أنْ يَقْضِيَه هَلْ يسْتَطِيعُ أَحَدٌ رَدَّهُ؟ قالُوا: لا، فبَايعُوهُ وأقَامُوا معَهُ[3].

أيْ: بايَعُوا بَحِيرى علَى أنْ لَا يأْخُذُوا النَّبيءَ ﷺ ولَا يُؤذُوهُ علَى حَسَبِ ما أُرْسِلوا بِهِ، وإنّمَا أقَامُوا معَ بَحِيرَى خَوْفًا علَى أنْفُسِهِمْ إذَا رَجَعُوا بِدُونِهِ.

وفي حَدِيثِ البَيْهَقِيّ[4] وأَبِي نعَيْمٍ أنَّ الغَمَامَةَ التِي أظَلَّتْهُ ﷺ بيْضَاء[5].

وعن الوَاقِدِيّ: أنّهُ ﷺ لَمَّا فارَقَ تلكَ الشّجَرَة انْقَلَعتْ مِنْ أصْلِها لِفِراقِهِ[6].

والذِي عنْدِي أنّ بَحيرَى سَأَلَ رسُولَ اللهِ ﷺ باللَّاتِ والعُزَّى اخْتِبارًا لَهُ، ثُمَّ رأَيْتُه فِي "الشّفَاءِ"[7] لابن سبع[8] مِنَ المالكيّة، وهُوَ أَوْلَى مِنْ قَوْلِ ابْنِ إسْحاق: لِأَنّهُ سَمِع قَوْمَهُ ﷺ يَحْلفُون بِهِمَا، وكذَلِكَ

(1) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، 476/1، نقلا من: شرف المصطفى لأبِي سعيد النيسابورِي.

(2) كلمة غير واضحة لعلها: يكشِفَ.

(3) تاريخ دمشق، ابن عساكِر، 5/3.

(4) دلائل النبوة، البيهقِي، 27/2.

(5) المواهب اللدنية، القسطلانِي، 188/1، ولم أجد لفظ "بيضاء" فِي دلائل النبوة لأبِي نعِيم الأصفهانِي.

(6) شرح المواهب اللدنية، الزرقانِي، 367/1.

(7) العنوان الكامل: شفاء الصدور في إعلام نبوة الرسول وخصائصه.

(8) أبو الربيع سليمان بن سبع السّبتِي، ينظر ترجمته فِي: أقدم عالم مغربي وصلنا تراثه: أبو الربيع سليمان ابن سبع السبتي -1-، مجلة دعوة الحق، ع200. الموقع الالكتروني: http://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/5146.

أظَلَّتْهُ الغَمامَةُ فِي بَنِي سَعْدٍ، إذا سَارَ سَارَتْ وإذَا وَقَفَ وقَفَتْ في وَقْتِ الظّهيرَة، كمَا أَخْبَرَتْ بهِ الشَّيْماءُ بنْتُ حَليمَةَ، بفتْحِ الحَاءِ، أخْتُهُ مِن الرَّضاعِ.

وذَكَرَ الزَّرْكَشِيّ[1] عنْ بَعْضٍ: إنّه كَانَ ﷺ معْتَدِلَ الحرَارَةِ والبُرودَةِ، ولَا يُحِسّ بالحَرّ ولَا بالبَرْدِ، وإنَّهُ كانَ في ظِلّ غَمامَةٍ ناشِئَةٍ مِن اعتِدَالِه[2] كأنّها أخَذَتْ مِنْه، والقَصْدُ المبَالَغَةُ في كَمالِهِ حتَّى صَلُحَ لِأَنْ تأْخُذَ الغمَامَةُ منْهُ ثُمّ تُظِلّه، فلَا يعْترضُ علَيْهِ بأَنَّ كلامَهُ يقْتَضِي أنَّهُ تَمْثِيلٌ، فيُخَالِفُ ما شُوهِدَ مِنْ تظْلِيلِ الغمَامةِ. أوْ "مِنْ" بِمعْنَى إلَى؛ أيْ: إلى كمَالِ اعتِدالِهِ بالنُّبوءَة دونَ ما بعْدَهَا، أو المعْنَى أنَّها ظَلّلَتْهُ لكَمالِ الاعتدَالِ فيهِ إكْرامًا لَهُ لا لِاحْتِياجِهِ ﷺ إلَيْهَا[3].

[137ظ] قُلْت: كذَا قِيلَ وهُوَ بعِيدٌ معَ أَنّه ينَافِيهِ ما جَاءَ فِي الحدِيثِ أنّهُ ﷺ كانَ يُحِسّ بالحَرّ والبَردِ، كمَا رَوَى البُخارِي أنّهُ ظَلَّلَه أبُو بَكْرٍ في الْهِجْرةِ حِينَ أصابَتْه الشّمْسُ[4]، وكمَا رَوَى هُو أَنَّه ﷺ كان بالجعرانِيَّة وعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَظَلَّ بِهِ[5]، وفِي حدِيثِ ابنِ مَنْدَةَ والبَيْهَقِيّ أَنَّهُ ﷺ قالَ: ((**لَا نَصْبِرُ علَى حَرّ ولَا بَرْدٍ**))[6] ورَوَى أَحْمَدُ ((**أَنَّهُ ﷺ وضَعَ يَدَهُ فِي طَعَامٍ حَارٍّ فاحْتَرَقَتْ أصَابِعُهُ فقَالَ: حس**))[7] وما تَقَدَّمَ مِنْ أنّ أبَا بكْرٍ دُونَ رسُولِ اللهِ بعَامَيْنِ، وهُوَ قَوْلُ الجُمهُورِ. ورَوَى حبيب بن الشّهيد عنْ ميْمون بن مهران عَنْ يزيد بن الأصمّ مُرْسَلًا: أَنَّهُ ﷺ قال لِأَبِي بَكْرٍ: ((**مَنْ أَكْبَرُ أنَا أَمْ أَنْتَ؟ فقَالَ: أنْتَ أكْرَمُ وأَكْبَرُ وخَيْرٌ مِنّي، وأنَا أَسَنُّ مِنْكَ**))[8][9].

قال أبُو عَمْرو بن عبد البرّ: لَا نَعْرِفُ هذَا إلَّا بِهَذَا الإسنَادِ، وأحْسِبُهُ وَهمًا لِقَوْلِ جُمْهُورِ أَهْلِ العِلْمِ بالأَخْبَارِ والسِّيَرِ والآثارِ: إنَّ أبَا بَكْرٍ اسْتَوْفَى بِمُدَّةِ خلَافَتِهِ سِنَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ[10].

وفِي رِوايَةٍ: إنَّ أبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عنْهُ مَضَى إلَى رَاهِبٍ يُقَالُ لَهُ بَحِيرَى، يسْأَلُهُ عنْ شَيْءٍ فقالَ لَهُ: مَنْ ذَلِكَ الرَّجلُ الذِي فِي ظِلّ الشَّجَرَة؟ قال: هُوَ مُحَمّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبْدِ المطَّلِبِ. قالَ بَحِيرَى: هُوَ واللهِ نَبِيءٌ، مااسْتَظَلَّ تَحْتَهَا بَعْدَ عِيسَى عليه السلام إلاَّ مُحَمّد. عَلِمَ ذلِكَ مِنْ رُؤْيتِهِمْ لهُ فِي

---

(1) بدر الدين الزركشِي.

(2) المواهب اللدنية، القسطلاني، 1/ 189.

(3) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 368.

(4) صحيح البخارِي، حدِيث (3906).

(5) (م، س)، حدِيث (1536).

(6) شعب الإيمان، البيْهقِي، حدِيث (5517) وفِيه: ونصبر على برد.

(7) مسند أحمد، حدِيث (27316).

(8) لم أقفْ عليهِ بلفظِهِ، ينظر: الاستيعاب، ابن عبد البر، 1614/4، وفتح البارِي، ابن حجر، 251/7.

(9) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 368-369.

(10) الاستيعاب، ابن عبد البر، 1614/4. شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 369.

كُتُبِهِمْ أوْ بِقرَائِن قَوِيَّةٍ، ووَقَعَ فِي قَلْبِ أبِي بَكْرٍ التَّصْديقُ، فلَمَّا بُعثَ النّبِيءُ ﷺ اتّبَعهُ سَرِيعًا لذَلكَ ولَمَّا انضَمَّ إلَيْهِ[1]. قالَ ابنُ حَجَر: إنْ صحَّتْ هذِهِ القِصّةُ فِي نَفْسِ الأَمْرِ، أوْ بوُرُودِهَا مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ فَهِيَ سَفْرَةٌ أخرَى بعْدَ سَفْرَةِ أبِي طالِبٍ[2]، وفِي كلامِهِ هذَا تَوهِينُ ما مَرّ عنْ بعْضٍ أنَّ هذَا السَّفَرَ هُو الذِي كانَ معَ أبِي طَالِبٍ، فإنّ أبَا بَكْرٍ حِينَئِذٍ لَمْ يكُنْ معَهُ، وذَلِكَ لِلْاتّفاقِ علَى أنَّهُ في ذَلِكَ السَّفَرِ ما بَلَغَ هذَا السِّنَّ ولَا قارَبَهُ، فإنّ غايَةَ ما قِيلَ إنّهُ كانَ فِي الثّالِثَةَ عَشَر[3].

ثُمّ إنّهُ في بَعْضِ الرّوَاياتِ يُذْكر نسطور، وفي بعْضِهَا بَحِيرَا، ولَعَلَّ أحَدَهُمَا فِي السَّفْرَةِ الأُولَى، والآخَرَ في الثَّانيَةِ.

وتقَدَّمَ الكلَامُ في ميسرةَ، غُلَامِ خَدِيجةَ أهُوَ صَحَابِيّ، وفِي بَعْضِ الكُتُبِ أنّهُ عاشَ إلَى البِعْثَةِ وأَسْلَمَ. قالَ ابن حجر: تَثْبُتُ الصُّحْبَةُ بالتّواتُرِ والاسْتِفاضَةِ، أو الشُّهْرَةِ أو بِإخْبارِ بعضِ الصَّحَابة أو بَعْضِ ثِقاتِ التَّابعِينَ، أو بِإخبَارِهِ عنْ نفْسِهِ بأنَّه صَحَابِيّ إذَا دَخَلَ [138و] تَحْتَ الإمكَانِ[4].

قُلْتُ: لَا يُقْبَلُ الأَخِيرُ، ولَعَلَّه أرَادَ أنْ يُقْبَلَ إذا شُوهِدَ منْه الوَرَعُ وصَدَقَ.

والمشْهُورُ أنَّهُ ﷺ بلَغَ سُوقَ بُصرى وكانَت القِصَّةُ.

وقِيل: سوق حباشة بتِهَامَة، وأَنّهُ نَزَلَ نسطور مِنْ صوْمَعَتِه وقالَ: ما نَزلَ تَحْتَ هذِهِ الشَّجَرَةِ إلَّا نَبِيءٌ. وفِي روَايَة: ما نَزَلَ تَحْتهَا قَطُّ إلَّا نَبِيءٌ، وفي رِوايَةٍ: بعْدَ عِيسَى[5].

ولَعَلَّ بَحِيرَى فيها فِي السّفْرَةِ الأُولَى ونسْطُورُ فِي الثَّانِيَة[6].

وتِهَامة بكسر التَّاءِ: ما نَزَل عن نَجْدٍ إلى بِلادِ الحِجازِ ومَكَّةُ مِنْ تِهَامَة[7]؛ سُمِّيَتْ مِنَ التَّهَم بفَتْحَتَيْن؛ وهُوَ شِدّةُ الحَرّ ورُكُودُ الرِّيحِ[8]، وقيلَ: لِتَغُيّر هَوائِهَا ويقَالُ: تَهِم الدّهْنُ إذَا تَغَيَّر[9]. وحُباشَة بالضَّمّ: سوقُ تِهامَةَ القَدِيمُ، ونسطور بفَتْحٍ فإسْكانٍ ولَا أَلِفَ بعدَ الرّاءِ، ويُرْوَى أيْضًا بأَلِفٍ بعْدَهَا مقْصُورَةٍ، والكَلامُ في صُحْبَتِهِ كالكَلَامِ في بَحِيرَى، ولَمْ أَطّلِعْ أنَّ أحَدًا قالَ: عاشَ إلَى البِعْثَةِ، ولَفْظُ "قَطُّ" صرِيحٌ في أَنَّه لَمْ ينْزِلْ تَحْتَ الشّجرَةِ مِنْ حِينِ صَلُحَتْ للنُّزولِ تحْتَهَا بَعدَ وُجودِهَا، إلَّا الأَنْبِئاءُ

(1) عبارة غير مفهومة.
(2) الإصابة، ابن حجر، 476/1.
(3) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 369.
(4) الإصابة، ابن حجر، 15/1.
(5) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 371.
(6) العِبارة أضافها المؤلف في الهامِشِ.
(7) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 371.
(8) (م، س)، 1/ 371، نقلا من ابن فارس، مقاييس اللغة (تهم).
(9) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 371، نقلا من المطالع، ابن قرقول، 44/2.

قبْلَ عِيسَى إنْ كانَتْ قبْلَهُ، ونَزَلَهَا عِيسَى ورسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيْهِمَا وسَلَّمَ ويُصَرّحُ بذَلِكَ نَصًّا رِوايَةُ: ما نَزَلَهَا بَعْدَ عِيسَى إلَّا نَبِيءٌ.

وقِيلَ: المعْنَى ما نَزَلَها فِي هذِهِ السَّاعةِ إلَّا نَبِيءٌ، بِمَعْنَى أَنَّ الذِي تَحْتَها الآنَ ما هُوَ إلَّا نَبِيءٌ.

قال السُّهيْلِيّ: يُرِيدُ ما نَزل تحتَهَا هذِهِ السَّاعَةَ، ولَمْ يُرِدْ ما نَزَلَ تَحْتَهَا قَطُّ إلَّا نَبيءٌ، لبُعدِ العهْدِ بالأنْبِئاءِ قبْلَ ذلِكَ، وإنْ كانَ فِي لفْظِهِ "قَطُّ" فقَدْ تَكَلَّمَ بِهَا علَى جِهَةِ التَّوكيدِ لِلنَّفْيِ، والشَّجَرُ لا يُعَمِّرُ في العَادةِ هذَا العُمرَ الطّويلَ، حَتّى يُدْرَى أَنَّهُ لَمْ يَنْزِل تحْتَهَا إلَّا عِيسَى أوْ غَيْرُهُ منَ الأَنبئَاءِ. ويَبْعُدُ في العادَةِ أيْضًا أنْ تَخْلُوَ شَجَرَةٌ مِنْ نُزُولِ أَحَدٍ تَحْتَهَا حَتّى يَجِيءَ نَبِيءٌ، إلَّا أنْ تَصِحَّ رِوَايَةُ مَنْ قالَ في هذَا الحَدِيثِ: أحَدٌ بَعْدَ عيسَى بنِ مرْيمَ، وهِيَ رِوايَةٌ عنْ غيْرِ ابْنِ إسْحَاق، فالشَّجرَةُ علَى هذا مَخْصُوصَةٌ بهَذِهِ الآيَة. ا.هـ كلَامُ السُّهيْلِيّ[1].

وأَقَرّهُ مغلطاي والبُرْهَانُ، وتعَقَّبَهُ العزّ بن جماعة أَنَّهُ مُجَرَّدُ استِبْعَادٍ لا دَلَالَةَ فِيهِ علَى امْتِناعٍ ولا اسْتِحالَةٍ، وبأَنّهُ استِبْعَادٌ يعارِضُهُ ظَاهِرُ الخَبَرِ، وكَوْن متَعَلّقَاتِ الأَنْبئاءِ مَظَنَّةُ خَرْقِ العَادةِ، فلَا يكُونُ ذلِكَ ما ذَكَرَ مِنْ طولِ البَقَاءِ، وصَرْفِ غيْرِ الأَنبئَاءِ مِنَ النُّزولِ تَحْتَها بَعيدًا وذَلِكَ واضِحٌ. ا.هـ[2]

وأَيّدَ هذَا بِمَا ذكَرَهُ أبو سَعيد فِي "الشَّرَفِ": أنَّ الرَّاهِبَ دنَا إِلَيْه ﷺ وقَبَّلَ رأْسَه وقَدَمَيْهِ وقَالَ: آمَنْتُ [138ظ] بِكَ، وأنا أَشْهَدُ أنّكَ الذِي ذكَرَ اللهُ في التَّورَاةِ. فلَمّا رأَى الخاتَمَ قبَّلَهُ وقال: أشْهَدُ أنّكَ رسُولُ اللهِ، النَّبيءُ الأُمّيُّ الذي بَشّر به عيسى فإنّه قال: لا ينْزِلُ بعدي تَحتَ هذه الشّجرَةِ إلّا النّبِيءُ الهاشِميّ العَرَبيّ المكّيّ، صاحِبُ الحوْض والشّفاعَة ولِواءِ الحَمْدِ[3].

ثُمّ إنّهم اختَلفُوا في اسْمِ أبي هالةَ زَوْجِ خدِيجَةَ رضِيَ الله عَنْهَا قَبْلَ النَّبِيءِ ﷺ، فقَالَ الزُّبَيْر بنُ بَكّار والدّارقطني: اسْمُهُ مالِك وبِه صدرَ ابْنُ حَجَر وقِيلَ: زرارَةُ حكَاهُ السُّهَيْلِيّ وابنُ مَنْدَة قَبْلَهُ، وقِيلَ: هنْدُ وجَزَمَ بِهِ العسكريّ[4]، واقْتَصَرَ علَيْهِ في "العُيُونِ"، وصدر بِهِ السُّهيْلِيّ، وقِيلَ: النّبّاش، وجَزَمَ بِهِ أبو عبيْد، ومَاتَ أبو هالة فِي الجَاهِلِيَّة[5].

---

(1) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 371، الروض الأنف، السهيلي، 2/151-152.

(2) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 371-372.

(3) (م، س)، 1/ 371.

(4) العسكري: أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل ت: 382هـ، صاحب الزواجر والمواعِظ وغيره. ينظر ترجمته: سير أعلام النبلاء، 16/413.

(5) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 373.

ووَلَدتْ لَهُ هالَةَ وهِنْدا، أَمّا هِنْد فتَقَدّمَ أَنّه صَحَابِيّ، وأَمَّا هَالَة فقَالَ أَبُو عَمْرو ابنُ عَبْدِ البَرّ: لَه صُحْبَة[1]. قالَ المستغفريّ[2] بسَنَدِه عنْ عائِشَةَ: ((**قَدِمَ ابنٌ لِخَدِيجةَ يُقالُ لَهُ هَالة والنَّبِيءُ ﷺ قائِلٌ فسَمِعَهُ فقَالَ: هَالَة هالَة هَالَة**))[3].

وأَخْرَجَ الطَّبَرَانِي عنْ هالَة بنِ أَبِي هالَةَ: ((**أَنّهُ دَخَلَ عَلَى النَّبِيءِ ﷺ وهُوَ راقِدٌ فاسْتَيْقَظَ فضَمَّ هالَةَ إِلَى صَدْرِهِ وقَالَ: هالَة هَالَة هَالَة**))[4].

هذَا مَعْنَى قَوْلِه فِي الحَدِيثِ السَّابق: "وهُوَ قَائِلٌ".

وهِندُ وهَالَة ذَكَرَانِ، خلَافًا لِمَنْ وَهِمَ، فزَعَمَ أَنَّ هَالَةَ أُنْثَى[5].

وتَقَدّم أَنَّهُ بعْدَ أنْ ماتَ أَبُو هالَةَ تَزَوَّجَهَا عَتِيقُ بنُ عَائِذ، وهُوَ بالهَمْزَةِ فِيمَا يُظَنُّ ودَالٌ مهْمَلَةٌ، وَصَرّحَ فِي "الإِكْمالِ" أَنَّه بالبَاءِ الموَحَّدَةِ والدَّالِ المهْمَلَة[6]، قالَ اليعمريّ[7]: وهُوَ الصَّوَابُ[8].

وصَرّحَ ابن الأثير أَنَّهُ بِهَمْزَةٍ ودَالٍ معْجَمَةٍ[9]، فردَّ بأَنَّهُ عَتِيقُ بنُ عَابِد بنِ عبْدِ اللهِ بنِ عُمَر بنِ مَخْزُوم، وهذَا بالموَحَّدَةِ قَطْعًا عنْدَهُ[10]، فصَرَّحَ الزُّبَيْرُ بنُ بَكّار بِأَنَّهُ مَنْ كانَ مِنْ وَلَدِ عمر بن مخزوم فهُوَ عابِد، بِموَحَّدَةٍ ودَالٍ مُهْمَلَةٍ، ومَنْ كانَ مِنْ ولَدِ أَخِيهِ عمران بن مخزوم فعَائِذ، بِهَمْزَة فذَالٌ مُعْجَمَة[11].

ووَلَدَتْ خدِيجَةُ لِعَتِيق هِنْدًا، وهِيَ امْرَأَةٌ أَسْلَمَتْ وصَحِبَتْ ولَمْ تَرْوِ شَيْئًا، قالَهُ الدَّارَقُطْنِيّ. وهِنْد هَذِهِ أُمُّ محمّد بن صفي المخزوميّ، ويُقَالُ لوَلَدِ مُحَمَّد هذَا بنُو الطَّاهِرَة لمَكَانِ خَدِيجَةَ[12].

ومَا تَقَدَّمَ مِنْ أَنَّ عَتِيقًا تزوَّجَهَا بعْدَ أَبِي هَالَةَ، هُوَ ما نَسَبَهُ ابنُ عَبْدِ البَرّ لِلْأَكْثَرِ[13].

---

(1) الاستيعاب، ابن عبد البر، 1547/4.

(2) المستغفرِي: جعفر بن محمد بن المعتز النسفي (أبو العباس) محدث، مؤرخ. رحل إلى خراسان، وتوفي بنسف سنة 432هـ. من تصانيفه: معرفة الصحابة، دلائل النبوة، فضائل القرآن تاريخ نسف، والشمائل. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 564/17، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 498/1.

(3) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 4/ 364.

(4) المعجم الأوسَط، الطبراني، حدِيث (3794).

(5) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 4/ 364.

(6) الإكمال، ابن ماكولا، 1/6.

(7) اليعمرِي: محمد بن محمد بن محمد الأندلسي، المصري، الشافعي المعروف بابن سيد الناس، محدث، ومؤرخ، وفقيه، أخذ الحديث على والده وابن دقيق العيد ولازمه سنين كثيرة، ت: 734هـ، من تصانيفه: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ثم اختصره وسماه نور العيون في تلخيص سيرة الأمين المأمون. طبقات الشافعية، السبكِي، 268/9، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 673/3.

(8) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 373.

(9) جامع الأصول، ابن الأثِير، 96/12.

(10) أسد الغابة، ابن الأثِير، ص1502.

(11) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 374، نقلا من الإكمال، ابن ماكولا، 1/6، وغيره.

(12) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 374.

(13) الاستيعاب، ابن عبد البرّ، 4/ 1817.

وقالَ قتَادَةُ والزُّهْرِيّ وابن إسحاق فِي رِوايَةِ [139و] يونُس: تَزَوّجَهَا عَتِيقُ بنُ عَائِذ، وهِيَ بِكْرٌ لَمْ تَتَزَوَّجْ قبْلَهُ ومَاتَ وتزَوَّجهَا بعْدَهُ أبو هَالةَ، واقْتَصرَ علَيْهِ ابنُ حَجَر[1].

والصّحِيحُ أنَّ خديجَةَ بِفَتْحِ الخَاءِ عَرَضَتْ نفْسَهَا علَى النَّبِيءِ ﷺ بِواسِطَةٍ، وقالَ ابن إسحاق بنَفْسِهَا. قالَتْ: يا ابْنَ عَمّ إنّي قَدْ رَغبْتُ فِيكَ لقَرابتِكَ وسطَتِكَ فِي قَوْمكَ، وأَمانَتِكَ وحُسْنِ خُلُقِك وصِدْقِ حَدِيثِكَ[2].

ويُجْمَعُ بأَنّهَا دَسَّتْ إلَيْهِ نَفِيسةَ أَوَّلًا؛ لِتَعْلَمَ هَلْ يَرْضَى، فلَمَّا علِمَتْ برِضاهُ كَلّمَتْهُ بنَفْسِها[3].

وسَببُ عرْضِهَا نَفْسَها وطَلَبِهَا ما حدَّثَهَا بهِ ميْسَرَةُ، ومَا رَأَتْ وما سَمِعَتْ، ونَاسَبَهَا قَرابَتُهُ وخِصالُه الحَمِيدَةُ.

وكان لِنساءِ قُرَيشٍ عِيدٌ يَجْتَمعْنَ فيهِ فاجْتَمعْنَ فيهِ يوْمًا فجاءَهُنَّ يهُودِيّ فقَالَ: يا مَعشرَ نسَاءِ قُرَيْشٍ، يُوشِكُ أنْ يَظهَرَ فِيكُنَّ نَبِيءٌ، فَأَيَّتُكُنَّ استَطَاعَتْ أنْ تكُونَ فِراشًا لهُ فلْتَفعَلْ، فحَصبْنهُ[4] وقبَّحْنهُ وأغْلَظْنَ لهُ، وأغْضَتْ خدِيجَةُ ولَمْ تَفعَلْ ذلِكَ كمَا فعَلْنَ[5]، ووَقَرَ ذلكَ فِي نفْسِهَا. ولَمّا أخبرَهَا مَيسَرَةُ بمَا رَآه ومَا سَمِع مَعَ مَا عَلِمتْ هِيَ قالَتْ: إنْ كانَ مَا قالَ اليَهُودِيّ حقًّا فمَا هُوَ إلَّا مُحَمَّد[6].

واخْتُلِفَ فيمَنْ حضَرَ عقْدَ النّكَاحِ مِنْ أعمامِهِ ﷺ فقِيلَ: حَمزَةُ وعَليهِ ابنُ إسْحَاق[7]. وقَالَ السُّهَيْلِيّ عنِ المبرّد: إنَّ أبَا طَالِبٍ هوَ الذِي نَهَضَ معَ النَّبِيءِ ﷺ وهُوَ الذِي خَطَبَ خُطْبَةَ النِّكاحِ[8]. ويُجْمَعُ بأَنَّهمَا خرَجَا مَعَهُ جَميعًا، والذِي خَطَبَ أبُو طالِبٍ؛ لأَنَّهُ أسَنُّ مِنْ حَمْزَةَ[9].

ويُروَى: أَنَّه دخَلَ علَى أبِيهَا خُوَيْلِد فخَطَبَهَا لِلنَّبِيءِ فتَزَوَّجَهَا[10].

ويُروَى: أَنَّها قالَتْ للنَّبِيءِ ﷺ: اذْهَبْ إلَى عَمّكَ وقُلْ لَهُ: عَجِّلْ إلَيْنَا بالغَدَاةِ ولمَّا جَاءَ قالَتْ: يا أبَا طَالِبٍ ادْخُلْ عَلَى عَمّي فقُلْ لَهُ يُزَوّجْنِي مِن ابْنِ أخِيكَ قَالَ: هَذَا صُنْعُ اللهِ[11].

---

(1) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 374.

(2) (م، س)، 1/ 374، وينظر: السيرة النبوية، ابن إسحاق، 129/1.

(3) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 375.

(4) حصبنه: رمينه بالحصباء، كما في شرح المواهب.

(5) ينظَر القصَّة فِي: الطبقات الكبِير، ابن سعد، 16/10.

(6) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 375، نقلا من المبتدأ لابن إسحاق، وينظَر: الطبقات الكبِير، ابن سعد، 16/10.

(7) السيرة النبوية، ابن إسحاق، 130/1.

(8) الروض الأنف، السهيلي، 154/2.

(9) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 375.

(10) أي: عمه حمزة، المواهب اللدنية، القسطلاني، 76/2.

(11) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 375، نقلا من شرف المصطفَى لأبِي سعيد.

ورُوِيَ: أَنَّهُ ﷺ قالَ لِشرِيكِهِ الذِي كانَ يَتَّجِرُ معهُ في مَالِ خدِيجَةَ: هَلُمّ فلنَتَحَدَّثْ عِنْدَ خدِيجَةَ، وكانَتْ تُكْرِمهُمَا وتُتْحِفُهُمَا، ولَمّا قامَا مِنْ عنْدِهَا جاءَت امْرَأَةٌ فقالَتْ لهُ: جِئْتَ خَاطِبًا يا مُحَمَّد؟ قالَ: كَلَّا، قالت: ولِمَ يا مُحَمَّد؟ واللهِ ما فِي قُرَيْشٍ امْرَأَةٌ، وإِنْ كَانَتْ خَدِيجَةُ، إِلَّا تَرَاكَ كُفْؤًا لَها، فرَجَعَ ﷺ إِلَى خَدِيجَةَ فِي حِينِهَا خاطِبًا لَهَا مُسْتَحْيِيًا مِنْهَا[1].

وكانَت الخطْبَةُ [139ظ] وفيها[2]: إِنَّ اللهَ جعَلَنَا مِنْ زَرْعِ إِسْمَاعِيلَ، وعَبَّرَ بالزَّرْعِ فِيه لأَنَّهُ هُوَ الذي تزوَّجَ العَرَبِيَّة التي كَانَ ﷺ مِنْ نسْلِهَا. هذَا ما عِنْدِي وهُوَ أَوْلَى مِمَّا قِيلَ: المرادُ الذُّرِّيةُ، وعَبَّرَ بِهِ تَفَنُّنًا خُروجًا عَنِ التَّكْرِيرِ، إِذْ ذَكَرَ أَنَّ اللهَ ﷻ جعَلَنَا مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ.

وفِيهَا: ضِئْضِئ مَعَدٍّ بكَسْرِ الضَّادَيْنِ بعْدَ الأُولَى هَمْزَةٌ ساكِنَةٌ، أَوْ بِوَزْنِ "قِنْدِيل" بيَاءٍ قبْلَ الهَمْزَة الأَخيرَةِ، أو هُدْهُدْ أَوْ ضُئْضُوء كسُرْسُور ويُقَالُ أَيْضًا: بصَادَيْنِ ويُقالُ: بسِينَيْنِ والمَعْنَى فِي ذلِكَ كلِّهِ الأَصْلُ، وكَذَا العُنْصُر بِضَمّ العَيْنِ والصّادِ وقَدْ تُفْتَحُ الصَّادُ، وغَايَرَ تَفَنُّنًا وخَصَّ مَعَدًّا ومُضَرَ لشَرَفِهِمَا وشُهْرَتِهِمَا، ولِمَا وَرَدَ أَنَّهُمَا ماتَا علَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، وكَانَ الخَاطِبُ عَالِمًا بذَلِكَ أعنِي أَبَا طَالِبٍ.

وفِيهَا: جَعَلَنَا حُكَّامًا علَى النَّاسِ؛ أَيْ: مُحْتَرَمِينَ فِي العَرَبِ، يُقْتَدَى بأَخْلَاقِهِمْ وحُسْنِ معامَلَتِهِمْ، وكانُوا يَحْكُمونَ بَيْن الشُّعَراءِ أَيُّهُمْ أَشْعَرُ ولَو قلَّ فِيهِم الشِّعْرُ.

وفِيها: لَا يُوزَنُ بِرَجُلٍ إِلَّا رَجَحَهُ، زادَ بعْضٌ: شرَفًا ونُبْلًا وفَضْلًا وعَقْلًا.

وفِي رِوايةٍ: إِنَّ أَبَا طالب قالَ: وقَدْ خَطَبَ إِلَيْكُم رَاغِبًا كرِيمَتَكُمْ خَدِيجَة، وقَدْ بذَلَ لَهَا مِنَ الصَّداقِ ما حُكْمُ عاجِلِهِ وآجلِهِ اثْنَيْ عشَرَ أُوقِيَةً ذَهَبًا ونَشًّا[3]. والخَبَرُ العَظِيمُ: النُّبُوءَة وبَرَكاتُهُ فِي الأَكْلِ وغَيْرِهِ.

وذَكَرَ الطَّبَرِيّ عن الزُّهرِيّ بسَنَدِهِ عن عَمَّار بنِ يَاسِر رضِيَ اللهُ عنْهُ أَنَّهُ زَوَّجهَا أَبُوهَا خُوَيْلِد[4].

والأَكْثَرُونَ علَى أَنَّهُ زوَّجَهَا عمُّهَا، وصَحّحَهُ السُّهَيْلي[5] وغلَّطَ الوَاقِدِيّ مَنْ قَالَ بِخِلَافِهِ[6].

والأُوقِيَة: أَرْبَعُون دِرْهَمًا فجُمْلَةُ الصَّداقِ: خَمْسُمِئَةِ دِرْهَمٍ؛ أَيْ: وزْنُهَا ذَهَبًا. قالَ علَماءُ السِّيَرِ مِنْ قومِنَا: الدِّرهَمُ وَزْنُ خَمْسينَ حَبَّةٍ وخُمُسَيْ حبَّةٍ مِنْ أَوْسَطِ الشَّعيرِ. ومَا زَادَ مِنَ الصَّداقِ، علَى مَا رُوِيَ أَنَّه ﷺ ما تَزَوَّج ولَا زَوَّجَ بأَكْثَرَ مِنهُ، مَحْمُولٌ علَى مَا بَعْدَ البِعْثَةِ أَوْ علَى مَا إِذَا انْفَرَدَ بِهِ وهُنَا شارَكَهُ أَبُو طَالِبٍ. والنّشّ لُغةً: نِصْفُ الشَّيْء.

---

(1) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 375، نقلا من الروض الأنف، 155/2، عن الزهري.

(2) الخطبة في المواهب اللدنية، القسطلاني، 192/1.

(3) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 377.

(4) (م، س)، 1/ 378، وفيه عن البيهقي بدل الطبَري.

(5) الرَّوض الأنف، السُّهيلي، 155/2.

(6) شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، 1/ 378، وينظر: سبل الهدى والرشاد، الشَّامي، 224/2.

واللهُ أعْلَمُ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ لا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إلَّا إلَيْهِ والصَّلاةُ والسَّلامُ علَى رَسُولِ اللهِ وآلِهِ وصَحْبِهِ.

75 وَمَا جُزْتَ بِالْأَحْجَارِ إِلاَّ وَسَلَّمَتْ عَلَيْكَ بِنُطْقٍ شَاهِدٍ قَبْلَ بُرْهَانِ

مَا صَحَّ أَنَّكَ مرَرْتَ بالأَحْجَارِ إلَّا وقَدْ صَحَّ أنَّها سَلَّمتْ علَيْكَ [140و] عندَ مُرُورِكَ بِهَا، بلَفْظٍ صرِيحٍ كَلَفْظِ الإنْسَانِ، شاهِدٍ لكَ بأنَّكَ رَسولُ اللهِ، قبْلَ نزُولِ الوَحْيِ علَيْكَ بلْ عنْدَ قُرْبِهِ، وكذَا في أوائِلِ الوَحْيِ، وهُوَ المرادُ بالبُرهانِ. وذَلكَ أنَّ الله ﷻ خلَقَ لهَا الحَياةَ والتَّمْيِيز والعقْلَ.

قالَ عِياض: قالَ عَلِيّ: كُنَّا بِمَكَّةَ معَ رسُولِ اللهِ ﷺ فخَرَجَ إلَى بعْضِ نوَاحِيهَا فما اسْتقبَلَهُ شَجَرٌ ولا حَجَرٌ إلَّا قالَ: السَّلامُ علَيْكَ يا رسُولَ اللهِ[1]. وكذَا نَقَلَهُ ابن القطّان[2].

وعنْ جابِر بنِ سمرةَ عنِ النَّبيءِ ﷺ: ((**إنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ**))[3] قال عيَاضُ: قِيلَ إنَّهُ الحَجرُ الأسْوَدُ[4].

قلْتُ: نُخْبَرُ الآنَ بحَجَرٍ مخْصُوصٍ مَبْنِيٍّ في حائِطٍ في مَكَّةَ إنَّهُ هُو، وهُوَ معايَنٌ مشاهَدٌ. ثُمَّ رأيْتُ ما يُقوِّي هذا ويأْتِي قَريبًا إن شاءَ اللهُ.

قال عياض: وعن عائشة رضِي الله عنها، عن النَّبِيءِ ﷺ: ((**لَمَّا اسْتَقْبَلَنِي جبْرِيلُ بالرِّسالةِ جَعَلْتُ لَا أَمُرُّ بِحَجَرٍ ولَا شَجَرٍ إلَّا قالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يا رَسُولَ اللهِ**))[5].

قَالَ: وعَنْ جابر بن عبد اللهِ: لَمْ يَكُنْ ﷺ يَمُرُّ بِحَجَرٍ ولَا شَجَرٍ إلَّا سَجَدَ لهُ[6]. قُلْتُ: أخْبَرَهُ النَّبيءُ ﷺ أو مَن شاهَدَ ذَلِكَ لِلنَّبيءِ ﷺ؛ لأنَّ جابِرًا لَمْ يكُنْ معَ النَّبِيءِ ﷺ حِينئِذٍ بَلْ كانَ بعدُ، وأرَادَ بالسُّجُودِ الخُضُوعَ والتَّعظِيم والاْحِنَاء إلَى جِهَتِهِ حُبًّا لَهُ، أو السُّجود للهِ سبْحَانَهُ وتعَالَى إلَى جِهَةِ رسُولِ اللهِ ﷺ كالقِبْلَةِ وذلكَ في قضَايَا مخْصُوصَةٍ لَا فِي كُلِّ الأَزْمِنةِ، ولَا بأْسَ بِذِكرِ لَفْظِ الجَمَادَاتِ معَهُ ﷺ ولَوْ بِلا تَسلِيمٍ علَيْهِ.

قال البُخارِي: عن علقمة عن عبْدِ اللهِ -يعْنِي ابنَ مسْعُودٍ: ((**كُنَّا نَعُدُّ الآياتِ بَرَكَةً وأنْتُمْ تَعُدُّونَها تَخْوِيفًا، كُنَّا معَ النَّبِيءِ ﷺ في سَفَرٍ فقَلَّ الماءُ فقَالَ: اطلُبُوا فُضْلَةً مِنْ ماءٍ، فجَاؤُوا بِإنَاءٍ فيهِ ماءٌ قَلِيلٌ**

---

(1) الشفا، القاضِي عياض، ص308.

(2) ابْن الْقطَّان الْحَافِظ عَليّ بن مُحَمَّد بن عبد الْملك بن يحيى بن إِبْرَاهِيم الْحِمْيَرِي الكتامي الفاسي، كَانَ من أبْصر النَّاس بصناعة الحَدِيث وأحفظهم لأسماء رِجَاله وأشدهم عناية فِي الرِّوَايَة مَعْرُوفا بِالْحِفْظِ والإتقان، صنف الْوَهم والإبهام على الْأَحْكَام الْكُبْرَى لعبد الْحق مَاتَ سنة 628هـ. طبقات الحفَّاظ، السيوطِي، ص498.

(3) صحيح مسلم، حدِيث (2277).

(4) الشفا، القاضِي عياض، ص308.

(5) (م، س)، ص309. الحدِيث في مسند البزَّار، رقم (140).

(6) الشفا، القاضِي عياض، ص309. وأعلام النبوة، الماوردِي، ص115.

فأدْخَلَ يدَيْهِ في الإناءِ ثمَّ قالَ: حَيَّ علَى الطُّهورِ المبارَكِ والبَرَكَةِ منَ اللهِ، فلَقَدْ رَأَيْتُ الماءَ ينبُعُ مِن بَيْنِ أصَابِعِ رسُولِ اللهِ ﷺ ولَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعامِ وهُو يُوكَلُ))[1] أيْ: علَى عَهْدِ رسُولِ اللهِ ﷺ كما رُوِيَ صَرْفًا في بَعضِ الرِّواياتِ.

قالَ عياض: قالَ أَنَس: **((أخَذَ النَّبيءُ ﷺ كفًّا مِن حصْبَاء**[2] **فسبَّحْنَ في يَدِهِ ﷺ حتَّى سَمِعْنَا التَّسبيحَ ثمَّ صَبَّهُنَّ في يَدِ أبِي بَكْرٍ فسبَّحْنَ ثُمَّ في أَيْدِينَا فمَا سَبَّحْنَ))**[3].

ورَوَى مثْلَهُ أبو ذرّ ﷺ وذكَرَ أنَّهُنَّ سَبَّحْنَ في يَدِ[4] عُمَر وعثمان[5].

ودُفِنَ أبُو ذَرّ فِي الصّفراء[6] وقَبْرُهُ بِها مشْهُورٌ[7].

قالَ عياض وابنُ القطَّانِ[8]: وعن جعفر بن محمّد[9] عن أَبِيهِ: **((مَرضَ النَّبِيءُ ﷺ فأَتَاهُ جِبْرِيلُ بِطَبَقٍ فيهِ رُمَّان وعِنَبٌ فأَكَلَ [140ظ] ﷺ فسبَّحَ))**[10].

وفي حَدِيثِ العبَّاسِ ﷺ إذِ اشْتَمَلَ رسُولُ اللهِ ﷺ علَيْهِ وعلَى بَنِيهِ بِملَاءَةٍ ودَعَا لَهُم بالسِّتْرِ مِن النَّارِ، كسِتْرِهِ إيَّاهُم بملَاءَتِهِ، فأمَّنتْ أسْكُفَّةُ البابِ وحَوَائِطُ البَيْتِ آمِينَ، آمِينَ، آمِينَ[11]، وكَذَا ذكَرَهُ ابنُ القَطَّانِ.

ورُوِيَ: أنَّهُ ﷺ حينَ طَلَبَتْهُ قُرَيْشٌ صعِدَ ثبيرًا، فقَالَ لَهُ ثبير: اهْبِطْ يا رَسُولَ اللهِ فإنّي أخَافُ أن يَقتُلوكَ علَى ظَهْرِي فيُعذِّبنِي اللهُ. فقَالَ لهُ حِرَاء: إليَّ يا رَسُولَ اللهِ[12].

---

(1) صحيح البخارِي، حدِيث (3579).

(2) في الشفا: حصى.

(3) الشفا، القاضِي عياض، ص308. عزا السيوطِي الحدِيث إلى ابن عساكر، ينظر: مناهل الصفا، السيوطِي، ص126، ومختصر تاريخ دمشق، ابن منظور، 158/2.

(4) في الشفا: كفِّ.

(5) الشفا، القاضِي عياض، ص308. عزاه السيوطِي في مناهل الصَّفا إلى البزار والطبراني في الأوسَط، والبيهقِي، ص127. ينظر: البحر الزَّخار، حدِيث (4044).

(6) لم أتعرف المدينة.

(7) العبارة أضِيفت على الهامش. كتبت بحبر مغاير لحبر النص، وبها اختلاف طفيف في الخط، يرجح أنها ليسَت للمؤلف. ووفاة أبي ذرّ كانت بالرَّبَذة. الاستيعاب، 253/1.

(8) لم أقفْ على من قال: نقله ابن القطَّانِ.

(9) سبقت ترجمته.

(10) الشفا، القاضِي عياض، ص309. قال السيوطِي في مناهل الصَّفا: لم أجده، ص127. ينظر: فتح البارِي، ابن حجر، 592/6، وقد نقله عن عياض.

(11) الشفا، القاضِي عياض، 309، وفيه "آمين" مرَّتين. وينظر: دلائل النبوة، البيهقِي، 71/6، وإليه عزاه السيوطِي، مناهل الصَّفا، ص127.

(12) الشفا، القاضِي عياض، ص309. ذكره السيوطِي في مناهل الصَّفا، ولم يعزُهُ إلى أحدٍ، مناهل الصَّفا، ص128. ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبِي، 465/1.

وعن ابن عمر: ((**أَنَّ النَّبِيءَ ﷺ قَرَأَ عَلَى المِنبَرِ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾**[1] **ثمَّ قالَ: يُمجِّدُ الجبَّارُ نَفْسَهُ أنَا الجَبَّارُ، أنَا الجَبَّارُ، أنَا الكَبِيرُ المُتَعَالِي، فرَجَفَ المِنْبَرُ حتَّى قُلْنَا: لَيَخِرَّنَّ عَنْهُ**))[2].

وفي بعضِ الكُتُبِ: سَلَّمَ علَيْهِ الشَّجَرُ والحَجَرُ لَيَالِي بُعِثَ: السّلامُ عَلَيْكَ يا رَسُولَ اللهِ[3].

وخَرَّجَ مُسْلِم مِنْ حدِيثِ جابِر بنِ سمُرةَ: ((**إنِّي لَأَعْرِفُ حجَرًا كانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ بِمَكَّةَ قَبْلَ أنْ أُبْعَثَ إنِّي لَأَعْرِفُهُ الآنَ**))[4].

قال حُسَيْنُ بنُ مُحَمَّد[5]: وقَدْ اخْتُلِفَ في هَذَا الحَجَرِ فقِيلَ: هوَ الحَجَرُ الأَسْوَد، وقِيلَ: حَجَرٌ غَيْرُهُ بزُقَاقٍ يُعْرَفُ [بزقاق الحجر وزُقَاقِ المرْفق فِي مكَّةَ][6]، والنَّاسُ يتَبَرَّكونَ بلَمْسِهِ ويقُولونَ إنَّهُ الذِي كانَ يُسلِّمُ علَى النَّبيءِ ﷺ مَتَى اجْتَازَ بِهِ[7].

وحُكِيَ عن [أبِي جعفر الميَّانِشِي][8] أنَّهُ قال: أخْبَرَنِي كُلُّ مَن لَقِيتُ بِمَكَّةَ أنَّ هذَا الحَجَرَ، يعْنِي الحَجَرَ المذْكُورَ في الزّقَاقِ، هُوَ الذِي كَلَّمَ النَّبيءَ ﷺ[9].

قال ابنُ رُشَيد[10]: هُوَ الحَجَرُ المَبْنِيّ في الجِدَارِ المُقَابِل لِدَارِ أبِي بَكْرٍ المشْهُورةِ بسوق اللّيل[11].

والرَّاجحُ عندَهُم الحجر الأسود؛ لأَنَّ هذَا ولَوْ شهرَ لكَانَ جاءَ فِي بَعْضِ المُسنَدَاتِ التَّصْرِيحُ بأَنَّهُ الحَجَرُ الأَسْوَدُ، كمَا ذَكَرَهُ في "الرَّوضِ"[12] وذَكَرَهُ فِي "العُيون"[13] وفِي "الإِكْمَالِ"[14]: كانُوا

---

(1) سورة الأنعام: 91.

(2) الشفا، القاضِي عياض، ص309-310. ينظر: مسند أحمد، حدِيث (5414).

(3) تاريخ الخمِيس، الدياربكرِي، 220/1.

(4) صحيح مسلم، حدِيث (2277).

(5) الديار بكرِي صاحب تاريخ الخمِيس.

(6) العبارة: أضافها المؤلف على الهامِشِ، وليْست في تاريخ الخمِيس، وقد وردت في شرح الزرقاني على المواهب، 502/6.

(7) تاريخ الخمِيس، الدياربكرِي، 220/1.

(8) هكذا فِي الأصل: جعفر، وهو نقل من تاريخ الخمِيس، وصوابه: حفص، كما فِي تراجم المؤلفين التونسيين، وقد ذكر فيه: أبو حفص وأبو الخطَّاب. ونقل الزرقاني نفسَ النّصّ من المواهِب اللدنية، وقال: عن أبِي حفص الميانشِي.

الميَّانشِي: عمر بن عبد المجيد القرشِي الميَّانشِي المهدوِي (نسبة إلى ميَّانِش، قرية من قرى المهدية بالساحل التونسِي) أبو حفص، نزِيل مكة، محدِّث، روى عن محمد بن علي بن ياسر الأنصارِي الجيانِي، وهو من شيوخ محيِي الدين بن العربِي، من تآليفه: المجالس المكية في الأحادِيث النبوية، ما لايسع المحدث جهله، ت:581هـ. تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، 4/ 424.

(9) تاريخ الخمِيس، الدياربكرِي، 220/1، وشرح الزرقاني على المواهِب، 503/6.

(10) أبو عبد الله محمد بن رُشَيْد: الفهرِي من أهل سبتة، توفي بفاس سنة 721هـ. موسوعة أعلام المغرب، تح: محمد حجّي، 602/2.

(11) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية، 503/6. العبارة أضافها المؤلف على الهامِشِ.

(12) الروض الأنف، السهيلِي، 254/2.

(13) إنسان العيون، الحلبِي، 320/1.

(14) إكمال المعلم، القاضِي عياض، 236/7.

الحَجَر الأَسْوَد[1].

ورُوِيَ أَنَّهُ ﷺ كانَ علَى شَطِّ مَاءٍ وقَعَدَ عكرمة بنُ أبي جهل وقالَ: إنْ كُنْتَ صادِقًا فادْعُ ذلِكَ الحَجَرَ الذِي في الجانِبِ الآخَرِ فلْيَسْبَحْ ولا يَغْرَقْ. فأشَارَ إِلَيْهِ النَّبيءُ ﷺ فانْقَلَعَ الحَجَرُ مِن مكَانِهِ وسَبَحَ حتَّى صَارَ بيْنَ يَدَيْ رسُولِ اللهِ ﷺ وشهِدَ لَهُ بالرِّسالةِ، وقَال لَهُ النَّبيءُ ﷺ: ((**يَكْفِيكَ هَذَا؟**)) فقَالَ: حتَّى يَرْجِعَ إِلَى مَكَانِهِ[2]. قال القَسْطَلَّانِي، بشَدِّ اللَّامِ، تلْمِيذُ الشّيخ خالد[3] في "المواهب": لَمْ أَرَهُ لِغَيْرِ الفخر الرّازيّ واللهُ أَعْلَمُ بِحَالِهِ[4].

وروَى الزّهريّ عن أبي ذرّ الغفارِيّ أَنَّهُ قال: ((**هجَّرتُ[5] يوما من الأيَّامِ، فإذا النَّبِيءُ ﷺ قد خرجَ مِن بيتِهِ فسألتُ عنهُ الخادِمَ، فأخبرني أَنَّهُ ببيْتِ عائشَةَ. فأَتَيْتُهُ وهُو جالِسٌ، ليسَ عندهُ أحدٌ مِنَ النَّاسِ، وكَأَنِّي حِينَئِذٍ أرَى أَنَّهُ في وَحْيٍ، فسلَّمتُ عليهِ فردَّ السَّلامَ ثُمَّ قال: ما جاءَ بكَ؟ قلتُ: اللهُ ورسُولُهُ، فأَمَرَنِي أنْ أَجْلِسَ فجلَسْتُ [141و] إلى جَنْبِهِ، لَا أَسْأَلُهُ عن شَيْءٍ ولا يذكُرُهُ لِي، فمكثْتُ غيْرَ كثيرٍ فجاءَ أبو بكْرٍ يَمْشِي مُسْرِعًا فسَلَّمَ علَيْهِ فرَدَّ علَيْهِ السَّلامَ ثمَّ قال: ما جَاءَ بكَ؟ قال جاءَ بِي اللهُ ورسُولُهُ، فأشَارَ بِيَدِهِ أن اجْلِس، فجَلَسَ إِلَى ربْوَةٍ مقَابِلَ النَّبيءِ ﷺ. ثُمَّ جاءَ عُمر ففَعَلَ مثْلَ ذلِكَ، وقالَ لهُ رسولُ اللهِ ﷺ مثْلَ ذلِكَ، وجَلَسَ إِلَى جَنْبِ أبِي بَكْرٍ. ثمَّ جاء عثمان كذلكَ وجلسَ إِلَى جنْبِ عُمَر. ثمَّ قَبَضَ رسُولُ اللهِ ﷺ علَى حَصَيَاتٍ سَبْعٍ أو تِسْعٍ أو ما قَرُبَ مِن ذلِكَ فسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ، سُمِعَ لَهُنَّ حنِينٌ كَحَنِينِ النَّحْلِ فِي كَفِّ رسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ وضَعَهُنَّ في الأرضِ فخَرَسْنَ. ثُمَّ أَخَذَهُنَّ وناوَلَهُنَّ أبا بَكْرٍ، وجاوَزَنِي فسبَّحْنَ فِي كفِّ أبِي بَكْرٍ حتَّى سَمِعْتُ لَهُنَّ حنِينًا كحنِين النَّحلِ. ثمَّ أَخَذَهُنَّ منْهُ فوَضَعهُنَّ في الأرضِ، فخَرَسْنَ وصِرْنَ حَصىً. ثُمَّ ناوَلَهُنَّ عمَر فسَبَّحنَ في كَفِّهِ كما سبَّحْنَ في كَفِّ أبي بَكر، حتَّى سَمِعْتُ لَهُنَّ حنِينًا كحَنِينِ النَّحْلِ. ثُمَّ أخذَهُنَّ منهُ فوَضَعَهُنَّ في الأَرْض فخَرَسْنَ وَصِرنَ حَصىً. ثمَّ ناوَلَهُنَّ عثْمَان فسَبَّحْنَ في كفِّهِ كَنحوِ مَا سبَّحنَ في كَفِّ أبِي بكْرٍ وعُمَر حتَّى سَمِعْتُ لَهُنَّ حَنِينًا كَحَنِينِ النَّحلِ، ثُمَّ أَخَذَهُنَّ فوضعَهُنَّ في الأَرْضِ فخرسْنَ، فقَال ﷺ: هذِهِ خِلافَةُ النُّبُوءَةِ**))[6].

ومعنَى قوْلِهِمْ: جاءَ بِي اللهُ ورسولُهُ، جاءَ بِي حُبُّ اللهِ ورَسُولِهِ. ومعنَى قوْلِهِ: خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ أَنَّهُ

---

(1) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية، 502/6.

الفقرة أضافها المؤلف على الهَامِشِ.

(2) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 585/2، عن الفخر الرازِي، مفاتيح الغيْبِ، 125/32.

(3) خالد بن عبد الله الأزهري، ت:905هـ، يعرف بالوقادِ، لغوِي من تصانيفه: المقدمة الأزهرية في علم العربية، وتمرين الطلاب في صناعة الإعرابِ. الضوء اللامع، 171/3، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 668/1.

(4) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 586/2، وتاريخ الخمِيس، الدياربكرِي، 221/1.

(5) هجّرت: أي سرت وقت الهاجرة. شرح المواهِب، 495/6.

(6) المواهب اللدنية، القسطلاني، 531/2، وشرح الزُّرقاني على المواهب، 495/6.

خَرَجَ مِنْ بَيْت عهد جلُوسه فِيهِ أو مِنْ بَيْتٍ عَلِمَ أَنَّهُ اليَوْمَ لزَوجِهِ السَّاكِنَةِ فِيهِ.

وفي رِوايَة: كنْتُ أَتَتَبَّعُ خلَواتِهِ ﷺ فرَأَيْتُهُ يوْمًا خالِيًا فاغْتَنَمْتُ خلْوَتَهُ فأَتَيْتُهُ وهُو جالِسٌ[1] الحدِيث السَّابِقُ.

والرَّبْوَةُ: ما ارْتَفَعَ مِن الأَرْضِ. وفِي رِوايَةٍ: جَلَسَ؛ أيْ: عُمَر، إلَى يَمِينِ أَبِي بَكْرٍ، وكَذَا فِي رِوَايَةٍ: جَلَسَ عثمَانُ إلى يَمِينِ عمَر، وفِي روَايَةِ البَزَّارِ الجَزْمُ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ[2] فالشَّكُّ مِنْ بَعْدِ أبي ذَرّ مِنَ الرُّواةِ. ومعنَى سَبَّحْنَ: قُلْنَ سبْحانَ اللهِ، خلَقَ اللهُ فيهِنَّ الكَلامَ كمَا هُنَّ أوْ خلَق لَهُنَّ العَقْلَ. ومعْنَى صِرْنَ حَصًى: صِرْنَ علَى أصْلِهِنَّ مِنْ عدَمِ الكلَامِ. وإنَّما جاوَزَ أبَا ذَرٍّ؛ لأَنَّهُ لَيْسَ بخَلِيفةٍ كمَا قَالَ: هذِهِ خِلافَة النُّبوءَةِ ولَوْ حَضَرَ عَلِيّ لأَعْطَاهُ، وسبَّحْنَ في يَدِهِ [141ظ] لأَنَّهُ خلِيفةٌ بالإِجْماعِ. ولا يُعْتَدُّ بمنَافَسَةِ مُعاوِيَةَ لأَنَّها باطِلَةٌ، ولأَنَّها ثارَتْ بكَوْنِهِ أرادَ نزْعَهُ عن الشَّامِ.

وأخْرَجَ البزَّارُ[3] والطَّبرَانِيّ في "الأَوْسَطِ"[4] والبَيْهَقِيّ فِي "الدَّلائِل"[5] وابن عساكر فِي "التَّارِيخِ"[6] عنْ أَبِي ذَرّ: تنَاوَلَ سبْعَ حصَيات فسبَّحنَ في يدِهِ حتَّى سمِعْتُ لهُنَّ حَنِينًا ثمَّ وضَعَهُنَّ في يَدِ أَبِي بَكْرٍ فسَبَّحْنَ ثمَّ وضَعَهُنَّ في يدِ عُمَر فسَبَّحْنَ ثمَّ وضَعَهُنَّ فِي يَدِ عثْمَانَ فسَبَّحْنَ[7]. وفي سَماع الصَّحَابةِ لِذلِكَ فَضْلٌ لَهُمْ.

وقالَ بَعْضٌ: لَمْ يُعْطِ عَلِيًّا إنْ كانَ حَاضِرًا؛ لأنَّ خلَافَتَهُ أدْرَكَت الفِتْنَةَ. واسْتَظْهَرَ بعْضُهُمْ تعَدُّدَ الواقِعَةِ؛ لأَنَّ الرِّوايَةَ الأُولَى تَقْتَضِي أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ثَمَّ غَيْرُ أَبِي ذَرّ والثَّانِيَة تقْتَضِي أَنَّهُ حَضَرَ جماعَةٌ مِنَ الصَّحابةِ، لرِوَايَةِ ابنِ عسَاكِر مِنْ حَدِيثِ أنَس بَعْدَ عثْمَان: ((**ثُمَّ وضَعَهُنَّ فِي أيْدِينا رَجُلًا رَجُلًا فمَا سَبَّحَتْ حصَاةٌ مِنْهُنَّ**)) وعلَى كِلْتَيْهِما لَمْ يَحْضُرْ عليّ، ففِيهِ إشَارَةٌ إلَى عَدَمِ امتِدادِ خلافَتِهِ استِقْلالًا، بِخِلَافِ عثمَانَ فإِنَّهُ نُزِعَ وقُتِلَ في أوْقَاتٍ قَرِيبَةٍ، إلَّا أنَّ الأصْلَ عَدَمُ التَّعدُّدِ، ولَا سِيَّما معَ اتِّحادِ المَخْرَجِ وهُوَ أبُو ذَرّ، ووُرُودُهُ عنْ أنَسٍ لَا يَقْتَضِي التَّعدُّدَ؛ إذْ حاصِلُ ذَلِكَ أنَّها قِصَّةٌ واحِدَةٌ روَاهَا اثْنَانِ[8] بلْ مِنْ شأْنِ الرِّوايَةِ ولَوْ عَن واحِدٍ تَخَالُفُ الرُّواةِ بالزِّيادَةِ والنَّقصِ.

وذَكَرَ بعضُ الشّيعة أنَّ انشِقاقَ القَمَرِ وتَسْبِيحَ الحصَى وحَنِينَ الجِذْع وتَسْلِيمَ الغَزَالَة ممَّا نُقِلَ

(1) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية، 497/6، رواية عن البيهقِي وابن عساكِر.

(2) البحر الزخار، البزار، حدِيث (4040).

(3) (م، س)، حدِيث (4040).

(4) المعجم الأوسط، الطبراني، حدِيث (4097).

(5) دلائل النبوة، البيهقِي، 64/6.

(6) تاريخ دمشق، 117/39.

(7) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية، 497/6.

(8) (م، س)، 498/6.

آحَادًا معَ تَوَفُّرِ الدَّواعِي على نَقْلِهِ، ومعَ ذلكَ لمْ تُكَذَّبْ رُوَاتُهَا. وأجَابَ ابن الحاجب[1] بِأَنَّهُ استُغْنِيَ عنْ نَقْلِها تَوَاتُرًا بالقُرْآنِ. وأجابَ غيْرُهُ بِمَنْعِ نقْلِها آحادًا وعلى تسْلِيمِها فمَجْمُوعُها يُفيدُ القَطْعَ. والذِي قالَ بِهِ بَعْضٌ[2]: إنَّها كُلّها مشْتَهِرَةٌ بَيْن النَّاسِ، وأمَّا مِنْ حَيْثُ الرّوَايَةُ فلَيْسَتْ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ، فحَنِينُ الجِذْعِ وَانْشِقاقُ القَمَرِ نُقِلَ كُلٌّ منْهُمَا نَقْلًا مُسْتَفِيضًا يُفِيدُ القَطعَ عنْدَ مَنْ يَطَّلِعُ علَى طُرُقِ ذلكَ مِنْ أَئِمَّةِ الحَديثِ، دونَ غَيْرِهِم مِمَّن لَا مُمَارَسَةَ لهُ في ذلكَ، وأمَّا تَسْبِيحُ الحَصَى فلَيْسَ لَهُ إلَّا طَرِيقٌ واحِدٌ إلَى أَبِي ذَرٍّ وهُوَ ضَعِيفٌ[3] وطَرِيقٌ إلَى أنَسٍ.

والشُّهرةُ عند النَّاسِ تَجْبُرُ الضَّعفَ، وتسْبِيحُ الطَّعامِ وقَعَ علَى عَهْدِ رسُولِ اللهِ ﷺ وندَرَ وقُوعُهُ بعدَهُ ﷺ.

وذَكَرَ البَيْهَقِيّ: أنَّهُ كانَ أبو الدّرداء وسَلْمَان إذا كَتَبَ أحَدُهُما إلى الآخَرِ قالَ لَهُ: بآية الصّحْفَةِ، وذَلِكَ أَنَّهُما كانَا يأْكُلانِ في صَحْفَةٍ إذْ سَبَّحَتْ وما فِيهَا[4].

قالَ [142و] أنَس: أُتِيَ النَّبيءُ ﷺ بطعَامٍ ثريدٍ فقَالَ: إنَّ هذا الطَّعامَ يُسبّحُ قالُوا لِأَنَسٍ: أوَ تَفْقَهُ تسْبِيحَهُ؟ قال: نعَمْ، قالَ: نَعمْ[5]، ثمَّ قالَ لِرَجُلٍ: أدْنِ هذِهِ القَصْعَةَ[6] مِنْ هذا الرَّجل فأدْنَاهَا فقال: نَعَمْ يا رَسُولَ اللهِ هذا الطَّعامُ يسَبّحُ، ثُمَّ قال: رُدَّها، فرَدَّها فهُوَ يُسَبّحُ وهُو فِي الإناءِ[7].

وتَقَدَّمَ أيْضًا أنَّهُ يُسَبّحُ وهو يُؤْكَلُ وَهذَا يَحْتَمِلُ التَّسْبِيحَ في الصَّحْفَة ويَحْتَمِلُ التَّسبيحَ في الْفَمِ، وتَكَرَّرَ مِرَارًا تَسبِيحُ الطَّعامِ عِنْدَ رسُولِ اللهِ ﷺ وهُوَ آيَةٌ لَهُ ﷺ أعْظَمُ مِن تَسبِيحِ الجِبَالِ معَ داوُدَ وفَهْمِ نُطْقِ الطَّيْرِ لسُلَيْمَانَ[8].

---

(1) ابن الحاجب: عثمان بن عمر بن أبي بكر الكُردِي المقْرِئ الفقِيه النَّحوِي، ولد بإسنا من صعِيد مِصر، توفِي بِالاسكندريَّة سنة 646هـ. سير أعلام النبلاء، الذَّهبِي، 264/23.

(2) صاحب القول: الزُّرقاني.

(3) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية، 498/6-499.

(4) (م، س)، 500/6، عن البيهقِي دون ذكر المصدرِ.

(5) "قال: نعم" مكررة.

(6) في شرح المواهِب: القطعة.

(7) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية، 500/6.

(8) (م، س)، 500/6.

فقَوْلُهُ تعَالَى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[1] على الغَالِبِ، وحِينَ لَمْ يُرِد اللهُ أنْ يفْقَهُوا كمَا قالَ الزُّرْقَانِيّ[2] في قَوْلِهِ تعالى: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾[3] أنَّهُ عَلَى الغَالِبِ، واسْتَدَلَّ بأنَّهُ ﷺ قَبَضَ على شَيْطانٍ وأرَادَ أَنْ يُرِيَهُ أصْحَابَهُ فتَذَكَّرَ كلامَ سلَيْمَانَ: ﴿لَا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي﴾[4][5] فتَرَكَ.

والرُّمَّان والعِنَبُ اللَّذان أتَى بهِمَا جِبْرِيلُ عليه السلام في طَبَقٍ وسبَّحا فيهِ هُمَا مِنَ الجنَّةِ، وقِيلَ: مِنَ الدُّنيا؛ لأنَّهُما لَوْ كانَا مِن الجَنَّةِ لَمْ يُوطَقْ أَكْلُهُما في الدُّنيا لقُوَّتِهِما ولَمْ يفْنَيَا، قالَ اللهُ سبْحَانَهُ: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾[6] قلْتُ: ذلِكَ كُلُّهُ ما دَامَ في الجَنَّةِ، وأمَّا ما خَرَجَ منها فيتَغَيَّرُ كمَاءِ النِّيلِ والحَجرِ الأسْوَدِ.

ومعْنَى قَوْلِهِ: "أَكَلَ مِنَ الطَّبَقِ فسَبَّحَ" أرَادَ الأكْلَ فالتَّسْبِيح قبْلَ الأَكْلِ، أو أرَادَ بالأَكْلِ الإِلْقَاءَ في الفَمِ والمضْغَ، فَهُوَ يُسَبِّحُ في فِيهِ ﷺ. وإنَّما كانَ تسْبِيحُ الطَّعامِ أعْظَمَ مِنْ تَسْبِيحِ الجِبَالِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُعْهَدْ مثلُهُ والجِبَالُ قَدْ وُصِفَتْ بالخُشُوعِ، ولأنَّهُ سبَّحَ في يَدِهِ ﷺ وفي يَدِ مَن أرادَ مِنْ أُمَّتِهِ. وكذا الحَصَى أعْظَمُ؛ لأَنَّهُ سَبَّحَ في يدِهِ ويدِهِمْ بِخِلَافِ الجِبَالِ فإنَّها لَمْ تُسَبِّحْ بيدِ داوُدَ عليه السلام.

وكُلٌّ مِن تَسْبِيح الطَّعامِ والحصَى أعْظَمُ مِن كلامِ النَّملِ والطَّيْرِ وفَهْمِه لسُليمانَ؛ لأنَّ مِن شَأْنِ الطَّيْرِ الكلَامَ؛ ولأنَّهُ والنَّملُ حيَوانٌ، وكذَا تَسْلِيمُ الحَجَرِ، والذِي أقولُ بهِ: إنَّ تسليمَ الحَجَرِ حَقِيقةٌ وجَزَمَ به النَّوَوِيّ.

وقالَ بَعْضٌ[7] يحْتَمل ذَلِكَ ويحْتَملُ أنَّهُ مِنْ مَلائكَةٍ يسْكُنونَ فِي الحجرِ أو عِنْدَهُ، وإذَا فَتَحْنَا هذَا الاحْتِمَالَ أمْكَنَ فِي تسْبِيحِ الحَصَى والطَّعَامِ، إلَّا أنَّ الأَصْلَ الحَمْلُ علَى الظَّاهِرِ. وذلِكَ خَرْقٌ للْعَادَةِ ولَوْ قُلْنا ذلِكَ مِنَ الملَائكَةِ إلَّا أنَّ الخَرْقَ أعْظَمُ إذا كانَ ذلِكَ مِن الحَصَى والحَجَرِ والطَّعامِ، وكُلِّ ما تَكَلَّمَ مِنَ الجمَادَاتِ فقَدْ خلَقَ اللهُ فِيهِ الحيَاةَ والتَّمْيِيزَ والعَقْلَ خَرْقًا للْعادَةِ ثُمَّ يَرُدُّهُ لِحَالِهِ.

[142ظ] ومِن ذلكَ تأْمِينُ الحَوَائطِ وأُسْكُفَّةِ البابِ، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ للْعبَّاسِ رضي الله عنه: ((**لَا تَرِمْ**

---

(1) سورة الإسراء: 44.

(2) الزُّرقاني: (نسبة إلى زرقاء من قرى منوف بمصر) محمد بن عبد الباقي بن يوسف المالكي، محدث، فقيه، أصولي، ولد وتوفي بالقاهرة سنة 1122هـ. من تصانيفه: شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث، مختصر المقاصد الحسنة في الأحاديث المشتهرة على الألسنة، شرح المواهب اللدنية. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 383/3.

(3) سورة الأعراف: 27.

(4) سورة ص: 35.

(5) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية، 99/7.

(6) سورة الرعد: 35.

(7) هو ابن سيد الناس كما في شرح المواهِبِ، 501/6.

مَنْزِلَكَ أنْتَ وبنُوكَ غدًا حَتَّى آتِيكُم فإنَّ لِي فِيكُمْ حاجَةً، فانْتَظَرُوهُ حتَّى جَاءَ بعْدَمَا أَضْحَى فدَخَلَ علَيهِم فقالَ: السَّلامُ علَيْكُمْ فقالُوا: وعلَيْكَ السَّلامُ ورحْمَةُ الله وبَرَكاتُهُ، قالَ: كَيْفَ أصْبَحْتُم؟ قالوا: أصبَحْنَا بِخَيْرٍ بحَمْدِ اللهِ تعالَى فقَال لَهُمْ: تقَارَبُوا فتَقَارَبُوا يَزْحَفُ بَعْضُهُم إلى بَعْض، حَتَّى إذَا أمْكَنُوهُ اشْتَمَلَ عليْهِم بملَاءَتِهِ فقَالَ: يا رَبِّ هذَا عَمِّي وصِنْوُ أبِي، وهؤُلاءِ أهْلُ بَيْتِي فاسْتُرْهُم مِنَ النَّارِ كسِتْرِي إيَّاهُم بمُلَاءَتِي هذِهِ، فأَمَّنَتْ أسْكُفَّةُ البَابِ وحوَائِطُ البيْتِ قالَتْ: آمِينَ آمِينَ، آمِين))[1]، أيْ: ثلاثًا، ومثْلُهُ لابن كثير[2]، والشَّامِي[3][4]، ويُرْوَى: ((**آمين، آمينَ**)) أيْ: مرَّتَيْنِ، ومثله في "الشِّفاءِ"[5]، وذلكَ علَى التَّكريرِ مِن كُلٍّ ولَوْ في رِوايةِ مرَّتَيْنِ، فقُلْنَ أكْثَرَ، ويَحْتَمِلُ روَايَةَ المرَّتينِ أنَّ مَرَّةً للْحَوَائِطِ ومرَّةً لِلْأُسْكُفَّة؛ بضَمِّ الهَمْزَةِ والكافِ وشدِّ الفاءِ، وهِيَ العَتَبَة العُليَا فَوْقَ الدَّاخِلِ، وقَدْ تُستَعْمَلُ للتِي أَسْفَل يتَخَطَّاها القَدَمُ أو يَمْشِي علَيْها.

وأوْلَادُ العبَّاسِ: الفَضْلُ وعَبْدُ اللهِ وعُبَيدُ اللهِ وقَتمُ ومَعْبَدُ وعَبْدُ الرَّحْمَنِ وهُمْ مِن أُمِّ الْفَضْلِ، وذلِكَ رأْفَةً منْهُ ﷺ أو بِوَحْيٍ مِنَ اللهِ ﷻ أن ادعُ لهُمْ.

والمُلاءَةُ بالضَّمِّ والمَدِّ: الإزَارُ والمَلْحَمَة وقِيلَ: الإزَارُ لَهُ شقَّتَانِ وإنْ كانَتْ واحِدَةً فَرَيْطَةٌ.

ولا ينْكرُونَ وَصْفَ الجمَادَاتِ بالْحُبِّ كما حَنَّ الجِذْع إلَيْهِ ﷺ لمُفَارَقَتِهِ حتَّى سَمِعَ النَّاسُ حنينَهُ كحُوَارِ الثَّوْرِ، وكمَا جاءَ أنَّ أُحُدًا يُحِبُّنَا، وكمَا وضعَ التَّسْبِيح في الجِبالِ والحَشْيَة فِي الحِجارَةِ.

وتَقَدَّمَ أيْضًا قَوْلُ ثبير لرَسُولِ اللهِ ﷺ: انْزِلْ عَنِّي لِئَلَّا يقْتُلُوكَ علَيَّ فيُعذِّبَنِي اللهُ، وذَلكَ حِينَ خرَجَ مهَاجِرًا فيمَا قِيلَ. والمُرادُ بالعَذَابِ الغَضَبُ، كمَا غضِبَ علَى أَرْضِ ثَمُود وقُرَى قَوْمِ لُوط.

قِيلَ: ولِأَنَّهُ لا سِتْرَ فِيهِ فلَوْ لَمْ يُخبِرْهُ لكانَ غِشًّا فيُعَذَّبُ لأنَّهُ في تِلْكَ الحالِ عَالِمٌ بذَلِكَ بأنَّ قريشا يطْلُبونَهُ، وقَادِرٌ علَى التَّكَلُّمِ بإقْدَارِ اللهِ وضُعِّفَ.

قِيلَ: تَفسِيرُ العذابِ بالحُزنِ والتَّأسُّفِ علَيْهِ، وعلَى كُلِّ حالٍ لا يُرَدُّ علَيْهِ إنَّهُ لا تزِرُ وازِرةٌ وزرَ أخرَى، وكذلكَ تكَلّم حراء بالمَدِّ بقَوْلِهِ: إليَّ يا رسُولَ اللهِ ﷺ.

ولَمْ يذْهَبْ إلَى حِرَاء معَ هذَا لِسَبْقِ تَعَبُّدِهِ بِه، وعِلْمِهِمْ بأَنَّهُ يكُونُ فِيهِ فيَقْصِدوهُ. وحِراءُ وثبِير مقَابِلانِ [143و] بينَهُما، وذَلك قبْلَ الذَّهابِ إلَى غار ثور الذِي اخْتَفَى فيهِ. ولَكِنْ صَحَّ أنَّ النَّبِيءَ

---

(1) ورد بألفاظ قريبة في مجلسان من أمالي الجوهري، حديث (21).

(2) البداية والنهاية، ابن كثير، 698/8.

(3) سبل الهدى والرشاد، الشامي، 139/10.

(4) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الصالحي الدمشقي، محدث حافظ ومؤرخ، ولد في صالحيَّة دمشْق، وسكن القاهرة، من تصانيفه: سبل الهدى والرشاد في هدْيِ خيرِ العبادِ، مطلع النور في فضل الطورِ، عقود الجمان في مناقبِ أبي حنيفَة النعمانِ. معجم المؤلفين، رضا كحالة، 785/3.

(5) الشفا، القاضي عياض، ص309.

ﷺ وأبَا بَكْرٍ واعَدَا الدَّليلَ غارَ ثورٍ، فهَذَا كالصَّريحِ في أنَّهُما قصَداهُ مِن أَوَّل، وإنَّما جازَ لهُ مُخَالفَةُ حرَاء إذْ قالَ لَهُ: إليَّ؛ لِأَنَّ نُطْقَهُ ليْسَ بِوَحْيٍ مِنَ اللهِ، لَكِنْ أقْدَرَهُ اللهُ على الكلامِ. قال السُّهيْليّ: وأحْسِبُ أنَّ ثورًا نادَاهُ أيْضًا: إليَّ يا رَسُولَ اللهِ لمَّا قالَ ثبِير: اهْبِطْ مِنّي كما نَادَاهُ حِرَاء[1] بالمَدِّ.

ورَوَى أبو نُعَيْم في "الدَّلائِلِ" عن بَرَّة: لَمَّا أرادَ اللهُ كرَامَةَ نَبِيئِهِ ﷺ كانَ يَمْضِي إلَى الشِّعابِ وبطُونِ الأَوْدِيةِ فلَا يَمرُّ بِشَجَرٍ ولا حَجَرٍ إلَّا قالَ: السَّلامُ علَيْكَ يا رَسُولَ اللهِ، وكانَ يَرُدُّ علَيْهِمْ: وعَلَيْكُم السَّلَامُ[2].

قيلَ: الرَّدُّ مكافَأَةٌ لا وُجوبٌ لأَنَّها غَيْرُ مُكَلَّفَة[3]. قُلْتُ: بلْ وجُوبٌ لأَنَّ الأصْلَ وجُوبُ الرَّدِّ، ولِأَنَّها كُلِّفَتْ حِينَ القَوْلِ، ويَجِبُ رَدُّ السَّلامِ لِطِفْلٍ إذَا سَلَّمَ وهُوَ غَيْرُ مُكَلَّفٍ لأنَّهُ عاقِلٌ مُمَيِّزٌ. لا حوْلَ ولَا قُوَّةَ إلَّا باللهِ العَلِيّ العَظِيم.

76 وَمَا زِلْتَ طَوْرًا فِي حَرِّ التَّحَنُّثِ وَطَوْرًا تَبِيتُ عِنْدَ رَبَّةِ إِحْسَانِ [4]

77 وَلاَزَمَكَ النَّامُوسُ إِمَّا بِشَكْلِهِ وَإِمَّا بِنَفسِهِ أَوْ كَحِلْيَةِ عرْبَانِ

78 سَلَكْتَ طَرِيقًا لِلْهِدَايَةِ مَنْ نَحَا سِوَاهَا تَنَحَّى عَنْ شَرِيعَةِ دَيَّانِ

79 هَدَيْتَ إِلَى النَّجْدَيْنِ هَدْيَ دَلاَلَةٍ فَقَوْمٌ إِلَى رُشْدٍ وَقَوْمٌ لِخُسْرَانِ

80 وَأَوْضَحْتَ بِالنَّوْعَيْنِ شِرْعَةَ دِينِنَا فَطَوْرًا بِإِجْمَالٍ وَطَوْرًا بِتِبْيَانِ

81 وَأَسْعَدْتَ بِالْأَمْرَيْنِ فِرْقَتَي الْوَرَى فَقَوْمًا بِأَقْوَالِ وَقَوْمًا بِأَبْدَانِ

82 وَأَرْسَلْتَ لِلدَّارَيْنِ مَنْ طَاعَ أَوْ عَصَى فَذَاكَ لِنِيرَانٍ وَهَذَا لِرِضْوَانِ

83 وَبِالْقَمَرَيْنِ النَّيِّرَيْنِ هَدَيْتَنَا حَدِيث رَسُولٍ ثُمَّ مُعْجِز قُرْآنِ

لَمْ تَزَلْ تتَحَنَّثُ؛ أَيْ: تتَعبَّدُ وتجَانِبُ الإِثْمَ زمَانًا أو حَالًا وتَبِيتُ زمَانًا آخَرَ أو حَالًا عِنْدَ صاحِبَةِ الإِحسَانِ إِلَيْكَ العَظِيمِ خَدِيجةَ رضِيَ اللهُ عنْهَا.

ولازَمَكَ النَّاموسُ صاحِبُ السِّرِّ جبْرِيلُ عليه السلام بالوَحْيِ إلَيْكَ مِنَ اللهِ عز وجل يأْتِيكَ إمَّا علَى شَكْلٍ يَتَشَكَّلُ علَيْهِ؛ لِأَنَّ اللهَ عز وجل أقْدَرَ الملَائِكَةَ علَى ذلِكَ، وإمَّا علَى صورَتِهِ فيُقْدِرُهُ اللهُ على مُقَابَلَتِهِ أو عَلَى صورَتِهِ مُنْطَوِيًا فتَسْهُلُ مقَابَلَتُهُ. وإمَّا كَحِلْيَةِ عِرْبَانِ أيْ: علَى هَيْئَةِ الأَعْرَابِ عرَبِ البَدْوِ. وإمَّا علَى غَيْرِ ذلِكَ كدِحْيَة الكَلْبِيّ.

وتأْتِي مرَاتِبُ الوَحْيِ إنْ شَاءَ اللهُ عز وجل، ومِنْهُ: النَّفْثُ بالثَّاءِ المثلَّثةِ كما جَاءَ: ((**نَفَثَ فِي روعِي**))[5].

والأَوْلَى أنْ يكونَ البَيْتُ عليْهِ بالثَّاءِ المثَلَّثَةِ لا بِالسِّينِ، ولعَلَّ النَّاسِخَ حرَّفَهُ، أو أَمْلَى المُملِي بالثَّاء

(1) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 538/2، والروض الأنف، السهيلي، 256/2.

(2) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 513/6، لم أجده في المطبوع من دلائل النبوة لأبي نعيم.

(3) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 513/6 عن الدلجي دون ذكر المصدر.

(4) في مجموع المتونِ: وطَوْرا بِبَيْتٍ فِيهِ ربَّةُ إحْسان. وسيشِيرُ الشَّارِح إلى اختلاف في رِوايَة هذا الشَّطْرِ برواية ثالِثة.

(5) مسند البزار، حدِيث (2914).

فكَتَبَ السَّامعُ بالسِّينِ تَوَهُّمًا مِنْ لَفْظِهِ لقُرْبِهِما، ولَفْظُ السُّبكِي فِي تَائِيَّتِهِ:

ولَازَمَكَ النَّامُوسُ إمَّا بِشَكْلِهِ وإمَّا بِنَفْثٍ أوْ بِحِلْيَةِ دِحْيَةِ

فكَتَبَهُ بالثَّاءِ لا بالسِّينِ، فبَيْتُ النَّاظِمِ هُو بَيْتُ السُّبكِي إلَّا أنَّهُ جَعَلَ قَوْلَهُ: "أوْ كَحِلْيَة عرْبَانِ" بَدَلَ قَوْلِ السُّبْكِيّ: أو بِحِلْيَةِ دِحْيَةِ لِأَجْلِ القَافِيَةِ، ولَعَلَّهُما اقْتَصَرا علَى الثَّلاثةِ؛ لِأَنَّهُمَا غالِبُ الوَحْيِ[1].

سَلَكْتَ يا رسُولَ اللهِ طرِيقًا لِلْهِدايَةِ التِي مَنْ زَاغَ عنْهَا، وأخَذَ نَحْوًا غَيْرَها أيْ: جِهَةً أُخْرَى، كانَ مُجَانِبًا ومُعْرِضًا عنْ شَرِيعَةِ اللهِ الدَّيَّانِ، المُجازِي علَى الأَعْمَالِ.

وهَدَيْتَ إلَى النَّجْدَيْنِ: الطَّريقين طرِيقِ دِينِ اللهِ، وطرِيقِ [143ظ] الضَّلَالِ، النَّاسَ والجِنَّ هُدَى بيَانٍ عَامًّا لِأُمَّةِ الإجابَةِ وهِيَ مَنْ قالَ: لَا إلَهَ إلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ومَا جاءَ بِهِ حَقٌّ، وأُمَّةِ العِنادِ وهُم مَنْ بَلَغَتهُ دعْوَتُهُ، ولَمْ يُؤمِنْ فِي زمَانِهِ بَعْدَ البِعْثَةِ، أوْ بعْدَ زمَانِهِ ﷺ.

فالمُشرِكونَ كلُّهُم اليَهُودُ والنَّصارَى وغيرُهُم مِن أمَّتِهِ، كما أنَّ مَنْ كَفَرَ مِنْ قَوْمِ نوحٍ وهُم الأَكْثَرُ يُعَدُّون أُمَّتَهُ.

فقَوْمٌ انْتَهَوا إلَى الرُّشدِ فلَهُم الثَّوابُ، وهُمْ مَن أَتَى بالقوْلِ والعَمَلِ مع الاعتِقَادِ، وقَوْمٌ انْتَهَوا إلَى خُسْرَان وهُوَ الضَّلالُ فعَلَيْهِم العِقابُ وهُم أَهْلُ الشِّركِ وَمَنْ ضَيَّعَ العَمَلَ مِن أُمَّةِ الإجَابَةِ.

أوْ قَوْمٌ انْتَهوا إلى مُقْتَضَى الرُّشدِ، وهُوَ الجَنَّةُ أو السَّعادَةُ وقَوْمٌ انتَهَوْا إلَى خسْرانِ وهُوَ الهَلَاكُ الأُخْرَوِيُّ.

وأوْضَحْتَ شِرْعَةَ دِينِنا بالنَّوعَيْنِ المعهُودَيْنِ في الأذْهَانِ، أحَدهُمَا الإجْمَالُ والآخَرُ البيَانُ وهُوَ التَّفْصِيلُ فبَعْضُ ما أنْزَلَ اللهُ مُجْمَلٌ، يَبْقَى علَى إجْمَالِهِ وبَعْضٌ بَيِّنٌ بَعْدُ، وبَعْضٌ يَنزِلُ مُفَصَّلًا مِنْ أَوَّلِ.

وأَسْعَدْتَ بالْأَمْرَيْنِ المعْهُودَيْنِ فِي الأَذْهَانِ، الفِرْقَتَيْنِ المتَبَيِّنَتَيْنِ بِهِمَا، أحَدُهُما الكَلامُ الذِي يُسْمَعُ مِنْكَ والثَّانِي رِسَالَةُ الأبدَانِ الذِين تُرْسِلُهمْ إلَى الملُوكِ والجِهَاتِ، والفِرْقَةُ الأُولَى مَنْ سَمِعَ مِنْكَ والثَّانِيَةُ: مَن يَسْمَعُ مِن رُسُلِكَ.

وأَرْسَلْتَ إلَى الجَنَّة مَنْ أطَاعَ وإلَى النَّارِ مَن عَصَى؛ فإنَّ الدَّعوَى تُوجِبُ مَصِيرَ المُجِيبِ اعْتِقَادًا وَقَوْلًا وعَمَلًا إلَى الجنَّةِ، وتُوجِبُ مَصِيرَ المُعانِدِ بالشِّرْكِ أو بِالفِسْقِ والإصْرارِ إلى النَّارِ.

وهدَيْتَنَا هِدَايَةَ بيَانٍ بالقَمَرَيْن المُنِيرَيْنِ، أحَدهما حدِيث رَسُولٍ عظِيمٍ هُوَ أنْتَ، والآخَر القُرآن المعْجِز العَظِيم، فالتَّنْكيرُ لِلتَّعظِيمِ.

(1) الفقرات "وتأتي مراتب... الوحي" أضافها المؤلِّف على هامِش طويل.

و"طَاعَ": بلَا هَمْزٍ قبْلَ الطَّاء ثُلَاثِي، واسْمُ فاعِلِهِ طَائِعٌ، قالَ اللهُ ﷻ:﴿ قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿11﴾ ﴾[1].

وفِي نُسْخَةٍ: "تَبِيتُ فِيهِ رَبَّةُ إِحْسَانِ" أيْ: تَارَةً يَبِيتُ وَحْدَهُ فِي حرَاء، وتَارَةً تَبِيتُ معَهُ فِيهِ خَدِيجَةُ، وهُوَ واقِعٌ ولَوْ لَمْ يشْهرْ كمَا يَأْتِي إنْ شَاءَ اللهُ ﷻ.

وفي الأبْيَاتِ فَصْلَانِ أحَدُهُما في حِراء والتَّحنُّث فِيهِ، والآخَرُ في صُورَةِ مَلَكِ الوَحْيِ مَعَهُ ﷺ .

الفَصْلُ الأَوَّلُ: [حِرَاء والتَّحَنُّثُ فِيهِ]

لَمَّا بَلَغَ رسُولُ اللهِ ﷺ أربعين سنةً وأَتَمَّها أوْحَى اللهُ إِلَيْهِ، ثُمَّ أرْسَلَهُ إِلَى الجِنّ والإِنْسِ والملَائكَةِ، بأَنْ يُؤمِنَ بهِ الملائِكةُ ولَمْ يُكَلَّفُوا بِشَرْعِهِ، إلَّا أنَّ الإيمانَ بهِ وجَرَيَانَ الوَحْيِ والقُرآنِ ونَقْلَهُ مِنَ اللَّوحِ المحْفُوظِ علَى يَدَيْ بعْضِهِم تكْلِيفٌ. ونُبُوءَتُهُ متَقَدِّمةٌ علَى رسَالَتِهِ كمَا رَأَيْتَ في عِبَارَتِي، وهو الصَّحِيحُ عندِي.

[144و] وعلَيْهِ ابنُ عبْدِ البَرِّ وغَيْرُهُ والقَسْطَلَّانِي، وصَحَّحَ بَعضُهُم أنَّ النُّبوءَةَ والرِّسالةَ مقْتَرِنَان لَهُ[2].

قلتُ: يُعَارَضُ بأنَّهُ أُوحِيَ إِلَيْهِ أوَّلًا "اقْرَأْ" وهذا مُجَرَّدُ نبُوءَةٍ، ثمَّ ظَهرَ لِي أنَّ هذَا يُعارِضُهُ رِوايَةُ: ((**بُعِثْتُ يَوْمَ الْاثْنَيْن**))[3] وذلِكَ حِين نُزولِ "اقرأ".

وكذَلِكَ إرسَالُهُ إلَى الملَائِكَةِ هوُ الرَّاجحُ، وقِيلَ: لَمْ يرْسَلْ إِلَيْهِم. وكَوْنُهُ مبْعُوثًا عنْدَ تمَامِ الأرْبَعينَ هوَ الصَّحيحُ وعلَيْهِ الجُمهورُ، قال النَّوَوِيّ: هُوَ الصَّوابُ، وهُوَ المَرْوِيُّ في صَحِيحِ البُخَارِيّ ومُسْلِم عن ابْنِ عَبَّاسٍ وأنَسٍ، وكذَا قالَ قبَاثُ بنُ أَشْيَم الصَّحابيّ وعطاءُ وابن المسيّب وجُبَيْر بنُ مطْعم، وقِيلَ: أُوحِيَ إِلَيْهِ لمَّا بلَغَ أرْبَعينَ سنَةً وأرْبَعِينَ يوْمًا، وقِيلَ: لمَّا بَلَغَ أرْبعينَ سنَةً وعَشْرَة أيَّامٍ، وقِيلَ: أرْبعينَ سَنَةً وشَهْرَيْنِ، وقِيلَ أرْبَعينَ سنَةً ويَوْمًا[4].

وعن مكحول[5]: بُعِثَ بعْدَ اثْنَتَيْنِ وأَرْبَعِينَ سَنَةً. وقالَ الوَاقِدِيّ وابن أبي عاصم والدُّولَابِيّ: بُعِثَ وهُوَ ابْنُ ثلَاثٍ وأرْبَعِينَ سنَةً، وقِيلَ: ابنُ خَمْسٍ وأَرْبعِينَ. ويُجْمَعُ بأنَّ ذلِكَ حِينَ حَمِيَ الوَحْيُ وتَتَابَعَ، والقَوْلانِ شَاذَّانِ، والثَّانِي أَشَذُّ.

قال ابنُ حَجَر: حديثُ ابْنِ عَبَّاسٍ: ((**فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً**)) [6] أَصَحُّ مِنْ رِوايَةِ أَحْمَد عن

---

(1) سورة فصلت: 11.

(2) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 387/1.

(3) ورد بمعناه، صحيح مسلم، حدِيث (197).

(4) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 385/1.

(5) أبو عبد الله مكحول بن عبد الله الشامِي، ت: 116هـ وقيل غير ذلك، له كتاب: السُّنن في الحدِيث، كتاب المسائل في الفقهِ. سير أعلام النبلاء، 155/5.

(6) صحيح البخاري، حديث (3851).

ابْنِ عَبَّاسٍ: ((**أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيءِ ﷺ وهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وأرْبَعِينَ فمَكَثَ بِمَكَّةَ عَشْرًا**))[1] وأَصَحُّ ممَّا أخْرَجَهُ [مسلِم][2] عنْهُ أيْضًا بأنَّهُ أقَامَ بِمَكَّةَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً[3].

ويَومُ الوَحْيِ يوْمُ الاثنينِ لِسَبْعَ عشْرَةَ مضَتْ مِنْ رمَضَانَ وقِيلَ: لِسَبْعٍ منهُ وقِيلَ: لِأَرْبَعٍ وعشْرِينَ منْهُ، وكوْنُ البَعْثِ في رمضانَ قَولُ الأَكثَرِ والمشْهُورُ عِندَ الجُمهورِ وهُوَ الصَّحيحُ. قالَ ابنُ حَجَر: فعَلَى الصَّحيحِ المشْهُورِ مِنْ أنَّ مَوْلِدَهُ في رَبيعِ الأَوَّل، يكُونُ حِينَ أُنْزِلَ علَيْه سِنّ أرْبَعِينَ سنةً وسِتَّة أشهُر. ويدُلُّ كلامُ ابنُ الكَلبِيّ بأنَّهُ وُلِدَ في رمضانَ، وبِهِ جَزَمَ الزُّبيرُ بنُ بكَّار[4].

وقال ابنُ عبْدِ البَرّ والمسعوديّ: بُعِثَ يوْمَ الاثنَيْنِ لثَمَانٍ مِنْ ربيعِ الأَوَّل سنَةَ إحْدَى وأرْبَعِين مِنْ عامِ الفِيلِ، وصدر بِهِ ابن القيّم ونَسَبَهُ للْأَكثَرِينَ، ثُمَّ حَكَى أنَّهُ كانَ فِي رمَضَانَ عكْسَ النَّقلِ الأَوَّلِ، قال ابنُ حَجَر: فيكُونُ لَهُ أربَعُونَ سنَةً سوَاءً[5].

وجمعَ بما فِي حدِيثِ عائِشَةَ: ((**أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ**))[6] وحكَى البَيْهَقيُّ أنَّ مُدَّتَهَا سِتَّةُ أشْهُرٍ، فيكُونُ نَبيئًا بالرُّؤيا في رَبيع الأَوَّل ثُمَّ أتاهُ جبريلُ فِي رمَضَانَ، وحَمَلَ علَيْهِ بعضُهُم ((**الرُّؤيَا جُزءٌ مِنْ سِتَّةٍ وأرْبَعِينَ جُزْء مِنَ النُّبوءَةِ**))[7] لأنَّ مُدَّةَ الوَحْيِ كانتْ ثلاثًا وعِشْرِينَ سنَةً، سِتَّةَ أشْهُرٍ منَامٌ، وذلِكَ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وأرْبَعِينَ. وجمعَ أيْضًا بأَنَّ نزُولَ "اقْرَأْ" فِي رَمَضَانَ، وأَوَّل "المدَثِّرِ" في رَبِيع، واعْتُرِضَ بأنَّ نزُولَ "المدَثِّرِ" بَعْدَ ثلَاثِ سنِينَ، وقِيلَ: بُعِثَ في أَوَّلِ رَبِيع[8].

ويَشْهَدُ لِبعْثِهِ يوْمَ الاثْنَيْن ما رَواهُ مُسْلِم أنَّهُ ﷺ سُئِلَ عن صَوْمِ يوْمِ الاثْنَيْنِ فقَالَ: ((**فيهِ وُلِدْتُ وفِيهِ أُنْزِلَ عَلَيَّ**))[9] وفي [144ظ] رِوَايَةٍ لَه: ((**ويَوْمَ بُعِثْتُ فِيهِ**))[10].

واحْتُجَّ لنُزولِهِ في رَمَضانَ بِقوْلِه تعَالَى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ**﴾[11] أيْ: ابْتُدِئَ فيهِ نُزُولُهُ إلَيْهِ ﷺ، وقِيلَ: المرَادُ في الآيةِ أنَّهُ أُنْزِلَ في ليْلَةِ القَدْرِ كلِّهِ إلى السَّماءِ الدُّنيا وعنْ واثلة عنْهُ ﷺ:

---

(1) مسنَد أحمَد، حدِيث (2017).

(2) إضافة من فتح الباري وشرح الزرقاني.

(3) فتح البارِي، ابن حجَر، 164/7.

(4) فتح البارِي، ابن حجر، 164/7.

(5) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 386/1، والقول الأخِير لابن حجر فِي فتح البارِي، ابن حجر، 570/6.

(6) صحيح البخارِي، حدِيث (3).

(7) وردَ بلفظٍ قرِيبٍ فِي جامع البيان، الطَّبَرِي، 139/15.

(8) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية، 386/1.

(9) صحيح مسلم، حدِيث (1162).

(10) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية، 387/1، والحدِيث هو نفسه السَّابق.

(11) سورة البقرة: 185.

((**أُنْزِلَتْ صُحُفُ إبراهِيمَ** عليه السلام **فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رمضانَ، وأُنْزِلَتْ التَّوراةُ لِستٍّ مَضينَ مِنْ رَمَضانَ، وأُنْزِلَ الإنجيلُ لثَلاثَ عشْرَةَ مَضَتْ مِنْ رَمَضانَ، وأُنْزِلَ الزَّبورُ لثَمانِي عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضانَ، وأَنْزَلَ اللهُ القرآنَ لِأَرْبَعٍ وعشرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضانَ**))[1] رواهُ أحمد، وابن جرير والطَّبرانيّ والبَيْهَقيّ[2]. وهَذَا مُطابِقٌ لقَوْلِهِ تعالى: ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ** ﴾[3] ولِقولِهِ تعَالَى: ﴿ **إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١** ﴾[4]

فيَحتَمِلُ أن تكونَ لَيْلَةُ القَدْرِ فِي تلْكَ السَّنَةِ كانتْ تِلْكَ اللَّيْلَة، فأُنْزِلَ فِيهِ جُمْلَةً إلَى السَّماءِ الدُّنيا، ثُمَّ أُنْزِلَ فِي صَبِيحَتِها فِي اليَوْمِ الرَّابعِ والعِشرِينَ إلَى الأَرضِ أَوَّلُ "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ"[5].

وعارَضَهُ السّيوطِيّ برِوَايةِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ عن أبي قلابة: ((**أُنْزِلَت الكُتُبُ كامِلَةً لَيْلَةَ أَرْبَعٍ وعِشْرِينَ مِنْ رمضانَ**))[6]. وأُجِيبَ بأنَّ الحَدِيثَ المقْطُوعَ[7] لَا يُعارِضُ المتَّصِلَ[8].

ثُمَّ نَزَلَ نُجُومًا بِحَسَبِ الوَقَائِعِ خَمْسَ آياتٍ وعَشْرًا وأَكْثَرَ وأقَلَّ، وصَحَّ نزُولُ عشْرِ آياتٍ فِي قِصَّةِ الإفْكِ جُمْلَةً، ونُزُولُ عَشْرِ آياتٍ مِنْ أَوَّلِ المؤْمِنِينَ جُمْلَةً، وصَحَّ نزولُ ﴿ **غَيْرَ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ** ﴾[9] وحْدَهُ وصَحَّ نزُولُ ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً** ﴾[10] الآيَة نَزَلَ بعْدَ نُزولِ أوَّلِ الآيَةِ، وكِلَاهُما بَعْضُ آيَةٍ[11].

وأَخْرَجَ ابنُ أَبِي شَيْبَةَ عن عكرمة: أَنْزَلَ اللهُ القرآنَ نُجُومًا ثَلاثَ آياتٍ وأَرْبَعَ آياتٍ وخَمْسَ آياتٍ[12].

وعنْ عُمَر: تَعَلَّموا القُرْآنَ خَمْسَ آيَاتٍ خَمْسَ آياتٍ فإنَّ جِبْرِيلَ كانَ يَنْزِلُ بالقُرْآنِ علَى النَّبِيءِ ﷺ خَمْسًا خَمْسًا[13].

---

(1) مسند أحمد، حدِيث (16984)، والسنن الكبرى، البيهقي، حدِيث (18649).

(2) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية، 387/1-388.

(3) سورة البقرة: 185.

(4) سورة القدر: 1.

(5) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية، 388/1، عن ابن حجر، فتح الباري، 5/9.

(6) الإتقان في علوم القرآن، السيوطِي، ص97.

(7) الحدِيث المقطوع: هو ما أضيف إلى التابعي أو من دونه من قول أو فعل، فإذا اتَّصل بالصّحابِيّ سمِّي موقوفا، وإذا اتَّصل إلى النّبِيّ سمِّي مرفوعا. تيسير مصطلح الحدِيث، النعيمي، ص167.

(8) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية، 388/1، وفِيهِ: لا يعارضُ المرفوع.

(9) سورة النساء: 95.

(10) سورة التوبة: 28.

(11) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 388/1.

(12) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 388/1. ينظر: جامع البيان، الطبري، 147/23.

(13) ورد بلفظ قرِيبٍ فِي المصنف، ابن أَبِي شيبة، حدِيث (29930) عن أَبِي العالِيَة.

ومِنْ طريقٍ ضَعِيفٍ عن عَلِيّ: ((**أُنْزِلَ القرآنُ خَمْسًا إِلَّا سُورَةَ الأَنْعَامِ**))[1] فمعْنَاهُ إِلْقَاؤُهُ إِلَى النَّبِيءِ ﷺ هذَا القَدْر حَتَّى يَحْفَظَهُ ثُمَّ يُلْقِي البَاقِي، لَا إِنْزَالُهُ بهَذَا القَدْرِ خَاصَّةً، ويُوَضِّحُ ذلِكَ مَا عندَ البَيْهَقِيّ عن أبي العَالِيَة: ((**كَانَ ﷺ يَأخُذُ القُرْآنَ مِنْ جبْرِيلَ خَمْسًا خَمْسًا**))[2][3].

قالَ الجُمهورُ: نَزَلَ في ثَلَاثٍ وعشْرِينَ سَنَةً، علَى أَنَّهُ بُعِثَ لِأَرْبَعِينَ وعاشَ ثلاثًا وستِّينَ، ولا يُنافِيهِ أَنَّ الفَتْرَةَ التِي لَمْ يَنْزِلْ فيها قرآنٌ بعْدَ نُزُولِ "اقرأ" ثَلَاثُ سِنِينَ؛ لِأَنَّهُ نَزَلَ قَبْلَها مُتَّصِلًا بها "اقرأ" فصَدقَ أَنَّهُ نَزَلَ في ثَلَاثٍ وعِشْرِينَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ كان يَنْزِلُ علَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ ولَا كُلَّ شَهْرٍ. وقِيلَ: نزَلَ فِي عشْرِينَ، بِنَاءً علَى أَنَّهُ عاشَ سِتِّين أوْ علَى إِلْغَاءِ الفَتْرَةِ[4].

وإِنْزَالُ القُرآنِ إِظْهارُ القِرَاءَةِ عندَ بَعْضٍ[5] وقِيلَ: أَلْهَمَ اللهُ تعَالَى القرآنَ جبْرِيلَ وهُوَ فِي السَّماءِ وعَلَّمَهُ قرَاءَتَهُ، ثمَّ جِبْرِيلُ [145و] أدَّاهُ في الأَرْضِ. وقالَ الرّازي[6]: إِنْزالُ الكتُبِ علَى الرُّسُلِ أن يتَلَقَّفَها المَلَكُ تَلَقُّفًا رُوحَانِيًّا أو يَحْفَظَها مِنَ اللَّوْحِ المحْفُوظِ، ويَنْزِلُ بِهَا فيُلْقِيها علَيْهِمْ[7]. وقِيلَ: فِي المُنَزَّلِ علَى النَّبِيءِ ﷺ ثلاثَةُ أقوالٍ أحَدُها: اللَّفظُ والمعنَى، وأنَّ جِبريلَ حفِظَ القُرآنَ مِنَ اللَّوحِ المحفوظِ كلُّ حَرْفٍ منْهَا بِقَدْرِ جَبَلِ قَاف، وتَحْتَ كُلِّ حَرْفٍ منها مَعَانٍ لا يُحيطُ بِهَا إِلَّا اللهُ.

الثّانِي: أنَّ جبريلَ نَزَلَ بالمعانِي خَاصَّةً، وعَلِمَ النَّبيءُ ﷺ تِلْكَ المعانِي وعَبَّرَ عنْهَا بِلُغَةِ العَرَبِ؛ لِظَاهِرِ قَوْلِهِ تعَالَى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ ﴾[8].

والثَّالثُ: أنَّ جبريلَ أَلْقَى علَيْهِ المعْنَى وعَبَّرَ بِهذِهِ الأَلْفَاظِ بلُغَةِ العَرَبِ، وأنَّ أهلَ السَّماءِ يقْرَؤُونَهُ بالعَرَبِيَّةِ ثُمَّ نَزَلَ بِهِ كذَلِكَ بَعْدُ، ويُؤَيِّدُ الأوَّلَ ما رواهُ الطَّبرانيّ عن النَّواسِ بنِ سَمْعَان عنهُ ﷺ: ((**إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بالوَحْيِ**؛ أيْ: خلَقَ كلَامًا حَيْثُ شاءَ[9] **أَخَذَت السَّماءَ رجْفَةٌ شَديدَةٌ مِنْ خَوْفِ اللهِ، فإِذَا سَمِعَ أَهْلُ السَّماءِ صعِقوا وخَرُّوا سُجَّدًا، فيَكُونُ أَوَّلُهُمْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جبْرِيلُ فيُكَلِّمُهُ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ بمَا أرَاد**، [وهَذَا

(1) تاريخ بغداد، 211/8. ولسان الميزان، 279/2. والزيادات على الموضوعات، السيوطِي، 129/1.

(2) شعب الإيمان، البيهقِي، حدِيث (1806).

(3) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 388/1، نقلا من الإتقان، السيوطِي، ص100.

(4) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 388/1-389.

(5) هم أهل السنة والجماعة، كما قال الأصفهاني.

(6) القطب الرَّازِي التحتاني، محمد بن محمد، الشَّافِعِي، حكِيم منطِقِي عارف بالتفسِير والمعاني والبيان والنحو والعلوم الشرعِيَّة، توفي بدمشْق سنة 766هـ، من تصانِيفِهِ: شرح الشمسية في المنطِق، حاشية على الكشاف للزمخشَرِي. طَبقات الشافعية، السبكِي، 374/9، ومعجم المؤلِّفِين، رضا كحالة، 642/3.

(7) الإتقان، السيوطِي، ص100، عن القطب الرازِي في حواشِيهِ على الكَشَّافِ.

(8) سورة الشعراء: 193-194.

(9) العبارة للمؤلِّفِ.

كَمَا يَفْهمُ رَسُولُ اللهِ ﷺ الوَحْيَ، لا فِي حَالِ كلَامِ جِبْرِيلَ بَلْ عنْدَ تمَامِهِ[1]، **فيَنْتَهِي** جِبْرِيلُ بِمَا أَوْحَى اللهُ[2] **علَى الملَائِكَةِ، كُلَّما مَرَّ بِسَماءٍ سَأَلَهُ أَهْلُها: ماذَا قَالَ رَبُّنا؟ قالَ: الحَقّ فيَنْتَهِي بِهِ حَيْثُ أُمِرَ))**[3].

وقِيل: كتَبَتْه الملَائكَةُ مِنَ اللَّوْحِ المحْفُوظِ وجَاءَتْ بِهِ إِلَى جبْرِيلَ عليه السلام يرَوْنَهُ ولا يعْلَمُونَ مِنْهُ حَرْفًا، وإِذَا أَرَادَ إِنْزَالَ شَيْءٍ انْكشَفَ لَهُم.

وقِيلَ: علَيْهِ سِتْرٌ إِذَا أَرَادَ إِنْزالَ شَيْءٍ أزالَ الحِجابَ عنْ ذلِكَ الشَّيْءِ، والقَولانِ لا يُناسِبانِ إِنْزَالهُ مَرَّةً إِلى سَمَاءِ الدُّنيا بَلْ هُما فِي مُطْلَقِ الوَحْيِ.

وكلَامُ اللهِ المَنزَّلُ قِسْمانِ الأَوَّلُ: قال اللهُ لِجِبْريلَ: قُل لِلنَّبيءِ الذِي أُرْسِلْتَ إِلَيْهِ إِنَّ اللهَ يقولُ لَكَ: كذا وكذَا وأَمَرَ بكَذَا وكَذَا، ففَهِمَ جبريلُ ما قالهُ ربُّهُ، ثُمَّ نزَلَ علَى ذَلِكَ النَّبيءِ، وقالَ لَهُ مَا قالَهُ ربُّهُ ولَوْ بالْمَعْنَى، كمَا يقُولُ المَلِكُ لِمَنْ يَثِقُ بِهِ: قلْ لِفلَانٍ يقُولُ لكَ المَلِكُ اجْتَهِدْ في الخِدمَةِ واجْمَعْ جُنْدَكَ للْقِتَالِ، فإِنْ قالَ الرَّسولُ: يقولُ لَكَ المَلِكُ لا تتَهَاوَنْ في خِدْمَتِي ولَا تَتْرُك الجُنْدَ يتَفَرَّقُ وحثَّهُمْ على الْقِتَالِ، لا يُنْسَبُ إلى كَذِبٍ وتقْصِيرٍ في أَدَاءِ الرِّسالةِ[4].

والثَّانِي: قالَ اللهُ لجِبْريلَ: اقْرَأْ علَى النَّبيءِ هذا الكِتاب أَوْ هذا الكَلامَ، فنَزَلَ بكَلامِ اللهِ مِنْ غَيْرِ تَغْيِيرٍ كمَا يَكْتُبُ المَلِكُ كتابًا ويُسلِّمهُ إلى أَمِينٍ ويقُولُ: اقْرأْهُ علَى فُلانٍ، أو أَوْصِلْ هذا الكلَامَ بِعيْنِهِ، فهُو لَا يُغيّرُ منهُ كَلِمَةً ولا حَرْفًا[5].

والقُرآنُ هو القِسْمُ الثَّانِي والأَوَّلُ هو السُّنَّةُ كما رُوِيَ [145ظ] أنَّ جبريلَ ينْزِلُ بالسُّنَّة كما يَنْزِلُ بالقرآنِ[6].

قال الزُّهريّ: الوَحْيُ ما يوحِي اللهُ إلى نَبِيءٍ مِنْ أنْبِئَائِهِ فيُثَبِّتُهُ في قَلْبِهِ فيَتَكَلَّمُ بِهِ ويكْتُبُهُ وهُوَ كلامُ اللهِ يَعْنِي كتُبهُ المُنَزَّلةُ. ومِنْهُ ما لا يَتَكَلَّمُ بِهِ ولا يَكْتُبُه لِأَحَدٍ ولا يَأْمُرُ بكِتَابَتِهِ، ولكِنْ يُحَدِّثُ بِهِ النَّاسَ ويُبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّ اللهَ أَمَرَهُ أن يُبيِّنَهُ لِلنَّاسِ ويُبَلِّغَهُمْ إِيَّاهُ[7].

وقِيل: بُعِثَ وهو ابْنُ خَمْسٍ وأَرْبَعِينَ سنَةً لِسَبْع وعِشْرينَ مِنْ رَجَب[8].

قالتْ عائِشَةُ رضِيَ اللهُ عنْهَا: **((أَوَّلُ ما بُدِئَ بِهِ رسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤيا الصَّادقةُ في النَّومِ، فكانَ لا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جاءَتْ مثْلَ فلَقِ الصُّبحِ، وكانَ يَأْتِي حرَاء فيَتَحَنَّثُ فيهِ اللَّيالِي ذَوَات العَدَدِ،**

---

(1) العبارة للمؤلِّفِ.

(2) العبارة للمؤلِّفِ. في شرح المواهب، وفتح الباري: بِهِ.

(3) فتح الباري، ابن حجر، 538/8. ورد بلفظٍ قريبٍ، مجمع الزَّوائد، الهيثمِي، حدِيث (11288).

(4) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية، 389/1.

(5) (م، س)، 389/1.

(6) (م، س)، 390/1.

(7) (م، س)، 390/1، عن ابن أبِي حاتم عن الزهرِي. ينظر: الإتقان، السيوطِي، 128/1.

(8) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 390/1، عن مغلطاي في سيرتِهِ، ص89.

ويتزَوَّدُ لِذلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إلى خَدِيجَةَ فتُزَوِّدُهُ لِمِثلِها حتَّى فَجِئَهُ الحَقُّ وهوَ فِي غارِ حرَاء فجاءَهُ المَلَكُ فيهِ فقالَ: اقْرَأْ فقُلْتُ: ما أنَا بقَارِئٍ، فأخَذَنِي فغَطَّنِي حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجهْدَ فأرْسَلَنِي فقالَ: اقْرَأْ فقُلْتُ: ما أنَا بقَارِئٍ، فأخَذَنِي فغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بلَغَ مِنِّي الجهْدَ ثُمَّ أرْسَلَنِي فقَالَ: اقْرَأْ فقُلْتُ: ما أَنَا بِقَارِئٍ، فأَخَذَنِي فغَطَّنِي الثَّالثَةَ حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجهْدَ ثُمَّ أرْسَلَنِي فقَالَ: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿1﴾ ﴾[1] **حتَّى بلَغ** ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿5﴾ ﴾[2] **فرَجَعَ بِها تَرْجِفُ بوَادِرُهُ حتَّى دَخَلَ علَى خَدِيجةَ فقَالَ: زَمِّلوني زمِّلوني فزَمَّلوهُ حتَّى ذَهَبَ منْهُ الرَّوعُ فقال: يا خَدِيجَة مَالِي؟ وأخْبَرَهَا الخَبَرَ وقالَ: قَدْ خَشِيتُ على نفسِي، فقالَتْ لَه: كَلَّا، أَبْشِرْ فوَالله لَا يُخْزِيكَ اللهُ أبَدًا، إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَصْدُقُ الحدِيثَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَقْرِي الضَّيفَ، وتُعِينُ على نَوائِبِ الحَقِّ. ثُمَّ انْطَلَقتْ بِهِ حَتَّى أتَتْ بِهِ ورَقَةَ بنَ نوْفَل بنِ أسَد بنِ عبْدِ العُزَّى بنِ قُصَيّ، وهُوَ ابنُ عَمّ خدِيجَةَ أخُو أَبِيهَا، وكان امْرَءًا تنصَّرَ في الجَاهِلِيَّة، وكانَ يكْتُبُ الكتَابَ العَرَبِيَّ، فَيكتُبُ مِنَ الإنجيل بالعَرَبيَّةِ ما شاءَ اللهُ أنْ يكْتُبَ، وكانَ شيْخًا كبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فقالَتْ لَهُ خدِيجَةُ: أيْ ابْنَ عَمِّي، اسْمعْ من ابنِ أخِيكَ. فقالَ ورَقةُ: ابنَ أَخِي ماذَا تَرَى؟ فأخبَرَهُ النَّبِيءُ ﷺ ما رأَى فقال وَرَقَةُ: هذَا النَّاموسُ الذِي أُنْزِلَ علَى مُوسَى يا لَيْتَنِي فِيها جَذَعًا، ليْتَنِي أكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فقالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: أَوَمُخْرِجِيَّ هُم؟ فقالَ ورَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يأْتِ رَجلٌ قَطُّ بمَا جِئْتَ بِه إلَّا عُودِيَ، وإنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ انْصُرْكَ نَصرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ ورَقَةُ أن تُوُفِّيَ، وفَتَرَ الوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ النَّبيءُ ﷺ حُزنًا غدَا مِنْهُ مِرارًا كيْ يتَرَدَّى مِنْ رُؤُوسِ [146و] شَوَاهِقِ الجبَالِ فكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جبَلٍ لِكَيْ يُلْقِي نفسَهُ منْه تَبَدَّى لَهُ جبْرِيلُ فقَالَ: يَا مُحَمَّد إنَّكَ رسُولُ اللهِ حَقًّا، فيَسْكُنُ لذَلِكَ جَأْشُهُ وتقرُّ نفْسُهُ فيرْجِع، فإذَا طالَتْ علَيْهِ فتْرَةُ الوَحْيِ غدَا لِمِثْلِ ذلِكَ، فإذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لهُ جبْرِيلُ فقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ))**[3].

وعَائشةُ لَمْ تُشَاهِد ذلِكَ؛ لِأنَّها لَمْ تُدرِكْ ذلك الوَقْتَ بَلْ أخْبَرَهَا صحَابِيٌّ، فحَدِيثُها مُرْسَلٌ أو أخْبَرَهَا النَّبيءُ ﷺ واحْتَجَّ بعضٌ لهَذَا بقَوْلِها: قالَ: فأَخَذَنِي فغَطَّنِي مَهَّد لهُ لِلْوَحْيِ بِالرُّؤيَا، ثُمَّ في اليَقَظَةِ بتَسلِيمِ الشَّجَرِ والحَجَرِ.

و"حِراء" بِكَسْرِ الحاءِ والمدِّ والرَّاء مُخَفَّفة، وحُكِيَ الفتْحُ والقَصْرُ، وهوَ لُغَة، وهُوَ مصْرُوفٌ؛ لِأَنَّهُ مكانٌ وجَبَلٌ، فهُوَ مذَكَّرٌ والأَلِفُ لَيْسَتْ للتَّأْنِيثِ، وإذَا مُنِعَ الصَّرفَ فلِتَأْوِيلِ البُقْعَةِ. وبَيْنَهُ وبَيْنَ مكَّةَ نَحْوُ ثلَاثَة أمْيَالٍ عنْ يسَارِ الذَّاهِبِ إلَى مِنىً. وقالَ الخطّابي: "فَتْحُهُ وقَصْرُهُ خَطَأٌ لَا لُغَةٌ"[4][5].

---

(1) سورة العلق: 1.

(2) سورة العلق: 5.

(3) صحيح البخارِي، حدِيث (6982).

(4) غريب الحدِيث، الخطابِي، 240/3.

(5) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية، 391/1.

ويُروَى: "يتَحَنَّفُ" بالفَاءِ أَيْ: يتَّبع الحَنِيفِيَّةَ دِينَ إبرَاهِيم[1]، أوْ أبدل الثَّاء مِنَ الحِنْث فَاءً كجَدَث وجَدَف، وهُوَ يتَعَبَّدُ اللَّيالِيَ والأيَّامَ معَهَا، واقْتَصَرَ على ذِكْرِ اللَّيالي لاسْتِتْبَاعِها الأيَّامَ.

وذَكَر البُخَارِيُّ ومُسْلِم عنهُ ﷺ أنَّهُ قال: ((**جَاوَرْتُ بِحِرَاء شَهْرًا**))[2].

وذَكَرَ ابن إسحاق أنَّهُ شَهْرُ رمَضَانَ ولَمْ يَصِحَّ عنْهُ أكثَرُ مِنْ شَهْرٍ، وروَى بَعْضٌ[3] أنَّهُ جاورَ أرْبَعِينَ يَوْمًا وقالُوا: إنَّ هذا البَعْضَ مَتْرُوكُ الحَدِيثِ[4].

والجُمهورُ علَى أنَّهُ لَمْ يَتَعبَّد قبْلَ البِعْثةِ بِشَرْعِ مَنْ قَبْلَهُ، واختَارَ ابنُ الحَاجِبِ والبيْضَاوِي تَعَبُّدَهُ بِشَرْعِ مَنْ قَبْلَهُ فقِيلَ: آدم، وقِيلَ: نوحٌ، وقِيلَ: إبرَاهِيم، وقِيلَ: موسَى، وقِيلَ: عيسَى، وقِيلَ: بِشَرْعِ مَنْ قبْلَهُ دونَ تَعْيِينٍ، وقِيلَ: بِجَمِيعِ الشَّرائِعِ، ونُسِبَ للْمَالكِيَّة، وقِيلَ: بالْوَقْفِ[5].

والمذْهَبُ أنَّ شَرْعَ مَنْ قبلَنَا لَيْسَ شَرْعًا لنَا، فلَيْسَ شَرْعًا لَهُ ﷺ والأَصْلُ عدَمُ الخصُوصِيَّةِ. وأنَا أظُنُّ أنّ تَعبُّدَهُ ذِكرُ اللهِ بِحَسَبِ ما علَّمَهُ مِنَ الأَذْكارِ مِثْلَ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ والحَمْدُ للهِ وسبْحَانَ اللهِ.

وذَكَرَ بعضُ قَوْمِنَا[6] أَنَّ الخلْوَةَ فيه تعبُّدٌ؛ لأنَّ الانْعِزالَ عنِ النَّاسِ عِبَادَةٌ ولَا سِيَّما مَنْ كانُوا على باطِلٍ، وقالَ ابن المرابط[7] وغَيْرُهُ: يَتَعَبَّدُ بالفِكْرِ وهذَا على قَوْلِ الجُمْهورِ[8].

والمرادُ أنَّهُ يأْخُذُ زادًا لبَعْضِ الشَّهرِ، ثُمَّ ينْفُدُ ويأْخُذُ زادًا آخَرَ لِلَيَالٍ أُخَرَ، وذلِكَ مِقدَارُ الشَّهرِ وكانَ طَعامُهُم غيْرَ كثِيرٍ، وغَالبُ طعَامِهِم اللَّبنُ واللَّحمُ، ولا يدَّخرُ منهمَا كفَايَةَ شَهْرٍ لسُرْعَة فسَادِهِ، ولا سِيَّما أنَّهُ يُطْعِمُ مَن يَرِدُ علَيْهِ.

وإنَّما الانْقِطاعُ الدَّائمُ عن الأَهْلِ ليْسَ مِنَ السُّنَّةِ؛ لأنَّهُ ﷺ لَمْ يَنقَطِعْ بالغَارِ [146ظ] بالكُلِّيَّةِ بلْ قَدْ يرْجِعُ إلَى أهْلِهِ ليَأْنَسُوا ولِضَرُورَتِهِم.

ومعْنَى فَجِئَهُ الحَقُّ: بَغَتَهُ الوَحْيُ وهُوَ حَقٌّ مِنَ اللهِ أوْ رَسُول الحقِّ وهُوَ جِبْرِيلُ عليه السلام، واتَّفقُوا أنَّهُ جاءَهُ في حرَاء ولَمْ يَعْرِفْ أنَّهُ جبْرِيلُ حِينَئِذٍ بلْ بَعدُ بإخبارِ ورَقةَ أو إخبَارِ جِبرِيلَ عليه السلام. واقْرَأْ: أَمْرٌ لِمُجرَّدِ التَّنبيهِ والتَّيقُّظِ لما سيُلقَى إلَيْهِ أو المَعْنَى تَهَيَّأْ للْقِراءَةِ. وقِيلَ: إنَّهُ علَى ظاهِرِهِ وأنَّهُ تَكْلِيفٌ لِمَا

---

(1) (م، س) 392/1، عن سيرة ابن هشام، 235/1.

(2) صحيح البخارِي، حدِيث (4922) وصحيح مسلم، حدِيث (257)، واللفظ لمسلم.

(3) سوَّار بن مصعب كما في شرح المواهِبِ.

(4) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 392/1.

(5) (م، س)، 392/1.

(6) هو الزُّرقاني، كما في شرح المواهبِ.

(7) ابن المرابِط: القاضي أبي عبد الله محمد بن خلف بن سعيد المري، ولي قضاءَ مندة، كانَ من أهل الفِقهِ والفَضلِ والتفنُّنِ، له في شرح البخارِي كتاب كبِيرٌ، رحلَ إليه النَّاسُ وسمِعوا منهُ، توفِّيَ بالمدِينةِ بعد الثَّمانِينَ وأربعمِئة. الديباج، ابن فرحون، 240/2.

(8) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 392/1.

لَا يُطاقُ ولَوْ أطَاقَ بَعْدُ.

وهَلْ سَلَّم قَبْلَ قَوْلِهِ: "اقْرَأْ" استظهر[1] أنَّهُ لَمْ يُسَلِّمْ؛ لِأَنَّ المقْصُودَ تَفْخِيمُ الأَمْرِ وتَهْوِيلُهُ وابْتِدَاءُ السَّلامِ مُتَعلِّقٌ بالبَشَرِ لَا المَلائِكَةِ، وتَسْلِيمُهُم علَى إبْرَاهيمَ لِأَنَّهم كانُوا علَى صورَةِ البَشَرِ فلا يَرِدُ هُنَا، ولا سلامُهُم علَى أَهْلِ الجنَّةِ؛ لأنَّ أُمورَ الآخِرَةِ مغَايِرةٌ لأُمورِ الدُّنيا غالِبًا[2].

نَعَم روَى أبُو دَاوُد أنَّ جبرِيلَ سَلَّمَ أَوَّلًا، لَكِنْ لَمْ يَرِدْ أنَّهُ سَلَّمَ عنْدَ الأَمْرِ بالقِرَاءَةِ[3].

وفِي رِوايَةٍ ((**مَا أُحْسِنُ أَنْ أَقْرَأَ**)) بدَلَ "ما أنَا بِقَارِئٍ"[4].

ومعنَى غطَّنِي: ضَمَّنِي وعَصَرَنِي وروَى الطَّبرِي وابنُ إسحاق: "فغثَّنِي"[5] أَيْ: حَبَسَ نفَسِي، وروَى أبُو دَاوُد:" فأَخَذَ بِحَلقِي"[6].

ومَعْنَى "ما أنَا بِقَارِئ": لَسْتُ مِمَّنْ يَقْرَأُ لِأَنِّي لَمْ أتَعَلَّم القِرَاءَةَ، وإنَّما هيَ بالتَّعلُّمِ ولِذَا كَرَّرَ غَطَّهُ لِيَسْتَفْرِغَ منْهُ البَشَرِيَّة، ويُفْرِغَ فيهِ مِنْ صفاتِ المَلَكِيَّةِ[7].

والغَطُّ ثلاثٌ في الحديثِ، وفي رِوايَةٍ: غَطَّتانِ. وكَرَّرَ الأَمْرَ بالقراءَةِ ثلَاثًا إشَارةً إلى ثَلَاثَةِ القَوْلِ والعَمَل والنِّيَّة، وأَنَّ الوَحْيَ يشْتَمِلُ على ثلاثَة: التَّوحِيدُ والأَحْكَامُ والقَصَصُ[8].

وانْتَزَعَ شُرَيْح القاضي[9] التَّابعيّ، وقِيل: هُوَ صَحَابِيّ مِنَ الحَدِيثِ أن لَا يُضْرَبَ الصَّبِيُّ فوْقَ ثلَاثٍ على القُرآنِ، كمَا غَطَّ جِبريلُ عليه السلام مُحَمَّدا رسُولَ اللهِ ﷺ ثلاثًا[10].

واحْتَجَّ مَن قالَ: البَسمَلَةُ لَيْسَتْ آيَةً مِنْ كُلِّ سورَةٍ بِقوْلِ جبرِيلَ: اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ.

قُلتُ: الجَوَابُ أنَّ مَن رَوَى الحَدِيثَ اكتَفَى بذِكْرِ ما تَمْتَازُ بهِ، كمَا تقُولُ: قَرَأَ "الحَمْدُ للهِ"، وقَرَأَ "كَهَيَعص" وتُرِيدُ مَعَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فكَذَا هُنَا أَرَادَ الرَّاوِي، فالمرَادُ أنَّهُ قَالَ: مَا أنَا بِقَارِئٍ فقَالَ جبريلُ: بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحيمِ، اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ إِلَى مَا لَمْ يَعْلَمْ، ويَفْهَم رَسُولُ اللهِ ﷺ أنَّهُ أمَرَهُ جِبْرِيلُ أَنْ يقُولَ: بسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ إلخ، وهكذَا المَذهَبُ.

---

(1) لعلها الظاهر كما في شرح المواهِبِ.

(2) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية، 393/1.

(3) الطيالِسِي، المسند، حدِيث (1643).

(4) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 393/1.

(5) سيرة ابن هشام، 236/1.

(6) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية، 394/1، ورواية أبِي داود الطيالِسِي فِي المسند، حدِيث (1643).

(7) (م، س)، 394/1.

(8) (م، س)، 394/1.

(9) شريح القاضِي: أَبُو أُمَيَّةَ بنُ الحَارِثِ الكِنْدِيُّ، قِيل له صحبة، ولم يَصِحَّ، حَدَّثَ عن عمر وعلِيّ وعبد الرحمن بن أَبِي بكرٍ، حَدَّثَ عنهُ قَيْسُ بن أَبِي حازِم، والشَّعبِي. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 100/4.

(10) الروض الأنف للسهيلي، 262/2. وشرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 394/1، وفِيه: لا يضرب الصبي إلا ثلاثا على القرآن.

زَعَمَ السُّهيليّ مِنَ المالكيّة أنَّهَا نَزَلَتْ بعدَ ذَلِكَ معَ كُلِّ سورةٍ لَا مِنْهَا[1]، إنْ أرَادَ أنَّها نَزَلَت البَسْمَلة إلَيْهَا بعْدُ، كَمَا نَزَلَتْ مَعَ كُلِّ سورَةٍ قبلَها، ويكُون الحِكمَةُ في تأخِيرِها هنا أنَّهُ أوَّل ما بَدَأَ بالقرَاءَةِ [147و] فكانَ البَدْأُ بها.

وقَدْ ثَبَتَتْ في المُصْحَفِ بإجْمَاعِ الصَّحابةِ، وما ذَكَرَهُ البُخَارِيّ عنْ مُصْحَفِ الحسَنِ البَصْرِيّ شُذُوذٌ. وقال الشّافعيّ: إنَّها آيَةٌ مِنْ كُلِّ سُورةٍ وهُوَ مذْهَبُنا؛ لِأَنَّها تَنْزِلُ أوَّلَ كُلِّ سورَةٍ. فدَعْوَى أنَّها آيَةٌ واحِدَةٌ في جَمِيع القُرآنِ تَنْزِل أَوَّلَ كلِّ سورَةٍ لا دَلِيلَ علَيْهَا، ولَوْ قال بِهَا دَاوُد وأبُو حَنِيفَةَ[2].

والبوادِرُ: جَمْعُ بادِرَة وهِيَ اللّحْمَةُ التِي بَيْنَ العُنُقِ والمَنْكِبَيْن. وفي روَايَةٍ: "يَرْجُفُ فؤَادُهُ". وقالَ: "زمّلونِي" تَعْظِيما لخدِيجَةَ بِخِطَابِ الذُّكورِ، كقولهِ:

وإنْ شِئتُ حَرَّمْتُ النِّسَاءَ سِوَاكُم[3]

وقوله:

وكَمْ ذَكَرْتُكِ لَوْ أُجْزَى بِذِكْرِكُمُ[4]

وفي رِوَايَةٍ: "خَشِيتُ علَى نَفْسِي" بَدَلَ "خَشِيتُ عَلَيَّ". وفِي رِوايَةٍ فقالَتْ: "مَعَاذَ اللهِ بدَلَ "فقالَتْ: "كَلَّا". واتّفقَ أنَّها قالَتْ: "كَلَّا" فنَزَلَتْ لفْظَةُ "كَلَّا" بعْدَ ذلكَ فِي السُّورَةِ. ومعْنَى أَبْشِرْ: أبْشِرْ بِخَيْرٍ أو بِأنَّكَ رسُولُ اللهِ. ويُرْوَى: "لَا يُحْزِنْكَ" بدَلَ "لَا يُخْزِيكَ". ومَعْنَى وَصْلُهُ الرَّحِمَ: وصْلُهَا بِالمَالِ والخِدْمَةِ والزِّيارةِ والسَّلامِ. والكَلُّ: بفَتْحِ الكَافِ مَنْ لا يَسْتَقِلُّ بأَمْرِهِ، أو المنْقَطِعُ. ويَدْخُلُ في حَمْلِ الْكَلِّ الإنْفَاقُ علَى الضَّعيفِ واليَتِيمِ والعِيالِ، مِنَ الكَلالِ وهُوَ الإعْيَاءُ[5]. ومَعْنَى تكْسِبُ المعْدُوم، بفَتْحٍ علَى الأَشْهَرِ، وقَدْ تُضمُّ، تعْطِي النَّاسَ ما لَا يَجِدُونهُ عندَ غَيْرِكَ، يُقَالُ: كَسَبْتُ الرَّجُلَ مَالًا، كمَا يُقالُ: أَكْسَبْتُهُ مَالًا، أوْ تَكْسِبُ ما يَعْجِزُ عنْهُ غَيْرُكَ؛ أيْ: فتَجُودُ بِهِ. وقَالَ الخطَّابِي: الصَّوابُ أن يقُولُوا: المُعْدِم بِضَمّ المِيمِ وكَسْرِ الدَّالِ[6]، وهُوَ مَن لَا مَالَ لَهُ. ونَوائِبُ الحَقّ: حوَادِثُ الدَّهرِ التِي هِيَ حَقٌّ، بمَعْنَى أنَّهُ لا يُعِينُ على الجُورِ.

ورُوِيَ أنَّهَا أتَتْ غلامًا لعتبة بن ربيعة، نَصْرَانِيًّا مِنْ أهْلِ نيْنوى يُقالُ لَهُ: عدّاس، بشَدِّ الدَّالِ فقَالَتْ

(1) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 394/1، نقلا من الروض، السهيلي، 260/2.

(2) هذه الأقوال في شرح المواهب، الزرقاني، 394/1، عن السهيلي، في الروض، 260/2.

(3) شطر من بيت من الطويل للعَرْجِي عجزه: وإنْ شِئْتُ لم أطْعَمْ نُقاخا ولابَرْدا

الصحاح، الجوهري (نقخ)، والحيوان، الجاحِظ، 22/5، دون نسبة.

(4) شطر من بيت من البسِيط، وجدته برواية: كم قد ذكرتك لَو أجزى بذكركم ... يَا أشبَهَ النَّاسِ كلِّ النَّاس بالقَمَرِ

لعمر بن ربيعةَ. الأمالي، القالي، 239/1.

(5) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية، 396/1.

(6) أعلام الحدِيث، الخطّابِي، 129/1.

لهُ: أنْشِدُكَ اللهَ أَلَا مَا أخْبَرْتَنِي هَلْ عنْدَكُم علمٌ مِنْ جبرِيلَ؟ فقال عَدَّاسُ: قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ، يا سَيِّدةَ نساءِ قُرَيْش، ما شَأنُ جبرِيلَ يُذْكَرُ بهذِهِ الأرْضِ التي أهْلُهَا أهْلُ أوْثَانٍ؟ فقَالتْ: أَخْبِرْنِي بِعِلْمِكَ فيهِ، قال: هو أَمينُ اللهِ بيْنَهُ وبَيْنَ النَّبِيئِينَ وهُوَ صاحبُ موسَى وعِيسَى فرَجَعَتْ مِن عِندِهِ[1].

ثُمَّ انطَلَقَتْ بهِ ﷺ حتَّى أتَتْ بهِ ورَقَةَ، وكان كارِهًا لعبَادَةِ الأوْثَانِ، فخرَجَ إلَى الشَّامِ يَسْألُ عن الدِّين فأعْجَبَه النَّصرانيَّة، لَعَلَّه لقِيَ مَن بقِيَ مِنَ الرُّهبانِ على دِينِ عيسَى، وكان يكْتُبُ بالْعَرَبيَّةِ والعِبْرَانيَّة لسانًا وحُرُوفًا، ولَيْسَ الإِنْجِيلُ عِبْرَانيًّا على المشْهُورِ، وقال التَّيْمِي[2]: هُوَ عِبْرَانِي والتَّوراةُ عِبْرَانِيَّة والإِنْجِيلُ سُرْيَانِيّ. وقال ابنُ عبْدِ البَرّ: إنَّهُ تَهَوَّدَ ثمَّ تنصَّرَ، وإنَّما ذَكَرَ الكتابَةَ دونَ الحِفْظِ لأنَّ التَّوراةَ والإنجِيلَ لا يَتَيَسَّران للْحِفْظِ[3].

وإنَّما سَمَّتْ رسولَ اللهِ [147ظ] ﷺ ابنْ أخِي ورَقَةَ؛ لأنَّ الأبَ الثَّالثَ لِورَقة هُوَ عبد العزّى، وهُوَ الأَخُ لِلْأَبِ الرَّابع لِلْمُصْطَفَى ﷺ وهو عبْدُ مَنَاف، كأَنَّها قالَتْ: مِنْ ابنِ أخِي جدِّكَ، فهُو مجازٌ بالحذفِ، أو لأَنَّ والدَ رسولِ اللهِ ﷺ عبْدَ الله في عَدَدِ النَّسَبِ إلى قُصَيّ الذي يَجْتَمِعانِ فيهِ سوَاءٌ، فكانَ مِنْ هذِهِ الحَيْثِيَّة في دَرَجَةِ إخْوَتِهِ، أو قَالَتْهُ على سَبِيلِ التَّوقِيرِ لِسِنِّهِ[4].

والنَّاموسُ: صاحِبُ السِّرِّ مُطْلَقًا عنْدَ الجُمهُورِ وهُوَ الصَّحيحُ، وقِيلَ: لا يُطْلَقُ إلَّا عَلَى سِرِّ الخَيْرِ، وأمَّا صاحبُ الشَّرِّ فجَاسُوسٌ. وقال ابنُ دُرَيْد: النَّاموسُ صاحِبُ سرِّ الوَحْيِ والمرادُ جِبْرِيلُ، وأهْلُ الكتابِ يُسَمُّونه النَّامُوسُ الأَكْبَرُ[5].

وقال وَرَقَةُ: الذِي يأْتِيكَ هوَ الذِي أُنْزِلَ على موسَى، ولَمْ يَقُلْ علَى عِيسَى معَ أنَّهُ نَصْرَانِيّ تَحْقيقًا للرِّسالةِ؛ لأنَّ نزولَ جبْرِيلَ علَى موسَى متَّفَقٌ علَيْهِ عنْدَ أهْلِ التَّوراةِ والإنجِيلِ، بخِلَافِ عِيسَى فَكَثِيرٌ مِنَ اليهودِ يُنْكِرُ نبوءَتهُ. أو لاشْتِمالِ كتابِ موسَى على أَكْثَرِ الأَحْكامِ، ككِتَابِ نَبِيئِنا مُحَمَّد، بِخِلَافِ الإنجيل فأَمْثَالٌ ومواعِظُ. أو لِأَنَّ النَّصارَى يتَّبِعونَ أحكامَ التَّوراةِ ويَرْجِعُون إليها، أَوْ لِأَنَّ موسَى بُعِثَ بالنِّقْمَةِ علَى فرْعَوْنَ وأَتبَاعِهِ بِخِلافِ عيسَى، وكذلكَ وَقَعَت النِّقمَةُ علَى يَدِهِ ﷺ لفِرْعَوْنَ هذِهِ الأُمَّة أبي جهل ومَنْ مَعهُ ببدر[6].

---

(1) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية، 397/1، رواية عن موسى بن عقبة وغيره.

(2) التيمي: سُلَيْمَانَ بنِ طَرْخَانَ التَّيْمِيُّ، نُسِبَ إِلَى تَيْمٍ؛ لِنُزُولِهِ فِيْهِم، حَدَّثَ عَنْ: أنس بن مالك وطاووس، حدَّث عنه ابنه المعتمر وسفيان وشعبة، ت:143هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبي، 195/6.

(3) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية، 397/1، بتصَرُّف.

(4) (م، س)، 398/1.

(5) (م، س)، 399/1.

(6) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية، 399/1.

وقالَ السُّهيْلِيّ: لَمْ يَذْكُرْ عِيسَى لأَنَّهُ عنْدَهُ أحَدُ الأَقَانيمِ[1] واستَبْعَد غَيْره[2] وجَعَلَهُ مُحَالًا في حَقِّ ورَقَةَ وأشبَاهِهِ وأنَّهُ لَمْ يدْخُلْ في كُفرِ النَّصارَى. وفي لَفْظِ الزّبير بن بكّار: النَّاموسُ الذِي يأْتِي عيسَى، إلَّا أنّهُ لا يَصِحُّ[3].

نَعَمْ روَى أبو نُعَيْم بسَنَدٍ حسَنٍ عِنْدَهُمْ: أَنَّ خدِيجَةَ أَتَتْ ابنَ عمّها ورَقَةَ فأخْبَرَتْهُ الخَبَرَ فقالَ: إنْ كُنْتِ صَدَقْتِنِي إنَّهُ ليَأْتِيهِ نامُوسُ عِيسَى الذِي لا يُعَلِّمُهُ بنو إسرائيل أبناءَهُم، فعَلَى هَذَا فكَانَ ورَقَةُ يقُولُ: تارَةً "نامُوسُ موسَى" وتارةً يقولُ "نَاموسُ عِيسَى" فعِنْدَ إخْبَارِ خدِيجَةَ لَهُ بالقِصَّةِ قال: ناموسُ عيسَى بِحَسَبِ ما هُوَ فيهِ مِنَ النَّصرانيَّةِ وعنْدَ إخْبَارِ النَّبيءِ ﷺ قال لَهُ: نامُوسُ مُوسَى[4].

و"الجَذَعُ" بفَتْح الجِيمِ والذَّال المعْجَمَةِ: الشَّابُّ، وقالَ ابن برّي[5]: المشْهُورُ عنْدَ أهْلِ اللُّغةِ والحَدِيثِ إسْكَانُ الذَّالِ[6].

والهَمْزَةُ في "أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟" داخِلَةٌ علَى جُمْلةٍ محْذُوفَةٍ معْطُوفٌ علَيْهَا بالوَاوِ أيْ: أَمُعَادِيَّ هُمْ ومُخْرِجِي هُمْ؟ عندَ الزَّمخشرِي وجَمَاعَة، وقالَ سيبويه والجُمْهُورُ: الهَمْزَةُ مِنْ جُمْلةِ مَا بَعْدَ الوَاوِ قُدِّمَتْ علَى العاطِفِ لِكَمَالِ صَدْرِيَّتِها، وعلَيْهِ فالعَطْفُ علَى كلَامٍ ورَقَةَ، وهُوَ عطْفُ إنْشَاءٍ علَى خَبَرٍ، ولا بَأْسَ لِوُرُودِهِ فَصِيحًا [148و] وأَصْلُ مُخْرِجِيَّ: مُخْرِجُويَ قُلِبَتْ واوُ الرَّفْعِ فِي جَمْعِ المذَّكَرِ السَّالِمِ يَاءً وأُدْغِمَتْ فِي ياءِ الإضَافَةِ وكُسِرَ ما قَبْلَهَا.

وذَكَرَ عبيْد بن عمَيْر[7] أَنَّهُ قَالَ ورَقَةُ لهُ ﷺ: "لتُكَذِّبنَّهْ ولَتُؤْذينَّهْ ولَتُقَاتِلنَّهْ"[8] بالبِناءِ لِلْمَفعُولِ وهَاء السَّكْتِ[9]. قُلْتُ: أقَالَ لهُ ذلِكَ ولَمْ ينْزَعِجْ، ولـمَّا أخْبَرَهُ بالإخْرَاجِ قالَ: "أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟"؛ لأَنَّ مفَارَقَةَ الوَطَنِ على النَّفسِ شَدِيدَةٌ.

ومعنَى "لَمْ يَنْشَبْ أنْ تُوُفِيَّ": لَمْ يتَعَلَّقْ بِأَمْرٍ مِن الأُمورِ متَعَدِّيًا عن المَوْتِ؛ أيْ: لَمْ يتَأَخَّرْ مَوْتُهُ

---

(1) الروض الأنف، السهيلي، 267/2.

(2) هو الحافظ ابن حجر، كما في شرح المواهب.

(3) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية، 399/1، وفتح الباري، ابن حجر، 26/1.

(4) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 399/1.

(5) عبد الله بن بري بن عبد الْجَبَّار النَّحْوِيّ اللّغَوِيّ، قَرَأَ كتاب سِيبَوَيْهِ على مُحَمَّد ابْن عبد الْملك الشنتريني، وتصدر للإقراء وقَرَأَ على الْجُزُوليّ، من مؤلفاته: اللّبَاب فِي الرَّد على ابْن الخشاب فِي رده على الحريري فِي درة الغواص، الرَّد على الحريري فِي درة الغواص، حواش على الصِّحَاح، ت:582هـ. بغية الوعاة، السيوطِي، 34/2.

(6) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 400/1.

(7) عبيد بن عمير: الواعظ المفسِّرُ، ولد في حياة رسول الله ﷺ حدث عن أبيه وعن عمر بن الخطابِ، وحدَّث عنهُ ابنه عبد الله وعمرو بن دينار وكان من ثقاة التابعِين بمكة، ت:74هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 156/4.

(8) البداية والنهاية، ابن كثِير، 31/4.

(9) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 401/1.

إِلَى ظهُورِ أَمْرِ النُّبوءَةِ. لكِنْ ذَكَرَ ابن إسحاق أنَّ ورقَةَ كانَ يَمُرُّ بِبِلَال يُعَذَّبُ، وهُوَ صرِيحٌ في حيَاتِهِ إِلَى ظهُورِ أَمْرِ الوَحْيِ والنُّبوءَةِ، ودُخُولِ بَعْضِ النَّاسِ في الإِسْلامِ، ويُجْمَعُ بأنَّ المرَادَ مَاتَ قَبْلَ اشْتِهَارِ الإِسْلَامِ، والأَمْرِ بالجِهَادِ.

وذَكَرَ حُسَيْنُ بنُ مُحَمَّد أنَّهُ مَاتَ فِي السَّنةِ الثَّالثةِ مِنَ النُّبوءَةِ، وقِيل الرَّابِعَة[1] وقَالَ الوَاقِدِي: مَاتَ بعْدَ الهِجْرةِ مقْتُولًا ببِلَادِ لَخْمٍ وجُذَام قِيلَ: وهُوَ غَلَطٌ؛ لأنَّ قبْرَهُ بِمَكَّةَ[2].

ولَعَلَّهُ لا يَصِحُّ أنَّهُ يَذْهَبُ إلى أعَالِي الجِبَالِ ليُلْقِيَ نفْسَهُ منْهَا حُزْنًا علَى انقِطاعِ الوَحْيِ حِينَ انْقَطَعَ إلَّا أنَّهُ ثَبَتَ فِي الكُتُبِ الصِّحاحِ.

وفي بَعْضِها وهو كِتَابُ ابن سعد: عن ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عنْهُمَا: مَكَثَ أيَّامًا بَعْدَ مَجِيءِ الوَحْيِ لا يَرَى جِبرِيلَ عليه السلام، فحَزِنَ حُزْنًا شَدِيدًا حتَّى كانَ يَغْدُو إلَى ثَبِير مَرَّةً وإلَى حِرَاء أُخرَى يرِيدُ أن يُلْقِي نفْسَهُ[3]. الجوَابُ أنَّهُ أَشْفَقَ أنْ تكُونَ فَتْرَةُ الوَحْيِ لِأَمْرٍ منْهُ فعُوقِبَ بِذَلكَ فذَهلَ عقْلُهُ لِذَلِكَ.

قِيلَ: ولَمْ يَرِدْ شَرْعٌ بالنَّهيِ عنْ قَتْلِ الإنسانِ نَفْسَهُ[4]. قلْتُ: هذَا لَا يُقْبَلُ لأنَّه مِمَّا يُعلَم بالعَقْلِ تَحْرِيمُهُ وأنَّهُ مِن مَسَاوِئِ الأخْلَاقِ. وقِيلَ: فعَلَ ذلِكَ لِضيقِ قلْبِهِ بتكذيبِ قومِهِ لَهُ حَتَّى صَارَ كالوَلهَانِ.

وقِيلَ: حَزِنَ على ما فَاتَهُ مِنْ بِشَارَةِ ورَقَةَ ولَمْ يُخَاطَبْ عنِ اللهِ بأنَّهُ رَسُولُ اللهِ ومبْعُوثٌ إلى عبَادِهِ. ويُبْحَثُ بأنَّ في مُرْسَلِ عُبَيْد بنِ عُمَيْر عن ابن إسحاق أنَّهُ نادَاهُ: أنْتَ رسُولُ اللهِ وأَنَا جبْرِيلُ، بعْدَ الغَطِّ وقَبْلَ أن يَأْتِيَ إلَى خَدِيجَةَ[5].

وفي كِتَابِ ابنِ سعْد عن ابْنِ عَبَّاس: بيْنَمَا هُو عامِدٌ لبَعْضِ تِلْكَ الجِبَالِ، إِذْ سَمِعَ صَوْتًا فوَقَفَ فَزِعًا ثُمَّ رَفَعَ رأْسَهُ، فإِذَا جِبْرِيلُ علَى كُرْسِيّ بيْنَ السَّماءِ والأَرْضِ مُتَرَبِّعًا يقولُ: يا مُحَمَّدُ أنْتَ رَسُولُ اللهِ حَقًّا وأنَا جِبْرِيلُ[6].

وفي قَوْلِهِ: ((**خَشِيتُ علَى نَفْسِي**)) إِشْكَالٌ فقَالَ أبُو بَكْر أَحْمَدُ بنُ إِبْرَاهِيم الإِسْمَاعِيلِي الجُرْجَانِيّ[7]: هُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ ولَا ضَيْرَ فِيهِ؛ لِجَوَازِ أنَّ هذِهِ الخَشْيَةَ قَبْلَ أنْ يَحْصُلَ لَهُ العِلْمُ الضَّروريُّ بِأَنَّ الذِي جَاءَهُ مَلَكٌ مِن عنْدِ اللهِ [148ظ] وأَشَقُّ شَيْءٍ علَيْهِ أنْ يُقَالَ: مَجْنُونٌ، يَكْرَهُ ذلِكَ في

(1) تاريخ الخمِيس، الدِّيار بكرِي، 287/1.

(2) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 402/1.

(3) الطبقات الكبِير، ابن سعد، 166/1.

(4) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 402/1.

(5) (م، س) 402/1.

(6) (م، س) 402/1، والطبقات الكبِير، ابن سعْد، 166/1.

(7) أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بنُ إِبْرَاهِيم الجُرْجاني الإسماعيليّ الشّافِعيّ، شيخُ الشّافعيّة، أخذ عن الحسَن بن سفيان وأبِي يعلَى الموصِلِي وابن خزيمة، وحَدَّثَ عنهُ أبو سعِيد النّقّاش وغيرهُ، صنَّفَ تصانِيف منها: مسند عمر، المستخرج على الصحِيحَيْنِ، ت713هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 292/16.

نفسِهِ ولـمَّا يقُولُوهُ وسيقُولُونهُ إذا دعَاهُم إلى الإيمانِ، أو عَلِمَ بنُورٍ أوْدَعَهُ اللهُ في قلبِهِ أنَّهُ يُقالُ علَيْهِ بَعْدُ[1].

وذَكَرَ بعضٌ أنَّهُ خشِيَ الجنونَ، وأن يكونَ ما جاءَ بِهِ من جِنسِ الكهانةِ، قال ابنُ العَرَبِيّ: وهذَا القَوْلُ بَاطِلٌ[2].

قال السُّهيْلِيّ: لَمْ يَرَ الإسماعليّ أنَّ هذا مُحَالٌ في مبْدَأ الأَمرِ؛ لأنَّ العِلْمَ الضَّروريَّ لا يحصُلُ دُفْعَةً واحِدَةً وضَرَبَ مثلًا بِبيْتِ شِعْرٍ تسمَعُ أوَّلَهُ ولا تَدْرِي أَنَظْمٌ هوَ أم نثْرٌ، فإذا استَمَرَّ الإنشادُ علِمْتَ قَطْعًا أنَّهُ قصَدَ به الشِّعْر، كذلك لـمَّا استمرَّ الوَحْيُ واقْتَرَنَتْ بهِ القرائِنُ المقْتَضِيَةُ للعِلْمِ القَطْعِيّ عَلِمَ أنَّهُ مِن اللهِ، وقَدْ أثْنَى اللهُ علَيهِ بهذا العِلمِ فقال: ﴿ ـامَنَ ٱلرَّسُولُ ﴾ إلى قولِهِ: ﴿ وَرُسُلِهِۦ ﴾[3] وقِيلَ: إنَّ خَشْيَتهُ مِنْ قوْمِهِ أن يقْتُلوهُ، مع أنَّهُ موقِنٌ بأنَّ ذَلِكَ وَحْيٌ مِنَ اللهِ ولكنَّهُ يَخْشَى الأذَى لأنَّهُ بشَرٌ، لكن يهوّنُ علَيْهِ الصَّبرُ في ذاتِ اللهِ كُلَّ خَشيَةٍ ويَجْلبُ إلى قلْبِهِ كُلَّ شجاعةٍ[4].

وقِيلَ: خشِيَ الموتَ مِن شدَّةِ الرُّعبِ وقيلَ خشِيَ تعيِيرَهُم، واختارَهُ ابنُ حجَر وقال: هو أَسْلَمُ مِنَ الاعتِرَاضِ والارْتِيَابِ[5].

وقيلَ: خَشِيَ المرضَ، وجَزَمَ بِهِ ابن أبي جمرة وقيلَ: خَشِيَ دوامَ المرضِ وقيلَ: خافَ الْعَجْزَ عن رُؤيةِ المَلَكِ مِنَ الرُّعبِ وقِيلَ: خافَ مفَارَقَةَ الوَطَنِ وقيلَ: خافَ عدَمَ الصَّبرِ على أذَى قومِهِ، وقيلَ: خافَ تَكْذِيبَهُم وقِيلَ: خافَ مقَاوَمَةَ هذَا الأَمْرِ، وحَمْلَ أعْبَاءِ النُّبوءَةِ أن تَزْهَقَ نفسُهُ أو ينْخَلِعَ قلبُهُ؛ لشِدَّةِ ما لَقِيَهُ أوَّلًا عند لقَاءِ المَلَكِ. وقيلَ: إنَّ ذلكَ خاطِرُ خَوْفٍ زالَ فِي حِينِهِ واعْتُرِضَ بأنَّهُ استَقرَّ وحَصَلَت المرَاجَعَةُ فيهِ. وقال عياض: هذَا أَوّلَ ما رأَى التَّباشِيرَ في النَّومِ واليقَظَةِ وسَمِعَ الصَّوتَ قبْلَ لِقاءِ الملَكِ وتَحَقُّقِ رسَالَةِ رَبِّهِ، وأمَّا بعدَ أنْ جَاءَهُ بالرِّسالةِ فلا يجوزُ علَيْهِ الشَّكُّ، واعتُرِضَ بأنَّهُ خلافُ صَرِيحِ الحَدِيثِ بأَنَّ هذَا بعْدَ الغَطِّ، وقَوْلِهِ: "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ" وأجِيبَ بأَنَّ مُرَادَهُ إخْبَارُهَا لِمَا حَصَلَ لهُ لا أنَّهُ خافَ حالَ الإخْبَارِ[6].

قال السُّهيليّ: لـمَّا قالَ لَهُ ثلاثًا: ما أنَا بِقَارِئٍ قال: "اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ" أيْ: لَا بِقُوَّتكَ ولَا بِمَعْرفَتِكَ، بلْ بِحَوْلِ ربِّكَ وإعانَتِهِ، فهُوَ يُعلِّمُكَ كما خلقَكَ، ونَزَعَ عَلَقَ الدّمِ ومَغْمزَ الشَّيطانِ مِنْكَ في الصِّغَر،

(1) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 403/1.
(2) (م، س) 402/1، عن ابن حجر، فتح البارِي، 24/1.
(3) سورة البقرة: 285.
(4) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 404/1، عن السهيلي، الروض الأنف، 270/2.
(5) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 404/1، عن ابن حجر، فتح البارِي، 24/1.
(6) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 404/1.

بعد ما خَلَقَهُ فِيكَ، كما خلَقَهُ في كُلِّ إِنْسَانٍ. فالآيَتَانِ المتقَدِّمتَانِ لِسَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ والأُخْرَيَانِ لأُمَّتِهِ وهُمَا: ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿4﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿5﴾ ﴾[1] لأنَّها كانت أُمَّةً أُمِّيَّةً لا تكتُبُ، فصارُوا أهْلَ كِتابٍ وأصْحَابَ قَلَمٍ فتعَلَّمُوا [149و] القرآنَ بالقَلَمِ وتعَلَّمهُ نبيئُهُم تَلَقِّيًا مِنْ جبْرِيلَ علَيْهِما السَّلامُ[2].

وإِنَّما ابْتُدِئَ ﷺ بالرُّؤيَا لِئَلَّا يَفْجأَهُ المَلَكُ ويأْتِيهِ صَرِيحُ النُّبوءَةِ بَغْتةً، فلَا يَحْتَمِلُهَا قِوَى البشَرِ، فبُدِئَ بأوائِلِ خِصَالِ النُّبوءَةِ وتباشِيرِ الكَرَامَةِ[3].

وفي مُرسَلِ عُبَيْد بنِ عُمَيْر: ((**جَاءَنِي جبْرِيلُ وأنَا نَائِمٌ بِنمطٍ مِنْ دِيبَاجٍ فِيهِ كِتَابٌ، فقال: اقْرَأْ، قُلتُ: ما أَقْرَأُ؟ قَالَ: فَغَتَّنِي حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ**، وذَكَرَ أنَّهُ فعل بهِ ذلكَ ثلاثَ مرَّاتٍ وهُوَ يقُولُ: مَا **أَقْرَأُ؟ ما أَقُولُ ذلِكَ إِلَّا افتِدَاءً مِنْهُ أنْ يعُودَ لِي بِمِثْلِ ما صَنَعَ، فقال:** ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾[4] إلى قولِهِ ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿5﴾ ﴾[5] **فقَرَأْتُها ثُمَّ انْصَرَف عَنِّي، وهَبَبْتُ مِن نَوْمِي فكأَنَّما كُتِبَ فِي قَلْبِي كِتَابًا**))[6].

وذَكَرَ بعْضُ المفسِّرينَ أنَّ الإشارةَ فِي قوْلِهِ تعالَى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ ﴾[7] إلى ذلكَ الكتَابِ الذِي جاءَ بِهِ جِبْرِيلُ[8].

ومَعْنَى: "ما أنَا بِقَارِئٍ" في المَوَاضِعِ الثَّلاثةِ نَفْيُ القِرَاءَةِ. وقال أبو شامة[9]: الأَوَّلُ امْتِنَاعٌ والثَّانِي نَفْيٌ مَحْضٌ، والثَّالِثُ اسْتِفْهَامٌ كأَنَّهُ قال: أَيَّ شَيْءٍ أَقْرَأُ؟ ويدُلُّ لهُ رِوايَةُ: كيْفَ أَقْرَأُ؟ وماذَا أَقْرَأ؟ وفيه زِيَادَةُ البَاءِ في خَبَرِ المُبْتَدَأ المُثْبَتِ[10].

والحِكْمَةُ في الغَطِّ ثلَاثًا شُغْلُهُ عن الالْتِفَاتِ لِشيْءٍ آخَرَ، وإظهارُهُ الشِّدَّةَ والجِدَّ في الأَمْرِ وأَنْ يأْخُذَ الكتَابَ بِقُوَّةٍ تنبِيهًا علَى ثقْلِ القرآنِ الذِي سيُلقَى إِلَيْهِ فإِنَّهُ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّكالِيفِ ثقيلٌ علَى المُكَلَّفِينَ ولا سِيَّما النَّبِيءُ ﷺ فإِنَّهُ كان يتَحَمَّلُها ويُحَمِّلُها أُمَّتَهُ[11].

---

(1) سورة العلق: 4-5.

(2 السهيلِي، الروض الأنف، 259/2-260.

(3) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 405/1، عن القاضِي عياض.

(4) سورة العلق: 1.

(5) سورة العلق: 5.

(6) عن ابن إسحاق، سيرة ابن هشام، 236/1.

(7) سورة البقرة: 2.

(8) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 405/1، عن السهيلِي، الروض الأنف، 259/2.

(9) أبو القاسِم عبد الرحمن بن إسماعِيل، نحوِي مقرِئ ت:665هـ.

(10) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 405/1-406.

(11) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 406/1، عن البيْضاوِي.

وقِيلَ: حِكْمَة الْغَطِّ ثَلاثًا إبْعَادُ التَّخَيُّلِ والوَسْوَاسِ. وعن عمرو بن شُرحْبيل أَنَّهُ ﷺ قالَ لِخَدِيجَةَ: ((**إنِّي إذَا خَلَوْتُ وَحْدِي سمِعْتُ نِداءً، وقَدْ خَشِيتُ واللهِ أنْ يكُونَ [لِهَذا أَمْرٌ]**[1]، **قالَتْ: مَعَاذَ اللهِ ما كَانَ اللهُ لِيَفْعَلَ بِكَ ذَلِكَ، إنَّكَ لتُؤَدِّي الأمانَةَ وتَصِلُ الرَّحِمَ وتَصْدُقُ الحَدِيثَ**))[2] ولمَّا وَقَعَ الغَطُّ ثلاثًا عَلِمَ أَنَّهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ فاطمَأَنَّ، وقيل: الغَطَّةُ الأُولَى لِلتَّخلِّي عن الدُّنيا، والثَّانيةُ لِمَا يُوحِي إِلَيْهِ والثَّالثةُ للمُؤَانَسَةِ. وقِيلَ: إشَارَة إلَى الشَّدائدِ الثَّلاثِ: الحَصْرُ في الشِّعْبِ وخُرُوجهُ للْهِجْرَة ومَا وَقَعَ لهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وفي الإِرْسَالاتِ الثَّلاثِ إشَارَةٌ إلى حصُولِ الفَرَجِ والتَّيْسِير له عَقِبَ الثَّلاثِ، أو في الدُّنيا والبَرْزَخِ والآخِرةِ. وقِيلَ: للْمُبالَغَةِ في التَّنبِيهِ، فينْبَغِي للْمُعَلِّم الاحْتِيَاطُ في تنبِيه المتعلِّمِ وأمْرِهِ بإحْضَارِ قلْبِهِ. وعَرَفَ النَّبيءُ ﷺ أنَّ جبريلَ مَلَكٌ مِنَ اللهِ لا جِنِّيّ لِوَجْهَيْن الأوَّلُ: لأنَّ اللهَ ﷻ أَظْهَرَ علَى يَدَيْ جبْرِيلَ عليه السلام مُعجِزاتٍ عُرِفَ بِهَا ولَمْ تُذْكَرْ؛ لأَنَّها مِمَّا لا تُحِيطُ بِهِ عقولُنا، أوْ لَا يتَعَلَّقُ لنَا بِهَا غَرَضٌ، كمَا أظْهَرَ اللهُ سبحَانَهُ على يَدَيْ سَيِّدِنا محمَّد ﷺ معْجِزاتٍ [149ظ] عرَفْنَاهُ بِها. الثَّانِي: أَنَّ اللهَ ﷻ خلَقَ في رَسُولِ اللهِ ﷺ عِلْمًا ضَرُوريًّا أنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام من عنْدِ اللهِ مَلَكٌ لا جِنِيّ ولَا إِنْسِيّ[3].

قالَ عبدُ الملِكِ بنُ عبدِ اللهِ بن أَبِي سُفيَانَ [بن][4] العَلَاء بنِ جَارِيَةَ الثَّقَفِي عنْ بَعْضِ أَهْلِ العِلْمِ: ((أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ أرَادَ اللهُ كَرَامَتَهُ وابْتَدَاءَهُ بِالنُّبوءَةِ، كانَ لَا يَمُرُّ بِحَجَرٍ ولا شَجَرٍ إلَّا سَلَّمَ علَيْهِ وسَمِعَ مِنْهُ[5] [فيَلْتَفِتُ رسولُ اللهِ ﷺ خَلْفَهُ وعنْ يَمِينِهِ وعَنْ شِمالِهِ فلَا يَرَى إلَّا الشَّجَرَ وما حَوْلَهُ مِنَ الحِجَارَةِ، وهِيَ تُحَيِّيهِ بتَحِيَّةِ النُّبوءَةِ: السَّلامُ علَيْكَ يا رَسُولَ اللهِ))][6] الحَدِيث.

وذَكَرَ السَّمعَ لأَنَّهُ قَدْ يكونُ السَّلامُ مِنْ شَيْءٍ بلَا سَمَاعٍ.

وكانَ ابْتِداءُ ذلِكَ قبْلَ النُّبوءَةِ بسَنَتَيْنِ علَى ما رَوَاهُ ابنُ الجَوْزِي عن ابْنِ عبَّاس، قالَ: ((**أقامَ ﷺ بِمَكَّةَ خَمْسَ عشْرَةَ سَنَةً، سبْعًا يرَى الضّوءَ والنُّورَ ويَسْمَعُ الصَّوْتَ، وثَمَان سِنِينَ يُوحَى إِلَيْهِ**))[7][8].

قُلتُ: تَقَدَّمَ أَنَّهُ فتَرَ عَنْهُ الوَحْيُ بعْدَ بَدْئِهِ بِـ: "اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ" كانَ أَوَّلُ وتَمَّتْ سَنَةٌ وسنَتَانِ بعْدَهُ، وهذَا كَمَا قِيلَ: لَعَلَّهُ أَلْحَقَ سَنَتَيْن مِن ابْتِدَاءِ العَشْرِ بِمَا قَبْلَها لِعَدَمِ ظهُورِ الدَّعْوَة فِيهِما كُلَّ الظُّهُورِ.

---

(1) في تاريخ دمشق: هذا أمرا.

(2) تاريخ دمشق، ابن عساكِر، 7/63.

(3) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 1/406-407.

(4) إضافة من دلائل النبوة وتاريخ الإسلام.

(5) ينتهِي الحدِيث هنا في تاريخ الإسلام، الذهبِي، 1/540.

(6) العبارة أضافها المؤلِّف على الهامِشِ، ينظر: دلائل النبوة، البيهقي، 2/146، والمواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 1/200، والخصائص الكبرَى، السيوطِي، 1/234.

(7) ورد بلفظ قرِيب: صحيح مسلم، حدِيث (123) والسنن الكبرى، البيهقِي، حدِيث (12166).

(8) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 1/408.

ومثْلُهُ قوْلُ الزّرقانِيّ عن الخازن[1]: إنْ صَحَّ ذلكَ عن ابْنِ عَبَّاس يُحْمَلُ علَى سَنَتَيْنِ قبْلَ النُّبوءةِ فيمَا كانَ يَرَاهُ مِنْ تباشِيرِها، وثلَاثِ سنِينَ بعْدَها قَبلَ إظْهَارِ الدَّعْوَةِ، وعَشْرِ سِنين مُعْلِنٌ بالدَّعوَةِ بِمَكَّة[2]،وإلَّا نَافَى قَوْلَهُ: "ثَمَان سِنينَ".

واسْتَمَرَّ ذلِكَ بَعْدَ النُّبوءَةِ وما قَبْلَها أَكْثَر، قال السُّهَيْلِيّ: الأظْهَرُ أنَّهما نطَقَتَا بذلِكَ حَقِيقةً وليسَت الحَيَاةُ والعِلْمُ والإرَادَةُ شَرْطًا لهُ؛ لِأَنَّهُ صَوْتٌ وهُوَ عَرَضٌ عنْدَ الأَكْثَرِ لا جِسْمٌ كمَا زَعَمَ النَّظَّام، وإنْ قُدِّرَ الكَلامُ صِفَةً قائِمَةً بنَفْسِ الشَّجَرِ والحَجَرِ فلَا بُدَّ مِنْ شَرْطِ الحيَاةِ والعِلْمِ معَ الكَلامِ فيكونَانِ مؤمِنَيْن بهِ ﷺ ولا يُسَمَّى مُعْجِزًا إلَّا مَا تَحَدَّى بهِ الخَلْقَ فعَجزُوا[3] وتقدَّمَ لِي فِي ذلِكَ كَلامٌ.

وعنْ جابِر بنِ عبْدِ اللهِ أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قال: ((**جاوَرْتُ بِحِراء شَهْرًا، فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوارِي هبطْتُ**[4]**، فَرَأَيْتُ شَيْئًا فلَمْ أَثْبُتْ لهُ فأَتَيْتُ خَدِيجةَ**، بفَتْحِ الخاءِ[5] **فقُلْتُ: دَثِّرونِي دثِّرونِي وصَبُّوا علَيَّ ماءً بَارِدًا فنزَلَتْ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ إلى قولِهِ سبْحَانَهُ: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾**[6]))[7].

وذكَرَ البَيْهَقِيّ عن عمْرو بنِ عُبَيْد[8] أنَّهُ: ((**كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُجَاوِرُ في كُلِّ سَنَةٍ شَهْرًا وهُوَ رَمَضَان**))[9] فلا حُجَّة فِي الحَدِيثِ علَى أنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ المُدَثِّر[10].

وفي رِوايَةٍ: ((**اسْتَبْطَنْتُ بَطْنَ الوَادِي**))[11] بدَلَ قَوْلِهِ: "هَبَطْتُ" والمرادُ بـ: شَيْئا: جِبْرِيلُ كَمَا أنَّ في رِوايَةٍ: ((**فَرَفَعْتُ بَصَرِي فإذَا المَلَكُ الذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ** [150و] **جَالِسٌ علَى كُرسِيٍّ بَيْنَ السَّماءِ والأَرْضِ**))[12] وفي رِوايَة: ((**جالِسٌ علَى عَرْشٍ بيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ**))[13] وفي رِوايَةٍ:

---

(1) الخازن: علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي، مفسر وفقيه ومحدّث ولد ببغداد وقدم دمشقَ، من تصانيفه: لباب التأوِيل في معاني التنزِيل، وعمدة الأفهام في شرح الأحكامِ، ت:741هـ. الدرر الكامنة، 97/3، وومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 492/2.

(2) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 408/1.

(3) السُّهيلي، الروض الأنف، 254/2-255.

(4) أسقط المؤلِّف عبارة: فنودِيت فنظرتُ عن يميني فلم أرَ شيئا، ونظرت عن شمالي فلمْ أرَ شيْئا، ونظرت خلفِي فلمْ أرَ شيْئا، فرفعتُ رأسِي. شرح الزرقاني، 409/1، وصحيح البخارِي، حدِيث (4922).

(5) العبارة للمؤلِّف.

(6) سورة المدثر: 1-5.

(7) ورد بلفظ قرِيب، صحيح البخارِي، حدِيث (4922).

(8) في فتح الباري، وشرح الزرقاني: مرسل عبيد بن عمير عند البيهقِي، وعند الطبرِي كذلك، وفيه: عبيد بن عمير بن قتادة اللَّيْثِي.

(9) فتح البارِي، ابن حجَر، 678/8، وينظر: تاريخ الرسل والملوك، الطبرِي، 300/1.

(10) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 410/1.

(11) صحيح مسلم، حدِيث (257).

(12) صحيح البخارِي، حدِيث (4) وفي مواضع أخرَى.

(13) صحيح مسلم، حدِيث (258).

((**فرعبْتُ منهُ**))[1] بدَلَ "فلَمْ أَثْبُتْ لهُ" وهُو معْنَاهُ، بَقِيَتْ فيهِ بَقِيَّةٌ مِنَ الفَزَعِ الأَوَّلِ وزَالَتْ بالتَّدْرِيجِ[2].

وفِي "البُخارِي" في بَدْءِ الوحْيِ: ((**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**))[3] وذَلِكَ قَبْلَ أنْ تُفْرَضَ الصَّلاةُ، رَكْعَتَانِ بالغَدَاةِ ورَكْعَتَانِ بالْعَشِيِّ ثُمَّ فُرِضَتْ، وأَمَّا الخَمْسُ فلَيْلَةَ الإِسْرَاءِ. ولَمْ يَكُنْ جِوَارُهُ ﷺ لِطَلَبِ النُّبوءَةِ؛ لأَنَّهُ ولَوْ عَلِمَ بالبِشَارَةِ الحَاصِلةِ قَبْلَ ولادَتِهِ وإِخْبَارِ الكَهَنَةِ وبَحِيرَى وغَيْرِهِمْ بأَنَّهُ نَبِيءُ آخِرِ الزَّمانِ، لَكِنْ صَانَهُ اللهُ سبْحَانَهُ عن اعْتِقَادِ ما يُخالِفُ ما عِنْدَ اللهِ تعالَى مِنْ أَنَّهُ لَا تُنالُ بِطَلَبٍ، فإِنَّهُ ﷺ قبْلَ النُّبوءَةِ مُنْشَرِحُ الصَّدْرِ بالتَّوْحِيدِ والإِيمَانِ، وكذَلِكَ الأَنْبِيَاءُ علَيْهِم السَّلامُ، وهِيَ أَجَلُّ مِنْ أنْ تُنَالَ بالطَّلَبِ والكَسْبِ، وإِنَّمَا هِيَ عَطِيَّةٌ يَخُصُّ بهَا اللهُ مَنْ يشَاءُ ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَٰلَتَهُۥ ﴾[4] والوَلايَةُ أيْضًا لَا تُكْسَبُ عنْدَ بَعْضٍ، أعْنِي كونَهُ بِمَقَامِ أنَّهُ وَلِيٌّ للهِ، وشَدَّدَ بَعْضُ قومِنا علَى مُدَّعِي أنَّ النُّبُوءَةَ كسْبِيَّةٌ بأَنَّهُ يُكَفَّرُ، وأنَّ مُدَّعِي كَسْب الوَلَايَةِ مبْتَدِعٌ[5].

والوَاضِحُ أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ خافَ جبْرِيلَ، كما هُوَ ظَاهِرٌ أوَّلًا. وقالَ بَعْضٌ: إِنَّهُ ﷺ أَجَلُّ مِن ذَلِكَ وأَثْبَتُ جَنَانًا، وإِنَّما ذَلِكَ فَرَحٌ بِحَالِهِ وإِقْباله علَى رَبِّهِ، خَشِيَ أنْ يَشْتَغِلَ بغَيْرِ اللهِ عَنِ اللهِ[6].

وفي روايَةٍ: قالَتْ خَديجَةُ لأَبِي بَكْرٍ رضِيَ اللهُ عنْهمَا: اذْهَبْ بهِ إِلَى ورَقَةَ ففَعَلَ فقَصَّ عليْهِ ما رَأَى[7]. فتَارَةً ذهَبَتْ بهِ إِلَى وَرَقَةَ بنَفْسِها، وتارةً أَذْهَبَتْ أبَا بَكْرٍ بِهِ ﷺ وتارَةً ذَهَبَتْ بهِ إِلَى عَدَّاسٍ بِمَكَّة وتَارَةً سافَرَتْ بهِ إِلَى بَحِيرَى، والأَخِيرُ أغْرَبُ رواهُ التّميمي[8] وذَلكَ مِن شِدَّةِ اعْتِنَائِها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

ولَمَّا ذَهَبَ بهِ أبُو بَكْرٍ بأمْرِها إلى وَرَقَةَ قالَ ﷺ: ((**إِذَا خَلَوْتُ وَحْدِي سَمِعْتُ نِدَاء: يا مُحمَّد فأَنْطَلِقُ هَارِبًا**؛ أَيْ: خَوْفًا مِنَ الجِنِّ فقالَ وَرَقَةُ: لا تَفْعَلْ إذَا قَالَ فَاثبُتْ حَتَّى تَسْمَعَ ثُمَّ ايتِنِي فأَخْبِرْنِي فلَمَّا خلَا نادَاهُ: **يا مُحَمَّد، فثَبَتَ، فقَالَ: قُلْ** ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ ﴾ **إلى آخِرِ الفاتِحَة، ثُمَّ قالَ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**))[9] واحْتَجَّ بذلِكَ مَنْ

---

(1) صحيح البخارِي، حدِيث (4) وفي مواضع أخرَى.

(2) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 409/1.

(3) صحيح البخارِي، حدِيث (3238).

(4) سورة الأنعام: 124.

(5) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 410/1.

(6) المواهب اللدنية، الزُّرقانِي، 201/1.

(7) (م، س)، 201/1، عن البيهقِي، دون ذكر المصدرِ.

(8) في شرح المواهب: التيمِي؛ أي سليمان بن طرخان. وهو الأصوب ينظر: عمدة القارِي، العيني، 64/1.

(9) ورد بلفظ قرِيبٍ، دلائل النبوة، البيهقِي، 158/2.

قالَ بِأَوَّلِيَّةِ نزُولِ الفَاتِحَةِ أَوَّلِيَّةً مُطْلَقَةً، والصَّحيحُ أنَّ أوَّلَ ما نَزَلَ عَلَى الإطْلَاقِ: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾[1] إلى ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝5 ﴾[2] [150ظ] كمَا صَحَّ ذلِكَ عَنْ عائِشَةَ مرْفُوعًا، وكذَا رُوِيَ عن أبِي مُوسَى الأَشْعَرِيّ وعُبَيْد بنِ عُمَيْر التَّابعِيّ وهُوَ الصَّوابُ وعَلَيْه جماهِيرُ الخَلَفِ والسَّلفِ[3].

وَرُوِيَ عن جابِر وغَيْرِه: ((**أوَّلُ ما نَزَلَ** ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝1 ﴾ إلى: ﴿ فَاهْجُرْ ۝5 ﴾[4]))[5] مُطْلَقًا، قالَ النَّوَوِي: هُوَ باطِلٌ لِحَدِيثِ عائشَةَ رَضِيَ اللهُ عنْهَا: ((**إنَّما نَزَلَتْ "يا أيُّهَا المدَّثِّر" بعْدَ فَتْرَةِ الوَحْيِ**))[6].

وبَعْدَ الفَتْرةِ حَمِيَ الوَحْيُ وتَتَابَعَ. قُلتُ: فَتَرَ بعْدَ "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ" وحَمِي وتَتَابَعَ بَعْدَ "يا أَيُّهَا المُدَّثِّر".

قال يحْيى بن أبي كثير: ((**سَأَلْتُ أبَا سلمَةَ بنَ عبْدِ الرَّحمَنِ، أَيُّ القرآن أُنْزِلَ أَوَّلُ؟ فقَالَ: "يَا أَيُّهَا المُدَّثِّرُ"، فقُلْتُ: أثبتتُ أَنَّهُ "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ" فقَالَ أبُو سلمة: سَأَلْتُ جابر بن عبد الله: أيُّ القُرْآن أُنْزِلَ أَوَّلُ؟ فقَالَ: "يَا أَيُّهَا المُدَّثِّر" فقُلْتُ: أُثْبِتُ أنَّهُ "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ" قالَ: لَا أُخْبِرُكَ إلَّا بمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: جَاوَرْتُ بِحِرَاء**)) الحَدِيثَ السَّابِقَ[7]، قلْتُ: لَمْ يَقُلْ جَابِر إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: أَوَّلُ مَا نَزَلَ "يَا أَيُّهَا المُدَّثِّر" كمَا قَالتْ عَائِشَةُ رضِيَ اللهُ عنْهَا إنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: أَوَّلُ مَا نَزَلَ "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ" فكَلامُ عائِشَةَ لِأَنَّه مَرْفُوعٌ مُقَدَّمٌ علَى كَلامِ جابِر لِأَنَّهُ عن اجْتِهادٍ مِن الحَدِيثِ ولَيْسَ في حَدِيثِهِ إنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ: "يَا أَيُّها المُدَّثِّر" ولَيْسَ مُرادُ جَابِر إنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ بالنِّسْبَةِ لِمَا بَعْدَ الفَتْرَةِ؛ لِأَنَّ سائِلَهُ سَأَلَهُ عنْ أَوَّل بالْكُلِّيَّةِ إذْ ذَكَرَ لهُ أَنِّي أُثْبِتُ "اقْرَأْ" فَلَوْ جاءَ الحدِيثُ: أَوَّلُ مَا نَزَلَ "يَا أَيُّها المُدَّثِّر" لَأَوَّلْنَاهُ بالنِّسْبَةِ لِمَا بَعْدَ "اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ" أو بِالنَّظَرِ إلى مَا نَزَلَ بالإنْذَارِ أوْ بالتَّتابُعِ بعْدُ، وتَقَدَّمَ حدِيثُ أَنَّ أَوَّلَ ما نَزَلَ الفَاتِحَةُ[8]، وهُوَ ضَعِيفٌ ومُنْقَطِعٌ، فإنْ صَحَّ فهِيَ أَوَّلُ لِمَا بعْدَ "اقْرَأْ" و"يَا أَيُّها المُدَّثِّر"، وقِيلَ: نَزَلَتْ قَبْلَ أنْ يَرَى رَسول اللهِ ﷺ، وهُوَ تَأْوِيلٌ مِنْ عَالِمٍ لا مِنْ صَحَابِيٍّ ولَا مِنَ الحَدِيثِ، وهُوَ مرْدُودٌ بأَنَّهُ خِلافُ الأَصْلِ، وبأَنَّهُ مُخَالِفٌ لِمَا علَيْهِ الجُمْهُورُ معَ أَدِلَّتِهِ.

---

(1) سورة العلق: 1.

(2) سورة العلق: 5.

(3) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 1/201-202.

(4) سورة المدثر: 1-5.

(5) سبق تخريجه، صحيح البخارِي، حدِيث (4922).

(6) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 1/412. قول النووِي في المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ص198.

(7) الحدِيث في صحيح البخارِي، رقم (4924)، وفيه: أنبِئتُ، كما في شرح المواهِبِ، بدل أثبتت.

(8) أسباب النزول، الواحدِي ص19. ولم يُذكر الحدِيث من قبل.

وقِيلَ: أَوَّلُ ما نَزَلَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١﴾[1]. وقيل ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ﴾[2] وهُمَا ضَعِيفانِ. وقَدْ رُوِيَ أنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام قالَ: أَوَّلُ ما نَزَلَ علَى النَّبِيءِ ﷺ أمْرُهُ بالاسْتِعَاذَةِ. قالَ مُحَمَّدُ بنُ جَرِير الطَّبَرِيّ عن ابْنِ عَبَّاسٍ: ((**أَوَّلُ ما نَزَلَ جبْرِيلُ علَى مُحَمَّدٍ ﷺ قالَ: يا مُحَمَّد اسْتَعِذْ قالَ: أَسْتَعِيذُ بِاللهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجِيمِ، قال قُلْ: بِسمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فقَالَهَا ثُمَّ قالَ:** ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي[151و] خَلَقَ ١﴾[3] قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هِيَ أَوَّلُ سُورَةٍ أَنْزَلَها علَى مُحَمَّدٍ ﷺ. وفِي سَنَدِهِ ضُعْفٌ وانْقِطَاعٌ[4].

واخْتَصَّ حِرَاء وغارهُ بالتَّحنُّثِ فِيهِ؛ لأَنَّهُ منْعَطِفٌ مِنْ مرُورِ النَّاسِ، فيَتَمَكَّنُ مِنْ عَدَمِ مُخَالطَتِهِمْ، فيتَخَلَّى لِلْعِبادَةِ، ولأَنَّهُ يُبْصِرُ مِنْهُ بَيْتَ رَبِّهِ الكَعْبَة، والنَّظَرُ إلَيْهَا عبَادَةٌ ينْزِلُ للنَّاظِرِ عشْرُونَ رَحْمَةً، فهؤُلاءِ ثَلاثُ عِبادَاتٍ، الخلْوَةُ والتَّعَبُّدُ والنَّظَرُ إلَى الكَعْبَةِ، ولَا تَجْتَمِعُ فِي غَيْرِهِ هَؤُلَاءِ الثَّلاثُ. قالَ المرجاني[5]:

تَـأَمَّـلْ حِـرَاءَ فِـي جَـمَـالِ مُـحَـيَّـاهُ ... فَكَمْ مِنْ أُنَاسٍ مِنْ حُلى حُسْـنِهِ تَاهُوا
فَمِمَّـا حَوَى مَنْ جَـاءَ[6] لِعَلْيَـاهُ زَائِرًا ... يُـفَـرِّجُ عَـنْـهُ الْـهَـمّ فِـي حَـالِ مَـرْقَـاهُ
بِـهِ خُلْوَةُ الْهَـادِي الشَّـفِيعِ مُحَمَّـد ... وَفِـيـهِ لَـهُ غَـارٌ لَـهُ كَـانَ يَـرْقَـاهُ
وَقِـبْـلَـتُـهُ لِـلْـقُـدْسِ كَـانَـتْ بِـغَـارِهِ ... وَفِيهِ أَتَـاهُ الْوَحْيُ فِي حَالِ صَـبْرَاهُ[7]
وَفِـيـهِ تَجَلَّى الرُّوحُ بِـالْمَوْقِفِ الـذِي ... بِـهِ اللـهُ فِي وَقْـتِ الْبَـدَاءَةِ سَـوَّاهُ
وَتَحْتَ تُخُومِ الْأَرْضِ فِي السَّـبْعِ أَصْـلُهُ ... وَمِنْ بَعْـدِ هَـذَا اهْتَزَّ بِـالسَّـفْـلِ أَعْلَاهُ
وَلَـمَّـا تَـجَـلَّـى الـلـهُ قَـدَّسَ ذِكْـرُهُ ... لِطُورٍ تَشَـظَّى فَهْوَ إِحْدَى شَـظَايَاهُ
وَمِـنْـهَـا ثَـبِـيـر ثُـمَّ ثَـوْر بِـمَـكَّـةَ ... كَـذَا قَـدْ أَتَى فِي نَقْـلِ تَـارِيخِ مَبْـدَاهُ
وَفِـي طَـيْـبَـةَ أَيْضًـا ثَـلَاثٌ أَعُـدُّهَـا ... فَـعِـيـرًا وَوَرْقَـانًـا وَأُحْـدًا رَوَيْـنَـاهُ
وَيُقْبِـلُ فِيـهِ سَـاعَـةَ الظُّهْرِ مَنْ دَعَـا ... بِـهِ وَيُـنَـادِي مَـنْ دَعَـانَـا أَجَـبْـنَـاهُ
وَفِـي أَحَـدِ الْأَقْـوَالِ فِـي عَـقَـبَـةِ حِـرَا ... أَتَـى ثَـمَّ قَـابِـيـل لِـهَـابِـيـلَ غَشَّـاهُ
وَمِـمَّـا حَوَى سِـرًّا حَوَتْـهُ صُـخُورُهُ ... مِنَ التِّبْرِ إِكْسِـيرًا يُقَـامُ سَـمِعْنَـاهُ

---

(1) سورة المزمل: 1.

(2) سورة القلم: 1.

(3) سورة العلق:1.

(4) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 414/1. ينظر: جامع البيان، الطبري، 111/1.

(5) عبد الله بن محمد القرشي التونسي، مفسر واعِظ من أكابر الصوفية، ت: 699هـ. المنهل الصافي، ابن تغري، 117/7.

(6) تحذف الهمزة من أجل الوزن.

(7) في المواهب: مبداهُ.

سَـــمِعْـتُ بِـهِ تَسْـــبِيحَهَـا غَيْرَ مَرَّةٍ وَأَسْـــمَعْتُـهُ جَمْعًـا فَقَـالُوا سَـــمِعْنَـاهُ

بِـهِ مَـرْكَـزُ الـنُّـورِ الْإِلَـهِـيِّ مُـثْـبَـتًـا فَلِلـهِ مَـا أَحْلَى مَقَـامًـا بِـأَعْلَاهُ[1]

والْمُحَيَّا: الوَجْهُ. والمَرْقَى: الصُّعود. وفي حرَاء خلَا النَّبيءُ ﷺ قبْلَ النُّبوءَةِ وبعْدَها حَالَ الفَتْرَةِ.

وكَرَّرَ "لهُ" فِي قوْلِهِ: "وفِيهِ لَهُ غارٌ لَهُ كانَ يَرْقَاهُ" لِلتَّأكِيدِ والإشارةِ أنَّهُ كَمُلْكِهِ.

وفي كَوْنِ قِبْلَتِهِ في غارِ حراءٍ القُدْس نَظَرٌ، فإنَّهُ إنَّما صَلَّى رَسولُ اللهِ ﷺ إلَى القُدسِ بَعدَ الإسْرَاءِ وفَرْضِ الصَّلاةِ، وأَوَّلَ ما صَلَّى إلَى الكَعْبَةِ، وكَأَنَّهُ بَنَى كلامَهُ علَى أَنَّهُ ﷺ مُتَعَبِّدٌ قَبْلَ النُّبوءَةِ بشَرْعِ مُوسَى.

والصّبرى: حَبْسُ النَّفسِ علَى الخَلْوَةِ. والسَّبعُ: الأرْضونَ، وأرَادَ باهْتِزَازِهِ [151ظ] ما ذَكَرَهُ قوْمُنا مِنْ أنَّهُ: ((ﷺ **كَانَ هُوَ وأَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ وعُثْمَانُ وعَلِيٌّ وطَلْحَةُ والزُّبَيْرُ علَى حِرَاءٍ فتَحَرَّكَ الصَّخرَةُ فقَالَ: اسْكُنْ حِرَاء فمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيءٌ أَوْ صِدّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ**))[2] ووَقَعَ ذلِكَ أيْضًا عِنْدَهُم لِأُحُدٍ وثَبِيرٍ أيْضًا.

ومَعْنَى تَجلِّي اللهِ لطُورٍ أَنَّهُ أَظْهَرَ مِنَ النُّورِ لَهُ قَدْرَ أُنْمُلَةِ الخِنْصَرِ كمَا جاءَ بِهِ حدِيثٌ[3].

ومَعْنَى تشَظَّى: تفَلَّقَ وطَارَتْ مِنْهُ قِطَعٌ صارَتْ جِبَالًا وقَدْ عَدَّها، وسَكَّنَ حَاءَ "أُحُدٍ" لِلْوَزْنِ ويَجُوزُ نَثْرًا؛ لِأَنَّهُ تَخْفِيفٌ مِنْ ضَمٍّ، وكذَا لَوْ كانَ مِن كَسْرٍ، ووَرِقان بفَتْحِ الوَاوِ وكَسْرِ الرَّاءِ وسَكَّنَهَا لِلْوَزْنِ ويَجُوزُ نَثْرًا.

قالَ الواحديّ عنْ أنَسٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: ((**لَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ**، وجَعَلَهُ دَكًّا **طَارَ لعَظَمَتِهِ سِتَّة أَجْبُلٍ، فوَقَعَتْ ثلَاثَةٌ بالمَدِينَةِ أُحُدٌ ووَرِقَانُ ورَضْوَى ووَقَعَ بِمَكَّةَ ثورٌ وثَبِير وحِرَاءٌ**))[4] وذَكَرَ ابنُ حجَر الحَدِيث، ولَمْ يرْفَعْهُ عن أبي حَاتِم عنْ أبي مالك، وهُوَ غَرِيبٌ ومُرْسَلٌ[5].

وفِي الحَدِيثِ: ((**رَضْوَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَقدس**))[6] ومَعْنَى قُبُولُ مَنْ دَعَا فِيهِ: قُبُولُ دعَائِهِ.

ومَعْنَى كَوْنِ قابيل غَشَّى هابيل: قَتَلَهُ وذلِكَ فِي عَقَبَةِ حِرَاء، وقَالَ ابْنُ عَبَّاس: قَتَلَه عَلَى جبل ثور، وقَالَ جَعْفَر الصَّادِقُ: بالبَصْرَةِ فِي المَسْجِدِ الأَعْظَمِ[7].

والتِّبر بالكَسْرِ: الذَّهَبُ والفِضَّة، أو فُتَاتُهُما قَبْلَ أنْ يُصاغَا أو مَا اسْتُخْرِجَ مِنَ المعْدَنِ قَبْلَ أن يُصَاغَ. والإكسِيرُ بالكَسْرِ: الكِيما. ومَعْنَى سَمِعْنَاهُ الأَوَّل: رُوِّينَاهُ، والثَّانِي: سَمِعْنَاهُ بآذانِنا فلَا إيطَاءَ

(1) الأبيات من الطوِيل، المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 203/1.

(2) صحيح مسلم، حدِيث (50) باختلاف بسِيطٍ وعبارة: ((فقَالَ: اسْكُنْ حِرَاء)) ليست فِيهِ.

(3) ينظر: سنن التمذِي، حدِيث (3074).

(4) لم أقفْ عليهِ عن الواحدِي، ينظر: تاريخ المدينة، ابن شَبَّة، 79/1.

(5) فتح البارِي، ابن حجَر، 430/6. وفِي تفسِير ابن أبي حاتم عن أنس بن مالك، 1560/5.

(6) لم أقف عليه في كتب الحدِيث، ينظَر: معجم البلدان، ياقوت، 51/3، وفِيه تكملة: ((وقدس، قدَّسه الله)).

(7) ينظر: معالم التنزِيل، البغوِي، 44/3.

ولَا سِيَّمَا إنْ كانَت الرِّوايَةُ بالكِتَابِ.

رَوَى أبو نُعَيْم مِنْ حَدِيثِ عائِشَةَ رضِيَ اللهُ عنْهَا: ((**أنَّ جِبْرِيلَ ومِيكائِيلَ شَقَّا صَدْرَهُ وغَسَلاهُ ثُمَّ قالَ جِبْرِيلُ:** ﴿ **اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ** ﴾[1]))[2] وفِي بَعْضِ نُسَخِ "المَوَاهِبِ": قَالَا بأَلِفِ الاثْنَيْنِ؛ لأنَّ مِيكَائيلَ راضٍ بِقولِ جِبْرِيل مُقِرٌّ بهِ، والقَائلُ جبْرِيلُ[3].

ولَمَّا أَخْبَرَ ورَقَةَ بذلِكَ قالَ: أَبْشِرْ أشْهَدُ بأنَّكَ الذِي بشَّرَ بهِ المَسِيحُ بنُ مَرْيَم، وأنَّكَ علَى مِثْلِ نامُوسِ مُوسَى، وإنَّكَ نَبِيءٌ مُرْسَلٌ[4].

وعن عائِشَةَ رضِيَ الله عَنْها: ((**نَذَرَ رسُولُ اللهِ ﷺ أنْ يعتَكِفَ شهرًا هو وخَدِيجةُ فَوَافَقَ ذلكَ شَهرَ رمَضَانَ، فخرجَ ذاتَ ليْلةٍ فقيل: السَّلامُ علَيْكَ، قال: فظَنَنْتُ أنَّها فجأَةُ الجِنّ، فجِئْتُ مسْرِعًا حتَّى دَخَلْتُ على خدِيجةَ فقالَتْ: ما شَأْنُكَ؟ فأخْبَرْتُها، فقالَتْ: أَبْشِرْ فإنَّ السَّلام خَيْرٌ، ثمَّ خرَجْتُ مَرَّةً أُخْرَى [152و] فإذَا أنَا بجِبْرِيلَ علَى الشّمْسِ جَنَاحٌ لهُ بالمشرِقِ وجناحٌ لهُ بالمغْرِبِ فَهِلْتُ منهُ فَجِئتُ مسرِعًا، فإذا هُوَ بَيْنِي وبيْنَ البابِ فكلَّمَنِي حتَّى أنِسْتُ منهُ ثمَّ وَعَدَنِي مَوْعِدًا فجئتُ لهُ فأَبْطَأَ علَيَّ، فأرَدْتُ أن أرجِعَ فإذَا أنَا بهِ وبِميكَائيلَ قدْ سَدَّ الأُفُقَ فهَبطَ جِبْرِيلُ وبقِيَ ميكَائِيلُ بَيْن السَّماءِ والأَرْضِ، فأخَذَنِي جبْرِيلُ فألْقَانِي على القَفَا ثُمَّ شقَّ عنّي قلبِي فاستَخْرَجَهُ ثمَّ استَخْرَجَ منْهُ ما شاءَ اللهُ أن يسْتَخْرِجَ ثمَّ غَسَلَهُ في طِسْتٍ مِنْ مَاءِ زَمْزَم، ثمَّ أعادهُ مكَانَهُ ثُمَّ لَأَمَهُ ثمَّ كَفَأَنِي كمَا يُكْفَأُ الإِنَاءُ، ثمَّ خَتَمَ في ظَهْرِي حتَّى وجَدْتُ مَسَّ الخَاتَمِ فِي قَلْبِي**))[5].

والحِكمَةُ في هذَا الشَّقِّ أن يَتَلَقَّى ﷺ ما يُلْقَى إلَيْهِ بقَلْبٍ قَوِيٍّ في أَكْمَلِ الأَحوالِ مِن التَّطهِيرِ، وهذَا الشَّقُّ ثالِثٌ والأَوَّلُ عندَ حلِيمَة بفَتْحِ الحَاءِ، والثَّانِي حِينَ كانَ ابنَ عَشْرِ سِنين والرَّابعُ لَيْلَةَ الإسراءِ، ولَمْ تَثْبُت الخامسةُ[6]. والله أعلمُ.

---

(1) سورة العلق:1.

(2) لم أقف عليه في حلية الأولياء ولا في دلائل النبوة لأبي نعيم، ينظر: المواهب اللدنية، القسطلاني، 204/1.

(3) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 419/1.

(4) المواهب اللدنية، القسطلاني، 204/1، وشرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 419/1.

(5) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 419/1، ينظر: مسند الحارث، حديث (928).

(6) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 419/1.

الفَصْلُ الثَّانِي: مَرَاتِبُ الْوَحْيِ

الأُولَى: الرُّؤيا الصَّادِقةُ قَبْلَ النُّبوءَةِ أو بعْدَها تقرّر ما بعْدَها، فكان كَمَا مرَّ لا يرَى رُؤيا إلَّا جاءَتْ مثْلَ فَلَقِ الصُّبحِ، كما مَرَّ عن عائشةَ، واستَدَلَّ السُّهيليّ وغَيْرُهُ على أنَّها مِن الوَحْيِ بقَولِ إبراهيمَ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾[1] الآية فالوَحيُ يأتِيهِم نوْمًا كما يَأتِي يقَظَةً[2].

وروَى ابنُ إسحاق إنَّهُ أتاهُ جبريلُ لَيْلَةَ النُّبوءَةِ وغَطَّهُ ثلَاثًا وقرَأَ علَيْهِ أوَّلَ سُورةِ ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾[3] ثُمَّ أتاهُ وفَعَل ذلِكَ معَهُ يَقَظَةً[4].

وذَكَرَ البُخَاريُّ عنْ عُبَيْد بنِ عُمَيْر: ((**رُؤْيَا الأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ وقَرَأَ: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾**[5]))[6].

قال ابنُ إسحَاق عنْهُ ﷺ: ((**جَاءَنِي جِبْرِيلُ وأَنَا نَائِمٌ بِنَمَطٍ مِنْ دِيبَاجٍ فِيهِ كِتَابٌ فقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: ومَا أَقْرَأُ؟ فَغَطَّنِي حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ**))[7] وذكرَ بقيَّةَ الحديثِ.

الثَّانيةُ: إلْقَاءُ الشَّيْءِ في قَلْبِهِ ﷺ مِنْ غَيْرِ أن يَرَاهُ. وحَقِيقَةُ الوَحْيِ هنا الإعْلَامُ في خَفَاءٍ أو الإعْلَامُ بسُرْعَةٍ وشَرْعًا: الإعْلَامُ بالشَّرعِ وهُو يعْلَمُ بأنَّهُ وَحْيٌ، وهو غَيْرُ الإلْهَامِ الذِي ليسَ بوَحْيٍ، قال ﷺ: ((**إِنَّ رُوحَ القُدُسِ نَفَت**[8] **في رُوعِي لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَها، فاتَّقُوا اللهَ وأَجمِلُوا فِي الطَّلَبِ، ولَا يَحْمِلَنَّ أحَدَكُم استِبْطاءُ الرِّزقِ أنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ فإنَّ اللهَ تعَالَى لَا يُنَالُ ما عِنْدَهُ إلَّا بِإطَاعَتِهِ**))[9] وفي الحديثِ: إنَّ الحَرَامَ رِزْقٌ[10] وإنَّ الطَّلَبَ لا يُنَافِي التَّوَكُّلَ. والرُّوع بالضَّمِّ: النَّفْسُ. ورُوحُ القُدُسِ: جِبْرِيل عليه السلام، وسُمِّيَ روحًا لأَنَّهُ يأْتِي بدِينِ اللهِ؛ لأنَّه يَحْيَى بهِ القَلْبُ كالطَّعام والشَّرابِ لِلْجسمِ، وأُضِيفَ للقُدُسِ؛ أيْ: الطُّهْر لِأَنَّه مَجْبُولٌ علَى النَّزاهةِ مِنَ العُيوبِ، والملائكةُ عليْهِمُ السَّلامُ كذلِكَ طاهِرُونَ، إلَّا أنَّهُ أَتَمُّ فَخُصَّ بذلكَ الاسْمِ، أعْنِي بِلَفْظِ القُدُس لِذلِكَ أوْ لِأَنَّهُ يَأْتِي مِنَ اللهِ بالدِّين

---

(1) سورة الصافات: 102.

(2) الروض الأنف، السهيلي، 257/2.

(3) سورة العلق:1.

(4) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 420/1، لم أقفْ عليهِ في سيرة ابن هِشام.

(5) سورة الصافات: 102.

(6) صحيح البخارِي، حدِيث (138).

(7) تاريخ دمشق، ابن عساكر، 12/63، وسيرة ابن هشام، 236/1.

(8) هكذا في الأصل، ولم ترِد في كتب الحدِيث، وضبطها ابن دريد في الجمهرة بالمثنّاة الفوقيَّة (رعو).

(9) حلية الأولياء، 26/10، وزاد المعاد، ابن القيم، 77/1، صححه الألباني، صحيح وضعيف الجامع، حدِيث (2085).

(10) هو قول أهل السنة، كما في عمدة القارِي، العينِي، 268/2.

الذِي[1] هُوَ طَهَارَةٌ لِأَنْفُسِنا[2].

الثّالثةُ: خِطَابُ المَلَكِ لَهُ: يتَمَثَّلُ لهُ المَلَكُ رَجُلًا [152ظ] فيُخَاطِبُهُ حتَّى يَعِي ما يَقُولُه. وقدْ كانَ يأْتِيهِ في صُورَةِ دِحْيَة الكَلْبيّ، وهُو ابنُ خلِيفَة بنِ فضالة بنِ فروة، بكَسْرِ الدَّالِ وفَتْحِها رَجَّحَ بعْضُهُم الكَسْرَ وبَعْضٌ الفتْحَ، وهو بِلِسانِ أهْلِ اليَمَنِ: رَئِيسُ الجُندِ، شَهِدَ المشاهِدَ كلَّها مَعَ رسُولِ اللهِ ﷺ إلَّا بدْرًا، فقِيلَ: يأْتِيهِ على صورَتِهِ بعْدَ بَدْرٍ لإِسْلَامِهِ بعْدَهَا، ولَا يَأْتِي علَى صُورَةِ مُشْرِكٍ، واخْتِيرَ جوَازُهُ لأنَّ اللهَ جلَّ وعلَا عَلِمَ أنَّهُ يُسلِمُ ويَحْسُنُ إسْلامُهُ. ولَمَّا رآهُ رسُولُ اللهِ ﷺ أَخْبَرَ أنَّ جِبْرِيلَ يأْتِيه علَى صُورَتِهِ وكانَ جَمِيلًا وَسِيمًا، إذا قَدِمَ لِلتِّجارَةِ خرَجَت النِّساءُ لتَرَاهُ، ويُروَى أنَّهُ إذا قَدِمَ مِنَ الشَّامِ لَمْ تَبْقَ مَنْ بَلَغَتْ سِنَّ المحيضِ إلَّا خَرَجَت تنْظُرُ إليهِ[3].

فإنْ قلْتَ: إذَا لَقِيَ جِبْرِيلُ عليه السلام النَّبِيءَ ﷺ في صُورَةِ دِحْيَةَ مَثَلًا لَا في صُورَتِهِ التِي خُلِقَ عليْها فأَيْنَ تكونُ رُوحُهُ؟ فإنْ كَانَتْ فِي الجَسَدِ الذِي لَهُ سِتُّمِئَةِ جنَاحٍ حقِيقَة مِنْ لُؤْلُؤٍ فالذِي أتَى لَا رُوحُ جبْرِيلَ؛ لِأَنَّ الفَرْضَ أَنَّها فِي جَسَدِهِ الأَصْلِيّ، ولَا جَسَدُهُ لأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ، وإنْ كانَتْ في هَذَا الجَسَدِ الذِي هُو صُورَةُ دِحْيَة بَقِيَ جسَدُهُ الأَصْلِيّ بلَا رُوحٍ، فهَلْ يمُوتُ ذلِكَ الجَسَدُ العَظِيمُ أمْ لا يَمُوتُ؟ ولَكِنْ يبْقَى خَالِيًا مِنَ الرُّوحِ المنْتَقِلَةِ عنْهُ إلَى الجَسَدِ الشَّبِيهِ بِجَسَدِ دِحْيَةَ، ولَا يَلْزَمُ مِن انتِقَالِ الرُّوحِ مَوْتُ الجَسَدِ العَظِيمِ. قُلتُ: قِيلَ لَا يَبْعُدُ أن لَا يكُونَ انْتِقالُها مُوجِبًا موْتَهُ فيَبْقَى الجَسَدُ حَيًّا لا ينْقُصُ مِنْ معَارِفِهِ شَيْءٌ ويكُونُ انْتِقَالُ رُوحِهِ إلَى الجسَدِ الثَّانِي كانْتِقالِ أرواحِ الشُّهداءِ إلَى أجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ معَ اتِّصالِهَا بقُبُورِها، ومَوْتُ الأجْسَادِ بمُفَارَقَةِ الأرواحِ ليسَ بوَاجِبٍ عَقْلًا، لتَجْوِيزِهِ ذهَابَ الرُّوحِ ولا يَمُوتُ الجَسَدُ بلْ بِعَادَةٍ أجْرَاها اللهُ تعَالَى فِي بَنِي آدمَ فلَا تَلْزَمُ في غَيْرِهِم[4].

وحَاصلُهُ أنَّهُ يزُولُ الزّائدُ دُونَ فَنَاءٍ، وقالَ إمامُ الحَرَمَيْنِ: معْنَاهُ أنَّ اللهَ أَفْنَى الزَّائدَ مِنْ خَلْقِهِ أو أزَالَهُ عنْهُ ثُمَّ يعيدُهُ إلَيْهِ بَعْدُ، وأجَازَ البُلْقِينِيّ أنَّ الآتِي جِبرِيل بِشَكْلِهِ الأوَّلِ إلَّا أنَّهُ انْضَمَّ فصارَ على قَدْرِ هَيْئَةِ الرَّجُلِ كالقُطْنِ إذَا جُمِعَ بَعْدَ نفْشِهِ[5].

قُلتُ: وهذَا عَيْنُ ما كُنْتُ أقُولُ قَبْلَ اطِّلاعِي علَيْهِ والحَمْدُ للهِ. واللهُ أَقْدَرَ الملائكةَ على الشَّكلِ بمَا شاؤُوا وعَلَى الانْطِواءِ، فتَمَثُّلُ المَلَكِ رَجُلًا لَيْسَ معْنَاهُ أنَّ ذاتَهُ انْقَلَبَتْ رَجُلًا، بلْ معْنَاهُ أنَّهُ ظَهَرَ بتِلْكَ الصُّورةِ تَأْنِيسًا لِمَنْ يُخَاطِبُهُ، فالقَدْرُ الزَّائدُ لا يَزُولُ ولا يَفْنَى بلْ يَخْفَى علَى الرَّائِي وهذَا مَذْهَبُنا.

---

(1) في الأصْلِ: التِي.

(2) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 420/1.

(3) شرح المواهب، الزُّرقاني، 423/1.

(4) (م، س)، 423/1.

(5) (م، س)، 425/1.

وأجَازَ بَعْضٌ أنَّ اللهَ خَصَّهُ بِقُوَّةٍ مَلَكِيَّةٍ يَتَصَرَّفَ فيها، بِحَيْثُ تكُونُ رُوحُهُ في جسَدِهِ الأَصْلِيّ مُدَبِّرَةً لَهُ، ويتَّصِلُ أَثَرُها بِجِسْمٍ آخَرَ يَصِيرُ حَيًّا بِمَا اتَّصَلَ بهِ مِنْ ذلِكَ الأثَرِ. وقدْ قِيلَ: إنَّما سُمِّيَ الأَبْدَالُ [153و] أبدالًا لأنَّهُم قدْ يرْحَلُونَ إلى مَكانٍ ويُقِيمونَ فِي مكَانِهم شَبَحًا آخَرَ شَبِيهًا بشَبَحِهِم الأَصْلِيّ بَدَلًا منْهُمْ، وأَثْبَتَ الصُّوفيَّة عَالَمًا مُتَوَسِّطًا بَيْنَ عالَمِ الأَجْسَادِ والأَرْواحِ، وسَمَّوْهُ عالَمَ المِثَالِ، وقالُوا: إنَّه أَلْطَفُ مِنْ عَالَمِ الأجْسَادِ وأَكْثَفُ منْ عَالَمِ الأرْوَاحِ، وبَنَوْا علَى ذلِكَ تَجسُّدَ الأَرْواحِ وظُهُورَهَا في صُوَرٍ مُخْتَلِفةٍ مِنْ عَالَمِ المِثَالِ. قِيلَ: يُسْتَأْنَسُ لِذَلِكَ بِقَوْلِه تَعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿17﴾﴾[1] فيَجُوزُ أنَّ جسْمَهُ الأَوَّل بِحَالِه لَمْ يتَغَيَّر، وقَدْ أقامَ شَبَحًا آخَرَ ورُوحُهُ متَصَرِّفَةٌ فيهِمَا مَعًا فِي وَقْتٍ واحِدٍ. وزَعَمَ بَعْضٌ أنَّ ما ذكرهُ الصُّوفِيَّةُ أحْسَنُ مِمَّا مَرَّ عن البُلْقِينِيّ، وأنَّ مَا ذَكَرَهُ تَكَلُّفٌ[2]. ولَيْسَ كذلكَ، وما ذَكَرَهُ هُو المذهَبُ، أعْنِي أنَّ مذْهَبَنا يقْتَضِيهِ ويتَبَادَرُ هُوَ منْهُ، فإنَّ في كتُبِ أصحابِنا أنَّ الملَكَ يَتَضَاءَلُ حتَّى يَصِيرَ كالوَضْعِ[3].

وقال أَبُو يَعْلَى الحَنْبَلِيّ[4]: لَا قُدْرَةَ لِلْمَلَكِ والجِنّ علَى تَغْيِيرِ خلْقِهِمْ والانْتِقَالِ في الصُّورةِ، وإنَّما يَجُوزُ أنْ يُعَلِّمَهُم اللهُ سبْحَانَهُ وتعَالَى كَلِمَاتٍ وضَرْبًا مِنْ ضُرُوبِ الأَفْعالِ إنْ فَعَلُوهُ أَوْ تَكَلَّموا بِهِ نَقَلَهُم اللهُ مِنْ صُورَةٍ إلَى صُورَةٍ[5]. ولَيْسَ هذَا مُنَافِيًا لِمَذْهَبِنا لِأَنَّهُ يَحْتَمِلُهُ.

الرَّابعةُ: صَوْتٌ كَصَوْتِ الجرَسِ وهو الجُلجُل الذِي يُعَلَّقُ في رُؤُوسِ الدَّوابِ، وهُوَ صَوْتُ المَلَكِ بالْوَحْيِ. قال الخَطَّابيّ: صَوْتٌ متَدَارَكٌ يَسْمَعُهُ ولَا يثبته[6] أَوَّلَ ما يَسْمَعُهُ حتَّى يفْهَمَهُ بعْدُ[7]. وقِيلَ: صَوْتُ أجْنِحةِ المَلَكِ. والحِكْمَةُ في تَقَدُّمِهِ أَنْ يَقْرَعَ سَمْعَهُ الوَحْيُ فلَا يَبْقَى فيهِ مكَانٌ لِغَيْرِهِ، والوَحْيُ كلُّهُ شدِيدٌ، وهذا أشَدُّهُ علَيْهِ؛ لأنَّهُ يرد فيهِ مِنَ الطِّباعِ البَشَرِيَّةِ إلى الأَوْضَاعِ المَلَكِيَّة، فيُوحِي إلَيْهِ كما يُوحَى إلَى المَلَائكَةِ. والفَهْمُ مِنْ صَوْتٍ كصَوْتِ الجَرَسِ أَثْقَلُ مِنَ الفَهْمِ مِن الكَلامِ، وفائِدَةُ الشِّدَّةِ ما يَتَرَتَّبُ على المَشَقَّةِ مِن زِيادَةِ الزُّلفَى ورَفْعِ الدَّرَجَاتِ.

---

(1) سورة مريم: 17.

(2) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 425/1.

(3) في الأصل: كالوصع، ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، 32/27.

(4) أبو يعلَى الحنْبَلِي: محمد بن الحسين بن محمد بن خلَف، سمِع علي بن عمَر الحَرْبِي، وأملَى عدَّة مجالِسَ، حدَّثَ عنهُ خلقٌ كثِيرٌ، كان عالِمَ العِراقِ في زمانِهِ، وكان ذا عبادَةٍ وتهجُّدٍ وملازَمَة للتَّصنِيفِ مع الجلالة والمهابَةِ، من تصانِيفِهِ: أحكام القرآن، مسائِلُ الإيمانِ، عيون المسائِلِ. ت: 458هـ. طبقات الحنابِلة، ابن أبِي يعلَى، 193/2، سير أعلام النبلاء، الذَّهبِي، 89/18.

(5) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 425/1.

(6) في أعلام الحدِيث: يتثبّتهُ.

(7) أعلام الحدِيث، الخطّابِي، 121/1.

وقِيلَ: حِكمَتُهُ أنَّ الكلامَ العَظِيمَ لَه مُقَدِّماتٌ تُوذِنَ بتَعْظِيمِهِ لِلاهتِمَام بِهِ[1].

وقيلَ: حِكمَتُهُ أنْ يَستَجْمِعَ قَلبَهُ فيكُون أَوْعَى لِمَا سَمِعَ. وقيلَ: نُزُولهُ هكَذا إذا كانَ فِي الوَعِيدِ، وفِيه نَظَرٌ[2] بَلْ يكُونُ في الوَعِيدِ والوَعْدِ، ولَا يَخْتَصُّ ذلِكَ بالقُرْآنِ. وإنْ قُلْتَ صَوْتُ الجَرسِ مذْمُومٌ لِلنَّهْيِ عنْ مُرافَقَةِ ما عَلَيْهِ جَرْسٌ صَبِيًّا أو بَهِيمَةً ولِأَنَّ المَلَائِكَةَ لا تَصْحَبُها، جاءَ الحَدِيثُ بذَلِكَ كُلِّهِ، فكَيْفَ يُشَبَّهُ بِه صَوْتُ الوَحْيِ وهُوَ مَحْمُودٌ بِهِ والتَّشْبِيهُ إلْحَاقُ نَاقِصٍ بكامِلٍ؟ قُلتُ: يَكْفِي فِي التَّشْبِيهِ الاشْتِرَاكُ فِي صِفةٍ ما هِيَ هُنَا الشِّدَّةُ والقُوَّةُ، وهُوَ المرادُ هُنَا [153ظ] وفِي الجُلجُلِ جِهَةُ طَنِين، وقَدْ قيلَ: التَّنفِيرُ والزَّجْرُ مِنْ أجْلِهِ ولَا طَنِينَ فِي الوَحْيِ، ولَكنْ وَقَعَ التَّشْبِيهُ بِمَا يَفْهَمُ السَّامعونَ. وعُلِّلَ أيْضًا بِكَوْنِ الجُلْجُلِ مِزْمار الشَّيْطانِ، فالنَّهْيُ لِلْمِزْمَارِيَّة ولَا تُوجَد فِي الْوَحْيِ، وإنَّما المرادُ التَّشبيهُ بِصَوْتٍ متَدَارَكٍ، يُسْمَعُ ولا يُفْهَم مِنْهُ شَيْءٌ تنْبِيهًا علَى أنَّ إتْيَانَهُ يَرِدُ علَى القَلْبِ في هَيْئَةِ الجَلَالِ وأُبَّهَةِ الكِبْرِيَاءِ فيَأْخُذُ هَيْبَةُ الخِطَابِ بِمَجَامِعِ القَلْبِ، ولَا يُفْهَمُ حتَّى يَزُولَ الصَّوْتُ فيَجِدُ المنْقُولَ مرْسُومًا فِي قَلْبِهِ، وهَذَا كَالْوَحْيِ إلَى المَلَائكَةِ فِي السَّماءِ تَضْرِبُ بأَجْنِحَتِها كسِلْسِلَةٍ علَى صَفْوَانٍ إجْلالًا للهِ سبْحانهُ وتَعَالَى ﴿إِذَا[3] فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿23﴾﴾[4] .

وروَى التّرمذِيّ والنَّسائيّ كأَحمَد والحَاكِم عن ابْنِ عُمَر: ((**كَانَ ﷺ إذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الوَحْيُ سُمِعَ عِندَهُ دَوِيٌّ كَدَوِيّ النَّحْلِ**))[5].

فقِيلَ: إنَّ ذلكَ بالنِّسبةِ للحَاضِرِينَ، وأمَّا بالنِّسبةِ إلَيْهِ ﷺ فَكصَلْصَة الجَرَسِ. وقيلَ: إنَّ سَمَاعَهُ كدَوِيّ النَّحلِ حِينَ يتَمَثَّلُ لهُ الملَكُ رَجُلًا[6].

ومِنْ شِدَّة الوَحْيِ الذِي كالصَّلصةِ انْفِصَادُ جَبِينِهِ عَرَقًا؛ أيْ: سيَلَانُهُ والمرادُ بالجَبِينِ الجِنْسُ، فشَمِلَ جَبِينَيْهِ ﷺ، والجَبِينُ: فوقَ الصَّدغِ، والصَّدْغُ ما بَيْنَ العَيْنِ والأُذُنِ. ومِنْ شِدَّةِ هذَا الوَحْيِ أنَّ ناقَتَهُ تَبْرُكُ بِهِ كمَا رُوِيَ عن عائِشَةَ رضِيَ اللهُ عنْهَا: ((**وَإِنْ كَانَ لَيُوحَى إِلَيْهِ وهُوَ علَى ناقَتِهِ فتَضْرِبُ جِرَانَهَا مِنْ ثِقْلِ ما يُوحَى إِلَيْهِ**))[7] ورُوِيَ: أنَّهُ جاءَهُ الوَحْيُ مَرَّةً كذَلِكَ وفَخِذُهُ علَى فَخِدِ زيْد بن ثابت، فثَقُلَتْ علَيْهِ حَتَّى كادَتْ تَرُضُّهَا. وذَكَرَ البُخَارِيّ عنْ زَيْد: ((**أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِدِي**

---

(1) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 426/1، عن البلقيني.

(2) (م، س) 426/1، عن البلقيني.

(3) في الأصل: فإذا.

(4) سورة سبأ: 23.

(5) سنن الترمذي، حديث (3173).

(6) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 427/1.

(7) دلائل النبوة، البيهقي، 53/7.

فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَرُضَّ فَخِذِي))[1] والرَّضُّ: الكَسْرُ.

ورَوَى الطَّبرانِي عنْ زَيْدِ بنِ ثَابِت: **((كُنْتُ أَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسولِ اللهِ ﷺ، وكانَ إِذَا نَزَلَ عليْهِ أخَذَتْه بَرُحاءُ شَدِيدَةٌ وعَرِقَ عَرَقًا شدِيدًا مِثْلَ الجُمَانِ، ثُمَّ سُرِّيَ عنْهُ، وكُنْتُ أكْتُبُ وهُوَ يُمْلِي علَيَّ وربَّما وَضَعَ فَخِذَهُ علَى فَخِذِي حالَ الكِتَابةِ، فمَا أَفْرُغ حَتَّى تَكادُ رِجْلِي تَنْكَسِرُ مِنْ ثِقْلِ الوَحْيِ، حتَّى أَقولَ لَا أَمْشِي علَى رِجْلِي أبَدًا. ولَمَّا نزَلَتْ علَيْهِ سورَةُ المَائِدةِ كَادَ عضُدُ النَّاقةِ ينْكَسِرُ مِنْ ثِقْلِ السُّورةِ))**[2] والبَرُحَاء بِفَتْحٍ فَضَمٍّ والمَدِّ: شِدَّةُ أذَى الحُمَّى وغَيْرِها. والجُمَان: بِضَمٍّ فتَخْفِيف اللُّؤْلُؤُ الصِّغارُ أوْ خِرْزٌ يُتَّخذُ مِنَ الفِضَّة مثْلُهُ. وسُرِّيَ: بالبنَاءِ لِلْمَفعولِ وشَدِّ الرَّاءِ كُشِفَ عَنْه. والمُرادُ بسُورَةِ المائدةِ بَعْضُها، ولَعَلَّه قولُهُ تعالَى: ﴿ **ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ﴾[3] الآية فإِنَّها نزَلَتْ بِعَرَفَة وهُوَ وَاقِفٌ بعَرَفَة علَى رَاحِلتِهِ[4].

وهَذهِ المرَاتِبُ منْهَا ثَلاثٌ مِنْ صِفَاتِ الْوَحْيِ، ومِنْها [154و] واحِدَةٌ مِنْ صِفاتِ حَاملِهِ وهِيَ تَمثُّلُهُ رَجُلًا.

الخَامسَةُ: وهِيَ مِنْ صفاتِ حامِلِهِ أنْ يَجِيئَهُ ﷺ جبْرِيلُ فِي صُورَتِهِ التِي خُلِقَ علَيْهَا لهُ سِتُّ مئَةِ جنَاحٍ، كُلُّ جنَاحٍ يَسُدُّ أُفُقَ السَّماءِ حتَّى لا يُرَى مِنَ السَّمَاءِ شَيْءٌ، فيُوحِي إلَيْهِ ما شَاءَ اللهُ أنْ يُوحِيهِ، وهذا وَقَع لهُ مَرَّتيْنِ إحْداهُمَا فِي الأَرْضِ حِينَ سأَلَ رَبَّهُ أنْ يُرِيَهُ جبْرِيلَ كما هُوَ، وذلكَ بغَارِ حرَاءٍ، أوَائِلَ البِعثَةِ بعْدَ فتْرَةِ الوَحْيِ، والثَّانِيَةُ عِنْدَ سِدْرَة المُنتَهَى كمَا قَال اللهُ ﷻ: ﴿ **وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾** ﴾[5] .

قالَ أَحْمد وابن أبي حاتم وأبُو الشَّيْخ[6] عن ابْنِ مَسعُود: **((لَمْ يَرَ رسُولُ اللهِ ﷺ جبْرِيلَ فِي صورتِهِ الأَصْلِيَّة إلَّا مَرَّتيْنِ، أمَّا وَاحِدَةٌ فإنَّهُ سأَلَهُ أنْ يُرِيَهُ نَفْسَهُ فأراهُ نفسَهُ، فسَدَّ الأُفُقَ، وأَمَّا الأُخْرَى فلَيْلَةَ الإسْراءِ عنْد السِّدْرَةِ))**[7].

وقال التِّرْمِذيّ مِنْ طرِيقِ مسروق عنْ عَائِشةَ: **((لَمْ يَرَ رَسولُ اللهِ ﷺ جبْرِيلَ عليه السلام في صُورتِهِ**

---

(1) الحدِيث الأخِير في صحيح البخارِي، (370). شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 427/1.

(2) المعجم الكبِير، الطبراني، حدِيث (4889).

(3) سورة المائدة: 3.

(4) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 428/1.

(5) سورة النجم: 13- 14.

(6) العظمة، أبو الشّيخ، 791/2.

(7) ورَدَ بلفظ قريب: مسند أحمد، حدِيث (3864).

إلَّا مرَّتَيْن، مَرَّةً عنْدَ سدْرَةِ المنْتَهَى، ومَرَّةً في أجياد))[1] وهُو يناسِبُ ما رَوَى ابن لَهِيعة عنْ أبي الأسود عن عُرْوَةَ عن عَائِشةَ: **((كانَ ﷺ أَوَّلَ ما رَأَى جِبْرِيلَ بأَجْيادٍ وَصَرَخَ: يا مُحَمَّد فنَظَرَ يَمِينًا وشِمَالًا فلَمْ يَرَ شَيْئًا، ثُمَّ خرَجَ عنْهُم فنَادَاهُ فهَرَبَ ثُمَّ اسْتَعْلَنَ لهُ جِبْرِيلُ مِنْ قِبَلِ حِراء ورأَى حِينئِذٍ جبْرِيلَ لهُ جناحَانِ مِنْ ياقُوتٍ يَخْطِفَان البَصَرَ))**[2] قِيلَ: فتكُونُ هذِهِ المرَّةُ غَيْر المرَّتَيْنِ، ولَمْ تَضُمَّهَا عائِشةُ إِلَيْهِما لاحْتِمالِ أَنَّهُ لَمْ يَرَهُ فِيهَا علَى تَمَامِ صُورَتِه كَمَا قالَتْ: إنَّ لَهُ جَنَاحَيْنِ[3].

وعِنْدَ أبي الشّيخ عنْ عائِشَةَ رضِيَ اللهُ عنها أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ: **((وَدِدْتُ أنّي رَأَيتُكَ في صُورَتِكَ التِي خلَقَكَ اللهُ علَيْها، قالَ: وتُحِبُّ ذلِكَ؟ قالَ: نَعَمْ، قال مَوْعِدُكَ كذا وكذَا مِنَ اللَّيلِ ببَقِيعِ الغَرقَدِ، فلَقِيَهُ لِمَوْعِدِهِ فنَشَرَ جنَاحًا مِنْ أجْنحَتِهِ فسَدَّ أُفُقَ السَّماءِ حتَّى ما يرَى فِي السَّماءِ شَيْءٌ))**[4].

وروَى ابن المبارك عن الزُّهريّ مُرْسَلًا: أنَّهُ سأَلَهُ أن يتَرَاءَى لهُ فِي صورَتِه التِي خُلِقَ علَيْها. قال: إنَّكَ لنْ تُطِيقَ ذلكَ. قالَ: إنّي أُحبُّ أن تَفْعلَ ذلِكَ، فخَرَجَ إلى المُصَلَّى في لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ، فأتَاهُ جبْرِيلُ في صُورَتِه فغشِيَ علَيْهِ حينَ رَآهُ. فلَعَلَّهُ أرَاهُ بَعْضَ صُورَتِهِ الأَصْلِيَّة؛ لِأَنَّهُ أرَاهُ جَنَاحًا وَاحِدًا فلَا يُعَدُّ هَذِهِ مَرَّةً ثالِثَةً[5].

السَّادسَةُ: إيحَاءُ اللهِ ﷻ إلَيْهِ ﷺ بواسِطَةِ مَلَكٍ وهُوَ فَوْقَ السَّماوَاتِ مِنْ فَرْضِ الصَّلَوَاتِ والجِهادِ [154ظ] والهِجرَةِ والصَّدَقَةِ وصَوْمِ رمَضَانَ والأَمْرِ بالمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عنِ المُنْكَرِ وغَيْرِ ذَلكَ، كمَا رَوَى أبو سعيد الخُدريّ أنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ فَوْقَ السَّماواتِ لَيْلةَ الإِسْرَاءِ.

السَّابِعَة: وهِيَ التِي قَبْلَها مِنْ صِفاتِ الوَحْيِ: كلَامُ اللهِ تعَالَى إلَيْه بِلَا وَاسِطَةِ مَلَكٍ كمَا كلَّمَ مُوسَى؛ وذَلِك أنْ يَخْلُقَ لهُ كَلامًا في أُذُنَيْهِ أوْ فِي جَسَدِهِ كلِّهِ، أو حَيْثُ شَاءَ اللهُ. وأمَّا زِيادَةُ ثَامِنَة هِيَ أنْ يَرَى اللهَ موَاجَهَةً فمُنْكَرَةٌ باطِلَة.

وعن عامِر الشَّعبيّ: أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قُرِنَ بنُبُوءتِهِ إسْرافِيل، وقالَ ابن التّين[6] عن الشَّعبيّ: قرنَ بِهِ مِيكائيلَ وصَحَّحُوا الأَوَّلَ، وابنُ التِّين مِنْ أهْلِ سفاقص، فكَانَ يَظْهَرُ لَه ﷺ ثلَاثَ سِنِينَ، وقِيلَ: يسْمَعُهُ ولَا يرَاهُ، فيَحْتَمِلُ أَنَّهُ قَبْلَ النُّبوءَةِ أو بَعْدَها، ولَا يَلْزَمُ مِنَ التَّرَائِي الرُّؤيَة، ولَفْظُ الحَدِيثِ "تَرَاءَى

---

(1) سنن الترمذِي، حدِيث (3278).

(2) جامع البيان، الطَّبرِي، 17/22، وفتح البارِي، ابنُ حَجَر، 23/1.

(3) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 429/1.

(4) المنتخب من مسند عبد بن حميد، حدِيث (1517) والعظمة، أبو الشَّيخ، 771/2، وشرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 429/1.

(5) الزهد والرقائق، ابن المبارَك، حدِيث (208) وشرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 429/1.

(6) أبو محمَّد عبد الواحد بن التين الصفاقسي: المحدث الراوية المفسر، له شرح على البخاري مشهور سماه المخبر الفصيح في شرح البخاري الصحيح، اعتمده الحافظ ابن حجر في شرح البخاري. ت: 611هـ بصفاقس. شجرة النور الزَكيَّة، ابن سالم، 242/1.

لَهُ"[1] وأَمَّا التَّعبيرُ الذِي عَبَّرْتُ عنْهُ بالظُّهور فتَفْسِيرٌ، وذَلِكَ التَّرائِي قَدْ يُطْلَقُ علَى البُرُوزِ ولَوْ بِلَا رُؤيَةٍ.

وكَانَ يأْتِيه بالكَلِمةِ يُخاطِبُهُ بها، وبفِعْلٍ وأَدَبٍ، ثُمَّ قرن بهِ جبريلُ فجاءَهُ بالقرآنِ والوَحْيِ ولَمْ ينْقَطِعْ عنهُ جبريلُ فيمَا قِيلَ بِالكُلِّيَّةِ، بلْ رُبَّما أتَاهُ بِخِلَافِ إِسْرَافِيلَ، فلا يُفَارِقُهُ في المدَّةِ. والمشْهُورُ أنَّ إسرافِيل قُرِنَ بهِ قَبْلَ النُّبوءَةِ، وأَنْكرَ الواقِديّ كونَ غَيْرِ جِبْرِيلَ قُرِنَ بهِ واخْتَارَهُ الشَّامِي[2] ولَا سِيَّما أَنَّهُ قِيلَ: حَدِيثُ الشَّعْبِيّ مُرْسَل أوْ مُعْضَلٌ[3].

ثُمَّ إنَّهُ عُدَّت المرْتَبَةُ السَّادسَةُ باعْتِبَارِ مَحَلِّ الإيحاءِ أَنَّهُ السَّماءُ لا الأَرْضُ، ولا يَلْزَمُ علَيْهِ أنْ تُعَدَّ بِقاعُ الأَرضِ لِأَنَّا عدَدْنَا الأَرْضَ كُلَّها بُقْعَةً وعَدَدْنَا السَّماوات وما فوقَها بُقْعَةً، والسَّماوَاتُ وما فَوقَها مَحَلُّ غَيْبٍ بخِلَافِ الأَرْضِ فهِيَ نَوْعٌ علَى حِدَة.

وزِيدَتْ مرْتَبَةٌ ثامِنَةٌ هِيَ العِلمُ الذِي يُلْقِيه اللهُ تعَالَى في قَلْبِهِ وعلَى لِسانِهِ عِندَ الاجْتهَادِ فِي الأحْكامِ علَى الْقَوْلِ بأَنَّهُ يَجْتهِدُ. وإِنَّما عُدَّ اجْتهَادُهُ مِن مَرَاتِبِ الوَحْيِ لِأَنَّهُ إذَا اجْتَهَدَ أصَابَ الحَقَّ عنْدَ اللهِ، فيَبْقَى بلَا بَيَانٍ لهُ مِنَ اللهِ جلَّ وعَلَا، كمَا يَقعُ لِلْمُجْتهِدِ مِن النَّاسِ يُخْطِأُ في بَعْضِ الأحْيَانِ ولا يَدْرِي ولا يُعاقَبُ.

ولا يُعدُّ مَجِيئُهُ علَى صُورَة غَيرِ دِحْيَة مِنَ النَّاسِ قِسْمًا آخَرَ، كمَا يَجِيءُ على صُورةِ أعْرَابِيّ أو غَيْرِ أَعْرَابِيّ لَا يُعْرَف، بَلْ تُعَدُّ رُؤيتُهُ على صُورَةِ دِحيةَ ورُؤيَتُهُ على صُورَةِ غَيْرِهِ مِن النَّاسِ قِسْمًا واحِدًا. كمَا جاءَ في حدِيثِ الإيمانِ أَنَّهُ لا يُرَى عليْهِ أَثَرُ السَّفرِ، وأَنَّهُ لا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ مِنَّا، ودِحْيَةُ معْرُوفٌ عنْدَهُم.

واقْتَصَرَ النَّاظِمُ على [155و] مراتِبَ ثَلَاثٍ؛ لِأَنَّها الغَالِبُ كمَا مَرَّ علَى أنَّ البَيْتَ هكَذا: ولَازَمَكَ النَّامُوسُ إمَّا بِنَفْثِهِ بالثَّاء المثلَّثةِ لا بالسِّينِ.

وأشَارَ إلَى أنَّ المرَادَ الغَالِب بِقَوْلِهِ: "ولازَمَكَ" علَى أَنَّهُ يُمكِنُ أن يكُونَ المُرَادُ لازَمَكَ علَى الصُّورَةِ التِي تَعْلَمُ منْهَا حينَ المَجِيءِ أَنَّهُ وَحْيٌ، إلَّا حَدِيث تَعْليمِ أَمْرِ الدِّين ففِيهِ أَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ جِبْرِيلُ إلَّا بعْدَ مَا وَلَّى. وَلِي فِي "حَاشِيَةِ القَنَاطِرِ"[4] مبْحَثٌ في هذَا الحَدِيثِ.

ومنه: ((**لَمَّا أَدْبَرَ قَالَ: رُدُّوهُ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا**))[5] وفي حديثِ أَبِي عَامِر: ((**والذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ**

---

(1) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 431/1، ولم يقل الزُّرقانِي إنَّ ابن التين من أهل سفاقص.

(2) سبل الهدَى والرَّشَاد، الشَّامِي، 310/2.

(3) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 431/1.

(4) حاشِيَة القناطِر: مخطوط للمؤلِّفِ، حاشِيَة وضعها على كتابِ قناطِرِ الخيراتِ، لإسماعِيل بن موسَى الجيطالِي (ت:750هـ) في مكتبة القطبِ نسخة منه بالرَّمزِ:(أ–و5ج1). وله أيضا: حاشِية القنطرة الثانية، وحاشِية القنطرة الثَّالِثَة منه نسخة في مكتبة القُطبِ بالرَّمزين (أ–و5ج2) و (أو5) حاشِيتانِ على نفسِ الكتابِ.

وللمؤلف حاشية أخرى على القناطِر بالرَّمزِ:(أو5/1) لم يكمِل تأليفها، فقد اقتصر فيها على أبوابٍ من الكتابِ لم يتمَّها، وهي غير الحاشِية التي أشار إليها هنا. فهرِس مخطوطات خزانة مؤلفات الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش، ص143، و181.

(5) صحيح البخارِي، حدِيث (50).

بِيَدِهِ ما جاءَنِي قَطُّ إلَّا وأَنَا أَعْرِفُهُ إلَّا أنْ تَكُونَ هَذِهِ المَرَّةَ))[1] وفي رِوايَةِ سُلَيْمان التَّيمِي[2] وابْنِ حبَّان: ((**والذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ما شُبِّهَ عَلَيَّ منذُ أَتَانِي قَبْلَ مَرَّتِي هَذِهِ، ومَا عَرَفْتُهُ حَتَّى وَلَّى**))[3].

وذَكَرَ السُّيُوطِيّ أنَّ المَلَكَ يأْتِيهِ في النَّومِ[4]. وهَلْ نَزَلَ عليهِ فِيهِ قُرْآنٌ؟ والأَشْبَهُ أنَّهُ نَزَلَ كلُّهُ يَقَظَةً، ولَفظُ مسْلِم وأبِي داوُد والنَّسَائِيّ: ((**عَن أَنَسٍ بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إذْ أَغْفَى إغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فقُلْنا: مَا أضْحَكَكَ يا رَسُولَ اللهِ؟ فقَالَ: أُنْزِلَ عَلَيَّ آنِفا سُورَةٌ فقرَأَ:** ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿1﴾﴾[5] **إلَى آخِرِها**))[6]، ففَهِمَ بَعْضٌ أَنَّها نَزَلَتْ في الإِغْفَاءِ؛ لأَنَّ رُؤيَا الأَنْبِيَاءِ حَقٌّ ووَحْيٌ. قُلْتُ: لَيْسَ المُرَادُ بالغَفْوَةِ حقِيقَةُ النَّوْمِ الخفِيفِ بَلْ شَيْءٌ يُشْبِهُهَا.

وقالَ بَعضُ قَوْمِنَا: إنَّهُ خَطَرَ له فِي النَّومِ سُورةُ الكَوْثَرِ المُنَزَّلةُ في اليَقَظَةِ، أو عُرِضَ علَيْهِ الكَوْثَرُ الذِي نَزَلَتْ فِيهِ السَّورَةُ، فقَرَأَهَا عَلَيْهِم وفَسَّرَها لَهُم. ثُمَّ رَأَيْتُ هذا البَعْضَ قالَ: أَو الإِغفاءَةُ لَيْسَتْ نوْمًا، بَلْ هيَ البرُحَاءُ التي تَعْتَرِيهِ عنْدَ الوَحْيِ. ورَأَيْتُ السّيّوطِي أيْضًا قال: كَوْنُها البَرُحاء أَصَحُّ[7]. وكلامُهُمَا عَيْنُ ما قُلْتُ، والحَمْدُ للهِ.

وقَوْلُهُ ﷺ: ((**أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا**)) كالنَّصِّ في أنَّها لَمْ تَنْزِلْ قَبْلُ.

ومِن مَراتِبِ الوَحْيِ قِيلَ: تَصَوُّرُهُ بصُورةِ الفَحْلِ مِنَ الإبِلِ فَاتِحًا فَاهُ لِيَلْتَقِمَ أبا جَهْلٍ لَمَّا شكاهُ الأَرَاشِي إِذْ مَنَعَهُ مِنْ ثَمَنِ إبِلِهِ، وقَدِ اشْتَرَاهَا إِلَى رسُولِ اللهِ ﷺ. ولَمَّا أَرَادَ أَبُو جَهْلٍ إِلْقاءَ الحَجَرِ عَلَيهِ ﷺ في سُجُودِهِ، وأَخْبَرَهُ ﷺ جِبْرِيلُ إنِّي جِبْرِيلُ. وذَكَرَ ابن المنيِّر[8] أنَّ الحالَ يَخْتلِفُ في الوحْيِ فإِنْ نَزَل بِخَيْرٍ وبشَارَةٍ وغَيْرِهَا مِمَّا لَيْسَ بِوَعِيدٍ، نزَلَ بصُورَةِ الآدَمِيّ وخَاطَبَهُ بلَا كَدٍّ فِي تلَقِّي الوَحْيِ، وإِنْ نَزَلَ بوَعِيدٍ كانَ كصَلْصَةِ [155ظ] الجَرَسِ[9].

---

(1) مسند أحمد، حدِيث (17167).

(2) سليمان بن طرخان التيمِي، البصرِي: ت:143هـ. سير أعلام النبلاء، 196/6.

(3) صحيح ابن حبَّان، حدِيث (173). شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 435/1،

(4) الإتقان، السيوطِي، /129.

(5) سورة الكوثر: 1.

(6) صحيح مسلم، حدِيث (53).

(7) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 435/1. وقول السيوطِي في الإتقان، 66/1.

(8) أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن منصور القاضي، العلامة، ناصر الدّين، ابن المنير الجذامي، الإسكندراني، المالكيّ، ت:683 هـ، أخو زين الدين علي. لهُ ديوان خُطب وتفسير حديث الإسراء، وتراجم صحيح الْبُخَارِيّ، والاقتفاء في فضائل المصطفَى، وقد وليّ قضاء الإسكندرية وخطابتها مَرّتين. تاريخ الإسلام، الذّهبِي، 491/15، ومعجم المؤلفِين، رضا كحالة، 299/1.

(9) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 436/1.

ويُرْوَى أنَّ جبريلَ عليه السلام نَزَلَ علَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أرْبَعًا وعِشْرِينَ أَلْفَ مَرَّةٍ، ونَزلَ علَى آدمَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً، وعلَى إدْرِيسَ أرْبَعَ مرَّاتٍ وعلَى نُوحٍ خَمسِين مَرَّةً، وعلَى إبْرَاهيمَ اثْنَتَيْن وأرْبَعِينَ مَرَّة. وقالَ عُثْمانُ الدّيميّ[1]: أرْبَعينَ، وعلَى مُوسَى أرْبَعَ مِئةِ مَرَّةٍ، وعَلَى عِيسَى عَشْرَ مَرَّاتٍ، قِيلَ: ثلَاثًا في صِغَرِهِ وسَبعًا في كِبَرِهِ، وعلَى يعْقُوبَ أَربعًا، وعَلَى أَيُّوبَ ثَلاثًا[2].

وذَكَرَ بَعْضٌ: إنَّ الوَحْيَ إلَى الأَنبِيَاءِ كُلِّهِم إلَّا أُولِي العَزْمِ: المصْطَفَى ونُوحًا وإبْرَاهيمَ ومُوسَى وعِيسَى فإنَّهُ يأتِيهِمْ يَقَظَةً ومَنَامًا. وقَالَ بعْضٌ: لِلْملَكِ صورَتان حَقِيقيَّةٌ ومِثاليَّةٌ، فالحقِيقِيَّةُ لَمْ تَقَعْ إلَّا للْمُصْطَفَى، والمِثَاليَّة لِبَقيَّةِ الأَنبيَاءِ وشاركَهُم فيهَا بعْضُ الصَّحابةِ[3]. وذلكَ كلُّهُ ممَّا يَحْتاجُ لِتَوْقيفٍ وإسْنَادٍ.

ورُوِيَ أنَّ جبريلَ عليه السلام بدَا؛ أيْ: ظَهرَ لَه ﷺ بأَعْلَى مَكَّةَ عنْدَ ابْنِ إسْحَاق[4]. وعبَارَةُ حُسَيْن بنِ مُحمَّد: بِجَبَلِ حِراء، فيُجْمَعُ بأَنَّه هُوَ المرَادُ بأَعْلَى مكَّة. أتَاهُ في أَحْسَنِ صُورَةٍ وأطْيَبِ رائِحَةٍ، فقالَ: يا مُحَمَّد إنَّ اللهَ يُقرِئُكَ السَّلام[5] بضمِّ اليَاءِ والهَمْزةِ ويقُولُ لهُ: أَنتَ رَسولِي إلَى الجِنّ والإنسِ فادْعُهُم إلى قَوْلِ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ وإنَّكَ رسُولُ اللهِ. ثمَّ ضرَبَ بِرِجْلِهِ الأَرْضَ؛ أيْ: بِعَقِبِهِ كَمَا رَوَاهُ ابْنُ إسحَاق وغيْرُهُ، فالضَّرْبُ ببَعْضِ القَدَمِ. فنَبَعَتْ عيْنُ ماءٍ فتَوَضَّأَ منْهَا جِبْريلُ ورسولُ اللهِ ﷺ ينْظُرُ إلَيْهِ لِيُرِيَهُ كيْفَ الطُّهورُ إلَى الصَّلاةِ، ثُمَّ أمَرَهُ أنْ يَتَوَضَّأَ كمَا رَآهُ يتَوَضَّأُ فأَراهُ الوُضُوءَ، ولَمَّا فرَغَ مِنَ الوضُوءِ أخَذَ غَرْفَةً مِنْ ماءٍ فنَضَحَ فرْجَهُ وقامَ جبْرِيلُ يُصَلِّي وأَمَرهُ أنْ يُصلِّي مَعهُ. قالَتْ عائِشَةُ: فصَلَّى رَكْعَتَيْنِ نَحْوَ الكَعْبَةِ فعلَّمَهُ الوُضوءَ والصَّلاةَ ثُمَّ عَرَجَ إلى السَّماءِ، ورَجَعَ رسولُ اللهِ ﷺ لا يَمرُّ بِحَجَرٍ ولَا مَدَرٍ ولَا شَجَرٍ إلَّا وهُو يقُولُ: السَّلامُ علَيْكَ يَا رسولَ اللهِ، حتَّى أتَى خدِيجَةَ فأَخْبَرَهَا فغشِيَ علَيْهَا مِنَ الفَرَحِ، ثُمَّ أخَذَ بِيَدِها وأتَى بها إلَى العَيْنِ فَتَوَضَّأَ لِيُرِيَهَا الوضوءَ، ثمَّ أمَرَهَا فَتَوَضَّأَتْ وصلَّى بهَا كمَا صَلَّى بِهِ جبريلُ، وكانَتْ أوَّلَ مَنْ صَلَّى[6].

وفي أَمْرِهِ ﷺ خديجَةَ وكَذَا عَلِيًّا بِالْوُضوءِ والصَّلَاةِ دَلَالَةٌ علَى رسَالَتِهِ وأَنَّها مُقْتَرِنَةٌ بالنُّبوءَةِ كذا قِيل؛ لِأَنَّ ذلكَ عقِبَ نزُولِ "اقْرَأْ" ولَا يَضُرُّ بعْضُ تَأْخيرٍ. قُلْتُ: لا دَلِيلَ علَى ذَلِكَ؛ لِأَنَّ النَّبِيءَ لَمْ يُحْجَر علَيْه الدُّعاءُ إلَى الخَيْرِ ولَمْ يَخْتَصّ الدُّعاءُ إلَى الخَيْرِ بالرَّسُولِ[7].

---

(1) عثمان الديمِي: عثمان بن محمد الدِّيَمي الأزهري الشافعي، كان من مشافِهِ تلامِذة ابن حجَر، أخذ منه جماعة كثِيرةٌ منهم البرهان ابن عون، والشيخ شمس الدِّين الداوودِي، ت: 908هـ. الضوء اللامع، السخاوِي، 140/5، والكواكِب السَّائِرة، محمد الغزّي، 260/1.

(2) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 437/1.

(3) (م، س)، 437/1.

(4) ينظر: سيرة ابن هِشام، 244/1.

(5) على الهامش: لا إله إلا الله. من دون إحالة على موضِعها من النَّصّ.

(6) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 438/1.

(7) الفقرة أضافها المؤلف على الهامِش.

وفِي روايةِ أبي نعيْم: ((**فقالَتْ: أَرِنِي كَيْفَ أَرَاكَ، فأَرَاها فتَوَضَّأَتْ ثُمَّ صَلَّتْ معهُ، وقالَتْ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رسولُ اللهِ**))[1]. وكانَ ذلِكَ أَوَّلَ فرْضِ الصَّلاةِ رَكْعتَيْنِ، وأمَّا الخَمْسُ فتَأَخَّرْن إلَى صبْحِ الإِسْرَاءِ، وأَقَرَّها فِي السَّفَرِ رَكْعَتَيْن وزَادَ في الحَضَرِ أَرْبعًا، وكانَت الصَّلاةُ أَوَّلَ فرْضِها رَكْعتَيْنِ بالغَدَاةِ؛ أيْ: قَبْلَ طلُوعِ الشَّمسِ، ورَكْعَتَيْنِ بالعَشِيِّ أَيْ آخِرَ وقْتِ العَصْرِ، والظَّاهرُ أنَّهُ يَقْرَأُ فيهِمَا ﴿ اَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾[2] حتَّى نَزَلَت الفَاتِحَةُ[3].

ورُوِيَ أنَّ [156و] تاجِرًا قَدِمَ لِلحَجِّ في الجاهِلِيَّة فأتَى العبَّاسَ ليَشْتَرِيَ منهُ، فرأَى النَّبِيءَ ﷺ وخدِيجَةَ وعَلِيًّا خرجوا مِنَ الخِبَاءِ وَصَلَّى بِهِم حينَ زَالت الشَّمسُ، وسأَلَ التَّاجرُ العبَّاسَ فأخبَرَهُ بهِمْ وأنَّ هذَا الفِعلَ صلَاةٌ مشْرُوعَةٌ لَهُم[4]. ورُدَّ بهذَا علَى ما ذَكَرْتُ من وَقتِ الرَّكعَتَيْنِ.

قُلتُ: لا رَدَّ؛ لأنَّهُ لعَلَّ هذَا بعْدَ نُزولِ الصَّلاةِ الخَمْسِ، فإنْ صَلَّى أرْبَعًا فالظُّهرُ مثَلًا، أو رَكْعَتَيْن فظُهْرُ السَّفَرِ بأن يكُونَا في السَّفَرِ إلَى قَرِيبٍ مِنْ مَكَّةَ أو رَكْعَتَيْن نَفْلًا، وأمَّا علَى إطْلاق عنْ تفسِيرِي السَّابِقِ فيُجابُ أيْضًا بأنَّهُ قِيلَ: العَشِيُّ ما بَيْنَ الزَّوالِ إلى الغُرُوبِ، ومِنْ ذلكَ قِيلَ لِلظُّهْرِ [والعصرِ] صلَاتَا العَشِيِّ، وقِيلَ: آخِرُ النَّهارِ، وقِيلَ: مِنَ الزَّوالِ إلَى الصَّباحِ، وقِيلَ: مِنَ المغْرِبِ إلَى العَتَمَةِ.

قال ابنُ حَجَر: كانَ ﷺ قبْلَ الإسْراءِ يُصَلِّي قَطْعًا وكَذلِكَ أصْحَابُهُ، فقِيلَ: فُرِضَتْ صَلَاةٌ قبْلَ طلُوعِ الشَّمسِ وقَبْلَ غُرُوبِها قبْلَ فَرْضِ الخَمْسِ قالَ اللهُ تعالَى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ اَلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾[5][6].

قال النَّوَوِيّ: أَوَّل ما وَجَبَ الإنْذَارُ والدُّعاءُ إلى التَّوحِيدِ لقَوْلِه تعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ ﴾[7] ثمَّ فَرَضَ اللهُ جلَّ وعَلَا مِنْ قِيامِ اللَّيلِ علَيْهِ وعلَى أُمَّتِهِ في أَوَّلِ المزّمّل إلى قَولِهِ: ﴿ اَوْزِدْ عَلَيْهِ ﴾[8] ثُمَّ

(1) دلائل النبوة، أبو نعيم، ص219.

(2) سورة العلق:1.

(3) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 438/1-439.

(4) (م، س)، 439/1.

(5) سورة طه: 130.

(6) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 439/1، وفتح الباري، ابن حجر، 671/8.

(7) المدثر: 1-2.

(8) سورة المزمل: 4.

نَسَخَهُ بقَوْلِهِ ﷻ: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾[1] أيْ: صَلُّوا ما تَيسَّرَ لَكُمْ، ثُمَّ نسَخَهُ بإيجابِ الخَمْسِ ليْلَةَ الإسْرَاءِ. والذِي عَلَيْهِ الجُمهُورُ أنَّهُ لَمْ يُنْسَخْ عنهُ ﷺ لقَولِهِ تَعالَى: ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾[2].

وأُجِيبَ بأنَّ النَّسْخَ بعْدَ الآيَةِ ولكِن الصَّحيح عدَمُ النَّسخِ عنْهُ، وهُوَ مذْهَبُنا ومذْهَبُ أكْثَرِ أصْحَابِ الشَّافِعِيّ، وإنَّما نُسِخَ الوجُوبُ عن أُمَّتِهِ.

وذِكْرُ الوضُوءِ في ذَلكَ يدُلُّ على أَنَّهُ فُرِضَ قَبْلَ الإسرَاءِ لِأَنَّهُ قالَ: أَمَرهُ بالوُضُوءِ. قال السُّهيليّ: فالوضُوءُ مَكِّيُّ الفَرْضِ مَدَنيُّ بالتِّلاوةِ؛ لأنَّ آيةَ الوضُوءِ مَدَنِيَّةٌ، ولِتَقَدُّمِ فَرْضِهِ في مَكَّةَ قالتْ عائِشَةُ في قِصَّةِ عِقْدِها: فأَنزَلَ اللهُ آيةَ التَّيَمُّمِ، ولَمْ تَقُلْ آيةَ الوُضوءِ وَهِيَ هِيَ[3].

وتَقَدَّمَ أنّهُ فتَرَ الوَحْيُ عَقِبَ بَدْئِه ثلَاثَ سِنينَ فقِيلَ: ليَذْهَبَ عنْهُ ما وَجَدَ مِنَ الرُّوعِ ويَحْصُلَ التَّشَوُّقُ إلى العَوْدِ. وجاءَ في حَدِيثٍ مُسْنَدٍ أنَّ الفَتْرَة سَنَتَيْن ونِصْفًا وعن ابْنِ عبَّاسٍ: فتْرَةُ الوَحْيِ كانَتْ أيَّامًا وفِي "تَفْسِيرِ ابْنِ عَبَّاسٍ" كانتْ أرْبَعِينَ. وقَالَ الزَّجَّاج وابنُ الجَوْزِيّ: خَمْسَةَ عَشَر يَوْمًا. وفي "تَفْسِيرِ مُقَاتِل" ثلاثَةَ أيَّام، ويُجْمَعُ بأنَّها كانَتْ سنَتَيْن ونِصْفًا، فمَنْ قالَ: ثلَاثَة جَبَرَ الكسْرَ، وَمَنْ قالَ: سنَتَانِ ألْغَاهُ والمُرادُ بأَرْبَعينَ فمَا دُونَهَا مُدَّةَ الانْقِطاعِ بِحَيْثُ لَا يَأْتِيهِ فِيهَا إسرافِيلُ ولَا جِبْرِيلُ اخْتُلِف فأَقَلُّها ثلاثَةُ أيَّامٍ وأكثَرُها أرْبعُونَ، وفي بعضِها خَمْسَةَ عشَرَ وبَعضُها اثْنَيْ عشَرَ[4].

ورَوَى أحْمَد ويعقُوبُ بنُ يوسُف[5] عن الشَّعْبِيّ وهُوَ مِنَ التَّابعِينَ: أُنزِلَتْ علَيهِ ﷺ النُّبُوءَةُ وهو ابْنُ أرْبعِينَ سَنَةً، فقُرِنَ بنُبوءَتِهِ إسرَافِيلُ ثَلَاثَ سنِينَ، ولَمْ يَنْزِل القرآنُ علَى لِسانِهِ [156ظ] لأنَّ إنزَالَ الكُتبِ الإلَهِيَّةِ مِنْ خصَائِصِ جِبْرِيلَ[6].

وقالَ مسْلِمُ والنَّسائِيّ والحاكِمُ عن ابنِ عَبَّاس: ((**بيْنَمَا رسُولُ اللهِ ﷺ جالِسٌ وعنْدَهُ جبْرِيلُ إذْ سَمِعَ نَقِيضًا مِنَ السَّماءِ مِنْ فَوْق فرَفَعَ جبْرِيلُ طَرَفَهُ إلَى السَّماءِ فقَالَ: يا مُحَمَّدُ هذَا مَلَكٌ قَدْ نَزَلَ لَمْ يَنْزِل إلَى الأَرْضِ قَطُّ فجَاءَ إلَى النَّبيءِ ﷺ فسَلَّمَ علَيْهِ فقَالَ: أبْشِرْ بنُورَيْنِ أُوتِيتَهُما لَمْ يُؤْتَهُما نَبِيءٌ قبْلَكَ، فاتِحَةِ الكِتَابِ وخَوَاتِمِ سورَةِ البَقَرَة**))[7] قالَ جَماعَةٌ: هذَا المَلَكُ إسْرَافِيل[8].

---

(1) سورة المزمل: 20

(2) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 440/1.

(3) (م، س)، 440/1، وينظر: الروض الأنف، السهيلي، 287/2.

(4) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 440/1-441.

(5) في شرح المواهب: يعقوب بن سفيان. وهو الفسوِي، محدث إقليم فارس، له "تاريخ" كبير، ومشيخته في مجلد، ت:772هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 180/13.

(6) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 441/1، وفتح البارِي، ابن حجر، 27/1، ورواية أحمد في العلل ومعرفة الرجال، 337/2.

(7) صحيح مسلم، حدِيث (254).

(8) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 442/1.

قُلْتُ: لَمْ ينْزِلْ بهِمَا إسْرَافِيلُ بَلْ أَخْبَرَ أَنَّهُمَا سيَنْزِلَانِ فنَقُولُ: ينْزِلَانِ بتَوَسُّط جِبْرِيلَ أَوْ أَخْبَرَ بِعِظَمِ شأْنِهِما، وقَدْ نزَلا قَبْلَ جِبْرِيلَ، وقَد اسْتُدِلَّ بالحَدِيثِ علَى أَنَّهُ لَمْ يُقْرَنْ بهِ إسْرافِيلُ ثلَاثًا. قُلْتُ: لعلَّ هذَا فِي مَبْدَأِ الوَحْيِ فالقَرْنُ مِنْهُ لِمَا بَعْدُ إلَى مُدَّة.

وكَذَا فِيمَا ذَكَرَ الطَّبرانيّ عن ابْنِ عمَر سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ: ((**لقَدْ هَبطَ عَلَيَّ مَلَكٌ مِنَ السَّماءِ ما هَبطَ علَى نَبِيءٍ قَبْلِي ولَا يَهْبِطُ على أَحَدٍ مِنْ بَعْدِي وهُوَ إسْرَافيلُ وعِندَهُ جِبرِيلُ فقَالَ: أنَا رسُولُ رَبِّي إلَيْكَ أمَرَنِي أنْ أُخْبِرَكَ: إنْ شِئْتَ نبِيًّا عَبْدًا وإنْ شِئْتَ نَبِيًّا مَلِكًا، فنَظَرْتُ إلى جِبرِيلَ مستَشِيرًا فأَوْمَأَ إلَيَّ أنْ تواضَعْ فقُلْتُ: نَبِيًّا عبْدًا فَلَوْ قُلْتُ: نَبِيًّا مَلِكًا سارَت الجِبَالُ مَعِي ذَهَبًا**))[1].

ثُمَّ اطَّلَعْتُ أَنَّ القَضِيَّتَيْنِ بعدَ ابْتِدَاءِ الوَحْيِ بسَنَتَيْنِ كمَا يُعْرَفُ مِنْ سَائِرِ طُرُقِ الحَدِيثِ. فهذَا صَرِيحٌ فِي أنَّ إِسْرَافِيلَ لَمْ يَنْزِلْ علَيْهِ قبْلَ الْوَحْيِ ولَا بَعْدَهُ فِي المُدَّةِ المذْكُورَةِ، فكَيْفَ يُقالُ: قُرِنَ بِه ثَلاثَ سِنينَ قَبل أوْ بَعْد.

وقَوْلُ الشَّعبِيّ مُرْسَلٌ فيُقَدَّمُ علَيْهِ غَيْرُهُ ولَا سِيَّمَا قَدْ عُورِضَ، لكِنّ قَوْلَ جَمَاعَةٍ أنَّ المَلَكَ فِي قِصَّةِ الفَاتِحَةِ وخَوَاتِم البَقَرَةِ، المذْكُورِ آنِفًا هُو إسْرَافِيلُ لَا يَكُونُ حُجَّةً، والحَدِيثُ الذِي بعْدَهُ لَعَلَّ المرَادَ أنّي لَمْ أعْرِفْهُ نَازِلًا قَبْلُ بِعَيْنِهِ، فإِنْ كانَ إسْرَافِيلُ فلم يعْلَم الذِي قُرِنَ بهِ قَبْلَ النُّبُوءَةِ إسْرَافِيل؛ إِذْ لَمْ يَرَهُ قَبْلَها، وهذَا علَى مَا ذَكَرْتُ أَنَّه اقْتَرَنَ بِهِ إسْرَافيلُ قَبْلَ نُزُولِ "اقرأ باسمِ ربّك".

ثُمَّ إنَّه ذكَرَ ابْنُ حَجَرٍ: أَنَّهُ لَيْسَ المرادُ بفَتْرَةِ الوَحْيِ المقَدَّرَةِ بثَلَاثِ سِنِينَ، بَيْنَ نُزُولِ "اقْرَأْ" وَ "يَا أَيُّهَا المُدّثِّر"، عَدَمُ مَجِيءِ جِبْرِيلَ إلَيْهِ، بَلْ تأَخُّرُ نزُولِ القُرآنِ فقَطْ[2]. ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

84 وَصَلَّيْتَ نَحْوَ الْقِبْلَتَيْنِ تَفَرُّدًا وَكُلُّ نَبِيءٍ مَا لِقِبْلَتِهِ ثَانِي

وصَلَّيْتَ يا رسُولَ اللهِ إلَى الكَعْبَةِ وإلَى بيت المقدس حالَ كَوْنِكَ مُتَفَرِّدًا وذَا تَفَرُّدٍ؛ أَيْ: اخْتِصَاصٍ بذلِكَ، وهُنا فَصْلَانِ.

[الفصل] الْأَوَّلُ:

كُلُّ نَبِيءٍ لهُ قِبْلةٌ واحِدَةٌ لَا مُستَقْبَل ثَانِيًا لَه. ومسْتَقْبَلُ بفَتْحِ البَاءِ: موْضِعُ اسْتِقْبَالٍ. كانَ ﷺ يسْتقْبِلُ الكعْبَةَ وحْدَها حَضَرًا وسَفَرًا تارَةً، ومَعَ بَيْتِ المَقْدِسِ تارَةً بأَنْ يَجْعلَ الكَعْبةَ بيْنَهُ وبَيْنَ بيْتِ المقدِسِ، وتارةً بيْتَ المقْدِسِ وَحْدَهُ [157و] ثُمَّ فَرَضَ اللهُ علَيْهِ اسْتِقْبالَ الكَعْبَةِ.

---

(1) المعجم الكبير، حدِيث (13309).

(2) فتح البارِي، ابن حجر، 27/1.

ذَكَرُوا أنَّ القِبْلةَ حُوِّلَتْ بالمَدِينَةِ عن بَيْتِ المقْدِسِ إلَى الكَعْبَةِ فِي نِصْفِ شعْبَانَ يَوْمَ الثُّلاثاءِ، وكَانَ فِي رَجَب[1]. وكَانَ ﷺ يُصَلِّي بالمَدِينَةِ إلَى بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شهْرًا، وقِيلَ: سبْعَةَ عشَرَ وقِيلَ ثَمانِيَة عَشَرَ[2]. وقِيلَ: قَدِمَ ﷺ المدِينَةَ في رَبِيعِ الأَوَّل فصَلَّى إلَى بَيْتِ المقْدِسِ إلَى تمَامِ السَّنَةِ، وصَلَّى مِنْ سَنَةِ اثنَتيْن سِتَّة أَشهُرٍ ثمَّ حُوِّلتْ القِبْلَةُ[3].

ثُمَّ فُرِضَ صوْمُ رمَضَانَ بعْدَمَا حُوِّلَت القِبْلَةُ إلى الكَعبةِ بنِصْفِ شهْرٍ[4].

ورُوِيَ أنَّهُ ﷺ كان يُصَلِّي بمكَّةَ إلَى الكَعْبَةِ رَكْعَتَيْن بالغَدَاةِ، ورَكْعَتَيْنِ بالْعَشِيّ، فلَمَّا عُرِجَ بهِ إلَى السَّماءِ أُمِرَ بالصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، فصَارَتْ رَكْعَتَيْن فِي الأَوْقاتِ غيْرِ المغْرِبِ للْمُسافِرِ والمُقِيمِ، وفِي المَغْرِبِ ثلاثٌ لَهُمَا؛ لأَنَّهُ وِتْرُ النَّهارِ، وبعْدَمَا هَاجَرَ إلَى المدِينَةِ زِيدَ في الحَضَرِ، وأُمِرَ بالصَّلاةِ لِبَيْتِ المقْدِسِ لِئَلَّا تُكذِّبَهُ اليَهُودُ؛ لِأَنَّ نَعتَهُ في التَّوراة أنَّهُ صاحِبُ قِبْلَتَيْن، وكانَت الكَعْبَةُ أَحَبَّ القِبْلَتَيْن إلَيْهِ فأَمَرَهُ اللهُ أن يُصَلِّيَ إلَى الكَعْبَةِ[5]. قالَ اللهُ تَعالَى: ﴿ **قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ** ﴾ الآية[6] كذَا عَن ابْنِ عبَّاس[7].

وذَكَرُوا أنَّهُ ﷺ صلَّى بمكَّة إلى الكَعْبَةِ ثُمَّ أُمِرَ بالصَّلاةِ إلَى بَيْتِ المَقْدِسِ بعْدَ الهِجْرَة تَأَلُّفًا لِلْيَهُودِ[8].

وعن ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنْهُمَا: ((**كانَتْ قِبْلَتُهُ بِمَكَّة بَيْتَ المَقْدِسِ إلَّا أنَّهُ كان يَجْعَلُ الْكَعْبَةَ بَيْنَهُ وبَيْنَ بيْتِ المَقْدِسِ**))[9].

وفي بَعْضِ الكُتُبِ أقَامَ ﷺ بِمَكَّةَ بَعْدَ نزُولِ جِبْرِيلَ ثَلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، وقِيلَ: خَمْسَ عَشْرَةَ وقِيلَ: عَشْرًا والصَّحِيحُ الأَوَّلُ، وكانَ يُصَلِّي إلى بَيْتِ المَقْدِس مُدَّةَ إقَامَتِهِ وَلَا يَسْتَدْبِرُ الكَعْبَةَ ويَجْعَلُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ[10].

قال ابْنُ حَجَر: ظاهِرُ حدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ[11] يَدُلُّ أنَّ اسْتِقبَالَ بيْتِ المَقْدِسِ إنَّمَا وَقَعَ بَعْدَ الهِجْرةِ إلى الْمَدِينَةِ. لكِنْ أَخْرَجَ أحْمَد مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عن ابْنِ عَبَّاس: كانَ النَّبيءُ ﷺ يُصَلِّي بِمَكَّةَ نَحْوَ بَيْتِ

---

(1) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، 45/5.

(2) ينظر: صحيح البخارِي، حدِيث (399).

(3) لم أقفْ عليه.

(4) ينظر: الطبقات الكبير، ابن سعد، 208/1. وقِيل بشهرٍ. ينظر: إرواء الغليل، الألبانِي، 334/3.

(5) ينظر: تفسير مقاتل، 143/1.

(6) سورة البقرة: 144.

(7) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 367/1. ينظر: جامع البيان، 450/2.

(8) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 367/1، عن الكشاف، الزمخشرِي، ص101.

(9) مسند أحمد، حدِيث (2991).

(10) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 367/1.

(11) يقصد حدِيث نزول الآية:﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة: 144]. ينظر: جامع البيان، 450/2.

المقْدِسِ والكَعْبةُ بَيْنَ يدَيْهِ[1]. والجَمْعُ بيْنَهُما مُمْكِنٌ بأنْ يكُونَ أُمِرَ لَمَّا هاجَرَ أنْ يَسْتَمِرَّ علَى الصَّلاةِ لِبَيْتِ المقْدِسِ. وأَخْرَجَ الطَّبَرِي مِنْ طرِيقِ ابن جرِيْج: ((**أَنَّهُ أَوَّلَ مَا صَلَّى النَّبِيءُ ﷺ إِلَى الكَعْبَةِ ثُمَّ صُرِفَ إِلَى بيْتِ المَقْدِسِ، وهُوَ بِمَكَّةَ فصَلَّى ثَلَاثَ حِجَجٍ ثُمَّ هَاجَرَ، وصَلَّى بَعدَ قُدُومِهِ المدينَةَ سِتَّةَ عَشَرَ شهْرًا** [157ظ] **ثُمَّ وَجَّهَهُ اللهُ إلى الكَعْبَةِ**))[2]. وقَوْلُهُ فِي حَدِيثِ ابنِ عبَّاسٍ الأَوَّلِ: ((**أَمَرَهُ اللهُ**)) يَرُدُّ علَى مَنْ قالَ: إنَّه صَلَّى إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ باجْتِهادٍ. وما رُوِيَ عَنْ أبي العالِية: أنَّهُ صَلَّى إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ يَتَأَلَّفُ أَهْلَ الكِتَابِ، لَا يُنَافِي أنْ يكُونَ بِأَمْرِ اللهِ[3]. بَلْ أَمَرَهُ اللهُ بِهِ تَأْلِيفًا.

قالَ مُحَمَّدُ بنُ شهَاب الزُّهْرِيّ: لَمْ يُهْبِط اللهُ نَبيًّا مُنْذُ هَبَطَ آدَمُ إِلَى الدُّنيا نَبِيًّا، إِلَّا جَعَلَ قِبْلَتَهُ صَخْرَةَ بيْتِ المَقْدِسِ، ولَقَدْ صَلَّى إِلَيْهَا نَبِيُّنا علَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلَامُ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا[4].

قالَ الغَزَّالي: إنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ كانَ يسْتَقْبِلُ الصَّخْرَةَ مِنْ بَيْتِ المَقدِسِ مدَّة مُقَامِهِ بِمَكَّةَ وهِيَ قِبْلَةُ الأَنْبِيَاءِ وإِيَّاها كانَت اليَهُودُ تَسْتَقْبِلُ. وكان ﷺ لا يُوثِرُهُ بأَنْ يسْتَدْبِرَ الكَعْبَةَ، فلَا يَقِفُ إِلَّا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ اليَمَانِيَّيْنِ، ويَسْتَقْبِلُ جَنُوبَ الصَّخْرَةِ. فلَمَّا هَاجَرَ إلى المدِينَةِ لَمْ يُمْكِنْهُ اسْتِقْبَالُها إِلَّا بِاسْتِدْبَارِ الكَعْبةِ، فشَقَّ علَيْهِ ذَلكَ فنَزَلَتْ: ﴿**فَوَلِّ وَجْهَكَ**﴾[5] فيكُونُ بَعْدَ التَّحوِيلِ وجهُهُ إِلَى الحِجْرِ؛ لِأَنَّهُ في مُقابِلِ الجِدَارِ الذِي فِيهِ الرُّكْنَانِ اليَمَانِيَّانِ[6].

وذُكِرَ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ زارَ بشر بن البَراء بن معْرور فِي بَنِي سَلمَة فتَغَدَّى هُوَ وأَصْحَابُهُ. وجاءَت الظُّهرُ فصَلَّى بأَصْحَابِهِ في مَسْجِدِ القِبْلَتَيْنِ رَكْعَتَيْن مِنَ الظُّهرِ نَحْوَ الشَّامِ، ثُمَّ أُمِرَ أَنْ يسْتَقْبِلَ الكَعْبَةَ وهُوَ رَاكِعٌ في الرَّكعة الثَّانية، فاسْتَدَارَ إِلَى الكَعْبَةِ ودَارَت الصُّفوفُ خَلْفَهُ، ثمَّ أَتَمَّ الصَّلاةَ، وسُمِّيَ مَسْجِد القِبْلَتَيْنِ[7]، وفِي "النَّسَائِي" أَنَّهَا الظُّهرُ، وقَالَ غَيْرُهُ: العَصْرُ وهُو ظَاهِر حَدِيثِ البَرَاءِ فِي "صَحِيحِ البُخَارِي"[8]. وأَمَّا أَهْلُ قُبَاء فلَمْ يَبْلُغهُم الخَبَرُ إِلَى صلَاةِ الفَجْرِ مِنَ اليَوْمِ الثَّانِي، كمَا فِي "صَحِيحِ

(1) سبق تخريجه: مسند أحمد، حدِيث (2991).

(2) جامع البيان، الطبرِي، 623/2.

(3) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 244/1-245، فتح البارِي، ابن حجر، 502/1.

(4) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 367/1. ينظر: إنسان العيون، 180/2.

(5) سورة البقرة: 144.

(6) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 367/1-368، عن البيضاوِي في حواشِي أنوار التنزِيل.

(7) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 368/1. ينظر الحدِيث فِي: كشف المشكل من حدِيث الصحيحين، ابن الجوزِي، 247/2. وفِيه: ((أم بشير بن البراء)).

(8) صحيح البخارِي، حدِيث (40).

مُسْلِم"[1] و"البُخَارِي"[2]. ولا يَلْزَمُ حُكْمُ النَّاسِخِ إلَّا مَنْ علِمَ بهِ ذَلِكَ فِي زَمَانِهِ ﷺ، وذلكَ أنَّهُمْ لَمْ يُؤْمَرُوا بإعادَةِ العَصْرِ والمغْرِبِ والْعِشاءِ. قالَ الوَاقِدِيّ: كانَ هذَا يَوْمَ الاثْنَيْن للنِّصْفِ مِنْ رَجَب علَى رَأْسِ سبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا[3]. وعَن البَرَاءِ علَى سِتَّةَ عشَرَ شَهْرًا أوْ سبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا أو ثَمَانِيَةَ عشَرَ شَهْرًا علَى اخْتِلَافِ الأَقْوَالِ[4].

قال ابنُ عَبْدِ البَرّ: إنَّ النَّبِيءَ ﷺ قَدِمَ المَدِينَةَ فصَلَّى نَحْوَ بَيْتِ المقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شهْرًا، ثُمَّ وُجِّهَ إلَى الكَعْبَةِ في رَجَب بعْدَ الزَّوالِ، قبْلَ قِتَالِ بَدْرٍ بِشَهْرٍ، وقَدْ صَلَّى بأَصْحَابِهِ في مَسْجِدِ بَنِي سلمَة رَكْعَتَيْن مِنَ الظُّهرِ، فتَحَوَّلَ فِي الصَّلاةِ واسْتَقْبَلَ المِيزَابَ وتبَادَرَ الرِّجالُ والنِّساءُ صُفُوفَهُم فَسُمِّيَ المَسْجِدُ مَسْجِدَ القِبْلَتَيْنِ[5].

وذكَرَ بَعْضٌ: أنَّها نزَلَت –الفَاتِحَة– بِمَكَّةَ حِينَ فُرِضَت الصَّلاةُ وبالمَدِينَةِ[158و]حينَ حُوِّلَت القِبْلَةُ[6].

الفَصْلُ الثَّانِي:

كانَ ﷺ يُصَلّي إلَى صخْرَةِ بَيْتِ المَقْدِسِ التِي كانَ مُوسَى يُصَلِّي إلَيْهَا بِحذاءِ الكَعْبَةِ، وهيَ قِبْلَةُ الأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ نقَلَهُ القُرْطُبيّ عنْ بَعْض[7]. وأَخْرَجَ ابنُ سَعْد عن مُحَمَّد بنِ كَعْب القُرَظِيّ: ما خَالَفَ نَبِيءٌ نَبِيًّا فِي قِبْلَةٍ ولَا سُنَّةٍ إلَّا أَنَّهُ ﷺ اسْتَقْبَلَ بَيْتَ المَقْدِسِ[8] ثُمَّ تَحَوَّلَ إلَى الكَعْبَةِ. وروَى أبُو دَاوُد عن الحَسَنِ في قولِهِ تعالى﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ** ﴾[9] أُعلِمَ قِبْلَتَهُ فلَمْ يُبْعَثْ نَبِيءٌ إلَّا وقِبْلَتُهُ البَيْتُ[10]. قِيلَ: وهَذَا هُوَ الرَّاجِحُ أنَّ الكَعبَةَ قِبْلَةُ الأَنبِيَاءِ كُلِّهِمْ، كما دَلَّتْ علَيْهِ الآثارُ. واخْتَارَ ابنُ العَرَبِيّ وتِلْمِيذُهُ السُّهيْليّ إنَّ قِبْلَةَ الأَنْبِيَاءِ بَيْتُ المَقْدِسِ[11]. قالَ بَعْضٌ: وهُوَ الصَّحيحُ المعْرُوفُ، وعلَيْهِ فاستِقْبَالُ الكَعْبَةِ مِنْ خَصَائِصِ النَّبِيءِ ﷺ[12].

---

(1) حدِيث (526).

(2) حدِيث (403) وغيره.

(3) فتح البارِي، ابن رجب، 166/1، وفي تاريخ الطبرِي عن الواقدي: للنصف من شعبانَ. تاريخ الرسل والملوك، 416/2.

(4) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 368/1.

(5) (م، س)، 368/1، والاستيعاب، ابن عبد البر، 503/1.

(6) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 368/1، عن تبصير الرحمن. ينظر مدارك التنزِيل، 25/1.

(7) الجامع لأحكام القرآن، القرطبِي، 151/2.

(8) الطبقات الكبِير، ابن سعد، 209/1.

(9) سورة آل عمران: 96.

(10) رواية أبِي داود في الناسخ والمنسوخ. لم أقفْ عليهِ.

(11) ينظر: الروض الأنف، 69/4.

(12) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 242/2.

ومِنْ خَصَائصِهِ ﷺ: أنَّ اللهَ جَمَعَ لهُ بَيْنَ القِبْلَتَيْنِ، صَلَّى إلَيْهِمَا معًا فِي مكَّةَ بِجَعلِهِ الكَعْبَة بَيْنَهُ وبيْنَ بَيْتِ المَقْدِسِ وإلَى بَيْتِ المَقْدِسِ خَاصَّةً؛ إذْ هَاجَرَ مِنْ حِينِ هَاجَرَ إلَى الوُصُولِ ومَا بَعْدَه، ثمَّ إلى الكَعْبَةِ خَاصَّة.

روَى مُسلِم عَنْ أبي الأحوَص[1]، والنَّسَائِيّ عنْ زكريّاء بن أبي زائدة[2] وشَرِيك[3]، وأبو عوانة عَنْ عمّار بن رُزيق[4]، بِتقْدِيمِ الرَّاءِ، كُلّهُمْ عَنْ أَبِي إِسْحَاق عن البراء بن عازب: ((**أَنَّهُ صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى صَخْرَةِ بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا**)). ورَواهُ أحْمَد بِسَنَدٍ صحِيحٍ عنْدَهُم[5] ورَجَّحَهُ النَّوَوِيّ في "شَرْحِ مُسْلِم"[6]. وفي رِوايَةٍ زُهير عنْدَ البُخَارِيّ: ((**وإِسْرَائِيلُ عِنْدَهُ**))[7]. وعندَ التِّرْمِذِيّ عنْ أبي إسحاق عنِ البَرَاءِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا أو سَبْعَة عشَرَ شَهْرًا بِالشَّكِّ[8]. ورَوَى البَزَّارُ والطَّبرانِيّ؛ والبزَّارُ مِنْ حَدِيثِ عمْرو بن عوْف[9]. والطَّبرانِيّ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ ابن عبَّاسٍ سَبْعَةَ عَشَر شَهْرًا[10]. وهُوَ قَوْلُ ابن المسيّب ومَالِك وابْنِ إسْحاق، وقالَ القُرْطُبِيّ: وهُوَ الصَّحِيحُ[11].

ويُجْمَعُ بأَنَّ مَنْ جَزَمَ بِسِتَّةَ عشَرَ لَفَّقَ مِنْ شَهْرِ القُدُومِ وشَهْرِ التَّحْوِيلِ شَهْرًا وأَلْغَى الأيَّامَ الزَّائدةَ، ومَنْ جَزَمَ بِسَبْعَةَ عَشَرَ عَدَّهُما مَعًا، ومَنْ شَكَّ تَرَدَّدَ فِي ذلِكَ، والقُدُومُ كانَ فِي شَهْرِ رَبِيع الأَوَّل إجْمَاعًا. والتَّحْوِيلُ في نِصْفِ رَجَب مِنَ السَّنةِ الثَّانيةِ على الصَّحيحِ، وبِهِ جَزَمَ الجُمْهورُ، ورواهُ الْحَاكِمُ بسَنَدٍ صحِيحٍ عن ابْنِ عبَّاسٍ. وقَالَ ابْنُ حِبَّان: سبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا وثلَاثةَ أيَّامٍ، وهُوَ مَبْنِيٌّ على أنَّ القُدُومَ كانَ فِي ثَانِي رَبِيع الأوَّلِ، ولَعَلَّهُ قَوْلُ مَنْ قالَ: سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، ويكُونُ قَدْ أَلْغَى الكَسْرَ. وروَى ابنُ مَاجَةَ مِنْ طَرِيقِ أبي بكر بن عيّاش عنْ أبي إسحاق عنِ البَرَاءِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا[12] وهُو شَاذٌّ، وفي سَنَدِهِ مَنْ هُوَ سَيِّئُ الحِفْظِ [158ظ] فعَنْهُ عنْدَ ابن جرير: سَبْعَةَ عشَر فِي رِوَايَةٍ[13]، وفِي أُخْرَى عنْهُ عنْدَ ابْنِ جَرِير أَيْضًا: سِتَّةَ عَشَر. ومِنَ الشُّذوذِ روَايَةُ ثَلاثَةَ عَشَر شهْرًا أو رِوايَةُ تِسْعَة أشْهُرٍ وعَشْرَة أشْهُرٍ، ورِوايَة شَهْرَيْنِ ورِوايَة سنَتَيْن، ويُمكِنُ حَمْلُ الأَخِيرَةِ

(1) صحيح مسلم حدِيث (525).
(2) السنن الصغرى، النسائي، حدِيث (489).
(3) (م، س)، حدِيث (10936).
(4) مستخرج أبِي عوانة، حدِيث (1163).
(5) مسند أحمد حدِيث (2252) ومواضع أخرى.
(6) المنهاج، النووِي، ص404.
(7) لم أجد العبارة في رواية زهير عند البخارِي.
(8) سنن الترمذِي، حدِيث (340).
(9) البحر الزخار، حدِيث (3399).
(10) المعجم الكبِير، حدِيث (12498).
(11) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 242/2.
(12) سنن ابن ماجه، حدِيث (1010).
(13) جامع البيان، 619/2.

علَى الصَّوابِ. وأسانِيدُ الجَمِيعِ ضعِيفَةٌ والاعْتِمَادُ علَى الثَّلاثَةِ فتِلْكَ تِسْعَةُ أَقْوَالٍ. ولَوْ عُدَّ الشَّكُّ لكَانَتْ عشَرَة أَقْوَالٍ. وأَمّا القَوْلُ بِبِضْع عشْرَةَ فغَيْرُ خَارِجٍ عن أَقْوَالِ مَا زادَ علَى العَشَرَةِ ولَمْ يُتِمَّ العِشْرِينَ[1].

وقالَ إبراهِيمُ الْحَرْبِيّ[2]: قَدِمَ النَّبِيءُ ﷺ المدِينَةَ فِي رَبِيع الأَوَّلِ، فصَلَّى إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ تَمَامَ السَّنةِ وصَلَّى مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ثُمَّ حُوِّلَت القِبْلةُ. والمُرَادُ أَنّ مُدّةَ الصَّلاةِ لِبَيْتِ المَقْدِسِ دونَ سِتَّةِ أشْهُرٍ أو سِتَّة عشَرَ بِشَهْرِ القُدُومِ. وجزَمَ ابن عقبة بأنَّ تَحْوِيلَها في جُمَادَى[3]. وقِيلَ: يَوْمَ الثّلاثَاءِ في نِصْفِ شَعْبانَ، قالَهُ محمّد بن حبيب[4]، وجَزمَ بِهِ في "الرَّوْضَةِ"[5] معَ تَرْجِيحِهِ في "شَرْحِ مُسْلِم" رِوَايَةَ سِتّة عشَرَ شهْرًا للْجَزْمِ بِهَا فِي "مُسْلِم"[6]. ولَا يَسْتَقِيمُ أَنَّهُ فِي شعْبَانَ إلَّا بِإِلْغَاءِ شَهْرَي القُدُومِ والتَّحْوِيلِ. نَعَم هُوَ يُوافِقُ روَايَةَ سَبْعَةَ عَشَر بتَلْفِيقِ وَاحِدٍ مِنْ شَهْرَي القُدومِ والتَّحْوِيلِ، والقَوْل الشَّاذّ بِإلْغَاءِ الكَسْرِ واعْتِبَار شَهْرَي التَّحوِيلِ والقُدُومِ. وقِيلَ يوم الاثْنَيْن نِصْف رَجَب رَوَاهُ أَحْمَد عن ابْنِ عبَّاس بِإسْنادٍ صحِيحٍ. قال الواقديّ: وهَذَا أَثبَتُ. قال ابْنُ حَجَر: وهُوَ الصَّحيحُ وبِهِ جَزَمَ الجمهورُ، وهو صالِحٌ لِرِوَايَتَي ستَّة عشَر وسبعةَ عشَر والشَّكّ. فالحاصلُ في الشَّهرِ ثلاثةُ أقوالٍ وفي الْيَومِ قوْلَانِ. وظاهِرُ حَدِيثِ البراءِ في البُخَارِيّ أنَّ الصَّلاةَ التِي وَقَعَ فِيها التَّحويلُ كانت صلاةُ العَصْرِ لقولِهِ: وإنَّه، أَيْ: النَّبِيءُ ﷺ صلَّى أوَّلَ صلاةٍ صلَّاها صلَاةَ العصرِ أَيْ: متَوَجِّهًا إلَى الكَعْبَةِ. ووَقَعَ عندَ النّسائي مِنْ رِوايَةِ أبي سعيد بن المعلّى بِالشَّدّ واسْمُهُ سَعِيد علَى الصَّحِيحِ لَا رَافِع، إنَّها الظُّهرُ، وكذا عِنْدَ الطَّبرانِي والبزَّارِ مِنْ حَديثِ أنَسٍ. وعِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ: حُوِّلَتْ في صَلاةِ الظُّهرِ أو العَصْرِ. وقالَ ابْنُ حَجَر: التَّحْقِيقُ أنَّ أَوَّلَ صلَاةٍ صَلَّاها فِي بَنِي سلمَةَ لَمَّا مَاتَ بِشْرُ بنُ البَرَاءِ بنِ مَعْرُورٍ الظُّهْرُ، وأَوَّلُ صلاةٍ صَلَّاها بالمَسْجِدِ النَّبَوِيّ العَصْرُ. وأمَّا أَهْلُ قُبَاءَ فلَمْ يبْلُغْهُم الخَبَرُ إلى صلَاةِ الفَجْرِ مِنَ اليَوْمِ الثَّانِي. ولَا منَافاةَ بَيْنَ الخَبَرَيْنِ؛ لِأَنَّ الخبرَ وصَلَ وَقْتَ العَصْرِ إلى مَنْ هُوَ داخِلَ المدينةِ، وهُمْ بنُو حارثَةَ، ووَصَلَ وقْتَ الصُّبحِ إلى مَن هو خارِجَها، وهُمْ أَهْلُ قُباء[7].

قالَ البُخارِي ومُسْلِم عن ابْنِ عُمَر: ((**بَيْنَا النَّاسُ بِقُبَاءَ**)) أيْ: في مسْجِدِ قُباءَ، ولَفْظُ مُسْلِم: ((

(1) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 243/2.

(2) إبراهيم الحربي: أبو إسحاق بن إسحاق البغدادي، سمِع مِن أحمد بن حنبل والقاسم بن سلام وغيرهم، له كتاب غرِيب الحدِيث. ت: 285هـ. سير أعلام النبلاء، 356/13.

(3) في المغازِي: في شهرِ رجب. المغازِي، موسى بن عقبة، ص116.

(4) محمد بن حبيب الهاشمِي، صاحبُ مؤتلف القبائل ومختلفها، والمنمق من أخبار قريش، من علماء بغداد باللغة والشّعر والأخبار، ت:245هـ. معجم الأدباء، 2480/6.

(5) روضة الطالبين، النووِي، 409/8.

(6) المنهاج، ص404.

(7) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 244/2.

[159و] **فِي صَلَاةِ الغَدَاةِ، إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ فقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الكَعْبَةَ فاسْتَقْبِلُوهَا، وكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّامِ فاسْتَدَارُوا إِلَى الْكَعْبَةِ))**[1] وكَرِهَ بعْضُهُمْ تَسْمِيَةَ صلَاةِ الفَجْرِ صَلَاةَ الغَدَاةِ. "فاسْتَقْبَلُوهَا" بِفَتْحِ البَاءِ إِخْبارًا، وبِكَسْرِ البَاءِ أَمْرًا، وواوُ "استَقْبَلُوا" وَهَاءُ "وُجُوهَهُمْ": لِأَهْلِ قُبَاءَ أَوْ لِلنَّبِيءِ ﷺ ومَنْ مَعَهُ.

ورَوِيَ الأَصِيلِي[2] لِلْبُخَارِي، والعُذرِي[3] لِمُسلِم الضَّبطَ بكَسْرِ البَاءِ. وفِي ضَمِيرِ "وُجُوهَهُمْ" الوَجْهَان، وعَوْدُهُ إِلَى أَهْلِ قبَاءَ أظْهَرُ، ويُرَجَّحُ الكَسْرُ رِوَايَةً لِلْبُخَارِي ((**وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ أَلَا فاسْتَقْبِلُوهَا**))[4][5].

ولَمْ يذكُرُوا اسْمَ الآتِي بِخبَرِ التَّحوِيلِ في الصَّلاةِ لِأَهْلِ قُبَاءَ. وقِيلَ: عباد بن بشر، ورُدَّ بأنَّ ذلكَ إنَّما وَرَدَ فِي حَقِّ بَنِي حَارِثَةَ أَوَّلًا وَقْتَ العَصْرِ، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى أَهْلِ قُبَاءَ فأَعْلَمَهُم بذَلِكَ فِي الصُّبحِ. ومِمَّا يَدُلُّ علَى تعَدُّدِهَا رِوايَةُ مُسْلِم عنْ أَنَس: ((أَنَّ رَجُلًا مِنْ بني سلمَةَ مَرَّ وَهُمْ رُكُوعٌ في صَلَاةِ الفَجْرِ))[6] فهَذَا مُوَافِقٌ لرِوَايةِ ابن عمر فِي تَعْيِينِ الصَّلاةِ، وبنُو سَلمَةَ غَيْرُ بَنِي حارِثَةَ. وكَوْنُ مُخْبِرِ بنِي حارِثَةَ عبَّادُ بنُ بِشْرٍ رَوَاهُ ابنُ مَنْدَةَ وابن أبي خيثمة. وقِيلَ عبّاد بنُ نَهِيك، بفَتْحِ النُّون وكَسْرِ الهَاءِ، ورَجَّحَ أبُو عمر الأوَّلَ[7]. وقِيلَ: عبَّاد بنُ نَصْر الأَنْصَارِي. قالَ ابْنُ حَجَر: والمَحْفوظُ عبَّاد بنُ بِشر. أ.هـ[8]. وقِيلَ: عَبَّاد بنُ وَهْب[9].

وفِي حَديثِ إِخْبَارِ أنَّ القِبْلَةَ حُوِّلَت أنَّ النَّاسِخَ لا يَلْزَمُ حكْمُهُ إِلَّا بَعْدَ العِلْمِ بِهِ، وإِنْ تقَدَّمَ نزُولُهُ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَأْمُرْهُمْ بإِعَادَةِ العَصْرِ والمَغْرِبِ والعِشاءِ. قُلْتُ: وهَذَا علَى عَهْدِهِ ﷺ لا بعْدَهُ.

---

(1) صحيح البخارِي، حدِيث (403)، وصحيح مسلم، حدِيث (526).

(2) الأصيلي: أبو محمد عبد الله بن إبراهِيم، نشأ بأصِيلا وتفقه بقرطبة سمع ابن المشَّاط وابن سليم القاضِي، وكتب عن أبِي زيد الفقيه صحيح البخارِي، له كتاب الدلائل في اختلاف مالك وأبِي حنِيفة والشافعِي، ت:392هـ. الديباج المذهب، ابن فرحون، 433/1، وسير أعلام النبلاء، الذهبِي، 560/16.

(3) العُذْرِي: أحمد بن عمر بن أنس، يعرف: بابن الدلائي من أهل المرية، يكنى: أبا العباس، سمع بالحجاز سماعا كثيرا من أبي العباس الرازي، وأبي الحسن بن جهضم وأبي بكر محمد بن نوح الأصبهاني، وسمع من جماعة غيرهم من المحدثين من أهل العراق وخرسان. وكتب بالأندلس عن أبي علي البجاني، وأبي عمر، وأبي محمد بن حزم وغيرهم. وكان معتنيا بالحديث ونقله وروايته وضبطه مع ثقته وجلالة قدره وعلو إسناده، ت: 478هـ. الصلة، ابن بشكوال، 88/1.

(4) صحيح البخارِي، حدِيث (4490).

(5) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 245/2.

(6) صحيح مسلم، حدِيث (15).

(7) الاستذكار، 187/7.

(8) فتح البارِي، ابن حجر، 97/1.

(9) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 245/2.

واستَنْبَطَ منهُ الطَّحَاوِيّ أَنَّهُ مَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ الدَّعْوَةُ ولَمْ يُمْكِنْهُ اسْتِعْلَامٌ فالفَرْضُ غَيْرُ لَازِمٍ لَهُ[1].

وفيهِ جوَازُ الاجْتِهادِ فِي زَمانِهِ ﷺ إذْ رَجَّحُوا التَّمَادِي فِيهَا علَى قَطْعِهَا. قُلْتُ: وفِيه نَظَرٌ لعَدَمِ وَقْتٍ يَقْبَلُ الاجْتِهَادَ؛ لِأَنَّهُم تَحوَّلُوا بَغْتَةً، ولَعَلَّهُم تَحَوَّلوا لِظاهِرِ وجُوبِ الامْتِثالِ علَى أَنَّهُ إِنْ قالَ لَهُم النَّبِيءُ ﷺ أعِيدُوا، أَعَادُوا، أَوْ لِأَنَّ لَهُمْ عِلْمًا بالبَقَاءِ قَبْلَ ذَلِكَ بِتَعْلِيمِهِ ﷺ لِأَنَّهُ مُرْتَقِبٌ لِلتَّحوِيلِ.

وفِيهِ قُبُولُ خَبَرِ الوَاحِدِ، ووُجُوبُ العَمَلِ بِهِ، ونَسْخُ ما تَقَرَّرَ مِنَ العِلْمِ بِهِ، إذْ ثَبَتَ عنْدَهُم الصَّلاةُ لِبَيْتِ المقْدِسِ. وأُجِيبَ بأَنَّ الخَبَرَ المذْكُورَ احْتَفَتْ بِهِ قَرَائِن أفَادَت العِلْمَ بصِدْقِ الخَبَرِ، فالنَّسخُ بمَا أفَادَ عِلْمًا. وقِيلَ: النَّسْخُ بِخَبَرِ الوَاحِدِ جائِزٌ في زَمَانِهِ ﷺ وإِنَّما يُمْنَعُ بَعْدَهُ. ولَا دَلِيلَ لِهَذَا القَوْلِ.

وذكرَ الطَّبَرِي مِنْ طرِيقِ عليّ بن أبي طلْحة عن ابْنِ عَبَّاسٍ: لَمَّا هَاجَرَ النَّبِيءُ ﷺ إلى المدينةِ، واليَهُودُ أَكْثَرُ أَهْلِها، وهُمْ يَسْتَقْبِلونَ بَيْتَ المَقْدِسِ، أَمَرَهُ اللهُ تعَالَى أنْ يَسْتَقْبِلَ بيْتَ المَقْدِسِ لِيَجْمَعَ لهُ بَيْنَ القِبْلَتَيْنِ وتَأْلِيفًا لِلْيَهودِ ففَرِحُوا ظَنًّا أَنَّهُ اقْتَدَى بِهِمْ، فَاسْتَقْبَلَها سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا[2].

وكَذَا ذَكَرَ الرّبيع بن حبيب عنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عنْ جابر بن زيْد عن ابْنِ عبَّاسٍ: إنَّمَا اسْتَقْبَلَهُ سَبْعةَ عَشَرَ شَهْرًا[3] [159ظ] وكَانَ ﷺ يُحِبُّ أنْ يَسْتَقْبِلَ قِبْلَةَ إِبْرَاهيمَ.

وعِنْد الطَّبَرِي مِنْ طَرِيقِ مُجَاهِد عن ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانَ ﷺ يُعْجِبُهُ أنْ يَتَحَوَّلَ لِلْكَعْبَةِ لِأَنَّ اليَهُودَ قَالُوا: يُخَالِفُنَا مُحَمَّد ويتَّبِعُ قبْلَتَنا[4].

وعِندَ ابْنِ سَعْدٍ: ((**أَنَّهُ ﷺ قالَ يَا جِبْرِيلُ وَدِدْتُ أنَّ اللهَ صَرَفَ وجْهِي عنْ قِبْلَةِ يَهُود، فقَالَ جِبْرِيلُ: إِنَّمَا أنَا عَبْدٌ فادْعُ رَبَّكَ وَسَلْهُ**))[5].

وقالَ السَّدِّي فِي "النَّاسِخِ والمَنْسُوخِ"[6] عن ابْنِ عَبَّاس: ((**كَانَ ﷺ يُعجِبُهُ أَنْ يُصَلِّي قِبَلَ الكَعْبَةِ لِأَنَّها قِبْلَةُ آبائِهِ إبْرَاهِيمَ وإِسْماعِيلَ. فقَالَ لجِبريلَ: ودِدْتُ أَنَّكَ سَأَلْتَ اللهَ أنْ يَصْرِفَنِي إِلَى الكَعْبَةِ. فقَالَ جبريل: لسْتُ أَسْتَطِيعُ أنْ أَبْتَدِئَ اللهَ ﷻ بالمَسْأَلةِ ولَكِنْ إِنْ سَأَلَنِي أَخْبَرْتُهُ**)) فكَانَ يدْعُو، أَيْ: دُعاءَ مَحَبَّةٍ وتَمَنٍّ لا بِاللِّسانِ ويَنْظرُ إِلَى السَّماءِ ينْتَظِرُ جِبْرِيلَ عليه السلام فنَزَلَ: ﴿ **قَدْ نَرَىٰ**

(1) شرح مشكل الآثار، الطحاوِي، 159/1.

(2) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 246/2، عن الطَّبَرِي، جامع البيان، 623/2، وفِيه: بضعة عشر شهرا. و658/2، وفِيه: ستة عشر شهرا.

(3) مسند الربيع، حديث (189).

(4) جامع البيان، الطبرِي، 657/2، وليس فيه:" عنْ ابْنِ عَبَّاس: كَانَ يُعْجِبُهُ أنْ يَتَحَوَّلَ لِلْكَعْبَةِ لِأَنَّ".

(5) الطبقات الكبِير، ابن سَعْد، 208/1.

(6) لم أقف على الكتابِ، وليسَ للسدّي إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير أبو محمد (ت:128هـ) سوى التّفسِير، ولم أجد فيه الأثَر.

﴿ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ ﴾ الآيَة[1] فارْتَابَ اليهُودُ وقَالُوا: ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ ﴾[2] إلخ. فأَنْزَلَ اللهُ تعالَى: ﴿ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾[3] إلخ[4].

قالَ ابنُ حَجَر فِي "فَتْحِ البَارِي": ظاهِرُ حدِيثِ ابْنِ عبَّاس هذَا أنَّ اسْتِقْبَالَ بيْتِ المَقْدِسِ وقَعَ بعْد الهِجرةِ. لَكِنْ أَخْرَجَ أحْمَد مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عن ابْنِ عبَّاسٍ: ((**كانَ النَّبِيءُ ﷺ يُصلِّي بمكَّةَ نَحْوَ بَيْتِ المقْدِسِ والكَعْبَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ**))[5] فيُجْمَعُ بأنَّهُ أُمِرَ باستِقْبَالِهِ فِي مَكَّةَ واستمرَّ حُكمُ الأَمرِ بعْدَ الهِجرَةِ حَتَّى نُسِخَ باستِقْبَالِ الكَعْبةِ[6].

قلتُ: فإِمَّا أن يكُونَ فِي مَكَّة مأْمُورًا باسْتِقْبالِها حتَّى هَاجَرَ اخْتَصَّ ببَيْتِ المقْدِسِ، وكذا إِذَا خَرَجَ إِلَى مَوْضِعٍ وكانَت الكَعْبَةُ خلْفَهُ، أوْ كانَ يَجْعَلُ الكعْبَةَ بَيْن يَدَيْهِ تبَرُّكًا وإِكْرَاهًا لاسْتِدْبارِهَا، لا زِيَادَةً فِي القِبْلةِ، والقِبْلَةُ يَوْمَئِذٍ بَيْتُ المَقْدِسِ فَقَطْ.

وجاءَ مِنْ طرِيقِ ابنِ جُرَيْج: ((**أنَّهُ ﷺ أوَّلَ ما صَلَّى إِلَى الكَعْبَةِ ثُمَّ صُرِفَ إلى بيتِ المقدِسِ ثلاثَ حِجَجٍ بِمَكَّةَ، ثُمَّ هاجَرَ فصَلَّى إِلَيْهِ بعْدَ قدُومِهِ المدِينَةَ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ وَجَّهَهُ اللهُ إِلَى الكعْبَةِ**))[7] وذَلِكَ علَى أنَّ الإِسراءَ قَبْلَ الهِجرةِ بِخَمْسِ سنِينَ، وأَمَّا علَى أَنَّها قَبْلَها بِسَنَةٍ أوْ نَحْوِها فالمُرادُ ما كانَ يُصَلِّيهِ قَبْلَ فَرْضِ الخَمْسِ[8].

قالَ ابن ماجه عنِ البَرَاءِ: ((**صَلَّيْنَا مَعَ رسُولِ اللهِ ﷺ نَحْوَ بيْتِ المقْدِسِ ثَمَانِيَةَ عشَرَ شَهْرًا وصُرِفَت القِبْلَةُ إِلَى الكَعْبَةِ بَعْدَ دُخولِ المَدِينَةِ**))[9] وظاهِرُهُ أَنَّهُ كانَ يُصَلِّي بِمَكَّةَ إِلَى بَيْتِ المقْدِسِ مَحْضًا.

وذَكَرَ الزُّهريّ خلافًا في أَنَّهُ كانَ فِي مَكَّةَ يَجْعَلُ الكَعبةَ خَلْفَ ظَهْرِهِ أوْ يَجْعلُها بَيْنَهُ وبَيْنَ بَيْتِ المَقْدِسِ. فعَلَى الأَوَّلِ كانَ يَجْعَلُ الميزابَ خَلْفَهُ، وعلَى الثَّانِي كانَ يُصَلِّي بَيْنَ رُكْنِ اليَمَن ورُكْنِ الحِجْرِ. وزَعمَ ناسٌ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ يسْتَقْبِلُ الكعْبَةَ بِمَكَّةَ، فلَمَّا قَدِمَ المدينةَ استَقْبَلَ بيتَ المقْدِسِ ثُمَّ نُسِخَ، وحَملَ ابنُ عبْدِ البرِّ هذَا علَى القَوْلِ الثَّانِي، ويُؤَيِّدُ حَمْلَهُ علَى ظاهِرِهِ إمامَةُ [160و] جِبْرِيلَ عندَ البَيْتِ[10].

---

(1) سورة البقرة: 144.

(2) سورة البقرة: 142.

(3) سورة البقرة: 142.

(4) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 247/2. ينظر: عيون الأثر، 366/1.

(5) مسند أحمد، حدِيث (2991).

(6) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 247/2، وفتح البارِي، ابن حجَر، 502/1.

(7) جامع البيان، الطبرِي، 623/2.

(8) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 247/2.

(9) سنن ابن ماجة، حدِيث (1010).

(10) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 247/2-248، وينظر: فتح البارِي، ابن حجر، 97/1.

قالَ ابنُ حَجَر فِي "الفَتْحِ": قالَ ابنُ عبَّاسٍ وغيْرُهُ: ((**كَانَ ﷺ يُصَلِّي إِلَى بَيْتِ المقْدِسِ، ويَجْعَلُ الكَعْبَةَ بَيْنَهُ وبيْنَ بيْتِ المَقْدِسِ**)) وأَطلَقَ آخرونَ أَنَّهُ يُصَلِّي إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ، وقَالَ آخرُونَ: يُصَلِّي إِلَى الكَعْبَةِ، ولَمَّا هاجَرَ استَقْبَلَ المقْدِسَ. وهذَا ضَعِيفٌ ويَلْزَمُ منْهُ دَعوَى النَّسْخِ مرَّتيْنِ، والأوَّلُ أصَحُّ؛ لأنَّهُ يجْمعُ بِهِ بَيْنَ القَوْلَيْنِ، وقَدْ صَحَّحَهُ الحاكِمُ وغَيْرُهُ مِن حدِيثِ ابْنِ عبَّاسٍ[1]. ولَا يُخَالِفُهُ قوْلُ ابنُ العَرَبِيّ: نَسَخَ اللهُ القِبْلةَ ونكاحَ المتْعَةِ ولحُومَ الحُمُرِ الأَهْلِيَّة مَرَّتيْنِ، ولَا أحْفَظُ رابِعًا[2]، وزادَ أبُو العَبَّاس العَزَفِي[3] الوُضُوءَ مِمَّا مسَّتْهُ النَّارُ؛ لِأَنَّ مرَادَ الحافظِ ابنِ حَجَرٍ أنَّ خُصُوصَ نَسْخِ بَيْتِ المقْدِسِ لَمْ يَتَكَرَّرْ، ومَا أَثْبَتَهُ ابنُ العَرَبِيّ النَّسخُ لِلْقِبْلةِ فِي الجُمْلةِ، بِمَعْنَى أنَّهُ أُمِرَ باسْتقبَالِ الكَعْبَةِ، ثُمَّ نُسِخَ باسْتِقْبالِ بيْتِ المقْدِسِ ثُمَّ نُسِخَ بالكَعْبَةِ[4]. وقوْلُ ابْنِ عبَّاسٍ: "أمَرَهُ اللهُ" يَرِدُّ قَوْلَ الحَسَن البَصْرِيّ أنَّهُ صَلَّى إِلَى بيْتِ المقْدِسِ باجتِهَادٍ. وكَذَا قَوْلَ الطَّبرِي: كان مُخَيَّرًا بينَهُ وبَيْنَ الكَعْبَةِ فاخْتَارَهُ طمَعًا فِي إِيمانِ اليَهُودِ[5]. ويرُدُّهُ أيْضًا سؤَالُهُ لجِبْرِيلَ إذْ لو كَانَ مُخيَّرًا لَاخْتَارَ الكَعْبَةَ لَمَّا أحَبَّها مِنْ غَيْرِ سؤالٍ، إلَّا أنْ يُقالَ بَعْدَ اختِيَارِهِ وَجَبَ علَيْهِ، وهُوَ ضَعِيفٌ. والذِي علَيْهِ الجمْهُورُ أنَّهُ كانَ بِأَمْرِ اللهِ وَوَحْيِهِ[6].

وعن أبي العالية: صلَّى رسُولُ اللهِ ﷺ إلى بَيْتِ المقْدِسِ يتَأَلَّفُ اليَهُودَ. وعنِ الزَّجَّاج امْتِحَانًا لِلْمُشْرِكِينَ؛ لأَنَّهُم أَلِفُوا الكَعْبَةَ[7]. وهَذا لَا ينْفِي أنْ يكُونَ بِتَوْقِيفٍ فقَدْ يكُونُ الأَمْرُ بِهِ لِتَأْلِيفِهِم[8].

ثمَّ إِنَّهُ عِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ فِي "الطَّبقاتِ": ((**أنَّهُ ﷺ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ مِنَ الظُّهرِ في مَسْجِدِه بالمُسْلِمِينَ في المَدِينَةِ، ثُمَّ أُمِرَ أن يتَوَجَّهَ إِلَى الكَعْبةِ، فاسْتَدَارَ إِلَيْهِ والمُسْلِمُون، فصَلَّى الرَّكعَتَيْنِ البَاقِيَتَيْنِ مِنَ الظُّهرِ إِلَى الكَعْبَةِ**))[9] والنَّصُّ أنَّهُ وقَعَ التَّحْوِيلُ فِي رُكُوعِ الثَّالِثَةِ فجُعِلَتْ كلُّهَا رَكْعَةً لِلْكَعْبَةِ مَعَ أنَّ قيَامَها وقِرَاءَتَها وابتِداءَ رُكُوعِهَا لِلْقُدسِ. قِيلَ: لأنَّه لَا اعْتِدادَ بالرَّكعَةِ إلَّا بَعْدَ الرَّفْعِ مِنَ الرُّكوعِ، ولِهَذَا يُدْرِكُها المَسْبُوقُ قبْلَهُ هذَا قَوْلُ قَوْمِنَا. ويُقالُ: إنَّهُ ﷺ زارَ أُمَّ بِشْرِ بنِ البَرَاءِ بنِ مَعْرُور واسْمُها خليدة، فِي بني سلِمة بكَسْرِ اللَّامِ، فصَنَعَتْ لهُ طعَامًا وحَانَ وَقْتُ الظُّهرِ فصَلَّى بأَصْحَابِهِ رَكْعَتيْنِ ﷺ ثمَّ أُمِرَ باسْتِقْبالِ الكَعْبَةِ في رُكُوعِ الثَّالِثَةِ، فاسْتَدارُوا إِلَى الكَعْبَةِ بأَنْ تَحَوَّلَ الإِمَامُ إِلَى مُؤَخِّرِ المسْجِدِ، فتَحَوَّلَت الرِّجالُ

---

(1) فتح الباري، ابن حجَر، 96/1.

(2) المسالك في شرح موطأ مالِك، 348/3.

(3) أبو العباس العزفي: أحمد بن محمد بن أحمد اللخمِي السبتِي، فقيه، أخذ عن أبِيه، وأخذ عنه أبو الحسن الرعينِي الإشبِيلي، وابن الأبَّارِ، ت:633هـ، من آثاره برنامجه فيه شيوخه ومروياته عنهم وكتاب الدر المنظم في مولد النبي المعظَّمِ. برنامج شيوخ الرُّعيني، الرعيني، ص42.

(4) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 248/2.

(5) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبِي، 150/2.

(6) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 248/2.

(7) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبِي، 150/2.

(8) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 248/2.

(9) الطبقات الكبير، ابن سعد، 208/1.

خَلفَهُ وتَحوَّلت النِّساءُ حَتَّى صِرْنَ خلْفَ الرِّجال [160ظ] ولَا يُشْكِلُ هذَا بأنَّهُ عَمَلٌ كثِيرٌ، لاحْتِمالِ أنَّهُ قَبْلَ تَحْرِيمِ العَمَلِ في الصَّلاةِ كالكلَامِ، أَو اغْتُفِرَ هذَا العَمَلُ للْمَصْلَحَةِ أو عُلِمَ مِنْ ذلِكَ أنَّهُ يَتَحَوَّلُ ويَبْنِي فسُمِّيَ مسْجِد القِبْلتَيْنِ لنُزولِ النَّسخِ وتَحويلِهِ فِيهِ ابْتِدَاءً، فلَا يرد أنَّ التَّحويلَ كانَ في مسجدي قباء وبَنِي حارِثَةَ ولَمْ يُسَمَّيَا بذَلِكَ. وأيْضًا حِكْمَةُ التَّسْمِيَةِ لا يلْزمُ اطِّرادهَا، قالَ الوَاقِدِي: هذَا عنْدَنَا أَثْبَتُ مِن القَوْلِ الأَوَّلِ أنَّ التَحويلَ وَقَعَ فِي المَسْجِدِ النَّبَوِيّ[1].

قُلتُ: يُجْمَعُ بأنَّهُ وقَعَ فِيهِمَا ولَمَّا حُوِّلَت القِبْلَةُ ارتَابَ المنافِقُونَ وكفَّارُ قُرَيشٍ واليَهُودُ وقالوا: مَا وَلَّاهُمْ عنْ قِبْلَتِهِمْ التِي كانُوا علَيْهَا، فأَنْزلَ اللهُ جَلَّ وعَلَا: ﴿ **سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ** ﴾[2] إلخ، نَحْنُ خُدَّامُهُ نَنْصَرِفُ حَيْثُ صَرَفَنَا ولَو مِرارًا في اليَوْمِ، والشَّأْنُ فِي اتِّباعِ قَوْلِهِ.

وعن ابْنِ عبَّاسٍ سبَبُ نزُولِ الآيةِ إنْكَارُ اليَهودِ. قالَ السّيُوطِي: وإسنَادُهُ قَوِيٌّ فلْيُعْتَمَدْ[3].

رَوَى أحْمَدُ عن عَائشةَ عنِ النَّبِيءِ ﷺ: ((**إنَّ اليَهُودَ لا يَحْسُدونَنَا علَى شَيْءٍ كمَا يَحْسُدونَنَا على يَوْمِ الجُمُعَةِ التِي هدَانَا اللهُ إلَيْهَا، وضلُّوا عنْهَا، وعَن القِبْلَةِ التِي هدانَا اللهُ إلَيْهَا وضَلُّوا عنهَا، وعَلَى قَوْلِنَا خلْفَ الإمامِ آمِين**))[4] قالَ أنَسٌ: فإنَّها لَمْ يُعْطَها أحَدٌ مِن قَبْلِكُم إلَّا هارون فإنَّهُ كانَ يُؤَمِّنُ علَى دُعاءِ مُوسَى[5]. ولَا يَصِحُّ عنْدَ أصحَابِنا التَّأْمِينُ فِي الصَّلاةِ إلَّا قَبْلَ نَسْخِ الكَلامِ في الصَّلاةِ.

ومعْنَى قَوْلِهِ:"هدَانَا اللهُ إلَى يَوْمِ الجُمُعَةِ" الوَحْيُ بهَا، أو الاتِّصالُ إلَيْها بالاجْتِهَادِ كَمَا أُوتِيهَا أَهْلُ المَدِينَةِ بِهِ قبْلَ الهِجْرةِ، وقبْلَ العَقَبَة الأُولَى.

ومَعْنَى ضلَالَةِ اليَهُودِ عنْهَا: أنَّهُ فُرِضَ علَيْهِم يَوْمٌ مِنَ الجُمُعَة[6]، وُكِّلَ إلَى اخْتِيَارِهِمْ لِيُقِيمُوا فِيهِ شَرِيعتَهُمْ فاخْتَلَفُوا فِي أَيِّ الأَيَّامِ هُو ولَمْ يَهْتَدُوا إلَيْهَا[7]، قالَهُ ابنُ بَطَّالٍ ومَالَ إلَيْهِ عِيَاض وقوَّاهُ[8]. وقَالَ النَّووِيّ: يُمْكِنُ أنَّهُم أُمِروا بِهِ صَرِيحًا فاخْتَلَفُوا هَلْ يَلْزَمُ بِعَيْنِهِ أمْ يَسُوغُ إبْدَالُهُ بيَوْمٍ آخَرَ، فأَخْطؤُوا[9]. قالَ الطَّبَرِي عن مُجَاهِد فِي قَوْلِهِ تَعالى: ﴿ **إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ** ﴾[10] أرَادُوا الجمُعة

---

(1) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 249/2-250.

(2) سورة البقرة: 142.

(3) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 250/2. لم أقفْ عليهِ فِي الدر المنثور للسيوطِي.

(4) مسند أحمد، حديث (25029).

(5) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 252/2.

(6) أي: الأسبوع.

(7) شرح صحيح البخارِي، ابن بطَّال، 476/2.

(8) إكمال المعلم، عياض، 250/3.

(9) المنهاج، النووِي، ص561.

(10) سورة النحل: 124.

فأَخْطَؤوا وأَخذُوا السَّبتَ مكَانَهُ[1]. ورَوَى ابن أبي حاتم عن السّدِّي التَّصْرِيحَ بأَنَّهُ فُرِضُ علَيْهِمْ يَوْمُ الجُمُعَةِ بعَيْنِهِ ولَفْظُهُ: إنَّ اللهَ فَرَضَ علَيْهِم يَوْمَ الجُمُعَةِ فأَبَوا، وقَالُوا: يا مُوسَى إنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُقْ يوْمَ السَّبتِ شَيْئًا فاجْعَلْهُ لَنا، فجُعِلَ علَيْهِم[2]. وذلِكَ مِنْ جُمْلَةِ مُخَالَفَتِهِمْ، كمَا وَقَعَ لَهُمْ في قَوْلِهِ تعالَى: ﴿وَادْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾[3] وغَيْرِ ذَلِكَ، وقَوْلِهِمْ: "سَمِعْنَا وعَصَيْنَا"[4].

ومَعْنَى ضَلالَتِهِم عَن القِبْلَةِ: أَنَّهُمْ لَمْ يُصَلُّوا إِلَى الصَّخرَةِ ولَا إِلَى الكَعْبَةِ. وروَى أبو داود عنْ خالد بن يزيد بن معاوية: "لَمْ تَجِد اليهُودُ في التَّورَاةِ القِبْلةَ، ولكِن تابُوت السَّكِينةِ كانَ علَى الصَّخرَةِ، ولَمَّا غَضِبَ اللهُ علَى بنِي إسْرَائيلَ رَفَعَهُ، وكَانتْ [161و] صلاتُهُمْ إلى الصَّخرةِ عن مشُورَةٍ منْهُمْ[5].

وَرَوَى أبو داود أيْضًا: خاصَمَ يَهُودِيٌّ أبا العالية في القِبْلَةِ. فقال أبُو العَالِيَةِ: كان موسَى يُصَلِّي عنْدَ الصَّخرةِ، ويسْتَقْبِلُ البَيْتَ الحرامَ، فكانت الكعبةُ قبلتَهُ، وكانت الصَّخرةُ بين يديْهِ. وقال اليَهُوديُّ: بَيْنِي وبَيْنَكَ مسجد صالح النَّبِيء عليه السلام فقال أبو العَالِيَةِ: قَدْ صَلَّيْتُ فِي مسجِدِ صَالِح، وقِبْلَتُه إلَى الكَعْبَةِ، وفي مسجد ذي القرنين وقِبْلَتُهُ إلَيْهَا[6].

قالَ ابْنُ عبَّاسٍ فِي قولِهِ تَعَالى: ﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾[7]: كانَت الكَعْبَةُ قِبْلَةَ موسَى. وكذا قَال الزَّمخشَرِيّ والبَيْضَاوِيّ[8].

قالَ البرَاءُ: لَمَّا حُوِّلَت القِبْلةُ قالَ بعْضُ المُؤمِنينَ: فمَا صَلاتُنا التِي صَلَّيْنَا إلَى بَيْتِ المَقْدِسِ؟ وما حَالُ مَنْ ماتَ علَى ذلِكَ مِنْ إخْوَانِنا؟ وهُمْ عبد الله بن شهاب، والمطّلب بن أزهر الزّهْرِيَان، والسّكران بن عمرو العامريّ في مَكَّة، وحطاب بن الحارث الجمحِي، وعمرو بن أميّة الأسدِي، وعبد الله بن الحارِث السَّهمِيّ، وعروة بن عبد الله العربيّ، وعديّ بن نضلة العدويان، في الحبشَةِ بالهِجرة، وهُمْ قُرَشِيُّونَ، والبراء بن معْرور بنِ زرارة بالمدينةِ مِنَ الأَنْصَارِ، وهَؤُلاءِ عَشَرَة. وماتَ فِي المُدَّةِ أيْضًا إياس بن معاذ الأشهليّ، لكِنَّهُ مُخْتَلَفٌ في إسْلَامِهِ، فأَنْزَلَ اللهُ جَلَّ وعلَا: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾[9] أيْ: صلاتكُمْ إلَى

(1) جامع البيان، الطبرِي، 399/14، وفيه: عن قتادة، وليس عن مجاهِد.
(2) تفسير القرآن العظيم، ابن أبِي حاتم، 2307/7.
(3) سورة البقرة: 58.
(4) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 251/2، وفتح البارِي، ابن حجَر، 355/2.
(5) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 251/2، عن أبي داود في الناسخ والمنسوخ، لم أقف عليهِ.
(6) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 251/2، عن أبي داود في الناسخ والمنسوخ، لم أقف عليهِ.
(7) سورة يونس: 87.
(8) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 252/2 عن البغوِي في تفسِيره، 146/4.
(9) سورة البقرة: 143.

بَيْتِ المقْدِسِ[1] بلْ يُثِيبُكُم علَيْهَا. وليْسَ المُرادُ ما قِيلَ إِيمَانَكُمْ بالقِبْلَةِ المَنْسُوخَةِ. ورَوَى البُخَارِيّ عنِ البَرَاءِ: ((ماتَ على القِبْلَةِ قبْلَ أنْ تُحَوَّل رِجَالٌ وقُتِلُوا فلَمْ نَدْرِ ما نَقُولُ فِيهِمْ فأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾[2]))[3][4].

وفي ذِكْرِ القَتْلِ زِيَادَةٌ علَى العَشَرَةِ، فلَعَلَّ بَعْضًا قُتِلَ في غَيْرِ جهَادٍ إذْ لَمْ يُفْرَض إِلَّا بَعْدُ ولَيسَ مشْهُورًا فَلَمْ يُعْرَفْ. وذَكَرَ ابن إسحاق أنَّ سوَيد بن الصّامت لَقِيَ النَّبِيء ﷺ قبْلَ أَنْ يلْقَاهُ الأَنْصارُ فِي الْعَقَبَةِ، فأَعْرَضَ علَيْهِ الإِسْلامَ فقَالَ: إنَّ هذَا القَوْلَ حَسَنٌ، وانْصَرَفَ إلى المَدِينَةِ فَقُتِلَ بهَا في وقعة بُعَاث قَبْلَ الهِجْرَةِ، فكَانَ قوْمُهُ يقُولُونَ: مَاتَ مُسْلِمًا[5]. وإن قِيلَ: المُرادُ مَنْ قُتِلَ بمكَّة مِنَ المسْتَضْعَفِين، كَأَبَوَيْ عَمَّار، احتِيجَ إلَى إثْبَاتِ أنَّ موْتَهُم قَبْلَ الهِجْرَةِ[6].

ويُروَى أنَّهُ لَمَّا حُوِّلَت القِبْلَةُ قال اليَهُودُ: اشْتَاقَ إلَى بلَدِ أبِيهِ، وهُوَ يُرِيدُ أن يُرضِيَ قومَهُ قُرَيْشًا، ولَوْ ثَبتَ علَى قِبْلَتِنا لرَجَوْنا أنْ يكُونَ هُو النَّبِيء الذِي نَنْتَظِرُ أنْ يَأتِيَ. وقالَ المنافِقون: "ما ولَّاهم عَنْ قِبْلَتِهِم التِي كانُوا عَلَيْهَا؟" وقالَ كُفَّارُ قُرَيْش: تَحيَّرَ مُحَمَّدٌ على دِينِهِ فاستَقْبَلَ قبْلَتَكُم، وعَلِمَ أنَّكُمْ أهْدَى منْهُ، ويُوشِكُ أنْ يَدْخُلَ في دِينِكمْ، فأنْزَلَ اللهُ ﷻ في اليَهُودِ: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾[7] عَلِمُوا مِن [161ظ] أنْبِئَائِهِمْ وكتُبِهِم أنَّهُ نَبِيءٌ رَسُولٌ يسْتَقْبِلُ الكَعْبَةَ بَعْدَ المقْدس. وقولُهُ تعَالَى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾[8] وقوله تعالَى: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾[9] يعرِفونَهُ أنَّهُ رَسُولٌ مِنْ وَلَدِ إسمَاعِيلَ وقِبْلَتُهُ الكَعْبَةُ، كمَا يَعْرِفونَ

(1) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 252/2، عن ابن إسحاق.
(2) سورة البقرة: 143.
(3) صحيح البخاري، حديث (40).
(4) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 252/2.
(5) ينظر: سيرة ابن هشام، 427/1.
(6) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 253/2، وفيه: قتلهما بعد الإسرار.
(7) سورة البقرة: 144.
(8) سورة البقرة: 145.
(9) سورة البقرة: 146.

أبْنَاءَهُم. وأَنْزَلَ فِي المنَافِقِينَ ﴿قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾[1] وفي المُشْرِكِينَ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾[2][3].

ثُمَّ فُرِضَ صِيامُ شَهْرِ رمَضَانَ، وحِكْمَةُ كوْنِهِ ثَلاثِينَ أنَّهُ لـمَّا تابَ آدمُ مِن أَكْلِ الشَّجَرَةِ تأَخَّرَ قبولُ تَوْبَتِهِ، لِمَا بَقِيَ فِي جسَدِهِ مِنْ تلْكَ الأُكْلَةِ ثلَاثِينَ يَوْمًا، فلَمَّا صَفَا جسَدُهُ منْهَا تِيبَ عليهِ ففُرِضَ على ذُرِّيَّتِهِ صِيَامُ شَهْرٍ[4].

روَى الوَاقِدِيّ عن عائشةَ وابْنِ عمر وأبي سعيد الخُدْرِيّ قالُوا[5]: أُنْزِلَ فَرْضُ شَهْرِ رَمَضَانَ بعدَما حُوِّلَت القِبْلَةُ إلى الكَعْبَةِ بِشَهْرٍ في شَعْبَانَ؛ أيْ: فِي نِصْفِهِ، بنَاءً على أنَّ التَّحويلَ في نِصفِ رَجَبٍ، أو فِي أوَّلِهِ بناءً على أنَّهُ في آخِرِ جُمادَى الآخِرَةِ.

ولَا يَأْتِي هنَا القَوْلُ بِأَنَّها حُوِّلَتْ فِي نصفِ شعْبَانَ، وإلَّا كانَ فَرْضُ الصَّومِ في نِصْفِ رمَضَانَ.

حُوِّلَتْ علَى أوَّلِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا مِنْ مَقْدَمِهِ ﷺ المدِينَةَ، ولا بُدَّ مِنَ التَّجَوُّزِ فِي شَهْرٍ أو ثَمَانِيَةَ عَشَر شَهْرًا، وفُرِضَتْ زَكَاةُ الفِطْرِ في هَذِهِ السَّنةِ، قَبْلَ العِيدِ بيَوْمَيْنِ، أنْ يُخْرَج عنِ الصَّغِيرِ والكَبِيرِ والحُرِّ والعَبْدِ والذَّكَرِ والأُنْثَى صَاعٌ مِنْ تَمْرٍ أو صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ أوْ صَاعٌ مِن زَبِيبٍ أوْ صَاعٌ مِنْ بُرّ.

وذكَرَ أبو داوُد أنَّ عمرَ بنَ الخطّابِ ﷺ جعَلَ نِصْفَ صَاعٍ مِنْ بُرٍّ مكَانَ هذهِ الأشْيَاءِ[6]. وذكَرَ البُخارِيّ ومُسْلِم أنَّ معَاوِيَةَ هُوَ الذِي قَوَّمَ ذلِكَ[7]. وعندَ الدَّارقطْنِي عنْ عُمَر ﷺ أَمَرَ رسُولُ اللهِ ﷺ عمرو بن حزم بنِصْفِ صَاعٍ مِنْ حِنْطَةٍ[8]، فقالَ عَلِيّ: أمَا إذَا وَسَّعَ اللهُ فأَوْسِعُوا، اجعَلُوه صاعًا مِنْ بُرٍّ وغَيْرِهِ[9]. وذَلِكَ قَبْلَ أنْ تُفْرَضَ زَكَاةُ الأَموالِ، وقِيلَ إنَّ زَكاةَ الأَمْوالِ فُرِضَتْ في السَّنَةِ الثّانِيَةِ، وقيلَ بَعْدَها، وقيلَ: سنَةَ تِسْعٍ، وقِيلَ: فُرِضَتْ زَكَاةُ الأَمْوالِ قَبْلَ الِهجْرَةِ، واعْتُرِضَ أنَّهُ لَمْ يُفْرَضْ بِمكَّةَ بعْدَ الإيمانِ إلَّا الصَّلَاةُ كُلُّ الفُرُوضِ بِالمدينةِ، وإن قِيلَ فُرِضَ الحجُّ قَبْلَ الهِجرةِ فالصَّحيحُ خلافُهُ، والأَكثَرُ

(1) سورة البقرة: 142.

(2) سورة البقرة: 150.

(3) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 2/253-254.

(4) (م، س)، 2/254.

(5) ينظَر الأثر في: الطبقات الكبير، ابن سعد، 1/214. وقد نقله المؤلّف من شرح الزرقاني على المواهب اللدنية.

(6) لم أقف على قول أبي داواد في كتبه، ينظر: زاد المعاد، ابن القيم، 2/18.

(7) لم أقفْ عليه في الصَّحيحين.

(8) سنن الدارقطني، حدِيث (2094).

(9) قول عليّ في سنن أبي داود، حدِيث (1622).

أنَّ فَرْضَ الزَّكاةِ بعدَ[1] الهِجرةِ واللهُ أَعْلَمُ[2].

ويُقالُ نزَلَت الفَاتِحَةُ بِمَكَّةَ [162و] حينَ حُوِّلَت القِبْلةُ في المدِينَةِ، لِدَلالَتِها علَى أنَّهُ رَبُّ الجِهَاتِ، وقَد اختَارَ أفْضَلَها فَلَهُ الحَمْدُ. وفي هذِهِ السَّنَةِ كان تجْدِيدُ بنَاءِ مَسْجِدِ قباء.

قالَ أبو سعيد الخدْريّ: لمَّا صُرِفَت القِبْلَةُ إلى الكَعْبَةِ أتَى رسُولُ اللهِ ﷺ مسْجِدَ قُبَاءَ فقَدَّمَ جِدارَ المَسْجِدِ إلى مَوْضِعِهِ اليَوْمَ وأَسَّهُ بِيَدِهِ، وحَوَّلَ قِبْلَتَهُ إلى جِهَةِ الكَعْبَةِ، وكانَتْ إلَى جِهَةِ بَيْتِ المقْدِسِ، ونقَلَ رسُولُ اللهِ ﷺ وأصحَابُهُ الحِجَارَةَ لِبنَائِهِ[3].

واللهُ أعْلَمُ ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

85 مَتَى مَا تُشِرْ بِالطَّرْفِ لِلْأُفْقِ لَحْظَةً تَرَامَى إِلَيْكَ النَّيِّرَانِ الْمُضِيئَانِ

86 وَإِنْ هُوَ قَدْ أَوْمَى إِلَى السُّحْبِ إِصْبَعٌ أَتَتْ بِحَمِيدِ الْقَطْرِ أَبْهَجَ إِتْيَانِ

87 وَعِنْدِي يَمِينٌ لاَ يَمِينُ بِأَنَّ فِي يَمِينِكَ وَكْفًا حَيْثُ حَاجَةُ ظَمْآنِ

إذا أَشَرْتَ بالنَّظَرِ ولَوْ نَظْرَةً قَلِيلَةً إلَى ما يُقابِلُكَ مِنْ جِهَةٍ فيهِمَا الشَّمْسُ والقَمَرُ اللَّذانِ هُمَا نورٌ وضِياءٌ، رَمَيَا إِلَيْكَ أنْفُسَهُما رَمْيًا سَرِيعًا، إمَّا بِالإِشارَةِ أوْ بالمَيْلِ إلَيْكَ أوْ بالطَّاعةِ.

وهَذا كَمَا كانَ ﷺ يناغِي القَمَرَ فِي مَهْدِهِ، وهوَ سَببُ إسلامِ العبَّاسِ رضي الله عنه إذ رآهُ كذلكَ وهُمَا طِفْلانِ؛ النَّبِيءُ ﷺ في المَهْدِ والعبَّاسُ يَجْرِي على قدَمَيْهِ.

ولَا يبْعُدُ أنْ يُنَاغِي الشَّمسَ أيْضًا، وَكمَا وَقَفَتْ لَهُ الشَّمْسُ كمَا يأْتِي إنْ شاءَ اللهُ ﷻ، وكمَا أشارَ إلى القَمَرِ فانْشَقَّ.

وَإِنْ أَوْمَأَ إلَى السَّحابِ إصْبَعٌ مِنْهُ أتَتِ السّحَابُ أو الإصْبَعُ مِنَ السَّحابِ بالقَطْرِ الجَمِيلِ إتْيَانًا حَسَنًا وَضِيئًا.

وعندِي حِلْفٌ لا يَكْذِبُ ولَا يَحْنثُ، بأنَّ فِي يَدِكَ اليُمنَى مَطَرًا فِي مَوْضِعِ وجُودِ احتِيَاجِ الظَّمْآنِ.

و"هُوَ" ضَمِيرُ اسْمٍ لـ:كَانَ الشَّأْنِيَّة المحْذُوفِ؛ أيْ: وإنْ كانَ أيْ: هُو أَي: الشَّأنُ، حَذَفَ كانَ وَحْدَهُ، لَا مَعَ الضَّمِيرِ فِيهِ فَبَرَزَ وانْفَصَلَ.

وجُمْلَة: "قَدْ أَوْمَى إصْبَعٌ" خَبَرُ كانَ.

ونَعْتُ "إصْبَعٌ" محذُوفٌ أيْ: إصبَعٌ مِنْكَ.

ويَجُوزُ أن يكُونَ "هُو" عَائِدًا إلَى رسُولِ اللهِ ﷺ فاعِلًا لِـ:"أَوْمَى" محْذُوفًا غَيْرَ مقْرُونٍ بِـ"قَدْ" وفَسَّرهُ المقْرُونُ بها المذكُورُ، فيُقَدَّرُ إصْبَعٌ منْهُ، فيَكُونُ الْتِفَاتًا منَ الخِطَابِ إلَى الغَيْبَةِ.

---

(1) في الأصْلِ: قبل، وهذا خطأ من المؤلِّف.

(2) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 254/2.

(3) الطبقات الكبير، ابن سعد، 210/1، وبحار الأنوار، باقر المجلسي، 78/19.

و"يَميُنُ" الثَّانِي: فعْلٌ مضَارِعٌ مرْفُوع منْفِيٌّ بـ: لَا يُقالُ: مانَ يَمِينُ؛ أيْ كَذبَ يكْذِبُ. وجملَتُهُ معَ فاعِلِهِ المسْتَتِرِ نَعْتٌ لِـ"يمين" الأَوَّل. والضّمِيرُ فِيهِ عائِدٌ إلى الأَوَّلِ؛ لِأَنَّ اليَمِينَ يُذَكَّرُ ويُؤنَّثُ تقدَّمَ أو تأخَّرَ، وكذا الإصبَعُ واخْتَارَ التَّذكِيرَ ليَكُونَ الجِنَاسُ التَّامُّ.

وحَاجَة: مُبْتَدَأ خبَرُهُ محْذُوفٌ، أرادَ بِهِ الاحْتِياجَ، والخَبَرُ مَحْذُوفٌ أيْ: حَيْثُ احْتِيَاجُهُ موْجُودٌ.

قال العبَّاسُ ﷺ سَبَبُ إسلامِي أنّي رأيتُ رسُولَ الله يُناغِي في مهْدِهِ القَمَرَ كالمتكلِّمِ [162ظ] لهُ ويُشِيرُ إلى القَمَرِ. وأَخْبَرَ ﷺ بعدَ إسلَامِهِ بذلِكَ رسُولَ الله ﷺ.

روَى طغريلُ[1]: أنَّ القمَرَ كان يُحَدِّثُهُ وهُو فِي مَهْدِهِ ويمِيلُ إلَيْهِ حيْثُ مالَ؛ أيْ: في أيِّ وقتٍ أشارَ إليهِ بإصبعِهِ[2].

قال البيهقيّ والصّابونيّ[3] والخطِيبُ وابنُ عَسَاكِر: ((عن العبَّاسِ بنِ عبْدِ المطَّلِبِ قُلْتُ: يا رسُولَ اللهِ دَعَانِي إلَى الدُّخولِ في دِينِكَ أمارَةٌ لنبُوءَتِكَ، رأَيْتُكَ في المَهْدِ تُنَاغِي القَمَرَ وتُشِيرُ إلَيْهِ بإصبعيْكَ، فحيثُ أَشَرْتَ إليهِ يمِيلُ)) وظاهرهُ أنَّ حيثُ مكانيَّةٌ وهُوَ جائِزٌ معْنىً هُنَا، لَا كما قِيل: إنَّها هنَا لِلزَّمانِ. قال لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((**إنّي كُنْتُ أحَدِّثُهُ ويُحدِّثُنِي ويُلْهِيني عن البُكَاءِ وأَسْمَعُ وَجْبَتَهُ حِينَ يَسْجُدُ تَحْتَ العَرْشِ**))[4].

وروَى ابن سبع[5] أنَّهُ كانَ يتحرَّكُ مهدُهُ بتحرِيكِ الملائكةِ[6].

رُوِيَ أنَّهُ أقْحَطَ أَهْلُ المدينةِ فأَتَوْا رسُولَ اللهِ ﷺ فاسْتَسْقَى، فما لبِثَ أن جاءَ مِنَ المطَرِ ما أتاهُ أهلُ الضَّواحِي يشْكُونَ منْهُ الغَرَقَ. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: ((**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا**)) فانْجَابَ السَّحابُ عن المدِينَةِ، فصَارَ حوَالَيْها كالإِكْلِيلِ، فقال رَسولُ اللهِ ﷺ: ((**لَوْ أَدْرَكَ أَبُو طَالِبٍ هَذَا الْيَوْمَ لَسَرَّهُ،** فقال لهُ بعضُ أصحابِهِ: كأنَّكَ يا رسول اللهِ أَرَدْتَ قَوْلَه:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ

قال: أَجَلْ))[7].

---

(1) ذكر القسطلاني أنّ هذا القولَ مأخوذٌ مِن كتاب "النطق المفهوم" لابن طغر بك. والكتاب مطبوع مرّتين؛ مرة لأحمد بن طغر بك في طبعة قديمة، وطبعة حدِيثة لعمر بن طغر بك. وقد تمت الإشارة إلى هذا الأخِير، وله كتاب "الدر النظِيم"ينظر [74و]. ونسب الكتاني الكتابين لهُ، ينظر: الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة، ص198.

(2) المواهب اللدنية، 627/2. وشرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 190/7.

(3) أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد، محدّث ومفسِّر، له كتاب المئتين والفاروق في الصفات، ت: 449 هـ. سير أعلام النبلاء، 40/18، ومعجم المؤلفين، 368/1.

(4) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 154/1، تاريخ دمشق، ابن عساكر، 360/4.

(5) أبو الربيع، له كتاب الخصائص، وشفاء الصدور. سبقت ترجمته ينظر: [137و].

(6) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 155/1. النقول الثلاثة السّابقة كتبها المؤلِّفُ على الهامِشِ.

(7) سيرة ابن هشام، 281/1.

وعن أنس بن مالك: ((**أنَّ رَجُلًا دخلَ المسجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ مِنْ بابٍ كانَ نَحْوَ دَارِ القضَاءِ ورسُولُ اللهِ ﷺ قائِمٌ يخطُبُ فاستقبلَ رسولَ اللهِ ﷺ قائِمًا، ثمَّ قال: يا رسُولَ اللهِ هلَكَت الأمْوَالُ وانْقَطَعَت السُّبُل فادْعُ اللهَ يغيثُنا فرَفعَ رسُولُ اللهِ ﷺ يَدَيْهِ ثمَّ قالَ: اللَّهُمَّ أَغِثْنَا. قَالَ أَنَسٌ: وَلاَ وَاللَّهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ وَلاَ قَزَعَةٍ، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلاَ دَارٍ**؛ أي: لا حائلَ مِنَ الرُّؤيَةِ، **فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ، فَلاَ وَاللَّهِ، مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سَبتًا**؛ أي: استمرَّ المطرُ أسبوعًا، **ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ البَابِ فِي الجُمُعَةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُمْسِكْهَا عَنَّا**؛ أي: الأَمْطَار أو السَّحاب أو السَّماء، والعَرَبُ تُسَمِّي المطرَ سماءً، ويُروَى: ((**أن يمسِكَ عنَّا المَاءَ**)) ويُروَى: ((**أن يرفعها عنَّا**)) ويُروَى: ((**فادْعُ رَبَّكَ أنْ يَحْبِسَها عنَّا**)) **فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الإِكَامِ وَالضِّرَابِ، وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ، فَأَقْلَعَتْ، وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ**))[1].

وفي رواية: ((**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا ولَا عَلَيْنَا، فمَا يُشِيرُ بيَدِهِ إلى ناحيَةٍ إلَّا زالَتْ عنها، وما جَاءَ أحَدٌ مِنْ نَاحِيَةٍ إلَّا جاءَ بجودٍ**؛ أَيْ: مَطَر)).

وفِي رواية: ((**فتَقَشَّعَتْ عن المَدِينَةِ، فجَعَلَتْ تُمْطِرُ حَوَالَيْها، وما تُمطِرُ بالمدينةِ قَطْرَةٌ، فنَظَرْتُ إلى المَدِينَةِ وإنَّها لَفِي مِثْلِ الإكْلِيلِ**))[2]، وفِي رِوَايَةٍ: ((**فرَأَيْتُ السَّحابَ يتَمَزَّقُ كَأنَّها المُلَاءُ حِينَ تُطوَى**))[3].

وفِي رِوَايَة: ((**فَانْجَابَتْ عنِ المدِينَةِ انْجِيابَ الثَّوْبِ**))[4].

وسُمِّيَت دار القضاء؛ لأنَّها بِيعَتْ فِي قَضَاءِ دَيْنِ عُمَر بنِ الخطَّابِ ﷺ اشترَاها مُعاوِيَةُ فعُرِفَتْ بِذلكَ بَعْدَ مَوْتِهِ، ويَأْتِي بسْطُهُ إن شَاءَ اللهُ. والضَّاحيةُ: الأَرْضُ التِي ليْسَ فِيها مَا يُكِنُّ مِن المَطَرِ.

وفي قوْلِهِ: ((**اللَّهُمَّ عَلَى الْإِكَامِ**)) [163و] وقوْلِهِ: ((**لَا عَلَيْنَا**)) طَلَبُ مزِيد النَّعماءِ وكَشْفِ البَلاءِ بخِلافِ ما لو قالَ: اللّهُمَّ ارفعها عنَّا. والجوبة: الفرجة، وفي رواية: ((**ما يُشِيرُ بِيَدِهِ إلى ناحِيَةٍ إلَّا بجود**))؛ أي: إلَّا بمطَرٍ غزيرٍ.

---

(1) صحيح مسلم، حدِيث (8).

وعبارة: "أي: الأمطار أو السَّحاب أو السَّماء، والعربُ تسمِّي المطرَ سماءً، ويُروَى: ((أن يمسِكَ عنَّا المَاءَ)) ويُروَى: ((أن يرفعها عنَّا)) ويُروَى: ((فادعُ ربَّكَ أن يحبِسَها عنَّا))" نقلها المؤلِّف على الهامِشِ من شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 124/11.

(2) صحيح مسلم، حدِيث (10).

(3) صحيح مسلم، حدِيث (12).

(4) صحيح البخارِي، حدِيث (1016).

وروَى عامر بن خارجة بن سعد عن جَدِّهِ سعد: ((**أنَّ قَوْمًا شكَوْا إلَى رسُولِ اللهِ ﷺ قُحُوطَ المَطَرِ، فقَالَ: اجْثُوا علَى الرُّكَبِ وقولُوا: يَارَبُّ يَارَبُّ ففَعَلُوا فسُقُوا حتَّى أَحَبُّوا أنْ يكْشفَ عنهُم**))[1].

وعن أنس بن مالك: ((**جاءَ أعرابِيٌّ إلَى رسُولِ اللهِ ﷺ في المَسْجِدِ فقال: أتَيْنَاكَ وما لَنا بَعِيرٌ يَئِطُّ ولَا صَبِيٌّ يَصْطَبِحُ، وَأنْشَدَ:**

أَتَـيْـنَـاكَ وَالْـعَـذْرَاءُ تَـدْرِي دُمُـوعَـهَـا ... وَقَـدْ شُـغِلَت أُمُّ الصَّـبِيِّ عَنِ الطِّفْلِ
وَأَلْقَى بِكَفَّيْـهِ الْوَلِيـدُ اسْـتِكَـانَـةً ... مِنَ الْجُوعِ ضـعفًا مَا يمرُّ وَمَا يحلِي
وَلَا شَـيْءَ مِمَّا يَـأْكُـلُ النَّاسُ عِنْـدَنَا ... سِـوَى الْحَنْظَلِ الْعَامِيِّ وَالْعِلْهِزِ الْفَصْـلِ
وَلَـيْـسَ لَـنَـا إلَّا إلَـيْـكَ فِـرَارُنَـا ... وَأَيْنَ فِرَارُ النَّـاسِ إلَّا إلَى الرُّسْـلِ[2]

فقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَجُرُّ ردَاءَهُ حتَّى صَعِدَ المِنْبَرَ، فحَمِدَ اللهَ ﷻ وأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ إلَى السَّمَاءِ فقَالَ: اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا مَرِيعًا سَرِيعًا غَدَقًا طَبَقًا، عَاجِلًا غَيْرَ رَائِثٍ نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ، تَمْلَأُ بِهِ الضَّرْعَ وتُنْبِتُ بِهِ الزَّرْعَ، وتُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها، فمَا واللهِ رَدَّ رسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ إلى نَحْرِهِ حتَّى أَلْقَت السَّماءُ أَرْوَاقَهَا، وجاءَ أَهْلُ البطَالة[3] يضجُّونَ: يا رَسولَ اللهِ الغَرَق، فرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يدَيْهِ إلى السَّماءِ فقَالَ: اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا ولَا عَلَيْنَا. فانْجَابَ السَّحابُ عن المدِينَةِ حتَّى أَحْدَقَ بِهَا كالْإِكْلِيلِ، فضَحِكَ رسُولُ اللهِ ﷺ حتَّى بَدَتْ نواجذُهُ ثمَّ قَالَ: للهِ درُّ أبِي طالبٍ لو كَانَ حَيًّا قَرَّتْ عَيناهُ، مَن يُنشِدُنِي قولَه؟ فقَامَ عَلِيٌّ فقالَ: أنَا ثُمَّ أَنْشَدَ:

وَأَبْيَضَ يُسْـتَسْـقَى الْغَمَـامُ بِوَجْهِـهِ ... ثِمَـالُ الْيَتَـامَى عِصْـمَـةٌ لِلْأَرَامِـلِ
يَـلُـوذُ بِـهِ الْـهُـلَّاكُ مِـنْ آلِ هَـاشِـمٍ ... فَـهُـمْ عِـنْـدَهُ فِي نِعْـمَـةٍ وَفَـوَاضِـلِ
كَـذَبْتُمْ وَبَيْـتِ اللـهْ نَبْزِي مُحَمَّـدًا ... وَلَـمَّـا نُـقَـاتِـلْ دُونَـهُ وَنُـنَـاضِـلِ
وَنُسْـلِـمُـهُ حَـتَّـى نُصَـرَّعَ حَـوْلَـهُ ... وَنَـذْهَـل عَنْ أَبْنَـائِنَـا وَالْحَلَائِـلِ[4]

فقالَ النَّبِيءُ ﷺ: أَجَلْ قال فَقامَ أعرابيٌّ مِن بَنِي كنانةَ فقالَ:

لَـكَ الْحَمْـدُ وَالْحَمْـدُ مِمَّنْ شَـكَرْ ... سُـقِـينَـا بِـوَجْـهِ الـنَّـبِـيِّ الْـمَـطَـرْ
دَعَـا الـلـهَ خَـالِـقَـهُ دَعْـوَةً ... وَأَشْـخَـصَ مَـعْـهَـا إِلَـيْـهِ الْـبَصَـرْ
فَـلَـمْ يَـكُ إِلَّا كَشَـرِّ الـرِّدَاءِ ... وَأَسْـرَعَ حَـتَّـى رَأَيْـنَـا الـدِّرَرْ

(1) مسند البزار، حدِيث (1231).

(2) الأبيات من الطوِيلِ.

(3) في الأحاديث الطوال: البطاح.

(4) الأبيات من الطويل، سبق تخريجها.

فَـكَـانَ كَـمَـا قَـالَـهُ عَـمُّـهُ فَـهَـذَا الْـعِـيَـانُ وَذَاكَ الْـخَـبَـرْ
فَـمَـنْ يَشْـكُـرِ اللـهَ يَـلْـقَ الْـمَـزِيـدَ وَمَـنْ يَـكْـفُـرِ اللـهَ يَـلْـقَ الْـغِـيَـرْ[1]

فقالَ النَّبِيءُ [163ظ] ﷺ: **إن كَانَ شاعِرٌ يُحسِنُ فَقَدْ أَحْسَنْتَ**))[2].

قال السُّهيليّ: فإن قِيلَ كيفَ قال أبو طالِب: وأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ، ولَمْ يَرَهُ قَطُّ يُسْتَسْقَى بِهِ وإنَّما كان اسْتِسْقَاءُهُ ﷺ فِي المدِينةِ؟ فالجوابُ أنَّ أبا طالِبٍ قدْ شاهَدَ مِنْ ذَلِكَ أيْضًا في حيَاةِ عبدِ المطَّلِبِ ما دلَّهُ على ما قالَ[3].

ذكرَ أبو سعيد النّيسبوري بِسنَدِهِ: عنْ مخرمة بن نوفل أنَّ أمَّهُ رقيقة بنت صيفيّ قالَتْ: تَتَابَعَتْ علَى قُرَيْشٍ سِنُونَ جذْبٍ، أَنْحَلَت الجِلدَ وأَرَمَّتِ العَظْمَ، فبَيْنَمَا أنَا راقِدَة اللَّهمّ أو مهمومة إذا بهاتِفٍ صَيِّتٍ يَصرُخُ بصَوْتٍ صَحِلٍ يقُولُ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إنَّ هذَا النَّبيءَ المبْعُوثَ مِنكُمْ هذَا إبَّانُ نُجُومِهِ، فحَيَّهَلاَ بِالْحَيَا والخِصْبِ، أَلَا فانْظُرُوا مِنْكُمْ رَجُلًا طُوَّالًا أَبْيَضَ أَشَمَّ العِرْنَيْنِ، لَهُ فَخْرٌ يكْظمُ علَيْهِ، أَلَا فلْيَخْلُصْ هوَ ووَلَدُهُ ولْيُولِفْ إلَيْهِ مِنْ كُلِّ بطْنٍ رَجُلًا ويَغْتَسِلُوا ويَمَسُّوا مِنَ الطِّيبِ، ولْيَطُوفُوا بالْبَيْتِ سَبْعًا ثُمَّ لِيَرْتَقُوا أبَا قُبيس، أَلَا فلْيَسْتَسْقِ الرَّجُلُ ولْيُؤَمِّن القَوْمُ، أَلَا وفِيهِم الطَّيِّبُ الطَّاهِرُ لِذَاتِهِ أَلَا فَسُقِيتُمْ. فأَصْبَحْتُ مذْعُورةً قَدْ قَفَّ جِلْدِي وَوَلِهَ عقْلِي، فاقْتَصَصْتُ رؤْيَايَ، فمَا بَقِيَ أَبْطحِيّ إلَّا قالَ: هذَا شَيْبَةُ الحَمْدِ، وتَتَأَمَّتْ عنْدَهُ قُرَيشٌ وانْقَضَّ إلَيْهِ مِنْ كُلِّ بَطْنٍ رَجُلٌ، فاغْتَسَلُوا وتَطَيَّبُوا واسْتَلَمُوا وطَافُوا، ثُمَّ ارْتَقَوا أبا قبيس وطَفِقَ القَوْمُ يَدِفُّونَ حوْلَهُ مَا إنْ يُدْرِكْ سَعْيهم مهله حتَّى قَرُّوا بِذِروةِ الجَبَلِ، فَقامَ عبْدُ المطَّلِبِ معْتَضِدًا طِفْلًا وَقَالَ: اللَّهمَّ يا مُذْهِبَ الخلَّة ويا كَاشِفَ الكُرْبَةِ أنْتَ عالِمٌ غَيْرُ مُعَلَّمٍ ومَسْؤُولٌ غَيْرُ مُبخَّلٍ، وهذِهِ عبْدَاؤكَ وإمَاؤُكَ بِغدرَاتِ[4] حَرَمِكَ يشْكُونَ إلَيْكَ سنتهُمْ التِي أَنْحَلَت الضِفَّ والخِلف[5]، فَاسْمَعَن اللَّهمَّ وَأَمْطِرَنْ علَيْنَا غَيْثًا مُغِيثًا مُغْدِقًا، فَمَا رَامُوا البَيْتَ إلَّا وقَد انْفجَرَت السَّماءُ بما فِيهَا، وكَظَّ الوَادِي بِثَجِيجِهِ[6].

قالَ أبو سعيد النّيسابوري: عنْ رقيقةَ بنْتِ صَيْفِيّ سَمِعْتُ أشَياخَ قُرَيْشٍ يقُولُون لِعَبْدِ المطَّلِبِ:

---

(1) الأبيات من المتقارِب.

(2) روايات الأبيات مختلفة كثيرا، وكذا متن الحدِيث، ولم أجد أقربَ إلى رواية المؤلّف من رواية الأحادِيث الطوال، الطبراني، حدِيث (28).

(3) الروض الأنف، السهيلي، 3/39-40.

(4) في الروض الأنف: عَذِرَات حرمك، وفي معجم ابن الأعرابي: بَعِيراتُ حرَمِكَ. وفي المنتظم: غدرات كما في رواية المؤلف.

(5) في معجم ابن الأعرابِي: أَقْلَحَتِ الظِّلْفَ وَالْخُفَّ، فلينظر في تصحيفه.

(6) ينظر رواية: الروض الأنف، السهيلي، 3/40-41، ومعجم ابن الأعرابِي، 752/2، حدِيث (1527)، فهما الأقرب إلى رواية المؤلّف. وينظر المنتظم، ابن الجوزِي، 276/2.

هنِيئًا لَكَ بالبَطْحاءِ هَنِيئًا[1] بِكَ عَاشَ أَهْلُ البَطْحَاءِ. قالَتْ رُقَيْقَةُ:

بِشَـــيْبَـةَ الْحَمْـدِ أَحْيَى اللـهُ بَلْـدَتَنَـا ... وَقَـدْ فَقَـدْنَـا الْحَيَـا وَاجْلَوَّذَ الْمَطَرُ

فَجَـاءَ بِـالْمَـاءِ جَوْنِيّ لَـهُ سُـبُـلٌ ... سَـــحَا فَعَاشَـــتْ بِهِ الْأَنْعَامُ وَالشَّـــجَرُ

مَـنًّـا مِـنَ اللـهِ بِـالْـمَـيْـمُـونِ طَـائِـرُهُ ... وَخَيْرُ مَنْ بُشِّـــرَتْ بِوِصَـــابِـهِ مُضَـــرُ

مُبَـارَكُ الْأَمْرِ يُسْـــتَسْـــقَى الْغَمَـامُ بِـهِ ... مَـا فِي الْأَنَـامِ لَـهُ عَـدْلٌ وَلَا نظرُ[2]

وغَدْرَات حَرَمِكَ: أَفْنِيَةُ الْحَرَمِ، والغدرة: فِنَاءُ الدَّارِ. وكَظَّ الوادِي: ضاقَ. والثَّجِيجُ: الانْصِبابُ. والجونِي: الأَسْوَدُ المُشْرَبُ حُمْرَةً.

[164و] وفِي "المستدرَكِ على الصَّحِيحَيْنِ" صحِيحِ مسلِم والبخَارِي: ((عن ابْنِ عبَّاسٍ ﷺ عنْ عُمَر بنِ الخطَّابِ خرَجْنَا إِلَى تبوك فِي قَيْظٍ شَدِيدٍ، فنَزَلْنَا مَنْزِلًا أصَابَنَا فِيهِ عَطَشٌ شَدِيدٌ حتَّى ظَنَنَّا أنَّ رِقَابَنَا ستُقْطَعُ حتَّى إنَّ الرَّجُلَ لينْحرُ بعِيرَه فيَعْصِرُ فَرْثَهُ فيَشْرَبُهُ ثمَّ يَجْعَلُ ما بَقِيَ علَى كَبِدِه. فقَال أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ: يا رسُولَ اللهِ قَدْ عَوَّدَكَ اللهُ في الدُّعاءِ خَيْرًا فادْعُ اللهَ، فقَالَ: أَتُحِبُّ ذلِكَ؟ قالَ: نَعَم، فرَفَعَ يدَيْهِ فَلَمْ يُرْجِعْهُمَا حَتَّى أَظَلَّت السَّماءُ فَسَكَبَتْ فمَلَؤُوا مَا مَعَهُم، ثُمَّ ذَهَبْنَا ننْظُرُ فلَمْ نَجِدْها جَازَت العَسْكَرَ)). قالَ: هذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ علَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ[3].

وقَدْ ذَكَرْتُ قَصِيدةَ: (وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بوَجْهِهِ) في بَعْضِ شُرُوحِ الشَّواهِدِ إِلَّا قَلِيلًا مِنْ آخِرِها لَمْ أَقْدِرْ علَيْهِ بَعْدَ البَحْثِ الشَّدِيدِ.

ورُوِيَ أنَّ المسلِمِينَ قالُوا: **((يَا رَسُولَ اللهِ قَحطَ المطرُ ويَبِسَ الشَّجَرُ وهَلَكَت المَوَاشِي وأَسْنَتَ النَّاسُ فاسْتَسْقِ لنَا ربَّكَ، فخَرَجَ رسُولُ اللهِ ﷺ والنَّاسُ معَهُ يَمْشِي ويَمْشُونَ بالسَّكِينةِ والوَقارِ حتَّى أَتَوْا المُصَلَّى فتَقَدَّمَ وصلَّى بِهِم رَكْعَتَيْنِ يَجْهَرُ فيهِما بالقِرَاءَةِ وكانَ ﷺ يقْرَأُ في العِيدَيْنِ والاستِسْقاءِ بفاتحةِ الكتابِ وسبِّح اسمَ ربِّكَ الأعلى، وفي الرَّكعة الثَّانِيَةِ بفاتِحةِ الكتَابِ وهَل أتاك حدِيثُ الغاشِيَةِ، فلمَّا قضَى صلاتَهُ اسْتَقْبَلَ النَّاسَ بوَجْهِهِ وقَلَبَ رداءَهُ لِيَنْقَلِبَ القَحْطُ إلى الخِصبِ، ثُمَّ جثَا على رُكْبَتَيْهِ ورفَعَ يدَيْهِ وكبَّرَ تكْبِيرَةً قَبْل أنْ يَسْتَسْقِيَ ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ اسْقِنَا وَأَغِثْنَا غَيْثًا مُغِيثًا وَحيًا[4] رَبِيعًا وَجُدًّا طَبَقًا غَدَقًا مُعدِقًا[5] عَامًّا هَنِيئًا مَرِيئًا مَرْبَعًا مَرْتَعًا وابِلًا شَامِلًا مُسْبِلًا مُجَلِّلًا دائِمًا وَدُرًّا نافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ عاجِلًا غيْرَ رَائِثٍ، غَيْثًا اللَّهم تُحْيِي بهِ البِلَادَ وتُغِيثُ بهِ العِبادَ**

(1) في معجم ابن الأعرابِي: هَيِّنًا لَكَ أَبَا الْبَطْحَاءِ هَيِّنًا.

(2) الأبيات من البسِيط، ينظر رواية: معجم ابن الأعرابِي، حدِيث (1527)، 752/2، والمعجم الكبِير، الطبرانِي، حدِيث (661).

(3) المستدرك على الصحيحين، الحاكِم، حدِيث (566).

(4) في الأحاديث الطوال: رحبا.

(5) في الأحاديث الطوال: مغْدِقاً.

وتَجْعَلُه بَلاغًا صالِحًا لِلْحَاضِرِ والبَادِي. اللَّهمَّ أَنْزِلْ في أرْضِنَا زِينَتَهَا وأَنْزِلْ علَيْهَا سَكَنَهَا. اللَّهمَّ أَنْزِلْ علَيْنَا مِنَ السَّماءِ مَاءً طَهُورًا تُحْيِي بهِ بَلْدَةً مَيْتًا. وأَسْقِهِ مِمَّا خلَقْتَ أنْعَامًا وأنَاسِيَّ كَثِيرًا. فمَا بَرِحُوا حتَّى أَقْبَلَ قَزَعٌ مِن السَّماءِ فالْتَأمَ بَعْضٌ إلى بَعْضٍ ثمَّ أَمْطَرَتْ سَبْعَةَ أيَّامٍ بلَيَالِيهِنَّ لا تُقْلِعُ عنِ المدِينةِ. فأتَاهُ المسْلِمونَ وقالوا: يا رَسُولَ اللهِ قَدْ غَرِقَت المدينةُ وتَهَدَّمَت البيُوتُ وانْقَطَعَت السُّبُلُ فادْعُ اللهَ أن يَصْرِفَها عنَّا فضَحِكَ رسُولُ اللهِ ﷺ وهُوَ علَى المِنْبَرِ حَتَّى بَدَتْ [164ظ] نواجِذُهُ تعَجُّبًا لِسُرعَةِ مَلَالَةِ بَنِي آدمَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثُمّ قالَ: حَوَالَيْنَا ولا عَلَيْنا، اللَّهُمَّ علَى رُؤُوسِ الظِّرابِ ومنَابِتِ الشَّجَرِ وبُطُون الأَوْدِيَةِ وظُهور الإكامِ فتَصَدَّعَت عن المَدِينَةِ حتَّى كَانَتْ مِثْلَ تُرْسٍ عليْهَا كالفسْطاطِ تُمْطِرُ مَرَاعِيهَا ولَا تُمطِرُ فِيهَا قَطْرَةٌ))[1].

وأنشَدَ بَعضُ السَّلَفِ عَقِبَ حدِيثِ الاسْتِسْقَاءِ:

سَـــأَلْنَا وَقَدْ ضَـــنَّ السَّـــحَابُ بِمَائِهِ ... نَبِيءَ الْهُـدَى فِي جُمْعَـةٍ وَهْو يَخْطُـبُ
فَقُلْنَا قَـدِ اغْبَرَّتْ مِنَ الْجَدْبِ أَرْضُـــنَا ... فَلَيْسَ لَنَـا فِيهَـا مِنَ الضّـــرِّ مَـذْهَـبُ
فَمَـا زَالَ يَدْعُو اللهَ وَالصَّـــحْبُ حَوْلَـهُ ... وَيَضْـــرَعُ مَـقْـلُـوبَ الـرِّدَاءِ وَيَـرْغَـبُ
إِلَى أَنْ بَـدَتْ مِنْ نَحْوِ سِـــلْعٍ غَمَـامَـةٌ ... فَلَمَّا تَزَلْ سَـــبْعًا عَلَى الْقَوْمِ تَسْـــكِبُ
فَقَـامَ إِلَيْـهِ بَعْضُ مَنْ كَـانَ شَـــاهِـدًا ... بِقَـوْلٍ وَأَحْلَافُ السَّـــمَواتِ تَحْلَـبُ
سَـــلِ اللـهَ يَـا خَيْرَ النَّبِيئِينَ جَسَّـــهَـا ... فَقَـدْ خِيفَ مِنْهَـا أَنْ تَهـدَّمَ يَثْرِبُ[2]

وصَلاةُ الاسْتِسْقاءِ ثابِتَةٌ سُنَّة بِإجْمَاعٍ، إلَّا أبا حنيفة زَعَمَ أنَّها بِدْعَةٌ مُحْتَجًّا بأحادِيثِ الاسْتِسقَاءِ التِي ليسَ فِيها صَلَاةٌ. ويَرُدُّهُ أحادِيثُ الاسْتِسْقَاءِ التِي فيها صَلاةٌ المذكورةُ في "صَحِيحِ البخَارِي" و"صَحِيحِ مُسْلِم" وغيْرِهِمَا الثَّابتة بأَسَانِيد وطُرُقٍ عدِيدَةٍ. والحافِظُ حجَّةٌ على مَن لَمْ يَحْفَظْ، وزيادةُ مَنْ يُوثَقُ بِهِ مقْبُولَةٌ.

وأمَّا الأحاديثُ التِي لَيْسَتْ فيها صَلَاةٌ، فيُقالُ فِيها: عَدَمُ ذِكْرِ الشَّيْءِ لا يكونُ نَصًّا في انتِفائِهِ، أو تُحْمَلُ على نِسيانِ الرَّاوِي أو بعضُ الاستسقاءاتِ تعقُبُهُ صلاةُ الجُمُعةِ فاكتفِيَ بِهَا، كمَا اكْتُفِيَ بِخُطْبَةِ الجُمُعةِ عن خُطبةِ الاستِسقاءِ. ولَوْ لَمْ يُصَلّ أَصْلًا كان بَيَانًا بِجَوَازِ الاستِسقَاءِ بِلَا صَلَاةٍ بَلْ بالدُّعاءِ فَقَطْ، ولَا خِلَافَ فِي جَوَازِهِ، وتكُونُ الأحَادِيثُ المثْبِتَةُ لِلصَّلاةِ متَقَدِّمَةً؛ لأَنَّ فِيها زِيَادَةَ علْمٍ مِنْ رَاوِيها علَى مَن لَمْ يَرْوِها.

والاستِسقاءُ أَنْوَاعٌ:

---

(1) الأحادِيث الطوال، الطبرانِي، حدِيث (27)، وفيه: كالتِّشْطاط، بدل كالفسطاط.

(2) الأبيات من الطوِيل، تاريخ الخمِيس، الدياربكرِي، 15/2، دون نسبةٍ.

ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵏ ⵎⵓⵃⴰⵎⴻⴷ
ⵜⴰⵖⴰⵍⵓⵉⵜ ⵖⵣⴰⵣ ⵇⵙⵙⴷⴰ ⵖⵏ ⵄⵖⴰⵍⵉⵖⴰ
ⵜⴰⵢⵣⵓⵍⵜ ⵏ ⵜⵖⵔⵉⵖⵜ ⴰ ⵜⵎⴰⵖⵉⵙⵉⵏ ⵜⵉⵔⵔⴰⵣⵉⵏ
ⵙⴰⵢⵙ - ⴼⴰⵙ
Royaume du Maroc
Université Sidi Mohamed Ben Abdellah
Faculté des Lettres et des Sciences
Humaines Dhar El Mehraz -Fès

المملكة المغربية
جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الآداب والعلوم الانسانية ظهر المهراز – فاس

مركز دراسات الدكتوراه: الجماليات وعلوم الإنسان

تكوين : التعابير والأشكال الرمزية

تخصص: اللغة العربية

إجابة الدَّعوة لإِصابَة الدُّعوة
"شرح القصِيدة المدنِيَّة في مدحِ مهدِيِّ الأمَّة"
لأمحمَّد أطفِيَّش ت:1332 المجلَّد الأوَّل تحقيق ودراسة

قسم النص المحقق

الجزء الثاني

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه

إنجاز الطالب:

✍ عبد الوهاب بافلح

ر.و.ط : 6053211280

إشراف الأستاذ الدكتور:

✍ عبد الرحيم الرحموني

الموسم الجامعي

2019-2018

[النّوعُ] الأَوَّلُ: الاستِسْقَاءُ بِرَكْعَتَيْنِ وخُطْبَتَيْنِ

ويسْتَعَدُّ قَبْلَهُ بِصَدَقَةٍ وصِيامٍ استِحْبَابًا ولا يَأْمُرُ بِهِما الإِمَامُ، وتوْبَةٍ ويَأْمُرُ بها، وإِقْبَالٍ علَى الخَيْرِ ومجَانَبَةِ الشَّرِّ ونَحْوِ ذلِكَ مِن طَاعَةِ اللهِ سُبحانهُ رَجَاءً لِلْإِجابَةِ؛ فمَبْنَى الاسْتِسْقَاءِ الاستِغفارُ والتَّوَجُّهُ إلى اللهِ بِجَوَامِعِ الهِمَّةِ. وقَدْ خَرَجَ عُمرُ لِلاستِسقَاءِ فما زَادَ علَى الاسْتِغفارِ[1].

وشَكَا رَجُلٌ إلى الحسن البصريّ الجدْبَ، فقال: اسْتَغْفِرِ اللهَ، وآخَر الفَقْرَ، وآخَر قلَّةَ النَّسلِ، وآخَر قِلَّةَ رَيْعِ أرْضِهِ، وأمَرَهُم كلَّهُم بالاسْتِغفارِ، فقَالَ له الرَّبِيعُ بنُ صُبِيح[2]: أتَاكَ رِجَالٌ يشْكُونَ أبوَابًا فأَمَرْتَهُمْ كُلَّهُم بالاسْتِغفارِ فَتَلَا قوْلَهُ تعالى: ﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿10﴾ يُرْسِلِ [165و] ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿11﴾ ﴾ إلى ﴿ أَنْهَٰرًا ﴿12﴾ ﴾[3].

قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: ((**خَرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ إِلَى الاسْتِسْقَاءِ مُتَبَذِّلًا**؛ أَيْ: لابِسًا ثَوْبًا خَلقًا، **مُتَوَاضِعًا**؛ أيْ: زَائِدًا في التَّواضُعِ، **مُتَخَشِّعًا مُتَضَرِّعًا حتَّى أتَى المُصَلَّى فرَقِيَ المِنبَرَ فلمْ يَخْطُبْ خُطْبَتَكُمْ هَذِهِ، ولكِنْ لَمْ يَزَلْ في الدُّعاءِ والتَّضرُّعِ والتَّكبِيرِ ثمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كمَا يُصَلِّي في العِيدِ**)) رواهُ التّرمذِي وقال: حسنٌ صحِيحُ، وأحْمَد[4] وغَيْرُهُ.

قالَ عبدُ اللهِ بنُ زَيْد بنِ عَاصِم بنِ كَعْب الأَنْصَارِيّ المَازِنِيّ: ((**خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى هَذَا المُصَلَّى يَسْتَسْقِي واستَقبَلَ القِبْلَةَ وقَلَبَ رِدَاءَهُ وصَلَّى رَكْعَتَيْنِ**))[5] وفِي روَايَةٍ عَنْ عبْدِ اللهِ المَذْكُورِ: ((**خَرَجَ بالنَّاسِ إلى المُصَلَّى يَسْتَسْقِي فصَلَّى بهِمْ رَكْعَتَيْن، جَهَرَ فِيهِما بِالقِرَاءَةِ وجَعَلَ ظَهْرَهُ إلى النَّاسِ واسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ يَدعُو ورَفَعَ يَدَيْهِ وحَوَّلَ رِدَاءَهُ وجَعَلَ عِطَافَهُ الأَيْمَنَ علَى عَاتِقِهِ الأَيْسَرِ، وجَعَلَ عِطَافَهُ الْأَيْسَرَ علَى عاتِقِهِ الأَيْمَنِ، ثُمَّ دعَا اللهَ**))[6] والعِطَافُ بالكَسْرِ: الجانِبُ.

قَالَتْ عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: ((**شَكَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَحْطَ المَطَرِ، أيْ: احْتِبَاسَهُ، فأَمَرَ بِمِنبَرٍ فوُضِعَ لهُ في المُصَلَّى ووَعَدَ النَّاسَ يَوْمًا يَخْرُجُونَ فيهِ، فخَرَجَ حِينَ بَدَا حاجِبُ الشَّمسِ فقَعَدَ علَى المِنْبَرِ فكَبَّرَ وحَمِدَ اللهَ ثمَّ قالَ: إنَّكُمْ شكَوْتُمْ جَدْبَ دِيَارِكُمْ وَاسْتِئْخَارَ المَطَرِ**؛ أيْ: وتَأَخُّرَهُ، **عَنْ إبَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ، وَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ أَنْ تَدْعُوهُ، ووَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ** ﴿ ٱلْحَمْدُ

---

(1) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 113/11.

(2) الربيع بن صبيح: مَوْلَى بَنِي سَعْدٍ، مِنْ أَعْيَانِ مَشَايِخِ البَصْرَةِ، توفي سنة 160هـ، ضعّفه النَّسائي. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، 287/7.

(3) سورة نوح: 10-12.

(4) سنن الترمذِي، حدِيث (558)، ومسند أحمد، حدِيث (2039).

(5) صحيح البخارِي، حدِيث (6343).

(6) ينظر: سنن أبِي داوود، حدِيث (1161) و(1162) و(1163).

﴿بِسۡمِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٣﴾[1] **الذي لا إِلَه إِلاَّ هُو يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الله لا إلهَ إلا أَنْتَ الغَنِيُّ ونَحْنُ الفُقَرَاءُ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ واجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلاغًا إِلَى حين، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى بَدَا بَيَاضُ إِبطَيْهِ ثُمَّ حَوَّل إِلَى النَّاسِ ظَهْرَهُ واستقبلَ القبلةَ، وحوَّلَ رِدَاءَهُ وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ونَزَلَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، فَأَنْشَأَ الله سَحَابًا فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ بِإِذْنِ الله جلَّ وعلَا، فَلَمْ يَأْتِ مَسْجِدَهُ حَتَّى سَالَتِ السُّيُولُ، فَلَمَّا رَأَى ذلكَ وسُرْعَتَهُمْ إِلَى الْكنِّ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنِّي عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ))**[2].

وكُلَّما ورَدَ فِي الحدِيثِ "ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ" فمعْنَاهُ بَالَغَ في التّبَسُّمِ شَارِعًا في مَبْدَأِ الضّحِكِ.

وصلاَةُ الاسْتِسْقاءِ تُصَلَّى لَيْلًا ونَهَارًا، بِدَلِيلِ أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَخُصَّ لهَا وَقْتًا في النَّهارِ.

واسْتَنْبَطَ بَعضٌ مِنْ كوْنِهِ ﷺ جَهَرَ بالقِرَاءَةِ في صَلاةِ الاسْتِسقَاءِ أَنَّها نَهَارِيَّةٌ، ولَوْ كانَتْ تُصلَّى باللَّيلِ لَأَسَرَّ فِيها بالنَّهارِ، وجَهَرَ في اللَّيلِ كمُطلَقِ النَّوافِلِ[3]. قلْتُ: لا دَلِيلَ في ذلكَ، ولَا تُصَلَّى في وَقْتِ الكراهَةِ.

وزَعَمَ بعْضٌ أَنَّها تَخْتَصُّ بِوَقْتِ العِيدِ [165ظ] قال مالِك: مِنْ حِلِّ النَّافلة إلى وَقْتِ الزّوَالِ. واخْتارَ بَعْضُ الشَّافعِيَّةِ جوازَها بوَقْتِ الكَرَاهةِ؛ لِأَنَّها ذاتُ سبَبٍ[4].

وأفَادَ ابنُ حبَّان أَنَّهُ ﷺ خرَجَ إلى المُصَلَّى لِلْاستِسْقَاءِ في شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ سِتٍّ مِنَ الهِجرةِ[5].

وذكَرَ الوَاقِديّ، مُحَمَّدُ بنُ عُمَر بنِ وَاقِد، أنَّ طولَ رِدَائِهِ ﷺ سِتَّةُ أَذْرُعٍ في عُرْضِ ثَلاثَةِ أذْرُعٍ، وطُولُ إزَارِهِ أرْبَعَةُ أَذْرُعٍ وشِبرانِ فِي عُرْضِ ذِرَاعَيْنِ وشِبْرٍ، كانَ يلْبَسُهُمَا إلَى الجُمُعَةِ والعِيدَيْنِ. وقِيلَ: ذِرْعُ ردَائِهِ أربَعَةُ أذْرُعٍ وشِبْرَانِ، قِيلَ: والأَوَّلُ أَوْلَى[6].

ورَوَى أبو داود عنْ عبّاد بنِ تميم بنِ زَيْدٍ بنِ عَاصِم الأَنْصَاريّ: ((**اسْتَسْقَى ﷺ وعَلَيْهِ خَمِيصَةٌ**

---

(1) سورة الفاتحة:1-3.

(2) ورد بلفظ قرِيبٍ: سنن أبِي داود، حدِيث (1173) والمستدرك على الصحيحين، الحاكِم، حدِيث (1225). ينظر: شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 11/115-116.

(3) المواهب اللدنية، 4/263.

(4) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 11/117 وفتح البارِي، 2/499.

(5) المواهب اللدنية، 4/263. وفتح البارِي، 2/499.

(6) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 11/117.

سَوْدَاءُ فأَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ بأَسْفَلِها فيَجْعَلَهُ أعْلَاهَا، ولَمَّا ثَقُلَتْ علَيْهِ قَلَبَهَا علَى عَاتِقِهِ))[1]

والخمِيصةُ: كِساءٌ مِنْ صُوفٍ[2]. قُلْتُ: يُؤْخَذُ مِنَ الحدِيثِ مشْرُوعِيَّةُ جَعْلِ ما سَفُل مِنَ الثَّوبِ أَعْلَى.

ثُمَّ رأَيْتُ أنَّ الشَّافعِيَّ في الجَدِيدِ نقَلَ هذَا الذِي هَمَّ بهِ النَّبِيءُ ﷺ مِنْ جَعْلِ الأَسْفَلِ أَعْلَى واسْتَحَبَّهُ معَ التَّحويلِ المذكُورِ، فيحصُلُ التَّنكِيسُ والتَّحوِيلُ معًا. وقال القُرطُبيّ: إنَّ الشَّافِعيَّ احْتَارَ في الجَدِيد تَنْكِيسَ الرِّداءِ لَا تَحْوِيلَهُ[3]؛ أي: لأنَّهُ إنَّما حَوَّلَ ﷺ بَعْدَ أن لَمْ يَجِد التَّنكِيسَ، والموْجُودُ لَهُ فِي "الأُمِّ" استِحْبَابُهمَا، والجمْهُورُ علَى استِحْبَابِ التَّحوِيلِ بلا تنْكِيسٍ لانْفِرَادِ رَاوِيهِ عمارة بن غزيّة عنْ عَبَّاد[4].

قال القَسْطَلَّانِي: لا شَكَّ أنَّ الذِي اسْتَحَبَّهُ الشَّافِعِيّ أَحْوَطُ، وعن أبي حنيفة وبَعْضِ المالكيَّةِ: لا يُسْتَحَبُّ شَيْءٌ مِن ذلكَ، واسْتَحَبَّ الجُمْهُورُ أنْ يُحَوِّلَ النَّاسُ بتَحْوِيلِ الإمامِ، ويَدُلُّ لهُ ما رَوَاهُ أحَمْد مِن طَرِيقِ عبَّاد فِي هَذَا الحَدِيثِ **((وَحَوَّلَ النَّاسُ مَعَهُ))**[5] أَيْ: حَوَّلُوا أَرْدِيَتَهُم معَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وقالَ اللّيث بن سعيد وأبو يوسف: يُحوِّلُ الإمامُ وَحْدَهُ، قالَ ابن الماجشون: لَا يُسْتَحَبُّ التَّحوِيلُ في حقِّ النِّساءِ[6] وهُوَ وَجِيهٌ لأنَّهنَّ عَوْرَةٌ، ولَيْسَ التَّحوِيلُ بعدَ الفراغِ مِنَ الاسْتِسْقاءِ.

ومعنَى قولِهِ: **((فقَلَبَ رِدَاءَهُ))** أَنَّهُ حَوَّلَهُ في أثْنَاءِ الاستِسقاءِ. وفِي روايَةِ مالِك: **((أَنَّهُ ﷺ حوَّلَ رِدَاءَهُ حِينَ استَقْبَلَ القِبْلَةَ))**[7] ولِمُسلِم مِنْ رِوَايةِ يحيى بن سعيد عنْ أبي بكر بن محمّد: **((أَنَّهُ لَمَّا أرادَ أنْ يدْعُو اسْتَقْبَلَ القِبلةَ وحَوَّلَ رِدَاءَهُ))**[8] ولَهُ مِنْ روَايَةِ الزُّهْرِيّ عنْ عَبَّاد: **((فقَامَ فدَعَا اللهَ قَائِمًا ثمَّ توَجَّهَ قِبَلَ الْقِبْلَةِ وَحَوَّلَ رِدَاءَهُ))**[9] ففِي ذلكَ أنَّهُ حَوَّلَ قَبْلَ الفَراغِ.

وحكمةُ التَّحوِيلِ التَّفاؤُلُ بتحوُّلِ الجدبِ إلى الخصبِ، وتعقَّبهُ ابنُ العربيّ [166و] بأنَّ شرطَ الفالِ أن لا يقصدَ إليهِ، وإنَّما التَّحويلُ أمارةٌ بينهُ وبينَ ربِّهِ، قيلَ لهُ ولو بإلهام: حوِّلْ رداءَكَ ليتحوَّلَ حالُكَ[10]. ويبحثُ بأنَّ هذا ظنٌّ لا يصِحُّ بلا نقلٍ.

---

(1) سنن أبِي داود، حدِيث (1164).

(2) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 117/11.

(3) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 264/4.

(4) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 118/11.

(5) مسند أحمد، حدِيث (16465).

(6) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 264/4.

(7) الموطأ، مالك بن أنس، حدِيث (202).

(8) صحيح مسلِم، حدِيث (894).

(9) صحيح البخارِي، حدِيث (1022)، ولم أجده في صحيح مسلم.

(10) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 264/4.

وقَصْد التَّفاؤُلِ وَرَدَ فيهِ حدِيثٌ رجالُهُ ثقاتٌ عندَهُم. أخرجهُ الدَّارقطنِي[1] والحاكم[2] من طريق جعفر الصَّادِق بن محمَّد بن عليّ زين العابدين بن الحسين عن أبِيه محمّد الباقِر عن جابر بن عبد الله، ورجَّحَ الدَّارقطنِي إرسالهُ بحذفِ جابِر. وعلَى كلِّ حالٍ فهُوَ أولَى من القولِ بالظَّنّ[3].

وقِيل: حَوَّلَ رداءَهُ ليكونَ أثبتَ على عاتِقِهِ عندَ رفعِ يدَيْهِ في الدُّعاءِ، فلا يكونُ سُنَّةً في كلِّ حالٍ[4]. ويبحَثُ بأنَّ التَّحوِيلَ من جِهة إلى جِهَةٍ لا يقتَضِي الثُّبوتَ على العاتِقِ، فالحملُ على المعنَى الأوَّلِ أَوْلَى، فإنَّ الاتِّباعَ أولَى مِن تركِهِ لمجرَّدِ احتمالِ الخُصُوصِ.

والتَّحوِيلِ سُنَّةٌ ولو على ما قالَ ابن العربيّ، واستدلُّوا بِقولِ عائشةَ: ((**ثمَّ صلَّى رَكْعَتَيْنِ**)) بَعْدَ قوْلِها: ((**فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ**))[5] على أنَّ الخُطبَةَ فِي الاسْتِسْقاءِ قَبْلَ الصَّلاةِ، وهُوَ مُقتَضَى حدِيثِ ابنِ عبَّاس: ((**خرجَ حتَّى أتَى المُصَلَّى فرَقِيَ المنبرَ**)) ووقعَ فِي حديثِ أَحْمَد عنْ عبْدِ اللهِ بنِ زيد أنَّهُ بَدَأَ بِالصَّلاةِ قَبْلَ الخُطبةِ، وكذا فِي حدِيثِ أبِي هريرَةَ عندَ ابن ماجه: ((**فصَلَّى بِنا ركعتَيْنِ بغيرِ أَذَانٍ ولَا إقَامَةٍ**))[6] فيُقَدَّمُ كلٌّ مِنهُما؛ لأنّهُ صَرِيحٌ في تقدِيم الصَّلاةِ على المحتَمِلِ لِتقدِيم الخُطْبَةِ.

ورجَّحَ الشَّافِعِيَّةُ والمالكيَّةُ الصَّلاةَ قبْلَ الخُطبةِ، وإليهِ رجَعَ مالِك، ويجمعُ بأنَّهُ ﷺ بَدَأَ بالدُّعاءِ ثمَّ صلَّى رَكْعَتَيْنِ ثمَّ خطبَ، فاقتصرَ بعضُ الرُّواةِ على شيْءٍ وبعضٌ على شَيْءٍ، وعبَّرَ بعضٌ بالخطبةِ عن الدُّعاءِ.

وقال القُرطبِيُّ: تُقدَّمُ الصَّلاة على الخُطبةِ لمشابهتِها بالعِيدِ، ولِتقدِيم الصَّلاةِ أمام الحاجَةِ[7].

وأمَّا كيفيَّةُ الرَّكعَتَيْنِ فأَخْرَجَ الدَّارقطْنِيّ مِنْ حَدِيثِ ابنِ عبَّاس أنَّهُ يكبِّرُ فيهما سبعًا وخَمْسًا كالعِيدينِ، وأنَّهُ يُقرأُ فِيهِما بسبِّح وهل أتاكَ[8]. وفي إسنادِهِ مَقالٌ، لَكِنَّ أصْلَهُ في السُّنَنِ الأربَعِ بلَفظ: ((**ثمَّ صَلَّى ركعَتَينِ كما يُصَلِّي في الْعِيدَيْنِ**))[9] فأخذَ بظاهِرِهِ الشَّافِعِيّ فقال: يُكبِّرُ فِيهِما سبعًا وخمْسًا كالعِيدِ.

وَلَمْ نَأْخُذ بِهِ ولا مالِك لِضُعْفِ الرِّوايَةِ المصَرِّحَةِ بالتَّكبِيرِ، ولا تَصرِيحَ فِي غيْرِها. وغلطَ مَن روَى عنِ الشَّافِعِيّ استِحبابَ التَّكبِيرِ حالَ الخُرُوجِ إلَيْها. واللهُ أعلمُ.

---

(1) سنن الدارقطني، حدِيث (1798).

(2) المستدرك على الصحيحين، حدِيث (1216).

(3) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 264/4.

(4) فتح الباري، ابن حجر، 499/2.

(5) سبق تخريجه: سنن أبي داود، حدِيث (1173).

(6) سنن ابن ماجه، حدِيث (1268).

(7) فتح الباري، ابن حجر، 500/2.

(8) سنن الدارقطني، حديث (1800).

(9) سنن أبِي داود، حدِيث (1165).

النَّوعُ الثَّانِي: اسْتِسْقَاؤُهُ ﷺ فِي خُطبَةِ الجُمُعَةِ

عن أنَس: ((**دَخَلَ رَجُلٌ المسجِدَ يومَ الجُمُعةِ مِن بابٍ كانَ نَحْوَ دَارِ القَضَاءِ، ورَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ**)) [166ظ] إلى آخِرِهِ، وقد تقدَّمَ[1]. ولَا يُعْرَفُ تَحْقِيقًا اسْمُ الرَّجُلِ الدّاخِلِ.

ولكِن لِأَحْمَد: عن كعب بن مرّة فَلَعَلَّ الرَّجُلَ هُوَ كعب هذا[2]. وللبيْهَقِيّ مُرسَلًا ما يُمكِنُ أنْ يُفَسِّرَ أنَّهُ خارجة بن حصن الفزاريّ، لكن رواهُ ابنُ ماجه عن شُرَحْبِيلَ بنِ السِّمْطِ أنَّهُ قَالَ لِكَعْبِ بنِ مُرَّةَ: يا كَعْبُ حَدِّثْنا عنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فقَالَ: ((**جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيءِ ﷺ فقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ اسْتَسْقِ اللهَ فَرَفعَ يَدَهُ فقَالَ: اللَّهُمَّ اسْقِنَا**))[3] الحدِيث ففي هذا أنَّهُ غيرُ كعبٍ[4].

وقِيلَ: هوَ أبُو سُفْيَان بنُ حَرْبٍ، ويَرُدُّهُ أنّهُ جاءَ قَبْلَ إسلامِهِ فلا يقولُ: يا رسُول اللهِ.

وفي روَايَةٍ عنْ أَنَس: ((**جَاءَ أَعْرَابِيٌّ مِنْ أَهْلِ البَادِيَةِ**)) وتَقَدَّمَ أنَّ تِلْكَ الدّارَ سُمِّيَتْ دار القَضَاءِ لأَنَّها دارُ عُمَر بنِ الخَطَّابِ بِيعَتْ فِي قَضَاءِ دَيْنِهِ، واشتَرَاهَا مُعَاوِيَةُ. ورُوِيَ أنَّهُ كانَ يُقالُ لها دارُ قَضَاء دَيْنِ عُمَر، ثُمَّ طالَ ذلِكَ فقِيلَ دارُ القَضاءِ. أخْرَجَهُ الزُّبَيْرُ بنُ بَكَّار عَن ابن عمر، وليسَ كما قِيلَ سُمِّيَت دار القَضَاءِ لأنَّها دَارُ الإمارةِ[5].

ومثلُهُ ما يُتوهَّمُ أنَّها سُمِّيَتْ دَارَ القَضَاءِ لأنَّهُ يُقْضَى فِيهَا بَيْنَ الخُصُومِ.

وعَن ابْنِ أَبِي فُدَيْكٍ عَنْ عَمِّهِ: كَانَتْ دَارُ القَضَاءِ لِعُمَر، فأَمرَ عَبْدَ اللهِ وحفْصة أنْ يَبِيعَاهَا عنْدَ وفَاتِهِ في دَيْنٍ كانَ علَيْهِ، فبَاعَاهَا مِنْ مُعَاوِيَةَ فكانَتْ تُسَمَّى دَارَ القَضَاءِ. قالَ: وأَخْبَرَنِي عمِّي أنَّ الخوخة الشَّارِعَةَ فِيهَا غَرْبِيَّ المَسْجِدِ هِيَ خوخة الصِّدِّيق ﷺ، وقَدْ صَارَتْ بَعْدَ ذَلِكَ إلَى مَرْوَانَ وهُو أَمِيرُ المَدِينَةِ، فلَعَلَّ هذَا شُبْهَةُ مَنْ قَالَ دارُ الإِمَارَةِ[6].

وذلِكَ الدَّيْنُ الذِي بِيعَتْ فيهِ هو الذِي أنْفَقَهُ مِن بَيْتِ المالِ، وكان ستَّةً وثَلَاثِينَ[7] أَلْفًا كَمَا فِي "البُخارِي" كَتَبَهُ علَى نَفْسِهِ، وأَوْصَى ابْنَهُ عبْدَ اللهِ أن يبِيعَ فِيهِ مَالَهُ، ولَا وُجودَ لها الآنَ؛ لأنَّ السّفّاح، أَوَّلَ خلفاءِ بنِي العبَّاسِ، جَعَلَها رَحْبَةً فِي المَسْجِدِ[8].

---

(1) سبق تخريجه، مسلم، حدِيث (8).

(2) فتح البارِي، ابن حجر، 512/2.

(3) سنن ابن ماجة، حدِيث (1269).

(4) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 121/11.

(5) إكمال المعلم، 319/3. وشرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 121/11.

(6) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 121/11، وفتح البارِي، ابن حجر، 502/2.

(7) فِي شرح المواهِب: ستة وثمانين، وكذلك صحيح البخارِي، حدِيث (3700) ولم يذكر بيع الدّارِ.

(8) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 127/11.

وقَالَتْ سهْلَةُ بنتُ عاصِم[1]: كانَتْ دارُ القَضَاءِ لعبد الرّحمن بن عوف ﷺ سُمِّيَت دارَ القَضَاءِ لأنَّ عَبْدَ الرَّحمنِ اعْتَزَلَ فِيهَا لَيَالِيَ الشُّورَى حتَّى قُضِيَ الأمرُ فبَاعَهَا بنُو عَبْدِ الرَّحمَن مِن مُعَاوِيَةَ. وقال عبد العزيز بن عمران[2]: كانتْ فِيها الدَّواوِينُ، وكانَتْ بَيْتَ مَالٍ وصَيَّرَها السّفّاح رَحْبَةً في المسْجِدِ[3].

ومَعْنَى ((**هَلَكَت الأَمْوَالُ**)): هَلَكَت المواشِي كمَا هُوَ رِوايَة. وفِي رِوَايَةٍ: ((**هَلَكَ الْكُرَاعُ**)) بالضَّمِّ أيْ: الخَيْلُ وغَيْرُها. ويُرْوَى [167و] ((**هَلَكَت المَاشِيَةُ، هَلَكَ الْعِيَالُ، هَلَكَ النَّاسُ**)). ومعْنَى هَلَاكهمْ: إشْرَافُهُم علَى الْمَوْتِ لِفَقْدِ ما يَعِيشُونَ بِهِ. ومَعْنَى "انْقَطَعَت السُّبُلُ": ضَعُفَت الإبِلُ لِقِلَّةِ القُوتِ عن السَّفَرِ، أو لِأَنَّها لَا تَجِدُ فِي طَرِيقِها مِنَ الْكَلَأ ما تَأْكُل. وقِيلَ: المرادُ نَفَادُ ما عِندَ النَّاسِ مِن الطَّعامِ أو قلَّتُهُ، فلا يَجِدونَ مَا يَحْمِلونَهُ إلى الأَسْوَاقِ. وفِي رِوَايَةٍ: ((**قَحطَ الْمَطَرُ واحْمَرَّ الشَّجَرُ**)) وهُوَ كِنَايَةٌ عن يُبْسِ ورَقِها لِعدَمِ الماءِ، أو لانْتِثَارِهِ فيَصِيرُ بلَا وَرَقٍ، وبَعْضُ الرُّواةِ روَى شَيْئًا ممَّا قالَهُ بِالْمَعْنَى، وهِيَ أَلْفَاظٌ متَقَارِبَةٌ فلَا خَلْطَ، خِلافًا لصَاحِبِ "المَطَالِعِ"[4] وغَيْرِهِ.

ويُقالُ: أغَاثَهُ وغاثَهُ. والجُمهُورُ على الْأَوَّلِ وهوَ أفْصَحُ. وتَقَدَّمَ أنَّهُ ﷺ رَفَعَ يدَيْهِ، وزادَ النَّسَائِيّ: ((**ورَفَعَ النَّاسُ أيْدِيَهُمْ مَعهُ يَدْعُونَ**))[5] وزَادَ البُخَارِيّ: ((**حذَاءَ وَجْهِهِ**))[6] وفِي روَايَةٍ لَهُ: ((**فنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ**))[7] وتَقَدَّمَ فِي حدِيثِ أنَس: ((**اللَّهُمَّ أَغِثْنَا**)) ذَكَرَهُ مَرَّةً، وفِي رِوَايَةٍ: ((**اللَّهُمَّ أَغِثْنا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا**)) ثَلَاثَ مرَّاتٍ، ويُروَى مَرَّتينِ، وفي رِوَايَةٍ: ((**اللَّهُمَّ اسْقِنا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا**)) ثلَاثًا والأَخْذُ بالزَّائِدِ أَحْوَطُ. وقَدْ كَانَ ﷺ إذا دَعَا دَعَا ثَلاثًا كَمَا روَاهُ البُخَارِيّ[8].

وفرَّقَ بَعْضٌ بيْنَ أغَاثَه وغاثَهُ، فقَالَ: أَغَاثَهُ بالْهَمْزِةِ بمعنَى أجابَ لهُ دُعَاءَهُ، وغَاثَهُ: أَمْطَرَ لهُ، وأغاثَهُ أعطَاهُ غَوْثًا؛ أيْ: مَطَرًا. وتقَدَّمَ: ((**ولَا وَاللهِ مَا نَرَى مِنْ سَحابٍ**))[9] ورُوِيَ: ((**وأيم اللهِ**))[10]. والقَزَعَةُ بفَتْحَتَيْنِ: واحِدُهُ قَزَعٌ أَيْ: قِطَعٌ مِنَ السَّحابِ رِقَاقٌ، قالَ أبو عبَيد: وأَكْثَرُ ما يَجِيءُ في

---

(1) سهلة بنت عَاصِم بْن عدي الأَنْصَارِيّ العجلاني، زوجة عَبْد الرَّحْمَنِ بْن عوف، تروي عن رسول الله. الاستيعاب، ابن عبد البر، 1866/4.

(2) عَبْد العزيز بْن عِمران الزُّهْرِيُّ الأعرج، ت:191 – 200هـ، كان شاعرًا نَسابة. وهو عَبْد العزيز بْن أبي ثابت. اتّفقوا عَلَى تضعيفه. وقال الْبُخَارِيّ: لا يُكْتب حديثه، مُنْكَر الحديث. تاريخ الإسلام، الذهبي، 1158/4.

(3) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 121/11.

(4) سبق التّنبيه عليه. كتاب مطالع الأنوار على صِحاح الآثارِ، لإبراهيم بن يوسف الوهراني المعروف بابن قرقول ت:569هـ.

(5) لم أجده عند النسائي، وهو في صحيح البخارِي، حدِيث (1029).

(6) لم أجده فِي صحيح البخارِي، وهو في السنن الكبرى، النسائي، حدِيث (1831).

(7) صحيح البخارِي، حدِيث (6093).

(8) صحيح البخارِي، حدِيث (1013).

(9) سبق تخريجه، صحيح مسلم، حدِيث (8).

(10) صحيح البخارِي، حدِيث (1021).

الخَرِيفِ[1]. وسَلْع بفَتْحِ السِّينِ وإسْكَانِ اللَّامِ، وحُكِيَ فتْحُهَا: جَبَلٌ بالْمَدِينةِ. وشبَّهَ أَنَسٌ السَّحابةَ بالتُّرسِ في اسْتِدَارة لا فِي القَدْرِ؛ لأنَّ فِي رِوَايةِ أبِي عَوَانَةَ: ((**سَحَابَةٌ مِثْل رِجْلِ الطَّائِرِ وأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهَا**))[2] وفِي رِوَايَةٍ: ((**فَهَاجَتْ رِيحٌ أَنْشَأَتْ سَحَابًا ثُمَّ اجْتَمَعَ**))[3] ويُروَى: ((**فنَشَأَ السَّحَابُ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ**))[4] ((**حَتَّى ثَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ**؛ أَيْ: لكَثْرَتِهِ، **ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْنَا الْمَطَرَ يَتَحَادَرُ علَى لِحْيَتِهِ**))[5][6].

ومَعْنَى ((**مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سَبْتًا**)) كِنَايَةٌ عن اسْتِمْرَارِ الغَيْمِ الماطِرِ، وهذَا فِي الْغَالِبِ، وإِلَّا فقَدْ يسْتَمِرُّ الْمَطَرُ والشَّمْسُ بادِيَةٌ. ومعْنَى سَبْتًا: أُسْبُوعًا، تَسْمِيَةً لِلْكُلِّ بِاسْمِ البَعْضِ كما نَقُولُ جُمُعَة، أو أَرَادَ قِطْعَةً مِنَ الزَّمانِ، والسَّبْتُ: القَطْعُ، وعلى الأَوَّلِ في الكَلامِ تَجَوُّزٌ؛ لأنَّ السَّبتَ لَمْ يكُنْ مبْتَدَأ ولَا مُنْتَهَى، وعَبَّرَ أَنَسٌ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ مِن الأَنْصَارِ، وكُانوا في جِوَارِ اليَهُودِ [167ظ] فأَخَذُوا بِكَثِيرٍ مِن اصْطِلاحِهِم، وسَمُّوا الأُسْبوعَ سَبْتًا؛ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ الأَيَّامِ عنْدَهُمْ، كمَا يُسَمِّي المسلِمون الأسبُوعَ جُمُعةً، لأنَّها أَعْظَمُ الأيَّامِ قَطْعًا فِي حقِّ كُلِّ أَحَدٍ، ولَوْ كَفَرَ بعْدَ البِعْثَةِ مَن كفَرَ. وروَى الدَّاودِي "سِتًّا" بتَاءٍ مُشَدَّدَةٍ، وكذَا الحَموِي[7] والمُسْتَمْلِي[8] وسَعِيد بنُ منصُور وأحْمَد مِن وَجْهَيْنِ آخَرَيْنِ عن أَنَس، ولَيسَ تَصْحِيفًا ولا يُنافِي روايةَ "سَبْعًا" فأيَّامُ المطَرِ سَبْعٌ تلْفِيقًا مِنْ جُمُعتَيْن فتَمَّ يَوْمٌ، ومَنْ قَالَ سِتًّا أرادَ سِتًّا تامَّةً. وقَدْ رَوَى مالِكٌ عن شَرِيك عن أَنَس: ((**مُطِرْنَا مِنَ الجُمُعَةِ إِلَى الجُمُعَةِ**))[9] وقالَ البُخارِي عن إِسْحاق عن أنَس: ((**فمُطِرْنَا يَوْمَئِذٍ مِنَ الغَدِ ومِنْ بَعْدِ الغَدِ والذِي يَلِيهِ حَتَّى الْجُمُعَةِ الأُخْرَى**))[10]. ومعنَى ((هَلَاكُ الْأَمْوَالِ)) حِينَ كَثُرَ الماءُ واسْتَمَرَّ هلاكُ المواشِي بِعدَمِ الرَّعْيِ أو عدَمِ ما يُكِنُّهَا لِكثرةِ الماءِ. وفِي رواية النَّسَائِي: ((**هَلَكَت الأَمْوَالُ مِنْ كَثْرَةِ الْمَاءِ**))[11] ومعْنَى "انقِطاع السُّبُلِ": تعذُّرُ

---

(1) غريب الحدِيث، الهروِي، 235/1.

(2) مستخرج أبي عوانة، حدِيث (2499).

(3) صحيح البخارِي، حدِيث (3582).

(4) (م، س)، حدِيث (6093).

(5) (م، س)، حدِيث (933).

(6) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 123/11.

(7) محمد بن المظفر بن بكران، ولي قضاء القضاة بحماه، ت: 488هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 85/19.

(8) المستملِي: إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن داود البلخِي راوي صحيح البخارِي عن الفربري، حدث عنه أبو ذر عبد بن أحمد، وأحمد بن محمد البلخِي، ت:376هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 492/16.

(9) الموطأ، مالك بن أنس، حدِيث (204).

(10) صحيح البخارِي، حدِيث (933).

(11) السنن الكبرَى، النسائِي، حدِيث (1831).

سلُوكِ الطُّرُقِ مِنْ كثْرَةِ الماءِ، وفِي رِوايَةِ ابْنِ خُزَيْمَةَ: ((**واحْتَبَسَ الرَّكْبَانُ**))[1] وفي روايَةٍ: ((**تَهَدَّمَت البُيُوتُ**))[2] وفِي أُخْرَى: ((**هدم البيوت**)) وفِي أُخْرَى: ((**وَغرِقَ الْمَالُ**))[3].

وفي الحدِيثِ استِنباطُ أنَّ مَنْ أُنْعِمَ علَيْهِ بنِعْمَةٍ لَا يَسْخطُهَا لِعارِضٍ بَلْ يسْأَلُ اللهَ دَفْعَ العَارِضِ.

قَالَ شريك بن عبد الله: سَأَلْتُ أنس بن مالك لَمَّا حَدَّثَهُ بهَذَا الحَدِيثِ أهَذَا السَّائلُ الرَّجُلُ الأوَّلُ؟ قالَ: لَا أَدْرِي. وصَحَّ لهُ هَذَا مَعَ قَوْلِهِ: ((**جَاءَ رَجُلٌ فِي الْجُمُعَةِ الأُخْرَى**)) معَ أنَّ قاعِدةَ تكرِيرِ النَّكِرَةِ مُغايرَة؛ لِأَنَّ هذَا أَغْلَبِيّ، فقَدْ أمْكَنَ عِندَهُ أن يكونَ هُوَ الأَوَّلُ أو غَيْرُهُ ولَوْ عبَّرَ بالنَّكِرَةِ، بَلْ لمَّا لَمْ يَتَيَقَّنْهُ أنَّهُ الأوَّلُ لم يكنْ لهُ إلَّا التَّعبِيرُ بالنَّكِرَة. وفي البخارِيّ عن إسحاق وقتادةَ وغيرِهما عن أنَس: ((**فَقَامَ ذَلِكَ الرَّجُلُ أو غَيْرُهُ**))[4] وفِي "الْبُخَارِي" عن يحيى بن سعيد عن أَنَس: ((**فَأَتَى الرَّجُلُ فقَالَ: يا رَسُولَ اللهِ**))[5] وَلأبي عوانة عَنْ حفْص عَنْ أنَسٍ: ((**فَمَا زِلْنَا نُمْطَرُ حَتَّى جَاءَ ذلِكَ الْأَعْرَابِيُّ فِي الجُمُعَةِ الْأُخْرَى**))[6] وأصلُهُ في "مسلِم" وذلِكَ صَرِيحٌ فِي أنَّ الثَّانِي هوَ الأَوَّلُ. قُلْتُ: لَمْ يَدْرِ أَوَّلًا فقَالَ لِشَرِيك: لَا أَدْرِي ثمَّ تذَكَّرَ بَعْدُ أَوْ سَأَلَ مَن حَفِظَ مِن الصَّحابةِ فأَخْبَرَهُ أنَّهُ الأَوَّلُ فكانَ يُخبِرُ مَنْ يَسْأَلُهُ بَعْدَ ذَلِكَ أنَّهُ الأَوَّلُ، وهذَا والْحَمْدُ للهِ أَوْلَى مِن قَوْلِ بعضٍ أنَّ أَنَسًا كانَ يتَرَدَّدُ تَارَةً ويَجْزِمُ أُخْرَى باعْتِبَارِ مَا يَغْلِبُ علَى ظَنِّهِ.

وفِي رِوَايَةٍ: "كَمَا رَأَيْتَ"، وكَما فِي روايَةِ إسحاق بنِ عبد اللهِ بن أبِي طلحةَ عن أنَس أنَّهُ: ((**قَامَ أَعْرَابِيّ**))[7] ولا يُنافِي أنَّهُ دَخَلَ مِن بابِ القضَاءِ لِإمكَانِ أنَّهُ بعدَ الدُّخُولِ قَعَدَ حَتَّى يسكُتَ رسُولُ اللهِ ﷺ ثمَّ قامَ فتَكَلَّمَ، وفِي حدِيثِ أنَس: [168و] ((**وسَالَ وَادِي قَنَاة**))[8] فقِيلَ: شَبَّهَ الوَادِي بالسَّاقِيَةِ، وهذَا ولَوْ أَمْكَنَ فِي قَوْلِ البُخَارِي: ((وَسالَ الْوَادِي قَنَاة)) بأَنْ يُقْرَأَ بالنَّصبِ لا يُمْكِنُ في رِوَايَةِ ((سَالَ وَادِي قَنَاة)) أَيْ: وادٍ هُو قَنَاةٌ، وقَنَاةُ: وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ المدِينةِ علَيْهِ مَزَارِع، وأَوَّلُ مَنْ سمَّاهُ وادِي قَنَاة تُبَّع، فبَطلَ دَعْوَى أنَّهُ تَشْبِيهٌ بالسَّاقِيَةِ، فَفِي لَفْظِ البُخارِي يُرْفَعُ "قَنَاة" علَى البدَل والبَيَانِ،

(1) صحيح ابن خزيمة، حدِيث (1789).
(2) صحيح البخارِي، حدِيث (1016).
(3) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 123/11-124.
(4) صحيح البخارِي، حدِيث (1015).
(5) (م، س)، حدِيث (1029).
(6) مستخرج أبِي عوانة، حدِيث (2499).
(7) صحيح البخارِي، حدِيث (933).
(8) صحيح مسلم، حدِيث (897).

وقَدْ خَطَّأَ الشّاطبيّ[1] مَنْ نَصَبَهُ وأَرَادَ الشَّبَهَ لِذَلِكَ. وفِي حدِيثِ أَنَس: ((**سَالَ وادِي قَنَاة شَهْرًا**)) والشَّهرُ مِنْ أَبْعَدِ أَمَدِ المطَرِ المُصْلِحِ لِلْأَرْضِ المتَوَعِّرَةِ؛ لأَنَّهُ يتَمَكَّنُ الرَّيّ فيهَا لِطُولِ الصَّبِّ، فإنَّها لارتِفاعِها لَا يَثْبُتُ الماءُ علَيْهَا، فبِدوامِ الصَّبِّ عليها تزُولُ حَرَارَتُها إلَّا ما يَصْلُحُ لِلنَّباتِ، ولَعَلَّ المرادَ أنَّ الْمَطَرَ اسْتَمَرَّ حَوْلَ المدينةِ لا في الطُّرُقِ المسْلُوكَةِ[2].

والإِكَامِ: بكَسْرِ الهَمْزَةِ، وقَدْ تُفْتَحُ جَمْعُ أَكَمَة بِفَتْحِ الهَمْزَةِ والكَافِ، وهيَ التُّرابُ المجتَمِعُ أَكْبَرُ مِنَ الكُدْيَةِ، وقالَ الْخَلِيلُ: الأَكَمَة مِنْ حَجَرٍ واحِدٍ[3] وقال غَيْرُهُ: الجَبَلُ الصَّغِيرُ، وقيل: مَا ارْتَفَعَ مِن الأَرْضِ. والظِّرَابُ: بالكَسْرِ جَمْعُ ظَرِبٍ بفتحٍ فكسر أو سُكُون، الجَبَلُ المنبَسِطُ ليسَ بالعَالِي، وقال الجوهَرِيّ: الرّابِيَةُ الصَّغِيرةُ[4].

والجَوْبَة: بفَتْحٍ فإِسْكَانٍ الحُفْرَة الوَاسِعةُ المسْتَدِيرةُ والمرادُ هنَا الفُرْجَة في السَّحابِ، وهذا دليلٌ عَظيمٌ ومُعْجِزٌ؛ إذْ سُخِّرَت السَّحابُ لهُ كلَّمَا أشارَ إليْها امْتَثَلَتْ أَمْرَهُ، كما أَشَارَ إِلَيْهِ المُصَنِّفُ.

قال ابنُ حَجَر: فيهِ عَلَمٌ مِن أَعْلَامِ النُّبوَّةِ في إِجَابَةِ اللهِ دعَاءَ نَبِيئِهِ عَقِبَهُ أو معَهُ ابتِدَاءً فِي الاستِسْقاءِ، وانْتِهاءً فِي الاسْتِصْحَاءِ وامتِثالِ السَّحَابِ أَمْرَهُ بمُجرَّدِ الإشارةِ[5]. وأَخَّرَ السُّؤالَ تَفْوِيضًا ثُمَّ دَعَا اسْعَافًا لَهُمْ[6].

قال الشّقراطيسيّ:

دَعَوْتَ لِلْخَلْقِ عَامَ الْمَحْلِ مُبْتَهِلًا ... أَفْدِيكَ بِالْخَلْقِ مِنْ دَاعٍ وَمُبْتَهِلِ
صَعَّدتَ كَفَّيْكَ إِذْ كَفَّ الْغَمَامُ فَمَا ... صَوَّبْتَ إِلَّا بِصَوْبِ الْوَاكِفِ الْهَطِلِ
أَرَاقَ بِالْأَرْضِ ثَجًّا صَوْبُ رَبِّقِهِ ... فَحَلَّ بِالرَّوْضِ نَسْجًا رَائِقَ الْحلِلِ
زهْرٌ مِنَ النّورِ حَلَّتْ رَوْضَ أَرْضِهِمُ ... زَهْرًا مِنَ النَّوْرِ ضَافِي النَّبْتِ مُكْتَمِلِ[7]
مِنْ كُلِّ غُصْنٍ نَضِيرٍ مُورِقٍ خَضِرٍ ... وَكُلِّ نَورٍ نَضِيدٍ مُونِقٍ خَضِلِ
تَحِيَّةً أَحْيَتِ الْأَحْيَاءَ مِنْ مُضَرٍ ... بَعْدَ الضَّرُورَةِ[8] تُحْيِي السُّبْلَ بِالسَّبَلِ[9]

---

(1) محمد بن علي بن يوسف رَضِي الدِّين الشّاطِبِي، تصدر بِالْقَاهِرَةِ، وَأخذ عَنهُ النَّاس، وروى عَنهُ أَبُو حَيَّان والمزي والقطب الْحلَبِي وَآخَرُونَ. ت:684هـ بالقاهرة. بغية الوعاة، 194/1.

(2) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 129/11.

(3) العين، الخليل (أكم).

(4) الصحاح، الجوهري (ظرب).

(5) فتح البارِي، ابن حجر، 507/2.

(6) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 129/11.

(7) في المجلة: مكتهل.

(8) في المجلة: المَضَرَّة.

(9) في المجلة: السَّيل.

دَامَتْ عَلَى الْأَرْضِ سَــبْعًا غَيْرَ مُقْلِعَةٍ لَــوْلَا دُعَــاؤُكَ بِــالْإِقْــلَاعِ لَــمْ تَــزِلِ[1]

والمعنَى: ما صَوَّبْتَ كَفَّيْكَ، والواكِفُ: القَاطِرُ، والهَطِل: المُنْسَبِكُ، والرَّيِّق: بِشَدِّ اليَاءِ مكْسُورَةً وَيَجُوزُ إسْكَانُها فِي الجُمْلَةِ: أَوَّلُ الشَّيْءِ وأَفْضَلُهُ، والزُّهْرُ: بِالضَّمِّ البِيضُ جَمْع أَزْهَر، والزَّهَر بفَتْحِ الهَاءِ والزَّايِ وسُكِّنَ لِلْوَزْنِ أَيْ بالزَّهْر، والنَّوْر بفتح النُّونِ، والضَّافِي: الوَاسِعُ، ونضِيد: متراكِب، ومونِق: معجِب، وخضل: نديٌّ مبتَلٌّ، وقِيلَ الخضل: النَّاعِم، والسَّبَل بفتح السِّينِ والباء الموَحَّدةِ: المطر.

وفِي رِواية [168ظ] أَحْمَد: ((**فتَقَوَّرَ ما فَوْقَ رُؤُوسِنا مِن السَّحابِ حتَّى كَأَنَّنا في إكْلِيلٍ**))[2] وهو بِكَسْرِ الهمْزَةِ: كلُّ شَيْءٍ دارَ مِن جوانِبِهِ، وشَهرَ لِمَا يوضَعُ على الرَّأسِ فيُحِيطُ بِهِ. وهُوَ مِن ملابِسِ الملوكِ كالتَّاجِ.

وفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِم: ((**فَأَلَّفَ اللهُ بَيْنَ السَّحَابِ وَمَلَتْنَا**[3] **حَتَّى رَأَيْتُ الرَّجُلَ الشَّدِيدَ يُهِمُّهُ أَهْلُهُ**))[4] أيْ: بَيْنَ أَجْزَاءِ السَّحابِ ومعنَى مَلَتْنَا: وَسِعَتْنَا كما فِي رِوَايَةٍ: ((**مَلَأَتْنَا**)) بالهَمْزَةِ. ومَعْنَى يُهِمُّهُ أَهْلُهُ: يَهُمُّهُ شَأْنُ أَهْلِهِ خَوْفًا عَلَيْهِم مِنَ المَطَرِ. والمُلاءُ بِضَمِّ المِيمِ والقَصْرِ ويُمَدُّ أَيْضًا. وكَرِهَ سفيان الثّوري الاسْتِسْقَاءَ بِلَا صَلَاةٍ[5].

النَّوعُ الثَّالِثُ: اسْتِسْقَاؤُهُ ﷺ عَلَى مِنْبَرْ المَدِينَةِ:

قالَ يزيد بن عُبَيْد مُرْسَلًا وأبو وجزة متَّصِلًا[6] عَنْ عمر بن أبي سلمة ربيبِ النَّبِيءِ ﷺ: ((لَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِن غَزْوَةِ تَبُوك فِي رَمَضَانَ سنَةَ تِسْعٍ أَتَاهُ وَفْدُ بني فزارة بِضعَةَ عَشَرَ رَجُلًا فِيهِمْ خارجة بن حصن بن حذيفة والحرّ بن قيس بن حصْن بن حذيفَةَ الفَزارِي، وعُيَيْنَةُ بنُ حِصْن فنزَلُوا، وأصْغَرُهُم الْحُرُّ، فِي دَارِ رَمْلَةَ بنْتِ الحَدَثِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ زَيْدٍ الأَنْصَارِيَّة النّجاريَّة زَوْجِ مُعَاذ بنِ عَفْرَاءَ، وكَانَتْ دارُها دارَ الوُفُودِ، وقَدِمُوا علَى إبِلٍ عِجَافٍ وهُمْ مسْنِتُون؛ أيْ: مُجْدِبونَ، ويُروَى مُشْتُونَ، أيْ: دَاخِلُونَ في الشِّتاءِ، فقَلَّ طعَامُهُم، فأَتَوْا مُقِرّينَ بالإِسْلامِ فَسَأَلَهُمْ رسُولُ اللهِ ﷺ عنْ بِلادِهِمْ فَقالُوا، ويُروَى: فقَالَ، ولَعَلَّ القَائِلَ خَارِجَة؛ لأنَّهُ أَكْبَرُهُم، يا رَسُولَ اللهِ أَسْنَتْ بلَادُهُمْ[7]، وأَجْدَبَ جَنَابُنَا، أَيْ: مَا قَرُب مِنَّا،

---

(1) الأبيات من البسِيط، من الشقراطسية. المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 4/267-268، وشرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 11/129 مع تغيِير في الرِّواية. وينظر: مجلة مجمع اللغة العربية، مرجع سابق، ع53، 1/95، صفر 1399 – يناير 1979م.

(2) مسند أحمد، حدِيث (13016).

(3) فِي صحيح مسلم: ((وَمَكَّنَا)).

(4) صحيح مسلم، حدِيث (11).

(5) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 11/132.

(6) في دلائل النبوة: "عَنْ أَبِي وَجْزَةَ يَزِيدَ بْنِ عُبَيْدٍ السُّلَمِيِّ" فهو نفسه. الدلائل، البيهقِي، 6/143، ينظر ترجمته: تاريخ الإسلام، الذهبِي، 3/579، وغيره.

(7) خطأ صوابه: بلادُنا.

وَغَرثَ عيالُنَا؛ أيْ: جاعُوا، وهَلَكَتْ مواشِينَا فادعُ ربَّكَ أَنْ يُعْطِينا غَيْثًا أيْ: مَطَرًا، وغَوْثًا، أيْ: عَوْنًا في لَهَفِنا واحْتِياجِنا، وتَشَفَّعْ لنَا إِلَى رَبِّكَ ويَشْفَعْ إِلَيْكَ رَبُّكَ. فقالَ ﷺ: سُبْحَانَ اللهِ وَيْلَكَ أَنَا شَفَعْتُ إِلَى رَبِّي فَمَنْ ذَا الذِي يَشْفَعُ رَبُّنا إِلَيْهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ والْأَرْضَ، وهُوَ أيْ: كرسِيُّهُ يئِطُّ مِنْ عَظَمَتِهِ وجَلَالِهِ كمَا يَئِطُّ الرَّحْلُ الجَدِيدُ، فقالَ ﷺ: ((**إِنَّ اللهَ يَضْحَكُ مِنْ شفَقِكُمْ وقُرْبِ غِيَاثِكُمْ**)) فقَالَ الأَعْرَابيّ: أَوَ يَضْحَكُ ربُّنَا يا رسولَ الله؟ قالَ: ((**نَعَم**)) فقَالَ الأَعْرَابِيُّ: لَنْ نَعْدِمَ يا رسُولَ اللهِ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا، فضَحِكَ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ فقَامَ ﷺ فصَعِدَ المِنْبَرَ وتَكَلَّمَ بِكَلماتٍ، وكان ﷺ لا يَرفعُ يَدَيْهِ في شَيْءٍ مِنَ الدُّعاءِ إِلَّا فِي الاسْتِسْقاءِ، فرَفَعَ يَدَيْهِ حتَّى رُئِيَ بَيَاضُ إِبطَيْهِ، وكانَ مِمَّا حُفِظَ مِن دُعائِهِ: **اللَّهمَّ اسْقِ بَلَدَك وبَهِيمَتَكَ وانْشُرْ رَحْمَتَكَ وأَحْيِ بلَدَكَ الْمَيْتَ، اللَّهُمَّ أَسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا مَرِيئًا مَرِيعًا طَبَقًا واسِعًا عاجِلًا غيْرَ آجِلٍ نَافِعًا غيْرَ ضَارٍّ، اللَّهُمَّ سُقْيَا رَحْمَةٍ ولَا سُقْيَا عَذَابٍ ولَا هَدْمٍ [169و] ولَا غَرَقٍ وَلَا مَحْقٍ اللَّهُمَّ أَسْقِنَا الْغَيْثَ وانْصُرْنَا علَى الأَعْدَاءِ** فقَامَ أَبُو لُبَابَةَ بَشِيرُ، وقِيلَ اسْمُهُ رِفَاعَةُ بنُ عبْدِ الْعَزِيزِ فقَالَ: يا رَسُولَ اللهِ إِنَّ التَّمْرَ فِي الْمِرْبَد، يعْنِي إِنَّهُ يَخْشَى علَيْهِ الغَرَقَ والفَسَادَ فقَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: ((**اللَّهُمَّ اسْقِنَا**)) فقالَ: يا رَسُولَ اللهِ إِنَّ التَّمرَ في المِرْبَدِ قالَ ذلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فقَالَ ﷺ: ((**اللَّهُمَّ اسْقِنَا حتَّى يقُومَ أَبُو لُبَابَةَ عُرْيَانًا يَسُدُّ ثَعْلَبَ مِرْبَدِهِ بِإِزَارِهِ**)) قال الرَّاوِي: فلَا واللهِ مَا فِي السَّماءِ مِن قَزَعَة ولَا سَحَابٍ ومَا بَيْنَ الْمَسْجِدِ وسِلْعٍ مِن بِنَاءٍ ولَا دَارٍ فطَلَعَتْ مِنْ ورَائِهِ سحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ فلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّماءَ انْتَشَرَتْ وهُمْ ينْظُرُونَ ثُمَّ أَمْطَرَتْ، فَوَاللهِ ما رَأَوْا الشَّمسَ سَبْتًا، وقَامَ أَبُو لُبَابَةَ عُرْيَانًا يَسُدُّ ثَعْلَبَ مِرْبَدِهِ بِإِزَارِهِ لئَلَّا يَخْرُجَ التَّمرُ مِنهُ، فقالَ الرَّجلُ، أَيْ: الذِي سَأَلَهُ الاسْتِسْقاءَ، ولعلَّهُ خَارِجَةُ: هَلَكَت الأَمْوَالُ وانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فصَعِد ﷺ المِنْبَرَ فَدَعَا وَرَفَعَ يَدَيْهِ مَدًّا حَتَّى رُئِيَ بَيَاضُ إِبطِهِ ثُمَّ قالَ: **اللَّهُمَّ حوَالَيْنَا ولَا عَلَيْنَا، علَى الإِكَامِ والظِّرابِ وبطُونِ الأَوْدِيَةِ ومنَابِتِ الشَّجَرِ**، فَانْجَابَتِ السَّحابَةُ كانْجِيَابِ الثَّوْبِ))[1]. ويئِطُّ: يُصَوِّتُ، وضَحِك اللهِ: بُدُوُّ رَحْمَتِهِ وإِجْزالُ مثُوبتِهِ أَوْ إِظْهَارُ آيَة.

وتَقَدَّمَ حَدِيثُ أنَس فِي أَنَّهُ ﷺ لا يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي الدُّعاءِ إِلَّا في الاسْتِسْقاءِ. قُلتُ: لَمْ يَرَ أَنَسٌ رَفْعَهُ فِي غَيْرِ الاسْتِسْقاءِ وهُو واقِعٌ.

وأَحَادِيثُ رَفْعِهِ فِي غَيْرِ الاسْتِسْقاءِ كثِيرةٌ جمَعَهَا الْمُنْذِري فِي تَأْلِيفٍ مُفْرَدٍ لَهَا، وذكَرَ النَّوَوِي[2] فِي "شرحِ المُهذَّبِ" ثلاثِينَ حدِيثًا، وأَفْرَدَها البُخَارِي بترْجَمَةٍ فِي كِتَابِ الدَّعواتِ وسَاقَ عِدَّةَ أَحَادِيثَ، والعَمَلُ بهَا أَوْلَى؛ لِأَنَّ الْمُثْبِتَ مُقَدَّمٌ علَى النَّافِي، ولَا يَلْزَمُ مِن انتِفاءِ رُؤْيَةِ أنَسٍ بُطْلَانُ رُؤيَة غَيْرِهِ[3].

---

(1) الحدِيث فِي شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 133/11-138، عن دلائل النبوة، البيهقِي، 143/6 وما بعدها.

(2) في الأصْلِ: المهدب، وهو خطأ.

(3) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 135/11.

أوْ يُحْمَلُ حَدِيثُ أَنَسٍ علَى الرَّفعِ الْبَلِيغِ، كمَا ذَكَرَ فِيهِ رُؤيَةَ بَيَاضِ إِبطَيْهِ، وهذا الجوابُ أولَى، ويُؤيِّدُهُ أنَّ غَالِبَ الْأَحَادِيثِ التِي رُوِيَت فِي رَفْعِ الْيَدَيْنِ فِي الدُّعاءِ إنَّهُ إنَّما المُرادُ بِها مَدُّ اليَدَيْنِ وبَسْطُهُما عنْدَ الدُّعاءِ، فزادَ فِي الاسْتِسْقاءِ رَفْعَهُما إلى جِهَةِ وجْهِهِ حَتَّى حَادَتَاهُ[1]. وقِيلَ: يُحْمَلُ علَى صِفَةِ اليَدَيْنِ فِي ذلكَ، لِمَا رَوَى مُسْلِم عنْ ثابِت عَنْ أنَسٍ: ((**أنَّهُ ﷺ اسْتَسْقَى فأَشَارَ بِظَهْرِ كَفَّيْهِ إِلَى السَّمَاءِ**))[2] وعَنْ[3] [169ظ] وروَى أبو دَاوُد عنْ أنَس: ((**أنَّهُ كَانَ ﷺ يسْتَسْقِي هكذَا، ومَدَّ يَدَيْهِ وجَعَلَ بُطُونَهُما مِمَّا يَلِي الأرضَ، حتَّى رَأَيْتُ بَيَاضَ إِبطَيْهِ**))[4][5].

قال النَّوَوِي: قال العلماءُ: السُّنَّةُ في كلِّ دُعَاءٍ لِرَفْعِ بلَاءٍ أنْ يَرْفَعَ يَدَيْهِ جاعِلًا ظهُورَ كفَّيْهِ إِلَى السَّماءِ؛ أَيْ: كَالْمُتَّقِي لِلشَّيءِ الحَاذِرِ لَهُ. وإِذَا دَعَا بِسُؤالِ شَيْءٍ وتَحْصِيلِهِ أنْ يَجْعَلَ بُطُونَ كَفَّيْهِ إِلَى السَّماءِ[6]. وقِيل: المرادُ بالسُّؤالِ بِظَهْرِهِمَا فِي الاسْتِسْقاءِ اتِّقاء الجَدْبِ والتَّفاؤلُ بتَقَلُّبِ الحالِ ظَهْرَ البَطْنِ كما قِيلَ فِي تَحْوِيلِ الرِّداءِ وهُو إشارةٌ إِلَى صِفَةِ المسْؤُولِ، وهُوَ نُزُولُ السَّحابِ إِلَى الْأَرْضِ[7].

وكونُهُ ﷺ أبيَضَ الإِبْطِ لَا شَعْرَ فِيهِ مِنْ عَلَامَاتِ نبوءَتِهِ. والمرادُ بالبهِيمةِ الجنسُ. ومريئًا: مَحْمُودُ الْعَاقِبَةِ لا ضَرَرَ فِيهِ. ومُرْبِعًا: مُحصلًا رَبِيعا أَيْ: نَبَاتًا، وهو بالموحَّدَةِ أو مُحْصِلًا رَتْعًا، وهُوَ أَكْلُ الدَّابَّةِ ما تَشَاءُ، وهُوَ بالمثنَّاةِ الفوقيَّةِ، أوْ مُحصلًا مَرْعًا، أَيْ خِصْبًا، فهُو بالمثنَّاةِ التَّحتِيَّةِ. وطَبَقًا: عَامًّا لِلْأَرْضِ. ووَاسِعًا: كالتَّأْكِيدِ.

والْمَحْقُ: النَّقْصُ وإِذْهَابُ البرَكَةِ. والمِرْبَدُ: بكَسْرِ المِيمِ وفَتْحِ البَاءِ مَوْضِعُ تَجْفِيفِ التَّمرِ. والْغَيْثُ الضَّارُّ: هوَ الْمُفْسِدُ لِلْحَيَوَانِ أو الزَّرعِ والثِّمارِ والمغرِقُ لبنِي آدمَ والهادِمُ للبِناءِ.

والرَّجُلُ الدَّاخِلُ في حدِيثِ أنَس دخل والنَّبِيء ﷺ يخطُبُ خُطبةَ الجمُعَةِ فسألَهُ وهُوَ يخطُبُ، وظاهِرُ هذه الرِّوَاية أنَّهُمْ دخَلُوا وَهُوَ جالِسٌ فكلَّموهُ فصَعِدَ المِنبرَ.

فليسَ كمَا قَالَ ابنُ حَجَر: إنَّ هذا أَفَادَ مَا أُبْهِمَ فِي حدِيثِ أَنَس مِن الدُّعاءِ والوَقتِ[8].

والأَطِيطُ: صَوْتُ القَتَبِ والرَّحْلِ. والثَّعْلَبُ: الفُرْجَة يَخْرُجُ مِنْهَا الْمَاءُ. ولَا صَبِيَّ يغطُّ؛ أيْ: ينْفخُ في نَوْمِهِ. ولا بعِيرَ يَئِطُّ؛ أيْ: يُصَوِّتُ، أيْ: مَا لَهُمْ صَبِيٌّ ولَا بَعِيرٌ. والغَدَقُ: الكثِيرُ القَطْرِ. والعِلْهِز:

---

(1) في الأصلِ: حاداتاه.

(2) صحيح مسلم، حدِيث (895).

(3) كلمة لا محلَّ لها.

(4) سنن أبِي داود، حدِيث (1171).

(5) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 135/11.

(6) المجموع شرح المهذب، النووِي، 84/5.

(7) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 136/11.

(8) لم أقف على النص في فتح البارِي.

طَعَامٌ مِنْ وبَرِ الإِبِلِ والدَّمِ، يُتَّخَذُ لِسَنَةِ الجُوعِ فِي الجاهِلِيَّةِ.

وأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِر عن جُلهَمَةَ بنِ عُرفُطَة، بِضَمِّ الجِيمِ والعَيْنِ والفاء، وقَدْ تُفْتَحُ الجِيمُ: ((قدِمْنَا مَكَّةَ وهُم فِي قَحْطٍ واجْتَمَعُوا فقَالَ قَائِلٌ: اعْمِدُوا اللَّاتَ والعُزَّى، وقال قائِلٌ: اعْمِدُوا منَاة. فقالَ شَيْخٌ وسِيمُ الوَجْهِ جَيِّدُ الرَّأْيِ: أنَّى توفكُونَ وفِيكُم بقيَّةُ إبراهِيمَ وسَدَنَةُ إِسْمَاعِيلَ؟ قالُوا: كَأَنَّكَ عنِيتَ أبا طَالِبٍ، قال: أيُّها فقَامُوا بأَجْمَعِهِم فقُمْتُ فدَقَقْنا عليهِ البابَ فخرَجَ إلَيْنَا فثَارُوا إِلَيْهِ فقالُوا: يا أَبَا طَالِبٍ أَقْحَطَ الوَادِي وأَجْدَبَ العِيَالُ، وأَنْتَ فِيهِم أَمَا تَسْتَسْقِي. فخَرَجَ أبو طالِبٍ ومَعَهُ غُلَامٌ هُوَ النَّبِيءُ ﷺ كأَنَّهُ شَمْسُ دجنٍّ، تَجَلَّتْ عَنْهُ سَحَابَةٌ قَتْمَاءُ، وحَوْلَهُ أُغَيْلِمَة، [170و] فأَخَذَهُ أبُو طالِبٍ، فأَلْصَقَ ظَهْرَهُ، أيْ: ظَهْرَ الغُلامِ، بالْكَعْبَةِ ولَاذَ الْغُلَامُ بإِصْبَعِه، أَيْ: أشَارَ بِها إِلَى السَّماءِ، ومَا فِي السَّماءِ قَزَعَةٌ، فأَقْبَلَ السَّحابُ مِن ها هُنَا وهَا هُنَا، وأَغْدَقَ السَّحَابُ واغْدَوْدَقَ؛ أيْ: كَثُرَ مَاؤُهُ، وانْفَجَرَ لهُ الوَادِي، وأَخْصَبَ النَّادِي والبَادِي. وَفِي ذلكَ يقولُ أبُو طَالِبٍ:

وَأَبْيَض يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ

مِن قصِيدةٍ هيَ ثَلَاثَةٌ وثَمَانُونَ بَيْتًا عنْدَ ابْنِ إِسْحَاق[1].

وقِيلَ: هِيَ مِئَةُ بَيْتٍ وعَشَرَةُ أبْيَاتٍ[2].

النَّوعُ الرَّابِعُ: استِسْقاؤُهُ ﷺ مِن غَيْرِ صَلَاةٍ:

قال ابنُ مَسعُودٍ: إنَّ قُرَيشًا أبْطَؤُوا عَن الْإِسْلَامِ فدَعا عَلَيْهِم رَسُولُ اللهِ ﷺ وقالَ: ((**اللَّهُمَّ سَبْعًا كَسَبْعِ يُوسُفَ**)) وفِي رواية: ((**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ**))[3] فأَخَذَتْهُم سَنَةٌ حتَّى هَلَكُوا فِيها وأَكَلُوا الميْتَةَ والعِظامَ، ويَنْظُرُ أحَدُهُم إِلَى السَّماءِ فيَرَى الدُّخانَ مِنَ الجُوعِ. فجَاءَ أبُو سُفيَانَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّد جِئْتَ تَأْمُرُ بِصِلةِ الرَّحِمِ، وإنَّ قَوْمَكَ هلَكُوا؛ أَيْ: بِدُعائِكَ علَيْهِم فَادْعُ اللهَ لَهُم، فقَرَأَ: ﴿ **فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَاتِي السَّمَآءُ بِدُخَانٍ** ﴾[4]))[5] ثُمَّ عَادُوا إلى كُفْرِهِم. أرادَ اجْبُرْ دُعَاءَكَ بالشَّرِّ بالدُّعاءِ بِالْخَيْرِ، أَوْ صِلْ رَحِمَكَ به، فابتَلاهُم بالبَطْشَةِ الكُبرَى حَرْبِ بَدْرٍ. زادَ أسباط بن نصر عَن منصور بن المُعتمر عنْ أَبِي ضحَى عَنْ مَسْرُوقٍ عن ابْنِ مَسْعُودٍ: ((فجَاءَ أَبُو سُفيَانَ وَنَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فقَالُوا: يَا مُحَمَّد إِنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّكَ بُعِثْتَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَإِنَّ قوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا فَادْعُ اللهَ لَهُم، فدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَسُقُوا

(1) المواهب اللدنية، القسطَلاني، 184/1، وشرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 355/1. القصِيدة فِي سيرة ابن هِشام، 276/1.

(2) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 358/1.

(3) صحيح البخارِي، حدِيث (4774).

(4) سورة الدخان: 10.

(5) صحيح البخارِي، حدِيث (1007).

الْغَيْثَ، فأَطْبَقَتْ سَبْعًا فَشَكَا النَّاسُ كَثْرَةَ الْمَطَرِ فقَالَ: **اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا ولَا عَلَيْنَا**، فَانْحَدَرَت السَّحابَةُ عَنْ رَأْسِهِ فسُقُوا [النَّاس][1] حَوْلَهُمْ)) وفِي لُغَةِ غَيْرِ بني الحارث ((اسْقُوا))[2].

ورَوَاهُ البخاريّ عَنْ محمّد بن كثير عَنْ سفيان عنْ مَنصُور[3] إلخ مَا مَرَّ، وذَلِكَ بِمَكَّةَ قَبْلَ الهِجْرَةِ عَقِبَ إلْقَائِهِمْ علَى ظَهْرِهِ سلَى الجَزُورِ. قِيلَ: لَعَلَّ أَبَا طالِبٍ حَاضِرٌ، فقَالَ: (أَبْيَض يُسْتَسْقَى) إلخ، ودَعَا عَلَيْهِم بِمِثْلِ ذَلِكَ بعْدَ الْهِجرَةِ. وأَنْكَرَ بَعْضٌ أنْ يكُونَ قَوْلُهُ: ((**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا ولَا عَلَيْنا**)) بِمَكَّةَ، وقَالَ: إنَّما هُوَ بالْمَدِينَةِ ولَا مَانِعَ مِنْ تَعَدُّدِ ذَلِكَ. وعَن الأَعْمَش عَنْ أَبِي الضُّحَى في هذَا الْحَدِيثِ: قِيلَ يا رَسُولَ اللهِ اسْتَسْقِ لِمُضَر فَإِنَّها قَدْ هَلَكَتْ، فقَالَ: ((**أَلِمُضَر؟ إنَّكَ لَجَرِيءٌ فَاسْتَسْقَى فَسُقُوا**))[4] وقَوْلُهُ: "أَلِمُضَر" هُوَ بِهَمْزَةِ الاسْتِفهَامِ ولَامِ الْجَرِّ، "أَيْ: أَتَطْلُبُ السَّقْيَ لَهُمْ معَ كُفْرِهِم؟ أَوْ كَيْفَ أَطلُبُ لَهُم؟"[5]. ولَعَلَّ القائِلَ أَبُو سُفْيَانَ كمَا يَدُلُّ لَهُ رِوَايَات: فَجَاءَهُ أَبُو سُفْيَانَ[6].

وذَكَرَ الْبَيْهَقِيّ عنْ كَعْبِ بنِ مُرَّةَ أو مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ: ((**دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ علَى مُضَرفَأَتَاهُ أَبُو سُفْيان [170ظ]فقالَ: ادْعُ اللهَ لِقَوْمِكَ فَإِنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا**))[7] ورواهُ أحْمَد[8] وابنُ ماجَةَ عن كعب بن مرّة جَزْمًا[9]ولَمْ يَشُكَّ، وأَبْهَمَ أَبَا سُفْيَانَ فقَالَ: ((**جَاءَرَجُلٌ فقَالَ: اسْتَسْقِ لمُضَر**)) وكانَ غَالِبُ مُضَرقَرِيبًا مِن مِيَاهِ الْحِجازِ والدُّعاءُعَلَى قُرَيْشٍ، وسَارَ القحْطُ إلى مَنْ حَوْلَهُمْ. وصَحَّ أَنَّهُ ﷺ دعَاعَلَى مُضَروتَمَامُ الحَدِيثِ بعدَ قولِهِ: ((**جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: اسْتَسْقِ اللهَ لِمُضَر**)) أَنَّهُ قَالَ: ((**يَا رَسُولَ اللهِ اسْتَنْصَرْتَ اللهَ فَنَصَرَكَ، ودَعَوْتَ اللهَ فأَجَابَكَ، فرَفَعَ يَديْهِ فقالَ: اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا مَرِيعًا مَرِيئًا طَبَقًا عَاجِلًا غَيْرَ رَائِثٍ نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ، فأُحْيُوا**؛ أَيْ: فَرَزَقَهُمْ اللهُ الْحَيَا أَي: المَطَرَ، **فَمَا لَبِثُوا أَنْ جَاؤُوهُ فَشَكَوْا إِلَيْهِ كَثْرَةَ الْمَطَرِ وقَالُوا: تَهَدَّمَتِ الْبُيُوتُ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، فتَقطَّعَ السَّحابُ يَمِينًا وشِمَالًا**))[10] فالرَّجُلُ المقُولُ لَهُ: إنَّكَ لَجَرِيءٌ هُوَأَبُو سُفْيَان، لَكِنْ كَيْفَ يقُولُ: يارَسُولَ اللهِ وهُوَلَمَّا يُسْلِمْ؟ ولعلَّهُ عبارَةُالرَّاوِي كَعْبِ بنِ مُرَّةَ، إنْ كَانَ إسْلَامُهُ قَبْلَ الفَتْحِ[11].

---

(1) زيادة من شرح المواهب، وفتح الباري.

(2) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 11/144-145.

(3) صحيح البخاري، حديث (1020).

(4) (م، س)، حديث (4821).

(5) العبارة أضافها المؤلف على الهامش.

(6) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 11/146.

(7) دلائل النبوة، 6/146.

(8) مسند أحمد، حديث (3613).

(9) سنن ابن ماجة، حديث (1269). وليس فيه: ((جَاءَ رَجُلٌ فقَالَ: اسْتَسْقِ لمُضَر)).

(10) مسند أحمد، حديث (18066).

(11) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 11/146-147.

ورَوَى أَحْمد والحَاكِمُ عنْ كعْبِ بنِ مُرَّة: ((**دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى مُضَرَ فأَتَيْتُهُ فقُلْتُ: يا رسولَ اللهِ إنَّ اللهَ قَدْ نَصَرَكَ وأعْطَاكَ واسْتَجَابَ لَكَ، وإنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا** إلخ))[1] فكأنَّهُ حضَرَ أبو سُفيانَ وكعبُ بنُ مُرَّةَ، فقالَ كَعْب: يا رسُولَ اللهِ إلخ، وقالَ أبُو سُفيَانَ: جِئْتَ تَأْمُرُ بِصِلَة الرَّحِمِ إلخ، أو قالَ ذَلِكَ كَعْبٌ بَعْدَ إسْلَامِهِ بالمَدِينةِ لِقَوْلِهِ: "اسْتَنْصَرْتَ اللهَ فنَصَرَكَ" لَكِنْ لَا يُحْفَظُ أنَّ أبا سُفيانَ جَاءَ المدِينةَ بَعْدَ الهِجْرَةِ قَبْلَ إسلامِهِ وقَالَ ذَلِكَ، ولَوْ كانَ قَدْ جَاءَ ونَقَلَ عَلَى بِنْتِهِ زَوْجِ رسُولِ اللهِ ﷺ، وأمَّا الاسْتِنْصَارُ فقَدْ يُرادُ بِهِ إجَابَةُ دُعَائِهِ عَلَيْهِمْ.

النَّوعُ الخامِسُ: استِسْقاؤُهُ ﷺ عِنْدَ أَحْجَارِ الزَّيتِ قَرِيبًا مِنَ الزَّوْرَاءِ

وهُوَ مَوْضِعٌ قَرِيبٌ فِي سُوقِ المَدِينَةِ، خَارِجَ بابِ المسْجِدِ، بابِ السَّلام، قَدْر رَمْيَةِ حَجَرٍ ينْعَطِفُ عن يَمِينِ الخَارِجِ مِنَ الْمَسْجِدِ النَّبوِيّ. قال عُمَيْر مولَى آبِي اللَّحْمِ[2]: ((**رَأَيْتُ النَّبِيءَ ﷺ اسْتَسْقَى رَافِعًا يدَيْهِ قِبَلَ وجْهِهِ لَا يُجَاوِزُهُما رَأْسَهُ**))[3] روَاهُ أبُو دَاوُد والتِّرْمِذِي. وسُمِّيَ سَيِّدُهُ آبِي اللَّحْمِ لِأَنَّهُ كانَ يَأْبَى اللَّحْمَ. شَهِدَ عُمَيْرُ مَعَ مَوْلَاهُ خَيْبَر قالَ: "شَهِدْتُ خَيْبَرَ مَعَ سَادَتِي، فكَلَّمُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فأَعْطَانِي مِنْ طَرَفِ الْمَتَاعِ وَلَمْ يُسْهِمْ لِي" ومَوْلَاهُ مِنْ غِفَار[4].

النَّوعُ السَّادِسُ: اسْتِسْقاؤُهُ ﷺ فِي بَعْضِ غزَوَاتِهِ:

((**لَمَّا سَبقَه المُشْرِكُونَ إِلَى [171و] الماءِ أَصَابَ المسْلِمينَ العَطَشُ، فشَكوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وقال المنافِقونَ: لوْ كَانَ نَبِيًّا لَاسْتَسْقَى لِقَوْمِهِ كمَا اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ. فبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيءَ ﷺ فقَالَ: أَوَ قَدْ قالُوها عَسَى رَبُّكُمْ أنْ يَسْقِيَكُم، ثُمَّ بَسَطَ يَدَيْهِ ودَعَا. فَمَا رَدَّ يَدَيْهِ مِن دُعَائِهِ حتَّى أَظْلَمَ السَّحابُ، وأمْطرُوا إِلَى أَنْ سَالَ الْوَادِي، فَشَرِبَ النَّاسُ وارْتَوَوا**))[5].

قالَ سالِم بنُ عَبْدِ اللهِ عنْ أَبِيهِ عبد الله بن عمر: ((**إنَّهُ كَانَ ﷺ إذَا اسْتَسْقَى قالَ: اللَّهُمَّ اسْقِنَا الْغَيْثَ ولَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ، اللَّهُمَّ إنَّ بِالْعِبَادِ والبِلَادِ والبَهائِمِ والْخَلْقِ مِنَ اللَّأْوَاءِ والْجَهْدِ والضَّنَكِ ما لَا نَشْكُوهُ إلَّا إلَيْكَ، اللَّهُمَّ أَنْبِتْ لَنَا الزَّرعَ، وأَدِرَّ لَنَا الضَّرْعَ، واسْقِنَا مِنْ برَكَاتِ السَّماءِ، وأَنْبِتْ لنَا مِنْ بَرَكَاتِ الأَرْضِ، اللَّهُمَّ ارْفَعْ عَنَّا الْجَهدَ والجُوعَ والعُرْيَ، واكْشِفْ عنَّا مِنَ الْبَلَاءِ مَا**

(1) مسند أحمد، حدِيث (18062)، والمستدرك، الحاكم، حدِيث (1226).

(2) عمير مولى آبي اللحم الغفاري، شهدَ مع رَسُول اللَّهِ ﷺ فتح خيبر، وسمع منه وحفظ. ينظر ترجمته: الاستيعاب، 1212/3، وغيره.

(3) سنن أبِي داود، حدِيث (1168)، وسنن الترمذِي، حدِيث (557) واللفظ لأبِي داود.

(4) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 148/11.

(5) مستخرج أبِي عوانة، حدِيث (2514) برواية مختلفة.

لَا يَكْشِفُهُ غَيْرُكَ، اللَّهمَّ إنَّا نَسْتَغْفِرُكَ، إنَّكَ كُنْتَ غَفَّارًا فأَرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْنَا مِدْرَارًا))[1].

قال أبو الجوزاء[2]: **((قحِطَ أَهْلُ المدِينَةِ قَحْطًا شَدِيدًا فشَكَوْا إِلَى عَائِشَةَ فقَالَت: انْظُرُوا قبرَ النَّبِيءِ ﷺ فاجْعَلُوا مِنْهُ كوًى إِلَى السَّماءِ، حتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَهُ وبَيْنَ السَّماءِ سَقْفٌ. ففَعَلُوا فَمطروا حَتَّى نَبَتَ العُشْبُ، وسَمِنَت الْإِبِلُ حَتَّى تَفَتَّقَتْ مِنَ الشَّحْمِ فسُمِّيَ عَام الفَتْقِ))**[3].

قال مَالِك بنُ عِيَاض –ويُقَالُ لَهُ مَالِكُ الدَّارِ، وهُوَ مَوْلَى عُمَر، وكَانَ خَازِنَ عُمَر وَوَلاَّهُ كَيْلَةَ عِيَال[4]. ولمَّا كانَ عُثْمَانُ وَلَّاهُ الْقسمَ فسُمِّيَ مَالِكُ الدَّارِ–: أَصَابَ النَّاسَ قَحْطٌ فِي زَمَنِ عُمَر، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى قَبْرِ النَّبِيءِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اسْتَسْقِ لأُمَّتِكَ فَإِنَّهُمْ قَدْ هَلكُوا. فَأُتِيَ الرَّجُلُ فِي الْمَنَامِ فَقِيلَ لَهُ: ايتِ عُمَر. وفِي روايَة ابن أبي خيثمة مِنْ هذا الوَجْهِ: فجَاءَهُ النَّبِيءُ ﷺ في المنامِ فقالَ لهُ: ايتِ عُمَر فقُلْ لَهُ: إنَّكُمْ مُسْقونَ فعَلَيْكَ بِعُمَر، فأَخْبَرَ عُمَر وقالَ: يَا رَبِّ مَا آلُو إلَّا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ[5]. والرَّجُلُ بِلَالُ بنُ الحَارِثِ المُزَنِيّ الصَّحابِيّ[6].

وفِي روايةِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ: عن ابْنِ عبَّاسٍ أنَّ عُمَرَ اسْتَسْقَى بالمُصَلَّى فقَالَ لِلْعبَّاسِ: قُمْ فاسْتَسْقِ فَاسْتَسْقَى[7].

وذَكَرَ الزُّبيرُ بنُ بَكَّارٍ عنْ زَيْدِ بنِ أَسْلَم، عن ابن عمر، أنَّ عُمَرَ بنَ الخطَّابِ اسْتَسْقَى بالعبَّاسِ عامَ الرَّمَادَةِ، وكَانَ سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ، سُمِّيَ لِإِغْبَارِ الْأَرْضِ جِدًّا مِنْ عَدَمِ الْمَطَرِ، فصَارَتْ كَالرَّمادِ ودَامَ ذَلِكَ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ[8].

وذَكَرَ ابْنُ عَسَاكِر: أنَّ العبَّاسَ ﷺ قَالَ: اللَّهُمَّ إنَّ عِنْدَكَ سَحَابًا، وعِنْدَكَ مَاءً فَانْشُرالسَّحَابَ ثُمَّ أَنْزِلْ مِنْهُ الْمَاءَ، والْجَوَادُالْكَرِيمُ يَجُودُ بمَا عِندَهُ، وأَنْتَ الجَوَادُ الرَّحِيمُ الكَرِيمُ[9] وماعِنْدَكَ لَا يَفْنَى ولَا يَنْفَدُ، واشْدُدْ بِهِ الأَصْلَ وأَطِلْ بِهِ الْفَرْعَ وأَدِرَّ بِهِ الضَّرعَ. اللَّهمَّ تشَفَّعْنابِإلَيْكَ بِمَنْ لَا مَنْطِقَ لَهُ مِنْ بَهَائِمِناوأَنْعَامِنَا، اللَّهمَّ اسْقِنَا سُقْياوَادِعَةً[171ظ] بالِغَةًطَبَقًا، اللَّهُمَّ لَا نَرْغَبُ إلاَّ إِلَيْكَ وحْدَكَ، لَاشَرِيكَ لَكَ. اللَّهُمَّ

---

(1) معرفة السنن والآثار، البيهقي، حديث (7210).

(2) أَبو الجَوْزَاء أَوْسُ بن عَبدِ اللهِ الرَّبَعي البَصرِيّ، مِنْ كِبَارِ العُلَمَاءِ، حَدَّثَ عَنْ: عَائِشَةَ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرو بنِ العَاصِ. ينظر ترجمته: سير أعلام النبلاء، الذهبي، 371/4.

(3) سنن الدارمي، حديث (93)، وشرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 150/11.

(4) في شرح المواهب: كيلة عمر. وفي تاريخ ابن أبي خيثمة والإصابة: كيلةَ عيالِ عمر، 80/2.

(5) رواية ابن أبي خيثمة في تاريخِهِ، رقم الحديث (1818)، 80/2، وفيهِ: ((ايتِ عُمَرَ فَأَقْرِئْهُ السَّلامَ وَقُلْ لَهُ: إِنَّكُمْ مسنتُون فَعَلَيْكَ بِالْكَيْسِ الْكَيْسِ" قَالَ: فَبَكَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَقَالَ: يَا رَبِّ مَا آلُو إلاَّ مَا عَجَزْتُ عَنْهُ)) وتنظر فِي: الإصابة، ابن حجر، 413/10، مع اختلافٍ يسِيرٍ.

(6) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 150/11.

(7) (م، س) 151/11، ومصنف، عبد الرزاق، حديث (4913).

(8) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 151/11. وينظر: فتح الباري، 497/2، وكتاب حذف من نسب قريش، السدوسِي، ص8.

(9) العبارة "والجواد...الكريم" ليست في تاريخ دمشق.

نَشْكُو إلَيْكَ سَغَبَ كُلِّ سَاغِبٍ، وعَدَمَ كُلِّ عَادِمٍ، وجُوعَ كُلِّ جائِعٍ، وعُرْيَ كُلِّ عَارٍ، وخَوْفَ كُلِّ خَائِفٍ[1]. والْوَادِعَة: الْمُسْتَمِرَّة بقَدْرِ الحَاجَةِ[2].

وفِي رِوَايَةِ الزُّبيْرِ بنِ بَكَّار: أنَّ العبَّاسَ قال لمَّا اسْتَسقَاهُ عُمَر: اللَّهُمَّ لَمْ يَنْزِلْ بَلاءٌ إلاَّ بِذَنْبٍ، ولَمْ يُكْشَفْ إلَّا بِتَوْبَةٍ، وقَدْ تَوَجَّهَ بِي القَوْمُ إلَيْكَ لمَكَانِي مِن نَبِيئِكَ، هَذِهِ أَيْدِينَا إلَيْكَ بالذُّنوبِ، ونَوَاصِينَا إلَيْكَ بِالتَّوْبَةِ، فاسْقِنَا الْغَيْثَ. فأَرْخَت السَّماءُ مثلَ الجِبال، حَتَّى أَخْصَبَت الأَرْضُ وعاشَ النَّاسُ[3].

ولِلزُّبيرِ بنِ بكَّار عَن ابن عمر: قَحطَ النَّاسُ فقَالَ عُمَر: إنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ كان يرَى لِلْعَبَّاسِ ما يرَى الوَلَدُ لِلْوَالِدِ. زادَ ابنُ حبَّان: يُعَظِّمُهُ ويُفَخِّمُهُ ويَبَرُّ قَسَمَهُ، فاقْتَدُوا أَيُّها النَّاسُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ في عَمِّهِ العبَّاسِ، فاتّخذُوهُ وَسِيلةً إلَى اللهِ، وفِي الْحَدِيثِ: ((**فمَا بَرِحُوا حَتَّى سَقَاهُم اللهُ**))[4].

وفِي "البخارِيّ" عن أنَس أنَّ عُمَرَ كانَ إذَا قَحطُوا اسْتَسْقَى بالْعَبَّاسِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إنَّا كنَّا نتَوَسَّلُ إلَيْكَ بِنَبِيئِنا، والآنَ نَسْتَسْقِي بِعَمِّهِ فاسْقِنَا. قَالَ: فيُسْقَوْنَ[5]. وفِي ذلكَ يقُولُ الْعَبَّاسُ بنُ عُتْبَةَ بنِ أَبِي لهَبٍ الهَاشِميّ وأبُوهُ صَحَابِيٌّ:

بِعَمِّي سَقَى اللهُ الْحِجَازَ وَأَهْلَهُ ... عَشِيَّةَ يَسْتَسْقِي بِشَيْبَتِهِ عُمَرْ
تَوَجَّهَ بِالْعَبَّاسِ فِي الْجَدْبِ رَاغِبًا ... إلَيْهِ فَمَا إنْ رَامَ حَتَّى جَاءَ[6] الْمَطَرْ
وَمِنَّا رَسُولُ اللهِ فِينَا تُرَاثُهُ ... فَهَلْ فَوْقَ هَذَا لِلْمَفَاخِرِ مُفْتَخَرْ[7]

واللهُ أَعْلَمُ ولَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

الفصل الثَّانِي: فِي سَخَائِهِ ﷺ

كانَ رسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وأَشْجَعَ النَّاسِ وأجْوَدَ النَّاسِ. وهُوَمِنْ حدِيثِ أنَسٍ فِي "البُخارِي" و"مسلِم"[8]. رَوَى مُسْلِم مِن حَدِيثِ أنَسٍ: ((**مَاسُئِلَ رسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًاإلَّا أعْطَاهُ، فجَاءَهُ رَجُلٌ فأَعْطَاهُ غَنَمًابَيْنَ جَبَلَيْنِ**؛ أيْ: كَأَنَّها لِكَثْرَتِهاسَدَّتْ مَابَيْنَهُما، فَرَجَعَ إلَى قَوْمِهِ؛ أيْ: قُرَيْشٍ، فقَالَ:يَا

(1) تاريخ دمشق، 356/26.
(2) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 151/11.
(3) (م، س) 152/11، وينظر: فتح البارِي، 497/2.
(4) المستدرك، الحاكم، حدِيث (5438).
(5) صحيح البخارِي، حدِيث (1010).
(6) فِي المواهب اللدنية: أتَى، وهذا أسلم للوزنِ.
(7) الأبيات من الطوِيل، المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 277/4. وينظر: سير أعلام النبلاء، 78/3.
(8) صحيح البخارِي، حدِيث (2820)، وصحيح مسلم، حدِيث (48).

قَوْم أَسْلِموا فإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطاءَ مَنْ لَا يَخَافُ الْفَقْرَ))[1] وفِي رِوَايَةٍ: ((**مَنْ لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ**))[2].

وروَى مسلم والتّرمذي مِن طرِيقِ سعيد بن المسيّب عن صفوان بن أميّة: ((**لَقَدْ أَعْطَانِي رسُولُ اللهِ ﷺ ما أَعْطَانِي وإنَّه لَأَبْغَضُ النَّاسِ إليَّ، فمَا بَرِحَ يُعطِينِي حتَّى إنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إلَيَّ**))[3].

قالَ الزُّهْرِيّ: أعْطَاهُ يوم حنين مئةً مِن الغَنَمِ ثُمَّ مِئَةً ثُمَّ مِئَةً وإنَّما فَرَّقَ عطَاءَهُ؛ لأنَّهُ دَوَاءٌ لِدائِهِ، والحكِيم لا يعملُ الدَّواءَ دُفعَةً لِيكونَ أقربَ للشِّفاءِ. وذكرَ الواقِديّ أنَّ النَّبِيء ﷺ أعطَى صفوانَ يومَ حُنَيْنٍ؛ أيْ: وَهُوَ مُشْرِكٌ وادِيًا مَمْلُوءًا إبِلًا ونَعَمًا. قالَ صَفْوانُ: أشْهَدُ ما طَابَتْ بِهَذا إلَّا نَفْسُ [172و] نَبِيءٍ[4]. وإنَّما قَالَ مَا طَابَتْ بالتَّاءِ؛ لأنَّ المرادَ ما طَابَتْ بِهَذَا نَفْسٌ إلَّا نَفْسُ نَبِيءٍ.

قال ابن جابر[5] الأَنْدَلُسِيّ:

هَـذَا الـذِي لَا يَـتَّـقِـي فَـقْـرًا إذَا ... أَعْـطَـى وَلَـوْ كَـثُـرَ الْأَنَـامُ وَدَامُـوا

وَادٍ مِـنَ الْأَنْـعَـامِ أَعْـطَـى آمِـلًا ... فَـتَـحَـيَّـرَتْ لِـعَـطَـائِـهِ الْأَوْهَـامُ[6]

وإنَّما أعطاهُ ذلكَ لِعِلمِهِ ﷺ بأنَّ داءَهُ لا يزولُ إلَّا بهذا الإحسانِ وزالَ، وهُوَ الكُفْرُ وأَسْلَمَ.

وقَدْ مَرَّ وَصْفُ خدِيجَةَ لهُ بالْجُودِ، ورُوِيَ أنَّها قالَتْ لهُ ﷺ: إنَّكَ لتَصِلُ الرَّحِمَ وتَحْمِلُ الكَلَّ وتَكْسِبُ المعْدُومَ وتقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِين على نَوَائِبِ الحقِّ وتَصْدُقُ الحَدِيثَ وتُؤَدِّي الأَمَانَةَ.

وخرَّجَ ابنُ عَدِيّ بإسنادٍ فيهِ ضُعفٌ مِن حدِيثِ أنَس مرفوعًا: ((**أَنَا أَجْوَدُ بَنِي آدَمَ**))[7] ولَفْظُ أَبِي يَعْلَى عَنْ أنَسٍ عَنْهُ ﷺ: ((**أَلَاأُخْبِرُكُم عَنِ الأَجْوَدِ اللهُ الْأَجْوَدُ وأَنَا أَجْوَدُ بنِي آدَم، وأَجْوَدُهُم مِنْ بَعْدِي رَجُلٌ تَعَلَّمَ عِلْمًافَنَشَرَ عِلْمَهُ يُبْعَثُ يَوْمَ القِيامَةِ أُمَّةًوَحْدَهُ، وَرَجُلٌ جَاهَد فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يُقْتَلَ**))[8] فَهُوَ ﷺ بلَا رَيْبٍ أَجْوَدُ بَنِي آدَمَ عَلَى الْإِطْلَاقِ كَمَاأَنَّهُ أَفْضَلُهُم وأَعْلَمُهُم وأَشْجَعُهُم وأَكْمَلُهُم فِي جَمِيعِ الأَوْصافِ الحَمِيدةِ. وكَانَ جُودُهُ بِجَمِيعِ أَنْواعِ الجُودِمِن بَذْلِ الْعِلمِ والْمَالِ وبَذْلِ نَفْسِهِ للهِ فِي إظْهَارِدِينِهِ، كمَاظَهرَ يَوْمَ أُحُدٍ ويَوْمَ حُنَيْنٍ إذْبَقِيَ بَيْنَ العَدُوِّوَحْدَهُ، وهِدَايَته عِبَادَهُ وإيصَالِ النَّفْعِ

---

(1) صحيح مسلم، حدِيث (57).

(2) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 109/6.

(3) صحيح مسلم حديث (59).

(4) ينظر: شرح المواهب، 10/6، ولطائف المعارف، ابن رجب، ص165.

(5) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن جابر الهوارِي الأندلسِي، سبق تعريفه.

(6) الأبيات من الكامل، ينظر: المواهب، 366/2، وشرحها: 110/6.

(7) الكامل في ضعفاء الرجال، ابن عدي، 20/2.

(8) مسند أبِي يعلَى، حدِيث (2790).

إِلَيْهِم بِكُلِّ طَرِيقٍ مِنْ إِطْعَامِ جائِعِهِمْ، ووَعْظِ جاهِلِهِمْ وقَضَاءِ حَوَائِجِهِم، وتَحَمُّلِ أَثْقالِهِم[1].

ولَقَدْ أَحْسَنَ ابن جابر إِذْ قَالَ:

يُحْكَى حَدِيثُ النَّدَى وَالْبِشْرِ عَنْ يَدِهِ ... وَوَجْهِهِ بَيْنَ مُنْهَلٍّ وَمُنْسَجِمِ
مِنْ وَجْهِهِ أَحْمَدَ لِي بَدْرٌ وَمِنْ يَدِهِ ... بَحْرٌ وَمِنْ فَمِهِ دُرٌّ لِمُنْتَظِمِ
يَمِّمْ نَبِيئًا يُبَارِي الرِّيحَ أَنْمُلُهُ ... والْمُزْنَ مِنْ كُلِّ هَامِي الْوَدْقِ مُرْتَكِمِ
لَوْ عَامَتِ الْفُلْكُ فِيمَا فَاضَ مِنْ يَدِهِ ... لَمْ تَلْقَ أَعْظَمَ بَحْرٍ مِنْهُ إِنْ تَعُمِ
يُحِيطُ كَفَّاهُ بِالْبَحْرِ الْمُحِيطِ فَلُذْ ... بِهِ وَدَعْ كُلَّ طَامِي الْمَوْجِ مُلْتَطِمِ
لَوْ لَمْ تُحِطْ كَفُّهُ بِالْبَحْرِ مَا شَمَلَتْ ... كُلَّ الأَنَامِ ورَوَتْ قَلْبَ كُلِّ ظَمِي[2]

قالَ البُخَارِيّ ومُسْلِم عنْ جابِر بنِ عَبْدِ اللهِ: ((**مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عنْ شَيْءٍ قَطُّ فقَالَ لَا**))[3] بَلْ يُعْطِيهِ إِنْ كَانَ عندَهُ، أو يَعِدُهُ بِمَيْسُورٍ مِنَ القَوْلِ، إِنْ سَاغَ وإِلَّا سَكَتَ أَوْ دَعَا أَو اعْتَذَرَ[4]. والْمُرَادُ أَنَّهُ لا يُواجِهُ السَّائِلَ بِـ "لَا"، ولَيْسَ المرادُ أَنَّه كلَّما سُئلَ ولَهُ مَا يُعطِي أَعْطَى؛ لأَنَّ هذا خلاف الوَاقِعِ. وقَدْ وَرَدَ هذا فِي حَدِيثِ ابن الحنفيّة مُحَمَّدِ بنِ [172ظ] الحَنَفِيَّةِ، مُحَمَّدِ بنِ عَلِيّ بنِ أَبِي طَالِبٍ عِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ مُرْسَلًا: ((**كَانَ ﷺ إِذَا سُئِلَ فأرادَ أَنْ يَفْعَلَ قَالَ: نَعَم، وإِنْ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَفْعَلَ سَكَتَ**))[5] والمرادُ قَوْلُهَا فِي مَنْعٍ، وأَمَّا قَوْلُها فِي غَيْرِ الْمَنْعِ كَالاعْتِذَارِ فوَارِدٌ، قَالَ اللهُ جَلَّ وعَلَا: ﴿**قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ**﴾[6] ولَمْ يَقُلْ "لَا أُعْطِيكُم". ومِثْلُ "لا" غَيْرُهَا مِمَّا يَنْبَغِي الحَالُ والاسْتِقبَالُ إِلَّا لِنَحْوِ الاعْتِذارِ؛ كقَوْلِهِ لِلْأَشْعَرِيِّينَ: ما عِندِي مَا أَحْمِلُكُمْ علَيْهِ، وأَمَّا قَوْلُهُ لَهُمْ: ((**واللهِ لَا أَحْمِلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ**))[7] وذَلِكَ فِي شَأْنِ غَزْوَةِ تَبُوكٍ، قَالَهُ سَائِلهمْ وهُوَ غضْبَانٌ ولَا يَشْعُرُ بِغَضَبِهِ، فيُجَابُ بأَنَّهُ لَا يَنْطِقُ بِـ "لا" إِلَّا إِذَا كَانَ السَّائِلُ يَتَحَقَّقُ أَنَّهُ لَيْسَ عنْدَهُ ﷺ ما سئِلَ، أو إِلَّا إذا كانَ المَقَامُ لَا يقْتَضِي الاقْتِصارَ علَى السُّكوتِ مِن الحالَةِ الوَاقِعةِ، أو حَالَةِ السَّائِلِ، مِثْلَ أن لَا يَعْرِفَ أَنَّهُ إِذَا لَمْ يُرِد الإِعْطَاءَ أَوْ لَمْ يَجِدْ ما يُعطِي سَكَتَ، فلَوْ سَكَتَ لَتَمَادَى علَى السُّؤالِ، والقَسَمُ قَطْعٌ

(1) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 111/6.
(2) الأبيات من البسِيط، المواهب، 369/2، وشرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 112/6.
(3) صحيح البخارِي، حدِيث (6034).
(4) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 113/6.
(5) الطبقات الكبير، ابن سعد، 317/1.
(6) سورة التوبة: 92.
(7) صحيح البخارِي، حدِيث (4415).

لِطَمَعِهِ، فالآيَةُ لِبيَانِ أنَّ مسْؤُولَهُ غَيرُ موْجُودٍ. وقَوْلُهُ: "لَا أَحْمِلُكُمْ" لِبيَانِ أَنَّهُ لَا يَسْتَقْرِضُ ولَا يَسْتَوْهِبُ إذْ لَمْ تَكُنْ ضَرُورَةٌ إِلَى ذَلِكَ، ورُوِيَ أَنَّهُ ﷺ ابْتاعَ سِتَّةَ أَبْعِرَةٍ بَعْدَ سُوَيْعَةٍ وَحَمَلَهُمْ عَلَيْهَا[1].

ورَوَى التّرمِذِيّ: أَنَّهُ حُمِلَ إِلَيْهِ تِسْعونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، بالْمُثَنَّاةِ الفَوْقِيَّةِ قَبْلَ السِّينِ. ورَوَى ابن الجوزيّ بالمُوَحَّدَةِ بَعْدَ السِّينِ[2]. ورَوَى أَبُو الحَسَنِ بنُ الضَّحَّاكِ مُرْسَلًا ثمانُونَ[3]، وذَلِكَ بعْدَ مَا حُمِلَ إِلَيْهِ مِنَ الْبَحْرَيْنِ. وقِيلَ: هُوَ مَا حُمِلَ إِلَيْهِ مِنَ الْبَحْرَيْنِ اخْتُلِفَ في عَدَدِهِ. روَى مَنْ ذَكَرَ أَنَّ ذلِكَ العَدَدَ وُضِعَ علَى حصر لِيَقْسِمَهُ فَمَا رَدَّ سَائِلًا حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا[4].

قالَ التّرْمِذِيّ: عَنْ عُمَر بنِ الخَطَّابِ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَسْأَلُهُ أَنْ يُعطِيَهُ فقالَ: ((**مَا عِنْدِي شَيْءٌ، ولَكِن ابْتَعْ عَلَيَّ فإِذَا جَاءَنَا شَيْءٌ قَضَيْنَاهُ**)) فقال لهُ عمر: ما كَلَّفَكَ اللهُ ما لَا تَقْدِرُ، فَكَرِهَ النَّبِيءُ ﷺ قَوْلَ عُمَرٍ فَقَال رَجُلٌ مِن الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنْفِقْ ولَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا، فتَبَسَّمَ ﷺ وعُرِفَ البِشْرُ فِي وَجْهِهِ، وقَالَ: ((**بِهَذَا أُمِرْتُ**))[5] ومَعْنَى ابْتَعْ: اشْتَر وفِي رِوايَةٍ: "اتبعْ" بتَقْدِيمِ الْمُثَنَّاةِ؛ أَيْ: حَوِّلِ البائِعَ إليَّ أَقْضِهِ عنْكَ وذَلِكَ وَعْدٌ لَا ضَمَانٌ[6].

ولَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نادَى الصِّدِّيقُ لَمَّا جاءَهُ مالٌ مِن البحرَيْنِ: مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عدةٌ أو دَيْنٌ فلْيَأْتِنا، فجَاءَهُ جَابِر فَقَالَ: إِنَّهُ وعَدَنِي كذَا فأَعْطَاهُ إِيَّاهُ[7]، أو ابتع أو اتبع بِمعنَى اسْتَقْرِضْ لما رَوَى الْبَزَّارُ عَنْ عُمَر أَنَّهُ قال ﷺ: (([173و] **مَا عِنْدِي شَيْءٌ أُعْطِيكَهُ، وَلَكِن اسْتَقْرِضْ حَتَّى يَأْتِينَا شَيْءٌ فَنُعْطِيكَ**))[8] وإِنَّمَا كَرِهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَوْلَ عُمَر ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ يقْتَضِي حِرْمَانَ السَّائِلِ، ولِأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ تَكْلِيفًا بلْ عدة، وَلِأَنَّ اللهَ قَدْ عَوَّدَهُ فَيْضَ النِّعَمِ. وفِي بَعْضِ الكتُبِ: "لَا تَخَفْ" بدَلَ "لَا تَخْشَ"، والقَائِلُ مِنَ الأَنْصَارِ كَمَا مَرَّ، وقِيلَ: هُوَ بِلَال وهُوَ مُهَاجِرٌ لَا أَنْصَارِيّ، ولعلَّهُما قالَا جَمِيعًا أو كلُّ واحِدٍ في قِصَّة غَيْرِ الأُخْرَى، ولعَلَّ القَائِلَ أَنَّهُ بلَالٌ غَلط مِمَّا روَى الطَّبَرَانِيّ والبزَّارُ: ((**عن ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ دَخَلَ النَّبِيءُ ﷺ عَلَى بِلَالٍ وعِنْدَهُ صُبْرَةٌ مِنْ تَمْرٍ فَقَالَ: مَا هَذَا يَا بِلَالُ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ دَخِرْتُهُ لَكَ وَلِأَضْيَافِكَ، فَقَالَ: أَمَا تَخْشَى أَنْ يَفُورَ[9] لَهَا بُخَارٌ مِنْ جهنَّمَ أَنْفِقْ يَا بِلَال وَلَا**

---

(1) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 114/6.

(2) الوفا بتعريف فضائل المصطفى، ابن الجوزي، 333/1.

(3) ينظر: مناهل الصفا، السيوطِي، ص64.

(4) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 116/6.

(5) الشمائل المحمدية، الترمذِي، حدِيث (338).

(6) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 116/6.

(7) ورد بلفظٍ قرِيبٍ في المصنف، ابن أبِي شيبة، حدِيث (32868).

(8) مسند البزار، حدِيث (273).

(9) في الأصل: يقور، والتصحيح من شرح المواهب.

تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا))[1] وفرِحَ النَّبِيءُ ﷺ بِقَوْلِ الأَنْصَارِيّ لِأَنَّهُ مُقرِّرٌ لقَوْلِهِ ﷺ ووَعْدِهِ ومُوَافِقٌ لِمَا عَوَّدهُ اللهُ مِنْ فَيْضِ النِّعَمِ، ولِمَا أَمَرَهُ بِهِ مِنْ فِعْلِ الخيْرِ وقَوْلِهِ وجَلْبِ النَّاس لدِينِهِ، وقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ**﴾[2] ولَيْسَ فِي وَعْدِهِ ذَلِكَ إذَا وَفَّى بِهِ مَناقَضَةٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ**﴾[3] وقَدْ قِيلَ: المُرَادُ فِي الآيَةِ غَيْرُهُ ﷺ وغَيْرُ المُؤْمِنينَ الذِين لَا يُغَيِّرُهُم إِنْفَاقُ جَمِيعِ مَا عنْدَهُمْ، ومَنْ نَهَاهُ النَّبِيءُ ﷺ فَلِأَنَّهُ يَخافُ علَيْهِ التَّغَيُّرَ أوْ عَرَفَهُ مِنهُ، وعُمَر ﷺ راعَى ظاهِرَ الْحَالِ وكَثْرَةَ السَّائِلِينَ[4].

وذَكَرَ ابن فارس أَنَّهُ جاءَت امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيءِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ فأَنْشَدَتْ شِعْرًا، تذكرُ أَيَّامَ رَضَاعَتِهِ فِي هَوَازِن، فَرَدَّ علَيْهِمْ مَا أَخَذَهُ مِنَ النِّسَاءِ والْبَنِينَ، وأَعْطَاهُمْ عَطَاءً كَثِيرًا مِنْ ذَلِكَ المَرْدُودِ لَا مِنْ غَيْرِهِ، فَكَانَ قِيمَةُ مَا أَعْطَاهُمْ خَمْسَ مِئَةِ أَلْفِ أَلْفٍ، ولَمْ يَرُدَّ علَيْهِمْ أَمْوَالَهُم؛ لِأَنَّهُ قسمُ الْجَمِيعِ، فلَمَّا جَاؤوا مُسْلِمِينَ خَيَّرَهُمْ بَيْنَ رَدِّ الْمَالِ والسَّبايَا فاخْتَارُوا السَّبايا، قالَ ابْنُ دِحْيَةَ: وهَذَا نِهَايَةُ الجُودِ الذِي لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ فِي الْوُجُودِ[5].

قالَ ابْنُ إِسْحَاق: حَدَّثَنِي عبد الله بن أبي بكر عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ: مَشَيْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، وفِي رِجْلِي نَعْلٌ كثِيفَةٌ فوَطِئْتُ بِهَا عَلَى رِجْلِهِ ﷺ فنَفَحَنِي نَفْحَةً بِسَوْطٍ فِي يَدِهِ فقَالَ: **((بِسْمِ اللهِ أَوْجَعْتَنِي))** فَبِتُّ لِنَفْسِي لَائِمًا أَقُولُ: أَوْجَعْتُ رَسُولَ اللهِ، فَبِتُّ كمَا يَعْلَمُ اللهُ، فلمَّا أصْبَحْنا إِذَا رَجُلٌ يَقُولُ: أينَ فُلَانٌ؟ فقُلْتُ: هذَا الذِي وَاللهِ كَانَ مِنِّي بِالْأَمْسِ، فَانْطَلَقْتُ وأَنَا مُتَخَوِّفٌ فقَالَ لِي ﷺ **((إِنْ وَطِئْتَ رِجْلِي** [173ظ] **بِالْأَمْسِ فأَوْجَعْتَنِي فنَفَحْتُكَ بِسَوْطٍ فهَذِهِ ثَمانُونَ نَعْجَةً فَخُذْهَا))**[6] فهَذَا إِيلَافٌ لِغَيْرِهِ أَيْضًا[7].

وفِي "البُخارِي" مِنْ حَدِيثِ أَنَس: **((أَنَّهُ أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فقَالَ: انْثُرُوهُ؛** يعْنِي صُبُّوهُ فِي الْمَسْجِدِ، وَكَانَ أَكْثَرَ مَالٍ أُتِيَ ﷺ بِهِ مِمَّا لَيْسَ غَنِيمَةً بَلْ خَرَاجٌ ....[8]، وإِلَّا فغَنِيمَةُ حُنَيْن أَكْثَرُ، **فَخَرَجَ إِلَى المسجِدِ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ جَاءَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ، فَمَا كَانَ يَرَى أَحَدًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِذْ جَاءَ العَبَّاسُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْطِنِي، فَإِنِّي فَادَيْتُ نَفْسِ؛ أَيْ يومَ بدْرٍ،**

---

(1) مسند البزار، حدِيث (1978)، والمعجم الكبِير، الطبراني، حدِيث (1020)، مع اختلاف في الرواية في كليهما.

(2) سورة سبأ: 39.

(3) سورة الإسراء: 29.

(4) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 117/6.

(5) (م، س) 118/6، ونقله القسطلاني من كتاب " في أسماء النبي ﷺ " لابن فارِس. المواهب، 371/2.

(6) ورد بلفظٍ قرِيبٍ سنن الدارمِي، حدِيث (73)، ومكارم الأخلاق، ابن أبِي الدنيا، حدِيث (408).

(7) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 119/6.

(8) كلمة لم أتبينها.

وَفَادَيْتُ عَقِيلًا، وكانَ أُسِرَ معَ عَمِّهِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، فَقَالَ لَهُ: خُذْ، فَحَثَا؛ أي: العبَّاسُ، فِي ثَوْبِهِ؛ والحِثيَةُ: مِلْءُ اليَدِ، ثُمَّ ذَهَبَ يُقِلُّهُ، أَيْ: يَرْفَعُهُ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مُرْ بَعْضَهُمْ يَرْفَعْهُ عليَّ، قَالَ: لاَ، قَالَ: فَارْفَعْهُ أَنْتَ عَلَيَّ فَقَالَ: لاَ، فَنَثَرَ مِنْهُ ثُمَّ ذَهَبَ يُقِلُّهُ فلَمْ يَسْتَطِعْ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مُرْ بَعْضَهُمْ يَرْفَعْهُ عَلَيَّ، قَالَ: لاَ، قَالَ: فَارْفَعْهُ أَنْتَ عَلَيَّ، قَالَ: لاَ، فَنَثَرَ مِنْهُ ثُمَّ احْتَمَلَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى كَاهِلِهِ فَانْطَلَقَ، فَمَا زَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُتْبِعُهُ بَصَرَهُ حَتَّى خَفِيَ عَلَيْنَا – عَجَبًا مِنْ حِرْصِهِ – فَمَا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَثَمَّ مِنْهَا دِرْهَمٌ))[1].

وفِي وَضْعِ المَالِ فِي المسْجِدِ جَوَازُ الانتِفاعِ في المَسْجِدِ بِمَا لِلْمُسلِمينَ ممَّا لا يُعَطِّلُ الصَّلاةَ ولا يُفسِدُ المسْجِدَ. ويُقِلُّهُ: بضَمِّ الياءِ وكسرِ القافِ يَرْفَعُهُ. وطَلَبُ العَبَّاسِ رَسُولَ اللهِ ﷺ أن يرْفَعَ عليْهِ إدْلَالًا عَلَيْهِ، وكأنَّهُ فَهِمَ منهُ ﷺ أنَّهُ لَا يُكَلِّفُ بعْضَ أصْحَابِهِ فطَلَبَ منهُ هُوَ الرَّفعَ وامْتَنَعَ ﷺ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ زَجْرًا عن الاسْتِكثَارِ مِنَ الْمَالِ وأَتْبَعهُ بَصَرَهُ تَعَجُّبًا مِن حِرْصِهِ. قال ابْنُ كَثِير: كَانَ الْعَبَّاسُ ﷺ شَدِيدًا[2] طَوِيلًا نَبِيلًا قلَّمَا احْتَمَل ما يُقَارِبُ أَرْبَعِينَ أَلْفًا[3]، قلَّلَ بَعْضٌ، فَلَمَّا أَخَذَ وانْطَلَقَ، قالَ: إنَّمَا أَخَذْتُ ما وَعَدَ اللهُ، فقَدْ أَنْجَزَ، يُشِيرُ إلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾[4][5].

ومِن رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ مِنْ طَرِيقِ حُمَيْد بنِ هِلالٍ الْعَدَوِيّ أبِي نَصْرٍ الْبَصْرِيّ التَّابعِيّ مُرْسَلًا: كان المَالُ مِئَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ[6]. وأَنَّهُ أَرْسَلَ بِهِ العلاء بن الحضرميّ مِنْ خَرَاجِ الْبَحْرَيْنِ، وهُوَ أَوَّلُ مالٍ حُمِلَ إِلَيْهِ ﷺ [7].

ولِلبُخارِيّ مِنْ حَدِيثِ عَمْرو بن عَوْفٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ وأَقَرَّ عَلَيْهِم العَلَاءَ بنَ الحَضرمَيّ، وبعَثَ أبا عبيدة بن الجرّاح إلَيْهِمْ فقَدِمَ أبُو عُبَيْدَة بِمَالٍ فَسَمِعَتِ الأَنْصَارُ بقُدُومِهِ، الحدِيث، وهُو فِي مَغَازِي البُخَارِي[8].

وقالَ الوَاقِدِيّ: إنَّ رَسُولَ العَلَاءِ بنِ الْحَضْرَمِيّ بالمالِ هوَ العلاء بن جارية الثَّقَفِيّ، قُلتُ: هُو

---

(1) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 119/6، ينظر الحدِيث: صحيح البخارِي، حدِيث (3165).

(2) في الهامِش دون إحالةٍ على موضِعها: شديدا.

(3) البداية والنهاية، ابن كثِير، 479/8.

(4) سورة الأنفال: 70.

(5) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 119/6.

(6) في المصنف: ثمان مئة ألف.

(7) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 120/6، والمصنف، ابن أبِي شيبة، حدِيث (35805).

(8) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 121/6، وصحيح البخارِي، حدِيث (3158).

رَفِيقُ أبي عبيدة بن الجرّاح مِنَ الْبَحْرَيْنِ. ثُمَّ رَأَيْتُهُ لِلزُّرْقَانِيّ والْحَمْدُ للهِ[1].

وأمَّا حدِيثُ جابِر ففِي الصّحِيحِ أنَّهُ ﷺ قال: ((**لَوْ جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ أَعْطَيْتُكَ**)) وفِيهِ: ((**فَلَمْ يَقْدِمْ حَتَّى مَاتَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ))[2] ويُقالُ: قدِمَ فِي سنَةِ موتِهِ ﷺ؛ لأنَّهُ مالُ خَرَاجٍ أو جِزْيَة يقْدُمُ [174و] مِنْ سَنَةٍ إِلَى سَنَةٍ[3].

وسَايَرَهُ ﷺ جابر بن عبد الله فِي انْصِرافِهِ مِنْ غزْوَةِ ذَاتِ الرِّقاعِ، عنْدَ ابنِ إِسْحاق روَايَةً عنْ جَابِر، ومِن غَزْوَةِتَبُوك عنْدَ البُخَارِي، ومِنْ غَزْوَةِ الفَتْحِ عنْدَ مُسْلِم [وهُوَ ظَاهِرُ الإيضاحِ][4]، علَى جَمَلٍ لَهُ كانَ قَدْ أَبْطَأَ فلَا يكَادُ يَسِيرُ، فأَمَرَهُ بإِنَاخَتِهِ ونَخَسَهُ نَخسَاتٍ بِعَصًا، وضَرَبَهُ برِجْلِهِ ودَعَا لهُ، فوَثبَ الْجَمَلُ فقَالَ ﷺ: ((**بِعْنِي جَمَلَكَ، فقَالَ: هُوَ لَكَ يا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنتَ وأُمِّي، فقَالَ: بَلْ بِعْنِيهِ،** فبَاعَهُ إِيَّاهُ بِأوقِيَةٍ أوْ أَرْبَعٍ أو خَمْسٍ أَوْ خمْسَةِ دَنَانِيرَ، بَلْ أَرْبَعَةِ دَنانِيرَ أوْ دِينَارَيْنِ ودِرهمَيْنِ رِوَايَاتٌ، وأَمَرَ بِلالًا بعْدَما رَجَعَ إِلَى الْمَدِينةِ أنْ يَنْقُدَهُ، فنَقَدَهُ وزَادَعلَيْهِ شَيْئًا يَسِيرًا ثُمَّ قالَ لَهُ ﷺ: **اذْهَبْ بِالثَّمَنِ والْجَمَلِ بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهِمَا**))[5] مكَافَأَةً لِقَولِهِ: هوَلَكَ، أَعْطَاهُ الثَّمَنَ ورَدَّ علَيْهِ الجَمَلَ، وزَادَالدُّعاءَ بالبَرَكَةِ فِيهِمَا[6].

وجُودُهُ كلُّهُ ﷺ في اللهِ وابتِغَاءِ مرضاتِهِ فإنَّهُ يُنفِقُ تارَةً لِفَقِيرٍ أوْ مُحْتَاجٍ، وتَارَةً يُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وتارةً يتَأَلَّفُ بهِ علَى الْإِسلَامِ مَنْ يَقْوَى الإسلامُ بإسلامِهِ، وتارةً لانقَادِ المتَألِّفِ مِن النَّارِ، وإِنْ لَمْ يَقْوَ الإِسْلامُ بهِ، وكَانَ يُوثِرُ على نَفْسِهِ وأَوْلَادِهِ ﷺ فيُعطِي ما بِيَدِهِ للمُحْتَاجِ ويتَحَمَّلُ المشَقَّةَ هُو وعِيَالُهُ، فيُعْطِي عطاءً يَعْجِزُ عنهُ الملوكُ، مِثْلُ كِسْرَى وقَيْصَر، ويَعِيشُ في نفسِهِ عيشَ الفَقْرِ، وقَدْ يَأْتِي علَيْهِ الشَّهرُ والشَّهرانِ لا يوقَدُ فِي بَيْتِهِ نَارٌ، ورُبَّما رَبَطَ الحجرَ أو الحجرَيْنِ على بطنِهِ مِن الجوعِ.

ورُوِيَ أَنَّهُ أتاهُ سَبْيٌ فشَكَتْ إِلَيْهِ فاطِمةُ ما تَلْقَى مِنْ خِدْمَةِ البَيْتِ، وطلَبَتْ منهُ خادِمًا يكْفِيهَا مَؤُونَةَ بَيْتِها مِنَ السَّبيِ، فأَمَرَها أن تسْتَعِينَ بالتَّسبِيحِ عندَ النَّومِ ثلاثًا وثلاثِينَ والتَّكبِيرِ كذلك، والتَّحمِيدِ كذلك. وقال: ((**لَا أُعْطِيكِ وَأَدَعُ أهل الصّفّة تَطْوِي بُطُونُهُمْ مِنَ الْجُوعِ**))[7].

ويُروَى أنَّ عليًّا قالَ لِفَاطِمةَ: لَقَدْ سَنَوْتُ حَتَّى اشْتَكَيْتُ صَدْرِي؛ أيْ: عَمِلْتُ بالبَعِيرِ فِي السَّقْيِ، وقَدْ جَاءَ اللهُ أَبَاكِ بِسَبْيٍ فَاذْهَبِي فاستَخْدِمِيهِ، فقَالَتْ: وأَنَا واللهِ لَقَدْ طَحنْتُ حتَّى مَجلَتْ يدَايَ،

(1) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 121/6.

(2) صحيح البخارِي، حدِيث (2598).

(3) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 121/6.

(4) إضافة ليست فِي ج.

(5) صحيح البخارِي، حدِيث (2309) وصحيح مسلم، حدِيث (715) والرواية عن ابن إسحاق.

(6) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 121/6.

(7) ينظر الحدِيث، صحيح البخارِي، حدِيث (3113). ومسند الحميدِي، حديث (44)، وفِيه: تُطوَى.

فَأَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: ((**مَا جَاءَ بِكِ أَيْ بُنَيَّتِي؟**)) قَالَتْ: جِئْتُ لأُسَلِّمَ عَلَيْكَ، وَاسْتَحْيَتْ أَنْ تَسْأَلَهُ وَرَجَعَتْ، فَقَالَ: مَا فَعَلْتِ؟ قَالَت: اسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسْأَلَهُ، فَأَتَيْنَا جَمِيعًا النَّبِيءَ ﷺ فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ لَقَدْ سَنَوْتُ حَتَّى اشْتَكَيْتُ صَدْرِي، وَقَالَتْ فَاطِمَةُ: لَقَدْ طَحَنْتُ حَتَّى مَجَلَتْ يَدَايَ، وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِسَبْيٍ وَسَعَةٍ، فَأَخْدِمْنَا، [أيْ: أعطِنا خادِمًا][1] فَقَالَ: ((**وَاللهِ، لاَ أُعْطِيكُم وَأَدَعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ تَطْوَى بُطُونُهُمْ مِن الجوعِ، لاَ أَجِدُ مَا أُنْفِقُ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنِّي أَبِيعُهُمْ وَأُنْفِقُ عَلَيْهِمْ أَثْمَانَهُمْ**)) فَرَجَعَا، فَأَتَاهُمَا النَّبِيءُ ﷺ وَقَدْ دَخَلاَ فِي قَطِيفَتِهِمَا [174ظ] إِذَا غَطَّتْ رُؤُوسَهُمَا كَشَفَتْ أَقْدَامهُمَا، وَإِذَا غَطَّتْ أَقْدَامَهُمَا كَشَفَتْ رُؤُوسهُمَا، فَثَارَا، فَقَالَ: ((**مَكَانَكُمَا، فَقَالَ: أَلاَ أُخْبِرُكُمَا بِأفضَلَ مِمَّا سَأَلْتُمَانِي؟ قَالاَ: بَلَى، فَقَالَ: كَلِمَاتٌ عَلَّمَنِيهنَّ جِبْرِيلُ، تُسَبِّحَانِ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ عَشْرًا، وَتَحْمَدَانِ عَشْرًا، وَتُكَبِّرَانِ عَشْرًا، وَإِذَا أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا، فَسَبِّحَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ**))[2].

والحَدِيثُ فِي الْبُخَارِي، ومُسْلِم عَنْ عَلِيٍّ: ((**أَنَّ فَاطِمةَ رضِي اللهُ عنْهَا، شَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ أَثَرِ الرَّحَا، فَأَتَى النَّبِيءَ ﷺ سَبْيٌ فَانْطَلَقَتْ وَلَمْ تَجِدْهُ وَوَجَدَتْ عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيءُ ﷺ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ فَجَاءَ النَّبِيءُ ﷺ إِلَيْنَا، وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا فَذَهَبْتُ لِأَقُومَ فَقَالَ: مَكَانكُمَا فَقَعَدَ بَيْنَنَا، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، وَقَالَ: أَلَا أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَانِي، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا من اللَّيلِ تُكَبِّرَانِ ثلاثًا وَثَلَاثِينَ وَتُسَبِّحَانِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَتَحْمَدَانِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ**))[3].

قال عِياض: بمعنَى أنَّ عملَ الآخِرَةِ أفضل مِن أمورِ الدُّنيَا. وقال ابن تيميّة فِيه: إنَّ مَن واظَبَ على هذا الذِّكرِ عندَ النّومِ، لم يُصِبْهُ إعياءٌ؛ لأنَّ فاطِمةَ شَكَت التَّعبَ مِن العملِ فأحالَها عَلَيهِ[4].

وأَتَتْهُ امْرَأَةٌ ببُرْدَةٍفقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَكْسُوكَ هَذِهِ؟ قالَ: ((**نَعَمْ**)) قَالَتْ: نَسَجْتُها بِيَدِي فَجِئتُ لأَكْسُوكَها فأخذَهَا النَّبِيءُ ﷺ محْتَاجًا إِلَيْهَا فلَبِسَها، وخَرَجَ إِلَيْنا وإِنَّهَا إِزَارُهُ، فرآها عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الصَّحابَةِ فقالَ: يا رَسولَ اللهِ ما أَحْسَنَ هَذِهِ البُردَةَ فأَكْسِنِيهَا فقال ﷺ: ((**نعَمْ**)) فجلَسَ فِي الْمَجْلِسِ ما شاءَ اللهُ، ثمَّ رَجَعَ فطَواهَا فأَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ، فَلَمَّا قامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لامَهُ أصْحَابُهُ وقَالُوا: مَا أَحْسَنْتَ حِينَ رَأَيْتَ النَّبِيءَ ﷺ أخَذَها مُحْتَاجًا إِلَيْها، ثُمَّ سَأَلْتَهُ إيَّاها وقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ لا يُسْأَلُ شَيْئًا فيَمْنَعُهُ، وفِي

---

(1) إضافة ليست فِي ج.

(2) مسند أحمد، حدِيث (838).

(3) صحيح البخارِي، حدِيث (5361)، وصحيح مسلم، حدِيث (80).

(4) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 123/6.

رِوَايَةٍ: ((لَا يَرُدُّ سَائِلًا)) فقَالَ: رَجَوْتُ بَرَكَتَها حِينَ لبِسَهاالنَّبِيءُ ﷺ لعَلِّي أُكَفَّنُ فِيهَا، وفِي رِوايَة: ((واللهِ مَا سَأَلْتُهَا إلَّا لتَكُونَ كفَنِي يَوْمَ أَمُوتُ، فكَانَتْ كَفَنَهُ))[1].

والمُعاتِبُ سهل بن سعد، ففِي رِوَايَةٍ: ((**قالَ سَهْلٌ: فقُلْتُ لِلرَّجُلِ، أيْ: عبْدِ الرَّحْمَنِ لِمَ سَأَلْتَهُ وَقَدْ رأَيْتَ احْتِيَاجَهُ إلَيْها؟ فقالَ: رَأَيْتُ ما رأَيْتُمْ ولَكِنْ أرَدْتُ أنْ أُخَبِّئَهَا حَتَّى أُكَفَّنَ فِيها**))[2].

ومعنَى قوْلِهِ: ((**فِيهَا حَاشِيَتها**))[3] أنَّها لَمْ تُقْطَعْ مِن ثَوْبٍ فَتَكُونَ بِلَا حَاشِيَةٍ أوْ حَاشِيَتُهَا: أَهْدَابُهَا أيْ: جدِيدَةٌ لَمْ تُقْطَعْ أهدَابُها ولَمْ تُلْبَسْ، أو حِاشِيَتُهَا: ناحِيَتُهُ التِي فِيها الأَهْدَابُ ((**قالَ سَهْلٌ: أتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَة؟ قالُوا: الشّمْلَة، قالَ: هِيَ شَمْلَةٌ منْسُوجَةٌ فِيهَا حاشِيَتهَا**))[4] قَالَ [175و] ابنُ حجَر: تَفْسِيرُ البُرْدَةِ بالشَّملَةِ تَجَوُّزٌ؛ لأنَّ الْبُرْدَةَ كِسَاءٌ، والشَّمْلَة ما اشْتملَ بِهِ فهِيَ أعَمُّ، لكِنْ لَمَّا كانَ أَكْثَرُ اشتِمَالِهِمْ بهَا أَطْلَقُوا عَلَيْها اسْمَهَا[5].

وأَخْرَجَ الطَّبرانِيّ الحَدِيثَ وقالَ فِي آخِرِهِ قال قُتَيْبَةُ[6]: السَّائلُ سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاص[7]. وأَخْرَجَهُ الطَّبرانِي مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ أنَّ السَّائِلَ المذْكُورَ أَعْرَابِيّ[8] ويَبْعُدُ أَنْ يكُونَ ذَلِكَ كُلُّهُ، وتَعَدَّدَت القِصَّةُ، ومَنْ قَالَ سَهْل بنُ سَعْد فَقَدْ غلطَ إلى الرَّاوِي[9].

ورَوَى الطَّبرانِي مِن طَرِيقِ زمعة عنْ أَبِي حَازِم عنْ سَهْلِ بنِ سَعْدٍ أنَّهُ ﷺ أَمَرَ أَنْ يُصْنَعَ لَهُ غَيرُهَا فمَاتَ قَبْلَ أَنْ يفْرَغَ مِنْهَا[10].

واسْتنبَطَ الصُّوفيَّةُ جوازَ استِدعاءِ المُرِيدِ خِرْقَةَ المتَصَوِّفِ مِن المشايخِ تبرُّكًا بِهِم. كما اسْتَدَلُّوا لإِلْبَاسِ الشَّيْخِ لِلْمُرِيدِ بِحدِيثِ: أنَّهُ ﷺ أَلْبَسَ أمّ خالد خَمِيصَةً سَوْدَاءَ ذَاتَ عَلَمٍ، وهِيَ أَمَةٌ تزَوَّجَها الزُّبَيْرُ بنُ الْعَوَّامِ فولدَتْ منهُ خالِدًا، عمَّرت حتَّى لحِقَها موسَى بنُ عُقْبَةَ. والْخَمِيصَةُ: ثَوْبٌ مِنْ حَرِيرٍ أَوْ ثَوْبٌ مُعَلَّمٌ أوْ كِسَاءٌ مُرَبَّعٌ لَهُ عَلَمَانِ، أو كِسَاءٌ رَقِيقٌ مِنْ أَيِّ لَوْنٍ، أَوْ لَا تَكُونُ خَمِيصَةً إلَّا إذَا كَانَتْ سَوْدَاءَ مَعَلَّمَةً[11].

ورَوَى البُخارِي: ((**أنَّهُ أُتِيَ النَّبِيءُ ﷺ بِثِيابٍ فِيها خَمِيصَةٌ سوْدَاء صَغِيرَةٌ فقَالَ: مَنْ تَرَوْنَ نكْسُو**

---

(1) صحيح البخارِي، حدِيث (6063) و(5810).

(2) المعجم الكبِير، الطبرانِي، حدِيث (5751).

(3) لم يذكر المؤلِّف هذه العبارة، وهي في رواية البخارِي، حدِيث (1277).

(4) صحيح البخارِي، حدِيث (1277).

(5) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 124/6، وفتح البارِي، ابن حجر، 143/3.

(6) قتيبة أبو رجاء بن سعيد بن جميل الثقفي،من موالي الحجاج بن يوسف الأمير، ت:236هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 13/11.

(7) المعجم الكبِير، الطبرانِي، حدِيث (5997).

(8) (م، س)، حدِيث (5920).

(9) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 124/6.

(10) (م، س)، 125/6، والرواية بالمعنَى في المعجم الكبِير، الطبرانِي، حدِيث (5920).

(11) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 126/6.

الْخَمِيصَةَ؟ فسَكَت القَوْمُ قالَ: ايتُونِي بِأُمِّ خَالِدٍ، فَأُتِيَ بِها تُحْمَلُ؛ أيْ لِصِغرِهَا فأخذَ الخَمِيصَةَ بِيَدِهِ فَأَلْبَسَها فقَالَ: أَبْلِي وَأَخْلِقِي، وكَانَ فيهَا عَلَمٌ أَخْضَر أوْ أَصْفَر، فَقَالَ: يا أُمَّ خَالِد، هَذَا سَنَاه. وسَنَاه بالْحَبَشَةِ: حَسَنٌ))[1] كَلَّمَهَا رسُولُ اللهِ بِلُغَةِ الحَبَشَةِ؛ لِأَنَّها وُلِدَتْ فِي الحَبَشَةِ فإنَّ لِأَبَوَيْها صُحْبَة وهِجْرَة إِلَيْهَا، وقَدِمَا بِها وهِيَ صغِيرَةٌ.

وفِي رِوَايَةٍ لَهُ عَنْهَا: **((أَتَيْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ معَ أَبِي وعَلَيَّ قَمِيصٌ أَصْفَرُ قَالَ ﷺ: سَنَهْ سَنَهْ، فذَهَبْتُ أَلْعَبُ بِخَاتَمِ النُّبوَّة فزَبَرَنِي أَبِي، فقَالَ ﷺ: دَعْهَا، أَبْلِي وَأَخْلِقِي، أَبْلِي وأَخْلِقِي، أَبْلِي وَأَخْلِقِي))** ثَلاثًا، وذَلِكَ دُعاءٌ بِطولِ العُمُرِ[2].

وذكَر الصُّوفيَّةُ أنَّ الحسَنَ الْبَصْرِيَّ لبِسَ خِرْقَة التَّصوُّفِ مِنْ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ. قَالَ ابْنُ دِحْيَةَ وابن الصّلاح[3]: هَذَا بَاطِلٌ لا يَصِحُّ، ولَمْ يَثْبُتْ فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ، ولا حَسَنٍ، ولا ضَعِيفٍ أَنَّهُ ﷺ أَلْبَسَ الخِرقةَ على الصُّورةِ المتعَارَفَةِ بَيْنَ الصُّوفيَّةِ لِأَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، ولَا أَمَرَ أَحَدًا مِنْ أصْحَابِهِ بفِعْلِهَا، وكُلُّ مَا يُرْوَى فِي ذلكَ صَرِيحًا فبَاطِلٌ. وجُمهور المحدِّثِينَ لَمْ يُثْبِتوا للْحَسَنِ البَصْرِيِّ رِوايَةً عَن عَلِيٍّ بِسَماعٍ فضْلًا عَنْ أَنْ يُلْبِسَهُ الْخِرْقَةَ. وقِيلَ: لَقِيَهُ وذلِكَ أنّهُ وُلِدَ لِسَنَتَيْنِ بقِيَتَا مِنْ خِلَافَةِ عُمَر [175ظ] وأمُّهُ خيرة مولاة أمّ سلمة، فكانَتْ أُمُّ سَلمَة تُخرِجُهُ إلَى الصّحابة فيُبَارِكُونَ عَلَيْهِ، فأَخْرَجَتْهُ إِلَى عُمَر فَدَعَا لَهُ، وقَالَ: اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وحَبِّبْهُ إلى النَّاسِ، أَخْرَجَهُ العَسْكَرِيّ بسَنَدِهِ[4]، وذَكَرَ المزّيّ أَنَّهُ حَضَرَ يَوْمَ الدَّارِ ولَهُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً[5]. ومعْلُومٌ أَنَّهُ مِنْ حِينِ بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ أُمِرَ بِالصَّلاةِ، فكانَ يَحْضُرُ الْجَمَاعَةَ ويُصَلِّي خَلْفَ عثْمَانَ حتَّى قُتِلَ، ولَمْ يَخْرُجْ عَلِيّ إِلَى الْكُوفَةِ حَتَّى قُتِلَ، فكَيْفَ يُنْكَرُ سَمَاعُ الحَسَنِ منهُ وهُوَ يَجْتَمِعُ بِهِ كُلَّ يومٍ خمسَ مرَّاتٍ مِن حِين ميّزَ حتَّى بَلَغَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، وقَدْ كانَ عَلِيٌّ يزُورُ أُمَّهاتِ المؤْمِنِينَ ومنْهُنَّ أمُّ سلمةَ والحَسَنُ فِي بَيْتِها هُوَ وأُمُّهُ، وقَدْ وَرَدَ عنِ الْحَسَنِ ما يَدُلُّ علَى سَمَاعِهِ منهُ[6].

رَوَى المزّيّ مِن طرِيقِ أَبِي نُعَيْمٍ أنَّ يونس بن عبَيْد قَالَ لِلْحَسَنِ: إنَّكَ تَقُولُ قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ولَمْ تُدْرِكْهُ، قالَ: يَا ابْنَ أَخِي لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ ما سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ قَبْلَكَ، ولَوْلَا مَنْزِلَتُكَ مِنِّي ما أَخْبَرْتُكَ إِنِّي في زَمَانٍ كَمَا تَرَى، وكَانَ فِي عَمَلِ الحَجَّاجِ، كُلُّ شَيْءٍ سَمِعْتَنِي أَقُولُهُ عَنْ رسُولِ اللهِ ﷺ

---

(1) صحيح البخارِي، حدِيث (5845).

(2) صحيح البخارِي، حدِيث (5993).

(3) في الأصل: ابْنُ صَالِح، والتصويب من شرح المواهِب.

(4) في كتاب الزواجر والمواعظ لم أقف عليهِ.

(5) تهذيب الكمال، يوسف المزّي، 97/6.

(6) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 126/6.

فهُوَ عَنْ عَلِيٍّ غَيْرَ أَنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَذْكُرَ عَلِيًّا[1]. وذكرَ مَا روي الحَسَنُ عَنْ عَلِيّ فبَلَغَ عَشَرَةَ أَحَادِيثَ سَاقَهَا، وذَكَرَ خِلالَها قَوْلَ ابن الْمَدِيني أَنَّ الْحَسَنَ رَأَى عَلِيًّا بالْمَدِينةِ وهُوَ غُلَامٌ، قالَ أبو زُرْعة[2]: كَانَ الحَسَنُ ابْنَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَة يَوْمَ بُويعَ عَلِيّ، وقَالَ: رَأَيْتُ الزُّبير بايَعَ عليًّا ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْكُوفَةِ والبَصْرَةِ ولَمْ يَلْقَهُ الحَسَنُ بَعْدَ ذَلِكَ، ويُحْمَلُ قَوْلُ النَّافِي على مَا بَعْدَ خرُوجِ عَلِيّ مِنَ المَدِينةِ[3].

قال أبُو يَعْلَى: حَدَّثَنِي [جويرة بن أشرس][4] أَخْبَرَنِي عقبة بن أبي الصّهباء الباهِليّ سَمِعْتُ الْحَسَنَ يقُولُ: سَمِعتُ عَلِيًّا يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((**مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ**))[5] الحدِيث وليسَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أنَّ عَلِيًّا أَلْبَسَ الْحَسَنَ الْبَصْرِيّ الخِرقةَ. واتَّصَلَ لَبْسُ الصُّوفِيَّة الْخِرْقَةَ إِلَى كُهَيْل بنِ زِيَاد، إِذْ صَحِبَ عَلِيًّا ولَمْ يَرْوِ أَنَّهُ أَلْبَسَهُ الخِرْقةَ، وفِي بَعْضِ الطُّرُقِ اتِّصَالُ لَبْسِ الْخِرْقَةِ إِلَى أُوَيْس القَرني، ولَمْ يَتَحَقَّقْ أنَّ أُوَيْسًا أَلْبَسَهَا أَحَدًا، ولَا أَنَّ عُمَر وعَلِيًّا أَلْبَسَاهَا أُوَيْسًا حِينَ اجْتَمَعَا بِهِ[6].

تَنْبِيه: قِيل السَّخَاءُ أَتَمُّ وأَكْمَلُ مِنَ الْجُودِ بِنَاءً علَى تَغَايُرِهِما، والأَصَحُّ أنَّ السَّخاءَ أَدْنَى منْهُ، ولِذَلِكَ لَمْ يُوصَف اللهُ بِهِ، وفِي مُقَابَلَةِ الجُودِ البُخْلُ، وفِي مُقَابَلَةِ السَّخَاءِ الشُّحُّ، والْكَرَمُ: الْإِنْفَاقُ بِطِيبِ نفْسِهِ فِيمَا يَعْظُمُ خَطَرُهُ، والجُودُ والبُخْلُ يتَطَرَّقُ إِلَيْهِمَا الاِكْتِسابُ بِطُرُقِ الْعَادَةِ. فالجَوَادُ إِذَا رَأَى مَنْ أَنْفَقَ مَالَهُ فصَارَ فَقِيرًا، غَلَبَ عَلَيْهِ الحِرْصُ فمَنَعَ نفْسَهُ مِنَ الْجُودِ، حَتَّى لَا يَصِيرَ كَذَلِكَ، والْبَخِيلُ يَعْلَمُ خِسَّةَ الدُّنْيَا ومَا يَؤُولُ إِلَيْهِ، وأَنَّ ذَا الْمَالِ يَمُوتُ فيَأْخُذُ غَيْرُهُ مَالَهُ، فيُعَالِجُ نَفْسَهُ علَى إِعْطَاءِ مَا يَنْبَغِي فَيَصِيرُ الْجُودُ طَبِيعَةً لَهُ، والشُّحُّ والسَّخَاءُ طَبَعِيَّان لَا كَسْبِيَّانِ، وهَذَا عَلَى أَنَّ الشُّحَّ أَشَدُّ مِنَ الْبُخْلِ، وأَنَّ السَّخَاءَ أَتَمُّ مِنَ الْجُودِ، وأَمَّا عَلَى أَنَّ الجُودَ والسَّخَاءَ مُتَرَادِفانِ، أَوْ أَنَّ الْجُودَ أَعْلَى فَلَا، فكُلُّ سَخِيٍّ جَوَادٌ لِأَنَّ السَّخَاءَ إِعْطَاءُ مَا يَنْبَغِي بِحَسَبِ الطَّبِيعةِ، ولَيْسَ كُلُّ جَوَادٍ سَخِيًّا؛ لِأَنَّ الْجُودَ إِعْطَاءُ مَا يَنْبَغِي لِمَنْ يَنْبَغِي، لَكِنْ قَدْ يَكُونُ بِمُعَالَجَةِ النَّفْسِ علَى اكْتِسَابِهِ، والْجُودُ يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ الرِّيَاءُ، ويَأْتِي بِهِ الإِنْسَانُ مُتَطَلِّعًا إِلَى غَرَضٍ مِن الْخَلْقِ أَو الْحَقِّ، بِمُقَابَلَةٍ مِنْ ثَنَاء الْخَلْقِ أَوْ ثَوَابِ الْحَقِّ، وَلَا يَتَطَرَّقُ الرِّيَاءُ إِلَى السَّخَاء؛ لِأَنَّهُ بِالطَّبعِ ولِأَنَّهُ يَنْبُعُ مِنَ النَّفْسِ الزَّكِيَّةِ الْمُرْتَفِعَةِ عن الأَغْرَاضِ. كذَا قِيلَ. قُلْتُ: لَا أُسْلِمُ أنَّ الرِّيَاءَ لَا يَكُونُ فيمَا بِالطَّبعِ، ولَا أَنَّ السَّخَاءَ لَا يَنْبَعِثُ إِلَّا مِنَ النَّفْسِ الزَّكِيَّةِ الْمُرْتَفِعَةِ عَن الأَغْرَاضِ، وقِيلَ الجودُ تَجنُّبُ اكْتِسَابِ مَا لَا يُحْمَدُ، وهُوَ ضِدُّ التَّقْتِيرِ، والجَوَادُ الذِي يتفَضَّلُ عَلَى مَنْ يَسْتَحِقُّ ويُعْطِي مَنْ لَا يَسْأَلُ، ويُعطِي الكثِيرَ، والسَّخِيُّ اللَّيِّنُ عِنْدَ الْحَاجَةِ. قَالَ الْقشيرِي: قال القَوْمُ: مَنْ أَعْطَى البَعْضَ فَهُوَ سَخِيٌّ، ومَنْ أَعْطَى الْأَكْثَرَ فهُوَ جَوَادٌ، ومَنْ قَاسَى

(1) تهذيب الكمال، يوسف المزّي، 124/6.

(2) أبو زرعة: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَمْرو بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ صَفْوَانَ بنِ عَمْرو النَّصْرِيُّ الدِّمَشْقِيُّ، ت: 280هـ، من تصانيفه: كتاب العلل في الحديث، وكتاب التاريخ. سير أعلام النبلاء، الذهبي، 311/13.

(3) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 127/6.

(4) في شرح المواهب: جويرية، وفي مسند أبِي يعلى في بعض أسانيده: حوثرة بن أشرس.

(5) مسند أبي يعلى، حدِيث (3717)، وليس فيه السند المذكور.

(6) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 128/6.

الضُّرَّ وآثَرَ غَيْرَهُ بِالْبُلْغَةِ[1] فَهُوَ مُوثِرٌ[2][3]. واللهُ أَعْلَمُ.

88 لَقَدْ نَزَّهَ الرَّحْمَنُ ظِلَّكَ أَنْ يُرَى عَلَى الْأَرْضِ مُلْقًى مَا يَكُونُ لِذِي شَأْنِ
89 وَأَثَّرَ فِي الْأَحْجَارِ مَشْيُكَ ثُمَّ لَمْ يُؤَثِّرْ بِرِمْلٍ أَوْ بِبَطْحَاءَ رَيَّانِ
90 وتُبصِرُ مَا قَدْ كَانَ خَلْفَكَ وَالذِي أَمَامَكَ يَبْدُو ثَمَّ مِنْ غَيْرِ نُقْصَانِ

واللهِ لَقَدْ نَزَّهَ الرَّحْمَنُ ظِلَّكَ عنْ أَنْ يُرَى، مُلْقى عَلَى الْأَرْضِ، إِلْقَاءً يَكُونُ لِظِلِّ صَاحِبِ رِفْعَةٍ فِي الدِّينِ؛ لِأَنَّكَ كُلّكَ نُورٌ فلَا ظِلَّ، ولَا ظِلَّ لَهُ فَضْلًا عَنْ أَنْ [176و] يُرَى أَوْ يُخْفَى. ولَكِن هَذَا مِنَ النَّاظِمِ فِي الْفُضْلَةِ، مثْل قَوْلِنَا فِي الْعُمْدَةِ: إِنَّ السَّالِبَةَ تَصْدُقُ بِنَفْيِ الْمَوْضُوعِ.

واللهِ لَقَدْ أَثَّرَ مَشْيُكَ فِي جِنْسِ الْحَجَر، ومَعَ هَذَا لَا يتَأَثّرُ فِي رَمْلٍ أَوْ فِي بَطْحَاء، مَوْضِع رَيَّان مِنَ الْمَاءِ، دَاعٍ لِلتَّأْثِيرِ.

ووَاللهِ لَقَدْ تُبْصِرُ مَا خَلْفَكَ، والذِي أَمَامَكَ يَظْهَرُ إِذَا كَانَ خَلْفَكَ، ظُهورًا مُسَاوِيًا لِظُهُورِهِ إِذا كَانَ قُدَّامَكَ مِنْ غَيْرِ نُقْصَانٍ. وهُنَا فُصُولٌ:

[الفصل] الأَوَّلُ: رُوِيَ أَنَّهُ ﷺ لَا يَقَعُ لَهُ ظِلٌّ عَلَى الْأَرْضِ

ولَا رُئِيَ لهُ ظِلٌّ فِي شَمس ولا فِي قَمَرٍ، ويَشْهَدُ لَهُ أَنَّه ﷺ لَمَّا سَأَلَ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي جمِيعِ أَعْضَائِهِ وجِهَاتِهِ نُورًا خَتَمَ بِقَوْلِهِ: ((**وَاجْعَلْنِي نُورًا**))[4] والنُّورُ لَا ظِلَّ لَهُ. وكَانَ ﷺ لَا يَقَعُ علَى ثِيابِهِ ذُبَابٌ نَقَلَهُ الْفَخرُ، قالَ: ولَا يَمْتَصُّ دمَهُ البَعُوضُ نَقَلَهُ الْحِجَازِيّ[5] وغَيْرُهُ. ومَا آذاهُ الْقُمَّلُ، قَالهُ ابْنُ سبع فِي "الشِّفاءِ"[6] والسَّبتِي[7] فِي "أَعْذَبِ الْمَوَارِدِ"[8][9].

ولَمَّا كَانَ ﷺ لَا يبدُو مِنْهُ إِلَّا طِيبٌ، كَانَ آيَة ذَلِكَ فِي بَدَنِهِ الشَّرِيفِ أَنَّهُ لا يتَّسِخُ لَهُ ثَوْبٌ، فمَا اتَّسَخَ لهُ ثَوْبٌ قَطُّ. قِيلَ: وَلَمْ يَقْمَلْ ثَوْبُهُ قَطُّ. قالَ ابْنُ سبع فِي "الشِّفاءِ" والسَّبتِي فِي "أَعْذَبِ الْمَوَارِدِ وأَطْيَبِ المَوَالِدِ": لَمْ يَكُن القُمَّلُ يُودِيهِ تعْظِيمًا لَهُ وتَكْرِيمًا ﷺ. لَكِنْ يُشْكِلُ عَلَيْهِ مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ والتِّرمِذِيّ

(1) البلغة: ما يُتَبَلَّغُ به من العيش. لسان العرب (بلغ).
(2) الرسالة القشيرية، القشيري، ص418.
(3) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 6/107-108.
(4) صحيح مسلم، حديث (763).
(5) أبو عبد الله الحجازي له حاشية على الشفا للقاضي عياض.
(6) عنوان الكتاب كاملا: شفاء الصدور في إعلام نبوة الرسول وخصائصه.
(7) خطأ، صوابه: الشيبي، صاحبُ كتابِ "أعذب الموارد وأطيب الموالِد"، لم أقفْ على المطبوعِ منهُ. ينظر: غاية السول، ابن الملقن، ص303. وينظر ترجمته في الدرر الكامنة، ابن حجر، 3/350 ذكر أنه توفّي سنة 709هـ.
(8) عنوان الكتاب كاملا: أعذب الموارد وأطيب الموالِد.
(9) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 2/633، وشرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 7/199.

فِي "الشَّمائِل" عَنْ عَائِشَةَ رَضِي اللهُ عنْهَا: ((**كَانَ رسُولُ اللهِ ﷺ يَفْلِي ثَوْبَهُ ويَحْلُبُ شاتَهُ وَيخْدُمُ نَفْسَهُ**))[1] و((**يَخِيطُ ثَوْبَهُ ويَخْصِفُ نَعْلَهُ ويرْقعُ ثَوْبَهُ، ويَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجالُ فِي بُيُوتِهِم**))[2] وأَكْثَرُ ما يَعْمَلُ الخِيَاطَةَ. ومِن لَازِمِ التَّفَلِّي وُجُودُ شَيْءٍ يُوذِي فِي الْجُمْلةِ، إِمَّا قُمَّلًا أوْ بُرْغُوثًا أَوْ نَحْو ذَلِكَ، ويُمكِنُ أن يُجابَ بأنَّ التَّفَلِّي لاسْتِقذَارِ وُجودِ مَا عَلِقَ بِثَوْبِهِ، ولَوْ لَمْ يَحْصُلْ منهُ أَذىً فِي حَقِّهِ ﷺ، وهَذَا فِيهِ بَحْثٌ؛ لِأَنَّ أذَى القُمَّلِ هُو غِذَاؤُهُ مِنَ الْبَدَنِ علَى مَا أَجْرَى اللهُ الْعَادَةَ بِهِ، وإِذَا امْتَنَعَ الغِذَاءُ لَا يَعِيشُ الحيَوَانُ عادَةً[3].

قُلْتُ: يُمْكِنُ أنْ يَعِيشَ بِمَصِّ العَرَقِ مِنْ بَدَنِهِ أو ثَوْبِهِ ﷺ، ويُمْكِنُ أنْ تَكُونَ التَّفْلِيَةُ لِإِزَالَةِ القُمَّلِ الحَاصِلِ لَهُ مِنْ غَيْرِهِ، بَلْ لِإِزَالَةِ القَدْرِ الحَاصِلِ فِي ثَوْبِهِ، ولَا يَلْزَمُ أنْ يكُونَ حَيَوَانًا، وبتَقْدِيرِهِ يَجوزُ أن يَكُونَ فَلَى ثَوْبَهُ قَبْلَ مُضِيِّ مُدَّةٍ لَا يَصْبِرُ الْحَيَوَانُ فِيهَا علَى عَدَمِ التَّغَدِّي.

وأَيْضًا لَا يَلْزَمُ مِنْ قَوْلِهِم لَمْ يَكُن القُمَّلُ يُوذِيهِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ قُمَّلٌ، بَلْ نَقُولُ ذَلِكَ مِنَ السَّالِبَةِ الصَّادِقَةِ بِنَفْيِ المَوْضُوعِ أَيْ: لَا قُمَّلَ لَهُ فَضْلًا عَنْ أَنْ يُوذِيهِ كَقَوْلِهِ: ﴿**لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ**﴾[4] أيْ: لَا تِجَارَةَ لَهُم.

ومِنْ لَفْظِ ابْنِ سَبع: لَمْ يَكُنْ فِيهِ قُمَّلٌ؛ لِأَنَّهُ نُورٌ، ولِأَنَّ أَصْلَ القُمَّلِ مِنَ الْعُفُونَةِ ولَا عُفُونةَ فِيهِ، وأَكْثَرُهُ مِنَ الْعَرَقِ، وعَرَقُهُ طيِّبٌ[5].

وحَدِيثُ: ((**لَمْ يَقَعْ لَهُ ﷺ ظِلٌّ عَلَى الْأَرْضِ، ولَا رُئِيَ لَهُ ظِلٌّ فِي شَمْسٍ ولَا قَمَرٍ**)) رواهُ الحكِيم التِّرمذِيّ مرسَلًا[6]. قال ابن سبع: لأنَّهُ كانَ نُورًا كُلّهُ. وقَال رَزِينٌ: لِغَلَبَةِ أنْوَارِهِ[7]. قِيلَ: وحِكْمَتُهُ صيَانَتُهُ عنْ أَنْ يَطَأَ كافِرٌ ظِلَّهُ. وإِطْلاقُ [176ظ] الظِّلِّ علَى القَمَرِ مجازٌ؛ لِأَنَّهُ يُقالُ: ظُلْمَةُ الْقَمَرِ ونُورُهُ[8].

وإِذَا كَانَ لَا يُرَى لَهُ ظِلٌّ في ذَلِكَ، فأَوْلَى أَن لَا يُرَى لَهُ فِي ضَوْءِ النَّارِ. ثمَّ رأَيْتُ والْحَمْدُ للهِ أنَّ ابنَ المبارَكِ وابنَ الجَوزِي رَوَيَا عن ابْنِ عبَّاسٍ أنَّ النَّبِيءَ ﷺ لَمْ يَكُنْ لَهُ ظِلٌّ، ولَمْ يَقُمْ مَعَ الشَّمْسِ قَطُّ إِلَّا غَلَبَ ضَوْؤُهُ ضَوْءَ الشَّمسِ، ولَمْ يَقُمْ مَعَ سِرَاجٍ قَطُّ إِلَّا غَلَبَ ضَوْؤُهُ ضَوْءَ السِّراجِ[9]. وصَرَّحَ بَعْضُهُم

---

(1) مسند أحمد، حدِيث (26194) والشمائل المحمدية، الترمذِي، حدِيث (325).

(2) مسند أحمد، حدِيث (24903).

(3) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 448/2.

(4) سورة النور: 37.

(5) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 200/7.

(6) لم أقفْ عليه فِي الشمائل المحمدية.

(7) ينظر: الخصائص الكبرى، السيوطِي، 169/1.

(8) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 199/7.

(9) (م، س) 200/7.

بأَنَّهُ لَمْ يَصِحَّ حَدِيثُ عَدَمِ القُمَّلِ وعَدَمِ اتِّسَاخِ ثَوْبِهِ.

الْفَصْلُ الثَّانِي: [كَانَ ﷺ إِذَا مَشَى فِي التُّرَابِ لَمْ يَتَبَيَّنْ لِقَدَمَيْهِ أَثَرٌ فِيهِ]

كانَ ﷺ إِذَا مَشَى فِي التُّرابِ لَمْ يَتَبَيَّنْ لِقَدَمَيْهِ أَثَرٌ فِيهِ، وإذا مشَى في الصَّخرةِ تَبَيَّنَ أَثَرُ قدَمَيْهِ فِيهِما كذا يُقالُ.

ومُعْجِزاتُهُ ودَلَائِلُها أَوْضَحُ وأَعْظَمُ؛ ولَكِنِّي لمْ أَرَ حَدِيثًا صَحِيحًا فِي ذَلِكَ، ولَا سِيَّما عدَمُ تَأَثُّرِ التُّرابِ بقَدَمَيْهِ، ولَا سِيَّما إن ادُّعِيَ ذَلِكَ لهُ مِنْ صِغَرِهِ معَ أَنَّه قَدْ رُوِيَ أَنَّهُ مشَى مَعَ الصِّبيانِ فِي صِباهُ إلى أن وَصَلَ الرَّدْمَ، مَوْضِعًا فِي نواحِي مَكَّةَ، فقَالَ قَائِفٌ لـمَّا رَأَى أَثَرَ قَدَمَيْهِ فِي التُّرابِ: لَمْ أَرَ قَدَمًا أَشْبَهَ بِقَدَمِ إِبْراهِيمَ مِنْ قَدَمِ هَذَا.

وشَهُرَ قَدِيمًا وحَدِيثًا ونَظْمًا ونَثْرًا أَنَّهُ إِذَا مشِيَ فِي الصَّخْرِ غاصَتْ قدمَاهُ فِيها، وأَنْكَرَهُ السُّيوطِي وقَالَ: لَمْ أَقِفْ لَهُ عَلَى أَصْلٍ ولَا سَنَدٍ ولَا رَأَيْتُ مَنْ خَرَّجَهُ في شَيْءٍ مِنْ كتُبِ الْحَدِيثِ، وكذا أَنْكَرَهُ غَيْرُهُ كالْبَاجِي[1] قالَ: لَا وُجُودَ لهُ، ومَعَ ذَلِكَ حَاوَلَ القَسْطَلَّانِي ثُبُوتَهُ واعْتَضَدَهُ بِوُجُودِ أَثَرِ قَدَمَيْ إِبْرَاهِيمَ في المَقامِ المذْكُورِ فِي قَوْلِهِ تعَالَى: ﴿ءَايَـٰتُۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾[2]. وقَدْ بَلَغَ مَبْلَغَ التَّواتُرِ فِي الْحِجْرِ أَثَرُ قدَمَيْنِ، وأَنَّهُمَا لِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام. وقَدْ قَالَ فِيهِمَا أَبُو طَالِبٍ:

ومَوْطِئ إِبْرَاهِيمَ فِي الصَّخْرِ رَطْبَة ... عَلَى قَـدَمَيْـهِ حَـافِيًـا غَيْر نَـاعِـلِ[3]

وبما فِي "البخارِيّ" و"مسلِم" مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ مَرْفُوعًا مِن مُعْجِزَةِ تَأْثِيرِ ضَرْبِ مُوسَى عليه السلام فِي الحَجَرِ، الذِي كَانَ يَحْمِلُهُ مَعَهُ فِي السَّفَرِ فيَنْفَجِرُ مِنْهُ الْمَاءُ، سِتًّا مِنَ الآثَارِ أَوْ سَبْعًا قِيلَ: لَعَلَّهُ أُوحِيَ إِلَيْهِ أَنْ يَضْرِبَهُ إِذْ فَرَّ بِثَوْبِهِ لـمَّا اغتَسَل، عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَن النَّبِيءِ ﷺ: ((**كانت بنو إسرائيلَ يغْتَسِلون عراةً ينظُرُ بعضُهُم إلى بعضٍ، وكان موسَى يغتَسِلُ وحدهُ، قالوا: واللهِ ما يمنعُ موسَى أن يغتَسِلَ معَنا إلَّا أنّهُ آدَر، فذَهَبَ مرَّةً يغتَسِلُ فوضَعَ ثَوْبَهُ علَى حجَرٍ فَفَرَّ الحَجَرُ بثَوْبِهِ فخَرَجَ مُوسَى فِي أَثَرِهِ يَقُولُ: ثَوْبِي يا حَجَر، ثَوْبِي يَا حَجَر**، ويُروَى بِحَذْفِ حَرْفِ النِّداءِ، **حَتَّى نَظَرَتْ بنُو إِسْرَائِيلَ مُوسَى، فقَالُوا: واللهِ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ وأَخَذَ ثَوْبَهُ فطَفِقَ بالْحَجَرِ ضَرْبًا** [177و] **قالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: واللهِ لَندَبٌ بالْحَجَرِ سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ**))[4] رواهُ البخارِي ومسلِم[5].

---

(1) في شرح المواهب: أنكره غيره، دون تحديد.

(2) سورة آل عمران: 97.

(3) فِي شرح المواهب: فاعِل. شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 194/7. البيت من الطوِيل في قصِيدة طويلة، ينظر: سيرة ابن هشام، 272/1.

(4) صحيح البخارِي، حدِيث (278) وصحيح مسلم، حدِيث (75).

(5) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 195/7.

وقال ابْنُ حَجَر: فِيهِ مُعْجِزَةٌ ظَاهِرَةٌ لِمُوسَى، وأَنَّ الآدمِيَّ يَغْلُبُ عَلَيْهِ طِبَاعُ الْبَشَرِ؛ لِأَنَّ مُوسَى مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّ الْحَجَرَ مَا سارَ بِثَوْبِهِ إِلَّا بِأَمْرِ اللهِ، عَامَلَهُ مُعَامَلَةَ مَنْ يَعْقِلُ حَتَّى ضَرَبَهُ، ويُحْتَمَلُ أَنَّهُ أَرَادَ إِظْهارَ مُعْجِزَةٍ أُخْرَى لقَوْمِهِ بِتَأْثِيرِ الضَّرْبِ بِالْعَصَا فِي الحَجَرِ[1].

ومَا خُصَّ نَبِيءٌ بِشَيءٍ مِن المعجزاتِ والكَرَامَاتِ إِلَّا وَلِنَبِيئِنا ﷺ مِثْلُهُ كمَا نَصُّوا عَلَيْهِ، فَمِثْلُ هذَا لَا يُدْفَعُ وُرُودُهُ مَعَ مَا يُؤَيِّدُ ذَلِكَ، وهُوَ وُجُودُ أَثَرِ حَافِرِ بَغْلَتِهِ الشَّرِيفةِ علَى مَا قِيلَ فِي مَسْجِدٍ بِطَيْبَةَ، حَتَّى عُرِفَ المَسْجِدُ بِها فيُقَالُ: مَسْجِدُ الْبَغْلَةِ، وهَذَا إِنْ ثَبَتَ لَا يُنْتِجُ الدَّعوَى؛ إِذْ لَا يَلْزَمُ مِنْ تَأْثِيرِ حافِرِ بَغْلَتِهِ، وإِنْ كَانَ إِكْرَامًا لَهُ ومُعْجِزَةً، أَنَّ نَفْسَ قَدَمَيْهِ يُؤَثِّرُ كَمَا هُوَ المطلُوبُ، ومَا ذَلِكَ إِلَّا مِنْ سِرِّهِ السَّارِي فِيهَا لِيَكونَ ذَلِكَ أَقْوَى فِي الآيَةِ وأَوْضَحَ فِي الدَّلالةِ علَى ايتَائِهِ ﷺ هذِهِ الآيَة التِي أُوتِيَهَا الخَلِيلُ في حَجَر المَقَامِ عَلَى وَجْهٍ أَعْلَى مِنْهُ[2].

قَالَ صَاحِبُ "الْقَامُوس" فِي "المَغَانِم المُطَابَة فِي فَضَائِلِ طابَةَ"، بعدَ ذِكْرِ أَثَرِ حَافِرِ الْبَغْلَةِ ومَسْجِدِها: وفِي غَرْبِ هَذَا الْمَسْجِدِ أَثَرٌ كأَنَّهُ أَثَرُ مِرْفَقٍ، يُذْكَرُ أَنَّهُ ﷺ اتَّكَأَ عليْهِ ووَضَعَ مِرْفَقَهُ الشَّرِيفَ عَلَيْهِ، وعَلَى حَجَرٍ آخَرَ أَثَرُ الْأَصَابِعِ، والنَّاسُ يتَبَرَّكُونَ بِهِما[3].

وفِي كِتَابٍ يُسَمَّى "وَفَاءُ الْوَفَاءِ" بَعْدَ إِيرَادِ ذَلِكَ: ولَمْ أَقِفْ فِي ذَلِكَ عَلَى أَصْلٍ إِلَّا أَنَّ ابن النّجّار قَالَ فِي "تَارِيخِ الْمَدِينَةِ" فِي الْمَسَاجِدِ التِي أَدْرَكَها خَرَابًا بِالمَدِينَةِ مَا نَصُّهُ: ومسْجِدانِ قُرْبَ البَقِيعِ أَحَدُهُما يُعْرَفُ بِمَسْجِدِ الْإِجَابَةِ كَأَنَّهُ لِإِجَابَةِ الدُّعاءِ فِيهِ، والثَّانِي يُعرَفُ بِمَسْجِدِ الْبَغْلَةِ فِيهِ أُسْطُوَانٌ وَاحِدٌ أَيْ: عَمُودٌ، وهُوَ خَرَابٌ، وحَوْلَهُ نَشزٌ[4] مِنَ الحِجَارَةِ، فِيهِ أَثَرٌ يقُولُونَ إِنَّهُ أَثَرُ حَافِرِ بَغْلَةِ النَّبِيءِ ﷺ[5].

ويُشبِهُ ذلكَ ما ذكر أنَّ فِي لَيَّةَ مَسْجِدًا عِنْدَهُ أَثَرٌ فِي حَجَرٍ يُقالُ إِنَّهُ أَثَرُ خُفِّ نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وبَيْنَ وَادِي لَيَّةَ وَوَادِي الطَّائِفِ نَحْوُ ثَمَانِيَة أَمْيَالٍ[6].

ووَصَفَ عَلِيٌّ وأَنَسٌ وغَيْرُهُما قَدَمَهُ ﷺ بأَنَّهُ كَانَ ﷺ شَثْن القَدَمَيْنِ؛ أَيْ: غَلِيظَ أَصَابِعِهِمَا مَعَ نُعُومَةٍ غَايَة، ويُرْوَى ضَخْمَ القَدَمَيْنِ، ويُروَى أَيْضًا أَنَّهُ مَنْهُوسُ الْعَقِبِ، بالسِّينِ أو الشِّينِ وَجْهَانِ، قالَتْ ميْمونة بنت كَردم: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فمَا نَسِيتُ طُولَ إِصْبَعِ قدَمَيْهِ السَّبَّابَة عَلَى سَائِرِ [177ظ]

(1) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 195/7، وفتح الباري، ابن حجَر، 438/6.

(2) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 195/7.

(3) (م، س) 196/7.

(4) في وفاء الوفا صححه المحقق بِـ: نشر. وقال: بالفتح هو ما انتشر من الشيء.

(5) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 196/7، ووفاء الوفا، السمهودِي، 179/3.

(6) وفاء الوفا، السمهودِي، 472/3.

أَصَابِعِهِ، وهَذَا بَعْضُ حَدِيثٍ طَوِيلٍ رَواهُ أَحْمَدُ[1] والطَّبَرَانِيّ[2]. وعَنْ جَابِرِ بنِ سَمُرَةَ: ((**كَانَتْ خِنْصَرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ رِجْلِهِ مُتَظَاهِرَةٌ**))[3] رَوَاهُ البيهَقِيّ وفِي سندِهِ مَنْ لَا يُؤخَذُ بروايتِهِ فِيمَا قَالَ بَعْضٌ، ومَعْنَى تَظَاهُرِهَا: زِيَادَتُهَا طُولًا أَوْ غِلظًا[4].

وذَكَر القُرْطُبِيّ وغَيْرُهُ: واشْتَهَرَ فِي الأَلْسِنةِ سَبَّابَةُ يَدِ النَّبِيءِ ﷺ كانَتْ أَطْوَلَ مِن الوُسْطَى[5].

قُلْتُ: يَرُدُّهُ قَوْلُهُ ﷺ: ((**بَيْنِي وبَيْنَ كَافِلِ الْيَتِيمِ، مَا بَيْنَ هَاتَيْنِ السَّبَّابَة والْوُسْطَى**))[6] ولَعَلَّ ذَلِكَ في قَدَمَيْهِ.

قالَ ابْنُ حَجَر: ذَلِكَ غَلَطٌ وإنَّما ذَلِكَ فِي أَصَابِعِ قَدَمَيْهِ، سَمَّى الإِصْبَعَ التَّالِيَةَ لِإِبْهَامِ الرِّجْلِ سَبَّابَةً مَجَازًا، قَالَ السّخاويّ: حَدِيثُ سَبَّابَةِ النَّبِيءِ ﷺ وأَنَّها كَانَتْ أَطْوَلَ مِنَ الوُسْطَى اشْتَهَرَ علَى الْأَلْسِنَةِ كَثِيرًا، وسَلَفُ جُمْهورِ القَائِلِينَ بِطُولِ سبَّابَةِ يَدِهِ الكمال الدّميريّ[7] وهُوَ خَطأٌ نَشَأَ عن اعْتِمَادِ روايَةٍ مُطْلَقَةٍ. وعِبَارَةُ الدّميرِي: كَذَا رَوَاهُ يزيد بن هارون عنْ عبد الله بن مِقْسم عنْ عَمَّتِهِ سَارَة، أَنَّها سَمِعَتْ مَيْمُونَةَ بنْتَ كَرْدَمٍ تُخْبِرُ أَنَّها رَأَتْ أَصَابِعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كذَلِكَ[8]. أيْ: السَّبَّابَةُ أَطْوَلُ مِنَ الْوُسْطَى، فَضَمَّ ما وَقَعَ فِيهَا مِنْ إِطْلَاقِ الْأَصَابِعِ إِلَى كَوْنِ الوُسْطَى مِنْ كُلٍّ أَطْوَل مِن السَّبَّابَةِ، وعَيَّنَ اليَدَ مِنْهُ ﷺ[9] فأَنْتَجَ لَهُ كَوْنَهُ أَطْوَلَ مِن الوُسطَى عَلَى فَهْمِهِ، بِنَاءً عَلَى أَنَّ القَصْدَ وَصْفٌ اخْتَصَّ بِهِ ﷺ عنْ غَيْرِهِ مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمُرادٍ، إِنَّمَا الْمُرادُ صِفَةُ أَصَابِعِهِ مُطْلَقًا، وعَلَى هَذَا فمَا حِكْمَةُ تَخْصِيصِها طُولَ سَبَّابَةِ رِجْلِهِ بِالذِّكْرِ، فإِنْ كَانَ المُرادُ مُسَاواتُها لِغَيْرِها مِنَ الأَصَابِعِ فلَا فَائِدَةَ فِي ذِكْرِها، وإِنْ كَانَ الْمُرَادُ أَنَّها تَزِيدُ طُولًا علَى سَبَّابَةِ غَيْرِهِ كَانَ ذِكْرُ طُولِها مِنَ الوَصْفِ الْمُخْتَصِّ بِهِ ﷺ[10].

ولَكِنَّ الْحَدِيثَ فِي "مُسْنَدِ أَحْمَد" مِنْ حَدِيثِ يزِيدَ بنِ هَارُون مُقَيَّدٌ بالرِّجْلِ كمَا مَرَّ إِذْ قَالَتْ: ((**فمَا نَسِيتُ طُولَ أُصْبُعِ قَدَمَيْهِ السَّبَّابَةِ علَى سَائِرِ أَصَابِعِه**))[11] فيُحْمَلُ الْمُطْلَقُ علَى الْمُقَيَّدِ، وكَذَا لِلْبَيْهَقِيّ

---

(1) مسند أحمد، حدِيث (27064).

(2) المعجم الكبِير، حدِيث (75).

(3) دلائل النبوة، البيهقِي، 248/1.

(4) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 480/5.

(5) الجامع لأحكام القرآن، القرطبِي، 15/2.

(6) صحيح مسلم، حدِيث (2983).

(7) كمال الدين، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدَّمِيري أبو البقاء الشافعي (ت: 808هـ). من تصانيفه: حياة الحيوان الكبرى. الضوء اللامع، 59/10، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 743/3.

(8) النجم الوهاج، الدّميرِي، 159/2.

(9) المقاصد الحسنة، السخاوِي، ص237.

(10) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 482/5.

(11) مسند أحمد، حدِيث (27064).

مِنْ طَرِيقِ يزيد بن هارون إِلَى مَيْمُونَةَ: ((**رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ**؛ أيْ: فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، **وهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ وأَنَا مَعَ أَبِي وَبِيَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ دُرَّةٌ كَدُرَّةِ الْكِتَابِ فَدَنَا مِنْهُ أَبِي فَأَخَذَ بِقَدَمِهِ، فَأَقَرَّ لَهُ رَسُولُ اللهِ فمَا نَسِيتُ طُولَ إِصْبعِ قَدَمِهِ السَّبَّابة علَى سَائِرِ أَصَابِعِهِ**))[1] ولَا يَمْنَعُ ذِكْرُها لِذَلِكَ مُشَارَكَةَ غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ لَهُ ﷺ فِي ذَلِكَ، إِذْلَا مَانِعَ مِنْ أَنْ يُقَالَ: رَأَيْتُ فُلَانًاأَبْيَضَ أَوْأَحْمَرَ أَوْ أَسْمَرَ، مَعَ الْعِلْمِ بِمُشَارَكَةِ غَيْرِهِ لَهُ، ويَجُوزأَنْ يَكُونَ التَّفَاوُتُ بِكَوْنِهِ زَائِدَالظُّهورِ إِذِالنَّاسُ فِيهِ متَفَاوِتُونَ، وكَذَا لَا يَمْنَعُ مِنْهُ كَوْنُ السَّبَّابَةِفِي الْيَدِ، خَاصَّةً؛ لِأَنَّ تَسْمِيَتَها فِيهَا حَقِيقَةٌ، وفِي القَدَمِ لاشْتِرَاكِهَا مَعَهَا فِي التَّوَسُّطِ [178و] بَيْنَ الْإِبْهَامِ والْوُسْطَى[2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ: ((ﷺ **كَانَ إِذَا وَطِئَ بِقَدَمَيْهِ وَطِئَ بِكُلِّها، لَيْسَ لَهُ أَخْمَص**))[3] وَالأَخْمَصُ مِنْ بَاطِنِ القَدَمِ ما لَا يُصِيبُ الأَرْضَ، رواهُ الْبَيْهَقِيّ والبَزَّارُ وعَبْدُ الرَّزَّاق، وعن أبي أمامة الباهليّ: ((**كَانَ النَّبِيءُ ﷺ لا أَخْمَصَ لهُ يَطَأُ عَلَى قَدَمِهِ كُلِّهَا**))[4] رَوَاهُ ابنُ عَساكِر. وقال ابن أبي هالة: ((**خُمْصَان الْأَخْمَصَيْنِ**)) [5] قالَ الزَّمَخْشَرِي: يَعْنِي أَنَّهُمَا مُرْتَفِعانِ عَنِ الْأَرْضِ لَيْسَ بِالْأَرَحِّ الذِي يَمَسُّهَا أَخْمَصَاهُ[6]. وَتَمَامُ كَلامِ ابْنِ هَالَةَ: ((**مَسِيحُ الْقَدَمَيْنِ**))[7] قِيلَ: هَذَا مُنَافٍ لِقَوْلِهِ خمصان الأخمصَين بتفسِيرِ الزَّمخشَرِيّ[8].

قلتُ: لا منافاةَ بل نَفْسُ مَسْحِ الْقَدَمَيْنِ بِمَلَاسَتِهِما، كَمَا قِيلَ ينْبُو عَنْهُما الْمَاءُ، نَعَمْ يُنافِي إِثْبَاتُ الأَخْمَصَيْنِ قَوْلَ أَبِي هُرَيْرَةَ وأَبِي أُمَامَةَ: لَا أَخْمَصَ لهُ، ويُمْكِنُ الْجَمْعُ بِاحْتِمالِ أَنَّهُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ كَانَ لهُ أَخْمَصٌ، لَمّا لَمْ يَكُنْ جَسَدُهُ مُمْتَلِئا بِاللَّحْمِ، ثُمَّ لمَّا امْتَلَأَ بِهِ اسْتَوَتْ قدَمَاهُ فَلَمْ يَصِرْ بِهِمَا خمصٌ، ويُؤَيِّدُ ذلكَ أَنَّ الإِثْبَاتَ رِوَايَةُ ابن أبي هَالة، وهُوَ رَبِيبُهُ وتَرْبِيَتهُ فقَدْ يكُونُ إِخْبَارُهُ عنْ أَوَّلِ أَمْرِهِ، والنَّفْيُ رِوَايَةُ أَبِي هُرَيرَةَ، وهُوَ مُتَأَخِّرٌ لِأَنَّهُ جاءَ سَنَةَ سبْعٍ مِنَ الهِجْرَةِ عام خيبر، وَكذَا أبو أمامة مِنَ الأَنْصَارِ أَسْلَمَ بِالْمَدِينَةِ، والْمُصْطَفَى ﷺ أَسَنُّ منْهُ، فَهُوَ إِخْبَارٌ عَنْ آخِرِ أَمْرِهِ. ويُجْمَعُ أيْضًا بأَنَّ مُرَادَ النَّافِي سَلْبُ نَفْيِ الاعْتِدالِ، فمَنْ أَثْبَتَه أَرادَ أَنَّ فِي قَدَمَيْهِ خمْصًا يَسِيرًا، ومَنْ نَفَاهُ نفَى شِدَّتَهُ، ويُؤَيِّدُهُ جَمْعُ هِنْدٍ بَيْنَ أَخْمَص ومَسِيح فأَتَى بِهِ عَقِبَهُ لِيُبَيِّنَ أَنَّ الخُمْصَة فِيهِ قَلِيلَةٌ جِدًّا.

قال ابنُ الأَثِيرِ: الْأَخْمَصُ مِنَ الْقَدَمِ الْمَوْضِعُ الذِي لا يَلْصِقُ بِالأَرْضِ مِنْهَا عِنْدَ الْوَطْءِ،

---

(1) دلائل النبوة، البيْهَقِي، 246/1.

(2) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 482/5.

(3) دلائل النبوة، البيهقي، 245/1، ومصنف عبد الرزاق، حدِيث (20490).

(4) تاريخ دمشق، ابن عساكر، 300/3.

(5) الأحاديث الطوال، حدِيث (29).

(6) الفائق في غريب الحدِيث، الزمخشَرِي، 230/2.

(7) تاريخ دمشق، ابن عساكر، 339/3.

(8) شرح الزُّرقاني على المواهب اللدنية 482/5.

والخُمْصَانُ: البَالِغُ مِنْهُ؛ أَيْ: إنَّ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ مِنْ أَسْفَلِ قَدَمَيْهِ شَدِيدُ التَّجافِي عَنِ الْأَرْضِ[1]. فَهُوَ كَلَيْلٍ أَلْيَلِ، ويَومٍ أَيْوَم، وظِلٍّ ظَلِيلٍ، ويُعَارِضُهُ أَنَّهُ لَا يُنَاسِبُ قَوْلَهُ بَعْدَهُ: "مَسِيحُ الْقَدَمَيْنِ" فَالْأَحْسَنُ أَنَّهُ لَمْ يُرِد الْمُبَالَغَة فِي ارْتِفَاعِهِ، بَلْ أَتَى بِهِ لِبيَانِ أَنَّهُ مُرْتَفِعٌ فَقَطْ[2].

قالَ ابنُ الأعرابيّ[3]: إِذَا كَانَ خَمِيصَ الأَخْمَصِ أَيْ: مُرتَفِعَهُ، بِقَدْرٍ لَمْ يَرْتَفِعْ جِدًّا ولَمْ يَسْتَوِ أَسْفَلُ القَدَمِ جِدًّا، فهُوَ أَحْسَنُ مَا يَكُونُ لاعْتِدَالِهِ، وإِذَا اسْتَوَى جِدًّا أَو ارْتَفَعَ جِدًّا، فَهُوَ ذَمٌّ، فَالْمَعْنَى أَنَّ أَخْمَصَهُ ﷺ مُعْتَدِلُ الخمَصِ بِخِلافِ الْأَوَّلِ[4]، فلَا يَكُونُ مُعْتَدِلًا فَلَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ، لِمَا وَرَدَ فِي صِفَتِهِ ﷺ أَنَّهُ مُعْتَدِلُ الْخلْقِ[5].

ووَقعَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَة: ((**إِذَا وَطِئَ ﷺ بِقَدَمِهِ وَطِئَ بِكُلِّها، لَيْسَ لهُ أَخْمَص**)) وَذَلِكَ مُنَافٍ لِحَدِيثِ هِنْد، إِلَّا أَنْ يُحْمَلَ عَلَى نَفْيِ الاعْتِدالِ فيَجْتَمِعانِ أَوْ علَى وَقْتَيْنِ. ومَعْنَى ملْسَاوَانِ: لَيِّنَتَانِ لَا انْخِفَاضَ لِبَعْضِ الأَجْزَاءِ عَنْ بَعْضٍ ولَا شِقَاقَ، فهَذَا مُوجِبٌ لانْحِدَارِ [178ظ] المَاءِ عَنْهُمَا. قَالَ عبد الله بن بريدة: ((**كَانَ ﷺ أَحْسَنَ الْبَشَرِ قَدَمًا**))[6] رواهُ ابنُ سَعْدٍ في "طَبَقَاتِهِ" وهُوَ يُؤَيِّدُ تَفْسِيرَ ابْنِ الْأَعْرَابِيّ الْأَخْمَصَ بِالْمُعْتَدِلِ[7].

الْفَصْلُ الثَّالِثُ:

أَهْدَى النّجاشيّ ﷺ [إلى رسول الله ﷺ][8] خُفَّيْن أَسْوَدَيْنِ سَاذَجَيْنِ، ثُمَّ توَضَّأَومَسَحَ عَلَيْهِمَا[9].

قُلْتُ: الْمَسْحُ عَلَيْهِما لِمَرَضٍ، أَوْ قَبْلَ نُزُولِ آيَةِ الْمَائِدَةِ فِي الْوُضُوءِ، أَوْ لِوُضُوءٍ غَيْرِ لَازِمٍ.

وعَن المغيرة بن شعبة: ((**أَهْدَى دِحْيَةُ لِلنَّبِيءِ ﷺ خُفَّيْنِ فَلَبِسَهُمَا**))[10] وقال إسرائيل بن يونس بنِ أَبِي إِسْحَاق السّبيعِي الْهَمدَانِي، أَبُو يُوسُف الْكُوفِيّ عَنْ جابر بن يزيد الجعفِيّ الرَّافِضِيّ عَنْ عامر الشَّعبِيّ: ((**أَهْدَى دِحْيَةُ لِلنَّبِيءِ ﷺ خُفَّيْنِ وَجُبَّةً فَلَبِسَهُمَا حَتَّى تَخَرَّقَا**))[11] أَيْ: لَبِسَ الخُفَّيْنِ وَهُمَا

(1) النهاية في غريب الحدِيث، ابن الأثِير، 80/2.
(2) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 484/5، بتصرُّف.
(3) أبو سعِيد أحمد بن محمَّد بن زياد البصرِي، صاحب المعجم، ت:340هـ.
(4) النهاية في غريب الحدِيث، ابن الأثِير، 80/2.
(5) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 484/5، بتصرُّف.
(6) الطبقات الكبِير، ابن سعد، 360/1.
(7) شرح الزُّرقانِي على المواهب اللدنية 484/5.
(8) إضافة من السنن الكبرَى لتتمة المعنَى.
(9) السنن الكبرَى، البيهقِي، حدِيث (1345).
(10) الشمائل المحمدية، حدِيث (70).
(11) سنن الترمذي، حدِيث (1769).

كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ وَالْجُبَّة، كَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ﴾[1] والسَّاذَج: بِذَالٍ مُعْجَمَةٍ مَفْتُوحَةٍ، غَيْر مَنْقُوشَةٍ ولَا شَعْرَ فِيهِ، أَوْ علَى لَوْنٍ وَاحِدٍ غَيْرِ مُرَكَّبٍ مِنْ لَوْنَيْنِ، وهُوَ معرَّب شاذة، وتَمَامُ الْحَدِيثِ: ((**لَا يَدْرِي النَّبِيءُ ﷺ أَذَكِيَّانِ هُمَا أَمْ لَا**)) ويُروَى: ((**أَذَكِيٌّ هُمَا**)) كَقَوْلِكَ أَقَائِمٌ الزَّيْدَانِ؟ أَيْ: لاَ يَدْرِي أَهُمَا مِنْ حَيَوَانٍ مُذَكًّى أَمْ لَا، ولَمْ يَسْأَلْ عَنْ ذَلِكَ، فَفِيهِ طَهَارَةُ مَجْهُولِ الْأَصْلِ وَلَا إِشْكَالَ؛ لِأَنَّ الْمُهْدِي مُسْلِمٌ، والْحَدِيثُ رَوَاه التِّرْمِذِي والطَّبَرَانِي.

وأَمَّا نَعْلُهُ ﷺ فرَوَى البُخَارِي وأَبُو دَاوُدَ والتِّرْمِذِي وابْنُ مَاجَةَ عنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَس: ((**أَنَّ نَعْلَ النَّبِيءِ ﷺ كَانَ لَهَا قِبَالَانِ**))[2] وفِي رِوَايَةٍ: ((**أَنَّ نَعْلَي النَّبِيءِ ﷺ كَانَ لَهُمَا قِبَالَانِ**))[3] والقِبَالُ: زِمَامُ النَّعلِ، وهُوَ السّير الذِي يعقد فِيه الشِّسْعُ الذِي يكونُ بَيْنَ الإِصْبعَيْنِ الوُسْطَى والتِي تَلِيهَا، والْمُرَادُ أَنَّ لِكِلِّ فَرْدَةٍ قِبَالَيْنِ بِدَلِيلِ رِوَايَةِ البُخَارِي أَنَّ لِنَعْلِهِ قِبَالَيْنِ، وقَالَ الكَرْمَانِيّ: إِنَّ لِكُلِّ نَعْلٍ وَاحِدَةٍ قِبَالًا واحِدًا، ورَدَّهُ ابْنُ حَجَر بِمَا لِلطَّبَرَانِي والْبَزَّارِ والتِّرْمِذِي عَنْ أَبِي هرَيْرَةَ: ((**كَانَ لِنَعْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِبَالَانِ، وَلِنَعْلِ أَبِي بَكْرٍ قِبَالَانِ ولِنَعْلِ عُمَر قِبَالانِ، وأَوَّلُ مَنْ عَقَدَ عَقْدًا واحِدًا عُثْمَانُ**))[4] أَيْ: اتَّخَذَ قِبَالًا وَاحِدًا، ووُجِّهَ بِأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّ اتِّخَاذَ القِبَالَيْنِ لَيْسَ لِكَرَاهَةِ قِبَالٍ وَاحِدٍ، ولَا لِمُخَالَفَةِ الْأَوْلَى بَلْ لِكَوْنِهِ عَادَةً.

ورَوَى التِّرمِذِي وابنُ ماجةَ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ: ((**كَانَ لِنَعْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِبالَانِ مُثَنًّى شِرَاكهمَا**))[5] بِضَمِّ المِيمِ وفَتْحِ الثَّاءِ وشَدِّ النُّونِ، أَوْ بِفَتْحِ الْمِيمِ وإِسْكَانِ الثَّاءِ وَشَدِّ اليَاءِ، ومعْنَاهُ مِنْ جَعْلِكَ الشَّيْءَ اثْنَيْنِ. والشِّرَاكُ أَحَدُ سُيورِ النَّعْلِ يكُونُ عَلَى وَجْهِهَا، ويُقَالُ السّيرُ الرَّقِيقُ الذِي يَكُونُ عَلَى ظَهْرِ الْقَدَمِ فِي النَّعلِ.

ورَوَى التِّرمِذِي عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: ((**كَانَ لِنَعْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِبَالَانِ**))[6] فوَافَقَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَسًا عَلَى ذَلِكَ. قِيلَ: وكَانَتْ نَعْلُهُ صَفْرَاء.

ولأبي الشّيخ عنْ أَبِي ذِرٍّ: ((**أَنَّها كَانَتْ مِنْ جُلُودِ البَقَرِ**))[7].

وروَى البُخَارِيّ [179و] والتِّرْمِذِيّ عَنْ عيسى بن طهْمان: ((**أَخْرَجَ إِلَيْنا أنس بن مالك نَعْلَيْنِ جرْدَاوَيْنِ؛ أَيْ: لاَ شَعْرَ فِيهِمَا، لَهُما قِبَالَانِ**))[8].

---

(1) سورة المائدة: 17.

(2) صحيح البخارِي، حدِيث (5857).

(3) (م، س)، حدِيث (5858).

(4) الشمائل المحمَّديَّة، التّرمذِي، حدِيث (81).

(5) (م، س)، حدِيث (72).

(6) (م، س)، حدِيث (75).

(7) أخلاق النبِيء، أبو الشيخ، حدِيث (384)، 336/2.

(8) صحيح البخارِي، حدِيث (3107)، والشمائل المحمَّديَّة، التّرمذِي، حدِيث (73).

وروَى أبو الشّيخ: ((**لَيْسَ لهُما قِبَالَانِ**))[1] بالنَّفي، وهُوَ تَحْرِيفٌ مِن راوٍ أو نَاسِخٍ، وإنَّما هُوَ لُسْنٌ بضمِّ اللَّامِ وإسْكَانِ السِّينِ، جَمْعُ أَلْسُنٍ، وهُوَ النَّعلُ الطَّوِيلُ، فَلَا يُنافِي رِوَايَةَ البُخَارِي والتّرمذِي.

قال ابنُ طهمان: ((**فَحَدَّثَنِي ثابِتٌ بَعْدُ؛ أَيْ: بَعْدَ هَذَا الْمَجْلِسِ، عنْ أنَسٍ أَنَّهُمَا كانَتَا نَعْلَيْ رسُولِ اللهِ ﷺ**))[2] فرِوايَةُ ابنِ طهمانَ عن أنَس إخْرَاجُهُ النَّعلَيْنِ فَقَطْ، وإضَافَتُهُما إلَى النَّبِيءِ ﷺ رِوَايَةُ ابْنِ طَهْمانَ عن ثابِت عَنْ أنَس.

وأَخْرَجَ البُخَارِي ومُسْلِم وغَيْرُهُما والتِّرْمِذِي مِنْ طَرِيقِ مَالِك عَنْ سعيد المُقبري عن عبيد بنِ جريح: ((**أَنَّهُ قَالَ لِابْنِ عُمَر: رَأَيْتُكَ تَلْبسُ النِّعَالَ السّبْتِيَّة، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يلْبسُ النِّعَالَ التِي لَيْسَ فِيهَا شَعرٌ**))[3] والحَدِيثُ في مُسْنَدِ الرَّبِيعِ[4] وغَيْرِهِ بزِيَادَةٍ وإسْقَاطٍ. والسّبتيَّة: التِي سُبِتَ شَعرُهَا أَيْ: قُطِعَ، وآخِرُ الحدِيثِ يفِيدُ هذا التَّعبِيرَ، وسوَاءٌ زَالَ بِالدِّبَاغِ بِالْقَرظِ أو بِالنَّتْفِ أو الْقَصِّ فَإِنَّ قَوْلَهُ: لَيْسَ فِيهَا شَعْرٌ شامِلٌ لِذلِكَ، لَا كَمَا قِيلَ يَخْتَصُّ بالإزَالَةِ بِغَيْرِ الدِّباغِ.

وقِيلَ السّبْتِيَّة التِي تَكُونُ مِنْ طَاقٍ واحِدٍ، قالَ التِّرْمِذِي عنْ عَمْرو بن حُرِيث، بِضَمِّ الْحَاءِ: ((**رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُصَلِّي فِي نَعْلَيْنِ مَخْصُوفَتَيْنِ**))[5] والخَصْفُ: ضَمُّ شَيْءٍ إلى شَيْءٍ، والْمُرَادُ أَنَّ نَعْلَهُ وُضِعَ فِيهِ طَاقٌ عَلَى طَاقٍ، فَفِيهِ رَدٌّ علَى مَنْ زَعَم أَنَّها كانَتْ مِنْ طَاقٍ وَاحِدٍ، وأَنَّ الْعَرَبَ كانَتْ تَتَمَدَّحُ بِهِ وتَجْعَلُهُ مِنْ لِبَاسِ المُلُوكِ وأَهْلِ النَّعْمَةِ والسَّعَةِ، ولَمْ تَنْعَلْهَا الصَّحابةُ. ويُجْمَعُ بأَنَّ لَهُ ﷺ نَعْلًا مِنْ طاقٍ وَاحِدٍ، ونَعْلًا مِنْ طَاقَيْنِ. وروَى أبُو الشَّيْخِ بِسَنَدِهِ عَنْ يزيد بن زياد: ((**رَأَيْتُ نَعْلَهُ ﷺ مُخَصَّرَةً مُلَسَّنَةً لَيْسَ لَهَا عَقِبٌ خَارِجٌ**))[6]. وروَى ابنُ سَعْد عن هشام بن عُرْوة: ((**رَأَيْتُ نَعْلَ النَّبِيءِ ﷺ مُخَصَّرَةً مُعَقَّبَةً مُلَسَّنَةً لَهَا قِبَالَانِ**))[7] والْمُخَصَّرَةُ: التِي لَهَا خَصْرٌ رَقِيقٌ، أَو التِي قُطِعَ خَصْرَاهَا حَتَّى صَارَا مُسْتدقَّيْنِ، والنَّعْلُ الْمُلَسَّنُ: مَا فِيهِ طُولٌ ولَطَافَةٌ عَلَى هَيْئَةِ اللِّسَانِ، وقِيلَ: التِي جُعِلَ لَهَا لِسَانٌ؛ ولِسَانُهَا الْهَيْئَةُ الثَّابِتَةُ فِي مُقَدَّمِهَا.

ويُجْمَعُ بَيْنَ قَوْلِ يَزِيد "لَيْسَ لَهَا عَقِبٌ" وقَوْلِ هِشَام "مُعَقَّبَة" بِأَنَّ يزِيدَ لَمْ يُطْلِق العقِبَ بَلْ قَالَ: عَقِبٌ خَارِجٌ، وهِشَامًا أَثْبَتَ كَوْنَها مُعَقَّبَةٌ فَيُرِيدُ عَقِبٌ غَيْر خَارِجٍ، أَوْ أَرَادَ أَنَّ لَهَا سُيُورًا يُضَمُّ بهَا القَدَمُ

---

(1) أخلاق النبِيء، أبو الشيخ، حدِيث (388)، 343/2.

(2) الشمائل المحمَّديَّة، التّرمذِي، حدِيث (73).

(3) صحيح البخارِي، حدِيث (166)، وصحيح مسلم، حدِيث (25)، والشمائل المحمَّديَّة، التّرمذِي، حدِيث (74).

(4) مسند الربيع، حدِيث (401).

(5) الشمائل المحمَّديَّة، التّرمذِي، حدِيث (76).

(6) الرواية في عمدة القارِي، العينِي، 27/22، وفِي أخلاق النبِي، لأبِي الشَّيخ: ((لَهَا عَقِبٌ خَارِجٌ))، حدِيث (386).

(7) الطبقات الكبِير، ابن سعد، 411/1.

كَمَا يُفْعَلُ فِي كَثِيرٍ مِنَ النِّعالِ.

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: [179ظ] ((**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحِبُّ التَّيَمُّنَ مَا اسْتَطاعَ فِي تَرَجُّلِهِ وتَنَعُّلِهِ وطُهُورِهِ**)) رَواهُ التّرمذِي[1]. ورَوَاه البُخَارِي ومُسْلِم وأَبُو دَاوُدَ والنَّسائِي وابْنُ حبَّانَ وأَحْمَدُ عنْ عَائِشَةَ: ((**كَانَ يُحِبُّ التَّيَمُّنَ مَا اسْتَطاعَ فِي طُهُورِهِ وتَنَعُّلِهِ وتَرَجُّلِهِ وَشَأْنِهِ كُلِّهِ**))[2] ومَعْنَى مَا اسْتَطَاعَ: مُدَّةَ اسْتِطَاعَتِهِ بِخِلَافِ مَا لَوْ عَجَزَ، وذَلِكَ نَدْبٌ وتَأْكِيدٌ إجماعا، لا وجوبٌ[3]، أَو احْتَرَزَ عَمَّا لَا يُستَطَاعُ فِيهِ التَّيَمُّنُ شَرْعًا كالاسْتِنْجَاءِ والاسْتِجْمَارِ.

وقَوْلِهِ: "كُلِّهِ" عَامٌّ مَخْصُوصٌ؛ لِأَنَّ دُخُولَ الخَلاءِ والخُرُوجَ مِن المَسْجِدِ يُبْدَأُ فِيهِ باليَسَارِ، وقَدْ يُجَابُ بأنَّ المرادَ بِالشَّأنِ مَا لَهُ رِفْعَةٌ، ومَا يُنْدَبُ فِيهِ التَّياسُرُ لَا رِفْعَةَ لَهُ، فِي روَايَة "فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ" فَيُعَلَّقُ بِـ"يُحِبُّ" فيَكُونُ الْمَعْنَى: يَتَيَامَنُ فِي أَحْوَالِهِ كُلِّها مِنْ سَفَرٍ وحَضَرٍ حَالَ الْفَرَاغِ وحَالَ الشُّغْلِ.

قَالَ أَبُو هُرَيرَة: ((**قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُم فَلْيَبْدَأْ بِالْيَمِينِ، وإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشِّمَالِ لِتَكُن اليُمْنَى أَوَّلَهُمَا تُنْعَلُ وآخِرهَا تُنْزَع**))[4] ومَنْ بَدَأَ باليُسرَى انْتِعَالًا أَساءَ بِمُخَالَفَةِ السُّنَّةِ، ويَلْبِسُ اليُمْنَى بَعْدُ، قَالهُ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ[5]، وقَالَ غَيْرُهُ: يَنْبَغِي أَنْ يَنْزِعَ عَنْهَا، فيَبْدَأَ الانْتِعَالَ بِاليُمنَى، فَإِنْ لَبِسَهُما مَعًا ففِيهِ مُخَالَفَةُ السُّنَّةِ فلْيَنْزِعْهُمَا مَعًا أَوْ يَبْدَأُ باليُسْرَى، ويُعِيدُ لَبْسَهُما علَى السُّنَّةِ بأن يَبْدَأَ باليُمْنَى.

وقِيلَ: لَا يُشْرَعُ نَزْعُهُما إِذَا لَبِسَهُما مَعًا، وإِنَّما اسْتَحَبَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ التَّيامُنَ ميْلًا إلى الفَالِ الْحَسَنِ وأَصْحَابِ اليَمِينِ، وَهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وإِلَى اليُمْنِ والبرَكَة.

وقَدْ أَفْرَدَ ابْنُ الْحَاجِ الأَنْدَلُسِيّ[6] مِنْ أَهْلِ مَرْيَة تَأْلِيفًا لِصِفَةِ نَعْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مَثَّلَهَا شَيْخٌ لتِلْمِيذٍ لَهُ فجاءَهُ يَوْمًا فقَالَ: رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ مِنْ بَرَكَةِ هَذَا التِّمْثَالِ عَجَبًا: أَصَابَ زَوْجِي وَجَعٌ شَدِيدٌ كَادَ يُهْلِكُها، فَجَعَلْتُ التِّمْثَالَ عَلَى مَوْضِعِ الوَجَعِ وقُلْتُ: اللَّهُمَّ اشْفِهَا بِبَرَكَةِ هَذَا النَّعلِ فشَفاها اللهُ لِلْحِينِ، ومَنْ أَمْسَكَ التِّمْثَالَ مُتَبَرِّكًا بِهِ كَانَ لَهُ أَمَانًا مِنْ بَغْيِ البُغَاةِ وغَلَبَةِ العدَاةِ وحِرْزًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ، وعَيْنِ كُلِّ حَاسِدٍ، وإِنْ أَمْسَكَتْهُ الْحَامِلُ حِين الطَّلْقِ بِيَمِينِهَا سَهُلَتْ وِلَادَتُهَا[7].

---

(1) الشمائل المحمَّديَّة، التّرمذِي، حدِيث (80).

(2) صحيح البخارِي، حدِيث (426)، وصحيح مسلم، حدِيث (76) مع تغيير.

(3) "إجماعا لا وجوب" أضافها المؤلف على الهامِش.

(4) صحيح البخارِي، حدِيث (5855).

(5) ينظَر: التمهيد، ابن عبدالبر، 182/18.

(6) إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم السّلمِيّ البلفيقي، نِسْبَة إِلَى حصن عِنْد ألمرية، يعرف بِابْن الْحَاج نزيل دمشق ت:661هـ، وَكَانَ مُحدثا فَاضلا عَارِفًا مُفِيدا. الوافِي، الصفدِي، 88/6.

(7) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 466/2، وأزهار الرياض، 261/3.

قَالَ أبو اليمن بن عساكر[1]:

يَـا مُنْشِـدًا فِي رَبْعِ رَسْـمٍ خَـالِي[2] ... وَمُـنَـاشِـدًا لِـدَوَارِسِ الْأَطْـلَالِ
دَعْ نَـدْبَ آثَـارٍ وَذِكْـرَ مَـآثِـرٍ ... لِأَحِـبَّـةٍ بَـانُـوا وَعَصْـرٍ خَـالِـي
وَالْـثِـمْ ثَـرَى الْأَثَـرِ الْـكَـرِيـمِ فَـحَـبَّـذَا ... أَنْ فُـزْتَ مِـنـهُ بِـلَـثْـمِ ذَا الـتِّـمْـثَـالِ
أَثَـرٌ لَـهُ بِـقُـلُـوبِـنَـا أَثَـرٌ لَـهَـا ... شُـغْـل الْخَلِيِّ بِحُـبِّ ذَاتِ الْخَـالِ
[180و] قَبِّلْ لَكَ الْإِقْبَالُ نَعْلَيْ أَحْمَصٍ ... حَـلَّ الْـهِـلَالُ لَـهَـا مَـحَـلَّ قِـبَـالِ
أَلْصِـقْ بِـهَـا قَـلْـبًـا يُـقَـلِّـبُـهُ الْـهَـوَى ... وَجِـلًا عَـلَـى الْأَوْصَـابِ وَالْأَوْجَـالِ
صَـافِحْ بِـهَـا خَـدًّا وَعَـفِّرْ وَجْـنَـةً[3] ... فِـي تُـرْبِـهَـا وَجْـدًا وَفَـرْطَ فِـعَـالِ[4]
سَـيبـلٌ حَرُّ جَوًى ثَـوَى بِـجَـوَانِـحٍ[5] ... فِي الْـحُـبِّ مَـا جَنَحَـتْ إِلَى الْإِبْلَالِ
يَا شِـبْهَ نَعْلِ الـمصْـطَفَى رُوحِي الْفِدَا ... لِمحلِّـكَ الْأَسْـمَى الشَّـرِيفِ الْغَـالِي
هَـمـلَـتْ لِـمَـرْآكَ الْـعُـيُـونُ وَقَـدْ نَـأَى ... مَـرْمَـى الْـعِـيَـانِ بِـغَـيْـرِ مَـا إِهْـمَـالِ
وَتَـذَكَّـرَتْ عَـهْـدَ الْـعَـقِـيقِ فَـنَـاثَـرَتْ[6] ... شَـوْقًـا عَقِيق الـمـدْمَعِ الْهَطَّـالِ
وَصَـبَـتْ فَوَاصَـلَـتِ الْحَنِينَ إِلَى الذِي ... مَـا زَالَ بَـالِـي مِـنْـهُ فِـي بَـلْـبَـالِ
أَذْكَـرتـنِـي قَـدَمًـا لَـهَـا قـدَمُ الْـعُـلَا ... وَالْجُودِ وَالـمـعْرُوفِ وَالْإِفْضَـالِ
أَذكـرتـنِـي مَـنْ لَـمْ يَـزَلْ ذِكْـرِي لَـهُ ... يَـعْـتَـادُ فِـي الْأَبْـكَـارِ وَالْآصَـالِ
وَلَهَا الـمفَاخِرُ وَالـمآثِرُ فِي الدُّنَا ... وَالـدِّيـنِ فِـي[7] الْأَقْـوَالِ وَالْأَفْـعَـالِ
لَوْ أَنَّ خَـدِّي يُـحْـتَـذَى بِنِعَـالِـهَـا[8] ... لَبَلَغْـتُ مِنْ نَيْـلِ الـمنَى آمَـالِي
أَوْ أَنَّ أَجْـفَـانِـي لِـوَطْءِ نِـعَـالِـهَـا ... أَرْضٌ سَـمَـتْ عِـزًّا بِـذَا الْإِذْلَالِ[9]

---

(1) عبد الصمد بن عبد الوهاب بن عساكر الدمشقي الشافعي، نزيل الحرم، أبو اليمن، أديب، محدِّث، ولِدَ بدمشق سنة 614هـ، وانقطع بمكة نحو أربعين سنة، وتوفي بالمدينة سنة 686هـ، من آثارِهِ: جزء في ذكر فضائل الصلاة على الرسول ﷺ. فوات الوفيات، الكتبِي، 328/2، ومعجم المؤلفِين، 153/2.

(2) العروضة مختلة على وزن: فعْلاتُنْ، وفي الأصل تكون: متَفاعِلُنْ، ويكون الضَّرب على وزن فعلاتُنْ.
وهي كذلك في المصدرين.

(3) فِي الأصل: وعفرة وجنة، والتصحيح من المواهب وأزهَار الرياض.
عفَّر تعفِيرا: مرَّغ في التراب، لسان العرب (عفر)، والوَجْنَةُ ما ارتفع من الخَدَّيْنِ، لسان العرب (وجن).

(4) في الهامِش: وفِي نسخة تَغالِي، هي رواية أزهار الرياض.

(5) فِي الهامِشِ: أي: أقامَ فِي ضلوع.

(6) في المواهب: فتأثَّرَتْ.

(7) في المواهِبِ: و.

(8) في المواهِب: يُحتذَى نعلا لها، وفي أزهار الرياض: يحتذي لمثالها.

(9) الأبيات من الكامِل، المواهب اللدنية، القسطلاني، 467/2، أزهار الرياض، المقرِّي 262/3.

وقَالَ ابْنُ المرَحِّلِ[1]:

بِوَصْـــفِ حَبِيبِي طَرَّزَ الشِّـــعْرَ نَاظِمُهْ ... وَنَمْنَمَ[2] خَـدَّ الطِّرْسِ بِـالنَّقْشِ رَاقِمُـهْ
رَؤُوفٌ عَطُوفٌ أَوْسَـــعُ النَّـاسِ رَحْمَـةً ... وَجَـادَتْ عَلَيْـهِمْ بِـالنَّوَالِ غَمَـائِمُـهْ
لَهُ الْحُسْـنُ وَالْإِحْسَـانُ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ ... فَـآثَـارُهُ مَـحْبُـوبَـةٌ وَمَـعَـالِـــــمُـهْ
بِـهِ خَـتَـمَ اللـهُ النَّـبيئِـين كُـلَّـهـمْ ... وَكُـلُّ فعَـال صَـــالِحٍ فَهُوَ خَـاتِمُـهْ
أُحِـبُّ رَسُـــولَ اللـهِ حُبًّـا لَوْ أَنَّـهُ ... تَقَـاسَـــمَـهُ قَوْمِي كَفَتْهُمْ قَسَـــائِمُـهْ
كَـأَنَّ فُـؤَادِي كُـلَّـمَـا مَـرَّ ذِكْـرُهُ ... مِنَ الْوُرْقِ خَفَّـاق أُصِـيبَـتْ قَوَادِمُـهْ
أَهِيـمُ إِذَا هَـبَّـتْ نَـوَاسِـــمُ أَرْضِـــهِ ... وَمَـنْ لِـفُـؤَادِي أَنْ تَـهُـبَّ نَـوَاسِـــمُـهْ
فَـأَنْشَـــقَ مِسْـــكًـا طَيِّبًـا وَكَـأَنَّمَـا ... نَـوَافِـجُـهُ جَـاءَتْ بِـهِ وَلَـطَـائِـمُـهْ[3]
وَمِـمَّـا دَعَـانِـي وَالـدَّوَاعِـي كَـثِـيـرَةٌ ... إِلَى الشَّـــوْقِ أَنَّ الشَّـــوقَ مِمَّا أُكَاتِمُهْ
مِـثَـالٌ لِـنَـعْـلَـيْ مَـنْ أُحِـبُّ حَـوَيْـتُـهُ ... فَـهَـا أَنَـا فِي يَـوْمِي وَلَيْلِي أُلَاثِـمُـهْ
أَجُرُّ عَـلَى رَأْسِـــي وَوَجْـهِي أَدِيـمَـهُ ... وَأَلْـثِـمُـهُ طَـوْرًا وَطَـوْرًا أُلَازِمُـهْ
أُمَثِّلُـهُ فِي رِجْـلِ أَكْرَمِ مَـنْ مَشَـــى ... فَتُبْصِـــرُهُ عَيْنِي وَمَـا أَنَـا حِـالِـــــمُـهْ
أُحَـرِّكُ خَـدِّي ثُـمَّ أَحْسِـــبُ وَقْـعَـهُ ... عَلَى وَجْنَتِي خَطْوًا هُنَـاكَ يُـدَاوِمُـهْ
وَمَنْ لِي بِوَقْعِ النَّعْـلِ فِي حُرِّ وَجْنَتِي ... لِمَـاشٍ عَلَـتْ فَوْقَ النُّجُومِ بَرَاجِمُـهْ
[180ظ] سَـأَجْعَلُهُ فَوْقَ التَّرَائِبِ عُوذَةً ... لِقَلْبِي لَعَـلَّ الْقَلْـبَ يَبْرُدُ جَـاحِمُـهْ
وَأَرْبِـطُـهُ فَـوْقَ الشُّـــئُـون تَـمِـيـمَـةً ... لِجَفْنِي لَعَلَّ الْجَفْنَ يَرْقَأُ سَـــاجِمُهْ[4]
أَلَا بِـأَبِي تِـمْثَـالُ نَـعْـلِ مُـحَـمَّـدٍ[5] ... لَـطَـابَ لِـحَـادِيـهِ وَقَـدَّسَ خَـادِمُـهْ
يَـوَدُّ هِـلَالُ الْأُفُـقِ لَـوْ أَنَّـهُ هَـوَى ... يُـزَاحِـمُـنَـا فِـي لَـثْـمِـهِ وَنُـزَاحِـمُـهْ
وَمَـا ذَاكَ إِلاّ أَنَّ حُـبَّ نَـبِـيـئِـنَـا ... يَـقُـومُ بِـأَجْسَـــامِ الْـخَلِيقَـةِ لَازِمُـهْ
سَـــلَامٌ عَلَيْـكَ كُلَّمَـا هَبَّـت الصَّـــبَـا ... وَغَنَّـتْ بِـأَغْصَـــانِ الْأَرَاكِ حَمَـائِمُـهْ[6]

وقالَ أَبُو بَكْرٍ بنُ أَحْمَد بنِ مُحَمَّد عبْدُ اللهِ بنُ الحُسَيْنِ الْقُرْطُبِيّ:

وَنَعْـلٍ خَضَـــعْنَـا هَيْبَـةً لِجَلَالِهَـا ... وَإِنَّـا مَتَى نَخْضَـــعْ لَهَـا أَبَـدًا نَعْلُو

---

(1) أبو الحكم مالك بن المرحل: المالقي النَّحْوِيّ الأديب تحرف بصناعة التوثيق، وَولي الْقَضَاء بجهات غرناطة، وَله نظم فصيح ثَعْلَب وَغَيره. ينظر: بغية الوعاة، 271/2. وذكريات مشاهير رجال المغرب، عبد الله كنون، 992/2.

(2) في الهامِش: أي زخرف ونقش.

(3) في الهامِش: النوافج: أوعية المِسْكِ، واللَّطائِم: الإبل الحامِلَة لهُ.

(4) في الهامِش: يرقأ ساجمه: أي (كلمة لم أتبينها جيدا لعلها: دمعُهُ) السّائِلُ.

(5) فِي الهامِشِ: ﷺ، دون تحدِيد مكانها من المتنِ.

(6) القصيدة من الطويل، المواهب اللدنية، القسطلاني، 468/2، و الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، 511/1، وأزهار الرياض، المقرّي 263/3-264.

فَضَــعْهَا عَلَى أَعْلَى الـــــمفَارِقِ إِنَّهَا ... حَقِيقَتُهَـا تَـاجٌ وَصُـــورَتُـهَـا نَعْـلُ
بِـأَخْمَصِ خَيْرِ الْخَلْقِ حَـازَتْ مَزِيَّـةً ... عَلَى التَّاجِ حَتَّى بَاهَتِ الـــمفْرَقَ الرِّجْلُ
طَرِيقُ الْهُدَى عَنْهَا اسْــتَنَارَتْ لِمُبْصِــرٍ ... وَإِنَّ بِحَـارَ الْجُودِ مِنْ فَيْضِـــهَـا يَحْلُو
سَــلَوْنَـا وَلَكِنْ عَنْ سِــوَاهَـا وَإِنَّمَـا ... يَهِيمُ بِمَغْنَـاهَـا الْغَرِيـبُ وَمَـا نَسْــلُو
فَمَـا شَــاقَنَا مُذْ رَاقَنَا رَسْــمُ عِزِّهَا ... حَـمِيـمٌ وَلَا مَـالٌ كَـرِيـمٌ وَلَا نَسْــلُ
شِــفَـاءٌ لِـذِي سُــقْمٍ رَجَـاءٌ لِبَـائِسٍ ... أَمَانٌ لِذِي خَوْفٍ كَذَا يُحْسَبُ الْفَضْلُ[1]

ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ العلِيِّ العظِيمِ.

الفَصْلُ الرَّابِعُ: يُروَى أَنَّهُ يُبْصِرُ مِنْ وَرَائِهِ كَمَا يُبْصِرُ مِنْ قُدَّامِهِ

قال اللهُ ﷻ: ﴿ **مَازَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَاطَغَىٰ** ﴿17﴾ ﴾[2] أيْ: مَا مَالَ عمَّا رَأَى ومَا تَجَاوَزَهُ، بَلْ أَثْبَتَهُ إِثْبَاتًا صَحِيحًا، ومَا عَدَلَ عَنْ رُؤْيَةِ الْعَجَائِبِ التِي أُمِرَ بِرُؤْيَتِها. قالَ ابْنُ عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عنْهُما: ((**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يرَى باللَّيْلِ في الظّلْمَةِ، كَمَا يَرَى بالنَّهَارِ فِي الضَّوْءِ**))[3] رَوَاهُ البيهقِيّ في "الدَّلائِلِ".

ونُسِبَ لِلْبخَارِي، ولَا يُوجَد فِيه، ولَعَلَّهُ في بَعْضِ نُسَخِهِ، قالَ شَارِحُ الْبَيْهَقِيّ بَعْدَ قَوْلِ البَيْهَقِيّ إِنَّهُ حَسَنٌ مَا نَصُّهُ: ولَعَلَّهُ لاعْتِضَادِهِ وإِلَّا فَقَدْ قَالَ السُّهَيْلِيّ: لَيْسَ بِقَوِيٍّ، وضَعَّفَهُ ابنُ دِحْيَةَ[4]، أيْ: نَقَلَ تَضْعِيفَهُ عن ابن بشكوال لأَنَّ فِي سَنَدِهِ ضُعْفًا[5].

وقَوْلُهُ في "الظّلمةِ" أَيْ: ولَا سِيَّمَا فِي اللَّيلِ المقْمِر، أو مَعَ المصْبَاحِ، وقَوْلُهُ "فِي الضَّوْءِ" بِمَعْنَى أَنَّ رُؤْيَتَهُ فِي النَّهَارِ الصَّافِي واللَّيلِ المظْلِمِ مُتَسَاوِيَةٌ؛ لِأَنَّ اللهَ تعَالَى لَمَّا رَزَقَهُ الاطِّلاعَ بالبَاطِنِ، والْإِحَاطَةَ بِإِدْرَاكِ مُدْرَكَاتِ الْقُلُوبِ، جَعَلَ لَهُ مِثْلَ ذلِكَ في مُدْرَكَاتِ الْعُيُونِ، ومِنْ ثَمَّ كان يرَى المحْسُوسَ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ كمَا يَرَاهُ مِنْ أَمَامِهِ. ولا يردُّ علَى هَذَا اسْتِصْبَاحُهُ؛ لِأَنَّهُ يَسْتَصْبِحُ لأَهْلِهِ. ولَا يردُّ حَدِيثُ: ((**أَنَّهُ ﷺ قامَ لَيْلَةً فَوَطِئَ علَى زَيْنَبَ بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ بِقَدَمِهِ، وهِي نَائِمَةٌ فبَكَتْ فقَالَ: أَمِيطُوهَا** [181و] **عنَّا**))[6] لِأَنَّهُ حُجِبَ عَنْ ذَلِكَ حِينئِذٍ لِيعلمَ أَنَّهُ لَا يَنَامُ أَحَدٌ ببَيْتِ ذِي الْأَهْلِ[7].

---

(1) الأبيات من الطويل، المواهب اللدنية، القسطلاني، 470/2، وأزهار الرياض، المقرّي 264/3.

(2) سورة النجم: 17.

(3) دلائل النبوة، البيهقي، 75/6.

(4) لم أقف على قول السّهيلي في الروض الأنف.

(5) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 263/5.

(6) لم أقِفْ عليهِ بلفظِهِ.ينظر: المنتخب من كتاب أزواج النبي، الزبير بن بكار، ص43.

(7) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 263/5.

وفِي حدِيثٍ: ((**كان يَرَى مِنْ خلْفِهِ الصُّفوفَ، كما يرَى مِنْ بيْنِ يَدَيْهِ**))[1] قال عياض: وإنَّما حدثَتْ هذه الآيَةُ لهُ ﷺ بعدَ ليْلَةِ الإسراءِ، كما أنَّ موسَى كان يَرَى النَّملةَ السَّوداءَ في اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ مِنْ مَسِيرةِ عشرَةِ فَرَاسِخ بَعْدَ ليلة الطُّورِ، ومرادُهُ بالآيَةِ ما يَشْمَلُ الآيتَيْنِ في الحَدِيثِ[2] واللهُ أَعْلَمُ.

وَمِنْ فضلِ اللهِ عليَّ، أنَّ هذا التَّشبِيهَ بموسَى ظَهَرَ لِي والحمدُ للهِ قبلَ الاطِّلاعِ عليهِ.

وعن عائِشَةَ رضِيَ اللهُ عنها: ((**كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يرَى فِي الظَّلماءِ كما يرَى فِي الضَّوْءِ**))[3] رواه البيهقِيّ وابن عديّ وابن مَخلَد[4][5]، وضعَّفهُ ابن الجوزِيّ[6] والذَّهَبِيّ[7]، لكنَّهُ يعتضِدُ بشواهِد فهُوَ حسَنٌ كما قالَ السّيوطِيّ[8][9].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أنَّهُ ﷺ قَالَ: ((**هَلْ تَرَوْنَ قِبْلَتِي هَاهُنا؟ فوَاللهِ مَا يَخْفَى عَلَيَّ رُكُوعُكُم ولَا سُجُودُكُمْ، إنِّي لَأَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي**))[10] روَاهُ البُخَارِي ومُسْلِم. وفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِي: ((**فَوَاللهِ مَا يَخْفَى عَلَيَّ خُشُوعُكُم ولَا رُكُوعُكُمْ**))[11] وفِي رِوَايَةٍ تَقْدِيمُ الرُّكوعِ علَى الخُشوعِ[12]. قالَ ابْنُ حَجَر وغَيْرُهُ: أيْ أَرَاكُمْ فِي جمِيعِ الْأَرْكَانِ، وفِي السُّجُودِ غَايَة الخُشُوعِ، وقَدْ يُرادُ بِهِ الأَرْكَانُ كُلُّها، فَذَكَرَ الرُّكوعَ مَعهُ؛ لأَنَّهُ مَنْ أَدْرَكَ الرُّكوعَ فقَدْ أَدْرَكَ الرَّكْعَةَ تامَّةً، وأَخْبَرَهُم بأَنَّهُ يَرَاهُم لِيَتْرُكوا الالْتِفاتَ وعدَم الْخُشُوعِ، وعِنْدَ مُسْلِم مِنْ رِوَايةِ أنس بن مالك: ((**أَنَّه ﷺ قَالَ: أيُّها النَّاسُ إنِّي أَمَامَكُمْ فلَا تَسْبِقونِي بِالرُّكوعِ ولَا بِالسُّجودِ، فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ أَمَامِي ومِنْ خَلْفِي**))[13] وكذَا يُقَدَّرُ قَوْلُهُ: فَلَا تَسْبِقونِي بِرُكوعٍ أَوْ سُجُودٍ[14].

---

(1) ورد بِمعناه، صحيح البخارِي، حدِيث (418).

(2) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 263/5.

(3) دلائل النبوة، البيهقِي، 75/6، والكامل في ضعفاء الرجال، ابن عدي، 365/5.

(4) بقِيّ بن مَخْلَد بنِ يَزِيْدَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الأَنْدَلُسِيّ القُرْطُبِي، الحَافِظُ، صَاحِبُ (التَّفْسِيْرِ) وَ(المُسْنَدِ)، وُلِدَ: فِي حُدُودِ سَنَةِ مئَتَيْنِ، سَمِعَ مِنْ: يَحْيَى بنِ يَحْيَى اللَّيْثِيّ، ويَحيَى بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ بُكَيْرٍ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 285/25.

(5) رواية ابن مخلد فِي الشِّفا، القاضِي عياض، ص157.

(6) العلل المتناهِيَة، ابن الجوزِي، حدِيث 266.

(7) ميزان الاعتدال، الذَّهبِي، 487/2.

(8) الفتح الكبير، السيوطِي، 379/2، ولم يذكر فيه التحسين.

(9) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 263/5.

(10) صحيح مسلم، حدِيث (109).

(11) صحيح البخارِي، حدِيث (418).

(12) (م، س)، حدِيث (741).

(13) صحيح مسلم، حدِيث (112).

(14) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 264/5.

وفِي رِوَايَةٍ: ((**أيُّها النَّاسُ إنِّي أَمَامَكُمْ، وإنِّي أَرَاكُمْ مِنْ خَلْفِي كمَا أَرَاكُمْ مِنْ أَمَامِي**))[1].

وفِي البُخَارِي عَنْ أَنَس: ((**صَلَّى بِنَا النَّبِيءُ ﷺ صَلَاةً ثُمَّ رَقِيَ فِي المِنْبَرِ فقَالَ: فِي الصَّلَاةِ وفِي الرُّكوعِ إنِّي لَأَرَاكُمْ مِنْ وَرَائِي كمَا أَرَاكُمْ مِنْ أَمَامِي**))[2] وفِي مُسْلِم: ((**إنِّي لَأُبْصِرُ مِنْ وَرَائِي كمَا أُبْصِرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ**))[3].

قالَ ابْنُ حَجَر: ظَاهِرُ الْحَدِيثِ أنَّ ذَلِكَ يَخْتَصُّ بِحَالَةِ الصَّلاةِ، ويحْتَملُ أنْ يَكُونَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ مِمَّا نُقِلَ عنْ مُجَاهِد، وحَكَى ابن مخلد أَنَّهُ ﷺ كانَ يُبصِرُ في الظُّلمةِ كما يُبصِرُ في الضَّوءِ[4].

وصَرَّحَ جمَاعَةٌ مِن المتَقَدِّمِينَ بالْعُمُومِ، وعَلَّلُوهُ بِأَنَّهُ كانَ يُبْصِرُ منْ خَلْفه؛ لِأَنَّه كانَ يرَى مِنْ كُلِّ جِهَةٍ[5].

وعن مُجَاهِد فِي قولِهِ تَعَالى: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾[6] كانَ ﷺ يرَى مَنْ خَلْفه مِن الصُّفوفِ، كما يرَى مَنْ بَيْن يَدَيْهِ[7]. أيْ: فهُوَ يَرَاهُمْ قَرُبُوا أو بَعُدُوا مِن خَلْفِهِ وقُدَّامِهِ.

وهَذِه الرُّؤيَة المذكورَةُ فِي حدِيثِ ابنِ عبَّاس وعائِشَةَ وأبِي هريرةَ وأنَس ومُجَاهِد [181ظ] رُؤْيَةُ إِدْرَاكِ بَصَرٍ حَقِيقِيّ خَاصٍّ بِهِ ﷺ انْخَرَقَتْ فِيهِ العَادَةُ. والرُّؤيةُ مِن حَيْثُ هيَ، لا بِقَيْدِ وَصْفِ المصْطَفَى ﷺ بِهَا، لَا تَتَوَقَّفُ علَى وُجُودِ آلَتِها التِي هِيَ العَيْنُ، ولَا عَلَى وُجُودِ شُعَاعٍ ولَا عَلَى مُقَابَلَةٍ[8].

وإِنَّما نَمْنَعُ رُؤْيَةَ اللهِ سُبْحَانَهُ؛ لأَنَّهَا إِدْرَاكٌ، وبِأَيِّ وَجْهٍ كانَت الرُّؤيَةُ كانَ الإِدْرَاكُ، وهُوَ مُمْتَنِعٌ لِإِفْدَائِهِ إِلَى التَّحَيُّزِ والْجِهَاتِ، وغَيْرِ ذلِكَ مِن سائِرِ صِفَاتِ الخَلْقِ.

وفِي ذلكَ رَدٌّ علَى مَنْ قَالَ رُؤيَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَنْ خَلْفَهُ علمهُ بالْوَحْيِ إِلَيْهِ بِحَالِهِم أو بِإِلْهَامِهِ، ولَوْ كانَ المرادُ بالرُّؤيَةِ العِلْمُ لَمْ يُقَيِّدْها بمَنْ خَلْفَهُ.

وسَائِرُ النَّاسِ تتَوَقَّفُ صِفَةُ الرُّؤْيَا فِي حَقِّهِمْ علَى الْحَاسَّة والشُّعاعِ والمقَابَلَةِ، فكَانَ إِبْصَارُهُ مَنْ خَلْفَهُ خَرْقَ عَادةٍ فِي حَقِّهِ ﷺ، وخَالِقُ البَصَرِ فِي العَيْنِ قَادِرٌ علَى خَلْقِهِ في غَيْرِها، فيَجُوزُ أنَّ اللهَ جَلَّ

---

(1) لم أقفْ عليه بهذا اللَّفظِ.

(2) صحيح البخارِي، حدِيث (419).

(3) صحيح مسلم، حدِيث (108).

(4) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 265/5، وفتح البارِي، ابن حجَر، 515/1.

(5) المواهب، القسطلاني، 226/2. وشرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 265/5.

(6) سورة الشعراء: 218-219.

(7) المواهب اللدنية، القسطلَّاني، 226/2، وجامع البيان، الطبرِي، 412/19، والكشف والبيان، الثعلبِي، 183/7.

(8) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 265/5.

وعَلَا خَلَقَ فِيهِ قُوَّةَ الْبَصَرِ فِي غَيْرِها، فيُدْرِكُ مَنْ خَلْفَهُ بآلَةٍ فِي أَيِّ مَحَلٍّ مِنْ جَسَدِهِ، وهَذَا بَيَانٌ لِلْجَوازِ، ولَمْ نَعْنِ أَنَّهُ الواقِعُ، فإنَّ الأَقْعَدَ حَمْلُ الرُّؤيَةِ مِنْ خَلْف علَى الإِدْرَاكِ بِلَا آلَةٍ[1].

قالَ عَلِيُّ بنُ أَحْمد بنِ الحَسَن[2]: هذِهِ الآيَةُ قدْ جَعَلَها اللهُ تعَالَى دَالَّةً علَى ما فِي حقِيقةِ أَمْرِهِ فِي الاطِّلاعِ البَاطِنِ؛ لِسَعَة عِلمِهِ ومَعْرِفَتِهِ، لَمَّا عَرَّفَ وأَبْلَغَ النَّاسَ أَنَّ اللهَ واحِدٌ فِي ذاتِهِ وفِعلِهِ وقولِهِ وصِفتِهِ، جوزِيَ بالاطِّلاعِ على ما بَيْنَ يَدَيْهِ وغَيْرِهِ، وعلَى مَا سبَقَ ومَا تَأَخَّرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فلَمَّا أَدْرَكَ ذَلِكَ بالقَلْبِ جَعَلَهُ اللهُ يُدْرِكُ منْ وَرَاءَهُ كمَا منْ قُدَّامه[3].

وذَكَرَ مُخْتَارُ بنُ مَحْمود[4] بنِ محمَّد أَبُو الرَّجاء [5]: أَنَّه ﷺ كانَ لَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عيْنَانِ كَسَمِّ الخِياطِ، يُبصِرُ بِهِما ولا تَحْجُبُهُما الثِّيابُ[6].

ونُوزِعَ بأَنَّهُ لا يَصِحُّ؛ لأَنَّه لَوْ كَانَ لِإِنْسانٍ عينيْنِ في قَفَاهُ لَكَانَ أَقْبَحَ شَيْءٍ، وانتَصَرَ لهُ بَعْضٌ بِأَنَّ مِثْلَ هذا لا يُقالُ بالرَّأيِ[7].

وقِيلَ: معنَى نَظَرُهُ مَن خَلْفَهُ أَنَّهُ كَانَتْ صُوَرُهُم تَنْطَبِعُ لهُ فِي حَائِطٍ قُدَّامَهُ، كمَا تَنْطَبِعُ في المرْآةِ فيَرَى أَمْثِلَتَهُم فيُشَاهِدُ أفعَالَهُم وأَحْوَالَهُمْ، وهذَانِ الْقَوْلانِ إِنْ كَانَا نُقِلَا مِنْهُ ﷺ بِطَرِيقٍ صَحِيحٍ فمَقْبُولٌ، ويَكُونُ خَرْقًا لِلْعَادةِ، وإِنْ كَانَ رَأْيًا فلَا مَجَالَ لِلرَّأْيِ فِي مِثْلِ هَذَا. والأَقْعَدُ فِي إِثْبَاتِ كَوْنِ ذَلِكَ معْجِزَةً حَمْلُهَا على الإِدْرَاكِ مِنْ غَيْرِ آلَةٍ، وهُو الظَّاهِرُ مِنَ الْحَدِيثِ، وقِيلَ: هَذِهِ الرُّؤْيَةُ رُؤْيَةُ قَلْبِهِ الشَّرِيفِ[8].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَن النَّبِيءِ ﷺ: ((**لَمَّا تَجَلَّى اللهُ لموسَى، كَانَ يُبْصِرُ النَّمْلَةَ عَلَى الصَّفا فِي اللَّيلةِ الظَّلماءِ، مسِيرةَ عشرةِ فراسِخَ**))[9] ولَا يَبْعُدُ أَنْ يُخَصَّ نبِيُّنَا ﷺ بذَلِكَ بَعْدَ الإِسْرَاءِ، والحُظْوة بما رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى[10].

---

(1) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 265/5، بتصرُّف.

(2) عَلِيّ بن أَحْمد بن الْحسن بن إِبْرَاهِيم التجِيبِي الإِمَام أَبُو الْحسن الحرالي الأندلسي، حرالة من أَعمال مرسية، ولد بمراكش وَأخذ الْعَرَبيَّة عَن ابْن خروف وَحجّ وَلَقي الْعلمَاء وجال فِي الْبِلَاد، وَأقَام بحماة وتوفي بهَا سنة 637هـ، له: مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزَّل. طبقات المفسرِين، السيوطِي، ص76، وطبقات المفسرين، الأدنه وي، ص273، ومعجم المؤلفين، 392/2.

(3) المَواهب، القسطَلاني، 227/2، وشرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 266/5، بتصرُّف.

(4) في المواهب: بختيار محب بن محمود.

(5) الغزمِيني نسبةً إلى قصبة من خوارزم، يلقّب نجم الدين، له شرح القُدُوري، وله القنية، تفقه على علاء الدين سديد بن محمد الخيَّاطِي وغيره، ت:658هـ. الوافِي بالوفيات، 211/25، والجواهر المضِيَّة، 460/3.

(6) المَواهب، القسطَلّاني، 227/2، وشرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 266/5.

(7) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 266/5، بتصرُّفٍ.

(8) المَواهب، القسطَلاني، 228/2، وشرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 267/5، بتصرُّف.

(9) لم أقف عليه في كتب الحدِيث، وهو في الشفا، القاضِي عياض، ص157.

(10) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 268/5.

قَالَ بَعْضُهُم: والصَّوابُ والصَّحِيحُ أَنَّهُ يُدْرِكُ مِنْ غَيْرِ آلَةٍ، وقِيلَ: يَرَى مَنْ عَنْ يَمِينِهِ [182و] ومَن عَنْ يَسارِهِ مِمَّن تدرِكُهُ عيْنُهُ مَعَ الْتِفاتٍ يَسِيرٍ في النَّادِرِ، ويُوصَفُ مَنْ هُوَ هُنَاكَ بِأَنَّهُ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، وهذَا ظَاهِر التَّكلُّفِ، وفِيهِ عدولٌ عن الظَّاهِرِ بِلَا مُوجِبٍ، والصَّوابُ حَمْلُهُ علَى ظاهِرِهِ وأَنَّهُ إِدْرَاكٌ حَقِيقٌ خاصٌّ بهِ ﷺ انْخَرَقَتْ بِهِ الْعَادَةُ، أَلَا يُرَى إِلَى قَوْلِهِ ((**هَلْ تَرَوْنَ قِبْلَتِي؟**))[1] وكَذَا قَالَ أَحْمَد[2]، ثمَّ ذلكَ الإِدْرَاكُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِرُؤْيَةِ عَيْنِهِ، انْخَرَقَتْ لَهُ العَادَةُ فِيهِ فَكَانَ يَرَى مِنْ غَيْرِ مُقَابَلَةٍ، سَلَّمْنَا أَنَّ الرُّؤْيَةَ لا يُشترَطُ لها عقلًا عُضوٌ مَخصوصٌ ولا مُقَابَلَةٌ ولا قُربٌ، وإِنَّ ذلكَ أمورٌ عاديَّةٌ يجوزُ حصولُ الإِدْرَاكِ مَعَ عَدَمِها عَقْلًا[3].

ولَكِنْ لَا يُتَوَصَّلُ إِلَى رُؤيَةِ الْبَارِي بذَلِكَ؛ لِأَنَّه إِذَا أُدْرِكَ بأيِّ شيْءٍ فَقَد حصَلَ المحْذورُ، وهُوَ شَبَهُ الخَلْقِ.

وذكرَ ابن الجوزي، بلَا إِسْنَادٍ أَنَّهُ ﷺ قال: ((**إِنِّي لا أَعْلَمُ مَا وَرَاءَ جِدَارِي هذَا**))[4] فإِنْ صَحَّ فَالمرَادُ مِنْهُ نَفْيُ العِلمِ بِالمغَيَّباتِ، لَا خُصُوص مَا وَرَاءَ الجِدَارِ، فَهُوَ مُنَاقِضٌ لِقَوْلِهِ: ((**إِنِّي لَأَرَاكُمْ،** أَيْ: **أَعْلَمُكُمْ، مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي**))[5] وهُوَ مُغَيَّبٌ فيَصِيرُ المعنَى: أَعْلَمُ المغَيَّبَاتِ ولَا أَعْلَمُها[6].

قُلْتُ: إِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا وراءَ الجِدارِ وهُوَ يَعْلَمُ مَنْ وَرَاءَهُ مِن المصَلِّينَ. وإِذَا قُلْنَا الإِدْرَاكُ بالْبَصَرِ فلَا إِشْكالَ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ هُنَا في خَبَرِ الْجِدارِ عنِ الْغَيْبِ، وقَوْلُهُ ((**أَرَاكُمْ مِنْ وراءِ**[7] **ظَهْرِي**)) عن مشاهَدَةٍ فلَمْ يَتوارَدا عَلَى مَحَلٍّ وَاحِدٍ، وعَدَمُ رُؤْيَةِ مَا وَرَاءَ الجِدارِ لَا يُنَافِي الرُّؤيَةَ بِلَا حَائِلٍ. وأَوْرَدَ عَلَى حَدِيثِ الرُّؤيَةِ أَيْضًا قَوْلَهُ ﷺ: ((**أَيُّكُم الذِي رَكَعَ دُونَ الصَّفِّ؟** فقَالَ أَبُو بَكْر[8]: أَنَا))[9] إِذْ لَوْ كَانَ يَرَى ما سَأَلَ، وأَجَابَ ابنُ عبْدِ البَرِّ بأنَّ قِصَّةَ أَبِي بكْر[10] كانَتْ قَبْلَ أَنْ فَضَّلَهُ اللهُ بهذِهِ الفَضِيلةِ؛ فإِنَّ شؤُونَهُ ﷺ تتَزَايَدُ دَائِمًا[11][12].

---

(1) سبق تخريجه، صحيح البخارِي، حدِيث (418).

(2) مسند أحمد، حدِيث (8023).

(3) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 268/5، بتصرُّف.

(4) لم أقف عليه في كتب الحدِيث، ولا في كتب ابن الجوزِي، ينظر: أشرف الوسائل إلى فهم الشّمائل، ابن حجر الهيثمِي، ص71.

(5) سبق تخريجهُ، صحيح مسلم، حدِيث (109).

(6) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 268/5.

(7) في الأصل: ورائِي.

(8) خطأ صوابه: أبو بكرة.

(9) سنن أبي داود، حدِيث (684).

(10) خطأ سبق التنبيه عليه، صوابه: أبي بكرة.

(11) قول ابن عبد البر فِي الاستذكار، ابن عبد البر، 6/ 271.

(12) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 269/5.

وفِي "أبي داود" عَنْ مُعَاوِيَةَ مَا يَدُلُّ علَى أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ[1].

وفِي "المقَاصِد الْحَسَنَةِ" لِمُحَمَّد بنِ عَبْدِ الرَّحمنِ السَّخاوِي[2]: ((**مَا أَعْلَمُ مَا خَلْفَ جِدَارِي**))[3] قالَ ابْنُ حَجَر: لَا أَصْلَ لَهُ[4]، ولَكِنَّهُ قَالَ: أحادِيثُ الرُّؤيَةِ لمن خلفَهُ مقيَّدةٌ بالصَّلاةِ[5]. ولعلَّ المرادَ لا أَصْلَ لَهُ مُعْتَبَرٌ؛ لكَوْنِهِ ذُكِرَ بِلَا إِسْنَادٍ ولَمْ يُرِدْ بُطْلانَهُ، وقَدْ أخْبرَ بِمُغَيَّباتٍ كثِيرةٍ فكَأَنَّهُ قَالَ: لَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا أَعْلَمَنِي اللهُ[6].

وانْظُرْ إِنْ كانَ بَيْنَهُ ﷺ وبيْنَ صَفٍّ حَائِطٌ هَلْ ينْكَشِفُونَ لَهُ مِنْ ورَائِهِ ويَدْخُلونَ فِي قولِهِ: ((**يرَى مَنْ خَلْفَهُ**)) فقِيلَ: نَعَمْ، وقِيلَ: لَا، ولَكِنْ لا يُصَلَّى مِنْ[7] خَلْفِ السِّتْرِ إِلَى الْإِمَامِ، إِلَّا إِنْ كانَ يَظْهَرُ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِ أَوْ مِنْ فُرْجَةٍ.

وقَالَ [ابن مجاهد[8]][9] كَمَا مَرَّ أَنَّهُ يَرَى مَنْ خَلْفَهُ في حَالِ الصَّلاةِ وغَيْرِهَا، وفِي تَأْوِيلِ رُؤْيَتِهِ مَنْ خَلْفَهُ تَعْطِيلٌ لِلَفْظِ الشَّارِعِ بِلَا ضَرُورَةٍ، مَعَ أنَّ فِي إِبْقَائِهِ علَى ظَاهِرِهِ زِيَادَةً لِكَرَامَتِهِ ﷺ[10].

ورُوِيَ أَنَّهُ ﷺ وَرَدَ علَيْهِ وَفْدُ عَبْدِ القَيْس وفِيهِم غُلَامٌ وَضِيءٌ فأَقْعَدَهُ ورَاءَ ظَهْرِهِ، فَالجَوَابُ أَنَّهُ مَعَ كَوْنِهِ رُوِيَ مُسْنَدًا ومُرْسَلًا والْحُكْمُ عَلَيهِ بالنَّكَارَةِ [182ظ] فَعَلَهُ ﷺ، إِنْ صَحَّ، كمَا قَالَ ابنُ الجَوْزِيّ، وكَمَا ظَهرَ لِي قَبْلَ الاطِّلاعِ عَلَيْه، لِيسن أَوْ لِأَجْلِ غَيْرِهِ[11]، ولَا يَعْلَمُ مِنَ الْغَيْبِ إِلَّا مَا أَعْلَمَهُ اللهُ، وَمِمَّا أَعْلَمَهُ شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنَ الْغُيُوبِ كَفَتْحِ الْأَمْصَارِ وقَصَصٍ ووَقَائِع. وقَدْ قَالَ مُنَافِقٌ: إِنَّ مُحَمَّدًا يَزْعُمُ أَنَّهُ يَعْلَمُ خَبَرَ السَّمَاءِ وهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ، ولَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ قَالَ: ((**وَاللهِ لَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا أَعْلَمَنِي رَبِّي، وقَدْ دَلَّنِي اللهُ عَلَيْها هِيَ فِي شِعبِ كَذَا حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا فوَجَدُوهَا كَمَا قَالَ ﷺ**))[12][13].

---

(1) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 269/5. يشير إلى حدِيثِ: ((**لا تُبادِروني بِرُكوعٍ ولا بسُجودٍ، فإنه مهما أسبِقْكم به إذا ركعتُ تُدرِكوني به إذا رفعتُ، إنّي قد بَدَّنتُ**)) حدِيث (619).

(2) محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي ولد بالقاهرة سنة 831هـ فقيه شافعِي، مقرئ محدث، أصله من سخا من قرى مصر، توفي بالمدينة سنة 902هـ. من تآليفه الكثيرة: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، المقاصد الحسنة في الأحاديث الجارية على الألسنة، البستان في مسألة الاختتان. معجم المؤلفين، 399/3.

(3)لم أقف عليه بلفظه في كتب الحديث.

(4)لم أجدْ قول ابن حجر في فتح البارِي وغيره من كتبه.

(5) تلخيص الحبير، ابن حجر، 296/3.

(6) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 269/5، والمقاصد الحسنة، حدِيث (934) بتصرُّف.

(7) في الأصل: ومن. واو زائدة.

(8) خطأ صوابه: مجاهد كما في المقاصد الحسنة وشرح الزرقاني.

(9) سبق تخريج قول مجاهد، شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 265/5، وفتح البارِي، ابن حجَر، 515/1.

(10) المقاصِد الحسنة، حدِيث (934) وشرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 270/5، بتصرف.

(11) انتهى النقل من المقاصد الحسنة، حدِيث (934).

(12) السيرة النبوية، ابن هشام، 527/1.

(13) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 270/5.

وذَكَرَ عِيَاضٌ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَرَى فِي الثُّرَيَّا أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا[1]، أَيْ: لَيْلًا أَوْ لَيْلًا ونَهَارًا لِمَا مَرَّ أَنَّ رُؤيَتَهُ فِيهِمَا سَوَاءٌ، وعِنْدَ السُّهيلِيّ اثْنَيْ عَشَرَ نَجْمًا[2]، وجَزَمَ القُرْطُبِيّ[3] بِالْأَوَّلِ[4][5].

قُلْتُ: لَا سَنَدَ لذلِكَ ولَا يُوجَدُ في كُتُب الحَدِيثِ، والنَّاسُ يقُولُونَ: لا تَزِيدُ علَى تِسْعَةِ أَنْجُمٍ بالتَّاءِ المثَنَّاةِ أَوَّلًا، وشهرَ أَنَّها سَبْعَةٌ بالموَحَّدَةِ بَعْدَ السِّين.

وقَالَ فِي "مَنَاهِج الفِكر"[6] سِتَّةُ أَنْجُمٍ صِغَارٍ طُمِسَتْ، يَظُنُّها مَنْ لَا مَعْرِفَةَ لَهُ سَبْعَة مُجْتَمِعَة بينَها نُجُومٌ صِغَارٌ كالرَّشَّاشِ، ويُحكَى أَنَّها اثْنَا عشَرَ نَجْمًا، لمْ يَتَحَقَّقِ النَّاسُ مِنها غَيْرَ سِتَّةٍ أَوْ سبْعَةٍ ولَمْ يَرَ جَمِيعَهَا غَيْرُ النَّبِيءِ ﷺ لِقُوَّةٍ جَعَلَهَا اللهُ فِي بَصَرِهِ[7].

وفِي الْحَدِيثِ: ((**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا الْتَفَتَ الْتَفَتَ جَمِيعًا وكانَ خافِضَ الطَّرْفِ**))[8] لِتَوَاضُعِهِ، ولَا يَنْظُرُ إِلَى جَوَانِبِهِ. وقِيل: خَفْضُ بَصَرِهِ كِنَايَةٌ عَن الْحَيَاءِ أَوْ لَيْنِ جَانِبِهِ أَوْ عَدَمِ كثْرَةِ سُؤالِهِ واسْتِقْصَاءِهِ إِلَّا فِي وَاجِبٍ، ونَظَرُهُ إِلَى الْأَرْضِ أَكْثَرُ مِن نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ؛ لِأَنَّهُ أَجْمَعُ لِلْفِكرَةِ وأَوْسَعُ لِلْاعْتِبَارِ، لاشْتِغالِهِ بالْبَاطِنِ وإِعْمَالِ جنَانِهِ فِيمَا بُعِثَ لِأَجْلِهِ، أَوْ لِكَثْرَةِ حَيَائِهِ وأَدَبِهِ مَعَ رَبِّهِ، أَوْ لِأَنَّهُ بُعِثَ لِتَرْبِيَةِ أَهْلِ الأَرْضِ لَا أَهْل السَّمَاءِ، والأَوَّلُ أَحْسَنُ[9].

وَرَوَى أبو داود: ((**أَنَّهُ ﷺ كانَ إِذَا جَلَسَ يتَحَدَّثُ يُكْثِرُ أن يَرْفَعَ طَرفَهُ إِلَى السَّماءِ**))[10] أَوْ يُحْمَلُ الإِكْثَارُ علَى الحَقِيقيّ، لا الإِضَافِيّ، ولَا يَخْفَى أَنَّ كَثْرَةَ الشَّيْءِ لا تُنَافِي أنْ يَكُونَ غَيْرُهُ أَكْثَرُ[11].

---

(1) الشفا، عياض، ص157، وفيه: نجما، كما في شرح الزرقاني.

(2) لم أقِفْ عليه في الرّوض الأُنُف.

(3) أبو عبد الله، المفسّر المعروف، نسبَ إليهِ حاجي خلِيفة أرجوزةً في أسماء النبّي. كشف الظنون، 62/1.

(4) قال القرطبِي ذلك في أرجوزةٍ له سمّاها "أسماء النبِيّ ﷺ"، لم أقفْ عليها، ينظر: غاية السول، ابن الملقن، ص79.

(5) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 271/5.

(6) مباهج الْفِكر ومناهِج العِبَر، قال عنه الصَّفدِي: أَربعُ مجلّدات للوطواط الكتبي مُحَمَّد بن إبرهيم بن يحيى بن عَليّ الْأَنْصَارِيّ، الْمَرْوِيّ الأَصْل الْمصْرِيّ المولد. ت: سنة 718هـ. الوافي، 15/2، وقالَ في كشْفِ الظّنون: مَرّ في المباهِج، والصّحيح بِالنّون، للشّيخ جمال الدين: محمّد بن إبراهيم الوطواط الكتُبِي الوَرّاق المتوفى: سنة 718هـ. 1846/2.

(7) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 272/5. النص نقله أكثر من كتابٍ، ولم يذكروا صاحب "مناهج الفكر"، ينظر مثلا: صبح الأعشَى، القلقشندِي، 174/2.

(8) الشمائل المحمدية، الترمذِي، حدِيث (7).

(9) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 272/5.

(10) سنن أبي داود، حدِيث (4837).

(11) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 272/5.

قالَ البَيْهَقِيّ: ((**كَانَ ﷺ عَظِيمَ الْعَيْنيْنِ، أَهْدَبَ الأَشْفَارِ، مُشْرَبٌ بِحُمْرَةٍ**))[1] رَوَاهُ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ؛ أَيْ: مُتَّسِعَتَانِ. وَرَوَى التِّرْمِذي وغَيْرُهُ عَنْ عَلِيّ: ((**أَنَّهُ ﷺ أَدْعَجُ الْعَيْنيْنِ**))[2] والدَّعجُ: شِدَّةُ سَوَادِ الْعَيْنِ مَعَ سَعَتِهَا. ومَعْنَى أَهْدَبَ الأَشْفَارِ: طَوِيلَ شَعْرِ أَطْرَافِ الأَجْفَانِ، والشَّفْرُ: طَرَفُ الْجَفْنِ، ومَعْنَى مُشْرَبٌ بِحُمْرَةٍ: بتَخْفِيفٍ وتَشْدِيدٍ أَنَّ فِي عَيْنَيْهِ حُمْرَةً وهِي عُرُوقٌ حُمْرٌ رِقاقٌ مِنْ عَلَامَاتِهِ فِي الكُتُبِ السَّابِقَةِ[3].

وعنْ عَلِيّ: ((بَعَثَنِي النَّبِيءُ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ لِأَخْطُبَ يَوْمًا عَلَى النَّاسِ؛ أَيْ: أَعِظهُم، لِيَتَمَكَّنَ إيمَانُ مَنْ آمَنَ ويُؤمِنَ مَنْ لَمْ يُؤمِنْ، فَخَطَبْتُ وحبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ يَهُود وَاقِفٌ بِيَدِهِ سِفْرٌ، أَيْ: كتابٌ كَبِيرٌ يَنْظُرُ فِيهِ، فلَمَّا رآنِي قَالَ لِي: صِفْ لِي أَبَا الْقَاسِم، فَقُلْت: لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ [183و] ولَا بالقَصِيرِ البَائِنِ الْحَدِيث، ثُمَّ سَكَتُّ فقَالَ الْحبْرُ: ومَاذا؟ قُلْتُ: هَذَا مَا يَحْضُرُنِي الآنَ، قال الْحبْرُ: فِي عَيْنَيْهِ حُمْرَةٌ حَسَنُ اللِّحيَةِ، قُلْتُ: واللهِ صِفَتُهُ، قالَ الْحبْرُ: فَإِنِّي أَجِدُ هَذِهِ الصِّفَةَ فِي سِفْرِ آبَائِي، وإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّهُ نَبِيءٌ، وأَنَّه رَسُولُ اللهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً)) الْحَدِيث[4]. ولَا حَوْل ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

91 وَجُدْرَانُ بَيْتِ اللهِ أَمَّنَّ عِنْدَمَا دَعَوْتَ لِعَبَّاسٍ عَلِيّ وَوِلْدَانِ

وحِيطَانُ المسْجِدِ النَّبوِيّ قَالَتْ آمِينَ عِنْدَ دُعائِكَ لِعَبَّاسٍ عَمِّكَ وعَلِيٍّ وأَوْلَادِ الْعَبَّاس.

[ولَيْسَ[5] الأَصْلُ "أَمَّنَتْ" بتَاءِ التَّأْنِيثِ، وحَذفهَا لِلْوَزْنِ، بَلْ هُوَ مُشَدَّدُ النُّونِ كَالمِيمِ، فَفِيهِ نُونُ الإِنَاثِ][6].

و"مَا": مَصْدَرِيَّة وهَذَا علَى أَنَّهُ دَعَا لَهُم فِي المسْجِدِ، ويُحْتَمَلُ أَنَّهُ دعَا لَهُم فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِهِم حِيطَانُهُ حِيطانُ المسْجِدِ، ولَكِنْ سَمَّى الْحَائِطَ حِيطانًا؛ لِأَنَّ كُلَّ مِقْدَارٍ مِنْهُ حَائِطٌ.

وتَقَدَّمَ جَمْعُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْعَبَّاسَ وأَوْلَادَهُ تَحْتَ العَبَاءِ ودُعَاؤُهُ لَهُمْ، وَلَمْ يُذْكَرْ فِيهِ عَلِيّ.

صَحَّ عِنْدَ قَوْمِنَا أَنَّهُ: ((ﷺ **جَعَلَ عَلَى عَلِيٍّ وفَاطِمَةَ وابْنَيْها الْحَسن والْحُسيْن كِساءً وقَالَ: اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وخَاصَّتِي، أَذْهِبْ عنْهُم الرِّجْسَ وطَهِّرْهُم تَطْهِيرا فَقَالَتْ أُمُّ سَلمَة: وأَنَا مِنْهُمْ، فقَالَ: إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ**))[7].

---

(1) دلائل النبوة، البيهقي، 212/1.

(2) الشمائل المحمدية، الترمذي، حديث (6).

(3) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 273/5.

(4) لم أقف عليه في غيرِ المواهب، 231/2، وشرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 273/5.

(5) الكلمة غيرُ واضِحة، أضافها في الهامِشِ، وما أثبتته باجتهاد في قراءتِها مع السياقِ.

(6) الفقرة مصحّحة في الأصلِ، وفِي (ج) مثبة من دون تصحيح.

(7) مسند أحمد، حدِيث (26597)، وسنن الترمذِي، حدِيث (3871).

وفِي رِوَايةٍ: ((**أَلْقَى علَيْهِمْ كِسَاءً ووَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ هؤُلَاءِ آلُ مُحَمَّدٍ فَاجْعَلْ صَلَواتِكَ وبَرَكَاتِكَ علَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَإِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**))[1].

وفِي رِوَايَةٍ أنَّ الآيَةَ: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴿33﴾﴾[2] أُنْزِلَتْ بِبَيْتِ أُمِّ سلمَة، فأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وجَلَّلَهُمْ بِكِساءٍ[3] ثُمَّ قَالَ نَحْوَ مَا مَرَّ. وفِي أُخْرَى أَنَّهُمْ جَاؤُوا واجْتَمَعُوا فَنَزَلَتْ فَلَعَلَّهَا نزَلَتْ مَرَّتينِ.

وفِي أُخرَى أنَّ أُمَّ سلمةَ قَالَتْ: ((**أَلَسْتُ مِنْ أَهْلِكَ؟ قَالَ: بَلَى وأَدْخَلَهَا الكِسَاءَ بَعْدَما قَضَى الدُّعَاءَ لَهُمْ**))[4].

وفِي أُخْرَى صَحِيحةٍ أَنَّها قَالَتْ: ((**يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، قَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ**))[5].

وفِي أُخْرَى: أنَّ واثِلةَ قالَ: ((**لَمَّا بعَثَ النَّبِيءُ ﷺ يُصَلِّي عليهِم وهُمْ تَحْتَ الْكِسَاءِ قُلْتُ: وَعَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: نَعَمْ**))[6].

وفِي رواية: ((**قَالَ واثِلَةُ: وأَنَا مِنْ أَهْلِكَ؟ قَالَ: وأَنْتَ مِنْ أَهْلِي، قَالَ: وإِنَّها لَمِن أَرْجَى ما أَرْجُو**)) قَالَ الْبَيْهَقِيّ: وكَأَنَّهُ جعَلَهُ فِي حُكْمِ الأَهْلِ تَشْبِيهًا بِمَن يَسْتَحِقُّ هَذَا الاسْمَ تَحْقِيقًا[7].

قالَ الطَّبَرِي[8]: التَّجْلِيلُ بِالْكِساءِ لِمَنْ ذُكِرَ تَكَرَّرَ مِنْهُ ﷺ فِي بَيْتِ أُمِّ سلمَةَ وبيْتِ فاطِمَةَ وغيرِهما، كَالمسْجِدِ كما قَالَ النَّاظِمُ[9]، وبِهَذَا يُجْمَعُ بَيْنَ اخْتِلَافِ الرِّوايَاتِ فِي هَيْئَةِ اجْتِمَاعِهِم ومَا جلَّلَهُمْ بِهِ ومَا دَعَا بِهِ لَهُمْ، ومَا أَجَابَ بِهِ واثِلَةَ وأُمَّ سلَمَةَ[10].

92 وَبَدْرُ الدَّياجِي انْشَقَّ نِصْفَيْنِ عِنْدَمَا أَرَادَتْ قُرَيْشٌ مِنْكَ آيَةَ إِيمَانِ

---

(1) مسند أحمد، حدِيث (26746).

(2) سورة الأحزاب: 33.

(3) المعجم الكبِير، الطبراني، حدِيث (8295).

(4) مسند أحمد، حدِيث (26550).

(5) المعجم الكبِير، الطبراني، حدِيث (627).

(6) كنز العمال، الهندي، حدِيث (37545) عن الديلمي لم أقف عليه في مسندِهِ.

(7) السنن الكبرَى، البيهقِي، حدِيث (2871).

(8) محب الدين أحمد بن عبد الله الطبرِي، ت:694هـ، ولد بمكَّة كان شيخ الشافعِيَّة ومحدِّث الحجازِ، من مؤلَّفاته: ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، خلاصة سير سيد البشر، الرياض النضرة في مناقب العشرة. ينظر: طبقات الشافِعِيَّة، ابن قاضِي شهبة، 162/2.

(9) عبارة:"كَالْمَسْجِدِ كما قَالَ النَّاظِمُ" أضافها المؤلف على الهامِش، ليست من قول الطبرِي.

(10) ذخائر العقبَى، محبّ الدِّين الطَّبرِي، ص57.

وقَمَرُ الظُّلُماتِ الطَّالِعُ فِيها المزِيلُ لِبَعْضِها، البَاقِي بعْضُها مَعَهُ التَّامُّ ليْلَةَ [183ظ] أَرْبَعَةَ عَشَر انْشَقَّ نِصْفَيْنِ فِي مَوْضِعِهِ مِنَ السَّماءِ، وظَهَرَ منْهُ نِصْفٌ فَوْقَ الجَبَلِ ونِصْفٌ دونَهُ، حينَ طالَبَتْكَ قُرَيْشٌ بِمُعْجِزَةٍ مُوجِبَة إِيمَانٍ؛ أيْ: تُثْبِتُ لَهُم حُصُولَ الْإِيمَانِ، أَيْ: يَحْصُلُ بِهَا الإيمانُ منهُمْ بِكَ ﷺ.

قَالَ ﷺ حِينَ انْشَقَّ: ((**اشْهَدُوا قَالَ اللهُ تَعَالى:** ﴿**اقْتَرَبَتِ اِلسَّاعَةُ وَانشَقَّ اَلْقَمَرُ** ۝١﴾[1]))[2] أَيْ: انْشَقَّ تَحْقِيقًا ووُقُوعًا.

وقَدَّمَ اقْتِرَابَ السَّاعَةِ تَحْوِيفًا لمُنكِرِي ذلكَ، وتَقْرِيرًا فِي نُفُوسِ المؤْمِنِينَ لَها؛ إِذْ فِيهَا انْشِقاقُ السَّمَاوَاتِ، فالْقَادِرُ علَى شَقِّهِنَّ كيفَ لا يَقْدِرُ عَلَى شَقِّ القَمَرِ[3].

قَالَ ابن مَرْدويه: عَن ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿**اقْتَرَبَتِ اِلسَّاعَةُ وَانشَقَّ اَلْقَمَرُ** ۝١﴾[4] يَقُولُ: كَمَا شَقَقْتُ الْقَمَرَ كَذَلِكَ أُقِيمُ السَّاعةَ[5].

والاقترابُ: القُرْبُ الشَّدِيدُ، فهُوَ أَخَصُّ مِن مُطْلَقِ الْقُرْبِ؛ لِأَنَّ "افْتَعَلَ" لِلعلَاجِ[6].

قالَ ﷺ: ((**بُعِثْتُ أَنَا والسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ، وأَشَارَ بِإِصْبَعَيْهِ الوُسْطَى والسَّبَّابَة**))[7].

قِيل: بَعَثَهُ اللهُ ﷺ في الأَلْفِ السَّابِعَةِ علَى المشْهُورِ عِنْدَ المحَدِّثِينَ وغَيْرِهِم، وعُمُر الدُّنيا سَبْعَةُ آلافٍ وكُسُور علَى المشْهورِ، وقِيلَ أَكْثَرُ[8].

وزَعَمَ بَعْضُ أهلِ العلْمِ أنَّ المرادَ بالآيَةِ الْوَعْدُ بالانْشِقاقِ يَوْمَ القِيامةِ، فانْشَقَّ بِمعنَى يَنْشَقُّ ذُكِرَ بالمضِيِّ لتحقُّقِ الوُقُوعِ. والصَّحيحُ مَذْهَبُ الْجُمْهُورِ مِنْ تَقَدُّمِ انْشِقاقِهِ في زَمَنِهِ ﷺ، ويَدُلُّ لَهُم قَوْلُهُ

---

(1) سورة القمر:1.

(2) صحيح البخارِي، حدِيث (4865).

(3) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 469/6.

(4) سورة القمر:1.

(5) فتح البارِي، ابن حجر، 184/7، وفيه: أخرجه ابن مردويه من رواية ابن جريج عن مجاهد. وشرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 469/6.

(6) قال سيبويه: الباب في **المطاوعة** "انْفَعَلَ" **وَ"افْتَعَلَ"** قليلٌ، نَحْو جَمَعْتُهُ فاجتمع، وَمَزَجْتُهُ فامتزج قلت: فلمَّا لم يكنْ موضوعاً للمطاوَعَة كـ"انفعل" جازَ مجيئُه لها في غَيرِ العِلاجِ، نحو غَمَمْتُهُ فَاغْتَمَّ ولا تقول فَانْغَمَّ، ويكثر إغناء "افْتَعَلَ" عن "انْفَعَلَ" في مطاوعة ما فاؤه لام أو راء أو واو أو نون. شرح شافية ابن الحاجب، الأستراباذِي، 108/1. وساق ابن مالك معاني عدة لـ "افتعل" منها: موافقة الثلاثي المجرد كقدر واقتدر، وسمع واستمع، وقرب واقترب. شرح التسهِيل، ابن مالك، 456/3. فإفادة "افتعل" المطاوعة لا تكون إلّا في أفعال "العلاج" لأنّها موضوعة لقبول الأثَرِ، وذلكَ معنَى المطاوعة، كلأمتهُ فالتأمَ.

(7) صحيح البخارِي، حدِيث (4936).

(8) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 469/6.

تَعَالَى: ﴿ وَإِنْ يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿2﴾ ﴾[1] أيْ: قَوِيٌّ أَوْ مُتَتَابِعٌ؛ لأنَّهُم رأَوْا قَبْلَهُ آيَاتٍ عَدُّوها سِحْرًا، وهُوَ صَرِيحٌ فِي حَدِيثِ حُذَيْفَة وجُبَير بنِ مطْعم وابْنِ عَبَّاس[2].

قَالَ أَبُو نُعَيْم عَن ابْنِ عَبَّاسٍ: ((**انْشَقَّ الْقَمَرُ لَيْلَةَ أَرْبَعَ عَشَرَ نِصْفًا عَلَى الصَّفَا وَنِصْفًا عَلَى المروة قَدْرَ مَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ**))[3] ويَدُلُّ لَهُم أيْضًا قِرَاءَةُ: "وَقَد انْشَقَّ الْقَمَرُ[4]"[5].

قالَ الحَلِيمِي[6]: مِن النَّاسِ مَن يقولُ المرَادُ سَيَنْشَقُّ، فَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَقَدْ وَقَعَ فِي عَصْرِنا، شَاهَدْتُ الهِلالَ ببُخَارَى فِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ مُنْشَقًّا نِصْفَيْنِ، عرْضُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنهُما كَعرْضِ الْقَمْرِ لَيْلَةَ أَرْبَعٍ أَوْ خمْسٍ، ثُمَّ اتَّصَلا فصَارَ فِي شَكلِ أُتْرُجَّةٍ إِلَى أَنْ غابَ، وأَخْبَرَنِي بَعْضُ مَن أَثِقُ بِهِ أَنَّهُ شاهَدَ ذلِكَ لَيْلَةً أُخْرَى[7]. نَقَلَهُ البيْهَقِيّ[8][9].

قالَ ابْنُ حَجَر: ولَقَدْ عَجِبْتُ مِنَ البَيْهَقِيّ كَيْفَ أَقَرَّ هَذَا معَ إِيرَادِهِ حَدِيثَ ابْنِ مَسْعُود المصَرّح بِأَنَّ المرَادَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَانشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿1﴾ ﴾[10] أنَّ انشقاقَهُ وقعَ فِي زَمَانِ النَّبِيءِ ﷺ ثُمَّ سَاقَ عَنْهُ أيْضًا: لَقَدْ مَضَتْ آيَةُ الدُّخان والرُّوم والبَطْشَة وانْشِقَاق الْقَمَرِ[11][12].

ولَمْ يَنْشَقّ الْقَمَرُ لِغَيْرِ نَبِيئِنَا ﷺ. وأَخْرَجَ عبْد بن حُمَيد[13] وابن مردويه[14] والحَاكِمُ وصَحَّحَهُ الْبَيْهَقِيّ عن ابنِ مَسْعُودٍ: ((**رَأَيْتُ الْقَمَرَ مُنْشَقًّا بِشِقَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ، بِمَكَّةَ قَبْلَ مَخْرَجِ النَّبِيءِ ﷺ شِقَّة**

---

(1) سورة القمر: 2.

(2) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 470/6، بتصرف.

(3) دلائل النبوة، أبو نُعَيْم، حدِيث (210).

(4) هِي قراءة حذيفة. ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبِي، 125/17.

(5) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 470/6.

(6) الحلِيمِي: الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، الشافعِي، محدِّث فقيه ومتكلِّم، من تصانيفه: منهاج الدين في شعب الإيمانِ. ت: 403هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 231/17، ومعجم المؤلفِين، رضا كحالة، 607/1.

(7) المنهاج في شعب الإيمان، الحلِيمِي، 430/1، في نُسخَةِ هذا الكتابِ أخطاءٌ كثِيرة.

(8) ذكر ابن حجر أن البيهقِي نقل هذا القول في أوائل البعث والنشور للبيهقِي، ولم أجده في المطبوع منه.

(9) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 470/6، وفتح البارِي، ابن حجر، 186/7.

(10) سورة القمر: 1.

(11) السنن الكبرَى، البيْهقِي، 492/3.

(12) فتح البارِي، ابن حجر، 186/7، وشرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 471/6.

(13) لم أجد الحِديث في المنتخب من مسند عبد بن حميد.

(14) لم أقفْ عليهِ في مجالس ابن مردويه.

عَلَى أَبِي قبيس وشِقَّة علَى السُّوَيْدَاءِ))[1] ومَخْرَجُهُ: هِجْرَتُهُ، كمَا لفظ بهِ فِي روايةِ عَبْدِ الرَّزَّاق[2]، لَا بعْثَتُهُ، وانْشِقَاقهُ مِنْ أُمَّهاتِ مُعْجِزاتِهِ[3].

وشَذَّ الْحَسَنُ البَصْرِيّ، كمَا رَوَاهُ عَنْهُ النَّسفِي[4] وأَبُو اللَّيْثِ[5] إِذْ قَالَ: سَيَنْشَقُّ[6].

وانشِقاقُهُ دلاَلةٌ [184و] علَى صِدْقِهِ ﷺ فِي رِسالتِهِ وتوحِيدِ اللهِ؛ إِذْ لا طَاقَةَ للْبَشرِ في السَّماءِ، وإِنَّهُ لا قُدْرَةَ علَى ذَلِكَ إِلَّا للهِ، والخَلْقُ والأَصْنَامُ كُلُّهُمْ عاجِزونَ عَنْ ذلِكَ.

قالَ عُمر بنُ عَبْدِ البرّ، بضَمّ العَيْنِ وفَتْحِ الميم، ابنُ عَبْدِ البرّ: روَى حَدِيثَ انْشِقاقِ القَمَرِ جماعَةٌ كثِيرةٌ من الصَّحابةِ، وروَى عنهُم مِثالُهُم مِنَ التَّابعِينَ، ثمَّ نَقَلَهُ عَنْهُم الْجَمُّ الغَفِيرُ المفِيدُ لِلْعِلْمِ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَيْنَا، وتَأَيَّدَ بِالآيَةِ الْكَرِيمةِ. فَلَمْ يَبْقَ لاسْتِبْعَادِ مَن اسْتَبْعَدَهُ عُذْرٌ[7].

وقَدْ ذَكَرْتُ أَبْحَاثًا وأَجْوِبَةً فِي "حَاشِيَةِ القَنَاطِرِ"[8].

قَالَ ابن السّبكي[9] مُؤَلِّف "جَمْعُ الْجَوَامِعِ فِي شَرْحِ مُخْتَصَرِ ابْنِ الْحَاجِبِ فِي الْأُصُولِ"[10]: الصَّحيحُ عندِي أَنَّ انشِقاقَ الْقَمَرِ مُتَوَاتِرٌ، مَنْصُوصٌ علَيْهِ فِي الْقُرْآنِ، مَرْوِيٌّ في "الصَّحِيحيْنِ" وغَيْرِهما مِنْ طُرُقٍ مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ يَعْنِي ابن الحجّاج بنِ الوردِ عن سليمان بن مهران عَنْ إِبْرَاهِيم عنْ أبي معمر عن ابْنِ مَسْعُودٍ أ.هـ[11].

---

(1) دلائل النبوة، البيهقِي، 265/2، والمستدرك، الحاكِم، حدِيث (3757).

(2) تفسير عبد الرزاق، 259/3، وفيه: قَبْلَ مَخْرَجِ.

(3) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 471/6، بتصرف.

(4) أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، ت:710هـ، صاحِبُ مدارك التنزيل وحقائق التأويل.

(5) أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ) صاحِبُ بحر العلوم.

(6) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 471/6، بتصرف. قول الحسن ينظر فِي الجامع لأحكام القرآن، القرطبِي، 126/17. لم أقف على قول الحسن البصرِي في المطبوع من بحر العلوم للسمرقندِي، ولا فِي مدراك التنزِيل للنّسفِي.

(7) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 472/6.

(8) مخطوط بخزانة المؤلِّف من 30 ورقة من الحجم الكبِير (53 سطرا). ينظر: فهرس الخزانة، ص143.

(9) عبد الْوَهَّاب بن عَلِيّ بن عبد الْكَافِي: قَاضِي الْقُضَاة تَاج الدَّين السُّبْكِيّ (نسبة إلى سُبك من قرى محافظة المنوفية بمصر) ولد سنة 727هـ، أفتى ودرس وَحدث وصنف، توفّي شَهِيدا بالطاعون سنة 771هـ، من تصانيفه: شرح مُخْتَصر ابْن الْحَاجِب، وَشرح الْمِنْهَاج لِلْبَيْضَاوِيّ. طبقات الشافعية، ابن قاضِي شهبة، 140/3.

(10) لم يذكر الزُّرْقَانِيّ عنوان الكتابِ، و"جمع الجوامع" هو غيرُ شرح مختصر ابن الحاجب، الذِي عنوانهُ: رفع الحاجِب عن شرح مختصر ابن الحاجِب. ينظر، كشف الظنون، 1855/2، وقد قال ابن السُّبكِي في المطبوع من جمع الجوامع متحدِّثا عن كتابِهِ: "المحِيط بزبدةِ ما فِي شَرحَيَّ، على المختَصَرِ والمنهاجِ". ص11، ويعنِي بهما: مختصر ابن الحاجب ومنهاج البيضاوِي.

(11) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 472/6، ورفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجِب، تاج الدين السبكِي، 322/2.

وأَخْرجَهُ مُسْلِم مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى عَنْ شُعْبَةَ عنِ الْأَعْمَشِ عَنْ مُجَاهِد عَن ابن عمر[1]، وَقَدْ علَّقَهُ البُخارِيّ عَنْ مُجَاهِد عَنْ أَبِي مَعْمَر عَن ابْنِ مَسْعُود[2]، واللهُ أَعْلَمُ، أَعِنْدَ مُجَاهِد فِيهِ إسنادانِ أو قَوْلُ مَنْ قَالَ ابْنُ عُمَر وَهمٌ مِنْ أبي معمر[3].

قَالَ ابْنُ السُّبكِي: ولَهُ طُرُقٌ أخرَى شتَّى بِحَيْثُ لا يمترَى فِي تواتُرِهِ أ.هـ[4].

وجاءَ فِيهِ حدِيثٌ عن أنَس وابْنِ عبَّاسٍ، إلَّا أنَّهُما لم يَحْضُرَا إذْ ذَاكَ؛ لأنَّ الانْشِقاقَ بمكَّةَ قبلَ الهِجرةِ، بنحوِ خمسِ سِنِينَ، وابن عبَّاسٍ إذْ ذَاكَ لَمْ يُولَدْ، إذْ وُلِدَ قَبْلَها بِثَلَاثِ سِنينَ بالشِّعْبِ علَى الصَّحِيحِ، وأمَّا أنَس فكَانَ ابْنَ أَرْبَعٍ أَوْ خَمْسِ سِنِينَ بالمدِينةِ، فحَدِيثُهُما مُرْسَلُ صَحَابِيّ[5]. ويُمكِنُ أَنْ يُخْبِرَهُما ﷺ.

قالَ البُخَارِيّ ومُسْلِم عنْ أنَسٍ: ((**إنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ أن يرِيَهُم آيَةً، فأَرَاهُم انْشِقاقَ الْقَمَرِ شقَّتَيْنِ**[6]**، حَتَّى رَأَوا حِرَاء بَيْنَهُمَا**))[7] وقَالَا مِن حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُود: ((انْشَقَّ القَمَرُ علَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِرْقَتَيْنِ، فِرْقَة فَوْقَ الْجَبَلِ وفِرْقَة دُونَهُ؛ أَيْ: فِي مُقَابلَتِهِ مُنْفَصِلًا عنهُ لَا تَحْتَهُ، فقَالَ ﷺ: **اشْهَدُوا**))[8] والجَبَلُ حِرَاء كمَا فِي الْحَدِيثِ عَنْهُ[9].

لَكِنْ رَوَى عبدُ الرَّزَّاقِ والبيْهقِيّ مِنْ طرِيقِهِ عن ابنِ مَسْعُودٍ: ((**رَأَيْتُ الْقَمَرَ مُنْشَقًّا شِقَّتَيْنِ شِقَّة علَى أَبِي قَبِيس وشِقَّة عَلَى السّويداء**))[10] كمَا مَرَّ، وهِي نَاحِيَةٌ خَارِجَ مَكَّةَ عِنْدَها جبَلٌ، يُحْتَمَلُ أَنَّهُ رأَى كَذلكَ وهُو بِمِنىً، مِثْلَ أَنْ يكُونَ عَلَى مَكَانٍ مُرْتفِعٍ، بِحَيْثُ رَأَى جبَلَ أَبِي قَبِيسٍ، ويحْتَملُ أَنَّ القمرَ استَمَرَّ مُنْشَقًّا حَتَّى رَجَعَ ابْنُ مسْعُودٍ مِنْ مِنىً إِلَى مَكَّةَ فرَآهُ كَذَلِكَ وفِيهِ بُعدٌ. وَالذِي يقتَضِيهِ غالِبُ الرِّواياتِ أَنَّ الانشِقاقَ كانَ قُربَ غرُوبِهِ، ويُؤَيِّدُهُ إسْنَادُهُم الرُّؤيَةَ إلى جِهَةِ الجبَلِ، ويحتَملُ أَنَّ الانشِقاقَ وَقَعَ أَوَّلَ طُلُوعِهِ، فإنَّ فِي بعضِ الرِّواياتِ أَنَّ ذلكَ كان ليلةَ البدرِ، والتَّعبِيرُ بأبِي قَبِيس تَغْيِيرٌ مِنْ رَاوٍ؛ لِأَنَّ الْغَرَضَ ثُبُوتُ رُؤيتِهِ مُنشَقًّا إحْدَى الشّقَّتينِ عَلَى جَبَلٍ والأُخْرَى علَى جَبَلٍ آخَرَ، ولا يُغايِرُ

---

(1) لم أجد هذا السند عندَ مسلِم، وذكر حدِيث انشقاق القمر بسند آخر، حدِيث (2800).

(2) صحيح البخارِي، حدِيث (4864).

(3) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 473/6.

(4) رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجِب، 325/2.

(5) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 473/6.

(6) ضبطهُ المؤلِّف بفتح الشين وكسرِها.

(7) صحيح البخارِي، حدِيث (3868)، وصحيح مسلم، حدِيث (46).

(8) صحيح البخارِي، حدِيث (4864)، وصحيح مسلم، حدِيث (45).

(9) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 473/6.

(10) سبق تَخريجه، تفسير عبد الرزاق، 259/3، ودلائل النبوة، البيهقِي، 265/2،

ذلكَ قَوْلَ الرَّاوِي الآخَر: ((**رَأَيْتُ الْجَبَلَ بَيْنَهُمَا**)) لِأَنَّهُ إِذَا ذهَبَتْ فِرْقَةٌ عَنْ يمِينِ الجَبَلِ وفِرْقَةٌ عَنْ يَسَارِهِ مَثَلًا صَدَقَ أَنَّهُ بَيْنهُما وأَيُّ جَبَلٍ [184ظ] آخَر كَانَ مِنْ جِهَةِ يمِينِهِ أَوْ يَسارِهِ صَدَقَ أَنَّها عَلَيْهِ[1].

وَرَوَى التِّرْمِذِي: ((عَن ابْنِ عُمَر فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**اِقْتَرَبَتِ اِلسَّاعَةُ وَانشَقَّ اَلْقَمَرُ** ۝١﴾[2] أَنَّهُ كانَ ذَلِكَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ انْشَقَّ فلقَتَيْنِ، فلقَة دُونَ الْجَبَلِ وفلقَة خَلْفَ الجَبَلِ فقالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: **اشْهَدُوا**))[3].

أيْ: اشْهَدُوا علَى انْشِقَاقِهِ وتَحَقُّقِ انشِقَاقِهِ وبَقَائهِ مُدَّةً وكَيْفِيَّتِهِ، أَو اشْهَدُوا لِتُخْبِروا، أَو اشْهَدُوا عَلَى نُبُوءَتِي ومُعْجِزَتِي كمَا طَلَبْتُم، أو اشْهَدُوا أَيُّها النَّاسُ لِئَلَّا يُنْكِرَ مُنْكِرٌ مِن ذَوِي الجحُودِ.

وذَلِكَ دَلِيلٌ علَى أنَّ الانشِقاقَ لَمْ يتَقَدَّمْ عن رَسُولِ اللهِ ﷺ ولَمْ يَتَأَخَّرْ بَلْ كانَ فِي زمانِهِ ﷺ، وقَدْ يُقالُ: قَالَ اشْهَدُوا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ آيَةُ لَيْلٍ فَقَدْ يَغْفلُ غافِلٌ.

ورَوَى أَحْمَد مِنْ حَدِيثِ جُبَير بنِ مطعم: ((**انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فصَارَ فِرْقَتَيْنِ، فِرْقَة عَلَى هَذَا الْجَبَلِ وفِرْقَة علَى هَذَا الْجَبَلِ، فَقالَ الكُفَّارُ: سَحَرَنَا مُحَمَّدٌ، فقَالُوا: إِنْ كانَ سَحَرَنَا فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْحَرَ النَّاسَ**))[4].

((**فقالُوا**[5]: **انْظُرُوا مَا يَأْتِيكُم بِهِ السُّفَّارُ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا لا يسْتَطِيعُ أَنْ يَسْحَرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ، فجَاءَ السُّفَّارُ فأَخْبَرُوهُمْ بذَلِكَ**))[6] أَيْ: بِانْشِقاقِهِ. رواهُ أبو داود[7]. والوَاوُ فِي" قَالُوا" لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ.

وفِي بَعْضِ طُرُقِ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُود: ((فقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: سَحَرَنا محَمَّدٌ)) ويُقَالُ: هُوَ أَبُو جَهْلٍ[8].

وعَنْ مَسرُوق عَن ابْنِ مَسْعُود: ((فَقَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ: سَحَرَكُم ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ. فقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ سَحَرَ الْقَمَرَ، فَإِنَّهُ لَا يَبْلُغُ سِحْرُهُ أَنْ يسْحَرَ الْأَرْضَ كلَّهَا، فَاسْأَلُوا مَنْ يَأْتِيكُم مِنْ بَلَدٍ آخَر هَلْ رَأَوْهُ؟ فَأَتَوا فَسَألُوهُمْ فَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ رَأَوْا مِثْلَ ذَلِكَ))[9] رواهُ الْبَيْهَقِيّ فِي "الدَّلَائِلِ"[10].

---

(1) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 474/6.

(2) سورة القمر:1.

(3) سُنَن الترمذِي، حدِيث (3288) عن ابن عمر، و(3285) عن ابن مسعود واللفظ لهُ.

(4) إلى هنا ينتهِي الحدِيث عند أحمد، حدِيث (16750).

(5) خلط المؤلِّف بين الحدِيثين، حدِيث أحمد وحدِيث الطيالسي.

(6) هذا مقطع من حدِيث، مسند الطيالسِي، حدِيث (293).

(7) أَبُو دَاوُد الطَّيَالِسِيّ سُلَيْمَان بن دَاوُد بن الْجَارُود الْبَصْرِيّ الْحَافِظ، روى عَن ابْن عون وَالثَّوْرِي وغيرهما، وَرَوَى عنهُ أَحْمد وَابْن الْمَدِينِيّ وغيرهما، مات بالبصرة سنة 203هـ. سير أعلام النبلاء، 378/9.

(8) لم أقف عليهِ فِي كتب الحدِيثِ، ينظر: شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 475/6.

(9) دلائل النبوة، البيهقِي، 281/1.

(10) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 475/6.

قُلتُ: لَا يَبْعُدُ أنْ يكُونَ أَهْلُ الكِتابِ رَأَوْهُ فكَتَمُوا كَمَا كَتَموا سَائِرَ عَلَامَاتِهِ وبدَّلوا.

وعن عبْدِ اللهِ بنِ مَسْعود: ((**انْشَقَّ الْقَمَرُ علَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فقَالَ قُرَيْشٌ: هَذَا سِحْرُ ابنُ أَبِي كَبْشَةَ، فسَلُوا السُّفَّارَ فإِنْ كانُوا رَأَوْا مَا رَأَيْتُم فقَدْ صَدَقَ، فإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْحَرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ، وإِنْ لَمْ يَرَوْا مَا رَأَيْتُمْ فَهُوَ سِحْرٌ، فَسَأَلُوا السُّفَّارَ وقَدْ قَدِموا مِن كُلِّ وَجْهٍ فقالوا: رَأَيْناهُ**))[1] وفِي رِوَايَةٍ: ((**فقَالَ الْكُفَّارُ: هَذَا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ**))[2].

وذَكَر أَبُو نعيم بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ عَن ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: ((اجْتَمَعَ المشْرِكونَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ منْهُم الْوَلِيدُ وأَبُو جَهلٍ والعاصِي بن وَائِل والأسود بنُ المطَّلِبِ و[النَّظرُ بنُ الْحَارِثِ][3]، ونُظَرَاؤهُم؛ أَيْ: فِي التَّوغُّلِ فِي الْكُفرِ، فقَالُوا لِلنَّبِيءِ ﷺ: إنْ كُنْتَ صَادِقًا فَشُقَّ لَنَا الْقَمَرَ فِرْقَتَيْنِ فَسَأَلَ رَبَّهُ فَانْشَقَّ))[4].

وفِي رِوايَة ابنِ الجوْزِيّ: ((فقَالَ لَهُم: **إِنْ فَعَلْتُ تُؤمِنوا؟** قَالُوا: نَعَمْ، **فَسَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُعْطِيَهُ مَا قَالُوا، فَانْشَقَّ الْقَمَرُ فِرْقَتَيْنِ ورسُولُ اللهِ ﷺ يُنَادِي يا فُلَان يَا فُلَان اشْهَدُوا**))[5].

وَرَوَى الْبُخَارِيّ: عَن[6] ابنَ عبَّاس ((**أَنَّ القمرَ انْشَقَّ علَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ**))[7] وزَادَ أَبو نعيم[8]: ((فلقَتَيْنِ))[9].

قال البُخَارِيّ: ابنُ عَبَّاسٍ وإِنْ لَمْ يُشَاهِد القِصَّةَ [185و] فَفِي بعْضِ طُرُقِهِ أَنَّهُ حَمَلَ الْحَدِيثَ عَن ابْنِ مَسْعُود[10]، يَعْنِي مَا يشعر بذَلِكَ[11].

وعِندَ مسلِم مِنْ حَدِيثِ سعيد بن أبي عروبة عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَس: ((**إِنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُم آيَةً، فأَرَاهُم انْشِقَاقَ الْقَمَرِ مَرَّتَيْنِ**))[12] وكذَا فِي "مُصَنَّفِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ" عَنْ مَعْمَر عَنْ

---

(1) دلائِلُ النُّبوَّة، البيْهَقِي، 266/2.

(2) لم أقف عليه في كتب الحدِيث، ينظر: الشفا، عِياض، ص291، وشرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 475/6.

(3) خطأ، صوابه: النَّضر.

(4) دلائِلُ النُّبوَّة، أبو نعيم، حدِيث (209) مع اختلاف في بعض الألفاظِ، وينظر: المواهب اللدنية، 524/2، شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 476/6.

(5) الوفا بتعرِيف فضائِلِ المصطَفَى، ابن الجوزِي، 212/1. (نسْخة الكترونية)، وشرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 476/6.

(6) في الأصل: أنَّ.

(7) صحيح البخارِي، حدِيث (3638).

(8) لم أجده في دلائل النبوة لأبِي نعيم.

(9) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 477/6.

(10) هذا من قول القسطلانِي وليسَ في البخارِي. المواهِب اللدنية، 524/2.

(11) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 477/6.

(12) صحيح مسلم، حدِيث (46)، وفِيهِ: حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسٍ.

قَتَادَةَ عنْ أنَس بلَفْظ: ((**مَرَّتيْنِ**))[1] مكَانَ فلقَتَيْنِ، وكَذَا أخْرَجَهُ أَحْمَدُ[2] وإِسْحَاقُ[3] عنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ[4]، وكَذَا وَرَدَ مِنْ حَدِيثِ شَيْبَانَ عَنْ قَتَادَةَ، أَشَارَ لَهُ مُسْلِم فِي "الصَّحِيحِ" واتَّفَقَ الْبُخَارِي علَيْه ومُسْلِم مِن رِوَايَةِ شُعْبَة عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَس بِلَفْظِ "فِرْقَتَيْنِ"[5][6].

قَالَ الْبَيْهَقِيّ: قَدْ حَفِظَ ثَلَاثَةٌ مِنْ أَصْحَابِ قَتَادَةَ عَنْهُ "مَرَّتَيْنِ"[7] ثَلَاثَةٌ[8]، أَيْ: سَعِيد وشَيْبَانَ ومَعْمَر.

قالَ ابْنُ حَجَر: لِكِن اخْتُلِفَ عَنْ كُلّ منْهُمْ فِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ، ولَمْ يُخْتَلَفْ عَنْ شعبَةَ وهُوَ أَحْفَظُهُمْ، ولَمْ يَقَعْ فِي شَيْءٍ مِنْ طُرُقِ حدِيثِ ابْنِ مَسْعُود بِلَفْظِ "مَرَّتَيْنِ" إِنَّما فِيهِ "فِرْقَتَيْنِ" أَوْ "فلقَتَيْنِ" كَمَا فِي حَدِيثِ جبير بنِ مطْعم "فِرْقَتَيْنِ" بِالرَّاءِ عِنْدَ أَحْمَد، وفِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَر "فلقَتَيْنِ" باللَّامِ، وعَنْ جبير: ((فَانْشَقَّ بِاثْنَتَيْنِ)) وعن ابنِ عبَّاس عنْدَ أَبِي نعيم: ((**فَصَارَ قَمَرَيْنِ**))[9] وفِي لَفْظٍ: "شقَّتَيْنِ" وعندَ الطَّبرِي مِن حدِيثِهِ: ((**حتَّى رَأَوْا شِقَّتَيْهِ**))[10][11].

وفِي قَصِيدَةٍ لِبَعضِ أَهْلِ الْعِراقِ[12]: وانشَقَّ بالإجماعِ مرَّتيْنِ، ولا نعرِفُ تعدُّدَ الانشقاق فِي زمنِهِ ﷺ ولا أحد جزَمَ بتعدُّدِهِ، فنقولُ: "مرَّتيْنِ" في الحدِيث والقصِيدةِ بمعنَى فلقتينِ.

والمرَّاتُ يُرادُ بِها الأفعالُ تارةً والأعيانُ أخرَى، والأوَّلُ أكثرُ، ومِن الثَّانِي: انشَقَّ القمرُ مرَّتَينِ.

وقد زعَمَ بعضٌ أنَّهُ انشَقَّ مرَّتينِ واعتمدَ على الحدِيثِ، ولَا يصِحُّ هَذَا[13].

وقَدْ جَمَعَ فِرْقَتَيْنِ وَمَرَّتَيْنِ في تِلْكَ الْقَصِيدَةِ إِذْ قَالَ:

فَصَـــارَ فِـرْقَـتَـيْـنِ فِـرْقَـة عَـلَـتْ وَفِـرْقَـة لِـلـطَّـوْدِ عَـنْـهُ نَـزَلَـتْ

(1) لم أجده في مصنف عبد الرزاق، وهو في تفسيره، 257/3.

(2) مسند أحمد، حدِيث (13303) و(13145).

(3) إسحاق بن راهويه، المحدث المعروف.

(4) لم أجده في المطبوع من مسند إسحاق بن راهويه.

(5) سبق تخريجه، صحيح مسلم، حدِيث (46)، وفِيهِ: حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسٍ. وصحيح البخارِي، حدِيث (4868) عن شعبة عن قتادة عن أنس.

(6) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 477/6.

(7) لم أقف عليه في كتب البيهقِي.

(8) لفظة مكررة.

(9) دلائل النبوة، أبو نعيم، 280/1.

(10) جامع البيان، الطبرِي، 569/22، وفيه: ((شَقَّيْهِ)).

(11) ينظر: فتح البارِي، ابن حجر، 183/7، وشرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 477/6.

(12) هو عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر، يعرف بالعراقي، محدث وفقيه وأديب، ولد في 725هـ، ورحل إلى دمشق وحلب والحجاز والاسكندرية، أخذ عن جماعة من العلماء، وتوفي بالقاهرة سنة 806هـ، من مؤلفاته: نظم الدرر السنية في السيرة الزكية، الباعث على الخلاص من حوادث القصاص. الضوء اللامع، 171/4، ومعجم المؤلفين، 130/2.

(13) ينظر: فتح البارِي، ابن حجر، 183/7، وشرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 478/6.

وَذَاكَ مَـــرَّتَـــيْـــنِ بِـــالْإِجْـــمَـــاعِ والـنَّـصِّ والـتَّـواتـرِ السَّـــمـاعِـي[1]

فمَرَّتَيْنِ بِمَعْنَى فِرْقَتَيْنِ، أوْ بِنَاءً عَلَى قَوْلٍ لَا يعْتَدُّ أنَّهُ انْشَقَّ لَيْلَتَيْنِ.

ولِلْبُخارِي مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعودٍ: ((**انْشَقَّ الْقَمَرُ وَنَحْنُ مَعَ النَّبِيءِ ﷺ بِمِنىً**))[2] ولفظُ مُسلِم: ((**بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ النَّبِيءِ ﷺ بِمِنىً إِذ انْفَلقَ الْقَمَرُ**))[3] ولا يُعارِضُ هَذَا قَوْلَ أَنَس: إنَّ ذلِكَ كَانَ بِمَكَّةَ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ أنَّه انْشَقَّ قَبْلَ الْهِجرةِ، كمَا قَالَ ابْنُ مردويه عَن ابْنِ مَسْعُودٍ: ((**انْشَقَّ الْقَمَرُ علَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ونَحْنُ بِمَكَّةَ، قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ إِلَى المدِينَةِ**))[4] ويُجْمَعُ بَيْنَ قَوْلِ ابنِ مَسْعُودٍ كَانَ بِمَكَّةَ تَارَةً، وقَوْلِهِ تَارَةً كَانَ بِمِنىً بِتَعَدُّدِ التَّفرِيقِ، أَوْ بِأَنَّ مِنًى مِن مكَّةَ، وأرادَ بِمَكَّةَ ما قبْلَ الْهِجرةِ[5].

قالَ بَعْضٌ: كانَ الانْشِقاقُ فِي الْقَمَرِ حِينَ كانَ فِي وَسَطِ السَّماءِ وأَشْهَدَهُم عَلَى فِرْقَةٍ ثُمَّ علَى أُخْرَى وقَدْ تَبَاعَدَت الْفِرْقَتَانِ [185ظ] حتَّى لا يُدَّعَى تَوَهُّمُ الْحِسِّ، وكَانَ حِرَاء بينهُما وكَانَ الْفِرْقَتَانِ علَى جَبَلَيْنِ غَيْرِ حِرَاء.

وأَنْكَرَ جَمَاعَةٌ مِن الفلاسِفَةِ انشِقاقَ القَمَرِ، وفَتْحَ أبوابِ السَّماءِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ وتَكْوِير الشَّمسِ يَوْمَ الْقِيَامةِ؛ لِأَنَّ الْأَجْرامَ العُلْوِيَّةَ لَا يَتَهَيَّأُ فِيهَا ذَلكَ لمَلَاسَتِها، وهُوَ خَطَأٌ إِذْ لَا مانِعَ عَقْلِيًّا ولَا عَادِيًّا مِنْ قبُولِ الأَمْلَسِ ذَلِكَ، وكانَ المنْكِرُ مشْرِكًا فينبَغِي أَنْ يُبَاحَثَ بِإِثْباتِ الإِسْلَامِ أَوَّلًا حَتَّى يُشارِكَ، ثُمَّ ينَاظَر علَى إِثْبَاتِ الانْشِقَاقِ كمَا يُنَاظَرُ مَنْ أَنْكرَهُ مِن الموَحِّدِينَ[6].

ويُروَى أنَّ أبا بكر بن الطّيّب[7] أَرْسَلَهُ صاحِبُ الدَّولةِ لِمَلِكِ الرُّومِ بقسطنطِينيَّة فأَحضَرَ بعْضَ بطَارِقَتِهِ فقَالَ لَهُ: تَزْعُمُونَ أنَّ الْقَمَرَ انْشَقَّ لِنَبِيئِكُم، فهَلْ لِلْقَمَرِ قَرَابَةٌ منْكُمْ حَتَّى تَرَوْهُ دُونَ غَيرِكُم؟ فقَالَ: فهَلْ بَيْنَكُمْ وبَيْنَ المائِدَةِ أُخُوَّةٌ ونَسَبٌ؟ إِذْ رأَيْتُمُوها ولَمْ تَرَهَا اليَهُودُ ويُونَانُ والمجوسُ الذِينَ أَنْكَرُوها وهُمْ فِي جِوَارِكُم[8].

وَلَوْ ثَبَتَ أنَّ العلْوِيَّاتِ لَا تَقْبَلُ الانْشِقَاقَ، وكَانَ انْشِقاقُها الثَّابتُ بِالْأَحَادِيثِ ومُتَبَادَرِ القُرآنِ مُعْجِزَةً لِلنَّبِيءِ ﷺ، والْعَقلُ لا ينكِرُ ذلكَ، واللهُ قادِرٌ.

---

(1) ألفية السيرة النبوية – نظم الدرر السنية الزكية، العراقي، ص59.

(2) صحيح البخاري، حديث (3869).

(3) صحيح مسلم، حديث (44).

(4) لم أقف على رواية ابن مردوية، ينظر: فتح الباري، ابن حجر، 184/7.

(5) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 479/6، بتصرف.

(6) (م، س)، 480/6، بتصرف.

(7) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر البصري، ثم البغدادي، ابن الباقلاني، صاحب كتاب "إعجاز القرآن". سير أعلام النبلاء، الذهبي، 190/17.

(8) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 480/6، بتصرف.

وزَعَمَ بَعْضُ الملْحِدِينَ أَنَّهُ لَوْ صَحَّ انْشِقَاقُهُ لتواتَرَ عِنْدَ أَهْلِ الْأَرْضِ كُلِّهِم، ورَأَوْهُ ولَمْ يَخْتَصَّ بِهِ أَهْلُ مَكَّةَ، والدَّواعِي مُتَوَفِّرَةٌ علَى نَقْلِ كُلِّ غرِيبٍ، فكَيْفَ يَغْفلونَ عَنْ ذِكرِهِ وإثباتِهِ في الكُتُبِ؟ وكَيْفَ يُطْبِقُون علَى إِهْمَالِهِ معَ جَلَالَتِهِ؟ فَيُجَابُ بأنَّ انْشِقَاقَهُ وَقَعَ لَيْلًا لِقَومٍ تَصَدّوا لهُ، وقَصَدوا معَايَنَتَهُ وهُم أَهْلُ مَكَّةَ، وأَمَّا سَائِرُ أَهْلِ الآفاقِ فَهُمْ تَحْتَ السَّقفِ، ومَن برَزَ لِلسَّمَاءِ غَفَلَ؛ لأَنَّهُ لم يتَصَدَّ لِذَلِكَ بل اشْتَغَلَ بِالسَّمَرِ، ومِنْهُم مَنْ نَامَ، وكَثِيرًا مَا يَسْقُطُ نَجْمٌ كَبِيرٌ أو يَطْلُعُ ولَا يَعْرِف بِهِ إلاَّ القلِيلُ، وبأَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ المعَانِدِينَ يَكْتُمُونَها وإِنْ كُتِبَتْ مَحَوْهَا، وغَيْرُهُم لَا يَتَمَسَّكُ بِذَلِكَ بلْ يَتَسَلَّى عَنْهُ، وأَيْضًا أَهْلُ الْكِتَابِ يسْتَكْتِمُونَ كُلَّ مَن عَرَفَ بذلِكَ؛ لأَنَّهُمْ حُسَّادٌ[1].

وأَمَّا ما قِيلَ: لَعَلَّهُ انْشَقَّ لَحْظَةً فلَا يَعْرِفُ بِهِ مَن كانَ فِي غَفْلَةٍ عَنْهُ، فلَا يَصِحُّ معَ مَا مَرَّ مِنْ بَقَائِهِ قَدْرَ مَا بَيْنَ الْعَصْرِ والمغْرِبِ، وقَدْ يتَوَهَّمُ رَاءٍ حَوَلًا مِنْهُ ولَا حَوَلَ، بَلْ فِرْقَتَان مُحَقَّقتانِ. وأَمَّا ما قِيلَ: إنَّهُ لَعَلَّهُ انْشَقَّ لَحْظَةً ثُمَّ أَخَذَ في الالْتِئَامِ، فلَا يُمكِنُ جوَابًا إلَّا إنْ أَرادَ أَنَّهُ بَعْدَ اللَّحظَةِ تلَاصَقَ بِمَرَّةٍ، ولَمْ يَتِمَّ التِصَاقُهُ إلَّا فِي مِثْلِ ما بَيْنَ الْعَصْرِ والمغْرِبِ. وما قِيلَ: لَعَلَّه حِين انْشَقَّ طَلَعَ بمكَّةَ دُونَ غَيْرِها، لَا يَصِحُّ إِذْ لَا يَطْلُعُ فِيهَا إلَّا وقَدْ طَلَعَ قَبْلَها، ويُرْوَى فِيمَا بَعْدَها[2].

وأَمَّا ما قِيلَ: لعلَّهُ كالكُسُوفِ، يُرَى فِي موضِعٍ دونَ آخَرَ[3]، فلا يَصِحُّ؛ لأَنَّهُ فِي جِسْمٍ وَاحِدٍ عظِيمٍ، يَرَى مِنْهُ أَهْلُ الْبَلَدِ مَوْضِعَ الانفِساحِ دونَ أَهْلِ الموضِعِ الآخَر، كَجِسمٍ تَرَى بعْضَهُ ويَرَى غيْرُكَ بَعْضًا آخَر، والفلقَتَانِ كِلْتَاهُما فِي حَقِّ نَظَرِ كُلِّ أَحَدٍ سَوَاءٌ، وفِي عَدَمِ رُؤْيَتِهِ رَحْمَةٌ لِلْأُمَّةِ، ولَوْ مَنْ كَفَرَ مِنْهُم لأن طَلَبَها فكانَتْ، ولم يؤمِن[4] من عذّب ببدرٍ [186و] كَمَا عُذِّبَ مَن اقْتَرَحَ الآياتِ علَى الْأَنْبِيَاءِ، فكَانَتْ ولَمْ يُومِنْ، ولَمْ يُوجَدْ نَفْيٌ عَنِ المنَجِّمِينَ كمَا لَمْ يُوجَدْ نَفْيٌ وكَفَى، والمثْبِتُ مُقَدَّمٌ عَلَى النَّافِي.

وقَالَ ابْنُ عَبْدِ البَرّ: قَدْ يَطْلُعُ علَى قَوْمٍ قَبْلَ طُلُوعِهِ علَى آخَرِينَ، قالَ: ولَمْ يَطُل الانْشِقاقُ، ولَمْ تَتَوَفَّر الدَّواعِي عَلَى الاعْتِناءِ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ، ومَعَ ذَلِكَ قَدْ أَخْبَرَ بِانْشِقاقِهِ السُّفَّارُ[5].

قالَ القُرْطُبِيّ[6]: يحْتَملُ أنَّ اللهَ سبحانَهُ صَرَفَ أَهْلَ الْأَرْضِ عن الرُّؤيَةِ إِلَى الْقَمَر، في تِلْكَ السَّاعةِ إِلَّا أَهْلَ مَكَّةَ، ومَا حَوْلَها، لِيَخْتَصَّ بِمُشَاهَدَتِهِ أَهْلُ مكَّةَ وما حَوْلَها، فيُخْبِروا غَيْرَهُم كما أَخْبَرُوا بآياتٍ كثِيرةٍ[7]. ولَا يَخْفَى ضُعفُهُ.

---

(1) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 482/6 بتصرف.

(2) (م، س)، 482/6 بتصرف.

(3) عبارة " يُرَى فِي موضِعٍ دونَ آخَرَ" أضافها المؤلف على الهامِشِ.

(4) كلمة لم أتبينها في الأصل، والمثبَت من ج.

(5) لم أقف عليه في كتب ابن عبد البر، ينظر: فتح البارِي، ابن حجر، 186/7، وشرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 483/6.

(6) لم أتعرَّفه، يحتمل أن يكون هو ابن عبد البر نفسه.

(7) ينظر: فتح البارِي، ابن حجر، 186/7، وشرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 483/6.

ومَا ذَكَرَ القُصَّاصُ مِن أنَّ القَمَرَ انْشَقَّ نِصفَيْنِ فدخلَ نِصفٌ مِن كم وخَرَجَ مِنَ الْكُمِّ الآخَرِ، لا أَصْلَ لَهُ. وكذَا دَعْوَى بَعْضٍ أَنْ نَزلَ إِلَى بَيْن يَدَيْهِ فِرْقَتَيْنِ ولم يدْخُلْ[1].

والله أَعْلَمُ، ولا حولَ ولا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ العلِيِّ العظِيم.

93 وَجَاءَ أَبُو جَهْلٍ بِصَخْرٍ لِجَهْلِهِ يَؤُمُّكَ فِي وَقْتِ الصَّلاَةِ كَشَيْطَانِ

94 فَقَامَ لَهُ جِبْرِيلُ فَحْلًا فَلَوْ دَنَا إِلَيْكَ لَأَفْنَاهُ بِأَيْسَرِ أَكْوَانِ

95 كَمَا قَامَ فَحْلًا مَائِلًا فَوقَ رأسِهِ وَقَدْ جِئْتَ يَوْمًا فِي شَكِيَّةِ حَزْنَانِ

96 وَحَاوَلْتَ فِي الْإِسْلَامِ عِزًّا وَمَنْعَةً بِفَارُوقِ دِينِ اللهِ أَوْ عُمْرٌو الشَّانِي

97 فَفَازَ بِهَا الْفَارُوقُ وَاخْتَصَّ دُونَهُ فَيَا لَكَ مِنْ سَعْدٍ وَسَابِقِ طُغْيَانِ

وجَاءَ أَبُو جَهْلٍ بِحَجَرٍ عَظِيمٍ، لجَهْلِهِ بِدينِ اللهِ، وإِنْكَارِهِ لِنُبُوءَتِكَ، حَالَ كَوْنِهِ قَاصِدًا لكَ فِي وقْتِ الْتِباسِكَ بالصَّلاةِ، يرِيدُ إِلْقَاءَهُ عَلَيْكَ بُغْضًا لَكَ وإِفْسَادًا لِصلاتِكَ، كشَيطانِ الجِنّ فِي قَصْدِ الفَسَادِ فِي الأَبْدَان والعِبَادَاتِ.

وَقَامَ لِذَلِكَ إِلَيْهِ أَوْ لِأَجْلِ رَدِّهِ، لَعَنهُ اللهُ، جِبْرِيلُ عليه السلام كفَحْلٍ شكْلًا وعَظْمًا، فَرَجَعَ، ولَوْ قَرُبَ إِلَيْكَ لِلْأَذَى، بعدَمَا انْكَشَفَ لهُ، لَأَهْلَكَهُ فِي أَقَلِّ زَمَانِ الوُجُودَاتِ، أَوْ أَهْلَكَهُ بِأَسْهَل الوُجُودَاتِ فِي الإِهْلاكِ.

كمَا قَامَ كَفَحْل صَائِلٍ قاهِرٍ فَوْقَ رَأْسِهِ، حالَ مَجِيئِكَ يومًا لاشْتِكاءِ رَجُلٍ مِن أَرَاشَ[2] إِلَيْكَ عَظِيمِ الحُزنِ، لِمُمَاطَلَتِهِ إِيَّاهُ في ثمَنِ أَبْعِرَةٍ باعَها لهُ، بَعْدَ امْتِناعِ النَّاسِ مِنَ السَّومِ علَى سَوْمِهِ، وقُلْتَ لَهُ: اقْضِهِ ثَمَنَ أَبْعِرتِهِ، ففَعَلَ فِي الحِينِ.

وعالَجْتَ فِي شَأْنِ الإِسْلامِ عظَمَةَ شَأْنِ الإِسْلَام وغَلَبَتَهُ ومَنْعَهُ مِنَ الهوَانِ بِقَوْلِكَ: اللَّهُمَّ أَيِّدِ الإِسْلامَ بِأَحَدِ العُمَرَيْنِ: عُمَر بنِ الخطَّابِ المفَرّقِ جِدًّا بَيْنَ دِينِ اللهِ ودِينِ الباطِلِ، أَوْ عمْرو بن هِشَام[3]، وهُوَ أَبُو جَهْلٍ البَاغِضُ لَكَ صلَّى اللهُ عليكَ وسلَّمَ.

ففَازَ بِمُحَاوَلَتِكَ، أَوْ بِالمنعَةِ للْإِسْلامِ عَنِ الهَوَانِ عُمَرُ بنُ الخطَّابِ، واخْتَصَّ بهَا دُونَ أَبِي جَهْلٍ، فيَا عَجَبًا لَكَ يَا عُمَر مِن سعَادَةٍ عَظِيمةٍ، ولِأَبِي جَهْلٍ مِنْ طُغْيَان سابِقٍ فِي الأَزَلِ إِنَّكَ ستطْغاهُ.

---

(1) ينظر: شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 484/6.

(2) بطن من كهلان من القحطانيّة، معجم قبائل العرب، رضا كحالة، 13/1.

(3) أصله حدِيث: ((اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَوْ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَام)) المستدرك، الحاكِم، حدِيث (4486).

و"فَحْلًا": تَشْبِيهٌ ويَجُوزُ كَوْنُهُ اسْتِعَارَةً [186ظ] ولَوْ ذكِرَ المشَبَّهُ الذِي هُوَ جبرِيلُ؛ لِأَنَّ المرَادَ حَيَوانًا فَحْلًا. وحَيَوان المسْتَعَارُ لَهُ نعْتُ فَحْل غَيْرُ مذْكُورٍ، علَى مُخْتَارِ السَّعدِ[1] فِي قَوْلِكَ: زَيْدٌ أَسَدٌ؛ لِأَنَّ المرَادَ زَيْدٌ رَجُلٌ كَأَسَدٍ، فأُعِيرَ أَسَدٌ لِـ"رَجُل" وهُوَ غَيْرُ مَذْكُورٍ، ولَوْ أُرِيدَ بِهِ المذْكُورُ وهُوَ زَيْدٌ.

ومَعْنَى إِفْنَاءِ جِبْرِيلَ لِأَبِي جَهْلٍ: تَسَبُّبُهُ فِي فَنَاءِ رُوحِهِ بِالموْتِ، أَوْ فِي تَلَاشِيهِ بالكُلِّيَّةِ، وذلِكَ كُلُّهُ باللهِ جلَّ وعلا.

و"حَزْنَانِ": مُبَالَغَةُ حَزِن. وَ"الشَّانِي": الْبَاغِضُ، والمرَادُ أَبُو جَهْل بنُ هِشَام بنِ المغِيرة المخْزُومِيّ، وكَانَ مِنْ أَشَدِّ الْأَعْدَاءِ عَلَى رسُولِ اللهِ ﷺ.

اجْتَمَعَ هُوَ وقُرَيْش يومًا فجَاءَهُم النَّبِيءُ ﷺ وبالَغَ فِي إِنْذَارِهم وتَسْفِيهِ أَحْلَامِهِمْ؛ أَيْ: عُقُولِهِم، وسَبِّ آلِهَتِهِم، فأَظْهَرُوا لَهُ شِدَّةَ الإِبَاءِ، والْتَفَتَ فَانْصَرَفَ عنهُم حَزِينًا عليْهِمْ، فقَالَ لَهُمْ أبُو جَهل اللَّعِينُ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إنَّ مُحَمَّدًا قد أَبَى إِلَّا مَا تَرَوْنَ، وإِنِّي أعاهِدُ اللهَ لَأَجْلِسَنَّ لهُ غَدًا بِحَجَرٍ مَا يُطِيقُ حَمْلَهُ، فإِذَا سَجَدَ فِي صلاتِهِ رضَخْتُ بِهِ رَأْسَهُ، فأَسْلِمُونِي عنْدَ ذلِكَ أو امْنَعُونِي، فلْيَصْنَعْ بِي بنُو عَبْد مَنَاف مَا بَدَا لَهُم، فقالُوا: واللهِ ما نُسْلِمُكَ لِشَيْءٍ أبَدًا، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَخَذَ حَجَرًا كمَا وَصَفَ، فلمَّا سجَدَ ﷺ كعَادَتِهِ وقُرَيْشٌ ينْظُرُونَ، احْتَمَلَ اللَّعِينُ الحَجَرَ ثُمَّ أَقْبَلَ نَحْوَهُ، حَتَّى إِذَا دنَا مِنْهُ رَجَعَ مُنْهَزِمًا، مسْتَنْقِعًا لَوْنُهُ مرْعُوبًا، يَبِستْ يدَاهُ علَى حجرِهِ حتَّى قَذَفَهُ فقَامُوا إِلَيْهِ فقَالُوا: مَا لَكَ يَا أَبَا الْحَكَم؟ قالَ: قُمْتُ إِلَيْهِ لأَفْعَلَ بِهِ مَا قُلْتُ لَكُم البَارِحَةَ، فلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُ عَرَضَ لِي دُونَهُ فَحْلٌ مِنَ الْإِبل، لَا وَاللهِ ما رَأَيْتُ مِثْلَ هَامَتِهِ، ولَا مِثْلَ صُورَتِهِ وأَنْيَابِه لِفَحْلٍ قَطُّ، فَهَمَّ بِي أَنْ يَأْكُلَنِي. ذُكِرَ أَنَّهُ ﷺ قالَ: ((**ذلِكَ جِبْرِيلُ لَوْ دَنَا مِنِّي لَأَخَذَهُ**))[2].

وذَكَرَ عياض في "الشِّفاءِ" مِن حدِيثِ أَبِي هرِيْرَةَ: إِنَّ أبا جهْلٍ وَعَدَ قُرَيْشًا لَئِنْ رَأَى مُحَمَّدًا يُصَلِّي لَيَطأَنَّ رَقَبَتَهُ، فَلَمَّا صَلَّى النَّبِيءُ ﷺ أَعْلَمُوهُ فأَقْبَلَ، فلَمَّا قَرُبَ مِنهُ ولَّى هاربًا ناكصًا على عَقِبَيْهِ، مُتَّقِيًا بِيَدَيْهِ، فَسُئِلَ فقَالَ: لَوْ[3] دَنَوْتُ مِنْه أَشْرَفْتُ عَلَى خَنْدَقٍ مَمْلُوءٍ نَارًا كِدْتُ أَهْوِي فِيهِ، وأَبْصَرْتُ هَوْلًا عَظِيمًا، وخَفْقَ أَجْنِحَةٍ قَدْ مَلَأَت الْأَرْضَ. فقال النَّبِيءُ ﷺ: ((**تِلْكَ الملَائِكَةُ، لَوْ دَنَا لَاخْتَطَفَتْهُ عُضْوًا عُضْوًا**)) ثمَّ أَنْزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيئِهِ ﷺ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝6﴾[4] إلى آخِر السَّورةِ[5].

---

(1) سعد الدين التفتازاني صاحب شرح تلخيص المفتاح في المعاني والبيان.

(2) دلائل النبوة، البيهقي، 190/2.

(3) في الشفا: لمَّا، وهو أنسبُ.

(4) العلق: 6.

(5) الشِّفا، القاضِي عياض، ص340.

وَقَدِمَ كَهْلَةُ بنُ عاصِم بنِ كَهْلَةَ بنِ أَرَاش بنِ الْغَوْث بنِ عَمْرو بنِ الْغَوْث الأَرَاشِي بِإِبِلٍ لَهُ لِيَبِيعَها فَاشْتَرَاهَا مِنْهُ أبُو جَهْلٍ ثُمَّ مَطَلَهُ بأثمانِها، فوَقَفَ الأَرَاشِي علَى نَادِي قُرَيْشٍ فَقَالَ: هَلْ مِن رَجُلٍ يُخَلِّصُنِي مِنْ أَبِي الحَكَم فإنّي غَرِيبٌ وابْنُ سَبِيلٍ، وقَدْ غَلَبَنِي عَلَى حَقِّي، فقَالُوا: لَا يُخَلِّصُكَ منهُ إلَّا ذَلِكَ الرَّجُلُ، وأَشَارُوا إِلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ، قالُوا ذَلِكَ اسْتِهْزاءً بهِ، فجَاءَ إِلَيْهِ ﷺ فقالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ إنَّ أبا الحَكَمِ قَدْ غَلَبَنِي عَلَى حَقِّي، وقَدْ سَأَلْتُ أُوْلَئِكَ الْقَوْم فأَشَارُوا إِلَيْكَ، فخلِّصْنِي مِنْهُ يَرْحمكَ اللهُ، فقَامَ مَعَهُ لِيُخلِّصَهُ مِنْهُ، ولَمَّا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَمَرُوا واحِدًا مِنهُم أنْ يَتْبَعَهُ لِيَنْظُرَ ماذَا يَصْنَعُ، فضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بابَهُ علَيْهِ فقَالَ: مَنْ ذَا؟ قال: مُحَمَّدٌ فَاخْرُجْ إِلَيَّ فَخرَجَ إِلَيْهِ وقَد انْتَقَعَ لَونُه فقَالَ: أَعْطِ هَذَا الرَّجُلَ حقَّهُ، قَالَ: نَعَمْ لَا تَبْرَحْ حَتَّى يَأْخُذَهُ، فدَخَلَ فأَخْرَجَهُ إِلَيْهِ فَجَاءَ إِلَى أُوْلئِكَ وأَخْبَرَهُم بِمَا وَقَعَ، فَجَاءَ أَبُو جَهْلٍ [187و] فقَالُوا لَهُ: وَيْلَكَ واللهِ ما رَأَيْنَا مِثْلَ هذَا الذِي صنَعْتَ قَطُّ، قال: وَيْحَكُمْ واللهِ ما هُوَ إلاَّ أَنْ ضَرَبَ علَيَّ بَابِي فَسَمِعْتُ صَوْتَهُ فمُلِئْتُ رُعبًا، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَيْهِ وإنَّ فَوْقَ رأْسِي لَفَحْلًا مِنَ الْإِبِلِ، مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَامَتِهِ، وَلَا صُورَتِهِ ولَا أَنْيَابِه لِفَحْلٍ قَطُّ، واللهِ واللهِ لَوْ أَبَيْتُ لَأَكَلَنِي.

وإِنْ قِيلَ: مَا الْحِكمةُ فِي مَنْعِ أَبِي جَهْلٍ فِي هاتَيْنِ الْوَاقِعَتَيْنِ مِنْ أَنْ يَنَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بموذٍ مُطلقًا أَشَدَّ المنْعِ؟ ولَمْ يُمْنَعْ مِنْ إِلْقَاءِ سَلَاء الْجَزُورِ علَى ظَهْرِهِ ﷺ وهُوَ يُصَلِّي، قِيلَ: سِرُّ ذَلِكَ إِمْهَالُهُ حَتَّى تَنْفُذَ دَعْوَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيهِ، وفِي أَمْثَالِهِ مِمَّنْ كانَ أَشَدَّ النَّاسِ عَلَيْهِ ﷺ، ونَصَرَهُ عَلَيْهِم بِإِهْلَاكِهِمْ بِدَعْوَتِهِ، وإِلْقَائِهِم فِي الْقليبِ علَى أَخَسِّ حَالَةٍ وأَقْبَحِهَا، ولَوْ مُنِعَ اللَّعِينُ مِنْ ذَلِكَ لَمْ تَحْصُلْ هَذِهِ الْكَرَامَاتُ، فَكَانَ تَمْكِينُهُ مِنْ ذَلِكَ الفِعْلِ هُوَ عَيْنُ إِهْلَاكِهِ وإِهْلَاكِ نُظَرَائِهِ.

قَالَ الْوَاقِدِيّ: عَنْ يزيد بن رومان: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ فِي المسْجِدِ مَعَهُ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ بني زبيْد يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! كَيْفَ تَدْخُلُ عَلَيْكُم المادَّةُ، أَوْ يُجْلَبُ إِلَيْكُمْ جَلَبٌ، أَوْ يَحِلّ تَاجِرٌ بِسَاحَتِكُمْ، وأَنْتُمْ تَظْلِمُونَ مَنْ يَدْخُلُ علَيْكُمْ فِي حَرمِكُمْ؟ يَقِفُ عَلَى الْحِلَقِ حَلَقَةً حلَقَةً، حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وأَصْحَابِهِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((**وَمَنْ ظَلَمَكَ؟**)) فذَكَرَ أَنَّهُ قَدِمَ بِثَلَاثَةِ أَجْمَالٍ كَانَتْ خَيْرَ إِبِلِهِ، فَسَامَهُ بِهَا أَبُو جَهْلٍ ثُلُثَ أَثْمَانِهَا ثُمَّ لَمْ يَسُمْهَا مِنْ أَجْلِهِ سَائِمٌ، فأَكْسَدَ عَلَيَّ مَالِي وظَلَمَنِي، قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((**وأَيْنَ أَجْمَالُكَ؟**)) قَالَ: هِيَ هذِهِ بالحَزْورة، فقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ معَهُ وقَامَ أَصْحَابُهُ، فَنَظَرَ إِلَى الأَجْمَالِ فَرَأَى أَجْمَالًا فرهًا، فسَاوَمَ الزّبيدِيّ حتَّى أَلْحَقَه برِضاهُ، فأَخَذَها رَسولُ الله ﷺ فبَاعَ جَمَلَيْنِ منْهَا بالثَّمَنِ، وأَفْضَلَ بعيرًا باعَهُ، وَأَعْطَى أَرَامِلَ بني عَبدِ المطَّلِب ثَمَنَهُ، وأَبُو جَهْلٍ جَالِسٌ فِي نَاحِيَة مِنَ السُّوقِ لَا يَتَكَلَّمُ، ثمَّ أَقْبَلَ رَسولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِ وَقالَ: ((**يَا عَمْرو! إِيَّاكَ أَنْ تَعُودَ لِمِثْلِ مَا صَنَعْتَ بِهَذَا الْأَعْرَابِيّ فترَى مِنِّي مَا تَكْرَهُ**)) فَجَعَلَ يَقُولُ: لَا

أَعُودُ يَا مُحَمَّد، لَا أَعُودُ يَا مُحَمَّد، فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وأَقْبَلَ علَيْهِ أُمَيَّةُ بنُ خَلَف[1] ومَن حَضَرَ مِنَ الْقَوْمِ فقَالُوا: ذللْتَ بَيْنَ يَدَيْ مُحَمَّدٍ، فَإِمَّا تُرِيدُ أَنْ تَتَّبِعَهُ وإِمَّا رعِبْتَ مِنْهُ، قَالَ: لَا أَتَّبِعُهُ أَبَدًا، إِنَّ الذِي رأَيْتُمْ مِنِّي لِمَا رَأَيْتُ مَعَهُ، لَقَدْ رَأَيْتُ رجَالًا عَنْ يَمِينِهِ وشِمَالِهِ، مَعَهُمْ رِمَاحٌ يشْرعُونَهَا إِلَيَّ، لَوْ خَالَفْتُهُ لَكَانَتْ إِيَّاهَا[2].

وأَخْرَجَ أَبُو نعيم فِي "الدَّلائِلِ" وابنُ عساكِر عن ابنِ عبَّاس: أَنَّهُ سَأَلَ عُمَر عَنْ سَبَبِ تسْمِيَتِهِ بالْفَارُوقِ فقَالَ: إِنَّ حَمْزَةَ أَسْلَمَ قَبْلَهُ بثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وإِنَّهُ خَرَجَ إِلَى المسْجِدِ فسَبَّ أَبُو جَهْلٍ النَّبِيءَ ﷺ فأَخْبَرَ حَمْزةَ فأَخَذَ قَوْسَهُ وجَاءَ فضَرَبَ بِهَا [أَحَدَ صِدْغَيْ][3] أَبِي جَهْلٍ فَقَطَعَهُ، فسَالَتِ الدِّماءُ فأَصْلَحَتْ بينَهُم قُرِيشٌ مَخَافَةَ الشَّرِّ، والنَّبِيءُ ﷺ مُخْتَفٍ في دار الأرقم، فانْطَلَقَ حَمْزَةُ فأَسْلَمَ. وبَعْدَهُ بثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، ورُوِيَ أَنَّهُ أَنْكَرَ عمرُ على مَنْ أسلَمَ، فقَالَ لَهُ رَجُلٌ: إِنَّ أُخْتَكَ وختنَكَ، أَيْ: سعد بن زيد قدْ أَسْلَمَا، فَجَاءَ فَضَرَبَ رَأْسَ أُخْتِهِ فأَدْمَاهُ، فقَالَتْ لهُ: كانَ ذَلِكَ علَى رغْمِ أَنْفِكَ، فَاسْتَحْيَى حِينَ رَأَى الدَّمَ، وَجلَسَ وسَأَلَها أَنْ تُرِيَهُ الكِتَابَ فقَالَتْ: "لَا يمسُّه إِلَّا المطَهَّرُونَ" فاغْتَسَلَ فَأَخْرَجَتْ إِلَيْهِ صَحِيفَةً فِيهَا: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ طَٰهَٰ ﴿1﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿2﴾ ﴾ الآيات العَشْر[4] فَعَظُمَتْ فِي صَدْرِهِ، فَقَال لَهُ خبّاب، وكان ﷺ أرْسَلهُ لِتَعْلِيمِ أُخْتِهِ وزَوْجِهَا: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللهُ قَدْ خَصَّكَ بِدَعْوَةِ نَبِيئِهِ، فإِنِّي سَمِعْتُهُ أَمْس يقولُ: اللَّهمَّ أَعِزَّ الإِسْلَامَ بِعمرو بنِ هشام، بِفَتْحِ الْعَيْن وإِسْكَان الميمِ؛ أَيْ: أَبِي جَهْلٍ، أَوْ بِعُمَر بنِ الخَطَّاب، فقَالَ: دُلَّنِي عَلَيْهِ، فتوشَّحَ سَيْفَهُ وذَهَبَ إلى النَّبِيءِ ﷺ فضَربَ البَابَ، فاسْتَجْمَعَ القَوْمُ فقَالَ لهُم حَمْزةُ: مَا لَكُمْ؟ قَالُوا: عُمَر، قالَ: وعُمَر افْتَحُوا الْبَابَ فَإِنْ أَقْبَلَ قَبِلْنَاهُ، وإِنْ أَدْبَرَ قَتَلْنَاهُ، فسَمِعَ ذَلِكَ النَّبِيءُ ﷺ فخَرَجَ فتَشَهَّدَ عمَرُ فكَبَّرَ أَهْلُ الدَّارِ تكبِيرةً سمِعَهَا أَهْلُ المسْجِدِ، فقُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ أَلَسْنا عَلَى الحَقِّ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: قُلْتُ: فَفِيمَ الإِخْفَاءُ؟ فخَرَجْنا صَفَّيْنِ أنَا فِي أَحَدِهِما وحَمْزَةُ فِي الآخَرِ، حتَّى دَخَلْنا المسجِدَ، فنَظَرَتْ قُرَيْش إِلَيَّ وَإِلَى حَمْزَةَ فأَصَابَتْهُم كَآبةٌ شدِيدَةٌ، فسَمَّانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ الفَارُوقُ [187ظ] يوْمَئِذٍ، وفَرَّقَ اللهُ بِي بَيْنَ الْحَقِّ والْبَاطِلِ[5].

(1) في الأصل: أمية بن أبِي خلف. وهو خطأ.

(2) عيون الأثر، ابن سيد النَّاس، 205/1.

(3) في تاريخ دمشق: أخدعيه.

(4) سورة طه:1-10.

(5) تاريخ دمشق، ابن عساكر، 30/44-31، وحلية الأولياء، أبو نعيم، 40/1.

وقِيلَ: سمَّاهُ رسولُ اللهِ ﷺ فاروقًا حِينَ أبَانَ رَأْسُ المنَافِقِ الذِي لَمْ يَرْضَ بِحُكمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ اختَصَمَ معَ الْيَهُودِ عِنْدَهُ ﷺ كمَا قَالَ جِبْرِيلُ عليه السلام إنَّ عُمَرَ فَرَّقَ بَيْنَ الْحَقِّ والباطِلِ فانْظُرْ قَوْلَهُ تعالى: ﴿ اَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ الآية[1].

ورُوِيَ: أنَّهُ لَمَّا أَظْهَرَ إسْلَامَهُ صارُوا يَضْرِبُونَهُ وَيَضْرِبُهُمْ حَتَّى أجارَهُ خالُهُ. قالَ: فَمَا زِلْتُ أَضْرِبُ وأُضْرَبُ حتَّى أَعَزَّ اللهُ الإسلامَ، وصحَّ أنَّهُ لمَّا أَسْلَمَ نَزَلَ جِبْرِيلُ فقَالَ: يَا مُحَمَّد قَد اسْتَبْشَرَ أَهْلُ السَّماءِ بإِسْلَامِ عُمَر، وإنَّ المشْرِكِينَ قَالُوا: قَد انْتَصَفَ الْقَوْمُ مِنَّا وَأُنْزِلَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿64﴾ ﴾[2] وإنَّ ابنَ مسْعُودٍ قالَ: ما زِلْنَا أَعِزَّةً منْذُ أسلَمَ عُمَر. وقالَ أيْضًا: كان إسلامُهُ فتْحًا وهِجْرَتُهُ نَصْرًا وإِمَامَتُهُ رَحْمَةً، ولَقَدْ رَأَيْتُنَا مَا نَسْتَطِيعُ أنْ نُصَلِّي إِلَى الْبَيْتِ حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ، فقَاتَلَهُمْ حَتَّى تَرَكُونَا وسَبِيلَنَا. وإنَّ حذَيْفَةَ قَالَ: لَمَّا أسْلَمَ عُمَر كانَ الْإِسْلَامُ كالرَّجُلِ المقْبِلِ لا يَزْدَادُ إلَّا قُوَّةً، ولمَّا قُتِلَ كانَ الإِسْلامُ كالرَّجُلِ المدْبِرِ لَا يَزْدَادُ إلاَّ ضُعْفًا. وَبَسَطْتُ ترْجَمَةَ عُمَر فِي "شَرْحِ لَامِيَّةِ ابنِ النَّظْرِ".

وَاعْلَمْ أَنَّ أبَا جَهْلٍ كُنْيَةٌ إِسْلَامِيَّة لِفِرْعَوْنَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، عَكْس مَا يُسَمَّى فِي أَهْلِ الشِّرْكِ وهُوَ أبُو الحَكَمِ، وقُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ مُشْرِكا.

وأَمَّا عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه فقَالَ ابنُ إِسْحَاق: أسْلَمَ عقِبَ الهِجْرةِ الأُولَى إِلَى الْحبَشَةِ[3].

وذَكَرَ ابنُ سَعْدٍ عن ابن المسيّبِ في ذِي الحجَّةِ سنةَ سِتٍّ[4].

وقِيلَ: سنةَ خَمْسٍ بَعْدَ إسلامِ حمزةَ بثلاثَةِ أيَّام، لا بثلاثَةِ أشْهُرٍ كما قِيلَ، قالهُ أبو نعيم، رواهُ عن ابْنِ عبَّاس[5]. قال ابنُ عبَّاس: سَأَلْتُ عُمَرَ عنْ إِسْلامِهِ، قَالَ: خَرَجْتُ بعْدَ إِسْلَامِ حَمْزَةَ بثَلاثةِ أيَّام، فذَكَرَ القِصَّةَ.

وهوَ مُوافِقٌ لِمَا حَكَاهُ ابنُ سَعْدٍ، أمَّا عَلَى قَوْلِ ابْنِ إِسْحَاق فلَا يَجِيءُ؛ لِأَنَّ الْهِجرَةَ في الخَامِسَةِ وإِسْلامُ حَمْزَةَ في السَّادِسَة، كمَا أَنَّهُ لَا يَأْتِي علَى الْقَولِ بِأَنَّ إِسْلَامَ حَمْزَةَ في الثَّانِيةِ.

---

(1) سورة النساء: 60.

(2) سورة الأنفال: 64.

(3) سيرة ابن هشام، 342/1.

(4) لم أجده في الطبقات الكبير.

(5) حلية الأولياء، أبو نعيم، 40/1.

روَى التّرمِذِيّ عن ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيءَ ﷺ قَالَ: ((**اللَّهمَّ أَعِزَّ الإِسْلَامَ بِأَبِي جَهْلٍ بنِ هِشَام، أو بِعُمَر بنِ الخَطَّابِ فأَصْبَحَ عُمَرُ فَغدا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فأَسْلَمَ**)) قَالَ التَّرمِذِي: حسَنٌ صَحِيحٌ(1) ورَوَاهُ أَحْمَدُ أيْضًا(2).

وروَى ابنُ سَعْدٍ والبَيْهَقِيّ عَن ابن عُمَر عَنْهُ ﷺ: ((**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجلَيْنِ إليْكَ بِأَبِي جَهْلٍ أو بِعُمَر بنِ الْخَطَّابِ**))(3) صَحَّحَهُ ابنُ حبَّان(4).

ورَوَاهُ أَبُو نعيم مِن وجهٍ آخَرَ عن ابن عمر قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:[188و] ((**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ الرَّجُلَيْنِ إلَيْكَ، عُمَر أوْ أَبِي جَهْلٍ**))(5).

أَيْ: بِحَبِيبَيْهِما إلَيْكَ، فهُوَ خَارِجٌ عن التَّفضُّلِ أعنِي "أَحبّ"(6).

ورَوَاهُ خَيْثَمَةُ عنْ عَلِيّ بِهَذَا اللَّفظِ، ورواهُ الْحَاكِمُ عن ابْنِ مَسْعود بِلَفْظِ "أَيّدْ" بَدَلَ "أَعِزَّ"(7).

ورَوَاهُ البغويّ عنْ ربيعة السّعديّ(8) وابْنِ سَعْدٍ مِنْ مُرْسَلِ ابْنِ المسَيّب وغَيْرِهُم بلَفْظِ أبِي جَهْلٍ.

وفِي حدِيثِ خَبَّاب عِنْدَ الْبَزَّارِ مَرْفُوعًا: ((**اللَّهمَّ أَيِّدِ الإِسْلامَ بأبِي الحَكَمِ بن هِشام أَوْ بِعُمَر بنِ الخَطَّابِ**))(9) فيُمْكِنُ أنْ يَقُولَ هذَا مَرَّةً، وهَذَا أُخْرَى.

ودَعْوَى أنَّ "بِأبي جَهْلٍ" رَوَايَة بالمعْنَى لَا تَصِحُّ لأنَّها رَدٌّ للرّواياتِ المعدَّدَةِ الطُّرُق لرِوَايَةٍ واحِدَةٍ.

وأَخْرَجَ الحَاكِمُ وصحَّحَهُ عن نافِع عن ابن عمر عَن ابْنِ عبَّاس عَنْهُ ﷺ: ((**اللَّهمَّ أَيِّدِ الإِسْلامَ بِعُمَر بنِ الخطَّاب خَاصَّةً**))(10) وأَخْرَجَهُ ابن ماجه(11) وابنُ حبَّانَ(12)، والحاكِم وقالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيخيْنِ(13)، وأَقرَّه الذَّهَبِيّ مِن حدِيثِ عائشَةَ(14).

---

(1) سنن الترمذي، حديث (3683).

(2) مسند أحمد، حديث (5696).

(3) الطَّبَقَات الكبِير، ابن سعد، 247/3، ودلائل النبوة، البيهقي، 216/2.

(4) صحيح ابن حبان، حدِيث (6881).

(5) حلية الأولِياء، أبو نعَيْم، 361/5.

(6) العبارة أضافها المؤلف على الهامِشِ.

(7) لم أجد الرواية في المستدرك.

(8) معجم الصحابة، البغوِي، 388/2.

(9) لم أجد هذه الرواية في مسند البزار، ولا في كشف الأستار للهيْثَمِي.

(10) ذكر الحاكِم هذه الرواية عن عائشة، حدِيث (4485)، ورواية ابن عمر عن ابن عبَّاس فِيها: ((اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِعُمَرَ)) حدِيث (4484).

(11) سُنَن ابن ماجه، حدِيث (105).

(12) صحيح ابن حبان، حدِيث (6882).

(13) مستدرك الحاكِم، حدِيث (4485).

(14) تاريخ الإسلامِ، الذهبِي، 569/1.

وجمَعَ ابنُ عَسَاكِر بأنَّهُ ﷺ دَعَا أَوَّلًا بِالْأَوَّلِ، فلَمَّا أُوحِيَ إِلَيْهِ أنَّ أبَا جَهْلٍ لنْ يُسلِمَ خصَّ عمَر بدُعَائِهِ[1].

ولَعَلَّهُ ﷺ لَمْ يَدْعُ بهما معًا؛ لِأَنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيْهِ أنَّ أَحَدَهُما يُسْلِم ويَقْوَى به الإسْلامُ، ولَمْ يُبَيَّنْ لهُ، فصارَ يدْعُو بعُمُومِ الْأَحَد يسْتَنْجِزُ بدعائِهِ ما وُعِدَ لهُ، ويَتَعبَّدُ بالدُّعاء[2].

وبِحَدِيثِ عائِشَةَ هذَا الصَّحِيح، يُرَدُّ ما نُقِلَ عَن الدَّارقطنِي أنَّ عائشَةَ قَالتْ: إِنَّمَا قَالَ ﷺ: ((**اللَّهُمَّ أَعِزَّ عُمَرَ بِالْإِسْلَامِ**))[3] لأَنَّ الْإِسْلَامَ يُعِزُّ ولا يُعَزُّ[4].

وذكَرَ أبو بكر التّاريخيّ[5] أنَّ عِكْرِمَةَ سُئِلَ عن قَوْلِهِ: "اللَّهُمَّ أَيِّدِ الْإِسْلَامَ" فقالَ: معاذَ اللهِ دِينُ الْإِسْلَامِ أَعَزُّ مِنْ ذَلِكَ، ولكِنَّهُ قال:" اللَّهُمَّ أَعِزَّ عمَرَ بِالدِّينِ أو أَبَا جَهْلٍ"[6].

وذَكَرَ بعضٌ أنَّ هذا غيرُ صحِيحٍ عن عِكرِمَةَ[7].

وَفِي "الدُّرِّ[8]": قَد اشتهَرَ هذا الحدِيثُ الآنَ على الألسِنَةِ بلفظِ "بأحبِّ العمريْنِ" ولا أصلَ لهُ في شَيْءٍ مِن طرُقِ الحدِيثِ بعدَ الفحصِ البالِغِ[9].

وكان المسلِمونَ إذ ذاكَ بِضْعَةً وأربَعِينَ رَجُلًا، كما قَالهُ السُّهَيلِيّ، وزادَ وإحدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً[10].

وهُوَ مُخَالِفٌ لقولِ ابنِ حَجَر: رَوَى ابنُ أَبِي خَيثَمَةَ[11] عنْ عُمَر: ((**لَقَدْ رَأَيْتُنِي ومَا أَسْلَمَ معَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا تِسْعَةٌ وثَلَاثونَ فكَمَّلْتُهُمْ أَرْبَعِينَ، فأَظْهَرَ اللهُ دِينَهُ وأَعَزَّ الْإِسْلَامَ**)) وفِي حدِيثِ البزَّارِ عن ابنِ عبَّاس: ((فنَزَلَ جِبْرِيلُ فقال: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ**

(1) الدرر المنثورة، السيوطِي، ص54.

(2) الفقرة أضافها المؤلف على الهامِشِ.

(3) لم أقفْ عليهِ في كتب الدارقطنِي.

(4) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 4/2.

(5) أبو بكر التاريخي: مُحَمَّد بن عبد الْملك بن إِسْمَاعِيل السراج التاريخي، لقب بذلك لاعتنائه بالتواريخ، حدث عَن الْحسن بن مُحَمَّد الزَّعْفَرَانِي وَأبي بكر بن أبي خَيْثَمَة وأبي العيناء والمبرد وثعلب وأمثالهم، كَانَ أديباً فَاضلا متقناً حسن الْأَخْبَار مليح الرِّوَايَات، له كتاب تَارِيخ النَّحْوِيين. الوافِي، الصفدِي، 35/4.

(6) الدرر المنتثرة، السيُوطِي، ص53.

(7) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 4/2، وهو صاحبُ القولِ.

(8) عنوان الكتاب: الدرر المنثورة في الأحادِيث المشتهِرَة، لجلال الدين السيوطِي ت:911هـ.

(9) الدرر المنتثرة، السيوطِي، ص54.

(10) الروض الأنف، السهيْلِي، 161/3.

(11) في الأصل: خيتمة.

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿64﴾﴾[1]))[2][3]وقدْ يُقالُ: عُمر لَمْ يَطَّلِعْ على الزَّائِدِ؛ لأنَّهُم يسلِمون ويُخفونَ إيمانَهُم، خوفًا مِن أهل الشِّركِ، وكان عمر ﷺ شَدِيدًا عليْهِم، فلِذا أطلَقَ أنَّهُ كمَّلَهُم أربعِينَ، ولم يذكُر النِّساءَ لأنَّهُ لا إعزازَ بِهِنَّ لِضعفِهِنَّ[4].

وذكرَ أسامة بن زيد بن أسلم عنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عنْ عُمَر قَالَ: بَلَغَنِي مِن نُعَيْم بن عبد اللهِ النَّحّامِ[5] القرشِي الصَّحابِي، كما في رواية ابن إسحاق[6] وابن بشكوال، وفي البغوي إشارةٌ إليهِ، أَوْ مِنْ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاص، قِيلَ: أوْ مِنهُمَا مَعًا، إسلام أختِي فدَخَلْتُ عليْها فقلْتُ: يا عَدُوَّة نَفْسِها قدْ بَلَغَنِي عنكِ أنَّكِ صَبوتِ، ثُمَّ ضَرَبْتُهَا فسَالَ الدَّمُ، فلَمَّا رَأَت الدَّمَ بَكَتْ وغَضِبَتْ وقالَتْ: يا ابْنَ الخَطَّابِ مَا كُنْتَ فَاعِلًا فَافْعَلْ فقَدْ أَسْلَمْتُ، قالَ: فدَخَلْتُ وأَنَا مُغْضبٌ فإذا كِتَابٌ في ناحِيَةِ البَيْتِ، فإذَا فِيهِ [188ظ] ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وَلمَّا مَرَرْتُ بـ: "الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" ذُعِرْتُ ورَمَيْتُ بالصَّحيفَة مِن يَدِي، ثُمَّ رَجَعْتُ فإذَا فيهَا: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾حَتَّى بَلَغْتُ ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾[7] فقُلْتُ: أَشْهَدُ أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فخَرَجَ الْقَوْمُ يتَبَادَرُونَ بالتَّكبِيرِ اسْتِبْشَارًا بِمَا سَمِعُوا مِنِّي. فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَيْتٍ فِي أَسْفَلِ الصَّفا فدَخَلْتُ علَيْهِ وأَخَذَ رَجُلَانِ بِعَضُدَيَّ فقَالَ: ((**أَرْسِلُوهُ**)) فأَرْسَلونِي فجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فأَخَذَ بِمَجْمَع ثِيابِي فَجَذَبَنِي إليهِ ثمَّ قالَ: ((**أَسْلِمْ يَا بْنَ الخَطَّابِ اللَّهمَّ اهْدِ قَلْبَهُ**)) قُلْتُ: أَشْهَدُ أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، فكَبَّرَ المسْلِمونَ تَكْبِيرةً واحِدةً سُمِعَتْ بِطُرُق مَكَّةَ. وكَانَ الرَّجُلُ إذا أَسْلَمَ اسْتَخْفَى ثُمَّ خَرَجْتُ فذَهَبْتُ إِلَى رَجُلٍ لَمْ يَكْتُم السِّرَّ فقُلْتُ: إِنِّي صَبَوْتُ فرَفَعَ صَوْتَهُ بِأَعْلَاهُ: أَلَا إنَّ ابْنَ الخَطّابِ قَدْ صَبأَ فما زالَ النَّاسُ يضْرِبونَنِي وأَضْرِبُهم، فقَالَ خَالِي: مَا هَذَا؟ فقَالُوا: ابْنُ الخَطَّاب! فقَامَ علَى الحجرِ وَأشارَ بِكُمِّهِ وَقالَ: " أَلَا إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ ابْنَ أُخْتِي" فانْكَشَفَ النَّاسُ عنِّي، فمَا زِلْتُ أُضرَبُ وأضربُ حَتَّى أَعَزَّ اللهُ الْإِسْلَامَ[8].

---

(1) سورة الأنفال: 64.

(2) كشف الأستار، البزار، حَدِيث (2495).

(3) فتح الباري، ابن حجَر، 48/7.

(4) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 4/2.

(5) خطأ صوابه: النحَّامُ، الإصابة، ابن حَجر، 104/11.

(6) سيرة ابن هِشام، 343/1، وفِيه: النَّحَّام.

(7) سورة الحدِيد:1-7.

(8) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 5/2.

قال ابن ماجه عن ابن عبَّاس: ((**لمَّا أَسْلَمَ عُمرُ قالَ جِبْرِيلُ لِلنَّبِيءِ ﷺ: يا مُحَمَّد لقَد اسْتَبْشَرَ أَهْلُ السَّماءِ بِإِسْلامِ عُمَر**))[1].

والبِضْعَةُ مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَى سَبْعَةٍ، ولَا تُسْتَعْمَلُ فيمَا زَادَ على الْعِشْرِينَ إِلَّا بَعْضٌ، وهُوَ المشْهُورُ عنْدَ المشَايِخِ.

وأخت عمر اسمُهَا فَاطِمَة عِنْدَ الْأَكْثَر، وقِيلَ: أُمَيْمَة حكَاهُ الدَّارقطنِي، وقِيلَ اسمُها فاطِمة ولقبُهَا أُمَيْمَة وَكُنْيَتُها أُمُّ جَمِيل، وقِيل اسمُها رملة[2].

أَخْرَجَ الواقِدِيّ عن فاطمة بنت الخطّاب أنَّها سمِعَتْ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: ((**لا تَزالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَظْهَرْ فِيهِم حُبُّ الدُّنيا فِي عُلَمَاء فُسَّاقٍ وقُرَّاء جُهَّالٍ وجَوَرَةٍ، فإذَا ظَهَرَتْ خَشِيتُ أنْ يَعُمَّهُمْ اللهُ بِعِقَابٍ**))[3].

ويُروَى مِنْ حَدِيثِ أُسَامَة عَنْ جَدِّهِ أَسْلَم: قَالَ لَنَا عُمر: أَتُحِبُّونَ أَنْ أُعَلِّمَكُمْ كيْفَ كَانَ بَدأ إِسْلَامِي؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كُنْتُ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ علَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فبَيْنا أنا فِي يومٍ حارٍّ شَدِيدِ الحَرِّ بالهاجِرَةِ في بَعْضِ طُرُقِ مَكَّةَ إِذْ لَقِيَنِي رَجُلٌ مِن قُرَيْش فقُلْتُ: أيْنَ تَذْهَبُ؟ إِنَّكَ تزعُمُ أَنَّكَ هكَذا وقَدْ دَخَلَ علَيْكَ هذَا الأمرُ في بَيْتِكَ، قُلْتُ: ومَا ذَاكَ؟ قالَ: أُخْتُكَ قَدْ صَبأَتْ فَرَجعتُ مُغْضبًا، وَقَدْ كَانَ ﷺ يَجْمَعُ الرَّجُلَ والرَّجُلَيْنِ عِنْدَ الرَّجُلِ بِهِ قُوَّةٌ فيَكُونَانِ مَعَهُ ويُصِيبان مِنْ طَعَامِهِ، وقَدْ ضَمَّ إِلَى زَوْجِ أُخْتِي رَجُلَيْنِ فَجِئْتُ حتَّى قَرَعْتُ الْبَابَ فقِيلَ مَن هذا؟ قلتُ: ابن الخَطَّابِ، وكَانَ الْقَوْمُ [189و] جلُوسًا يقْرَؤُونَ صَحِيفةً معهُمْ، فلمَّا سَمِعوا صَوْتِي تَبَادَرُوا واحْتَفوا، أو قَالَ: نَسُوا الصَّحِيفَةَ مِنْ أَيْدِيهِمْ، فقَامَت المرْأَةُ فَفَتَحَتْ لِي، فدَخَلْتُ عليْها فَقُلْتُ: يا عَدُوَّةَ نَفْسِهَا، الْحَدِيث السَّابِق[4]. ومَعْنَى قَوْلِها "صَبُؤت": خَرجت مِن دِينِكَ.

وفي "الصَّفْوَةِ"[5]: فوَثَبَ عُمَر علَى خَتنِهِ، سعيد بن زيد، وبَطَشَ بلِحْيَتِهِ وضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ، وجَلَسَ على صدرِهِ، فجَاءَتهُ أُخْتُهُ لتَكُفَّهُ عنْ زَوْجِهَا، فَلَطَمَها لَطْمَةً شَجَّ بِهَا وَجْهَهَا، فسَالَ الدَّمُ، فلَمَّا رَأَت الدَّمَ بكَتْ وقَالَت: أَتَضْرِبُنِي يا عدُوَّ اللهِ على أَنْ أُوَحِّدَ اللهَ، لقَدْ أَسْلَمْنا علَى رَغْمِ أَنْفِكَ[6].

---

(1) سنن ابن ماجة، حدِيث (103).

(2) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 5/2. ينظر: الإصابة، 101/14.

(3) معرفة الصحابة، أبو نُعَيْم، حدِيث (7791)، وشرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 5/2.

(4) البحر الزخار، حدِيث (279). شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 5/2.

(5) كتاب صفة الصَّفوة لابن الجوزِي.

(6) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 5/2. ينظر: صفة الصفوة، 270/1 مع اختلاف كبير في الرواية.

وروَى ابنُ عبَّاسٍ عنْ عُمَر عنْدَ ابْنِ عَسَاكِر والْبَيْهَقِيّ: فوَجَدْتُ هَمْهَمَةً فدَخَلْتُ فقلتُ: ما هَذَا؟ فمَا زَالَ الْكَلامُ بَيْنَنَا حتَّى أَخَذْتُ بِرَأْسِ ختنِي فَضَرَبْتُهُ وأَدْمَيْتُهُ، فقَامَتْ إِلَيَّ أُخْتِي فأَخَذَتْ بِرَأْسِي وقَالَتْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ علَى رَغمِ أَنْفِكَ، فاسْتَحْيَيْتُ حِينَ رَأَيْتُ الدِّماءَ[1]. وفِي روايَةٍ: فَجَلَسْتُ علَى السَّرِير فنَظَرْتُ فإِذَا كِتَابٌ[2]. الحدِيث السَّابِق.

وفِي رِوايَةٍ مِنْ حدِيثِ أُسَامةَ عَنْ جَدِّهِ أَسْلَم: ((**فَقُلْتُ: مَا هَذَا الْكِتَابُ؟ أَعْطِينيهِ فقَالَتْ: لَا أُعْطِيكَهُ لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ أَنْتَ لَا تَغْتَسِلَ مِن الْجَنَابَةِ ولَا تطهرُ، وَهَذَا لَا يَمسُّهُ إِلَّا المطهَّرونَ، قالَ: فَلَمْ أَزَلْ بِهَا حَتَّى أَعْطَتْنِيهِ**)) وفِي "الصَّفوةِ": قال: أعْطونِي هَذَا الْكِتَاب أَقْرَأْهُ، وكَانَ عُمَرُ يَقْرَأ الكُتُب، قالَتْ أخْتُهُ: لَا أَفْعَلُ، قالَ: وَيْحَكِ وقَعَ فِي قَلْبِي مِمَّا قُلْتِ فأَعْطِينيه أَنْظُر إِلَيْهِ، وأُعْطِيكِ مِنَ المواثِيقِ أَلَّا أَخُونَكِ، حتَّى تُحْرِزِي بِهِ حَيْثُ شِئتِ، قَالتْ: إِنَّكَ رِجْسٌ فانْطَلِقْ فَاغْتَسِلْ، أَوْ تَوَضَّأْ، فإِنَّهُ كتَابٌ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا المطهَّرونَ، فخَرجَ ليَغْتَسِلَ فخرَجَ خَبَّاب فقَالَ: أَتَدْفَعِين كِتَابَ اللهِ إلى كافِرٍ؟ قالَتْ: نَعَمْ إِنِّي أَرْجُو أنْ يَهْدِي اللهُ أخِي فَدَخَلَ خَبّاب الْبَيْتَ وجاءَ عُمَر فدَفَعَتْهُ إِلَيْهِ فإِذَا فِيهِ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾[3] الحدِيث. ومَعْنَى ذُعِرْتُ: أُفْزِعْتُ بالبناءِ للمفعولِ.

وفِي رِوَايَةِ البَزَّارِ: فجَعَلْتُ أُفَكِّرُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ اشْتُقَّ[4]، أَيْ: لَفْظُ الرَّحمن الرَّحِيم. ومَعْنَى فرَجَعْتُ: رَجَعْتُ إِلَى الصَّحِيفَةِ فأَخَذْتُها بَعْدَ مَا أَلْقَيْتُها.

وفِي "البزَّارِ": فجَعَلْتُ أَقْرَأُ وأُفَكِّرُ حتَّى بلَغْتُ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[5][6] وروَى غيْرُهُ فإذا فِيها:﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[7] فكُلَّما مَرَرْتُ باسْمٍ مِنْ أَسْماءِ اللهِ ذُعِرْتُ، ثمَّ تَرجِعُ إِلَيَّ نفسِي حتَّى بَلَغْتُ:﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[8] إلى قولِهِ تعالَى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨﴾[9] فقُلْتُ: أَشْهَدُ أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأَشْهَدُ أنَّ مُحمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ[10].

---

(1) تاريخ دمشق، ابن عساكِر، 30/44.

(2) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 5/2.

(3) (م، س)، 6/2. ينظر: صفة الصفوة، 271/1 مع اختلاف كبير في الرواية.

(4) لم أجده في مسند البزار، ولا في كشف الأستار للهيثمِي. ينظر: مختصر زوائد مسند البزار، ابن حجر، 290/2، مع اختلاف يسِيرٍ.

(5) سورة الحدِيد: 7.

(6) لم أجده في مسند البزار، ولا في كشف الأستار للهيثمِي. ينظر: مختصر زوائد مسند البزار، ابن حجر، 290/2.

(7) سورة الحدِيد: 1.

(8) سورة الحدِيد: 7.

(9) سورة الحدِيد: 8.

(10) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 6/2.

وفِي روايَة ابن عساكِر وأبِي نُعَيْم عن ابن عبَّاس والدَّارقطنِي عن أنَس كلاهُما [189ظ] عن عُمَر فَقُلْتُ: أَرُونِي هَذَا الْكِتَابَ فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يَمسُّهُ إِلَّا المطَهَّرونَ، فقُمْتُ فاغْتَسَلْتُ وجِئْتُ فَأَخْرَجُوا إِلَيَّ صَحِيفَةً فِيهَا ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فَقُلْتُ: أَسْمَاءٌ طيِّبَةٌ طَاهِرَة ﴿طه ۝١ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ إلى قولِهِ: ﴿الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۝٨﴾[1] فعَظُمَتْ في صَدْرِي وقُلْتُ: مِن هَذَا فرَّتْ قُرَيْشٌ فَأَسْلَمْتُ[2].

وعِنْدَ الدَّارَقطنِي: فقَامَ فَتَوَضَّأَ ثمَّ أَخَذَ الصَّحِيفةَ[3]. وكذا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاق، وأَنَّهُ تَشَهَّدَ لَمَّا بَلَغَ: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾[4].

وزادَ يُونُس[5] عنْهُ: ((أَنَّهُ كَانَ فِيها مَعَ سُورَةِ طَهَ ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾[6] وأَنَّ عُمَر انْتَهَى في قِرَاءَتِها إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾[7]))[8] فيُمْكِنُ أَنَّهُ تَوَضَّأَ ثمَّ اغْتَسَلَ أَوْ عَكْسه. وأَنَّهُ وجَدَ السُّوَرَ الثَّلاثَ فِي صحِيفةٍ أو صحِيفتينِ فقرأها وتشَهَّدَ عقِبَ بلوغِ كلٍّ مِنَ الْآيتَيْنِ.

وفي "الصَّفوة": ((ولَمَّا بَلَغَ: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِذِكْرِي ۝١٤﴾[9]))[10] قَالَ: مَا يَنْبَغِي لِمَنْ يَقُولُ هَذَا أَنْ يُعْبَدَ معَهُ غَيْرُهُ دُلُّونِي على محمَّد.

والمرادُ بالْقَوْمِ في قَوْلِهِ "فَخَرَجَ الْقَوْمُ" مَنْ كَانَ فِي دارِ أُخْتِهِ، زَوْجُها سعِيد وخبّاب بن الأرتّ أحَدُ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ ضَمَّهُم إلى سَعِيد رسولُ اللهِ ﷺ ولا يُعْرَفُ اسمُ الآخَرِ، وكانَ خبّاب يُقْرِئُهُم القرآنَ، ولمَّا خرَجُوا أَيْ: ظَهَرُوا كَبَّروا وحَمِدوا الله ثمَّ قالوا: يا بن الخطَّابِ أَبْشِرْ فإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ دعَا يَوْمَ الأَثْنَينِ فقال: اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ بعمرو أو عمر، وإنَّا نَرْجُو أنْ تَكُونَ دَعْوَتُهُ لَكَ فأَبْشِرْ، فلمَّا عرَفُوا مِنِّي الصِّدقَ قلتُ: أخبِرونِي بمكانِهِ ﷺ قالوا: هو في أسفَلِ الصَّفا يعنِي دارَ الأرقَمِ الصَّحابِيّ

---

(1) سورة طه:1-8.

(2) دلائل النبوة، أبو نُعَيْم، ص241، وشرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 6/2.

(3) ينظر: سنن الدارقطني، حدِيث (441).

(4) سورة طه: 16.

(5) يونس بن بكير من رواة السيرة عن ابن إسحاق.

(6) سورة التكوير:1.

(7) سورة التكوير:14.

(8) السيرة النبوية لابنِ إسحاق، ص222.

(9) سورة طه:14.

(10) صفة الصفوة، 271/1.

فذهبَ إليهِ ﷺ. وكانَ ﷺ مُخْتَفِيًا فِيها بِمَنْ مَعَهُ مِنَ المسْلِمِينَ، قالَ الطَّبَرِي: يُقَالُ لَهَا الْيَوْمَ دار الخيزران[1].

وفي "الصَّفوةِ": فقَالَ عُمَر: يَا خَبَّاب انْطَلِقْ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فقَامَ خَبَّاب وَسَعِيد مَعَهُ[2].

وفِي حَدِيثِ أُسامَة عنْ أَسْلَم: فَقَرَعْتُ البابَ قِيل مَن هذا؟ قُلتُ: ابْنُ الخَطَّابِ، وقَدْ عَرَفوا شِدَّتِي علَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ولَمْ يعْلَمُوا بِإِسْلَامِي فمَا اجْتَرَأَ أَحدٌ مِنهُم أن يَفْتَحَ البابَ، فقال ﷺ: **((افْتَحُوا لَهُ، فإِنْ يُرِد اللهُ بهِ خَيْرًا يَهْدِهِ))** وهذا مِن كلامِهِ ﷺ وأخرجَهُ ابن عائذ[3] مِن حدِيثِ ابن عُمَر وقالَ: هَذَا وَهمٌ، وإنَّما الذِي قالَ: إِنْ يُرِدْ اللهُ إلخ هُوَ حَمْزَة[4]. وفِي رِوَاية: لَمَّا رَأَى حمزةُ وَجلَ القَومِ منهُ قال: إِنْ يُرِدْ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُسلِم، ويَتَّبِع النَّبِيء ﷺ وَإِن يُرِدْ غَيرَ ذلِكَ كانَ قَتْلُهُ علَيْنَا هَيِّنًا[5].

ويُروَى أَنَّهُمْ رَأَوْهُ مِنْ خلِلِ [190و] البابِ فقال حمزةُ ﷺ: دعوهُ يَدخُل فَإِنْ أَرَادَ خَيْرًا بَذَلْنَاهُ لَهُ، وإِنْ أَرَادَ شَرًّا قتَلْنَاهُ بِسَيْفِهِ.

والنَّبِيءُ يُوحَى إليهِ ﷺ، يوحَى إليهِ في ذلكَ الوقتِ ففَتَحَ البابَ، قالَ: فدَخَلْتُ علَيْهِ وأَخَذَ رَجُلانِ بِعَضُدَيَّ الحَدِيث.

لَا يَعْرِفُ العلَمَاءُ اسْمَي الرَّجُلَيْنِ، قِيلَ: ولَعَلَّ أحَدَهُما حَمْزَة؛ لِأَنَّهُ الذِي أَذِنَ في دُخُولِهِ. وعَضُدَيَّ: مُشدَّدُ الْيَاءِ تَثْنِيَةً، كمَا يوجَد في بَعْضِ الطُّرِ أنَّ حَمْزَةَ أخَذَ بيَمِينِهِ والزُّبير بيَسَارِهِ. ومعنَى مجْمَع ثيابِي: أَطْرَافُهُ التِي تَضْبِطُهُ.

وفي رِوايَةٍ لِأَسْلَم: ((بِمَجْمَع قمِيصِي))[6] وعِندَ ابن إسحاق: بِحُجْزَتِهِ[7] أوْ بِمجمَعِ رِدَائِهِ[8]. وفِي روايَةٍ :"جَبَذَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِ جَبْذَةً شدِيدَةً"[9] وفِي رِوايَةٍ: فاسْتَقْبَلَهُ النَّبِيءُ ﷺ في صَحنِ الدَّارِ فأَخَذَ بِمَجَامِعِ ثَوْبِهِ وحَمَائِلِ سَيْفِهِ، وفِي لفظٍ: أَخَذَه ساعَةً وهَزَّهُ فَارْتَعَدَ عُمَر مِنْ هَيْبَتِهِ وجَلَسَ. وفي روايَةٍ: أَخَذَ بِمَجَامعِ ثِيَابِهِ فَنثرةُ نَثْرَةً فمَا تَمَالَكَ أنْ وَقَعَ عُمر على رُكْبَتَيْهِ، وقَال لَه: فَمَا أَنْتَ بِمُنْتَهٍ يا عُمَر حتَّى يُنْزِلَ اللهُ بكَ ما أَنْزَلَ بالوليد بن المغيرة" يعنِي مِنَ الْخِزْيِ والنَّكالِ، ولعَلَّهُ ﷺ فَعَلَ معهُ

---

(1) ينظر: مثير العزم الساكن، 84/2. والخيزران: الخيزران بنت عطاء وهي زوجة الخليفة العباسي المهدي، ووالدة الخليفة هارون الرشيد والخليفة الهادي.

(2) لم أقف عليه في "صفة الصفوة".

(3) مُحَمَّدُ بنُ عَائِذٍ أَبُو عَبْدِ اللهِ، المُؤَرِّخُ، صَاحِبُ المَغَازِي، تَوَلَى دِيْوَانِ الخَرَاجِ بِالشَّامِ زَمَنَ المَأْمُوْنِ. سير أعلام النبلاء، الذهبي، 104/11.

(4) ينظر: عيون الأثر، 145/1.

(5) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 7/2.

(6) فضائل الصحابة، ابن حنبل، حدِيث (376).

(7) حُجْزة الإزار جَنَبته وحُجْزة السراويل موضع التِّكَّة وقيل حُجْزة الإنسان مَعْقِد السراويل والإزار. لسان العرب (حجز).

(8) في السيرة النبوية لابن إسحاق: أخذ بمجمع قميصِ عمر وردائه. والرواية في الرياض النضرة، المحب الطبري، 240/2.

(9) سيرة ابن هشام، 346/1.

ذَلِكَ لِيُثَبِّتَهُ اللهُ علَى الْإِسْلامِ ويُلقِي حُبَّهُ الطَّبَعِيَّ في قَلْبِهِ ويُذْهِب عَنْهُ رِجْسَ الشَّيْطانِ فكان كذلِكَ حتَّى كان الشَّيطانُ يفِرُّ منهُ، وليَكُونَ شَدِيدًا على الكُفَّارِ وفِي الدِّين فصَارَ كذلكَ[1].

وعندَ ابن إسحاق فقال: ما جاءَ بكَ يا ابنَ الخَطَّابِ فواللهِ ما أرَى أن تنتَهِي حتَّى ينزِلَ اللهُ بكَ قارِعة فقال: يا رسول اللهِ جئتُ لأومِنَ باللهِ وبِرسولِهِ وبما جاءَ مِن عند اللهِ[2]. وفي رواية: اللَّهمَّ اهْدِهِ بَدَلَ اللَّهُمَّ اهْدِ قَلْبَهُ. وفِي روايَةٍ: اللَّهُمَّ هذَا عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ اللَّهمَّ أَعِزَّ الدِّينَ بعُمَر بنِ الخَطَّابِ، وإنَّما كَبَّروا حِينَ أَسْلَمَ بعدَ تَكْبِيرِ النَّبِيءِ ﷺ[3].

وفِي روَايَةِ أَبِي نُعَيْم وابن عساكِر عن ابن عبَّاس عَن عُمَر: فقُلْتُ يا رَسُولَ اللهِ أَلَسْنَا على الحقِّ إنْ متْنَا وإنْ حَيِينَا؟ قالَ: ((**بلَى والذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إنَّكُمْ عَلَى الْحَقِّ إنْ مِتُّمْ وإنْ حَيِيتُم**))، فقُلتُ: فَفِيم الخَفَاءُ يا رَسُولَ اللهِ عَلامَ نُخفِي دِينَنا ونَحنُ عَلَى الْحَقِّ وهُم عَلَى الباطِلِ؟ فقال: ((**يا عمَرُ إنَّا قَلِيلٌ، قَدْ رَأَيْتَ ما لَقِينَا**)) قال: والذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا لَا يَبْقَى مَجْلِسٌ جَلَسْتُ فِيهِ بالكُفرِ إلَّا جَلَسْتُ فِيهِ بالإيمانِ فخَرَجُوا فِي صَفَّيْنِ إلى المسْجِدِ كما مرَّ[4]. وفِي روايَةٍ: أصَابَتْ بذَلِكَ قرِيْشًا كآبَةٌ لم يُصِبْهُم مثلُها، وذَلِكَ الرَّجُلُ الذِي لَمْ يَكْتُم السِّرَّ قَطُّ جميل بن معمر بنِ حَبِيب [190ظ] الْجُمَحِيّ، أَسْلَمَ يَوْمَ الفَتْحِ وقَدْ كَبرَتْ سِنُّهُ وشَهِدَ حُنيْنًا وفَتْحَ مِصْرَ ومَاتَ فِي خلافةِ عُمَر رَضِيَ اللهُ عنهُمَا وحَزِنَ عَلَيْهِ حُزْنًا شَدِيدًا[5].

وروَى ابن إسحاق عن نافِع عن ابن عمر: لـمَّا أَسْلَمَ عمر قالَ: أَيُّ قُرَيْش أَنْقَلُ للحَدِيثِ؟ قِيلَ: جميل بن معمر، فغَدَا عَلَيْهِ وغَدَوْتُ أَتبع أَثَرَهُ وأنَا غُلَامٌ أَعْقِلُ ما رَأَيْتُ حتَّى جاءَهُ فقَالَ: أَعَلِمْتَ يا جَمِيلُ أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ ودَخَلْتُ في دِينِ مُحَمَّد ﷺ فواللهِ ما رَاجَعَهُ حتَّى قامَ يَجُرُّ رِدَاءَهُ، واتبعه عمر واتبعت أَبِي حتَّى قامَ على بَابِ المسْجِدِ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِه: يا معْشَرَ قُرَيْش، وَهُمْ فِي نَادِيهِمْ حَوْلَ الْكَعْبةِ، أَلَا إِنَّ ابْنَ الخطَّابِ قدْ صَبأ، ويقُولُ عُمَر مِنْ خَلْفِهِ كذِبَ ولكنِّي أَسْلَمْتُ وشهِدْتُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأنَّ مُحَمَّدًا عبْدُهُ ورَسُولُه[6].

(1) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 8/2.
(2) سيرة ابن هشام، 346/1.
(3) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 8/2.
(4) ينظر: حلية الأولياء، 40/1.
(5) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 8/2.
(6) (م، س)، 8/2، سيرة ابن هشام، 349/1.

فقَوْلُهُ أوَّلًا لِجَمِيل: "صَبُؤْتُ"[1] أَرادَ بِهِ عَلَى زَعْمِهِم. وخَالُه الذِي حَجَزَ بَيْنَهُ وبَيْنَ مَنْ يُضَارِبُهُ هو أبُو جَهْلٍ أوْ أَخُوهُ الحارِثُ بنُ هِشام، وهُمَا خَالَاهُ مَجَازًا؛ لأنَّ عصبَةَ الأُمِّ أَخْوَالُ الابنِ، وأمُّهُ [خَنْتَمَةُ بنتُ هَاشِم][2] بن المغِيرَةِ المخْزُومِيّ، وهَاشِم وهِشَام أَخَوَانِ فهُمَا ابْنَا عَمِّ أمِّهِ، ومَنْ قال: إنَّها بنتُ هشام أَخْطَأَ وصَحَّفَ هاشما بهشام كما قالهُ ابن عبد البرّ[3] والسّهيلِيّ[4] وغيرهما ويُحْتَمَل أنَّهُ أرادَ غيرهما من بني مخزوم[5].

والجَزْمُ بأنَّهُ أَبُو جَهْل يَحْتَاجُ لِبُرْهَانٍ، ولَا سِيَّما أنَّهُ أَبْعَدُ مِنْ أَنْ يَرُدَّ الضَّرْبَ عَمَّنْ أَسْلَمَ مَعَ إنكَارِهِ الْإِسْلَامَ وإيذَائِهِ عليْهِ مَا اسْتَطاعَ، واخْتِيَارُهُ لِأَنَّه خَالُه حَقِيقَةً مَبْنِيّ علَى الْخَطَأ المذْكُورِ، ولَا يَصِحُّ ولَوْ أَقَرَّهُ ابن حجَر أنَّه خالُهُ حقِيقَةً. وفِي حدِيثِ ابن إسحاق عن ابنِ عمر أنَّ العاصي بن وائل أجارَهُ منهُم حِينئِذٍ، فيحتمل أنَّهُما معا أجاراهُ، فأجارَه مرَّتَيْنِ مرَّةً معَ خالِهِ في المسجِدِ ومرَّةً في دارِهِ[6].

قال البُخَاريّ عن ابْنِ عُمَر: ((**بَيْنَما عُمَر فِي الدَّارِ خَائِفا إِذْ جاءَهُ العاصِي بن وائِل السَّهمِيّ أبو عمرو وعلَيْهِ حُلَّة حِبَرَةٍ وقَمِيصٌ مكْفُوفٌ بِحَرِيرٍ، فقَالَ: مَا بالُكَ؟ فقال: زَعَمَ قَوْمُكَ أنَّهُم سيَقْتُلونَنِي لِأَنِّي أَسْلَمْتُ، قالَ: لَا سَبِيلَ إِلَيْكَ فخَرَجَ العاصِي فلَقِيَ النَّاسَ قد سالَ بِهِم الْوَادِي فقال: أيْنَ تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ ابْنَ الْخَطَّابِ الذِي قَدْ صَبأَ، قَالَ: لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ فانْصَرِفُوا، وَلمَّا أَجَارَهُ خَالُهُ قَالَ لَهُ: لَا تَفْعَلْ يَا ابْنَ أُخْتِي، قالَ: بَلَى هُوَ ذَاكَ، قالَ: فمَا شِئْتَ**))[7] وذَلك رَدٌّ لجِوارِ خالِهِ كما رُوِي عنهُ إذْ أجارَهُ وطلَبَ منْهُ تَبرُّكَ الإيمانِ.

ورَوَى حدِيثَ أَسْلَم عنْ عُمر [191و] هذا بِطولِهِ البزَّار والطَّبرانِي وأبو نُعَيْم والبيهَقِي، ورواهُ الدَّارقطنِيّ من حَدِيث أنَس وابن عساكِر والبيْهَقِيّ عن ابن عبَّاس وأبو نُعَيْم عن طلحةَ وعائِشَةَ كلّهُم عن عمَر نَحوه، فهذِه طُرُقٌ يعْضُدُ بعضُها بعضًا فتَجْبُر ما فِيهِ مِن ضعف أسامة[8].

ومِنْ أسبابِ إسْلامِ عُمَر ﷺ ما ذَكَرَ هُوَ عن نَفْسِهِ: ((بَيْنَمَا أنَا عنْدَ آلْهَتِهِم إِذْ جَاءَ رَجُلٌ بعِجْلٍ فَذبَحَهُ فصَرَخَ به صارِخٌ لم أسمَعْ قَطُّ أَشَدَّ صوْتًا منْهُ يقُولُ: يا جَلِيحْ، أَمْرٌ نَجِيحْ، رَجُلٌ فَصِيح، يَقُولُ:

---

(1) ذكر هذا سابِقا، رواية عن غيرِ ابن إسحاق.

(2) فِي شرح المواهب، والاستيعاب والروض الأنف: حنتمة.

(3) الاستِيعاب، ابن عبد البرّ، 1144/3.

(4) الروض الأنف، السهيْلِي، 447/7، ولم يذْكُرْ فِيهِ أنَّهُ أخطأ من قال بنت هشام.

(5) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 9/2.

(6) (م، س)، 9/2.

(7) صحيح البخاري، حديث (3864)، وشرح المواهب اللدنية، الزُّرْقَانِيّ، 9/2.

(8) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 10/2.

لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ فَوَثَبَ الْقَوْمُ. قُلْتُ: لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَعلَمَ ما وَرَاءَ هَذَا، ثمَّ نادَى يا جَلِيحْ، أَمْرٌ نَجِيح، رَجُلٌ فَصِيح، يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فمَا نَشَبْنَا أَنْ قِيلَ هَذَا نَبِيءٌ))[1].

وروَى أبو نُعَيْم في "الدَّلائِلِ" عن طلحة وعائِشَةَ عن عمر أنَّ أبَا جَهْلٍ لَعَنَهُ اللهُ، جَعَلَ لِمَنْ يَقْتُلُ مُحَمَّدًا ﷺ مِئَةَ نَاقَةٍ حَمْرَاءَ أَوْ سَوْدَاءَ وأَلْف أُوقِيَةٍ فِضَّةً، فَقُلْتُ: يَا أَبَا الْحَكَمِ الضَّمَانُ صَحِيحٌ؟ قالَ: نَعَمْ، فخَرَجْتُ متَقَلِّدًا السَّيْفَ مُتَنَكِّبًا كِنَانَتِي أُرِيدُ رسُولَ اللهِ ﷺ فمرَرْتُ علَى عِجْلٍ يرِيدُونَ ذَبحَهُ فقُمْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ، فإِذَا صَائِحٌ يَصِيحُ مِنْ جَوْفِ العِجْلِ: يا آلَ دريح، أَمْرٌ نَجِيح، رَجُلٌ يَصِيح، بِلِسَانٍ فَصِيح، يَدْعُو إِلَى شَهَادَةِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا الله وأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله. فقُلْتُ فِي نَفْسِي: إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ مَا يُرادُ بِهِ إِلَّا أَنَا، يَعْنِي الزَّجرَ عَن الأَصْنَامِ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِصَنَمٍ، وإِذَا هَاتِفٌ مِن جَوْفِهِ يَقُولُ:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ذَوُو الْأَجْسَامْ ... مَا أَنْتُمْ وَطَائِش الْأَحْلَام
ومُسْنِدُو الْحُكْمِ إِلَى الْأَصْنَام ... أَصْبَحْتُمْ كَرَاتِعِ الْأَنْعَام
أَمَا تَرَوْنَ مَا أَرَى أَمَامِي ... مِنْ سَاطِعٍ يَجْلُو دُجَى الظَّلَام
قَدْ لَاحَ لِلنَاظِرِ مِنْ تِهَامْ ... وقَدْ بَدَا لِلنَّاظِرِ الشَّئَامي
مُحَمَّدٌ ذُو الْبِرِّ والْإِكْرَامْ ... أَكْرَمَهُ الرَّحْمَنُ مِنْ إِمَامْ
قَدْ جَاءَ بَعْدَ الشِّرْكِ بِالْإِسْلَامْ ... يَأْمُرُ بِالصَّلاةِ والصِّيَام
والْبِرِّ والصِّلَاتِ لِلْأَرْحَام ... ويَزْجرُ النَّاسَ عَنْ الآثَام
فبَادِرُوا سَبْقًا إِلَى الْإِسْلَام ... بِلَا فُتُورٍ وبلَا إِحْجَام[2]

قال عمر: فواللهِ ما أراهُ إِلَّا أَرَادَنِي، ثُمَّ مَرَرْتُ بِالضِّمَارِ[3] فإِذَا هَاتِفٌ مِنْ جَوْفِهِ يَقُولُ:

أَوْدَى الضِّمار وكانَ يُعْبَدُ مُدَّةً ... قَبْلَ الْكِتَابِ وقَبْلَ بَعْثِ مُحَمَّدِ
إِنَّ الذِي وَرِثَ النُّبُوَّةَ والْهُدَى ... بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدِي
سَيَقُولُ مَنْ عَبَدَ الضِّمَارَ وَمِثْلَهُ: ... لَيْتَ الضِّمَارَ ومِثْلَهُ لَمْ يُعْبَدِ
أَبْشِرْ أَبَا حَفْصٍ بِدِينٍ صَادِقٍ ... تَهْدى إِلَيْهِ وَبالْكِتَابِ المرْشِدِ
واصْبِرْ أَبَا حَفْصٍ فَإِنَّكَ آمِر ... يأْتِيكَ عِزٌّ غَيْرُ عِزِّ بَنِي عَدِي
لَا تَعْجَلَنَّ فَأَنْتَ نَاصِرُ دِينِهِ ... حَقًّا يَقِينًا بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ[4]

(1) صحيح البخاري، حديث (3866)، وشرح المواهب اللدنية، الزُّرْقَانِيّ، 10/2.

(2) الأبيات من الرَّجز.

(3) ضِمَارٌ: صَنَمٌ عَبدَه العَبّاسُ بنُ مِرْدَاسٍ السُّلَمِيّ ورَهْطُهُ. تاج العروس (ضمر).

(4) الأبيات من الكامل، مختلفة الرواية كثيرا في المصادِر، ينظر: البداية والنهاية، 582/3 والخصائص الكبرى، السيوطِي، 267/1.

[191ظ] قال عمر: فواللهِ لَقَدْ علِمْتُ أَنَّهُ أَرَادَنِي! فَلَقِيَنِي نُعَيْم وكانَ يُخْفِي إِسْلامَهُ خوْفًا مِنْ قَوْمِهِ، فقَالَ: أَيْنَ تَذْهَبُ؟ قلْتُ: أُرِيدُ هذَا الصَّابِئَ الذِي فرَّقَ أَمْرَ قُرَيْشٍ فأَقْتُلَهُ، فقالَ نُعَيْم: يا عمَر أَتَرَى بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ تَارِكِيكَ تَمْشِي علَى الْأَرْضِ، وبَالَغَ فِي مَنْعِهِ ثُمَّ قال: أَلَا تَرْجِعُ إِلَى أَهْلِ بَيتِكَ فتُقِيمَ أَمْرَهُمْ[1].

ومِنْ أَسْبَابِ إِسْلَامِهِ رضِيَ اللهُ عنهُ أَنَّهُ دَخَلَ المسْجِدَ يُرِيدُ الطَّوافَ فَرَأَى النَّبِيءَ ﷺ يُصَلِّي فقال: لو سَمِعْتُ لِمُحَمَّد اللَّيلةَ حتَّى أسمَعَ ما يَقُولُ، فقُلْتُ: إِنْ دَنَوْتُ مِنْهُ اسْتَمِعْ لِأَرْوِ عنهُ، فَجِئْتُ مِنْ قِبَلِ الْحجرِ فدَخَلْتُ تَحْتَ ثِيَابِ الْبَيْتِ، فجَعَلْتُ أَمْشِي حَتَّى قُمْتُ فِي قِبْلَتِهِ، فسَمِعْتُ قراءَتَهُ فَرَقَّ لهُ قَلْبِي، وبَكيتُ ودَاخَلَني الإِسْلامُ، فمَكَثْتُ حتَّى انْصَرَفَ فتَبِعتُهُ، فالْتفَتَ فِي أَثْنَاءِ طَرِيقِهِ فرَآنِي فظَنَّ أَنِّي تَبِعتُهُ لأُوذِيَهُ فنَهَمَنِي ثُمَّ قَالَ: مَا جَاءَ بِكَ فِي هذه السَّاعةِ؟ قُلْتُ: قَدْ جِئتُ لأُومِنَ بالله ورَسُولِهِ وبِمَا جَاءَ مِنْ عنْدِ اللهِ، فحَمِدَ اللهَ، ثمَّ قال: قَدْ هدَاكَ اللهُ، ثُمَّ مَسَحَ صدْرِي ودَعَا لِي بالثَّباتِ، ثمَّ انْصَرفْتُ عنهُ ودَخَلَ بيْتَهُ. والنَّهَمُ: الزَّجْرُ[2].

وذَكَرَ ابن سنجر[3] فِي "مُسنَدِهِ" عنْ عُمَر: خَرَجْتُ أَتَعَرَّضُ رسُولَ اللهِ قَبْلَ أنْ أُسْلِمَ، فوجَدْتُهُ قَدْ سبَقَنِي إِلَى المسْجِدِ، فقُمْتُ خَلْفَهُ، فاسْتَفْتَحَ سُورَةَ الْحَاقَّة، فجَعَلْتُ أَتَعَجَّبُ مِنْ تَأْلِيفِ الْقُرْآن، فقُلْتُ: هُوَ شَاعِرٌ كمَا قَالَ قُرَيْش، فَقَرَأَ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿40﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿41﴾﴾[4] فقُلْتُ: كَاهِنٌ يَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي، فَقَرَأَ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿42﴾﴾[5]إِلَى آخرِ السُّورةِ. فوَقَعَ الإِسلامُ فِي قَلْبِي كلَّ مَوْقِعٍ[6].

ولعلَّهُ أَسْلَمَ ولَمْ يُشْهِر إِسْلامَهُ ولم يَجْتَمِعْ معهُمْ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ إِلَّا بَعْدَ ذَلِكَ، ولذَلِكَ ظنُّوهُ مُشْرِكًا حِين جاءَهُم فِيهَا وأَظْهَرَ الإِسْلَامَ مِن حِينِ دَخَلَهَا علَى حَدِّ مَا مَرَّ. وَإِنَّما اسْتَبْشَرَ أَهْلُ السَّماءِ؛ لِأَنَّ اللهَ يُعِزُّ بِهِ الدِّينَ ويَنْصُرُ بِهِ المسْتَضْعَفِينَ.

---

(1) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 2/10-11.

(2) (م، س)، 2/11.

(3) محمد بن عبد الله بن سنجر: الجرجاني أبو عبد الله، سمع يزيد بن هارون والحميدي وله مسند، ت:258هـ. تذكرة الحفاظ، الذَّهَبِي، 2/119، وطبقات الحفَّاظ، السيوطِي، ص258،

(4) سورة الحاقة:40-41.

(5) سورة الحاقة: 42.

(6) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 2/11. ينظر: مسند أحمد، حدِيث (107).

قالَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ[1] والطَّبرانِي[2] عَن ابْنِ مسْعُودٍ: كانَ إسْلَامُ عمَر عِزًّا، وهِجْرَتُهُ نَصْرًا، وإمَارَتُهُ رَحْمَةً، واللهِ ما اسْتَطَعنَا أن نُصَلِّي حَوْلَ الْبَيْتِ ظاهِرِينَ حتَّى أسلَمَ عُمَر[3].

وروَى ابنُ سَعْد عن صُهيب: لمَّا أسلَمَ عمر قال المشرِكون: انتَصَفَ القومُ منَّا[4]. ورُوِيَ أنَّهُ لمَّا أَسلَمَ قال: يا رَسُولَ اللهِ لا ينْبَغِي أن يُكْتَمَ هذَا الدِّينُ أَظْهِر دِينَكَ فخرَجَ ومعهُ المسلِمُونَ [192و] وعُمَر أمامَهُم معهُ سَيْفٌ يُنادِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُحَمَّدٌ رسُولُ اللهِ حتَّى دخَلَ المسْجِدَ فقَالَتْ قُرَيْشٌ: لقَدْ أَتَاكُمْ عُمر مَسْرُورًا ما ورَاءَكَ يا عُمَر؟ قال ورَائِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُحَمَّدٌ رسُولُ اللهِ، فإِنْ تَحَرَّكَ أَحَدٌ مِنْكُمْ لَأُمَكِّنَنَّ سَيْفِي مِنْهُ، ثُمّ تَقَدَّم أَمَامَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَحْمِيهِ ويَطُوفُ حتَّى فَرَغَ مِنْ طَوَافِهِ[5]. واللهُ أعْلَمُ ولَا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ العَلِيّ العَظِيمِ، لا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

98 وَأَخْبَرْتَ عَمَّا فِي الصَّحِيفَةِ أَنَّهُ تَأَكَّلَ غَيْرَ اسْمٍ لِرَبِّي وَدَيَّانِي

99 وَكَاتِبُهَا مَنْصُورٌ شَلَّتْ يَمِينُهُ وَلِمْ لاَ وَقَدْ جَاءَتْ بِأَفْظَعَ أَيْمَانِ

وذَكَرْتَ لِعَمِّكَ أَبِي طالِبٍ وغَيْرِهِ، أَنَّ كُلَّ ما في الصَّحِيفةِ التِي كتَبَهَا أَعْدَاؤُكَ وعَلَّقُوهَا داخِلَ الْكَعْبةِ، مِنْ أَنَّهُ لا يُبَايِعُكُم أَحَدٌ مَعْشَرَ بنِي هَاشِمٍ، مِنْ أجْلِكَ، ولَا يُنَاكِحُكُم ولا يُشَارِيكُم ولَا يُؤَاكِلُكُمْ ولا يُبَايِعُكُمْ، ولَا يَأْوِي إِلَيْكُمْ ولَا يُؤوِيكُمْ، وغَيْر ذلِكَ ممَّا هُوَ مُحرَّمٌ علَيْهِم أن يَفْعَلُوا، وقَد انْحَزْتُم في شِعب، تَأَثَّرَ بِأَكْلِ الأَرَضَةِ كُلِّه معَ أَسْمَائِهم واسْمِ الكاتِبِ والشُّهودِ وسائِرِ الْأَلْفَاظِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ زُورٌ وحرَامٌ إِلَّا اسمُ اللهِ، واسمُ نَبِيئِهِ.

وفَسُدَتْ يَمِينُ الكاتِبِ لَهَا واسمُهُ مَنْصُور، ولِمَ لَا تَفْسُدُ وقَدْ جاءَتْ بأَقْبَحِ أَيْمَان.

و"تَأَكَّلَ" بِشَدِّ الْكَافِ: فِعلٌ مَاضٍ مُطَاوِعُ أَكَّلَ(6)، وهُوَ فِي تَأْوِيل مَصْدَر بَدَل اشْتِمَال مِنْ "مَا". وإِنْ كُسِرَتْ هَمْزَةُ "أَنَّ" علَى أنَّ الجُمْلَةَ مُرَادٌ لَفْظُها وهِيَ مُفْرَدٌ، وهِيَ مفْعولٌ لَا خَبَرٌ، لِتَضَمُّنِهِ معْنَى "قَالَ" جَازَ.

وسَكَّتَ لِلضَّرورَةِ ميمَ "مَا " الاسْتِفْهاميَّة المحْذُوفة الأَلِفِ.

وحَذَفَ الْجُمْلَةَ بَعدَ "لَا" كَمَا رَأَيْتَ لِلْعلمِ بِهَا كمَا رَأَيْتَ، والوَاوُ بعْدَها لِلْحَالِ.

---

(1) لم أقف عليه في كتب ابن أبي شيبة.

(2) لم أقف عليه في كتب الطبراني.

(3) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 12/2.

(4) لم أجده عند ابن سعد في طبقاتهِ. ينظر: فتح البارِي، ابن حجر، 48/7.

(5) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 12/2.

(6) "الأغلب في "تَفَعَّلَ" معنى صيرورة الشّئ ذا أصله كتأهّل وتألّم وتأكّل...أي صار ذا أهل، وألم، وأكلْ: أي صار مأكولاً...فيكون مطاوع "فَعَّلَ" الذي هو لجعل الشئ ذا أصله، إمّا حقيقة كما في أَلَّبْتُهُ فَتَأَلَّبَ وأصَّلْتُهُ فتأصّل، وإمّا تقديراً كما في تأهّل، إذ لم يستعمل أهَّل بمعنى جعل ذا أهل". شرح شافية ابن الحاجب، 107/1. إذن: أكَّلته فتأكَّل، أي جعلتهُ ذا أكلٍ فطاوعني في ذلِكَ فصار مأكولا.

لـمَّا رَأَتْ قُرَيْش عِزَّ رَسولِ اللهِ ﷺ بمَن معَهُ، وإِسْلَامَ عُمَر وعِزَّةَ أصْحابِهِ بالحَبَشَةِ، وفُشُوَّ الإِسْلامِ في الْقَبَائِلِ أَجمَعُوا أَنْ يَقْتُلُوا النَّبِيءَ ﷺ وقالُوا: قَدْ أفْسَدَ أبنَاءَنا ونِسَاءَنا، وقَالُوا لِقَوْمِهِ: خُذُوا منَّا دِيَّةً مُضَاعَفَةً، ويَقْتُلُهُ رَجُلٌ مِن غَيْرِ قرَيْش، فتُرِيحُونَا وتُرِيحوا أَنْفُسَكُم.

وممَّا يُذكَرُ فِي هذا المقامِ، أنَّهُمْ قَالُوا لِأَبِي طالِب: هَذَا عُمَارَةُ بنُ الْوَلِيدِ أَعَزُّ فتًى في قُرَيْشٍ، خُذْهُ بَدَلَ ابْنِ أَخِيكَ وأَحْضَروهُ لَدَيْهِ، وأَعْطِنا ابْنَ أَخِيكَ نَقْتُلْهُ، فقَالَ: أنْصَفْتُمُونِي أُرَبِّي لَكُمْ وَلَدَكُم وتَقْتُلُون ابْنِي، وعَزَمُوا عَلَى قَتْلِهِ ﷺ.

فَبلغَ ذلِكَ أبَا طالِبٍ فجَمَعَ بَنِي هاشِمٍ وبنِي المطَّلِبِ، فأَمَرَهُم فأَدْخَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ بشِعْبِهِمْ، ومنَعُوهُ مِمَّن أَرَادَ قَتلَهُ لـمَّا سألَهُم أَبُو طَالِبٍ، وأَجْلَبُوا لِذَلِكَ حتَّى كفَّارَهُم، فعَلَوْا ذلِكَ علَى عَادَةِ الجَاهِلِيَّة، فلَمَّا رَأَتْ قُرَيْش ذلِكَ، أَجْمَعُوا وأيتَمَرُوا أَنْ يَكْتُبُوا كتَابًا يتَعَاقَدونَ فِيهِ علَى بَنِي هَاشِم وبَنِي المطَّلِبِ أن لَا يَنْكِحُوا إِلَيْهِم، بفَتْحِ اليَاءِ، ولَا يُنْكِحُوهُم بضَمِّها، أيْ: لَا يُزَوِّجوهُمْ نِسَاءَهُم، ولَا يَبِيعُوا مِنْهُمْ شَيْئًا ولا يبْتَاعُوا، ولَا يَقْبَلُوا مِنهُمْ صُلْحًا، ولَا تَأْخُذهُمْ بِهِمْ رَأْفَةٌ حتَّى يُسْلِمُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ لِلْقَتْلِ.

[192ظ] وكَتَبَ لهُمْ مَنْصُورُ بنُ عِكْرِمَةَ صَحِيفَةً فشلَّتْ يَدُهُ فِيمَا ذَكَرُوا، وهُوَ مَشْهورٌ، وصَدرَ بِهِ ابْنُ حَجَر[1].

وقَالَ صَاحِبُ "النُّورِ"[2]: الظَّاهِرُ إنَّه مَاتَ كافِرًا، أو قِيلَ: كَتَبَهَا لهُم بَغيضُ بنُ عَامِر بنِ هَاشِم بنِ عبْدِ مَنَاف بنِ عَبْدِ الدَّارِ بنِ قصيّ، فشَلَّتْ يَدُهُ، أيُّهُما كتبهَا فَقَدْ شَلَّتْ يُمْنَاهُ التِي كَتَبَ بِهَا منْصُور أَوْ بغِيض، والظَّاهِرُ أَيْضًا أنَّ بَغِيضًا كَاسمِهِ ماتَ كَافِرًا، والشَّلَلُ: هُو فَسَادٌ فِي الْيَدِ وبُطْلانٌ لِعمَلِها، ولَيْسَ معْنَاهُ الْقَطْعُ كمَا زَعَمَ بَعْضٌ.

وقالَ ابنُ هِشَام: كتَبَهَا لهُم النَّضْرُ بنُ الْحَارِث فدَعَا عَلَيْهِ ﷺ فشلَّتْ بعْضُ أصَابِعِهِ[3]، وقُتِلَ كافِرًا بَعْدَ بدْرٍ. وقِيلَ: كتَبَهَا هِشامُ بنُ عَمْرو بنِ الْحَارِثِ الْعَامِرِيّ، وهُوَ مِن الذِينَ سَعَوْا فِي نَقْضِها، قالَهُ ابْنُ إِسْحَاق وابْنُ عُقْبَةَ وغَيْرُهُما، أَسْلَمَ وكانَ منَ المؤلَّفةِ.

وقِيلَ: كَتَبَهَا طَلْحَةُ بنُ أبي طَلْحَةَ العَبْدَرِيّ ذَكَرَهُ ابْنُ حَجَر[4]. وقِيلَ: كَتَبَهَا منصُورُ بنُ عَبْد شرحبيل بن هَاشِم، حَكَاه الزُّبَيْرُ بنُ بَكَّار مَعَ الْقَوْلِ بأَنَّهُ بغِيضٌ فَقَط. قالَ السُّهيلِيّ: والزُّبَيْرُ أَعْلَمُ بِالْأَنْسَابِ[5]. ويُجْمَعُ بأَنَّهُ نسَخُوا بَها نُسَخًا وعلَّقوا الصَّحِيفةَ فِي جَوْفِ الْكَعبَةِ، وتَمَادَوا علَى الْعَمَلِ

(1) فتح الباري، ابن حجر، 192/7.

(2) نور النبراس في شرح سيرة ابن سيد الناس، لبرهان الدين إبراهيم بن محمد الحلبي، ت:841هـ. كشف الظنون، حاجي خليفة، 1183/2.

(3) سيرة ابن هشام، 350/1.

(4) فتح الباري، ابن حجر، 192/7.

(5) الروض الأنف، السهيلي، 215/3.

بِمَا فِيهَا، وَكَانَ ذلِكَ هَلَالَ المحرَّم سَنَةَ سَبْعٍ مِنَ النُّبوَّةِ قالَهُ ابنُ سَعْدٍ[1] وابْنُ عَبْدِ البَرِّ[2] وغَيْرُهُما، وجَزَمَ بِهِ ابْنُ حَجَر[3]، وقِيلَ سَنَةَ ثَمَانٍ وذَلِكَ بخيْف بني كنانة كمَا فِي "الْبُخَارِي"[4] وهُو المحَصَّب مِن مِنًى، فَانْحَازَ بنو هاشم وبنو المطّلب إِلَى أَبِي طَالِبٍ فدَخَلُوا مَعَهُ فِي شِعْبِهِ إِلَّا أبا لهب فكَانَ معَ قُرَيْشٍ، وأَمَّا المؤْمِنونَ مِنْ غَيْرِ بنِي هَاشِم والمطَّلِبِ فإِنَّهُم ذَهبُوا إِلَى الْحَبَشَةِ، علَى مَا فِي ظاهِرِ بَعْضِ الْكتُبِ، فأَقَامُوا علَى ذَلِكَ سَنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، وجزَمَ مُوسَى بنُ عقبةَ بثَلَاثِ سِنينَ وابنُ سَعْدٍ بِسَنَتَيْنِ، حَتَّى جَهِدُوا لقَطْعِهِم عَنْهُم الميرَةَ وَالمادَّةَ وكَانَ لَا يَصِلُ إِلَيْهِم شَيْءٌ إِلَّا سِرًّا، ولَا يَخْرُجُونَ إِلَّا مِنْ مَوْسِمٍ إِلَى مَوْسِمٍ، وكانَ الْحَجُّ فِي رَجَبَ أَيْضًا قَبْلَ ذَلِكَ لهُمْ ولِغَيْرِهِم، وكانَ يَصِلُهُم فِيهِ حكيم بن حزيم[5] وهشام بن عمرو العامِرِيّ فهُوَ أوصلُهُم لبنِي هاشِم، وكَانَ أَبُو طَالِب مُدَّةَ إِقَامَتِهِم في الشِّعْبِ يأْمُرُهُ ﷺ فيَأْتِي فِرَاشَه كُلَّ لَيْلَةٍ حتَّى رَآهُ مَنْ أَرَادَ بِهِ شَرًّا أَوْ غَائِلَةً فَإِذَا نَامَ النَّاسُ أَمَرَ أَحَدَ بَنِيهِ أَوْ إِخْوَتِهِ أَوْ بَنِي عَمِّهِ فَاضْطَجَعَ علَى فُرُشِ المصْطَفَى ﷺ، وأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِي بعْضَ فُرُشِهِمْ فَيَرْقُدَ عَلَيْها[6].

وفِي "الْعُيُونِ"[7]: دخَلُوا الشِّعْبَ مؤْمِنُهُم وكافِرُهُم، فالمؤمِنُ دِينًا والكَافِرُ حَمِيَّة، ولمَّا رَأَتْ قرَيْش أَنَّهُ مَنَعَهُ قَوْمُهُ أَجْمَعُوا علَى كِتَابَةِ صَحِيفَةٍ[8]. وهذَا صَرِيحٌ في أَنَّ كِتَابَتَهَا بعْدَ دُخُولِهِم فِي الشِّعْبِ، بِكسرِ الشِّين، وهُو مَنْسُوبٌ لِبَنِي هَاشِمٍ، ولِأَبِي طَالِب وكانَ مَنْزِلُ بنِي هاشِم قبْلَ ذَلِكَ غَيْر مَسَاكِنِهِمْ، ويُعْرَفُ بشعب ابن يوسف، كانَ لِهَاشِم فقَسَّمَهُ عَبْدُ المطَّلِبِ بينَ بنِيهِ حِينَ ضَعُفَ [193و] بَصَرُهُ وصَارَ لِلنَّبِيءِ ﷺ فِيهِ حَظٌّ أَبِيهِ. قالَ الزُّرْقَانِيّ: كذا في "المطَالِعِ"[9] وتَعَقَّبهُ فِي "النّورِ" بأَنَّ عَبْدَ اللهِ ماتَ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ، ومَا أَظنُّهُم كَانُوا يُخَالِفونَ شرْعَنَا بِأَنَّ الْأَبَ يأْخُذُ لَا الابْن، قالَ: ويَحْتَمِلُ أَنَّهُ وَصَلَ إِلَيْهِ حَظُّ أَبِيهِ بِطرِيقٍ آخَر، ويَجُوزُ أن يَكُونَ عبْدُ المطَّلِبِ قسَّمَهُ في حَيَاتِهِ علَى أَوْلَادِهِ في حَيَاةِ عبْدِ اللهِ، ولمَّا مَاتَ صَارَتْ لهُ ﷺ حِصَّتُهُ، وهُوَ احتِمَالٌ لَا بَأْسَ بِهِ، ويَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَعَلُوا لَهُ ﷺ حِصَّةَ أَبِيهِ لَوْ كانَ حيًّا، فهو ابتِداءُ عَطِيَّةٌ مِنْ أَعْمَامِهِ وهُوَ حسَنٌ جِدًّا[10]. وفِي انْحِيَازِهِم في الشِّعْبِ قَالَ أَبُو طَالِبٍ:

أَلَا أَبْلِغَا عَنِّي عَلَى ذَاتِ بَيْنِنَا ... لُؤَيًّا وَخُصَّا مِنْ لُؤَيٍّ بَنِي كَعْبِ

(1) الطبقات الكبير، ابن سعد، 178/1.

(2) في الاستيعاب: بعد المبعث بست سنين، 37/1.

(3) فتح الباري، ابن حجر، 192/7.

(4) صحيح البخاري، حديث (1590).

(5) خطأ صوابُهُ: حزام.

(6) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 14/2.

(7) عنوان الكتاب كامِلا: عيون الأثر في فنون المغازِي والسِّيَرِ لِ: أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري ت:734هـ.

(8) عيون الأثر، ابن سيد الناس، 222/1.

(9) المطالع، ابن قرقول، 94/6.

(10) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 13/2-14.

أَلَـــــم تَعْلَمُوا أَنَّـا وَجَـدْنَـا مُحَمَّـدًا نَبِيئًـا كَمُوسَـــى خطَّ فِي أَوَّلِ الْكُتْـبِ
وَإِنَّ عَـلَـيْـهِ فِـي الْـعِـبَـادِ مَـحَـبَّـةً وَلَا خَيْرَ[1] مِمَّنْ خَصَّـــهُ اللهُ بِـالْحُـبِّ
وَإِنَّ الـذِي لَصَـــقْـتُـمُ مِـنْ كِـتَـابِـكُـمْ لَكُمْ كَـائِن نَحْسًـــا كَرَاغِيَـةِ السَّـــقْـبِ
أَفِيقُوا أَفِيقُوا قَبْـلَ أَنْ يَحْفِرَ الثَّرَى وَيُصْـــبِحَ مَنْ لَمْ يَجْنِ ذَنْبًا كَذِي الذَّنْبِ
فَلَسْـــنَـا وَرَبِّ الْبَيْتِ نُسْـــلِمُ أَحْمَـدًا لِضَـــرَّاءَ مِـنْ عَـضِّ الـزَّمَـانِ وَلَا كَـرْبِ
وَلَـمَّـا تَـبِـنْ مِـنَّـا وَمِـنْـكُـمْ سَـــوَالِـفٌ وَأَيْـدٍ أُتِرَّتْ بِـالْقَسَـــاسِـــيَّـةِ الشُّـــهْـبِ
أَلَـيْـسَ أَبُـونَـا هَـاشِـــمٌ شَـــدَّ أَزْرَهُ وَأَوْصَـــى بَنِيـهِ بِـالطِّعَـانِ وبـالضَّـــربِ
فَلَسْـــنَـا نَمَـلُّ الْحَرْبَ حَتَّى تَمَلَّنَـا وَلَا نَتَشَـــكَّى مَـا يَنُوبُ مِنَ النَّكْـبِ
وَلَـكِـنَّـنَـا أَهْـلُ الْـحَـفَـائِـظِ وَالنُّـهَـى إِذَا طَـارَ أَرْوَاحُ الْكُمَـاةِ مِنَ الرُّعْـبِ[2]

و"خيْرًا" اسْمُ تفْضِيلٍ؛ أيْ: لَا أَفْضَل مِمَّنْ خَصَّهُ اللهُ بالحُبِّ.

و"القسَاسِيَّة": سُيُوفٌ تُنْسَبُ لقسَاس، وهُوَ معْدنُ حَدِيدٍ، وقِيلَ لِجَبَلٍ فِيهِ المعْدِنُ[3].

قالَ السُّهَيْلِيّ: ورَاغِيَةُ السَّقْبِ: وَلَدُ النَّاقةِ التِي عقَرَهَا قدَارُ، فَرَغَا وَلَدُها فَصَاحَ بِرُغائِهِ كُلُّ شَيْءٍ لَهُ صَوْتٌ، فهَلَكَتْ ثمود، فضَرَبَت العَرَبُ ذَلِكَ مَثَلًا فِي كُلِّ هَلَكَة[4].

ثمَّ إنَّهُ قامَ فِي نَقْضِ تِلْكَ الصَّحِيفةِ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْش ولَمْ يُبْلِ فِيها أَحَدٌ أَحْسَنَ مِن بَلاءِ [هشام بن عمرو بنِ الْحَارِثِ][5]، وكانَ ذَا شَرَفٍ في قَوْمِهِ. فَمَشَى إِلَى زهيْر بن أبي أميّة، وكانَتْ أُمُّهُ عاتِكَة بنت عَبْدِ المطَّلِبِ، فقَالَ: يا زُهير أَقَدْ رَضِيتَ أنْ تَأْكُلَ الطَّعامَ وتَلْبَسَ الثِّيابَ وتَنْكِحَ النِّساءَ، وأَخْوَالُكَ قَدْ علِمْتَ، لَا يُبَاعُونَ ولا يُبْتَاعُ منْهُمْ، ولا يَنْكِحُونَ ولَا يُنْكَحُ إِلَيْهِم، أمَا[6] أنَا أَحْلِفُ باللهِ لَوْ كَانَ أَخْوَالُ أبي الحكم بن هشام، ثُمَّ دَعَوْتَهُ إِلَى مِثْلِ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ، مَا أَجَابَكَ إِلَيْهِ أَبَدًا. فقَالَ: وَيْحَكَ يا هِشَامُ فمَاذَا أَصْنَعُ، إِنَّما أنَا رَجُلٌ واحِدٌ، واللهِ لَوْ كَانَ مَعِي رَجُلٌ آخَرُ لَقُمْتُ فِي نَقْضِها. قالَ: وقَدْ وَجَدْتَ رَجُلًا؟ قالَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: أَنَا، قالَ زُهَيْرُ: أَبْغِنَا ثَالِثًا. فذَهَبَ إِلَى المطعِم بن عديّ، فقَالَ: يَا مُطْعِم أَقَدْ رَضِيتَ أَنْ يَهْلِكَ بَطْنَانِ مِنْ بني عبد مناف وأَنْتَ شَاهِدٌ؟ قَالَ: ويْحَكَ فمَاذَا أَصْنَعُ، إِنَّما [أَنَا] رَجُلٌ وَاحِدٌ قَالَ: قَدْ وَجَدْت ثَانِيًا، قَالَ: مَنْ هُو؟ قَالَ: أَنَا [193ظ] قالَ: أَبْغِنا ثَالِثًا، قَالَ: قَدْ وَجَدْتُ قَالَ: مَن هُوَ؟ قَالَ: زُهَيْر بن أَبِي أميَّةَ، قَال: أَبْغِنَا رَابِعًا. فَذَهَبَ إِلَى أبي البَخْتَرِيّ، فَقَالَ لَهُ

(1) في الأصل: خيرا، والتصحيح للوزن. وقال السهيلي: إنَّ هذا مشكل جدا، لأنَّ "لا" في باب التبرئة لا تنصِبُ إلَّا منوَّنًا. الروض الأنف، 178/3.

(2) الأبيات من الطويل، سيرة ابن هشام، 353/1.

(3) لسان العرب (قسس).

(4) الروض الأنف، السُّهيلي، 179/3-180.

(5) في الأصل: عميرو، والتصحيح من سيرة ابن هشام، وهو هِشَام بْن عَمْرو بنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِث.

(6) هكذا ضبطها المؤلف دون تشديد الميم.

نحْوَا[1] مِمَّا قالَ لِمُطْعِم بنِ عَدِيّ، قَالَ: وهَلْ مِنْ أَحَدٍ يعِينُ علَى هَذَا؟ قالَ: نَعَم، قالَ: مَنْ هُوَ؟ قالَ: زُهَيْر بنُ أبِي أُمَيَّة والمطْعِمُ بنُ عَدِيّ وأنَا مَعَكَ، قالَ: أَبْغِنا خَامِسًا، فذَهَبَ إلَى زمعة بن الأسود فكَلَّمَهُ، وذكَرَ لَهُ قَرَابَتَهُمْ فأَجَابَهُ إلَى ذَلِكَ، واتَّعَدُوا لَيْلًا بِأَعْلَى مَكَّةَ، فَاجْتَمَعُوا هنالِكَ وتَعَاقَدُوا عَلَى الْقِيامِ فِي نَقْضِ الصَّحِيفَةِ، فقَالَ زُهَيْرُ بنُ أبِي أُمَيَّةَ: أَنَا أَبْدَأُكُمْ فأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَكلَّمَ، فلمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا إلَى أَنْدِيَتِهِم وغَدَا زُهَيْرُ بنُ أَبِي أُمَيَّةَ عَلَيْهِ حُلَّةٌ، فطَافَ بالْبَيْتِ سَبْعًا ثُمَّ أقْبَلَ علَى النَّاسِ فقَالَ: يَا أَهْلَ مَكَّةَ نَأْكُلُ الطَّعامَ ونلْبَسُ الثِّيابَ وبنو هاشم هَلْكَى لَا يُبَاعُونَ ولَا يُبْتَاعُ مِنْهُمْ، واللهِ لَا أَقْعُدُ حَتَّى تُشَقَّ هَذِه الصَّحِيفَةُ الْقَاطِعَةُ الظَّالمةُ. فقَالَ أبُو جَهْل، وكَان في نَاحِيَةِ المسْجِدِ: كَذَبْتَ وَاللهِ لَا تُشَقُّ، فقَالَ زَمْعَةُ: أَنْتَ واللهِ أكْذَبُ مَا رَضِينَا كِتابَتَها حِينَ كُتِبَتْ. وقَالَ أبو البَخْتريّ: صَدَقَ زَمْعَةُ لَا نَرْضَى مَا كُتِبَ فِيهَا ولَا نُقِرُّ بِهِ. قَالَ المطْعِمُ: صَدَقْتَ وكَذَبَ مَنْ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ، نَبْرَأُ إلَى اللهِ مِنْهَا ومِمَّا كُتِبَ فِيهَا، فقَالَ هشام بنُ عَمْرو نَحْوا[2] مِنْ ذَلِكَ. فقَالَ أبُو جَهْلٍ: هَذَا أَمْرٌ قُضِيَ بلَيْلٍ وتُشُوورَ فِيهِ بِغَيْرِ هذَا المكَانِ، فقَامَ إلَى الصَّحِيفةِ لِيَشُقَّها فَوَجَدت الأرَضَة[3] قَدْ أَكَلَتْهَا إلاَّ "بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ"[4].

قَالَ ابنُ هِشام: ذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ لِأَبِي طَالِبٍ: يَا عَمُّ إنَّ اللهَ قَدْ سَلَّطَ الْأَرَضَةَ علَى صَحِيفَةِ قُرَيشٍ، فلَمْ تَدَع اسْمًا هُو للهِ إلَّا أَثْبَتتْهُ فِيها، ونَفَتْ عنْهَا الْقَطِيعَةَ والظُّلْمَ والبُهتانَ. قالَ: أَرَبُّكَ أَخْبَرَكَ بهذا؟ قَالَ: نَعَمْ، قالَ: فَوَاللهِ مَا يَدْخُلُ علَيْكَ أحَدٌ. ثُمَّ خَرَجَ إلَى قُرَيْشٍ فقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إنَّ ابْنَ أَخِي أخْبَرَنِي بِكَذَا وكَذَا، فَهَلُمَّ صحِيفَتَكُمْ فَإِنْ كانَتْ كمَا قَالَ فَانْتَهُوا عَنْ قَطِيعتِنَا. فقَالَ الْقَوْمُ: رَضِينَا، فتَعَاقَدُوا عَلَى ذَلِكَ ثمَّ نَظَرُوا، فَإِذَا هِيَ كمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فزَادَهُمْ ذَلِكَ شَرًّا، فَعِنْدَ ذَلِكَ صَنَعَ الرَّهْطُ مِنْ قُرَيْشٍ في نَقْضِ الصَّحِيفةِ مَا صَنَعُوا[5]. وقِيلَ: اتَّفَقَ الخَمْسَةُ على ذَلِكَ. وَقَوْلُ رسُولِ اللهِ ﷺ ذَلِكَ بِلا قَصْدٍ لِقَوْلِهِ ﷺ ولَا عِلْمَ بِهِ. ولمَّا أُبْطِلَتْ وتُرِكَتْ ومُزِّقَتْ قَالَ أَبُو طَالِبٍ:

أَلَا هَلْ أَتَى بَحْرِيَّنَا صُنْعُ رَبِّنَا ... عَلَى نَأْيِهِم وَاللهُ بِالنَّاسِ أَرْوَدُ
فَنُخْبِرَهُمْ أَنَّ الصَّحِيفَةَ مُزِّقَتْ ... وَأَنْ كُلُّ مَا لَمْ يَرْضَهُ اللهُ مُفْسَدُ
فَمَنْ يَنْشَأْ عَنْ حُضَّارِ مَكَّةَ عِزُّهُ ... فَعِزَّتُنَا [194و] فِي بَطْنِ مَكَّةَ أَتْلَدُ
نَشَأْنَا بِهَا وَالنَّاسُ فِيهَا قَلَائِلُ ... فَلَمْ نَنْفَكِكْ نَزْدَادُ خَيْرًا وَنحْمَدُ
وَنُطْعِمُ حَتَّى يَتْرُكَ النَّاسُ فَضْلَهُمُ ... إِذَا جُعِلَتْ أَيْدِي المفِيضِينَ تُرْعَدُ

(1) في الأصل: نحو.
(2) في الأصل: نحو.
(3) في الأصل: الأرض.
(4) سيرة ابن هشام، 375/1.
(5) (م، س)، 377/1.

وَكُنَّا قَدِيمًا لَا نُقِرُّ ظُلَامَةً وَنُدْرِكُ مَا شِئْنَا وَلَا نَتَشَدَّدُ
جَزَى اللهُ رَهْطًا بِالْحَجُونِ تَبَايَعُوا عَلَى مَلَإٍ يُهْدِي لِحَزْمٍ وَيُرْشِدُ
قُعُودٌ لَدَى حَطْمِ(1) الْحَجُونِ كَأَنَّهُمْ مَقَاوِلَةٌ بَلْ هُمْ أَعَزُّ وَأَمْجَدُ
قَضَوْا مَا قَضَوْا فِي لَيْلِهِمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا عَلَى مَهَلٍ وَسَائِرُ النَّاسِ رُقَّدُ
هُمُ رَجَعُوا سَهْلَ بْنَ بَيْضَاءَ رَاضِيًا وَسُرَّ أَبُو بَكْرٍ بِهَا وَمُحَمَّدُ(2)

وَ"بَحْرِيَّنَا": مَنْ رَكِبَ الْبَحْرَ إِلَى الْحَبَشَةِ مُهَاجِرًا. و"أَرْوَد": أَرْفَق. و"المفِيضُ": مُعَامِلُ الْقَدْحِ في الميْسِرِ، و.....(3) مِن دُونِ الملُوكِ مِنَ الْيَمَنِ.

وقَدْ أَنْشَدْتُ قَصِيدَةَ عمْرو بن الحارث الْجرْهمِيّ: (كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجُونِ إِلَى الصَّفَا)(4) إلخ فِي "شَرْحِ قَصِيدَةِ أَبِي نَصْرٍ(5) المخَمَّسَةِ"(6) رَحِمَهُ اللهُ. وقَالَ عُمَر بنُ الخَطَّابِ حِينَ أَسْلَمَ:

الْحَمْدُ للهِ ذِي الـــمنِّ الذِي وَجَبَتْ لَـهُ عَـلَـيْـنَـا أَيَـادٍ مَـا لَـهَـا غِـيَـرُ
وَقَـدْ بَـدَأْنَـا فَـكَـذَّبْـنَـا فَـقَـالَ لَـنَـا صَـــدَقَ الْحَـدِيـثَ نَبِيءٌ عِنْـدَهُ الْخَبَرُ
وَقَـدْ ظَلَمْـتُ ابْنَـةَ الْخَطَّـابِ ثُمَّ هَـدَى رَبِّي عَشِـيَّـةَ قَـالُوا قَـدْ صَـبَـا عُمَرُ
وَقَـدْ نَـدِمْـتُ عَلَى مَـا كَـانَ مِنْ زَلَـلٍ بِظُلْمِهَـا حِينَ تُتْلَى عِنْـدَهَـا السُّـوَرُ
لَمَّـا دَعَـتْ رَبَّ هَـذَا الْعَرْشِ جَـاهِـدَةً وَالـدَّمْعُ مِنْ عَيْنِهَـا عَجْلَانُ مُبْتَـدِرُ
أَيْقَنْـتُ أَنَّ الـذِي تَـدْعُوهُ خَـالِقُهَـا وَأَنَّ أَحْـمَـدَ فِينَـا الْيَـوْمَ مُشْـتَـهِـرُ
فَقُلْـتُ: أَشْـهَـدُ أَنَّ اللـهَ خَـالِقُنَـا فَـكَـادَ يَسْـبِـقُـنِـي مِـنْ عـبْـرَةٍ درَرُ
نَبِيءُ صِـــدْقٍ أَتَى بِـالْحَقِّ مِنْ ثِقَـةٍ وَافِي الْأَمَـانَـةِ مَـا فِي عُوْدِهِ خَوَرُ(7)

رَوَى هَذِهِ الْأَبْيَات يُونُس عَن ابْنِ إِسْحَاق.

وإِنَّما وَضَعُوا الصَّحِيفةَ فِي الكَعْبَةِ تَأْكِيدًا، وذَلِكَ فِي هِلَالِ المحَرَّمِ سَنةَ سَبْعٍ مِنَ النُّبوَّةِ.

---

(1) في سيرة ابن هشام: خطم.

(2) الأبيات من الطوِيل، سيرة ابن هشَام، 378/1-379، مع تغيِيرٍ في الترتِيب.

(3) كلمة لم أتبَيَّنها في الأصلِ، لعلها: الْأَميال، وفي ج نفس الرَّسمِ.

(4) ينظر القصِيدة: سيرة ابن هشام، 115/1.

(5) أبو نصر فتح بن نوح الملوشائِي: عالم من علماء الإباضِيَّة (النصف الأول من ق 7هـ)، وشاعر من أعلام قرية تملوشايْت بجبل نفوسَة بليبيا، له مؤلفات عدِيدة منها: النونية في أصول الدِّين، الرائيَّة فِي الصَّلاةِ، الحائيَّة المسمَّاة تحرِيض الطَّلبة. معجم أعلام الإباضِيَّة، ص340.

(6) شَرْحِ قَصِيدَةِ أَبِي نَصْرٍ المخمَّسَة: القصِيدة في المواعِظِ والنُّصْحِ، شرحها مرَّتينِ، نسخة من الشرح في خزانة المؤلِّف برمز: أهـ11.

(7) الأبيات من البسِيط، فضائل الصحابة، ابن حنبل، 284/1، والروض الأنف، السهيْلِي، 168/3-16.

ورُوِيَ أنَّ حكيم بن حزام حَمَّلَ غُلَامَهُ حَبًّا، يُرِيدُ بِهِ عَمَّتَهُ خَدِيجة رضِيَ اللهُ عنها، فلَقِيَهُ أَبُو جَهل اللَّعِينُ، وأَرَادَ أَنْ يَفْضَحَهُ، فانْتَصَرَ قلَهُ أبو البَخترِيّ بنُ هِشَام بنِ الْحَارِث بنِ أَسَد وقَالَ: خَلِّ سَبِيلَهُ فأَبَى فَأَخَذَ لَهُ لَحيي[1] بَعِيرٍ فَضَرَبَهُ فَشَجَّهُ، ووَطِئَهُ بِيَدَيْهِ ورِجْلَيْهِ وَطْئًا شَدِيدًا[2].

وكانَ رَئِيسُ الذِين قامُوا فِي نَقْضِ الصَّحِيفةِ هشام بن الحارث؛ لِعِزِّهِ بِعَمِّهِ لِأُمِّهُ الذِي هو أَخُو عَبْدِ المطَّلِبِ، وكَان يَأْتِيهِم بالبَعِيرِ لَيْلًا وعَلَيْهِ الطَّعَامُ إلَى فَمِ الشِّعْبِ، فيَحْلَعُ خطَامَهُ ويَضْرِبُهُ حتَّى يدْخُل.

ورُوِيَ أنَّ المطْعِمَ قَامَ إِلَى الصَّحِيفةِ ليَشُقَّها، فَوَجَدَ الْأَرَضَةَ قَدْ أَكَلَتْها إِلاَّ "بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ" ولَا يُنَافِي هَذَا مَا مَرَّ أَنَّهُ ﷺ أَخْبَرَ عَمَّهُ أَنَّ الْأَرَضَةَ أَكَلَتْهَا إِلَّا "بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ" وأَنَّهُ قَالَ عَمُّهُ إِنْ صَحَّ ذلِكَ فانْتَهُوا عَنْ قَطِيعتِنَا. وفِي رِوَايَةٍ: وإِلاَّ دَفَعْنَاهُ إِلَيْكُم، فَوَجَدُوها كمَا أَخْبَرَ، وازْدَادُوا شَرًّا لِإِمْكَانِ أَنَّهُ لمَّا [194ظ] ازْدَادُوا شَرًّا قَامَ أُوْلَئِكَ الْخَمْسَةُ فِي إِذْهابِهَا مِن أصْلِهَا.

قِيلَ: وَيَحْتَمِلُ أَنَّ أبَا طَالِبٍ أَخْبَرَهُم بِأَكْلِ الْأَرَضَةَ بَعْدَ سَعْيِ الْخَمْسَةِ فِي نَقْضِها، واعْتُرِضَ بأَنَّ الْإِخْبَارَ حِينئِذٍ لَيْسَ لهُ كَبِيرُ فَائِدَةٍ ولَيْسَ كذلِكَ. واللهُ أَعْلَمُ ولَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العلِيِّ العَظِيمِ.

100 وَفِي جَبْهَةِ الدُّوسِيّ ثُمَّ بِسَوْطِهِ جَعَلْتَ ضِيَاءً مِثْلَ شَمْسِ الضُّحَى الْفَانِي

وجَعَلْتَ بإِذْنِ اللهِ وخَلْقِهِ ضِيَاءً، كضِيَاءِ شَمْسِ الضُّحَى الشَّدِيد الْبَيَاضِ، فِي جَبْهَةِ الرَّجُلِ الذِي هُوَ مِنْ قَبِيلةٍ تُسَمَّى بِـ: دوس.

ثمَّ كَانَ فِي سَوْطِهِ، إِذْ خَافَ أَنْ يَقُولَ قَوْمُهُ إنَّ الضِّياءَ في وَجْهِهِ مُثْلَةٌ جعَلَهُ اللهُ فِي وَجْهِهِ لمَّا أسلَمَ. فقَالَ: يا رَسُولَ اللهِ أَنْ يكُونَ فِي سَوْطِي أَحَبُّ إليَّ مِن أَنْ يَكُونَ في وَجْهِي لِذَلِكَ. وقِيلَ: كَانَ فِي وَجْهِهِ بعْدَمَا غَابَ عَنْهُ ثمَّ فِي سَوطِهِ. نُسِبَ إِلَى جَدٍّ مِن أَجْدَادِهِ يُسَمَّى دوسا، وبهِ أيْضًا سُمِّيَت القبِيلةُ، وهو الطّفَيْل بن عمرو.

قالَ ابْنُ إِسْحَاق: كانَ رسُولُ اللهِ ﷺ علَى مَا يَرَى مِنْ قَوْمِهِ يَبْذُلُ لَهُم النَّصِيحةَ ويدْعُوهُمْ إِلَى النَّجاةِ، وجَعَلَتْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ، حِينَ مَنَعَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْهُمْ يُحَذِّرُونَ مِنْهُ النَّاسَ، ومَنْ قَدِمَ مِنَ الْعَرَبِ. فكَانَ الطُّفَيلُ بنُ عَمْرو الدُّوسِيّ يُحَدِّثُ أَنَّهُ قدِمَ مَكَّةَ ورَسُولُ اللهِ ﷺ بهَا فَمَشَى إِلَيْهِ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْش، وكانَ الطُّفَيْلُ رَجُلًا شرِيفًا شَاعِرًا لبِيبًا، فقَالُوا لَهُ: يَا طُفَيْلُ إِنَّكَ قَدِمْتَ بِلَادَنا، وهَذَا الرَّجلُ الذِي بَيْنَ أَظْهُرِنا قَدْ أَعْضَلَ بِنَا، وإِنَّا نَخْشَى أَنْ يَدْخُلَ عليْكَ وعلَى قَوْمِكَ ما دَخَلَ عَلَيْنا، فلَا تُكَلِّمَنَّهُ ولَا تَسْمَعَنَّ مِنْهُ شَيْئًا، فَوَاللهِ ما زَالُوا بِي حتَّى عَزَمْتُ أن لَا أَسمَعَ مِنْهُ شَيْئًا، ولَا أُكَلِّمَهُ، حتَّى حَشَوْتُ فِي أُذُنِي كُرْسُفًا حِينَ غَدوْتُ[3] إِلَى المسْجِدِ،

(1) في سيرة ابن هشام: لحيَ بعِير. وهو عظم الفكِّ.

(2) سيرة ابن هشام، 353/1.

(3) في الأصلِ: عذوت.

فَرَقًا أَنْ يَبْلُغَنِي شَيْءٌ مِنْ قَوْلِهِ، وأَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَهُ، فغَدَوْتُ إِلَى المسْجِدِ فَإِذا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَقُمْتُ مِنْهُ قَرِيبًا فأَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُسْمِعَنِي بَعْضَ قَوْلِهِ، فَسَمِعْتُ كَلَامًا حَسَنًا، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: وَاثَكْلَ أُمِّي، واللهِ إِنِّي لَرَجُلٌ لَبِيبٌ شَاعِرٌ، ومَا يَخْفَى عَلَيَّ الحَسَنُ مِنَ الْقَبِيحِ، فَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَسْمَعَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ مَا يَقُولُ، فإِنْ كَانَ الذِي يأتِي بِهِ حَسَنًا قَبِلتُهُ، وإِنْ كَانَ قَبِيحًا تَرَكْتُهُ، فمَكَثْتُ حَتَّى انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى بَيْتِهِ، فاتَّبَعْتُهُ حتَّى دَخَلَ بَيْتَهُ فدَخَلْتُ عَلَيْهِ فقُلْتُ: يَا مُحَمَّد إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ قَالُوا لِي: كَذَا وكَذَا لِلذِي قَالُوا، فواللهِ مَا بَرِحُوا يُخَوِّفُونَنِي أَمْرَكَ حَتَّى سَدَدْتُ أُذُنَيَّ بِكُرْسُفٍ لِئَلَّا أَسمَعَ قَوْلَكَ، ثُمَّ أَبَى اللهُ إِلَّا أن يُسْمِعَنِي قَوْلَكَ، فَسَمِعْتُ قَوْلًا حَسَنًا، فَاعْرِضْ علَيَّ أَمْرَكَ، فَعَرَضَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ الإسلامَ فتَلَا عَلَيَّ الْقُرْآنَ، فَلَا وَاللهِ مَا سَمِعْتُ قَوْلًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ ولَا أَمْرًا أعْدَلَ مِنْهُ، فَأَسْلَمْتُ وشَهِدْتُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، فقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي امْرُؤٌ مُطَاعٌ فِي قَوْمِي، وَأَنَا رَاجِعٌ إِلَيْهِمْ فدَاعِيهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ [195و] فَادْعُ اللهَ لِي أَنْ يَجْعَلَ لِي آيَةً، تَكُونُ لِي عَوْنًا علَيْهِمْ فِيما أدعُوهُم إليهِ. فقال: ((**اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَهُ آيَةً**)) فخَرَجْتُ إِلَى قَوْمِي حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِثَنِيَّةٍ تُطْلِعُنِي على الْحَاضِرِ، وَقَعَ نُورٌ بَيْنَ عَيْنَيَّ مِثْلُ المصبَاحِ فقُلْتُ: اللَّهُمَّ فِي غَيْرِ وَجْهِي، إِنِّي أَخْشَى أن يَظُنُّوا أَنَّهَا مُثْلَةٌ وقَعَتْ فِي وَجْهِي لِفِراقِ دِينِهِم، قَالَ: فتَحَوَّلَ فَوَقَعَ فِي رَأْسِ سَوْطِي، فجَعَلَ الحَاضِرُ يتَرَاءَوْنَ ذَلِكَ النُّورَ فِي سَوْطِي، كَالْقِنْدِيلِ المعَلَّقِ، وأَنَا أَهْبِطُ إِلَيْهِمْ مِنَ الثَّنِيَّةِ حتَّى جِئْتُهُمْ فأَصْبَحْتُ فِيهِم. ولمَّا نزَلْتُ أَتَانِي أَبِي، وكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا فقُلْتُ: إِلَيْكَ عَنِّي فلستُ مِنْكَ ولَسْتَ مِنِّي، قالَ: لِمَ يَا بُنَيَّ؟ قُلْتُ: أَسْلَمْتُ وتَبِعْتُ دِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ، قَالَ: أَيْ بُنَيَّ فدِينِي دِينُكَ قَالَ: فَقُلْتُ فَاذْهَبْ فَاغْتَسِلْ وَطَهِّرْ ثِيَابَكَ ففَعَلَ، وجَاءَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ فأسْلَمَ.

ثمَّ أَتَتْنِي صاحِبَتِي، فَقُلْتُ: إِلَيْكِ عَنِّي فَلَسْتُ مِنْكِ ولَسْتِ مِنِّي، قَالَتْ: لِمَ بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي؟ فَقُلْتُ: فَرَّقَ بَيْنِي وبَيْنَكِ الْإِسْلَامُ، وتَابَعْتُ دِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ، قَالَتْ: فَدِينِي دِينُكَ، فَقلْتُ: فَاذْهَبِي إِلَى حناذ الشراء[1]، ويُقال: حماد الشّراء[2]، فتَطَهَّرِي مِنْهُ. وكَانَ ذو الشّراء صَنَمًا لِدوس، وكانَ الْحِمَى حِمَّى حَمَوْه لَهُ، بِهِ وَشَلٌ[3] مِنْ مَاءٍ يَهْبِطُ مِنْ جَبَلٍ. فقَالَتْ: بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي أَتَخْشَى عَلَى الصَّبِيَّةِ مِنْ ذِي الشِّرَاءِ شَيْئًا؟ قُلْتُ: لَا أَنَا ضَامِنٌ فَذَهَبَتْ وَاغْتَسَلَتْ ثُمَّ جَاءَتْ فعَرَضْتُ عَلَيْهَا الْإِسْلامَ فأَسْلَمَتْ.

ثُمَّ دَعَوْتُ دوسا إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَبْطَؤُوا عَلَيَّ ثمَّ جئتُ رسُولَ اللهِ ﷺ فقُلْتُ لَهُ: يَا نَبِيءَ اللهِ ادْعُ عَلَيْهِمْ، فقَالَ: ((**اللَّهُمَّ اهْدِ دوسا**)) الْحَدِيث، فَأَسْلَمَ مَنْ شَاءَ اللهُ مِنْهُم[4].

---

(1) في سيرة ابن هشام: حنا ذِي الشرى، وفي دلائل النبوة: حَنَى ذِي الشَّرَى.

(2) في سيرة ابن هشام: حمى ذِي الشرى.

(3) الوَشَل بالتحريك الماءُ القليل يَتَحَلَّب من جبل أَو صخْرة يقطُر منه قليلاً قليلاً لا يَتَّصِلُ قطْره. لسان العرب (وشل).

(4) سيرة ابن هشام، 382/1، ودلائل النبوة، البيهَقي، 360/5.

واسْتُشْهِدَ الطُّفَيلُ ﷺ باليَمَامَةِ وقَدْ أَرْسَلَهُ رسُولُ اللهِ ﷺ إلى ذي الكفَّيْنِ، وهُوَ صَنَمٌ مِن خَشَبٍ كان لِعمر بن حُممة، في شوَّال لَمَّا أرَادَ ﷺ السَّيرَ إلى الطَّائِفِ لِيَهْدِمَهُ ويُوَافِيه بالطَّائِفِ. فخَرَجَ سرِيعًا، فَهَدَمَهُ فجَعَلَ يَحُشُّ النَّارَ فِي وَجْهِهِ ويُحْرِقُهُ ويَقُولُ:

يَـا ذَا الْكفَيْنِ لَسْـــتُ مِنْ عبـادِكَـا مِـيـلَادُنَـا أَقْـدَمُ مِـنْ مِـيـلَادِكَـا
إِنِّي حَشَـــوْتُ النَّـارَ فِي فُـؤَادِكَـا[1]

وانحَدَرَ معهُ مِن قَوْمِهِ أَرْبَعُ مِئَةِ رَجُلٍ سِراعًا فوَافوا النَّبِيءَ ﷺ بالطَّائِفِ بعْدَ مَقْدَمِهِ بأَرْبَعَةِ أيَّام، وعِنْدَ مغلطاي: وقدِمَ معهُ أَرْبَعةٌ مُسْلِمُونَ[2].

و"الْكفَيْنِ" في الْبَيْتِ مُخَفَّفٌ للضَّرُورَةِ، وأَصْلُهُ الشَّدّ؛ لأَنَّهُ تَثْنِيَةُ "كفّ" أَوْ هُوَ تَثْنِيَةُ "كفٍ" بالتَّخْفِيفِ أَصْلُهُ "كُفْء" نُقِلَتْ حَرَكَةُ الهمْزَةِ إِلَى السَّاكِنِ قبْلَهَا وحُذِفَتْ، فهُوَ مِنْ كَفَأْتُ الإِنَاءَ. أَوْ تَثْنِيَة "كُفْء" فتُضَمُّ الكَافُ وتسَكَّنُ الفاءُ، لَكِنْ نُقِلَتْ إِليْهَا حرَكَةُ الْهَمْزَةِ وحُذِفَت الهَمْزَةُ. يُخَاطِبُ الصَّنَمَ بأَنَّا وُجِدْنا قَبْلَ وُجُودِكَ مُرَكَّبًا بالخَشَبِ وصنعنَاكَ، فكَيْفَ نَعبُدُك؟

وأَرْبَعُ المئَة المنحدِرونَ مَعَهُ مشرِكُونَ، وانْحَدَرُوا مَعَهُ لِأَنَّهُ مُطاعٌ فِي قومِهِ، ولَعَلَّ [195ظ] الباقِينَ أسلَمُوا بعْدَ القُدُومِ. وذكَرَ ابنُ سَعدٍ أَنَّهُ قدِمَ بدَبَّابةٍ ومِنْجَنِيق وقالَ: يا مَعْشَرَ الْأَزْدِ مَن يَحْمِلُ رايَتَكُمْ؟ ثمَّ قَالَ: مَنْ يَحْمِلهَا في الْجَاهِلِيَّة يحْمِلهَا، إِنَّهُ يحْمِلُهَا النّعمان بن الرّازية اللّهبي[3][4].

والدَّبابة آلَةٌ يَسْتَتِرُ فِيها الرِّجالُ لِنَقْبِ السُّورِ، والظّاهِرُ أنَّ أَرْبَعَ المئةِ مسْلِمُون مِنْ حِينِ الخروجِ مَعَهُ.

والطُّفَيْلُ بِضَمّ الطَّاءِ وفتْحِ الفَاءِ وإِسْكانِ الْيَاءِ، وهُوَ الطّفَيْل بن عمرو بنُ طرِيف بنِ العَاصِي بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ سَلِيم بنِ فهْم بنِ غنْم بنِ دوس، وقِيل: هوَ ابنُ عَبْد عمرو بنِ عبْدِ اللهِ بنِ مَالِك بنِ عَمْرو ابنِ فَهْم، وقالَ ابْنُ سَعد[5] وابنُ حِبَّان[6]: أسْلَمَ بمكَّةَ ورَجَعَ إِلَى بِلَادِهِ، ثُمَّ وافَاهُ رَسولُ اللهِ ﷺ فِي عُمْرَةِ القضية، وشَهِدَ فتح مكّة[7].

وقَالَ ابن أبي حاتم: قَدِمَ عَلَيْهِ معَ أَبِي هُرَيْرَة بِخَيْبَر[8].

---

(1) الأبيات من الرَّجز، ينظر: أخبار مكة، الأزرقي، 131/1.

(2) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 3/4.

(3) النعمان بن رازِيَة الأَزدِي ثم اللهبِي، عريفُ الأزدِ وصاحِبُ رايَتِهِمْ، قال البخارِي: سمع النبِيءَ ﷺ. الإصابة، ابن حجر، 83/11.

(4) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 4/4، والقصة في الإصابة، ابن حجر، 85/11.

(5) لم أجده في الطبقات الكبير لابن سعد.

(6) الثقات، ابن حبان، 203/3.

(7)شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 3/4.

(8) لم أقف على قول ابن أبي حاتم، ينظر: فتح الباري، ابن حجر، 102/8.

لقَّبَهُ ذَا النُّورِ؛ لِأَنَّهُ لمَّا وَفَدَ عَلَيْهِ ﷺ دعَا لِقَوْمِهِ، فقَالَ: ابْعَثْنِي إِلَيْهِمْ واجْعَلْ لِي آيَة، وقَالَ: ((**اللَّهُمَّ نوِّر لهُ**)) فسَطَعَ نورٌ بَيْنَ عَيْنيْهِ، فقَالَ: يَا رَبِّ أَخَافُ أنْ يَقُولُوا مُثْلَةٌ، فتَحَوَّل إلى طرَفِ سَوْطِهِ، فكَانَ يُضِيءُ لهُ في اللَّيلَةِ المظْلِمَةِ[1].

وذَكَرَ ابنُ الكَلبِيّ أَنَّهُ دَعَا قَوْمَهُ إِلَى الْإِسْلامِ فأسْلَمَ أبُوهُ ولَمْ تُسْلِم أمُّهُ، وأَجَابهُ أبُو هُرَيْرَة وحْدَهُ[2].

وهُوَ يَدُلُّ على قِدَمِ إِسْلامِهِ، وجَزَمَ ابن أبي حاتم بِأَنَّهُ قَدِمَ معَ أَبِي هُرَيْرَةَ بِخَيبَر، ولَعَلَّها قِدْمَتُهُ الثَّانِيَةُ[3].

وذَكَرَ ابنُ سَعْدٍ وابْنُ الكَلبِي أَنَّهُ اسْتُشْهدَ بالْيَمَامةِ كمَا مَرَّ. وقَالَ ابْنُ حِبَّان: بالْيَرْمُوكِ، وقِيل: بأَجْنَادِين فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ، ذَكَرهُ ابْنُ عقبةَ عَن الزُّهرِيّ وأبو الأسود عَنْ عُرْوَةَ[4].

وزَعَمَ الْكَلبِيّ[5]: كانَ عمرو بن حممة، بضَمِّ الْحَاءِ وفَتْحِ الميمِ الأُولَى كالثَّانِيَة، حَاكِمًا عَلَى دوس ثَلَاثَ مِئة سَنَةٍ[6].

وعِنْدَ ابْنِ إِسْحَاق أَنَّ الطُّفيلَ قَالَ: يا رَسُولَ اللهِ ابْعَثْنِي إِلَى ذِي الْكَفَّيْنِ حتَّى أُحْرِقَهُ[7]. وعِنْدَ ابْنِ سَعْد: أَمَرَهُ أَنْ يستمِدَّ قَوْمَهُ[8][9].

ودَوس: بِفَتْحِ الدَّالِ المهْمَلَةِ وإِسْكانِ الوَاوِ قَبِيلةُ أَبِي هُرَيْرَةَ، يُنْسَبونَ إِلَى جَدِّهِم دَوْس بنُ عُدثَان، بضَمِّ العَيْن المهْمَلةِ وإِسْكانِ الدَّالِ المهْمَلَة، بعْدَهَا ثَاءٌ مثلَّثَةٌ، بنِ عَبْدِ اللهِ، يَنْتَهِي نَسَبُهُم إِلَى الْأَزْدِ، وَفَدُوا علَى النَّبِيءِ ﷺ بِخَيْبَرَ فَهُوَ سَنَةَ سَبْعٍ[10].

وذَكَرَ ابنُ إِسْحَاق حَدِيثَ إِسْلَامِ الطُّفيل بِلَا سَنَدٍ فِي غالِبِ النُّسَخِ، وفِي نُسْخَةٍ بسَنَدٍ عنْ صالح بن كيْسان عنِ الطُّفيل[11].

---

(1) الإصابة، ابن حجر، 424/3، وشرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 3/4.

(2) الإصابة، ابن حجر، 405/5 وشرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 3/4.

(3) فتح البارِي، ابن حجر، 102/8، وشرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 3/4.

(4) الإصابة، ابن حجر، 406/5، وشرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 3/4.

(5) صوابه: ابن الكلبِي.

(6) الإصابة، ابن حجر، 405/5، وشرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 3/4.

(7) سيرة ابن هشام، 385/1.

(8) الطبقات الكبِير، ابن سَعْد، 145/2.

(9) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 3/4.

(10) (م، س)، 3/4، ومعجم القبائل العربية، كحالة، 394/1.

(11) الإصابة، ابن حجر، 423/3، وشرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 5/ 180.

وكذَا أَخْرَجَهُ ابنُ سَعْدٍ مِن وَجْهٍ آخَرَ، وكَذَا الأمويّ[1] وابْنُ الكَلْبِيّ[2] بإِسْنادٍ آخَرَ[3].

والْقِصَّةُ هِيَ مَا مَرَّ أَوَّلًا، ولَكِنْ لَفْظهُ[4]: أَنَّهُ قَدِمَ مكَّةَ ورَسُولُ اللهِ ﷺ بِهَا قَبْلَ الْهِجرَةِ، فمَشَى إِلَيْهِ رِجَالٌ مِن قُرَيْش، وكَانَ الطُّفيل رَجُلًا شَرِيفا شَاعِرًا لَبِيبًا، زَادَ ابْنُ سَعدٍ، أيْ علَى ابن إسحاق: كَثِيرَ الضِّيافَةِ[5]، قالَ غَيْرُ ابْنِ إِسْحَاق: هَذِهِ الأَلْفَاظُ عَن الطُّفَيلِ لَمْ يُحَدِّثْ بِهَا الطُّفَيْل، بَلْ حَدَّثَ بها عَبْدُ الوَاحِدِ بنُ أَبِي عَوْن الدّوسِيّ، كما عِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ[6]؛ لِأَنَّ الطُّفَيْلَ لَا يقُولُ عنْ نَفْسِهِ إِنِّي شَرِيف إلخ. قُلتُ: قَالَهَا فِي غَيْرِ هذَا المقَامِ كمَا مَرَّ.

قَالَ ابنُ إِسْحَاق: فقَالُوا لَهُ: إِنَّكَ قَدِمْتَ بلَادَنا، وهذَا الرَّجُلُ الذِي [196و] بيْنَ أَظْهُرِنا فرَّقَ جمَاعَتَنا؛ أيْ: أَمْكِنَةً واعْتِقَادًا بِأَنْ أَزَالَ الأُلْفَةَ بَيْنَهُم وفَرَّقَهُم في الْبلَادِ، قالَ: وَشَتَّتَ أَمْرَنَا؛ أَيْ: اعْتِقَادَ عبَادَةِ الأَصْنَامِ، وإِنَّما قَوْلُهُ: كالسِّحْرِ يُفَرِّقُ بيْنَ المرْءِ وابْنِهِ وبَيْنَ المرْءِ وأَخِيهِ[7] إِلَى آخِرِ ما مَرَّ.

والْكُرْسُفُ والكُرْسُوفُ: بضَمِّ الكافِ والسِّينِ فِيهِمَا القُطْنُ، إِلَّا أَنَّ لَفْظَ ابنِ إِسْحَاق: وَاثْكَلَ أُمِّيَاهُ[8] بالجَمْعِ بَيْنَ ياءِ المتَكَلِّمِ والأَلِفِ والْهَاءِ، والمشْهُورُ عنْهُ مَا مَرَّ، واثْكَلَ أُمِّي.

وَلَمْ يَذْكُر ابْنُ إِسْحَاق عَيْنَ ما قَرَأَ علَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ.

وذَكَرَ أَبُو الْفَرَجِ الأَصْبَهَانِيّ صاحِبُ "الْأَغَانِي" أَنَّهُ ﷺ قَرَأَ عَلَى الطُّفيل "الإخلاص" و"المعوِّذتيْن"[9].

وقَالَ الطُّفَيْلُ لمَّا أَسْلَمَ مخَاطِبًا لِقُرَيْشٍ إِذْ هَدَّدُوهُ عَلَى الْإِسْلَامِ:

أَلَا أَبْلِغْ لَدَيْكَ بَنِي لُؤَيٍّ ... عَلَى الشَّنَآنِ وَالْغَضَبِ الْمرَدِّي

بِأَنَّ اللهَ رَبّ النَّاسِ فَرْدٌ ... تَعَالَى جَدُّهُ عَنْ كُلِّ نِدِّ

وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدٌ رَسُولٌ ... دَلِيلُ هُدًى وَمُوضِحُ كُلِّ رُشْدِ

---

(1) يحيى بن سعيد بن أبان الأموِي الكوفِي، من آثارِهِ: مصنف في مغازِي رسول الله. معجم المؤلفين، كحالة، 96/4. يختلف في نسبة المغازِي بين يحيَى وأبيه سعِيد. ينظر: أعلام السيرة النبوية في القرن الثاني للهجرة، فاروق حمادة، ص49.

(2) كتاب الأصنام، ابن الكلبِي، ص37.

(3) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 179/5.

(4) يقصِد به ابن إسحاق.

(5) الطبقات الكبِير، ابن سَعْد، 224/4.

(6) (م، س)، 224/4.

(7) سيرة ابن هِشام، 382/1.

(8) في سيرة ابن هِشام: واثكل أمِّي، والرواية فِي شرح المواهِب، 182/5.

(9) الأغانِي، أبو الفرج، 149/13.

وَأَنَّ اللهَ جَلَّلَهُ بَهَاءً وَأَعْلَى جَدَّهُ فِي كُلِّ جَدِّ[1]

وأَرَادَ بالحَاضِرِ الْقَوْمَ النَّازِلِينَ علَى مَاءٍ لَا يَرْحَلُون عَنْهُ، ويُطْلَقُ على المحلِّ أَيْضًا. وَفِي لَفْظِ ابْنِ إِسْحَاق: قَالَ لِأَبِيهِ بعْدَمَا مَرَّ مِنْ قَوْلِهِ "فَاذْهَبْ واغْتَسِل" مَا نَصُّه: "ثُمَّ تعَالَ أُعَلِّمْكَ مَا علمْتُ[2]".

(1) الأبيات من الوافِر، ينظر: الوافي، الصفدِي، 264/16 قال أوردها المرزباني ولم أجدها في معجم الشعراء له. وينظر: الإصابة، ابن حجر، 424/3، وشرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 182/5.

(2) سيرة ابن هِشام، 384/1.

وقَوْلُهُ: "دِينِي دِينُك" لا يكْفِي إِسْلامًا عنْدَنَا وعِنْدَ جُمْهورِ قَوْمِنا، وإِنَّما إِسْلامُهُ ما ذَكرَ بعدهُ. وعن الكلبِيّ أَنَّهُ أجابَهُ أبوهُ وأبُو هُرَيْرَةَ وَحْدَهُ[1].

وَلَيْسَ فِي لَفْظِ ابْنِ إِسْحَاق "فقُلْتُ: فَاذْهَبِي إِلى حنا ذي الشراء" إلخ، وهُوَ بالنُّون. قَالَ ابنُ هِشام: ويُقَالُ بالميمِ[2]. ولَعَلَّ ذَلِكَ مِنْ إِبْدالِ الميمِ أَو النُّونِ بِالآخَرِ.

وفِي رِوَايَةٍ: "يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ غَلَبَنِي علَى دوس الزِّنا"[3]× أَيْ: حُبُّهُم لَهُ، وعِلْمُهُمْ أَنَّهُم إِنْ أَسْلَموا مُنِعُوا مِنْهُ[4].

وفي الْبُخَارِي عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: ((**جاءَ الطّفَيْل بن عمرو إِلَى النَّبِيءِ ﷺ فقالَ: إِنَّ دوسًا قدْ هَلَكَتْ عَصَتْ وأَبَتْ، فادْعُ اللهَ علَيْهِمْ. فقَالَ: اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وآتِ بِهِمْ**))[5].

قَالَ ابْنُ حَجَر عَن ابن الكَلبِيّ: إِنَّ جندب بنَ عَمْرو بنِ حممة الدّوسِي كانَ حاكِمًا على دَوْس، وكَانَ أَبُوهُ مِنْ قَبْلِهِ كَذَلِكَ، وكَانَ جندب يَقُولُ: إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ لِلْخَلْقِ خَالِقًا، لَكِنْ لَا أَدْرِي مَنْ هُوَ، فَلَمَّا سَمِع بِالنَّبِيءِ ﷺ خَرَجَ إِلَيْهِ ومَعَهُ خَمْسَةٌ وسبْعُونَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ فأَسْلَمَ وأَسْلَمُوا[6].

ذَكَرَ ابْنُ دُرَيْد أَنَّ عَمْرو بنَ حممة وَفَدَ علَى النَّبِيءِ ﷺ[7] وقالَ غَيْرُهُ: مَاتَ فِي الْجَاهِلِيَّة.

وكَانَ أَحَدَ حُكَّامِ الْعَرَبِ فِي الجَاهِلِيَّة، وأَحَدَ المعمّرِينَ، يُقَالُ: إِنَّهُ عاشَ ثَلاثَ مِئَةٍ وتِسْعِين سَنَةً، وهُوَ الْقَائِلُ:

كَبِرْت وَطَالَ الْعُمْرُ مِنّي كَأَنَّنِي ... سَلِيم أَفَاعٍ لَيْلُهُ غَيْرُ مُودِعِ
أُخَبِّرُ أَخْبَارَ الْقُرُونِ التِي مَضَتْ ... وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ يُطَارَ لِمَصْرَعِي
وَمَا السُّقْمُ أَبْلَانِي وَلَكِنْ تَتَابَعَتْ ... عَلَيَّ سِنُونٌ مِنْ مَصِيفٍ [196ظ] وَمرْبَعِ
ثَلَاث مِئِينَ مِنْ سِنِينَ كَوَامِل ... وَهَا أَنَا هَذَا أَرْتَجِي مَرَّ أَرْبَعِ
فَأَصْبَحْتُ بَيْنَ الْفَحِّ وَالْعُشِّ نَادِبًا ... إِذَا رَامَ طَيَّارًا يُقَالُ لَهُ قَعِ[8]

ومِن حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاق: لمَّا قَالَ لِرَسولِ اللهِ ﷺ: ادْعُ عَلَيْهِمْ قالَ ﷺ: ((**ارْجِع إِلَى قَوْمِكَ فَادْعُهُم إِلَى اللهِ وَارْفقْ بِهِمْ**)) قال: فَرَجَعْتُ إِلَيْهِمْ فَلَمْ أَزَلْ بِأَرْضِ دَوْس أَدْعُوهُم إِلَى اللهِ ﷻ حَتَّى

(1) سبق تخريجه، الإصابة، ابن حجر، 405/5 وشرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 3/4.
(2) سيرة ابن هِشام، 384/1.
(3) سيرة ابن هِشام، 384/1.
(4) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 184/5.
(5) صحيح البخارِي، حدِيث (4392).
(6) فتح البارِي، ابن حجَر، 102/8.
(7) الاشتقاق، ابن دريد، 505.
(8) الإصابة، ابن حجر،367/7، وشرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 184/5. وينظر: الأبيات من الطوِيل فِي معجم الشعراء، المرزباني، ص35.

هَاجَر النَّبِيءُ ﷺ إلى المدِينَةِ ومَضَتْ بَدْرٌ وأُحُدٌ والْخَنْدَقُ ثُمَّ قَدِمْتُ علَى رسُولِ اللهِ ﷺ بِخَيبَر، أيْ وهُوَ بِخَيْبَر، فنَزَلْتُ المدِينَةَ بسَبْعِين أو ثمانِينَ بيتًا مِنْ دوس؛ أيْ: جماعة يَجْمَعُهُم نَسَبٌ واحِدٌ أو بيتُ شعر، فلا ينافِي ما قِيلَ إنَّهُم قَدِمُوا أَرْبَعَ مِئة مُسْلِمِينَ، قال: ثمَّ لَحِقْنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ بِخَيبَر[1].

وَلِلطَّبَرَانِي بسَنَدٍ ضَعِيفٍ أَنَّهُمْ أَرْبَعُ مِئَةٍ، ولمَّا رَآهُم النَّبِيءُ ﷺ قَالَ: ((**مَرْحَبًا بِأَحْسَنِ النَّاسِ وُجُوهًا وأَطْيَبِهِم أَفْوَاهًا**؛ أَيْ: كَلَامًا، **وأَعْظَمِهِمْ أَمَانَةً**))[2].

وَرَوَى البُخَارِيّ في "التَّارِيخِ" وابْنُ خُزَيمةَ والبَيْهَقِيّ والطَّحَاوِي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: ((قَدِمْنَا المدِينةَ ونَحْنُ ثَمَانُونَ بَيْتًا مِنْ دَوْس، فصَلَّيْنَا الصُّبْحَ خلْفَ سِبَاع بنِ عُرْفُطَةَ الغِفَارِيّ، فَقَرَأَ فِي الرَّكعة الأُولَى بسُورَةِ مَريَم، وفِي الآخِرَةِ بِـ:وَيْل لِلْمُطَفِّفِينَ، فلَمَّا قَرَأَ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾﴾[3] قُلْتُ: تَرَكْتُ عَمِّي لهُ مِكْيالانِ، إِذَا اكْتَالَ اكْتَالَ بالأَوْفَى، وإِذَا كَالَ كَالَ بالنَّاقِصِ. فلَمَّا فرغْنَا مِنْ صَلَاتِنا قَالَ قَائِلٌ: رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَيبَر، وهُوَ قادِمٌ عَلَيْكُم. فقُلْتُ: لَا أَسْمَعُ بهِ فِي مَكَانٍ أَبَدًا إِلَّا جِئتُهُ، فزَوَّدنَا سباع وجِئْنَا خَيْبَر فنَجِدُهُ قَدْ فَتَحَ النَّطاةَ وهُوَ مُحَاصِرٌ الْكَتِيبةَ، فأَقَمْنَا حَتَّى فَتَحَ اللهُ علَيْنَا فَأَسْهَمَ لَنَا مَعَ المسْلِمِينَ))[4] وفِي رِوَايَةٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة: ((قَدِمْنَا علَى رَسُولِ اللهِ وقَدْ فَتَحَ خَيْبَرَ، فَكَلَّمَ المسْلِمِينَ فأَشْرَكَنا فِي سهمانِهِم))[5].

والطُّفَيْل قَدِمَ مَكَّةَ مَرَّتَيْنِ، وقَدِمَ الْوَفْدُ مُسْلِمين بِدَلِيلِ صَلَاتِهِم خلْفَ سباع، وبِدَلِيلِ الْإِسْهَامِ.

قالَ ابْنُ إِسْحَاق: ثُمَّ لَمْ يَزَلْ معهُ ﷺ حتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ مَكَّةَ. قُلْتُ: يا رَسُول ابْعَثْنِي إِلَى صَنَمِ عَمْرو بنِ حممة حتَّى أَحْرِقَهُ، فبَعَثَهُ فأَحْرَقَهُ وهَدَمَهُ ثمَّ رَجَعَ فأَوْقَد النَّارَ عَلَيْهِ ثُمَّ قالَ: (يا ذَا الْكفيْنِ) إِلَى آخِرِ ما مرَّ مِنَ الشِّعرِ، ثمَّ رَجَعَ فكَانَ مَعَ المصْطَفَى ﷺ حتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ولمَّا ارْتَدَّت الْعَرَبُ خَرَجَ مَعَ المسْلِمِينَ حَتَّى فَرغُوا مِنْ طليحة ومِنْ أَرْضِ نَجْدٍ كلِّهَا، ثُمَّ سَارَ إِلَى اليمامة ومَعَهُ ابْنُهُ عَمرو فَرَأَى رُؤيَا وهُوَ مُتَوَجِّهٌ إِلَى الْيَمامةِ، فقَالَ لِأَصْحَابِهِ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رُؤيَا فاعْبرُوهَا، إِنِّي رَأَيْتُ أَنَّ رَأْسِي قَدْ حلق [197و] وأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ فَمِي طَائِرٌ، ولَقِيَتْنِي امْرَأَةٌ فَأَدْخَلَتْنِي فِي فَرْجِهَا، وأَنَّ ابنِي يَطْلُبُنِي طَلَبًا حَثِيثًا، ثمَّ رَأَيْتُهُ حُبِسَ عَنِّي. قَالُوا: خَيْرًا، قال: أَما أَنَا وَاللهِ فقَدْ أَوَّلْتُها، قَالُوا: بِمَاذَا؟ قالَ: أَمَّا حَلْقُ رَأْسِي فَوَضْعُهُ، وأَمَّا الطَّائرُ الذِي خَرَجَ مِنْ فَمِي فرُوحِي، وأَمَّا المرْأَةُ التي أَدْخَلَتْنِي فَرْجَهَا

(1) سيرة ابن هشام، 385/1.

(2) المعجم الكبير، الطبراني، حديث (12948).

(3) سورة المطففين:2.

(4) دلائل النبوة، البيْهَقِي، 198/4.

(5) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 185/5.

فَالأَرْضُ تُحْفَرُ لِي، وَأُغيَّبُ فيهَا، وأمَّا طَلَبُ ابْنِي إيَّايَ ثُمَّ حَبْسُهُ عَنِّي، فَإِنَّهُ سيَجْهَدُ أنْ يُصِيبَهُ مَا أَصَابَنِي، فقُتِلَ شَهِيدًا بِالْيَمَامةِ، وجُرِحَ ابْنُهُ جِرَاحَةً شَدِيدةً ثمَّ استقل[1] مِنْهَا، ثُمَّ اسْتُشْهِدَ عامَ اليرموك زَمَانَ عُمَر ﷺ[2].

وعِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ: أنَّ عمْرو بن الطُّفيل قُطِعَتْ يَدُهُ أيْضًا، زِيَادَةً علَى الْجِرَاحَةِ الشَّدِيدةِ يَوْمَ الْيَمَامَةِ، ثُمَّ صَحَّ، فبَيْنَمَا هُوَ مَعَ عُمَر إِذْ أُتِيَ بِطَعامٍ فتَنَحَّى فقالَ لَهُ: مَالَكَ؟ لَعَلَّهُ لِمَكَانِ يَدِكَ قالَ: أَجَلْ، قَالَ: واللهِ لَا أَذُوقُهُ حتَّى تسُوطَهُ[3] بِيَدِكَ، ففَعَلَ[4].

قَالَ ابن أبي حاتم: لَا أَعْلَمُ رِوَايَة عَنِ الطّفيل[5]. وتَعَقَّبَهُ ابْنُ حَجَر بِأَنَّ الْبَغَوِيّ[6] أَخْرَجَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ[7] عَبْدِ رَبِّهِ عَن الطُّفَيْلِ بنِ عَمْرو الدّوسِي قالَ: ((أَقْرَأَنِي أُبَيُّ بنُ كَعْب القُرْآنَ فأَهْدَيْتُ لَهُ فَرَسًا))[8] وقَالَ: غَرِيب، وعَبْدُ ربِّهِ لَمْ يَسْمَعْ مِن الطُّفيل[9].

واللهُ أَعْلَمُ ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

101 وَأُعْطِيتَ فِي الْإِسْـــلَامِ وَالْجِسْـــمِ قُوَّةً بِهَـا هُـدِمَـتْ مِـنْ ذِي رُكَـانَـة رُكْـنَـانِ

102 فَـأَلْقَيْـتَـهُ صَـــرْعًـا وَأَبْصَـــرَ أَيْكَـةً أَطَـاعَتْـكَ سَـــعْيًـا فِي رُجُوعٍ وَإِتْيَـانِ

103 وَجَـاءَتْ تَجِـدُّ[10] الْأَرْضَ أُخْرَى مُقِرَّةً بِـأَنَّـكَ مَـبْـعُـوثٌ وَعَـادَتْ بِـأَغْصَـــانِ

104 وَثِنْتَانِ فِي الْأَشْـــجَارِ أَيْضًـــا أَطَاعَتَا بِـجَـمْـعٍ وَفَـرْقٍ مَـا أَمَـرْتَ يُـطِـيـعَـانِ

105 كَـمَـا أَنَـسٌ أَرْسَـــلْـتَـهُ بِـأَوَامِـرٍ إِلَى نَـخْـلَاتٍ فَـاسْـتَـجَـابَـتْ بِـأَفْـنَـانِ

وأعطاكَ اللهُ فِي الإِقَامَةِ بِالْإِسْلَام ونَصْرِهِ، وفِي جَسَدِكَ قُوَّةً عَظِيمَةً. بتِلْكَ الْقُوَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ الجَسَدِيَّة "هُدِمَتْ" بالبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ وَتَاء التَّأنِيثِ قُوَّتان مِنْ شَأْنِ ركانَةَ، قُوَّةُ الْجَسَدِ وقُوَّةُ الاحتِيَالِ. وكانَ ركانَةُ يَصْرَعُ كُلَّ مُصَارِعٍ، ولَا يَصْرَعُهُ أَحَدٌ. أَوْ قُوَّة قَلْبٍ وقُوَّةُ جَسَدٍ.

فأَلْقَيْتَهُ يَا رسُولَ اللهِ في الْأَرْضِ حالَ كَوْنِهِ ذَا صَرْعٍ وَاقِعٍ عَلَيْهِ. أَوْ مَصْرُوعا أَوْ إِلْقَاءَ صَرْعٍ أَوْ صَرَعْتَهُ صَرْعًا.

---

(1) في سيرة ابن هِشام: استبل.

(2) سيرة ابن هشام، 385/1، ومعرفة الصحابة، أبو نعيم، 1562/3، وشرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 185/5-186.

(3) السَّوْطُ خَلْطُ الشيء بَعْضِه ببعض. لسان العرب (سوط).

(4) الطبقات الكبير، ابن سعد، 240/4، وشرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 186/5.

(5) الجرح والتعديل، 489/4.

(6) معجم الصَّحابة، البغوِي، 433/3.

(7) "ابن" زائدة، خطأ من المؤلِّف، ليست فِي المصادِرِ.

(8) في معجم الصحابة والإصابة: قوسا.

(9) الإصابة، ابن حجر،404/5، وشرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 186/5.

(10) في الأصلِ: تجد وتخد. رسم النقطة فوق الحرف وأسفله. و "جد" الجيم والدال أصولٌ ثلاثة: الأوَّل العظمة، والثانية الحَظ، والثالث القَطْع. مقاييس اللغة (جد). وأمَّا "تخد" أصله: وخدَ، يقال وخدت النّاقة تَخِدُ وَخَدَاناً، وهو سَعَة الخطْو. مقاييس اللغة (وخد).

وأَرَيْتَهُ آيَةً أُخْرَى غَيْرَ ذَلِكَ، هِيَ أَنْ تَدْعُو هَذِه الأَيْكَةَ؛ أيْ: الشَّجرَةَ فَتَأْتِيكَ وتَرْجِع إِلَى مَكَانِها، ففَعَلَتْ بِإِذْنِ اللهِ.

وجَاءَتْ شَجَرَةٌ أُخْرَى، فِي غَيْرِ هَذِهِ القِصَّةِ، تَقْطَعُ الأَرْضَ حَتَّى وَصَلَتْكَ صلَّى اللهُ عليْكَ وسلَّمَ، وأَقَرَّتْ عِنْدَكَ بِأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ إِلَى الْخَلْقِ، ورَجَعَتْ بأَغْصَان.

وشَجَرَتَانِ أَيْضًا مُفْتَرِقتَانِ أَمَرْتَهُما بِأَنْ تَجْتَمِعا، فَاجْتَمَعَتَا وأَمَرْتَهُما بِالافْتِراقِ فَافْتَرَقَتَا برُجُوعِ كُلٍّ إِلَى مَوْضِعِهِ، مَا أَمَرْتَ بِهِ [197ظ] يطِيعَانِكَ فِيهِ. كمَا قُلْتَ لأنس بن مالك: قُلْ لِهَؤلاءِ النَّخْلَاتِ إنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكُنَّ أَنْ تَأْتِينَ، فقَالَ فَأَتَيْنَ.

و"ذَا": بِمَعْنَى صَاحِب وَاقِعٌ عَلَى الشَّأْنِ؛ أَيْ: مِنْ صَاحِبِ ركانة، أَيْ: شَأْنِ رُكَانَة.

وأَنَّثَ الرُّكن لِتَأْوِيلِهِ بِالْقُوَّةِ أَو الْجِهَةِ، وضَمَّنَ "أَلْقَيْتَهُ" مَعْنَى صَرَعْتَهُ، فَـ"صَرْعًا": مَفْعُولٌ مُطْلَق، ومَرّتْ أَعَارِيبُ أُخْرَى.

وكَذَا "سعْيًا" بِمَعْنَى سَاعِيَاتٍ، أَوْ ذَوَاتِ سَعْيٍ أَوْ سَعْيًا: مَفْعُولٌ مُطلَقٌ لِتَضَمُّن أَطَعْنَاكَ مَعْنَى سَعَيْنا إِلَيْكَ. وهُنا فَصْلَانِ:

[الفصل] الأوَّلُ: فِي قُوَّةِ بَدَنِهِ ﷺ

قالَ ابنُ إِسْحَاق: حَدَّثَنِي أَبِي إسحاقُ بن يسار قال: كانَ ركانة أَشَدَّ قُرَيْشٍ يَصْرَعُ النَّاسَ ولا يَصْرَعُونَهُ، فَخَلَا يَوْمًا برَسُولِ اللهِ ﷺ في بَعْضِ شِعابِ مَكَّةَ، فقَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: ((**يا رُكَانَةَ أَلَا تَتَّقِي اللهَ وتَقْبَل مَا أَدْعُوكَ إِلَيْهِ**)) وقَالَ: لَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ الذِي تَقُولُ حَقٌّ لَاتَّبَعْتُكَ، فقَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: ((**أفَرَأَيْتَ إِنْ صَرَعْتُكَ أَتَعْلَمُ أَنَّ مَا أَقُولُ حَقٌّ؟**)) قالَ: نَعَمْ. قَال: ((**فَقُمْ حتَّى أُصَارِعَكَ**)) فقَامَ ركانةُ إِلَيْهِ فصَارَعَهُ فلَمَّا أَخَذَهُ رسُولُ اللهِ ﷺ أضْجَعَهُ ولَمْ يَمْلِكْ مِن نفْسِهِ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: عُدْ يا مُحَمَّد، فعَاد فَصَرَعهُ، فقال: يَا مُحَمَّد إِنَّ هَذَا لَعَجَبٌ أَتَصْرَعُنِي، فقَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: ((**وأَعجَبُ مِنْ ذَلِكَ إِنْ شِئْتَ أُرِيكَهُ إِن اتَّقَيْتَ اللهَ واتَّبَعْتَ أَمْرِي**)) قَالَ ما هُوَ؟ قالَ: ((**أَدْعُو لَكَ هَذِهِ الشَّجَرَةَ التِي تَرَى فتَأْتِينِي**)) فقَالَ: ادْعُهَا فدَعَاهَا فأَقْبَلَتْ حَتَّى وقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رسُولِ اللهِ ﷺ فقالَ لَهَا: ارْجِعِي إِلَى مَكَانِكِ فَرَجَعَتْ إِلَى مَكَانِهَا، فذَهَبَ رُكَانَةُ إلى قَوْمِهِ فقَالَ: يا بني عبد مناف سَاحِروا بِصَاحِبِكُمْ أَهْلَ الْأَرْضِ، فَوَاللهِ مَا رَأَيْتُ أَسْحَرَ مِنْهُ قَطُّ، ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ بِالذِي رَأَى وَالذِي صَنَعَ[1].

قُلتُ: ثُمَّ مَنَّ اللهُ تعَالَى علَى رُكَانَةَ بِالإِسْلَامِ بَعْدَ هَذَا.

(1) سيرة ابن هشام، 1/390-391.

قال أبُو عمرو بنُ عَبْدِ البَرِّ فِي كِتَابِ "الصَّحابةِ": كانَ رُكَانَةُ مِمَّن أَسْلَمَ عام الفتح وطلَّقَ امْرَأَتَهُ سهيمة بِنْت عويمر بِالمدِينةِ أَلْبَتَّةَ، فسَأَلَهُ النَّبِيءُ ﷺ: **مَا أَرَدْتَ بِهَا؟** يَسْتَخْبِرُهُ عَنْ نِيَّتِهِ فِي ذَلِكَ، فقَالَ: أَرَدْتُ واحِدةً فرَدَّها علَيْهِ النَّبِيءُ ﷺ على تَطْلِيقَتَيْنِ. ومِنْ حَدِيثِ رُكَانَةَ عَنِ النَّبِيءِ ﷺ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ: ((**إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا وَخُلُقُ هذا الدِّينِ الْحَيَاءُ**)) وتُوُفِّيَ ركانةُ في أَوَّلِ خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ[1].

قال الثَّعَالِبِيّ: كُلُّ مَنْ كان بمكَّةَ وما حَوْلَها مُعَادِيًا لِرَسولِ اللهِ ﷺ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَسْلَمَ عامَ الفَتْحِ فلَمْ يَبْقَ بَعْدَ الْفَتحِ مَظْهَرُ كفْرٍ بهَا، بَلْ دَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا، وآمَنُوا بِاللهِ ورَسُولِهِ طَوْعًا وكَرْهًا[2].

وذَكَرَ ابنُ إسحاق في كتابِهِ أَنَّهُ كَانَ بِمَكَّةَ رَجُلٌ شدِيدُ الْقُوَّةِ يُحْسِنُ [198و] الصِّرَاعَ، وكَانَ النَّاسُ يأْتُونَهُ مِنَ الْبِلَادِ لِلْمُصَارَعَةِ فيَصْرَعُهُم، فبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي شِعْبٍ منْ شِعَابِ مَكَّة إِذْ لَقِيَهُ رسُولُ اللهِ ﷺ وسَاقَ الْحَدِيثَ، لَكِنْ فِيهِ: أَخَذَهُ رسُولُ اللهِ ﷺ وَصرَعَهُ، فتَعَجَّبَ ركانة مِنْ ذَلكَ، ثُمَّ سأَلَهُ الإِقَالةَ والْعَودةَ، ففَعَلَ بِهِ ذلكَ ثَانيًا وثالثًا. فَوَقَفَ ركانَةُ مُتعجِّبًا وقَالَ: إِنَّ شَأْنَكَ لَعَجِيب. وكَذَا روَى الْحَاكِمُ فِي مَا زَادَ مِنَ الْحَدِيثِ علَى صَحِيحِ البُخَارِي ومسلِم عَنْ أَبِي جَعْفَر بنِ مُحَمَّد بن ركانَةَ المصَارِعِ[3]، ورَوَاهُ أبو داود[4] والتّرمذِي[5] وكذا البَيْهَقِيّ مِن روايَةِ سعيد بن جبير[6][7].

وقَدْ صَارَعَ رسُولُ الله ﷺ جمَاعَةً غَيْرَ ركانةَ مِنْهُم أبو الأسود كمَا قَالَهُ السُّهيلِيّ[8]، ورَوَاهُ البَيْهَقِيّ، وكَانَ شَدِيدًا بَلَغَ مِن شِدَّتِهِ أَنَّهُ كانَ يقِفُ على جِلْدِ الْبَقَرَةِ ويُجَاذبُ أَطْرَافَهُ عَشَرَةٌ لِيَنْزِعُوه مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ، فيتَفَرَّى الجِلْدُ ولمْ يَتَزَحْزَحْ عنْهُ. فَدعَا رَسُولَ اللهِ ﷺ إِلَى المصَارعَةِ، وقَالَ: إِنْ صرعْتَنِي آمَنْتُ بِكَ، فصَرَعَهُ رَسُولُ ﷺ فلَمْ يُؤْمِنْ[9].

وفِي البخارِي مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ: وسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ قَيْس: أَفَرَرْتُم عَنْ رَسولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حنَيْنٍ؟ فقَالَ: لَكِنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَفِرّ، كانَ هَوازِنُ رمَاةً وإِنَّا لمَّا حَمَلْنَا علَيْهِمْ انْكَشَفُوا فأَكْبَبْنَا علَى الْغَنَائِمِ، فاستُقبِلْنَا بِالسِّهام، ولَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيءَ ﷺ علَى بَغْلَتِهِ البَيْضَاء، وإِنَّ أَبَا سفيان بن الحارث آخِذٌ بزِمَامِهَا

---

(1) الاستيعاب، ابن عبد البر، 507/2.

(2) لم أقفْ على ناقلٍ للنَّصّ.

(3) المستدرك، الحاكم، حدِيث (5903).

(4) سنن أبِي داود، حدِيث (4078).

(5) سنن الترمذِي، حدِيث (1784).

(6) السنن الكبرَى، البيهقِي، حدِيث (19760).

(7) المواهب اللدنية، القسطلاني، 364/2-365.

(8) ذكر السهيْلِي أنَّ ممن صارعَ رسولُ الله ﷺ أبو الأشَدَّيْن الجُمَحِي واسمهُ كَلْدَة بنُ أُسَيْد بن خلف. الروض، السهيْلِي، 106/3.

(9) المواهب اللدنية، القسطلاني، 365/2.

وهُوَ يقُولُ: ((**أنَا النَّبِيءُ لَا كَذِب، أَنَا ابْنُ عَبْدِ المطَّلِب**))[1]. فهَذهِ غَايَةُ الشَّجاعةِ؛ لأنَّهُ في حَوْمَة الوَغَى وقَد انْكَشَفَ عنهُ جَيْشُهُ، وهُوَ علَى بَغْلتِهِ، والْبَغْلَةُ لا تُسْرِعُ الجْريَ، ولا تَصْلُحُ لِكَرٍّ ولَا فَرٍّ، وهُوَ يرْكُضُها مَعَ ذَلِكَ إلَى وُجُوهِ الْعَدُوّ، ويُنَوّهُ بِاسمِهِ؛ ليَعْرِفَهُ مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُهُ ﷺ.

وفِي حدِيثِ: ((**كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرسُولِ اللهِ ﷺ**))[2]؛ أَيْ: جعَلْنَاهُ قُدَّامنَا واسْتَقْبَلْنَا الْعَدُوَّ بِهِ وقُمْنَا خَلْفَهُ ﷺ[3].

والشَّجَاعَةُ قُوَّةُ قلْبٍ لَا قُوَّةُ بَدَن، ولَكِنَّ الْقَلْبَ يسْتَخْدِمُ الْبَدَنَ، وإِنَّما المقَامُ لِذِكْرِ قُوَّةِ بَدَنِهِ كمَا مَرَّ مِنْ صَرْعِهِ رُكَانَةَ.

والسَّائِلُ لِلْمُصارَعةِ هو رَسُولُ اللهِ ﷺ، وقَالَ البلاذري[4] هُوَ رُكَانَة[5]، ويَحْتَمِلُ أَنَّ كُلًّا مِنْهُما تَوَارَدَ مَعَ الْآخَرِ في السُّؤالِ أَوْ سَأَلَها ﷺ فتَصَارَعا وسَأَلَها بَعْدَهُ رُكَانَةُ.

ويُروَى أَنَّهُ ﷺ قال: ((**أرَأَيْتَ إِنْ صَرَعْتُكَ تُؤمِنُ باللهِ ورسولِهِ؟**)) قال: نَعَمْ يَا مُحَمَّد، فقَالَ لَهُ: ((**تهَيَّأْ لِلْمُصَارَعةِ**)) فقَالَ ركانَةُ: تَهَيَّأْتُ[6]، وسَاقَ الْحَدِيثَ. وَتَقَدَّمَ أَنَّهُ [198ظ] أسلَمَ عامَ الفَتْحِ، وقِيلَ أَسلَمَ عَقِبَ الصَّرْعِ الْأَخِيرِ. وأَطْلَقَ بَعْضٌ أَنَّهُ أَسْلَمَ عَقِبَ الصَّرْعِ[7].

وفِي "الْإِصابَةِ": رُكَانَةُ بنُ عَبد يزِيدَ بنِ هَاشِم بن المطَّلِبِ بن عَبْدِ منَاف المطَّلِبِي، وقَالَ البلاذري: إِنَّهُ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ[8]، فأُخْبِرَ خبَرَ النَّبِيءِ ﷺ بِمَكَّةَ قَبْلَ الإِسْلَامِ، وكانَ أَشَدَّ النَّاسِ، فقَالَ: يَا مُحَمَّد إِنْ صَرَعْتَنِي آمنْتُ بِكَ، فَصَرَعَهُ، فقَالَ: أَشْهَدُ إِنَّكَ سَاحِرٌ، ثُمَّ أَسْلَمَ بَعْدُ، وأَطْعَمَهُ النَّبِيءُ ﷺ خَمْسِينَ وسْقًا[9]. وقِيلَ: لَقِيَهُ فِي بَعْضِ جِبَالِ مَكَّةَ فقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، بَلَغَنِي عنْكَ شَيْءٌ فإِنْ صَرَعْتَنِي عَلِمْتُ أَنَّكَ صَادِقٌ، فصَرَعَهُ[10]. ومَرَّ أَنَّهُ مَاتَ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ وهُوَ قوْلُ الزُّبيرِ بنِ بَكَّار، وعِبَارَةُ بَعْضِهِمْ "مَاتَ عَامَ أَرْبَعِينَ"[11]. وقَالَ أبُو نُعَيْم: مَاتَ فِي خِلَافةِ عثْمَانَ، وقِيلَ: عَاشَ إِلَى سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبعِينَ[12].

---

(1) صحيح البخارِي، حدِيث (4317).

(2) صحيح مسلِم، حدِيث (79).

(3) المواهب اللدنية، القسطلاني، 366/2.

(4) البلاذُرِي: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، من أهل بغداد، سمع بدمشق، وبأنطاكية، وكان أحد النقلة من الفارسية إلى العربية، له من الكتب: كتاب البلدان الصغير، كتاب البلدان الكبير لم يتم، جمل من أنساب الأشراف. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 36/9، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 322/1.

(5) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 102/6، وجمل من أنساب الأشراف، البلاذرِي، 155/1.

(6) المواهب اللدنية، القسْطلاني، 365/2، وهي نفس الرِّواية عن ابن إسحاق، وقد سبقَ تخرِيجُها.

(7) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 102/6.

(8) جمل من أنساب الأشراف، 155/1.

(9) الإصابة، ابن حجر، 414/2.

(10) هذه رواية البلاذرِي، في جمل من أنساب الأشراف، 155/1، سبق الإشارةُ إلَيْها.

(11) "وعبارة بعضهم مات عامَ أربعين" زيادة من المؤلِّف ليسَت فِي ج.

(12) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 102/6.

وفي "المواهِبِ" عن الْحَاكِمِ فِي الحدِيثِ السَّابِقِ مَا نَصُّهُ: عَنْ أَبِي جَعْفَر مُحَمَّد بنِ ركانةَ[1]، وصَوابُهُ: عنْ أبي جعْفر بنِ مُحَمَّد بنِ رَكَانَةَ، ففِي "التَّقرِيبِ": أبُو جَعْفَر بنُ مُحَمَّد بن رَكَانَةَ مَجْهُولٌ[2]، ومُحَمَّدُ بنُ ركانَةَ مَجْهُولٌ، ووَهِمَ مَن ذَكَرَهُ في الصَّحَابَةِ[3].

وفِي "الْإِصابَةِ": مُحَمَّد بنُ رَكَانَةَ القُرشِيّ المطَّلِبِي لِأَبِيهِ صُحبَةٌ، وأَمَّا هُو فَأَرْسَلَ شَيْئًا فذَكَرهُ الْبَغَوِيّ فِي الصَّحابةِ، قالَ حَدَّثَنَا داود بن رشيد حَدّثَنا مُحَمَّد بنُ رَبِيعَةَ عنْ أَبِي جَعْفَر بنِ مُحَمَّد بنِ رَكانةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ صَارَعَ النَّبِيءَ ﷺ فصَرَعَهُ النَّبِيءُ ﷺ. قال: وسمِعتُ النَّبِيءَ ﷺ يقُولُ: ((**فَرْقُ مَا بَيْنَنَا وبَيْنَ أَهْلِ الكِتَابِ العَمَائِمُ عَلَى الْقَلَانِسِ**))[4].

قالَ ابْنُ منْدَةَ: ذَكَرَهُ الْبَغَوِيّ فِي الصَّحابةِ وهُو تَابِعِيّ[5]. قَالَ ابن فتْحُون[6]: حدِيثُ المصارَعَةِ مَشْهُورٌ عنْ رَكَانَةَ، وكذَا حَدِيثُ الْعَمَائِم، كَأَنَّ مُحَمَّدًا أَرْسَلَهُ أَوْ أَسْقَطَ مِنَ السَّنَدِ قَوْلَه عَنْ أَبِيهِ، والاحْتِمَالُ الثَّانِي أَقْرَبُ، وهُوَ مَوجُودٌ فِي رِوَايَةِ أبي داوُد عنَ قتُيبَةَ عَنْ محمّد بن ربيعة بِهَذا الْإِسْنادِ، لَكِنْ قالَ بَعْدَ المصَارَعَةِ: ((قَالَ رَكَانَة: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ))[7] فظَهَرَ أَنَّ محمَّدًا أَرْسَلَ حَدِيثَ المصَارَعَةِ وأَسْنَدَ حَدِيثَ الْعَمَائِمِ، فسَقطَ مِن رِوَايَةِ داود بن رشيد: ((قَالَ رَكَانَةُ: وسَمِعْتُ)) فظَاهِرُهُ أَنَّ قائِل "سَمِعْتُ" مُحَمَّد، فلَوْ كَانَ كذلِكَ لَكَانَ صَحَابِيًّا لَا رَيْبَ، وجَزَمَ ابْنُ حِبَّان أَنَّهُ تَابِعِيّ[8].

ورَوَى أبو داود والتّرمذِيّ مِن روايَةِ أبي الحسن العسقلاني عَنْ أبي جعفر بن محمّد بن ركانة عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَكانَةَ صَارَعَ النَّبِيءَ ﷺ الْحَدِيث[9]. قَالَ التّرمِذِي: غَرِيبٌ ولَيْسَ إسْنَادُهُ بِالْقَائِمِ[10][11].

---

(1) المواهب اللدنية، القسطلاني، 365/2.

(2) تقريب التهذِيب، ابن حجر، ص1126.

(3) (م، س)، ص844.

(4) الإصابة، ابن حَجَر، 506/10.

(5) لم أجِد هذا القولَ في معرفة الصحابة لابن منده.

(6) ابن فتحون: محمد بن خلف بن سليمان بن فتحون الأندلسي، ت:520هـ فقيه محدّثٌ حافِظ، روَى عن أبِيه وعن الحسين الصَّدَفِي، من آثاره: الاستِلْحاقُ على الاستِيعابِ لابن عبد البرّ، إصلاح أوهام المعجَمِ لابنِ قانِع. الصلة، ابن بشكوال، ص547، ومعجم المؤلِّفِين، رضا كحالة، 277/3.

(7) سنن أبي داود، حديث (4078).

(8) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 103/6.

(9) سنن أبي داود، حديث (4078).

(10) سنن الترمذي، حدِيث (1784).

(11) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 103/6.

وصارعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يزيد بن ركانة، قالَ أبُو عُمَر بنُ عَبْدِ البَرّ: لَهُ ولأَبِيهِ صُحْبَةٌ ورِوَايَةٌ، رَوَى عَنْهُ ابْنَاهُ عَلِيّ وعَبْدُ الرَّحْمَن وأَبُو جَعْفَر [199و] البَاقِر[1]. وأَخْرَجَ ابن قانع[2] مِن طَرِيقِ يزيد بن أبي صالح عنْ عليّ بن يزيد بن ركانة أنَّ أبَاهُ أَخْبَرَهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَا ركانَةَ بأعْلَى مَكَّةَ فَقَالَ: ((**يَا رُكَانَةَ أَسْلِمْ**)) فأَبَى فقَالَ ﷺ: ((**أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ هَذِهِ الشَّجَرَةَ**، لِشَجَرَةٍ قائمَةٍ، **فَأَجَابَتْنِي تُجِيبُنِي إِلَى الْإِسْلَام؟**)) قَالَ: نَعَمْ[3][4].

وعَن ابْنِ عَبَّاس: جَاءَ يزيد بن ركانة إِلَى النَّبِيءِ ﷺ ومعَهُ ثَلاثُ مِئَةٍ مِنَ الْغَنَمِ فقَالَ: هَلْ لَكَ يَا مُحَمَّد أَنْ تُصَارِعَنِي؟ قالَ: ومَا تَجْعَلُ لِي إِنْ صَرَعْتُكَ؟ قالَ: مِئَةً مِنَ الْغَنَمِ، فصَارَعَهُ فصَرَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: هلْ لَكَ في الْعَوْد؟ قالَ: وَما تَجْعَلُ لِي؟ قالَ: مِئَةً أُخْرَى فصَارَعَهُ فَصَرَعَهُ وذَكَرَ الثَّالِثَة فقَالَ: يَا مُحَمَّد ما وَضَعَ جَنْبِي فِي الْأَرْضِ أحَدٌ قَبْلَكَ ومَا كَانَ أَحَدٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنكَ، وأَنَا أَشْهَدُ أن لَا إِلَهَ إِلَّا الله وأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، فقَامَ عَنْهُ ورَدَّ عَلَيْهِ غَنَمَهُ[5].

فَيَكُونُ قَدْ صَارَعَ رُكَانَةَ وابْنَهُ، وذَكَرَ بَعْضٌ أَنَّهُ صَارَعَ أبا جهل فَصَرَعهُ رَسولُ اللهِ ﷺ. قَالَ بَعْضٌ: إِنَّهُ لَا يَصِحُّ أَنَّهُ صَارَعَهُ[6].

ومَا مَرَّ مِنْ أَنَّهُ ثَبَتَ مَعَهُ ﷺ إِذْ فَرُّوا يَوْمَ حُنَيْن أبو سفيان بن الحارث، هُوَ مَا فِي بَعْضِ الكُتُبِ، ولَمْ يَسْتَوْفِ ذِكْرَ مَنْ ثَبَتَ مَعَهُ، فَإِنَّهُ ثَبَتَ معَهُ أيْضًا ابْنُ مَسعود وعَلِيّ والْعَبَّاسُ.

ورَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ مُرْسَلًا والتّرمِذِي بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عن ابن عمر: ((**لَقَدْ رَأَيْتُمُونا يَوْمَ حُنَيْنٍ وإِنَّ النَّاسَ لَمُوَلُّونَ ومَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِئَةُ رَجُلٍ**))[7].

ولِأَحْمَد والحَاكِم عن ابْنِ مَسْعُود ﷺ: ((**وبَقِيَ مَعَهُ ثَمَانُونَ رَجُلًا مِنَ المهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ**))[8].

وفِي شِعْرِ الْعبَّاسِ ﷺ أَنَّ الذِين ثَبَتُوا عَشَرَةٌ فقَطْ[9].

قُلْنَا: ثَبَتُوا ولَمْ يَفِرُّوا أَلْبَتَّةَ، والْبَاقونَ أعْجَلُوا الرُّجُوعَ بَعْدَ الْفَرّ، أو بَقوا فِي مَوْضِعٍ قرِيبٍ بِلَا فَرٍّ فتَمَّ الْعَدَدُ.

---

(1) الاستيعاب، ابن عبد البر، 1574/4.

(2) عبد الباقِي بن قانِع بن مرزوق، البغدادِي محَدِّث حافِظ سمع الكثِير ورَوَى عنه الدارقطنِي ت:351هـ، من آثارِه: معجَم الصَّحابة، وكتاب السُّنن عن أهل البيْتِ. تذكرة الحفَّاظ، الذَّهبِي، 883/2، ومعجم المؤلِّفين، رضا كحالة، 44/2.

(3) معجم الصحابة، ابن قانِع، 223/3.

(4) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 103/6.

(5) (م، س)، 103/6.

(6) العبارة أضافها المؤلف على الهامِشِ، ليستْ في ج.

(7) سنن الترمذِي، حدِيث (1689)، لم أجده في مصنف ابن أبِي شيْبة.

(8) مسند أحمد، حدِيث (4336).

(9) المواهب اللدنية، القسطلاني، 1/ 603.

وفِي رِوَايَةِ أَحْمَد والنَّسَائِي وغَيْرِهِمَا عنْ عَلِيّ: ((**كُنَّا إِذَا حَمِيَ الْبَأْسُ**، وفِي رِوَايَةٍ: **إِذَا اشْتَدَّ الْبَأْسُ، واحْمَرَّتْ الْحدقُ اتَّقَيْنَا بِرَسُول اللهِ ﷺ فمَا يكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوّ مِنْهُ**))[1] ولَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ بَدْرٍ ونَحْنُ نلُوذُ بِالنَّبِيءِ ﷺ وهُو أَقْرَبُنا إِلَى الْعَدُوّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَأْسًا))[2] قالَ الشَّافِعِيَّةُ: مَن زَعَمَ أَنَّهُ ﷺ هُزِمَ يُسْتَتَابُ، فإِنْ لَمْ يَتُبْ قُتِلَ، ووَافَقَهُم ابنُ المرابِطِ[3] مِنْ المالِكِيَّةِ، وقَالَ مَالِك: يُقْتَلُ بِلَا اسْتِتَابَةٍ، إِلَّا إِنْ تَابَ[4].

ومِنْ قُوَّتِهِ ﷺ كان يَدُورُ علَى نِسَائِهِ، وفِي رِوَايَةٍ يَطُوفُ عَلَى نسَائِهِ فِي السَّاعَةِ الوَاحِدَةِ، وهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ، وفِي رِوَايَةٍ: يُجَامِعُهُنَّ في غُسْلٍ وَاحِدٍ، أَخْرَجَه التِّرْمِذِي وقالَ حسَن صَحِيح[5]. ورَوَى أبو داود والنّسائِي عنْ أبي رافع: ((أَنَّهُ ﷺ طافَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى نسائِهِ يَغْتَسِلُ عِنْدَ هَذِهِ وعِنْدَ هَذِهِ، فقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا تَجْعَلُهُ غُسْلا واحِدًا؟ فقَالَ: **هَذَا أَزْكَى وأَطْيَبُ وأَطْهَرُ**))[6]. وأجْمَعُوا أَنَّهُ لَا يَجِبُ الغُسْلُ بيْنَهُمَا، وفِي اسْتِحْبَابِ الْوُضُوءِ وعدَمِهِ ووُجُوبِهِ أَقْوالٌ، والجُمْهُورُ علَى الاسْتِحْبَابِ لِقَوْلِهِ ﷺ: [199ظ] ((**إِذَا أَتَى أَحَدُكُم أَهْلَهُ ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَعُودَ فَلْيَتَوَضَّأْ بَيْنَهُما وُضُوء**)) رواه مُسْلِم[7] زادَ ابنُ خزيْمَة: ((**فإِنَّهُ أَنْشَطُ لِلْعَوْدِ**)) فِفِيهِ أَنَّ الْأَمْرَ نَدْبٌ بَلْ إِرْشَادٌ لِلَذَّةٍ مُبَاحَةٍ، ويَدُلُّ لهُ قَوْلُ عائِشَةَ رضي الله عنها: ((**كَانَ ﷺ يُجامِعُ ثُمَّ يَعُودُ ولَا يَتَوَضَّأُ**))[8] رواهُ الطَّحَاوِي. والمرَادُ بِالْوُضُوءِ اللُّغَوِيّ، وهوَ هُنَا غَسْلُ الْفَرْجِ؛ لِأَنَّ فِي رِوَايَة: ((**فَلْيَغْسِلْ فَرْجَهُ**)) أو الْحَقِيقِي لِرِوايَة ابْنِ خُزَيْمَةَ: ((**فَلْيَتَوَضَّأْ وضُوءَهُ لِلصَّلاةِ**))[9] والمرَادُ بِالسَّاعةِ قَدْرٌ منِ الزَّمانِ مُتَّصِلٌ يتَوَصَّلُ فِيهِ إِلَى جِمَاعِهِنَّ كُلِّهِنّ[10] لا سَاعَةَ أَهْلِ الهَيْئَة؛ لأَنَّ الْعَرَبَ لَا تَعْرِفُ حِسَابَ الْفَلَكِ، وقَدْ قِيلَ: المرادُ بِهَا ما تَعَارَفَهُ النَّاسُ مِن المدَّة القَلِيلةِ. ومعْنَى الواوِ فِي قَوْلِهِ "مِنَ اللَّيلِ والنَّهار" أَوْ، وَيَجُوزُ علَى بُعْدٍ أَنْ يَكُونَ علَى ظاهِرِهِ بِأَنْ تَكُونَ السَّاعَةُ جُزْءًا مِنْ آخِرِ أَحَدِهِمَا، وجُزْءًا مِنْ أَوَّلِ أَحَدِهِما[11].

---

(1) السنن الكبرَى، النسائي، حدِيث (8585).

(2) مسند أحمد، حدِيث (654).

(3) محمد القاضي أبو عبد الله بن خلف بن سعيد المعروف بابن المرابط المري، فقيه بلده ومفتيه، وُلِّيَ قضاء ألمرية، سَمِعَ أبا القاسم المهلَّب، لَهُ في شرح البخاري كتاب كبير، توفي بالمدينة سنة 485. الديباج، ابن فرحون، 240/2، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 277/3.

(4) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 106/6.

(5) سنن الترمذِي، حدِيث (140).

(6) سنن أبِي داود، حدِيث (219).

(7) الحدِيث الأخِير في صحيح مسلم (27).

(8) شرح مشكل الآثار، الطحاوِي، حدِيث (774).

(9) صحيح ابن خزيمة، حدِيث (21).

(10) في الأصلِ: كلّهم.

(11) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 475/5.

أوْ بِأَنْ يُرادَ إنَّهُ يَفْعَلُ ذلِكَ فِي سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ تَارَةً، وفِي سَاعَةٍ منَ النَّهارِ أُخْرَى، وإنَّمَا لهُ تِسْعُ نِسْوَةٍ، فإحْدَى عشْرَةَ بِسَرِيَّتِهِ مَارِيَة وسَرِيَّتِهِ رَيْحانَة، بِنَاءً علَى أنَّها أَمَةٌ لا زَوْجٌ لَهُ، وأطْلقَ علَيْهِمَا أنَّهما مِن نسائِهِ؛ لأنَّهُما مِن النِّساءِ التِي تَحْتَ حُكْمِهِ أَوْ تَغْلِيبًا، ولَا بُدَّ أَنْ يكُونَ ذَلِكَ قَبْلَ أنْ تَهَبَ سوْدة يَوْمَهَا لِعَائِشَة.

و"إِحْدَى عَشْرَةَ" فِي الْحَدِيثِ رِوَايةُ هِشام عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَس[1]، وَرَوَى البُخَارِي مِنْ طَرِيقِ سَعِيد بنِ أَبِي عروبة عن قتادةَ عن أنَس في الحدِيثِ تسع نسوة[2] فنقول: يدورُ عليْهِنَّ جمِيعًا في ساعةٍ، وهنَّ تسعٌ، ويدورُ عَلَيْهِنَّ في سَاعَةٍ وهُنَّ أيْضًا حِينَ كُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ بالسَّرِيَّتَيْنِ، فلَا مُنافَاةَ بَيْنَ الْعَدَدَيْنِ فِي الرِّوايَتَيْنِ.

وكذَا جَمَعَ ابْنُ حبَّانَ[3]، إلَّا أنَّهُ وَهِمَ فِي قَوْلِهِ كانَت الأُولَى أَوَّلَ قُدومِهِ المدِينةَ، حِينَ كَانَتْ عِنْدَهُ تِسْعُ نِسوَةٍ، والحَالَةُ الثَّانِيَة فِي آخِرِ الْأَمْرِ، حِين اجْتَمَعَ عِنْدَهُ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً، ومَوْضِعُ الوَهْمِ أَنَّهُ لمَّا قَدِمَ المدِينَةَ لمْ يَكُنْ عِنْدَهُ سِوَى سَوْدَة، ثمَّ دَخَلَ علَى عائِشَةَ، ثمَّ تزوَّجَ أمَّ سلَمَةَ وحَفْصَةَ وزيْنب بنت خزيْمة في الثَّالِثَةِ والرَّابِعَة، ثُمَّ زينب بنت جحش في الخَامِسَةِ، ثُمَّ جُوَيْرِيَّة فِي السَّادِسَة، ثُمَّ صفِيّة وأمّ حبيبة وميمونة في السَّابِعة، واخْتلَفوا فِي ريْحانة أَزَوْجٌ أَمْ سَرِيَّةٌ، ومَاتَتْ قَبْلَهُ سَنَةَ عَشْرٍ، وزَيْنَبُ بنتُ خُزيْمَةَ مكَثَتْ عنْدَهُ شَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً ومَاتَتْ، قَالهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرّ[4][5].

واسْتَدَلَّ مَالِك بِرِوَايَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ عَلَى أَنَّ الظِّهارَ يَلْحَقُ الْإِمَاءَ؛ إذْ جُعِلْنَ مِنَ النِّسَاءِ واعْتُرِضَ بأَنَّ هَذَا تَغلِيبٌ، والْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ وَطْءِ الْحُرَّةِ بَعْدَ الْأَمَةِ قَبْلَ الغُسْلِ مِنْهَا، وقَالَ مالِك بِتَأْكِيدِ الْغُسْلِ مِنها قَبْل الْحُرَّة، ولَا يناقِضُهُ الْحَدِيثُ؛ لِإِمْكَانِ أَنْ يكُونَ بَيانًا لِلْجَوَازِ[6].

[200و] وفِي الْحَدِيثِ اسْتِحْبَابُ الاسْتِكْثَارِ مِنَ النَّساءِ، وفِي الْحَدِيثِ عَدَمُ وجُوبِ العَدالَةِ عَلَيْهِ ﷺ، وهوَ قَوْلُ طَوائِف مِنَ الْعُلَمَاءِ، وقَالَ الأَكْثَرُ بِوُجوبِهِ فاحْتَاجُوا لِلْجَوابِ بِأَنَّه كانَ بِرِضَا صَاحِبَةِ النَّوْبَةِ، كمَا اسْتَأْذَنَهُنّ أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ، وبِاحْتِمَالِ أَنَّ ذَلِكَ يكُونُ عِنْدَ اسْتِيفَاءِ القِسْمَةِ ثُمَّ يَسْتَأْنِفُهَا، قِيلَ: أَوْ عِنْدَ إِقْبَالِهِ مِنْ سَفَرٍ أَوْ قَبْلَ وُجُوبِ الْقسمِ علَيْهِ، وأَغْرب ابن الْعَرَبِي فَقَالَ: خَصَّ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ بأَشْيَاءَ مِنْهَا أَنَّه أَعْطَاهُ سَاعَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ لا يَكُونُ لِأَزْوَاجِهِ فيهَا حَقٌّ حتَّى يَدْخُلَ عَلَى

(1) صحيح البخارِي، حدِيث (268).

(2) (م، س)، حدِيث (5068).

(3) صحيح ابن حبان، حدِيث (1209).

(4) الاستيعاب، ابن عبد البر، 1853/4.

(5) فتح البارِي، ابن حجر، 378/1، وشرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 475/5.

(6) فتح البارِي، ابن حجر، 379/1، وشرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 476/5.

جَمِيعِهِنَّ فَيَفْعَلُ ما يُرِيدُ، ثُمَّ يسْتَقِرُّ عِنْدَ مَنْ لَهَا النَّوبَةُ، وهِيَ ساعَةٌ بَعْدَ الْعَصْرِ فإِن اشْتَغَلَ عَنْهَا كَانَتْ بعْدَ المغْرِبِ، ويَحْتاجُ لِدَلِيلٍ[1].

قَالَ قتَادَةُ: أَوَ كَانَ يُطِيقُ ذَلِكَ؟ فقَالَ أَنَس: كُنَّا نتَحَدَّثُ أَنَّهُ ﷺ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلَاثِينَ[2]؛ أَيْ: رَجُلًا. وقَالَ معاذ بن هشام عَنْ أَبِيهِ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَس: قُوَّةَ أَرْبَعِينَ[3][4].

ورُوِيَ أَنَّهُ ﷺ طافَ عَلَى نِسَائِهِ التِّسْعِ لَيْلَةً، روَاهُ ابْنُ سَعد[5]، وعَنْهُ ﷺ: ((**أَتَانِي جبرِيل**[6] **بِقِدْرٍ فَأَكَلْتُ منْهَا، فَأُعْطِيتُ قُوَّةَ أَرْبَعِينَ فِي الْجِمَاعِ**))[7] قِيلَ: أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ روَاهُ ابْنُ سَعْدٍ، والقِدْرُ مِنْ هَرِيسَة فِيمَا قِيلَ[8].

ومِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: ((شَكَا رَسولُ اللهِ ﷺ إِلَى جِبْرِيلَ قِلَّةَ الْجِمَاعِ، فتَبَسَّمَ جبْرِيلُ حَتَّى تَلَأْلَأَ مجْلِسُ رَسُولِ اللهِ ﷺ منْ بَرِيقِ ثَنَايَا جِبْرِيلَ، فقَالَ: أينَ أَنْتَ مِنْ أَكْلِ الْهَرِيسَةِ فَإِنَّ فِيهِ، أَيْ: أَكْلِهَا، قُوَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا))[9].

فَفِي الْحَدِيثِ اسْتِحْبَابُ اسْتِعْمَالِ أَذْوِيَةِ كَثْرَةِ الْجِمَاعِ، ويَرُدُّهُ أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ تَلَذُّذًا، بَلْ لِكَثْرَةِ نِسَائِهِ، وحِرْمَتِهِنَّ عَلَى غَيْرِهِ إِنْ طَلَّقَ أَوْ مَاتَ ومَعَ ذَلِكَ لَا يَشْتَغِلُ قَلْبُهُ عَن اللهِ تَعَالَى[10].

وَفِي حدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ[11]: ((**أَطْعَمَنِي جِبْرِيلُ الْهَرِيسَةَ، أَشُدُّ بِهَا ظَهْرِي**))[12] زادَ الطَّبَرَانِي: لِقِيَامِ اللَّيْلِ[13]، وأَتَقَوَّى بِهِ أَوْ أَتَقَوَّى علَى الصَّلَاةِ، روَاهُ الدَّارَقُطْنِي والطَّبَرَانِي، وفِي سَنَدِهِمَا محمّد بن الحجّاج وَاضِعُ حَدِيثِ الْهَرِيسَةِ، هذَا وَتِلْكَ أَحَادِيث عنْ جَابر بنِ سمْرَةَ وابنِ عَبَّاس وغَيْرِهِمَا، وهِيَ

---

(1) فتح البارِي، ابن حجر، 379/1، وشرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 476/5.

(2) صحيح البخارِي، حدِيث (268).

(3) رواية معاذ نقلها من مستخرج الاسماعِيلِي، ولم أقف عليهِ.

(4) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 476/5.

(5) الطبقات الكبِير، ابن سعد، 192/8.

(6) في الأصل: رسول الله ﷺ، والتصحيح من الطبقات الكبِير.

(7) (م، س)، 321/1، وفيه: أتاني جبرِيل.

(8) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 478/5.

(9) اللآلِئ المصنوعة، السيوطِي، 236/2.

(10) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 479/5.

(11) في شرح المواهب: حديث حذيفة.

(12) الموضوعات، ابن الجوزِي، 17/3، و اللآلِئ المصنوعة، السيوطِي، 235/2، كلاهما عن حذيفة.

(13) المعجم الأوسَط، الطبرانِي، حدِيث (6596) عن حُذَيفة.

أحَادِيث وَاهِيَةٌ، وقَالَ ابْنُ الْجَوْزِي: مَوْضُوعَةٌ[1]، ورُوِيَ: ((أَنَّهُ ﷺ أُعْطِيَ قُوَّةَ بِضْعٍ وأَرْبَعِين رَجُلًا منْ أَهْلِ الْجَنَّة))[2] فتَزِيدُ قُوَّتُهُ علَى أَرْبَعَةِ آلافِ رَجُلٍ، ولَمْ يُبَيِّنْ قَدْرَ الزَّائِدِ؛ لأَنَّ الْبِضْعَ مِنْ ثَلَاثَةٍ لِعَشَرَة[3]. وفِيهِ [200ظ] تَقْوِيَةُ مذهَب بَعْضِ مَشَايِخِ اللَّفْظِ فِي جَوَازِ استِعْمَالِ الْبِضْعِ فِيمَا زَادَ علَى الْعِشْرِينَ، رَواهُ الحارث بن أبي أسامة. ومَعَ قُوَّتِهِ فِي الجِمَاعِ لَا يَحْتَلِمُ حَفِظَهُ اللهُ، قالَ ابْنُ عَبَّاس: ((**ما احْتَلَمَ نَبِيءٌ قَطُّ، وَإِنَّمَا الاحْتِلَامُ مِنَ الشَّيْطَانِ**))[4]. رواهُ الطَّبَرَانِي مَوْقُوفًا وحُكْمُهُ الرَّفْعُ إِلَيْهِ ﷺ[5].ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

الْفَصْلُ الثَّانِي:

خَرَّجَ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، طلحة بن نافع، عنْ جَابِر بنِ عَبْدِ اللهِ[6]: ((جَاءَ جبْرِيلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ذاتَ يَوْمٍ وهُوَ جَالِسٌ حزِينٌ؛ أَيْ: لِدِينِ اللهِ إذ كَذَّبُوهُ، إِذْ لَا يَغْضَبُ ولَا يَحْزَنُ لِنَفْسِهِ، قَدْ خضبَ بِالدِّمَاءِ، ضَرَبَهُ بَعْضُ أَهْلِ مَكَّة؛ أَيْ: حِينَ اجْتَمَعُوا علَيْهِ وأَخَذُوهُ وقَالُوا: أَنْتَ جعَلْتَ الآلِهَةَ إِلَهًا واحِدًا، وأَبُو بَكْر يَدْفَعُ عَنه كُلَّ مَنْ جَاءَهُ ويَقُولُ: أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّي اللهُ فقَالَ أَيْ: جِبْرِيل مَالَكَ؟ أَيْ: مَالَكَ حَزِينٌ؟ فقالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: **فَعَلَ بِي هَؤُلَاءِ وَفَعَلُوا**))[7].

ورَوَى البَزَّارُ: ((**أَخَذَتْهُ قُرَيْشٌ فَهَذَا يَجُرُّهُ وهَذَا يَتَلَبَّبُهُ**))[8] وفِي حَدِيثِ عمرو بن العاصي: ((مَا رَأَيْتُ قُرَيْشًا أَرَادُوا قَتْلَ النَّبِيءِ ﷺ إِلَّا يَوْمَ أَغَرُّوا بِهِ وَهُمْ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، وهُوَ يُصَلِّي عنْدَ المقَامِ، ولَمَّا قَالَ: **فَعَلَ بِي هَؤُلَاءِ وفَعَلُوا**، قَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: أَتُحِبُّ أَنْ أُرِيكَ آيةً، أَيْ لِيَزُولَ حُزْنُكَ، فإِنَّ الْجَمَادَ إِذَا أَطَاعَهُ فَالنَّاسُ أَوْلَى لَكِنْ بَعْدَ مُدَّةٍ، فَقَالَ: نَعَمْ، فَنَظَرَ إِلَى شجَرَةٍ مِنْ وَرَاءِ الْوَادِي، فقَالَ: ادْعُ تِلْكَ الشَّجَرَة فدَعَاهَا فجَاءَتْ تَمْشِي حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فقَالَ: مُرْهَا فَلْتَرْجِعْ إِلَى مَكَانِهَا، فأَمَرَهَا فَرَجَعَتْ إِلَى مَكَانِهَا، فَقَالَ ﷺ: **حَسْبِي حَسْبِي**))[9] أَيْ: حَسْبِي ذَلِكَ دَلِيلًا، فَلَا أَحْزَنُ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ عِنَادًا[10].

---

(1) الموضوعات، ابن الجوزِي، 16/3.

(2) مسند الحارِث، حدِيث (944).

(3) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 479/5-480.

(4) المعجم الكبِير، الطبرانِي، حدِيث (11564).

(5) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 480/5.

(6) في مسند أحمد: عن أبِي سفيان عن أنس بن مَالك. والسند الذي نقله المؤلف أخذه من المواهِبِ.

(7) مسند أحمد، حدِيث (12112).

(8) مسند البزار، حدِيث (761) وفيه: ((فهذا يجؤُهُ، وهذا يتلتله)).

(9) مسند أحمَد، حدِيث (12112) عن أنَس بن مالِك.

(10) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 514/6-515.

وفِي حَدِيثِ عُمر عِنْدَ الْبَيْهَقِيّ فقَالَ: ((**لَا أُبَالِي مَنْ كَذَّبَنِي بَعْدَ هَذَا مِنْ قَوْمِي**))[1] أَيْ: لِعِلْمِهِمْ بِصِدْقِي، ولَعَلَّهُم أيْضًا رَأَوْهُ، ورَوَى الْحَدِيثَ الدّارمي[2] أَيْضًا عَنْ أَنَس والْبَيْهَقِيّ عَنْ عُمَر[3].

وعَنْ عَلِيّ: ((**كُنْتُ معَ النَّبِيءِ ﷺ بِمَكَّةَ فخَرَجْنَا فِي بعْضِ نَوَاحِيهَا، فمَا اسْتَقْبَلَهُ حَجَرٌ ولَا شَجَرٌ إِلَّا فهُوَ يَقُولُ: السَّلَامُ علَيْكَ يَا رَسولَ اللهِ**)) رَوَاهُ التِّرْمِذِي، وقَالَ حَسَنٌ غَرِيبٌ[4]، وأَرَادَ بغَرَابَتِهِ أَنَّهُ تَفَرَّدَ رَاوِيهِ، فلَا يُنَافِي حُسْنَهُ، ورَوَاهُ الدَّارِمِيّ[5]، والْحَاكِمُ وصَحَّحَهُ[6][7].

وخَرَّجَ الْحَاكمُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ عن ابن عمر: ((كُنَّا مَعَ النَّبِيءِ ﷺ فِي سَفَرٍ فأَقْبَلَ أَعْرَابِيّ فلَمَّا دَنَا مِنْهُ قالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **أَيْنَ تُرِيدُ؟** قالَ: إِلَى أَهْلِي، قَالَ: **هَلْ لَكَ إِلَى خَيْرٍ؟** أَيْ: نَفْعٍ أَوْ فَضْلٍ مِمَّا أَنْتَ فِيهِ، قَالَ: ومَا هُوَ؟ قَالَ: **تَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ** [201و] **لَا شَرِيكَ لَهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**، قَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ شَاهِدٍ عَلَى مَا تَقُولُ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **هَذِهِ الشَّجَرَة**، ويُرْوَى: هَذِهِ السَّمُرَة؛ أَيْ: شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ ذَاتُ شَوْكٍ مِنَ الطَّلْحِ، فدَعَاهَا رسُولُ اللهِ ﷺ وهِيَ عَلَى شَاطِئِ الْوَادِي، فأَقْبَلَتْ تَخدُّ الْأَرْضَ خَدًّا، فقَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فاسْتَشْهَدَهَا ثَلاثًا، أَيْ: بِأَنَّهُ رسُولُ اللهِ ﷺ، فشَهِدَتْ، أَيْ: بأَنَّه رَسُولُ اللهِ ثَلَاثًا ﷺ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَنْبَتِهَا، ورَجَعَ الْأَعْرَابِيُّ إِلَى قَوْمِهِ، وقَالَ: يا رَسُولَ اللهِ إِنْ يَتَّبِعُونِي آتِكَ بِهِمْ وإِلَّا رَجَعْتُ إِلَيْكَ وكُنْتُ مَعَكَ))[8] ورَوَاه الدَّارِمِي[9] والبَزَّارُ[10] والبَيْهَقِي والبَغَوِي وعِيَاض بِنَحْو ذَلِكَ، وتَخدُّ الأَرْضَ: تَشُقُّهَا لتَسْعَى بِعُرُوقِ الْأَرْضِ فِي جَوْفِ الْأَرْضِ[11].

وعنْ بريدة: ((سَأَلَ أَعْرَابِيّ بَعْد أَنْ أَسْلمَ، كمَا فِي رِوَايَة البَزَّار وأبي نُعيْم، النَّبِيءَ ﷺ آيَةً، فقَالَ: **قُلْ لتِلْكَ الشَّجَرَةِ**، أَيْ: مُشِيرا لِسمرة، يحْتَملُ أَنَهَّا المذكُورَةُ فِي الْحَدِيثِ قبْلَهُ، وأَنَّ الأَعْرَابِيَّ واحَدٌ، **رسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُوكِ**، قالَ بريدة: فمَالَت الشَّجَرَةُ منْ يَمِينِهَا وشِمَالِهَا، وبَيْنَ يَديْهَا وخلْفهَا، فتَقَطَّعَتْ عرُوقُهَا ثُمَّ جاءَتْ تَخدُّ الْأَرْضَ تَجُرُّ عروقَها مُغيرةً حَتَّى وقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رسُولِ اللهِ ﷺ، فقَالَتْ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قالَ الْأَعرَابِيّ: مُرْهَا فلْتَرْجِعْ إِلَى مَنْبَتِهَا، فرَجعَتْ فدَلَّتْ عرُوقَهَا فِي ذَلِكَ

---

(1) دلائل النبوة، البيهقي، 13/6.

(2) سنن الدارمي، حدِيث (25).

(3) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 515/6.

(4) سنن الترمذِي، حدِيث (3626)، وفيه: هذا حدِيث غرِيب.

(5) سنن الدارمِي، حدِيث (23).

(6) المستدرك، الحاكِم، حدِيث (4238) بروايَة مختلفة.

(7) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 515/6.

(8) لم أجده في المستدرك للحاكِم.

(9) سنن الدارمِي، حدِيث (16).

(10) كشف الأستار، الهيثمِي، حدِيث (2411).

(11) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 515/6-517.

المَوْضِعِ، واسْتَقَرَّتْ فقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: ايذَنْ لِي أَنْ أَسْجُدَ لَكَ؟ قالَ: **لَوْ أَمَرْتُ أَحَدًا أنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ المرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا**)) رواهُ البَزَّار وأبو نُعَيْم[1]. وذَكَرَهُ فِي "الشِّفاء" بِزِيَادةِ: ((**وقَالَ: ايذَنْ لي أُقَبِّلْ يَدَيْكَ ورِجْلَيْكَ فأَذِنَ**[2]))[3].

وتَقَطُّعُ العُرُوقِ عَلَى ظَاهِرِهِ، ويَحْتَمِلُ أَنَّ المرَادَ التَّخَلُّصُ مِنْ مَوَاضِعِهَا بلَا قَطْعٍ، والسُّجود في شَرَائِعِ مَنْ قَبْلَنَا لِغَيْرِ اللهِ قِيلَ: جَائِزٌ علَى مَعْنَى التَّعْظِيمِ لَا علَى قَصْدِ الْعِبَادَةِ.

قالَ ابْنُ عَبَّاس: ((جَاءَ أَعْرَابِيّ؛ أَيْ: مِنْ بَنِي عَامِر كَمَا صَرَّحَتْ بِهِ روَايَةُ الْبَيْهَقِيّ، إِلَى النَّبِيءِ ﷺ فقالَ: بِمَ أَعْرِفُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ؟ قال: **إِنْ دَعَوْتُ هَذَا العِدقَ مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ**، لِنَخْلَةٍ عنْدَهُ، **فأَجَابَنِي أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟** قالَ: نَعَمْ، فَدَعَاهُ رسولُ اللهِ ﷺ، فجَعَلَ يَنْزِلُ مِنَ النَّخْلَةِ شيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى سَقَط؛ أَيْ: تَحْتَ النَّخلَةِ، فأَقْبَلَ إِلَى النَّبِيءِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: ارْجِعْ فرَجَعَ، فأَسْلَمَ الْأَعْرَابِيّ، فقَالَ: واللهِ لَا أُكَذِّبُكَ بِشَيْءٍ [201ظ] تَقُولُهُ بعْدَهَا أَبَدًا، أَشْهَدُ أَنَّكَ رسُولُ اللهِ)) رواهُ التِّرمِذِي[4] وصَحَّحَه، والبُخَارِي فِي "التَّارِيخِ"[5] وأَبُو يَعْلَى[6] وابْنُ حِبَّانَ والبَيْهَقِي[7][8].

وفِي حَدِيثِ يعْلى الثّقفي: ((كنْتُ معَ النَّبِيءِ ﷺ في مَسِيرٍ فذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أنْ قَالَ: ثُمَّ سِرْنَا حَتَّى نَزَلْنَا مَنْزِلًا، فنَامَ النَّبِيءُ ﷺ، فجَاءَتْ شَجَرَةٌ، وفِي رِوايَةٍ: أوْ سَمرة، تَشُقُّ الأَرْضَ حَتَّى غَشِيَتْهُ، وفِي رِوَايَةٍ: حَتَّى طَافَتْ بِهِ[9]، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مكَانِهَا، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ، فقَالَ: **هِيَ شَجَرَةٌ اسْتَأْذَنَتْ رَبَّها في أَنْ تُسَلِّمَ عَلَيَّ، فَأَذِنَ لَهَا**. الْحَدِيثَ. رَوَاهُ الْبَغَوِي[10]، عَلِمَ بِالْوَحْيِ مِنَ اللهِ أَنَّها جَاءَتْ لِتُسَلِّمَ، وقِيلَ فِي يَعْلَى أَنَّهُ العَامِرِي، ولَا مَانِعَ مِنْ أَنَّه عَامِرِي ثَقَفِيّ[11].

وفِي حَدِيثِ جَابِر بنِ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيّ: ((سِرْنا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيًا أَفْيَح، فذَهَبَ رسُولُ اللهِ ﷺ يقْضِي حاجَتَهُ، فاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ، أَيْ: مَطْهَرَةٍ، وهُوَ بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ، منْ مَاءٍ، فنَظَرَ رسُولُ اللهِ ﷺ فلَمْ يَرَ شيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ، فإِذَا شَجَرَتَان فِي شَاطِئِ الْوَادِي، فانْطَلَقَ رسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى

---

(1)لم أجد روايتي البزار وأبي نعيم.

(2) الشفا، القاضِي عياض، ص303.

(3) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 6/517-519.

(4) سنن الترمذي، حدِيث (3628).

(5) التاريخ الكبِير، البخارِي، 3/3.

(6) مسنَد أبِي يعلَى، حدِيث (2350).

(7) دلائل النبوة، البيْهَقِي 6/15.

(8) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 6/519.

(9) لم أجد الرواية الثانِيَة.

(10) مصابيح السنة، البغوِي، حدِيث (4638).

(11) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 6/519-520.

إِحْدَاهمَا فأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، فقَالَ: **انْقَادِي علَيَّ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى،** فانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ المخْشُوشِ الذِي يصَانِعُ قَائِدَهُ، ثُمَّ فعَلَ بالأُخْرَى كذَلِكَ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالمنْصَفِ بَيْنَهُمَا قَالَ: **الْتَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ،** فالْتَأَمَتَا))[1] روَاهُ مُسْلم. والمخْشوشُ: الموْضُوعُ في أَنْفِهِ خِشَاشٌ بِكَسْرِ الْخَاءِ لِيَنْقَادَ بسُهُولَةٍ، وإِنْ كانَ مفْتُولًا مِنْ وَبَرٍ أوْ غَيْرِهِ فخزَامٌ أَوْ مِنْ نُحَاسٍ أَوْ فِضَّةٍ أوْ نَحْوِهَا فبرَّةٌ. ويُصَانِعُ: يُلَايِنُ، والمنْصَفُ: بفَتْحِ الميمِ والصَّادِ: الموْضِعُ الْوَسَطُ بَيْنَ الموْضِعَيْنِ. والْتَئِمَا: اجْتَمِعَا[2].

وفي رِوَايَةٍ أخْرَى لِمُسْلِم فقَالَ ﷺ: ((**الْحَقِي بِصَاحِبَتِكِ حَتَّى أَجْلِسَ خَلْفَكُمَا،** فَزَحَفَتْ حَتَّى لَحِقَتْ بِصَاحِبَتِهَا فَجَلَسَ خَلْفَهُمَا، فرَجَعْتُ أحضر لِعَلَّا يُحسَّ بِي، وجَلَسْتُ أُحَدِّثُ نفْسِي، فَالْتَفَتُّ فإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قائِمٌ، والشَّجَرَتَان قد افْتَرَقَتَا فَقَامَتْ كلُّ واحِدَةٍ منْهُمَا عَلَى سَاقٍ، فَوَقَفَ ﷺ وقْفَةً فَقَالَ بِرَأْسِهِ هَكَذَا يَمِينًا وشِمَالًا))[3].

قالَ عِيَاض فِي "الشِّفَاء": هذَا ابْنُ عُمر وبريدة وجابِر وابنُ مَسْعُود ويعْلى بن مرّة وأُسَامَة وأَنَس وعَلِيّ وابْنُ عَبَّاس وغَيْرُهُمْ قَد اتَّفَقُوا علَى هَذِهِ القِصَّةِ نفْسِهَا أَوْ مَعْنَاهَا، وروَاهَا عَنْهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ أَضْعَافُهُم فَصَارَتْ فِي انْتِشَارِهَا مِن القُوَّةِ حَيْثُ هِيَ[4].

وتَمَامُ الْحَدِيثِ بَعْدَ قَوْلِهِ: ((هَكَذَا يَمِينًا وشِمَالًا)) مَا لَفْظُهُ: ((ثُمَّ أَقْبَلَ فلَمَّا انْتَهَى إِلَيَّ قالَ: **يَا جَابِرُ هَلْ رَأَيْتَ مقَامِي؟** قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: **فَانْطَلِقْ إِلَى الشَّجَرَتَيْنِ** [202و] **فاقْطَعْ مِنْ كُلِّ واحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا، فأَقْبِلْ بِهِ[مَا]، حَتَّى إِذَا قُمْتَ مَقَامِي فَأَرْسِلْ غُصْنًا عَنْ يَمِينِكَ وغُصْنًا عَنْ يَسَارِكَ،** قالَ جَابِر: فقُمْتُ فأَخَذْتُ حَجَرًا فكَسَرْتُهُ، فانْدَلَقَ لِي فأَتَيْتُ الشَّجَرَتَيْنِ، فقَطَعْتُ مِنْ كُلِّ واحِدَةٍ منْهُمَا غُصْنًا، ثُمَّ أَقْبَلْتُ أَجُرُّهُمَا حَتَّى قُمْتُ مَقَامَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَرْسَلْتُ غُصْنًا عنْ يَمِينِي وغُصْنًا عنْ يَسَارِي، ثُمَّ لَحِقْتُ فقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ يا رَسُولَ اللهِ فَعَمَّ ذلِكَ يا رَسُولَ اللهِ؟ فقَالَ: **إِنِّي مَرَرْتُ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبانِ، فَأَحْبَبْتُ بشَفَاعَتِي أَنْ يُرْفَعَ**[5] **ذَلِكَ عنْهُمَا، مَا دَامَ الْغُصْنَانِ رَطْبَيْنِ**))[6] الْحَدِيث.

قالَ عِياضُ وابْنُ القَطَّانِ: ((عَنْ أُسامَةَ بنِ زَيْدٍ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ في بَعْضِ مَغَازِيهِ: **هلْ بَقِيَ**[7] **مَعَكَ مَكَانٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ يقْضِي فِيهِ الْحَاجَةَ؟** فقُلْتُ: إِنَّ الْوَادِي ما فِيهِ مَوْضِعٌ[8] بالنَّاسِ، فقَالَ: **هَلْ**

---

(1) صحيح مسلم، حدِيث (3012).

(2) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 6/520-521.

(3) (م، س)، 6/521. لم أجده في صحيح مسلم.

(4) شرح الزُّرْقَانِيّ على المواهب اللدنية، 6/521، والشفا، القاضِي عياض، ص305.

(5) فِي صحِيح مُسلِم: يرفَّه.

(6) صحيح مسلِم، حدِيث (3012).

(7) في الشِّفا: تعنِي.

(8) في الشفا: مواضِع.

تَرَى مِنْ نَخْلٍ أَوْ حِجَارَةٍ؟ فقُلْتُ: أَرَى نَخلَاتٍ متَقَارِبَةً فقَالَ: **انْطَلِقْ وَقُلْ لَهُنَّ: إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يأْمُرُكُنَّ أَنْ تَأْتِينَ لِمَخْرَجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ**، وقُلْ لِلْحِجَارَةِ مِثْل ذَلِكَ، فقُلْتُ ذَلِكَ لَهُنَّ، فوَالذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ نَبِيًّا، لقَدْرَأَيْتُ النَّخْلَاتِ يتَقَارَبْنَ حَتَّى اجْتَمَعْنَ، والْحِجَارَةيتَعَاقَدْنَ حَتَّى صِرْنَ رُكَامًا خَلْفَهُ، فَلَمَّاقَضَى حَاجَتَهُ قَالَ لِي: **قُلْ لَهُنَّ يَفْتَرِقْنَ**، فوَالذِي نَفْسي بِيَدِهِ لَرَأَيْتُهُنَّ والْحِجَارَةَ يفْتَرِقْنَ حَتَّى عُدْنَ إِلَى مَوَاضِعِهِنَّ))[1].

ورَوَى عياض عَنْ يعلَى بن سيابة[2]: كُنْتُ مَعَ النَّبِيءِ ﷺ: فِي مَسِيرٍ وذَكَرَ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ وقَالَ: وأَمَرَ وديين[3] فانْضَمَّا وَفِي رِوَايَةٍ: إِشَاءَتَيْنِ. وعَنْ غيْلان بن سلمة الثَّقَفِي مِثْلهُ فِي شَجَرَتَيْنِ[4].

قال ابْنُ القَطَّان: رُوِيَ عن ابْنِ مَسْعُود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ((كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ حنيْن فأَرَادَ أَنْ يتَبَرَّزَ وكانَ إِذَا أَرَادَ ذَلِكَ تبَاعَدَ حَتَّى لَا يَرَاهُ أَحَدٌ فَقَالَ: **انْظُرْ هَلْ تَرَى شَيْئًا؟** فنَظَرْتُ فرَأَيْتُ إِشَاءَةً واحِدَةً فأَخْبَرْتُهُ فقَالَ: **انْظُرْ هَلْ تَرَى شَيْئًا؟** فنَظَرْتُ فرَأَيْتُ إِشَاءَةً أُخْرَى بَعِيدَةً مِنْ صَاحِبَتِهَا فأَخْبَرْتُهُ فقَالَ لِي: **قلْ لَهُمَا: إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكُمَا أنْ تَجْتَمِعَا**، فقُلْتُ ذَلِكَ لهُمَا فاجْتَمَعَتَا، ثُمَّ أَتَاهُمَا ﷺ فاسْتَتَرَ بِهِمَا ثُمَّ قامَ فَلَمَّا قَضَى حَاجَتَهُ انْطَلَقَتْ كُلُّ واحِدَةٍ مِنْهُمَا إِلَى مَكَانِهَا))[5].

قالَ يعلى بن أميّة: ((خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذاتَ يَوْمٍ إِلَى الْجَبَّانَةِ حَتَّى إِذَا بَرَزْنَا قَالَ: **وَيْحَكَ هلْ تَرَى مِنْ شَيْءٍ يُوَارِينِي؟** قُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ ما أَرَى شَيْئًا يوَارِيكَ إِلَّا شَجَرَةً ما أَرَاهَا تُوَارِيكَ، قَالَ: **أَقُرْبَهَا شَيْءٌ؟** قلْتُ: شَجَرَةٌ خَلْفَهَا هِيَ مِثْلُهَا أَوْ قَرِيبٌ مِنْهَا قَالَ: **اذْهَبْ إِلَيْهِمَا وقُلْ لَهُمَا إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يأْمُرُكُمَا أَنْ تَجْتَمِعَا**، ففَعَلَ فَقَضَى حَاجَتَهُ فقَالَ: **قُلْ** [202ظ] **لَهُمَا: إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يأْمُرُكُمَا أَنْ تَرْجِعَا إِلَى مَكَانَيْكُمَا**. فَقَالَ: فَرَجَعْت))[6].

وقال عيَاض: عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ: ((**آذَنتِ النَّبِيءَ ﷺ بِالجنّ لَيْلَةَ اسْتَمَعُوا لَهُ شجَرَةٌ**))[7].

وَعنْ مُجَاهِد عَن ابْنِ مَسْعُود فِي هَذَا الْحَدِيثِ: ((**إِنَّ الْجِنَّ قَالُوا: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ قَالَ: هذِهِ الشَّجَرَة، تَعَالَيْ يا شَجَرَة، فَجَاءَتْ تَجُرُّ عُرُوقَهَا لَهَا قَعَاقِع**))[8] وكذَلِكَ ذكَرَ الْبُخَارِي حَدِيثَ إِذْنِ الشَّجَرَة للنَّبِيءِ ﷺ بِالجِنّ[9].

---

(1) الشفا، القاضِي عياض، ص304.

(2) يعلى بن سيابة: رَوَى عن النَّبِيّ ﷺ يعرف بيعلى بن مرة، يقولون: سَيَابَة أمه. المؤتلف والمختلف، الدارقطني، 1376/3.

(3) في الشفا: وَدِيَّتَيْنِ.

(4) الشفا، القاضِي عياض، ص304.

(5) مسند البزار، حدِيث (1463).

(6) المصنف، ابن أبِي شيبة، حدِيث (31753)، وفيه: عن يعلَى بن مرَّة.

(7) الشفا، القاضِي عياض، ص304.

(8) (م، س)، ص305.

(9) صحيح البخارِي، حدِيث (3859).

وذَكَرَ ابن فورك[1] وغيْرُهُ: ((**أَنَّهُ ﷺ سَارَ فِي غَزْوَةِ الطَّائِفِ لَيْلًا وهُوَ وَسِنٌ، فَاعْتَرَضَتْ لَهُ سِدْرَةٌ فانْفَرَجَتْ لهُ نِصْفَيْنِ، حتَّى سَارَ بيْنَهُمَا وبَقِيَتْ عَلَى سَاقَيْنِ**)) وهِيَ هُنَاكَ مَعْرُوفَةٌ مُعَظَّمَةٌ[2].

وكذَا ذَكَرَها ابْنُ القَطَّانِ وزادَ أَنَّهُ قِيلَ: تُسَمَّى سِدْرَة النَّبِيءِ ﷺ وهِيَ لَا تعْضدُ ولَا تُنَالُ إِلَّا بِالتَّعْظِيم[3].

وذَكَرَ عِيَاض عَنْ عَلِيّ: ((أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **اللَّهُمَّ أَرِنِي آيَةً لَا أُبَالِي مَنْ كَذَّبَنِي بَعْدَهَا، فَدَعَا شَجَرَةً فَأَتَتْ تَمْشِي، حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَمَرَهَا فَرَجَعَتْ**))[4].

وعَن الْحَسَنِ: ((أَنَّه ﷺ **شَكَا إِلَى رَبِّهِ قَوْمَهُ أَنَّهُمْ يُخَوِّفُونَهُ وَسَألَهُ آيَةً أنْ لا مخافة، فَأَوْحَى إِلَيْهِ أَن ايتِ وَادِي كَذَا فيه شَجَرَةٌ فَادْعُ غُصْنًا مِنْهَا يَأْتِكَ، فَجَعَلَ يَخُطُّ الْأَرْضَ خَطًّا حَتَّى انْتَصَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَحَبَسَهُ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: ارْجِعْ كَمَا جِئْتَ فَرَجَعَ فَقَالَ: يَا رَبّ عَلِمْتُ أن لَا مَخَافَةَ عَلَيَّ**))[5] ولَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

106 وَجِبْرِيلُ لَمَّا اسْتَهْزَأَتْ فِرْقَةُ الرَّدَى أَشَارَ إِلَى كُلٍّ بِمَوْتٍ قَبِيحَانِ

وجِبْرِيلُ لَمَّا اسْتَهْزَأَتْ جَمَاعَةُ الْهَلَاكِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ أشَارَ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ، وهُم خَمْسةٌ بِمَوْتٍ. وهُمَا قَبِيحَانِ؛ الكُلُّ والموْتُ، قَبَّحَ الكُلَّ بِالشِّرْكِ والتَّكَلُّمِ، وقَبَّح الموْتَ بشِدَّتِهِ وكَوْنِهِ مُفْضيًا بِهِمْ إِلَى النَّارِ.

كَانُوا يَسْخَرُونَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ويُبَالِغُون فِي إِيذَائِهِ والسُّخْرِيَةِ بِهِ ﷺ، دعَا عَلَيْهِمْ رسُولُ اللهِ ﷺ حَوْلَ الْكَعْبَةِ فَهَلَكُوا.

وقِيلَ: إِنَّهُ شَكَاهُمْ لِجِبْرِيلَ فقَالَ: أُمِرْتُ أَنْ أَكْفِيكَهُمْ، وأَشَارَ إِلَى كُلٍّ بِمَا أَصَابَ، وذلِكَ لَا يُنافِي مَا مَرَّ مِنْ أَنَّهُ دَعَا عَلَيْهِمْ فهَلَكُوا؛ لِأَنَّ دُعَاءَهُ ﷺ علَيْهِمْ سَبَبٌ لِإِشارَةِ جِبْرِيلَ عليه السلام إِلَيْهِمْ بالْهَلَاكِ.

أَحَدُهُم: الأسود بن الحطّاب بن أسد بنِ عَبْد الْعُزَّى أَصَابَهُ الْعَمَى، أَشَارَ إِلَيْهِ بوَرَقَةٍ خَضْرَاءَ فَعَمِيَ، فكَانَ يَضْرِبُ بِرَأْسِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى مَاتَ.

والثَّانِي: الأسود بن عبد يغوث بنِ وَهْب بنِ عَبْدِ مَنَاف بنِ زُهْرَة، أَصَابَهُ الاسْتِسْقَاءُ الرِّقّي، وهُوَ امْتِلَاءُ الأَمْعَاءِ بالماءِ الْفَاسِدِ المبْطِلِ لِلْحَرارَةِ الغَرِيزِيَّة المفْضِي إِلَى الْهَلَاكِ قَرِيبًا.

---

(1) محمد بن الحَسَن بن فورك الأصبهانِي الشَّافعِي، ت:406هـ، متكلم فقيه أصُولِي نحوِي واعِظ عارِفٌ بالرِّجالِ، كثُرَ سماعُهُ بالبَصرة وبغدادَ وحدَّثَ بنيسابور، من تصَانِيفه: دقائِق الأسرارِ، أسماء الرِّجالِ. سِيَر أعلام النُّبلاءِ، الذَّهبِي، 214/17، ومعجم المؤلِّفِين، رضا كحالة، 229/3.

(2) الشفا، القاضِي عياض، ص305.

(3) لم أقف عليهِ.

(4) (م، س)، ص305.

(5) (م، س)، ص305.

الثَّالِثُ: [203و] الوليد بن المغيرة بن عبد الله بنِ عَمْرو بنِ مخْزُوم، أُصِيبَ فِي أَخْمَصِ رجْلِهِ بِخَدْشَةِ سَهْمٍ مَسْمُومٍ، مِن شخْصٍ فِي يَدِهِ سِهَام.

وقِيلَ: كَانَ جَالِسًا إِلَى صَانِعِ النَّبْلِ، وقَامَ مُنْقَلِبًا إِلَى أَهْلِهِ وقَدْ تَعَلَّقَتْ بِهِ نَبْلَةٌ مَسْمُومَةٌ، وكَانَتْ تَضْرِبُ سَاقَهُ أو قَدَمَهُ، ومَنَعَهُ الْكِبْرُ أَنْ يَنْحَنِي لِإِزَالَتِهَا، بَلْ ضَرَبَهَا بِسَوْطٍ فِي يَدِهِ لِتَسْقُطَ، فَأَصَابَتْ رِجْلَهُ فتَآكلَتْ مِنْهَا، ومَاتَ مِنْهَا قَبْل بَدْرٍ.

الرَّابِعُ: العَاصِي بنُ وَائِل بنِ هِشَام بنِ سَعْد بنِ سَهْم أُصِيبَ بِالْقُيُوحِ ومَاتَ بِهَا.

قالَ ابْنُ إِسْحَاق: أَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ علَى أَمْرِ اللهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا مُؤَدِّيًا إِلَى قَوْمِهِ النَّصِيحَةَ، عَلَى مَا يَلْقَى مِنْهُمْ مِنَ التَّكْذِيبِ والْأَذَى والاسْتِهْزَاءِ، وكَانَ عُظَمَاءُ المسْتَهْزِئِينَ، كَمَا حدَّثنِي يَزِيدُ بنُ رومَان عَنْ عُرْوَةَ بنِ الزُّبَير خَمْسَةُ نفَرٍ، كَانُوا ذَوِي أَسْنَانٍ وشَرَفٍ فِي قوْمِهِمْ، أَحَدُهُم الأسود بن المطّلب دَعَا عَلَيْهِ رسُولُ اللهِ ﷺ فقَالَ: ((**اللَّهُمَّ اعْمِ بَصَرَهُ وأَثْكِلْهُ فِي وَلَدِهِ**)) والأسود بن عبد يغوث، والوَلِيدُ بنُ المغِيرَة، والعَاصِي بنُ وائِل، والحارث بن الطلاطلة، لمَّا تَمَادَوا فِي الشَّرِّ، وأَكْثَرُوا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ الاسْتِهْزَاءَ، أَنْزَلَ اللهُ سبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (94) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (95) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (96)** ﴾[1][2].

فَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بنُ رومَان عَنْ عروة بن الزّبَير، وغَيْره مِنَ الْعُلَمَاءِ: أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَى النَّبِيءَ ﷺ، وهمْ يطُوفُونَ بِالْبَيْتِ فقَامَ وقَامَ رسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى جَنْبِهِ، فمَرَّ بِهِ الأَسْوَدُ بنُ المطَّلِبِ، فرَمَى فِي وجْهِهِ بوَرَقَةٍ خَضْرَاءَ فعَمِيَ، ومَرَّ بِهِ الأسود بن عبد يغوث فأَشَارَ إِلَى بَطْنِهِ، فاسْتَسْقَى بَطْنهُ فمَاتَ بِهِ، ومَرَّ بِهِ الْوَلِيدُ بنُ المغِيرَة، فأَشَارَ إِلَى أَثَرِ جُرْحٍ بِأَسْفَلَ كَعْبِ رِجْلِهِ، فوَطِئَ بِهِ عَلَى شبرقة فدَخَلَتْ فِي أَخْمَصِ رِجْلِهِ شوْكَةٌ فقَتَلَتْهُ، ومَرَّ بِهِ الحارث بن الطلاطلة فأَشَارَ إِلَى رَأْسِهِ فامْتَلأَ قَيْحًا وَمَاتَ بِهِ[3].

ورَوَى الكلاعي [4] والسُّهَيْلِيّ عنْ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاق: ((أَنَّه لَمَّا نَزَلَ ﴿ **إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (95)** ﴾[5] نَزَلَ جِبْرِيل عليه السلام فَحَنَا ظَهْرَ الأَسْوَد بنِ عبْدِ يغُوثَ الزّهْرِيّ، فقَالَ رَسُولُ

---

(1) الحجر:94-96.

(2) سيرة ابن هشام، 408/1-409.

(3) سيرة ابن هشام، 410/1.

(4) سليمان بن موسَى بن سالِم الكلاعِي البلنسِي، محدث حافظ مؤرخ وأدِيب، ولد بظاهِرِ مرسِية وتوفي شهِيدا بِيَدِ العدُوّ سنة 634هـ، من تصانِيفِه: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، كتاب في معرِفَةِ الصَّحابة والتَّابِعِينَ لم يُكمِلْهُ. تذكرة الحفاظ، الذَّهَبِي، 1415/4، معجم المؤلِّفِين، رضا كحالة، 798/1.

(5) سورة الحجر: 95.

اللهِ ﷺ: خَالِي خالِي، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام: خَلِّهِ عَنْكَ ثُمَّ حناهُ حَتَّى قَتَلَهُ))[1]. وكثِيرٌ ذَكَرُوا الأَسْوَدَ بنَ المطَّلِبِ بالْعَمَى، ولَمْ يذْكُرُوا أَنَّهُ ماتَ بِهِ.

[203ظ] وعبارةُ بعضِهِم إنَّهم: الوليدُ بن المغِيرة والعاصِي بنُ وائِل وعديّ بن قَيس والأَسْوَدُ بنُ عَبْدِ يغُوثَ والْأَسْوَدُ بنُ المطَّلِب، وأَنَّ جِبْرِيلَ أشَارَ إِلَى سَاقِ الْوَلِيدِ، فمَرَّ بنَبَّالٍ فتَعَلَّقَ بِثَوْبِهِ سَهْمٌ، فلَمْ ينْعَطِفْ تَعَظُّمًا لِأَخْذِهِ، فأَصَابَ عِرْقًا فِي عَقِبِهِ فَقَطَعَهُ فمَاتَ. وأَشَارَ إِلَى أَخْمَصِ العَاصِي، فدَخَلَتْ فِيه شَوْكَةٌ فانْتَفَخَتْ رِجْلُهُ، حَتَّى صَارَتْ كالرَّحا ومَاتَ، وأَشَارَ إِلَى أَنْفِ عَدِيّ فامْتَخَطَ قَيْحًا فمَاتَ، وإِلَى الأَسْوَدِ بنِ عَبْدِ يَغُوثَ، وهُوَ قاعِدٌ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ، فَجَعَلَ يَنْطِحُ بِرَأْسِهِ الشَّجَرَةَ، ويَضْرِبُ وَجْهَهُ بِالشَّوكِ، حَتَّى مَاتَ، وإِلَى عَيْنَيّ الْأَسْوَدِ بنِ المطَّلِبِ فَعَمِيَ[2].

وفِي بَعْضِ النُّسَخِ الْأَسْوَد بن عَبْدِ المطَّلِبِ[3]، والصَّوابُ إِسْقَاطُ عَبْد.

ويُروَى: أَنَّهُ أَشَارَ جبْرِيلُ إِلَى أَخْمَصِ الْعَاصِي بنِ وَائِل، فدَخَلَتْ فِيهِ شَوْكَةٌ، فقَالَ: لُدِغْتُ لُدِغْتُ، وانْتَفَخَتْ رِجْلُهُ حَتَّى صَارَتْ كَالرَّحَا ومَاتَ[4].

وفِي رِوَايَةٍ: مرَّ بِرَجُلٍ نَبَّالٍ وهُو يَجُرُّ إِزَارَهُ، فتَعَلَّقَتْ شَظِيَّةٌ[5] مِنَ النَّبلِ بِإِزارِ الْوَلِيدِ، فمَنَعَهُ الكِبْرُ أَنْ يُطَأْطِئ رَأْسَهُ ويَنْزَعهَا، فجَعَلَتْ تَضْرِبُهُ فِي سَاقِهِ، فَخَدَشَتْهُ فمَرِضَ مِنْهَا فَمَاتَ.

وأَنَّ الْعَاصِي بنَ وَائِل خَرَجَ عَلَى رَاحِلَتِهِ يتَنَزَّهُ، فنَزَلَ شِعْبًا فدَخَلَتْ شَوْكَةٌ فِي أَخْمَصِ رِجْلِهِ فانْتَفَخَتْ، حَتَّى صَارَتْ مِثْلَ عُنُقِ الْبَعِيرِ فمَاتَ مَكَانَهُ، وأَنَّ عديّ بن قيس امْتَخَطَ قَيْحًا فقَتَلَهُ؛ أَيْ: صَارَ الْقَيْحُ يَجْرِي مِنْ أَنْفِهِ حَتَّى مَاتَ، وأَنَّ الْأَسْوَدَ بنَ المطَّلِبِ رَمَاهُ جِبْرِيلُ بوَرَقَةٍ خضْرَاءَ، فذَهَبَ بَصَرُهُ وأَوْجَعَتْهُ عَيْناهُ، فجَعَلَ يَضْرِبُ بِرَأْسِهِ الْجِدارَ حتَّى هَلَكَ.

ويُجْمَعُ بَيْنَ ما اخْتَلَفَ بِأَنَّ مَنْ زَادَ إِنْسانًا وأَسْقَطَ آخَرَ يُقْبَلُ كلَامُهُ وكَلَامُ مُنَاقِضِهِ.

وفِي بَعْضِ الْكُتُبِ: أَشَارَ إِلَى أَنْفِ الْحَارِثِ، وذَكَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الصَّوابَ الحارث بن قيْس، بدَلَ عَدِيّ بن قَيْس.

والعَاصِي بِاليَاءِ مِنْ عَصَى يَعْصِي، وقَدْ تُحْذَفُ الْيَاءُ ويُكْتَفَى عنْهَا بِالْكَسْرَةِ، وقِيلَ: ما هُنَا بِلَا يَاءٍ، وإِنَّ الْإِعْرَابَ علَى الصَّادِ مِنَ العِيصِ لَا مِنَ الْعِصْيَانِ.

---

(1) الروض الأنف، السهيلي، 7/4، الاكتفاء، الكلاعي، 292/1.

(2) لم أهتَد إلى المصدرَ الأصلِي الذِي نقل منه المؤلِّف، لاختلاف الرِّوايات، ويمكن الرُّجوع إلى روايَتَيْ أنوار التَّنزِيلِ، البيْضاوِي، 218/3، والمواهِب اللدنية، القسطلاني، 224/1.

(3) المواهب اللدنية، القسطلاني، 225/1.

(4) مفاتِيح الغَيْبِ، الرَّازِي، 165/19.

(5) فِي الأصلِ: شظبة.

والأَعْيَاص مِنْ قُرَيْشٍ: أَوْلَادُ أميّة بنِ عَبْدِ شَمْس الأَكْبَر وهُمْ أَرْبَعَةٌ: العَاص وأَبو العَاصِ والعِيص وأَبُو العِيص.

تَذْيِيلٌ[1]:

قَالَ الْقُرْطُبِيّ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الصَّلَاةَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فقَالَ أبُو جَهْلٍ، لَعَنَهُ اللهُ: مَنْ يَقُومُ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فيُفْسِد علَيْهِ صَلاتَهُ. فقَامَ عبْدُ اللهِ بنُ الزِّبَعْرَى فأَخَذَ فَرْثًا ودَمًا، فَلَطَّخَ بِهِما وَجْهَ النَّبِيءِ ﷺ، فانْتَقَلَ ﷺ مِنْ صَلَاتِهِ، وَأَتَى عَمَّهُ أبَا طَالِبٍ فقَالَ: ((**يَا عَمُّ أَلَا تَرَى مَا فعلَ بِي؟**)) فقَالَ: مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ فقَالَ ﷺ: عبْدُ اللهِ بنُ الزِّبَعْرَى، فأَقْبَلَ علَى الْقَوْمِ مُقَلّدًا سَيْفَهُ، وَلَمَّا رَأَوْهُ نَهَضُوا لَهُ، فقَالَ أبُو طَالِبٍ: واللهِ إِنْ قَامَ رَجُلٌ لَأُجَلِّلَنَّهُ بِالسَّيْفِ، ثُمَّ قالَ: يَا بُنَيَّ مَنِ الْفَاعِلِ بِكَ هَذَا؟ فقَالَ: "عبْد اللهِ بنُ الزِّبَعَرْى"، فلَطَّخَ أبُو طَالِبٍ بِالدَّمِ والْفَرْثِ وجُوهَهُمْ ولِحَاهُمْ وثِيَابَهُمْ، وأَسَاءَ لَهُم الْقَوْلَ، فَنَزَلَ﴿ **وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْءَوْنَ عَنْهُ** ﴾[2] فِي أَبِي طَالِبٍ فأَخْبَرَهُ بِهِ، فقَالَ: (واللهِ لنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ)[3]، الأَبْيَات المشْهُورَة[4].

107 **[204و]مَضَيْتَ عَلَى ظَهْرِ الْبُرَاقِ مُسَارِعًا إِلَى المسْجِدِ الْأَقْصَى مِنَ المسْجِدِ الدَّاني**
108 **وَجُزْتَ إِلَى السَّبْعِ الطِّبَاقِ مُكَرَّمًا إِلَى الْعَرشِ حَتَّى جِئْتَ سِدْرَةَ رَحْمَانِي**
109 **وَصَلَّيْتَ بِالْأَمْلَاكِ وَالرُّسْلِ كُلِّهِمْ فَكُنْتَ وَلَمْ تَبْرَحْ إِمَامًا وَذَا الشَّانِ**
110 **وَقَدْ كَانَ رَبُّ الْعَالمينَ مُطَالِبًا بِخَمْسِينَ فَرْضًا أَهْلَ كُفْرٍ وَإِيمَانِ**
111 **فَخَفَّفْتَ لِلْخَمْسِينَ عَنَّا بِخَمْسَةٍ وَأَبْقَيْتَ أَجْرَ الْكُلِّ مِنْ غَيْرِ نُقْصَانِ**
112 **وَكَمْ آيَةً قدْ نِلْتَ ثَمَّ عَظِيمَة وَعُدْتَ وَكُلُّ الْأَمْرِ لَحْظَةَ أَزْمَانِ**

ذَهَبْتَ رَاكِبًا علَى ظَهْرِ الْبُرَاقِ مُسَارِعًا، مِنَ المسْجِدِ الْحَرَامِ الْقَرِيبِ إِلَى المسْجِدِ الأَبْعَدِ، بَيْتِ المقْدِسِ.

ومَشَيْتَ إِلَى السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، المتَطَابِقَةِ بعْضٌ فَوْقَ بَعْضٍ، حَالَ كَوْنِكَ أَكْرَمَكَ اللهُ بِهَذا الذَّهَابِ، ومُوَازَرَةِ جبْرِيلَ وَتَحِيَّةِ الملَائِكَة إِيَّاكَ، وإِلَى الْعَرْشِ حَتَّى وَصَلْتَ فِي طَرِيقِكَ إِلَيْهِ، سدْرَةَ الذِي يَرْحَمُنِي فِي رَجَائِي، وَهِي سِدْرَةُ المنْتَهَى.

---

(1) استدراك من المؤلّف ليس في ج.

(2) سورة الأنعام:26.

(3) الأبيات المشار إليها من الكامل، مطلعها:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسَّد في التراب دفينا

ينظر أيضا: ثمرات الأوراق، ابن حجة، 4/2.

(4) الجامع، القرطُبِي، 406/6.

وَصَلَّيْتَ بِالملَائِكَةِ وَالرُّسُلِ كُلِّهِمْ في بَيْتِ المقْدِسِ، فكُنْتَ إِمَامًا، و"لَمْ تَبْرَحْهُ" أَيْ: لَمْ تَبْرَحْ إِمَامًا، أَيْ: لَمْ تَزَلْ إِمَامًا مُقَدَّمًا قَبْلَ ذَلِكَ وبَعْدَهُ، وصاحِبَ الشَّأْنِ الْعَظِيم.

وَقَدْ كَانَ رَبُّ أَنْوَاعِ الْخَلْقِ مُطَالِبًا بِخَمْسِينَ صَلَاةٍ فَرِيضَة أَهْلَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ.

فخَفَّفْتَ مِنَ الْخَمْسِينَ عَنَّا بِخَمْسَة فَرَائِضَ، وهُنَّ الصَّلواتُ الخمْسُ، وأَبْقَيْتَ أَجْرَ الْخَمْسِينَ؛ لِأَنَّ الحَسَنَة بِعَشْرٍ، مِن غَيْرِ نُقْصَانِ أَجْرٍ.

ونِلْتَ آيَاتٍ كَثِيرَةً عِظَام[1]، ووَعَدَكَ اللهُ كرَامَاتٍ عَظِيمَةً، وكُلُّ الْأُمُورِ الوَاقِعَة فِي تِلْكَ اللَّيلَةِ، لَيْلَة الْإِسْرَاءِ، وَقَعَتْ فِي سَاعَةٍ قَلِيلَةٍ جِدًّا لِقُدْرَةِ اللهِ ﷻ علَى أَنْ يُوقِعَ فِي زَمَانٍ قَلِيلٍ مَا لَا يَقَعُ إِلَّا فِي زَمَانٍ طَوِيلٍ. و"رَحْمَانِي": مُضَافٌ إِلَى يَاءِ الْمُتَكلِّمِ.

وصَلَاتُه بِالْمَلَائِكَةِ مِنْ جُمْلَةِ قَوْلِنا إِنَّهُ رَسُولٌ إِلَيْهِمْ كَالْإِنْسِ وَالْجِنّ، مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يُكَلَّفُوا بِكُلِّ مَا كُلِّفَ بِهِ الْإِنْسُ والْجِنُّ.

وتَنَازَعَ "كَانَ" و"تَبْرَح" فِي "إِمَامًا" فأُعْمِلَ فِيهِ الْأَوَّلُ وحُذِفَ ضَمِيرُهُ مِنَ الثَّانِي وهُوَ جَائِزٌ عِنْدِي، أَوْ أُعْمِلَ فِيهِ الثَّانِي وأُضْمِرَ لِلْأَوَّلِ، وهُوَ الْمَشْهُورُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْعِبَارَةِ. وخَبَرُ كَانَ وأَخَوَاتِهَا كَالْفضْلَةِ، ولَوْ كَانَ عُمْدَةً يَجُوزُ حَذْفُهُ لِدَلِيلٍ، لَا كَالْفَاعِلِ ونَائِبِهِ.

وفِي قَوْلِهِ" أَهْلِ كُفْرٍ" أَنَّ الْكُفَّارَ مُخَاطَبُونَ بِفُرُوعِ الشَّرِيعَةِ، وهُوَ الصَّحِيحُ كمَا بَيَّنْتُهُ فِي "شَرْحِ مُخْتَصَرِ الْعَدْلِ"[2] بأَدِلَّةٍ تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ وأَدِلَّةٍ لَا تَحْتَمِلُهُ، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿8﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿9﴾﴾[3].

واللَّامُ فِي "لِلْخَمْسِينَ" [204ظ] بِمَعنَى "مِنْ" عَلَى الاسْتِعَارَةِ التَّبَعِيَّةِ. ويَجُوزُ أَنْ تَكُونَ زائِدَةً فِي الْمَفْعُولِ بِهِ.

---

(1) خطأ، صوابه: عظاماً.

(2) شرح شرح مختصر العدل والإنصافِ في معرفة أصول الفقهِ والاخْتلافِ لأبِي يعقوب يوسف بن إبراهِيم الوارجلانِي (ت: 570هـ) اختصرهُ أبو العباس أحمد بنُ أبِي عثْمان الشَّمَّاخِي (ت:928هـ) ثمَّ شرَحه، ثمَّ قام المؤلِّفُ بشَرْحِ شرح المختَصَرِ، وسمَّاهُ فتح الله الرحمن الأجل والعطاء الجزِيل الأكمَل على شرح شَرْحِ مختَصَر العدلِ يوضحه ويُزِيلُ عنهُ السَّدل، مخطوطٌ منه نسخَة في مكتبة القُطبِ، في جزئينِ بالرَّمز: أ-هـ1ج1، وأ-هـ1ج3 على الترتِيبِ. فهرِس مخطوطات خزانة مؤلفات الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش، ص163.

(3) سورة التكوير: 8-9.

وإِسْنَادُ التَّخْفِيفِ والْإِبْقَاءِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مَجَازٌ عَقْلِيّ مِنَ الْإِسْنَادِ إِلَى الْوَاسِطَةِ، والْمُخَفِّفُ والْمُبْقِي حَقِيقَةً هُوَ اللهُ جلَّ وعَلَا.

وهُنَا فُصُولٌ: الْأَوَّلُ فِي رِسَالَتِهِ ﷺ إِلَى الْجِنِّ والْمَلَائِكَةِ، والثَّانِي فِي الْإِسْرَاءِ بِهِ ﷺ والثَّالِثُ: فِي أَبْيَاتٍ تُشْبِهُ قَوْلَهُ: وَكَمْ آيَةٍ قَدْ نِلْتَ ثَمَّ عَظِيمَةٍ.

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ: [رِسَالَتُهُ ﷺ إِلَى الْجِنِّ والْمَلَائِكَةِ]

الجِنُّ عِنْدَنا وعِنْدَ جُمْهُورِ الْأُمَّةِ أَجْسَامٌ مِنْهَا كَثِيفَةٌ[1] ومِنْهَا رَقِيقَةٌ، وزعَمَت الْمُعْتزِلَةُ أَنَّهَا كُلُّهَا رَقِيقَةٌ، وإِنَّمَا لَا نَرَاهَا لِرِقَّتِها.

قُلْنَا: يَجُوزُ أَنْ يُخْفِيَ اللهُ عَنَّا الْأَجْسَامَ الْكَثِيفَةَ والرَّقِيقةَ، والرِّقَّةُ لَا تَمْنَعُ الرُّؤيةَ، والْغِلَظُ لَا يُوجِبُها، والرُّؤيَةُ يَخْلُقُها اللهُ فِينَا حَيْثُ شَاءَ.

ذَكَرَ الْبَيْهَقِيّ عن الشَّافِعِيّ أَنَّهُ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَرَى الْجِنَّ غَيْرُ الأَنْبِيَاءِ أَبْطَلْنَا شَهَادَتَهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ نَبِيئًا[2]. وهُوَ مَحْمُولٌ علَى مَن ادَّعَى رُؤيَتَهُم عَلَى صُوَرِهِم التِي خُلِقُوا عَلَيْهَا.

قُلْتُ: يُحْمَلُ عَلَى مَن ادَّعَى أَنَّهُ يَرَاهُمْ عَلَى الاسْتِمرارِ، كُلَّمَا أَرَادَ أَوْ كُلَّما حَضَرُوا؛ لِأَنَّهُ احْتَجَّ فِي ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى﴿ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾[3] بِمُضَارِعٍ يُنَاسِبُ الاسْتِمْرَارَ الْمَدْلُولَ عَلَيْهِ فِي سِياقِ الاسْتِمْرَارِ. فَلَا يُقَدَّمُ فِيمَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ يَرَاهُمْ عَلَى التَّخْيِيلِ ولَوْ مُطْلَقًا، ولا فِيمَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ رَآهُمْ عَلَى حَقِيقتِهِمْ فِي وَقْتٍ فَصَاعِدًا، لَا كُلَّمَا أَرَادَ، وقَدْ أَلَّفتُ فِي ذَلِكَ رِسَالَةً. وتَخَيُّلُهُم لَا يُطِيقُونَهُ إِلَّا بِضَرْبٍ مِنَ الفِعْلِ إِذَا فَعَلُوهُ، كَالسِّحْرِ.

وعِبَارَةُ بَعْضٍ: لَا يَنْتَقِلُونَ عَنْ صُوَرِهِم الْأَصْلِيَّة، بَلْ تَخْيِيلٌ فَقَطْ بِلَا فِعْلٍ شَبِيهٍ بِالسِّحْرِ[4]. أَقْدَرَهُم اللهُ علَى ذَلِكَ، كَمَا يَنْطَوِي الْمَلَكُ.

---

(1) في الأصلِ: كتيفة.

(2) فتح الباري، ابن حَجَر، 344/6 نقلا من مناقب الشَّافِعِي للبيْهَقِي، وينظر: مناقب الإمام الشافعي، الآبري، ص91.

(3) سورة الأعراف: 27.

(4) شرح المواهب، الزُّرقاني، 238/7.

وهُمْ مُكَلَّفُونَ، وزَعَمَت الْحَشوِيَّة أَنَّهُمْ غَيْرُ مُكَلَّفِينَ، وَأَنَّهُم اضْطَرُّوا إِلَى أَفْعَالِهِم[1]، ويَرُدُّهُ أَنَّ اللهَ سُبحَانَهُ خاطَبَهُمْ بِمَا هُوَ تَكْلِيفٌ، وأَنَّهُ أَثْبَتَ لَهُم الْوَعْدَ والْوَعِيدَ، وكذَا فِي الْحَدِيثِ. ومِنْ ذَلِكَ: حَدِيثُ الْجِنِّ فِي أنَّ العِظامَ المذكورُ اسْمُ اللهِ عَلَيْها طَعَامٌ لهُمْ. وأَمَّا الرَّوثُ فعَلفُ دَوَابِّهِم، فلَا دَلِيلَ فِيهِ، كَذَا قِيلَ فِيه دَلِيلٌ؛ لأَنَّ الْحَدِيثَ يَدُلُّ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لهُمْ أَنْ يُبْقُوا دَوَابَّهُمْ علَى أَكْلِ مَا نَجسَ مِنْهُ.

وَزَعَمَ بَعْضٌ أَنَّهُم مُكَلَّفُونَ بِالتَّوحِيدِ وأَرْكَانِ الْإِسْلَامِ فَقَطْ؛ لِأَنَّهُم لَا يَجِدونَ تَعلُّمَ ذلِكَ[2].

قُلْتُ: قدْ وَجَدُوا التَّعَلُّمَ مِنَ النَّبِيءِ ﷺ ومِن المُؤمِنِينَ، ويَحْضُرونَ مَجَالِسَ الْعِلْمِ، ولَا يَشْعُرُ الْإِنْسُ بِهِمْ، وقَدْ يَشْعُرُونَ بهِمْ ويَسْمَعُونَ سُؤَالَهُم ويَقْبَلُونَ الْجَوَابَ [205و] ويَحُجُّونَ ويَفْعَلونَ أَفْعَالَ الْبِرِّ كُلّهَا، وقَدْ يَرَاهُم النَّبِيءُ ﷺ بِقُوَّةٍ يَخُصُّهُ اللهُ بِهَا. بَلْ ذَكَرَ ابن عطيّة وغَيْرُهُ الْإِجْمَاعَ علَى أَنَّهُمْ مُكَلَّفونَ بِهَذِهِ الشَّرِيعةِ[3]. وذَكَرَ بَعْضٌ الإِجْمَاعَ عَلَى أَنَّهُم يُعاقَبُونَ علَى الْمَعَاصِي[4].

واخْتَلَفُوا هَلْ يُثَابُونَ؟ وهُوَ الصَّوابُ، لِأَنَّهُ مُقَابِلُ الْعِقَابِ؛ إِنَّمَا يُعَاقَبُ مَنْ يُثابُ، وَيَدْخُلُ مُطِيعُهُم الْجَنَّةَ.

قالَ الحارث بن أسَد الْمحاسِبِي[5]: إِنَّا نَرَاهُم فِي الْجَنَّةِ ولَا يَرَوْنَنَا[6]. ويَتَنَعَّمُونَ فِي الْجَنَّةِ بِمَا يَتَنَعَّمُ بِهِ الْمُؤْمِنَونَ مِنْ بَنِي آدَمَ.

وقَالَ مُجَاهِدُ[7]: يُلْهَمُون التَّقْدِيسَ والتَّسْبِيحَ، فيَجِدُونَ في ذَلِكَ ما يَجِدُ الْإِنْسُ مِنَ اللَّذَّةِ، وقِيلَ: يَكُونُونَ فِي رَبْضِ الْجنَّةِ، وقِيلَ: فِي الْأَعْرَافِ، وقِيلَ: بِالْوَقْفِ[8].

---

(1) شرح المواهب، الزُّرقاني، 238/7.

(2) هو الزرقاني، (م، س)، 238/7.

(3) (م، س)، 238/7.

(4) هو الزرقاني، (م، س)، 238/7.

(5) المُحَاسِبِي (قيل له ذلك لأنه كان يحاسب نفسه) أَبُو عَبْدِ اللهِ الحَارِثُ بنُ أَسَدٍ البَغْدَادِي، الزَّاهِدُ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ الزُّهْدِيَّةِ، يَرْوِي عَنْ: يَزِيْدَ بنِ هَارُونَ يَسِيْراً. رَوَى عَنْهُ: ابْنُ مَسْرُوْق، وَأَحْمَدُ بنُ القَاسِمِ، وَالجُنَيْدُ، لَهُ كُتُب كَثِيرَةٌ فِي الزُّهْدِ، وَأُصُوْلِ الدِّيَانَةِ، وَالرَّدِّ عَلَى المُعْتَزِلَةِ وَالرَّافِضَةِ. سير أعلام النبلاء، الذهبي، 110/12.

(6) شرح المواهب، الزُّرقاني، 239/7.

(7) في الأصل: مجاهدون.

(8) شرح المواهب، الزُّرقاني، 239/7.

ويَدُلُّ لِمَا قُلْنَاهُ: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿13﴾ ﴾[1] مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿46﴾ ﴾[2] وقوله: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿132﴾ ﴾[3] بَعْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾[4].

وقِيلَ: ثَوَابُ الْجِنِّ أَنْ يُجَارُوا مِنَ النَّارِ: ﴿ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿31﴾ ﴾[5] ﴿ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا ﴾[6][7].

قُلْتُ: مَنْ أُجِيرَ مِنَ النَّارِ مِنَ الْمُكَلَّفِينَ فمَا لَهُ دَارٌ إِلَّا الْجَنَّةُ، ومَن اخْتُصَّ مِنَ الْجِنِّ عَلَى ذِكْرِ العِقَابِ فَقَطْ فَمُرَادُهُ ذَلِكَ، أَوْ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى الثَّوَابِ.

ورَوَى ابن مردويه وأَبُو الشَّيْخ وابْنُ أَبِي الدُّنْيَا والحاكم التّرمذي، والدّيلمي بإِسْنَادٍ فِيهِ ضُعْفٌ عنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنْهُ ﷺ: ((**الجِنُّ ثَلَاثَةُ أصْنَافٍ؛ صِنْفٌ حَيَّاتٌ وَعَقَارِبُ، وَخَشَاشُ الْأَرْضِ؛ وَصِنْفٌ كَالرِّيحِ فِي الْهَوَاءِ؛ وَصِنْفٌ عَلَيْهِمُ الْحِسَابُ وَالْعِقَابُ**))[8].

وقَدْ أَجْمَعَ الْمُفَسِّرُونَ علَى دُخُولِ الْجِنِّ في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿1﴾ ﴾[9] إِلَّا شاذًّا قَالَ: لَا يَدْخُلونَ فِيهِ[10]، ولَا دَلِيلَ علَى خُرُوجِهِمْ.

---

(1) سورة الرحمن: 13.

(2)سورة الرحمن: 46.

(3) سورة الأنعام: 132.

(4) سورة الأنعام: 130.

(5) سورة الأحقاف: 31.

(6) سورة الجن: 13.

(7) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 239/7.

(8) العظمة، أبو الشيخ، 1639/5، والهواتف، ابن أبِي الدنيا، ص99.

(9) سورة الفرقان: 1.

(10) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 239/7.

وقَدْ قِيلَ: لَا تَدْخُلُ المَلَائِكَةُ، وهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ؛ إنَّهُ ﷺ غَيْرُ مُرْسَلٍ إِلَى الْمَلَائِكَةِ، فتَضْعُفُ دَلَالَةُ الْعَامِّ علَى أَفْرَادِهِ؛ لاحْتِمَالِهِ التَّخْصِيصَ زِيَادَةً علَى مَا خُصَّ بِهِ، فَحَيْثُ ثَبَتَ اسْتِثْنَاءُ الْمَلَائِكَةِ منَ الْعَالَمِينَ جازَ اسْتِثْنَاءُ الْجِنِّ أَيْضًا(1).

الْجَوَابُ: إنَّ العَامَّ الْمَخْصُوصَ حُجَّةٌ عِنْدَ جُمْهورِ الْعُلَمَاءِ وَالأُصُولِيِّينَ مُطْلَقًا؛ لاسْتِدْلَالِ الصَّحابَةِ بِهِ مِن غَيْرِ نَكِيرٍ، وقِيلَ: إنْ خُصَّ بِمُعَيَّنٍ لَا مُبْهَمٍ كَ: اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَّا بَعْضَهُمْ، وقِيلَ: إنْ خُصَّ بِمُتَّصِلٍ كَالصِّفَةِ، ومَحَلُّ الْخِلافِ أنْ يُقَالَ حَقِيقَةٌ، وإِلَّا احْتُجَّ بِهِ جَزْمًا، وَلَوْ بَطُلَ الاسْتِدْلَالُ بِالْمَعْمُومَاتِ الْمَخْصُوصَةِ لَبَطُلَ الاسْتِدْلالُ بِأَكْثَرِ الْأَدِلَّةِ؛ لِكَوْنِها مَخْصُوصَةً، وهُوَ خِلَافُ عمَلِ الصَّحَابَةِ والْأَئِمَّةِ بَعْدَهُمْ، وقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾(2) فَأَمْرُ بَعْضِهِم بَعْضًا بِإِجَابَتِهِ دَلِيلٌ علَى أَنَّهُ دَاعٍ لَهُم، وهُو مَعْنَى بِعْثَتِهِ لَهُمْ. وقَالَ تعَالَى:﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ [205ظ]وَمَنۢ بَلَغَ﴾(3) والْجِنُّ بَلَغَهُم الْقُرآنُ، وقَالَ: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ۝31﴾(4) وهُمَا الْإِنْسُ والْجِنّ، وقَالَ: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝46﴾(5) وقَدْ قِيلَ: مِنَ الْجِنِّ مُقَرَّبونَ وأَبْرَارٌ كالْإِنْسِ، وقَالَ ﷺ: ((**أُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً**))(6) فَشَمِلَ الْجِنَّ والْمَلَائِكَةَ، وحَمْلُهُ علَى الْإِنْسِ خَاصَّةً تَخْصِيصٌ بِلَا مُخَصِّصٍ، وهُوَ لَا يَجُوزُ، والْكَلَامُ فِيهِ مِثْلُهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى﴿لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝1﴾(7).

(1) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 240/7.
(2) سورة الأحقاف: 31.
(3) سورة الأنعام: 19.
(4) سورة الرحمن: 31.
(5) سورة الرحمن: 46.
(6) صحيح مسلم، حدِيث (523).
(7) سورة الفرقان: 1.

وأَمَّا قوْلُهُ تعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾[1] وقولُهُ تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾[2] فالنَّاسُ فِيهِمَا لَقَبٌ، ولَا مَفْهُومَ لِلَّقَبِ خِلَافًا لِلدَّقَّاقِ[3] كالصَّيرفِيّ[4]وابن خُويز منداد[5] فلَيْسَ لَفْظُ النَّاسِ احْتِرازًا عَن الْجِنّ، فحَاصِلُهُمَا أَنَّ الْجِنَّ لَمْ يُذْكَرُوا فِيهِمَا، وعَدَمُ ذِكْرِ الشَّيْءِ لَا يَدُلُّ علَى نَفْيِهِ، واللَّقَبُ هُنَا الْأَسْمَاءُ الْجَامِدَةُ كَ: زَيد وجَبَل، و.....[6]، واسْمُ الْمَكَانِ والزَّمَانِ والآلة والْأَفْعَال، ولَا يذكر بَعْضٌ، والصَّوابُ ذِكرُها؛ فإنَّكَ إِذَا قُلْتَ: أَكَلَ زَيْدٌ، لَمْ يُفِدْ أَنَّهُ لَمْ يَشْرَبْ، أَوْ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ إِلَّا الْأَكْلَ[7].

وقِيلَ: النَّاسُ يَشْملُ الْجِنَّ، والْجُمْهُورُ علَى أَنَّهُ لَا يَشْملُهُمْ، وهُوَ قَوْلُ الْبَصْرِيِّينَ بِنَاءً علَى أَنَّهُ مِنَ الأُنْسِ، بِضَمِّ الْهَمْزَةِ ضِدُّ الْوَحْشَةِ، وعَلَى أَنَّهُ يَشْمُلُ الْجِنَّ هُوَ مِنَ النَّوْس وهُوَ الْحَرَكَةُ، وهُوَ قَوْلُ الكوفيّين، ولَا يَخْفَى أَنَّهُ لَا نَأْنَسُ بِالْجِنِّ وأَنَّهُ قَلَّ إِطْلَاقُ النَّاسِ عَلَى الْجِنّ، وَلَوْ قُلْنَا مِن النَّوسِ فَلَا دَلِيلَ فِي الْآيَةِ عَلَى شُمُولِ الْجِنّ[8].

وقَالَ الضَّحَّاكُ: رُسُلُ الْجِنِّ مِنْهُمْ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾[9][10].

---

(1) سورة الأعراف: 158.

(2) سورة سبأ: 28.

(3) أبو علي الحسن بن عليّ النيسابورِي: شيخ الصوفِيَّةِ وشَيْخُ أبِي القاسِم القشيرِي، ت:405هـ، تعلم العربية وعلم الأصولِ، وخرج إلى مروَ وتفقَّهَ بها، وصحِبَ أبا القاسِم النصراباذِي. طبقات الشافعية، السبكِي، 329/4.

(4) الصيرفِي: أبو بكر محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ، تفقَّه على ابن سُرَيْج، من تصانِيفِهِ: شرح الرِّسالة (للشَّافعِي) ت:330هـ. طبقات الشافعية، السبكِي، 186/3.

(5) ابن خُوَيزِ مَنْدَاد: محمَّد بن أحمَد المالِكِي صاحِب أبِي بكْر الأبهَرِي، من كبار المالكيَّة العِراقِيِّينَ صنَّفَ كتابا كبِيراً في الخِلافِ وآخر في الأصولِ، وله اختيارات في الفِقْهِ خالَفَ فِيها المذاهِبَ، ت:390هـ. الديباج، ابن فرحون، 229/2، والوافِي، الصَّفدِي، 39/2، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 75/3.

(6) كلمة لم أفهم معناها بصورة: قعود.

(7) شرح المواهب، الزُّرقاني، 242/7.

(8) شرح المواهب، الزُّرقاني، 243/7.

(9) سورة الأنعام: 130.

(10) شرح المواهب، الزُّرقاني، 243/7.

الْجَوَابُ: إِنَّ رُسُلَ الْجِنِّ مَنْ يَأْتِيهِم مِنْهُمْ بالْعِلْمِ مِنْ عُلَمَاءِ النَّاسِ وأَنْبِئَائِهِم، كَمَا قَالَ عن الْجِنِّ: ﴿وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿29﴾﴾[1] وَ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا﴾[2] إلخ. أَو الْمُرَادُ الْكُلُّ الْمَجْمُوعِي.

ومَا قِيلَ مِنْ أَنَّ رُسُلَ الْجِنِّ رُسُلُ الإِنْسِ لَجَازَ عَكْسُهُ، لَا يَتِمُّ؛ لِأَنَّ ثُبُوتَ الرُّسُلِ مِنَ الْإِنْسِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، ولَمْ يُتَّفَقْ عَلَى ثُبُوتِ الرُّسُلِ مِنَ الْجِنِّ.

وقِيلَ: رُسُلُ الجِنِّ رُسُلٌ مِن الجِنِّ، يُرْسِلُهُم الْأَنْبِئَاءُ إِلَى سائِرِهِمْ، ونُقِلَ هَذَا عَن ابْنِ عَبَّاس والضَّحَّاك. ونَقَلَ بَعْضٌ عَنْهُ مُوَافَقَةَ الْجُمْهُورِ. وقِيلَ: بَعَثَ اللهُ رَسُولًا واحِدًا مِن الجِنِّ اسْمُهُ يوسُف.

وعَن ابْنِ عَبَّاس أَنَّهُ الْمُرَادُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ﴾[3]. واحْتَجَّ ابْنُ حَزْمٍ بِأَنَّ رُسُلَ الْجِنِّ مِنَ الْجِنِّ، بِمَا ثَبَتَ مِنْ أَنَّهُ مَا بُعِثَ نَبِيءٌ إِلَّا مِنْ قَوْمِهِ، ولَيْسَ الْجِنُّ مِنْ قَوْمِ الْإِنْسِ[4]. وأُجِيبَ بأَنَّهُ لَا نُسَلِّمُ هَذَا الْحَصْرَ، وإِنَّمَا الثَّابِتُ الْقَطْعِيّ أَنَّهُ لَا يُرْسَلُ إِلَّا بلِسَانِ قَوْمِهِ.

وذَكَرَ الْبَيْهَقِيّ والحَاكِمُ عن ابْنِ عبَّاس فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾[5] أَنَّهُ قَالَ: **((سَبْع أَرْضِينَ فِي كُلِّ أَرْضٍ آدمُ[6] كآدَمِكُمْ ونُوح كَنُوحِكُمْ وإِبْرَاهِيم كإِبْرَاهِيمِكُمْ وعِيسَى كَعِيسَاكُمْ، ونَبِيءٌ كنبِيئِكمْ))**[7]. قالَ الْبَيْهَقِي: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، لَكِنَّهُ شَاذٌّ[8]. قُلْتُ: لَا أَظُنُّهُ يَصِحُّ، ولَعَلَّهُ مِنَ الإِسْرَائِيلِيَّاتِ.

قِيلَ: وعَلَى تَقْدِيرِ ثُبُوتِهِ يَكُونُ أَنَّ ثَمَّ مَنْ يُقْتدَى بهِ، مُسَمَّىً بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ، وهُم الرُّسُلُ الْمُبَلِّغونَ الْجِنَّ عَنْ أَنبِئَاء اللهِ، سُمِّيَ كُلُّ وَاحِدٍ بِاسْمِ النَّبِيءِ الذِي يُبَلِّغُ عَنْهُ[9].

---

(1) سورة الأحقاف: 29.

(2) سورة الأحقاف: 30.

(3) سورة غافر: 34.

(4) شرح المواهب، الزُّرقاني، 7/244-245.

(5) سورة الطلاق: 12.

(6) في الأصلِ: أرض، والتصحيح من شرح المواهِب.

(7) المستدرك، الحاكِم، حدِيث (3822).

(8) الأسماء والصفات، البيهقِي، حدِيث (832).

(9) شرح المواهب، الزُّرقاني، 7/245.

قالَ بَعْضُهُم: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مُرْسَلٌ إِلَى الملائكةِ[1] أَيْضًا، ورَجَّحَهُ السُّبكِيّ والبارزِي[2] وابن حزم والسّيُوطِي[3]؛ لِأَنَّهُمْ مُكَلَّفُونَ بِالطَّاعَاتِ الْعَمَلِيَّةِ كما قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَّا يَعْصُونَ [206و] ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾[4][5].

وقَالَ: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾[6] والعَالَمُونَ يَشْمَلُ الْمَلَائِكَةَ، أُرْسِلَ إِلَيْهِم بِمَا يَلِيقُ بِهِمْ مِن اللهِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنَ الْإِنْذَارِ والْإِرْسَالِ إِلَيْهِم أَنْ يَكُونَ بِالشَّرِيعةِ كُلِّها، ويَدُلُّ علَى شُمُولِ الْمَلَائِكَة قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ﴾[7].

وتَحْقِيقُ الْمَقَامِ أَنَّ الرِّسَالَةَ إِلَى كُلٍّ بِمَا يُؤْمَرُ بِهِ مِن قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ؛ فالْمَلَائِكَةُ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا يَكُونُ مِنْهُمْ بوَاسِطَتِهِ، كصَلاتِهِمْ خَلْفَهُ لَيْلَة الإِسْرَاءِ بِهِ، والْإِيمَانِ بِهِ مَخْصُوصًا، كُلُّهُمْ يَجِبُ الإِيمَانُ بِهِ عَلَيْهِمْ.

والْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّ الْعَالَمِينَ فِي الْآيَة الإِنْسُ والْجِنُّ خَاصَّةً[8]، ولَا أَظُنُّ عالِمًا يَقُولُ: كُلِّفوا بِكِلِّ مَا كُلِّفْنَا بِهِ. وهَل الْمَلَائِكَةُ دَاخِلُونَ فِي الصَّحابَةِ، قِيلَ: نَعَمْ، عَلَى أَنَّهُ ﷺ مُرْسَلٌ إِلَيْهِمْ.

ونَقَلَ مَنْ نَقَلَ الْإِجْمَاعَ علَى أَنَّهُ غَيْرُ مُرْسَلٍ إِلَيْهِمْ[9]. أَرَادَ أَنَّهُمْ غَيْرُ مُكَلَّفِينَ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، ونَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا نَخْتَصُّ بِهِ عَنْهُمْ. ولَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

---

(1) في الأصلِ: الجنِّ، والتصحيح من السياق ومن شرح المواهِبِ.

(2) هبة الله بن عبد الرَّحيم بن إِبْرَاهِيم بن هبة الله، ابْن الْبَارِزِيّ، سبقت ترجمته.

(3) تزيين الأرائِك، السيوطِي، ص107.

(4) سورة التحريم: 6.

(5) شرح المواهب، الزُّرقاني، 245/7.

(6) سورة الفرقان: 1.

(7) سورة الأنبياء: 29.

(8) شرح المواهب، الزُّرقاني، 247/7.

(9) تزيين الأرائِك، السيوطِي، ص107، ذكر أن البرهان النسفِي والفخر الرازِي نقلا في تفسيريهِما الإجمَاعَ عليهِ.

الفَصْلُ الثَّانِي: [الإِسْرَاءُ بِهِ ﷺ]

الإِسْرَاءُ وَاحِدٌ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، وهُوَ فِي الْيَقَظَةِ إِلَى الْمسجد الأقصى فقَطْ، وقِيلَ إِلَى الْعَرْشِ نَوْمًا، وقِيلَ إِسْرَاآنِ، وَاحِدٌ يَقَظَةً والآخَرُ مَنَامًا، كُلٌّ مِنْهُمَا فِي لَيْلَةٍ، مَرَّةً بِرُوحِهِ وبَدَنِهِ يقَظَةً، ومَرَّةً مَنَامًا، ولَيْلَةُ الْيَقَظَةِ غَيْرُ لَيْلَةِ الْمَنَامِ، وقِيلَ: يَقَظَةً بِرُوحِهِ وجَسَدِهِ مِنَ الْمسجد الحرام إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى، ثُمَّ مَنَامًا مِن الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى إِلَى الْعَرْشِ، والإِسْرَاءُ يَقَظَةً والْمِعْرَاجُ مَنَامًا.

واحْتَجَّ مَنْ قَالَ بِأَنَّ الرُّؤْيَا رُؤيَا مَنَامٍ، مَعَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى أَنَّ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ حَقٌّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾[1] لِأَنَّ النَّظَرَ في اليَقَظَةِ رُؤيَةٌ لا رُؤْيَا، وقَدْ أَنْكَرَ ابن مالك والحريريّ[2] وغَيْرُهُمَا[3] عَلَى المتنبي قَوْلَهُ:

ورُؤْيَـاكَ أَحْلَى فِي الْعُيُونِ مِنَ الغَضِّ[4][5]

وقالُوا: الصَّوابُ رُؤْيَتُكَ؛ لِأَنَّها بَصَرِيَّةٌ لَا حُلمِيَّةٌ[6].

ويُجَابُ بِأَنَّ الْمُعْجِزَةَ، بل الآيَة، تَتَحَصَّلُ بِالْجَسَدِ لَا بِالْمَنَامِ، فنَحْتَاجُ لِتَأْوِيلِ الرُّؤْيَا بِالرُّؤيَةِ، فنَقُولُ: شَبَّهَ الرُّؤْيَةَ بالرُّؤْيَا لِوُقُوعِهَا لَيْلًا مَعَ سُرْعَةِ تَقَضِّيهَا، كَأَنَّهُ مَنَامٌ، فَهُوَ مَجَازٌ عَلَاقَتُهُ الْمُشَابَهَةُ. وأيْضًا يُسْتَعْمَلُ كُلٌّ مِن الرُّؤْيَا والرُّؤْيَةِ فِيمَا يُسْتَعْمَل الآخَرُ، كقُرْبَى وقُرْبَة، قَالَ ابْنُ دِحْيَةَ: قَالَ أَهْل اللّغة: رَأَيْتُ رُؤْيَةً ورُؤْيَا، مِثْلَ قُرْبَةٍ وقُرْبَا[7].

---

(1) سورة الإسراء:60.

(2) القاسم بن علي بن محمد بن عثمان بن الحريري، صاحب المقامات.

(3) ينظر: أوضح المسالك، ابن هشام، 50/2.

(4) في الديوان والمواهب: الغمضِ.

(5) عجُزُ بيت من الطوِيل، صدره: مضى الليلُ والفضلُ الذِي لك لا يمضِي
الديوان، المتنبِي، ص157.

(6) المواهب اللدنية، القسطلاني، 8/3.

(7) شرح المواهب، الزُّرقاني، 4/8-5.

قالَ ابْنُ عَبَّاس فِي تَفْسِير الآيَة كمَا عِنْدَ الْبُخَارِي: هِيَ رُؤْيَةُ عَيْنٍ أُرِيَها رَسُولُ اللهِ ﷺ ليلَةَ أُسْرِيَ بِهِ[1].

زَادَ سَعِيدُ بنُ مَنْصُور عَنْ سفْيان بنِ عُيينة عَنْ عَمْرو بن دينار عَنْ عِكْرِمَةَ عَن ابنِ عَبَّاس فِي آخِرِ الْحَدِيثِ: ولَيْسَ رُؤْيَا مَنَامٍ[2]. والرُّؤْيَا تَخْتَصُّ بِالنَّوْمِ، ولَوْ كَانَ نَوْمًا لَمْ يُكَذِّبْهُ الْكُفَّارُ، فالرُّؤْيَا بِمَعنَى رُؤْيَةِ اليَقَظَةِ.

وذَكَرَ ابْنُ حَجَر أَنَّهُ تَمَسَّكَ بِكَلامِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَنْ قَالَ الْإِسْرَاءُ مَنَامٌ، ومَنْ قَالَ يَقَظَةً؛ فالْأَوَّلُ أَخَذَهُ مِنْ لَفْظِ الرُّؤْيَا لاخْتِصاصِهَا بِرُؤْيَا الْمَنَامِ، والثَّانِي مِنْ قَوْلِهِ:" أُرِيَهَا لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ" [206ظ] إِذْ لَوْ كَانَ مَنَامًا مَا كَذَّبهُ الْكُفَّارُ، ولَا فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْهُ، وإِذَا كَانَ يَقَظَةً والْمِعْرَاجُ تِلْكَ اللَّيْلَة تَعَيَّنَ كَوْنُهُ يَقَظَةً أَيْضًا؛ إِذْ لَمْ يُنْقَلْ أَنَّهُ نَامَ حِينَ وَصَلَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ثُمَّ عُرِجَ بِهِ وهُو نَائِمٌ، أَوْ رَأَى فِي مَنَامِهِ. وأَثْبَتَ اللهُ في القرآنِ رُؤيَة الْقَلْبِ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿11﴾﴾[3] ورُؤيَةَ الْعَيْنِ: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿17﴾﴾[4][5].

وعِنْدَ سعِيد بنِ مَنْصُور مِنْ طَرِيقِ أَبِي مَالِك: هُوَ مَا رَأَى فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْمَدِينةِ، فهَذَا صَرِيحٌ مِن الصَّحابِي أَبِي مَالِك كَابْنِ عَبَّاس أَنَّ الرُّؤيا تُطْلَقُ علَى رُؤْيَةِ اليَقَظَةِ[6].

وفِي كلَامِ الأشموني إِفَادَةُ أنَّ مَصْدَرَ "رَأَى" الْحُلمِيَّةِ والبَصَرِيَّة والْعِلْمِيَّةِ بِالدَّلِيلِ أَو السَّمعِ يَجِيءُ بالْأَلِفِ فِي لُغَةٍ، والْمَشْهُورُ كَوْنُها مَصْدَرًا لِلْحُلمِيَّةِ[7].

وقِيلَ: الرُّؤيا فِي هَذِهِ الآيَة هِيَ رُؤيَا عَامِ الْحُدَيْبِيَّةِ، حِينَ رَأَى أَنَّهُ دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ[8].

---

(1) صحيح البخارِي، حدِيث (3888).

(2) شرح المواهب، الزُّرقاني، 5/8، وفتح البارِي، ابن حجر، 398/8.

(3) سورة النجم: 11.

(4) سورة النجم: 17.

(5) فتح البارِي، ابن حجر، 398/8.

(6) فتح البارِي، ابن حجر، 398/8، وفيه: "ما أرِيَ في طريقه إلى بيتِ المقدِسِ".

(7) شرح المواهب، الزُّرقاني، 6/8، وفيه: مصدر رأي: حلمية أو بصرية.

(8) (م، س)، 6/8.

وهُوَ مُمْكِنٌ، ولَكِنَّ تَفْسِيرَ ابْنِ عَبَّاسٍ بِرُؤيَا لَيْلَةِ الإِسْرَاءِ أَوْلَى، وَهُوَ تُرْجُمَانُ الْقُرْآنِ، ووَجْهُ جَعْلِها فِتْنَةً لِلنَّاسِ أَنَّ الْكُفَّارَ كَذَّبُوهُ ﷺ أَنْ يَصِلَ الشَّامَ والسَّماواتِ وأَعْلَى فِي لَيْلَةٍ.

ووَجْهُ بُعْدِ رُؤْيَا الْحُدَيْبِيَّةِ أَنَّهُ رَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ هُوَ والمؤْمِنُونَ آمِنينَ مُحَلِّقِينَ ومُقَصِّرِينَ، ولمَّا سَافَرُوا عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وصَدَّهُ الْمُشْرِكُونَ عَنْ دُخُولِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، افْتَتَنَ الْمُنَافِقُونَ ومَنْ ضَعُفَ إِيمَانُهُ، وقِيلَ: رُؤْيَا وَقْعَةِ بَدْرٍ.

وسَأَلَ ابن النّقيب الحنفيّ[1] شَيْخَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ أحْمَد الْقُرْطُبِي[2] الْأَنْصَارِيّ الْمَالِكِيّ، فقَالَ: صَحِيحٌ أَنَّهَا رُؤْيَةُ عَيْنٍ، أَرَاهُ جِبْرِيلُ مَصَارِعَ الْقَوْمِ بِبَدْرٍ، فأَرَى النَّبِيءُ ﷺ أصْحَابَهُ مَصَارِعَ الْمُشْرِكِينَ، فَتَسَامَعَتْ قُرَيْشٌ فاسْتَهْزَؤوا، وكَانَ كما قَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ[3].

ورَوَى ابْنُ مردويه عَن ابْنِ عَبَّاس أَنَّ الْمُرَادَ رُؤْيَا الْحُدَيْبِيّةِ، وعَن الحسن بن عليّ عَنْهُ ﷺ: ((**إِنِّي رأَيْتُ كَأَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ يتعَاوَرُونَ مِنْبَرِي هَذَا، فَقِيلَ: دُنْيَا تَنَالُهُمْ، فَنَزَلَتْ الْآيَةُ**)). وفِي سَنَدِهِمَا ضعْفٌ[4].

ورَوَى ابْنُ إِسْحَاق: حَدَّثنِي بَعْضُ آل أبي بَكر أَنَّ عائِشَةَ كَانَتْ تقُولُ: ((**ما فُقِدَ جَسَدُهُ الشَّرِيف، لَكِنْ أُسْرِيَ بِرُوحِهِ**))[5].

وفِي "الشِّفاءِ": ((ما فَقَدْتُ جسَدَهُ)) بتَاءِ الْمُتَكَلِّمِ، فالْإِسْرَاءُ فِي لَيْلَتِهَا، ولَمْ تَفقِدْ جَسَدَهُ، أيْ: فهُوَ بالرُّوحِ في النَّومِ. وذَكَرَ فِيهِ أَيْضًا روَايَةً أُخْرَى عَنْ عائِشَةَ: ((مَا فَقَدَ جَسَدَهُ))[6]، وظَاهِرُهُ أَنَّه لَمْ

(1) جمال الدين محمد بن سليمان البلخِي، سمع يوسف المخلِي، ت:698هـ، دخل القاهرة ودرّس بالعاشوريّة، كان صالِحا زاهِداً، متواضِعا، صرف همَّتَهُ إلى التفسِيرِ، وصنَّفَ فِيهِ كتابا حافِلاً. تاريخ الإسلام، الذَّهبِي، 881/15.

(2) أَحْمَد بن عُمَر بن إِبْرَاهِيم بن عُمَر، القُرْطبي، المالكي، الفقيه، المحدث، ت: 656هـ، نزيل الإسكندرية، شرح " مختصر مسلم " بكتاب سمّاه: المُفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم.

(3) شرح المواهب، الزُّرقاني، 7/8.

(4) فتح الباري، ابن حجر، 398/8، وشرح المواهب، الزُّرقاني، 7/8.

(5) سيرة ابن هشام، 399/1.

(6) الشفا، القاضِي عياض، ص235.

تَقُلْ ذَلِكَ عنْ مُشَاهَدَة، ولَكِنْ رِوَايَةُ: ((مَا فَقَدْتُ جسَدَهُ)) بتَاءِ المُتَكلِّمِ تُفَسِّرُهُ، ولَيْسَ رِوَايَةُ التَّاءِ بِشَيْءٍ لأَنَّهُ مَا دَخَلَ علَيْها إِلَّا فِي الْمَدِينَةِ، والإِسْرَاءُ بِمَكَّةَ قَبْلَ الْعَقْدِ علَيْها. وأَظُنُّه حَدِيثًا مَوْضُوعًا.

قِيلَ: الذِي يَدُلُّ علَيْهِ صَحِيح قَوْلها: إِنَّه بِجَسَدِهِ الشَّرِيف، قالَ بَعْضُ الْمَالِكِيّة لإِنْكَارِها رُؤيَةَ رَبِّهِ، ولَوْ كانتْ عِنْدَهَا مَنَامًا لَمْ تُنْكِرْهُ[1]، فذَلِكَ حدِيثٌ مَوْضُوعٌ، مَعَ ما فِيهِ أَيْضًا مِنْ رَاوٍ مَجْهُولٍ وانْقِطَاعٍ. [207و] وفِي سَنَةِ الْهِجرةِ كانَتْ بِنْتَ ثَمَانِ سنِينَ، ولمْ تَكُنْ سِنَّ مَن يَضْبِطُ، أو لَمْ تَكُنْ وُلِدَتْ، علَى الخِلَافِ في الإِسْراءِ مَتى كانَ، فعَلَى أَنَّهُ كانَ بَعْدَ الْمَبعَثِ بعَامٍ لَمْ تَكنْ وُلِدَتْ، وعلَى أَنَّهُ قَبْلَ الهِجْرَةِ بعَامٍ تكُونُ ابنَةَ سَبْعٍ، وعلَى أَنَّهَا قَبْله بأَكْثَرَ تكُونُ أصْغَرَ مِنْ سَبعٍ[2].

قال عِياضٌ: وإِذَا لَمْ تشاهِدْ ذَلكَ عائِشَةُ دَلَّ على أَنَّها حدَّثَتْ بذلِكَ عنْ غَيْرِها، فلَا يرجحُ خَبرُها على خَبَرِ غيْرِهَا[3]، بَلْ يترَجَّحُ خبَرُ غَيْرِها لأَدِلَّتِهِ وصِغَرِهَا، وظُهُورِ أمارَة أَنَّهُ مَوْضوعٌ عَلَيْها، وضُعْفِ السَّنَدِ فِي ذَلِكَ عنْها وجهَالَةِ رَاوٍ[4].

وأَثْبَتَ التَّفتَازَانِي أَنَّهُ مَا فقدَ جَسَدهُ عَن الرُّوحِ، بَلْ كَانَ معَ رُوحِهِ، وكانَ الْمِعْرَاجُ لِلْجَسَدِ والرُّوحِ جَمِيعًا[5].

واحْتَجَّ القَائِلُونَ بِأَنَّهُ بالْجَسَدِ يَقَظَةً إِلَى بَيْتِ المقْدِسِ وإِلَى السَّماءِ بالرُّوحِ بقَوْلِهِ تعَالَى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾[6] فجعَلَ الْمَسجِدَ الْأَقْصَى غايَةَ الإِسْراءِ الذِي وقَعَ التَّعجُّبُ بهِ تَعَجُّب استِحَالَةٍ مِن الكفَّارِ، وتَعَجُّبَ تعْظِيمٍ، والتَّمَدُّح بتَشْرِيف النَّبِيءِ ﷺ وإِظْهار الكَرَامةِ لهُ بالْإِسراءِ، ولَوْ كانَ الإِسْرَاءُ بِجَسَدِهِ إِلَى زَائدٍ عنِ الْمَسْجِدِ الأَقْصَى لذَكَرَهُ، فيَكُونُ أَبلَغَ في الْمَدْحِ[7].

---

(1) الشفا، القاضِي عياض، ص235.

(2) شرح المواهب، الزُّرقاني، 7/8-8.

(3) الشفا، عياض، ص235.

(4) شرح المواهب، الزُّرقاني، 8/8.

(5) المواهب اللدنية، القسطَلاني، 9/3.

(6) سورة الإسراء: 1.

(7) المواهب، القسطلاني، 9/3، وشرح المواهب، الزُّرقاني، 8/8.

ولَوْ كانَ المِعراجُ بِجَسَدِهِ لذَكَرَهُ؛ لأَنَّهُ أَغْرَبُ مِن الإِسْراءِ إِلَى بَيْتِ المقدِسِ، وأُجِيبَ بأَنَّهُ ذَكَرَ المسجِدَ الأَقْصَى فقَطْ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الذِي سأَلُوهُ عنْهُ لِمَعْرِفَتِهِم بِهِ، فأَجَابَهُم كما عَرَفُوهُ، فقَامَت الْحُجَّةُ بِخلافِ السَّماوات فلا عَهْدَ لهُم بِهَا.

وأَجَابَ الأَئِمَّةُ عنْ ذَلِكَ بأَنَّهُ استدْرَجَهُم إلى الإيمانِ بِذِكرِ ما تَظْهرُ لهُم بِهِ أَمَارَةُ صِدقِهِ فيأْنَسوا بِهِ، ثمَّ أَخْبَرَهُم بِمَا هُوَ أَعْظَمُ، وهُوَ الْمِعْرَاجُ[1].

ويَدلُّ على أنَّ المعراجَ عَقِبَ الإسراءِ، في ليْلَة وَاحِدَةٍ، ما رَوَاهُ ثابِت عن أَنَس عنْدَ مسلِم: ((**أُتِيتُ بالبُراقِ فرَكِبْتُ حتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ المقدِسِ**)) فذَكَرَ القِصَّةَ إلى أن قال: ((**ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّماءِ الدُّنْيَا**))[2].

وحدِيثُ ابنِ إسحاق عنْ أَبِي سَعِيد[3]: ((**فلَمَّا فَرَغَ مِمَّا كانَ فِي بَيْتِ المقْدِسِ أُتِيَ بِالْمِعْرَاجِ**))[4].

وقال النَّوَوِيّ: كان الإِسْراءُ بِهِ ﷺ مَرَّتَيْنِ، مرَّةً في الْمَنَامِ، ومَرَّةً في الْيَقَظَةِ[5].

وإِلَيْهِ ذهَبَ المهلَّب[6] شارِح البُخَارِي، وحكاهُ عنْ طَائِفَةٍ[7]، والقشيرِي[8] وأبو سعد[9] قال: كَانَ لِلنَّبِيءِ ﷺ معَارِيجُ منْهَا ما كَانَ فِي الْيَقَظَةِ، ومِنْهَا ما كَانَ فِي الْمَنَامِ[10].

---

(1) شرح المواهب، الزُّرقاني، 9/8.

(2) صحيح مسلم، حدِيث (259).

(3) الخدرِي.

(4) تهذِيب الآثار، الطبرِي، حدِيث (726)، وسيرة ابن هشام، 403/1.

(5) فتاوى النووي، ص36.

(6) المهلَّب بن أحمد بن أبِي صفرة أسيد بن عبد الله، الأندلسِي، ولي قضاءَ ألمرِيَّة، ت:435هـ. له شرح على صحيح البخارِي مطبوع بعنوان: اختصار صحيح البخاري المسمى: المختصر النصيح في تهذيب الكتاب الجامع الصحيح. سير أعلام النّبلاء، 579/17.

(7) لم أقف عليهِ فِي كتاب المهلّب المطبوع بِعنوان: اختصار صحيح البخاري المسمى: المختصر النصيح في تهذيب الكتاب الجامع الصحيح. إذ ذكر البخارِي الحدِيث في كتاب التّفسِير، وقد غابَ في شرحِ المهلَّب تفسِير الآية من سورة الإسراء.

(8) أبو نصر بن القشيرِي: عبد الرحيم بن الإمام، شيخ الصوفِيَّة، أبِي القاسِم القشيرِي، هو الولد الرابع من أولاد الإمامِ، اعتنَى به أبوه حتَّى برعَ فِي العربِيَّة والنَّظْمِ والنَّثْرِ والتَّأوِيلِ، وَكان أحدَ الأذْكِياء، ت:514هـ. سير أعلام النبلاء، الذَّهبِي، 424/19.

(9) عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي (سكة بنيسابور) أبو سعد، سمع بدمشق ومكة وبغداد، له تفسِير كبِير، وكتاب دلائل النبوة، حدَّث عنهُ أبو القاسم التنوخِي وأبو القاسم القُشَيرِي وأبو بكر البيهقِي، ت:407هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 256/17.

(10) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 9/8، وشرف المصطفَى، أبو سَعد، 139/2، نسخة الكترونية لم أقف عليهِ مطبوعا.

وذَكَرَ السُّهيْلِيّ عن شَيْخِهِ ابْنِ العَرَبِي تصْحِيح أنَّ الإِسْرَاءَ مَرَّتينِ، مَرَّةً بجَسَدِهِ ومَرَّةً برُوحِهِ، وذَكَرَ أنَّ مَرَّةَ النَّومِ تَوْطِئَةٌ لِمَرَّةِ اليَقَظَةِ، كتوْطِئَةِ الْوَحْيِ بِالرُّؤْيَا الصَّالِحَةِ[1].

فقَدْ أَجَازَ بَعْضُ قَائِلِي ذَلِكَ أن يَكُونَ الإِسْرَاءُ بِالرُّوحِ قَبْلَ الْبِعثَةِ.

واحْتَجَّ القائِلُونَ [207ظ] أنَّ الإِسْرَاءَاتِ أَرْبَعَةٌ فِي اليَقَظةِ، كَمَا ذَهَبَ إليْهِ جمَاعَةٌ بِتَعَدُّدِ الرِّواياتِ فِي الإسراءِ واختِلَافِ ما يذكَرُ فِيها، فبعْضُهُم يذْكُرُ شَيْئًا لَمْ يذْكُرْهُ الآخَرُ، وبعضُهُم يُسْقِطُ شَيْئًا ذكَرَهُ الآخَرُ.

ويُبْحَثُ بأَنَّ بعضَ الرُّواةِ قَدْ يَحْذِفُ بعْضَ الْخَبَرِ للْعِلمِ به، أَوْ يَنْسَاهُ أو يَذْكُرُ ما هُوَ الأَهَمُّ عِنْدَهُ، أو يَنْشُطُ تارَةً فيَسُوقهُ كلَّه، وتَارَةً يُحَدِّثُ المخَاطَبَ بما هُو أَنْفَعُ، وذَلِكَ مُمْكِنٌ في الإِسْرارِ الوَاحِدِ، ولَا يَلْزَمُ التَّعدّدُ.

قال ابنُ كَثِير: مَنْ جَعَلَ كُلَّ رِوَايَةٍ خالَفَت الأُخْرَى مَرَّةً على حِدَةٍ، فأَثْبَتَ إسْرَاءَاتٍ متَعَدِّدَةٍ فقَدْ أَبْعدَ وأَغْرَبَ وهَرَبَ إلَى غَيْرِ مَهْرَبٍ، ولَمْ يَحْصُلْ علَى مَطلَبٍ[2]. لأنَّ كُلَّ السِّياقاتِ فيهَا تَعْرِيفٌ بالأَنْبِياءِ، وفِي كُلِّها تُفْرضُ علَيْهِ الصَّلاةُ، فكَيْفَ يُدَّعَى تَعَدُّدُ ذَلِكَ.

ولَمْ يُنْقَلْ ذلكَ عنِ السَّلَفِ، ولَوْ تعدَّدَ هذَا التَّعدُّدُ لَأَخْبَرَ بِهِ النَّبِيءُ ﷺ أُمَّتَهُ، ولَنَقَلَهُ النَّاسُ علَى التَّعدُّدِ[3].

وكَذلِكَ يُنَافِي التَّعدُّدَ سؤالُهُ عنْ كُلِّ نبِيءٍ، وسُؤالُ أهْلِ بابٍ هَلْ بُعِثَ عَلَيْهِ؛ فإنَّهُ لَا تُفْرَضُ عليهِ الصَّلاةُ ثمَّ تُفْرَضُ علَيْهِ، ولا يَسألُ جبرِيلَ مَنْ هَذَا؟ فيَقُولُ جبرِيلُ هوَ فُلَان مِنَ الأَنبِياءِ، ثُمَّ يُعِيدُ السُّؤالَ مَرَّةً أُخْرَى، ولَا يَسْأَلُهُ أَهْلُ كُلِّ بابٍ هلْ بُعِثَ، ثُمَّ يعِيدُونَ السُّؤالَ هلْ بُعِثَ إِلَيْهِ.

(1) الروض الأنف، السهيْلِي، 258/3.
(2) تفسير ابن كثِير، 42/5.
(3) تفسير ابن كثِير، 42/5.

قال ابْنُ الْقيّم: ذَاكَ طَرِيقُ ضُعفاءِ الظَّاهِرِيَّة، كلَّما رَأَوْا تَخَالُفَ الرِّواياتِ عدَّدُوا الْوَقَائِعَ، والصَّوابُ أنَّ الإسراءَ مرَّةٌ واحِدَةٌ بعْدَ البِعْثَةِ، كيْفَ يَصِحُّ أنَّهُ كُلَّ مرَّةٍ تُفْرَض عليْهِ[1] الصَّلَاةُ خمْسِينَ؟، ثُمَّ يتَرَدَّدُ بيْنَ ربِّهِ وموسَى حتَّى تصِيرَ خَمْسًا، يقُولُ: ((**أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي**)) ثُمَّ يُعِيدُها خَمْسِينَ كَذلِكَ ثُمَّ يَرُدُّها إِلَى خَمْسٍ، وهَكَذا[2].

وذَكَرَ بَعْضٌ أَنَّهُ ﷺ وقَعَ لَهُ إسْرَاءٌ بالمدِينةِ بعْدَ الإسْراءِ بِمَكَّةَ.

قال ابنُ حَجَر: إِنَّ الإِسْراءَ الوَاقِعَ بالمَدِينةِ لمْ يقَعْ فِيهِ ما وقَعَ بِمَكَّةَ مِن اسْتِفتَاحِ أَبْوَابِ السَّماءِ بابًا بابًا، ولَا مِنْ لِقَاءِ الأَنْبِئاءِ كُلِّ واحِدٍ في سَمَاءٍ، ولا الْمُرَاجَعَة مع مُوسَى عليه السلام في أمْرِ الصَّلاةِ، ولَا طَلَبِ تَخْفِيفٍ، وإِنَّما تَكَرَّرَتْ قضايَا كَثِيرَةٌ سِوَى ذلكَ، رآها النَّبِيءُ ﷺ فمِنهَا بِمَكَّةَ البعضُ ومِنْهَا بالمدِينةِ بعْدَ الْهِجرةِ، ومُعْظَمُها فِي الْمَنَامِ[3].

وأَثْبَتَ أبو شامةَ تعدُّدَ المِعْراجِ لِمَا أَخْرَجَهُ البَزَّارُ وسعِيد بنُ منْصور عنْ أنَس عنْ رسُولِ اللهِ ﷺ: ((**بَيْنَا أنَا جَالِسٌ إذ جاءَ جبْرِيلُ فوكَزَ بيْنَ كَتِفيَّ، فقُمْنَا إِلَى شَجَرةٍ فِيها مِثْلُ وَكْرَيْ الطَّائِرِ، فقَعَدْتُ فِي أحَدِهِمَا وقَعَدَ جِبْرِيلُ فِي الآخَرِ، فارْتَفَعَتْ حَتَّى سَدَّت** [208و] **الْخَافِقَيْنِ**)) وفِيهِ: ((**ففتحَ لِي بَاب السَّماءِ، فَرَأَيْتُ النُّورَ الْأَعْظَمَ، وإِذَا دُونَهُ حِجَاب رَفْرَف الدُّرِّ واليَاقُوتِ**))[4].

وذَكَرَ الدَّارقطْنِي مَا يقْتَضِي أنَّهُ مُرْسَلٌ، وهِيَ قِصَّةٌ أخْرَى والظَّاهِرُ أنَّها بالمَدِينةِ[5].

ولَا بَأْسَ بِتَعَدُّدِ مِثْلِ هذا، وإِنَّما المُمْتَنِعُ تَعَدُّدُ إِيجابِ الصَّلاةِ وعَدِّها، وتَعَدُّدُ السُّؤالِ والجوابِ عمَّا عَرَفَ فيَتَعَيَّنُ رَدُّ بَعْضِ الرِّواياتِ إلى بَعْضٍ أو التَّرْجِيح، نَعَمْ لَا بَأْسَ بوُقوعِ ذَلِكَ مَنَامًا ثُمَّ يقَظَةً، كمَا مَرَّ تَوْطِئَةً، أو بِالْعَكْسِ فيَكُونُ ينْبَغِي أنَّ الذِي بِالْمَنَامِ في الْمَدِينةِ، والذِي باليَقَظَةِ فِي مَكَّةَ.

---

(1) في الأصلِ: عليهم.

(2) زاد المَعاد، ابن القيم، 38/3.

(3) فتح الباري، ابن حجر، 407/11.

(4) مسند البزار، حدِيث (7389)، وفتح الباري، ابن حجر، 407/11،

(5) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 12/8.

وزَعَمَ بعْضُ العَارِفِينَ أنَّ لهُ ﷺ أَرْبَعَةً وثلاثِينَ مَرَّةً مِنَ الإِسْرَاءَاتِ، واحِدٌ بِجسمهِ والبَاقِي بِرُوحِهِ. والصَّحِيحُ أنَّ الإسراءَ مَرَّةٌ واحِدَةٌ، وأنَّهُ بِجَسَدِهِ وأنَّهُ في اليَقَظَةِ، وهُوَ مَذْهبُ الجُمْهُورِ مِن الْمُحَدِّثِينَ والفُقَهَاءِ والْمُتَكَلِّمِينَ، وتوَارَدَتْ علَيْهِ ظَوَاهِرُ الأَخْبَارِ، ولَا يَنْبَغِي العُدُولُ عنْهُ إذْ لَيْسَ فِي الْعَقْلِ ما يُحِيلُهُ، واللهُ قادِرٌ على ذلِكَ وأَكْثَرَ فِي وَقْتٍ قَلِيلٍ[1]. وأَقَلُّ ما قِيلَ في الْقِلَّةِ أنَّهُ خَرَجَ مِنْ فِرَاشِهِ لِلْإِسْرَاءِ ووَجَدَهُ عِنْدَ رُجوعِهِ حَمِيًّا، وأنَّهُ مَسَّ غُصْنَ شَجَرَةٍ عِنْدَ خُرُوجِهِ فرَجَعَ قَبْلَ سكُونِ تَحَرُّكِها.

وقَوْلُ أَصْحَابِ الهيْئةِ والفلَاسِفَةِ أَنَّ الأَفْلَاكَ لا تَقْبَلُ الْخَرْقَ والِالْتِئَامَ يَرُدُّهُ الْعَقْلُ والنَّقْلُ، لا يَمْنَعُ العَقْلُ خَرْقَ مخْلُوقٍ مِنْ الْأَجْسَامِ ولا الْتِئامَهُ، وجَاءَ الشَّرْعُ بِأَنَّ لِلسَّماواتِ أَبْوَابًا، وَجَاءَ عَرْشُ بلقِيس فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، مَعَ بُعْدِ المَسَافَةِ، ومَا ذَلِكَ عنْدَ اللهِ إِلَّا أَنْ يكُونَ بِقُدْرَتِهِ مَا هنَالِكَ هُنَا. وفِي الْهَنْدَسَةِ بَيْنَ طَرَفَيْ قُرْصِ الشَّمْسِ ضِعفُ ما بَيْنَ طَرَفَيْ كُرَةِ الْأَرْضِ مِئَةً ونَيِّفًا وسِتِّينَ مَرَّةً، ثمَّ إنَّ طَرَفَها الأَسْفَلَ يَصِلُ لِمَوْضِعِ طرَفِها الأعْلَى فِي أَقَلَّ مِنْ دَرَجَةٍ[2].

ويَدُلُّ علَى أَنَّ الإِسْرَاءَ بالجَسَدِ القُرآنُ والسُّنَّةُ، أمَّا القُرْآنُ فقَوْلُهُ تعالَى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾[3] والعَبْدُ الْجَسَدُ والرُّوحُ معًا على الظَّاهِرِ المتَبَادَرِ، ولَمْ يَقُلْ بِرُوحِ عَبْدِهِ، والْحَذْفُ يَحْتَاجُ لِدَلِيلٍ.

كمَا قَالَ: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ ﴾[4] وذلِكَ أنَّ أبا جَهْلٍ لعَنَهُ اللهُ، ينْهَى رَسُولَ اللهِ ﷺ عنِ الصَّلاةِ، ولَيْسَ يَنْهَى روحَهُ إِذْ لَيْسَت الصَّلاةُ بِهِ، بَلْ بِالْجَسَدِ وبِهِ.

وقَوْلهُ تعَالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾[5] والْعَبْدُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ رسُولُ اللهِ ﷺ لا روحُهُ خَاصَّةً، فكَذَا فِي آيَةِ الإِسْرَاءِ.

وأمَّا الْحَدِيثُ فقَوْلُهُ ﷺ: ((**أُسْرِيَ بِي**)) لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي الأَفْعَالِ أَنْ تَكُونَ فِي الْيَقَظَةِ، حتَّى يَدُلَّ دَلِيلٌ شَرْعِيّ أَوْ عَقْلِيّ أو حَالِيّ، فالْحَقُّ أَنَّ الإِسْرَاءَ بالرُّوحِ والجَسَد في القِصَّةِ كُلِّهَا، كما هُوَ الظَّاهِرُ الْمُتَبَادَرُ مِن الآياتِ والْأَحَادِيثِ، ولَا يعْدلُ عنِ الظَّاهِرِ مَعَ إمْكَانِهِ بِلَا ضُعْفٍ إِلَّا بِدَلِيلٍ أو اسْتِحَالَةٍ.

---

(1) شرح المواهب، الزُّرقاني، 13/8.

(2) (م، س)، 13/8.

(3) سورة الإسراء: 1.

(4) سورة العلق:9-10.

(5) سورة الجن: 19.

وقَدْ قالَ اللهُ تعالَى: ﴿ مَازَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿17﴾ ﴾[1]أَيْ: مَا عَدَلَ عَنْ رُؤْيَةِ ما أُمِرَ برُؤْيَتِهِ [208ظ] مِن عجائِبِ الملَكُوتِ.

والبَصَرُ حقِيقَةٌ فِي اليَقَظَة، وما كانَ في النَّومِ لا خَرْقَ فِيهِ لِلْعَادَةِ، وقدْ قَالَ: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿18﴾ ﴾[2]ومَا كَانَ فِي المنامِ لَا يَكُونُ فتْنَةً لِلنَّاسِ الكَفَرَةِ، ولِمَنْ ضَعُفَ إيمانُهُ فارْتَدَّ إِذْ سَمِعَ قِصَّةَ الإِسْراءِ. وقَدْ تَوَاتَرَ خَبَرُ رُكُوبِهِ ﷺ الْبُرَاقَ، والدَّابَّةُ لَا تَحْمِلُ الرُّوحَ بَل الْجَسَد.

وخُصَّ الإِسْرَاءُ باللَّيلِ معَ أَنَّ غالِبَ الفرائِضِ بالنَّهارِ، كالصَّومِ والوُقُوفِ بعَرَفَةَ والظُّهر والعَصْرِ والفجْر، تَمْكِينًا لِلتَّخْصِيصِ بِمَقَامِ الْمَحبَّةِ، واللَّيلُ أَخَصُّ زمانٍ لِلْمُتَحَابِّينَ يَجْمَعُهُمَا، والخلْوَةُ بالحَبِيبِ مُتَحَقِّقَةٌ باللَّيلِ، أو لِيَزْدَادَ الذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا بالْغَيْبِ، ولِيَفْتَتِنَ الذِينَ كفَرُوا زِيادَةً علَى فِتْنَتِهِمْ، فَإِنَّ اللَّيلَ أَخْفَى حَالًا مِن النَّهارِ، ولَوْ عَرَجَ نَهَارًا لفَاتَ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرُ الإِيمانِ بالْغَيْبِ، إِذْ قَدْ يُرَى في الطَّرِيقِ، ويَخْلو عنْهُ المكَانُ المشاهَدُ هُو فِيهِ، ويُخْبِرُ الرّائِي غَيْرَ الرَّائِي، ولِيكُونَ سَرَيانُهُ بِاللَّيلِ جَبْرًا لَهُ، حَيْثُ انْكَسَرَ بِمَحْوِ آيتِهِ ﴿ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾[3] ولِأَنَّهُ افْتَخَرَ النَّهارُ بالشَّمسِ فقِيلَ لهُ: لا تَفْتَخِرْ فَسَيَعْرُجُ شَمْسُ الْوُجودِ في اللَّيْلِ إِلَى السَّماءِ. ولأَنَّهُ ﷺ سِراجٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿46﴾ ﴾[4] والسِّراجُ يُوقَدُ باللَّيلِ، وأَنْشدَ فِي ذلكَ:

قُلْتُ: يَا سَيِّدِي فَلِمَ تُوتِرُ اللَّيْ ... لَ عَلَى بَهْجَةِ النَّهَارِ الْمُنِير
قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ تَغْيِيرَ رَسْمِي ... هَكَذَا الرَّسْمُ فِي طُلُوعِ الْبُدُور
إِنَّمَا زُرْتُ فِي الظَّلَامِ لِكَيْمَا ... يُشْرِقَ اللَّيْلُ مِنْ أَشِعَّةِ نُورِي [5]

ولَيْلَةُ الإِسْراءِ أَفْضَلُ فِي حَقِّ النَّبِيءِ ﷺ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، لِمَا أُكْرِمَ بِهِ فِيهَا مِنْ خَوَارِقِ العَادَاتِ، ولَيْلَةُ الْقَدْرِ أَفْضَلُ فِي حَقِّ الْأُمَّةِ، لِأَنَّ الْعَمَلَ فِيها خَيْرٌ لَهُمْ منَ الْعَمَلِ فِي ثَلَاثٍ وثَمَانِينَ سَنَةٍ وثُلُثِ سَنَةٍ، وهَذَا بِنَاءً علَى أَنَّ المُرَادَ فِي الآيَةِ حَقِيقَةُ العَدَدِ، وقِيلَ: المرادُ التَّكثِيرُ لَا حَقِيقَةُ العَدَدِ، وصَدَرَ بِهِ

(1) في الأصلِ: وما طاغَ. سورة النجم: 17.
(2) سورة النجم: 18.
(3) سورة الإسراء: 12.
(4) سورة الأحزاب: 46.
(5) الأبيات من الخفيف، المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 3/13-14.

البَيْضَاوِيّ، ولَمْ يَأْتِ أَثَرٌ صَحِيحٌ ولا ضَعِيفٌ في أَرْجَحِيَّةِ الْعَمَلِ فِيهَا، ولَمْ يُعَيِّنْها النَّبِيءُ ﷺ ولا الصَّحابَةُ، وقَدْ قِيلَ إِنَّ الإِسْرَاءَ لَيْلَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ أو سَبْعٍ وعِشْرِينَ مَضَتْ مِن رَبِيعِ الْأَوَّلِ، أوْ مِنْ سَبْعٍ وعِشْرِينَ مِن رَمضَانَ أو مِن رَبِيعِ الأَخِيرِ أَوْ مِنْ رجَبَ أَقْوالٌ، رجَحَ الأَخِيرُ ولَا مُسْتَنَدَ في ذلكَ، ولَوْ تَبيَّنَ فِيها نَفْعٌ لِلْأُمَّةِ لَبَيَّنَهُ رسُولُ اللهِ ﷺ لِحِرصِهِ علَى نَفْعِهِم[1].

وقَالَ البُلْقِينِيّ[2]: لَيْلَةُ الإِسْرَاءِ أَفْضَلُ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، قَالَ فِي قَصِيدَتِهِ الْمَادِحَةِ:

أَوْلَاكَ رُؤْيَتَهُ فِي لَيْلَةٍ فَضُلَتْ ... لَيَالِي الْقَدْرِ فِيهَا الرَّبُّ رَضَّاكَا[3]

ولَكِنَّهُ لَمْ يُصَرِّحْ بأَنَّها أَفْضَلُ فِي حَقِّ الْأُمَّةِ.

ورَجَّحَ القَرَافِي أَنَّ فَضْلَ الزَّمانِ والمكانِ لَا يَخْتَصُّ بالْعَمَلِ فِيهِمَا، وفَضْلُهَا لَا يتَعَدَّاها إِلَى كُلِّ سَنَةٍ، لِعَدَمِ ورُودِ شَيْءٍ فِيها. وسُئِلَ ابنُ تَيْمِيَّة أَلَيْلةُ الإِسْرَاءِ أَفْضَلُ أَمْ لَيْلَةُ القَدْرِ؟ فَأجَابَ [209و] بأَنَّ القَائِلَ لَيْلَةَ الإِسْرَاء أَفْضَلُ، إِنْ أَرَادَ أَنَّهَا ونَظَائِرَهَا فِي كُلِّ عَامٍ أَفْضَلُ فَهُوَ بَاطِلٌ لمْ يَقُلْهُ أَحَدٌ مِن الْمُسْلِمِينَ، وهُوَ معْلُومُ الْفَسَادِ بِالاِضْطِرارِ، وإِنْ أَرَادَ أَنَّها بِخُصُوصِها أَفْضَلُ لأَنَّهُ حَصَلَ لَهُ ﷺ فِيهَا مَا لَمْ يَحْصُلْ لهُ فِي غَيْرِها، وما لَمْ يَحْصُلْ لِغَيْرِهِ فَهُوَ صَحِيحٌ، إِنْ سُلِّمَ أَنَّ الإِنْعَامَ علَى نَبِيئِهِ لَيْلَةَ الإِسراءِ أَعْظَمُ مِن إِنْعَامِهِ عليهِ بِإِنْزالِ القُرْآنِ لَيْلَةَ الْقَدرِ، وهَذَا لا يُعْلَمُ إِلَّا بِوَحْيٍ، ولا يَجُوزُ التَّكلُّمُ فِيهِ اجْتِهادًا، ولا يُعْلَمُ أَنَّ أحَدًا مِن الصَّحابَةِ خَصَّ لَيْلةَ الإِسْرَاءِ بِأَمْرٍ مِنَ الْأُمورِ[4].

وأَمَّا لَيْلةُ الْمَوْلِدِ فَهِيَ أَفْضَلُ مِن لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنْ وُجُوهٍ ثَلَاثَةٍ: أحدُهَا أَنَّ لَيْلَةَ الْمَوْلِدِ لَيْلةُ ظهُورِهِ عليه السلام ولَيْلَةُ الْقَدْرِ مُعْطَاةٌ لَهُ، ومَا شَرُفَ بِظُهور ذَاتِ المشرَّفِ مِنْ أَجْلِهِ أَشْرَفُ مِمَّا تَشَرَّفَ بسَبَبِ مَا أُعْطِيَهُ، ولَا نِزَاعَ في ذَلِكَ، فكَانَتْ لَيْلَةُ الْمَوْلِدِ بِهَذا الاِعْتِبَارِ أَفْضَلُ.

الثَّانِي: أنَّ لَيْلَةَ القَدْرِ شَرُفَتْ بِنُزُولِ الْمَلائِكَةِ فِيها، أو نُزُولِ الْقُرْآنِ، أو بِشَرَفِ مَنْ يَرَاهَا أَوْ لِتَفْرِيقِ كُلِّ أَمْرٍ حَكِيمٍ فِيهَا، ولَيْلةُ الْمَوْلِدِ شَرُفَتْ بِظُهُورِهِ ﷺ فِيهَا، ومَنْ شَرُفَتْ بِهِ لَيْلَةُ الْمَوْلِدِ أَفْضَلُ

(1) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 18/8.

(2) عمر بن رسْلَان بن نصير، سراج الدِّين، العسقلاني الأصل البلقيني المولد، ت:805هـ. طبقات الشافعية، ابن شهبة، 42/4.

(3) القصِيدة من بحر البسِيط، شرح المواهِب، الزُّرقاني، 18/8، وسبل الهدى والرشاد، الشامِي، 27/3.

(4) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 18/8-19.

مِمَّنْ شَرُفَتْ بِهِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ علَى الْأَصَحِّ الْمُرْتَضَى، وهِيَ المَلَائِكَة والقُرْآنُ، وهوَ مَخْلُوقٌ، وشَرَفُ مَنْ يَرَى لَيْلَةَ الْقَدْرِ وتَفْرِيقَ كلِّ أَمْرٍ حكِيمٍ، فتَكُونُ لَيْلةُ المولِدِ أَفْضَلُ.

الثَّالِثُ: أنَّ لَيْلةَ القَدْرِ وقَعَ التَّفضِيلُ علَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ولَيْلَةُ الْمَوْلِدِ الشَّرِيفِ وقَعَ التَّفضِيلُ فِيها علَى سَائِرِ الْمَوْجُوداتِ، فَهُوَ الذِي بعَثَهُ اللهُ رحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، فعَمَّتْ بِهِ النِّعْمَةُ علَى جَمِيعِ الخلَائِقِ، فكانَتْ لَيْلَةُ الْمَوْلِدِ أَعَمَّ نفْعًا، وكانت أَفْضَلُ. فيَا شَهْرًا مَا أَشْرَفَهُ وأَوْفَرَ حِرْمَةَ لَيَالِيهِ كَأَنَّهَا لَآلِئ في العُقُودِ، ويَا وَجْهًا مَا أَشْرَفَه في الْوُجودِ، فسُبْحَان مَنْ جَعَلَ مَوْلِدَهُ لِلْقلوبِ رَبِيعًا وحُسْنَه بَدِيعًا.

يَقُولُ لَنَا لِسَانُ الْحَالِ مِنْهُ وَقَوْلُ الْحَقِّ يَعْذُبُ لِلسَّمِيعِ
فَوَجْهِي وَالزَّمَانُ وَشَهْرُ وَضْعِي رَبِيعٌ فِي رَبِيعٍ فِي رَبِيعِ [1]

وما ذُكِرَ مِنْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَفْضَلُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ هُوَ علَى عمُومِهِ، فهُوَ أَفْضَلُ مِنْ جِبرِيلَ عليه السلام.

وقَالَ الزَّمخشَرِي: جِبْرِيلُ أَفْضَلُ. قال بَعْضُ المغَارِبَةِ: جَهِل الزَّمَخْشَرِي مَذْهَبَهُ، فَإِنَّ المعْتَزِلَةَ أَجْمَعُوا علَى اسْتِثْنَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْخِلَافِ فِي مَن هُمْ أَفْضَلُ الملائِكَة أَم الْمُؤْمِنونَ الآدَمِيُّون، فلَا خِلَافَ عنْدَ الْمُعْتزِلَةِ غَيْرِ الزَّمَخْشَرِي فِي أَنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ أَفْضَلُ مِنْ جبرِيلَ، كمَا اتَّفَقَ غَيْرُهُم علَى أَنَّهُ ﷺ أَفْضَلُ مِن جِبْرِيلَ عليه السلام، ثمَّ ظَهَرَ أَنَّ طائِفةً مِن الْمُعْتَزِلَةِ قَبْلَ الزَّمخشَرِي، كَالرُّمَّانِي مِنْهُم قَالُوا بِفَضْلِ جِبْرِيلَ عليه السلام عليهِ ﷺ[2].

واخْتَصَّ هَذِهِ الأُمَّةَ بِلَيْلَةِ القَدْرِ، ولَمْ تَكُنْ لِمَن قَبْلَهُم عَلَى الأَصَحِّ، وعليْهِ الجُمْهُورُ والتَّفَضُّلُ علَى جَمِيع الْمَوْجُوداتِ الْوَاقِعُ بلَيْلَةِ الْمَوْلِدِ كَرَفْعِ الخَسْفِ والمَسْخِ وحُصُولِ [209ظ] الْخُيُورِ[3] بِهَا لِأَجْلِهِ لِسَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ والْجَمَادَاتِ.

واعْتَرَضَ بعْضٌ بأَنَّهُ إِنْ أُرِيدَ أَنَّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ومثْلَهَا، مِنْ كُلِّ عَامٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَفْضَلُ مِن لَيْلَةِ الْقَدْرِ، فأَدِلَّتُهُ الْمُسْتَدَلُّ بِهَا لَا تُنْتِجُ ذلِكَ، وإِنْ أُرِيدَ عَيْنُ تِلْكَ اللَّيْلَةِ، فلَيْلَةُ الْقَدْرِ لَمْ تكُنْ مَوجُودَةً إِذْ

(1) تم تخريج البيتين سابقا ينظر: [103و].
(2) شرح المواهب، الزُّرقاني، 393/8.
(3) الخيور: جمع خير، ضدّ الشّرّ.

ذَاكَ، وإنَّمَا أَتَى فَضْلُها فِي الأَحَادِيثِ الصَّحِيحةِ على سائِرِ لَيَالِي السَّنَةِ بَعْدَ لَيْلَةِ الْوِلادةِ بِمُدَّةٍ، فَلَمْ يُمْكِنْ اجْتِمَاعُهُمَا حَتَّى يَتَأَتَّى بيْنَهُمَا تَفْضِيلٌ، وتِلْكَ انْقَضَتْ وهَذِهِ بَاقِيَةٌ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وقَدْ نَصَّ الشَّارِعُ على أفْضَلِيَّتِها ولَمْ يَتَعَرَّضْ لِلَيْلَةِ مَوْلِدِه، ولا لِأَمْثَالِها بالتَّفضِيلِ أَصْلًا، فوَجَبَ علينا أَنْ نَقْتَصِرَ على مَا جَاءَ مِنْهُ، ولَا نَبْتَدِعَ شَيْئًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِنَا القَاصِرَةِ عَنْ إدْراكِهِ إلَّا بتَوْقِيفٍ مِنْهُ ﷺ، عَلَى أَنَّا لَوْ سَلَّمْنا أَفْضَلِيَّةَ لَيْلَةِ مَوْلِدِه لَمْ تَكُنْ لَهُ فائِدَةٌ، إذْ لَا فَائِدَةَ في تَفْضِيلِ الأَزْمِنةِ إلَّا بِفَضْلِ الْعمَلِ فِيهَا، وأَمَّا تَفْضِيلُ ذاتِ الزَّمَانِ الذِي لَا يكُونُ الْعَمَلُ فِيهِ فَلَيْسَ لَهُ كبِيرُ فَائِدَةٍ انْتَهَى. وإنْ قُلْنَا الولَادَةُ نَهَارًا فيَوْمُ الْمَوْلِدِ أَفْضَلُ مِن يَومِ البِعْثَةِ، لِمَنِّ اللهِ تَعَالَى بِهِ فِيهِ علَى الْعَالَمِينَ ووُجُودُهُ تَتَرَتَّبُ علَيْهِ بِعْثَتُهُ ﷺ، فالوُجُودُ أَصْلٌ والبِعْثَةُ طَارِئَةٌ عَلَيْهِ، فالمَوْلِدُ أَفْضَلُ لِأَصَالَتِهِ[1]. واللهُ أَعْلَمُ.

ومَعْنَى قولِهِ: "فوَجْهِي" وَجْه رَسُولِ اللهِ ﷺ، والشَّاعِرُ وَضَعَ الكلامَ عَلَيْهِ ﷺ كأَنَّهُ هُوَ القَائِلُ، حَاشَاهُ عَن الشِّعْرِ. وكَانَ مَوْلِدُهُ ﷺ في فَصْلِ الرَّبِيعِ، وهُوَ أَعْدَلُ الفُصُولِ، لَيْلُهُ ونَهَارُهُ معْتَدِلانِ بيْنَ الْحَرِّ والْبَرْدِ، ونَسِيمُهُ مُعْتَدِلٌ بَيْنَ اليُبُوسَةِ والرُّطوبةِ، وشَمْسُهُ مُعْتَدِلةٌ بيْنَ الْهُبُوطِ والصُّعودِ، وقَمَرُهُ مُعْتدِلٌ فِي أَوَّلِ دَرَجَةٍ مِن اللَّيالِي البِيضِ. وينْعَقِدُ فِي سِلْكِ هذَا النِّظامِ مَا هيَّأ اللهُ تعالَى لَهُ مِنْ أَسْماء مُرَبِّيهِ، ففِي الْوَالِدةِ والقابِلةِ الأَمْنُ والشِّفَاءُ، أُمُّهُ آمنَةُ والقَابِلَةُ الشَّفَاء بالفَتْحِ والشَّدِّ، وفِي اسْمِ الحَاضِنةِ الْبَرَكَةُ والنَّماءُ، وهِي أُمُّ أَيْمَنَ، وفِي مُرْضِعَتَيْهِ الثَّوَابُ والْحِلْمُ والسَّعْدُ[2].

و"رَبِيع" الْأَوَّل فِي الشِّعْرِ وجْهُهُ ﷺ شَبَّهَهُ بِالرَّبِيعِ في اعْتِدالِهِ وحُسْنِهِ ورَوْنقِهِ، والثَّانِي زَمَانُ الرَّبِيعِ، والثَّالِثُ شهْرُ رَبِيع، الْمَوْلُود هُو فِيهِ ﷺ.

ولمْ يَكُنْ الإِسْرَاءُ إلَّا لِنَبِيئِنَا ﷺ مِن حيْثُ اخْتِراقُ السَّماوَاتِ السَّبْع كلِّها إلَى مَا فَوْقَ سِدْرَةِ المُنْتَهَى، وأَيْضًا اخْتَصَّ بإِحْيَاءِ الأَنْبِيَاءِ لَهُ ﷺ، وصَلاتِهِ بهِم وبالملائِكةِ، واطِّلاعِهِ عَلَى الجَنَّةِ [210و] والنَّارِ ورُكُوبِ البُرَاقِ، وقِيلَ: رَكِبَهُ غَيْرُه مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَيْضًا كإِبْرَاهِيمَ.

(1) شرح المواهب، الزُّرقاني، 256/1.
(2) (م، س)، 257/1.

وأَسْرَى وسَرَى: بِمَعْنىً وَاحِدٍ، أَيْ: سَارَ لَيْلًا عِنْدَ الْأَكْثَرِ، وقِيلَ: أَسْرَى سَارَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيلِ، وسرَى سَارَ مِنْ آخِرِهِ، وقَالَ الحَوْفِي[1]: أَسْرَى لَيْلًا وسَرَى نَهَارًا[2].

وفِيه بُعْدٌ، والبَاء لِلْمُصَاحَبَةِ، وذَلِكَ أَنَّهُ صاحَبَهُ اللهُ بأَلْطَافِهِ وعِنَايَتِهِ، كمَا قَالَ ﷺ: ((**أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ**))[3] والْجُمْهُورُ أَنَّها لِلتَّعْدِيَةِ أَيْ: صَيَّرَهُ سَارِيًا، ولَا يَصِحُّ هنَا لِأَنَّهُ تعَدَّى بالْبَاءِ هُنَا. وقَالَ: "سُبْحَانَ" تَنْزِيهًا عَمَّا يَتَوَهَّمُ الجَاهِلُ مِنَ الْجِهَةِ والْحَدِّ والمَكَانِ، وَعَنْ التَّنَقُّلِ مِن مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ وَإِلَى الْعَرْشِ، فإِنَّ ذَلِكَ يَخْتَصُّ بالْمَخْلُوقِ، وأَمَّا الْخَالِقُ فنِسْبَةُ الأَمْكِنَةِ إِلَيْهِ واحِدَةٌ، وكَأَنَّهُ أَسْرَيْنا بِهِ لِنُرِيَه عيَانًا مَا خَفِيَ مِنَ الْآياتِ، لَا إِلَيَّ لأَنِّي لَا يَحُدُّنِي مَكَانٌ[4].

ولا خِلَافَ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ لَيْلًا لا نَهَارًا، ونَكَّرَ "لَيْلًا" لِتَقْلِيلِ المُدَّةِ، أَيْ: بَعْضًا قَلِيلًا مِنْ اللَّيْلِ، والْعَرَبُ تَقُولُ أَسْرَى لَيْلًا إِذَا سَارَ فِي بَعْضٍ، وأَسْرَى لَيْلَةً إِذَا سَارَ لَيْلَهُ كُلَّهُ، وقِيلَ يُقَالُ: أَسْرَى لَيْلًا إِذَا سَارَ مِنْ أَوَّلِهِ.

واعْترضَ دَعْوَى أَنَّ التَّنكِيرَ لِلتَّقلِيلِ؛ بِأَنَّ التَّنْكِيرَ لِلتَّقلِيلِ لا يَكُونُ إِلَّا فِيما يَقْبَلُ القِلَّةَ والكثْرَةَ، واللَّيْلُ لَا يَقْبَلُها، وبأَنَّ البَعْضِيَّة تَحْصُلُ ولَوْ مَعَ التَّعرِيفِ نَحْوَ: سِرْتُ اللَّيلَ، أَيْ: فِي بَعْضِهِ.

وقَرَأَ عبْدُ اللهِ بنُ مسعُودٍ "مِنَ اللَّيلِ" وهِي لِلتَّبعِيضِ، قِيلَ: أَوْ لِلِابتِدَاءِ، ويُبْحَثُ فِيهِ بأَنَّ الِابْتِداءَ فِي الزَّمانِ يُعْتبَرُ فِيهِ الِانْتِهاءُ فِيهِ، ولا يُعْرَفُ فِي الْآيَةِ اعْتِبَارُ مَعْنَى قَوْلِكَ أَسْرَى بِهِ مِن اللَّيْلِ إِلَى النَّهَارِ.

والْمَعَارِيج لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ عَشْرٌ، سَبْعٌ إِلَى السَّماءِ السَّابِعَةِ، والثَّامِنُ إِلَى سِدْرَةِ المُنتَهَى، والتَّاسِعُ إلى المستَوَى الذِي سَمعَ فِيهِ صَرِيرَ الأَقْلَامِ فِي تصَارِيفِ الأَقْدَارِ، والعَاشِرُ إِلَى الْعَرْشِ[5]، فكَمَا أَنَّها عَشَرَةٌ كانَتْ سِنُوهُ بَعْدَ الْهِجْرَةِ عَشْرًا.

---

(1) الحوفِي: عليّ بن إبراهِيم بن سعِيد، من قرية شَبْرا من حَوْفِ بِلبِيس، كان نحوِيّاً قارِئا، صنَّف البرهان في تفْسِيرِ القرآنِ، الموضِّح في النَّحوِ، ت:430هـ. بغية الوعاة، السيوطِي، 140/2.

(2) شرح المواهب، الزُّرقاني، 20/8.

(3) صحيح مسلِم، حَدِيث (425).

(4) شرح المواهب، الزُّرقاني، 20/8-21.

(5) المواهب اللدنية، القسطَلَّاني، 17/3.

وحَدِيثُ الْإِسْرَاءِ رواهُ عَنْ أَنَس أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ المحَدِّثِينَ بأَسَانِيدِهِم: أَحْمَد والبُخَارِي ومُسْلِم وابْنُ مَرْدويه والنَّسائِي وابنُ أَبِي حَاتِم وابْنُ جَرِير والبَيْهَقِيّ والطَّبرانِي وابْنُ سَعْد والبَزَّارُ. ورَوَاهُ ابنُ مردُويه عنْ جَابِر بنِ عَبْدِ اللهِ. ورواهُ التّرْمِذِي والْحَاكِم عَنْ بريدة وصَحَّحَهُ. ورَوَاهُ ابنُ مَردويه عَنْ سمرَةَ بنِ جندب. ورَوَاهُ عن ابْنِ عَبَّاس أَيْضًا الْبُخَارِيّ ومُسْلِم وأحمَد وأَبُو يَعلَى وأَبُو نعِيم وابْنُ مردويه. ورَوَاهُ عَن ابْنِ عُمَر أبُو دَاوُد [210ظ] والبيْهَقِيّ. وَرَوَاهُ عَن ابْنِ مسْعُود مُسلِم وابْنُ عَرفة وأَحمَد وابنُ مَاجةَ والبزَّار وأبو يَعْلَى والطَّبرانيّ والبَيهَقِيّ. ورواهُ عَنْ عَمرو بن العَاصِي ابنُ سَعْدٍ وابنُ عسَاكِر. ورَوَاهُ عَنْ حذَيْفةَ بن اليَمَانِي ابْنُ شَيْبَة وأَحْمَد والتّرمذِي وصَحَّحَهُ. ورَوَاهُ عَن شَدَّاد بنِ أَوْس البزَّارُ والطَّبرانِيّ والبَيْهَقِيّ وصَحَّحَهُ. ورَوَاهُ عنْ صُهَيب الطَّبرانيّ وابنُ مردويه. ورَوَاهُ عَنْ عَلِيّ أَحْمَد وابْنُ مردويه ورَوَياهُ أَيْضًا عَنْ عُمَر بنِ الخَطّابِ. ورواهُ عَنْ مَالِك بنِ صَعْصَعَة أَحمَدُ والبُخارِيّ ومسلِم وابنُ جَرِير والْبَيْهَقِيّ. ورواهُ عن أَبِي أُمامةَ ابنُ مردويه. ورَوَاهُ عَنْ أَبِي أيُّوب البُخَارِيّ ومسلِمُ. ورَوَاهُ عن أَبِي الأَنْصَارِي الأوسِي البدري ابنُ مردويه والْبُخَارِيّ وعَمَّار بن عَمَّار وابنُ أبِي شيْبَةَ وأَحْمَد وصَحَّحَه. ورواهُ عن أَبِي ذَرّ البُخَارِي ومسلِم. ورَوَاهُ عَنْ أبِي سعِيد الخدْرِي ابنُ جَرِير وابْنُ أبِي حاتِم والْبَيْهَقِيّ[1].

روَى البَيْهَقِي عَنْ أَبِي الأَزْهَرِي قالَ: حَدَّثنا زيْدُ بن أبِي حَكِيم: ((**رأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ في النَّومِ فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ رَجُلٌ مِن أُمَّتِكَ يُقَالُ لهُ سُفْيَان لَا بَأْسَ بهِ؟ فقَالَ ﷺ: لَا بَأْسَ به، حَدَّثَنا عَنْ أَبِي هَارونَ عَنْ أَبِي سَعِيد عَنْكَ أنَّك لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِكَ قُلْتَ: رَأَيْتُ[2] فِي السَّماءِ فحدَّثَهُ بِالْحَدِيثِ فقَالَ: نَعَمْ، فقُلْتُ: إنَّ نَاسًا مِن أُمَّتِكَ يُحَدِّثُونَ عَنْكَ فِي الإِسْرَاءِ عَجَائِب، فَقَالَ: ذَلِكَ حَدِيثُ القُصَّاصِ**))[3].

ورواهُ عَنْ أَبِي سفيانَ أبو نُعَيْمٍ، ورَوَاهُ عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ ابْنُ جَرِير وابْنُ أَبِي حَاتِم والبَيْهَقِيّ والْحَاكِمُ وصَحَّحَه، والبُخَارِيّ ومُسْلِم وأَحْمَد وابْنُ مَاجَةَ وابْنُ مَرْدويه وابْنُ سَعْدٍ والطَّبَرَانِيّ وسَعْدُ بن منْصُور. ورَوَاهُ عَنْ عَائِشَةَ الْحَاكِمُ وصَحَّحَهُ والْبَيْهَقِيّ وابْنُ مَرْدويه. ورواهُ عَنْ أَسْمَاءَ بنتِ أَبِي بَكْرٍ ابنُ مَرْدويه. ورَوَاهُ عَنْ أُمِّ هَانِئ الطَّبرانيّ. ورواهُ عَنْ أُمِّ سَلَمَة الطَّبَرَانِي وابْنُ أَبِي يَعْلَى وابْنُ عَسَاكِر وابْنُ إِسْحَاق. ورَوَاهُ عَنْ سَهْل بنِ سَعْد ابْنُ عساكِر. ورَوَاهُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ سَعْد بنِ زَرَارَةَ ابْنُ سَعْد والبَزَّار والْبَغَوِيّ

(1) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 8/26-27.

(2) في الأصلِ: أرأيت، والتصحيح من دلائل النبوة.

(3) دلائل النبوة، البيهقي، 2/405، وفيه: أبو الأزهَر.

وابْنُ قَانِع. ورَوَاهُ عن ابْنِ الْحَمْرَاءِ الطَبَرَانِيّ. ورَوَاهُ عَنْ أَبِي لَيْلَى الأَنْصَارِيّ ابْنُ مَرْدويه والطَّبرانِيّ. ورواهُ عَنْ عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ قرط سعِيدُ بنُ مَنْصور. ورَوَاهُ ابْنُ دِحْيَةَ عن أبِي بَكْرٍ الصِّدّيق وعبْد الرَّحْمَن بن عبَّاس وأَبِي سَلَمَةَ، وذكَرَهُ أبُو حَفْص النَّسفِي عنِ العبَّاسِ وعثْمَانَ بنِ عَفَّان، وأَبِي الدَّردَاءِ وأبِي سلمَى وأُمِّ كلْثُوم بنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وبلال بنِ حمامَةَ[1] وبِلَال بنِ سَعْد وابْنِ الزُّبيْرِ وابْنِ أبِي أَوْفَى وأُسَامَةَ [211و] بنِ زَيْدٍ. فهُؤَلَاءِ خَمْسَةٌ وأَرْبَعُونَ صَحَابِيًّا رَوَوا الْقِصَّةَ[2] واتَّفَقَ علَيْهِ أَصْحَابُنا والْأَشَاعِرَةُ وسائِرُ الأُمَّةِ، ما بَيْنَ رَاوِيها مُخْتَصَرَة ورَاوِيهَا مُطَوَّلَةً، إِلَّا أَنَّهُمْ اختَلَفُوا أَفِي الْمَنَامِ، وعَلَيْهِ أَصْحَابُنا أَوْ فِي اليَقَظَةِ وعلَيْهِ الباقُونَ، وبِهِ أَقُولُ لِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الدَّلِيلِ الْعَقْلِيّ والأَدِلَّة النَّقْلِيَّة.

روَى قَتَادةُ عَنْ أَنَس بنِ مَالِك عَنْ مَالِكَ بنِ صَعْصَعَةَ: ((أَنَّ نَبِيءَ اللهِ ﷺ حَدَّثَهُ بَيْنَما أَنَا نائِمٌ فِي الْحِجْرِ، ويَقُولُ في الْحطيم وهُوَ الْأَكْثَرُ، مُضْطَجِعًا إِذْ أَتَانِي آتٍ، يَعْنِي جِبْرِيلَ، فَقَدَّ؛ أيْ: شَقَّ، كمَا رُوِيَ بِهِ أَيْضًا، مَا بَيْنَ هَذِهِ وَهذهِ، مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إلى عنتِه[3]، فاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثمَّ أُتِيتُ بِطسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا، فَغسلَ [قلْبِي][4] ثُمَّ حُشِيَ ثُمَّ أُعِيدَ، ثمَّ أُتِيت بِدَابَّةٍ، دُونَ البَغْلِ وفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضَ، فقَالَ لَهُ الْجَارُودُ: هُوَ الْبُرَاقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ؟ قالَ: نَعَمْ، يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طرَفِهِ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، فانْطَلَقَ بِي جبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنيَا، فاسْتَفْتَحَ، قيلَ: مَنْ هَذَا؟ قالَ: جِبْرِيل، قَالَ: ومَنْ مَعَكَ؟ قال: مُحَمَّد، قِيلَ: وقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا فيهَا آدمُ، قَالَ: هَذَا أَبُوكَ فَسَلِّمْ علَيْهِ، فسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلامَ، ثُمَّ قالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالحِ، ثُمَّ صَعَدَ بِي إِلَى السَّماءِ الثَّانِيَة، فاسْتَفتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قالَ: جِبْرِيل، قالَ: ومَنْ مَعَكَ؟ قال: مُحَمَّد، قِيلَ: وقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فنِعْمَ الْمَجِيءُ جاءَ فَفَتَحَ، فلَمَّا خلَصْتُ إِذَا يَحْيَى وعِيسَى، ابْنَا الْخَالَةِ، قَالَ: هَذَا يَحْيى وعيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فسَلَّمْتُ علَيْهِمَا فَرَدَّا ثُمَّ قالَا: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ والنَّبِيءِ الصَّالح. ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّماءِ الثَّالثَةِ، فاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قال: جِبْرِيلُ، قِيلَ: ومَنْ مَعَكَ؟ قالَ: مُحَمَّد، قِيلَ: وقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْه؟ قالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بهِ، فنِعْمَ

(1) في الأصلِ: حماضة.

(2) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 27/8.

(3) في شرح المواهب وصحيح البخارِي: شِعرتِهِ.

(4) إضافة من شرح المواهب وصحيح البخارِي.

الْمَجِيءُ جَاءَ، فلَمَّا خَلصْتُ إذا يُوسُف، قالَ: هَذَا يُوسُف فَسَلِّمْ علَيْهِ، فسَلَّمْتُ عليْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بالْأَخِ الصَّالِحِ والنَّبِيءِ الصَّالِحِ. زَادَ مُسْلِم منْ رِوَايَة ثابت عَنْ أنَس: ((**فَإِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ**))[1] ثُمَّ صَعِدَ بي حتَّى أَتَى السَّماءَ الرَّابعَةَ فاستَفْتَحَ، قيل: مَنْ هَذَا؟ قالَ: جِبْرِيل، قِيلَ: ومَنْ مَعَكَ؟ قالَ: مُحَمَّد، قِيلَ: وقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قيل: مَرْحَبًا بِهِ فنِعْمَ الْمَجِيءُ جاءَ، وَلمَّا خَلصْتُ إِذَا إِدْرِيسُ، قالَ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ علَيْهِ، فسَلَّمْتُ علَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ والنَّبيءِ الصَّالح. ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّماءَ الْخَامِسَةَ فاسْتَفْتَحَ، فقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قالَ: جِبْرِيل، قَالَ: ومَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّد، قيل: وقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فلَمَّا خلصتُ فَإِذَا هارُونُ، قَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عليْهِ، وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِح والنَّبِيءِ الصَّالِحِ. [211ظ] ثمَّ صَعِدَ بِي حتَّى أَتَى السَّماءَ السَّادسَةَ فاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيل: ومَنْ مَعَكَ؟ قالَ: مُحَمَّد، قِيلَ: وقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا، بِهِ فنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خلصت إِذَا مُوسَى، قالَ: هَذَا مُوسَى فسَلِّمْ عَلَيْهِ، فسَلَّمتُ علَيْهِ فَرَدَّ ثمَّ قَالَ: مَرْحبًا بالْأَخِ الصَّالِح والنَّبِيءِ الصَّالِحِ، فَلَمَّا تَجاوَزْتُ بَكَى، فقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ فَقالَ: أَبْكِي لِأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ مِنْ بَعْدِي يَدْخُل الجنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَر مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي. ثُمَّ صعدَ بِي إِلَى السَّماء السَّابعَةِ، فاسْتَفْتَحَ جبرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قالَ: جِبْرِيل، قيلَ: ومَنْ مَعَك؟ قالَ: مُحَمَّد، قِيلَ: وقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْه؟ قال: نَعَمْ، قِيل: مَرْحَبًا بِهِ فنِعْمَ الْمَجِيء جاءَ، فلَمَّا خلصتُ إِذَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: هَذَا أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ فَسَلِّمْ علَيْهِ، وَسَلَّمْتُ علَيْهِ، فَرَدَّ السَّلامَ، فقالَ: مَرْحَبًا بِالْابْنِ الصَّالِحِ والنَّبِيءِ الصَّالحِ. ثُمَّ رُفِعْتُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهى، فإِذَا نَبقُهَا مثْلُ قِلَال هَجَر، وإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذانِ الْفِيَلَةِ، قالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، وإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، ونَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فقُلْتُ: ما هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قالَ: أَمَّا البَاطِنَانِ فنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وأَمَّا الظَّاهِرَانِ، فالنّيل والفرات. ثُمَّ رفعَ لِي[2] الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ[3]، ثمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ وإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فقَالَ جِبْرِيلُ: هِيَ الفِطْرَةُ التِي أَنْتَ علَيْهَا وأُمَّتُكَ، ثُمَّ فُرِضَتْ علَيَّ الصَّلاةُ، خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، فرَجَعْتُ فمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فقَالَ: بِمَ أُمِرْتَ؟ قالَ:

---

(1) صحيح مسلم، حدِيث (162).

(2) في الأصلِ: إلى، والتصحيح من شرح المواهب وصحيح البخارِي.

(3) عبارة:" يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ" ليست فِي صحيح البخارِي.

أُمِرْتُ بِخَمْسينَ صَلَاةٍ كلَّ يَوْمٍ، قالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لا تَسْتَطيعُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسِينَ صَلَاة، وإِنِّي واللهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ وَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فوَضَعَ عنِّي عَشْرًا، فرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فقَالَ مِثْلَهُ، فرجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فأُمِرْتُ بِعَشْرِ صلَوَاتٍ كلَّ يَوْمٍ، فرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فقَالَ مِثْلَهُ، فرَجَعْتُ فأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فقَالَ: بِمَ أُمِرْتَ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، قالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، ولَكِنِّي أَرْضَى وأُسَلِّمُ. فلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي))[1].

((ففرجَ صَدْرِي ثُمَّ غُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ [212و] حِكْمَةً وإِيمَانًا، فأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ))[2].

هَذِهِ رِوَايَة الْبُخَارِي مِنْ طَرِيقِ أَنَس عَنْ مالك بن صعصعة، ولَا يُعْرَفُ لِمَالِك بنِ صَعْصَعَةَ حَدِيثٌ إِلَّا هَذَا، وزَادَ بَعْضُهُم حَدِيثَ أَكْلِ تَمرِ خَيْبَرَ هكَذَا. وهُو مِنْ بَنِي عَدِيّ بنِ النَّجَّار وبِهِ جَزَمَ ابْنُ سَعْدٍ، أو مِنْ بَنِي مَازِن بنِ النَّجَّار وبِهِ جَزَمَ الْبَغَوِيّ[3][4].

وقَوْلُهُ: "إِذْ أَتانِي آتٍ" أَرَادَ بِهِ جِبْرِيل، وهَلْ شَقَّ صَدْرَهُ بآلَةٍ؟ قِيلَ: ظَاهِرُ قَوْلِهِ "فَشَقَّ" أَنَّهُ بآلةٍ، قِيلَ: يَدُلُّ لهُ قَوْلُ المَلَكِ فِي حدِيثِ أَبِي ذَرٍّ: "خَطَّ بَطْنَهُ فخَاطَهُ" وفِي لَفْظِ عتْبة بن عبد: "حَصَّ بَطْنَهُ فحَاصَهُ" وفِي حَدِيثِ أَنَس: "كَانُوا يَرَوْنَ أَثَرَ الْمَخِيطِ فِي صَدْرِهِ ﷺ".

وذَكَرَ بَعْضٌ أَنَّ الشَّقَّ فِي المرَّاتِ كُلِّها لَمْ يَكُنْ بآلَةٍ، ولَمْ يَسِلْ مِنْهُ دَمٌ ولَمْ يَجِدْ لذلِكَ أَلَمًا، كمَا فِي رِوَايَةٍ؛ لِأَنَّهُ مِنْ خَرْقِ الْعَادَةِ وظُهُورِ الْمُعْجِزَةِ، ولَيْسَ أَثَرُ الْمَخِيطِ ولَا الخِيَاطَةُ ولَا الشَّقُّ أَدِلَّةٌ عَلَى الآلَةِ.

---

(1) صحيح البخارِي، حَدِيث (3887).

(2) صحيح البخارِي، حدِيث (349) عن أنس بن مالك عن أَبِي ذرّ.

(3) الإصابة، ابن حجر، 452/9.

(4) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 28/8.

وإنْ قُلْتَ: كَيْفَ يمْلَأُ الطّسْتُ بالْإِيمانِ؟ قُلْتُ: ذَلِكَ تَمْثِيلٌ مَجازِيّ أَوْ تَمْثِيلُ الْمَعانِي، وَقَعَ كَثِيرًا، وَأَجازَ قَوْمُنا تَجسُّدَ الْمَعانِي، وجعَلُوا مِنْهُ تَمْثِيلَ الْمَوْتِ بالْكَبْشِ ووَزْنَ الْأَعْمالِ، وفَائِدَتُهُ كشْفُ الْمَعنَوِيّ بِالْحِسّي. وللْبُخارِي رِوَايَةٌ أُخْرَى: ((**بِطَسْتٍ مُلِئَ حِكمَةً وإِيمَانًا**))[1] ويُروَى: ((**بِطَسْتٍ مَلْآن**))[2] ويُرْوَى: ((**مُلِأَ إيمَانًا وحِكمَةً**)). وفِي الْحَدِيثِ إِفَادَةُ أَن لَا أَجَلَّ مِن الحِكمَةِ بَعْدَ الإِيمانِ، وهِيَ وَضْعُ الشَّيْءِ في مَوْضِعِهِ، أو الْفَهْمُ فِي كِتَابِ اللهِ، وعلَيْهِ فَقَدْ تُوجَدُ الْحِكْمَةُ بِلَا إِيمانٍ، وقَدْ لَا تُوجَدُ[3].

وفِي روايَةٍ لِلْبُخَارِي: ((**ثمَّ جِيءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وإِيمَانًا فأَفْرَغَهُ فِي صدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ**))[4] وقالَ: ((**بِدَابَّة أَبْيَضَ**))[5] بِالتَّذكِيرِ لِتَأْوِيلِ الْبُرَاقِ.

وحِكْمَةُ كَوْنِهِ أَبْيَض ودونَ الْبَغْلِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الرُّكوبَ كان فِي سِلمٍ وأَمْنٍ، لَا فِي حَرْبٍ وخَوْفٍ، ولإِظْهَارِ خَرْقِ العَادَةِ بِوُقُوعِ الإِسْرَاعِ جِدًّا، وقَطْعِ الْمَسَافَةِ البَعِيدَةِ جِدًّا بدَابَّةٍ لا تُوصَفُ بِذلِكَ عَادَةً.

وأَبُو حَمزة كُنْيَةُ أنَس. والبُراق بالضَّمّ، وزَعَمَ بَعْضٌ أنَّهُ بالكَسْرِ، وظاهِرُ الْحَدِيثِ أنَّهُ سَرَى إِلَى السَّماءِ بالبُرَاقِ، ولَيْسَ مُرَادًا.

وقَالَ النّعماني: لَا مَانِعَ مِنْ عُرُوجِهِ بِهِ إِلَى السَّماءِ كمَا هُوَ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ[6].

قُلْنَا: يَمْنَعُهُ مَا ثَبتَ مِنْ أَنَّهُ رُبِطَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ.

ومَعْنَى اسْتَفْتَحَ: طَلَبَ فَتْحَ السَّماءِ، إِمَّا بِقَرْعٍ، وهوَ الظَّاهِرُ عِنْدَهُمْ، أَوْ بِصَوْتٍ، فيُقَالُ: لَوْ كانَ بِصَوْتٍ لَمْ يَقُلْ لَهُ مَنْ هذَا؛ لأَنَّهُ يَعْرِفُهُ بِصَوْتِهِ. وفِي لَفْظٍ لِمُسْلِم عنْ ثابت عَنْ أَنَس: ((فقَرَعَ الْبَابَ))

(1) صحيح البخارِي، حدِيث (3207).
(2) في شرح المواهِب: للمستملِي وللحموِي.
(3) شرح المواهِب، الزُّرقانِي، 29/8.
(4) صحيح البخارِي، حدِيث (349).
(5) (م، س)، حدِيث (3207).
(6) شرح المواهِب، الزرقانِي، 30/8.

وفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرّ: ((**قَالَ جِبرِيلُ لخَازِنِ السَّماءِ: افْتَحْ**))[1] فيُجْمَعُ بَيْنَهُما بِأَنَّهُ فَعَلَ الْقَرْعَ والصَّوْتَ مَعًا. ويُقالُ: السَّماءُ شَفَّافة فيُعْرَفُ[2].

[212ظ] وذكَرَ الْبَيْهَقِيّ عن أَبِي سَعِيد الْخُدرِيّ: ((**أَنَّهُ ﷺ انْتَهَى إِلَى بَابِ السَّماءِ الدُّنْيَا، يقَالُ لَهُ بَابُ الْحَفَظَةِ، وعَلَيْهِ مَلَكٌ يقَالُ لَهُ إِسْمَاعِيلُ، تَحْتَ يَدِهِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مَلَكٍ**))[3].

وفِي حدِيثِ جَعْفَر بنِ مُحَمَّد عِنْدَ الْبَيْهَقِيّ أَيْضًا: ((**يَسْكُنُ الْهَوَاءَ لَمْ يَصْعَدْ إِلَى السَّماءِ قَطُّ، ولَمْ يَهْبِطْ إِلَى الْأَرْضِ قَطُّ إِلَّا يَوْمَ مَاتَ النَّبِيءُ ﷺ**))[4].

وفِي حَدِيثِ أَبِي سعِيد عِنْدَ الْبَيْهَقِيّ: ((**وبَيْنَ يديْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ مَعَ كُلِّ مَلَكٍ جُنْدُهُ مِئَةُ أَلْفٍ**))[5].

وإِنَّما يُقَالُ مَنْ مَعَكَ؟ لِأَنَّ الْقَائِلَ أَحسَّ أَنَّ مَعَهُ رَفِيقًا، لِأَنَّ السَّماءَ شَفَّافَةٌ أو لِأَنَّهُ يَرَى زِيَادَةَ الْأَنْوَارِ.

ومَعْنَى قَوْلِهِ: وقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ أَنَّهُ أُرْسِلَ إِلَيْهِ لِلْعُرُوج إِلَى السَّماءِ لِأَنَّ بِعْثَتَهُ لا يَجْهَلُهَا ملَكٌ، فَكيْفَ الأَمْلَاك البَوَّابونَ ونَحْوهُمْ.

ومَعْنَى "نِعْمَ الْمَجِيءُ جاءَ": نِعْمَ الْمَجِيءُ الذِي جاءَهُ، أو نِعْمَ الْمَجِيءُ مَجِيء جَاءَهُ، فحَذَفَ الْمَوْصُولَ أَو الْمَوْصُوفَ والرَّابِط.

وفِي رِوَايةٍ لِلْبُخارِي عَنْ أَبِي ذَرّ: ((**فِي السَّماءِ الأُولَى فَإِذَا رَجُلٌ قاعِدٌ عَنْ يَمِينهِ أَسْوِدَةٌ وعَنْ يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ، إِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينهِ ضَحِكَ، وإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى، فقُلْتُ لِجِبْرِيلَ: مَنْ هذَا؟ قَالَ: أَبُوكَ آدَم**))[6].

---

(1) صحيح البخارِي، حدِيث (349).

(2) شرح المواهِب، الزُّرقانِي، 30/8.

(3) المواهب اللدنية، القسطَلانِي، 54/3، وشرح المواهِب، الزُّرقانِي، 30/8

لم أجدْ هذه الرواية في مؤلفات البيهقِي، وفي الدلائل رواية مغايِرة عن أبي سعيد الخدرِي، 391/2.

(4) ينظر: الطبقات الكبير، ابن سعد، 227/2. شرح المواهِب، الزُّرقانِي، 30/8.لم أجدْ هذه الرواية في مؤلفات البيهقِي.

(5) دلائل النبوة، البيهقِي، 392/2، وشرح المواهِب، الزُّرقانِي، 30/8

(6) صحيح البخارِي، حدِيث (349).

يعْنِي إِذَا نَظَرَ إِلَى السُّعداءِ مِنْ أَولَادِهِ عَنْ يَمِينهِ فَرِحَ، وإِذَا نَظَرَ إِلَى الأَشْقِياءِ مِنْهُمْ بَكَى.

وإِنَّمَا يُسَلِّمُ جِبْرِيلُ، ولَوْ قِيلَ إِنَّهُ أَفْضَلُ، لِأَنَّ المارَّ يُسَلِّمُ علَى الْقَاعِدِ ورَسُولُ اللهِ ﷺ لا يُسَلِّمُ حَتَّى يُسَلِّمَ جِبْرِيلُ تَأَدُّبًا، ولأَنَّ جبْرِيلَ أَعْرَفُ بتِلْكَ الْمَوَاطِنِ، وكَأَنَّها بُيُوتُهُ فَهُوَ أَحَقُّ بِالتَّقدُّمِ في شَأْنِ مَا فِيهَا. وذَلِكَ عَلَى أَنَّ "سلَّم" فِعْلٌ مَاضٍ، وضَمِيرُهُ لجِبْرِيلَ ولَا يَلْزَمُ ذَلِكَ، بَلْ "سَلّم" فِعْلُ أَمْر يَأْمرُ جِبْرِيلُ النَّبِيءَ ﷺ أَنْ يُسَلِّمَ علَى الْأَنْبِيَاءِ، وَأَمَرَهُ بِالتَّسلِيم عَلَيْهِمْ تَعْظِيمًا لهُمْ.

ورَسُولُ اللهِ ﷺ أَفْضَلُ الأَنْبِيَاءِ، ومَعَ ذَلِكَ يَبْدَأُ بِالسَّلامِ تَوَاضُعًا، ولأَنَّ الْمَارَّ يُسَلِّمُ علَى القَاعِدِ، ولا سِيَّما مَنْ هُمَا، أَبَوَاه آدَمُ وإِبْرَاهِيمُ، فَهُوَ أَحَقُّ بتَقْدِيمِ السَّلامِ علَى أَبَوَيْهِ.

وقالَ: مَرْحَبًا بالابْنِ الصَّالِحِ افْتِخَارًا بِكَوْنِهِ أَبًا لِلنَّبِيءِ ﷺ، والصَّالِحُ هُوَ الْقَائِمُ بِمَا يلْزَمُ مِنْ حُقُوقِ اللهِ وحُقُوق العِبَادِ، ولِكَوْنِ ذَلِكَ كَلِمَةً جَامِعةً لِمَعَانِي الْخَيْرِ، تَوَارَدَ الأَنْبِيَاءُ عَلَيْهَا فِي حَقِّهِ ﷺ.

وزادَ ابْنُ جَرِير وابن أبي حاتم والْبَيْهَقِيّ عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدرِيّ: فِي يَحيَى وعِيسَى علَيْهِمَا السَّلامُ أَنَّهُما مُتَشَابِهَانِ ثِيَابًا وشَعْرًا، ومَعَهُما نَفَرٌ مِنْ قَوْمِهِما، وإِذَا عِيسَى جَعْدٌ مَرْبُوع الْخَلْقِ إِلَى الْحُمْرَةِ والبَيَاضِ، سبْطُ الرَّأسِ كَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ دِيمَاسَ، أَيْ: حَمَّامٍ، شَبَّهَهُ بعرْوة بن مسعود الثّقفيّ. ومعْنَى كَوْنِهِمَا ابْنَي الْخَالَةِ أَنَّ عمران بن ماثان تزَوَّجَ حنَّة، وتزوَّجَ زَكَرِيَّاء إيشاع، فوَلَدَتْ إيشَاعُ يَحْيَى، ووَلَدَتْ حنَّة مَرْيَم، وإيشاع خَالَة مَرْيَم، وحَنَّةُ خالَة يَحْيَى. وبَيْنَ عمْرَانَ هذَا وعمْرَانَ أَبِي مُوسَى أَلْفٌ وَثَمَانُ مِئَةِ سَنَةٍ، يُقَالُ: ابْنَا خالَةٍ وَلَا يقَالُ ابْنَا عَمَّةٍ [213و] ويُقَالُ: ابْنَا عَمّ، ولَا يُقَالُ ابْنَا خَالٍ، قَالَهُ ابن السّكّيت[1] فِي "إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ"[2]. ووَجْهُهُ أَنَّ ابْنَي الْخَالَةِ أُمُّ كُلٍّ مِنْهُما خَالَةُ الْآخَرِ لُزُومًا، بِخِلَافِ ابْنَي الْعَمَّةِ.

وزَادَ مُسْلِم في روَايَةِ ثابِت عَنْ أَنَس فِي يوسُفَ ((**فَإِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ**))[3] أَي: الْحُسْنُ الذِي أُوتِيَهُ نبِيُّنا ﷺ أَوْ حُسْن غَيْرِهِ ﷺ.

(1) إصلاح المنطق، ص312.

(2) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 32/8.

(3) صحيح مسلم، حدِيث (259).

وزَادَ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيد عِنْدَ ابْنِ جَرِير وابْنِ أَبِي حاتِم والْبَيْهقِيّ: ((**قَدْ رَفَعَهُ اللهُ مَكَانًا عَلِيًّا**))[1] وذَلِكَ هُوَ رَفْعُهُ حَيًّا إِلَى السَّماءِ فلَا يُنَافِي أَنَّ هَارونَ وموسَى وَإِبْرَاهِيمَ في أَمْكِنَةٍ أَرْفَعَ مِنْ مَكَانِهِ، وأَيْضًا لَيْسَ فِي الآيةِ أَنَّهُ فِي مكَانٍ أَعْلى مِنْ كُلِّ مَكَانٍ. ذُكِر عَنْ كَعْبِ الأَحْبَارِ ﷺ أَنَّ إِدْرِيسَ رَفَعَهُ الملَكُ الْمُوَكَّلُ بِالشَّمسِ، وكَانَ صَدِيقًا لَهُ، وكانَ إِدْرِيسُ يَسْأَلُه أَنْ يُرِيَهُ الْجَنَّةَ، فأَذِنَ لَهُ اللهُ فِي ذَلِكَ، ولمَّا كانَ فِي السَّماءِ الرَّابعةِ رَآهُ مَلَكُ الْمَوْتِ، فعَجِبَ وقَالَ: أُمِرْتُ أَنْ أَقْبِضَ رُوحَ إِدْرِيسَ فِي السَّماءِ الرَّابعةِ فقَبضَه. والصَّحِيحُ أَنَّ عِيسَى ﷺ رُفِعَ أَيْضًا وهُوَ حَيٌّ، ولَمْ يَثبُتْ مِنْ طَرِيقٍ قَوِيَّةٍ مرْفُوعَةٍ أَنَّ إِدْرِيسَ رُفِعَ حَيًّا[2].

ورَوَى الطَّبَرَانِي[3]: أَنَّ كَعْبًا قَالَ لابن عبّاس: إِنَّ إِدْرِيسَ سَأَلَ صَدِيقًا لَهُ مِنَ الْملَائكةِ فحَمَلَهُ بيْنَ جَنَاحَيْهِ ثُمَّ صَعدَ، ولمَّا كانَ فِي السَّماءِ الرَّابعةِ تَلَقَّاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ فقَالَ لَهُ: أُرِيدُ أَنْ تُعْلِمَنِي كَمْ بَقِيَ مِن أَجَلِ إِدْرِيسَ، قَالَ: وأَيْنَ إِدْرِيسُ؟ قالَ: هُوَ مَعِي، قَالَ: إِنَّ هذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ، أُمِرْتُ أَنْ أَقْبِضَ رُوحَهُ فِي السَّماءِ الرَّابعَةِ، فقُلْتُ: كَيْفَ ذَلِكَ وهُوَ فِي الْأَرْضِ؟ فقَبَضَ رُوحَهُ))[4].

وقِيل: سَأَلَ مَلَكَ الْمَوْتِ أَنْ يُذِيقَهُ الْمَوْتَ فَأَذَاقَه وأَحْيَاهُ اللهُ، وسَأَلَ أَنْ يُرِيَهُ الجنَّةَ فأَدْخَلَهُ وأبَى مِنَ الْخُرُوجِ[5]، وذَلِكَ كُلُّهُ مِنَ الإِسْرَائِيلِيَّاتِ، واللهُ أَعْلَمُ هَلْ صَحَّ ذَلِكَ، كَيْفَ يَصِحُّ لِلْمَلَكِ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا بدونِ أَنْ يَسْتَأْذِنَ اللهَ جَلَّ وعَلَا.

وقِيلَ: خُصَّ إدرِيسُ بِالرَّفعِ إِلَى الرَّابعةِ عَنْ عِيسَى، إِذْ رُفِعَ إلى الثَّانِيَةِ، وإِدْرِيسُ جَدٌّ لنُوحَ، ومَعَ ذَلِكَ لَمْ يَقُلْ مَرْحَبًا بِالابْنِ، بَلْ قَالَ بِالْأَخِ تَأَدُّبًا وتَلَطُّفًا، كَذَا قِيلَ.

ورُفِعَ إِدْرِيسُ وهُوَ ابْنُ ثَلَاثِمِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً[6].

---

(1) جامع البيان، الطّبرِي، 424/14.

(2) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 33/8.

(3) خطأ صوابُهُ: الطّبرِي.

(4) جامع البيان، الطبرِي، 563/15، وشرح المواهِب، الزُّرقاني، 33/8.

(5) شرح المواهب، 150/8 عن ابن المنير.

(6) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 33/8.

وزَادَ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيد عِنْدَ ابْنِ جَرِير وابن أبي حاتم وابْنِ مَرْدُويَه والْبَيْهَقِي فِي هَارُونَ: ((**وَنِصْفُ لِحْيَتِهِ أَبْيَض، ونِصْفُهَا أَسْوَد تَكَادُ تَضْرِبُ إِلَى سُرَّتِهِ مِنْ طُولِها**))[1].

وفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ ابْنِ جَرِير والْبَيْهَقِيّ وغَيْرِهِمَا: ((**وحَوْلَهُ قَوْمٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وهُوَ يَقُصُّ عَلَيْهِمْ**))[2].

وذَكَرَ الْبُخَارِي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ومُسْلِم [213ظ] عَن ابْنِ عَبَّاس فِي مُوسَى: ((**أَنَّهُ رَجُلٌ آدَم طوالٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ أزد شنوءة**))[3].

وفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيد ((**كثِيرُ الشَّعْرِ، لَوْ كَانَ عَلَيْهِ قَمِيصَانِ لَنَفدهُمَا شَعْرُهُ**)).

وسَمَّى مُوسَى عليه السلام رسُولَ اللهِ ﷺ غلَامًا؛ لأَنَّهُ صَغِيرُ السِّنِّ بالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ، وبُكَاءُهُ لِزِيَادَةِ أُمَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الدَّاخِلِينَ الجنَّةَ عَلَى أُمَّتِهِ هُوَ، أَعْنِي مُوسَى، الدَّاخِلِينَ الْجَنَّةَ بُكَاء عَلَى قَوْمِهِ، لا حَسَد حَاشَاهُ.

وزَادَ فِي حَدِيثِ أَبِي أَيُّوب عِنْدَ أَبِي حَاتِم وابْنِ حِبَّانَ وابْنِ مَرْدُويَه وأَحْمَد فِي إِبْرَاهِيم قالَ: ((**مُرْ أُمَّتَكَ فَلْيُكثِروا مِنْ غِرَاسِ الْجَنَّةِ، فَإِنَّ تُرْبَتَهَا طيِّبَةٌ، وأَرْضَهَا واسِعَةٌ، فقَالَ لَهُ: ومَا غِرَاسُ الْجَنَّةِ؟ قالَ: لَا حَوْلَ وَلا قُوَّة إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ**))[4].

وأَخْرَجَ التِّرْمِذِي وقَالَ: حَسَنٌ والطَّبَرَانِي عَن ابْنِ مَسْعُود رفَعَهُ: ((**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: أَقْرِئْ أُمَّتَكَ السَّلامَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ**))[5] ورسُولُ اللهِ ﷺ أَشْبَهُ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام بِهِ.

وقَوْلُهُ: ((**رُفِعْتُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى**)) رُفِعْتُ أَنَا بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعَولِ وإِسْكَانِ الْعَيْنِ وضَمِّ التَّاءِ، أَوْ رُفِعَتْ بالبِنَاءِ لِلْمَفعولِ وفَتْحِ الْعَيْنِ وإِسْكانِ التَّاءِ، فيَكُونُ "إِلَيَّ" بيَاءِ الْمُتَكلِّمِ، و"سِدْرَةُ" بالرَّفْعِ أَيْ

(1) دلائل النبوة، البيهقي، 393/2.
(2) شرح المواهب، الزُّرقاني، 34/8.
(3) صحيح البخاري، حديث (3239)، وصحيح مسلم، حديث (266).
(4) مسند أحمد، حديث (23552).
(5) سنن الترمذي، حديث (3462).

أُظْهِرَتْ لِي، والقُلَّةُ التِي مُثِّلَتْ بِهَا نَبَقُ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى هِيَ التِي وَقَعَ تَحْدِيدُ الْمَاءِ الْكَثِيرِ بِهَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: ((**إِذَا بَلَغَ الْمَاءُ قُلَّتَيْنِ**))[1] و"الفِيَلَةِ" بِكَسْرِ الْفَاءِ وفَتْحِ الْيَاءِ جَمْعُ فِيلٍ.

ورَوَى مُسْلِم مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُود عَنْهُ ﷺ فِي حَدِيثِهِ عَنْ إِسْرَائِهِ أَنَّهُ قَالَ: ((وإِلَيْهَا ينْتَهِي مَا يَعْرُجُ إِلَيْهَا، يَنْتَهِي مَا يَعْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ فيُقْبَضُ منْهَا، وإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا ينْسطُ مِن فَوْقِهَا، فَيُقْبَضُ مِنْهَا))[2] وهُو صَحِيحٌ، وضَعَّفَهُ النَّوَوِي[3].

وقَالَ مُقَاتِل: النَّهْرَانِ الْبَاطِنَانِ السَّلْسَبِيل والْكَوْثَر[4]، والفرات هُوَ نَهْرُ بَغْدَادَ.

وفِي رِوَايَةٍ: ((**يَدْخُلُه؛ أَيْ: الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، ولَا يَعُودُونَ فِيهِ**))[5].

وأَخْرَجَ الطَّبَرِي عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: ((**ذَكَرَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قالَ: الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ مَسْجِدٌ فِي السَّماءِ بِحِذَاءِ الْكَعْبَةِ لَوْ خَرَّ لَخَرَّ عَلَيْها، يَدْخُلُه كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا**))[6].

وفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ الْبُخَارِي فِي قَوْلِهِ: ((**ثُمَّ أُوتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ**)) إِلَخ، ((**ولَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ**))[7].

وفِي رِوَايَةٍ ذَكَرَ إِناءً مِنْ مَاءٍ، فَفِي حدِيثِ أَنَس عِنْدَ الْبَيْهَقِي: ((**ولَوْ شَرِبْتَ الْمَاءَ غَرِقْتَ وغَرِقَتْ أُمَّتُكَ**))[8].

وذَكَرَ مُسْلِم مِنْ حَدِيثِ ثَابِت عَنْ أَنَس أَنَّ إِتْيَانَهُ بِالآنِيَةِ كَانَ عِنْدَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَبْلَ المِعْرَاجِ، ولَفْظُه: ((**ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ** [214و] **فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خرَجْتُ فجَاءَنِي جبْرِيلُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فقَالَ جِبْرِيلُ: أَخَذْتَ الفِطْرَةَ، ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّماءِ**))[9].

---

(1) مسند أحمد، حديث (4605).
(2) صحيح مسلِم، حدِيث (279).
(3) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 36/8.
(4) فتح البارِي، ابن حجر، 214/7.
(5) فتح البارِي، ابن حجر، 307/6.
(6) جامع البيان، الطَّبَرِي، 456/22.
(7) صحيح البخارِي، حدِيث (4709).
(8) دلائل النبوة، البيهقِي، 362/2.
(9) صحيح مسلم، حدِيث (259).

ويُجْمَعُ بِأَنَّ "ثُمَّ" بِمَعْنَى الْوَاوِ، أَوْ عُرِضَتْ الآنِيَةُ مَرَّتَيْنِ، مَرَّةً عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنَ الصَّلاةِ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وسَبَبُهُ مَا وَقَعَ لَهُ مِنَ الْعَطَشِ، ففِي حدِيثِ شدّاد: ((**فَصَلَّيْتُ مِن الْمَسْجِدِ حيْثُ شَاءَ اللهُ، وأَخَذَنِي مِنَ الْعَطَشِ أَشَدُّ ما أَخَذَنِي، فأُوتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ أَحَدُهُما لَبَنٌ والآخَرُ عَسَلٌ، فعَدَلْتُ بَيْنَهُما، ثُمَّ هَدَانِي اللهُ فأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فقَالَ شَيْخٌ بَيْنَ يَدَيَّ، يَعْنِي قَالَ لِجِبْرِيلَ: أَخَذَ صَاحِبُكَ الْفِطْرَةَ**))[1] ومَرَّةً عِنْدَ وُصُولِهِ إِلَى سِدْرَةِ المُنْتَهَى ورُؤيةِ الأَنْهَارِ الأَرْبَعةِ، وأَمَّا الاخْتِلافُ فِي عَدَدِ الآنِيَةِ ومَا فِيهَا فيُحْمَلُ علَى أَنَّ بَعْضَ الرُّواةِ ذكَرَ مَا لَمْ يَذْكُر الآخَرُ، ومَجْمُوعُها أَرْبَعَةُ أَشْيَاء مِنَ الْأَنْهَارِ الأَرْبَعَةِ التِي رَآها تَخْرُجُ مِنْ أَصْلِ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى: الْمَاءُ واللَّبنُ والْعَسَلُ والْخَمْرُ، كمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عنْدَ الطَّبَرَانِي فلَعَلَّهُ عَرَضَ علَيْهِ مِنْ كُلِّ نَهْرٍ إِنَاءً. وجَاءَ عَنْ كَعْب أَنَّ نَهْرَ الْعَسَلِ نَهْرُ النِّيل، ونَهْرُ اللَّبَنِ نَهْرُ جيحان، ونَهْرُ الْخَمْرِ نَهْرُ الفُرَاتِ، ونَهْرُ الْعَسَلِ نَهْرُ سيحَان[2].

وفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ ابْنِ عائذ، بَعْدَ ذِكْرِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام: ((**ثُمَّ انْطَلَقْنا فَإِذَا نَحْنُ بِثَلَاثِ آنِيَةٍ مُغَطَّاةٍ، فقالَ لِي جِبْرِيلُ: يَا مُحَمَّد أَتَشْرَبُ مِمَّا سَقَاكَ رَبُّكَ؟ فتَنَاوَلْتُ أَحَدَهَا فَإِذَا هُوَ عَسَلٌ، فشَرِبْتُ مِنْهُ قَلِيلًا، ثُمَّ تَنَاوَلْتُ الآخَرَ، فإِذَا هُوَ لَبَنٌ، فشَرِبْتُ مِنْهُ حَتَّى رَوِيتُ، فقَالَ: أَلَا تَشْرَبُ مِن الثَّالِثِ؟ قُلْتُ: قَدْ رَوِيتُ، قَالَ: وَفَّقَكَ اللهُ**))[3].

وفِي رِوَايَةِ الْبَزَّارِ أَنَّ الثَّالِثَ خَمْرٌ، ولَكِنْ وَقَعَ عنْدَهُ أَنَّ ذَلِكَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وأَنَّ الْأَوَّلَ كانَ مَاءً، ولَمْ يَذْكُر الْعَسَلَ[4].

ومَعْنَى "فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلاةُ خمسِينَ": فُرِضَتْ علَيَّ كذَا فُرِضَتْ عَلَيَّ كَذَا يَوْمًا، أَنَّها فُرِضَتْ عَلَيْهِ نَهَارًا وَلَيْلَةً، فالْمُرَادُ بِالْيَوْمِ كِلَاهُمَا كما جَاءَ فِي بَعْضِ الرِّواياتِ: ((**فُرِضَتْ عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ**)).

(1) تهذِيب الآثار، الطبرِي، حدِيث (734).

(2) فتح البارِي، ابن حجر، 216/7.

(3) (م، س)، 215/7.

(4) مسند البزار، حدِيث (2945)، وفِيه: ((ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ فِي أَحَدِهِمَا لَبَنٌ وَفِي الْآخَرِ عَسَل)).

وذَكَرَ النَّسائِي عَنْ أَنَس: ((**وأتيتُ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى فغَشِيَتْنِي ضبَابَةٌ، فخَرَرْتُ ساجِدًا، فقِيلَ لِي: إِنِّي يَوْمَ خَلَقْتُ السَّمَاوَاتِ والْأَرْضَ فَرَضْتُ عَلَيْكَ وعَلَى أُمَّتِكَ خَمْسِينَ صَلَاة، فقُمْ بِهَا أَنْتَ وأُمَّتكَ، قالَ ﷺ: فرَجَعْتُ**))[1].

وَفِي حَدِيثِ أَنَس عِنْدَ ابْنِ أَبِي حَاتِم: ((**فمَرَرْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى**)). زَادَ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعد[2]: ((**ونِعْمَ الصَّاحِب كَانَ لَكُمْ**)).

وفِي رِوَايَةِ النَّسائِي عَنْ مُوسَى أَنَّهُ فُرِضَ عَلَى بَنِي إسرائِيلَ صَلَاتَانِ فَمَا قَامُوا بِهَا[3].

وذَكَرَ الْبُخَارِي ومُسْلِم مِنْ رِوَايَةِ شَرِيك [214ظ] عَنْ أَنَس: ((**وبَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَعَالَجْتُهُم أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ عَلَى أَدْنَى مِنْ هَذَا فضَعفُوا وتَرَكُوهُ، وأُمَّتُكَ أَضْعَفُ أَجْسَادًا وأَبْدَانًا وأَبْصَارًا وأَسْمَاعًا، فالْتَفَتَ النَّبِيءُ ﷺ إِلَى جِبْرِيلَ يَسْتَشِيرُهُ فأَشارَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ أَنْ نَعَمْ**))[4].

وفِي الْبُخَارِي عَنْ أَنَس: ((**قَالَ**؛ أَيْ: جِبْرِيلُ: **اهْبِطْ بِسْمِ اللهِ**))[5].

وفِي "الْبُخَارِي" و"مسلِم" عَنْ أَنَس عَنْ أَبِي ذَرّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: ((**فُرِجَ سَقْفُ بيْتِي وأَنَا بِمَكَّةَ، ففرجَ أَيْ: شقَّ، صَدْرِي أَيْ: قَلْبِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَم**))[6] وذَلِكَ عِنْدَ إِرَادَةِ الإِسْرَاءِ.

قَالَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ: لَمْ يُغْسَل بِمَاءِ الْجَنَّةِ لِمَا اجْتَمَعَ فِي زَمْزَمَ، مِنْ كَوْنِ أَصْلِ مائِهَا مِنَ الْجَنَّةِ، ثُمَّ اسْتَقَرَّ فِي الْأَرْضِ، فأُرِيدَ بِذَلِكَ بَقَاءُ بَرَكَةِ رسُولِ اللهِ ﷺ فِي الأَرْضِ[7].

---

(1) السنن الصغرَى، النسائِي، حدِيث (450).

(2) خطأ، صوابه أَبِي سعِيد.

(3) السنن الصغرَى، النسائِي، حدِيث (450).

(4) ورد بمعناه صحيح البخارِي، حدِيث (7517) وصحيح مسلِم، حَدِيث (259) وليس عن شرِيك بل عن ثابت البناني، وشرح المواهب، الزُّرقانِي، 38/8.

(5) صحيح البخارِي، حدِيث (7517).

(6) صحيح البخارِي، حدِيث (3342) وصحيح مسلم، حدِيث (263).

(7) فتح البارِي، ابن حجر، 205/7.

وَقَالَ السُّهَيْلِيّ: لمَّا كانَ زَمْزَمُ حُفْرَة جِبْرِيلَ رُوحِ القُدُسِ، لِأُمِّ إِسْمَاعِيلَ جدِّهِ، نَاسَبَ أَنْ يغْسلَ بِهَا عِنْدَ دُخُولِ حَضْرةِ الْقُدُسِ لِمُنَاجَاتِهِ[1].

ولَفْظُ أَحْمَد عِنْدَ مَجِيءِ جِبْرِيلَ لِلْإِسرَاءِ عَنْ عَفَّانَ بنِ مُسلِم: ((**بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ فِي الْحطِيمِ، وَرُبَّمَا قَالَ قَتَادَة: فِي الْحِجْرِ**))[2] أَيْ: الْحَطِيم. وللْبُخَارِي رِوَايَةٌ: ((**بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ**))[3] وهُوَ أَعَمُّ. وفِي رِوَايَةِ الْوَاقِدِي بِأَسَانِيدِهِ: ((**أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ مِنْ شِعْبِ أَبِي طَالِب**))[4].

وفِي حَدِيثِ أُمِّ هَانِئ؛ فاخِتَة أو هِنْد أَوْ عَاتِكَة؛ شَقِيقَة عَلِيّ، عِنْدَ الطَّبرانِي أَنَّهُ بَاتَ فِي بَيْتِها، قالَتْ: ((**ففَقَدْتُهُ مِن اللَّيلِ، فقال**؛ أيْ: بَعْدَمَا رَجَعَ وسَأَلتهُ: **إِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ**)) الْحَدِيث[5].

ويُجْمَعُ، كمَا قَالَ ابْنُ حَجَر: بِأَنَّهُ باتَ فِي بيْتِ أُمِّ هَانِئ، وبيْتُهَا عِنْدَ شِعْب أَبِي طَالِب، فَفُرِّجَ سَقْفُ بيتِهِ وهُوَ بَيْتُها، أُضِيفَ إِلَيْهِ لأَنَّهُ سَكَنَهُ، فنَزَلَ مِنْهُ الْمَلَكُ جِبْرِيلُ، فأَخْرَجَهُ مِنَ الْبَيْتِ إِلَى الْمَسْجِدِ، فاضْطَجَعَ بِهِ، وبِهِ أَثَرُ النُّعاسِ ثُمَّ أَخْرَجَهُ إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فأَرْكَبَهُ الْبُرَاقَ[6].

ووَقَعَ فِي مُرْسَلِ الْحَسَن الْبَصْرِيّ، عِنْدَ ابْنِ إِسْحَاق: أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام أتاهُ فأَخْرَجَهُ إِلَى المسْجِدِ فأَرْكَبَهُ البُرَاقَ، وهَذَا يُؤَيِّدُ هذا الْجَمْعَ[7].

ولَمْ يَأْتِ مِن البَابِ مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَاتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا**﴾[8] لأَنَّ هذَا الْخِطابَ لِغَيْرِ الْمَلَائِكَةِ، وإِنَّما يَكُونُ مثْلُهُ لَهُمْ فِي بُيُوتٍ لهُمْ، كَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ.

ولِأَنَّ الْمَلَكَ، كمَا قَالَ ابْنُ دِحْيَةَ: انْصَبَّ انْصِبَابَةً واحِدَةً، علَى جِهَةِ الاِسْتِقامَةِ، ولَمْ يعرجْ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ، فكَانَ نُزُولُهُ علَى السَّقْفِ مبَالَغَةً فِي المفَاجَأَةِ، وتَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ الطَّلَبَ وَقَعَ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ، كرَامَةً لَهُ علَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ[9].

---

(1) الروض الأنف، السهيلي، 11/2، وفتح الباري، ابن حَجَر، 205/7،.

(2) مسند أحمد، حدِيث (17835)، وفيه: ((بينا)).

(3) صحيح البخاري، حدِيث (3207).

(4) فتح الباري، ابن حجر، 204/7.

(5) المعجم الكبير، الطبراني، حدِيث (1059).

(6) فتح الباري، ابن حجر، 204/7.

(7) فتح الباري، ابن حجر، 204/7.

(8) سورة البقرة: 189.

(9) شرح المواهب، الزُّرقاني، 42/8.

إِذْ مَجِيئُهُ فَجْأَةً كمَا قَالَ: ((بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ فِي الحطِيم)) ولَوْ كَانَ عَلَى مَوْعِدٍ وانْتِظَارٍ لأَتَاهُ مِنَ الْبَابِ، وَلِأَنَّ نُزُولَهُ مِنْ السَّقفِ مُنْشَقًّا لنُزُولِهِ، والْتِئَامُهُ فِي الْحَالِ، خَرْقُ عَادَةٍ وتَقْوِيَةٌ لِقَلْبِهِ ﷺ، وإِعْظَامٌ لِأَمْرِ الإِسْرَاءِ.

قِيلَ: وفِي نُزولِهِ [215و] مِن جِهَةِ الْعُلُوِّ إِشَارَةٌ إِلَى أَنْ يَسِيرَ بِهِ إِلَى جِهَةِ الْعُلُوّ، لَكِنْ بَعْدَ وُصُولِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ.

وفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِي: ((**أَتَاهُ بَيْنَ الْيَقْظَانِ والنَّائِمِ**))[1] وهَذَا فِي بَدْأ الْمَجِيءِ، وأَمَّا بَعْدَ إِخْرَاجِهِ مِن الْمَسْجِدِ وإِرْكَابِ الْبُرَاقِ، فعَلَى يَقَظَةٍ تَامَّةٍ ﷺ.

ويُرْوَى: ((لمَّا اسْتَيْقَظْتُ، خَرَجَ بِي)) أَيْ: زَالَ مَا بِي مِن شِبْهِ النَّومِ، أَوْ إِسْرَاء آخَرُ عَقِبَ النَّوْمِ الْخَالِصِ، أَوْ أَرَادَ بِالاِسْتِيقاظِ ذَهَابُ مَا فِي قَلْبِهِ مِمَّا يَغِيبُ بِهِ عَنِ الدُّنْيَا، ورُجُوعُهِ إِلَى الْعَالَمِ الدُّنْيَوِيّ.

ولَفْظُ مُسْلِم: ((**إِذْ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ: أَحَدُ الثَّلَاثَةِ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، فأُتِيتُ فانْطُلِقَ بِي**))[2]. والْمُرادُ بِالرَّجُلَيْنِ حَمْزَةُ وجَعْفَرُ، كَانَ ﷺ نَائِمًا بَيْنَهُمَا، والْمَشْهُورُ: إِذْ أَتَانِي آتٍ، وَهُوَ جِبرِيلُ.

وفِي رِوَايةِ شَرِيك عَنْ أَنَس عِنْدَ الْبُخَارِي ومُسْلِم: ((**أَنَّهُ جَاءَهُ ثَلاثةُ نَفَرٍ، قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ، وهُوَ نَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَقَالَ أَوَّلُهُم: أَيُّهُمْ هُوَ؟ قَالَ أَوْسَطُهُمْ: هو خَيرُهُمْ، فَقَالَ آخِرُهُمْ: خُذُوا خَيرَهُمْ، وكَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ، فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّى أَتَوْهُ لَيْلَةً أُخْرَى، فِيمَا يَرَى قَلْبُهُ، وتَنَامُ عَيْنَاهُ ولَا يَنَامُ قَلْبُهُ، وكذَا الأَنْبِياءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ**))[3] فَلَمْ يُكَلِّمُوهُ حَتَّى احْتَمَلُوهُ[4].

والنَّفَرُ الثَّلاثَةُ جِبْرِيلُ ومِيكَائِل، ويُقَالُ الثَّالِثُ إِسْرَافِيلُ، وفِي رِوَايَةِ الطَّبَرِي: ((**فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ ومِيكَائِلُ**)) وكَذَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِير وأَبُو يَعْلَى. وقَوْلُه" أَوَّلُهُمْ" هُوَ جبْرِيلُ وإِنَّمَا قَالَ: أَيُّهُمْ هُوَ؟ لِأَنَّهُ نَامَ بَيْنَ

(1) صحيح البخارِي، حدِيث (3207).
(2) صحيح مسلم، حدِيث (264).
(3) صحيح البخارِي، حدِيث (3570).
(4) المواهب اللدنية، القسطلاني، 24/3.

حَمْزَةَ وجَعْفَر، وقَوْلُهُ: "قالَ أَوْسَطُهُمْ" المُرَادُ بِهِ مِيكائِيلُ، وقَوْلُهُ: "قَالَ آخِرُهُمْ" هُوَ الْمَلَكُ الثَّالِثُ، الذِي يُقَالُ لَعَلَّهُ إِسْرَافِيلُ، وذَلِكَ ظَاهِرٌ فِي أَنَّهُ أَتَوْهُ لَيْلَةً وَلَمْ يُكَلِّموهُ، وأَتَوْهُ فِي اللَّيْلَةِ بَعْدَهَا وكَلَّمُوهُ[1].

وصَرَّحَ ابْنُ مَرْدُويَه عَنْ أَنَس بِأَنَّهُمْ كَلَّموهُ فِي الثَّالِثَةِ، ولَفْظُهُ: ((**حَتَّى أَتَوْهُ لَيْلَةً أُخْرَى، فقَالَ الْأَوَّلُ: هُوَ هُوَ، فقَالَ الْأَوْسَطُ: نَعَمْ، وقَالَ الآخَرُ: خُذُوا سَيِّدَ الْقَوْمِ الْأَوْسَط بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، فاحْتَمَلُوهُ حَتَّى أَتَوْا بِهِ زَمْزَمَ فاستَلْقَوْهُ علَى ظَهْرِهِ**)) وقَوْلُهُ: "فِيمَا يَرَى قَلْبُهُ" إلخ، بِمَعنَى كانَ مَجِيءُ المَلائِكَةِ لَهُ فِيمَا يَرَى قَلْبُهُ، والثَّابِتُ فِي الرِّواياتِ أَنَّهُ كانَ يقَظَةً، فَإِنْ قُلْنَا بالتَّعَدُّدِ فلَا إِشْكَالَ، وإِلَّا حُمِلَ عَلَى أَنَّهُ كانَ فِي طَرَفَيْ القِصَّة نَائِمًا، ولَيْسَ فِي ذَلِكَ مَا يَدُلُّ علَى أَنَّهُ نَائِمٌ فِي كُلِّهَا[2].

وثَبَتَ أَنَّهُ شَقُّوا قَلْبَهُ وغَسَلُوهُ، ولَا يَجِدُ لِذَلِكَ الشَّقِّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وسَائِرِ أَوْقَاتِ الشَّقِّ أَلَمًا، ولَا تَلَطُّخًا بِالدَّمِ، وَفِي رِوَايَةٍ وُجُودُ الدَّمِ.

وأَخْطَأَ شَرِيك فِي قَوْلِهِ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ، فَإِنَّ الإِسْرَاءَ كَانَ بَعْدَ الْبِعْثَةِ إِجْمَاعًا، وفُرِضَتْ الصَّلاةُ الْخَمْسُ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ إِجْمَاعًا؛ ولَعَلَّهُ أَرَادَ: حَمَلُوهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّموهُ، أَوْ أَرَادَ قبلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ بالصَّلاةِ، أَوْ أَرَادَ أَنَّهُمْ أَتَوْهُ قَبْلَ الْبِعْثَةِ، وتَأَخَّرَ الْوَحْيُ وبَعْدَهُ الإِسْرَاءُ إِلَى وقْتِهِمَا.

وأَمَّا قَوْلُ الْمَلَائِكَةِ فِي أَبْوَابِ السَّمَاواتِ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ فقَدْ مَرَّ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْبَعْثِ المِعْرَاجُ، لَا الْبِعْثَةُ [215ظ] فَالاسْتِدْلَالُ بِهِ عَلَى أَنَّ الإِسْرَاءَ لَيْسَ قَبْلَ الْبِعْثَةِ مُتَرَتِّبٌ علَى أَنَّهُ لَا يعْرجُ بِهِ إِلَّا بَعْدَ الْبِعْثَةِ.

وفِي "المَصَابِيحِ"[3] أَنَّ بعْضًا حَمَلَ كَلَامَ شَرِيكٍ عَلَى ظَاهِرِهِ، وقَالَ: إِنَّ الإِسْرَاءَ وقَعَ قَبْلَ البِعْثَةِ وبَعْدَها[4].

---

(1) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 44/8.

(2) (م، س)، 45/8.

(3) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوِي ت:685هـ.

(4) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 47/8.

ورَوَى الطَّبرانِي[1] مِنْ حَدِيثِ مَيْمُون بنِ سِياه: فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ ومِيكَائِيلُ فقَالَا: أيّهُمْ؟ وكانَتْ قُرَيْشٌ تَنَامُ حَوْلَ الْكَعْبَةِ[2]. والْمُرَادُ بِأيّهِمْ: أَيّ الثَّلاثَةِ حَمْزَة وجَعْفَر ورَسُول اللهِ ﷺ؟ فقالَ الْمَلَكُ الآخَرُ، وهُوَ الذِي يُقَالُ إِنَّهُ إِسْرَافِيلُ: أُمِرْنَا بِسَيّدِهِمْ، ثُمَّ ذَهَبَا ثُمَّ جاؤُوهُ وهُم ثَلاثَةُ نَفَرٍ[3].

يُرْوَى "قَدَّ" ويُروَى "شَقَّ" ويُرْوَى "فَرَجَ" والمَعْنَى واحِدٌ مِنْ ثُغْرَتِهِ، بِضَمٍّ فإسْكَانٍ، وهِيَ ما انْخَفَضَ فِي صدْرِهِ إِلى شَعْرَتِهِ، أَيْ: شَعْرِ عَانَتِهِ[4].

ورَوَى مُسْلِم: ((**إِلَى أَسْفَلِ الْبَطْنِ**))[5] ورَوَى الْبُخَارِي: ((**إِلَى مَرَاق بَطْنِهِ**))[6] أيْ: ما رَقَّ مِن بطنِهِ وسفل.

وروَى شَرِيك عنْ أَنَس: ((**فَشَقَّ جِبْرِيلُ مَا بَيْنَ نَحْرِهِ إِلَى لَبَّتِهِ**))[7] وهِيَ مَوْضِعُ القِلَادَةِ مِنَ الصَّدْرِ.

وأَنْكَرَ عِياضُ وابْنُ حَزْم قَبْلَهُ شَقَّ صَدْرِهِ الشَّرِيفِ ﷺ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ[8].

قَالَ عِيَاض: إِنَّمَا كانَ وهُوَ صَبِيّ وقَبْلَ الْوَحْيِ؛ أَيْ: فِي بنِي سَعْد بنِ بَكْر، عِنْدَ مُرْضِعَتِهِ حَلِيمَة[9].

وادَّعَى عِيَاض وابْنُ حَزْمٍ قَبْلَهُ أنَّ ذَلِكَ تَخْلِيطٌ مِنْ شَرِيك. وفِيه[10] أَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيّ ومُسْلِم مِنْ غيْرِ طَرِيقِ شَرِيك[11].

---

(1) ربما هو الطّبرِي، فلم أقِفْ على الرّواية عند الطبراني.

(2) فتح الباري، ابن حجر، 480/13.

(3) شرح المواهب، الزُّرقاني، 47/8. ينظر: تهذِيب الآثار، الطبرِي، حديث (720).

(4) شرح المواهب، الزُّرقاني، 47/8.

(5) صحيح مسلِم، حدِيث (264).

(6) صحيح البخارِي، حدِيث (3207).

(7) (م، س)، حدِيث (7517).

(8) طرح التثْرِيبِ في شرح التَّقرِيبِ، الحافظ العراقِي، 25/1.

(9) الشفا، القاضِي عياض، ص225.

(10) لم يذْكر المؤلِّفُ المصدرَ الذِي نقل منهُ، والمرجَّحُ أنَّهُ شرح المواهِبِ. وفي شرح المواهِب أنَّ هذا قولُ الحافظ العراقِي.

(11) طرح التثْرِيبِ في شرح التَّقرِيبِ، الحافظ العراقِي، 25/1.

قَالَ الْقُرْطُبِيّ: لَا يُلْتَفَتُ لِإِنْكَارِهِ؛ لأَنَّهُ رَوَاهُ ثِقَاتٌ مشَاهِيرٌ[1]، وقَدْ ثَبَتَ في "الصَّحِيحَيْنِ" عَنْ أَنَس عَنْهُ ﷺ بلَا واسِطَةٍ وبِوَاسِطَةِ أَبِي ذَرّ[2].

وثَبَتَ شَقُّهُ عِنْدَ الْبِعْثَةِ كَمَا مَرَّ، وأَخْرَجَهُ أبُو نُعَيْم وأَبُو دَاوُد والْحَارِث بنُ أَبِي أُسَامَةَ والْبَيْهَقِيّ مِنْ حَدِيثِ عائِشَةَ، ولِكُلٍّ مِنَ المَرَّاتِ الثَّلَاثِ حِكْمَةٌ.

فَالْأَوَّلُ الذِي عنْدَ حَلِيمَةَ، روَى أَنَس: ((أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أتَاهُ جِبْرِيل وهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فأَخَذَهُ وَصَرَعَهُ فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ فاسْتَخْرَجَهُ، ثُمَّ شَقَّهُ فاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً فقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطان مِنْكَ، أَيْ: الْمَوْضِعُ الذِي يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الوَسْوَاسِ لِلنَّاسِ[3]، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ، بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ لَأَمَهُ فَأَعَادَهُ مَكَانَهُ، وجَعَلَ الغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ حَلِيمَةَ فقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِل، فجَاؤوا وهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ. قَالَ أَنَس: فلَقَدْ أَرَى أَثَرَ الْمَخِيطِ فِي صَدْرِهِ))[4]. وكَانَ هَذَا فِي زَمَانِ الطُّفُولِيَّةِ فنَشَأَ عَلَى أَكْمَلِ الْأَحْوَالِ مِنَ الْعِصْمَةِ مِنَ الشَّيْطَانِ، أَيْ: وغَيْرِهِ، وخُلِقَتْ هَذِهِ الْعَلَقَةُ لِأَنَّهَا مِنْ جُمْلَةِ الأَجْزاءِ الإِنْسَانيَّةِ، خُلِقَتْ تَكْمِلَةً لِلْخَلْقِ الإِنْسَانِيّ، ونَزْعُهَا كَرَامَةٌ رَبَّانِيَّةٌ أَبْلَغُ مِنْ خَلْقِهِ بِدُونِها، وأَيْضًا لَوْ خُلِقَ سَلِيمًا مِنْهَا لَمْ يَطَّلِع الآدميّونَ علَى حَقِيقَتِهِ، فأَظْهَرَ اللهُ عَلَى يَدِ جِبْرِيلَ لِيَتَحَقَّقُوا كَمَالَ بَاطنِهِ كَمَا بَرَزَ لهُم مكمَلُ الظَّاهِرِ[5].

ولَعَلَّ هَذَا الشَّقَّ كَانَ سَبَبًا فِي إِسْلَامِ قَرِينِهِ الْمَرْوِيّ عِنْدَ الْبَزَّارِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْهُ ﷺ: **((فُضِّلْتُ علَى الْأَنْبِيَاءِ بِخَصْلَتَيْنِ؛ كَانَ شَيْطَانِي كَافِرًا فأَعَانَنِي اللهُ عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، ونَسِيتُ الأُخْرَى))**[6] ويُحْتَمَلُ أَنْ يكُونَ قَوْلُه: **((هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ))** إِشَارَةً إِلَى حَظِّ الشَّيطانِ الْمُبَايِنِ، كَالْعِفْرِيتِ الذِي أَرَادَ أَنْ يَقْطَعَ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ، وَأَمْكَنَهُ اللهُ مِنْهُ[7].

---

(1) المفهم، القرطبي، 383/1.

(2) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 48/8-49.

(3) عبارة: " أَيْ: الْمَوْضِعُ الذِي يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الوَسْوَاسِ لِلنَّاسِ" أضافها المؤلف على الهامِش، ليست في صحيح مسلِم.

(4) صحيح مسلِم، حدِيث (261).

(5) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 49/8.

(6) مسند البزار، حدِيث (7826).

(7) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 49/8-50.

وأَمَّا شَقُّ الصَّدْرِ عِنْدَ الْبِعْثَةِ فلِزِيَادَةِ الْكَرَامَةِ [216و] ولِيَتَلَقَّى مَا يُوحَى إِلَيْهِ بِقَلْبٍ قَوِيٍّ علَى أَكْمَلِ الْأَحْوَالِ مِن التَّطْهِيرِ، وكَذَلِكَ كَانَ، وأَمَّا شَقُّهُ عِنْدَ إِرَادَةِ العروجِ[1] فَلِلتَّهيُّئِ لِلتَّرَقِّي إِلَى الْمَلَأِ الأَعْلَى، والثُّبُوتِ فِي الْمَقَامِ الْأَسْنَى، والْمُبَالَغَة بِحُصُولِ الْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ كَالتَّوَضُّؤِ ثَلَاثًا[2].

ورُوِي شَقٌّ وهُوَ ابْنُ عَشْرٍ، رَواهُ أَبُو نُعَيْم، ورُوِيَ شَقٌّ خَامِسٌ، ولَا يَثْبُتُ، وحِكْمَتُهُ أَنَّ العَشْرَ قَرِيبَةٌ مِنْ سِنِّ التَّكلِيفِ، فشُقَّ قلْبُهُ وقُدِّسَ حَتَّى لَا يَلْتَبِسَ بِشَيْءٍ ممَّا يُعَابُ عَلَى الرِّجَالِ. وَقَدْ تُجْعَلُ مَرَّتَا الصِّبَا بِمَنْزِلَةِ الْمَرَّةِ الْوَاحِدَةِ[3].

وقَدْ سُنَّ لِدُخولِ الْحَرَمِ الغُسْلُ، فمَا ظَنُّكَ بِدُخُولِ حَضْرَةِ الْقُدسِ، ولَمَّا كانَ الْحَرَمُ مِنْ عَالَمِ الْمُلْكِ، وهُوَ ظَاهِرُ الْكَائِنَاتِ نِيطَ الْغُسْلُ بظَاهِرِ الْبَدَنِ فِي عَالَمِ الْمُعَامَلَاتِ ولمَّا كَانَت الْحَضْرَةُ الشَّرِيفَةُ مِنْ عَالَمِ الْمَلَكُوتِ، وهُوَ بَاطِنُ الْكَائِنَاتِ نِيطَ لَهَا الْغُسْلُ بِبَاطِنِ الْبَدَنِ فِي التَّحْقِيقَاتِ، وقَدْ عُرِجَ بِهِ لِتُفْرَضَ عَلَيْهِ الصَّلَواتُ، ولِيُصَلِّيَ بِمَلَائِكَةِ السَّمَاوَاتِ، ومِنْ شَأْنِ الصَّلاةِ الطُّهورُ، فقُدِّسَ ظَاهِرًا وباطِنًا. وفِي بَعْضِ كتُبِ الْمَعَارِيجِ أَنَّ جِبْرِيلَ وضأَهُ بَعْدَ غَسْلِ قَلْبِهِ فَهُوَ مُطَهَّرٌ مُتَطَهِّرٌ[4].

وكَلُّ مَا وَقَعَ فِي الْمِعْرَاجِ والْإِسْرَاءِ هُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ لِأَنَّ اللهَ قَادِرٌ علَى كُلِّ شَيْءٍ، وبِبَقَائِهِ علَى ظَاهِرِهِ تُخْرَقُ العَادَةُ، وقَدْ مَرَّ أَنَّهُ يُرَى أَثَرُ الْمَخِيطِ فِي صَدْرِهِ.

ومَنْ حَمَلَ ذَلِكَ علَى الْأَمْرِ الْمَعْنَوِيّ أَخْطَأَ وضَلَّ، وقُدْرَةُ اللهِ تعَالَى تَتَعلَّقُ بالْمُمْكِناتِ، وإِنَّما تَمْتَنِعُ عَن المُسْتَحِيلَاتِ، ولَا مَانِعَ مِنْ قَلْبِ الْحَقَائِقِ، فهُوَ قادِرٌ أَنْ يَشُقَّ بطْنَهُ وقَلْبَهُ ويَحْيَى، ولَا يَتَأَلَّمُ ويَلْتَئِمُ فِي الْحَالِ، إِذْ لَا يَتَأَثَّرُ شَيْءٌ بذَاتِهِ، بَل اللهُ يُوقِعُ الْأَشْيَاءَ عِنْدَ أَسْبَابِها وآلاتِها، وإِنْ شَاءَ لَمْ يُوقِعْها، وقَدْ أُلْقِيَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام فِي النَّارِ وَلَمْ تَضُرَّهُ، وكَانَتْ عَلَيْهِ بَرْدًا وسلَامًا مَعَ بَقَائِهَا علَى إِحْرَاقِهَا فِي حَقِّ غَيْرِهِ، وقِيلَ: بَرُدَتْ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ يَقْرُبُهَا بَعْدَمَا أُلْقِيَ فِيهَا. وهَؤُلَاءِ الشَّقَّاتُ كُلُّ وَاحِدَةٍ كصَبرِ إِسْمَاعِيلَ أَوْ إِسْحَاقَ علَى الذَّبْحِ، فَهُوَ كَرَامَةٌ مَعَ أَنَّ الشَّقَّ وَقَعَ، وذَبْحُ أَحَدِهِمَا لَمْ يَقَعْ.

---

(1) في الأصلِ: الرجوع، والتصحيح من شرح المواهِب ومن السياقِ.

(2) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 8/49-50.

(3) (م، س)، 8/50.

(4) (م، س)، 8/50-51. وهذا قول النّعماني.

ورَسُولُ اللهِ ﷺ ولَوْ لَمْ يَتَأَلَّمْ لَكِن صَبَرَ ولَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَتَأَلَّم، وقَدْ أَمْكَنَ أنْ يَتَألَّمَ عِنْدَ تَجْدِيدِ الشَّقِّ، ولمْ يَهَبْ ذَلِكَ ولَمْ يَتَأَلَّمْ، وقَدْ جاءَ مُنْتَقِعَ اللَّوْنِ إِلَى حَلِيمَةَ، ولَا مَانِعَ مِنْ أَنَّهُ قَدْ شَقَّ علَيْهِ الشَّقُّ، وتَأَلَّمَ عِنْدَ وُقُوعِهِ وصَبَر، أَوْ تَألَّمَ تَأَلُّمًا دُونَ تَألُّمِ مَن يُفْعَلُ بِهِ ذَلِكَ.

جزَمَ ابْنُ حَجَر وابْنُ الْجَوْزِي لَا مَشَقَّةَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ الجَوْزِيّ: شقَّ ومَا شَقَّ عَلَيْهِ، وقَالَ [216ظ] ابْنُ دِحْيَةَ: بِمَشَقَّةٍ عَظِيمةٍ، ولِهَذَا انْتَقَعَ لَوْنُهُ. قُلْنَا: انْتِقَاعُ اللَّوْنِ مَرْوِيٌّ عن الْمَرَّةِ الأُولَى، حِينَ كَانَ صَغِيرًا فِي بَنِي سَعْدٍ، وأَمَّا شَقُّهُ بَعْدُ فَلَمْ يُنْقَلْ عَنْهُ انْتِقَاعٌ[1].

وكانَ الطّسْتُ مِنْ ذَهَبٍ، مَعَ تَحْرِيمِ الذَّهَبِ، لأَنَّ تَحْرِيمَ الذَّهَبِ إِنَّما هُوَ الاِسْتِمتَاعُ بِهِ في الدُّنْيَا، وهُوَ ﷺ لَمْ يَتَمَتَّعْ بِهِ، ومَا هُنا مِنْ أَحْوالِ الآخِرَةِ أو الغَيْبِ.

قالَ ابنُ أَبِي جَمْرَةَ: ولأَنَّهُ لَمْ يَسْتَعْمِلْهُ هُوَ، بَل الْمَلَائِكة بِلَا أَمْرٍ مِنْهُ.

ويُبْحَثُ بِأَنَّ الكَلَامَ فِي أَنْ يُنَزَّهَ أَحَدٌ عَنْهُ إِذْ كانَ مُحَرَّمًا فِي شَرْعِهِ بَعْدُ، ويُجَابُ بِأَنَّهُ لَمْ يُحَرَّمْ في ذَلِكَ الْوَقْتِ بَلْ تَمْضِي مُدَّةٌ طَوِيلَةٌ وهُو حَلَالٌ لَهُ، ثُمَّ يُحَرَّمُ، وإِنَّمَا حُرِّمَ بالْمَدِينَةِ، فقَدْ شَمِلَهُ ﷺ وأُمَّتَهُ حِلُّهُ ثُمَّ حُرِّمَ، وخصَّ الذَّهَب لِأَنَّه مِنْ أَوَانِي الْجَنَّةِ، وقَدْ قَالَ بَعْدَ تَحْرِيمِهِ: ((**هُوَ لَهُم فِي الدُّنْيَا، وهُوَ لَنَا فِي الآخِرَةِ**))[2] قالَ اللهُ تعالَى: ﴿ **يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ** ﴾[3] ولِأَنَّهُ لَا تَأْكُلُهُ النَّارُ، كذلِكَ لَا تَأْكُلُ القُرْآنَ، ولَا قَلْبًا وَعَاهُ وعَمِلَ بِهِ، وَلِأَنَّهُ لَا يَأْكُلُهُ التُّرابُ ولَا يُغيِّرُهُ، وكذَا الْقُرْآنُ لَا يُغَيَّرُ بِكِتَابٍ يَنْسَخُهُ، ولِأَنَّهُ لَا يَلْحَقُهُ الصَّدَأُ، ولِأَنَّهُ أَثْقَلُ الْجَوَاهِرِ كذلِكَ الْوَحْيُ ثَقِيلٌ ﴿ **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا** ﴿5﴾ ﴾[4]. وقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ، ولَا يَلْحَقُ الصَّدأُ قَلبَهُ ﷺ[5].

وقالَ السُّهيْلِي وتِلْمِيذُهُ ابْنُ دِحْيَةَ: ولِأَنَّ الذَّهَبَ أَنْسَبُ بِإِذْهَابِ الإِثْمِ عنهُ والسُّوءِ، أَيْ وإِذْهَابِ الشِّرْكِ وإِدْحَاضِ أَهْلِهِ، ولِأَنَّهُ يَذْهَبُ إِلَى رَبِّهِ وفِيهِ أَنَّ هَذَا يُنَاسِبُ الشَّقَّ عِنْدَ الإِسْرَاءِ فقَطْ، ولِوَضَاءَتِهِ

(1) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 55/8.
(2) مسند أحمد، حدِيث (23401).
(3) سورة الزخرف: 71.
(4) سورة المزمل: 5.
(5) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 56/8-57.

وعِزَّتِهِ، والقرآنُ نُورٌ وعَزِيزٌ وَلأَنَّهُ قِيمَةُ المُتْلَفَاتِ، ويُتَوَصَّل بِهِ إِلَى إِنْفَادِ الدُّيونِ ووَسِيلَةٌ إِلَى الْقِيامِ بدِينِ اللهِ، ولِأَنَّهُ أَصْفَرٌ يورِثُ النَّظَرُ إِلَيْهِ السُّرُورَ مَا لَا يُورِثُهُ النَّظَرُ إِلَى الْفِضَّةِ[1].

وإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ يَكُونُ الإِيمانُ والْحِكمةُ فِي طسْتٍ وهُمَا عَرَضَانِ؟ قُلْتُ: لَعَلَّ الذِي فِيهِ ثَلْجٌ وبَرَدٌ يُفْرَغُ فِي قَلْبِهِ يُورِثُهُ عِلْمًا وحِكْمةً، فقَدْ جَاءَ أَنَّهُ مُلِئَ الطّستُ ثَلْجًا وبَرَدًا، فَحِينَ كَانَ طِفْلًا عَبَّرَ بِمَا رَأَى وهُوَ الثَّلْجُ والبَرَدُ، وبَعْدَ ذَلِكَ عَبَّرَ بِتَأْوِيلِهِمَا وهُوَ الْإِيمانُ والْحِكْمَةُ.

وقَدْ أَجَازَ مَن أَجَازَ تَجَسُّدَ الأَعْرَاضِ، لِظَاهِر حَدِيثِ أَنَّ الْمَوْتَ يَمثُلُ كَبْشًا يَوْمَ القِيامَةِ ويُذبَحُ بَيْنَ الجَنَّةِ والنَّارِ[2]. وكمَا جَاءَ أَنَّ البَقَرَةَ وآل عمران تَجِيئانِ يَوْمَ الْقِيامَةِ كَأَنَّهُما غمَامَتَانِ، أَيْ: لِمَن يَقْرَأُهُما بِلَا فَهْمٍ لِمَعْنَاهُما، أَوْ غَيَابَتَانِ أَيْ: لمَنْ قَرَأَهُما بِفَهْمِ معْنَاهُما، أَوْ فِرقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافّ، أَيْ: لِمَنْ ضَمَّ إِلَى قِرَاءَتِهما وفَهْمِ مَعْنَاهُمَا التَّعلِيمَ وإِرْشَادَ الطَّالِبِ[3].

وغُسِلَ قَلْبُهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، لِأَنَّ مَاءَ زَمْزَمَ يُقَوِّي الْقَلْبَ ويُسَكِّن الرّوعَ، فيَقْوَى قَلْبُهُ عَلَى مُشَاهَدَةِ الْمَلَكُوتِ، ولأَنَّ أَصْلَ مَائِها مِنَ الْجَنَّةِ، ولِأَنَّها حُفْرَةُ جِبْرِيلَ [217و] لِأُمِّ إِسْمَاعِيلَ جدّهِ ﷺ، وقَدْ مَرَّ ذَلِكَ. واسْتَدَلَّ بَعْضٌ بغَسْلِ قَلْبِهِ بِهِ عَلَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ مَاءِ الْكَوْثَرِ، لِأَنَّهُ لَا يغْسلُ قَلبهُ إِلَّا بِمَاءٍ هُوَ أَفْضَلُ الْمِيَاهِ[4].

ويُبْحَثُ بِأَنَّهُ يُنَاسِبُ أنْ يُغْسَلَ بِأَفْضَلِ مِيَاهِ الدُّنْيَا، لِأَنَّهُ ﷺ فِيها، فزَمْزَمُ أَفْضَلُ مِيَاه الدُّنيَا فَقَطْ، ويُجَابُ بِأَنَّهُ لمَّا كَانَ ﷺ أَفْضَلَ عَلَى الْإِطْلاقِ نَاسَبَ أَنْ يُغْسَلَ بِمَاءٍ أَفْضَل مِنْ كُلِّ مَاءٍ عَلَى الْإِطْلاقِ.

ولا يُعْتَرَضُ بقَوْلِهِ ﷺ: ((**لَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا ومَا فِيهَا**))[5] لِأَنَّ الْمُرَادَ خَيْر دَوَامًا وتَلَذُّذًا و.....[6].

(1) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 58/8.

(2) الحدِيث في صحيح البخارِي، رقم (4730).

(3) صحيح مسلم، رقم (252)، وفِيه: غَيايَتَان.

(4) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 65/8.

(5) صحيح البخارِي، حدِيث (6568).

(6) كلمة لم أفهمها، تصويرها: نضافا.

ولِأَنَّ مَاءَ زَمْزَمَ مِنَ الْجَنَّةِ، واخْتِيرَ عَنْ مَاءٍ يَحْدُثُ مِنَ الْجَنَّةِ لِأَنَّهُ ماءٌ نَشَأَ عَلَيْهِ هُوَ وأَبُوهُ وإِسْمَاعِيلُ. ويُبْحَثُ بِأَنَّهُ اخْتِيرَ لِأَنَّهُ يُقَوِّي الْقَلْبَ لِتَلَقِّي الوَحْيِ وأَحْوَالِ الإِسْرَاءِ، ولِيَسْكُنَ الرّوعُ فلَا يُقَالُ هُوَ أَفْضَلُ مِنْ ماءِ الْكَوْثَرِ بِالذَّاتِ، ولَا روعَ فِي الْجَنَّةِ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يُنْزَعَ بِمَاءِ الْكَوْثَرِ، فلَيْسَ مَاءُ الْكَوْثَرِ غَيْرَ صَالِحٍ لِنَزْعِ الرّوعِ، بل انْتَفَى مَحَلُّ الرّوعِ، وأَيْضًا نَزَلَ الْقُرْآنُ بالكَوْثَرِ لَا بِزَمْزَمَ، وأَيْضًا الْكَوْثَرُ مِمَّا مَنَّ اللهُ بِهِ عَلَى نَبِيئِهِ ﷺ وزَمْزَمُ مِمَّا [مَنَّ][1] بِهِ على نَبِيئِهِ إِسْمَاعِيلَ عليه السلام. ومِنْ خَوَاصِّهِ أَنَّهُ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا.

وقَدْ يُقَالُ: غُسِلَ بِهِ لِمَا ذُكِرَ فِي شَأْنِهِ ولِإِظْهَارِ شَرَفِهِ، وأَنَّهُ لَوْ رَجَعَ لِلْآخِرَةِ وشَرِبَ مِنْهُ أَحَدٌ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدُ.

بَلْ قَدْ جَاءَ فِي "صحِيح الْبُخَارِي": ((**مَنْ شَرِبَ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ لِلْأَمْنِ مِنَ الْعَطَشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُعْطِيَهُ**))[2]. وهُوَ زِيَادَةٌ عَلَى الْحَدِيثِ الْمُتَنَازَعِ فِيهِ: ((**مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ**))[3].

وقال ابن الرّفعة[4]: الماءُ النَّابِعُ مِن بَيْنِ أَصَابِعِهِ ﷺ أَفْضَلُ الْمِياهِ[5].

ونَقُولُ لَمْ يُغْسَلْ بِهِ لِأَنَّهُ غَيْرُ موْجُودٍ، فَلَا يُشْكِلُ على قَولِهِ ﷺ: ((**خَيْرُ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَاءُ زَمْزَمَ**))[6] لِأَنَّ النَّابِعَ مِنْ بَيْنِ أصَابِعِهِ غَيْرُ موجودٍ علَى وَجْهِ الْأَرْضِ[7].

ثُمَّ إِنَّهُ جاءَتْ روَايَةٌ بِغَسْلِ صَدْرِهِ ﷺ وروَايَةٌ بغَسْلِ قَلْبِهِ، فنَقُولُ غُسِلَا جَمِيعًا، وأَرَادَ بِغَسْلِ الصَّدرِ غَسْل الصَّدْرِ كُلِّهِ حَتَّى الْقَلْبِ.

وذكر الْقَلْب خَاصَّةً فِي رِوَايَةٍ لِمَزِيَّتِهِ، ولِأَنَّ غَسْلَ بَقِيَّةِ الصَّدرِ مِنْ أَجْلِ الْقَلْبِ، وهذَا لِكَوْنِهِ ﷺ مَحَلًّا لتَوَسُّعِ الْخَيْرِ، أَوْلَى مِمَّا هُوَ أَظْهَرُ في التَّأْوِيلِ بِحَسَبِ مُطْلَقِ الْكَلَامِ، وهُوَ أَنَّهُ أَرَادَ بالصَّدْرِ الْقَلْبَ

---

(1) لعلَّه نسيٌ من المؤلِّف، لتتمَّة المعنَى.

(2) لم أقفْ عليهِ في صحيح البخارِي.

(3) المستدرك، الحاكِم، حدِيث (1739).

(4) أحمد بن محمد بن علي المعروف بـ: ابن الرِّفْعَة ت:710هـ فقيه شافعيّ، من فضلاء مصر. كان محتسب القاهرة وناب في الحكم، له كتب، منها: كفاية النبيه في شرح التنبيه للشيرازي، مطالب المعاني في شرح وسِيط الغزالِي. طبقات الشافعية، السبكِي، 24/9، ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، 282/1.

(5) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 67/8.

(6) المعجم الكبِير، الطبراني، حدِيث (11167).

(7) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 67/8.

لِأَنَّهُ مَحَلُّ الْقَلْبِ، وأنَّ الْقَرِينَةَ الاِقْتِصَارُ علَى الْقَلْبِ في رِوَايَةِ ((وَغَسَلَ قَلْبَهُ)) في حَالِ الطُّفولِيَّة أَيْضًا أَوَّل غَسْلٍ، وأُخْرِجَتْ منْهُ نَزْغَةُ الشَّيْطَانِ تَهْيِيئًا لَهُ، لِمَا يُلْقَى فِيهِ بَعْدُ.

وصرَّحَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِأَنَّ الْعَلَقَةَ الْمَنْزُوعَةَ، نَزْعُهَا زِيَادَةُ خَيْرٍ، لَا إِزَالَةُ أَمْرٍ مُسْتَقْذَرٍ، ولَوْ لَمْ تُنْزَعْ لَمْ يَجِدْ الشَّيْطانُ إِلَيْهِ سَبِيلًا أيْضًا، وفِي إِزَالتِها تَعْظِيمٌ علَى غَيْرِهِ.

[217ظ] ومِثْلُ ذلِكَ الْغُسْلِ الوُضُوءُ لِمَن هُوَ نَظِيفٌ معَ عَدَمِ انْتِقاضِ وضُوئِهِ، فَهُو نُورٌ علَى نُورٍ، وتَأَهُّبٌ لِلْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَي اللهِ ﷻ أو معَ انْتِقاضِ الْوُضُوءِ، وَلَيْسَ ثَمَّ دَنَسٌ مَحْسوسٌ يُزِيلُهُ الْوُضُوءُ، ولَا يُنَافِيهِ قَوْلُهُمْ: إِنَّ الْحَدَثَ أَمْرٌ اعتِبَارِيّ يَقُومُ بالأَعْضَاءِ، يَمْنَعُ صِحَّةَ الصَّلاةِ، حَيْثُ لَا مُرَخِّصَ لِجَوَازِ أَنَّهُم أرَادُوا بالاِعْتِبارِيّ مَعْنىً أَرَادَهُ الشَّارِعُ مُنَافِيًا لكَمَالِ التَّعظِيمِ معَ خُلُوِّ الْأَعْضَاءِ مِنَ الدَّنَسِ الحِسِيّ، فكذلِكَ غَسْلُ قَلْبِهِ لَيْسَ لإِزَالةِ مُسْتَقْذَرٍ، بَلْ زِيَادَة كَمَالٍ وتَعْظِيمٍ[1].

ثمَّ إِنَّهُ رُوِي: ((**أَنَّهُ أتِيَ بالبُراقِ فحُمِلْتُ عَلَيْهِ، فانْطلَقَ بِي جبْرِيلُ، حتَّى أتَى سَمَاءَ الدُّنيا**))[2] فهَذَا صَرِيحٌ في أَنَّهُ عَرَجَ علَى الْبُراقِ، ولا يُنَافِيهِ رِوَايَةٌ لِلْبُخَارِي: ((**أَنَّهُ أَخَذَ جِبْرِيلُ بيَدِي فَعَرَجَ بِي إلى السَّمَاء**))[3] فإِنَّهُ يُقَالُ أَخَذَ بِيَدِهِ وهُوَ علَى الْبُرَاقِ، ولَكِنْ صَحَّ أَنَّهُ رَبَطَ البُرَاقَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، ورَقِيَ علَى المِعْرَاجِ، وجَزَمَ بِهِ بَعْضٌ ورَجَّحَهُ علَى ظَاهِرِ مَا سَبَقَ مِنْ أَنَّهُ رَقِي في الْمِعْراجِ علَى البُرَاقِ، والقُدْرَةُ صَالِحَةٌ أَنْ يَمشِي علَى الْمِعْرَاجِ بِدُونِ الْبُرَاقِ، ولَكِنَّ رُكُوبَهُ زِيَادَةُ تَشْرِيفٍ، لِأَنَّ الرَّاكِبَ أعَزُّ مِن الْمَاشِي[4].

والمِعْرَاجُ جِسْمٌ كَالسُّلَّمِ لَكِن انْفِصَال فِيهِ، وقِيلَ طَرِيقٌ غَيْرُ جِسْمٍ مَشَى ﷺ فِيهِ علَى دَابَّةٍ مِنْ ذَواتِ الْأَرْبَعِ بِإِقْدارِ اللهِ ﷻ.

كما قَالَ ﷺ فِي مَشْيِ الأَشْقياءِ علَى وُجُوهِهِم يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِنَّ الذِي أمْشَاهُم فِي الدُّنيا عَلَى أَقْدَامِهِم يُمْشِيهِم فِي الآخِرَةِ على وُجُوهِهِم[5].

---

(1) شرح المواهب، الزُّرقاني، 8/67-68.

(2) سبق تخريجهُ: صحيح البخارِي، حَدِيث (3887).

(3) صحيح البخارِي، حَدِيث (349).

(4) شرح المواهب، الزُّرقاني، 8/68.

(5) صحيح البخارِي، حدِيث (4760) ومسند أحمد، حدِيث (8755).

واسْتَدَلَّ بَعْضٌ عَلَى أَنَّ الْمِعْرَاجَ فِي لَيْلَةٍ غَيْرِ لَيْلَةِ الإِسْرَاءِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ؛ لِأَنَّ الإِسْرَاءَ إِلَيْهِ لَمْ يُذْكَرْ فِي قَوْلِهِ: ((**فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّماءَ الدُّنْيَا**))[1] فَإِنَّهُ يَتَبَادَرُ مِنْهُ أَنَّهُ سَارَ بِهِ مِن غَيْرِ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ فِي بَيْتِ المَقْدِسِ، إِلَّا أَنَّ الْأَوْلَى الْجَمْع بِأَنَّ مَا لَمْ يُذْكَرْ فِيهِ مَحْمُولٌ على مَا ذُكِرَ، واخْتَصَرَهُ بِالاقْتِصارِ علَى ذِكْرِ الْغَايَةِ، ولَفْظُ "ثمَّ" لَا يَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ[2].

وفِي رِوَايَةِ مُسلِم عَنْ ثابِت الْبُنَانِيّ عَنْ أَنَس أَنَّهُ ((**أَتَى إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَصَلَّى بِهِ ثمَّ عرَجَ إلى السَّماءِ**))[3].

وقَدْ قِيلَ: الحِكْمَة فِي الإِسْرَاءِ بِهِ رَاكِبًا، مَعَ القُدْرَةِ علَى طَيِّ الأَرْضِ، إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ تأْنِيسٌ لَهُ بالْعَادَةِ، لِأَنَّهُ يُمْكِنُ إِيصالُهُ بِلَا رُكُوبٍ، وفِي ذلكَ خَرْقُ الْعَادَةِ بِقَطعِ الْمَسَافَةِ البَعِيدَةِ في مُدَّةٍ قَلِيلَةٍ، وجَرَت الْعَادَةُ أَنَّ الْملِكَ إِذَا اسْتَدْعَى مَنْ يَخْتَصُّ بِهِ، بَعَثَ إِلَيْهِ بِمَرْكُوبٍ سَنِيٍّ، يَحْمِلُهِ علَيْهِ فِي وِفَادَتِهِ إِلَيْهِ[4].

والبُرَاقُ مُشْتَقٌّ مِنَ الْبَرِيقِ وهوَ اللَّمعَانُ، وقَالَ عِياضُ: سُمِّيَ الْبُرَاقُ لِكَوْنِهِ ذَا لَوْنَيْنِ، يُقَالُ: شَاةٌ بَرْقَاءُ، إِذَا كَانَ فِي خِلَالِ صُوفِهَا الأَبْيَضِ طَاقَاتٌ سُودٌ، ولَا يُنَافِيهِ وَصْفُهُ فِي الحَدِيثِ بأَنَّهُ أَبْيَضٌ، لِأَنَّ الْبَرْقاءَ مِنَ الغَنَمِ مَعْدُودَةٌ فِي البِيضِ[5]، ويُبْحَثُ بِأَنَّ هذَا الْوَصْفَ لَمْ يَثْبُتْ بعَيْنِهِ لِلْبُرَاقِ.

ومَا قِيلَ إِنَّ صَدْرَهُ يَاقُوتَةٌ حَمْرَاءُ ضَعِيفٌ، وقِيلَ مُشْتَقٌّ [218و] مِن الْبَرْقِ، وهُوَ مَا يَلْمَعُ مِنَ السَّحَابِ، لِشَبَهِهِ بِهِ فِي سُرْعَةِ السَّيْرِ، ويحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ اِسْمًا لَهُ بِدونِ مُرَاعَاةِ مَعْنىً، وصَحَّ أَنَّهُ يَضَعُ قَدَمَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى مَا يَرَى بَصَرُهُ[6].

(1) سبق تخريجهُ: صحيح البخارِي، حَدِيث (3887).
(2) شرح المواهب، الزُّرقاني، 8/69-70.
(3) صحيح مسلم، حدِيث (259).
(4) شرح المواهب، الزُّرقاني، 8/70.
(5) (م، س)، 8/74.
(6) (م، س)، 8/74.

قالَ ابنُ الْمُنَيِّر[1]: يَقْطَعُ ما انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ فِي خُطَوْةٍ واحِدَةٍ، فَمِن الْأَرْضِ إِلَى السَّماءِ فِي خُطْوَةٍ واحِدةٍ؛ لِأَنَّ بَصَرَ الذِي في الأَرْضِ يَرَى السَّماءَ[2].

وهذَا عَجِيبٌ مِنْ قُدْرَةِ اللهِ، تَعْجزُ أبْصَارُنا عنْ مَسَافَةِ فَرْسَخٍ مَثَلًا، وتُدْرِكُ السَّماءَ معَ عَجْزِهَا عَنْ إِدْرَاكِ مَا عَلَا جِدًّا فِي جِهَةِ السَّماءِ.

قالَ ابْنُ المُنَيِّرِ: قَطَعَ إِلَى أَعْلَى السَّماءِ السَّابِعَةِ في سَبعِ خُطُواتٍ[3]. وفِيه نَظَرٌ، لِأَنَّ غِلَظَ كُلِّ سَماءٍ مِثْلُ مَا بَيْنَها وبَيْنَ الأُخْرَى، وغلظُ سَمَاءِ الدُّنْيَا مِثْل مَا بَيْنَها وبيْنَ الْأَرْضِ، ومَا ذَكَرْنا مِنْ قَطْعِ البُرَاقِ ذَلِكَ صَرِيحٌ في أَنَّهُ صَعدَ بالْبُرَاقِ أَخْذًا بِظَاهِرِ الْحَدِيثِ، والصَّحِيحُ خلَافُهُ.

وروَى أَبُو يَعْلَى والْبَزَّارُ: أَنَّهُ إِذَا أَتَى عَلَى جَبَلٍ ارْتَفَعَتْ رِجْلَاه، وإِذَا هبَطَ ارْتَفَعَتْ يَدَاهُ[4]، أَيْ: فَلَا مَشَقَّةَ علَى رَاكِبِهِ فِي صُعودٍ ولَا هُبُوطٍ. وذَكَرَ الْوَاقِدِي بِأَسَانِيد: لهُ جَنَاحَانِ، وكَذَا ذَكَرَ الشَّامِي أَنَّ لَهُ جَنَاحَيْنِ فِي فخِذَيْهِ، يحفز بهِما، رَوَاهُ ابْنُ إِسْحَاق وابْنُ جَرِير وابْنُ المُنْذِرِ عن الْحَسَنِ الْبَصْرِيّ مُرْسَلًا. ورَوَاهُ ابْنُ سَعْد مِنْ طرِيقِ الْوَاقِدِي وابْنُ عَساكِر مِنْ حَدِيثِ جمَاعَةٍ منَ الصَّحابةِ. ويحفزُ بِهِما: يَحُثُّ بِهِمَا رجْلَيْهِ علَى سُرعَة السَّيْرِ، والْمُرَادُ بِرِجْلَيْهِ رِجْلَاهُ الْمُؤَخّرَتانِ، وذلِكَ لِثِقْلِ مُؤَخّرِ الدَّابة، فلَهُ أَرْبَعُ أَرْجُلٍ، أَوْ لِأَنَّ ذَلِكَ جَارٍ عَلَى هَذَا الأَمْرِ فِي خَرْقِ الْعَادَةِ، أو لِأَنَّهُما لَوْ كَانَا فِي جنْبَيْهِ علَى الْعَادَةِ لَكَانَا تَحْتَ فَخِذَيْ الرَّاكِبِ أو فَوْقَهُما، ويَحْصُلُ لَهُ مَشَقَّةٌ بِضَمِّهِما ونَشْرِهِما خُصُوصًا مَعَ السُّرْعَةِ الْعَظِيمَةِ[5].

وذَكَرَ الثَّعْلَبِيّ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَن ابْنِ عبَّاسٍ فِي صِفَة الْبرَاقِ: أَنَّ لَهَا خَدًّا كخَدِّ الْإِنْسَانِ وعَرْفًا كَعَرْف الْفَرَسِ، وقَوَائِمَ كقَوائِمِ الإِبِلِ، وأَظْلَافًا وذَنَبًا كأَظْلَافِ البَقرِ وذنَبِها، وكَانَ صَدْرُها يَاقُوتَة حَمْرَاء[6]، والتَّأنِيثُ باعْتِبَارِ أَنَّهُ دَابَّةٌ.

---

(1) لم أتَيَقَّن من المقصود مَنْ ابْنُ المنيِّر، فلم أجد النَّصَّ إلا في المواهب اللدنية وشرحِهِ، والأرجحُ أنَّه أحمد بن محمد بن منصور ناصر الدِّينِ، فهو الذي شرح حدِيث الإسراء في مجلَّدٍ، فكلُّ النُّصوص التي نقلها المؤلِّفُ عن الإسراء وما حدث فيه عن ابن المنيِّر فيعني به ناصر الدِّينِ.

(2) شرح المواهب، الزُّرقاني، 75/8.

(3) (م، س)، 75/8.

(4) مسند البزَّار، حدِيث (1568).

(5) شرح المواهب، الزُّرقاني، 75/8.

(6) (م، س)، 76/8، وفتح الباري، ابنُ حَجَر، 206/7.

ورَوَى عبْدُ الرَّحمن بنُ الحَسَن الأَصْفَهانِيّ النَّيسابورِيّ[1] في كِتَابِهِ "شَرَفُ الْمُصْطَفَى ﷺ": فكانَ الذِي أَمْسَكَ بِرِكَابِهِ جِبْرِيلُ، وبِزِمَامِ البُرَاقِ مِيكائِيلُ[2]. ويُبْحَثُ فِيهِ[3] بِأَنَّ جِبْرِيلَ رَاكِبٌ معهُ، ويُجَابُ بِأَنَّهُ أَمْسَكَ رِكابَهُ حَتَّى رَكِبَ فرَكِبَ أمَامَهُ[4].

ويُبْحَثُ بِرِوَايَةِ: ((**جبْرِيل عَنْ يَمِينِهِ وميكائِيل عَنْ يَسَارِهِ**))[5] روَاهُ سَعِيدُ بنُ مَنْصور والطَّبرانِيّ وابنُ مَرْدُويَه، فإنَّهُ ظَاهِرٌ في عَدَمِ الرُّكوبِ، ولَعَلَّ كَوْنَهُ عَنْ يَمِينِهِ فِي مَبْدَأ أمْرِهِ، ثمَّ رَكِبَ معهُ رِفْقًا بِهِ[6]. أَوْ رَكِبَ فِي مَوْضِع وكَانَ عَنْ يَمِينِهِ فِي موْضِعٍ، والْعِلْم عِنْدَ اللهِ.

وعنْ مَعمَر عَنْ قَتَادَةَ عنْ أَنَس: ((**أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بِالبُراقِ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مُسْرَجًا مُلْجَمًا فاسْتَصْعَبَ [218ظ] عليْهِ فقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: مَا حَمَلَكَ علَى هَذَا؟ مَا رَكِبَكَ خَلْقٌ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ مِنْهُ، أَيْ: بَلْ هُوَ أَكْرَمُ مَن رَكِبَكَ، فارْفَضَّ عَرَقًا**)) بِمَعْنَى أَنَّهُ خَجِلَ مِن الاِستِصْعَابِ، وسَالَ عَرَقُهُ مِنْ خَجَل الْعِتَابِ. أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِي وقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ[7]، وصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّان[8] مِنْ حَدِيثِ أَنَس، وأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُد والطَّبَرَانِيّ، والْبَيْهَقِيّ[9] وصَحَّحَه مِنْ حَدِيثِ شَدَّاد بنِ أَوْس[10].

وذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاق عَنْ قَتَادَةَ: أَنَّهُ لمَّا شَمَس، أَيْ: اسْتَصْعَبَ وَضَعَ جبْرِيلُ عليه السلام يَدَهُ علَى مَعْرَفَتِهِ وقَالَ: أَمَا تَسْتَحِي[11] يا بُرَاقُ مِمَّا تَصْنَعُ، فَوَاللهِ مَا رَكِبَكَ عَبْدٌ للهِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ أَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْهُ، فَاسْتَحْيَى

(1) نقل هذا الاسم المؤلف من شرحِ المواهِبِ، والذي وجدته أنَّ أبا سعد هو عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي، ت:407هـ، كما أثبته الشامِي في سبل الهدَى والرَّشاد، 292/7.

(2) شرف المصطفَى، أبو سعد، 194/2.

(3) يستعمل المؤلِّفُ هذه العبارةَ حين النقل وحين الوقوعِ في إشكالٍ، ثم يجيبُ عنه، أو يتركه دون تعقِيب.

(4) شرح المواهب، الزُّرقاني، 76/8.

(5) المعجم الأوسَط، الطَّبراني، حدِيث (3742).

(6) شرح المواهب، الزُّرقاني، 76/8.

(7) سنن الترمذِي، حدِيث (3131).

(8) صحيح ابن حبَّان، حدِيث (46).

(9) دلائل النبوة، البيْهقِي، 362/2.

(10) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 76/8-77.

(11) إلى هذا الحدِّ ذكر ابنُ حَجَر هذا القول، 207/7، ولم أجده فِي سيرة ابنِ هِشام.

حَتَّى ارْفَضَّ عَرَقًا، ثُمَّ قَرَّ حَتَّى رَكِبَهُ. وهُو مُرْسَلٌ لِأَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ أَنَسًا لِأَنَّ قتَادَةَ قَالَ: حدّثْتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ[1].

وفِي رِوَايَةِ رتيمة[2] عنْدَ ابْنِ إسْحاق: ((**فَارْتَعَشَت حَتَّى لَصِقت بِالْأَرْضِ، فاسْتَوَيْتُ عَلَيْهَا**))[3].

وفِي روَايَةٍ للنَّسائِيّ وابْنِ مَرْدُويَه مِنْ طَرِيقِ يزِيد بنِ أَبِي مَالِك عَنْ أَنَس نَحْوهُ مَوْصُولًا، وَزَادَ: ((وَكانَتْ تُسَخَّرُ لِلْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ))[4] ونَحْوهُ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيد الْخُدرِيّ عِنْدَ ابْنِ إِسْحَاقَ[5].

وفِيهِ دَلَالَةٌ علَى أنَّ الْبُرَاقَ مَرْكُوبٌ لِلْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ ﷺ، خِلافًا لِمَنْ نَفَى ذَلِكَ كابْنِ دِحْيَةَ. وقَالَ: مَعْنَى ((مَا رَكِبَكَ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ مِنْهُ)) مَا رَكِبَكَ أَحَدٌ قَطُّ، فكَيْفَ يَرْكَبُكَ أَكْرَمُ مِنْهُ[6].

قلْتُ: وهَذَا كمَا نَقُولُ: السَّالِبَة تَصْدُقُ بِنَفْيِ الْمَوْضُوعِ. وكَمَا نَقُولُ: يَنْتَفِي الْمَوْصُوفُ فيَنْتَفِي الْوَصْفُ بانْتِفَائِهِ، ويُشْبِهُ ذَلِكَ قَوْلَهُ تَعَالى: ﴿**لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا**﴾[7] أيْ: لَا سُؤَالَ فَلَا إِلْحَاحَ بِدَلِيلِ: ﴿**يَحْسِبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ**﴾[8] والمتَعَفِّفُ لَا يَسْأَل. وَيُشْبِهُ ذَلِكَ قَوْلَهُ تَعالَى: ﴿**فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿48﴾**﴾[9] أيْ: لا شَافِعَ فلَا شُفْعَةَ، وقَوْلَه تَعَالَى: ﴿**لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ**﴾[10] أيْ: لَا تِجَارَةَ فَضْلًا عَنْ أَنْ تُلْهِيهِمْ.

وقَوْلَ امْرِئِ القَيْسِ:

---

(1) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 77/8.

(2) في شرح المواهبِ: وثِيمة. وهو وثيمة بن موسى بن الفرات، الفارِسِي الفسَوِي، محدِّث أدِيب إخبارِي، خرج من بلده فارِس قاصِدا مصرَ ثمَّ الأندلس، ثمَّ عادَ إلى مِصْرَ، وتوُفِّيَ فِيها سنة 237، من آثارِهِ: كتاب في أخبارِ الرِّدَّة. لسان المِيزان، الذَّهَبِي، 374/8، ومعجم المؤلِّفِين، رضا كحالة، 69/4.

(3) فتح البارِي، ابن حجر، 207/7، وشرح المواهِب، الزُّرقاني، 77/8.

(4) لم أقف عليهِ عند النسائِي، وابن مردويه.

(5) المواهِب اللدنية، القسْطلاني، 39/3، وفتح الباري، ابن حجر، 207/7.

(6) المواهِب اللدنية، القسطلاني، 39/3، وشرح المواهِب، الزُّرقاني، 78/8، وفتح البارِي، ابن حجر، 207/7.

(7) سورة البقرة: 273.

(8) سورة البقرة: 273.

(9) سورة المدثر: 48.

(10) سورة النور: 37.

عَلَى لَاحِبٍ لَا يَهْتَدِي بِمَنَارِهِ [1] [2]

أَيْ: عَلَى طَرِيقٍ لَا مَنَارَ لَهُ، فَضْلًا عنْ أَنْ يُهْتَدَى بِهِ.

وذَلِكَ التَّأوِيلُ يرُدُّهُ هُنَا قَوْلُهُ: ((تُسَخَّرُ لِلْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ)). وجَزَمَ السُّهيْلِي بأنَّ البراقَ اسْتَصْعَبَ عليْهِ لِبُعدِ ركوبِ الأنبِياءِ قبْلَهُ[3].

وكَذَلِكَ قَالَ الزّبيدِي[4] صاحِبُ "مُخْتَصَرِ الْعَيْنِ" وصَاحِبُ "التَّحْرِيرِ"[5] تَبَعًا لَهُ: إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ كَانُوا يَرْكَبُونَ الْبُرَاقَ. وقَالَ النَّوَوِيّ: هذَا يَحْتَاجُ إِلَى نَقْلٍ صَحِيحٍ[6]، وتَقَدَّمَ النَّقلُ آنِفًا فِي حَدِيثِ أَنَس[7].

وأمَّا قَوْلُهُ ﷺ: ((**فرَبَطْتُهُ بالحَلَقَةِ التِي** [219و] **تَرْبِطُ الأَنْبِيَاءُ بِهَا**)) فَلَا دَلِيلَ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يقُلْ: "تَرْبِطهُ الأَنْبِيَاءُ" بِالهَاءِ، فلَعَلَّهُم يرْبِطُونَ بِهَا دَوَابَّهُم، ولَو احْتَمَلَهُ مِنْ حَيْثُ إنَّ الْكَلَامَ عَلَى البُرَاقِ، ولِأَنَّ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ قَدْ يُنَزَّهُ عَنْ دَوَابَّ تَبُولُ وتَرُوثُ.

قِيلَ: ويَحْتَمِلُ ارْتِباطَ الْأَنْبِيَاءِ أَنْفُسِهِم بِتِلْكَ الْحَلَقَةِ، أَيْ: تَمَسُّكُهُمْ بِهَا[8]. ويَحْتَاجُ إِلَى أنْ يُقَدَّر: تَرْبِطُ الأَنْبِيَاءُ بِهَا أَنْفُسَهُمْ، وفِيه مَعَ الْحَذْفِ تسْمِيَةُ التَّمَسُّكِ بالشَّيْءِ رَبْطًا بِهِ، والْأَصْلُ فِي الرِّوَايَاتِ أَنْ يُفَسِّرَ بَعْضُها بَعْضًا، فيَتَبَادَرُ أَنَّ المُرَادَ تَرْبِطُ بِهَا الْبُرَاقَ، لَا الدَّوابّ ولا أنفسَهُمْ.

وفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيد عِنْدَ الْبَيْهَقِيّ: ((فأَوْثَقْتُ دَابَّتِي بالْحَلَقة التِي كانَت الأَنْبِيَاءُ تَرْبِطُهَا فِيهَا))[9].

---

(1) في المواهب وشرحِهِ: لمنارِهِ.

(2) اللاحِب الطريق الواضِح، والشَّطرُ صدرُ بيتٍ من الطوِيل عجُزهُ:

إذا سافَهُ العَوْدُ النُّبَاطيُّ جَرْجَرَا

ديوان امرئ القَيْسِ، ص66.

(3) المواهِب اللدنية، القسطلاني، 39/3، والروض الأنف، السُّهيْلِي، 261/3.

(4) محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر، ت:379هـ. ينظر ترجمته: الصلة، ابن بشكوال، 35/1.

(5) لم أتعرَّف الكتاب.

(6) المنهاج، النووِي، ص200.

(7) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 78/8.

(8) المواهب اللدنية، القسطَلاني، 40/3.

(9) دلائل النُّبوَّة، البيهقِي، 391/2، وفيه: ((الْأَنْبِيَاءُ تُوثِقُهَا بِهِ)) والمواهب، القسطلاني، 40/3، وشرح المواهِب، الزُّرقاني، 79/8.

واسْتَدَلَّ بِهِ بَعْضٌ عَلَى الدَّوابِ، قُلْتُ: بَلْ هُوَ دَلِيلٌ علَى البرَاقِ، كَأَنَّهُ قَالَ: رَبَطْتُ دَابَّتِي حَيْثُ تُرْبَطُ هَذِهِ الدّابَةُ، وهِيَ الْبُرَاقُ لِأَنَّهُ رَدَّ الضَّمِيرَ إلى قَوْلِهِ دَابَّتِي، ودَابَّتُهُ ﷺ هذِهِ هِيَ البُرَاقُ.

ومِن رِوَايَةِ رَتِيمة[1]: فاسْتَصْعَبَ الْبُرَاق، وكانَت الأَنْبِيَاءُ تَرْكَبُها قَبْلِي، وكَانَتْ بَعِيدَةَ الْعَهْدِ بِرُكُوبِهِمْ، لَمْ تَكُنْ رُكِبَتْ فِي الْفَتْرَةِ[2].

قالَ الزُّهْرِيّ عَنْ سَعِيد بنِ الْمُسَيّب: الْبُرَاقُ هِيَ الدَّابَّةُ التِي كانَ يَزُورُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْها إسمَاعِيلَ[3].

قَالَ السُّهيْلِي: إِنَّ إِبْرَاهِيم حَمَلَ هَاجَر عَلَى الْبُرَاقِ، لمَّا سَارَ إِلَى مَكَّةَ بِهَا وبِوَلَدِهَا[4].

وذَكَرَ الفَاكِهِي أَنَّ إِبْرَاهِيمَ كانَ يَحُجُّ علَى الْبُرَاقِ[5].

وفِي حَمْلِ هاجَر عَلَى الْبُرَاقِ تَصْرِيحٌ علَى أَنَّ غَيْرَ الْأَنْبِيَاءِ رَكِبَ الْبُرَاقَ أَيْضًا، لَكِنْ مَعَ النَّبِيءِ لَا عَلَى اسْتِقْلَالٍ.

وذَكَرَ الطَّبَرِيّ أَنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَى أرمياء: أَن اذْهَبْ إِلَى بخت نصر، فأَعْلِمْهُ أنّي قَدْ سلَّطْتُهُ عَلَى الْعَرَبِ، فَاحْمِلْ معدّا عَلَى الْبُرَاقِ، كَيْلَا تُصِيبَهُ النِّقْمَةُ، فإِنّي مُسْتَخْرِجٌ مِنْ صُلْبِهِ نَبِيًّا كَرِيمًا، أَخْتِمُ بِهِ الرُّسُلَ. فحَمَلَهُ مَعَهُ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ[6]. وفِيهِ رُكُوبُ غَيْرِ الأَنْبِيَاءِ الْبُرَاقَ مَعَ نَبِيءٍ، وبِوَاسِطتِهِ نَبِيءٌ يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِهِ.

نَعَمْ رُكُوبُهُ مُسْرَجًا مُلْجَمًا، لَمْ يُرْوَ لِغَيْرِهِ ﷺ[7]، ولَوْ كَانَ مِنْ شَأْنِ الدَّابةِ السَّرجُ ونَحْوُهُ واللِّجَامُ، لَكِنْ لَمْ يُرْوَ أَنَّ نَبِيًّا صَعِدَ بِهِ إِلَى السَّماءِ غَيْرُهُ ﷺ.

---

(1) في المواهب وشرحِهِ: وثيمة. سبقت ترجمتهُ.

(2) شرح المواهب، الزُّرقاني، 79/8.

(3) المواهِب اللدنية، القسطلاني، 40/3.

(4) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 79/8، والروض الأنف، السُّهيْلِي، 7/2.

(5) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 80/8، وأخبار مكَّة، الفاكِهِي، 72/5.

(6) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 80/8، والروض الأنف، السهيْلِي، 35/1.

(7) المواهِب اللدنية، القسْطلَّاني، 40/3.

ووَجْهُ اسْتِصْعَابِ الْبُرَاقِ أَنَّهُ لَمْ يُذَلَّ[1] لِأَحَدٍ، بِنَاءً عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُرْكَبْ قَبْلَهُ ﷺ، أَوْ لِبُعْدِ الْعَهْدِ عَلَى أَنَّهُ قَدْ رُكِبَ قَبْلَهُ، ورَجَّحُوهُ، أَوْ تيهًا وفَرَحًا بِرُكُوبِهِ ﷺ[2].

ورَوَى أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ حُذَيفَةَ بنِ الْيَمَانِي: ((**أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بالْبُرَاقِ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ظَهْرِهِ هُوَ وجِبْرِيلُ حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ**))[3] قَالَهُ حُذَيْفَةُ عَن اجْتِهَادٍ، ولَمْ تَبْلُغْهُ أَحَادِيثُ نُزُولِهِ مِرَارًا قَبْلَ أَنْ يَصِلَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ[4].

وقَالَ ابْنُ دِحْيَةَ: الْمُرَادُ وجِبْرِيلُ قَائِدٌ أَوْ سَائِقٌ [219ظ] قالَ: وإِنَّمَا جَزَمْنَا بِذَلِكَ لِأَنَّ قصَّةَ الْمِعْرَاجِ كَرامَةٌ لِلنَّبِيءِ ﷺ، فلَا مَدْخَلَ لِغَيْرِهِ فِيها[5].

وتَبِعَهُ ابْنُ المنَيِّرِ وغَيرُهُ، ويُبْحَثُ بِأَنَّ مِنْ جُمْلَةِ كرَامَتِهِ إِكرَامُ صَاحبِهِ، بَلْ رُكُوبُهُ مَعَهُ ﷺ نَفْعٌ لَهُ[6].

ويرُدُّ ذَلِكَ أَيْضًا أَنَّ فِي صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُود ﷺ أَنَّ جِبْرِيلَ حَمَلهُ علَى الْبُرَاقِ رَدِيفًا لَهُ[7]. وفِي "مُسْنَدِ الْحَارِثِ بنِ أُسَامةَ" عَن ابْنِ مَسْعُودٍ: ((**أُتِيَ بالْبُرَاقِ فرَكِبَهُ خَلْفَ جِبْرِيلَ**))[8] أَيْ: لَا قُدَّامَهُ [لأَنَّهُ][9] أَعْرَفُ بالطَّرِيقِ، ولِأَنَّ الدَّابةَ غَيْرُ مَأْلُوفَةٍ، ولِأَنَّ ذَلِكَ لَيْلًا.

---

(1) في الأصل: يدل.
(2) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 80/8.
(3) لم أجده في المسند.
(4) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 81/8.
(5) المواهب اللدنية، القسطلاني، 41/3.
(6) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 81/8.
(7) صحيح ابن حبَّان، حدِيث (45).
(8) مسْند الحارِث، حدِيث (22).
(9) إضافة يقتضِيها السِّياقُ.

وفِي حَدِيثِ شَدَّاد بنِ أَوْس عِنْدَ الْبَزَّارِ[1] والطَّبرانِي[2] وصَحَّحَهُ الْبَيْهَقِي[3]: ((**أنَّ أَوَّلَ مَا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ[4] مَرَّ بِأَرْضٍ ذَاتِ نَخْلٍ**، يَعْنِي الْمَدِينَةَ، وإنَّمَا قَالَ: مَرّ بِهَا أَوَّلَ مَا أُسْرِيَ بِهِ، معَ طُولِ الْمَسَافةِ لِسُرْعَةِ السَّيْرِ.

قالَ لَهُ جِبْرِيلُ: ((**انْزِلْ فَصَلِّ، فَنَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ رَكِبَ فقَالَ لَهُ: أَتَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ؟ فقُلْتُ: اللهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ: صَلَّيْتَ بِيَثْرِبَ**)) ذَكَرَهَا بِهَذَا الاسْمِ لِأَنَّها شَهرَتْ بهِ، وذَلِكَ قَبْلَ النَّهيِ عَنْ هَذَا الاسْمِ لَهَا، وقَبْلَ أَنْ تُسَمَّى طَيْبَة؛ لِأَنَّهَا سُمِّيَتْ بَعْدَ حُلُولِهِ فِيهَا[5].

وفِي حَدِيثِ أَنَس عِنْدَ النَّسَائِيّ[6]: ((**أَتَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ؟ صَلَّيتَ بِطَيْبَةَ، وإِلَيْها الْمُهَاجَرُ**)) بِضمِّ الْمِيمِ وفَتْحِ الْجِيمِ، أَيْ: الْهِجْرَة.

((**ثُمَّ مَرَّ بِأَرْضٍ بَيْضَاءَ فقَالَ: انْزِلْ فَصَلِّ، فَصَلَّى فَرَكِبَ ﷺ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: أَتَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ؟ قالَ: لَا، قَالَ: صَلَّيْتَ بِمَدْيَنَ عِنْدَ شَجَرَةِ موسَى**)) والْمُرَادُ الشَّجَرَةُ التِي كَلَّمَهُ اللهُ عِنْدَهَا، لَمّا خرَجَ مِنْ عِنْدِ شُعَيْب، بَعْدَ انْقِضَاءِ الْأَجَلِ قَاصِدًا مِصْرَ، نودِيَ مِنْهَا ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿30﴾﴾[7] أَو الشَّجَرَةُ التِي آوَى إِلَى ظِلِّها، بَعْدَ سَقْيِ الْغَنَمِ لِبَنَاتِ شُعَيْبٍ كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾[8] فَإِنَّهُ ظِلُّ سمرة، كَمَا قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ عَن ابْنِ عَبَّاس[9]، وعَلَى هَذَا فَفِي إِطْلَاقِ مَدينَ علَى بُقْعَتِها تَجَوُّزٌ؛ لأَنَّهَا بِالطُّورِ سَمَّاهُ مَدْيَنَ لِقُرْبِهِ[10].

---

(1) مسْند البزار، حدِيث (2945).

(2) المعجم الكبِير، الطبرانِي، حدِيث (7142).

(3) دلائل النبوة، البيْهقِي، 355/2.

(4) لم يأت صدرُ الحدِيث بهذه الصِّيغة في البزار ولا الطَّبرانِي ولا البيهقِي، ويبدو أن المؤلف نقلَ ذلك من المواهب اللدنية، 42/3، أو شرحِهِ، 83/8.

(5) شرح المواهِب، الزُّرقانِي، 82/8-83.

(6) السنن الصغرَى، النسائِي، حدِيث (450).

(7) سورة القصص: 30.

(8) سورة القصص: 24.

(9) المحرر الوجِيز، ابن عطِيَّة، 284/4. وفِيه: عن ابن مسْعود، وليسَ ابن عبَّاس.

(10) شرح المواهِب، الزُّرقانِي، 83/8.

((**ثُمَّ رَكِبَ فَانْطَلَقَ الْبُرَاقُ يَهْوِي، ثُمَّ قَالَ لهُ: انْزِلْ فَصَلِّ فَنَزَلَ ﷺ فصَلَّى فَرَكِبَ فقَالَ لَهُ: أَتَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: صَلَّيْتَ بِطُورِ سِيناءَ**)) حَيْثُ كَلَّمَ اللهُ مُوسَى التَّكلُّمَ الْأَوَّلَ، نُبِّئَ فِيهِ مُوسَى عليه السلام، وهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، والثَّانِي بعْدَ غَرَقِ فِرْعَوْنَ واسْتِقْرَارِ الْأَمْرِ لِمُوسَى عليه السلام، بعْدَ الْأَمْرِ بِالصِّيامِ وانْقِضاءِ مُدَّةِ الْوَعْدِ، كمَا قَالَ الله جَلَّ وعَلَا﴿ **وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً** ﴾[1] الآية[2].

((**ثُمَّ بَلَغَ أَرْضًا بَدَتْ لَهُ فِيها ﷺ قُصُورٌ، فقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: انْزِلْ فَصَلِّ فَنَزَلَ ﷺ فَصَلَّى، ثُمَّ رَكِبَ وانْطلَقَ الْبُرَاقُ يَهْوِي**؛ أيْ: يُسْرِعُ كَأَنَّهُ نُزُولٌ مِنَ الْجَوِّ، **فقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: أَتَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ؟ قالَ: لَا، قَالَ: صَلَّيْتَ بِبَيْتَ لَحْم**))[3] حَيْثُ وُلِدَ عِيسَى عليه السلام، وهِيَ قَرْيَةٌ بِالشَّامِ تِلْقَاءَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ.

وفِي حَدِيثِ أَنَس عِنْدَ الْبَيْهَقِي: [220و] ((**لمَّا جاءَ جِبْرِيلُ بالبُرَاقِ إِلَيْهِ ﷺ اسْتَصْعَبَتْ عليْهِ، فَكَأَنَّها أَصَرَّتْ أُذُنَيْها**[4]**، أَيْ: جَمَعَتْهُما، فقَالَ لَهَا جِبْرِيلُ: مَهْ يَا بُرَاق، فوَاللهِ مَا رَكِبَك مِثْلُهُ، فسَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فإِذَا هُوَ بِعَجُوزٍ عَلَى جَنْبِ الطَّرِيق، فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّد أَنْظِرنِي أَسْأَلْكَ، فلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا**[5]**، فقَالَ مَا هَذِهِ يا جِبْرِيلُ؟ قالَ: سِرْ يَا مُحَمَّد**)) أَمَرَهُ بِالسَّيرِ عنْهَا لِئَلّا يَرِقَّ عَلَيْها لِسِنِّهَا فيُكَلِّمَهَا لِمَا مَعَهُ مِنَ الرَّحْمَةِ والرَّأْفَةِ.

((**فسَارَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسِيرَ، فَإِذا هُوَ بِشَيْخٍ يدْعُوهُ مُنْحَنِيًا، أَيْ: مِنْ شِدَّةِ الْكِبَرِ مُتَنَحِّيًا عَنِ الطَّرِيقِ، يَقُولُ: هَلُمَّ يَا مُحَمَّد، فقَالَ جِبْرِيلُ: سِرْ يَا مُحَمَّد**)) أَمَرَهُ بِالسَّيْرِ لِئَلَّا يَرِقَّ عَلَيْهِ لِسِنِّهِ[6].

وفِي حَدِيثِ أَنَسٍ: أَنَّهُ مَرَّ بِجَمَاعَةٍ بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ ((**إِذْ لَقِيَهُ خلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ تعَالَى فسَلَّمُوا عَلَيْهِ، فقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ يا أَوَّلُ، السَّلَامُ علَيْكَ يَا آخِرُ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا حَاشِرُ، فقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: ارْدُدْ عَلَيْهِم السَّلامَ، فَرَدَّ ثُمَّ لَقِيَهُ الثّانِيَة، فقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَلَقِيَهُ الثَّالِثَةَ فقَالَ لهُ مِثْلَ ذَلِكَ**))[7] هُوَ ﷺ أَوَّلُ مَنْ خُلِق،

---

(1) سورة الأعراف: 142.

(2) شرح المواهب، الزُّرقاني، 83/8.

(3) المعجم الكبير، حديث (7142).

(4) في دلائل النبوة: أَمَرَّتْ ذَنَبَهَا.

(5) ((فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّد أَنْظِرنِي أَسْأَلْكَ، فلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا)) العبارة ليست في الدلائِل.

(6) دلائل النُّبوَّة، البيهقي، 362/2.

(7) دلائل النبوة، البيهقي، 361/2.

وَأَوَّلُ مَن قَالَ بَلَى يَوْمَ "أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ" وأَوَّلُ مَنْ يُبْعَثُ، وأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ[1]، وأَوَّلُ شافِعٍ، وأَوَّلُ مُشَفَّعٍ، وآخِرُ الْأَنْبِيَاءِ زمَانًا، ويُحْشَرُ النَّاسُ علَى قَدَمَيْهِ وهُمْ خَلْفَهُ، أَوْ يُحْشَرُ قَبْلَهُمْ[2].

قَالَ جِبْرِيلُ: أَمَّا الْعَجُوزُ التِي رَأَيْتَ جَانِبَ الطَّرِيقِ، فَلَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا بَقِيَ مِنْ عُمُرِ تلْكَ الْعَجُوزِ، والذِي دَعَاكَ إِبْلِيسُ، أَرَادَ أَنْ تَمِيلَ إِلَيْهِ، والْعَجُوزُ الدُّنيَا أَيْ: صُوِّرَتْ كَعَجُوزٍ، أَمَا لَوْ أَجَبْتَهَا لَاخْتَارَتْ أُمَّتُكَ الدُّنيَا عَلَى الآخِرَة، أَيْ: يَجْعَلُونَهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِم، ويَعْبُدُونَهَا دُونَ اللهِ، فأُمَّتُهُ ﷺ ولَو ابْتَغوا الدُّنْيَا، وتَهَالَكَ عَلَيْهَا أَكْثُرُهُمْ، لَكِنْ لِأَغْرَاضٍ لَهُمْ مَعَ اعْتِقَادِ كَمَالِ قُدْرَةِ اللهِ ووَحْدَانِيَّتِهِ، وَأَمَّا الذِينَ سَلَّمُوا عَلَيْكَ فإِبْرَاهِيمُ ومُوسَى وعِيسَى عَلَيْهِم السَّلامُ، سَلَّمُوا علَيْهِ ثَلَاثًا زِيَادَةً فِي المَحَبَّةِ[3].

وفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيد: تَمَثَّلَت الدُّنيا لِلنَّبِيءِ ﷺ امْرَأَةً عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ زِينَةٍ، حَاسِرَةً عَنْ ذِرَاعَيْها فَكَلَّمَتْهُ، ولَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، وَإِنَّهُ قَالَ: لَوْ أَجَبْتَهَا لَاخْتَارَتْ أُمَّتُكَ الدُّنيَا، وتَمَثَّلَتْ لَهُ عجُوزًا، وقَالَ لَهُ: لَمْ يَبْقَ مِن الدُّنْيَا إِلَّا مَا بَقِيَ مِن عُمُرِ هَذِهِ الْعَجُوزِ[4].

قالَ أَبُو يعْلَى عَنْ أَنَس: ((**إِنَّهُ ﷺ مرَّ بِمُوسَى عليه السلام وهُوَ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ**)) وقَالَ: أَشْهَدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللهِ[5].

وذَكَرَ مُسْلِم والنَّسَائِي وغَيْرُهُمَا عَنْ أَنَس عَن النَّبِيءِ ﷺ: ((**مَرَرْتُ بِمُوسَى حِينَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكثِيب[6] الْأَحمَرِ، وهُوَ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ**))[7].

---

(1) "وأول من يدخل الجنة" عبارة مكرَّرَة.

(2) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 84/8.

(3) دلائل النبوة، البيهقِي، 362/2.

(4) دلائل النبوة، البيهقِي، 391/2.

(5) مسند أبِي يعْلى، حدِيث (4084).

(6) في الأصلِ: الكتِيبِ.

(7) السُّنن الكبرَى، النَّسائِي، حدِيث (1330)، وصحيح مسلم، حدِيث (164).

وفِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُود عِنْدَ الحَسَنِ بنِ عَرفَة[1][2] والطَّبرانِيّ وأَبِي نُعَيْم وغَيْرِهِمْ: ((**رَجُلٌ طوال سَبْطٌ آدَمُ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وهُوَ يَقُولُ بِرَفْعِ صَوْتِهِ: أَكْرَمْتَهُ وَفَضَّلتَهُ [220ظ] فدفعنا إليْهِ فسلَّمنا، فردَّ السَّلامَ، فقالَ: مَنْ هذَا مَعَكَ يا جِبْرِيلُ؟ قالَ: هَذَا أَحْمَدُ، قَالَ: مَرْحَبًا بالنَّبِيءِ الأُمِّيِّ الْعَرَبِيّ، الذِي بَلَّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ ونَصَحَ لِأُمَّتِهِ، ودعَا لَهُ بِالبَرَكَةِ، وقالَ: سَلْ لِأُمَّتِكَ اليُسْرَ، ثُمَّ أَبْعَدَ عَنَّا**))[3][4].

((**فقُلْتُ: مَنْ هَذَا يا جِبْرِيلُ؟ قالَ: هَذَا مُوسَى بنُ عِمْرانَ، قُلْتُ: ومَن يُعَاتِبُ[5]؟ قال: يُعَاتِبُ رَبَّهُ، قُلْتُ: أَيَرفَعُ صَوْتَه علَى رَبِّهِ؟ قالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ عَرَفَ لَهُ حِدَّتَهُ**))[6].

وذَكَرَ الحَدِيثَ، وفِيهِ: ((**أَنَّهُ لَقِيَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام في طَرِيقِهِ، ثُمَّ دَخَلَ الْأَقْصَى وصَلَّى بِالْأَنْبِيَاءِ**))[7].

ولَا مَانِعَ أَنَّ الأَنْبِيَاءَ يُصَلُّونَ فِي قُبُورِهِم الصَّلَاةَ التِي يُصَلُّونَ فِي الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهم الآنَ فِي الدُّنيَا، وقِيلَ: الصَّلَاةُ الدُّعَاءُ وذِكْرُ اللهِ سُبْحَانهُ، والثَّنَاءُ علَيْهِ، وجَزَم الْقُرْطُبِيّ بِالْأَوَّلِ؛ لأَنَّهُ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ، وهُمْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقونَ، وذلِكَ غَيْرُ تَكْلِيفٍ إِذْ لَا تَكلِيفَ فِي الآخِرَةِ[8].

وفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ الطَّبرانِيّ والبَزَّارِ[9] والْبَيْهَقِيّ[10] وابْنِ جَرِير وأَبِي يَعْلَى: ((أَنَّهُ علَيْهِ الصَّلاة والسَّلامُ، مَرَّ علَى قَوْمٍ يَزْرَعُونَ، ويَحْصُدُونَ فِي يَوْمٍ، كُلَّما حَصَدُوا عَادَ كمَا كانَ، فقَالَ لِجبْرِيلَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ، تُضَاعَفُ لَهُم الْحَسَنَةُ إِلَى سبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿39﴾﴾[11] ثُمَّ أَتَى علَى قَوْمٍ ترْضَخُ رُؤُوسُهُم

---

(1) الحسن بن عرفة: بنِ يَزِيْدَ العَبْدِيُّ المُحَدِّثُ، الثِّقَةُ البَغْدَادِيّ، سمع إسماعِيل بن عيَّاش وعبد الله بن المبارك، حدَّثَ عنه الترمذِي وابن ماجة وابن أبِي الدُّنيا، توفي بسامراءَ سنة 257هـ. سير أعلام النبلاء، الذَّهَبِي، 547/11.

(2) جزء ابن عرفة، حدِيث (69).

(3) عبارة:" ودعَا لَهُ بِالبَرَكَةِ، وقالَ: سَلْ لِأُمَّتِكَ اليُسْرَ، ثُمَّ أَبْعَدَ عَنَّا " ليست في جزء الحسن بن عرفة.

(4) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 85/8.

(5) في حلية الأولِياء: يناجِي.

(6) جزء ابن عرفة، حدِيث (69). هذا المقطع من الحدِيث في حلية الأولياء، أبو نعِيم، 386/10.

(7) جزء ابن عرفة، حدِيث (69).

(8) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 85/8-86.

(9) مسند البزار، حَدِيث (9518).

(10) دلائل النبوة، 397/2.

(11) سورة سبأ: 39.

بِالصَّخْرِ، كُلَّما رُضِخَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ، لَا يَفْتُرُ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، فقَالَ: ما هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلاءِ تَتَثَاقَلُ رُؤوسُهُمْ عَنِ الصَّلاةِ الْمَكْتُوبَةِ، ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ عَلَى أَقبَالِهِمْ رِقَاعٌ، وَعَلَى أَدْبَارِهِمْ رِقَاعٌ، يَسْرَحُونَ كَمَا تَسْرَحُ الأَنْعَامُ. وفي "البَزَّارِ" و"البَيْهَقِيّ" وغَيْرِهِمَا: "كمَا تَسْرَحُ الْإِبِلُ والْغَنَمُ"[1] يأْكُلُون الضَّرِيع وَالزَّقُّوم وَرِضْف جَهَنَّمَ، قالَ: مَا هَؤُلاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلاءِ الَّذِينَ لا يُؤَدُّونَ زَكاةَ أَمْوَالِهِمْ، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ، وَمَا اللَّهُ بِظَلّامٍ لِلْعَبِيدِ. والضَّرِيع: الشَّوكُ اليابِسُ، أو نَبَات أَحْمَر مُنْتِنُ الرِّيحِ يرْمَى بِهِ الْبَحْر، والزّقومُ: ثمَرُ شَجَرٍ كَرِيهِ الطَّعمِ قِيلَ: لا يُعْرَفُ فِي شَجَر الدُّنيا، وإِنَّما هِي فِي النَّارِ، يُكرَهُ أَهْلُ النَّارِ على أَكْلِهَا، والرِّضْفُ: الْحِجَارة الْمُحْمَاة. ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ لَحْمٌ نَضِيج فِي قِدْرٍ، وَلَحْمٌ نِيءٌ، فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ من النَّيِّءِ الخبِيثِ، وَيَدَعُونَ النَّضِيجَ، قَالَ: ما هوَ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الرَّجُلُ مِنْ أُمَّتِكَ تَكُونُ عِنْدهُ المرأَةُ الحَلالُ الطَّيّبُ فَيأْتِي امْرَأَةً خَبِيثَةً، فَتَبِيتُ عندَهُ حَتَّى يُصْبِحَ، وَالْمَرْأَةُ تَقُومُ مِنْ عِنْدِ زَوْجِهَا حَلالا طَيِّبًا، فَتَأْتِي رَجُلا خَبِيثا، فَتَبِيتُ عِنْدَهُ حَتَّى تُصْبِحَ. والمرادُ الزُّناة، ثُمَّ أَتَى عَلَى رَجُلٍ قَدْ جَمَعَ حزْمَةً عَظِيمَةً لا يَسْتَطِيعُ حَمْلَهَا، وَهُوَ يَزِيدُ عَلَيْهَا، قَالَ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الرَّجُلُ مِنْ أُمَّتِكَ تكونُ عندهُ أَمَانَاتُ النَّاسِ، لا يَقْدِرُ على أَدَائِهَا، وَهُوَ يُرِيدُ أن يَحْمِلَ عَلَيْهَا. وذَلِكَ يعُمُّ أَنْوَاعَ الأَمَانَاتِ مِن مالٍ وسِرّ وإِمَارَةٍ وإِمَامَةٍ ونحْوِ ذَلِكَ، ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ أَلْسِنَتُهُمْ وَشِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ حَدِيدٍ، كُلَّمَا قُرِضَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ، لا يَفْتُرُ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، قَال: مَا هَؤُلاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هؤلاءِ خُطَبَاءُ الْفِتْنَةِ. يعْنِي مَنْ يَقُولُ الْحَقَّ ولَا يَعْمَلُ بِهِ مِنْ وَاعِظٍ ومعلِّمٍ وامْرِئٍ نَاهٍ. ثُمَّ أَتَى عَلَى حَجَرٍ صَغِيرٍ يَخْرُجُ مِنْهُ ثَوْرٌ عَظِيمٌ، فَجعل الثَّوْرُ يُرِيدُ أَنْ يرجِعَ مِنْ حَيْثُ خَرَجَ فَلا يَسْتَطِيعُ [221و] فَقَالَ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الرَّجُلُ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ الْعَظِيمَةِ ثمَّ يَنْدَمُ عَلَيْهَا، فَلا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرُدَّهَا، ثُمَّ أَتَى عَلَى وَادٍ فَوَجَدَ فِيهِ رِيحًا طَيِّبًا باردةً وريح المِسكِ، وَسمِعَ صَوْتًا فَقَالَ: مَا هَذَا يا جبرِيل؟ قَالَ: هذا صَوْتُ الْجَنَّةِ، رَبِّ آتِنِي بِمَا وَعَدْتَنِي، فَقَدْ كَثُرَتْ غرفِي واسْتَبْرَقِي وَحَرِيرِي وَسُنْدُسِي وَعَبْقَرِيّي ولُؤْلُؤِي وَمَرْجَانِي وَفِضَّتِي وَذَهَبِي وَأَكْوَابِي وَصِحَافِي وَأَبَارِيقِي ومراكِبِي وَعَسَلِي ومائِي وَلَبَنِي وَخَمْرِي، فَآتِنِي بِمَا وَعَدْتَنِي، قَالَ: لَكِ كُلُّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، وَمُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، وَمَنْ آمَنَ بِي وَبِرُسُلِي، وَعَمِلَ صَالِحًا، وَلَمْ يُشْرِكْ بِي شَيْئًا، وَلَمْ يَتَّخِذْ مِنْ دُونِي أَنْدَادًا، ومَن خشِيَنِي فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ، وَمَنْ أَقْرَضَنِي جَازَيْتُهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيَّ كَفَيْتُهُ، إِنِّي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلّا أَنَا، لا

(1) لم أجد هذا عندَ البزار، ولا عند البيهقي.

أُخلِفُ المِيعَادَ، وقَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، وتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ، قَالَتْ: قَدْ رَضِيتُ. ثُمَّ أَتَى عَلَى وَادٍ فَسَمِعَ صَوْتًا مُنْكَرًا، ووجَدَ رِيحًا منتنة فَقَالَ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا صَوْتُ جَهَنَّمَ، تَقُولُ: رَبِّ آتِنِي بِمَا وَعَدْتَنِي، فَقَدْ كَثُرَتْ سَلاسِلِي، وَأَغْلالِي، وَسَعِيرِي، وَحَمِيمِي، وَغَسَّاقِي وعذابِي، وَقَدْ بَعُدَ قَعْرِي، وَاشْتَدَّ حَرِّي، فآتِنِي بِمَا وَعَدْتَنِي، قَالَ: لَكِ كُلُّ مُشْرِكٍ وَمُشْرِكَةٍ، وَكافِرٍ وكافِرَةٍ، وَكُلُّ جَبَّارٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ، قَالَتْ: قَدْ رَضِيتُ. قال: فسَارَ حَتَّى أَتَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ))[1].

وفِي رِوَايَةِ أَبِي سعِيد الْخُدرِيّ سَعْدِ بنِ مَالِك بنِ سنَان عِنْدَ الْبَيْهَقِيّ[2] وابْنِ جَرِير[3] وابن أبي حاتم وابْنِ مَرْدُويَه: ((**دَعَانِي دَاعٍ عَنْ يمِيني يَا مُحَمَّد انْظِرْنِي أَسْأَلْكَ، فَلَمْ أُجِبْهُ ثُمَّ دَعَانِي داعٍ عَنْ يَسَارِي: يَا مُحَمَّد انْظِرْنِي أَسْأَلْكَ فَلَمْ أُجِبْهُ**)) وفِيه: ((**وبَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ إِذ امْرَأَةٌ حَاسِرةٌ كَاشِفَةٌ عن ذِرَاعَيْهَا، وعلَيْهَا مِنْ كُلِّ زِينَةٍ خلَقَهَا اللهُ تعَالَى، فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّد انْظِرْنِي أَسْأَلْكَ، فلَمْ أَلْتَفِتْ إِلَيْهِ**)). وفِيه: ((**قالَ جِبْرِيلُ: أَمَّا الدَّاعِي الأَوَّلُ فَهُوَ دَاعِي الْيَهُودِ، ولَوْ أَجَبْتَهُ لَتَهَوَّدَتْ أُمَّتُكَ**)) ويقَالُ: لَعَلَّ حكْمَةَ ذلكَ لَوْ وَقَعَ أَنَّ اللهَ جعَلَ إِجَابتَهُ سَبَبًا لِذَلِكَ في سَابِقِ عِلْمِهِ، وهكَذَا يُقالُ فِي مِثْلِ هَذَا ((**قَالَ جِبْرِيلُ: وأَمَّا الثَّانِي فَدَاعِي النَّصَارَى، ولَوْ أَجَبْتَهُ لتنَصَّرَتْ أُمَّتُكَ، وأَمَّا الْمَرْأَةُ فالدُّنْيَا لَوْ أَجَبْتَهَا لَاخْتَارَتْ أُمَّتُكَ الدُّنْيَا علَى الآخِرَةِ**)) وفِيهِ: ((أَنَّهُ صَعِدَ إِلَى السَّماءِ الدُّنيا ورَأَى فِيها آدَم، وبَعْدَ اجْتِمَاعِهِ بِهِ بمُدَّةٍ قَلِيلَةٍ رَأَى أَخْونَةً، وهِيَ جَمْعُ خِوَانٍ، أَيْ: مَوَائِد، بَلْ هَنَا مَا يُؤْكَلُ علَيْهِ الطَّعامُ، علَيْهَا لَحْمٌ طَيِّبٌ لَيْسَ عَلَيْها أَحَدٌ، وأُخْرَى عَلَيْها لَحْمٌ نَتِنٌ عَلَيْها نَاسٌ يَأْكُلُونَ، قَالَ يا جِبْرِيلُ: مَا هَذَا؟ قالَ: هَؤُلاءِ الذِينَ يتْرُكُونَ الْحَلَالَ وَيَأْكُلُونَ الْحَرَامَ[4].

وفي لَفْظٍ عِنْدَ الْبَيْهَقِيّ: [221ظ] وغَيْرِهِ: ((**فَإِذَا هُوَ بِأَقْوَامٍ عَلَى مَائِدَةٍ عَلَيْها شَحْمٌ شوِي كَأَحْسَنِ ما رُئِيَ مِنَ اللَّحْمِ، وإِذَا حَوْلَهُ جِيَفٌ فجعَلُوا يُقْبِلُون علَى الْجِيَفِ يَأْكُلُونَ منْهَا ويَدَعُونَ اللَّحْمَ، فقَالَ: مَنْ هَؤُلاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قالَ: هَؤُلَاءِ الزُّناةُ يُحِلُّون مَا حَرَّمَ اللهُ علَيْهِمْ، وتَرَكُوا مَا أَحَلَّ اللهُ لَهُمْ**))[5].

(1) دلائل النبوة، البيْهقِي، 2/398-399.
(2) دلائل النبوة، البيهقِي، 2/390.
(3) تهذِيب الآثار، حدِيث (725).
(4) شرح المواهب، الزُّرقاني، 8/91-92.
(5) (م، س)، 8/92. لم أقف عليه في غيرِهِ.

وفِيه[1]: ((**أَنَّهُ مَرَّ بِقَوْمٍ بُطُونُهُم أَمْثَالُ الْبُيُوتِ، كُلَّما نهَضَ أَحَدُهُم خَرَّ، وإِنَّ جِبْرِيلَ قَالَ لَهُ: هُمْ أَكَلَةُ الرِّبا، بَعْدَ السُّؤالِ منْهُ ﷺ مَنْ هُمْ؟**))[2].

وفِيه: ((**ثُمَّ مَضَى هُنَيْهَةً فإِذَا بِقَوْمٍ بُطونُهُم أَمْثَالُ الْبُيُوتِ فِيها الْحيَّاتُ، وتُرَى مِنْ خَارِجِ بُطُونِهِم كُلَّما نهَضَ أَحَدُهُم خَرَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ لَا تُقِم السَّاعَةَ وهُمْ عَلَى سَابِلَةِ آلِ فِرْعَوْنَ فتَجِيءُ السَّابلةُ فتَطَؤُهُم فَيَضجُّونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى، فَقَالَ يا جِبْرِيلُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ مِنْ أُمَّتِكَ الذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الذِي يَتَخبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ**))[3] والسَّابِلَةُ: أَبْنَاء السَّبِيلِ الْمُخْتَلِفَةُ جُعِلُوا بِطَرِيق آلِ فِرْعَوْنَ يَمُرُّونَ عَلَيْهِم غُدُوًّا وعَشِيًّا لِأَنَّ آلَ فِرعَوْنَ همْ أَشَدُّ النَّاسِ عذابًا يَطَؤُونَهُمْ وتِلْكَ أَرْوَاحٌ لَهُمْ، وإِلَّا فقَدْ صَارُوا عِظامًا واللهُ قَادِرٌ علَى أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ أجْسَادَهُمْ، وقَدْ زَعَم مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْأَرْوَاحَ أَجْسَادٌ لَطِيفَةٌ قابِلَةٌ لِلنَّعِيمِ والعَذَابِ خَلَقَ اللهُ في تِلْكَ الأَرْواحِ مِنَ الْأَلَمِ مَا يَجِدُ مَن انْتَفَخَ بَطْنُهُ حتَّى وُطِئَ بالأَقْدَامِ، وَلَا يسْتَطِيعُ مَعَهُ قِيَامًا[4].

وفِيه: ((**أَنَّهُ مَرَّ بِقَوْمٍ مَشَافِرُهُمْ كمَشَافِرِ الْإِبِلِ، يَلْتَقِمُونَ جَمْرًا فَيَخْرُجُ مِنْ أَسَافِلِهِمْ فيَضِجُّونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وإِنَّهُ ﷺ قالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا**))[5].

وَإِنَّهُ مَرَّ بِنِسَاءٍ عُلِّقْنَ بِثَدْيِهِنَّ وأَنَّهُنَّ الزَّوانِي، ولَفْظُ الحَدِيثِ: ((**ثُمَّ مَضَى هُنَيْهَةً**[6] **فَإِذَا هُوَ بنِسَاءٍ مُعَلَّقَاتٍ بِثَدْيِهِنَّ ونِسَاءٍ مُنَكَّسَاتٍ بِأَرْجُلِهِنَّ فسَمِعَهُنَّ يَضْججن إِلَى اللهِ تَعَالَى فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ التِي يَزْنِينَ ويَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ**))[7].

---

(1) الهاء هنا وفيما يلِي من الفقرات تعود إلى حدِيث أبِي سعِيد الخدرِيّ.

(2) شرح المواهب، الزُّرقانِي، 92/8. لم أقف عليه في غيره.

(3) دلائل النبوة، البيهقِي، 392/2.

(4) شرح المواهب، الزُّرقانِي، 92/8.

(5) دلائل النبوة، البيهقِي، 392/2، وشرح المواهب، الزُّرقانِي، 93/8.

(6) هذه العبارة ليست في كتب الحدِيث.

(7) شرح المواهب، الزُّرقانِي، 93/8.

وإِنَّه مَرَّ بِقَوْمٍ يُقْطَعُ مِنْ جُنُوبِهِم اللَّحْمُ فيُطْعَمُونَ وأَنَّهُم الْغَمَّازُونَ، كَذَا قِيلَ، ولَفْظُ الحَدِيثِ الْهَمَّازونَ، وفَسَّرَهُ بَعْضٌ بِالْمُغْتَابِينَ، ويُروَى الهَمَّازُونَ اللَّمَّازونَ، ولَفْظُ الْحَدِيثِ: ((**ثُمَّ مَضَى هُنَيْهَةً فَإِذَا هُوَ بِأَقْوَامٍ يُقْطَعُ مِنْ جُنُوبِهِمْ اللَّحْمُ فَيُلْقَمُون وَيُقَالُ لهُم: كلُوا كَمَا كُنْتُمْ تأكُلُونَ لُحُومَ إِخْوَانِكُمْ، فقَالَ: يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الْهَمَّازُون مِن أُمَّتِكَ اللَّمَّازُونَ**))[1].

وفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ الْبزَّارِ والْحَاكِم والْبَيْهَقِيّ أَنَّهُ ﷺ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ ولَفْظُهُ: ((**ثُمَّ سَارَ [222و] إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فنَزَلَ فَرَبَطَ فَرَسَهُ إِلَى صَخْرَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثُمَّ دَخَلَ فصَلَّى مَعَ الْمَلَائِكَةِ**)) وفِيهِ: أَنَّهُ صَلَّى بِالْأَنْبِيَاءِ والْمَلَائِكَةِ. وفِيهِ: أَنَّهُ أُتِيَ بِأَرْوَاحِ الْأَنْبِيَاءِ وأَثْنَوْا عَلَى اللهِ. وفِيه: أنَّ الأَنْبِيَاءَ أَثْنَوْا عَلَى اللهِ وأَثْنَى علَيْهِ بَعْدَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فقالَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام: لقدْ فَضلَكُمْ مُحَمَّد[2]. أَيْ: زَادَ عَلَيْكُمْ فِي الثَّناءِ عَلَى اللهِ ﷻ[3].

ورَوَى عَبْدُ الرَّحْمَن بنُ هَاشِم عَنْ أَنَس عِنْدَ الطَّبرانِيّ والْبَيْهَقِيّ: ((**ثُمَّ بُعِثَ لَهُ آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِم السَّلامُ فأَمَّهُمْ تِلْكَ اللَّيلَةَ**))[4] أيْ: صَلَّى بِهِم إِمَامًا.

ورَوَى أَبُو يَعْلَى مِنْ حَدِيثِ أُمِّ هَانِئ: ((**ونُشِرَ إِلَيَّ رَهْطٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ**، أَيْ: وجُمِعُوا حَوْلِي **مِنْهُمْ إِبْرَاهِيم ومُوسَى وعِيسَى**))[5] ويُجْمَعُ بَيْنَ هَذَا ومَا قَبْلَهُ بِأَنَّ "مِنْ" لِلْبَيَانِ، أَيْ: رهْط هُم الْأَنْبِيَاءُ، فَهُو كَقَوْلِهِ آدَم فَمَنْ دُونَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وسَمَّاهُم رَهْطًا لِقِلَّتِهِم بالنِّسْبَةِ إلى غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ.

وفِي رِوَايَةِ أَبِي سَلَمَةَ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: ((**ثُمَّ حَانَت الصَّلاةُ فأَمَمْتُهُم**؛ أَيْ: صَلَّيْتُ بِهِم إِمَامًا))[6]أخرَجَهُ مُسْلِم، والصَّلاةُ النَّفْلُ لَا الْفَرْضُ مِنَ الْخَمْسِ؛ لِأَنَّهُ تُفْرَضُ الْخَمْسُ بَعْدُ إِذَا وَصَلَ منْتَهَاهُ، ولَا صَلَاة الصُّبْحِ أَو الْعَشِيّ الْوَاجِبَةِ بَعْدَ الْبِعْثةِ؛ لأَنَّهُ فِي اللَّيْلِ.

(1) شرح المواهب، الزُّرقاني، 93/8.
(2) فتح الباري، ابن حجر، 200/7.
(3) دلائل النبوة، البيهقي، 399/2.
(4) دلائل النبوة، البيْهقي، 362/2.
(5) معجم أبي يعلى، حديث (10).
(6) صحيح مسلم، حديث (278).

وفِي حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ عِنْدَ الطَّبرانِي فِي "الْأَوْسَطِ": ثُمَّ أُقِيمَت الصَّلاةُ؛ أَيْ تَهَيَّؤُوا أَوْ قامُوا لَهَا، لَا الإِقَامَةُ الْمَشْرُوعَةُ؛ لِأَنَّها شُرِعَتْ بالْمَدِينَةِ فتَدَافَعُوا؛ أَيْ: الإِمَامَة حَتَّى قَدَّمُوا مُحَمَّدًا ﷺ[1]. وفِي حدِيثِ ابْنِ مَسْعُود ﷺ: فقُمْنَا صُفُوفًا نَنْتَظِرُ مَنْ يَؤُمُّنا فَأَخَذَ جِبْرِيلُ بيَدِي فقَدَّمَنِي فَصَلَّيْتُ بِهِم، وهَذَا لَا يُنَافِي التَّدافُعَ الْمَذْكُورَ لِأَنَّهُم صَفُّوا وانْتَظَرُوا وتَدَافَعُوا، ولَمَّا قَدَّمهُ جِبْرِيلُ سرُّوا بِهِ[2].

وعَنْ ثَابِت الْبُنَّانِيّ رَحِمهُ اللهُ، عَنْ أَنَس عِنْدَ مُسْلِم: ((**أُتِيتُ بالبُرَاقِ فرَبَطْتُهُ بِالْحَلَقَةِ**))[3] وَمَرَّ ذَلِكَ فِي أَحَادِيثَ، فقِيلَ الْمُرَادُ حَلَقَة بَابِ مَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ الْمَعْهُودِ مِنْ سَائِرِ أَبْوَابِهِ[4].

وعِنْدَ الْبَيْهَقِيّ[5] والطَّبرانِيّ[6] والبَزَّارِ[7] مِنْ حَدِيثِ شَدَّاد: ودَخَلَ المَدِينَةَ مِنْ بَابِها الْيَمَانِيّ، ودَخَلَ الْمَسْجِدَ مِنْ بَابٍ تَمِيلُ فِيهِ الشَّمْسُ والْقَمَرُ[8].

ورَوَى الْوَاسِطِيّ[9] عَن الْوَلِيدِ بنِ مُسْلِم: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَشْيَاخِنَا أَنَّ النَّبِيءَ ﷺ رَأَى عَنْ يَمِينِ الْمَسْجِدِ وعَنْ يَسَارِهِ نُورَيْنِ سَاطِعَيْنِ فقَالَ يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَانِ النَّورَانِ؟ قالَ: أَمَّا الذِي عَنْ يَمِينِكَ فَإِنَّهُ مِحْرَابُ أَخِيكَ دَاوُد وَأَمَّا الذِي عَنْ يَسَارِكَ فَعَلَى قَبْرِ أُخْتِكَ مَرْيَمَ[10].

وفِي روَايَةِ مُسْلِم عَنْ ثَابِت عَنْهُ ﷺ: ((**ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ [222ظ] رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عليه السلام بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فقَالَ جِبْرِيلُ: اخْتَرْتَ**

(1) المعجم الأوسَط، الطَّبرانِي، حدِيث (3879)، وفِيه عن أَبِي ليلى.
(2) شرح المواهب، الزُّرقانِي، 95/8.
(3) صحيح مسلم، حدِيث (259).
(4) شرح المواهب، الزُّرقانِي، 95/8.
(5) دلائل النبوة، البيهقِي، 355/2.
(6) تهذِيب الآثار، حدِيث (734).
(7) البحر الزخار، حدِيث (3483)، وفِيه: "بابها الثّامِن".
(8) شرح المواهب، الزُّرقانِي، 96/8، وفيه: من بابها اليمنِي.
(9) محمد بن أحمد بن محمد الخطيب أبي بكر الواسطي، توفي في القرن الخامِس.
(10) شرح المواهب، الزُّرقانِي، 96/8، نقلا من فضائل بيت المقدِس، الكتاب مطبوع لم أطلع عليه، تخريج ودراسة: عمرو بن عبد العظيم الحوينِي، نشر: مركز بيت المقدِس، ذكر الكتاب ابن حجر، المعجم المفهرس، ص183. وينظر: الدر المنثور، 228/9.

الْفِطْرَةَ))[1]. والرَّكْعَتَانِ غَيْرُ الصَّلاةِ التِي صَلَّاهَا بِالْأَنْبِيَاءِ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ ابْنُ مَسْعُودٍ؛ فَهُمَا تَحِيَّةُ الْمَسْجِدِ أَوْ غَيْرُهَا، وعَرْضُ الآنِيَةِ بعْدَ الصَّلاة بِالْأَنْبِيَاءِ، والْفِطْرَةُ: الْإِسْلَامُ.

ورَوَى أَبُو يَعلَى والبَزَّارُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: أُتِيَ بآنِيَةٍ ثَلَاثَةٍ مُغَطَّاةٍ أَفْوَاهُهَا، فَأُتِيَ بِإِنَاءٍ مِنْهَا فِيهِ مَاءٌ فَشَرِبَ مِنْهُ قَلِيلًا، وفِي لَفْظٍ فلَمْ يَشْرَبْ مِنْهُ شَيْئًا ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِ إِنَاءً آخَرَ فِيهِ لَبَنٌ فَشَرِبَ مِنْهُ حَتَّى رَوِيَ مِنْهُ، ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِ إِنَاءً آخَرَ فِيهِ خمْرٌ، فقِيلَ اشرَبْ، قَالَ: لَا أُرِيدُ قَدْ رَوِيتُ فقَالَ جِبْرِيلُ عليه السلام: أَمَا إِنَّها سَتُحَرَّمُ عَلَى أُمَّتِكَ[2]. قال ابْنُ دِحْيَةَ: وقَدْ تَكُونُ الإِشَارَةُ بِاللَّبَنِ إِلَى أَنَّهُ شِعَارُ الْعِلْمِ فِي التَّعْبِيرِ كمَا وَرَدَ أَنَّهُ ﷺ قالَ: **((رَأَيْتُ كَأنِّي أُتِيتُ بِقِدْحٍ مِنْ لَبَنٍ فَشَرِبْتُ حتَّى أَرَى الرّيَّ يَخْرُجُ مِنْ أَظْفَارِي، ثُمَّ نَاوَلْتُ فَضْلِي عُمرَ بنَ الْخَطَّابِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ما أَوَّلْتَهُ؟ قَالَ: الْعِلْمُ))**[3] والإِسْرَاءُ ولَوْ كَانَتْ يَقَظَةً إِلَّا أَنَّهُ رُبَّما وَقَعَتْ فِي الْيَقَظَةِ إِشَارَةً إِلَى حُكْمِ الْفَالِ، فَيُعبّرُ كَمَا يُعَبّرُ فِي الْمَنَامِ، وَلَا سِيَّمَا أَنَّ الْإِسْرَاءَ فِي اللَّيلِ وحَيْثُ لا يعرفُ مِنْ قَبْلُ والْمَشْرُوبُ مِنَ الْمَلَكُوتِ، ولِذَا كَانَ ﷺ يُحِبُّ الفَأْلَ الْحَسَنَ، وكَأَنَّهُ لمَّا مُلِئَ قَلْبُهُ إِيمَانًا وحِكمَةً أَرْدَفَ ذَلِكَ بالْعِلْمِ مُطْلَقًا، ويَجْعَلُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ شُرْبَ اللَّبَنِ ذَلِكَ سَبَبًا فِي تَرَادُفِ الْعُلُومِ وشَحْنِ الْقَلْبِ النَّبَوِيّ بِأَنْوَارِها[4].

وفَسَّرَ النَّوَوِيّ الْفِطْرَةَ هُنَا بالإِسْلَامِ والاِسْتِقامَةِ، وفُسِّرَت الْفِطْرَةُ في الآيةِ بِذَلِكَ، وبِخِلْقَتِهِمْ عَلَى قَبُولِ الْحَقِّ وتَمَكُّنِهِم مِنْ إِدْرَاكِ[هِ]، وبِالْعَهْدِ يَوْمَ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ. قَالَ النَّوَوِيّ: اخْتَرْتَ عَلَامَةَ الإِسْلامِ وعَلامَةَ الاسْتِقَامَةِ وكانَ اللَّبنُ عَلَامَةً لِذَلِكَ لِأَنَّهُ أَبْيَضٌ طَيِّبٌ لذِيذٌ طَاهِرٌ سَائِغٌ لِلشَّارِبِينَ لَا يَغُصُّ في طَوْقِهِمْ، سَلِيمُ الْعَاقِبَةِ بِخِلَافِ الْخَمْرِ فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِثِ[5].

قالَ ﷺ: **((الْخَمْرُ أُمُّ الْفَوَاحِشِ وأَكْبَرُ الْكَبَائِرِ، مَنْ شَرِبَها ترَكَ الصَّلاةَ ووَقَعَ عَلَى أُمِّهِ وخَالَتِهِ وعَمَّتِهِ))**[6] رواهُ الطَّبَرَانِيّ. وقَالَ الْقُرْطُبِي فِي "شَرْحِ مُسْلِمٍ"[7]: يحْتَملُ أَنْ يَكُونَ سَبَبُ تَسْمِيَةِ اللَّبَنِ فِطْرَةً،

---

(1) صحيح مسلِم، حدِيث (259).

(2) مسند البزار، حدِيث (9518).

(3) صحيح البخارِي، حدِيث (7006).

(4) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 97/8.

(5) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 97/8. ينظر قول النووِي في المنهاج، ص200.

(6) المعجم الأوسَط، الطَّبراني، حدِيث (3134).

(7) في شرح المواهِب: قال القرطبِي شارح مسلِم في "المفهم".

أَنَّهُ أَوَّلُ شَيْءٍ يَدْخُلُ جَوْفَ الْمَوْلُودِ ويَشُقُّ أمْعَاءَهُ، وسَبَبُ مَيْلِ النَّبِيءِ ﷺ إِلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ أَنَّهُ طَعَامٌ وشَرابٌ ويقُومُ مَقَامَ اللَّحمِ، وأنَّهُ مَأْلُوفٌ لَهُ[1] ولَا مَضرَّةَ تَنْشَأُ مِنْهُ، وتَرَكَ الْخَمْرَ لِأَنَّها سَتُحَرَّمُ، وتَوَقِّيًا عَنْ سَكَرِهَا، ويُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لَا يَعْرِفُ أَنَّها تُسْكِرُ إِنْ كَانَتْ لَا تُسْكِرُ.

وفي الْحَدِيثِ دَلَالَةٌ علَى أَنَّ للهِ حُكْمًا فِي مَسَائِلِ الِاجْتِهَادِ، مَنْ أَصَابَهُ أصَابَ الْحَقَّ، ومَنْ أَخْطَأَهُ لَمْ يُعَاقَبْ، لِأَنَّ ذَلِكَ الِاخْتِيَارَ اجْتِهَادٌ مِنَ النَّبِيءِ ﷺ وأُخْبِرَ مِنْ جِبْرِيلَ أَنَّهُ أَصَابَ الْحَقَّ، وذَلِكَ مَذْهَبُ مالِك والشَّافِعِيّ وغَيْرِهِمَا[2].

وقِيلَ: إنَّ حُكْمَ اللهِ عَلَى كُلِّ مُجْتَهِدٍ مَا أَدَّاهُ إِلَيْهِ [223و] اجْتِهادُهُ، وأَصْحَابُنا عَلَى الْأَوَّلِ لِقَوْلِهِ ﷺ: ((**مَن اجْتَهدَ فأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، ومَن اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَأَجْرٌ وَاحِدٌ**))[3].

ثُمَّ إنَّ تِلكَ الْخَمْرَ إِنْ كَانَتْ دُنْيَوِيَّةً فَاجْتِنَابُهُ إِيَّاهَا لِأَنَّها سَتُحَرَّمُ، أَوْ لِئَلَّا يَغْفَلَ أَوْ يَسْكَرَ في مَحَلٍّ يَجِبُ فِيهِ غَايَةُ التَّيَقُّظِ، وإِنْ كَانَتْ خَمْر الآخِرَةِ فاجْتِنابُهَا مَعَ أَنَّها لَا تُسْكِرُ لِاسْمِهَا ومُضَاهَاتِها لِلدُّنيَوِيَّةِ، وذَلِكَ مِنْ أَبْلَغِ الْوَرَعِ، ولا تُجْتَنَبُ فِي الْجَنَّةِ لِأَنَّهُ لَا تَكْلِيفَ فِيهَا.

قالَ أَصْحَابُنَا والقَسْطَلَّانِيّ والزُّرقَانِيّ: مَن اتَّخَذَ حلَالًا ولَوْ مَاءً خَالِصًا وضَاهَى بِهِ الْخَمْرَ في الصُّورَةِ وهَيَّأَهُ فِي هَيْئَةٍ يتَعاطَاهَا أَهْلُ الشَّهَوَاتِ فِي شُربِ الْخَمْرِ فَهَذَا أَتَى مُنْكَرًا، ولَا يُحَدُّ عَلَيْهِ. قالَ ابنُ المُنَيِّرِ: نَصَّ الْعُلَمَاءُ علَى ذلِكَ فَيَنْبَغِي أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ حدِيثِ الْإِسْرَاءِ[4].

وَذَكَرَ بَعْضُ أَصْحَابِنا أَنْ يُكَفَّرَ كُفْرَ فِسْقٍ إِذَا نَوَاهُ خَمْرًا، ولَوْ مَاءً فِي كَفِّهِ أَوْ رِيقًا، وَلَا بِدُونِ تِلْكَ الْكَيْفِيَّةِ.

واتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ اجتِهَادَهُ ﷺ معصُومٌ والذِي يَظْهَرُ لِي أَنَّ كُلًّا مِنَ اللَّبَنِ والْخَمْرِ وغَيْرِهِما مِمَّا أُحْضِرَ لَهُ مُبَاحٌ لَهُ ﷺ، وأَرَادَ اللهُ أَنْ يُظْهِرَ علَى لِسَانِهِ اجْتِنَابَ الْخَمْرِ تَوَرُّعًا عنْهَا ولَوْ مِنَ الْجَنَّةِ، لِأَنَّها سَتُحَرَّمُ، ولِيُشِيرَ إِلَى حِرْمَتِها بَعْدُ ولِشَبَهِهَا بِالْمُحَرَّمَةِ وَلِئَلَّا يَسكر فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ أَوْ يَفْتُرَ إِنْ كَانَتْ

(1) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 98/8، هذا حدُّ كلام القرطبِي. لم أقفْ عليهِ في المطبوع من المفهِم.
(2) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 99/8.
(3) صحيح البخارِي، حدِيث (7352).
(4) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 99/8.

دُنيَوِيَّةً، فَإِنْ كَانَتْ دُنيَوِيَّةً حُرِّمَتْ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ لِلْإِسْكَارِ أَو الِافْتَارِ، فَكَيْفَ يُخَيَّرُ بَيْنَ مُبَاحٍ وحَرَامٍ؟

فأَجَابَ ابْنُ المنَيِّرِ[1] وَهُوَ جَدُّ[2] الدَّمامِيني شَارِحُ "الْمُغنِي" ومُحَشِّيهِ بِأَنَّ الْمُرَادَ تَفْوِيضُ الْأَمْرِ إِلَيْهِ فِي تَحْرِيمِ مَا يَحْرُمُ[3].

قالَ القَسْطَلَّانِيّ والزُّرقَانِيّ: ويُنْظَرُ فِيمَا يَعْمَلُه كثِيرٌ مِن فُقَرَاءِ الْيَمَنِ بِمَكَّة المشَرَّفَةِ وجدَّة بضَمِّ المِيمِ كما قَالَ الزُّرقَانِي، ويُسَمُّونَهُ بالْقَهْوَةِ، وهُوَ اسمٌ مِنْ أَشْهَرِ أَسْمَاءِ الْخَمْرِ، هَلْ يَحْرُمُ تَنَاوُلُهُ لِتَسْمِيَتِهِمْ فَكَأَنَّهُم شَبَّهُوهُ بِهَا، وجَوَابُهُ: لَا حِرْمَةَ لِأَنَّهُ لَا يُشْرَبُ عَلَى الْهَيْئَةِ التِي تُشْرَبُ الْخَمْرُ، ومُجَرَّدُ تَسْمِيَتِهِ قَهْوَةً لَا يَقْتَضِي أَنْ يُعْطَى حُكْمَها[4].

وفِي حدِيثِ ابْنِ عَبَّاس عِنْدَ أَحْمَد: فَلَمَّا أَتَى الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى قَامَ يُصَلِّي فَلَمّا انْصَرَفَ جِيءَ بِقدْحَيْنِ فِي أَحَدِهِمَا لَبَنٌ، وفِي الآخَرِ عَسَلٌ فأَخَذَ اللَّبَنَ، وهَذَا مُوَافِقٌ لِرِوَايَةِ مُسْلِم أَنْ يَأْتِيَهُ بِالْآنِيَةِ كَانَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ قَبْلَ الْمِعْرَاجِ[5].

وفِي حَدِيثِ الْبَزَّارِ[6] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ جِيءَ بثَلَاثَةِ أَوَانٍ، وأَنَّ الثَّالِثَ كانَ خَمْرًا، وإِنَّ ذَلِكَ وَقَعَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وأَنَّ الْأَوَّلَ كانَ مَاءً، ولَمْ يَذْكُر الْعَسَلَ.

وأَخْرَجَهُ ابْنُ عَائِذ، وَقَالَ بَعْدَ ذِكْرِ إِبْرَاهِيمَ فِي السَّمَاءِ: ثُمَّ انْطَلَقْنَا فإِذَا نَحْنُ بِثَلاثَةِ آنِيَةٍ مُغَطَّاةٍ، فقَالَ لِي جبْرِيلُ: يَا مُحَمَّد أَلَا تَشْرَبُ مِمَّا سقَاكَ رَبُّكَ؟ فتَنَاوَلْتُ إِحْدَاهَا فَإِذا هُوَ عَسَلٌ فَشَرِبتُ مِنْهُ قَلِيلًا ثُمَّ تنَاوَلْتُ الآخَرَ فَإِذَا هُوَ لَبَنٌ فشَرِبْتُ مِنْهُ حَتَّى رَوِيتُ، فقَالَ: أَلَا تَشْرَبُ مِنَ الثَّالِثِ؟ قُلْتُ: قَدْ رَوِيتُ، قَالَ: وَفَّقَكَ اللهُ[7]. وظاهِرُ قَوْلِهِ سَقَاكَ اللهُ تَحْلِيلُ الكُلِّ لَهُ، ولَيْسَ بِلَازِمٍ لِجَوَازِ أَنْ يُرِيدَ الْبَعْضَ

(1) ناصر الدين أحمد بن محمد، ت:683هـ.
(2) في الأصلِ: جديد.
(3) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 100/8.
(4) (م، س)، 100/8.
(5) (م، س)، 100/8، ومسنَد أحمد، حدِيث (2324).
(6) كشف الأستار، حدِيث (55).
(7) فتح البارِي، 215/7. وشرح المواهِب، الزُّرقاني، 100/8.

[223ظ] الذِي كتَبَ اللهُ أَنْ يَشْرَبَ مِنْهُ، وقَدْ حَصَلَ مِنْ مَجْمُوع الرِّوَايَاتِ أَنَّهُ شَرِبَ بَعْضَ الْعَسَلِ وبَعْضَ الْمَاءِ.

ورَوِيَ مِن اللَّبَنِ ولَا يُوجَدُ فِي حَدِيثٍ أَنَّهُ شَرِبَ مِنْ إِنَاءِ الْخَمْرِ، وإِنْ قُلْنَا إِنَّها مُحَرَّمةٌ علَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الْإِنَاءِ فَلَا بَأْسَ لِأَنَّ للهِ أَنْ يَخْتبِرَ الْعِبَادَ.

وفِي حدِيثِ شَدَّاد بنِ أَوْس عِنْدَ الْبَزَّارِ[1] والطَّبرانِيّ[2] والْبَيْهَقِيّ[3]: ((**فصَلَّيْتُ فِي جَانِب مِنَ الْمسْجِدِ حَيْثُ شاءَ اللهُ، وأَخَذَنِي مِنَ الْعَطَشِ أَشَدَّ مَا أخَذَنِي فأُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ أَحَدُهُما لَبَنٌ والآخَرُ عَسَلٌ، فعَدَلْتُ بَيْنَهُمَا ثُمَّ هَدَانِي اللهُ فأَخَذْتُ اللَّبَنَ فقَالَ شَيْخٌ بَيْنَ يَدَيّ مُتَّكِئٌ على مِنْبَرٍ لَهُ يَعْنِي قَالَ لِجِبْرِيلَ: أَخَذَ صاحِبُكَ الفِطْرَةَ، وَإِنَّهُ لمَهْدِيٌّ**))[4].

وفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ البُخَارِي ومُسْلِم: ((**أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ بِإِيلْيَاءَ بِإِنَاءٍ فِيهِ خَمْرٌ وإِنَاءٍ فِيهِ لَبَنٌ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا فأَخَذَ اللَّبَنَ، فقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: الْحَمْدُ للهِ الذِي هدَاكَ لِلْفِطرَةِ، لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ**))[5].

وفِي حَدِيثِ أَنَس عِنْدَ الْبَيْهَقِيّ: ((**فعرضَ عَلَيْهِ الْمَاء والخَمْر واللَّبن فأَخَذَ اللَّبَنَ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: أَصَبْتَ الفِطْرَةَ، لَوْ شَرِبْتَ المَاءَ لَغَرِقْتَ وغَرِقَتْ أُمَّتُكَ، ولَوْ شَرِبْتَ الْخَمْرَ لَغَوَيْتَ وغَوَتْ أُمَّتُكَ**))[6].

ونَقُولُ أُتِيَ بِالْأَوَانِي مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنَ الصَّلَاةِ بِبَيْتِ الْمقْدِسِ لِبُلُوغِ الْعَطَشِ بِهِ أَشَدَّ مَا يَكُونُ، ومَرَّةً عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَى ورُؤْيَةِ الْأَنْهَارِ الأَرْبَعَةِ الخَارِجَةِ مِنْ أَصْلِ سِدْرَةِ المنْتَهَى، وهَذَا أَوْلَى مِنْ حَمْلِ "ثمَّ" فِي رِوَايَةِ مَالِك بنِ صَعْصَعَةَ الْمُتَقدِّمِ عَلَى أَنَّها بِمَعْنَى الْوَاوِ. وكَذَا قَالَ السُّهيلِي وابْنُ

(1) مسْند البزار، حدِيث (2945).
(2) المعجم الكبِير، الطبرانِي، حدِيث (7142).
(3) دلائل النبوة، البيْهقِي، 355/2.
(4) شرح المواهِب، الزُّرقانِي، 100/8-101.
(5) صحيح البخارِي، حدِيث (4709) وصحيح مسلم، حدِيث (92).
(6) دلائل النبوة، البيهقِي، 362/2.

دِحْيَةَ وابْنُ المنيِّرِ وابْنُ كَثِير إِنَّهُ كَانَ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ، فتَكْرِيرُ جِبْرِيلَ لَهُ التَّصْوِيبَ تَأْكِيدٌ فِي التَّحْذِيرِ لَهُ عَن الْخَمْرِ، بَلْ وعَن الْمَاءِ الْمُورِثِ لِلْغَرَقِ.

وأَنْكَرَ حُذَيْفَةُ بنُ الْيَمَانِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا رَبْطَ الْبُرَاقِ بِالحَلَقَةِ. رَوَى أَحْمَدُ والتِّرْمِذِي منْ حَدِيثِ حُذَيفَةَ أَنَّهُ قَالَ: ((يُحَدِّثُونَ أَنَّهُ رَبَطَهُ، أَخَافَ أَنْ يَفِرَّ مِنْهُ؟ وقَدْ سَخَّرَهُ لَهُ عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ))[1] قال السُّهيليّ[2] والنَّوَوِيّ[3]: فِي رَبْطِهِ الْأَخْذُ بالْحَزْمِ والْحوطَةِ، وَذَلِكَ لَا يُنَافِي الْإِيمَانَ بِالْقَدَرِ، ولَا يُنَافِي التَّوَكُّلَ[4].

وأنْكَرَ أَيْضًا حُذَيْفَةُ صَلاتَهُ ﷺ ببَيْتِ الْمَقْدِسِ، لَوْ صَلَّى فِيهِ لَكُتِبَ عَلَيْكُم الصَّلَاةُ فِيه، كمَا كُتِبَ عَلَيْكُم الصَّلاةُ في الْبَيْتِ الْعَتِيقِ. ويُجَابُ كمَا قَالَ الْبَيْهَقِيّ وابْنُ كَثِير: بِأَنَّ الْمُثْبِتَ مقدَّمٌ عَلَى النَّافِي، وجُمْهُورُ الصَّحابةِ أَثْبَتُوا الرَّبْطَ والصَّلاةَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، والْمُثْبِتُ مَعَهُ زِيَادَةُ عِلْمٍ[5].

ولا نُسَلِّمُ فَرْضَ الصَّلاةِ فِيهِ عَلَى صِحَّةِ صَلاتِهِ فِيهِ ﷺ، إِذْ لَا يَجِبُ عَلَيْنا كُلُّ مَا فَعَلَ، وأَمَّا بِلَا فَرضٍ فَقَدْ أُمِرَ بالصَّلاةِ فِيهِ وَفِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيّ وفِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وذَكَر شَدَّ الرِّحَالِ إِلَى الثَّلَاثَةِ.

وَرَوَى بريدة عِنْدَ البَزَّارِ عَنْهُ ﷺ: ((لمَّا كَانَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي أَتَى جِبْرِيلُ الصَّخْرَةَ التِي بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَوَضَعَ أُصْبُعَهُ فِيهَا فَخَرقَهَا، فَشَدَّ بِهَا [224و] البُرَاقَ))[6] ونَحْوُهُ لِلتِّرْمِذِي وابْنِ حبَّانَ والْحَاكِمِ وصَحَّحَهُ عَنْ بريدَة.

قالَ الْبَرْقِيّ: جَمِيعُ الْمِيَاهِ تَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ هَذِهِ الصَّخرَةِ، وهِي صَمَّاءُ فِي وَسَطِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، كجَبَلٍ بَيْنَ السَّماءِ والأَرْضِ، مُعَلَّقَةٌ لَا يُمْسِكُهَا إِلَّا اللهُ، وَفِي أَعْلَاهَا مَوْضِعُ قَدَمِ النَّبِيءِ ﷺ حِينَ رَكِبَ البُرَاقَ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ، فمَالَتْ مِنْ تِلْكَ الْجِهَةِ مِنْ هَيْبَتِهِ، وَفِي الْجِهَةِ الأُخْرَى أَثَرُ أَصَابِعِ الْمَلَائكَةِ التِي

(1) مسند أحمَد، حدِيث (23285)، وسنن الترمذِي، حدِيث (3147).
(2) الروض الأنف، 261/3.
(3) المنهاج، النووِي، ص200.
(4) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 102/8.
(5) فتح البارِي، 208/7، وشرح المواهِب، الزُّرقاني، 102/8.
(6) مسند البزَّار، حدِيث (4398).

أَمْسَكَتْها إِذْ مَالَتْ، وكانَ بَعْضُها أَقْرَب إِلَى الْأَرْضِ مِنْ بَعْضٍ، وتَحْتَها غَارٌ عَلَيْهِ بَابٌ، يُفْتَحُ لِمَنْ يَدْخلُهُ لِلصَّلَاةِ والدُّعَاءِ، فوَضَعَ أُصْبُعَهُ فِيهَا فحَرَفها[1] وشَدَّ بِهَا الْبُرَاقَ[2].

قال الحَاكِمُ عَنْ بريْدة قال ﷺ: ((**انْتَهَيْنا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، قَالَ جِبْرِيلُ بأُصْبُعِهِ فَخَرَقَ بِهَا الْحَجرَ وشَدَّ بِهِ الْبُرَاقَ**))[3]. وأرادَ بِالْحَجرِ الصَّخرَةَ، ويُجْمَعُ بَيْنَهُ وبَيْنَ مَا مرَّ مِنْ أَنَّهُ رَبَطَهُ بِالْحَلَقَةِ، أَنَّهُ رَبَطَهُ بِحَلَقَةِ البَابِ، حَيْثُ ترْبطُ الأَنْبِئَاءُ، فخَرَقَ لَهُ جِبْرِيلُ الصَّخرَةَ، ورَبَطَهُ بهَا إِكْرَامًا لَهُ بِأَنْ يَكُونَ مَرْكُوبُهُ دَاخِلًا لَا عَلَى الْبَابِ كمَا يَفْعَلُ بالكُبَرَاءِ.

وقال الطِّيبِيّ[4]: الْحَلَقةُ هوَ مَوْضِعُ الْخَرْقِ، وكَانَ حلَقَةً ثُمَّ سدَّ أَو اسْتَدَّ فخَرَقَهُ جبْرِيلُ فَرَبَطَ بِهِ مِن أَوّل[5]. واعْترَضَ بأَنَّ الْحَلَقَةَ بِالبَابِ واسْمُهَا أَوْلَى بِمَا فِيهِ مِمَّا بِالصَّخرَةِ[6].

وفِي رِوَايَةٍ عِنْدَ الْبَيْهَقِيّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ: ((أَوْثَقْتُ دَابَّتِي بِالْحَلَقَةِ التِي كَانَت الأَنْبِئَاءُ تَرْبِطُهَا فِيهِ، فدَخَلْتُ أَنَا وجِبْرِيلُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ))[7] وهذَا ظَاهِرٌ فِي أَنَّ الْحَلَقَةَ بالْبَابِ، إِلَّا أنْ يُدَّعَى أَنَّ الْفَاءَ بِمَعنَى الْوَاوِ، أَو الرَّبط مَرَّتَيْن. وضَمِيرُ النَّصبِ في "تَربِطُهَا" عائدٌ لِـ"دَابَّتِي"، وَهِيَ الْبُرَاقُ، فَهُوَ دَابَّتُهمْ كُلُّهمْ. وفِيهِ أَنَّهُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ في الْمَسْجِدِ فهُمَا إِمَّا تَحِيَّةٌ أَوْ مِنْ صَلَاةِ النَّفْلِ لَيْلًا، أَوْ شغلَ بِهِمَا الْمَوْضِع.

ورَوَى الْحَسَنُ بنُ عرفة[8] وأَبُو نُعَيْم[9] عَن ابْنِ مَسْعُود عَن النَّبِيءِ ﷺ: ((**ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فعَرَفْتُ النَّبِيئِينَ مَا بَيْنَ قَائِمٍ وَسَاجِدٍ، ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ فَأُقِيمَت الصَّلاةُ فقُمنَا صُفُوفًا فانتَظَرَ مَنْ يَؤُمُّنَا فأَخَذَ بِيَدِي جِبْرِيلُ فقَدَّمَنِي فَصَلَّيْتُ بِهِمْ**)).

---

(1) في شرح المواهِب: فخرقها.

(2) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 103/8 عن البرقِي في غريب الموطَّأ.

(3) المستدرك، الحاكِم، حدِيث (3370).

(4) شرف الدين الحسن بن محمد بن عبد الله الطيبي، ت: 743هـ. صنف: شرح الْكَشَّاف، التَّفْسِير، التِّبْيَان فِي الْمعَانِي وَالْبَيَان، شَرحه، شرح الْمشكاة. بغية الوعاة، السيوطِي، 522/1.

(5) شرح المشكاة، الطيبِي، 3794/12.

(6) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 103/8، وفِيه: وقد اشتدَّ.

(7) دلائل النبوة، البيهقِي، 391/2.

(8) ورد بمعناه، جزء ابن عرفة، حدِيث (69) عن أبي عبيدة عن أبيه عبد الله بن مسعود.

(9) لم أقف عليهِ فِي معرفة الصحابة ودلائل النبوة.

قِيلَ: الْمُرَادُ بالرُّكُوعِ الْخُشُوعُ، وأنَّ الْخُشُوعَ مِنْ خَصَائِصِ الْأُمَّةِ، ومَا صَلَّاهُ الْمُصْطَفَى ﷺ قبْلَ الْإِسْرَاءِ لَا رُكُوعَ فِيهِ، وكَذَا الظُّهْر عَقِبَ الْإِسرَاءِ وأَوَّلُ صَلَاةٍ بِرُكُوعٍ الْعَصْرُ بَعْدَهَا.

وعَن يَزِيد بنِ أَبِي مَالِك عَنْ أَنَس عَن ابْنِ أَبِي حَاتِم: ((**فَلَمْ أَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى اجْتَمَعَ نَاسٌ كَثِيرٌ ثُمَّ أَذَّنَ**))[1] إلخ والْمُرَادُ بِالْأَذَانِ الإِعْلَامُ بالصَّلَاةِ لَا الْأَذانُ الْمَعْهُودُ، وبِالْإِقامَةِ التَّهَيُّؤُ لِلصَّلَاةِ، لَا الْمَعْهُودَة.

وفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ أَحْمَد: ((**لمَّا أَتَى رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى قَامَ يُصَلِّي، أَيْ: بَعْدَ الانْتِظارِ السَّابِقِ، فإِذَا النَّبِيؤُونَ أَجْمَعُونَ يُصَلُّونَ مَعَهُ**))[2] أَيْ: إِمَامًا لهُمْ، لِأَنَّ الْحَدِيثَ يُفَسِّرُهُ مِثْلُهُ، وقَدْ أَثْبَتَ جَمَاعةٌ لِلْأَنْبِيَاءِ والشُّهداءِ بَعْدَ المَوْتِ الصَّلَاةَ [224ظ] والحَجَّ وسَائِرَ مَا يُتَصَوَّرُ لَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ كَالذِّكْرِ وقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ والتَّسبِيحِ، ويَحْصُلُ لهُمْ ثَوَابٌ علَى ذَلِكَ. وحُكْمُ الْبَرْزَخِ حُكْمُ الدُّنْيا، وقَدْ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وغَيْرَهُ تَلَذُّذًا، وإِنَّمَا انْقَطَعَ التَّكلِيفُ ولا يَكُونُ ذَلِكَ لمَيِّتٍ، إِلَّا إِنْ كَانَ سَعِيدًا، وأَمَّا غَيْرُهُ فلَا يَصْدُرُ مِنْهُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ بَعْدَ مَوْتِهِ. وقَدْ صَحَّ عنْ ثابِت الْبُنَّانِي رَحِمَهُ اللهُ، مِنَ التَّابعِينَ أَنَّهُ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَعْطَيْتَ أَحَدًا أَنْ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ فَأَعْطِنِي ذَلكَ[3]، فَرُئِيَ بَعْدَ مَوْتِهِ يُصَلِّي فِي قبْرِهِ ويَكْفِي فِي ذَلِكَ رُؤَيَتُهُ مُوسَى صلَّى اللهُ وسَلَّمَ عليْهِمَا قَائِمًا يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ، وجَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ لَمْ يُقْبَضُوا حَتَّى خُيِّرُوا، ولَوْ كَانَ الْمَوْتُ يُفيتُ الْعَمَلَ لَمْ يَخْتَارُوهُ[4].

وعَنْ أَبِي سعِيد الْخُدرِيّ: ((ثُمَّ سَارَ حَتَّى أَتَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَربَطَ فَرَسَهُ إِلَى الصَّخْرَةِ ثُمَّ دَخَلَ فَصَلَّى مَعَ الْمَلَائِكَةِ، ولمَّا قضيت الصَّلَاة قالُوا: يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَذَا مَعَكَ؟ قالَ: هَذَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ خَاتِمُ النَّبِيئِينَ، قالُوا: وقَدْ أُرْسِل إِلَيْهِ؟ قالَ: نَعَمْ، قَالُوا: حَيَّاهُ اللهُ مِن أَخٍ ومِنْ خَلِيفَةٍ فنِعْمَ الْأَخُ ونِعْمَ الخَلِيفَةُ ثُمَّ لَقوا أَي: الْمَلَائِكَةُ ورَسُولُ اللهِ ﷺ، أَرْوَاحَ الأَنْبِيَاءِ متَشَكِّلَةً بِصُوَرِ أَجْسَادِهِمْ فأَثْنَوا، أَيْ: الْأَنْبِياءُ، عَلَى رَبِّهِمْ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: الْحَمْدُ للهِ الذِي اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، وأَعْطَانِي مُلْكًا عَظِيمًا، وجَعَلَنِي أُمَّةً قَانِتًا يُؤْتَمُّ بِي، وأَنْقَذَنِي مِنَ النَّارِ، وجَعَلَهَا عَلَيَّ بَرْدًا وسَلَامًا. ثُمَّ إِنَّ مُوسَى عليه السلام أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ

(1) فتح الباري، ابن حجر، 208/7، وشرح المواهِب، الزُّرقاني، 113/8.
(2) مسند أحمد، حدِيث (2324).
(3) مصنف ابن أبِي شيبة، حدِيث (35677).
(4) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 105/8.

فَقَالَ: الْحَمْدُ للهِ الذِي كَلَّمَنِي تَكْلِيمًا، واصْطَفانِي وأَنْزَلَ عَلَيَّ التَّوْرَاةَ، وجَعَلَ هَلَاكَ فِرْعَوْنَ ونَجَاةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ علَى يَدَيَّ، وجَعَلَ مِن أُمَّتِي قَوْمًا يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وبِهِ يَعْدِلُونَ.

ثُمَّ إِنَّ دَاوُدَ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ فقَالَ: الْحَمْدُ للهِ الذِي جَعَلَ لِي مُلْكًا عَظِيمًا، وعَلَّمَنِي الزَّبُورَ، وأَلَانَ لِي الْحَدِيدَ، وسَخَّرَ لِي الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ مَعِي والطَّيْرَ، وآتَانِيَ الْحِكْمَةَ وفَصْلَ الخِطَابِ.

ثُمَّ إِنَّ سُلَيْمَانَ عليه السلام أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ فَقَالَ: الْحَمْدُ للهِ الذِي سَخَّرَ لِي الرِّيحَ، وسَخَّرَ لِي الشَّيَاطِينَ يَعْمَلُونَ مَا شِئْتُ مِنْ مَحَارِيبَ وتَمَاثِيلَ، وجِفَانٍ كَالْجَوَابِي وقُدُورٍ راسِيَاتٍ، وعَلَّمَنِي مَنْطِقَ الطَّيْرِ، وآتانِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فَضْلًا، وسَخَّرَ لِي جُنُودَ الشَّيَاطينِ والإِنْسِ والطَّيْرِ، وآتانِي مُلْكًا لَا يَنْبَغي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي، وجَعَلَ لِي مُلْكًا طَيِّبًا لَيْسَ علَيَّ فِيهِ حِسَابٌ ولَا عِقَابٌ.

ثُمَّ إِنَّ عيسَى عليه السلام أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ فقَالَ: الْحَمْدُ للهِ الذِي جَعَلَنِي كَلِمَتَهُ، وجَعَلَنِي مِثْلَ آدَمَ، خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ: كُنْ فيَكُونُ، وعَلَّمَنِي الْكِتَابَ والْحِكْمَةَ والتَّوْرَاةَ والْإِنْجِيلَ، وجَعَلَنِي أَخلُقُ مِن الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فأَنْفُخُ فِيهِ فيَكُون طَائِرًا بِإِذْنِ اللهِ، وجَعَلَنِي أُبْرِئُ الأَكْمَهَ والْأَبْرَصَ وأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ، ورَفَعَنِي وطَهَّرَنِي، وأَعَاذَنِي وأُمِّي مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيمِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّيْطانِ عَلَيَّ سَبِيلٌ.

قالَ: وَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ فقَالَ: [225و] كلُّكُم أَثْنَى علَى رَبِّهِ، وأَنَا أُثْنِي عَلَى رَبِّي فَأَقُولُ: الْحَمْدُ للهِ الذِي أَرْسَلَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وكَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا ونَذِيرًا، وأَنْزَلَ عَلَيَّ الفُرْقَانَ فِيهِ بَيَانُ كُلِّ شَيْءٍ، وجَعَلَ أُمَّتِي خَيْرَ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ لِلنَّاسِ، وجَعَلَنِي أُمَّةً وَسَطًا، وجَعَلَ أُمَّتِي هُم الْأَوَّلُونَ والآخرُونَ، وشَرَحَ لِي صَدْرِي، ووَضَعَ عَنِّي وِزْرِي، ورَفَعَ لِي ذِكْرِي، وجَعَلَنِي فَاتِحًا وخَاتِمًا. فقَالَ إِبْرَاهِيمُ: بِهَذَا فَضَلَكُمْ مُحَمَّدٌ))[1].

وفِي هَذَا الْحَدِيثِ تَسْمِيَةُ البُراقِ فَرَسًا، تَجَوُّزًا لِقُرْبِ صُورَتِه مِنْهَا. وفِي رِوَايَةٍ: ((**أُتِيَ بفَرَسٍ فَحملَ عَلَيْهِ، يَعْنِي الْبُرَاقَ، لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ**))[2].

(1) ينظر: دلائل النبوة، البيهقي، 397/2.

(2) ينظر: جامع البيان، الطبري، 424/14.

وذَكَرَ الوَاسِطِيّ عَنْ كعْب: ((**أَذَّنَ جبْرِيلُ ونَزَلَت المَلَائِكةُ مِن السَّماءِ وحَشَرَ اللهُ المرْسَلِينَ فَصَلَّى النَّبِيءُ ﷺ بالْمَلَائِكَةِ والْمُرْسَلِينَ**))[1] وحيَّاه: أَبْقَاهُ وسَلَّمَهُ، ومَعْنَى كوْنِهِ خَلِيفَةً أَنَّهُ ﷺ خَلِيفَةٌ للهِ تعَالَى فِي صَلاحِ دُنْيَا الْخَلْقِ ودِينِهِمْ، ومَعْنَى مُلْكِ إِبْرَاهِيمَ قَهْرُهُ نَمْرُودَ ومُلْكُ ذُرِّيَّتِهِ كمُلْكِ يُوسُفَ ودَاوُدَ وسُلَيْمَانَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ـ**اتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ** ﴾[2] الآية وملك النَّفسِ.

والحدِيثُ أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَى والْبَزَّارُ[3] وابْنُ جَرِير[4] وابْنُ أَبِي حَاتِم[5] وابْنُ مَرْدُويَه والْبَيْهَقِيّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

ورَوَى أَحْمَدُ[6] وابْنُ مَاجَةَ[7] وصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ[8] عَن ابْنِ مَسْعُود مَرْفُوعًا: ((**لَقِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي إِبْرَاهِيمَ ومُوسَى وعِيسَى فتذَاكَرُوا أَمْرَ السَّاعةِ فرَدُّوا أَمْرَهُمْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ: لا عِلْمَ لِي بِهَا، فَرَدُّوا الأَمْرَ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: لا عِلْمَ لِي بِهَا، فَرَدُّوا الأَمْرَ إِلَى عِيسَى، فَقَالَ: أَمَّا وَجْبَتُهَا فَلا يَعْلَمُهَا أَحَدٌ إِلّا اللَّهُ، وَفِيمَا عَهِدَ إِلَيَّ رَبِّي أَنَّ الدَّجَّالَ خَارِجٌ، وَمَعِي قَضِيبَانِ، فَإِذَا رَآنِي ذابَ كَمَا يَذُوبُ الرَّصَاصُ، فَيُهْلِكُهُ اللَّهُ إذا رآنِي، حَتَّى إِنَّ الْحَجَرَ وَالشَّجَرَ لَيَقُولُ لهُ يَا مُسْلِمُ، إِنَّ تَحْتِي كَافِرًا فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، فَيُهْلِكُهُمُ اللَّهُ، ثُمَّ تَرْجِعُ النَّاسُ إِلَى بِلادِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَطَؤُونَ بِلادَهُمْ، لا يَطَؤُونَ عَلَى شَيْءٍ إِلّا أَهْلَكُوهُ، وَلا يَمُرُّونَ عَلَى مَاءٍ إلا شَرِبُوهُ، ثُمَّ تَرْجِعُ النَّاسُ إِلَيَّ فَيَشْكُونَهُمْ، فَأَدْعُو اللَّهَ عَلَيْهِمْ فَيُهْلِكُهُمُ اللَّهُ وَيُمِيتُهُمْ، حَتَّى تَجْوَى الأَرْضُ مِنْ نَتْنِ رِيحِهِمْ، فَيُنْزِلُ اللَّهُ الْمَطَرَ فَيَجْتَرِفُ أَجْسَادَهُمْ فيُلقِيهِم فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ تُنْسَفُ الْجِبَالُ، وَتُمَدُّ الأَرْضُ مَدَّ الأَدِيمِ، فَفِيمَا عَهِدَ إِلَيَّ رَبِّي: أَنَّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَإِنَّ السَّاعَةَ كَالْحَامِلِ الْمُتِمِّ الَّتِي لا يَدْرِي أَهْلُهَا مَتَى تَفْجَؤُهُمْ وِلادتهَا لَيْلا أَوْ نَهَارًا**))[9]. وتجوَى: تنتن، ومعنى هلاكه إِذَا رَآهُ قَتْلهُ بِالسَّيْفِ.

(1) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 106/8. سبل الهدى والرشاد، 120/3. لم أقف عليهِ في كتب الحدِيث.
(2) سورة النساء: 54.
(3) مسند البزَّار، حدِيث (9518).
(4) جامع البيان، الطبرِي، 424/14.
(5) تفسير ابن أبِي حاتم، 2309/7.
(6) مسند أحمد، حدِيث (3556).
(7) سنن ابن ماجه، حدِيث (4081).
(8) المستدرك، الحاكم، حدِيث (3448).
(9) مسند أحمد، حدِيث (3556).

وفِي حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ عِنْدَ ابْنِ مَاجَه[1] وصَحَّحَهُ ابنُ خُزَيْمَة والْحَاكِم عَنْهُ ﷺ: ((**فَإِذَا انْصَرَفَ، أَيْ مِن** [225ظ] **الصَّلاةِ خَلْفَ الْمَهْدِيّ قَالَ عِيسَى افْتَحُوا الْبَابَ فيَفْتَحُونَ وورَاءَهُ الدَّجَّالُ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ يَهُودِيّ كُلُّهُمْ ذُو سَيْفٍ مُحَلَّى وتَاجٍ[2]، فإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ الدَّجَّال ذَابَ كمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، ويَنْطَلِقُ هَارِبًا ويَقُولُ عِيسَى: إِنَّ لِي فِيكَ ضَرْبَةً لنْ تَسْبِقَنِي، فيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ لَد الشَّرقِيّ فيَقْتُلَهُ فيَهْزِمُ اللهُ الْيَهُودَ فَلَا يَبْقَى شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللهُ ﷻ، إِلَّا أَعْلَنَ بِهِمْ، إِلَّا الْغَرْقَد فَإِنَّهَا شَجَرُهُمْ لَا تَنْطِقُ**))[3].

ورَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِم عَنْ أَنَس: لَمَّا بَلَغَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَبلَغَ الْمَكَانَ الذِي يُقَالُ لَهُ بَابُ مُحَمَّد أَتَى إِلَى الحَجَرِ الذِي بِهِ فغَمَزَ جِبْرِيلُ بِأُصْبُعِهِ فنَقَبَهُ ثمَّ رَبَطَهَا، فلَمَّا اسْتَوَيَا فِي سَرْحَةِ المَسْجِدِ، قَالَ: يَا مُحَمَّد هَلْ سَأَلْتَ رَبَّكَ أَنْ يُرِيَكَ الْحُورَ الْعِينَ؟ قالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: فَانْطَلِقْ إلى أُولَئِكَ النِّسْوَةِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِنَّ، قالَ ﷺ: فانْطَلَقْتُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِنَّ فرَدَدْنَ عَلَيَّ السَّلامَ، فقُلْتُ: لِمَنْ أَنْتُنَّ؟ فقُلْنَ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ، نِسَاءُ قَوْمٍ أَبْرَارٍ اتَّقوا ولَمْ يَدْرِنُوا، وأَقَامُوا فَلَمْ يَظْعَنُوا، وخلدُوا فَلَمْ يَمُوتُوا. قالَ: ثُمَّ انْصَرَفْتُ فَلَمْ أَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حتَّى اجْتَمَعَ نَاسٌ كَثِيرٌ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ وأُقِيمَت الصَّلاةُ، قَالَ: فقُمْنَا صُفُوفًا نَنْتَظِرُ مَنْ يَؤُمُّنَا، فأَخَذَ جِبْرِيلُ عليه السلام بيَدِي فقدَّمَنِي فَصَلَّيْتُ بِهِمْ، فَلَمَّا انْصَرَفْتُ قَالَ لِي جِبْرِيلُ: أَتَدْرِي مَنْ صَلَّى خَلْفَكَ؟ قُلْتُ: لَا. قالَ: صَلَّى خَلْفَكَ كُلُّ نَبِيءٍ بَعَثَهُ اللهُ[4].

وتَسْمِيَةُ الْبَابِ بَاب مُحَمَّدٍ ﷺ بعْدَ الْمِعْرَاجِ، ويَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُمْ قَبْلَ الْمِعْرَاجِ بِهَذَا الاِسْمِ مِنَ الْأَنْبِئَاءِ والكُتُبِ الْقَدِيمَةِ[5].

والمُرَادُ بالحجَرِ الصَّخرة، وضَمِيرُ رَبْطِهَا عَائِدٌ لِلدَّابَّةِ، وهِيَ الْبُرَاقُ، و"سَارِحَةُ الْمَسْجِدِ": سَاحَتُهُ، ومَعْنَى "لَمْ يَدْرِنُوا": لَمْ يُذْنِبُوا.

---

(1) سنن ابن ماجة، حدِيث (4077).

(2) في شرح المواهب وسنن ابن ماجة: وسَاج.

(3) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 112/8.

(4) تفسِير ابن كثِير،386/8.

(5) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 112/8.

قالَ عِيَاضُ: يَحْتَملُ أَنَّهُ ﷺ صلَّى بالْأَنْبِيَاءِ جَمِيعًا فِي بَيْتِ الْمَقدِسِ[1] قَبْلَ العُرُوجِ، وهُوَ الذِي تَظَافَرَتْ عَلَيْهِ الرِّواياتُ، ثمَّ صَعِدَ مِنْهُم آدَمُ ويَحْيَى وعِيسَى ويُوسُف وإِدْرِيس وهَارُونَ ومُوسَى وإِبْرَاهِيمُ. ويَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ صَلَّى بِهِم بَعْدَ أَنْ هبطَ مِن السَّماءِ، فهَبَطُوا أَيْضًا لِلصَّلَاةِ مَعَهُ، والْأَظْهَرُ أَنَّ صَلَاتَهُ بِهِم بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ قَبْلَ الْعُرُوجِ[2].

وقَالَ ابْنُ كَثِير: صَلَّى بِهِمْ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ قَبْلَ العُرُوجِ وبَعْدَهُ، فَإِنَّ فِي الحَدِيثِ مَا يَدُلُّ علَى ذَلِكَ، ولَا مانِعَ مِنْهُ[3].

وتِلْكَ الصَّلاةُ شَرْعِيَّةٌ كَمَا هُوَ المُتَبَادَرُ، لأَنَّ الأَصْلَ حَمْلُ الْأَلْفَاظِ فِي الشَّرْعِ علَى الْمَعَانِي الشَّرْعِيَّة، وهُوَ الصَّوَابُ.

وقِيلَ: هيَ الدُّعَاءُ، ثُمَّ قِيلَ: هِيَ صَلَاةُ الصُّبحِ، وقِيلَ الْفَجْرُ، ومَرَّ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَصِحُّ لِأَنَّ الْخَمْسَ فُرِضَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، أَمَّا الْعِشاءُ فلَا يَصِحُّ، والْفَجْرُ مُمْكِنٌ وَتَقَدَّمَ أَنَّ أَوَّلَ مَا صَلَّى مِن الْخَمْسِ صَلَاةُ العَصْرِ فِي مَكَّةَ إِجْمَاعًا، وعِبَارَةُ بَعْضٍ أَنَّهُ أَوَّلُ ما صَلَّى إِجمَاعًا الظُّهرُ بِمَكَّةَ، قُلْتُ: [226و] بَل الْفَجْرُ، إِذْ لَا يَتَعَدَّاهُ، وقَدْ فُرِضَ عَلَيْهِ، ولَعَلَّ مَن قَالَ الظُّهر أَو الْعَصْر أَرَادَ الصَّلَاة بِمَكَّةَ.

واخْتَارَ النَّوَوِي أَنَّها الصَّلَاةُ الْمَفْرُوضَةُ عَلَيْهِ قَبْلَ الإِسْراءِ، وهَذَا لَا يتِمُّ إِلَّا عَلَى قَوْلِ أَنَّهُ صَلَّى بَعْدَ الْعُرُوجِ وبَعْدَ الْفَجْرِ لِأَنَّهُ فُرِضَتْ عَلَيْهِ قَبْلَ الْخَمْسِ رَكْعَتَانِ فِي وَقْتِ الْفَجْرِ ورَكْعَتَانِ فِي آخِرِ وَقْتِ الْعَصْرِ، وأَمَّا إِنْ صَلَّى فِي السَّمَاءِ قَبْلَ الْفَجْرِ أَوْ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ قبْلَ الْعُرُوجِ فَنَفْلٌ قَطْعًا.

واسْتَظْهرَ بَعْضٌ أَنَّهُ صَلَّى بِهِمْ بَعْدَ الرُّجُوعِ مِنَ السَّماءِ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ لِأَنَّهُ سَأَلَ جِبْرِيلَ عَنهُمْ فِي أَمَاكِنِهِمْ مِن السَّمَاوَاتِ فَسَمَّاهُم جِبْرِيلُ لَهُ ﷺ، ولَوْ رَآهمْ قَبْلَ الْعُرُوجِ مَا حَسُنَ السُّؤَالُ.

ويُبْحَثُ بِأَنَّهُ تَقَدَّمَتْ رِوَايَةُ: ((**دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فعَرَفْتُ النَّبِيئِينَ مَا بَيْنَ قَائِمٍ وَرَاكِعٍ وسَاجِدٍ**))[4] قُلْتُ: يَحْتَمِلُ أَنَّهُ عَرَفَ أَنَّهُمْ أَنْبِيَاء ولَمْ يَعْرِفْ أَعْيَانَهُمْ فَسَأَلَ عَمَّنْ سَأَلَ عَنْهُ فِي السَّمَاوَاتِ.

---

(1) إكمال المعلم، عياض، 524/1.

(2) شرح المواهب، الزُّرقاني، 113/8-114.

(3) (م، س)، 114/8. وتفسير ابن كثير، 431/8.

(4) سبق تخريجه، جزء ابن عرفة، حديث (69) عن أبي عبيدة عن أبيه عبد الله بن مسعود. وينظر: تفسير ابن كثير، 414/8.

وقِيلَ: يَحْتَمِلُ أَنَّهُ صَلَّى بِأَرْوَاحِهِمْ أَوْ بِهَا وبِأَجْسَادِهِم فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وصَلَّى بالأَرْوَاحِ خَاصَّةً فِي السَّماءِ، والصِّفَةُ تَخْتَلِفُ إلَّا عِيسَى وإدْرِيس فَبِالرُّوحِ والْجَسَدِ لِأَنَّهُمَا لَمْ يَمُوتَا، وعَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهُما مَاتَا ثُمَّ رُفِعا فَهُمَا كَغَيْرِهِمَا.

وقَالَ ابْنُ كَثِير: كَانَ ﷺ مطْلُوبًا إِلَى الْجَانِبِ الْعُلْوِيّ لِيَفْرِضَ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى أُمَّتِهِ مَا يَشاءُ، ولمَّا فَرَغَ مِمَّا أُرِيدَ بِهِ اجْتَمَعَ مَعَ إِخْوَانِهِ مِنَ النَّبِيئِينَ[1]، فإنَّمَا صَلَّى بِهِمْ بَعْدَ الرُّجوعِ. ويُبْحَثُ بِأَنَّهُ اجْتَمَعَ بِإِخْوَانِهِ لِيَأْنَسَ بِهِم، فيَقْوَى عَلَى تَلَقِّي الْوَحْيِ.

وذَكَر ابْنُ إِسْحَاق عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدرِيّ أَنَّهُ ﷺ قالَ: ((**لمَّا فَرَغْتُ مِمَّا فِي بَيْتِ المقْدِسِ، أَيْ: مِن الصَّلاةِ بِالْأَنْبِئَاءِ والثَّنَاءِ عَلَى اللهِ جَلَّ وعَلَا، أُتِيَ بالْمِعْرَاجِ، أَيْ: الذِي تَعْرُجُ علَيْهِ أَرْوَاحُ بنِي آدَمَ، ولَمْ أَرَ قَطُّ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنهُ وهُوَ الذِي يَمُدُّ إِلَيْهِ الميِّتُ بَصَرَهُ إِذَا احْتَضَرَ**، أَيْ وَلَوْ كَانَ أَعْمَى يُكْشَفُ لَهُ حَتَّى يَنْظُرَهُ، **فأَصْعَدَنِي صَاحِبِي جِبْرِيلُ فِيهِ**))[2]. وذَكَرَ الْوَاسِطِي عَنْ كَعْبِ مِرْقَاة مِنْ فِضَّةٍ ومِرْقَاة مِنْ ذَهَبٍ[3].

وذَكَرَ ابْنُ سَعْد[4] أَنَّهُ أُتِيَ بِالْمِعْرَاجِ مِنْ جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ، وأَنَّهُ مُنَضَّدٌ باللُّؤْلُؤِ عَنْ يَمِينِهِ مَلَائِكَةٌ وعَنْ يَسَارِهِ مَلَائِكَةٌ[5].

وفِي رِوَايَةِ أَبِي سَعِيد[6] عِنْدَ الْبَيْهَقِيّ: ((**ثُمَّ أُتِيتُ بِالْمِعْرَاجِ الذِي تعْرُجُ عَلَيْهِ أَرْوَاحُ بَنِي آدَمَ، فَلَمْ تَرَ الْخَلَائِقُ أَحْسَنَ مِنَ الْمِعْرَاجِ، أَمَا رَأَيْتَ الْمَيِّتَ حِينَ يشقُّ بَصَرهُ طَامِحًا فإنَّ ذَلِكَ عَجَبُه بِالْمِعْرَاجِ**))[7]. وشَقُّ البَصَرِ انْفِتَاحُ الْعَيْنَيْنِ عِنْدَ الْمَوْتِ بِحَيْثُ لا يَرْتَدُّ. و"طَامِحًا": بِمَعْنَى رَافِع.

---

(1) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 115/8. وتفسير ابن كثِير، 431/8.

(2) سيرة ابن هشام، 403/1. وفِيه: إذا حضر. وشرح المواهِب، الزُّرقاني، 115/8-116.

(3) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 116/8. وينظر: فتح الباري، ابن حجر، 208/7.

(4) هو أبو سعد الخركوشِي، سبقت ترجمته.

(5) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 116/8، نقلا من شرف المصطفَى، لأبِي سعد، 169/2.

(6) الخدرِيّ.

(7) دلائل النبوة، البيْهَقِي، 390/2.

ثُمَّ إِنَّ جِبْرِيلَ إِذَا قَالَ لهُ مَلَكُ السَّماءِ مَنْ هَذَا؟ يَقُولُ: جِبْرِيلُ، ولَا يَقُولُ: أَنَا؛ لِأَنَّ جِبْرِيلَ مَعْرُوفٌ، ولَا يُعْرَفُ الشَّخْصُ بِأَنَا، وَلِأَنَّ لَفْظَ "أنَا" تَكَبُّرٌ، كَأَنَّهُ قَال لَا يحْتَاجُ إِلَى ذِكْرِ اسْمِي لِعُلُوِّ مقَامِي، ولا يَقُولُ الْمُسْتَأْذِنُ: أَنَا، إِذَا [226ظ] قِيلَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ بَلْ يَذْكُرُ اسْمَهُ لِأَنَّه لَا يُكْتفَى فِي مَعْرِفَتِهِ بلَفْظٍ، وكَأَنَّهُ لَمْ يَقُلْها إِذْ لَا فَرْقَ بَيْنَ صَوْتِهِ بالِاستِئذَانِ والسَّلام وصَوْتِهِ بِأَنَا، وقَدْ قَالَ ﷺ: ((**أَنَا أَنَا**))[1] إِنْكَارًا علَى عَلِيّ حِينَ اسْتَأْذَنَ، فقَالَ ﷺ مَنْ أَنْتَ؟ فقالَ: أَنَا.

قَال بَعْضٌ: عَادَةُ الْعَارِفِينَ أَنْ لَا يَذْكُرَ نَفْسَهُ بِأَنَا إِلَّا فِي الإِقْرَارِ بِحَقٍّ فأَنَا فِيهِ أَوْلَى[2]. ولَا عُمُومَ، بَلْ لِكُلِّ حَالٍ مَقَالٌ، فَقَدْ قَالَ ﷺ: ((**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ**))[3] وفِي الْقُرْآنِ عَن الأَنْبِئَاءِ: ﴿ **قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ** ﴾[4] ﴿ **وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ** ﴿163﴾ ﴾[5] ﴿ **وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ** ﴿86﴾ ﴾[6].

وفِي "الْبُخَارِي" و"مسلِم" مِنْ حَدِيثِ أَنَس عَنْ أَبِي ذَرّ: ((**فَعَرَجَ**))[7] وَفِي رِوَايَةِ أَبِي سعِيد عِنْدَ الْبَيْهَقِيّ وابْنِ إِسْحَاق: ((**حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ السَّماءِ يُقَالُ لَهُ بَابُ الْحَفَظَةِ، وعَلَيْهِ مَلَكٌ يُقَالُ لَهُ إِسْمَاعِيلُ**))[8] ((**وهُوَ صَاحِبُ سَمَاءِ الدُّنيا**))[9] كمَا فِي حَدِيثِ الْبَيْهَقِيّ عَنْ أَبِي سَعِيد. وجَاءَ فِي حَدِيثِ جَعْفَر بنِ مُحَمَّد عِنْدَ الْبَيْهَقِيّ[10] مُعْضَلًا: ((**يَسْكُنُ الْهَوَاءَ...**))[11] إلخ ما مَرَّ، وإِنَّما يَعْلَمُ بِإِخْبَارِهِ ﷺ. ((**تَحْتَ يَدِهِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مَلَكٍ**)) قَالَ ابنُ إِسْحَاق: ((**مَعَ كُلِّ ملَكٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مَلَكٍ**))[12] ورَوَى البزَّارُ: ((**تَحْتَ يَدِهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، تَحْتَ يَدِ كُلِّ مَلَكٍ سبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ**)) ورَوَى

(1) صحيح مسلم، حدِيث (5761)، أوردهُ على جابر بن عبد اللهِ، وليس على عليّ بن أبِي طالب.
(2) شرح المواهب، الزُّرقاني، 117/8.
(3) صحيح مسلم، حدِيث (3).
(4) سورة الكهف: 110.
(5) سورة الأنعام: 163.
(6) سورة ص: 86.
(7) صحيح البخارِي، حدِيث (349) وصحيح مسلم، حدِيث (263).
(8) سيرة ابن هشام، 403/1.
(9) دلائل النبوة، البيهقِي، 390/2.
(10) لم أقفْ عليه عند البيهقِي.
(11) الطبقات الكبِير، ابن سعد، 227/2.
(12) سيرة ابن هشام، 403/1.

ابْنُ جرِير[1] والْبَيْهَقِيّ[2] عَنْ أَبِي سَعِيد: ((**بَيْنَ يَدَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، مَعَ كُلِّ مَلَكٍ جُنْدُهُ مِئَةُ أَلْفِ مَلَكٍ**))[3] ولَعَلَّ الْمُرَادَ فِي ذَلِكَ التَّكثِيرُ لَا خُصُوصُ الْعَدَدِ. ولَعَلَّ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا رُؤَساءُ سَبْعِينَ أَلْفًا، والاثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا الذِينَ مَعَ كُلِّ مَلَكٍ رُؤَسَاء عَلَى بَاقِي مِئَةِ أَلْفٍ، فَلَا خلف[4].

وفِي رِوَايَةِ شَرِيك عِنْدَ الْبُخَارِي عَنْ أَنَس: ((**ثُمَّ عرجَ بِي إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَضَرَبَ بَابًا مِنْ أَبْوابِهَا فَنَادَاهُ أَهْلُ سَماءِ الدُّنيَا**؛ أَيْ: حَفَظَةُ بَابِهَا: **مَنْ هَذَا؟ قالَ: جِبْرِيلُ، قَالُوا: ومَنْ معَكَ؟ قالَ: مُحَمَّد، قَالُوا: وقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا**))[5]. يَسْتَبْشِرُ بِهِ أَهْلُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا لا يَعْلَمُ أَهْلُ السَّماءِ بِمَا يُرِيدُ اللهُ بِهِ فِي الْأَرْضِ حَتَّى يُعْلِمَهُم عَلَى لِسَانِ مَنْ شَاءَ كَجِبْرِيلَ عليه السلام[6].

وفِي حَدِيثِ شَرِيك عَنْ أَنَس أَنَّهُ رَأَى فِي سَمَاءِ الدُّنيَا النِّيل والْفُرَاتَ عُنْصُرَهُمَا[7]، أَيْ: أَصْلَهُمَا الذِي تَمَيَّزا بِهِ عَنْ نَهْرَي الْجَنَّةِ، يَنْزِلانِ إِلَى سَماءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ مِنْهَا إِلَى الْأَرْضِ.

وظَاهِرُ هَذَا يُخَالِفُ حَدِيثَ مالك بن صعصعة: أَنَّ فِي أَصْلِ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ نَهْرَانِ باطِنَانِ ونَهْرَانِ ظَاهِرَانِ فقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنانِ فنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرانِ فالنّيل والْفُرَاتُ[8]. ويُجْمَعُ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ بِأَنَّ أَصْلَ نَبْعِهِما مِنْ أَصْلِ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، ومَقَرُّهُمَا إِلَى السَّماءِ الدُّنيَا، ومِنْهَا يَنْزِلانِ إِلَى الأَرْضِ[9].

وجمَعَ ابْنُ دِحْيَةَ بأَنَّهُ رَأَى هَذَيْنِ [227و] عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى مَعَ نَهْرَي الْجَنَّةِ، ورآهُمَا في السَّماءِ الدُّنْيَا دُونَ نَهْرَي الجَنَّة. وأَجَابَ بَعْضٌ بِأَنَّ مَنْبَعَهُما مِن السِّدْرَةِ، وإِذَا نَزَلَا إِلَى الأَرْضِ يَسْلُكَانِ

(1) تهذِيب الآثار، الطبرِي، حدِيث (725).
(2) دلائل النبوة، البيهقِي، 390/2.
(3) اللفظ للبيهقِي في الدلائل.
(4) شرح المواهِب، الزُّرقانِي، 118/8.
(5) صحيح البخارِي، حدِيث (7517).
(6) شرح المواهِب، الزُّرقانِي، 119/8.
(7) صحيح البخارِي، حدِيث (7517).
(8) (م، س)، حدِيث (5609) وصحيح مسلم، حدِيث (264).
(9) شرح المواهِب، الزُّرقانِي، 119/8.

أَوَّلًا على الْجَنَّةِ فَيَدْخُلَانِها ثُمَّ يَنْزِلَانِ إِلَى الأَرْضِ بَعْدَ ذلِكَ، وهَذَا عَلَى أَنَّ بُقْعَةَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى تُسَاوِي بُقْعَةَ الْجَنَّة أَوْ تَعْلُو عَلَيْهَا[1].

ووقَعَ فِي هَذِهِ الرِّوَايةِ: ((**ثُمَّ مَضَى بِهِ فِي السَّمَاءِ الدُّنيا، فَإِذَا هُوَ بِنَهْرٍ آخَرَ عَلَيْهِ قَصْرٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وزَبَرْجَدٍ، فَضَرَبَ يَدَهُ، فَإِذَا هُوَ مِسْكٌ، قَالَ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الذِي خَبَّأَ لَكَ رَبُّكَ**))[2]. وهُوَ مِمَّا اسْتَشْكَلَ مِنْ رِوَايةِ شريك، فَإِنَّ الْكَوْثَرَ فِي الْجَنَّةِ، والْجَنَّة فوْقَ السَّماءِ السَّابِعَةِ، ويُجْمَعُ بِأَنَّ التَّقدِيرَ مَضَى فِي السَّماءِ الدُّنيا إِلَى السَّابعةِ، فإِذَا هُوَ بِنَهْرٍ، واسْتَبْعَدَهُ تِلْمِيذُهُ[3] الخيضَري[4] بأَنَّ بيْنَ الْأُولَى والسَّابِعَةِ خمْسُ سَماواتٍ كُلٌّ مِنْهُنَّ لَهَا صِفَةٌ غَيْرُ صِفَةِ الْأُخْرَى، ولَهَا أَبْوَابٌ وخَدَمٌ غَيرُ مَا لِلْأُخْرَى، فَإِطْلَاقُ الْمَسِيرِ إِلَيْها بَعِيدٌ، وذِكْرُها بَعْدَ السَّادِسَةِ مِمَّا يُبْعِدُهُ أَيْضًا[5].

قلْتُ: لَا حُجَّةَ فِي ذَلِكَ الأبْعَدِ؛ لِجَوَازِ ذِكْرِ الأَوَّلِ والآخِرِ وَطَيِّ الْوَسَطِ، ولَا سِيَّما مثل الْمَسْأَلَةِ مِمَّا لَا يُتَوَصَّلُ فِيهِ إِلَى الْأَخِيرِ إِلَّا بِقَطْعِ مَا قَبْلَهُ مِن الْوَسَطِ. وأَيْضًا قَدْ يُقَالُ أَصْلُ الْكَوْثَرِ فِي الْجَنَّةِ، وجَعَلَ اللهُ تَعَالى مِنْهُ فَرْعًا فِي السَّماءِ الدُّنيا، عَجَّلَ لِنبِيئِهِ ﷺ رؤْيَتَهُ تَبْشِيرًا لأَنَّهَا أَوَّلُ الْمَرَّاتِ العَلِيّة بَعْدَ السُّفْلِيَّةِ، ويُؤيِّدُ هَذَا قَوْل جبْرِيلَ: خَبَّأَ لَكَ رَبُّكَ.

وفِي قَوْلِهِ "اسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ" وفِي قَوْلِ جبْرِيلَ فِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ لِخَازِنِ السَّماءِ الدُّنْيَا: "افْتَحْ" وفِي رِوَايَة: "ضرب الْبَاب" وكَذَا سَائِر السَّمَاوَاتِ دَلِيلٌ علَى أَنَّ أَبْوَابَ السَّماوَاتِ مُغْلَقَةٌ، وفِي فَتْحِها لَهُ ﷺ تنْوِيهٌ بِقَدرِهِ بِأَنَّهَا فُتِحَتْ لَهُ، ولَوْ وُجِدَتْ مَفْتُوحَةً لَمْ يَعْلَمْ أَنَّها فُتِحَتْ لِأَجْلِهِ، بَلْ يحْتَملُ أَنَّهَا مَفْتُوحَةٌ دَائِمًا، وأَنَّها فُتِحَتْ لِغَيْرِهِ فَصَادَفَ مَجِيئهُ بَعْدَهُ.

---

(1) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 8/119-120.

(2) صحيح البخارِي، حدِيث (7517).

(3) القول الذي نقله المؤلِّف للحافظ ابن حجر، والهاء في "تلميذه" تعود إليه، كما في شرح المواهِب.

(4) في الأصل: الخيْصَرِي، وهو محمد بن محمد بن عبد الله الزبيدي، البلقاوي الأصل الشافعي، المعروف بالخيضري محدث، حافظ، أصولي فقيه، مؤرخ، نسابة. تخرج بابن حجر وغيره، وسمع الكثير وحدث وولي قضاء الشافعية بدمشق، وتوفي بالقاهرة سنة 894 هـ، من تصانيفه: شرح التنبيه للشيرازي في فروع الفقه الشافعي وسماه مجمع العشاق بتوشيح تنبيه الشيخ أبي إسحاق، طبقات الشافعية. نظم العقيان، السيوطِي، ص162. ومعجم المؤلِّفين، رضا كحالة، 3/654.

(5) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 8/120.

وقالَ ابْنُ دِحْيَةَ: إِنَّما لَمْ تُهَيَّأْ لَهُ بِالْفَتْحِ قَبْلَ مَجِيئِهِ، وإِنْ كَانَ أَبْلَغَ فِي الإِكْرَامِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ رَآها مَفْتُوحَةً لَظَنَّ أَنَّها لَمْ تَزَلْ كذلِكَ، ففَعَلَ ذَلِكَ لِيَعْلَم أَنَّهُ فُعِلَ لِأَجْلِهِ، ولِأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَرَادَ أَنْ يُطْلِعَهُ عَلَى كَوْنِهِ مَعْرُوفًا عِنْدَ أَهْلِ السَّماوَاتِ[1].

والْمُرَادُ بِقَوْلِهِم: "أُرْسِلَ إِلَيْهِ" وقَوْلِهِمْ: "بُعِثَ" الدُّعاءُ لِلْعُرُوجِ لَا الْبِعْثَةِ، لِأَنَّها مَعْرُوفَةٌ لَا تَخْفَى، وَقِيلَ: أَنْ يَكُونَ قَدْ خَفِيَ عَلَى قَائِلِي ذَلِكَ بِعْثَتُهُ لاشتِغَالِهِمْ بِالعِبَادَةِ، وقِيلَ: سَأَلُوا تَعَجُّبًا مِنْ نِعْمَةِ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِ أَو اسْتِبْشَارًا بِهِ، وقَدْ عَلِمُوا أَنَّ بَشَرًا لَا يَتَرَقَّى هَذَا التَّرَقِّي إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى، وأَنَّ جِبْرِيلَ لَا يَصْعَدُ بمَنْ لَمْ يُرْسَلْ إِلَيْهِ، فَلَيْسَ سُؤَالًا حَقِيقًا[2].

قلْتُ: وَيحْتَمِلُ أَنَّهُمْ عَرَفُوا [227ظ] أَنَّهُ سَيَعْرُجُ، ولَكِنَّهُمْ كَمَنْ قَالَ أهَذَا وَقْتُ الْعُرُوجِ الْمَوْعُودِ؟

وقِيلَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَرَادَ إِطْلاعَ نَبِيئِهِ عَلَى أَنَّهُ مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْمَلَأ الأَعْلَى لِأَنَّهُمْ قَالُوا: "وقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ" أَوْ "أُرْسِلَ إِلَيْهِ" فَدَلَّ أَنَّهُمْ عَرَفُوا أَنْ سَيَقَعُ لهُ، فَذَلِكَ غَيْرُ اسْتِفْهَامٍ، وإِلَّا قالُوا "ومَنْ مُحَمَّد" ولِذَا أَجَابُوا بِقَوْلِهِمْ: "مَرْحَبًا بِهِ" و"لَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ"[3].

وقَالَ ابن الْمنيّر: قَوْلُهُمْ "أُرسِلَ إِلَيْهِ" أَوْ "بُعِثَ" اسْتِنْطَاقٌ لِجِبْرِيلَ بِالسَّبَبِ الْمُوجِبِ لِلْإِذْنِ والفَتْحِ؛ لأَنَّ مُجَرَّدَ قَوْلِهِ: "مَعِي مُحَمَّدٌ" لَا يُوجِبُ الإِذْنَ إِلَّا بِوَاسِطَةِ الْبَعْثِ مِن اللهِ تعَالَى، ويَلْزَمُ مِنْهُ الإِذْنُ فِي إِزَالَةِ الْمَوَانِعِ وفَتْحِ أَبْوَابِ السَّماءِ فَلَمْ يَتَوَقَّف الْخَازِنُ عَلَى أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ بالْفَتْحِ؛ لأَنَّهُ لَزِمَ عِنْدَهُ مِنَ الْبَعْثِ الإِذْنُ[4].

وأَمَّا قَوْلُهُمْ: "مَنْ مَعَكَ؟" فَيُشْعِرُ بِأَنَّهُم أَحَسُّوا بِهِ ﷺ رَفِيقًا، وإِلَّا كانَ السُّؤالُ أَمَعَكَ أَحَدٌ؟ وَهَذَا الإِحْسَاسُ بِمُشَاهَدَةٍ، لِكَوْنِ السَّماءِ شَفَّافَةً لا تَحْجُبُ مَا وَرَاءَهَا، وإِمَّا لِأَمْرٍ مَعْنَوِيّ كَزِيَادَةِ أَنْوَارٍ. واستَظْهَرَهُ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ كأَنَّهُمْ قَالُوا مَن الشَّخْصُ الذِي مِنْ أَجْلِهِ هَذِهِ الزِّيَادَةُ؟[5]

---

(1) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 121/8.
(2) (م، س)، 121/8.
(3) (م، س)، 121/8-122.
(4) (م، س)، 122/8.
(5) (م، س)، 122/8-123.

ومِمَّا قِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿18﴾ ﴾[1] أَنَّهُ رَأَى صُورَةَ نَفْسِهِ ﷺ الْمُبَارَكَةِ فِي الْمَلَكُوتِ فإِذَا هُوَ عَرُوسُ الْمَمْلَكَةِ لِشِدَّةِ أَنْوَارِهِ. وقَالُوا: "مرْحَبًا بِهِ ولَنِعْمَ "إلخ لِمُعَايَنَتِهِمْ بَرَكَتَهُ عليه السلام مبَشِّرَةً بقُدُومِهِ. وفِي الْحَدِيثِ دلَالَةٌ عَلَى أَنَّ لِلْحَاشِيَةِ أَنْ يُبَشِّرُوا الْوَافِدَ بِمَا عَزَمَ عَلَيْهِ السَّيِّدُ مِنْ إِكْرَامِهِ ولَوْ لَمْ يَأْذَنْ لهُمْ، ولَا يَكُونُ إِفْشَاءَ سِرٍّ؛ لأَنَّهُ صَدَرَ مِنَ الْبَوَّابِ مَا يَعْلَمُ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذلِكَ الإِكْرَامَ[2].

قال ابن مالك فِي "تَوْضِيحِ الْبُخَارِي"[3]: "جاءَ" صِلَة أَوْ صِفَة لِمَحْذُوفٍ؛ أَيْ: لَنِعْمَ الْمَجِيءُ الذِي جَاءَهُ أَوْ لَنِعْمَ الْمَجِيءُ مَجِيءٌ جَاءَهُ، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى[4]. وقَالَ غَيْرُهُ: فَقَدَّمَ مِنْ تأْخِيرٍ؛ أَيْ: جاءَ لَنِعْمَ الْمَجِيءُ مَجِيئُهُ[5].

وقَالَ: حَيَّاهُ بِالْغَيْبَةِ؛ لِأَنَّهُ تَكَلَّمَ مَعَ جِبْرِيلَ عليه السلام لا مَعَهُ ﷺ، ولِأَنَّ ذَلِكَ قَبْلَ الْفَتْحِ، وقَبْلَ الْمُوَاجَهَةِ التَّامَّةِ، ولِأَنَّ هَذِهِ الْغَيْبَةَ قدْ تَكُونُ أَهَمُّ؛ لِأَنَّ فِيهَا تَعْظِيمًا بِالْغَيْبِ، ومَا فِي الْحَضْرَةِ قدْ يَكُونُ مُدَارَاةً أَو اسْتِحْيَاءً، ولِأَنَّ فِيهَا تَلْوِيحًا إِلَى أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ لَمْ يُنْزِلْ نَفْسَهُ أَهْلًا بِخِطَابِهِ لِجَلَالَتِهِ ﷺ.

وفِي رِوَايَةِ شريك أَنَّ آدَمَ قالَ لَهُ ﷺ: ((**مَرْحَبًا وَأَهْلًا بِابْنِي، نِعْمَ الابْنُ أَنْتَ**))[6] والْمَشْهُورُ: ((**مَرْحَبًا بِالنَّبِيءِ الصَّالِحِ والابْنِ الصَّالِحِ**))[7] وصَلَاحُ الأَنْبِيَاءِ صَلَاحٌ كامِلٌ؛ لأَنَّهُ يَزُولُ بِهِمْ فَسَادُ الْأُمَمِ.

وفِي رِوَايَةٍ: ((**إِذَا رَأَى آدَمُ أَسْوِدَةَ يَسَارِهِ تَأَفَّفَ**)) أَيْ: قَالَ لَهُمْ: أُفٍّ لَكُمْ، ويُقَالُ: أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ أَوْ عَلَى بَابِها، وأَرْوَاحُ الْكُفَّارِ فِي سِجِّين، فكَيْفَ تَحْضُرُ عِنْدَ آدَمَ، وكَيْفَ تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لهُمْ، وهِيَ لَا تُفْتَحُ لِلْكُفَّارِ؟ الْجَوَابُ أَنَّهُ كشفَ لِآدَمَ ومَنْ بِحَضْرَتِهِ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ، وهُمْ فِيهَا عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ فَوْقَ السَّماءِ السَّابِعَةِ، وبِأَهْلِ النَّارِ وهُمْ فِيهَا عَنْ يَسَارِ الْعَرْشِ منَ الْأَرْضِ السَّابعةِ. وقَدْ تَدْخُلُ رُوحُ الْعَاصِي السَّماءَ.

---

(1) سورة النجم: 18.

(2) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 123/8.

(3) شواهد التوضِيح والتَّصْحِيح لمشكِلات الجامع الصَّحِيحِ.

(4) شواهد التوضِيح، ابن مالك ص169.

(5) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 123/8.

(6) صحيح مسلِم، حدِيث (7517).

(7) صحيح البخارِي، حدِيث (349) وصحيح مسلم، حدِيث (263).

فالْمُرَادُ العُصَاةُ مِن الْمُوَحِّدِينَ، وقَدْ يُقَالُ تِلْكَ الأَرْوَاحُ الْخَبِيثَةُ أَرْواح يُخْلَقُ أصْحابُها بَعْدُ [228و] فَلَا يُشْكِلُ دُخُولُها السَّماءَ، وهذَا بِنَاءً عَلَى أَنَّ الرُّوحَ مَخْلُوقَةٌ قَبْلَ الْجَسَدِ.

وفِي حدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ الْبَزَّارِ[1] وأبي يعلى وابن جرير[2] والْبَيْهَقِيّ: ((**فَإِذَا عَنْ يَمِينِهِ**؛ أَيْ: يَمِين آدَمَ، **بَابٌ يَخْرُجُ مِنْهُ رِيحٌ طَيِّبَةٌ، وعَنْ شِمَالِهِ بَابٌ يَخْرُجُ مِنْهُ رِيحٌ خَبِيثَةٌ**))[3] وهَذَا تَصْرِيحٌ في أَنَّهُمْ يُخَيَّلونَ إِلَيْهِ مِنْ أَمَاكِنِهِمْ كَمَا مَرَّ فَلَا إِشْكَالَ. وأَجَازَ بَعْضٌ أنْ تُفْتَحَ لِلْأَرْوَاحِ الْخَبِيثَةِ ولَا تَدْخُلُهَا.

وفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ عِنْدَ الْبَيْهَقِيّ: ((**فإِذَا أَنَا بِآدَمَ تُعْرَضُ علَيْهِ أَرْوَاحُ ذُرِّيَتِهِ الْمُؤْمِنِينَ فيَقُولُ رُوحٌ طَيِّبَةٌ ونَفْسٌ طَيِّبَةٌ اجْعَلُوهَا فِي عِلِّيِّينَ، ثُمَّ تُعْرَضُ علَيْهِ أَرْوَاحُ ذُرِّيَّتِهِ الفُجَّارِ، فيَقُولُ رُوحٌ خَبِيثَةٌ ونَفْسٌ خَبِيثَةٌ اجْعَلُوهَا فِي سِجِّينٍ**))[4].

ومَا ذَكَرْتُ مِنْ أَنَّ الْأَرْوَاحَ الْخَبِيثَةَ عَنْ يَمِينِهِ أَرْواحُ الْعُصَاةِ احْتِمَالٌ قُلْتُهُ مِنْ عِنْدِي، والآنَ رَأَيْتُهُ قَوْلًا لِبَعْضٍ، وَأَيَّدَهُ ببكَاءِ آدَمَ رَحْمَةً لَهُمْ، ولَا يَرْحَمُ المُشْرِكِينَ.

وتَعَقَّبَهُ ابْنُ الْمُنَيِّرِ بِأَنَّ الْعُصَاةَ الْمُوَحِّدِينَ مِنْ أَهْلِ اليَمِينِ[5]. قلْتُ: لَا يُعَدُّ الشَّقِيُّ مِن أَهْلِ الْيَمِينِ مُوَحِّدًا أو مُشْرِكًا، ولَا حُجَّةَ فِي الْبُكَاءِ؛ لِأَنَّهُ بَكَى حُزْنًا لَا رَحْمَةً لهُمْ، بَل الْبُكَاءُ رَحْمَةً جَائِزٌ وَلَوْ عَلَى مُشْرِكٍ؛ لأَنَّهُ رِقَّةُ قَلْبٍ لَا دُعَاءٌ أَو اسْتِغْفَارٌ.

وهَل الْمُرَادُ الأَرْوَاحُ كُلُّها؟ قِيلَ: نَعَمْ، فيشكِلُ بأَرْوَاحِ الْأَحْيَاءِ ومَنْ يَأْتِي بَعْدُ مِن السُّعداءِ والأَشْقِياءِ. أُجِيبَ بِحُضُورِ أَرْوَاحِ مَنْ لَمْ يُخْلَقْ، وبِرُؤْيَتِهِ لَهَا فِي الْأَرْضِ مِنْ جِهَةِ اليَمِينِ أَو الشِّمَالِ، ولَا يَتِمُّ هَذَا فِي الأَحْيَاءِ إِلَّا تَمْثِيلًا لِأَنَّهُ لَيْسَ السُّعداءُ الأَحْيَاء كُلّهُم فِي ذَلِكَ الْوَقتِ عَن اليَمِينِ لَهُ، ولا الأَشْقِياء كُلّهُم فِيهِ عَنْ شِمَالِهِ، ويُمْكِنُ أَنَّ اللهَ أَنَامَهُمْ كُلَّهُمْ في ذَلِكَ الْوَقْتِ فَطَلَعْتْ أَرْوَاحُهُم، ولَا إِشْكَالَ عَلَى أَنَّ الْإِسْرَاءَ فِي النَّوْمِ.

---

(1) مسند البزَّار، حدِيث (9518).

(2) تهذيب الآثار، حدِيث (727).

(3) مسند البزَّار، حدِيث (9518).

(4) دلائل النُّبوَّة، البيهقِي، 392/2.

(5) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 127/8.

وذَكَرَ مُسْلِم عَن الزُّهرِي عَنْ أَنَس كالبُخَارِي ولَمْ يُرَتِّب الْأَنْبِيَاءَ التَّرتِيبَ الْمُتَقَدِّمَ الثَّابِتَ عَنْ ثَابِت البنَّانِي رَحِمَهُ اللهُ ورَضِيَ عَنْهُ مِنَ التَّابعِينَ، بَلْ فِيهِ أَنَّهُ وَجَدَ فِي السَّمَاوَاتِ آدمَ وإِدْرِيسَ ومُوسَى وعِيسَى وإِبْرَاهِيم غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ: وَجَدَ آدَمَ فِي السَّماءِ الدُّنيَا وإِبْرَاهِيمَ فِي السَّادِسَةِ. وفِي رِوَايَةِ شريك عَنْ أَنَس عنْدَ الْبُخَارِي ومُسْلِم أَنَّ إِدْرِيسَ فِي الثَّانِيَةِ وهَارُونَ فِي الرَّابِعَةِ، وآخَرُ فِي الْخَامِسَةِ لَمْ أَحْفَظْ اسْمَهُ، وإِبْرَاهِيمَ فِي السَّادِسَةِ وموسَى فِي السَّابِعَةِ بِتَفْضِيلِ كَلَامِ اللهِ تَعَالَى[1].

وافَقَ الزُّهْرِي شَرِيكًا فِي أَنَّ هَارُونَ فِي الرَّابِعَةِ، وخالَفَ بِجَعْلِهِ إِدْرِيسَ فِي الخَامِسَةِ قَتَادَةَ وثَابِتًا الْجَاعِلَيْنِ لَهُ فِي الرَّابِعَةِ، وشَرِيكًا الْجَاعِلَ لَهُ فِي الثَّانِيَة، وما يُروَى عَنْ أَبِي سَعِيد يُوَافِقُ ما لِثَابِت وقَتَادَةَ إِلَّا أَنَّ فِي رِوَايتِهِ يُوسُف فِي الثَّانِيَة، وعِيسَى ويَحيَى فِي الثَّالِثَةِ، وَجمعَ باحْتِمَالِ الانْتِقَالِ لَا التَّعَدُّد؛ لِأَنَّهُ خِلافُ الصَّحِيحِ والْمَشْهُور فِي الرِّوايَاتِ كُلِّها غَيْر رِوَايَتَيْ أَبِي ذَرّ وشَرِيك أَنَّ الذِي فِي السَّابِعَةِ هُوَ إِبْرَاهِيمُ، وهوَ الأَرْجَحُ، وَأَكَّدَ ذَلِكَ حَدِيثُ مالك بن صعصعة بِأَنَّهُ كَانَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وهُوَ فِي السَّابعةِ بِلَا خِلَافٍ، كَذَا قِيلَ بِلَا خِلافٍ. ويُبْحَثُ بأَنَّهُ جَاءَ عَنْ عَلِيّ أَنَّ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ فِي السَّادِسَةِ عِنْدَ شَجَرَةِ طُوبَا، ويُجَابُ بِأَنَّهُ إِنْ ثَبَتَ حُمِلَ عَلَى الْبَيْتِ الذِي في السَّادِسَةِ [228ظ] عِنْدَ شَجَرَةِ طُوبَا؛ لِأَنَّهُ جَاءَ عنْهُ ﷺ: ((**أَنَّ فِي كُلِّ سَمَاءٍ بَيْتًا يُحَادِي الْكَعْبَةَ، وكُلٌّ مِنْهَا مَعْمُورٌ بِالْمَلَائِكَةِ**))[2] وكَذَا الْقَوْلُ فِيمَا جَاءَ عَن الرّبيع بن أنس وغَيْرِهِ أَنَّ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ فِي السَّماءِ الدُّنيا فإِنَّهُ مَحْمُولٌ علَى أَوَّلِ بَيْتٍ يُحَادِي الْكَعْبَةَ مِنْ بُيُوتِ السَّماواتِ، فمَعَ الْقَوْلِ بِتَعَدُّدِ الْمِعْرَاجِ فَلَا إِشْكالَ بَيْنَ الثَّابِتِ الْمَشْهُورِ فِي الرِّواياتِ أَنَّهُ فِي السَّابعةِ، وبَيْنَ رِوَايَتَيْ أَبِي ذَرّ وشريك أَنَّهُ فِي السَّادِسَة لِحَمْلِ كُلٍّ عَلَى مَرَّةٍ، وَمَعَ الاتِّحَادِ الذِي هُو الصَّحِيحُ وقَوْلِ الجُمْهُورِ فَقَدْ جُمِعَ بِأَنَّ مُوسَى كَانَ حَالَةَ الْعُرُوج فِي السَّادِسَة وإِبْرَاهِيمَ فِي السَّابِعَةِ عَلَى ظاهِرِ حَدِيثِ مالك بن صعصعة، وعِنْدَ الهُبوطِ كَانَ مُوسَى فِي السَّابِعَةِ بِأَنْ يَكُونَ صَعَدَ مَعَهُ أَوْ بَعْدَهُ لِأَجْلِ المُرَاجَعَةِ فِي أَمْرِ الصَّلاةِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ فِي الْقِصَّة أَنَّ إِبْرَاهِيمَ كَلَّمهُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِمَا فرضَ عَلَى أُمَّتِهِ مِن الصَّلاةِ، لَكِنْ لَا يَلْزَمُ مِنْ عَدَمِ الْكَلَامِ أَنْ يَكُونَ فِي السَّادِسَةِ حِين الرُّجوعِ الذِي هُوَ تَمَامُ الْجَمْعِ بَيْنَ الرِّوايَتَيْنِ، إِذْ تَرَكَهُ وإِنْ كَانَ فِي السَّابِعَةِ؛ لأَنَّ الْخَلِيلَ شَأْنُهُ التَّسلِيمُ لِخَلِيلِهِ كَمَا كَلَّمَهُ مُوسَى عليه السلام وجَزَاهُ عَنَّا خَيْرًا، والسَّمَاءُ السَّابِعَةُ هِيَ أَوَّلُ

(1) صحيح البخاري، حديث (7517).

(2) فتح الباري، ابن حجر، 462/1.

سَمَاءٍ انْتَهَى إِلَيْهَا حَالَ الْهُبُوطِ فَنَاسَبَ أَنْ يَكُونَ مُوسَى بِهَا؛ لِأَنَّهُ هُوَ الذِي خاطَبَهُ فِي أمْرِ الصَّلاةِ، كمَا ثَبَتَ فِي جمِيع الرِّوَايَاتِ فيَكُونُ فِي السَّابعةِ؛ لِأَنَّه كَلِيمُ اللهِ ولِأَمْرِ الصَّلاةِ، وأمَّا كَوْنُ آدمَ في الأُولَى فَلِأَنَّهُ تعرض عَلَيْهِ أَوْلَادهُ ولَا بَأْسَ بِذَلِكَ الْجَمْعِ، لَكِن تَمَامهُ بِوُجُودِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ رَجَعَ فِي السَّادِسَةِ، وأَنَّ تَعْلِيلَهُ بِعَدَمِ تَكَلُّمِهِ فِي الصَّلاةِ لَا يَنْهَضُ بَلْ يخْدِشُ فِيهِ قَوْلُهُ فِي حَدِيثِ أَنَس عِنْدَ ابن أبي حاتم: ((**ثُمَّ انْجَلَتْ عَنْهُ السَّحابَةُ، وأَخَذَ بِيَدِهِ وانْصَرَفَ سرِيعًا فَأَتَى عَلَى إبْرَاهِيمَ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا**))[1] وظَاهِرُ هَذَا أَنَّهُ مَرَّ عَلَى إِبْرَاهِيمَ قَبْلَ مُوسَى ويَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لَقِيَ موسَى في السَّادِسَةِ، فَصَعدَ مَعَهُ إِلَى السَّابعةِ لِتَفْضِيلِهِ علَى غَيْرِهِ مِنْ أَجْلِ كَلَامِ اللهِ تَعَالَى، وظَهَرَتْ فَائِدَةُ ذَلِكَ فِي كلَامِهِ مَعَ نَبِيئِنَا ﷺ فِي أَمْرِ الصَّلاةِ.

وقالَ الْكَرْمَانِيّ: يُجْمَعُ بِأَنَّهُ رَأَى إِبْرَاهِيمَ فِي السَّادِسَةِ ثُمَّ ارْتَقَى إِبْرَاهِيمُ إِلَى السَّابِعَةِ ليَرَاهُ فِي مَكَانَيْنِ تَعْظِيمًا لَهُ. ورَجَّحَ الزُّرقَانِيّ هَذَا[2].

وفِي رِوَايَةِ شريك عَنْ أَنَس فِي قِصَّةِ مُوسَى عَقِبَ قَوْلِهِ تَفْضِيل كَلَامِ اللهِ مَا نَصُّهُ: ((**فَقَالَ مُوسَى: رَبِّ لَمْ أَظُنَّ أَحَدًا يُرْفَعُ عَلَيّ**))[3].

قالَ ابْنُ بَطَّال[4]: فَهِمَ موسَى عليه السلام مِن اخْتِصَاصِهِ بِكَلَامِ اللهِ تَعَالَى لَهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ**﴾[5] إلخ أنَّ المُرَادَ بِالنَّاسِ الْبَشَرَ كُلَّهُمْ، ولَمْ يَعْلَمْ أنَّ الْمُرَادَ نَاسُ زَمَانِهِ، ومَنْ بَعْدَهُ إِلَى آخِرِ أُمَّةِ عِيسَى، فَإِنَّهُ ﷺ فَضَّلهُ اللهُ ﷻ بالمَقَامِ الْمَحْمُودِ وَغَيْرِهِ عَلَى سيِّدِنَا مُوسَى عليه السلام[6].

وفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ عِنْدَ الْبَيْهَقِيّ وغَيْرِهِ: ((**تَزْعُمُ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنِّي أَكْرَمُ الْخَلْقِ عَلَى اللهِ، وهَذَا أَكْرَمُ عَلَى اللهِ مِنِّي**))[7].

---

(1) فتح الباري، ابن حجر، 217/7.

(2) شرح المواهب، الزُّرقاني، 132/8.

(3) صحيح البخاري، حديث (7517).

(4) ينظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال، 510/10.

(5) سورة الأعراف: 144.

(6) شرح المواهب، الزُّرقاني، 132/8.

(7) دلائل النبوة للبيهقي وفيه: ((يزعم الناسُ إنِّي أكرمُ ...)) 393/2.

وأَخْرَجَ الْبَزَّارُ والْبَيْهَقِيّ وغَيْرُهُمَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: ((**قَالَ مُوسَى عليه السلام: تَزْعُمُ بَنُو إِسْرَائِيلَ [229و] أَنِّي أَكْرَمُ بنِي آدَمَ علَى اللهِ، وهَذَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ خلَفَنِي فِي الدُّنْيَا، وأَنَا فِي الأُخْرَى، فَلَوْ أَنَّهُ بنَفْسِهِ لَمْ أُبَالِ، ولَكِنْ مَعَ كُلِّ نَبِيءٍ أُمَّتُهُ**))[1] وزادَ سعيد بن يحيى[2] في رِوَايتِهِ: ((**لَوْ كَانَ هَذَا وَحْدَهُ لَهَانَ عَلَيَّ، ولَكِنْ مَعَهُ أُمَّتُهُ وهُمْ أَفْضَلُ الْأُمَمِ عِنْدَ اللهِ**))[3] وهَذَا غِبْطَةٌ لَا حَسَدٌ[4].

وفِي حَدِيثِ مَالِك بنِ صَعْصَعَةَ: ((**ولَمَّا جَاوَزْتُه بقِيَ مُوسَى يَبْكِي فَنُودِيَ مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: رَبِّ هَذَا غُلَامٌ بَعَثْتَهُ مِنْ بَعْدِي يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِهِ الْجَنَّةَ أَكْثَرَ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي**))[5]. وفِي رِوَايَةِ أَبِي عُبَيْدَةَ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ عَنْ أَبِيهِ[6]: ((**أَنَّهُ مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بمُوسَى عليه السلام يرْفَعُ صَوْتَهُ فَيَقُولُ أَكْرَمْتَهُ وفَضَّلْتَهُ، فقَالَ جِبْرِيلُ: هَذَا مُوسَى، قُلْتُ: مَنْ يُعَاتِبُ؟ قَالَ: يُعَاتِبُ رَبَّهُ، قُلْتُ: ويَرْفَعُ صَوْتَهُ عَلَى رَبِّهِ؟ قَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ عَرَفَ لَهُ حِدَّتَهُ**))[7].

قُلْتُ: ذَلِكَ غِبْطَةٌ مِنْهُ عليه السلام وغَيْظٌ عَلَى قَوْمِهِ إِذْ كَثُرَتْ مِنْهُم الْمُخَالَفَةُ، وأسف عَلَى مَا فَاتَهُ مِنَ الْأَجْرِ؛ لِأَنَّ حَسَنَاتِ كُلِّ أُمَّةٍ فِي صَحِيفَةِ نَبِيئِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَنْقُصَ عَنْهَا. ولَعَلَّهُ بَكَى مُتَضَرِّعًا لَعَلَّ اللهَ يَجْعَلُ لَهُ ثَوَابًا بِقَدْرِ مَنْ خَالَفَ أَيْضًا مِنْ أُمَّتِهِ بِبَرَكَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، عَرُوس الْمَمْلَكَةِ وبَرَكَةِ الْوَقْتِ. ويَحْتَمِلُ أَنَّهُ بَكَى تَبْشِيرًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وإِدْخَالًا لِلسُّرُورِ عَلَيْهِ بالْإِخْبَارِ بِكَثْرَةِ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ ﷺ، وكَذَا فِيمَا مَرَّ عَنْهُ مِنْ أَلْفَاظِ الْغِبْطَةِ، أَسْمَعَهَا إِيَّاهُ تَبْشِيرًا فَأَسْمَعَهُ الْأَلْفَاظَ والبُكاءَ لِلتَّبْشِيرِ، وكَذَا أَسْمَاهُ غُلَامًا تبْشِيرًا لَهُ بِقِلَّةِ مَا مَضَى مِنْ سِنِّهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ، وتَبْشِيرًا بأَنَّ فِيهِ قُوَّةَ الشَّبَابِ ولَوْ بَلَغَ فَوْقَ أَرْبَعِينَ، والْعَرَبُ تُسَمِّي الرَّجُلَ الْمُستَجْمِعَ لِلسِّنِّ غُلَامًا مَا دَامَتْ فِيهِ بَقِيَّةٌ مِنَ الْقُوَّةِ فِي الْكُهُولَةِ، فذَلِكَ مَدْحٌ لَهُ بِقُوَّةِ الشَّبَابِ مَعَ سِنِّهِ بِفَضْلِ اللهِ.

---

(1) الحدِيث في تهذيب الآثار، الطبرِي، حدِيث (727)، وجامع البيان، الطبرِي، 424/14، ولم أجده في مسند البزار، ولا فِي دلائل النبوة للبيهقِي.

(2) الأموِي، صاحب المغازِي، تنسب له ولأبِيه. ت:241 أو 250هـ. ينظر ترجمته: تاريخ الإسلام، الذهبِي، 1145/5.

(3) فتح البارِي، ابن حجر، 211/7.

(4) شرح المواهِب، الزُّرقانِي، 133/8.

(5) صحيح مسلِم، حدِيث (264).

(6) ورد بلفظ قرِيب، حلية الأولياء، أبو نعيم، 386/10.

(7) شرح المواهِب، الزُّرقانِي، 133/8. وفتح البارِي، 211/7.

وذَكَرَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ أَنَّ الْعَرَبَ يُطْلِقُونَ عَلَى الْمَرْءِ غُلَامًا إِذَا كانَ سَيِّدًا فِيهِمْ[1]. ومِنْ بَقَاءِ قُوَّتِهِ أَطْلَقَ النَّاسُ عَلَيْهِ فِي قُدُومِهِ الْمَدِينَةَ اسْمَ الشَّابِّ.

قال أَنَس: أَقْبَلَ النَّبِيءُ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ وهُوَ مُرْدِفٌ أَبَا بَكْرٍ، وأَبُو بَكْرٍ شَيْخٌ يُعْرَفُ، والنَّبِيءُ ﷺ شَابٌّ لَا يُعْرَفُ[2]. وقَدْ مَرَّ مَعَ ذَلِكَ أَنَّهُ يَزِيدُ ﷺ علَى أَبِي بَكْرٍ بِعَامَيْنِ، وقِيلَ بِأَزْيَدَ مِنْ عَامَيْنِ.

قال ابْنُ حَجَر: وَقَعَ مِنْ مُوسَى عليه السلام في هَذِهِ القِصَّةِ مِنْ مُرَاعَاةِ [229ظ] الأَدَبِ مَعَ النَّبِيءِ ﷺ إِنَّهُ أَمْسَكَ عَنْ جَمِيعِ مَا وَقَعَ لَهُ حَتَّى فَارَقَهُ النَّبِيءُ ﷺ فقالَ مَا قَالَ وبَكَى، لَكِنْ سَمِعهُ مَعَ ذَلِكَ[3].

وفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ الطَّبَرِي فِي ذِكْرِ إِبْرَاهِيمَ: ((**فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ أَشْمَطَ جَالِسٍ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ عَلَى كُرْسِيٍّ**))[4].

وفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيد: ((**فَإِذَا بِإِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ كَأَحْسَنِ الرِّجَالِ**))[5].

وفِي حَدِيثِ مُسْلِم عَنْ ثَابِت الْبُنَّانِي عَنْ أَنَس: ((**ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّماءِ السَّابِعَةِ فَإِذَا بِإِبْرَاهِيمَ مُسْنِدٌ ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وإِذَا هُوَ يدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، وَلَا يعُودُونَ إِلَيْهِ**))[6]. زَادَ ابْنُ إِسْحَاقَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيد: ((**إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**))[7] ولَفْظُ الْبُخَارِي عَنْ أَنَس عَنْ مَالِك بنِ صَعْصَعَةَ: ((**إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ**))[8].

---

(1) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 138/8.
(2) مسند أحمد، حدِيث (13250).
(3) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 138/8-139 وفتح الباري، ابن حجر، 212/7.
(4) جامع البيان، الطبري، 424/14.
(5) دلائل النبوة، البيهقي، 394/2.
(6) صحيح مسلِم، حدِيث (259).
(7) سيرة ابن هِشَام، 407/1.
(8) صحيح البخاري، حدِيث (3207).

وسُمِّيَ الْمَعْمُور لِكَثْرَةِ دَاخِلِيهِ. والضُّرَاح[1] لبُعْدِهِ عَنْ الْأَرْضِ. وفِيه جَوَازُ الاسْتِنَادِ إِلَى القِبْلَةِ إِنْ قِيلَ شَرْعُ مَنْ قَبْلَنَا أَوْ شَرْعُ إِبْرَاهِيمَ شَرْعٌ لَنَا. والْمَذْهبُ أَنَّ شَرْعَ مَنْ قَبْلَنَا لَيْسَ شَرْعًا لَنَا.

قالَ التّلمسانيّ[2]: فِيه دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْأَفْضَلَ فِي غَيْرِ الصَّلاةِ إِسْنَادُ الظَّهرِ لِلْقِبْلَةِ. قُلْتُ: الأَفْضَلُ اسْتِقبَالُهَا، ولَعَلَّ الْخَلِيلَ أَسْنَدَ ظَهْرَهُ لِيَتَوَجَّهَ إِلَى الْمُصْطَفَى ويُخَاطِبَهُ[3].

فالمُصْطَفَى مُسْتَقْبِلٌ فالاسْتِقْبَالُ أَوْلَى ولَا سِيَّمَا مَعَ قَوْلِهِ ﷺ: ((**أَشْرَفُ الْمَجَالِسِ مَا اسْتُقْبِلَ بِهِ الْقِبْلَةُ**))[4] روَاهُ الطَّبرانِي.

وعَدَمُ الْعَوْدِ إِلَيْهِ لِحَقِّ الأنصبَاءِ والازْدِحَامِ لِلْكَثْرَةِ. وقِيلَ: لِأَنَّ حَجَّهُ مَرَّةً كَفَرْضِ الْحَجِّ علَيْنَا، أَوْ لأشْغَالٍ غَيْرِ دُخُولِهِ. وفِيهِ أَنَّهُ يُدْخَلُ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى طُولِ الدَّهرِ؛ فَأَيْنَ الْمَرَّة فِي الشَّبَهِ بِالْحَجِّ؟

وفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيد عِنْدَ الْبَيْهَقِيّ وأَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ الطَّبَرِيّ: ((**فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللهُ، قَدْ فَضلَ النَّاسَ بِالْحُسنِ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَواكِبِ**))[5] وتَقَدَّمَ حَدِيثُ: ((**أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ**))[6] أَي النِّصْف، والنِّصْفُ الآخَرُ بَينَ الْخَلْقِ، وقِيلَ الشَّطْرُ: الْبَعْضُ، ومَرَّ أَنَّهُ ﷺ أحْسَنُ مِنْ يُوسُفَ.

روَى التِّرْمِذِيّ عَنْ أَنَس: ((**مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا حَسَنَ الْوَجْهِ، حَسَنَ الصَّوْتِ، وكَانَ نبِيُّكُمْ أَحْسَنَهُم وَجْهًا وأَحْسنَهُمْ صَوْتًا**))[7].

---

(1) الضَّرْحُ أَن يؤخذ شيء فيرمى به في ناحية. لسان العرب (ضرح). وورد هذا الوصفُ في حدِيث نقله عبد الرزاق، المصنف، (8874).

(2) التلمساني: محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن مرزوق، المشهور بالجدِّ والخطِيبِ، فقيه أصولِي محدِّث ولد بتلمسَانَ وأقام بمصرَ ثم عاد لتلمسانَ فولِي أعمالا علمية وسياسيَّة، من تصانِيفه: شرح كتاب الشفا، شرح الجامع الصحيح للبخاري وسماه المتجر الربيح والمسعى الرجيح. الديباج، ابن فرحون، 290/2، ومعجم المؤلِّفين، رضا كحالة، 107/3.

(3) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 139/8.

(4) المعجم الكبِير، الطبَرانِي، حدِيث (10781).

(5) جامع البيان، الطبرِي، 424/14، ودلائل النبوة، البيهقِي، 393/2.

(6) صحيح مسلم، حدِيث (259).

(7) نقله المؤلِّف من شرح المواهِب، 140/8 والحدِيثُ في الشمائل المحمَّدية، الترمذِي، ولم يذكُر فِيه الصَّحابِي أنس، وليسَ فِيه: ((وكان نبِيُّكُم أحسنُهُم وجهاً وأحسنُهُم صوتاً)) بل فيه: ((وَكان نبيّكم ﷺ حسن الوجه حسن الصوت وكان لا يرجّع))، حدِيث (303).

وذَكَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ أَحْسَنُ مِنْ يُوسُف لَكِنْ أُخْفِيَ بَعْضُ جَمَالِهِ، وقَدْ قِيلَ الْمُتَكَلِّمُ لا يَدْخُلُ فِي عُمُومِه، فَلَا يَدْخُلُ ﷺ في قَوْلِهِ ((أَحْسَن مَا خَلَقَ)) أَعْنِي أَنَّ يوسُفَ أَحْسَن مِنْ غَيْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. وقِيلَ أُوتِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ الذِي أُوتِيَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَهُوَ أُوتِيَ الْحُسْنَ كُلَّهُ، ويُوسُفُ نِصْفَهُ، أَو الشَّطْرُ: الْبَعْضُ كَمَا مَرَّ، أَو الْجِهَةُ.

وإنَّما قَالَ إدرِيسُ مرْحَبًا بالنَّبِيءِ الصَّالِحِ والْأَخِ [230و] الصَّالِحِ، ولَمْ يَقُل الابْن الصَّالِح تَأَدُّبًا، حَيْثُ اقْتَصَرَ عَلَى أُخُوَّةِ الإِسْلَامِ والنُّبوَّة، وذَلِكَ أَنَّهُ جَدُّ لَمْك أبي نوح بوسَائِطَ. قَالَ ابْنُ الْمُنَيِّرِ: وفِي طَرِيقٍ شَاذَّةٍ: مرْحَبًا بِالابْنِ الصَّالِحِ، وكَذَا قَالَ ابن أبي الفضل[1]: صَحَّتْ لِي رِوَايَةٌ أَنَّهُ خَاطَبَهُ بِالابْنِ الصَّالِحِ[2].

وقِيلَ: إِدْرِيسُ هُنا إِلْيَاسُ بنُ يَاسِينَ سِبْطُ هَارُونَ، فَلَيْسَ بِجَدٍّ، فَخَاطَبَهُ بِالْأَخِ لَا بِالابْنِ[3].

وفِي الْبُخَارِي عَن ابْنِ مَسْعُودٍ وابْنِ عَبَّاسٍ: إِدْرِيس هُوَ إِلْيَاس[4].

واخْتَارَ هَذَا ابْنُ الْعَرَبِيّ وتلْمِيذُهُ السُّهيْلِيّ، وخصَّ إِبْرَاهِيم ونُوح وآدَم بِالْأُبُوَّةِ لِأَنَّ آدَمَ أبو البَشَرِ ونُوحًا؛ لِأَنَّ الْمَوْجُودِينَ بَعْدَهُ كُلُّهم مِنْ ذُرِّيَتِهِ وإِبْرَاهيم لِقَوْلِهِ تَعَالَى﴿ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[5] وَلَمْ يَأْتِ نَصٌّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي السَّماوَاتِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا هَؤُلاءِ فيَحْتَمِلُ أنَّ فِيهِنَّ غَيْرُهُم، ثُمَّ اخْتِصَاصُهُمْ بِتِلْكَ السَّماوَاتِ ظُهُورٌ لِتَفَاوُتِهِمْ فِي الدَّرجَاتِ. وقِيلَ أُمِرُوا[6] بِمُلَاقاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فمِنْهُمْ مَن أَدْرَكَهُ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ، ومِنْهُمْ مَنْ تَأَخَّرَ فَلَحِقَ، ومِنْهُمْ مَنْ فَاتَهُ كَحَالِ مَنْ يَتَلَقَّى الْقَادِمَ، وبِهِ قَالَ ابْنُ بَطَّال[7]، وأَنْكَرَهُ السُّهيْلِيّ[8].

---

(1) لم أتعرَّفْهُ.
(2) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 141/8-142.
(3) (م، س)، 142/8.
(4) صحيح البخارِي، حدِيث (3342).
(5) سورة الحج: 78.
(6) في الأصل: أميروا.
(7) ينظر: شرح صحيح البخارِي، ابن بطال، 511/10.
(8) ينظر: الروض الأنف، السهيلي، 274/3.

وقيلَ: الاقْتِصارُ عَلَى المَذْكُورِينَ؛ لِأَنَّهُ وَقَعَ لَهُ ﷺ مِنْ قَوْمِهِ مَا وَقَعَ لهُمْ مِنْ أَقْوَامِهِمْ، وكَانَ ﷺ يُحِبُّ الْفَالَ لَكِنْ لَيْسَ كُلّ مَا كَانَ يَحْسُنُ فِي طَبْعِ الْخَلْقِ فَمِنْهُ مَا يكْرهُ، فآدَمُ خَرَجَ مِنَ الْجَنَّةِ وكَانَ فِيهَا فِي أَمْنِ اللهِ وجِوَارِهِ، وشَقَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَيْها، وعَادَ إِلَى السَّمَاءِ، وكَذلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خرَجَ مِنْ مَكَّةَ أَمْن اللهِ وحَرَمه، وهِي مَحْبُوبَةٌ لَهُ مَأْلُوفَةٌ، وشَقَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ، ثُمَّ عَادَ إِلى مَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ، وكَانَتْ فِي يَدِهِ، قَالَهُ السُّهيْلِي[1]. وزَادَ تِلْمِيذُهُ ابنُ دِحْيَةَ وتبِعَهُ ابْنُ الْمُنَيِّرِ أَنَّ فِي ذلِكَ تَنْبِيهًا عَلَى عِمَارَةِ الْأَرْضِ بِالدِّينِ وتَرْبِيَةِ أَهْلِهِ واتِّخَاذِ الأَنْصَارِ في الْهِجْرَةِ، كآدَمَ عمرَ الأَرْضَ بِأَوْلَادِهِ، ولَقَدْ أَظْهَرَ اللهُ دِينهُ عَلَى الدِّينِ كِلِّهِ، وزُوِيَت الأَرْضُ لَهُ ﷺ حَتَّى رَأَى مَشَارِقَها ومَغَارِبَها، وقَالَ ﷺ: ((**لَيَبْلُغَنَّ مُلْكُ أُمَّتِي مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا**))[2] واتَّفَقَ ذَلِكَ فِي زَمَانِ هشام بن عبد الْملك جُبِيَ إِلَيْهِ خَرَاجُ الْأَرْضِ شَرْقًا وغَرْبًا، وكَانَ إِذَا نَشَأَتْ سَحابَةٌ يَقُولُ: أَمْطِرِي حَيْثُ شِئْتِ فَسَيَصِلُ إِلَيَّ خَرَاجُكِ[3].

وأَمَّا يَحْيَى وعِيسَى؛ فَيَحْيَى قَتَلَتْهُ الْيَهودُ، وعِيسَى كَذَّبوهُ وهَمُّوا بِقَتْلِهِ فَرَفَعهُ اللهُ، وكَذلِكَ لمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، آذَتْهُ اليَهُودُ وظَاهَرُوا عَلَيْهِ، وهَمُّوا بِقَتْلِهِ حَتَّى سمّوا لَهُ شَاةً، وأَرَادُوا إِلْقاءَ رَحًا عَلَيْهِ ﷺ. [230ظ] وقَالَ: ((**مَا زَالَتْ أُكْلَة خَيْبَرَ تُعَاوِدُنِي فَالآنَ قَطَعَتْ أَبْهَرِي**))[4] فقَتَلُوهُ بِذَلِكَ السُّمّ في الشَّاةِ كَمَا قَتَلُوا يَحْيَى. ونَصَرَهُ الْأَوْسُ والخَزْرَجُ بَعْدَ أَن اسْتَنْصَرَهُمْ فِي مَوَاسِمِ الْحَجّ كمَا قَالَ عِيسَى: مَنْ أَنْصَارِيَ إِلَى اللهِ، طلَبَ الأَنْصَارَ لِلْخُروجِ إِلَى بَدْرٍ فِي السَّنةِ الثَّانِيَةِ مِن الْهِجْرَةِ، فَفِي لِقَاءِ عِيسَى في السَّماءِ الثَّانِيَةِ إِشَارَةٌ لِذَلِكَ.

وفِي لِقَاءِ يُوسُفَ إِشَارَةٌ إِلَى كَوْنِ الْعَاقِبَةِ لَهُ، فَإِنَّهُ فَتَحَ مَكَّةَ بَعْدَمَا لَقِيَ مِن قَرَابَتِهِ قُرَيشٍ الأَذَى الشَّدِيدَ، كَمَا لَقِيَ يُوسُفُ مِنْ إِخْوَتِهِ، قَالُوا لَهُ: أَخٌ كَرِيمٌ وابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، وقَالَ: أَقُولُ كمَا قَالَ أَخِي يُوسُف: لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُم، الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وهُوَ أَرحَمُ الرَّاحِمِينَ، اذْهَبُوا فأَنْتُم الطُّلَقَاء؛ أَيْ: لَا أَسْرَ ولَا قَتْلَ ولَا سَبْيَ ولَا غُنْمَ ولَا اسْتِرْقَاقَ.

---

(1) ينظر: الروض الأنف، 275/3.

(2) صحيح مسلم، حدِيث (19).

(3) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 143/8-144

(4) ورد بمعناهُ، مسند البزار، حدِيث (8007).

وأَيْضًا أصَابَ الْمُسْلِمِينَ والنَّبِيءَ ضَرَرٌ عَظِيمٌ، لم يُصِبْهُم مِثْلُهُ مِنْ قَتْلٍ وَأَسْرٍ وَجَرْحٍ، ونَالَ الْمُسْلِمينَ مَا نَالَ يَعْقُوبَ مِن الْأَسَفِ، وحِينَ فَتَحَ مَكَّةَ قَالَ: لَا تَثْرِيبَ واحد، فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ، ويوسُفُ فِي السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ.

وشَاعَ يَوْمَ أُحُدٍ أَنَّهُ ﷺ قُتِلَ كما أَشَاعَ إِخْوَةُ يُوسُفَ أَنَّهُ أَكَلَهُ الذِّيبُ، ويُوسُفُ أُلْقِيَ فِي الجُبِّ مَكِيدَةً، ورَسُولُ اللهِ ﷺ أَصَابَتْهُ ضَرْبَةٌ يَوْمَ أُحُدٍ ووَقَعَ فِي حُفْرَةٍ حَفَرَهَا الْفَاسِقُ أَبُو عَامِر مَكِيدَةً لِلْمُسْلِمِينَ.

ولَقِيَ إِدْرِيسَ فِي مَوْضِعٍ سَمَّاهُ اللهُ مَكَانًا عَلِيًّا، وَهُوَ السَّماءُ الرَّابِعَة، وذَلِكَ إِشَارَة إِلَى عُلُوِّ شَأْنِهِ ﷺ، بَعْدَ إِذْ كَتَبَ فِي أَوَّلِ السَّنَةِ السَّابِعَةِ إِلَى الْمُلُوكِ وخَافُوهُ حَتَّى قَالَ أَبُو سُفيَانَ، وهُوَ عِنْدَ مَلِكِ الرُّومِ حِينَ جَاءَهُ كِتَابُ النَّبِيءِ ﷺ: ورَأى مَا رَأَى مِنْ خَوْفِ هِرَقْلَ لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ حَتَّى أَصْبَحَ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ(1).

ولَيْسَ ذَلِكَ مُوَافَقَة الرَّابِعَةِ، بَلْ عُلُوّ شَأْنٍ فَمِنَ الْمُلُوكِ مَنْ آمَنَ كَالنَّجاشِيّ، ومَلِكِ عُمَانَ، ومِنْهُمْ مَنْ أَهْدَى إِلَيْهِ وأَطْرَفَهُ كَهِرَقْلَ والْمقوقس، ومِنْهُمْ مَنْ تَعَصَّى فأَظْهَرَهُ عَلَيْهِم. وَإِنْ كَانَ الْمَكَانُ العَلِيُّ الْجَنَّة، فَقَدْ رَأَى ﷺ الْجَنَّةَ ولَقِيَ إِدْرِيسَ فِيهَا، وزَادَ بِالرَّفْعِ فَوْق.

ولَقِي فِي الْخَامِسَةِ هَارُونَ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ سَيُحِبُّهُ قَوْمُهُ ﷺ كما أَحَبَّ بَنُو إِسْرَائِيلَ هارُونَ، وقَد اسْتَحْقَروهُ وعَادوهُ بِالْعِجلِ وعِبَادَتِهِ، فَانْتَصَرَ مِنْهُمْ؛ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَقْبَلْ تَوْبَتَهُمْ حَتَّى قُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا، كَمَا نَقَضَ يَهُودُ قُرَيْظَة والنَّضِيرِ وقَيْنُقَاعَ الْعَهْدَ وحَزَبُوا الْأَحْزَابَ، وأَرَادُوا قَتْلَهُ بِإِلْقَاءِ الرَّحا، حِينَ أَتَاهُمْ يَسْتَعِينُهُم فِي دِيّةِ قتِيلَيْنِ، فَأَخْبَرَهُ جِبْرِيلُ فرَجَعَ [231و] وكانَت الدَّائِرَةُ عَلَيْهِمْ.

ولَقِيَ مُوسَى فِي السَّادِسَةِ؛ لِأَنَّهُ عالَجَ مِن قَوْمِهِ ﷺ ما عالجَ مُوسَى عليه السلام مِن قَوْمِهِ، لما آثَرَ قَوْمًا لِيُؤَلِّفَهُم فِي قِسْمَةِ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ قَالَ رَجُلٌ: واللهِ إِنَّ هَذِه قِسْمَةٌ ما عَدَلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْه اللهِ، فتَغيَّرَ وَجْهُهُ ثمَّ قَالَ: ((**فَمَنْ يَعْدِل إِنْ لَمْ يَعْدِل اللهُ ورَسُولُهُ؟ ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ أُوذِيَ مُوسَى بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبر**))(2) رَوَاهُ الْبُخَارِي ومُسْلِم.

(1) ينظر: الروض الأنف، 276/3.

(2) صحيح مسلم، حديث (140).

وقَالَ السُّهَيلِيّ: لِقَاءُهُ فِي السَّادِسَةِ لِمُوسَى يُوذِنُ بِحَالَةٍ تُشْبِهُ حَالَةَ مُوسَى حِينَ أَمَرَهُ بِغَزْوِ الشَّامِ، فظهرَ عَلَى الْجَبَابِرَةِ، وأَدْخَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَلَدَ الذِي خَرَجُوا مِنهُ، بَعْدَ إِهْلَاكِ عدُوِّهِمْ، وكَذلِكَ غَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ تبُوكَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ وَظَهَرَ عَلَى صَاحِبِ دومَة الجَنْدَل حتَّى صَالَحَهُ عَلَى الْجِزيَةِ بَعْدَ أَنْ أُتِيَ بِهِ أَسِيرًا، وافتَتَحَ مَكَّةَ ودَخَلَ أَصْحَابُهُ الْبَلَدَ الذِي خرَجُوا مِنْهُ[1].

وقال ابنُ دِحْيَةَ: يُوذِنُ لِقَاءُهُ في السَّادِسَةِ بِمُعَالَجَةِ قوْمِهِ، فَإِنَّ مُوسَى ابتُلِيَ بِمُعَالَجَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ والصَّبْرِ عَلَى أَذَاهُم، ومَا عَالجَهُ الْمُصْطَفَى ﷺ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ لَمْ يُعَالجْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْله. وفِيها افْتَتَحَ خيبر وفدك وجَمِيعَ حُصُونِ الْيَهُودِ، وكَتَبَ اللهُ عَلَيْهِم الْجَلاءَ وضَرَبَهُمْ بِسَوْطِ الْبَلَاءِ. وعَالجَ ﷺ فِي هَذِهِ السَّنةِ كمَا عَالَجَ مُوسَى مِنْ قَوْمِهِ، أَرَادَ أَنْ يُقِيمَ الشَّرِيعَةَ فِي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، وحَمَلَ قَوْمَهُ عَلَى ذَلِكَ فتَقَاعَدُوا عَنْهُ، وقَالُوا: إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جبَّارِينَ، وإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا، وقَالُوا: لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا، فغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وحَالَ بَيْنَهُم وبَينَها، وأَوْقَعهُم فِي التِّيهِ. وكذَلِكَ أَرَادَ ﷺ فِي السَّادِسَةِ أَنْ يَدْخُلَ بِمَنْ مَعَهُ مَكَّةَ يُقِيمُ بِهَا شَرِيعَةَ اللهِ وسنَّةَ إِبْرَاهِيمَ فَصَدُّوهُ فلَمْ يَدْخُلْهَا فِي هَذَا الْعَامِ[2].

ووَقَعَ التَّنْبِيهُ بِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام فِي اسْتِنَادِهِ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُور بِما خَتَمَ اللهُ لَهُ ﷺ فِي آخِرِ عُمُرِهِ مِنْ إِقَامَةِ نُسُكِ الْحَجِّ، وتَعْظِيمِ البيت الْحرام. قَالَ السُّهيْلِي: لِقَاءُهُ إِبْرَاهِيمَ فِي السَّابِعَةِ لِحِكْمَتَيْنِ إِحْدَاهُما أَنَّ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ بِحِيَالِ الْكَعْبَةِ، وإِلَيْهِ تَحُجُّ الْمَلَائِكَةُ، كمَا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ هُوَ الذِي بَنَى الْكَعْبَةَ، وأَذَّنَ لِلنَّاسِ بِالْحَجِّ إِلَيْهَا، وَالثَّانِيةُ أَنَّ آخِرَ أَحْوَالِهِ ﷺ حَجُّهُ إِلَى الْبَيْتِ الحَرَامِ، وَحَجَّ مَعَهُ ذَلِكَ الْعَام نَحْوٌ مِنْ تِسْعِينَ أَلْفًا، ورُؤْيَةُ إِبْرَاهِيمَ عِنْدَ أهل التّعبير تُوذِنُ بِالْحَجِّ؛ لأَنَّهُ الدَّاعِي إِلَيْهِ، ورَافِعُ قَوَاعِدِ الْكَعْبَةِ[3].

وقالَ ابنُ دِحْيَةَ: مُنَاسَبَةُ لَقْيِهِ ﷺ لِإِبْرَاهِيمَ فِي السَّابِعَةِ [231ظ] أَنَّهُ اعْتَمَرَ عُمْرَةَ الْقَضَاءِ في السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِن الْهِجْرَةِ، ودَخَلَ مَكَّةَ هُوَ وأَصْحَابُهُ مُلبِّينَ مُعْتَمِرِينَ مُجِيبًا لِسُنَّةِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام ومُقِيمًا لِرَسْمِهِ الذِي أَمَاتَت الْجَاهِلِيَّةُ ذِكْرَهُ، وبَدَّلَتْ أَمْرَهُ، ورُؤْيَةُ إِبْرَاهِيمَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ فِي السَّابِعَةِ، وَهِيَ أَوَّلُ دَخْلَةٍ دَخَلَ مَكَّةَ بعْدَ الْهِجْرَةِ، والْكَعْبَة فِي الْأَرْضِ قبَالَة الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وفِي قَوْلِهِ: "فإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يَرْجِعونَ إِلَيْهِ إِلَى آخِرِ الدَّهرِ" إِشَارَةٌ

(1) ينظر: الروض الأنف، 276/3، وشرح المواهِب، الزُّرقاني، 147/8.

(2) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 147/8.

(3) ينظر: الروض الأنف، 276/3، وشرح المواهِب، الزُّرقاني، 148/8.

إِلَى أَنَّهُ إِذَا دَخلَ البيت الحرام لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْهُ بَعْدَ الهجرة إِلَّا عام الفتح، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلْهُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ[1].

وإِنَّمَا كَانَ آدَمُ عليه السلام فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا لَيَقربَ مِنْ بَنِيهِ، وتُعْرَضَ عَلَيْهِ أَرْوَاحُهُم قَرِيبًا مِن الدُّنْيَا كمَا مَرَّ، وقِيلَ: لِأَنَّهُ أَوَّلُ الأَنْبِيَاءِ، وأَوَّلُ الآباءِ فَنَاسَبَ أَنْ يَكُونَ فِي السَّماءِ الأُولَى، ولِأَجْلِ تَأْنِيسِ البنُوَّةِ بِالأبُوَّةِ، وكَانَ عِيسَى في السَّماءِ الثَّانِيَةِ؛ لأَنَّهُ أَقْرَبُ الأَنْبِيَاءِ إِلَى النَّبِيءِ ﷺ، ولِأَنَّهُ لَا تُمْحَى شَرِيعَتُهُ عليه السلام إِلَّا بِشَرِيعَةِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلِأَنَّهُ يَنْزِلُ فِي آخَرِ الزَّمانِ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى شَرِيعَتِهِ، ويَحْكُمُ بِهَا لِمَا شَابَهَ عِيسَى عليه السلام رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي ثَانِي أَحْوَالِهِ وهِيَ حُكْمُهُ بِشَرِيعَتِهِ وكَوْنُهُ وَاحِدًا مِنْ أُمَّتِهِ، نَاسَبَ أَنْ يَكُونَ فِي السَّماءِ الثَّانِيَةِ، وأَوَّل أَحْوَالِ عِيسَى كَوْنُهُ رَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ.

وأَشَارَ ﷺ إِلَى الْحكم الثَّلاثِ بِقَوْلِهِ: ((**أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى**))[2] وأَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ بشّرَ بِأَنَّهُ يَأْتِي مِنْ بَعْدِهِ، فَالْأَوْلَوِيَّةُ مِنْ جِهةِ قُرْبِ الْعَهْدِ، كَمَا أَنَّهُ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ؛ لِأَنَّهُ أَبُوهُ ودَعَا بِهِ وأَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ خَلْقًا ومِلَّةً[3].

قَالَ ﷺ: ((**لَيْسَ بَيْنِي وبَيْنَهُ نَبِيءٌ**))[4] ولا يُشْكِلُ بِأَنَّ بَيْنَهمَا جرجيسا وخالد بن سنان وغَيْرَهُمَا؛ لِأَنَّهُم بُعِثوا لِتَقْرِيرِ شَرِيعةِ عِيسَى عليه السلام. وقِيلَ: لأَنَّهُ خَلْقٌ ثَانٍ بِلَا أَبٍ، كَخَلْقِ آدمَ بِلَا أَبٍ وَلَا أُمٍّ، وكَانَ يَحْيَى مَعَهُ؛ لِأَنَّهُ ابْنُ خَالَتِهِ، وَهُمَا كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ[5].

قال ابْنُ الْمُنَيِّرِ: إِنَّ يَحْيَى لَمْ يَلْقَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ لِرَفْعِهِ حَيًّا صِيَانَةً لَهُ ودَخِيرَةً إِلَى وَقْتِ عَوْدِهِ إِلَى الْأَرْضِ قَائِمًا بِشَرْعِ الْمُصْطَفَى ﷺ غَيْرَ مُجَدِّدٍ شَرْعًا فَهُو فِي حُكْمِ الْأَحْيَاءِ ومَقَامُهُ فِي السَّمَاءِ لَيْسَ عَلَى مَعْنَى السُّكنَى الدَّائِمةِ بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، ويَحْيَى هُوَ الْمُقِيمُ فِي السَّمَاءِ أُسْوَة غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، واخْتَصَّ مَقَامُهُ عِنْدَ عِيسَى؛ لِأَنَّهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ، وكانَا مُسْتَوِيَيْنِ فِي السِّنّ، وكَانَتْ أُمُّ يَحْيَى

(1) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 148/8.
(2) صحيح مسلم، حدِيث (144).
(3) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 149/8.
(4) صحيح البخاري، حدِيث (3442).
(5) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 149/8.

تَقُولُ لِأُمِّ عِيسَى وَهُمَا حَامِلَتَانِ [232و] إِنِّي أَجِدُ مَا فِي بَطْنِي يَسْجُدُ لِمَا فِي بَطْنِكِ؛ أَيْ سُجُودَ تَحِيَّةٍ، فَكَانَ بَيْنَهُما ارْتِبَاطٌ، فَلَمَّا عرضَ لِعِيسَى الصُّعودُ إِلَى السَّماءِ جُعِلَ عِنْدَ يَحْيَى[1].

وكَانَ يُوسُفُ فِي السَّماءِ الثَّالثَةِ؛ لِأَنَّ أُمَّةَ النَّبِيءِ ﷺ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ علَى حُسْنِهِ، وهِيَ ثَالِثَة دورها الدُّنْيَا، فَالْبَرْزَخُ فَالْجَنَّةُ فَهُوَ فِي السَّماءِ كَالْبِشَارَةِ لَهُمْ. وقِيلَ: كانَ فِي الثَّالثَةِ؛ لأَنَّ جَعْلَهُ عَلَى خزَائِنِ الْأَرْضِ كانَ مَرْتَبَةً ثَالِثَةً، لِأَنَّهُ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنَ السِّجنِ، وذَلِكَ بَعْدَ رَفْعِهِ مِنَ الْجُبِّ[2].

وإِنَّمَا كَانَ إِدْرِيسُ فِي الرَّابِعَةِ؛ لِأَنَّهُ هُنَالِكَ تُوفِّيَ، ولَا تُرْبَةَ لَهُ فِي الْأَرْضِ، ولَمْ يَثْبُتْ مِنْ طَرِيقٍ مَرْفُوعَةٍ قَوِيَّةٍ أَنَّهُ رُفِعَ حَيًّا، واخْتُلِفَ فِي إِدْرِيسَ وعِيسَى هَلْ رُفِعَا حَيَّيْنِ، فَقِيلَ كَذَلِكَ، وقِيلَ: مَاتَا وَرُفِعَا. ورُوِيَ أَنَّ إِدْرِيسَ أَحَبَّتْهُ الْمَلَائِكَةُ لِكَثْرَةِ عِبَادَتِهِ، فَسَأَلَ مَلَكَ الْمَوْتِ أَنْ يُذِيقَهُ الْمَوْتَ لِيَهُونَ عَلَيْهِ، فَأَذَاقَهُ ثُمَّ حَيِيَ، فَسَأَلَ أَنْ يُورِدَهُ النَّارَ لِيَزْدَادَ رَهْبَةً فأُورِدَهَا ثُمَّ أُخْرِجَ، فَسَأَلَ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ لِيَزِيدَ رَغْبَةً فَأُدْخِلَهَا، فقِيلَ لَهُ: اخْرُجْ فَقَالَ: لَا يَا رَبِّ إِنِّي ذُقْتُ الْمَوْتَ، ووَرَدْتُ النَّارَ ودَخَلْتُ الْجَنَّةَ، وَقَدْ وَعَدْتَ مَنْ يَدْخُلَهَا عَلَى ذَلِكَ أَنْ لَا يَخْرُجَ مِنْهَا أَبَدًا فأَوْحَى اللهُ إِلَى الخَازِنِ أَنْ دَعْهُ فَبِإِذْنِي فَعَلَ مَا فَعَلَ فَبَقِيَ فِي الْجنَّةِ فِي السَّماءِ الرَّابِعَةِ[3].

قلْتُ: لَعَلَّهُ لَا يَصِحُّ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكْذِبُ، فَكَيْفَ يَقُولُ أزِيدُ رَغْبَةً وأَزِيدُ رَهْبَةً وهُوَ لَا يُرِيدُ الرُّجُوعَ إِلَى خَارِجِ الْجَنَّةِ لِلْعِبادَةِ، فيَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَكُونَ أَتَى بِمعرضة أَوْ أَرَادَ الْعِبَادَةَ فِي الْجَنَّةِ، ولَيْسَ ذَلِكَ مُحَالًا، وَكَيْفَ يُذِيقُهُ مَلَكُ الْمَوْتِ الْمَوْتَ بِلَا إِذْنٍ مِنَ اللهِ، ويُدْخِلهُ النَّارَ والْجَنَّةَ بِلَا إِذْنٍ مِنْهُ، ولَعَلَّهُ بِإِذْنٍ، بَلْ لَا بُدَّ، وَلمَّا أَرَادَ إِخْرَاجَهُ أَبْقَاهُ اللهُ، فيَكُونُ إِدْرِيسُ قَدْ سَأَلَ اللهَ فِي ذَلِكَ، وأَنْ لَا يَخْرُجَ مِنَ الجَنَّةِ فَأَجَابَهُ اللهُ، ثُمَّ كَيْفَ تكُونُ الْجَنَّةُ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ.

وإِنَّمَا كَانَ هارون فِي الْخَامِسَةِ؛ لِأَنَّهُ مُلَازِمٌ لِمُوسَى علَيْهِمَا السَّلامُ، لِأَنَّهُ أَخُوهُ ووَزِيرُهُ وخلِيفتُهُ فِي قوْمِهِ فِي ذَهَابِهِ إِلَى الْمُنَاجَاةِ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَ مُوسَى فِي السَّادِسَةِ؛ لِأَنَّ لِمُوسَى مَزِيَّةً فَيَكُونُ بَقِيَ فِي

(1) شرح المواهب، الزُّرقاني 8/149-150.
(2) (م، س) 8/150.
(3) (م، س) 8/150.

الْخَامِسَةِ كَبَقَائِهِ خَلِيفَةً فِي قوْمِهِ، وارْتَفَعَ مُوسَى إِلَى السَّادِسَة كذَهَابِهِ إِلَى المنَاجَاةِ، وكَانَ فِي السَّادِسَة لِمَزَايَاهُ مِن التَّكْلِيمِ، وكَوْنِهِ أَكْثَرَ الْأَنْبِيَاءِ أَتْبَاعًا بَعْدَ نَبِيِّنَا ﷺ.

وكَانَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام فِي السَّابِعَةِ لأَنَّهُ الْخَلِيلُ والْأَبُ الأَخِيرُ لِلْمُصْطَفَى فَنَاسَبَ أَنْ يَتَجَدَّدَ للنَّبِيءِ ﷺ بِلُقْيَاهُ أُنْسٌ لِتَوَجُّهِهِ بَعْدَهُ إِلَى عَالَمٍ آخَرَ، وهُوَ اخْتِرَاقُ الْحُجُبِ، ولَا حِجَابَ عَلَى اللهِ، ولَكِنْ مَنَعَ الْخَلْقَ مِنْ رُؤيَتِهِ حَاشَاهُ، ولَوْ كَانَ حِجَاب لانْكَشَفَ لِلْحِجابِ، وذَلِكَ كَمَا أَنسَ بِأَبِيهِ آدَمَ [232ظ] في السَّمَاءِ الْأُولَى وَفِي الوُسْطَى بِأَبِيهِ إِدْرِيسَ عَلَى مَا مَرَّ وَأَيْضًا؛ لِأَنَّهُ الْخَلِيلُ وَلَا أَحَدَ فَوْقَ الْخَلِيلِ إِلَّا الْحَبِيبُ، والْحَبِيبُ قَدْ عَلَا ذَلِكَ الْمقَامَ، فالْخَلِيلُ فَوْقَ الكُلِّ لِأَجْلِ خلَّتِهِ وفَضْلِهِ، وارْتَفَعَ الْحَبِيبُ فَوْقَ الكُلِّ لِأَجْلِ مَا اخْتَصَّ بِهِ ﷺ مِمَّا زَادَ بِهِ علَيْهِمْ، ومَنْزِلَةُ الْحَبِيبِ فَوْقَ مَنْزِلَةِ الْخَلِيلِ بَلْ هُوَ ﷺ خلِيلٌ وَزَادَ بِأَنَّهُ حَبِيبٌ، قَالَ ﷺ: ((**إِبْرَاهِيمُ خَلِيلٌ مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ**))[1].

واخْتُلِفَ فِي رُؤيَتِهِ ﷺ الأَنْبِيَاءَ في بَيْتِ الْمَقْدِسِ والسَّماوَاتِ أَمَّا عِيسَى فَمَرْفُوعٌ بِجَسَدِهِ حَيًّا ونُسِبَ لِلْأَكْثَرِ، أَوْ بَعْدَ مَوْتِهِ بِاللهِ لَا بِوَاسِطَة، قِيلَ: لِأَنَّهُ غَيْرُ مَقْتُولٍ، ثُمَّ أُحْيِيَ، والْقَوْلَانِ فِي إِدْرِيسَ.

وأَمَّا الذِينَ عَلَوْا مَعَهُ فِي بيْتِ الْمَقْدِسِ فَقِيلَ: الْمُرَادُ أَرْوَاحُهُمْ، وقِيلَ: أُخْرِجَتْ أَجْسَادُهُمْ مِنْ قُبُورِهَا أَحْيَاءً تَشْرِيفًا لَهُ ﷺ، ويُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ أَنَس عِنْدَ الْبَيْهَقِيّ: ((**وبُعِثَ لَهُ آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَأَمَّهُمْ**))[2].

وعِند الْبَزَّارِ والطَّبرانِي: ((**فَنُشِرَ لِي الْأَنْبِيَاءُ، مَنْ سَمَّى اللهُ تَعَالَى ومَنْ لمْ يُسَمِّ، يَعْنِي فِي الْقُرْآنِ، فَصَلَّيْتُ بِهِمْ**))[3].

(1) لم أقفْ عليهِ بنصِّهِ.

(2) سبق تخريجه: دلائل النبوة، 362/2.

(3) مسند البزار، حدِيث (1568) والمعجم الكبِير، الطَّبرانِي، حدِيث (9976).

وحَدِيثُ مُسْلِم: ((**رَأَيْتُ مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي قَائِمًا يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ**))[1]. إِلَّا أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ تَصعَدَ رُوحُهُ وَحْدَهَا أَوْ يَكُونُ لِرُوحِهَا مُسْتَقَرٌّ فِي السَّمَاءِ واتِّصَالٌ بِجَسَدِهِ فِي الْقَبْرِ، والأَوْلَى حَمْلُ الْحَدِيثِ عَلَى ظَاهِرِهِ.

وقَالَ ابنُ أَبِي جمرَة: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ﷺ عايَنَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي قَبْرِهِ فِي الْأَرضِ، عَلَى الصُّورةِ التِي أُخْبِر بِهَا مِنَ الْمَوْضعِ الذِي ذَكَرَ أَنَّهُ عَايَنَهُ فِيهِ، فيَكُونُ اللهُ ﷻ قَدْ أَعْطَاهُ مِنَ القُوَّةِ فِي الْبَصَرِ والبَصِيرَةِ مَا أَدْرَكَ بِهِ ذَلِكَ[2].

ويرُدُّهُ قَوْلُهُ: ((فَإِذَا فِيهَا آدَمُ)) ولَا سِيَّمَا قَوْلُه: ((فَإِذَا أنَا بِإِبْرَاهِيمَ مُسنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ)) والْأَصْلُ الْحَقِيقَةُ، ودَعْوَى أَنَّ الْمُرَادَ "فَإِذَا فِي السَّمَاءِ" مُعَايَنَةُ آدَمَ فِي قَبْرِهِ، وكذَا فِي مِثْلِ ذَلِكَ تَكَلُّفٌ بَعِيدٌ. وكَيْفَ يُقَالُ عَايَنْتُ وأنَا فِي السَّماءِ السَّابِعَةِ إِبْرَاهِيمَ فِي قَبْرِهِ وهُوَ مُسْتَنِدٌ ظَهْرُهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ؟

قِيلَ: ويُنَاسِبُ ذَلِكَ الاحْتِمَالَ رُؤْيتُهُ ﷺ الجَنَّةَ والنَّارَ فِي عَرْضِ الْحَائِطِ؛ أَيْ: رَآهُمَا حَقِيقَةً، أَوْ مثل لَهُ صُورَتُهُمَا فِي الْحَائِطِ، قُلْنَا: هذَانِ الاحْتِمَالَانِ ظَاهِرانِ فِي هذَا لَا فِي حدِيثِ الْإِسْرَاءِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عَايَنَ أَرْوَاحَهُم هُنَاكَ فِي صُوَرِهِم، وإِذَا قُلْنَا إِنَّهَا أجْسَامُهُم حَقِيقَةً مَاتُوا ثَلَاثَ مَوْتَاتٍ، الْأُولَى والْمُتَعَقِّبَةُ لهَذِهِ الْحَيَاةِ والْمَوْتَةُ فِي الْبَرْزَخِ الذِي بَعْدَ النَّفْخَةِ، ولَا ضَيْرَ فِي ذَلِكَ فَإِنَّ الْمَوْتَ الذِي هُوَ غَيْرُ الْأَوَّلِ لَا صعُوبَةَ فِيهِ، أَيْ: تكرّر تَكَرَّرَ، وإِنَّما هُوَ كالدُّخُولِ فِي النَّوم.

وثِمَارُ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى تَحْتَمِلُ أَنَّها لَا تُوكَل ولَا تَزُولُ ويَحْتَمِلُ أَنَّها تَزُولُ وتَتَجَدَّدُ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ تَأْكُلُهَا الطُّيورُ التِي تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ أَوْ أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ، وقَدْ قِيلَ إِنَّ الْأَرْوَاحَ تُصَوَّرُ بِصُوَرِ الإِنْسَانِ رُؤُوسٌ وَأَرْجُلٌ وأَيْدٍ تَأْكُلُ الطَّعَامَ، وجَاءَ أَنَّهَا تُجْعَلُ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرْعَى فِي الْجَنَّةِ، وَقِيلَ: يَأْكُلُها قَوْمٌ لَيْسُوا بِإِنْسٍ ولَا جِنٍّ [233و] ولَا مَلَائِكَةٍ يَأْكُلُونَ ويُسَمُّونَ الرُّوحَ، قالَ ابْنُ عَبَّاس: مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكٌ إِلَّا وَمَعَهُ وَاحِدٌ مِنَ الرُّوحِ، وذَكَرَ بَعْضٌ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا يَرَوْنَهُمْ. وَمَعْنَى كَوْنِ وَرَقِهَا كَآذانِ الْفِيَلَةِ

(1) صحيح مسلم، حدِيث (164).

(2) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 153/8.

إِنَّهَا مِثْلُهَا فِي الشَّكْلِ لَا فِي الصِّغَرِ والْحُسْنِ، فَإِنَّ الْوَرَقَةَ مِنْها تُغَطِّي هَذِهِ الْأُمَّةَ فِيمَا قِيلَ عَنْهُ ﷺ إِنْ صَحَّ عَنْهُ فَلَا إِشْكَالَ، فَيَكُونُ الثَّمَرَةُ لاَ تُنَاسِبُ الْوَرَقَةَ، وَاللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَذَلِكَ حِكْمَةٌ وَمُنَاسِبٌ.

ومَعْنَى قَوْلِهِ: "هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى" هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى التِي سَمِعْتُ بِهَا؛ إِنْ كَانَ قَدْ سَمِعَ بِهَا قَبْلُ. أَوْ مُجَرَّد إِخْبَارٍ إِنْ لَمْ يَسْمَعْ. وَالْمُنْتَهَى بِمَعْنَى الانْتِهاءِ، يَنْتَهِي إِلَيْهَا مَا نَزَلَ فَيُؤخَذُ مِنْ تَحْت، ومَا صَعدَ فَيُؤْخَذُ مِنْ فَوْق. ويَنْتَهِي إِلَيْها عِلْمُ مَنْ دُونَهَا ولَا يَعْلَمُونَ مَا فَوْقَهَا. أَو اسْم مَفْعُول؛ أَيْ: الْمَوْضِعُ الذِي يَنْتَهِي إِلَيْهِ. أَو اللهُ الْمُنْتَهَى إِلَيْهِ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿42﴾ ﴾[1] أَيْ: الانْتِهَاء. وَفِي الْوَجْهَيْنِ حَذْفُ "إِلَى" ووَصْلُ مَجْرُورِهَا. والْفُرَاتُ نَهْرُ الْكُوفَةِ كَمَا أَنَّ النّيل نَهْرُ مِصْرَ وسيحان: نَهْرُ الْعَوَاصِمِ[2] بِقُرْبِ الْمصيصة[3]، وهُوَ غَيْرُ سيحون الذِي هُوَ نَهْرٌ بالهِنْدِ أَو السّند. وجيحان نَهْرُ أدنة[4]، وجيحون نَهْرُ بلْخ، ويَنْتَهِي إِلَى خوارِزْم، وقِيلَ: جيحان وجيحون هُمَا سيحان وسيحون وهُوَ وَهمٌ. ويَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى مَغْرُوسَةً فِي الْجَنَّةِ، وَالْأَنْهَارُ تَخْرُجُ مِنْ أَصْلِها فَصَحَّ أَنَّهَا مِنَ الْجَنَّةِ بِهَذَا الاعْتِبَارِ[5].

ورَوَى ابن أبي حاتم: عَنْ أَنَس أَنَّهُ ﷺ بَعْدَ أَنْ رَأَى إِبْرَاهِيمَ انْطَلَقَ بِهِ جِبْرِيلُ فِي السَّماءِ السَّابِعَةِ، ولَفْظُهُ: ((**ثُمَّ انْطلَقَ بِي جِبْرِيلُ علَى ظَهْرِ السَّماءِ السَّابعَةِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى نَهْرٍ عَلَيْهِ خِيَامُ الْيَاقُوتِ واللُّؤْلُؤِ والزَّبَرْجَدِ، وعَلَيْه طَيْرٌ خُضْرٌ، أَنْعَم طَيْرٍ رأَيْتُ، قَالَ جِبْرِيلُ: هَذَا الْكَوْثَر الذِي أَعْطَاكَ اللهُ، فَإِذَا فِيهِ آنِيَةُ الذَّهَبِ والْفِضَّةِ يَجْرِي عَلَى رَضْرَاضٍ مِنَ الْيَاقُوتِ والزُّمُرُّدِ، مَاءُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، فَأَخَذْتُ مِنْ آنِيَتِهِ فَاغْتَرَفْتُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ فَشَرِبْتُ فإِذَا هُوَ أَحْلَى مِن الْعَسَلِ وأَشَدُّ رَائِحَةً مِن الْمِسْكِ**))[6].

---

(1) النجم: 42.

(2) يسمَّى حالِيّاً نهر الدّانوب، يمرُّ على دولٍ كثيرةٍ أوروبيَّة، لذلِكَ سُمِّيَ بنهر العواصِمِ.

(3) المصّيصة: من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم، حاليا هي من مدن الجمهوريَّة التُّركيَّة. ينظر: معجم البلدان، 144/5.

(4) أذنة، أو أضنة، بلد من الثُّغورِ قرب المصيصة. هي الآن من مدن الجمهوريَّة التُّركيَّة. ينظر: معجم البلدان، 133/1.

(5) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 156/8.

(6) فتح الباري، ابن حجر، 214/7.

وفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيد عِنْدَ الْبَيْهَقِيّ: ((**فَإِذَا فِيهَا عَيْنٌ تَجْرِي يُقَالُ لَهَا: السَّلْسَبِيلُ فَيَنْشَقُّ مِنْهَا نَهْرَانِ أَحَدُهُمَا الْكَوْثَرُ والآخَرُ يُقَالُ لَهُ: نَهْرُ الرَّحْمَةِ**))[1].

قُلْنَا: ولَعَلَّهُمَا النَّهْرَانِ الْبَاطِنَانِ فِي الْجَنَّةِ. وعَنْ مُقَاتِل: الْبَاطِنَانِ الكَوْثَرُ والسَّلْسَبِيلُ[2].

وأَخْرَجَ مُسْلِم عَنْهُ ﷺ: ((**سيْحان وَجَيْحَانُ والنّيل والْفُرَاتُ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ**))[3] وَلَمْ يثْبُتْ أَنَّ سيحَانَ وجيحَانَ ينبُعَانِ مِنْ أَصْلِ سِدْرَةِ المُنْتَهَى.

قَالَ الْقُرْطُبِيّ: يَحْتَمِلُ أَنَّ سيحانَ وجيحان فَرْعَانِ مِنَ النّيلِ والْفُرَاتِ، فَلَمْ يُذْكَرَا فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُمَا مِنَ الْجَنَّةِ[4]. قُلْتُ: بَلْ رُوِيَ إِنَّهُمَا مِنَ الْجَنَّةِ.

قَالَ ابْنُ الْمُنَيِّرِ: صُورَةُ انْصِبَابِ [233ظ] الْمَطَرِ مُتَفَرِّقًا وَيَجْتَمِعُ فِي مَوَاقِعِهَا فِي الأَرْضِ، ويَنْسَاقُ كُلٌّ مِنْهَا إِلَى مَجْراهُ. ولَا يُشْكِلُ عَلَى ذَلِكَ مَا ثَبَتَ مِنْ أَنَّهُ لَا فُضْلَةَ لِمَاءِ الْجَنَّةِ وأَنَّهُ مَنْ شَرِبَهُ لَا يَمُوتُ وَلَا يَفْنَى ولَا يَمْرَضُ ولَا يَظْمَأُ لِأَنَّ ذَلِكَ فِيهَا، وَأَمَّا إِذَا خَرَجَ فَلَا يَبْقَى فِيهِ ذَلِكَ، وكَذَا مَا كَانَ فِيهَا مِمَّا خَرَجَ لَا يَبْقَى علَى خَوَاصِّهِ التِي لَهُ فِيهَا.

وفِي الْحَدِيثِ: ((**لَمَّا غَشِيَها**؛ أَي: السِّدْرَة، **مَا غَشِيَ**؛ أَيْ: أَمْرٌ عَظِيمٌ، **تَغَيَّرَتْ**)) وفِي رِوَايَةِ ابْنِ عَائِذ: ((**تَحَوَّلَتْ يَاقُوتًا وزبرجدًا**)) وهَذَا تَعبِيرٌ[5] لِلتَّغَيُّرِ، قَالَ: ((**فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِها**))[6] والذِي غَشِيَها نُورٌ خلَقَهُ اللهُ أَوْ مَا شَاءَ اللهُ.

---

(1) دلائل النبوة، البيهقي، 394/2.

(2) شرح المواهب، الزُّرقاني، 158/8. تفسير مقاتل، 161/4.

(3) صحيح مسلم، حدِيث (26).

(4) المفهم، القرطبِي، 391/1، وسبل الهدى والرَّشاد، الشَّامِي، 194/3.

(5) كلمة غير واضحة في الأصل.

(6) صحيح مسلم، حدِيث (259).

وجاءَ فِي حدِيثِ ابن مسعود عندَ مسلِم فِي سَببِ تسمِيَتِها سدرة المنتَهَى: لمَّا أسرِيَ برَسول اللهِ ﷺ قال: ((**انتَهَى بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى، وهِيَ فِي السَّماءِ السَّادِسَةِ، وإِلَيْها يَنْتَهِي مَا يَعْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا، وإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يَهْبِطُ مِنْ فَوْقِها فَيُقْبَضُ مِنْهَا**))[1].

قالَ الْقُرْطُبِيّ: "فَمَا خَلْفَها غَيْبٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ"[2]. أَوْ مَنْ أَعْلَمَهُ، قلْتُ: بَلْ فَوْقَهَا مَلَائِكَةٌ، قَالَ ابْنُ أَبِي جَمْرَة: "سُمِّيَتْ لِأَنَّهُ يَنْتَهِي إِلَيْهَا الأَعْمَالُ، ويَنْزِلُ الْأَمْرُ، يتلقّى الْأَحْكَام وعِنْدَهَا تَقِفُ الْحَفَظَةُ وغَيْرُهُمْ وَلَا يَتعدَّوْنَهَا"[3].

وقَالَ النَّوَوي: لِأَنَّ عِلْمَ الْمَلَائِكَةِ يَنْتَهِي إِلَيْهَا[4].

وقَالَ كَعْب: "لِأَنَّهُ يَنْتَهِي إِلَيْهَا عِلْمُ كُلِّ نَبِيءٍ مُرْسَلٍ، وكُلِّ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ"[5]. "وَلَمْ يُجَاوِزْهَا أَحَدٌ إِلاَّ رَسُولُ اللهِ "ﷺ6). أَيْ: جَاوَزَهَا بِمَا لَا يَعْلَمُ إِلَّا اللهُ.

وقِيلَ: سُمِّيَتْ لِأَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهدَاءِ تَنْتَهِي إِلَيْه، وهُوَ قَوْلُ الرّبيع بن أنس. وقَالَ قَتَادَةُ: لِأَنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ تَأْوِي إِلَيْهَا. وعَنْ عَلِيّ: لِأَنَّهُ يَنْتَهِي إِلَيْهَا كُلُّ مَنْ كَانَ عَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ونُسِبَ أَيْضًا لِلرَّبِيعِ بنِ أنَس. وقِيلَ: لِأَنَّ مَنْ رُفِعَ إِلَيْهَا فَقَد انْتُهِيَ بِهِ إِلَى الْكَرَامَةِ[7]. ولَا يَخْفَى أَنَّ هَذِهِ الأَقْوَالَ دَاخِلَةٌ فِي قَوْلِهِ ﷺ: ((وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي...)) إلخ الْحَدِيث المُتَقَدّمُ آنِفًا.

وكوْنهَا فِي السَّماءِ السَّادِسَةِ كَمَا مرَّ آنِفًا عَن ابْنِ مَسْعُودٍ خِلَافُ الْمَشْهُورِ مِن أَنَّهَا فِي السَّابِعَةِ. فيُجَابُ بِأَنَّ الْمَشْهُورَ مَرْفُوعٌ فَهُوَ مُقَدَّمٌ عَلَى حدِيثِ ابْنِ مَسْعُود لِأَنَّهُ مَوْقُوفٌ، قَالَهُ القُرْطُبِيّ[8]، وَلَيْسَ

(1) صحيح مسلم، حدِيث (279).
(2) المفهم، القرطبِي، 394/1.
(3) المواهب اللدنية، 71/3.
(4) المنهاج، ص201، والمواهب اللدنية، 72/3.
(5) المفهم، 394/1، وفتح البارِي، ابن حجر، 213/7.
(6) تكملة كلام النووِي، المنهاج، ص201.
(7) ينظر الأقوال: جامع البيان، الطبرِي، 34/22.
(8) المفهم، 394/1.

كذَلِكَ بَلْ مَرْفُوعٌ. ويُجَابُ بِأَنَّ أَصْلَها فِي السَّادِسَةِ وأَغْصَانَهَا وفُرُوعَهَا فِي السَّابعَةِ، ولَيْسَ فِي السَّادِسَةِ إِلَّا سَاقُهَا.

وجاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي ذَرّ عِنْدَ الْبُخَارِيّ: ((**فَغَشِيَهَا** [234و] **أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ**))[1] ومِن حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُود عِنْدَ مُسلِم: ((﴿**إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ** ﴿16﴾﴾[2] **فَرَاشٌ مِنْ ذَهَب**))[3] بفَتح الفاءِ، والواحِدُ فراشَةٌ. وفِي رِوَايَةِ يزيد بن مالك عَنْ أَنَس: ((**جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ**))[4].

وَذَكَرَ بَعْضٌ أَنَّ الفَرَاشَ تَمْثِيلٌ؛ أَيْ: يسْقطُ عَلَيْها أَشْيَاء تُشْبِهُ الْفَرَاشَ. ولَا مَانِعَ مِنْ جَعْلِهَا فراشًا حَقِيقًا مَخْلُوقًا مِنْ ذَهَبٍ.

وفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيد عِنْدَ الْبَيْهَقِيّ وابْنِ عَبَّاسٍ: ((**فغَشِيَها الْمَلَائِكَةُ**)) وفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيد عِنْدَ الْبَيْهَقِيّ: ((**عَلَى كُلِّ وَرَقَةٍ مَلَكٌ**))[5]. قَالَ بَعْضُهُم: كَأَنَّهُمْ طُيُورٌ يَرْتَقُونَ إِلَيْها مُتَشَوِّفِينَ مُتَبَرِّكِينَ بِهَا زَائِرِينَ كَمَا يَزُورُ النَّاسُ الْكَعْبَةَ[6].

وفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ الْبَيْهَقِيّ والبَزَّارِ: ((**فَغَشِيَها أَنْوَارُ الْخَلَائِقِ، وغَشِيَها مِن الْمَلَائِكَةِ كَأَمْثَالِ الغِرْبَانِ حِينَ يَقَعْنَ عَلَى الشَّجَرِ**))[7] واخْتَصَّ الْفَرَاش لِأَنَّهُ يَتَهَافَتُ ويُسْرِعُ الوُثُوبَ والرُّجُوعَ ولَا مُنَافَاةَ بَيْنَ تَحَوُّلِها يَاقُوتًا وزَبَرْجَدًا ونَحْوهمَا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ بِحَسَبِ مَا يُغْشِيهَا اللهُ. واخْتِيرَت السِّدْرَةُ؛ لِأَنَّها تَجْمَعُ الظِّلَّ الْمَدِيدَ، والطُّعْمَ اللَّذِيذَ، والرَّائِحَة الذَّكيَّة، بِمَنْزِلَةِ الإِيمَانِ الذِي يَجْمَعُ الْقَوْلَ والعَمَلَ والنِّيَّة؛ فَالظِّلُّ بِمَنْزِلَةِ الْعَمَلِ لِتَجَاوُزِهِ، والطُّعْمُ بِمَنْزِلَةِ النِّيَّة لِكُمُونِهِ، والرَّائِحَةُ بِمَنْزِلَةِ الْقَوْلِ لِظُهورِهِ. والْمَشْهُورُ أَنَّهَا مَغْرُوسَةٌ، ويَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ فِي الْهَوَاءِ؛ لِقُدْرَةِ اللهِ أَنْ يُنْبِتَهَا فِي الْهَوَاءِ كمَا يُنْبِتُ فِي الْأَرْضِ مَا شَاءَ.

---

(1) صحيح البخاري، حدِيث (349).

(2) سورة النجم: 16.

(3) صحيح مسلم، حدِيث (449).

(4) مسند الشاميِّين، الطبراني، 420/2.

(5) دلائل النبوة، البيْهَقِي، 395/2.

(6) اللباب، ابن عادِل، 173/18.

(7) تهذِيب الآثار، الطبري، حدِيث (727) وفيه: ((فَغَشِيَهَا نُورُ الْخَلَّاقِ)) ولم أجده في مسند البزار ولا في دلائل النبوة للبيهَقِي.

وعَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ: هِيَ فِي أَصْلِ الْعَرْشِ عَلَى رُؤُوسِ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، وإِلَيْهَا يَنْتَهِي عِلْمُ الْخَلَائِقِ، ومَا خَلْفَهَا غَيْبٌ لا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ؛ وذَلِكَ كمَا أَقْدَرَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ المَشْيَ في الهواءِ حِينَ رجَعَ، واستَظْهَرَ ابنُ أَبِي جَمْرَةَ أَنَّها نَبَتَتْ فِي تُرْبَةِ الْجَنَّةِ، وقوَّاهُ بأَنَّ تَحْتَهَا نَهْرَيْنِ باطِنَيْنِ، وإِنَّمَا يَخْفَيَانِ فِي جِسْمٍ. قُلْنَا: إِنَّمَا هَذَا قِياسُ الْغَائِبِ عَلَى الشَّاهِدِ، ولا مَانِعَ مِنْ أَنْ يخْفَيَا فِي الْهَوَاءِ.

قَالَ ابْنُ الْمُنَيِّرِ: وَجْهُ مُنَاسَبَةِ الْمِعْرَاجِ الثَّامِنِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى اشْتِمَالُ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ عَلَى فتْحِ مَكَّةَ، أُمِّ القُرَى وإِلَيْهَا الْمُنْتَهَى ومنْهَا الْمُبْتَدَأ، إِذ الأَرْضُ كُلُّها دُحِيَتْ مِنْ مَكَّةَ، وَأَهْلُ القُرَى يَرْجِعُونَ إِلَيْها فِي الدِّينِ والدُّنْيَا حَجًّا واعْتِمَارًا وجِوَارًا وكَسْبًا واتِّجَارًا. قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿ **جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ** ﴾[1] أَيْ: قِيامًا بِأَبْدَانِهِم وأَدْيانِهِمْ. وقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ **لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ** ﴾[2] وهِيَ الْأَجْرُ والتِّجَارَةُ، ولِذَلِكَ سُمِّيَتْ أُمّ الْقُرَى، فَبَيْنَ أُمِّ القُرَى وسِدْرَةِ الْمُنْتَهَى مُنَاسَبَةٌ، إِذْ يَنْتَهِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِلْمُ الْخَلْقِ ولَا تجَاوزُ، كَمَا يَنْتَهِي الْخَلْقُ إِلَى مَكَّةَ [234ظ] وقَدْ غَشِيَهَا عام الفتح جنُودُ اللهِ وحِزْبُهُ مِنَ الْأَبْيَضِ والْأَسْوَدِ وحَسُنَتْ بِالْقُرْآنِ والإِسْلَامِ حُسْنًا لَا يَكَادُ يُوصَفُ حُسْنُهُ. كمَا أَنَّ الْفَرَاشَ جُنْدٌ مِنَ اللهِ غَشِيَ السِّدْرَةَ وغَشِيَهَا مَا غَشِيَهَا حَتَّى لَا يسْتَطِيعَ وَاصِفٌ أَنْ يَصِفَ حُسْنَهَا.

وفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ الطَّبَرِيّ: ((**يَخْرُجُ مِنْ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ، نَهْرٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ**؛ أَيْ: غَيْرُ مُتَغيِّرٍ، **ونَهْرٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ**؛ أَيْ: كمَا يَتَغيَّرُ لَبَنُ الدُّنْيَا بِالمكْثِ، **ونَهْرٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ**، بِخِلَافِ خَمْرِ الدُّنْيا فَإِنَّهَا كَرِيهَةٌ عن الشُّرْبِ، **وَنَهْرٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفّىً**))[3] أَيْ: لَا شَمْعَ فِيهِ.

وجَاءَ عَنْ كَعْبٍ عِنْدَ الْبَيْهَقِيّ وغَيْرِهِ: أَنَّ نَهْرَ الْعَسَلِ فِي الْجَنَّةِ النّيل، ونَهْرُ اللَّبَنِ جيحان، ونَهْرُ الْخَمْرِ الْفُرَاتُ، ونَهْرُ الْمَاءِ سيحان، وهِي الآنَ كُلُّها مَاءٌ، وَفِي الْجَنَّةِ مُخْتَلِفَةٌ بالْأَرْبَعَةِ[4].

---

(1) سورة المائدة: 97.

(2) سورة الحج: 28.

(3) وردَ بلفظٍ قريبٍ: جامع البيان، 516/22.

(4) فتح الباري، ابن حجَر، 216/7، وليس فيه عن البيْهقي.

وصَلَّى رَسولُ اللهِ ﷺ فِي السَّمَاوَاتِ بِالْمَلَائكَةِ والأَنْبِيَاءِ، وفِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ بِالْأَنْبِيَاءِ.

ومَعنَى:" رُفِعَ إِلَيَّ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ" أُظْهِرَ لِي وأُرِيتُهُ، أَحَدَّ اللهُ فِي بَصَرِهِ وبَصِيرَتِهِ حَتَّى رَآهُ مِنْ حَيْثُ لَا يُرَى، وأَزَالَ مَا بَيْنَهُمَا أَوْ أَبْقَاهُ وأَزَالَ حُجُبَهُ، واللهُ قَادِرٌ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَهُمَا شَفَّافًا أَوْ كَالْهَوَاءِ.

وهَلْ دَخَلَهُ؟ نَعَمْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((**فَدَخَلْتُ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ**)) وذَلِكَ بَعْدَمَا رُفِعَ لَهُ كَمَا رُفِعَ لَهُ بَيْتُ الْمَقْدِسِ وهُوَ بِمَكَّةَ، لَكِن الظَّاهِر أَنَّ رفْعَهُ تَصْوِيرُهُ بِمَكَّةَ ورَفْعُ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ إِظْهَارُهُ مِنْ بعِيدٍ.

قالَ قَتَادةُ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيءَ قَالَ: ((**الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ مَسْجِدٌ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ**))[1] وهَذِهِ أَكْثَرُ الرِّوَايَاتِ.

وجَاءَ عَنْ أنَسٍ أَنَّهُ فِي السَّماءِ الرَّابِعَةِ، وقِيلَ عَنْ عَلِيّ فِي السَّادِسَةِ، وقِيلَ تَحْتَ الْعَرْشِ، وقِيلَ فِي الأُولَى، وقِيلَ بَنَاهُ آدَم لمَّا أُهْبِطَ إِلَى الْأَرْضِ ورُفِعَ إِلَى السَّماءِ الدُّنْيَا وَقْتَ الطُّوفانِ.

وَجَاءَ عَن الحَسَنِ ومُحَمَّد بنِ عَبَّاد بنِ جَعْفَر أَنَّهُ الْكَعْبَةُ، وعَنْ عَلِيّ فِي كُلِّ سمَاءٍ بَيْتٌ يُحَادِي الْكَعْبَةَ مَعْمُورٌ بِالْمَلَائِكَةِ.

وَسَأَلَ ابن الكوّاء عَلِيًّا عن السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ، قَالَ: السَّمَاءُ، وعَن الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ قالَ: بَيْتٌ فِي السَّماءِ السَّابِعَةِ بِحِيَالِ الْبَيْتِ حِرْمَتُهُ فِي السَّماءِ كحِرْمَتِهِ فِي الْأَرْضِ[2]. يَعْنِي أَنَّهُ يَحْتَرِمُهُ مَنْ سَمِعَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، ولَعَلَّ الْأَصْلَ: كحِرْمَةِ الْبَيْتِ الحَرَامِ، وحَرَّفَهُ ناسِخٌ أَوْ رَاوٍ، والْهَاءُ عَائِدٌ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ ولَوْ لَمْ يُذْكَرْ، ويَدُلُّ لَهُ قَوْلُهُ: فِي الْأَرْضِ، فَإِنَّ الذِي فِي الأَرْضِ الْكَعْبةُ، كَذَا قِيلَ غَلَطًا لَا عَمْدًا، فَإِنَّ الْبَيْتَ وهُوَ الْكَعْبَةُ [235و] قَدْ ذُكِرَ فِي كَلَامِ عَلِيٍّ، فالْهَاءُ عَائِدَةٌ إِلَيْهِ.

(1) فتح الباري، ابن حجَر، 308/6.

(2) إتحاف الخيرة المهرة، أبو العبَّاس، رقم (5835) وفِيه: "حرمته في السَّماءِ كحرمة هذا في الأرضِ". وينظر: جامع البيان، 563/21.

وعنْهُ ﷺ: ((**لَيْسَ فِي السَّمَاءِ ولَا فِي الْأَرْضِ موْقِعُ شِبْرٍ إِلَّا ومَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ هُنَاكَ ساجِدًا**))[1] رَوَاهُ بَعْضُهُم، وَفِي ذِكْرِ الْأَرْضِ خَفَاء.

نَعَمْ رَوَى ابن أبي حاتم عَنْ كَعْب: ((**مَا مِنْ مَوْضِعِ خَرْمِ إِبْرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا وَمَلَكٌ مُوَكَّلٌ بِهَا يَرْفَعُ عِلْمَ ذَلِكَ إِلَى اللهِ**))[2].

ورَوَى الْبَيْهَقِيّ عَن ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ ﷺ: ((**مَا فِي السَّمَاوَاتِ مَوْضِعٌ إِلَّا وعلَيْهِ جَبْهَةُ مَلَكٍ، أَوْ قَدَمَاهُ**))[3]. وفِي رِوَايَةِ عَائِشَةَ: ((**إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ قَائِمٌ**))[4].

وعَن العلاء بن سعيد: ((**قَائِمٌ أَوْ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ**))[5] فَالنَّبِيءُ ﷺ كَيْفَ يَمْشِي فِي السَّمَاوَاتِ فَلَعَلَّهُ يَمْشِي فِي الْهَوَاءِ أَوْ أَبَاحَ اللهُ لَهُ الْمَشْيَ عَلَى الْمَلَائكَةِ. وفِي أَثَرٍ: أَنَّ الْمَلَكَ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ حَتَّى مَرَّ أَوْ حَمَلَهُ عَلَى يَدَيْهِ. والْمَلَائِكَةُ أَكْثَرُ الْمَخْلُوقَاتِ، ولَا يُعْرَفُ مِنْ جِمِيع الْعَوَالِمِ مَنْ يَحْدُثُ مِنْ جِنسِهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفًا غَيْرُ الْمَلَائِكَةِ.

فَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ ابْنِ مَرْدُويَه وابن أبي حاتم عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: ((**فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ بَيْتٌ يُقَالُ لَهُ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ بِحِيَالِ الْكَعْبَةِ، وفِي السَّماءِ الرَّابِعَةِ نَهْرٌ يُقَالُ فِيهِ الحيَوَانُ يَدْخُلُهُ جِبْرِيلُ كُلَّ يَوْمٍ فَيَنْغَمِسُ فِيهِ انْغِمَاسَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ فَيَنْتَفِضُ انْتِفَاضَةً فَيَخرُّ عَنْهُ سَبْعونَ أَلْفَ قَطْرَةٍ، يَخْلُقُ اللهُ مِنْ كُلِّ قَطْرَةٍ مَلَكًا وهُم الذِينَ يُصَلُّونَ فِي الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ**، ويُرْوَى: **يُؤْمَرُونَ أَنْ يَأْتُوا الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ، فَيُصَلُّوا فِيهِ فَيَفْعَلُونَ**)) ويُرْوَى: ((**إِذَا خَرَجُوا وُلِّيَ علَيْهِمْ أَحَدُهُمْ، ثُمَّ يُؤْمَرُ أَنْ يَقِفَ بِهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَوْقِفًا يُسَبِّحُونَ اللهَ فِيهِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعةُ**))[6].

---

(1) ورد بلفظٍ قريبٍ: المعجم الأوسط، الطبراني، حدِيث (3568). والمعجم الكبير، الطَّبراني، (1751).

(2) تفسير ابن أبِي حَاتِم، 202/1 وفِيه: ((خُرْمَةُ إِبْرَةٍ)) والحبائك، السيوطِي، ص14، ومرقاة المفاتِيح، الملا الهروِي، 710/2.

(3) الجامع لشعب الإيمان، البيهَقِي، حدِيث (157).

(4) العظمة، أبو الشيخ، 984/3.

(5) تاريخ دمَشق، 381/52.

(6) تفسير ابن أبي حاتم، 3314/10، والكامل في ضعفاء الرِّجال، العقيلي، 60/4.

وعَنْ خالد بن سعد: بَلَغَنِي أَنَّ إِسْرَافِيلَ مُؤذِّن أَهْلِ السَّماءِ، فَيُؤَذِّنُ لاثْنَتَيْ عَشْرَة سَاعَةً منَ النَّهَارِ، ولاثْنَتَيْ عشْرَةَ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ، لِكُلِّ سَاعَةٍ تَأْذِينٌ يَسْمَعُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ إِلَّا الْجِنُّ والْإِنْسُ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ عَظِيمُ الْمَلَائِكَةِ فيُصَلِّي بِهِمْ، قَالَ: وبَلَغَنَا أَنَّ مِيكَائِيلَ يَؤُمُّ الْمَلَائِكَةَ فِي الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ[1]، فتَجْتَمِعُ ملَائِكَةُ السَّماوَاتِ فَيَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ فَتُصَلِّي وتَسْتَغْفِرُ فَيَجْعَلُ اللهُ ثَوابَهُمْ واسْتِغْفَارَهُمْ وتَسْبِيحَهُمْ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ[2]. فلَعَلَّ جِبْرِيلَ وإِسْرَافِيلَ يتَنَاوَبَانِ الأَذَانَ أَوْ يُؤَذِّنَانِ مَعًا أَوْ وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ.

وعَنْ عَطَاء ومُقَاتِل والضَّحَّاك عن ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ نَهْرًا مِنْ نُورٍ مِثْلَ السَّماوَاتِ السَّبْعِ والأَرْضِينَ [235ظ] السَّبْعِ والبِحَارِ السَّبْعِ، يدْخُلُ جِبْرِيلُ كُلَّ يَوْمٍ فِيهِ سَحَرًا فَيَغْتَسِلُ ، فَيَزْدَادُ نُورًا عَلَى نُورِهِ ، وجَمَالًا عَلَى جَمَالِهِ ، وعِظَمًا عَلَى عِظَمِهِ ، ثُمَّ ينْتَفِضُ فَيَخْلُقُ اللهُ مِنْ كُلِّ قَطْرَةٍ تَقَعُ مِنْ رِيشِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ، يَدْخُلُ مِنْهُم الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، ثُمَّ لَا يَعُودونَ إِلَيْهِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ[3].

وفِي هَذَا بَيَانُ وَقْتِ الْغَمْسِ وبَيَانُ النَّهْرِ وزِيَادَة فِيمَنْ يَخْلُقُ اللهُ مِنْ نَفْضِهِ، فَنَقُولُ ذِكْرُ السَّبْعِينَ أَلْفًا لَا حَصْرَ فِيهِ؛ لِأَنَّ الْعَدَدَ لَا يَكُونُ حاصِرًا، أو الْمُرَادُ بِهَا التَّكْثِيرُ أَوْ ذَلِكَ بَحْرَانِ، هذَا وبَحْرُ الْحَيَوانِ، فَفِي الْحَيَوَانِ سَبْعُونَ أَلْفًا، وفِي هَذَا أَكْثَرُ. ورُوِيَ أَنَّ ثَمَّ مَلَائِكَةً يُسبِّحُونَ اللهَ سُبْحَانَهُ وتعَالَى فيَخْلُقُ اللهُ بِكُلّ تَسْبِيحَةٍ مَلَكًا.

وعَنْ أَبِي سَعِيد أَنَّ ((**فِي الْجَنَّةِ نَهْرًا مَا يَدْخُلُهُ جِبْرِيلُ دَخْلَةً فَيَخْرُجُ فَيَنْتَفِضُ إِلَّا خَلَقَ اللهُ مِنْ كُلِّ قَطْرَةٍ تَقْطُرُ مِنْهُ مَلَكًا**))[4].

وعَن الأوزاعيّ: ((**قَالَ مُوسَى: يا رَبِّ مَنْ مَعَكَ فِي السَّماءِ؟ قَالَ: مَلَائِكَتِي، قالَ: وَكَمْ هُمْ يَا رَبِّ؟ قَالَ: اثْنَى عَشَرَ سِبْطًا، قَالَ: وكَمْ عَدَدُ كُلِّ سِبْطٍ؟ قَالَ: عَدَد التُّرَابِ**))[5].

---

(1) الحبائك في أخبار الملائك، السيوطِي، ص35، وفِيه: عن خالد بن سعيد.

(2) الحبائك في أخبار الملائك، السيوطِي، ص30.

(3) مفاتيح الغيب، الرازِي، 236/19.

(4) العظمة، أبو الشّيخ، 375/2، واللَّآلِئ المصنوعة، السّيوطِي، 92/1.

(5) العظمة، أبو الشّيخ، 741/2، والحبائِك، السّيوطِي، ص14.

قلْتُ: لَعَلَّهُمْ يَسْكُنُونَ الْهَوَاءَ بَيْنَ السَّمَاوَاتِ، وكَذَا تَسْكُنُ الْمَلَائِكَةُ النَّازِلُونَ لِلْأَرْضِ بَيْنَهَا وبَيْنَ السَّماءِ الدُّنْيَا.

وَعَنْ كَعب: "لَا تَقْطُرُ عَيْنُ مَلَكٍ مِنْهُم إِلَّا كَانَتْ مَلَكًا يَطِيرُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ"(1)، وهَؤُلَاءِ غَيْرُ الْمَلَائكةِ الْمَخْلُوقِينَ أَوَّلًا عَلَى وَصْفٍ لَازِمٍ مِنَ الْعِبَادَةِ، مِنْ رَاكِعٍ أَبَدًا، وسَاجِدٍ أَبَدًا وقَائِمٍ ويَقُولُونَ يَوْمَ الْقِيَامةِ سُبحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادتِكَ، وغَيْرُ الْمَلَائِكَةِ الْمُوَكَّلِينَ بِالْأَرْزَاقِ والنَّباتِ والْحَفَظَةِ وتَصْوِيرِ بَنِي آدمَ والنَّازِلِينَ في السَّحابِ، وخَزَنَة الجنَّةِ، وَخَزَنَةِ النَّارِ، والذِينَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى قِرَاءَةِ المُصَلِّي، والْقَائِلِينَ رَبَّنَا ولَكَ الْحَمْدُ، والذِينَ يَدْعُونَ لِمُنْتَظِرِ الصَّلَاةِ، والذِينَ يَلْعَنُونَ مَنْ هَجَرَتْ فِرَاشَ زَوْجِهَا.

قَالَ ﷺ: **((إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً مُوَكَّلِين بِأَرْزَاقِ بَنِي آدَمَ، قَالَ لَهُمْ: أَيّمَا عَبْدٍ وجَدْتُمُوهُ جَعَلَ الْهمَّ هَمًّا واحِدًا فضَمِّنُوا لَهُ رِزْقَهُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِين وبَنِي آدمَ، وأيّمَا عَبْدٍ وجَدْتُمُوهُ طَلَبَ فإِنْ تَحرَّى الصِّدقَ فطَيِّبُوا لَهُ ويَسِّرُوا، وإِنْ تَعَدَّى ذلِكَ فَخَلُّوا بَيْنَهُ وبَيْنَ مَا يُرِيدُ، ثُمَّ لَا يَنَالُ فَوْقَ الدَّرَجَةِ التِي كَتَبْتُهَا لَهُ))**(2) رَوَاهُ الْحَكِيم التِّرْمِذِيّ(3).

قالَ الطَّبَرِيّ: عَنْ عُثْمَانَ: **((يَا رَسُولَ اللهِ كَمْ مَلَكٍ مَعَ الْعَبْدِ؟ قَالَ: مَلَكٌ عَنْ يَمِينِكَ علَى حَسَنَاتِكَ، وهُوَ أَمِينٌ عَلَى الذِي** [236و] **فِي الشِّمَالِ، فَإِذَا عمِلْتَ حَسَنَةً كُتِبَتْ عَشْرًا، وإِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً قَالَ الذِي فِي الشِّمَالِ لِلذي فِي الْيَمِينِ: هَلْ أَكْتُب؟ قالَ: لَا، لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِر، فَإِذَا قَالَ ثَلَاثًا قَالَ: نَعَمْ أَرَاحنَا اللهُ منْهُ،** وهَذَا دُعَاءٌ بِالْمَوْتِ، **فَبِئْسَ القَرِينُ، مَا أَقَلَّ مرَاقَبَتَهُ للهِ تَعَالَى، وأَقَلَّ اسْتِحْيَاءَهُ مِنَ اللهِ، يَقُولُ اللهُ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿18﴾ ﴾(4) ومَلَكَانِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ ومِنْ خَلْفِكَ، يَقُولُ اللهُ: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾(5) ومَلَكٌ قَابِضٌ عَلَى نَاصِيَتِكَ، فَإِذَا تَوَاضَعْتَ للهِ رَفَعَكَ، وإِذَا تَجَبَّرْتَ علَى اللهِ قَصَمَكَ. ومَلَكَانِ عَلَى شَفَتَيْكَ، لَيْسَ يَحْفَظَانِ عَلَيْكَ إِلَّا الصَّلاةَ عَلَى النَّبِيءِ ﷺ. وملَكٌ قَائِمٌ عَلَى فِيكَ لَا يَدَعُ**

(1) العظمة، أبو الشّيخ، 745/2، والحبائِك، السّيوطِي، ص14.

(2) الحبائِك، السّيوطِي، ص128.

(3) ينظَر: الأمثال من الكتاب والسنة، الترمذِي، ص133.

(4) سورة ق: 18.

(5) سورة الرعد: 11.

الْحَيَّةَ أَنْ تَدْخُلِ فِي فِيكَ؛ أَيْ: ولَا غَيْرَهَا، **ومَلَكَانِ عَلَى عَيْنَيْكَ، فَهَؤُلَاءِ عَشَرَةٌ**[1] **أَمْلاكٍ عَلَى كُلِّ آدَمِيٍّ))**[2].

ورَوَى أبو داود والطَّبَرَانِيّ[3] عَنْهُ ﷺ: **((وُكِّلَ بِالْمُؤْمِنِ سِتُّونَ وثَلَاثُمِئَةِ مَلَكٍ، يَدْفَعُون عَنْهُ مَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ))**[4].

ورُوِيَ: أَنَّ مَلَكَ الشِّمالِ يَتَأَخَّرُ عَنْ كِتَابَةِ السَّيِّئَةِ خَمْسَ سَاعَاتٍ، ورُوِيَ سَبع سَاعَاتٍ، قالَ ﷺ: **((إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ اثْنَانِ وأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بعَثَ اللهُ إِلَيْها مَلَكًا فَصَوَّرَهَا**؛ أَي اللهُ، **وخَلَقَ سَمْعَها وبَصَرَها وجِلْدَهَا وعِظَامَها))** رَوَاهُ مُسْلِم[5].

وفِي رِوَايَةِ الطَّبَرَانِيّ: **((أَنَّ النُّطْفَةَ إِذَا اسْتَقَرَّتْ فِي الرَّحِمِ، فَمَضَى لَهَا أَرْبَعونَ يَوْمًا جَاءَ مَلَكُ الرَّحِمِ فَصَوَّرَ**؛ أَيْ اللهُ، **عَظْمَهُ ولَحْمَهُ ودَمَهُ وشَعْرَهُ وَبَشَرَهُ))**[6] وهَذَا غَيْرُ الْمَلَكِ المُوَكَّلِ بِالْجَنِينِ.

قالَ أَبُو الشَّيْخِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: **((وُكِّلَ بِالْجَنِينِ مَلَكٌ إِذَا نَامَت الْأُمُّ واضْطَجَعَتْ رَفَعَ رَأْسَهُ، لَوْلَا ذَلِكَ غَرِقَ فِي الدَّمِ))**[7].

ورَوَى مَالِك والْبُخَارِيّ ومُسْلِم عَنْ أَبِي هُرَيرَة أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **((يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ ملائِكَةٌ بِاللَّيلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، ويَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وهُوَ أَعْلَمُ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وهُمْ يُصَلُّونَ، وأَتَيْنَاهُمْ وهُمْ يُصَلُّونَ))**[8]. قالَ ابْنُ حِبَّان: فِي هَذَا دَلِيلٌ وَاضِحٌ أَنَّ مَلَائِكَة [اللّيل][9] تَنْزِلُ والنَّاسُ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ،

---

(1) في جامع البيان: عشرون.

(2) ينظر: جامع البيان، الطبري، 457/13.

(3) ينظر: المعجم الكبير، حدِيث (7704).

(4) الحبائِك، السيوطِي، ص109، ولم يذكر فِيه أبو داود.

(5) صحيح مسلم، حدِيث (3).

(6) المعجم الكبِير، الطبراني، حدِيث (3041).

(7) ينظر: العظمة، أبو الشّيخ، 1635/5، والحبائك، السيوطِي، ص121.

(8) صحيح البخارِي، حدِيث (555) وصحيح مسلم، حدِيث (210).

(9) إضافة من صحيح ابن حبان.

وحِينَئِذٍ تَصْعَدُ مَلائِكَةُ النَّهَارِ، ضِدَّ قَوْلِ مَنْ قَالَ إِنَّ مَلائِكَةَ [236ظ] اللَّيلِ تَنْزِلُ بعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ[1].

وخَزَنَةُ الْجَنَّةِ والنَّارِ لَا يُحْصِي عَدَدَهُم اللهُ، وإِنَّمَا تُعَدُّ رُؤَسَاءُهُمْ. ويُؤَمِّنُ عَلَى قِرَاءَةِ المُصَلِّي مَلَائِكَةٌ، وقِيلَ حَفَظَتُهُ، ومَنْ حَضَرَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَلَائِكَةُ الأَرْضِ والسَّمَاءِ، وإِذَا أَمَّنُوا أَمَّنَ فَوْقَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ.

ورَوَى بَعْضُهُمْ أَنَّهُ إِذَا أَمَّنُوا أمّنَ فِي السَّماءِ، قَالَ ﷺ: ((**الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الذِي صَلَّى فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ**))[2] رَوَاهُ مَالِك وأَحْمَد والبُخَارِيّ ومُسْلِم، زَادَ أبو داود والنَّسَائِي وَأَحْمَدُ: أَوْ يَقُومُ، بَعْدَ قَوْلِهِ يُحْدِثْ[3].

وقِيلَ: الذِينَ يلْعَنُونَ الزَّوْجَ إِذَا هَجَرَتْ فِرَاشَ زَوْجِهَا هُم الْحَفَظَةُ، ويُرْوَى لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ الذِينَ فِي السَّماءِ.

قَالَ ابْنُ مَرْدويه عَن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((**لَمَّا أُسْرِيَ بِي مَرَرْتُ بِخَلْقٍ عَجِيبٍ، رَأَيْتُ مَلَكًا نِصْفُ جَسَدِهِ [ممّا]**[4] **يَلِي رَأْسَهُ ثَلْجٌ والآخَرُ نَارٌ، فَلَا الثَّلجُ يُذِيبُ النَّارَ ولَا النَّارُ تُذِيبُ الثَّلجَ، وهُوَ قَائِمٌ يُنَادِي بِصَوْتٍ رَفِيعٍ جِدًّا يَقُولُ: سُبْحَانَ الذِي كَفَّ بَرْدَ هَذَا الثَّلْجِ، اللَّهُمَّ يَا مَنْ أَلَّفَ بَيْنَ الثَّلْجِ والنَّارِ أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا يَا أَخِي جِبرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا ملَكٌ مِن المَلَائِكَةِ وَكَّلَهُ اللهُ بِأَكْنَافِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِينَ، وهُوَ مِنْ أَنْصَحِ الْمَلَائِكَةِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يدْعُو لَهُمْ بِمَا تَسْمَع فَهَذَا قَوْلُهُ مُنْذُ خُلِقَ**))[5].

وفِي رِوَايةِ أَبِي سَعِيد الخُدْرِيّ عِنْدَ الْبَيْهَقِيّ والْبَزَّارِ وَأبي يعلى وابْنِ جَرِير وابن أبي حاتم: ((**ثُمَّ صعِدْتُ إِلَى السَّماءِ السَّابِعَةِ فإِذَا إِبْرَاهِيمُ الخَلِيلُ سانِد ظَهره إِلَى الْبَيْت الْمَعْمُورِ كأَحْسَنِ الرِّجَالِ،**

(1) صحيح ابن حبان، 29/5، نقله عن أبِي حاتِم. والحبائك، السيوطِي، ص90.

(2) صحيح البخارِي، حدِيث (445).

(3) مسند أحمد، حدِيث (7551).

(4) في الأصل ضغط بالمداد غير واضحة، والزيادة من اللآلئ المصنوعة.

(5) لم أقف عليه في كتب الحدِيث، ينظر: تنزيه الشَّرِيعة، 155/1، واللآلِئ المصنوعة، السيوطِي، 62/1، عن ابن حبان في مسندِهِ.

ومَعَهُ نَفَرٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَسَلَّمْتُ علَيْهِ وسَلَّمَ عَلَيَّ، أيْ رَدَّ السَّلَامَ، وإذَا أنَا بِأُمَّتِي شَطْرَيْنِ شَطْرٌ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ بِيضٌ كَأَنَّهم القَرَاطيسُ وشَطْرٌ عَلَيْهِمْ ثِيابٌ رَمْدَةٌ، أَيْ كالرَّمَادِ لَوْنًا، **فَدَخلْتُ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ ودَخَلَ مَعِي الذِينَ علَيْهِم الثِّيَابُ الْبِيضُ وحُجِبَ الآخَرُونَ الذِينَ علَيْهِم الثِّيَابُ الرَّمْدَةُ وهُمْ عَلَى خَيْرٍ**[1]، **فَصَلَّيْتُ أَنَا وَمَنْ فِي الْبَيْتِ المَعْمُورِ))**[2] أيْ: إمَامًا، وهَؤُلَاءِ الذِينَ ثِيَابُهُمْ رَمْدَةٌ ذُنُوبُهُمْ مَغْفُورَةٌ.

وفِي رِوَايَةِ الطَّبَرَانِيّ[3]: **((فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ أَشْمَط جالِسٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ، عَلَى كُرْسِيٍّ، وعِنْدَهُ قَوْمٌ جُلُوسٌ بِيضُ [237و] الوُجُوهِ، أَمْثَالُ الْقَرَاطِيسِ، وقَوْمٌ فِي أَلْوَانِهِمْ شَيْءٌ، فدَخَلُوا نَهْرًا فَاغْتَسَلُوا فِيهِ، فَخَرَجُوا وَقَدْ خَلصَ مِن أَلْوَانِهِمْ، ثُمَّ دَخَلُوا نَهْرًا آخَر، فَاغْتَسَلُوا فيهِ، وَخَرَجُوا وقَدْ خَلصَ مِنْ أَلْوَانِهِمْ شَيْءٌ، ثمَّ دَخَلُوا نَهْرًا آخَرَ فَاغْتَسَلُوا فِيهِ، فخَرَجُوا وَقَدْ خَلُصَتْ أَلْوَانُهُمْ وَصَارَتْ مِثْلَ أَلْوَانِ الْبِيضِ، فَجَاءُوا فجَلَسُوا إِلَى أَصْحَابِهِمْ، فَقَالَ: يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ الْبِيضُ الْوُجوهِ؟ ومَنْ هَؤُلَاءِ الذِينَ فِي أَلْوَانِهِمْ شَيءٌ؟ ومَا هَذِهِ الأَنْهَارُ التِي دخَلُوا فِيهَا فَجَاءُوا وَقَدْ صفتْ أَلْوَانُهُمْ؟ قَالَ: هَذَا أَبُوكَ إِبْرَاهيمُ أَوَّلُ مَنْ شَمِطَ علَى الْأَرْضِ، وَأَمَّا هَؤُلَاءِ الْبِيضُ الْوُجُوهِ فَقَوْمٌ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ، أُوْلَئكَ لَهُم الْأَمْنُ وهُمْ مُهْتَدُونَ، وأَمَّا هَؤُلَاءِ النَّفَرُ الذِينَ فِي أَلْوَانِهِمْ شَيْءٌ، فقَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وآخَرَ سَيِّئًا، فَتَابُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وأَمَّا الْأَنْهَارُ فَأَوَّلُهُنَّ رَحْمَةُ اللهِ، والثَّانِي: نِعْمَةُ اللهِ، والثَّالِثُ الْمَقُولُ فِيهِ: وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا))**[4].

وفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيّ قَالَ ﷺ: **((ثُمَّ عرجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ))**[5] أَيْ: صَوْتَها، وَالْمُسْتَوَى الْمصْعَد، وقِيلَ: المكَانُ الْمُسْتَوِي، فالْبَاءُ ظَرْفِيَّةٌ، وعَلَى رِوَايَةِ اللَّام فَهِيَ لِلتَّعْلِيلِ؛ أَيْ: لِأَجْلِ اسْتِعْلَالِ مُسْتَوى أَوْ لِرُؤْيَتِهِ أَوْ لِمُطَالَعَتِهِ، أَوْ بِمَعْنَى "إِلَى" والْمُرَادُ أَنِّي بَلَغْتُ مَبْلَغًا عَظِيمًا إِلى حَيْثُ اطَّلَعْتُ علَى الكَوَائِنِ، ولَا تَقَدُّمَ لِأَحَدٍ إِلَى ذَلِكَ. والْمُرَادُ بِصَرِيف الأَقْلامِ صَرِيفُ

---

(1) في دلائل النبوة: حرٍّ.

(2) دلائل النبوة، البيْهقِي، 394/2.

(3) لم أجد الرِّوَايَةَ عَن الطبراني.

(4) تهذيب الآثار، الطبرِي، حدِيث (727)، وفِي المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 79/3-80، عن الطبراني.

(5) صحيح البخارِي، حدِيث (349).

أَقْلَامِ الْمَلَائِكَةِ فِي كِتَابَة، من أَقْضِيَةِ اللهِ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، والْمَعْنَى الْمَكْتُوبُ قَدِيمٌ، وهَذِهِ الْكِتَابَة فِي صُحُفِ الْمَلَائِكَةِ.

والمنَاسَبَة بَيْنَ هَذَا الْمِعْرَاجِ التَّاسِع والْعَامِ التَّاسِعِ مِن الْهِجْرَةِ أَنَّهُ كَانَ فِي غزوة تبوك خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ ﷺ إِلَى الشَّامِ فِي ثَلَاثِينَ أَلْفًا، والشُّقَّةُ بَعِيدَةٌ ولِذَلِكَ أَفْصَحَ بِهَا، ولَمْ يُورِ، وَلَمْ يَلْقَ حَرْبًا، وَلَمْ يَفْتَحْ بَلَدًا ﷺ؛ لأَنَّ أَجَلَ الشَّامِ لَمْ يَكُنْ بَعْدُ، فانْتَسَخَ الْعَزْمَ بِالْقَدَرِ وجَفَافِ الْقَلَمِ، ورَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ وعَلَى الْمُسْلِمِينَ الْوَقَارُ، والسَّكِينةُ مِنْ غَيْرِ اضْطِرَابٍ عِنْدَ انْصِرَافِ الْعَزِيمَةِ.

وذَكَر ابْنُ الْقِيِّم أَنَّ الْأَقْلَامَ اثْنَا عَشَرَ قَلَمًا، وَأَنَّها مُتَفَاوِتَةٌ فِي الرُّتَبِ؛ فأَعْلَاهَا وأَجَلُّها قَلَمُ الْقَدَرِ السَّابِقِ الذِي كَتَبَ اللهُ بِهِ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ رواهُ أبو داود عَنْ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ: ((**إِنَّ أَوَّلَ مَا خلَقَ اللهُ الْقَلَم، قَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: يَا رَبِّ وَمَا أَكْتُب؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ**))[1] زادَ التِّرْمِذِيّ: ((**ومَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ**))[2] أ.هـ. حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ[3].

قالَ الْقُرْطُبِيّ: هَذَا الْقَلَمُ هُوَ الذِي أَقْسَمَ اللهُ ﷻ بِهِ[4]، والثَّانِي قَلَمُ الْوَحْيِ، والثَّالِثُ قَلَمُ التَّوْقِيعِ [237ظ] وهُوَ الذِي يَكْتُبُ بِهِ مَا صَدَرَ عَنِ اللهِ ورَسُولِهِ، والرَّابِعُ قَلَمُ طِبِّ الأَبْدَانِ الذِي يَحْفَظُ بِهِ صِحَّتَهَا، والْخَامِسُ قَلَمُ التَّوْقِيعِ عَنِ الْمُلُوكِ ونُوَّابِهِم وبِهِ تُسَاسُ الْمُلُوكُ، والسَّادِسُ قَلَمُ الْحِسَابِ وهُوَ الذِي تُضْبَطُ بِهِ الْأَمْوَالُ، مسْتَخْرَجهَا ومَصْرِفهَا ومَقَادِيرَهَا وهُوَ قلَمُ الْأَرْزاقِ، والسَّابِعُ قَلَمُ الْحُكْمِ الذِي تُثْبَتُ بِهِ الْحُقُوقُ وتُنْفَذُ بِهِ القَضَايَا، والثَّامِنُ قَلَمُ الشَّهَادَةِ الذِي تُحْفَظُ بِهِ الْحُقُوقُ، والتَّاسِع قَلَمُ التَّغْيِيرِ، وهُوَ كاتِبُ وَحْيِ الْمَنَامِ وتَفْسِيره وتَغْيِيره، والعاشِرُ قَلَمُ تَوَارِيخِ الْعَالَمِ ووَقَائِعِهِ، والحَادِي عَشَر قَلَمُ اللُّغَةِ وتَفَاصِيلهَا، والثَّانِي عَشَر الْقَلَمُ الْجَامِعُ، وهُوَ قَلَمُ الرَّدِّ عَلَى الْمُبْطِلِينَ وَدَفْعِ شُبَهِ الْمُحَرِّفِينَ[5].

والقَلَمُ الكَاتِبُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ أَوَّلُ مَخْلُوقٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا بَعْدَ الْعَرْشِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ، فَإِنَّ الْجُمْهُورَ عَلَى أَنَّ أَوَّلَ الْخَلْقِ الْعَرْشُ، وأَوَّلُ الْخَلْقِ عَلَى الإِطْلَاقِ نُورُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ،وكَانَ مِنْ نُورٍ

---

(1) سنن أبِي داود، حدِيث (4700).

(2) سنن الترمذِي، حدِيث (2155).

(3) المواهِب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 80/3.

(4) لم يذكر القَسْطَلَّانِي أنَّ هذا من قول القرطبِي.

(5) المواهِب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 80/3-81، نقلا من التبيان في أيمان القرآن، ابن القيم، ص303 وما بعدها.

عِنْدَ ابْنِ عَبَّاس، قَالَ: قَلَمُ اللهِ نُورٌ، وقَالَ مُجَاهِد: هَذَا مِنَ الْيَرَاعِ الْخِصْبِ، وطُولُهُ خَمْسُ مِئَةِ ذِرَاعٍ، ورَوَاهُ أَبُو الشَّيْخ عَن ابْنِ عُمَر بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ وعُرْضُهُ كَذَلِكَ، وسِنُّهُ مَشْقُوقَةٌ يَنْبُعُ مِنْهُ المِدَادُ، وفِي خَبَرٍ مُرْسَلٍ أَنَّهُ مِنْ لُؤْلُؤٍ طُولُهُ سَبْعُ مِئَةِ عَامٍ، وَلَا مُعَارَضَةَ؛ فَالْأَقَلُّ لا يَنْفِي الْأَكْثَرَ، وكَوْنُهُ لُؤْلُؤًا عَلَى التَّشْبِيهِ لِشِدَّةِ بَيَاضِهِ إِذْ هُوَ نُورٌ، وقَالَ البُلْقِينِيّ مَلَكٌ؛ لِأَنَّهُ مِنْ نُورٍ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وأَنَّهُ عَاقِلٌ قَائِمٌ بِمَا يُؤْمَرُ، وعَلَى غَيْرِ أَنَّهُ مَلَكٌ خَلَقَ اللهُ فِيهِ الْقُدْرَةَ والْفَهْمَ والْعَمَلَ، ولَمَّا قَالَ لَهُ اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ أَلْهَمَهُ اللهُ إِيَّاهَا، وَقَدْ قِيلَ مِدَادُهُ نُورٌ.

والْمُرَادُ بِالاثْنَيْ عَشَرَ قَلَمًا اثْنَا عَشَرَ نوْعًا لَا أَفْرَادًا، قَالَ أَبُو ذَرّ فِي رِوَايَةِ الْبُخَارِي ومُسْلِم والتِّرْمِذِي: ((**ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ وإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ**))[1] والْجَنَابِذُ: القِبَاب أَوْ مَا ارْتَفَعَ، والْوَاحِدُ جُنْبُذَةٌ.

قالَ قَتَادَةُ عنْ أَنَس قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((**أَتَيْتُ عَلَى نَهْرٍ حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ الْمُجَوَّفِ فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ**))[2]. وللتّرمِذِي: ((**حَافَّتَاهُ فِيهِمَا مِثْلُ الْقِبَابِ**))[3].

وفي حديث أَبِي ذرٍّ عند البخارِي: ((**ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا حَبَائِلُ اللُّؤْلُؤِ**))[4] قالَ عِيَاض[5] وغَيْرُهُ: "الْحَبائِلُ" تَحْرِيفٌ[6] مِن رَاوٍ أَوْ نَاسِخٍ وهِيَ "الْقَلَائِدُ"، فَالْمَعنَى فِيهَا عُقُودٌ أَوْ قَلَائِد، والْحَبَائِلُ: جَمْعُ حِبَالة وحِبَال حَبْل وهُوَ مَا اسْتَطَالَ مِنَ الرَّمْلِ، شُبِّهَ بِهِ اللُّؤْلُؤُ الْكَثِيرُ. والْمِسْكُ حَقِيقَة خَلَقَهُ اللهُ وتَظَاهَرَتْ أَحَادِيث أَنَّ تُرَابَها الْمِسكُ، وَفِي حَدِيثِ أُبَيّ بن كَعْبٍ عِنْدَ ابْنِ مَرْدويَه: ((**فَقَالَ يَا جِبْرِيلُ إِنَّهُمْ يَسْأَلُونَنِي عَن الْجَنَّةِ، قَالَ: أَخْبِرْهُمْ أَنَّهَا قَيْعَان وَأَنَّ تُرابَهَا الْمِسْكُ**))[7].

---

(1) صحيح البخارِي، حدِيث (349)، وصحيح مسلم، حدِيث (263).

(2) صحيح البخارِي، حدِيث (4964).

(3) سنن الترمذِي، حدِيث (3359).

(4) صحيح البخارِي، حدِيث (349).

(5) لم أقف على قولِهِ في إكمال المعلم والشّفا.

(6) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 82/3، وفِيهِ: تصحِيف.

(7) لم أقف عليه في كتب الحدِيثِ.

وَرَوَى أَحْمَدُ والتِّرْمِذِي مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفة: ((**فُتِحَتْ لَهُمَا**؛ أَيْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وجِبْرِيلَ عليه السلام أَبْوَابُ السَّماءِ، **فَرَأَيْتُ الجَنَّةَ والنَّارَ**))[1].

وفِي حدِيثِ أَبِي سَعِيد عِنْدَ الْبَيْهَقِيّ وابْنِ جَرِير وابن أبي حاتم عَنْهُ ﷺ [238و]: ((**عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ، وَإِنَّ رُمَّانَهَا كَالدِّلَاءِ**))[2].

وفِي رِوَايَةٍ لِلْبَيْهَقِيّ[3] وغَيْرِه: ((**وَإِذَا فِيهَا رُمَّانٌ كَجُلُودِ الْإِبِلِ الْمُقَتَّبَةِ**؛ أَي: التِي بِأَقْتَابِهَا، **وإِذَا طَيْرُهَا كَأَنَّهُ الْبُخْتُ**))[4] وهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْإِبِلِ. وفِي رِوَايَةٍ لِلْبَيْهَقِيّ وغَيْرِه: ((**وَإِذَا بِطَيْرِها كَالْبَخَاتِي**))[5].

((**فقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه وإِنَّ تِلْكَ الطَّيْرَ لَنَاعِمَةٌ؟ قَالَ**[6]: **أَكلَتُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَأْكُلَ مِنْهَا**)) أ.هـ. ((**وإِنَّهُ عُرِضَتْ عَلَيْهِ النَّارُ فإِذَا لَوْ طُرِحَ فِيهَا الْحَدِيدُ أَو الْحِجَارَةُ لَأَكَلَتْهَا**))[7].

وقَالَ مُسلِم عَن ابْنِ عَبَّاس وابن مردُويه عَنْ عمر: ((**ورَأَى مَالِك خَازِنَ النَّارِ فَإِذَا رَجُلٌ عَابِسٌ يُعْرَفُ الْغَضَبُ في وَجْهِهِ**))[8].

وفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي مُسْلِم والنَّسائِي: ((**فَبَدَأَ النَّبِيءَ ﷺ بِالسَّلَامِ**))[9] ويُرْوَى أَنَّهُ لَوْ تَبَسَّمَ إِلَى أَحَدٍ لَتَبَسَّمَ إِلَيْكَ، وإِنَّما عَرَضَ اللهُ ﷻ عَلَيْهِ ﷺ الْجَنَّةَ والنَّارَ لِيَصِفَهُما لِأُمَّتِهِ لِيَرْغَبوا في الْجَنَّةِ، ويَعْلَمَ أَنَّهَا تَسَعُ الْخَلَائِقَ ولَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يُنْشِئَ اللهُ لَهَا خَلْقًا، وَلِيَعْلَمَ خِسَّةَ الدُّنيا فِي جَنْبِها فَيَكُونُ فِيهَا أَزْهَد، وعَلَى الشَّدَائِدِ أَصْبَر، ولِتكُونَ أُمَّتُهُ كذَلِكَ، ولِيَكُونَ قَدْ دَخَلَهَا كَمَا دَخَلَهَا إِدْرِيسُ.

---

(1) مسند أحمد، حدِيث (23332).

(2) دلائل النبوة، البيهقِي، 394/2.

(3) لم أقف عليهِ عند البيهقِي.

(4) جامع البيان، الطبَرِي، 346/17، والدر المنثور، السيوطِي، 169/9.

(5) دلائل النبوة، البيهقِي، 390/2.

(6) في الأصْل: قالَتْ.

(7) الدر المنثور، السيوطِي، 169/9.

(8) لم أجد الرواية في مسلم، وينظر: الدر المنثور، السيوطِي، 202/9.

(9) صحيح مسلِم، حدِيث (278). والسنن الكبرى، النسائِي، حدِيث (11416).

ورأى علَى بَابِ الْجَنَّةِ أَنَّ الْقَرْضَ بثَمَانِيَةَ عَشَر والصَّدَقةَ بِعَشْرٍ، فَسَألَ جبْرِيلَ فَقَالَ: لِأَنَّ الْقَرْضَ لَا يَطْلُبُهُ إِلَّا مُحْتَاجٌ[1] ثُمَّ كانَت الصَّدَقَةُ أَفْضَل مِنَ الْقَرْضِ.

ورَوَى مُسْلِم والتِّرْمِذِي كالبُخَارِيّ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَس عَنْ رسُولِ اللهِ ﷺ: ((**بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أنَا بِنَهْرٍ**؛ أَيْ: لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ كَمَا مَرَّ، **حَافَّتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ، وإِذَا طِينُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ، فَقَالَ جِبْرِيلُ هَذَا الْكَوْثَرُ**))[2].

وعَنْهُ ﷺ: ((**لَعَلَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ أُخْدُودٌ فِي الْأَرْضِ، لَا واللهِ إِنَّهَا لَسَائِحَةٌ فِي الأَرْضِ**))[3]. ويُروَى "تُرَابُهُ" بَدَلَ "طِينُهُ"[4].

وفِي رِوَايَةِ أَبي عبيْدة بن عبد الله بن مسْعود، والصَّحِيحُ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِك الرِّوايَةَ عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ قَالَ عَنْ أَبِيهِ؛ أَيْ: مُرْسَلًا: ((**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام قالَ لِلنَّبِيءِ ﷺ: يَا بُنَيّ إِنَّكَ لَاقِي رَبَّكَ اللَّيْلَةَ، وإِنَّ أُمَّتَكَ آخِرُ الْأُمَمِ وأَضْعَفُهَا، فَإِن اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ حَاجَتُكَ جُلُّهَا؛ أَيْ: كُلُّهَا أَوْ جُلُّهَا فِي أُمَّتِكَ فَافْعَلْ**))[5] ودعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ.

وفِي رِوَايَةٍ: ((**مَرَّ عَلَى شَجَرَةٍ تَحْتَها شَيْخٌ وعِيَالُهُ فَرَأَى مَصَابِيحَ وضَوْءًا فقَالَ: مَنْ هَذَا يا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هذَا أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، وقَالَ: مَنْ هَذَا مَعَكَ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا: ابنُكَ أَحْمَدُ فقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيءِ الْعَرَبِيّ الذِي بَلَّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ ونَصَحَ لِأُمَّتِهِ، يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لاقِي رَبَّك**))[6] فَذَكَرَ مَا مَرَّ وذَلِكَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ سَارَ حتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ؛ أَيْ: مَدِينَةَ الْقُدْسِ.

---

(1) سنن ابن ماجة، حدِيث (2431).

(2) صحيح البخارِي، حدِيث (6581) وسنن الترمذِي، حدِيث (3359).

(3) حلية الأولِياء، أبو نعِيم، 205/6.

(4) شرح المواهِب، الزُّرقانِي، 331/8.

(5) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 82/3- 83.

(6) لم أقف عليه ينظر: سبل الهدى والرشاد، 83/3.

وفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيّ عِنْدَ الْبَيْهَقِيّ: ((**ثُمَّ صَعِدَ بِي جِبْرِيلُ عليه السلام إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ثُمَّ رُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى فإِذَا كُلُّ وَرَقةٍ منْهَا تُغَطِّي هَذِهِ الْأُمَّةَ**))[1].

وفِي رِوَايَةِ الْبَيْهَقِيّ وغَيْرِهِ عَنْ أَبِي سَعِيد: ((**تَكَادُ تُغَطِّي هَذِهِ** [238ظ] **الْأُمَّة**))[2].

وفِي رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ الْبَزَّارِ والْبَيْهَقِيّ وغَيْرِهِمَا: ((**الْوَرَقَةُ مِنْهَا مُغَطِّيَةٌ لِلْأُمَّةِ كلِّهَا**)).

وفِي رِوَايَةٍ لِلطَّبَرِي: ((**الْوَرَقَةُ مِنْهَا تُظِلُّ الْخَلْقَ**))[3] أ.هـ.

((**وإِذَا فِيهَا؛ أَيْ: فِي أصْلِهَا عَيْنٌ تَجْرِي يُقَالُ لَهَا السَّلْسَبِيلُ فَيَنْشَقُّ مِنْهَا نَهْرَانِ أَحَدُهُمَا الْكَوْثَرُ وَالْآخَرُ يُقَالُ لَهُ الرَّحْمَةِ، فاغتَسَلتُ فِيهِ فغفر لِي ما تقدَّمَ مِن ذنبِي وما تأخَّرَ، ثمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ الْجَنَّةُ فاسْتَقْبَلَتْنِي جَارِيَةٌ، فقُلْتُ: لِمَنْ أَنْتِ؟ قالَتْ: لِزَيد بنِ حَارِثَةَ، وإِذَا رمَّانُهَا كالدِّلاءِ عِظَمًا**))[4]. وفِي رِوَايَةٍ: ((**كَأَنَّهَا جُلُودُ الإِبِلِ المُقَتَّبَةِ**))[5]. ويُجْمَعُ بأَنَّ فِيها النَّوْعَيْنِ.

((**ثُمَّ عُرِضَتْ علَيَّ النَّارُ فإِذَا فِيهَا غَضَبُ اللهِ وزَجْرُهُ ونِقَمُهُ، لَوْ طُرِحَتْ فيهَا الْحِجَارةُ والحَدِيدُ لأَكَلَتْهَا، ثُمَّ أُغْلِقَتْ دُونِي**))[6].

وفِي حدِيثِ شَدَّادِ بنِ أَوْس: ((**فَإِذَا جَهَنَّمُ تَكْشِفُ عنْ مِثْلِ الزَّرابِي ووَجَدْتُهَا مِثْلَ الحمَّة الْمُسَخَّنَةِ**))[7] وزَادَ فِيهِ: ((**أَنَّهُ رَآها فِي وَادِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ**))[8] فيَحْتَمِلُ أَنَّهُ لمَّا عُرِضَتْ عَلَيْهِ وهُوَ فِي السَّماءِ رآهَا فِي وَادِي بَيْتِ المَقْدِسِ، والزَّرابِي: الطَّنَافِس والحمة: الْفَحْمَةُ.

قِيلَ: عُرِضَتْ عَلَيْهِ النَّارُ لِيَكونَ آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فيَفْزَعُ إِلَى الشَّفَاعَةِ، ولوْ لَمْ يُؤَمَّنْ لَكَانَ مَشْغُولًا بنَفْسِهِ كغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ؛ لِأَنَّهُم لَمْ يَرَوْا قَبْلَ يَوْمِ القِيَامةِ شَيْئًا منْهَا، فَإِذَا رَأَوْهَا جَزِعُوا وكفَّتْ ألسِنتُهُمْ

---

(1) دلائل النبوة، البيهقي، 394/2 مع تغيير، سيذكر الرواية المطابقة بعد هذه. والمواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 83/3.

(2) دلائل النبوة، البيهقي، 394/2.

(3) جامع البيان، الطبري، 344/17.

(4) تتمة الحديث، دلائل النبوة، البيهقي، 394/2، المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 83/3.

(5) جامع البيان، الطبري، 344/17.

(6) دلائل النبوة، البيهقي، 394/2-395.

(7) مسند البزار، حديث (2945) والمعجم الكبير، الطبراني، حديث (7142).

(8) فتح الباري، ابن حجر، 217/7.

عَن الْخُطْبَةِ والشَّفاعَةِ مَنْ هُوَ لَهَا، وقَالَ كُلٌّ مِنْهُم نَفْسِي نَفْسِي. ولِأَنَّ الْكُفَّارَ لمَّا كَذَّبوهُ واستَهْزَءُوا بِهِ وآذَوْهُ أَشَدَّ الْأَذَى أَرَاهُ اللهُ النَّارَ المُعَدَّةَ لهُم تَأْنِيسًا لقَلْبِهِ، ولِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّهُ مَنْ طَيّب قَلْبَهُ بالانتِقامِ مِنْ أَعْدَائِهِ فَأَوْلَى لَهُ أَنْ يُطَيِّبَهُ فِي أَوْلِيائِهِ بِالشَّفاعَةِ والإِكْرَامِ، ولِيَعْلَمَ مِنَّةَ اللهِ حِينَ أَنْقَذَهُم مِنْهَا بِبَرَكَتِهِ وشَفَاعَتِهِ[1].

وَمَا تَقَدَّمَ مِنْ غُفْرَانِ ذَنْبِهِ هُوَ علَى ظَاهِرِهِ بِأَنْ يَعُدَّ اللهُ عَلَيْهِ بَعْضَ الْأَشْيَاءِ ذُنُوبًا فِي حَقِّهِ لَا فِي حَقِّنَا، لِعِظَمِ إِكْرَامِ اللهِ لَهُ.

وقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ والسُّبْكِي: الْمُرَادُ تَشْرِيفُهُ بِأَنَّهُ لَوْ كانَتْ لَهُ ذُنُوبٌ لَغُفِرَتْ[2]. وقَالَ عِيَاض عنْ بَعْضِهِم تَنْزِيه مِن الْعُيُوبِ[3]. وقَالَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ: كنَايَة عَن الْعِصْمَةِ مِنَ الذُّنوبِ، وهُوَ حَسَنٌ وجِيهٌ.

وذَكَر الطَّبرانِي مِنْ حَدِيثِ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: ((**لَمَّا كَانَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّماءِ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فوَقَفْتُ عَلَى شَجَرَةٍ مِنْ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ لَمْ أَرَ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً أَحْسَنَ مِنْها ولَا أَشَدَّ بَيَاض وَرَقٍ ولَا أَطْيَبَ مِنْهَا ثَمَرَةً فَتَنَاوَلْتُ ثَمَرةً مِنْ ثَمَرِهَا فأَكَلْتُهَا فَصَارَتْ نطْفَةً في صُلْبِي فَلَمَّا هَبَطْتُ** [239و] **إِلَى الْأَرْضِ وَاقَعْتُ خَدِيجَةَ فَحَمَلَتْ بفاطِمَةَ فإِذَا اشْتَقْتُ إِلَى رَائِحَةِ الْجَنَّةِ شَمَمْتُ رِيحَ فَاطِمةَ**))[4] وهو حَدِيثٌ موْضُوعٌ فِي سَنَدِهِ كَذَّابُونَ، وكذَا فِي رِجَالِ ابْنِ الْجَوزِي والذَّهَبِي عن عائِشَة وابْنِ عَبَّاس وسعْد بنِ وقَّاص مَن يَضَعُ الْحَدِيثَ ويَكْذِبُ، وذَلِكَ وَاضِحٌ، فَإِنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وُلِدَتْ قَبْلَ النُّبوَّةِ بِسَبْعِ سِنِينَ، وجَزَمَ ابْنُ الْجَوْزِيّ والْمَدَائِنِي والْوَاقِدِي عَن العبَّاسِ بِأَنَّها وُلِدَتْ قَبْلَ النُّبوَّةِ بِخَمْسِ سِنِينَ، وَالإِسْرَاءُ بَعْدَ النُّبوَّةِ بِالإِجْمَاعِ.

قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ عَلِيّ: سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، سلونِي عَنْ عِلْمٍ لَا يَعْلَمُهُ جِبْرِيلُ ولَا مِيكَائيلُ، أَعْلَمَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((**كُنْتُ نُورًا فِي جَسَدِ إِبْرَاهِيمَ ودُرَّةً فِي ظهْرِهِ فلَمَّا عَارَضَهُ جِبْرِيلُ، وهُوَ فِي الْمِنْجَنِيقِ فَقَالَ لَهُ: يَا خَلِيلَ الرَّحْمَنِ هَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ؟ قَالَ: أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا، فعادَ إِلَيْهِ**

(1) ينظر: التذكرة بأحوال الموتى، القرطبِي، ص850.

(2) ينظر: المحرّر الوجِيز، ابن عطِيّة، 126/5.

(3) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضِي عياض، ص498.

(4) المعجم الكبِير، الطبرانِي، حدِيث (100). الدر المنثور، المنثور، السيوطِي، 9/ 211.

ثَانِيَةً ومَعَهُ مِيكَائِيل فَقَالَ: لَا إِلَيْكَ ولَا إِلَى مِيكَائِيلَ، فعَادَ إِلَيْهِ الثَّالِثَةَ فقَالَ: هل لَكَ مِنْ حَاجَةٍ إِلَى رَبّكَ فَقَالَ يَا أَخِي يَا جِبْرِيلُ مِنْ شَأْنِ الْخَلِيلِ أَنْ لَا يُعَارِضَ خلِيلَهُ، قالَ النَّبِيءُ ﷺ فأَنْطَقَنِي اللهُ أَنْ قُلْتُ إِنْ بَعَثَنِي اللهُ نَبِيئًا واصْطَفَانِي بالرِّسَالَةِ لَأُجَازِيَنَّ أَخِي جبرِيلَ عَلَى فِعْلِهِ بِأَبِي إِبْرَاهِيمَ، فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الإِسْرَاءِ بَعْدَ أَنْ بَعَثَنِي اللهُ، أَتَانِي جبْرِيلُ وكَانَ السَّفير بِي، أَيْ: المُسَافِر بِي إِلَى رَبِّي، إِلَى أَن انْتَهَى إِلَى مَقَامٍ ثُمَّ وَقَفَ عِنْدَ ذَلِكَ فَقُلْتُ: يا جِبْرِيلُ في مِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ، يَعْنِي سِدْرَةَ الْمُنتَهَى، يَتْرُكُ الْخِلُّ خَليلَهُ فقَالَ إِنْ تَجَاوَزْتُهُ احْتَرَقْتُ بِالنُّورِ، فقَالَ النَّبِيءُ ﷺ: يا جِبْرِيلُ هَلْ لَكَ مِنْ حَاجَة إِلَى رَبّكَ، فَقَالَ يَا مُحَمَّد: سَل اللهَ تَعَالى فِي أَنْ أَبْسطَ جنَاحِي عَلَى الصِّرَاطِ لِأُمَّتِكَ حتَّى يَجُوزُوا عَلَيْهِ، ثُمَّ زَجَّ بِي فِي النُّورِ زَجًّا وانْقَطَعَ عَنْ حِسِّي كُلُّ مَلَكٍ وإِنْسِيّ، ووصَلْتُ مَوْضِعًا لا يَصِلُهُ مَلَكٌ ولَا غَيْرُهُ، وهُنَاكَ أَعْلَمَنِي اللهُ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ والآخِرِينَ، وعَلَّمَنِي عُلُومًا شَتَّى، فعِلْمٌ أَخَذَ عَلَيَّ كِتْمَانَهُ إِذْ عَلِمَ أَنَّهُ لا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى حمْلِهِ غَيْرِي، وَعِلْمٌ خَيَّرَنِي فِيهِ، فكُنْتُ أُسِرُّ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وإِلَى عُمَر وإِلَى عُثْمَانَ وإِلَيْكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ، يَعْنِي عَلِيًّا؛ لِأَنَّهُ رَاوِي الْحَدِيثِ، وَعَلَّمَنِيَ القُرْآنَ، فكانَ جِبْرِيلُ يُذَكِّرُنِي بِهِ، وعِلْمٌ أَمَرَنِي بتَبْلِيغِهِ إِلَى الْعَامّ والْخَاصّ مِنْ أُمَّتِي، وهُوَ قَوْلُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾[1] ولَقَدْ عَاجَلْتُ جِبْرِيلَ فِي آيَةٍ نَزَلَ بِهَا علَيَّ فعَاتبَنِي رَبِّي وأَنْزَلَ علَيَّ: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾[2].

وَلَمَّا بَلَغَ مَوْضِعًا لَمْ يَصِلْهُ أَحَدٌ كَانَ كَمَن اسْتَوْحَشَ، خَلَقَ لَهُ اللهُ مَلَكًا يُصَوِّتُ صَوْتَ أَبِي بَكْرٍ وسَمِعَ الصَّوْتَ يَقُولُ: إِنَّ اللهَ ومَلَائِكَتَهُ يُصَلُّون عَلَيْكَ وعَلَى أُمَّتِكَ وأَبُو بَكْرٍ هُوَ أَنِيسُكَ فِي الدُّنيَا والآخرَةِ. ثُمَّ أَنْسَانِي اللهُ رَبِّي حَاجَةَ جِبْرِيلَ وأَرَادَ أَنْ يُمْكِنَ عَلَيَّ بِأَنْ ذَكَّرَنِيهَا فَقَالَ: وأَيْنَ حَاجَةُ جِبْرِيلَ أَيْ: خَلَقَ لَهُ كَلَامًا أَسْمَعَهُ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّد قَدْ أَجَبْتهُ فِيمَا سَأَلَ ولَكِنْ فِيمَنْ أَحَبَّك وصَحْبَكَ))[3].

---

(1) سورة المائدة: 67.

(2) سورة طه: 114.

(3) لم أقفْ عليه في كتب الحدِيث، ينظر: المواهِب، 84/3.

وعَن ابْنِ عَبَّاسٍ: ((**حملْت عَلَى الرَّفْرَفِ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى الْعَرْشِ وأَبْصَرْتُ أَمْرًا عَظيمًا لَا تَنَالُهُ الأَلْسُنُ فسَأَلْتُ إِلَهِي أَنْ يَمُنَّ عَلَيَّ بالثَّبَاتِ حَتَّى أَسْتَتِمَّ نِعْمَتَهُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيَّ وقَوَّانِي ثُمَّ دَلَّى لِي قَطْرَةً مِن الْعَرْشِ فوضعت عَلَى لِسَانِي فَمَا ذَاقَ الذَّائِقُونَ شَيْئًا أحْلَى مِنْهَا فَأَنْبَأَنِي الله بهَا نَبَأَ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ، ونَوَّرَ قَلْبِي فَرَأَيْتُ عَجَائِبَ قَلْبِي وبَصَرِي فَكُنْتُ أَرَى مِنْ أَمَامِي وخَلْفِي**)) ولَمْ يَصِحَّ أَنَّه ﷺ بلَغَ ذِرْوَةَ الْعَرْشِ ولَا وَطِئَهُ بِنَعْلِهِ. ((**وأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ مَا أَوْحَى بعْدَمَا بَلَغَ الْمَوْضِعَ الذِي لَا يَصِلُهُ مَلَكٌ ولَا غَيْرُهُ: أَلَمْ أَجِدْكَ يَتِيمًا فآويْتُكَ أَلَمْ أَجِدْكَ ضَالًّا فَهَدَيْتُك أَلَمْ أَجِدْكَ عَائِلًا فأَغْنَيْتُكَ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ووَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ورَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**)) رَوَاهُ سَعيدُ بنُ جُبَير[1].

وقيلَ: أَوْحَى إِلَيْهِ أَنَّ الْجَنَّةَ مُحَرَّمَةٌ عَلَى الأَنْبِيَاءِ حَتَّى تَدْخُلَهَا وعَلَى الْأُمَمِ حتَّى تَدْخُلَهَا أُمَّتُكَ[2].

وقيلَ: أَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ خَصَّصْتُكَ بِحَوْضِ الْكَوْثَرِ وكُلُّ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَضْيَافُكَ بِالْمَاءِ ولَهُم الخَمْرُ واللَّبَنُ والْعَسَلُ[3].

وقِيلَ: أَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: ﴿ **مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ** ﴾[4] وقِيلَ أَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ ذَكَرَهُ النّقّاش[5]. وقِيلَ: كُلُّ مَا جَاءَ بِهِ.

وفِي "الشِّفَاءِ": أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنّ المُوحِي اللهُ إِلَى جِبْرِيلَ، وجِبْرِيلُ إِلَى مُحَمّد إِلَّا شذُوذًا، مِنْهُمْ جَعْفَرُ الصَّادِقُ[6]؛ أَوْحَى اللهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بلَا وَاسِطَةٍ وكَذَا قَالَ بَعْضُ المُتَكَلِّمِينَ، وهُوَ مَحْكِيٌّ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ والأشعريّ وابْنِ مَسْعُود[7].

كمَا أَوْحَى إِلَيْهِ عِنْدَ وُصُولِهِ الْمَوْضِعَ الذِي لَا يَكُونُ فِيهِ أَحَدٌ وَذَلِكَ أَنْ يَخْلُقَ كَلَامًا فِي سمْعِهِ أَوْ جَسَدِهِ أَوْ فِي كُلِّ جِسْمٍ مِنَ الْجَمَادَاتِ أَوْ فِي الْهَوَاءِ وَالْمَلَائِكَة كَانُوا فَوْقَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ولَكِنْ لَا يَهْبِطُونَ لِمَا تَحْتَهَا، كَمَا أَنَّ مَنْ كَانَتْ تَحْتَهَا لَا يُجَاوِزُهَا وَهَذَا مَعْنَى مَا قِيلَ أَنَّها لَا تُجَاوَزُ لَا كَمَا قِيلَ أَنَّهُ لَا مَلَكَ فَوْقَهَا.

---

(1) لم أقفْ عليهِ في كتب الحدِيث والسِّيرة، ينظر: المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 87/3.

(2) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 93/3، عن الثعلبِي والقشيرِي، الكشف والبيان، الثّعلبِي، 139/9، ولطائف الإشارات، القشيرِي، 482/3.

(3) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 93/3، عن القشيري.

(4) سورة فصلت: 43.

(5) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 93/3.

(6) جعفر بن محمد الصادِق.

(7) الشفا، القاضِي عياض، ص241.

ورَوَى أَبُو سَعِيد [240و] عِنْدَ الْبَيْهَقِيّ، وأَبُو هُرَيْرَة عِنْدَ الطَّبَرِيّ والبَزَّارِ وَأَبِي يَعْلَى والبَيْهَقِيّ أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لَهُ ﷺ: **((سَلْ فقَالَ: إِنَّكَ اتَّخَذْتَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وآتيْتَهُ مُلْكًا عَظِيمًا، وكَلَّمْتَ موسَى تَكْلِيمًا وأَعْطَيْتَ دَاوُدَ مُلْكًا عَظِيمًا وأَلَنْتَ لَهُ الْحَدِيدَ وسخَّرْتَ لَهُ الْجِبَالَ وأَعْطَيْتَ سُلَيْمَانَ مُلْكًا عَظِيمًا وسَخَّرْتَ لَهُ الإِنْسَ والْجِنَّ والشَّيَاطِينَ وسَخَّرْتَ لَهُ الرِّيَاحَ وأعْطَيْتَهُ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ وعَلَّمْتَ عِيسَى التَّوْرَاةَ والإِنْجِيلَ وجَعَلْتَهُ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ والْأَبْرَصَ ويُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِكَ وأَعَذْتَهُ وأُمَّهُ مِنَ الشَّيْطانِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ علَيْهِمَا سَبِيلٌ فقَالَ لَهُ رَبُّه: قَد اتَّخَذْتُكَ حَبِيبًا فَهُوَ مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَاةِ مُحَمَّدٌ حَبِيبُ الرَّحْمَنِ، وأَرْسَلْتُكَ لِلنَّاسِ كَافَّةً بَشِيرًا ونَذِيرًا، وشَرَحْتُ لَكَ صَدْرَكَ ووَضَعْتُ عَنْكَ وِزْرَكَ، ورَفَعْتُ لَكَ ذِكْرَكَ فلَا أُذْكَرُ إِلَّا وتُذْكَرُ مَعِي وجَعَلْتُ أُمَّتَكَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، وَجَعَلْتُ أُمَّتَكَ أُمَّةً وَسَطًا، وَجَعَلْتُ أُمَّتَكَ هُم الْأَوَّلُونَ والآخِرُونَ وجَعَلْتُ أُمَّتَكَ لَا تَجُوزُ لَهُمْ خُطْبَةٌ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّكَ عبْدِي ورَسُولِي، وجَعَلْتُ مِنْ أُمَّتِكَ أَقْوَامًا أَنَاجِيلُهُمْ صُدُورُهُمْ، وَجَعَلْتُكَ أَوَّلَ النَّبِيئِينَ خَلْقًا وآخِرَهُمْ بَعْثًا وأَوَّلَهُمْ يُقْضَى لَهُ وأَعْطَيْتُكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي لَمْ أُعْطِهَا نَبِيئًا قَبْلَكَ، وأَعْطَيْتُكَ الْكَوْثَرَ، وأَعْطَيْتُكَ خَوَاتِمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ تَحْتِ كَنْزِ الْعَرْشِ لَمْ أُعْطِهَا نَبِيئًا قَبْلَكَ))**[1] **((وأَعْطَيْتُكَ ثَمَانِيَةَ أَسْهُمٍ؛ الإِسْلَام والْهِجْرَة والْجِهَاد والصَّلَاة والصَّدَقَة وصَوْم رَمَضَان والأَمْر بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْي عَنْ الْمُنْكَرِ وجَعَلْتُكَ فَاتِحًا وخَاتِمًا))**[2] وفِي إِسْنَادِهِ مَنْ ضَعَّفَهُ بَعْضٌ واتَّهَمَهُ بَعْضٌ وأَسَاءَ حِفْظَهُ بَعْضٌ[3].

فقَالَ الفَخْرُ عَنْ وَالِدِهِ: "سَمِعْت أبا القاسم سليمان الأَنْصَارِيّ يقُولُ لَنَا: وَصَلَ مُحَمَّد ﷺ إِلَى الدَّرَجَةِ الْعَالِيَةِ والمَرَاتِبِ الرَّفِيعَةِ فِي المِعْرَاجِ، أَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ يَا مُحَمَّد بِمَ يَكُونُ شَرَفُكَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ بِنِسْبَتِي إِلَيْكَ بالْعُبُودِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾[4]"[5] فسمَّاهُ بِهَذَا لِتَحَقُّقِهِ ﷺ بالاسْمِ الأَعْظَمِ واتِّصافِهِ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ فَلَا يَصْلُحُ هَذَا الاسْمُ بِالْحَقِيقَةِ إِلَّا لَهُ ﷺ ولِلْأَقْطَابِ مِنْ بَعْدِهِ[6] بِتَبَعِيَّتِهِ لَا بِالْحَقِيقَةِ وَإِنْ أُطْلِقَ عَلَى غَيْرِهِ مَجَازًا[7].

---

(1) دلائل النبوة، البيهقي، 402/2-403.

(2) إضافة ليست في دلائل النبوة، ينظر: الخصائص الكبرى، السيوطي، 434/1

(3) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 93/3-94.

(4) سورة الإسراء: 1.

(5) مفاتيح الغيب، الرّازي، 292/20.

(6) في الأصل زيادة "لا" في غيْرِ محلِّها، وقد سقطت في المواهِبِ.

(7) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 94/3-95.

وكَانَ الْبُرَاقُ يَضَعُ خُطْوَتَهُ عِنْدَ منْتَهَى طَرَفِهِ لِأَنَّهُ ﷺ لا يَتَأَخَّرُ قَدَمُهُ عَنْ مَحَلِّ مَعْرِفَتِهِ. والْحُبُّ فِي مُقَابَلَةِ خلّةِ إبراهِيمَ عليه السلام وفِي رِوَايَةٍ: أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ لِرَسُولِهِ ﷺ: قَد اتَّخَذْتُكَ خَلِيلًا فَهُوَ حَبِيبٌ وخَلِيلٌ.

وفِي "سبعيات الهَمَدَانِي[1]" ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ [240ظ] ﷺ قالَ: هَمَمْتُ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ أَنْ أَخْلَعَ نَعْلِي فَسَمِعْتُ النِّدَاءَ مِنْ قِبَلِ اللهِ يَا مُحَمَّدُ لَا تَخْلَعْ نَعْلَيْكَ لِتَشْرُفَ السَّمَاءُ بِهِمَا. فَقُلْتُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ قُلْتَ لِمُوسَى اخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِذَنْ لَسْتَ عِنْدِي كَمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمِي وأَنْتَ حَبِيبِي. وتُعُقِّبَ بِأَنَّ هذَا الْكَلَامَ بَاطِلٌ لَمْ يُذْكَرْ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَحادِيثِ بَعْدَ الاسْتِقْرَاءِ التَّامِّ.

قالَ ﷺ: ((**أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ: إِنَّ رَبِّي وَرَبَّكَ يَقُولُ لَكَ: تدرِي كَيْفَ رَفَعْتُ ذِكْرَكَ؟ قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ قَالَ: لَا أُذْكَرُ إِلَّا ذُكِرْتَ مَعِي**)) رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى[2] والطَّبَرَانِي ومُحَمَّدُ ابنُ حِبَّان[3] والضّياء مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيد.

ومِنْ حَدِيثِ أَنَس فِي الْإِسْرَاءِ: ((**قَالَ اللهُ لِرَسُولِهِ ﷺ يَا مُحَمَّدُ، قُلْت: لَبّيكَ قَالَ: هَلْ غَمَّكَ أَنْ جَعَلْتُكَ آخِرَ الْأَنْبِيَاءِ؟ قُلْتُ: لَا يَا رَبِّ قَالَ: هَلْ غَمَّ أُمَّتكَ أَنِّي جَعَلْتُهُمْ آخِرَ الْأُمَمِ قُلْتُ: يَا رَبِّ لَا، قالَ: فَأَقْرِأْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ وأَخْبِرْهُمْ أَنِّي جَعَلْتُهُمْ آخِرَ الْأُمَم لِأَفْضَحَ الْأُمَمَ عنْدَهُمْ ولَا أَفْضَحَهُمْ**))[4].

ومَعْنَى "لَا تَجُوزُ لَهُمْ خُطْبَةٌ" إلخ: لا يُعْتَدُّ بِهَا اعْتِدَادًا كَامِلًا، واشْتَرَطَ الشَّافِعِي فِي الخُطْبَةِ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيءِ ﷺ وهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ لِكَلِمَةِ الشَّهادَةِ. ومَعْنَى "أَعْطَيْتُكَ خوَاتِمَ" إلخ أَنَّ آخِرَ الْبَقَرَةِ لَمْ يَنْزِلْ فِي القُرْآنِ مَا هُوَ مِثْلُهُ أَوْ أَعْظَمُ مِنْهَا.

(1) السبعيات، في مواعظ البريات، للشيخ، أبي نصر: محمد بن عبد الرحمن الهمداني. ينظر: كشف الظنون، 977/2.
(2) مسند أبي يعلَى، حديث (1380).
(3) صحيح ابن حبان، حدِيث (3382).
(4) تاريخ دمشق، ابن عساكِر، 516/3.

ومِمَّا وَقَعَ فِي الإِسْرَاءِ أَنَّهُ ﷺ قالَ: ((**اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَذَّبْتَ الْأُمَمَ، بَعْضهُمْ بالْحِجَارَةِ وبعْضهُمْ بِالْخَسْفِ وبَعْضهُمْ بِالْمَسْخِ، فمَا أَنْتَ فَاعِلٌ بأُمَّتِي؟ قَالَ: أُنْزِلُ عَلَيْهِم الرَّحْمَةَ وأُبْدِلُ سِيّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ، وَمَنْ دَعَانِي مِنْهُمْ؛ أَيْ: قَالَ يَا رَبِّ، لَبَّيْتُهُ؛ أَيْ: قُلْتُ لَبَّيْكَ، ومَنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ، ومَنْ تَوَكَّلَ عَلَيَّ كَفَيْتُهُ، وفِي الدُّنْيَا أَسْتُرُ عَلَى الْعُصَاةِ، وَفِي الآخِرَةِ أُشَفِّعُكَ فِيهِمْ، وَلْوَلَا أَنَّ الْحَبِيب يُحِبُّ مُعَاتَبَةَ حَبِيبِهِ لَمَا حَاسَبْتُ أُمَّتَكَ**)). ولَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الانْصِرَافَ قَالَ: ((**يَا رَبِّ إِنَّ لِكُلِّ قَادِمٍ مِنْ سَفَرٍ تُحْفَةً فَمَا تُحْفَةُ أُمَّتِي؟ قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَنَا لَهُمْ مَا عَاشُوا، وَأَنَا لَهُمْ إِذَا مَاتُوا، وَأَنَا لَهُمْ فِي الْقُبُورِ، وَأَنَا لَهُمْ فِي النُّشُورِ**))[1].

ومعْنَى قَوْلِهِ: ((**جَعَلْتُ أُمَّتَكَ هُم الأَوَّلُونَ** إلخ)): أَنَّهُ جَعَلَهُمْ أَوَّلًا فِي الْقِيَامِ مِنَ الْقُبُورِ والقَضَاءِ ودُخُولِ الْجَنَّةِ، والآخِرِينَ فِي الْوُجُودِ لِيَقِلَّ مكْثُهُمْ فِي الْقُبُورِ ولِئَلّا تُنْسَخَ شَرِيعَتُهُمْ.

وَآخِرُ أَمْرِهِ ﷺ معَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا تَخْفِيفُ الْخَمْسِينَ صَلَاةٍ إِلَى خَمْسٍ مَا زَالَ يَرْجُو مِنْ مُوسَى إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللهُ، يَقُولُ: ((يَا رَبِّ خَفِّفْ عَنْ أُمَّتِي مَا فَرَضْت عَلَيْهِمْ مِنَ الصَّلَوَاتِ)) يَحُطُّ عَنْهُ عَشْرًا عَشْرًا، وفِي رِوَايَةٍ خَمْسًا خَمْسًا وَفِي رِوَايَةٍ لَمَّا انْتَهَى التَّخْفِيفُ إِلَى خَمْسٍ أَرَادَ الرُّجُوعَ بِأَمْرِ مُوسَى عليه السلام فنَادَاهُ مُنَادٍ: ((**أَنْ قَدْ قُضِيَ الْأَمْرُ أنَّ الصَّلَاةَ خَمْسٌ**)) وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ لَمَّا انْتَهَى التَّخْفِيفُ إِلَى خَمْسٍ قَالَ: ((**يَا مُحَمَّد إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَلَّ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ بِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ فَكُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرٍ فَتِلْكَ خَمْسُونَ صَلَاة**))[2] وَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ: ((**هُنَّ خَمْسٌ وهُنَّ خَمْسُونَ لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لدَيَّ**))[3] وفي حَدِيثِ أبي صعصعة: الْوَضْعُ عَشْرًا[4]، ومِثْلُهُ لِشريك وَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ ((**فَوضَعَ شَطْرَهَا**))[5] وَفِي وَضْعِ الشَّطْرِ احْتِمَالُ الْوَضْعِ مَرَّةً أَوْ مِرَارًا، والإِجْمَالُ يُحْمَلَ عَلَى مَا وَرَدَ مِنَ التَّفْصِيلِ، وكَذَا الْعَشْرُ فَكَأَنَّهُ وَضَعَ الْعَشْرَ مرَّتَيْنِ والشَّطْر إِلَى خَمْسِ مرَّاتٍ. أَو الْمُرَادُ بِالشَّطْرِ الْبَعْضُ، وقَدْ حَقَّقَتْ رِوَايَةُ ثَابِت أَنَّ التَّخْفِيفَ كَانَ خَمْسًا فَيُحْمَلُ عَلَيْهِ.

---

(1) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 97/3 عن ابن مرزوق في شرحه لبردة المدِيح.

(2) صحيح مسلم، حدِيث (259).

(3) صحيح البخارِي، حدِيث (349)، وفيه: ((هي خمس وهي خمسون)).

(4) (م، س)، حدِيث (3887).

(5) (م، س)، حدِيث (349)، وفيه: ((هي خمس وهي خمسون)).

وقَالَ الكَرْمَانِيّ: الشَّطْرُ النِّصْفُ ففِي الْمُرَاجَعَةِ الْأُولَى وَضَعَ خَمْسًا وعِشْرِينَ وفِي الثَّانِيَةِ ثَلاثَةَ عَشَرَ نِصْفَ الْخَمْسَةِ والْعشْرِينَ بِجَبْرِ الْكَسْرِ، وفِي الثَّالِثَة سَبْعَة[1]. كذَا قِيلَ، ولَيْسَ فِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ فِي الْمُرَاجَعَةِ الثَّالِثَةِ ذِكْرُ وَضْعِ شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يُحْذَفَ اخْتِصَارًا والْجَمْعُ بَيْنَ الرِّوَايَاتِ يَأْبَى هَذَا.

ورَوَى ابْنُ خُزَيْمَة والْبَيْهَقِيّ وابْنُ مَرْدُويَه مِنْ حَدِيثِ مَالِك بنِ صَعْصَعَةَ: ((**فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا**)) وفِيهِ: ((**مَا زِلْتُ بَيْنَ مُوسَى وبَيْنَ رَبِّي لِيَحُطَّ عَنِّي خَمْسًا خَمْسًا**))[2].

قِيلَ: وهَذِهِ الرِّوَايَةُ شَاذَّةٌ ولَوْ صَحَّ إِسْنَادُهَا والثَّابِتُ فِي الصَّحِيحَيْنِ والنَّسَائِي ومُسْنَدِ أَحْمَد مِنْ حَدِيثِ مَالِك بنِ صَعْصَعَةَ: ((فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا))[3] ثُمَّ الظَّاهِرُ أَنَّهُ يَرْجِعُ مِنْ مُوسَى إِلَى الْمَوْضِعِ الذِي وَصَلَهُ أَوَّلًا مِمَّا لَا يَصِلُهُ مَلَكٌ وَلَا نَبِيءٌ.

وبَعْدَ إِمْضَائِهَا خمْسًا قَالَ اللهُ جَلَّ وعَلَا: ومَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ؛ أَيْ: وَاحِدَةٌ بِلَا تَضْعِيفٍ، وإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا ومَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لم تُكْتَبْ شَيْئًا وإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَة وَاحِدَة، وَإِنْ هَمَّ وصَمَّمَ كُتِبَ لَهُ هَمُّهُ[4]. ومَنْ هَمَّ فِي الحرم الْمكّيّ وَصَمَّمَ كُتِبَتْ عَلَيْهِ كَأَنَّهُ فَعَلَهَا فِي غَيْرِ الْحَرَمِ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿**وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ [بِظُلْمٍ] نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** (25)﴾[5].

وَرَوى السّدِّي عَنْ مرّة عن ابْنِ مَسْعُود: أَنَّهُ مَنْ هَمَّ فِيهِ بِسَيِّئَةٍ كُتِبَتْ لَهُ وَلَوْ لَمْ يُصَمِّمْ لِهَذِهِ الآيةِ، وأَخرَجَهُ أَحْمَدُ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ مَسْعُود عَنْهُ ﷺ ورَجَّحَ بَعْضٌ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ[6]. وسَيِّئَاتُ الْحَرَمِ تُضَاعَف بِأَكْثَر مِنْ وَاحِدَةٍ. قُلْتُ: ويُمْكِنُ أَنْ تُضَاعَفَ بعَشْرٍ ولَمْ أَرْ فِيهِ شَيئًا.

قالَ [ابْنُ إِسْحَاق بن مَنْصُور][7]: قُلْنَا لِأَحْمَدَ هَلْ فِي شَيْءٍ مِنَ الْحَدِيثِ أَنَّ السَّيِّئَةَ تُكْتَبُ بِأَكْثَرَ مِنْ وَاحِدَةٍ قَالَ: لَا إِلَّا مَكَّة لِتَعْظِيمِ الْبَلَدِ[8]. وجمهور الأمّة علَى التَّعْميمِ فِي الأَزْمِنَةِ والْأَمْكِنَةِ لَكِنْ قَدْ

(1) عمدة القارِي، العينِي، 45/4.
(2) صحيح ابن خزيمة، حدِيث (301)، ودلائل النبوة، البيهقِي، 376/2.
(3) صحيح البخارِي، حدِيث (3887).
(4) ورد بمعناه، صحيح البخاري، حديث (6491).
(5) سورة الحج: 25.
(6) فتح البارِي، ابن حجر، 328/11.
(7) في الفتح: إسحاق بن منصور. وهو المعروف بالكوسَج، ت:251هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء، 258/12.
(8) مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، 9/ 4599.

تَتَفَاوَتُ بِالْعِظَمِ وأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **مَنْ يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ** ﴾[1]. فلا يَدُلُّ عَلَى التَّضْعِيف لِمَكَانٍ أَوْ زَمَانٍ أَوْ عِظَمِ شَأْنٍ؛ لِأَنَّ التَّضْعِيفَ فِي الآيَةِ لِأَجْلِ أَذَى النَّبِيءِ ﷺ[2].

ولَعَلَّ رَسولَ اللهِ تَفَرَّسَ مِنْ كَوْنِ التَّخْفِيفِ خَمْسًا خَمْسًا أَن لَوْ سَأَلَهُ بَعْدَ أَنْ قَدْ خُفِّفَتْ إِلَى خَمْسٍ لَكانَ سَائِلًا إِسْقَاطَهَا أَلْبَتَّةَ، وكَانَت الْخَمْسُ فَرْضًا لِلْأَبَدِ كَمَا قَالَ لَهُ عِنْدَهَا: ((مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ)).

قِيلَ: فَفِي سَائِرِ الْمَرَّاتِ عَلِمَ أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ علَى الإِلْزَامِ. قُلْتُ: بَلْ عَلِمَ أَنَّهُ إِنْ قَضَى اللهُ ذلِكَ لَمْ يُخَفِّفْ عَنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَضَاءٌ خَفَّفَ عَنْهُ، فَصَارَ يَسْأَلُ فيعلم. [241ظ] والْإِلْحَاحُ فِي الطَّلَبِ مِنَ اللهِ مَطْلُوبٌ.

وفِي رِوَايَة النَّسَائِي مِنْ طَرِيقِ يزيد بن أبي مالك عَنْ أَنَس: ((**فَقِيلَ لِي: إِنَّنِي يَوْمَ خَلَقْتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فَرَضْتُ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّتِكَ خَمْسِينَ صَلَاةً، فَقُمْ بِهَا أَنْتَ وَأُمَّتُكَ**))[3] وذكرَ مُرَاجَعَتَهُ مَعَ مُوسَى، وفيهِ أَنَّهُ فُرِضَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ صَلَاتَانِ فَمَا قَامُوا بِهِمَا[4].

وَذَكَر الْبَيْضَاوِي أَنَّهُ فُرِضَ عَلَيْهِمْ خَمْسُونَ صَلاةً فِي الْيَوْمِ واللَّيْلَةِ[5]، وهُوَ غَلَطٌ فَإِنَّهُ لَمْ يُفْرَض عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ خَمْسُونَ صَلاةً ولَا خَمْس صَلَوَاتٍ، قَالَ السُّيُوطِي: ولَمْ تُجْمَع الخَمْسُ إِلَّا لِهَذِهِ الأُمَّةِ وإِنَّمَا فُرِضَ علَى بَنِي إِسْرَائِيلَ صَلاتَانِ فَقَطْ[6].

---

(1) سورة الأحزاب: 30.

(2) فتح الباري، ابن حجر، 329/11.

(3) المجتبى، النسائي، حدِيث (450).

(4) (م، س)، حدِيث (450).

(5) أنوار التنزيل، 166/1.

(6) نواهد الأبكار، السيوطِي، 482/2.

وقَالَ فِي آخِرِهِ: ((**خَمْسٌ بِخَمْسِينَ، فَقُمْ بِهَا أَنْتَ وَأُمَّتُكَ فَعَرَفْتُ أَنَّهَا عزمة من الله**))[1] ولَمْ يَقُلْ مُوسَى إِنَّكَ وأُمَّتَكَ لَا تُطِيقُونَ.

قالَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ: والْحِكْمَةُ فِي تخْصِيصِ فَرْضِ الصَّلَاة بِلَيْلَةِ الإِسْرَاءِ أَنَّهُ ﷺ لـمَّا عُرِجَ بِهِ رَأَى تَعبُّدَ الْمَلَائِكَةِ فِي تِلكَ اللَّيْلَةِ، وإِنَّ مِنْهُم الْقائِمَ لَا يَقْعُدُ والرَّاكِع لَا يسْجُدُ والسَّاجِد فَلَا يَقْعُدُ؛ أَيْ: لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ مِنْهُ أَبَدًا فَجَمَعَ اللهُ ولِأُمَّتِهِ تِلْكَ الْعِبَادَاتِ لِيُعْلِمَهُ بِمَا أَكْرَمَهُ بِهِ مِنْ أَنَّ مَا رَآه مِنْ عِبَادَةِ الْمَلَائِكَةِ جُمِعَ لَهُ ولِأُمَّتِهِ يُصَلِّيهَا الْعَبْدُ بِشَرَائِطِهَا مِنَ الطُّمأْنِينَةِ والْإِخْلَاصِ[2].

وقَالَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ أَيْضًا: فِي اخْتِصَاصِ فَرْضِهَا بِلَيْلَةِ الإِسْرَاءِ إِشَارَةٌ إِلَى عِظَمِ شَأْنِهَا، ولِذَلِكَ كانَتْ أَيْضًا بِلَا وَاسِطَةِ مَلَكٍ بَلْ بِخَلقِ كَلَامٍ فِي سَمْعِهِ أَوْ حَيْثُ شَاءَ[3].

وفِي حدِيثِ أَبِي سَعِيد الْخُدرِيّ عِنْدَ الْبَيْهَقِيّ وغَيْرِهِ: ((**فَأَقْبَلْتُ بِمُوسَى رَاجِعًا ونِعْمَ الصَّاحِب كَانَ لَكُمْ**))[4]؛ أَيْ: لِأَمْرِهِ بِسُؤَالِ التَّخْفِيفِ.

وإِنَّمَا قَالَ إِنَّ أُمَّتَكَ لا يَقْدِرُونَ، وَلَمْ يَقُلْ: إِنَّك وأُمَّتَكَ لَا تَقْدِرُونَ إِلخ لِأَنَّهُ ﷺ يقْدِرُ عَلَى الْخَمْسِينَ وأَكْثَر.

قالَ السُّهَيْلِيّ: اعْتَنَى مُوسَى بِهَذِهِ الْأُمَّةِ لِمَا رَأَى مِنْ كَرَامَتِهَا فكَانَ يَقُولُ: يَا رَبِّ رَأَيْتُ في التَّوْرَاةِ أُمَّةً صِفَتُهُمْ كَذَا فاجْعَلْهُمْ أُمَّتِي فَيَقُولُ اللهُ ﷻ بلْ هِيَ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ[5]. حَتَّى قَالَ آخِرا اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْهُمْ. حاصِلُ ذَلِكَ أَنَّهُ رَأَى فِي التَّوْرَاةِ صِفَةَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فدَعَا أَنْ يَجْعَلَهُ مِنْهُمْ، فَكَانَ إِشْفَاقُهُ عَلَيْهِمْ كَعِنَايَةِ مَنْ هُوَ مِنْهُمْ.

---

(1) المجتبى، النسائي، حدِيث (450).

(2) ينظر: فتح الباري، 216/7.

(3) ينظر: (م، س)، 216/7.

(4) (م، س)، 212/7، وشرح المواهب، الزُّرقاني، 38/8. لم أقف عليهِ عند البيهقيّ.

(5) الروض الأنف، السهيلي، 287/3 بتصرف.

وقَالَ الْقُرْطُبِيّ: يحْتَملُ أَنَّ الْحِكْمَةَ فِي تَخْصِيصِ[1] مُوسَى بِمُرَاجَعَةِ النَّبِيءِ ﷺ فِي أَمْرِ الصَّلَاةِ أَنَّ أُمَّةَ مُوسَى كُلِّفُوا مِنَ الصَّلَاةِ مَا لَمْ يُكَلَّفْ بِهِ غَيْرُهُمْ مِنَ الْأُمَمِ[2]. ورُدَّ بِأَنَّهُمْ كُلِّفُوا رَكْعَتَيْنِ بالْغَدَاةِ ورَكْعَتَيْنِ بالعَشِيّ، قِيلَ: رَكْعَتَيْنِ عِنْدَ الزّوالِ، فَمَا قَامُوا بِمَا كُلِّفُوا بِهِ، فأَشْفَقَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

ولَقَدْ صَدَقَتْ [242و] فِرَاسَةُ مُوسَى فِي الضُّعْفِ عَن الصَّلَاةِ، فَإِنَّ الْكَثِيرَ أَو الْأَكْثَرَ يُفَرِّطُونَ فِي الصَّلاةِ، ولَاسِيَّمَا النِّسَاءُ، وكَثِيرٌ مِنَ الْمُصَلِّينَ مُفَرِّطٌ فِي الشُّروطِ، أَوْ غَيْرُ مُوفٍّ بِالْحُقُوقِ، أَوْ نَاقِصٌ بَعْضَ الْأَرْكانِ.

ويحْتَملُ أَنْ يَكُونَ سَبَبُ تَخْصِيصِ مُوسَى بِإِرْشَادِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى طَلَبِ التَّخْفِيفِ أَنَّه لَيْسَ فِي الْأَنْبِيَاءِ مَنْ لَهُ أَتْبَاعٌ أَكْثَرُ مِنْ مُوسَى، وَلَا لَهُ كِتَابٌ أَكْبَرُ ولَا أَجْمَعُ لِلْأَحْكَامِ مِنْ كِتَابِهِ، فَكَانَ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ مُضَاهِيًا لِلنَّبِيءِ ﷺ فنَاسَبَ أَنْ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْل مَا أَنْعمَ علَيْهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُرِيدَ زَوَالَهُ عَنْهُ. ونَاسَبَ أَنْ يُطْلِعَهُ عَلَى مَا وَقَعَ لَهُ ويَنْصَحهُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ.

ويَحْتَمِلُ أَنَّ مُوسَى عليه السلام لمَّا وَقَعَ لَهُ فِي الابْتِدَاءِ حَظُّ الْأَسَفِ عَلَى نَقْصِ أُمَّتِهِ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى أُمَّةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، حَتَّى تَمنَّى أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ، اسْتَدْرَكَ ذَلِكَ بِبَذْلِ النَّصِيحةِ لَهُمْ والشَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ، لِيُزِيلَ مَا عَسَاهُ أَنْ يُتَوَهَّمَ عَلَيْهِ فِيما وَقَعَ منْهُ فِي الابْتِدَاءِ.

ولَمْ يَقَعِ التَّخْفِيفُ علَى يَدِ إِبْرَاهِيمَ، مَعَ أَنَّهُ الْأَبُ والأَقْدَمُ والأَفْضَلُ؛ لِأَنَّ مقَامَ الْخلَّةِ الرِّضَا والتَّسلِيمُ، فَنَاسَبَ مَنْ هُوَ الْكَلِيمُ؛ لِأَنَّ لِلْمُتَحَدِّثِ ادْلَالًا وَانْبِسَاطًا، وَلِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام لَمْ يُعَالِجْ قَوْمَهُ فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ بِعَيْنِهَا؛ لِأَنَّ قَوْمَهُ خَالَفُوهُ أَلْبَتَّةَ. وقِيلَ: لِأَنَّ مُوسَى أَوَّلُ مَنْ لَاقَاهُ بَعْدَ الْهُبُوطِ.

وفِيهِ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ فِي السَّابِعَةِ ومُوسَى فِي السَّادِسَةِ، وأُجِيبَ بِأَنَّ مُوسَى صَعِدَ مَعَهُ فِي الْعُرُوجِ مِنَ السَّادسة إِلَى السَّابعَةِ إِينَاسًا لَهُ، واستِعْدَادًا لِلتَّلْقِينِ فِي التَّخْفِيفِ. أَوْ يُقَالُ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَلْقَهُ فِي الرُّجوعِ. ولَيْسَ فِي الْحَدِيثِ نَسْخٌ فِي الْأَخْبَارِ، وهُوَ لَا يَجُوزُ لِأَنَّ ذَلِكَ تَدْرِيجٌ فِي الْبَيَانِ مِنَ الْخَمْسِينَ إِلَى الْخَمْسَةِ، وبَيَانٌ لِلْكَيْفِيَّةِ، وأَنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرٍ وأَنَّ الْخَمْسِينَ خَمْسَةٌ.

---

(1) في الهامش دون تحديد مكانها: لا إله الله محمد رسول الله.

(2) فتح الباري، ابن حجر، 212/7.

وفِيهِ دَلِيلٌ علَى عدَمِ فَرْضِ الوتْرِ وأَكَّدَهُ بِقَوْلِهِ ﷺ: ((**الْوِتْرُ فَرْضٌ عَلَيَّ دُونَكُمْ**))[1] فَمَعْنَى ((**زادَ لَكُمْ صَلَاةً سَادِسَةً**))[2] زَادَ لَكُم التَّقَرُّبَ بِهَا، وتَأْكِيدَها لَا فَرْضَهَا.

وفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ دُخُولِ النَّسْخِ فِي الإِنْشَاءِ، ولَوْ كَانَ مُؤَكَّدًا، خِلَافًا لِقَوْمٍ فِي مَا أُكِّدَ.

وفِيهِ دَلِيلٌ علَى جَوَازِ النَّسْخِ قَبْل الْفِعْلِ، ذكَرَهُ طَوائِف مِنَ الأصوليّين وابْنُ بَطَّال[3]، وأَثْبَتَتْهُ الأَشَاعِرَةُ؛ لإِجَازَتِهِم التَّكْلِيفَ بِمَا لا يُطَاقُ، والْحَدِيثُ مُشْكِلٌ علَيْهِمْ وعَلَى الْمعتزلة الْقَائِلِينَ بأَنَّ الْفَاعِلَ باخْتِيارِهِ خَالِقٌ لِفِعْلِهِ؛ أَيْ: لَهُ اسْتِطَاعَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ، وهُوَ ضَلالٌ مبِينٌ، وَعَلَى غَيْرِهِمْ مطْلَقًا؛ لِأَنَّ الأُمَّةَ اتَّفَقَتْ أَنَّ النَّسْخَ لَا يَكُونُ قَبْلَ الإِبْلَاغِ، بَلْ أَثْبَتَ ابْنُ دَقِيق الْعِيد الْخِلَافَ فِي جَوازِهِ قَبْلَ الإِبْلَاغِ.

الْجَوَابُ أَنَّهُ نَسْخٌ لِمَنْ بَلَغَه، وهُوَ النَّبِيءُ ﷺ دونَ مَنْ لَمْ يَبْلُغْهُ وهُوَ الأُمَّةُ. ولِي جَوابٌ آخَرُ أَنَّهُ ﷺ [242ظ] نَائِبٌ عَنْ أُمَّتِهِ، سَائِلٌ عَنْهُمْ، طَالِبٌ لِلتَّخْفِيفِ لَهُمْ، فَكَأَنَّهُم المخَاطَبُونَ. وأَجَابَ بَعْضٌ أَيْضًا بِأَنَّهُمْ دَاخِلُونَ فِي الْخِطَابِ؛ إِذْ آمَنُوا بِكُلِّ مَا يَنْزِلُ إِجْمَالًا أَيْضًا، وَلَوْ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ.

وَقَوْلُ مُوسَى عليه السلام: "أُمَّتُكَ لا تُطِيقُ" لَا يُنَافِي مَا مَرَّ فِي كلامِي أَنَّ النَّسْخَ فِي حَقِّ النَّبِيءِ ﷺ ولَوْ كَانَ مَا لَزِمَ النَّبِيءَ ﷺ لازِمًا لِأُمَّتِهِ حَتَّى يقُومَ دَلِيلُ التَّخْصِيصِ، فَإِنَّ حَاصِلَهُ أَنَّهُ نَسْخٌ في حَقِّهِمْ لَوْ بَلَغَهُمْ لَا قَبْلُ، ولَوْ كَانَ سَيَبْلُغُهُمْ.

وفِي رِوَايَةٍ: ((**فرض عَلَيَّ خَمْسينَ صَلَاة**))[4] ولَا يَكْفِي فِي قَصْرِ النَّسْخِ لِذَلِكَ في حَقِّهِ؛ لِأَنَّهُ عَارَضَ ذَلِكَ اللَّفظَ قَوْلُ مُوسَى: أُمَّتُكَ لَا تُطِيقُ، فَدَخَلَت الْأُمَّةُ بِهِ فِي حُكْمِ قَوْلِهِ "عَلَيَّ"، وأَيْضًا قَوْلُهُ "عَلَيَّ": فِي مَعْنَى عَلَيْهِمْ أَيْضًا.

ولَمَّا رَجَعَ رسُولُ اللهِ ﷺ مَرَّ بِإِبِلٍ حَمَلَتْ طَعَامًا لِقُرَيْشٍ، عَلَى جَمَلٍ غَرَارَتَانِ؛ سَوْدَاءُ وبَيْضَاءُ، فَنَفَرَتْ بِهِ حِينَ حَاذَاهَا فصرع الْجَمَلُ وانْكَسَرَ كَمَا رَوَاهُ ابن أبي حاتم عَنْ أَنَس. وفِي رِوَايَةٍ: مَرَّ بِإِبِلٍ وقَدْ فَقَدُوا مِنْهَا بَعِيرًا، قِيلَ: هُوَ أُنْثَى، والْبَعِيرُ يُطْلَقُ عَلَى الذَّكَرِ والْأُنْثَى.

---

(1) لم أقِفْ عليه بلفظه.

(2) لم أقِفْ عليه بلفظه.

(3) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، 13/2.

(4) صحيح البخارِي، حدِيث (349).

ورأَى أَنَّ فُلَانًا ظَفَرَ بِهِ وجَاءَهُمْ بِهِ، قَالَ ﷺ: فسَلَّمْتُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هَذَا صَوْتُ مُحَمَّدٍ. وأَتَى مَكَّةَ قَبْلَ الصُّبْحِ وأَخْبَرَ قَوْمَهُ بِمَا رَأَى وقَالَ لَهُمْ: إِنَّ مِنْ آيَةِ مَا ذَكَرْتُ أَنِّي مَرَرْتُ بِإِبِلٍ لَهُمْ فِي الرَّوْحَاءِ كمَا فِي حَدِيثِ أمّ هانئ، وَقَدْ أَضَلُّوا بَعِيرًا لَهُمْ قَدْ جَمَعَهُ إِلَيْهِمْ فُلَانٌ، وَإِنَّ مَسِيرَهُمْ يَنْزِلُونَ بِمَكَانِ كَذَا ويَأْتُونَكُمْ يَوْمَ كَذَا يَقْدُمُهُمْ جَمَلٌ آدَمُ. وهَذَا يُنَافِي مَا مَرَّ مِنْ أَنَّهُ نَاقَةٌ ثُمَّ تَبَيَّنَ أَنَّهُ وَقَعَ ذَلِكَ كُلُّهُ كَمَا يَأْتِي قَرِيبًا إِنْ شَاءَ اللهُ. وعَلَيْهِ مَسْحٌ أَسْوَدُ عَلَيْهِ غَرَارَتَانِ. قالُوا: فَأَخْبِرْنَا عَنْ عدَّتِهَا ومَا فِيهَا مِنَ الرُّعَاةِ قَالَ ﷺ: [كُنْتُ عَنْ عدَّتِهَا][1] مَشْغُولًا. ثُمَّ قَامَ فَأَتَى الإِبِلَ فَعَدَّهَا وعَلِمَ مَا فِيهَا مِنَ الرِّعَاءِ ثُمَّ أَتَى قُرَيْشًا فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهَا كَذَا، وَفِيهَا مِنَ الرُّعَاةِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ. فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْم أَشْرَفَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ حَتَّى إِذَا كَانَ قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ أَقْبَلَت الْعِيرُ يَقْدُمُهُمْ ذَلِكَ الْجَمَلُ كَمَا وَصَفَ ﷺ[2].

وفِي رِوَايَةٍ لِلْبَيْهَقِيّ عَنْ يونس بن بكير وعَنْ إسماعيل السّدّي: سَأَلُوهُ آيَةً فأَخْبَرَهُمْ بِقُدُومِ الْعِيرِ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَومُ لَمْ يَقْدُمُوا حَتَّى كَادَت الشَّمْسُ تَغْرُبُ، فَدَعَا اللهَ تَعَالَى فَحَبَسَ الشَّمسَ حَتَّى قَدِمُوا كَمَا وَصَفَ[3]. وَلَا مُنَافَاةَ فَإِنَّ ذَلِكَ وَاقِعٌ.

روَى الطَّبَرَانِي[4] وابْنُ مَرْدُويَه عَنْ أُمِّ هَانِئ قَالُوا: أَخْبِرْنَا عَنْ عِيرِنَا قَالَ أَتَيْتُ عَلَى عِيرِ بَنِي فُلانٍ بِالرَّوْحَاءِ قَدْ ضَلُّوا نَاقَةً لَهُمْ فَانْطَلَقُوا عَلَيْهَا فَانْتَهَيْتُ إِلَى رِحَالِهِمْ، وَلَيْسَ بِهَا مِنْهُمْ أَحَدٌ، وإِذَا قَدحُ مَاءٍ فَشَرَبْتُ مِنْهُ ثُمَّ انْتَهَيْتُ إِلَى عِيرِ بَنِي فُلَانٍ فِيهَا جَمَلٌ عَلَيْهِ غرَارَتَانِ غَرَارَةٌ سَوْدَاءُ وغَرَارَةٌ بَيْضَاءُ، ولَمَّا حاذَيْتُ الْعِيرَ نَفَرَتْ وصرعَ ذَلِكَ الْبَعِيرُ وانْكَسَرَ. [243و] ثُمَّ انْتَهَيْتُ إِلَى عِيرِ بَنِي فُلَانٍ فِي التّنعيم يَقْدُمُهُمْ جَمَلٌ أَوْرَقُ عَلَيْهِ مَسْحٌ أَسْوَدٌ وَغَرَارَتَانِ سوْدَاوَانِ وَهَا هِيَ ذِهِ تَطْلُعُ عَلَيْكُمْ مِنَ الثَّنِيَّةِ. فاستَقْبَلُوا الْإِبِلَ فقَالُوا: هَلْ ضَلَّ لَكُمْ بَعِيرٌ؟ قَالُوا: نعَمْ. وَسَأَلُوا الْعِيرَ الآخَرَ: هَل انْكَسَرَتْ لَكُمْ نَاقَةٌ حَمْرَاءُ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالُوا: فَهَلْ كَانَ عِنْدَكُمْ قَصْعَةُ مَاءٍ؟ فقَالَ رَجُلٌ: أَنَا وَاللهِ وَضَعْتُهَا فَمَا شَرِبَهَا أَحَدٌ مِنَّا وَلَا أُهْرِيقَتْ فِي الْأَرْضِ.

---

(1) إضافة من فتح الباري.

(2) ينظر: فتح الباري، ابن حجر، 200/7.

(3) دلائل النبوة، البيْهَقِي، 404/2، عن إسماعِيل بن عبد الرحمن القرشِي، وهو نفسه السّدّي.

(4) ينظر: المعجم الكبِير، الطبراني، حدِيث (1059).

زَادَ أَبُو يَعْلَى[1] وابْنُ عَسَاكِر: فَرَمَوْهُ بِالسِّحْرِ وَقَالُوا: حَذِقَ الْوَلِيدُ فأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾[2].

وعَنْ عَائِشَةَ: لـمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبيءِ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى أَصْبَحَ يُحَدِّثُ النَّاسَ بِذَلِكَ فَارْتَدَّ نَاسٌ كَانُوا آمَنُوا لِأَنَّهُمْ اسْتَبْعَدُوا وُقُوعَ ذَلِكَ بالشَّقَاوَةِ التِي كُتِبَتْ عَلَيْهِمْ.

وفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ أَحْمَدَ والبَزَّارِ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((**لَمَّا كَانَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي وأَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ مَرَّ بِي عَدُوُّ اللهِ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ؟ قُلْتُ: إِنِّي أُسْرِيَ بِي إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ اللَّيْلَةَ. قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ أَتُحَدِّثُهُمْ بِذَلِكَ قُلْتُ: نَعَم. قَالَ: يَا مَعْشَرَ بني كعب بن لؤيّ، فانْتَقَضَتْ إِلَيْهِ الْمَجَالِسُ فَقَالَ: حَدِّثْ قَوْمَكَ بِمَا حَدَّثْتَنِي. فَحَدَّثَهُمْ فَمِنْ بَيْنِ مُصَفِّقٍ ومِنْ بَيْنِ وَاضِعٍ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ**))[3] تَعَجُّبًا.

وَسَعَى رِجَالٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالُوا: هَلُمَّ إِلَى صَاحِبِكَ زَعَمَ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلى بَيْتِ الْمَقْدِسِ قَالَ: وقَدْ قَالَ ذَلِكَ؟ قالُوا: نَعَمْ. وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاق قَالَ: إِنَّكُمْ لتَكْذِبُونَ عَلَيْهِ، قَالُوا: بَلْ هَا هُوَ ذَاكَ فِي الْمَسْجِدِ يُحَدِّثُ النَّاسَ بِهِ، قَالَ: لَئِنْ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ. قالُوا: أَتُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أنْ يُصْبِحَ؟ قالَ: نَعَمْ فَإِنِّي أُصَدِّقُهُ فِي خَبَرِ السَّمَاءِ فِي غدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ فَلِذَلِكَ سُمِّيَ الصِّدِّيقُ[4]. رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي "الْمُسْتَدَرَكِ" مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ.

وابْن إِسْحَاق مِنْ حَدِيثِ الْبَصْرِيّ مُرْسَلًا وزَادَ: ((ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى انْتَهى إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَحَدَّثْتَ هَؤُلَاءِ أَنَّكَ جِئْتَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُ لِي فَإِنِّي قَدْ جِئْتُهُ. قَالَ الحسن البصري: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَرُفِعَ لِي الْمَسْجِدُ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ فَجَعَل رسولُ اللهِ ﷺ يصِفُهُ لِأَبِي بَكْرٍ فيَقُولُ أَبُوبَكْرٍ صَدَقْتَ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ. كُلَّمَا وَصَفَ مِنْه

(1) معجم أبِي يعلَى، حدِيث (10).

(2) سورة الإسراء: 60.

(3) ينظر: مسند البزار، حدِيث (5305)، ومسند أحمد حدِيث (2819).

(4) المستدرك، الحاكِم، حدِيث (4407).

شَيْئًا قَالَ: صَدَقْتَ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، حَتَّى انْتَهَى قَالَ ﷺ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَنْتَ الصِّدِّيقُ)) فَسَمَّاهُ يَوْمَئِذٍ الصِّدِّيقَ وأَنْزَلَ اللهُ ﷻ [243ظ]﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ﴾[1][2]. وإِنَّمَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ صِفْهُ لِي لِيَصِفَهُ ويَظْهَرَ صِدْقُهُ عِنْدَ مَنْ كَذَّبَهُ وَإِلَّا فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِمَا قَالَ مُنْذُ أَخْبَرُوهُ بِهِ.

ورَوَى الْبُخَارِي ومُسْلِم عَنْ جَابِر أَنَّهُ سَمِعَ رسولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ((**لَمَّا كَذَّبَنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الْحِجْرِ فَجَلا اللهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آياتِهِ وأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ**))[3] أَيْ: كُشِفَ الْحُجُبُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَسْجِدِ حَتَّى رَأَيْتُ.

وفِي رِوَايَةِ مُسْلِم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رسُولِ اللهِ ﷺ: ((**لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي أَشْيَاء مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَلَمْ أُثْبِتْهَا فَكُرِبْتُ كَرْبًا شَدِيدًا لَمْ أَكْرَبْ مِثْلَهُ قَطُّ. فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مَا يَسْأَلُونَنِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ**))[4] فيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ حُمِلَ إِلَى أَنْ وُضِعَ حَيْثُ يَرَاهُ ثُمَّ أُعِيدَ.

فَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ أَحْمَدَ والبَزَّارِ: ((**فَجِيءَ بِالْمَسْجِدِ وأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ وُضِعَ عِنْدَ دَارِ عقيل فنَعَتُّه وأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ**))[5] ومَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ وهَذَا أَبْلَغُ فِي الْمُعْجِزَةِ مِنْ كَشْفِهِ لَهُ عَن الْمَسْجِدِ وهُوَ مَكَانَهُ وكِلَاهُمَا مُحْتَملٌ، ويَحْتَمِلُ أَنْ يُصَوَّرَ لَهُ وَلَكِن لَفْظ الْحَدِيثِ يَتَبَادَرُ مِنْهُ الْأَوَّلُ فَيَكُونُ قَدْ كَفَّ اللهُ النَّاسَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَيْهِ أَوْ يكُونُوا فِيهِ أَوْ ر[أَ]وْا إِلَيْهِ فَلَمْ يَرَوْهُ وَلَمْ يَذْكُرُوا ذَلِكَ أَوْ لَمْ يُؤَرِّخُوهُ أَوْ خَلَفَ اللهُ مِثْلَهُ لَهُمْ وإِحْضَارُهُ نَفْسهُ كَإِحْضَارِ عَرْشِ بلْقيس وهُوَ أَعْظَمُ مِنْ عَرْشِهَا.

وفِي حَدِيثِ أُمِّ هَانِئ عِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ: ((**فَخُيِّلَ إِلَيَّ بَيْتُ الْمَقْدِسِ وطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ**))[6] فإِنْ ثَبَتَ لَفْظُ "خُيِّلَ" ولَمْ يَأْتِ تَصْحِيفًا مِنْ "جُلِّيَ" احْتَمَلَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مُثِّلَ قَرِيبًا مِنْهُ كَمَا رَأَى الْجَنَّةَ والنَّارَ فِي عَرْضِ حائِطٍ، فَيُؤَوَّلُ قَوْلُ ابْنِ عبَّاس: جِيءَ بِالْمَسْجِدِ بمَعْنَى جِيءَ بِمِثَالِهِ، ويُؤَيِّدُ

---

(1) سورة الإسراء: 60.

(2) سيرة ابن هشام، 399/1.

(3) صحيح البخارِي، حدِيث (3886)، وصحيح مسلم، حدِيث (276).

(4) صحيح مسلم، حدِيث (278).

(5) مسند أحمد، حدِيث (2819)، ومسند البزَّار، حدِيث (5305).

(6) الطبقات الكبِير، ابنُ سعد، 183/1.

تَفْسِيرُ "جُلِّيَ" بِـ "كشف" حَدِيثُ شَدَّاد بنِ أَوْس عِنْدَ الْبَزَّارِ والطَّبَرَانِي: ((**ثُمَّ أَتَيْتُ أَصْحَابِي قَبْلَ الصُّبْحِ بِمَكَّةَ فأَتَانِي أَبُوبَكْرٍ فَقَالَ: أَيْنَ كُنْتَ اللَّيْلَةَ؟ قُلتُ: إِنِّي أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ. فَقَالَ: إِنَّهُ مَسِيرَةُ شَهْرٍ فَصِفْهُ لِي ففتحَ لِي كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُ عَنْهُ**))[1].

وفِي حَدِيثِ أُمِّ هَانِئ الْمَذْكُورِ أَنَّهُمْ ((**قَالُوا: كَمْ لِلْمَسْجِدِ مِنْ بَابٍ؟ قَالَ: وَلَمْ أَكُنْ عَدَدْتُهَا فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ وأَعُدُّهَا بَابًا بَابًا**))[2].

وعِنْدَ أَبِي يَعْلَى مِنْ حَدِيثِ أُمَّ هَانِئ الذِي سأَلَهُ ﷺ عَنْ صِفَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ هُو المطْعم بن عَديّ وَالِدُ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِم[3] ولَا مُنَافَاةَ فَأَبُو بَكْرٍ سَأَلَهُ لِيظْهرَ صِدْقهُ لِمَنْ كَذَّبَهُ والْمُطْعِمُ سَأَلَهُ امْتِحَانًا وطَلَبًا لِلْإِفْحَامِ. ولَمْ يَخَفْ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَسْأَلَهُ فيَعْجِزَ لِغَفْلَتِهِ عَنْهَا فيفحم لِعِلْمِهِ أَنَّ اللهَ يُطْلِعُهُ عَلَيْهَا.

ورُوِيَ أَنَّ الْكُفَّارَ قَالُوا: يَا مُحَمَّد صِفْ لَنَا بَيْتَ الْمَقْدِسِ كَيْفَ بِنَاءُهُ وكَيْفَ هَيْئَتُهُ وَكَيْفَ قُرْبُهُ مِنَ الْجَبَلِ؟ فَذَهَبَ يَنْعَتُ [244و] لَهُمْ بِنَاءُهُ كذا وهَيْئَتُه كَذَا وقُرْبُهُ مِن الْجَبَلِ كَذَا فَقَالَ الْقَوْمُ: أَمَّا النَّعْتُ فَأَصَابَ واللهِ. ولَا يُنَافِي مَا مَرَّ لِاحْتِمَالِ أَنَّ الْمُطْعِمَ هُوَ الذِي ابْتَدَأَ سُؤَالَهُ مِن الْمُشْرِكِينَ، كَمَا أَنَّهُ الذِي تَوَلَّى كِبْرَ التَّكْذِيبِ يَوْمَئِذٍ.

روَى أَبُو يَعْلَى وغَيْرُهُ عَنْ أُمِّ هَانِئ: ((أَنَّهُ ﷺ لمَّا أَخْبَرَهُمْ بِالإِسْرَاءِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ضَجُّوا وأَعْظَمُوا ذَلِكَ فَقَالَ الْمُطْعِمُ: كُلُّ أَمْرِكَ قَبْلَ الْيَوْمِ قَدْ كَانَ أمما غير قولِك[4] اليَوْمَ، أَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ كَاذِبٌ، نَحْنُ نَضْرِبُ أَكْبَادَ الإِبِلِ مصْعدًا شَهْرًا ومُنْحدرًا شَهْرًا، تَزْعُمُ إِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَهُ فِي لَيْلَةٍ واللَّاتِ والعُزَّى لَا أُصَدِّقُكَ، فقَالَ أَبُوبَكْرٍ: يَا مُطْعِمْ بِئْسَ مَا قُلْتَ لابْنِ أَخِيكَ جبهته وكذَّبْتَهُ أَنَا أَشْهَدُ أَنَّهُ صَادِقٌ))[5].

(1) مسنَد البزَّار، حدِيث (2945)، والمعجم الكبِير، الطّبرانِي، حدِيث (7142).
(2) الطبقات الكبِير، ابنُ سعد، 183/1.
(3) معجم أبِي يعلى، حدِيث (10).
(4) في الأصلِ: قومك.
(5) معجم أبِي يعلى، حدِيث (10).

قالَ ابْنُ جَمْرَةَ: حِكْمَةُ إِسْرَاءِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَنْ يَجِدَ عَلَيْهِمْ حُجَّةً إِذَا كَذَّبُوهُ فِي الإِسْرَاءِ إِلَى السَّمَاوَاتِ بِأَنْ يَنْعَتَ لَهُمْ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَيَتَوَصَّلَ لَهُمْ بِمَا يَظْهَرُ لَهُمْ إِلَى مَا خَفِيَ[1]. واللهُ أَعْلَمُ ولَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

ورُوِيَ أَنَّهُ رَأَى فِي طَرِيقِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ نَهْرًا مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ يَسْبَحُ كلَّمَا قَرُبَ إِلَى الْبَرِّ أُلْقِمَ حَجَرًا فَرَجَعَ ورَأَى شَجَرَةً عَلَى جَانِبِ طَرِيقٍ تُمَزِّقُ ثَوْبَ كُلِّ مَنْ مَرَّ عَلَيْهَا.

قَالَ الشَّيْخُ حسين بن محمّد[2] عَن "الاسْتِيعَاب" و"سِيرَةِ مغلطاي": الإِسْرَاءُ بَعْدَ سَنَةٍ ونِصفٍ مِنْ حِينِ رُجُوعِهِ مِنَ الطَّائِفِ[3] قَالَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ، وقَالَ ابن شهاب عَن ابن الْمسيّب: قَبْلَ خُرُوجِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ بِسَنَةٍ[4]. وآمَنَ بِإِسرائِهِ الصِّدِّيقُ وكُلُّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ ورَسُولِهِ بَل ارْتَدَّ بَعْضٌ كَمَا مَرَّ.

وفِي "سيرة مغلطاي": الإِسْرَاءُ والْمِعْرَاجُ فِي لَيْلَةٍ واحِدَةٍ أَمْ لَا، وَهَلْ كانَا أَوْ أَحَدُهُمَا يَقَظَةً أَوْ مَنَامًا؟ وهَلْ كَانَ الْمِعْرَاجُ مَرَّةً أَوْ مَرَّاتٍ؟ والصَّحِيحُ أَنَّ الْإِسْرَاءَ كَانَ فِي الْيَقَظَةِ بجَسَدِهِ وَأَنَّهُ مَرَّاتٍ[5].

وَذَكَرَ القَاضِي عِيَاض عَن الزُّهْرِيّ أَنَّه كانَ بَعْدَ الْبِعْثَةِ بِخَمْسِ سِنِين، ورَجَّحَهُ الْقُرْطُبِيّ والنَّوَوِيّ، وقَالَ ابْنُ حَزْم: قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِسَنَةٍ إِجْمَاعًا، ورَوَاهُ ابْنُ الْأَثِيرِ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ وأَنَس، وحَكَاهُ الْبَغَوِيّ عنْ مُقَاتِل، وقَالَ السّدِّي: قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِسَنَةٍ وخَمْسَةِ أَشْهُرٍ، وكَذَا قَالَ السَّدِّي والطَّبَرِي والْبَيْهَقِي، وعَلَيْهِ فَهُوَ فِي شَوَّال، وَفِي "أُسْدِ الْغَابَةِ" عَن السّدِّي قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِستَّةِ أَشْهُرٍ، وَقِيلَ بِسَنَةٍ وثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ فَهُوَ فِي ذِي الْحِجَّةِ وبِهِ جَزَمَ ابن فارِس، وذَكَرَ ابنُ الْأَثِيرِ أَنَّ شَهْرَ الْإِسْرَاءِ رَبِيعُ الْأَوَّل، وكَذَا قَالَ النَّوَوِيّ فِي "شَرْحِ مُسْلِم"، وقَالَ النَّوَوِيّ فِي "فَتَاوِيهِ" والْحَرْبِي: رَبِيعُ الأَخِيرُ، وقِيلَ رَجَب حَكَاهُ أَبُو عمر [244ظ] ابن عبْد البرّ وابْنُ قُتَيْبَةَ والنَّوَوِي في "الرَّوْضَةِ" رَجَب، وَعَن الْوَاقِدِي رَمَضَانُ وَعَن السَّدِّي والْماوردي شَوَّال. وكَانَ الإِسْرَاءُ لَيْلَةَ سَبْعٍ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ عِنْدَ ابْنِ الْأَثِيرِ وعَن الحربي فِي لَيْلَةِ ثَلاثَ عَشْرَةَ مِنْ رَبِيعِ الأَخِيرِ، وقِيلَ لَيْلَةَ سَبْعٍ وعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ الْأَخِيرِ، وعَن الْوَاقِدِي فِي سَابِعَةَ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ، وكَانَ

(1) ينظر: فتح الباري، ابن حجر، 201/7.

(2) حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري، القاضي المالكي، ت: 966هـ. سبق تعريفه.

(3) الاستيعاب، ابن عبد البر، 40/1.

(4) تاريخ الخميس، الديار بكري، 307/1.

(5) (م، س)، 307/1.

فِي لَيْلَةِ الجُمُعَةِ، وقِيلَ: لَيْلَةَ السَّبْتِ، وقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: وتَرَجَّى ابْن دِحْيَة أَنَّهُ لَيْلَةَ الاثْنَيْنِ، لِيُوَافِقَ الْمَوْلِدَ والْمَبْعَثَ والْمِعْرَاجَ والْهِجْرَةَ والْمَوْتَ. وفِي "سِيرَةِ الْيَعْمُرِي"(1) لَمَّا بَلَغَ إِحْدَى وخَمْسِينَ سَنَةً وسِتَّةَ أَشْهُرٍ أُسْرِيَ بِهِ، مِنْ بَيْنِ زَمْزَمَ والْمَقَامِ، وَإِنَّمَا كانَ لَيْلًا لِتظْهَرَ الْخُصُوصِيَّةُ، جَلِيسُ الْمَلِكِ لَيْلًا وَجَلِيسُهُ [نهارًا](2). ثُمَّ إِنَّهُ قيلَ أُسْرِيَ بِه مِنْ بَيْتِهِ، وقيلَ: مِنْ بَيْتِ أُمِّ هَانِئ لِمَا رُوِي أَنَّهُ كَانَ نَائِمًا في بَيْتِ أُمِّ هَانِئ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ فأُسْرِيَ بِهِ، وبَيْتُهَا بَيْنَ الصَّفَا والْمروة ومَنْ قَالَ هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ، قَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَام فِي الآيَةِ كُلّه، وعَن ابْنِ عَبَّاس الْحَرَمُ كُلُّهُ مَسْجِدٌ(3).

وتَقَدَّمَ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْحِجْرِ الحطيم، ويُجْمَعُ بَيْنَ مَا تَخَالَفَ مِنْ ذَلِكَ بِتَعدُّدِ الإِسْرَاءِ، ومِمَّنْ قالَ الإِسْرَاءُ بِالرُّوحِ مُعاوِيَة، ورُوِيَ عَن الْحَسَنِ(4)، وَالْمَشْهُورُ عِنْدَ الْجُمهُورِ أَنَّهُ فِي اليَقَظَة. واحْتَجَّ مَنْ قالَ بِأَنَّ الإِسْرَاءَ في النَّوْمِ بِقَوْلِه تعَالَى: "ومَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا" الخ وَقَوْلِ أَنَس أَنَّهُ نَامَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وذَكَرَ القِصَّةَ وفِي آخرِهَا: اسْتَيْقَظْتُ وَأَنَا بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.

ومِمَّنْ قَالَ إِنَّه فِي الْيَقَظَةِ: ابْنُ عَبَّاسٍ وجَابِر وأَنَس وحُذَيْفَة وعُمَر وأَبُو هُرَيْرَةَ ومَالِكُ بنُ صَعْصَعَةَ وأبو حبة(5) وابْنُ مسْعُود والضَّحَّاكُ وسَعِيدُ بنُ جُبَير وقَتَادَة وابن الْمسيّب وابن شهاب وابْنُ زَيْد والْحَسَنُ فِي الْمَشْهُورِ، وإِبْرَاهِيمُ ومَسْرُوق ومُجَاهِد وعِكْرِمَةُ وابْنُ جُرَيْج والطَّبَرِي وأَحْمَدُ.

وعَن الْحَسَنِ: بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ فِي الْحِجْرِ جَاءَنِي جبْرِيلُ فهَمَزَنِي بعَقِبِهِ فقُمْتُ وجَلَسْتُ ولَمْ أَرَ شَيْئًا فَعُدْتُ لِمَضْجَعِي ذَكَر ذَلِك ثَلاثًا، وَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ فأَخَذَ بِعَضُدي يَجُرُّنِي إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَإِذَا بِدَابَّةٍ وَذَكَر الْبُرَاقَ(6).

---

(1) اليعمري: محمد بن محمد بن محمد، أبو الفتح المعروف بابنِ سَيِّدِ النَّاسِ، الشَّافعِي، محدِّثٌ حافِظ، مؤرِّخٌ، أخذ الحدِيث على والده وابنِ دقيق العِيدِ، قرأ النَّحوَ على ابن النَّحَّاسِ، من تصانِيفهِ: عيون الأثَرِ في فُنونِ المغازِي والشَّمائِلِ والسِّيَرِ، ت:734هـ. معجم المؤلِّفِين، رضا كحالة، 674/3.

(2) إضافة من تاريخ الخمِيس لتتمة المعنَى.

(3) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 307/1.

(4) الحسن البصرِي، من نقل قول عائشة ومعاوية والحسن البصرِي هو ابن إسحاق. ينظر: سيرة ابن هشام، 399/1 والبداية والنهاية، 282/4.

(5) أَبُو حبّة الأَنْصَارِيّ البدري. قيل: اسمه عامر. الاستيعاب، 1628/4.

(6) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 308/1، والشفا، القاضِي عياض، ص232. وسيرة ابن هشام، 397/1.

وعن أُمِّ هَانِئ: ((مَا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا وهُوَ فِي بَيْتِي تِلْكَ اللَّيْلَةَ، صَلَّى الْعِشَاءَ الأَخِيرَةَ ونَامَ وَلمَّا كَانَ قُبَيْل الْفَجْرِ أَهَبَّنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فلَمَّا صَلَّى الصُّبحَ وصَلَّيْنَاهُ قَالَ يَا أُمَّ هانِئ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَكُم الْعِشَاءَ الْأَخِيرَةَ كَمَا رَأَيْتِ بِهَذَا الْوَادِي ثُمَّ جِئْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وصَلَّيْتُ فِيه ثُمَّ صَلَّيْتُ الْغَدَاةَ مَعَكُمْ الآنَ كَمَا تَرَوْنَ)) وَهَذَا بَيِّنٌ فِي أَنَّهُ بِجِسْمِهِ ﷺ[1].

وعَنْ أَبِي بَكْرٍ مِنْ رِوَايَةِ شَدَّاد بنِ أَوْس: ((قَالَ لِلنَّبِيءِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ: طلَبْتُكَ يَا رَسُولَ اللهِ الْبَارِحَةَ فِي مَكَانِكَ فَلَمْ أَجِدْكَ، فَأَجَابَهُ أَنَّ جِبْرِيلَ حَمَلَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى))[2].

وعن عُمَر قَالَ رَسُولُ اللهِ [245و] ﷺ: ((**صَلَّيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مُقَدَّمَ الْمَسْجِدِ ثُمَّ دَخَلْتُ الصَّخْرَةَ فَإِذَا بِمَلَكٍ قَائِمٍ مَعَهُ ثَلاثُ آنِيَةٍ**)) وَذَكَرَ الْحَدِيثَ[3].

وشُقَّ صَدْرُهُ عِنْدَ الْإِسْرَاءِ فِي الحطيم فِي رِوَايَةٍ وذَكَرَ بَعْضٌ أَنَّهُ شُرِحَ صَدْرُهُ فِي صِغَرِهِ وغُسِلَ لِيَكُونَ قَلْبُهُ كقُلُوبِ الأَنْبِيَاءِ فِي الانْشِرَاحِ، وَفِي الإِسْرَاءِ لِيَكُونَ قَلْبُهُ كقُلُوبِ الْمَلَائِكَةِ وقِيلَ: فِي صِبَاهُ لاسْتِخْرَاجِ الْهَوَى وفِي الإِسْرَاءِ لاسْتِدْخَالِ الْإِيمَانِ فِيهِ[4].

قِيلَ: كانَ الْبُرَاقُ دُونَ الْفَرَسِ إِظْهَارًا لِلْمُعْجِزَةِ فِي سُرْعَتِهِ، كَمَا قِيلَ: سُمِّيَ بُرَاقًا لِأَنَّهُ يُسْرِعُ كَالْبَرْقِ.

وكَانَ الْبُرَاقُ مُضْطَرِبَ الأُذُنَيْنِ ووَجْهُهَا كَوَجْهِ الإِنْسَانِ وجَسَدُهَا كَجَسَدِ الْفَرَسِ ناصِيَتُهَا مِنْ يَاقُوتٍ أَحْمَر عيْنَاهَا كَالزَّهْرَةِ أُذُنَاهَا مِنْ زُمُرُّدٍ أَخْضَر وقِيلَ: أُذُنَاهَا كَأُذُنِ الْفِيلِ وعُنُقُهَا كَعُنُقِ الْبَعِيرِ وصَدْرُهَا كَصَدْرِ الْبَغْلِ وفِي رِوَايَةٍ صَدْرُهَا كَأَنَّهُ مِنْ يَاقُوتٍ أَحْمَر، وظَهْرُهَا كَأَنَّهُ صُفْرَةُ الْبَيْضَةِ، يَبْرُقُ مِنْ صَفَاءِهَا لَهَا جَنَاحَانِ كَجَنَاحِ النّسْرِ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ لَوْنٍ نِصْفُهَا الْأَوَّلُ مِنْ كَافُورٍ والآخَرُ مِنْ مِسْكٍ وقَوَائِمُهَا كَقَوَائِمِ الثَّوْرِ، وفِي رِوَايَةٍ كَقَوَائِمِ الْفَرَسِ، وفِي رِوَايَةٍ كَقَوَائِمِ الْبَعِيرِ وحَوَافِرُهَا كَحَوَافِرِ الثَّوْرِ، وفِي رِوَايَةٍ أَظْلَافُهَا كَظِلْفِ الْبَقَرِ، وذَنَبُهَا كَذَنَبِ الْبَقَرِ، وَفِي رِوَايَةٍ كذَنَبِ الْبَعِيرِ، وفِي رِوَايَةٍ كَذَنَبِ الْغَزَالِ.

---

(1) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 308/1، الشفا، القاضِي عياض، ص232. وسيرة ابن هشام، 402/1.

(2) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 308/1، الشفا، القاضِي عياض، ص232. ورد بمعناه: مسند البزار، حدِيث (53).

(3) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 309/1، والشفا، القاضِي عياض، ص232.

(4) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 309/1.

لا ذَكَرٌ ولَا أُنْثَى عَدْوُهَا كَالرِّيحِ وخَطْوُهَا كَالبَرْقِ لِجَامُهَا وسِرْجُهَا مِنْ دُرٍّ، مَضْرُوبٌ عَلَى سِرْجِهَا حجلَةٌ مِنْ نُورٍ، كَأَنَّهَا يَاقُوتٌ أحْمَر، وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَيْهَا سِرْجٌ مِنْ سُرُوجِ الْجَنَّةِ، عَلَى فَخِذَيْهَا رِيشَتَانِ يَسْتُرَانِ سَاقَيْهَا[1].

وفِي "زُبْدَةِ الأَعْمَالِ"[2]: لَهَا جَنَاحَانِ فِي فَخِذَيْهَا، وهُوَ بُرَاقٌ وَاحِدٌ يَرْكَبُهُ جِبْرِيلُ ويَرْكَبُهُ الأَنْبِيَاءُ[3].

وكَانَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام يزُورُ وَلَدَهُ إسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ، وأَنَّهُ رَكِبَ عَلَيْهِ هُوَ وإِسْمَاعِيلُ وهَاجَرُ حِينَ أَتَى بِهِمَا إِلَى مَكَّةَ، ولَكِنْ لَمْ تتَّصِفْ بِوَضْعِ حَافِرِهَا عِنْدَ مُنْتَهَى بَصَرِهَا إِلَّا حِينَ رَكِبَهَا رسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَيْسَتْ مِنْ دَوَابِّ الدَّوَابِ، فَلَا يَحْرُمُ رُكُوبُ ثَلَاثَةٍ عَلَيْهَا بِمَرَّةٍ وَلَا يَجِدُ رِيحَهَا شَيْءٌ إِلَّا حَيِيَ[4].

وفِي رِوَايَةٍ: أَتَاهُ جِبْرِيلُ وَمَعَهُ خَمْسُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَهُمْ زَجَلٌ بِالتَّسْبِيحِ، ورَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِ أُمِّ هَانِئ ومَعَهُ ميكائِيل فَقَالَ: قُمْ يَا مُحَمَّدُ فَإِنَّ الْجَبَّارَ يَدْعُوكَ وأَخَذَ جِبْرِيلُ بِيَدِهِ وأَخَذَهُ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَإِذا هُوَ وَاقِفٌ بَيْنَ الصَّفَا والمروة فقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: ارْكَبْ يَا مُحَمَّد هَذِهِ بُرَاقُ إِبْرَاهِيمَ التِي كانَ يَجِيءُ عَلَيْهَا إِلَى طَوَافِ الْكَعْبَةِ فأَخَذَ جِبْرِيلُ رِكَابَهَا ومِيكَائِيلُ عِنَانَهَا. وَفِي رِوَايَةٍ: رَبَطَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام بالْحَلَقَةِ التِي تَرْبِطُهَا الْأَنْبِيَاءُ، وصَلَّى بِهِمْ رسُولُ اللهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ فانْطَلَقَ إِلَى الصَّخْرَةِ فصَعِدَ عَلَيْهَا فإِذَا مِعْرَاجٌ إِلَى السَّمَاءِ لَمْ يَرَ مِثْلَهُ حُسْنًا أَحَدُ طَرَفَيْهِ عَلَى صَخْرَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَعْلَاهُ ملْصَقٌ بِالسَّمَاءِ إِحْدَى جَنْبَتَيْهِ يَاقُوتَةٌ حمْرَاءُ والْأُخْرَى زبرْجدَةٌ خَضْرَاء، دَرَجَةٌ [245 ظ] مِنْ فِضَّةٍ ودَرَجَةٌ مِنْ ذَهَبٍ ودَرَجَةٌ مِنْ زُمُرُّدٍ مُكَلَّل بِالدُّرِّ واليَوَاقِيتِ[5].

ورُوِيَ أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى الْأَقْصَى، وإِلَى الْعَرْشِ عَلَى الْبُرَاقِ ورَجَعَ علَيْهَا حَتَّى وَصَلَ بَيْتَهُ. وقيلَ: احْتَمَلَهُ جِبْرِيلُ فِي جَنَاحِهِ ثُمَّ ارْتَفَعَ بِهِ عَلَى الْمِعْرَاجِ قِيلَ: يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا سبْعِينَ عَامًا لا يَقْطَعُهَا.

(1) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 309/1.

(2) زبدة الأعمال، وخلاصة الأفعال، سعد الدين: محمد بن عمر بن محمد بن على الأسفرائني. قال: اختصرتها من تاريخ مكة لأبي الوليد الأزرقي. كشف الظنون، 950/2.

(3) أخبار مكة، 54/1، وتاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 309/1.

(4) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 309/1.

(5) (م، س)، 309/1-310.

قِيلَ: سُمِّيَتْ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى لِأَنَّهَا فِي مُنْتَهَى الْجَنَّةِ وقيلَ لِأَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ تَنْتَهِي إِلَيْهَا. وَرَدَ فِي الإِسْرَاءِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاء: أَحَدُهَا الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وخَوَاتِمُ سورَةِ الْبَقَرَةِ والْمَغْفِرَةُ لأُمَّتِهِ ﷺ[1].

وأَوْحَى إِلَيْهِ اللهُ فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى يَا مُحَمَّد؟ قَالَ: فِي الكَفَّارَاتِ والدَّرَجَاتِ قالَ: وَمَا الْكَفَّارَاتُ؟ قُلْتُ: الْمَشْيُ عَلَى الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ، والجُلُوسُ فِي الْمَسَاجِدِ خَلْفَ الصَّلَوَاتِ، وإِبْلَاغُ الْوُضُوءِ وأَمَاكِنه فِي الْمكارِهِ، ومَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَعِشْ بِخَيْرٍ ويَخْرُجْ مِنْ خَطِيئَتِهِ كيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ[2].

ثُمَّ قِيلَ لَهُ: إِذَا صَلَّيْتَ الصَّلَاةَ فَقُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الطَّيِّبَاتِ وتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ وفِعْلَ الْخَيْرَاتِ وحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وأَنْ تَغْفِرَ لِي وتَرْحَمَنِي وتَتُوبَ عَلَيَّ، وإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ أَوْ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَتَوَفَّنِي، أَو فَاقْبِضْنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ. ثُمَّ أَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ ومَا الدَّرَجَاتُ يَا مُحَمَّد؟ قُلْت إِفْشَاءُ السَّلامِ وإِطْعَامُ الطَّعَامِ والصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ والنَّاسُ نِيَامٌ. وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ أَنَّ النَّبِيءَ ﷺ لمَّا فَازَ بالقُرْبِ والْكَرَامَةِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ قِيلَ: يَا مُحَمَّد أَنَا وأَنْتَ ومَا سِوَى ذَلِكَ خلَقْتُهُ لأَجْلِكَ فَقَالَ النَّبِيءُ ﷺ: أَنَا وأَنْتَ ومَا سِوَى ذَلِكَ تَرَكْتُهُ لِأَجْلِكَ. وقِيلَ: أَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ كُنْ آيِسًا مِنَ الْخَلْقِ فَلَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ، واجْعَلْ صُحْبَتَكَ مَعِي فَإِنَّ مَرْجِعَكَ إِلَيَّ، ولَا تَجْعَلْ قَلْبَكَ مُتَعَلِّقًا بِالدُّنْيَا فَمَا خَلَقْتُكَ لَهَا[3].

وسمِعَ النِّدَاءَ فَوْقَ السَّماوَاتِ: حَيِّ رَبَّكَ فأَلْهَمَهُ اللهُ: التَّحِيَّاتُ والصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ. فَسَمِعَ النَّدَاءَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيءُ وَرَحْمَةُ اللهِ وبَرَكَاتُهُ، فقَالَ النَّبِيءُ ﷺ: السَّلَامُ عَلَيْنَا وعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، فَقَالَت الْمَلَائِكَةُ: أَشْهَدُ أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ[4].

وفِي "الشِّفَاءِ": لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ إِذا عَلَى الْعَرْشِ مكْتُوبٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ أَيَّدْتُهُ بِعَلِيٍّ[5].

---

(1) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 310/1.

(2) (م، س)، 311/1-312. ينظر: تاريخ دمشق، 98/87.

(3) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 313/1.

(4) (م، س)، 313/1.

(5) (م، س)، 313/1، والشفا، القاضِي عياض، ص222.

قَالَ عمَر بنُ الخَطَّابِ ﷺ: عَن النَّبِيءِ ﷺ: ((**ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى خَدِيجَةَ وَمَا تَحَوَّلَتْ عَنْ جَانِبِهَا**))[1].

وَفِي رِوَايَةٍ: عَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَمَعَهُ جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ إِلَى فِرَاشِهِ وبَقِيَتْ مِنَ اللَّيْلِ سَاعَات. وعَنْ عَمَّار: كَانَ زَمَانُ ذَهَابِهِ ورُجُوعِهِ ثَلَاث سَاعَاتٍ وَعَنْ وَهْبِ بنِ مُنَبِّه وابْنِ إِسْحَاق أَرْبَع سَاعَاتٍ[2].

[246و] وَإِنَّما أَنْكَرَ الْكَفَرَةُ الإِسْرَاءَ لِبُعْدِ الْمَسَافَةِ عَلَى الْمُعْتَادِ؛ وذَلِكَ مدْفُوعٌ لِمَا ثَبَتَ فِي الْهَنْدَسَةِ أَنَّ مَا بَيْنَ طَرَفَيْ قُرْصِ الشَّمْسِ، كَمَا مَرَّ، ضِعْفُ مَا بَيْنَ طَرَفَيْ كُرَةِ الْأَرْضِ مِئَةً ونَيِّفًا وسِتِّينَ مَرَّةً. ثُمَّ إِنَّ طَرَفَهَا الْأَسْفَلَ يَصِلُ مَوْضِعَ طَرَفِهَا الأَعْلَى فِي أَقَلَّ مِنْ ثانِيَةٍ، والأَجْسَامُ مُتَسَاوِيَةٌ فِي فُصُولِ الأَعْرَاضِ. فَاللهُ قَادِرٌ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَ هَذِهِ الْحَرَكَةِ السَّرِيعَةِ فِي بدَنِ النَّبِيءِ ﷺ أو فِيمَا يَحْمِلُهُ. والتَّعَجُّبُ مِنْ لَوَازِمِ الْمُعْجِزَاتِ، واللهُ قَادِرٌ أَيْضًا أَنْ يُوقِعَ فِي الزَّمَانِ القَلِيلِ أُمُورًا لَا تَحْصُلُ إِلَّا فِي الزَّمَانِ الطَّوِيلِ. وَأَيْضًا قَالَ أهل الْهيئة إِنَّ الْفَلَكَ الْأَعْظَمَ فِي مَقْدَارِ زَمَانٍ يَتَلَفَّظُ الإِنْسَانُ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ يَقْطَعُ أَلْفًا وَثَلَاثِينَ فَرْسَخًا[3].

ورُوِيَ أَنَّهُ ﷺ لَمَّا رَجَعَ مِنَ الإِسْرَاءِ وكَانَ بذي طُوى وقَالَ: يَا جِبْرِيلُ إِنَّ قَوْمِي لَا يُصَدِّقُونَنِي، قَالَ [يُصَدِّقُكَ][4] أَبُوبَكْرٍ وَهُوَ الصِّدِّيقُ. وعَن ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيءَ ﷺ لمَّا أَصْبَحَ جَلَسَ فِي الْحِجْرِ معْتَزِلًا حَزِنًا؛ لِعِلْمِهِ بِأَنَّ قَوْمَهُ يكَذِّبُونَهُ. فبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ مَرَّ أَبُو جَهْلٍ فجَلَسَ إِلَيْهِ، فقَالَ لَهُ كَالْمُسْتَهْزِئِ: يَا مُحَمَّدُ هَل اسْتَفَدْتَ مِنْ شَيْءٍ جَدِيدٍ؟ قالَ: نَعَمْ سَافَرْتُ البَارِحَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَمِنْهُ إِلَى السَّمَاوَاتِ. قَالَ أَبُوجَهْلٍ: سَافَرْتَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وأَصْبَحْتَ بَيْن أَظْهُرِنَا ِبمكَّةَ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: أَتُحَدِّثُ قَوْمَكَ؟ قَالَ: نعَمْ فَنَادَى يَا مَعْشَرَ بني كعْب بنِ لُؤَيّ، فانْقَضَّتِ الْمَجَالِسُ وجَاؤُوا فَجَلَسُوا إِلَيْهِمَا قَالَ: حَدِّثْ قَوْمَكَ بِمَا حَدَّثْتَنِي فَقَالَ: سَافَرْتُ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ. قَالُوا: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ. فَمِنْهُمْ مَنْ يُصَفِّق، ومِنْهُمْ مَنْ

(1) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 313/1، والشفا، القاضِي عياض، ص233.

(2) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 313/1، والشفا، القاضِي عياض، ص233.

(3) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 315/1، وفيه: ألفا واثنين وثلاثِينَ.

(4) إضافة من تاريخ الخمِيس لتتمة المعنَى.

يَضْحَك، ومِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ تَعَجُّبًا. ولَا مُحَالَ فِي ذَلِكَ فَقَدْ أَحْضَرَ عَرْشَ بلْقِيسَ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ. قَالُوا: أَخْبِرْنا عَنْ صِفَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ. فَأَخْبَرَهُمْ كَمَا مَرَّ، فَقَالُوا: أَخْبِرْنَا عَنْ عِيرِنَا فَهِيَ أَهَمُّ إِلَيْنَا هَلْ لَقيتَ شَيْئًا مِنْهَا؟ قَالَ: مَرَرْتُ عَلَى عِيرِ بَنِي فُلَانٍ وهِيَ بِالرَّوْحَاءِ وقَدْ أَضَلُّوا بَعِيرًا لَهُمْ، وهُمْ فِي طَلَبِهِ وفِي رِحَالِهِمْ قَدْحٌ مِنْ مَاءٍ فَعَطِشْتُ فَأَخَذْتُه وشَرِبْتُهُ، ثَمَّ وضَعْتُهُ، فسلُوهُمْ هَلْ وَجَدُوا الْمَاءَ فِي الْقِدْحِ إِذَا رَجَعُوا. قَالُوا: هَذِهِ آيَةٌ. قَالَ: ومَرَرْتُ بِعِيرِ بَنِي فُلَان، وفُلَانٌ وفُلَانٌ راكِبَانِ قَلُوصًا[1] لَهُمْ، وَفِي رِوَايَةٍ: "قَعودًا[2] لَهُمَا" بذي مر، فَنَفَرَ الْبَعِيرُ مِنّي فَرَمَى فُلَانٌ فَانْكَسرَتْ يدُهُ. فَسَلُوهُمَا عَنْ ذَلِكَ فقَالُوا: هَذِهِ آيَةٌ أُخْرَى. قَالُوا: أَخْبِرْنَا عَنْ عِيرِنَا؛ أَيْ: زِدْنَا أَخْبَارًا عَنْهَا، قَالَ: مَرَرْتُ بِهَا فِي التَّنْعِيمِ، قَالُوا: فَمَا عُدَّتُهَا وأَحْمَالُهَا وهَيْئَتُهَا؟ فَقَالَ: كُنْتُ فِي شُغْلٍ عنْ ذَلِكَ. ثُمَّ مثل لِي بِعُدَّتِهَا وَأَحْمَالِهَا ومَنْ فِيهَا، وكَانُوا بِالْحَزْوَرَةِ. قَالَ: نَعَمْ هَيْئَتُهَا كَذَا وَكذَا، وفِيهَا فُلانٌ وفُلَانٌ، يَقْدُمُهَا [246ظ] جَمَلٌ أَوْرَق إِلخ مَا مَرَّ. وذَهَبُوا إِلَى ثَنِيَّةِ كَذَا ينْظرُونَ عِنْدَ قُرْبِ طُلُوعِ الشَّمْسِ[3].

وذَكَر المدابغي[4] أَنَّهُ صَلَّى ببيت لحم وَسَارَ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ إِذْ رَأَى عِفْرِيتًا مِنَ الْجِنّ يَطْلُبُهُ بِشُعْلَةٍ مِنْ نَارٍ، كُلَّمَا الْتَفَتَ رَآهُ. فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولُهُنَّ إِذَا قُلْتَهُنَّ طَفِيَتْ شُعْلَتُهُ وخَرَّ لِفِيهِ، فَقَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: بَلَى فَقالَ جِبْرِيلُ قُلْ: "أَعُوذُ بِاللهِ الْكَرِيمِ وبِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ التِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، ومِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، ومِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الأَرْضِ، وَمِنْ شِرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، ومِنْ فَتْرَةِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ، ومِنْ طَوارِقِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ إِلاَّ طارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يا رَحْمَنُ"[5]. فَانْكَبَّ لِفِيهِ وانْطَفَأَتْ شُعْلَتُهُ فسَارُوا. وأَتَى عَلَى قَوْمٍ يَزْرَعُونَ فِي يَوْمٍ ويَحْصُدُونَ فِي يَوْمٍ. كلَّمَا حَصَدُوا عَادَ كَمَا كَانَ فقَالَ: يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا؟ قَالَ: هؤُلَاءِ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ تُضَاعَفُ لَهُم الْحَسَنَةُ بِسَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ. ومَا أَنْفَقُوا مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ. ووَجَدَ رِيحًا طَيِّبَةً فَقَالَ: يَا جِبْرِيلُ مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ؟ فقَالَ: رَائِحَةُ مَاشِطَةِ بِنْتِ فِرْعَوْنَ، ورَائِحَةُ أَوْلَادِهَا بَيْنَمَا هِيَ تَمْشطُ بِنْتَ فِرْعَوْنَ

(1) القَلُوص الفَتِيَّة من الإبل. لسان العرب (قلص).

(2) القَعُود من الإبل ما اتَّخذه الرَّاعِي للركوبِ وحَمْلِ الزَّادِ والمتاعِ وجمعهُ أقعدة. لسان العرب (قعد).

(3) تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 1/315-316.

(4) المدابغي:لم أقفْ على ترجمة له، ربّما هو حسن بن علي بن أحمد المنطاوي (المدابغي) ت: 1170هـ -1756م. له حاشية على شرح ابن حجر الهيثمِي للأربعِين النّووِيّة.

(5) الموطَّأ، مالك بن أنس، حدِيث (3500).

إِذْ سقَطَ الْمُشْطُ فقَالَتْ: بِسْمِ اللهِ تَعِسَ فِرْعَوْنُ، فَقَالَتْ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: أَوَ لَكِ رَبٌّ غَيْرُ أَبِي؟ قَالَتْ: نَعَمْ فدَعَاهَا فقَالَ: أَلَكِ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَتْ: نَعَمْ رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ. وكَانَ لِلْمَرْأَةِ ابْنَانِ وزَوْجٌ فأَرْسَل إِلَيْهِمْ فَرَاوَدَ الْمَرْأَةَ وزَوْجَهَا أَنْ يَرْجِعَا عَنْ دِينِهِمَا فَأَبَيَا، فقَالَ: إِنِّي قَاتِلُكُمَا، فَقَالَتْ: إِحْسَانًا مِنْكَ إِلَيْنَا إِنْ قَتَلْتَنَا أَنْ تَجْعَلَنَا فِي بَيْتٍ فَتَدْفِنَّا فِيهِ جَمِيعًا، قَالَ: ذَلِكَ لَكِ بِمَا لَكِ عَلَيْنَا مِنَ الْحَقِّ. فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ. ثُمَّ أَمَرَ بِهَا لِتُلْقَى فِيهَا هِيَ وَأَوْلَادُهَا. فأُلْقُوا وَاحِدًا وَاحِدًا حَتَّى بَلَغُوا أَصْغَرَ رَضِيعٍ مِنْهُمْ فَقَالَ: يَا أُمَّاهُ قَعِي وَلَا تَقَاعَسِي فَإِنَّكِ علَى الْحَقِّ فَأُلْقِيَتْ معَهُ[1].

والْبَقَرَةُ وِعَاءٌ عَلَى صُورَةِ الْبَقَرَةِ وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّه جَعَلَ الزَّيْتَ فِيهِ فأَوْقَدَ النَّارَ ورَوَى بَعْضٌ "نَقْرَةٌ" بِالنُّونِ.

وذَكَرَ بَعْضٌ مَا تَقَدَّمَ فِي مَحَلِّهِ فَقَالَ: ثُمَّ أَتَى عَلَى خَشَبَةٍ عَلَى الطَّرِيقِ لَا يَمُرُّ بهَا ثَوْبٌ ولَا شَيْءٌ إِلَّا خَرَقَتْهُ. فقَالَ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ فقَالَ: هَذَا مِثْلُ أَقْوَامٍ مِنْ أُمَّتِكَ يَقْعُدُونَ عَلَى الطَّرِيقِ فَيَقْطَعُونَه فتَلَا: ﴿ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ ﴾[2]. ورَأَى رَجُلًا يَسْبحُ فِي نَهْرٍ مِنْ دَمٍ يُلْقَمُ الحِجَارَةَ فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قالَ: هَذَا مثلُ آكِلِ الرِّبَا[3].

ورَوَى أَنَّهُ لَمَّا أُمْضِيَتِ الصَّلاةُ خمْسًا قَالَ لَهُ مُوسَى عليه السلام: اهْبِطْ بِسْمِ اللهِ. وَلَمْ يَمُرَّ عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا عَلَيْكَ بِالحِجَامَةِ. وَفِي رِوَايَةٍ: مُرْ أُمَّتَكَ بِالحِجَامَةِ. ثُمَّ انْحَدَرَ وَقَالَ لِجِبْرِيلَ: مَالِي لَمْ آتِ أَهْلَ سَمَاءٍ إِلَّا رَحَّبُوا بِي وضَحِكُوا لِي إِلَّا وَاحِدًا رَدَّ عَلَيَّ السَّلامَ ورَحَّبَ بِي ودَعَا لِي ولَمْ يَضْحَكْ لي؟ فَقَالَ: ذَلِكَ مَالِك خَازِنُ النَّارِ لَمْ يَضْحَكْ مُنْذُ خُلِقَ، ولَوْ ضَحِكَ لِأَحَدٍ لَضَحِكَ لَكَ. فَلَمَّا نَزَلَ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا نَظَرَ إِلَى أَسْفَل مِنْهُ فَإِذا هُوَ برهج وَدُخَانٌ وأَصْوَاتٌ فَقَالَ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذِهِ الشَّيَاطِينُ يَحُومُونَ عَلَى أَعْيُنِ بَنِي آدَمَ. لا يَتَفَكَّرُون فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ والْأَرْضِ ولَوْلَا ذَلِكَ لَرَأَوا الْعَجَائِبَ[4]. [247و]

(1) سبل الهدَى والرَّشاد، الشَّامِي، 116/3، وفِيه: نقرة بدل بقرة.

(2) سورة الأعراف: 86.

(3) سبل الهدَى والرَّشاد، الشَّامِي، 117/3.

(4) (م، س)، 131/3.

الفَصْلُ الثَّالِثُ: [فِي أَبْيَاتٍ تُشْبِهُ قَوْلَهُ: وَكَم آيَةٍ قَدْ نِلْتَ ثَمَّ عَظِيمَةٍ]

أَذْكُرُ هُنَا قَصِيدَةً طَوِيلَةً[1]، تُرَقِّقُ الْقَلْبَ وأُسْقِطُ بَعْضَ الْأَبْيَاتِ مِنْ مَوَاضِع:

خَلِيلَيَّ مُنَّا بِالْوُقُوفِ هُنَيْهَةً ... أَخُصُّكُمَا مِنِّي بِأَجْزَلِ مِنْحَةِ

أَخُصُّكُمَا مِنِّي بِمَا إِنْ عَمِلْتُمَا ... بِهِ لَنْ تَزَالَا فِي سُرُورٍ وَحبْرَتِي

خُذَا الْآنَ عَنِّي مِلْءَ قَلْبِي مِنَ الْهُدَى ... وَلَا تَضْرِبَا عَمَّا طَوَتْهُ نَصِيحَتِي

فَوَاللهِ لَا قَصَّرْتُ فِيمَا أَقُولُهُ ... وَلَا قُلْتُ إِلَّا الْحَقَّ، وَالْحَقُّ شِرْعَتِي

أَطِيعَا أَطِيعَا اللهَ مَا دُمْتُمَا مَعًا ... وَمَا الْفَوْزُ إِلَّا لِلنُّفُوسِ الْمُطِيعَتِي

فَذلَّا لَهُ عِلْمًا بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ... مِنَ الْمَجْدِ وَالتَّنْزِيهِ فِي كُلِّ فَوْهَتِي

وَلَا تَأْنَسَا إِلَّا بِهِ عَزَّ مَجْدُهُ ... وَجَلَّ عَنَ اوْصَافِ الْحُدُوثِ الْمُحِيلَتِي

وَمُدَّا يديْ[2] رغْبَاكُمَا وَاْسأَلَاهُ لِي ... تَيَسُّرَ قَصْدٍ لَا يُشَانُ بِعُسْرَتِي

وَهَا أَنَا ذَا أَدْعُوهُ جَلَّ جَلَالُهُ ... فَكُونَا ذَوَيْ حَالٍ إِلَيْهِ شَفِيعَتِي

إِلَهِي إِلَهِي إِنَّ حَمْدَكَ وَاجِبٌ ... عَلَيَّ فَامْدُدْنِي إِلَيْهِ بِقُوَّتِي

لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا لَا انْتِهَاءَ لِطُولِهِ ... عَلَى مِنَنٍ أَوّلتَنِيهَا فَاكُولَتِي[3]

وَإِنْ كُنْتُ لَا أَسْطِيعُ حَمْدَكَ كُلَّهُ ... لِهونِي بِأَرْكَانِي وَضُعْفِي بِقُوَّتِي

فَأَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ حَمْدًا أُطِيقُهُ ... بِمَبْلَغِ تَمْكِينِي وَطَاقَةِ هِمَّتِي

وَغَايَتُنَا عَجْزٌ عَنِ الْحَمْدِ مُشْعِرٌ ... بِعِزَّةِ ذَاتِ الْمُنْعِمِ الْمُسْتَحِقَّتِي

وَأَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ نُورًا يَدُلُّنِي ... عَلَيْكَ وَيُنْمِي الْعَقْلَ عَنْ كُلِّ كَبْوَتِي

وَأَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ يَا فَاطِرَ الْوَرَى ... لِسَانًا لَهُ فِي الْحَقِّ أَوْسَعُ جَوْلَتِي

وَأَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ نَفْسًا بَرِيئَةً ... مِنَ الْعرضِ الدَّاعِي إِلَى شَرِّ مثلَتِي

وَأَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ قَلْبًا مُطَهَّرًا ... مُعَانًا بِأَنْوَارِ الْهُدَى الْمددِيتِي[4]

وَأَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ روحًا مُجَوْهَرًا ... بِقُدْسِ مُجَارَاةِ الْعُيُونِ الْمَزِيدَتِي

وَأَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ سِرًّا مُطَالِعًا ... مِنَ الْمَلَإِ الْأَعْلَى بِأَسْرَى سَرِيَّتِي

وَأَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ صَدْرًا مُفَاتِحًا ... مِنَ الْحَضْرَةِ الْكُبْرَى بِأَهْدَى هَدِيَّتِي

وَأَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ أُذنًا سَمِيعَةً ... لهَاتفك الدَّاعِي بِالْأُذْنِ السَّمِيعَتِي

---

(1) القصيدة من الطّوِيلِ. لم أقفْ عليها فِيما اطّلعتُ عليهِ من مصادِرَ.

(2) في الأصل: ايدي، وبه ينكسر الوزن.

(3) كلمة غير مفهومة.

(4) كلمة غير مفهومة.

وَأَسْـــأَلُـكَ الـلَّـهُـمَّ عَـيْـنًـا بَصِـيـرَةً ... مُـكَـحَّـلَـةً بِـالـثـض[1] فِـي إِثْـرِ عَـبْـرَتِـي

وَأَسْـــأَلُـكَ الـلَّـهُـمَّ وَجْـهًـا مُـوَجَّـهًـا ... إِلَـى الـحَـقِّ، إِنَّ الْـحَـقَّ أَشْـــرَفُ قِـبْـلَـتِـي

وَأَسْـــأَلُـكَ الـلَّـهُـمَّ ذِكْـرًا مُـوَاصِـــلًا ... وَفِـكْـرًا مَصُـــونـا فِـي الْـعُـلُـومِ الْـجَـلِـيـلَـةِ

إِلَـهِـيَ ذُلِّـي بَـيْـنَ خَـلْـقِـكَ ظَـاهِـرُ ... إِلَـهِـي فَـمَـتِّـعْـنِـي بِـنُـسْـــكٍ وَرَحْـمَـتِـي

إِلَـهِـي وَخَـوْفِـي مِـنْ عِـقَـابِـكَ آخِـذ ... بِـقَـلْـبِـي فَـأَمِّـنْ مِـنْ عِـقَـابِـكَ خِـيـفَـتِـي

وَكَـيْـفَ لِـمِـثْـلِـي أَنْ يَـقُـومَ مُـنَـاجِـيًـا ... وَهَـا أَنَـا لَـمْ أَتْـرُكْ رُكُـوبَ الْـجَـرِيـرَةِ[2]

وَلَـمْ أَتَـطَـهَّـرْ مِـنْ ذُنُـوبِـي وَلَـمْ أُبِـنْ ... دَلِـيـلًا عَـلَـى تَـوْبِـي إِلَـيْـكَ وَأَوْبَـتِـي

وَمَـا أَنَـا إِلَّا دَاهِـلٌ[3] الْـقَـلْـبِ غَـافِـل ... وَأَجْرَأُ مَـخْـلُـوقٍ عَـلَى كَسْـــبِ حوبَتِي[4]

وَلَـكِـنْ عَـطَـايَـاكَ الـتِـي قَـدْ تَـقَـدَّمَـتْ ... [247ظ] أَقَامَتْ رَجَاءَ الْعَبْدِ مِنْ بَعْدِ مقدتي[5]

وَحَـلَّـتْ لِسَـــانِي مِـنْ عـقَـالِ هِـنَـاتِـهِ ... وَقَـدْ كَـانَ فِي قَبْرٍ مِنَ الْخَوْفِ مُسْـكِتِي

وَمَـدَّتْ بِسَـــاطَ الْأَمْنِ بَعْدَ انْقِبَاضِـــهِ ... فَرضْـــتُ مِنَ الرَّحْمَـاءِ أَوْسَـــعَ رَوْضَـــتِي

وَقَـدَّتْ يَـمِـين الْيُـمْـنِ برقع خجلتِي[6] ... فَلَمْ أَتَمَـالَـكْ أَنْ صَـــدَعْـتُ بِغصَّـــتِي

وَهَـا أَنَـا يَـا بَـاسِـــط الـرِّزْقِ وَاقِـفٌ ... بِـبَـابِـكَ أَرْجُـو أَنْ تَـمُـنَّ بِـبَسْـــطَـتِـي

وَمَـالِـي إِلَّا أَنْـتَ مَـوْلَايَ سَـــيِّـدِي ... أَذِلُّ لَـهُ حِـيـنًـا فَـيَـرْحَـمُ ذِلَّـتِـي

وَأُنْـزِلُ حَـاجَـاتِـي بِـهِ فَـيَـرُدّنِـي ... بِـحَـالَـةِ فَـوْق، لَا بِـحَـالَـةِ خِسَّـــتِـي

وَأَسْـــأَلُـهُ تَـفْـرِيـجَ كَـرْبِـي فَـعِـنْـدَمَـا ... أُرِيـدُ إِلَـى هَـدْيٍ يُـفَـرِّجُ كُـرْبَـتِـي

وَأَلْـبَـسُ جِـلْـبَـابَ الـتَّـمَـلُّـقِ رَغْـبَـةً ... فَـيَـمْـنَـحُـنِي قَصْـــدِي وَيُونِسُ وَحْشَـــتِي

فَـمِـنْ أَيِّ وَجْـهٍ أَوْ بِـأَيِّ وَسِـــيـلَـةٍ ... أَجِـيـئُـكَ إِلَّا بِـافْـتِـقَـارٍ وَعَـيْـلَـتِـي

فَـإِنْ رُمْـتُ أَنْ أُثْنِي بِـجُـهْـدِ قَـرِيـحَـتِي ... فَـمَـجْـدُكَ أَعْـلَـى مِـنْ ثَـنَـاءِ قَـرِيـحَـتِي

وَكُـلُّ الـذِي تُـلْـقِـيـهِ السـنتا[7] مَـعًـا ... وَتُـومِـي إِلَـيْـهِ مِـنْ جَـلَالٍ وَعِـزَّتِـي

فَـمَـا هُـوَ إِلَّا دون[8] وَاجِـبِـكَ الـذِي ... تَـقَـدَّسَ عَـنْ دَرْكِ الْـعُـقُـولِ الـرَّشِـيـدَتِي

وَمَـا لِـحَـدِيـثٍ بِـالْـقَـدِيـمِ إِحَـاطَـةٌ ... وَلَـمْ يَـكُ بُـدٌّ مِـنْ تَـلَاشٍ وَدَهْشَـــتِـي

---

(1) كلمة غير مفهومة في النسختين.

(2) الجَرِيرةُ: الذنب والجناية يجنيها الرجل وقد جَرَّ على نفسه وغيره جريرةً يَجُرُّها جَرّاً أي جنى عليهم جناية. لسان العرب (جرر).

(3) الداهل: المتحيِّر.

(4) قال أَبو عبيد: حَوْبَتِي يَعْنِي المَأْثَمَ وتُفْتَح الحاء وتُضَم. لسان العرب (حوب).

(5) كلمة غيرُ مفهومة.

(6) الوزن منكسِر والكلمة الأخيرة غير واضحة.

(7) كلمة غير مفهومة.

(8) كلمة غير مفهومة في الأصل، وفي ج:كون.

وَمَا أَخْفَتِ الْأَوْهَامُ مِنْ مُتَخَيَّلٍ ... فَلَيْسَتْ بِهِ بَلْ غَيْر مَا هِيَ أَخْفَتِ

إِلَهِي كَمَا أَرْشَدْتَنِي وَهَدَيْتَنِي ... لِعَجْزِي عَنِ ادْرَاكِ الصِّفَاتِ الْعَظِيمَتِي

وَوَفَّقْتَنِي لِلْعِلْمِ بِالْقَدَمِ الذِي ... إِذَا اسْتَكْشَفَتْهُ النَّفْسُ بِالْجدِّ حدَّتِي

فَلَا تَرْجِعَنِّي خَائِبًا مِنْكَ بَائِسا ... بِحَالِ انْكِسَارٍ، والْأَسَى مِلْءُ عِيشَتِي

إِلَهِي إِذَا لَاحَظْتُ نَفْسِي وَضَعْفَهَا ... تَلَاشَتْ لَدَى عِلْمِي وَبُؤْتُ بِخَجْلَتِي

إِذَا كَانَ قَوْمٌ يَعْجزُونَ بِكَوْنِهِمْ ... عَبِيدًا لِعَبْدَان ضِعَافٍ أَذِلَّتِي

فَحُقَّ لِمِثْلِي أَنْ يَصِحَّ افْتِخَارُهُ ... وَهَلْ أَنَا إِلَّا عَبْدُ مَوْلَى الْخَلِيقَتِي

إِلَهِي تَحَقَّقْتُ ائْتِلَافَ جَوَاهِرِي ... وَتَرْكِيبَهَا مَا بَيْنَ مَاءٍ وَتُرْبَتِي

وَأَيْقَنْتُ أَنِّي مَيِّتٌ وَابْنُ مَيِّتٍ ... وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ ثَرَى أَيِّ حَفْنَتِي

فَأَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ أَن لَا تُضِيعَنِي ... وَأَنْ تَتَوَلَّانِي بِحِفْظٍ وَعِصْمَتِي

وَظَنِّيَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ لَكَ رَاجِيًا ... وَلَا سَائِلًا إِيَّاكَ تَيْسِيرَ بُغْيَتِي

وَلَا آمِلًا إِلَّا لِتُعْطِينِيَ الذِي ... سَأَلْتُكَهُ أَمِّنْ بِهِ مِنْ عَطِيَّتِي

إِلَهِي لَقَدْ صَوَّرْتَنِي وَخَلَقْتَنِي ... فَأَكْمَلْتَ تَصْوِيرِي وَأَحْسَنْتَ خِلْقَتِي

وَعَلَّمْتَنِي مِنْ غَيْرِ مَا طَلَبٍ لَهُ ... وَأَيَّدْتَنِي بِالْعَقْلِ أُسّ عَقِيدَتِي

وَأَلْبَسْتَ قَلْبِي نُورَ تَوْحِيدِكَ الذِي ... بِهِ الْفَوْزُ في يَوْمَ الرَّدَى وَالْخُصُومَتِي

وَفَتَّحْتَ لِي بَابَ الْمَعَاشِ فَنِلْتُ مِنْ ... أَفَانِينِهِ مَا شِئْتُ دُونَ مَشَقَّتِي

وَذَلِكَ رِفْقٌ مِنْكَ وَتَلَطُّفٌ[1] ... بِنَفْسِي التِي لَوْ نُوقِشَتْ لَاضْمَحَلَّتِي

إِلَهِي كَمَا أَوْجَدْتَنِي وَهَدَيْتَنِي ... وَقَارَنْتَ بِالنَّعْمَا الْجَسِيمَةِ بَدْأَتِي

كَذَلِكَ حُظْنِي بَاقِيَ الْعُمْرِ وَاكْفِنِي ... أَذَى الْخَلْقِ وَاقْطَعْ فِي سَبِيلِكَ مدَّتِي

وَلَا تُهْمِلَنِّي فِي حَيَاتِي وَإِنَّنِي ... لَأَعْظَمُ فَقْرًا يَوْمَ أَدْخُلُ حُفْرَتِي

[248و] إِلَهِيَ هَبْ لِي الْأُنْسَ بِالذِّكْرِ دَائِمًا ... وَلَا تَحْرِمَنِّي ذَوْقَ أَهْلِ الْمَحَبَّتِي

إِلَهِيَ قَدْ أَدْخَلْتَنِي حَضْرَةَ الْعُلَا ... وَأَسْكَنْتَنِي مِنْهَا بِأَشْرَفِ قُبَّتِي

وَجَرَّعْتَنِي مِنْ صَفْوِ حُبِّكَ قَهْوَةً ... طَفِقْتُ بِهَا أَسْتَلُّ صَارِمَ نَخْوَتِي

وأَقْطَعْتَنِي رَيْحَانَةَ الْأُنْسِ فَانْتَهَتْ ... أَكُفُّ مَعَارِيجِي إِلَى حَيْثُ كَفَّتِي

تَلَاشَتْ لَدَيَّ الْكَائِنَاتُ بِأَسْرِهَا ... وَلَمْ أَلْتَفِتْهَا رَاعِيًا شَرْطَ غَيْرَتِي

إِلَهِي أَدِمْ عِلْمِي بِكَوْنِيَ عَاجِزًا ... عَنِ الْعِلْمِ وَاعْدِلْ بِي عَنَ أَهْلِ السمقتي[2]

---

(1) الوزن منكسِر.

(2) كلمة غير مفهومة والوزن منكسِر.

وَلَا تـجْـزِيَـنّـي بِـالـذِي أَنَـا أَهْـلُـهُ ... وَلَا تَـمْـتَـحِـنّـي بَـعْـدَ صِـــدْقٍ بِـردّتِـي
وَصَـــلِّ عَلَى الْمُخْتَـارِ مِنْ آلِ هَـاشِـــمٍ ... مُـحَـمَّـدٌ الْـمُـهْـدَى إِلَـى خَـيْـرِ أُمَّـتِـي
أَتَـمِّ الْوَرَى جَـاهًـا وَأَحْسَـــنِـهِـمْ سَـــنَى ... فَـأَحْسِـــنْ بِمَرْأَى الصَّـــفحَـةِ الْقرَشِـــيَّتِي
سِـــرَاجِ الْهُـدَى سِـــرِّ الْخَلِيقَـةِ وَالـذِي ... بِـهِ انْتَـهَجَـتْ سُـــبْـلَ الرَّشَـــادِ وَأُمَّتِي
وَبَـيْـنَ يَـدَيْـهِ أَظْـهَـرَ الْـحَـقَّ دِيـنَـهُ ... وَقَـطَّـعَ أَسْـــبَـابَ الـدَّعَـاوِي الْـمُـخِـلَّـتِي
وَأَحْيَى رُسُـــومَ الْحَقِّ بَـعْـدَ عَـفَـاءِهَـا ... وَأَبْـدَى عُـوَارَ الـنّـحْـلَـةِ الْـوَثَـنِـيَّـتِـي
أَقَـامَ عَلَى الـدِّينِ الْبَـرَاهِـينَ فَـاهْـتَـدَتْ ... بِـهِ أَنْـفُـسٌ لَـوْلَا هُـدَاهُ لَضَـــلَّـتِـي
وَجَـاءَ بِـآيَـاتٍ تُـبَـيِّـنُ صِـــدْقَـهُ ... وَكَـمْ آيَـةٍ بَـانَـتْ عَـلَـيْـهِ وَدَلَّـتِـي
فَـمِـنْ قَـمَـرٍ يَـنْشَـــقُّ نِصْـــفَـيْـنِ جُـرْمُـهُ ... وَمِـنْ إِصْـــبَـعٍ جَـادَتْ بِـمَـاءٍ وَرَوَّتِـي
وَمِنْ حَجَرٍ أَضْـــحَى عَلَيْـهِ مُسَـــلِّمًـا ... وَمِـنْ سَـــرْحَـةٍ[1] حَنَّـتْ إِلَيْـهِ وَظَبْيَتِي
وَمِنْ بضْـــعَـةٍ مَشْـــوِيَّـةٍ صَـــرَخَـتْ لَـهُ ... بِـمَـا قَـدْ طَـوَتْـهُ مِـنْ رَدًى وَأَكِـنَّـتِـي
وَمِـنْ جُـرْمِ عَيْـنٍ عَـادَ بَـعْـدَ سُـــقُـوطِـهِ ... إِلَـى هَـيْـئَـةٍ خصَّـــتْ بِـأَمْـلَـحِ نَـظْـرَتِي
فَـحَسْـــبُـكَ بِـالْأَنْـوَارِ فَـهْـوَ أَتَـمُّـهَـا ... دَلِـيـلًا عَـلَـى أَنْـوَارِهِ الـنَّـبَـوِيَّـتِـي
وَأَسْـــأَلُـكَ الـلَّـهُـمَّ إِكْـرَامَ صَـــحْـبِـهِ ... فَـهُـمْ لِـرَسُـــولِ الـلـهِ أَكْـرَمُ عـشْـرَتِـي
تَـوَلَّـوْهُ إِذْ جَـاءَ الْـعِـدَاءُ وَأَقْـبَـلُـوا ... فَـلَـمْ يَـعْـبَـؤوا فِـي الـذَّبِّ عَـنْـهُ بِـلَـوْمَـتِي
وَكَـانُـوا لَـهُ ردءا عَـلَـى كُـلِّ كَـافِـرٍ ... وَقَـاعِـدَةً فِـي سُـــبْـلِـهِ الْـمُسْـــتَـقِـيـمَـةِ
وَدَار عَـلَـى أَتْـبَـاعِـهِـمْ فَـلَـكَ الـرِّضَـــا ... وَرِيءَ لَـهُـمْ فِـي الْـفَـوْزِ أَوْضَـــحَ غـرَّتِـي

كَذَا وَجَدْتُ الْقَصِيدَةَ مَكْتُوبَةً بِيَاءِ الْإِشْبَاعِ، وياءِ الْمُتَكَلِّمِ، أَوَاخَرَ أَبْيَاتِهَا. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

113 وَشَمْسُ الضُّحَى طَاعَتْكَ وَقْتَ مَغِيبِهَا ... وَقَدْ وَقَفَتْ وَقْفًا لِنُخْبَةِ عَدْنَانِ

وشَمْسُ الضُّحَى وسَائِرِ الْأَوْقَاتِ، وهِيَ شَمْسٌ وَاحِدَةٌ، طاعَتْكَ وقْتَ غُيُوبِهَا، حِينَ أَرَدْتَ وُقُوفَهَا، لِتَطْلُعَ الْإِبِلُ التِي رأَيْتَ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِعلَى الْوَصْفِ الذِي وَصَفْتَ لَهُمْ. وَقَدْوَقَفَتْ وقُوفًالِمُخْتَارِ عدْنَانِ ﷺ وعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.

تَقَدَّمَ عَن السّدِّي أَنَّ قُرَيْشًا سأَلُوهُ آيَةً عَلَى إِسْرَاءِهِ، فَأَخْبَرَهُمْ بِقُدُومِ الْعِيرِ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ. وَلَمَّا كانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ لَمْ يَقْدُمُوا حَتَّى كَادَت الشَّمْسُ تَغْرُبُ، فَدَعَا اللهَ تَعَالَى فَحَبَسَ الشَّمْسَ حَتَّى [248ظ][2]

(1) السَّرْحُ شجر كبار عظام طِوالٌ لا يُرْعَى وإنما يستظل فيه وينبت بنَجدٍ في السَّهْل والغَلْظ ولا ينبت في رمل ولا جبل ولا يأْكله المالُ إلاَّ قليلاً له ثمر أَصفر واحدته سَرْح. لسان العرب (سرح).

(2) في هامِش الصَّفحتين تكررت كلمة قف خمس مرَّات بخطٍّ مغايرٍ لخط الكتابة.

قَدِمُوا كَمَا وَصَفَ.

وفِي "الْأَنْوَارِ فِي آياتِ النَّبِيءِ الْمُخْتَارِ"[1] ﷺ مَا نَصُّهُ: وَفِي الْخَبَرِ أَنَّ اللهَ رَدَّ الشَّمْسَ عَلَى النَّبِيءِ ﷺ بعْدَ مَغِيبِهَا. ذَكَرَهُ أَبُو جَعْفَر الطَّحَاوِي[2]، وقَالَ: إِنَّهُ حَدِيثٌ ثَابِتٌ[3].

قَالَ الطَّبَرَانِي بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنْ جَابِر بنِ عَبْدِ اللهِ مَا حَاصِلُهُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَرَ الشَّمْسَ أَن لَا تَغْرُبَ، حَتَّى تَقْدُمَ عِيرُ قُرَيْشٍ، التِي رَآها لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، وأَخْبَرَهُمْ بِأَنَّهَا تَقْدُمُ يَوْمَ كَذَا. ووَلَّى النَّهَارُ ولَمْ تَجِئْ فَتَأَخَّرَتْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ[4].

ورَوَى يُونُس بنُ بُكَير عَنْ شَيْخِهِ محمّد بن إسحاق: لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيءِ ﷺ وأَخْبَرَ قَوْمَهُ بِالرِّفْقَةِ والْعَلَامَةِ التِي فِي الْعِيرِ، وهُوَ جَمَلٌ أَوْرَق يَتَقَدَّمُهَا قالُوا: مَتَى تَجِيءُ؟ قَالَ: يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ. فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ أَشْرَفَتْ قُرَيْشٌ؛ أَيْ: قَامُوا فِي مَوْضِعٍ مُرْتَفِعٍ يَنْتَظِرُونَ هَلْ تَقْدُمُ الْعِيرُ عَلَى الْوَصْفِ الذِي ذَكَرَهُ لهُمْ. وقَدْ وَلَّى النَّهارُ وَلَمْ تَجِئ الْعِيرُ، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَزِيدَ لَهُ فِي النَّهَارِ سَاعَةً وحُبِسَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ[5].

أَيْ: أَمْسَكَهَا وعَوَّقَها عَنْ سَيْرِهَا الْمُعْتَادِ، حَتَّى قَدِمَت الْعِيرُ قَبْلَ غُرُوبِهَا. وعُورِضَ بِمَا ذَكَرَهُ الزَّمَخْشَرِي والبَيْضَاوِي أَنَّهُ ﷺ قَالَ: ((**يَقْدُمُهَا جَمَلٌ أَوْرَق عَلَيْهِ غَرَارَتَانِ مُخَطَّطَتَانِ تَطْلُعُ علَيْكُمْ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ**)) فخَرَجُوا يَنْتَظِرُونَ طُلُوعَهَا فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: هَذِهِ الشَّمْسُ قَدْ طَلَعَتْ. فَقَالَ آخَرُ: الْإِبِلُ قَدْ طَلَعَتْ يَقْدُمُهَا جَمَلٌ أَوْرَقُ عَلَيْهِ غَرَارَتَانِ مُخَطَّطَتَانِ، وتَقَدَّمَ مِثْلُ هَذَا الْحَدِيثِ وقَالُوا: إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ[6].

وعِنْدَ ابن أبي حاتم: فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ، الذِي قالَ إِنَّهُمْ يَأْتُونَ فِيهِ، أَشْرَفَ النَّاسُ ينْتَظِرُونَ، حَتَّى إِذَا كَانَ قَرُبَ نِصْفُ النَّهَارِ، أَقْبَلَت الْعِيرُ يَقْدُمُهَا ذَلِكَ الْجَمَلُ كَمَا وَصَفَ ﷺ[7]. ولا مُعَارَضَةَ

---

(1) الْأَنْوَار فِي آياتِ النَّبِيءِ الْمُخْتَارِ لـ: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، ت: 875هـ.

(2) الطَّحَاوِي أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ سَلاَمَةَ الحَنَفِي، مِنْ قريَة طحا بمصر، برز في علم الحدِيثِ والفقهِ، من تصانيفه: اختلاف العلماء، أحكام القرآن، شرح مشكل الآثارِ، ت:321هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 27/15.

(3) ذكر الطحاوِي أحادِيثَ ردِّ الشَّمسِ وحَبْسِها، ثمَّ قال: وكلُّ هذه الأحادِيثِ من علامات النُّبوَّةِ. شرح مشكل الآثار، الطَّحاوِي، 97/3، وينظر: تاريخ الخمِيس، الديار بكرِي، 231/1 عن سِيرة ابن سيِّد النّاسِ.

(4) المعجم الأوسَط، الطَّبرانِي، حدِيث (4039)، وليسَ فِيه القصَّة بطولِها.

(5) الشّفا، القاضِي عياض، ص294. المواهِب اللدنيَّة، القَسْطَلَّانِي، 530/2.

(6) الكشاف، الزمخشرِي، ص589، وأنوار النزِيل، البيْضاوِي، 247/3.

(7) تفسِير القرآن العظِيم، ابن كثِير، 407/8. والدر المنثور، السيوطِي، 157/9. لم أقفْ عليهِ فِي كتب ابن أبِي حاتم ت: 327هـ، وهو المحدِّث صاحب التَّفسِيرِ.

بَيْنَ الرِّوَايَاتِ؛ لِأَنَّهُ مَرَّ بِعِيرَيْنِ بَلْ بِثَلَاثَةٍ، وَكَأَنَّ إِحْدَاهَا تَأَخَّرَتْ[1].

روَى ابْنُ مَرْدُويَه والطَّبَرَانِي[2] عنْ أُمِّ هَانِئ قَالُوا: أَخْبِرْنَا عَنْ عِيرِنَا. قَالَ: أَتَيْتُ عِيرَ بَنِي فُلَان بِالرَّوْحَاءِ، قَدْ أَضَلُّوا نَاقَةً، فَانْطَلَقُوا فِي طَلَبِهَا، فانْتَهَيْتُ إِلَى رِحَالِهِمْ فلَيْسَ بِهَا مِنْهُمْ أَحَدٌ. وإِذَا قِدْحُ مَاءٍ فَشَرِبْتُ مِنْهُ، ثُمَّ انْتَهَيْتُ إِلَى عِيرِ بَنِي فُلَان بِمَكَانٍ، وكَذَا فِيهَا جَمَلٌ عَلَيْهِ غرَارَتَانِ، غرَارَةٌ سَوْدَاءُ وَغرَارَةٌ بَيْضَاءُ، فَلَمَّا حَادَيْتُ العِيرَ نَفَرَتْ، وصرعَ ذَلِكَ البَعِيرُ وانْكَسَرَ. ثُمَّ انْتَهَيْتُ إِلَى عِيرِ بَنِي فُلَان بالتَّنْعِيمِ، يَقْدُمُهُمْ جَمَلٌ أَوْرَقُ، عَلَيْهِ مَسْحٌ أَسْوَد وغرَارَتَانِ سوْدَاوَانِ. الْحَدِيث[3].

فَقَدْ حصَلَتْ ثَلَاثُ وَقَائِع تَزُولُ بِهَا الإِشْكَالُ، ويُجْبَرُ انْقِطَاعُ حدِيثِ يُونُس بنِ بُكَير بِوَصْلِ حَدِيثِ جابِر عِنْدَ الطَّبَرَانِي وسَائِرِ الرِّوَايَاتِ التِي لَا انْقِطَاعَ فِيهَا.

ويُعَارِضُ ذَلِكَ كُلّه حَدِيثُ أَحْمَد الصَّحِيحُ، برِجَالِ الصَّحِيحِ عَنهُ ﷺ: لَمْ تَحْبِس الشَّمْسُ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا ليوشع بن نون. [249و] ولَفْظُ أَحْمَد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: ((**إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تُحْبَسْ لِبَشَرٍ إِلَّا لِيُوشَعَ، لَيَالِي سَارَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ**))[4].

ولَفْظُ الْخَطِيب فِي "تَارِيخِهِ" مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ بِلَفْظِ: ((**مَا حُبِسَت الشَّمْسُ عَلَى بَشَرٍ قَطُّ، إِلَّا عَلَى يُوشَعَ، لَيَالِي سَارَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ**))[5] يَعْنِي حِينَ قَاتَلَ الجبّارين يَوْمَ الْجُمُعَةِ، بَعْدَ مَوْتِ مُوسَى وهَارُونَ فِي التِّيهِ، وكَانَ رَحْمَةً لَهُمَا، وعَذَابًا لِأُوْلَئِكَ، وسَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ أَنْ يُدْنِيهِ مِنَ الْأَرْضِ المُقَدَّسَةِ رَمْيَةَ حَجَرٍ، فأَدْنَاهُ كَمَا فِي الْحَدِيثِ، ونُبِّئَ يُوشَعُ عِنْدَ الْأَرْبَعِينَ، وأُمِرَ بِقِتَالِ الْجَبَّارِينَ، فَسَارَ بِمَنْ بَقِيَ مَعَهُ، وقَاتَلَهُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَلَمَّا أَدْبَرَت الشَّمْسُ وقَارَبَت الغُروبَ خَافَ أَنْ تَغِيبَ قَبْلَ أَنْ يَفْرَغَ مِنْهُمْ، ويَدْخُلَ السَّبْت فَلَا يَحِلُّ لَهُ قِتَالُهُمْ فِيهِ، فَدَعَا اللهَ فَرَدَّ عَلَيْهِ الشَّمْسَ سَاعَةً حَتَّى فَرَغَ مِنْ قِتَالِهِمْ[6].

ويُقَالُ: كَانَ عِلْمُ الْخَطِّ صَحِيحًا، حتَّى جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى إِدْرِيسَ، فَقَالَ لَهُ: أَيْنَ جِبْرِيلُ فَخَطَّ

(1) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 491/6.
(2) حدِيث أم هانِئ في المعجم الكبِير، الطبراني، حديث (1059).
(3) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 491/6.
(4) مسند أحمد، حدِيث (8315).
(5) تارِيخ بغداد، البغدادِي، 143/10.
(6) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 492/6.

فَقَالَ: لَا يُوجَدُ فِي مَوْضِعٍ مِنَ السَّمَاوَاتِ والْأَرْضِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ أَنْتَ جِبْرِيلُ فَخَطَّ جِبْرِيلُ بَعْضَ بيُوتِهِ ومِنْ يَوْمَئِذٍ لَا يَتِمُّ[1].

وكَانَ عِلْمُ النَّجْمِ صَحِيحا، ولَمَّا وَقَفَتْ لِيُوشَعَ بَطُلَ أَكْثَرُهُ، وَلَمَّا اسْتَدَلَّ الْيَهُودُ بِهِ عَلَى عِيسَى عليه السلام دعَا فَاخْتَلَّ بَعْضُهُ أَيْضًا، وَلَمَّا رُدَّتْ لِعَلِيّ بَطُلَ كُلُّهُ؛ أَيْ: إِلَّا نَادِرًا[2].

وذَلِكَ الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى ضُعْفِ مَا رُوِيَ أَنَّ الشَّمْسَ رَجَعَتْ، حَتَّى صَلَّى عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِب الْعَصْرَ. وقَدْ صَحَّحَهُ أَحْمَد بنُ صالِح المصْري[3] ولَكِنَّهُ ضَعيفٌ. قِيلَ: ولَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنَ الصِّحاحِ والْحِسَانِ، وَلَا سِيَّمَا قَدْ رُوِيَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ لَمْ تَحْبِسْ لِأَحَدٍ غَيْرِي، إِلَّا لِيُوشَعَ. واعْترضَ بِأَنَّهُ ثَبَتَ مِنْ ثَلَاثِ طُرُقٍ حِسَانٍ، فَيَرْتَقِي بِذَلِكَ لِدَرَجَةِ الصِّحَّةِ[4].

وذَلِكَ أَنَّه رُوِيَ عَنْ أسْماء بنتِ عُمَيْس: ((**أَنَّ النَّبِيءَ ﷺ كان يُوحَى إِلَيْهِ، ورأْسُهُ فِي حِجْرِ عَلِيٍّ فَلَمْ يُصَلِّ؛ أَيْ: عَلِيّ، الْعصْرَ حَتَّى غَرَبَت الشَّمْسُ؛ أَيْ: وأَمَّا الْمُصْطَفَى ﷺ فَقَدْ كَانَ صَلَّاهُ، فقالَ ﷺ: أَصَلَّيْتَ يَا عَلِيّ؟ قَالَ: لَا. فَقَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كانَ فِي طَاعَتِكَ وطاعَةِ رَسُولِكَ، فَارْدُدْ عَلَيْهِ الشَّمسَ**))[5] ((**قَالَتْ أَسْمَاء: فَرَأَيْتُهَا غَرَبَتْ ثُمَّ رَأَيْتُهَا طَلَعَتْ، بَعْدَ مَا غَرَبَتْ، ووَقَعَتْ عَلَى الْجِبَالِ والأَرْضِ، وذَلِكَ فِي الصَّهْبَاءِ فِي خَيْبَرَ**))[6] رَوَاهُ الطَّحَاوِي[7].

قالَ الطَّحَاوِي: إِنَّ أحمَد بن صالِح الْمصري كَانَ يَقُولُ: لَا يَنْبَغِي لِمَنْ سبِيلُهُ الْحِفْظ[8] التَّخَلُّفُ عن حِفْظِ حدِيثِ أَسْمَاءَ؛ لِأَنَّهُ مِنْ عَلَامَاتِ النُّبُوءَةِ[9].

يَعْنِي رِوَايَتُهَا هَذِهِ فِي وُقُوفِ الشَّمسِ، إِذْ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَرُدَّ الشَّمْسَ لِمَكَانِهَا الذِي غَرَبَتْ مِنْهُ، لِيُصَلِّيَ الْعَصْرَ فِي وَقْتِهَا.

---

(1) لم أقفْ عليهِ.

(2) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 492/6، وعبارة: "ولما استَدَلَّ اليهُودُ به على عيسى عليه السلام دعا فاختَلَّ بعضُهُ أيضا" ليست فيهِ. ولم أقفْ عليها.

(3) أحمد بن صالِح المصرِي: المعروف بابن الطبرِي، حدث عن ابن وهب وسفيان بن عيينةَ، وعن عبد الرزاق، حدَّثَ عنه البخارِي وأبو داود، ت:248هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبِي، 160/12.

(4) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 492/6.

(5) شرح مشكِل الآثار، الطحاوِي، 92/3.

(6) (م، س)، 94/3.

(7) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 492/6. رَوَى الطحاوِي حدِيثَيْنِ فِي ردِّ الشَّمسِ لِعلِيّ، أخذ المؤلف من كل منهما مقطعا.

(8) فِي المواهِب وشرح مشكل الآثار: العلم.

(9) شرح مشكل الآثار، الطحاوِي، 97/3.

وذَكَرابْنُ الْجَوْزِي أَنَّ حَدِيثَ الطَّحَاوِي هَذَا مَوْضُوعٌ بِلَا شَكٍّ، وفِي سَنَدِهِ رَجُلٌ مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ[1].

وقَالَ السُّيُوطِي: أَخْطَأَ ابْنُ الْجَوْزِي فِي جَعْلِهِ مَوْضُوعًا، قَالَ السُّيُوطِي كَابْنِ الصَّلَاحِ: كَثِيرًا مَا يَتَحَامَلُ ابْنُ الْجَوْزِي عَلَى الْحَدِيثِ الضَّعِيفِ بِأَنَّهُ مَوْضُوعٌ[2].

قَالَ العراقي:

وأَكْثَرَ الْجَامِعُ فِيهِ إِذْ خَرَجْ لِمُطْلَقِ الضُّعْفِ عَنَى أَبَا الْفَرَجْ[3]

حَتَّى إِنَّه أَدْرَجَ فِيهِ كَثِيرًا مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ [249ظ] قَالَ السُّيُوطِي:

وَمِنْ غَرِيبِ مَا تَرَاهُ فَاعْلَمِ فِيهِ حَدِيثٌ مِنْ صَحِيحِ مُسْلِمِ[4]

فَهَذِهِ غَفْلَةٌ شَدِيدَةٌ، مَنْ يَحْكُمُ بِوَضْعِ حَدِيثٍ فِي أَحَدِ الصَّحِيحَيْنِ. ذَكَرَهُ الزُّرقَانِي[5].

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِي: ومِنْ تَغَفُّلِ وَاضِعِ هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى صُورَةٍ فَضِيلَةٍ، هِيَ رَدُّ الشَّمْسِ حَتَّى صَلَّى عَلِيّ الْعَصْرَ، ولَمْ يَلْمَحْ عَدَمَ الْفَائِدَةِ فِيهَا، وَأَنَّ صَلَاةَ الْعَصْرِ بِغَيْبُوبَةِ الشَّمْسِ قَضَاءٌ، ورُجُوعُ الشَّمْسِ لَا يُعِيدُهَا أَدَاءً[6].

قُلْتُ: عَلَيْهِ إِثْمُ الْوَضْعِ، وَأَمَّا الْفَائِدَةُ فمَوْجُودَةٌ، فَإِنَّ الْقَادِرَ عَلَى رَدِّ الشَّمْسِ، وَهُوَ الشَّارِعُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، يَجْعَلُهُ لَهُ أَدَاءً. ثُمَّ رَأَيْتُ القُرْطُبِي والْحَمْدُ للهِ قَالَ: لَوْ لَمْ يَكُنْ رُجُوعُ الشَّمْسِ نَافِعًا، وإِنَّهُ يَتَجَدَّدُ الْوَقْتُ لَما رَدَّهَا عَلَيْهِ[7].

ووَجْهُهُ: أَنَّ الشَّمْسَ لَمَّا رَدَّهَا عَلَيْهِ صَارَتْ كَأَنَّهَا لَمْ تَغِبْ، وَلا سِيَّمَا أَنَّهَا عَادَتْ بِعُذْرٍ مَانِعٍ مِنَ الْأَدَاءِ، وهُوَ عَدَمُ تَشْوِيشِهِ عَلَى النَّبِيءِ ﷺ، وذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يُوقِظُونَهُ كمَا فِي "الْبُخَارِي".

ولَا يُشْكِلُ بِأَنَّ قَلْبَهُ لَا يَنَامُ، فَلِمَ لَا يَفْطِنُ لِوَقْتِ الْعَصْرِ؛ لِأَنَّا نَقُولُ قَلْبُهُ مُشْتَغِلٌ بِالْوَحْيِ، فَاسْتَغْرَقَ فِيهِ نَوْمًا كَمَا فِي الْيَقَظَةِ، أَوْ لَا يَنَامُ قَلْبُهُ عَن الْخَيْرِ فِي عَالَمِ النَّوْمِ، وَأَمَّا غَفْلَتُهُ فِي عَالَمِهِ عَمَّا فِي عَالَمِ الْيَقَظَةِ فَهُوَ كَغَيْرِهِ.

---

(1) الموضوعات، ابن الجوزي، 356/1.

(2) اللآلئ المصنوعة، السيوطي، 2/1.

(3) ألفية العراقي في علوم الحديث، ص114.

(4) ألفية السيوطي في علم الحديث.

(5) شرح المواهب، الزُّرقاني، 487/6.

(6) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 528/2، والموضوعات، ابن الجوزي، 357/1.

(7) شرح المواهب، الزُّرقاني، 487/6، نقلا من التذكرة، القرطبي، ص142.

وفِي "الإِسْعَادِ"[1]: لَوْ غَرَبت الشَّمْسُ ثُمَّ عادَتْ عَادَ الْوَقْتُ أَيْضًا لِهَذَا الْحَدِيثِ[2]، حَدِيثِ عَلِيٍّ فِي رَدِّ الشَّمْسِ.

وقيلَ: يَجُوزُ حَمْلُ الْغُرُوبِ، فِي كَلَامِ أَسْمَاءَ، عَلَى الشُّروعِ فِي الْغُرُوبِ، أَوْ مُقَارَنَتِهِ، فَيَكُونُ عَوْدُهَا قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمسِ، فَيَحْصُلُ بِهِ بَقَاءُ الْوَقْتِ. فَمَعْنَى "عَادَتْ": عَادَ ظُهُورُهَا كَامِلَةً فَالْوَقْتُ بَاقٍ حَقِيقَةً. واعْترضَ بِأَنَّهُ خلَافُ الظَّاهِرِ، وَلَا قَرِينَةَ عَلَيْهِ، وقَدْ أَثْبَتَهُ حُفَّاظُ الْحَدِيثِ عَلَى ظَاهِرِهِ، حَتَّى الذِينَ زَعَمُوا وَضْعَهُ أَوْ ضُعْفَهُ[3].

إِلَّا أَنَّ فِي حَدِيثِ جَابِر: ((فَتَأَخَّرَتْ سَاعَةً مِنَ النَّهارِ)) فظَاهِرُ هَذَا أَنَّهُ قَبْلَ الْغُرُوبِ، وَلَا يَدُلُّ قَوْلُهُ "فَزِيدَ لَهُ فِي النَّهَارِ سَاعَةً" عَلَى أَنَّهُ بَعْدَ الْغُرُوبِ، كمَا قِيلَ: بَلْ هَذَا مُشْتَرَكٌ، فَإِنَّ تَطْوِيلَ النَّهارِ زِيَادَةٌ فِيهِ، والرَّدُّ إِلَيْهِ زِيَادَةٌ فِيهِ، إِلَّا أَنَّ حَدِيثَ جَابِر قِصَّةٌ أُخْرَى كمَا يَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ.

وتَعَجَّبَ بَعْضٌ مِنْ كَوْنِ عِيَاض لَمْ يَحْكُمْ عَلَى حَدِيثِ وُقُوفِ الشَّمْسِ لِعَلِيٍّ بِالضُّعْفِ ولَا بِالْوَضْعِ، بَلْ قَبِلَهُ ووَثَّقَ رِجَالَهُ.

ويُجَابُ بِأَنَّ إِسْنَادَ حَدِيثِ أَسْمَاءَ حَسَنٌ، وَكَذَا إِسْنَادُ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ الْآتِي إِنْ شَاءَ اللهُ.

قَالَ السُّيُوطِي: ومِن ثَمَّ صَحَّحَهُ الطَّحَاوِي والْقَاضِي عِيَاض[4].

قَالَ السُّيُوطِي: الْحَسَن إِذَا اجْتَمَعَ مَعَ الْحَسَن، أَوْ تَعَدَّدَتْ طُرُقُهُ، عُدَّ صَحِيحًا. وكَذَلِكَ قالَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَل: لَا أَصْلَ لِذَلِكَ الْحَدِيثِ[5].

وكَذَا صرَّحَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْحُفَّاظِ بِوَضْعِهِ[6]، ومِنْهُم ابْنُ تَيْمِيَّةَ، وهُوَ مُرَادٌ بِالْبَعْضِ الْمُتَعَجِّبِ الْمَذْكُورِ آنِفًا.

ولَعَلَّ الْقَائِلِينَ بِوَضْعِهِ أَوْ ضُعْفِهِ اتَّصَل إِلَيْهِمْ بِطَرِيقٍ فِيهِ كَذَّابٌ أَوْ ضَعِيفٌ، لَا بِطَرِيقِ أَسْمَاءَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ، فَإِنَّ رِجَالَهُمَا لَا كَذِبَ وَلَا ضُعْفَ فِيهِمْ.

---

(1) لمْ أقفْ عليه.

(2) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 487/6.

(3) (م، س)، 487/6.

(4) الدرر المنتثرة، السيوطِي، ص122.

(5) (م، س)، ص122.

(6) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 488/6.

وقَدْ أَخْرَجَهُ ابْنُ مَنْدَةَ وابن شاهين [250و] عَنْ أَسْمَاءَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، وابن مردويه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، والطَّبَرَانِي بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ[1].

ولَفْظُ الطَّبَرَانِي: ((**أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَلَّى الظُّهرَ بِالصَّهْبَاءِ، ثُمَّ أَرْسَلَ عَلِيًّا فِي حَاجَةٍ**)) يَعْنِي قِسْمَ غَنَائِمِ خَيْبَر، كَمَا فِي رِوَايَةٍ لِلطَّبَرَانِي أَيْضًا[2] ((**فَرَجَعَ وَقَدْ صَلَّى النَّبِيءُ ﷺ الْعَصْرَ، فَوَضَعَ ﷺ رَأْسَهُ فِي حِجْرِ عَلِيٍّ فَنَامَ، فَلَمْ يُحَرِّكْهُ حَتَّى غَابَت الشَّمْسُ، فَاسْتَيْقَظَ فَسَأَلَهُ أَصَلَّيْتَ؟ قَالَ: لَا، فَقَالَ ﷺ: اللَّهُمَّ إنَّ عَبْدَكَ عَلِيًّا احْتَبَسَ بِنَفْسِهِ عَلَى نَبِيِّهِ، فَرُدَّ عَلَيْهِ الشَّمْسَ**؛ أَيْ: لِيُصَلِّيَ العَصْرَ أَدَاءً، **قَالَتْ أَسْمَاء: فَطَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ حَتَّى وَقَفَتْ عَلَى الْجِبَالِ وَعَلَى الأَرْضِ، فَقَامَ عَلِيٌّ فَتَوَضَّأَ، وَصَلَّى الْعَصْرَ ثُمَّ غَابَتْ، وَذَلِكَ بِالصَّهْبَاءِ**))[3].

وعِنْدَ الطَّبَرَانِي أَيْضًا عَنْ أَسْمَاءَ: ((اشْتَغَلَ عَلِيٌّ مَعَ رَسُولِ اللهِ فِي قِسْمَةِ الْغَنَائِمِ يَوْمَ خَيْبَرَ حَتَّى غَابَت الشَّمْسُ، **فَقَالَ ﷺ: يَا عَلِيّ أَصَلَّيْتَ الْعَصْرَ؟ قَالَ: لَا يَا رَسُولَ اللهِ،** فَتَوَضَّأَ ﷺ وجَلَسَ فِي الْمَجلِسِ، فَتَكَلَّمَ بِكَلِمَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ كَأَنَّهَا مِنْ كَلَامِ الْحَبَشَةِ فارْتَجَعَت الشَّمْسُ كَهَيْئَتِهَا فِي الْعَصْرِ. فَقَامَ عَلِيّ فَتَوَضَّأَ وصَلَّى الْعَصْرَ، ثُمَّ تَكَلَّمَ ﷺ بِمِثْلِ مَا تَكَلَّمَ بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ، فَرَجَعَت الشَّمْسُ إِلَى مَغْرِبِهَا، فَسَمِعْتُ لَهَا صَرِيرًا كَالْمِنْشَارِ فِي الْخَشَبَةِ وطَلَعَت الْكَوَاكِبُ)). وفِي هَذَا والدُّعاءِ بَيَانُ أَنَّها أَدَاءٌ لَا قَضَاءٌ[4].

وفِي لَفْظٍ آخَرَ عِنْدَ الطَّبَرَانِي: ((**كَانَ ﷺ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ يُغْشَى عليهِ فأنزلَ عليهِ يوما وَهُوَ فِي حِجْرِ عَلِيٍّ، فَقَالَ النَّبِيءُ ﷺ**؛ أي: لمَّا سري عليهِ: **صَلَّيْت الْعَصْرَ؟ قَالَ: لا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَدَعَا اللَّهَ**؛ أيْ: بكلمتين أو ثلاث، **فَرَدَّ عَلَيْهِ الشَّمْسَ حَتَّى صَلَّى الْعَصْرَ**. قَالَتْ أسماءُ: فَرَأَيْت الشَّمْسَ طَلَعَتْ بَعْدَ مَا غَابَتْ حِينَ ردَّتْ، حَتَّى صَلَّى الْعَصْرَ عَلِيّ))[5].

---

(1) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 489/6.

(2) سيورد هذه الرواية بعد قليل.

(3) المعجم الكبِير، الطبراني، رقم (382).

(4) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 489/6، عن الطبراني دون ذكر المصدرِ.

(5) المعجم الكبِير، حدِيث (391).

ويُرْوَى أَنَّ أبا الْمظفّر الْواعظ[1] كَانَ يَذْكُرُ وراءَ الْعَصْرِ والسَّمَاءُ مُغَيَّمَةٌ غَيْمًا مُطْبَقًا، فَضَائِلَ عَلِيّ وَرَدَّ الشَّمْسِ لَهُ، فَأَطَالَ وَظَنُّوا أَنَّ الشَّمْسَ غَرَبَتْ وَهَمُّوا بِالْانصِرَافِ فأَصْحَت السَّماءُ ولَاحَت الشَّمْسُ صَافِيَةَ الإِشْرَاقِ، فأَشَارَ إِلَيْهِمْ بِالْجُلُوسِ وقَالَ مُرْتَجِلًا:

لَا تَغْرُبِي يَا شَمْسُ حَتَّى يَنْتَهِي ... مَدْحِي لِآلِ الْمُصْطَفَى وَلِنَجْلِهِ
وَأَثْنِي عَنَانَكِ إِذْ أَرَدْتُ ثَنَاءَهُمْ ... أَنَسِيتِ إِذْ كَانَ الْوُقُوفُ لِأَجْلِهِ
إِنْ كَانَ لِلْمَوْلَى وُقُوفُكِ فَلْيَكُنْ ... هَذَا الْوُقُوفُ لِخَيْلِهِ وَلِرَجْلِهِ[2]

وقَدْ تَقَرَّرَ أَنَّ المُتَكَلِّمَ لَا يَدْخُلُ فِي كَلَامِهِ عَلَى الصَّحِيحِ. فَحِينَ قَالَ ﷺ: ((**لَمْ تَقِف الشَّمْسُ لِأَحَدٍ غَيْرِ يُوشَعَ**))[3] لَمْ يَدْخُلْ ﷺ فِيمَنْ لَمْ تَقِفْ لَهُ. وأَيْضًا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ وَقَفَتْ لَهُ بَعْدُ وهُوَ لَمْ يَقُلْ [250ظ] لَمْ تَقِفْ وَلَنْ تَقِف.

وقَدْ وَقَفَتْ لَهُ ﷺ الشَّمْسُ فِي غزْوَةِ الْخَنْدَقِ، إِذْ شُغِلُوا عَنْ صَلاةِ الْعَصْرِ حَتَّى غرَبَتْ. ذَكَرَ حَبْسَها يَوْمَ الخَنْدَقِ عِيَاضُ والطَّحَاوِي والنَّوَوِي وابْنُ حَجَر، وتعقّبَ بِأَنَّ الثَّابِتَ فِي "صَحِيحِ البخارِي" وغَيْرِهِ أَنَّهُ ﷺ صَلَّى الْعَصْرَ فِي وَقْعَةِ الْخَنْدَقِ بعْدَمَا غَرَبَت الشَّمْسُ. الْجَوَابُ أَنَّهُ كانَ فِي يَوْمٍ آخَر إِذْ وَقْعَةُ الْخَنْدَقِ كَانَتْ أيَّامًا[4].

وذَكَرَ الْبَغَوِي أَنَّ مَعْنَى قَوْلِ سُلَيْمَانَ: ﴿**رُدُّوهَا عَلَيَّ**﴾[5] رُدُّوهَا عَلَيَّ يَا مَلَائِكَةَ اللهِ الْمُوَكَّلِينَ بِالشَّمْسِ بِأَمْرِ اللهِ[6]؛ فرَدُّوهَا عَلَيْهِ حَتَّى صَلَّى الْعَصْرَ، والضَّمِيرُ لِلشَّمسِ. والجُمْهُورُ أَنَّهُ لِلْجِيَادِ[7].

(1) العبادي أبو منصور المظفر بن أردشير المروزي اشتهر بوعظِهِ. سير أعلام النبلاء، 231/20.
(2) الأبيات من الكامل. شرح المواهِب، الزُّرقاني، 490/6. القصّة والأبيات ذكرها الذّهبِي، سير أعلام النبلاء، 232/20.
(3) سبَقَ تَخريجُهُ، مسند أحمد، حدِيث (8315).
(4) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 493/6.
(5) سورة ص: 33.
(6) معالم التنزِيل، البغوِي، 90/7.
(7) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 493/6-494.

وَجَاءَ أَيْضًا أَنَّهَا حُبِسَتْ عَنِ الطُّلوعِ لِمُوسَى، وعَنْ عُرْوَةَ أَنَّهُ تَعَالَى أَمَرَ مُوسَى أَنْ يَحْمِلَ تَابوتَ يُوسُفَ، فَلَمْ يدلّ عليْهِ حَتَّى كَادَ الْفَجْرُ يَطْلُعُ، وقَدْ وَعَدَهُمْ بِالسَّيْرِ عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ، فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ يُؤَخِّرَ طُلُوعَ الْفَجْرِ حَتَّى يَفْرغَ فَفَعَلَ. وتَأْخِيرُ طُلُوعِ الْفَجْرِ تَأْخِيرٌ لِطُلُوعِ الشَّمْسِ[1].

وَعَنْ عَلِيّ أنَّ قَوْمَ يُوشَع سَأَلُوهُ أَنْ يُرِيَهُم بَدْأَ الْخَلْقِ، ويطْلِعَهُمْ عَلَيْهِ وآجالَهُمْ فأَرَاهُمْ اللهُ ذَلِكَ فِي مَاءٍ مِنْ غَمَامَةٍ أَمْطَرَها اللهُ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ أَحَدُهُم يَعْلَمُ متَى يَمُوتُ، فبَقَوْا عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ قَاتَلَهُم دَاوُدُ عَلى الْكُفْرِ فَأَخْرَجُوا إِلَى دَاوُدَ مَنْ لَمْ يَحْضُرْ أَجلُهُ، فكَانَ يُقتَلُ مِنْ أَصْحَابِ دَاوُدَ ولَا يُقتَلُ مِنْهُمْ، فَشَكا إِلَى اللهِ وَدَعَاهُ، فَحُبِسَتْ عَلَيْهِ الشَّمسُ فَزِيدَ فِي النَّهَارِ، فَاخْتَلَطَت الزِّيَادَةُ بِاللَّيْلِ والنَّهَارِ، فاخْتَلَطَ عَلَيْهِمْ حِسَابُهُمْ، وإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ جِدًّا[2].

قَالَ عِياض: قِيلَ: حَبْسُ الشَّمْسِ رَدُّهَا عَلَى أَدْرَاجِها التِي تَسِيرُ عَلَيْها نَهَارًا، وَقِيلَ: وَقْفُهَا[3]. وهُوَ ظَاهِرُ لَفْظِ "حُبِسَتْ".

قُلْتُ: لَا تَحْسُنُ هَذِه الْعِبَارَةُ، وَالصَّوَابُ أَلَّا يَقُولَ حَبْسُهَا رَدُّهَا فِي أَدْرَاجِهَا أَوْ وَقْفُهَا، بَلْ يَقُولُ: قِيلَ رُدَّتْ عَلَى أَدْرَاجِها، وقِيلَ: وَقَفَتْ، والْحَاصِلُ أَنَّ الرَّدَّ لَا يَكُونُ حَبْسًا.

ولَهُمْ قَوْلٌ ثَالِثٌ هُوَ أَنَّهُ أَبْطَأَتْ حَرَكَتَهَا، قَالَ ابْنُ بَطَّال: وَهُوَ أَوْلَى الأَقْوَالِ[4]، وكُلُّ ذلِكَ مُعْجِزَةُ النُّبُوءَةِ[5].

قَالَ بَعْضُ شُرَّاحِ مُسْلِم: حَرَكَةُ الشَّمْسِ حَرَكَةُ الْفَلَكِ بِهَا، فَحَبْسُها بِحَبْسِ الْفَلَكِ لَا بِحَبْسِها نَفْسِهَا[6]. ولَا حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

114 وَرُبَّ عَناقٍ مَا نَزَا[7] الْفَحْلُ فَوْقَهَا فَدَرَّتْ بِمَسْحٍ كَانَ مِنْك بِأَيْمَانِ

(1) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 494/6.
(2) (م، س)، 494/6، وفتح الباري، ابن حجَر، 221/6.
(3) إكمال المعلِم، القاضِي عِياض، 53/6.
(4) شرح صحيح البخاري، ابن بطَّال، 278/5.
(5) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 494/6.
(6) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 494/6.
(7) في الأصل: "ما نزى" بالألف المقصورة، لكن المؤلِّف رسمها بعد ذلِك بالممدودةِ.

وكَثِيرٌ مِن الشِّياهِ مَا عَلَاهَا فَحْلُ الشِّياهِ أَخْرَجَت اللَّبَنَ بِمَسْحٍ علَى ظَهْرِهَا أَوْ ضِرْعِها مِنْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، بِيَدِكَ اليُمنَى.

وَ"رُبَّ" لِلتَّكْثِيرِ، إِنْ أَرَادَ بِالْعَنَاقِ الشِّيَاهَ مُطْلَقًا مَعْزًا أَوْ ضَأْنًا صِغَارًا أَوْ كِبارًا، تَجَوُّزًا إِرْسَالِيًّا، وأَرَادَ بِعَدَمِ نُزُوِّ الْفَحْلِ عَلَيْها الْمَنْفِيِّ، أَنَّهُ مَا نَزَا عَلَيْهَا قَطُّ، أَوْ مَا نَزَا عَلَيْها قَرِيبًا، نُزُوًّا يَصْلُحُ أَنْ تَحْمِلَ بِهِ فتَلِدَ فيَكُون لَهَا لَبَنٌ، وذلِكَ تَوَسُّعٌ فِي الْعِبَارَةِ.

وإِنْ أَرَادَ [251و] ظَاهِرَ اللَّفظِ، مِنْ كَوْنِ الشَّاةِ مَعْزَةً صَغِيرَةً لَمْ يَنْزُ عَلَيْها فَحْلٌ قَطُّ، فَرُبَّ لِلتَّقلِيلِ، كَأَنَّهُ وَقَعَ لَهُ أَمْرٌ نَادِرٌ مُعْجِزَةٌ، ومِن شَأْنِ الْمُعْجِزَة القِلَّةُ، فَهَذِهِ مُعْجِزَة قَلِيلَةٌ، بَمَعْنَى أَنَّها لَمْ تَقَعْ إِلَّا لَهُ.

وَأَرَادَ بِـ "أَيْمَانِ" بفَتْحِ الْهَمْزَةِ، يَمِينَ رَسُولِ اللهِ ﷺ جمَعَهَا لِلتَّعْظِيمِ كأَنَّهَا مُتَعَدِّدَةٌ، ثَلَاثًا فَصَاعِدًا، فإِنَّ لَهُ ﷺ يَدَيْنِ فَقَطْ كَالنَّاسِ، يَدًا يُمْنَى وَيَدًا يُسْرَى. وهُنَا فُصُولٌ ثَلَاثَةٌ، فَصْلٌ فِي بَرَكَةِ اللَّبَنِ بِيَدِهِ ﷺ والآخَرُ فِي يَدَيْهِ ﷺ، والآخَرُ فِي مُشَارَكَتِهِ لِلْأَنْبِيَاءِ فِيمَا خُصُّوا بِهِ.

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ: [بَرَكَةُ اللَّبَنِ بِيَدِهِ ﷺ]

قالَ الْقُرْطُبِي فِي "شَرحِ مُسْلِم": كَانَ سَبَبُ إِسْلَامِ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُود أَنَّهُ كانَ يَرْعَى غَنَمًا لعقبة بن أبي معيط، فَمَرَّ بِهِ النَّبِيءُ ﷺ فقَالَ: ((**يَا غُلَامُ هَلْ مِنْ لَبَنٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، ولَكِنِّي مُؤْتَمَنٌ فقَالَ: هَلْ مِنْ شَاةٍ حَائِلٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْها فَحْلٌ؟ فَأَتَيْتُهُ بِشَاةٍ سَشُوصٍ**[1] **فَمَسَحَ ضِرْعَهَا فَنَزَلَ اللَّبَنُ. فَحَلَبَ وَشَرِبَ وسَقَى أَبَا بَكْرٍ ﷺ ثُمَّ قَالَ لِلضِّرْعِ: اقْلُصْ فَقَلَصَ. قَالَ ابنُ مَسْعُودٍ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، فَقَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ، إِنِّي عَلِيمٌ مُعَلَّمٌ**[2] **فَأَسْلَمَ**))[3].

ولَفْظُ أَبِي نُعَيْم عَنْ ذَرّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُود ﷺ: ((كُنْتُ غُلَامًا يافِعًا أَرْعَى غنَمًا لعُقْبَةَ بنِ أَبِي مُعَيْط، فَأَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وأَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: هَلْ عِنْدَكَ مِنْ جَذَعَةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ بعدُ؟ فأَتَيْتُهُ بِها فَاعْتَقَلَهَا أبُو بَكْرٍ، وأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الضَّرْعَ فَحَلَبَ وشَرِبَ هوَ وأَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ:

---

(1) في المفهم: شصوص.

والشَّصُوصُ: التِي قَدْ قَلَّ لبنُها جِدّاً، أَوْ ذَهَب. وَقَدْ شَصَّتْ وأَشَصَّتْ. النهاية في غريب الحدِيث، ابن الجزَرِي، 472/2.

(2) في المفهم: إِنَّكَ غُلَيِّمٌ معلَّمٌ. والحدِيث في مسند أحمد رقم (3598).

(3) المفهم، القرطبِي، 370/6.

اقْلُصْ فَقَلَصَ. فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِنَّكَ غُلَامٌ مُعَلَّمٌ))[1].

والْمُتَبَادَرُ مِنْ لَفْظِ "حَائِل" أَنَّهَا لَمْ تَحْمِلْ، وهِيَ فِي حَدِّ الْحَمْلِ حَمَلَتْ قَبْلَ ذَلِكَ ووَلَدَتْ، أَمْ لَمْ تَحْمِلْ إِلَّا أَنَّهَا فِي حَدِّ مَا يَحْمِلُ.

قَالَ ثوْبان مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ: ((نَزَلَ بِنَا ضَيْفٌ بَدَوِيٌّ فَجَلَسَ بِهِ النَّبِيءُ ﷺ قُدَّامَ بُيُوتِنَا يَسْأَلُهُ عَنِ النَّاسِ كَيْفَ فَرَحُهُمْ بِالْإِسْلَامِ، كَيْفَ حِذْقُهُمْ[2] بِالصَّلَاةِ؟ فَمَا زَالَ يُخْبِرُهُ عَنْ ذَلكَ بالذِي يَسُرُّهُ حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ الله ﷺ نَاضِرًا، حتَّى إذا انتَفَخَ النَّهارُ، وجَازَ[3] أَكْلُ الطَّعَامِ، دَعَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فأَشَارَ إِلَيَّ مُستَخْفِيًا، لَا يَأْلُو، أَن ايتِ عَائِشَةَ فَأَخْبِرْهَا أَنَّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ضَيْفًا، فقَالَتْ: والذِي بَعَثَهُ بِالْهُدَى ودِينِ الْحَقِّ مَا أَصْبَحَ فِي بَيْتِنا شَيْءٌ يَأْكُلُهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ. فَرَدَّنِي إِلَى نِسائِهِ كُلِّهِنَّ [251ظ] واعْتَذَرْنَ بِمَا اعْتَذَرَتْ بِهِ عَائِشَةُ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ، حَتَّى رَأَيْتُ لَوْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كُسِفَ. وكَانَ الْبَدَوِيُّ عَاقِلًا فَفَطِنَ، فَمَا زَالَ الْبَدَوِيّ يُعَارِضُ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَتَّى قَالَ: إِنَّا أَهْل الْبَادِيَةِ مُعَانُونَ فِي زَمَانِنَا لَسْنَا كَأَهْلِ الْحَاضِرَةِ، إِنَّمَا يَكْفِي أَحَدَنا الْقَبْضَةُ مِن التَّمْرِ يَشْرَبُ عَلَيْهَا الْمَاءَ والشَّرْبَة مِنَ اللَّبَنِ، وَذَلِكَ هُوَ الْخِصْبُ عِنْدَنَا. فَمَرَّتْ عِنْدَ ذَلِكَ عَنْزٌ قَد احْتَلَبَتْ كُنَّا نُسَمِّيهَا تَمْرَا، فَدَعَا بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ تَمْر تَمْر، فَأَقْبَلَتْ إِلَيْهِ تُحَمْحِمُ، فَأَخَذَ بِرِجْلِهَا وَمَسَحَ ضَرْعَها، وقَالَ بِسْمِ اللهِ فَحَفَلَتْ فدَعَا بِمحْلَبٍ لَنَا، فَأَتَيْتُهُ بِهِ فَحَلَبَ وقَالَ بِاسْمِ اللهِ فَمَلَأَهُ. ثُمَّ قَالَ: ادْفَعْ بِسْمِ اللهِ فدَفَعْتُهُ إِلَى الضَّيفِ فَشَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً ضَخْمَةً ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَضَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: عُدْ، فَعَادَ ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَضَعَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: عُدْ، فَكَرَّرَهُ حَتَّى امْتَلَأَ فَشَرِبَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ حَلَبَ فِيهِ وقَالَ: بِاسْمِ اللهِ ومَلَأَهُ. ثمَّ قال: أبلِغْ هذا عائِشَةَ، فلتشرَبْ منهُ ما بَدَا لَها، ثمَّ رجعتُ فحلبَ فِيهِ، وقال: بسم اللهِ، وملأهُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي إِلَى نِسَائِهِ، كُلَّمَا شَرِبَت امْرَأَةٌ رَدَّنِي إِلَى الْأُخْرَى وَقَالَ: بِاسْمِ اللهِ حَتَّى شَرِبْنَ كُلُّهُنَّ، ثُمَّ رَدَدْتُهُ إِلَيْهِ فقَالَ: بِسْمِ اللهِ،

(1) حلية الأولياء، أبو نعيم، 125/1.

(2) فِي الشَّرِيعة: حُزنُهُم.

(3) في الشَّرِيعة: حانَ.

فَشَرِبَ ما شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَعْطَانِي فَشَرِبتُ شَرابًا أَحْلَى مِن الْعَسَلِ، وأَطْيَبَ مِنَ الْمِسْكِ، وقَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأَهْلِهَا فِيهَا)) ومِمَّنْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ الآجري[1][2].

قال ابْنُ الْقَطَّانِ[3]: ((**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بعَثَ إِلَى بُيُوتِهِ التِّسْعَةِ يَسْأَلُ نِسَاءَهُ فَلَمْ يَجِدْ ذَلِكَ. فَدَعَا بِعَنَاقٍ لَمْ تَلِدْ قَطُّ فَمَسَحَ الضِّرْعَ فَدَفعت بشَيْءٍ ملأت ما بين رجليْها فدعا بقعبٍ فسَقَى البيوتَ التِّسعةَ**))[4].

ورُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ حمّاد بن إسحاق، وفِي رِوَايَةٍ: ((**بَعَثَ إِلَى كُلِّ بَيْتٍ مِنْها بِقعْبٍ ثُمَّ حَلَبَ فَشَرِبَ وشَرِبْنَا ﷺ**))[5].

ومِنْ ذَلِكَ قِصَّةُ أُمِّ مَعبَد، ورَوَى مُسْلِم عَن الْمِقْدَادِ بنِ الْأَسْوَد: ((أَقْبَلْتُ أَنَا وصَاحِبَانِ لِي، وَقَدْ ذَهَبَتْ أَسْمَاعُنَا وأَبْصَارُنَا مِنَ الْجهْدِ، فَجَعَلْنَا نَعْرِضُ أَنْفُسَنَا علَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَقْبَلُنَا؛ يَعْنِي لِضِيقِ حَالِهِمْ فِي الْمَعِيشَةِ. فَأَتَيْنَا النَّبِيءَ ﷺ فَانْطَلَقَ بِنَا إِلَى أَهْلِهِ، فَإِذَا ثَلَاثَةُ أَعْنُزٍ فقَالَ النَّبِيءُ ﷺ: احتَلِبُوا هَذَا اللَّبَنَ بَيْنَنَا، فَكُنَّا نَحتَلِبُ، فَيَشْرَبُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنَّا نَصِيبَهُ، ونَرْفَعُ لِلنَّبِيءِ ﷺ نَصِيبَهُ. قَالَ: فَيَجِيءُ ﷺ مِن اللَّيْلِ فيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا لَا يُوقِظُ نَائِمًا، ويُسْمِعُ الْيَقْظَانَ، قَالَ: ثُمَّ يَأْتِي الْمَسْجِدَ فَيُصَلِّي ثُمَّ يَأْتِي شَرَابَهُ، فَيَشْرَبُ فَأَتَانِي الشَّيْطانُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، وقَدْ شَرِبْتُ نَصِيبِي، فَقُلْتُ: رَسُولُ اللهِ مُحَمَّد ﷺ [252و] يَأْتِي الْأَنْصَارَ فَيُتْحِفُونَهُ ويُصِيبُ عِنْدَهُمْ، مَا بِهِ حَاجَةٌ إِلَى هَذِهِ الْجُرْعَةِ، فأَتَيْتُهَا فَشَرِبْتُهَا، فَلَمَّا أَنْ وَغَلَتْ فِي بَطْنِي، وعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَيْهَا سَبِيلٌ قَالَ: نَدَّمَنِي الشَّيْطَانُ فَقَالَ: وَيْحَكَ مَا صَنَعْتَ، شَرِبْتَ شَرَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ فيَجِيءُ فَلَا يَجِدُهُ، فَيَدْعُو عَلَيْكَ فتَهْلكَ فتَذْهَبُ دُنْيَاكَ وآخِرَتُكَ. وعَلَيَّ شملة إِذَا وَضَعْتُهَا عَلَى قَدَمَيَّ خَرَجَ رَأْسِي، وإِذَا وَضَعْتُهَا عَلَى رَأْسِي خَرَجَ قَدَمَايَ، وجَعَلَ لَا يَجِيئُنِي النَّومُ، وأَمَّا صَاحِبَايَ فَنَامَا ولَمْ يَصْنَعَا مَا صَنَعْتُ، فَجَاءَ النَّبِيءُ ﷺ فسَلَّمَ كَمَا كَانَ يُسَلِّمُ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَصَلَّى، ثُمَّ أَتَى شرَابَهُ فكَشَفَ عَنْهُ، فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ شَيْئًا، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّماءِ فقُلْتُ: الآنَ يَدْعُو عَلَيَّ فأَهْلِك، فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي وأَسْقِ مَنْ أَسْقَانِي، فعَمِدْتُ إِلَى

(1) الآجرِي: أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ الحُسَيْنِ، المُحَدِّثُ، البغدادِي، من مؤلفاتهِ: الشريعة في السُّنَّةِ، آداب العلماءِ، التَّهجُّد. توفي بمكَّة 360هـ. سِيَر أعلام النبلاء، الذَّهَبِي، 133/16.

(2) الشريعة، الآجرِي، حدِيث (1062).

(3) ابْن الْقطَّان الْحَافِظ عَليّ بن مُحَمَّد بن عبد الْملك بن يحيى بن إِبْرَاهِيم الْحِمْيَرِي الكتامي الفاسي، كَانَ من أبْصر النَّاس بصناعة الحَدِيث، صنّف الْوَهم والإيهام على الْأَحْكَام الْكُبْرَى لعبد الْحق مَاتَ سنة 628هـ. طبقات الحفَّاظ، السيوطِي، ص498.

(4) لم أقفْ عليهِ.

(5) لم أقفْ عليهِ.

الشّملة فشدَدْتُهَا عَلَيَّ، وأَخَذْتُ الشَّفْرَةَ فَانْطَلَقْتُ إِلَى الْأَعْنُزِ أَيّهُنَّ أَسْمُنُ، فَأَذْبَحهَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فإِذَا هِيَ حَافِلٌ، وإِذَا هُنَّ حَفْلٌ كُلُّهُنَّ. فَعَمِدْتُ إِلَى إِنَاءٍ لِآلِ مُحَمَّد ﷺ كانُوا يَطْمَعُونَ أَنْ يَحْتَلِبُوا فِيه، فحَلَبْتُ فِيهِ حَتَّى عَلَتْهُ رَغْوَةٌ، فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فقَالَ: أَشَرِبْتُمْ شَرَابَكُمْ؟ فقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ اشْرَبْ فشَرِبَ ثُمَّ نَاوَلَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ اشْرَبْ فَشَرِبَ ثُمَّ نَاوَلَنِي، فَلَمَّا عَرَفْتُ أَنَّ النَّبِيءَ ﷺ رَوِي وأَصَبْتُ دَعْوَتَهُ ضَحِكْتُ حَتَّى أَلْقيتُ إِلَى الْأَرْضِ، قَالَ: فَقَالَ لِي النَّبِيءُ ﷺ إِحْدَى سَوْآتِكَ يَا مِقْدَاد، يَعْنِي هَذَا الضَّحِكُ. فقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ كَانَ مِنْ أَمْرِي كَذَا وكَذَا، وفَعَلْتُ كَذَا وكَذَا، فَقَالَ النَّبِيءُ ﷺ مَا هَذِهِ إِلَّا رَحْمَةٌ مِنَ اللهِ، أَفَلَا كُنْتَ آذَنْتَنِي، فَنُوقِظَ صاحِبَيْنا فيُصِيبَانِ منْهَا، قَالَ: والذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أُبَالِي إِذَا أَصَبْتهَا، وأَصَبْتهَا مَعَكَ مَنْ أَصَابَ))[1].

وفِي "الْبُخَارِي" عَنْ مُجَاهِد أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَان يَقُولُ: ((وَاللهِ[2] الذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنْ كُنْتُ لأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِم، الذي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ ﷺ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلاَّ لِيَسْتَتْبِعَنِي[3]، فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي، وَعَرَفَ مَا في نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي، ثُمَّ قَالَ لِي: أَبَا هريرة[4] قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: الْحَقْ، وَمَضَى فَاتَّبَعْتُهُ، فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنتُ، فَأَذِنَ لي، فَدَخَلَ فَوَجَدَ لَبَنًا في قَدَحٍ، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ؟ قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلانٌ أَوْ فُلاَنَةُ. قَالَ: أَبَا هريرة[5]، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: الْحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لي. قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الإِسْلاَمِ، لاَ يَأْوُونَ إِلَى أَهْلٍ وَلاَ مَالٍ، وَلاَ عَلَى أَحَدٍ، إِذَا أَتَتْ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ، فَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا، فساءني ذَلِكَ، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ في أَهْلِ الصُّفَّةِ، كُنْتُ أَحَقُّ أَنْ أُصِيبَ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا، فَإِذَا جَاء وَأَمَرَنِي كُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ، وَمَا عَسَى أَنْ يبلغني مِنْ هَذَا اللَّبَنِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ بُدٌّ، فَأَتَيْتُهُمْ [252ظ] فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا، فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ، وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ فقَالَ: يَا أَبَا هريرة[6] قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: خُذْ فَأَعْطِهِمْ، فَأَخَذْتُ الْقَدحَ فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى

(1) صحيح مسلِم، حدِيث (174).

(2) في البخارِي: أاللهِ.

(3) فِي صحيح البخارِي: ليشْبِعني.

(4) فِي صحيح البخارِي: قال: يا أبا هِرّ.

(5) فِي صحيح البخارِي: قال: يا أبا هِرّ.

(6) فِي صحيح البخارِي: قال: يا أبا هِرّ.

يَرْووا[1]، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدحَ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدْحَ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيءِ ﷺ وقَدْ رَوِيَ الْقَوْمُ كُلُّهُم، فَأَخَذَ الْقدحَ فوَضَعَهُ علَى يَدَيْهِ، فنَظَرَ إِلَيَّ فتَبَسَّمَ فقَالَ: أبَا هِرّ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ، قَالَ: بَقِيتُ أَنَا وأَنْتَ، قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: اقْعُدْ فَاشْرَبْ فقَعَدْتُ فشَرِبْتُ فقَالَ: اشْربْ فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ اشْرَبْ حَتَّى قُلْتُ: لَا وَالذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ما أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا قالَ: فَأَرِنِي فأَعْطَيْتُهُ الْقَدْحَ فَحَمِدَ اللهَ وَسَمَّى وشَرِبَ الْفُضْلَةَ))[2].

الفَصْلُ الثَّانِي: [يدَاهِ ﷺ]

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَثن الْكَفَّيْنِ؛ أيْ: غَلِيظَ أَصَابِعِهِمَا. وهُوَ بِفَتْحِ الشِّينِ المُعْجَمَةِ وإِسْكَانِ الثَّاءِ المثلَّثَةِ. وذَلِكَ مَمْدُوحٌ فِي الرَّجُلِ؛ لأَنَّهُ أَشَدُّ فِي الْقَبْضِ، وفَسَّرَهُ بعضٌ بغَلِيظِ الأَنَامِلِ. ووُصِفَ ﷺ بِأَنَّهُ عَبْلُ الذِّرَاعَيْنِ؛ أَيْ: غَلِيظُهُمَا، رَحْبُ الْكَفَّيْنِ؛ أَيْ: وَاسِعُهُمَا حِسًّا، وكَانَ أَيْضًا وَاسِعَهُمَا بِمَعنَى أَنَّهُ سَخِيٌّ ﷺ.

وقَدْ مَسَحَ ﷺ خَدَّ جَابِر بنِ سمْرةَ تَأْنِيسًا وشَفَقَةً وتَبْرِيكًا، قَالَ: ((**صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيءِ ثُمَّ خَرَجَ وأَنَا مَعَهُ فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، وأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا وَ[3]رِيحًا، كَأَنَّهُ أَخْرَجَهَا مِنَ جُونَة عَطَّارٍ[4]**))[5] رَوَاهُ مُسْلِم.

وبَرْدُهَا عَلَى ظَاهِرِهِ، وهُوَ طَبْعٌ مَعَ كَمَالِ حَرَارَتِهِ الْغَرِيزَةِ، وذَلِكَ مَمْدُوحٌ وَلَا سِيَّما عِنْدَ الْحَرّ. وقِيلَ بِمَعنَى اللّينِ، وقِيلَ: الرَّاحَةُ والطِّيبُ. وجُؤْنَةُ الْعَطَّارِ: صُنْدُوقٌ صَغِيرٌ مُغَشّىً بِجِلْدٍ.

(1) صوابه: يروَى، كما في الثانية.

(2) ينظر: صحيح البخارِي، حدِيث (6452). لم أقفْ على رواية المؤلِّفِ، وينظر: مسند أحمد، حدِيث (10678).

(3) في صحيح مسلم: أو.

(4) الجُونَة بِالضَّمِّ: التي يُعَدّ فِيهَا الطِّيبُ ويُحْرَز. النهاية فِي غريب الحدِيث، ابن الأثِير، 318/1.

(5) صحيح مسلِم، حدِيث (80).

وفِي حدِيثِ وَائِل بنِ حُجْر عِنْدَ الطَّبرانِي والبيهَقِيّ: ((**لَقَدْ كُنْتُ** [أُصَافِحُ][1] **يَدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَوْ يَمَسُّ جِلْدِي جِلْدَهُ، "أَوْ" بِمَعْنَى الْوَاوِ أَوْ للتَّنوِيعِ، فَأَتَعَرَّفُ بَعْدُ فِي يَدِي، وَإِنَّهُ لأَطْيَبُ رَائِحَةً مِنَ الْمِسْكِ**))[2].

وقَالَ يزِيد بن الْأسوَد: ((**نَاوَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ، فَإِذَا هِيَ أَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ**))[3] رواهُ البيْهَقِيّ. رُوِيَ أَنَّهُ وفَدَ بِهِ أَبُوهُ عَلَى النَّبِيءِ ﷺ وهُوَ غُلَامٌ فَدَعَا لهُ[4].

وعَن الْمسْتورد بن شدّاد عَنْ أَبِيهِ: ((**أَتَيْتُ النَّبِيءَ ﷺ فأَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَإِذَا هِيَ أَلْيَنُ مِن الْحَرِيرِ، وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ**))[5] رواهُ الطَّبَرَانِي.

وَدَخَلَ ﷺ علَى سَعْد بنِ أَبِي وَقَّاص يَعُودُهُ بِمَكَّةَ فِي حجّة الْوداع؛ أَيْ: وقَد اشْتَكَى منْ مَرَضٍ أَشْرَفَ بِهِ عَلَى الْمَوْتِ، فاسْتَأْذَنَهُ في التَّصَدُّقِ بثُلُثَي مالِهِ أَوْ بِشَطْرِه، فأبَى فَقَالَ: فالثُّلُثُ، قَالَ: الثُّلُثُ والثُّلُث كَثِيرٌ)) والْحَدِيثُ فِي "صَحِيح الرَّبِيع"[6] و"صحيح البخارِي"[7]. قَالَ: ((**فَوَضَعَ يدَهُ** [253و] **عَلَى جبْهَتِي فمَسَحَ وَجْهِي وصَدْرِي وبَطْنِي، فَمَا زِلْتُ يُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنِّي أَجِدُ بَرْدَ يَدِهِ عَلَى كَبِدِي حَتَّى السَّاعَة**))[8] رَوَاهُ أَحْمَد.

وفِي "الْبُخَارِي" مِن حَدِيثِ أَنَس: ((**مَا مَسسْتُ حَرِيرًا ولَا دِيبَاجًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ ولَا شَمِمْتُ رِيحًا قَطُّ أَوْ عَرْفًا أطْيَبَ مِنْ رِيحِ أو عَرْفِ النَّبِيءِ ﷺ**))[9] ومِثْلُهُ لمُسْلِم[10]. و"أَو" لِلشَّكِّ مِن الرَّاوِي، ورواهُ بعضٌ بالقافِ، فأَوْ لِلتَّنوِيعِ والْمَشْهُورُ الْفَاءُ.

---

(1) إضافة من المعجم الكبِير، لتتمة المعنَى.

(2) المعجَم الكبِير، الطبراني، حدِيث (68)، وفيه: ((فأتعرفه في يديَّ))، وقد نقله المؤلِّف من المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني،281/2، وفتح البارِي، ابن حجَر، 573/6.

(3) دلائل النبوة، البيهقِي، 256/1.

(4) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني، 281/2.

(5) المعجَم الكبِير، الطبراني، حدِيث (7110)، وقد نقله المؤلِّف من المواهب اللدنية، القَسْطَلَّاني،281/2.

(6) مسند الربيع، حدِيث (680).

(7) صحيح البخارِي، حدِيث (2742).

(8) مسند أحمد، حدِيث (1474).

(9) صحيح البخارِي، حدِيث (3561).

(10) صحيح مسلِم، حدِيث (81).

وللْبُخَارِي رِوَايَة عَنْ أنَس: ((**مَا شَمَمْتُ مِسْكًا وَلَا عَنْبَرَةً أَطْيَبَ رَائِحَةً مِنْ رَائِحَةِ النَّبِيءِ ﷺ**))[1] وهذَا أَنْسَبُ بالْفَاءِ، والدِّيبَاج: نَوْعٌ مِنْ ثِيَابِ الْحَرِيرِ.

ورَوَى التّرمِذِي عَن ابن أبي هالة: ((**أَنَّهُ ﷺ كانَ شَثنَ الْكَفَّيْنِ والْقَدَمَيْنِ**))[2] أَيْ: غَلِيظَهُمَا فِي خُشُونَةٍ، وكَذَا وَصَفَهُ عَلِيّ عِنْدَ التّرمِذِي[3] والحَاكِم[4] وابْنِ أَبِي خَيْثَمَةَ، وكَذَا وَصَفَتْه عائِشَةُ عِنْدَ ابْنِ أَبِي خَيْثَمَةَ[5].

ويُجْمَعُ بَيْنَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمَا غَلِيظَتَانِ عَظْمًا وضَخَامَةً، ولَيِّنَتَانِ جِلْدًا وَمَسًّا، فَهُوَ نَاعِمُ الْبَدَنِ قَوِيُّهُ، ولَعَلَّ الْمُرَادَ بِالْخُشونَةِ الصَّلَابَةُ والشِّدَّةُ.

قَالَ ابْنُ بَطَّال: كَانَتْ كَفُّهُ ﷺ مُمْتَلِئَةً لَحْمًا، غَيْرَ أَنَّها مَعَ ضَخَامَتِها كانَتْ لَيِّنَةً كَمَا فِي حَدِيثِ أَنَس[6].

وأَمَّا قَوْلُ الْأَصْمَعِيّ الشَّثْنُ: غِلَظُ الْكَفِّ فِي خُشُونَةٍ، فَلَمْ يُوَافِقْ عَلَى تَفْسِيرِهِ بِالْخُشُونَةِ[7].

وفَسَّرَ الرَّبِيعُ الشَّثْنَ بِغِلَظِ الْأَصَابِعِ، وهُوَ جَمَالٌ فِي الرَّجُلِ بِدَلَالَتِهِ عَلَى الشِّدَّةِ[8].

قالَ ابْنُ بَطَّال: ويُجْمَعُ بِأَنَّهَا لَيْسَتْ فِي سَائِرِ أَحْوَالِهِ خَشِنَةً، إِذَا عَمِلَ عَمَلًا مِنْ أَعْمَالِ الْبَيْتِ أَوْ غَيْرِهِ[9].

---

(1) صحيح البخارِي، حدِيث (1973)، وفِيهِ: ((ولا شممت مسكة ولا عبيرة)).

(2) الشمائل المحمَّديَّة، الترمذِي، حدِيث (7).

(3) سنن الترمذِي، حدِيث (3637) و(3638).

(4) المستدرك، الحاكِم، حدِيث (4194).

(5) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 281/2.

(6) (م، س)، 281/2، وشرح ابن بطَّال، 156/9.

(7) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 282/2.

(8) شرح المواهب اللدنية، الزُّرقانِي، 455/5، وفيه عن الخليل وليس الرَّبِيع، ولم أقِف عليهِ في كتابِ العين.

(9) شرح ابن بطَّال، 158/9. وشرح المواهب اللدنية، الزُّرقانِي، 455/5.

وفَسَّرَ أبو عبَيْدة الشَّتْنَ بِغِلَظِ الْأَصابِعِ مَعَ قِصَرِها، ويَرُدُّهُ أَنَّهُ ثبَتَ عِنْدَ التِّرْمِذِي[1] وغَيْرِهِ مِنْ طَرِيقِ أبي هالة أَنَّهُ كَانَ سَائِلَ الْأَطْرَافِ؛ أَيْ: مُمْتَدَّ الْأَصَابِعِ طَوِيلَهَا طُولًا مُعْتَدِلًا؛ أَيْ: شَائِلَ الأَطْرَافِ؛ أَيْ: مُرْتَفِعَهَا بِلَا احْدِيدَابٍ ولَا انْقِبَاضٍ. ويُرْوَى: سَائِن بِالنُّونِ مُبْدَلَةً مِنَ اللَّامِ[2].

ورَوَى النّعمان: ((كَانَ ﷺ سَبْطَ الكَفَّيْنِ)) أَيْ: مُمْتَدَّهُمَا، والتَّحْقِيقُ في الشَّتنِ أَنَّهُ الغِلَظُ بِلَا خُشُونَةٍ ولَا قِصَرٍ، كَمَا فَسَّرَهُ بِهِ الخليل وغَيْرُهُ. وذَكَرَ ابن خالويْه أَنَّ الْأَصْمَعِيّ لَمَّا فسَّرَ الشَّتنَ بِالْغِلَظِ مَعَ الْخُشُونَةِ، قِيلَ لَهُ إِنَّه وَرَدَ فِي صِفةِ النَّبِيءِ ﷺ أَنَّهُ لَيِّنُ الْكَفِّ، فآلَى عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يُفَسِّرَ شَيْئًا فِي الْحَدِيثِ؛ خَوْفًا أَنْ يُفَسِّرَهُ بِخِلَافِ معْنَاهُ فِي الْوَاقِعِ[3].

وفِي حَدِيثِ مُعَاذ بنِ جَبَل عِنْدَ الطَّبَرَانِي والْبَزَّار: ((**أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ خَلْفَهُ فِي سَفَرٍ فَمَا مَسسْتُ شَيْئًا قَطُّ أَلْيَنَ مِنْ جِلْدِهِ ﷺ**))[4] وهَذَا شَامِلٌ لِلْكَفَّيْنِ وَغَيْرِهِمَا.

((**وأُصِيبَ عائذ بنُ عَمْرو فِي وَجْهِهِ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَسَال الدَّمُ عَلَى وَجْهِهِ وصَدْرِهِ، ثُمَّ دَعَا لَهُ، وَكَانَ أَثَرُ يَدِهِ ﷺ** [253ظ] **إِلَى مُنْتَهَى مَا مَسَحَ مِنْ صَدْرِهِ غُرَّة سائِلَة كغُرَّةِ الْفَرَسِ**)) رَوَاهُ الْحَاكِمُ[5] وأَبُو نعيم وابْنُ عَسَاكِر[6].

ورَوَى الْبُخَارِي والْبَغَوِي وابن منْده مِنْ طَرِيقِ صاعِد بن الْعلاء بن بشْر عنْ أَبِيهِ عَنْ جِدِّهِ بشْر بن مُعاوية: ((أَنَّهُ قَدِمَ مَعَ أَبِيهِ معاوِيَة بن ثَور عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فمَسَحَ رَأْسَهُ ودَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ، فَكَانَتْ فِي وَجْهِهِ مَسْحَةُ النَّبِيءِ ﷺ كَالغُرَّةِ، وكَانَ لَا يَمْسَحُ شَيْئًا إِلَّا بَرِئَ))[7].

وفِي رِوَايَةٍ: ((**فَمَسَحَ رَأْسَ بِشْر**))[8] ولَعَلَّهُ أَرَادَ بِالرَّأْسِ مَا رَدَّ الْعُنق فوق. وَلِهَذَا قَالَ: "فَكَانَتْ فِي وَجْهِهِ".

---

(1) الشمائِل المحمَّدِيَّة، حدِيث (7) ص23.

(2) شرح المواهب اللدنية، الزُّرقاني، 456/5.

(3) (م، س)، 456/5.

(4) المعجم الكبِير، الطَّبرانِي، حدِيث (109) ولم أجده في مسند البزار، ولا فِي كشف الأستار للهيثمِي.

(5) المستدرك، الحاكم، حدِيث (6486).

(6) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 282/2.

(7) (م، س)، 282/2. وينظر: التاريخ الكبِير، البخارِي، 83/2، ومعجم الصحابة، البغوِي، 326/1. ومعرفة الصحابة، ابن منده، ص218.

(8) لسان الميزان، ابن حَجَر، 313/2.

قَالَ ابن شاهين[1] وثَابِت[2]: قَدِمَ معاوِيَة بن ثور عَلَى النَّبِيءِ ﷺ وهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ، وَمَعَهُ ابْنٌ يُقَالُ لَهُ بِشْر، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ امْسَحْ وَجْهَ ابْنِي هَذَافَفَعَلَ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، قَالَ محمّد بن بِشربن مُعاوِية:

وَأَبِي الذِي مَسَـــحَ النَّبِيءُ بِوَجْـهِـهِ وَدَعَـا لَـهُ بِـالْـخَـيْـرِ وَالْـبَـرَكَـاتِ[3]

وكَتَبَ النَّبِيءُ ﷺ كتَابًا لِمُعَاوِيَةَ هَذَا، ووَهَبَ لَهُ مِنْ صَدَقَةِ عَامِهِ، فَلمَّا رَجَعَ مُعَاوِيَةُ إِلَى مَنْزِلِهِ قَالَ: إِنَّمَا أَنَا هَامَةُ الْيَوْمِ أَوْ غَد[4]، ولِي مَالٌ كَثِيرٌ، وإِنَّما لِي ابْنَانِ، فَرَجَعَ فقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ خُذْهَا مِنِّي فَضَعْها حَيْثُ تَرَى مِنْ مُكَابَدَةِ الْعَدُوِّ، فَإِنِّي مُوسِر، فَقَالَ ﷺ: ((**أَصَبْتَ يَا مُعَاوِيَةُ فَقَبِلَهَا مِنْهُ**))[5].

ومَسَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رأْسَ مَدْلوك أبي سفْيان، فَكانَ مَا مَرَّتْ عَلَيْهِ يَدُهُ اسْوَدَّ، وَشَابَ ما سِوَى ذَلِكَ. رَواهُ الْبُخَارِي[6] والْبَيْهَقِي[7] وأبُو سفْيَانَ حينئذٍ مدلوك.

قالَ مطَر بن الْعلاء الْفِزَارِي: حَدَّثَتْنِي عَمَّتِي آمِنَةُ، أَوْ أُمَيّة بنت أبي الشّعثاء، وقطبة[8] مَوْلَاهُمْ، قَالَا: سَمِعْنَا مَدْلُوكًا يقُولُ: ((**ذَهَبْتُ مَعَ مَوْلَايَ إِلَى النَّبِيءِ ﷺ فأَسْلَمْتُ، فَدَعَا بِالْبَرَكَةِ وَمَسَحَ رأْسِي بِيَدِهِ، قَالَتْ: فَكَانَ مُقَدَّمُ رأْسِ أَبِي سُفْيَانَ أَسْوَد مَا مَسَّتْهُ يَدُ النَّبِيءِ ﷺ ومَا سِوَاهُ أَبْيَض**))[9]. وأَخْرَجَهُ ابنُ مندةَ، وأبُو نعِيم[10] مِن طرِيقٍ آخَر، وَجَزَم بِآمِنَةَ[11].

---

(1) ابن شاهِين: عمر بن أحمد بن عثمان، صاحب الترغِيب والتفسِير الكبِير، سمع الباغندِي والبَغَوِي ومنهُ المالِينِي والبرقانِي، صَنَّفَ ثلاث مئة وثلاثِينَ مصنَّفًا، قال ابن ماكولا وغيره: ثقة مأمون، ت:385هـ. طبقات الحفاظ، السيوطِي، ص393، وسير أعلام النبلاء، الذهبِي، 431/16.

(2) ثابِت بن قاسِم السرقسطِي صاحِب الدلائل في غرِيب الحدِيث.

(3) البيت من الكامل. شرح المواهب اللدنية، الزُّرقانِي، 457/5-458.

(4) هامة اليوم أو غد: يُرِيدُ مَيِّتًا فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي غَدٍ. الدلائل، السرقسطِي، 1085/3.

(5) معرفة الصحابة، ابن مندَة، ص219، شرح المواهب اللدنية، الزُّرقانِي، 458/5.

(6) التاريخ الكبِير، البخارِي، 55/8.

(7) المواهب اللدنية، القَسْطَلَّانِي، 283/2.

(8) في الأصلِ: قطب، والتصحيح من التاريخ الكبِير.

(9) التاريخ الكبِير، البخارِي، حدِيث (2127).

(10) ينظر: معرفة الصّحابة، 2645/5.

(11) شرح المواهب اللدنية، الزُّرقانِي، 458/5.

وكَذَا وَقَعَ لَهُ ﷺ فِي رَأْسِ السّائب بن يَزيد بن ثُمامة، مَسَحَ ﷺ فَمَا مَسَّتْ يَدُه لَمْ يَشِبْ، وشَابَ مَا عَدَاهُ، رَوَاهُ الْبَغَوِي والْبَيْهَقِي وابْنُ مَنْدَةَ. وَأَصْلُهُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِي ومُسْلِم؛ أنَّ خَالَتَهُ ذَهَبَتْ بِهِ وهُوَ وَجِعٌ فَمَسَحَ النَّبِيءُ ﷺ رأْسَهُ، وَدَعَا لَهُ، وتَوَضَّأَ وشرَبَ مِنْ وُضُوءِهِ، ونَظَرَ إِلَى خَاتِمِ النُّبُوءَةِ[1].

وأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيّ وَصَحَّحهُ التّرمِذِي وحَسَّنَهُ[2] مِنْ طَرِيقِ علْباء بن أحْمر، عَنْ أبي زيْد الْأنصاريّ[3]: ((**مَسَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ علَى رأْسِي وَلِحْيَتِي، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ جَمِّلْهُ**)) [254و]قَالَ علباء: فبلَغَ بِضْعَةً وَمَئَةَ سَنَةٍ ومَا فِي لِحْيَتِهِ بَيَاضٌ، ولَقَد كَانَ مُنْبَسِطَ الْوَجْهِ، ومَا انْقَبَضَ وجْهُهُ حَتَّى مَاتَ بِبَرَكَةِ دَعْوَتِهِ ﷺ[4].

وفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَد عَنْ أبي نهِيك حَدَّثَنِي أَبُو زَيْد: ((**اسْتَقَى رَسُولُ اللهِ ﷺ ماءً فَأَتَيْتُهُ بِقدحٍ فِيهِ مَاءٌ، فَكَانَتْ فِيهِ شَعرَةٌ فَأَخَذْتُهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ جَمِّلْهُ، قَالَ: فَرَأَيْتُهُ ابْن أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ سنةً لَيْسَ فِي لِحْيَتِهِ شَعرَةٌ بَيْضَاءُ**)) صَحَّحَه الْحَاكِمُ وابْنُ حِبَّان[5].

((وَمَسَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَأْسَ حنْظلة بنِ حِذْيم بيَدِهِ، وقالَ لهُ: **بُورِكَ فِيكَ**)) وَلَفْظُ أَحْمَد: ((**بَارَكَ اللهُ فِيكَ**)) أو قَالَ: ((**بُورِكَ فِيكَ**)) بالشَّكِّ. ولفْظُ أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد، مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ، حَدَّثَنَا الذيّال بن عُبَيْد سَمِعْتُ جَدِّي حنْظلة بن حذْيم، حدَّثَنِي أبِي أنَّ جَدِّي حَنِيفَةَ قَالَ لِحِذْيَمٍ: اجْمَعْ لِي بَنِيَّ، فَأوصاهمْ فَقَالَ: إِنَّ لِبَنِيمِي الذِي فِي حِجْرِي مِئَةً مِنَ الْإِبِلِ، قَالَ حميد: يَا أَبَتِ سَمِعْتُ بَنِيكَ يَقُولُونَ: إِنَّمَا تُقِرُّ بِهَذَا لتقرَّ عيْن أَبِينَا، فَإِذَا مَاتَ رَجَعْنَا، فجاءَ حَنِيفَةُ وَحِذْيَم ومَن معهُما، ومعهُم حَنْظَلَةُ وهُوَ غُلَامٌ رَدِيف أبِيهِ، فقَصَّ على النَّبِيءِ ﷺ قِصَّتَهُ فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، وَقَالَ لهُ: لَا الصَّدَقَةُ خَمْسٌ، وَإِلَّا فَعَشْرٌ، وَإِلَّا فَعِشْرُونَ، وَإِلَّا فَثَلَاثُونَ، فَإِنْ كَثُرَتْ فَأَرْبَعُونَ. قَالَ: فَوَدَعُوهُ وَمَعَ الْيَتِيمِ هراوَةٌ فَقَالَ ﷺ: عَظُمَتْ هَذِهِ هِرَاوَةُ يَتِيمٍ، فَقَالَ حذيم: إِنَّ لِي بَنِينَ ذَوِي لِحًى، وَإِنَّ هَذَا أَصْغَرهُمْ، يعنِي حنظَلَة، فَادْعُ اللهَ لَهُ، فَمَسَحَ رَأْسَهُ، وَقَالَ: بَارَكَ اللهُ فِيكَ، أَوْ بُورِكَ فِيهِ))[6].

---

(1) صحيح البخارِي، حدِيث (190) وصحيح مسلِم حدِيث (111). ينظر: شرح المواهب اللدنية، الزُّرقاني، 458/5-459.

(2) سنن الترمذِي، حدِيث (3629).

(3) عمرو بن أخطب أبو زيد الأنصاري الخزرجي ت:71 – 80هـ، غزا مع رسول الله ﷺ ثلاث عشرة غزوة. الاستيعاب، 1162/3.

(4) دلائِل النبوة، البيْهَقِي، 211/6. ينظر: شرح المواهب اللدنية، الزُّرقاني، 459/5.

(5) مسند أحمد، حدِيث (22881)، والمستدرك، الحاكم، حدِيث (7209)، وفيه: ((وَمَا فِي رَأْسِهِ طَاقَةً بَيْضَاءَ)). ينظر: شرح المواهب اللدنية، الزُّرقاني، 459/5.

(6) مسند أحمد، حدِيث (20665).

((**فكَانَ يُؤْتَى بالشَّاةِ الْوَارِمِ، والبعِيرِ والإِنْسَانِ بِهِ الْوَرَمُ، فَيَتْفُلُ فِي يَدِهِ ويمسَحُ بصلعتِهِ وَيَقُولُ: بِسْمِ اللهِ، عَلَى أثَرِ يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَيَمْسَحُهُ ثُمَّ يمسحُ موضِعَ الوَرَمِ فيذهبُ الوَرَمُ**)) رَوَاهُ أَحْمَدُ والْبُخَارِي وَأَبُو يَعْلَى والطَّبَرَانِي ويعقوب بن سفْيان، ورَوَاهُ الحسنُ بن سفْيان عن الذّيّال بنِ عُبيد بنِ حنْظلة، وزَادَ أَنَّ الْيَتِيمَ ضِرارُ بنُ قطبة، وأَنَّهُ شبه المحتلم[1].

((قَالَ أَنَس: **رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي الدُّعاءِ**؛ أَيْ: فِي الاسْتِسْقَاءِ، **حَتَّى رَأَيْتُ بياضَ إِبطَيْهِ**)) وإِنَّما فَسَّرْتُهُ بالاستِسْقَاءِ؛ لِئَلَّا يُنَافِي قَوْلَ أَنَسٍ: ((**كَانَ لَا يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي شَيْءٍ مِن الدُّعَاءِ، إِلَّا فِي الاسْتِسْقاءِ فَإِنَّهُ كَانَ يَرْفَعُ حَتَّى يرى بَيَاض إِبطَيْهِ**)) رَواهُ الْبُخَارِي ومُسْلِم[2].

قِيلَ: مَعْنَى بَيَاضِ إِبطَيْهِ أَنَّهُ كَسَائِرِ جَسَدِهِ لَا شَعْرَ فِيهِ، وقِيلَ: يَنْبُتُ فِيهِما شَعْرٌ، إِلَّا أَنَّهُ يَتَعَاهَدُ نَزْعَهُ، وصَرَّحَ الْقُرْطُبِي[3] أَنَّهُ لَا شَعْرَ فِي إِبطَيْهِ ﷺ. واعْتُرِضَ بأَنَّهُ لَا تَثْبُتُ الْخُصُوصِيَّةُ بِاحْتِمَالٍ، ولَا يَلْزَمُ مِنْ ذِكْرِ بَيَاضِ الْإِبطِ أَنَّهُ لَا يَنْبُتُ شَعْرٌ فِيهِ، لِإِمْكَانِ أَنْ يَنْبُتَ ويتَعَاهَدَ نَزْعهُ، فإِنَّ الشَّعْرَ إِذَا نتفَ تخيّلَ أَنَّ الْمَكَانَ أَبْيَض. قَالَ عبْد اللهِ بنُ أَقْرَم، وَقَدْ صَلَّى مَعَهُ ﷺ: ((**كُنْتُ أَنْظُرُ**[254ظ]**إِلَى عُفْرَةِ إِبطَيْهِ**))[4] حَسَّنَهُ التِّرمِذِي. والعُفْرَةُ: بَيَاضٌ لَيْسَ بِالنَّاصِعِ، قَالَهُ الْهَرَوِي[5] وابْنُ الأَثِيرِ[6]، ولَا رِيحَةَ كَرِيهَة لِإِبطَيْهِ.

الْفَصْلُ الثَّالِثُ: [مُشَارَكَتُهُ لِلْأَنْبِيَاءِ فِيمَا خُصُّوا بِهِ]

خَصَّ اللهُ نبِيَّنَا ﷺ بأَشْيَاء لَمْ يُعْطِها نَبِيًّا قَبْلَهُ ولَا رَسُولًا ولَا مَلَكًا. ومَا أُعْطِيَ نَبِيءٌ شَيْئا، لَمْ يُعْطَهُ نَبِيءٌ أَوْ أَحَدٌ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا وقَدْ كَانَ لِسَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ مثْلُهُ، وزَادَ بِمَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا لَهُ.

ومِنْ ذَلِكَ أَنَّ اللهَ جَلَّ وعَلَا جَعَلَ آدَمَ خَلِيفَةً، وخَلَقَهُ بِيَدِهِ، فَأَعطَى سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا ﷺ شَرْحَ صَدْرِهِ، تَوَلَّى اللهُ شَرْحَ صَدْرِهِ بِذَاتِهِ، وهُو خَلِيفَةُ اللهِ وسَائِرُ الْأَنْبِيَاءِ نُوَّبٌ عَنْهُ إِلَى أَنْ يُوجَدَ، ومَأْمُورُونَ هُمْ وأُمَمُهُمْ بِالْإِيمَانِ بِهِ. بَلْ آدَمُ خُلِقَ مِنْ أَجْلِهِ، فَهُوَ الْمَقْصُودُ وآدَمُ وَسِيلَةٌ، وَإِنَّمَا أمرَ الْمَلَائِكَة

(1) مسند أحمد، حدِيث (20665).
(2) صحيح البخارِي، حدِيث (1031)، وصحيح مسلِم، حدِيث (895).
(3) لم أميزهُ بين القرطبِيّين.
(4) سنن الترمذِي، حدِيث (274).
(5) غريب الحدِيث، الهروِي، 350/1.
(6) النهايَة فِي غريب الحدِيث، ابن الأثِير، 261/3.

بِالسُّجُودِ لِآدَمَ لِنُورِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ؛ إِذْ كَانَ فِي جَبْهَتِهِ ظَاهِرًا. وَصَلَاةُ اللهِ عَلَيْهِ ومَلائِكَتِه، عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ، أَفْضَلُ مِنْ سُجُودِ الْمَلَائِكَةِ.

وأَمَّا تَعْلِيمُ الأَسْماءِ لِآدَمَ عليه السلام؛ فمِنْهُ لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ما رَوَاهُ الدّيلمي مِنْ حَدِيثِ أَبِي رَافِعٍ، ومِنْ حدِيثِ أمّ حبيبة، والْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي رَافِعٍ عَنْهُ ﷺ: ((**مُثِّلَتْ لِي أُمَّتِي فِي الْمَاءِ والطِّينِ، وَعُلِّمْتُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا كَمَا عُلِّمَ آدَمُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**))[1] وفِي رِوَايَةٍ: "الدُّنْيَا" بَدَل "أمَّتِي".

ورَوَى الطَّبَرَانِي والضِّيَاءُ الْمقدسي عَنْ حُذَيْفة بنِ أسيد بنِ خَالِد الْغِفَارِي قَالَ: قَالَ ﷺ: ((**عُرِضَتْ عَلَيَّ أُمَّتِي الْبَارِحَةَ لَدَى هَذِهِ الْحُجْرَةِ. فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ عُرِضَ عَلَيْكَ مِنْ خُلِقَ فَكَيْفَ مَنْ لَمْ يُخْلَقْ؟ فَقَالَ: صُوِّرُوا لِي فِي الطِّينِ، حتَّى أَنِّي لَأَعْرَفُ بالْإِنْسَانِ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدِكُمْ بِصَاحِبِهِ**))[2]. فَهُوَ ﷺ يعْلَمُ الْمُسَمَّيَاتِ والْأَسْمَاءَ مَعًا، وَلَا شَكَّ أنَّ هَذَا أَعْظَم مِنْ عِلْمِ الأَسْماءِ وَحْدهَا.

ومِنْ ذَلِكَ: أَنَّ اللهَ رَفَعَ إِدْرِيسَ مكَانًا عَلِيًّا كَمَا مَرَّ إِلَى سَماء، وقَدْ رَفَعَ اللهُ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ إِلَى الْعَرْشِ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ والسِّدْرَةِ والْجَنَّة.

ومِن ذَلِكَ: أَنَّ اللهَ ﷻ نَجَّى نُوحًا عليه السلام ومَن معهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الغَرَقِ. ونَقُولُ: نَجَّاهُ اللهُ لِسَيِّدنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وكَذَلِكَ نَجَّاهُ وَنَجَّى أُمَّتَهُ مِنَ الْغَرَقِ والْخَسْفِ، ومِن عذَابٍ يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ، أَعْنِي الْكُلَّ.

وقَدْ قِيلَ: ((**إِنَّهُ كَانَ عَلَى شَاطِئِ مَاءٍ، وقَعَدَ عِكْرَمَةُ بنُ أَبِي جَهْل فَقَالَ عكْرِمَةُ: إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا فَادْعُ ذَلِكَ الْحَجَر، فَلْيَسْبَحْ عَلَى الْمَاءِ ولَا يَغْرَقْ. فَأَشَارَ إِلَيْهِ ﷺ فانْقَلَعَ الْحَجَرُ، وسَبَحَ عَلَى الْمَاءِ حَتَّى صَارَ بَيْنَ يَدَي الرَّسولِ ﷺ وشَهِدَ لَهُ بِالرِّسَالَةِ، فَقَالَ ﷺ لِعِكرِمَةَ: يَكْفِيكَ هَذَا؟ فَقَالَ: حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى مَكَانِهِ**))[3].

(1) الفردوس، الديلمِي، حدِيث (6519)، لم أجد رواية أم حبيبة، ولا رواية الحاكم في المستدرك.

(2) الحدِيث في المعجم الكبِير، الطبراني، حدِيث (3055). شرح المواهب اللدنية، الزُّرقاني، 79/7.

(3) شرح المواهب اللدنية، الزُّرقاني، 80/7-81. ينظر: مفاتيح الغيب، 125/32. لم أقف عليهِ في كتب الحدِيثِ.

والْمَشْهُورُ أَنَّهُ حِينَ الْفَتْحِ فَرَّ إِلَى جُدَّة بِضَمِّ الْجِيمِ، ثُمَّ أَتَتْهُ زَوْجُهُ بِأَمَانٍ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَاءَ فَأَسْلَمَ بِلَا طَلَبِ آيَةٍ.

ومِنْ ذَلِكَ: أَنَّ [255و] اللهَ ﷻ جَعَلَ نَارَ نُمْروذ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بَرْدًا وسَلَامًا. فَنَقُولُ إِنَّ اللهَ ﷻ فَعَلَ بِهِ ذلكَ لِنُورِ سيّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ. وكَانَتْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ تَضَعُ الْجَمْرَ فِي طَرِيقِهِ ﷺ فلَا يُحِسُّ بِهِ، بِحَيْثُ لَا حَائِلَ يَمْنَعُ غَيْرَهُ مِنَ الْإِحْسَاسِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ فِي نَارِ الْحَرْبِ: ﴿**كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ**﴾[1] وشَبَّهَ شَرَّهُم بالنَّارِ.

ويُذْكَرُ أنَّه ﷺ مرَّ عَلَى بَحْرٍ مِنْ نَارٍ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، قَبْلَ سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَكَانَ فَوْقَ النَّارِ وَلَمْ تحْرِقْهُ. وكَانَتْ نَارُ فَارِسَ لَمْ تَخْمُدْ، أَلْف عَامٍ يَعْبُدُونَهَا، وخَمَدَتْ لَيْلَةَ وُلِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فهَذَا نَظِيرُ بَرْدِهَا عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَلَا أَدْرِي هَلْ صَحَّ ذَلِكَ.

ورَوَى النَّسَائِي أَنَّ مُحمّد بنَ حاطِب بنَ الْحَارِثِ بن مَعْمَر قَالَ: ((كُنْتُ طِفْلًا فَانْصَبَّت الْقِدْرُ عَلَيَّ؛ أَيْ: عَلَى ذِرَاعِي، واحْتَرَقَ جِلْدِي كُلُّهُ؛ أَيْ: جِلْدُ ذِرَاعِي كُلّه، أَوْ مَا لَمْ يَحْتَرِقْ مِنْ جِلْدِهِ صَارَ إِلَيْهِ أَلَمُ الاحْتِرَاقِ، فَحَمَلَنِي أَبِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فتَفَلَ ﷺ فِي جِلْدِي، ومَسَحَ الْجُزْءَ الْمُحْتَرِقَ، وقَالَ: **أَذْهِبِ الْبَأْسَ رَبّ النَّاسِ**، فَصِرْتُ صَحِيحًا لَا بَأْسَ بِي))[2] إِلَّا أَنَّ أَبَاهُ مَاتَ بِالْحَبَشَةِ ﷺ فَإِنَّهُ وُلِدَ فِي السَّفِينَةِ قَبْلَ أَنْ يَصِلوا إِلَى الْحَبَشَةِ، وبَعْدَ الْوُصُولِ مَاتَ، ولَعَلَّ الْمُرَادَ بِالْأَبِ جعْفر بن أبي طالب، فَإِنَّهُ أَبُوهُ مِنَ الرَّضَاعِ[3].

ذَكَرَ ابن خيْثمة أَنَّ أسْماء بنت عميس أَرْضَعَتْ محمّد بن حاطب مَعَ ابْنِهَا عَبْدِ اللهِ بنِ جَعْفَر، وأَرْضَعَتْ أُمُّ مُحَمَّدٍ عبْدَ اللهِ بنَ جَعْفَر[4] فكَانَا يَتَوَاصَلانِ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى مَاتَا. فَأُمُّهُ قَدِمَتْ بِهِ عَلَى النَّبِيءِ ﷺ صُحْبَةَ جَعْفَر، فَنسبَ الْقُدُوم إِلَيْهِ تَارَةً وَإِلَى أُمِّهِ أُخْرَى. فَإِنَّ فِيهِ رِوَايَةً أُخْرَى: قَدِمَتْ بِهِ أُمُّهُ، قَالَ أَحْمَد والبُخَارِي والنَّسَائِيّ وغَيْرُهُمْ عَنْ مُحَمَّد بنِ حَاطِب: ((**أَنَّ أُمَّهُ أُمُّ جَمِيلٍ، ولَيْسَت امْرَأَةُ**

(1) سورة المائدة: 64.

(2) ورد بمعناهُ: السنن الكبرى، النسائي، حدِيث (7496).

(3) شرح المواهب اللدنية، الزُّرقاني، 83/7.

(4) التاريخ الكبير، ابن أبي خيثمة، 645/2.

أَبِي لهَب، قَالَتْ: أَقْبَلْتُ بِكَ مِنْ أَرْضِ الْحَبشَةِ، حَتَّى إِذَا كُنْتَ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى لَيْلَةٍ أَوْ لَيْلَتَيْنِ طَبَخْتُ لَكَ طَبِيخًا، فَفَنِيَ الْحَطَبُ فَخَرَجْتُ أَطْلُبُ الْحَطَبَ، فتَنَاوَلْتَ الْقِدْرَ فَانْكَفَأَتْ عَلَى ذِرَاعِكَ فأَتَيْتُ بِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا ابْنُ أَخِيكَ وَقَدْ أَصَابَهُ هَذَا الْحَرْقُ مِن النَّارِ، فَادْعُ لَهُ. فَقُلْتُ: هَذَا مُحَمَّد بنُ حَاطِب وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سُمِّيَ بِكَ؛ أيْ: فِي الْإِسْلَامِ، قَالَتْ: فَمَسَحَ علَى رَأْسِكَ، ودَعَا لَكَ بالْبَرَكَةِ، وَجَعَلَ يَتْفَلُ عَلَى يَدِكَ وهُوَ يَقُولُ: أَذْهَبَ الْبَأْسَ رَبُّ النَّاسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَما، قَالَتْ: فَمَا قُمْتُ بِكَ مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى بَرِأَتْ يَدُكَ))[1].

ورَوَى ابْنُ سَعْد عَنْ عَمْرو بنِ مَيْمون: **((أَنَّهُ أَحْرَقَ الْمُشْرِكُونَ عمّار بن ياسر رَحِمَهُمَا اللهُ بِالنَّارِ، فَكَانَ ﷺ يَمُرُّ بِهِ، وَيُمِرُّ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ فيَقُولُ: يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وسَلَامًا عَلى عَمَّار، كَمَا كُنْتِ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ))**[2].

ورَوَى أَبُو نُعَيْم عنْ عبّاد بنِ عبْد الصّمد: **((أَتَيْنَا أنس بن مالك فَقَالَ: يَا جَارِيَةُ هَلُمَّ الْمَائِدَةَ نَتَغَدَّى، فَأَتَتْ بِهَا. ثُمَّ قَالَ: هَلُمِّي الْمِنْدِيلَ فَأَتَتْ بِمِنْدِيلٍ وَسِخٍ. فَقَالَ: اسْجرِي التَّنُّورَ فأَوْقَدَتْهُ، فَأَمرَ بِالْمِنْدِيلِ فَطُرِحَ فِيهِ فخَرَجَ أَبْيَضَ كَأَنَّهُ اللَّبَنُ. فَقُلْنَا: ما هَذَا؟ قَالَ: هَذَا مِنْدِيلٌ كَانَ ﷺ يَمْسَحُ بِهِ وَجْهَهُ فَإِذَا اتَّسَخَ صَنَعْنَا بِهِ هَكَذَا؛ لِأَنَّ النَّارَ [255ظ] لَا تَأْكُلُ شَيْئًا مَرَّ عَلَى وُجُوهِ الأَنْبِيَاءِ))**[3]. وقَدْ أُلْقِيَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أُمَّتِهِ ﷺ فِي النَّارِ، فَلَمْ تُؤَثِّرْ فيهِ[4].

وَرَوَى ابنُ وَهْب عَنْ أَبِي لهيعَة[5] أَنَّ الأَسْوَدَ الْعَنْسِيّ لَمَّا ادَّعَى النُّبُوَّةَ، وغلَبَ عَلَى صَنْعَاءَ أَخَذَ ذؤَيْب بن كلَيْب فَأَلْقَاهُ فِي النَّارِ؛ لِتَصْدِيقِهِ بِالنَّبِيءِ ﷺ فلَمْ تَضُرَّه النَّارُ. فذَكَرَ ذَلِكَ النَّبِيءُ ﷺ لِأَصْحَابِهِ.

---

(1) مسند أحمد، رقم (15453).

(2) الطبقات الكبير، ابن سعد، 230/3.

(3) الخصائص الكبرى، السيوطِي، 320/2.

(4) شرح المواهب اللدنية، الزُّرقاني، 83/7-84.

(5) في شرح المواهب اللدنية: ابن لهيعة. وهو الأصوب. ولم أقف على توضِيح لرجال هذا السّند.

فقَالَ عُمَر ﷺ: الْحَمْدُ للهِ الذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِنَا مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ[1]. وسَمَّاهُ الكَلبِيّ: ذُوِيْب بنُ وَهْبٍ، وقَالَ فِي سِيَاقِهِ: طَرَحَهُ فِي النَّارِ، فَوَجَدَهُ حَيًّا وَلَمْ يَرْفَعْهُ إِلَى النَّبِيءِ ﷺ[2][3].

وَرَوَى ابْنُ عَسَاكِر: أنَّ الْأَسْوَد بن قيْس بعَثَ إلى أبي مسلم الخولاني فأتاهُ فقالَ: أَتَشْهَدُ أَنّي رَسُولُ اللهِ؟ قَالَ: مَا أَسْمَع. قال: أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ؟ قالَ: نَعَمْ، فَأَتَى بنَارٍ عَظِيمَةٍ، فأَلْقَاهُ فِي النَّارِ فَلَمْ تَضُرَّهُ. فقِيلَ لِلْأَسْوَدِ: إِنْ لَمْ تَنْفِ هَذَا عَنْكَ أَفْسَدَ عَلَيْكَ مَن اتَّبَعَكَ، فأَمَرَهُ بِالرَّحيلِ فقَدِمَ الْمَدِينَةَ، وقَدْ قُبِضَ النَّبِيءُ ﷺ واسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الْحَمْدُ للهِ الذِي أَلْبَثَنِي حَتَّى أَرَانِي فِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَنْ صُنِعَ بِه كَمَا صُنِعَ بِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام[4]. وقَد اتَّخَذَ اللهُ سَيِّدَنَا مُحَمَّدا ﷺ خَلِيلا وَحَبِيبا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خلِيلًا، كَمَا مَرَّ فِي الْإِسْرَاءِ.

وَرَوَى ابن ماجه وأَبُو نُعَيْم عَنْهُ ﷺ: ((**إِنَّ اللهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا. فمَنْزِلِي وَمَنْزِلُ إِبْرَاهِيمَ فِي الْجَنَّةِ تُجَاهَيْنِ، والعبَّاسُ بَيْنَنَا مُؤْمِنٌ بَيْنَ خَلِيلَيْنِ**))[5]. وروَى أبو نُعَيْم عَن كعْب بن مالك: ((**سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِخَمْسٍ: إِنَّ اللهَ قَد اتَّخَذَ صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا**))[6][7].

وَقَدْ رُوِيَ: إنَّ إبراهِيمَ إِذَا قِيلَ لَهُ في الْمَحْشَرِ: اتَّخَذَكَ اللهُ خَلِيلًا فَاشْفَعْ لنَا قَالَ: إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِن وَرَاءَ وَرَاءَ[8]؛ أَيْ: خُلَّةُ مُحَمَّدٍ قَبْلَ خُلَّتِي، أَوْ لَمْ أَكُنْ فِي التَّقرُّبِ والإِدْلَالِ مِثْلَ الْحَبِيبِ، ومُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ حَبِيبُهُ[9].

---

(1) الخصائص الكبرى، السيوطِي، 318/2. وينظر: الاستيعاب، ابن عبد البر، 464/2.

(2) ينظر: نسب معد واليمن الكبير، ابن الكلبِي، 216/1. ولم يذكر فيه" وجده حيا".

(3) شرح المواهب اللدنية، الزُّرقاني، 84/7.

(4) تاريخ دمشق، 200/27. والخصائص الكبرى، السيوطِي، 318/2.

(5) سنن ابن ماجة، حدِيث (141)، وفضائل الخلفاء الراشِدِين، أبو نعِيم، حدِيث (141).

(6) معرفة الصحابة، أبو نعَيْم، 2367/5.

(7) شرح المواهب اللدنية، الزُّرقاني، 84/7.

(8) ورد بمعناهُ: صحيح مسلِم، حدِيث (329).

(9) شرح المواهب اللدنية، الزُّرقاني، 84/7-85.

وَأَعْطَى اللهُ جلَّ جلالُهُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام الانْفِرادَ بالْعِبَادَةِ فِي عصْرِه، حَتَّى آمَنَ مَعَهُ قَلِيلٌ، وَبِكَسْرِ الْأَصْنَامِ. وقَدْ أَعْطَى اللهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ سَيِّدَنا مُحَمَّدا ﷺ الانْفِرَادَ بِالْعِبَادَةِ، حتَّى اتَّبَعَهُ كَثِيرٌ لَا يَزَالُ يتَكَاثَرُ. وَكَسَرَ ثَلَاثَ مِئَةٍ وسِتِّينَ صَنَمًا بِقَضِيبٍ، يُشِيرُ بِهِ إِشَارَةً لَا ضَرْبًا، ولا بِقَادُومٍ بِحَضْرَةِ مَنْ بَقِيَ مِمَّنْ كَانَ يَنْتَصِرُ لَهَا، وَلَمْ يُعْرِضْ وَلَمْ يتمرَّصْ[1]، بَلْ قَالَ عِنْدَ الإِشَارَةِ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ: ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿81﴾ ﴾[2].

ومِمَّا أَعْطَى اللهُ إبرَاهِيمَ عليه السلام بِنَاءَ الْكَعْبَةِ، وجَعْلَ الحَجَر الأَسْوَدِ. وقَد اخْتَلَفَ قُرَيْشٌ فِي مَنْ يَرْفَعُ الْحَجَرَ إِلَى مَوْضِعِهِ، فَجَاءَ النَّبِيءُ ﷺ فوَضَعَهُ فِي مَوْضِعِهِ كَمَا مَرَّ بَسْطُهُ. وَلَا شَكَّ أَنَّ البيْتَ كالْجَسَدِ والحَجَر رُوحُه، بَلْ هُوَ سوَيْداء الْقَلْبِ، بَلْ جَاءَ أَنَّهُ يَمِينُ الرَّبِّ. رَوَى الدَّيلَمِي عَنْ أَنَس عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ [256و]: ((**الْحَجَرُ يَمِينٌ فَمَنْ مَسَحَهُ فَقَدْ بَايَعَ اللهَ**))[3][4].

ومِن ذلكَ: أَنَّ مَا أُعْطِيَهُ مُوسَى عليه السلام مِنْ قَلْبِ الْعَصَا حَيَّةً، قَدْ أَعْطَى اللهُ جَلَّ وعَلَا نَبِيئَهُ مُحَمَّدا ﷺ ما هُوَ أَكْبَرُ، وهُوَ حَنِينُ الْجِذْعِ، وتَكَلُّمُ الْأَحْجَارِ والأَشْجَارِ، وطَاعَتُهَا لهُ كَمَا مَرَّ معَ نُطْقِ الْجِذْعِ مَا ذكر، ولَمْ تَنْطِقْ عَصَا مُوسَى[5].

ورُوِيَ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ لمَّا أَتَى بِحَجَرٍ يُلْقِيهِ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ فِي صَلَاتِهِ رَأَى ثَعَابِينَ عَلَى كَتِفِهِ، فَانْصَرَفَ مَرْعُوبا، كَمَا انْصَرَفَ فِرْعَوْنُ مَرْعُوبا بِعَصَا مُوسَى؛ إِذْ كَانَتْ ثُعْبَانًا إِلَّا أَنَّهُ لمَّا كَانَ أَعْظَمَ الْفَرَاعِنَةِ كَانَ ثُعْبَانَانِ[6].

---

(1) لعلها: يتمرض، كما في شرح المواهبِ.

(2) سورة الإسراء: 81. شرح المواهب اللدنية، الزُّرقاني، 86/7.

(3) مسند الفردوس، الدَّيْلمِي، حدِيث (2807).

(4) شرح المواهب اللدنية، الزُّرقاني، 86/7-87.

(5) (م، س)، 87/7.

(6) (م، س)، 88/7.

وأمَّا مَا أَعْطَى مُوسَى عليه السلام مِن اليَدِ البَيْضَاءِ فَأُعْطِيَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ ما هُوَ أَعْظَمُ مِنْهَا وهُوَ أَنَّهُ كُلُّهُ نُورٌ، لَا يُرَى لَهُ ظِلٌّ، وَإِنَّهُ نُورٌ فِي الْأَصْلَابِ والبُطُونِ والْوُجُوهِ، وَإِنَّهُ نُورٌ مَخْلُوقٌ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْخَلْقِ[1].

وَإِنَّهُ أَعْطَى قتادة بن النُّعمان، وقَدْ صَلَّى الْعِشَاءَ الأَخِيرَةَ فِي ليلةٍ مظلِمَةٍ مطِيرَةٍ عرجونًا، فقال: ((**انْطَلِقْ بِهِ، فإِنَّهُ سَيُضِيءُ لَكَ عَشْرًا مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ، وعَشْرًا مِنْ خَلْفِكَ. والْمُرَادُ عَشْر أَذْرُعٍ، فَإِذَا دَخَلْتَ بَيْتَكَ فَسَتَرَى سَوَادا، فَاضْرِبْهُ حَتَّى يَخْرُجَ فَإِنَّهُ الشَّيْطَانُ، فانْطَلَقَ فَأَضَاءَ لَهُ الْعُرْجُونُ، حَتَّى دَخَلَ بَيْتَهُ وَوَجَدَ السَّوادَ وضَرَبَهُ حَتَّى خَرَجَ**))[2] رَوَاهُ أَبو نُعَيْم[3]. وَلَا شَكَّ أَنَّ إضاءَة الْعُرْجُونِ عشرا لِجِهَةٍ وعشرًا لِأُخْرَى أَعْظَمُ مِنْ بَيَاضِ الْيَدِ.

وأَخْرَجَ أَحْمَد عَنْ أَبِي سَعِيد قَالَ: ((**هَاجَت السَّماءُ فَخَرَجَ النَّبِيءُ ﷺ لِصَلَاةِ الْعِشَاءِ فبَرَقَتْ بَرْقَةٌ، فَرَأَى قَتَادَة بن النُّعْمَانِ فَقَالَ: مَا السُّرَى يَا قَتَادَة؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ شَاهِدَ الْعِشَاءِ قَلِيلٌ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَشْهَدَهَا، قَالَ: فَإِذَا صَلَّيْتَ فَأْتِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَعْطَاهُ عُرْجُونًا، فَقَالَ خُذْ هَذَا فَإِنَّهُ سَيُضِيءُ لَكَ، وَإِذَا دَخَلْتَ الْبَيْتَ وَرَأَيْتَ سَوَادًا فِي زَاوِيَةِ الْبَيْتِ فَاضْرِبْهُ قَبْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ، فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ**))[4].

وأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيّ والْحَاكِم وصَحَّحَهُ عَنْ أَنَس: ((**كَانَ عَبَّادُ بنُ بِشْر وأُسَيد بن حُضَيْر عِنْدَ رَسُولِ اللهِ لِحَاجَةٍ، حَتَّى ذَهَبَ مِن اللَّيلِ ساعَةٌ، وَهِيَ لَيْلَةٌ شَدِيدَةُ الظُّلْمَةِ، ثُمَّ خَرَجَا وَبِيَدِ كُلِّ واحِدٍ مِنهُمَا عَصًا، فَأَضَاءَتْ لَهُمَا عَصَا أَحَدِهِمَا، فَمَشَيَا فِي ضَوْئِهَا، حَتَّى إِذَا افْتَرَقَتْ بِهِمَا الطَّرِيقُ أَضَاءَتْ لِلْآخَرِ عَصَاهُ، فمَشَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي ضَوْءِ عَصَاهُ حَتَّى بَلَغ هَدْيَهُ**))[5]. وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ: ((**تَحَدَّثَا عِنْدَهُ حَتَّى ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ**)) إِلَخ[6]. و"هَدْيهُ": مَقْصدَهُ.

(1) شرح المواهب اللدنية، الزُّرقاني، 88/7.
(2) دلائل النبوة، أبو نعِيم، حدِيث (505).
(3) شرح المواهب اللدنية، الزُّرقاني، 89/7.
(4) مسند أحمد، حدِيث (11624).
(5) دلائل النبوة، البيْهقِي، 77/6.
(6) شرح المواهب اللدنية، الزُّرقاني، 89/7، ورواية عبد الرزاق في الجامع، معمر بن راشد، حدِيث (20541).

ورَوَاهُ ابْنُ حَجَر: ((**حتَّى بلَغَ أهلَهُ**))[1]. و"النُّور": بَرَكَةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وكَرَامَةٌ لهُمَا، وذَلِكَ بِإِذْنِ اللهِ إِظْهَارٌ لِسِرِّ قَوْلِهِ ﷺ: ((**بَشِّرِ المشَّائِينَ في الظُّلَم إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**))[2] رَوَاهُ أبو داود وَغَيْرُهُ.

قَالَ الْبُخَارِيّ مِن رِوَايَةِ قتَادَةَ عَنْ أَنَس: ((**أَنَّ رَجُلَيْنِ خَرَجَا مِنْ عِنْدِ النَّبِيءِ ﷺ فَإِذَا نُورٌ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا [256ظ] يُضِيءُ حَتَّى تَفَرَّقَا، فَتَفَرَّقَ النُّورُ مَعَهُمَا**))[3]. وفِي رِوَايَةٍ: ((**حَتَّى تَفَرَّقَا ومَعَهُما مِثْلُ الْمِصْبَاحَيْنِ يُضِيئَانِ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا، فَلَمَّا افْتَرَقَا صَارَ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَاحِدٌ، حَتَّى أَتَى أَهْلَهُ**))[4].

قالَ حَمَّاد[5]: أَخْبَرَنَا ثَابِت عَنْ أَنَس كَانَ أُسَيْدُ بنُ حضير[6] وعَبَّادُ بنُ بِشْر عِنْدَ النَّبِيءِ ﷺ فِي لَيْلَةٍ ظَلْمَاءَ حِنْدِسٍ، فَلَمَّا خَرَجَا أَضَاءَتْ عَصَا أَحَدِهِمَا، فَمَشَيَا في ضَوْءِهَا، فَلَمَّا افْتَرَقَتْ بِهِمَا الطُّرُقُ أَضَاءَتْ عَصَا الْآخَرِ[7].

وأَخْرَجَ الْبُخَارِيّ والْبَيْهَقِيّ وأَبُو نُعَيْم: ((**عَنْ حَمْزَةَ بنِ عَمْرو كُنَّا مَعَ النَّبِيءِ ﷺ في سَفَرٍ فتَفَرَّقْنَا فِي لَيْلَةٍ ظَلْمَاءَ فأَضاءَتْ أَصَابِعِي، حَتَّى جَمَعُوا عَلَيْهَا ظَهْرَهُمْ؛ أَيْ: دَوَابَّهُمْ ومَا هَلَكَ مِنْهُمْ، وَإِنَّ أَصَابِعِي تُنِيرُ**))[8] ومعنَى "هَلَكَ": أَشرَفَ علَى الْهَلَاكِ؛ بسَبَبِ تَفَرُّقِهِمْ لِشِدَّةِ الظُّلْمَةِ، ويُرْوَى: ((**ومَا سَقَطَ مِنْ مَتَاعِهِمْ**))[9].

---

(1) فتح الباري، ابن حجَر، 125/7.

(2) سنن أبي داود، حدِيث (561)، وسنن الترمذِي، حدِيث (223).

(3) صحيح البخارِي، حدِيث (3805).

(4) (م، س)، حدِيث (465).

(5) حماد بن سلمة بن دينار البصري، كان حماد إماما في العربية، فقيها، فصيحا مفوها، شديدا على المبتدعة، له تآليف. سير أعلام النبلاء، 444/7.

(6) في الأصل: خضير.

(7) فتح الباري، ابن حجَر، 125/7، ومسند أحمد، حدِيث (13870).

(8) دلائل النُّبوة، البيهقِي، 79/6.

(9) شرح المواهب اللدنية، الزُّرقاني، 90/7.

وأَعْطَى مُوسَى عليه السلام انْشِقَاقَ الْبَحْرِ، وقَد انْشَقَّ الْقَمَرُ لِسَيِّدِنَا مُحَمَّد ﷺ وهو أَعْظَمُ؛ إِذْ هُوَ تَصَرُّفٌ فِي عَالَمِ السَّمَاءِ. وذَكَرَ ابْنُ حَبِيب: أَنَّ بَيْنَ السَّمَاءِ والْأَرْضِ بَحْرًا يُسَمَّى الْمَكْفُوف، بِحَارُ الْأَرْضِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ كالْقَطْرَةِ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ، وهَذَا الْبَحْرُ انْفَلَقَ لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ وجَاوَزَهُ[1]. وهَذَا إِنْ صَحَّ، أَعْظَمُ؛ لِأَنَّهُ بَحْرٌ أَعْظَم؛ ولِأَنَّهُ فِي الْجَوِّ لَا يَجِدُ مَفْسَحًا بِخِلَافِ بَحْرِ الْأَرْضِ.

ويُذكَرُ أَيْضًا بَحْرٌ وَصَلَهُ طائِرٌ مِنَ الأَرْضِ وصَادَ منهُ سَمَكَةً، ويُذكَرُ أيْضًا بحرٌ دونَ السَّماءِ تَجْرِي فِيهِ الشَّمسُ على أنَّهَا تَحْتَ هَذِهِ السَّمَاءِ.

وأَجَابَ اللهُ دُعَاءَ مُوسَى عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿25﴾ ﴾[2] وقال: ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿36﴾ ﴾[3] وَقَدْ أَجَابَ اللهُ الدُّعَاءَ لِنَبِيئِهِ ﷺ كثِيرًا جِدًّا.

وفَجَّرَ اللهُ جَلَّ وعَلَا الْحَجَرَ لِمُوسَى عليه السلام بالْمَاءِ. وقَدْ فَجَّرَ اللهُ الْمَاءَ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ النَّبِيءِ ﷺ. وتَفْجِيرُ الْمَاءِ مِنَ اللَّحْمِ أَشَدُّ إِذْ لَا يُعْتَادُ، بِخِلَافِ خُرُوجِهِ مِن الْحَجَرِ. ولَمْ يُذْكَرْ لغَيْرِهِ ﷺ خرُوجُ الْمَاءِ مِنْ أَصَابِعِهِ أَوْ مِنْ بَدَنِهِ. وأُعْطِيَ مُوسَى الْمُنَاجَاةَ، وَشَأْنُ الْإِسْرَاءِ إِلَى الْعَرْشِ أَعْظَمُ مَعَ مَا لَقِيَهُ مِن الْخِطَابِ.

وأُعْطِي هَارُونُ عليه السلام الْفَصَاحَةَ لِسَانًا فِي نُطْقٍ وَلُغَةٍ، إِلَّا أَنَّهَا عِبْرِيَّةٌ، وسَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ أَفْصَحُ مِنْهُ لِسَانًا فِي نُطْقٍ وَلُغَةٍ؛ إِذْ هِيَ عَرَبِيَّةٌ، ولُغَةُ الْعَرَبِ أَفْصَحُ، أَقَرَّتْ بِذَلِكَ الْعَجَمُ ووُجِدَ ذَلِكَ لَه فِي الْكُتُبِ السَّابِقَةِ قَالَ ﷺ: ((**أَنَا أَفْصَحُ مَنْ نَطَقَ بِلُغَةِ الضَّادِ**))[4]. وهَلْ فَصَاحَةُ هارُونَ مُعْجِزَةٌ؟ قالَ ابْنُ الْمُنَيِّر: الظَّاهِرُ لَا، ولَكِنْ فَضِيلَةٌ. ولَمْ يَتَحَدَّ نَبِيءٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بِالْفَصَاحَةِ إِلَّا نَبِيُّنَا ﷺ، ومَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى الْقُرْآنِ، وأَمَّا غَيْرُهُ فَلَا يُقَارِبُهُ فِي الْفَصَاحَةِ، ولَمْ يَقْصِدْ بِهِ الإِعْجَازَ وقَدْ قَالَ ﷺ: ((**أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ**))[5].

---

(1) شرح المواهب اللدنية، الزُّرقاني، 91/7.

(2) سورة طه: 25.

(3) سورة طه: 36.

(4) المقاصِد الحسَنَة، السخاوِي، حدِيث (185)، قال: "لا أصل له كما قال ابن كثِير".

(5) الحدِيث الأخِير في صحيح مسلم، رقم (5). شرح المواهب اللدنية، الزُّرقاني، 93/7-94،

وإِنَّ اللهَ جَلَّ وعَلَا أَعْطَى يُوسُفَ شَطْرَ الْحُسْنِ. وتَقَدَّمَ أَنَّهُ ﷺ أُعْطِيَ الْحُسْنَ كُلَّهُ وأَنَّهُ قيلَ: أُعْطِيَ يُوسُفُ شَطْرَ حُسْنِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ [257و]وَأُعْطِيَ التَّعْبِير لِلرُّؤْيَا، وَأُعْطِيَ النَّبِيءُ كَثِيرًا مِنْ ذَلِكَ ﷺ.

وأَنَّ اللهَ أَعْطَى دَاوُدَ تَلْيِينَ الْحَدِيدِ، وقَدْ أَلانَ اللهُ الْحَجَرَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وغَاصَتْ فِيهِ قَدَمُهُ. وهُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْحَدِيدِ؛ لِأَنَّهُ يَقْبَلُ الثَّنْيَ والْحَجَرُ لَا يَقْبَلُهُ. وَأَلانَ اللهُ الْخَشَبَ الْيَابِسَةَ، فَأَوْرَقَتْ وأَثْمَرَتْ وَاخْضَرَّتْ[1].

وَأَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا أَفْهَمَ سُلَيْمَانَ كَلَامَ الطَّيْرِ وغَيْرِهَا، وسَخَّرَ لَهُ الشَّيَاطِينَ والرِّيحَ، ونَبِيُّنَا ﷺ كَلَّمَتْهُ الْأَحْجَارُ والْأَشْجَارُ والْحَيَوَانَاتُ، وفَهِمَ كَلَامَهَا وَكَلَّمَهَا وَأَجَابَتْ. وسَبَّحَ فِي كَفِّهِ الْحَصَى، وكَلَّمَهُ الذِّرَاعُ الْمَسْمُومُ والظَّبْيُ والضَّبُّ، وشَكَا إِلَيْهِ الْبَعِيرُ. ورُوِيَ: ((**أَنَّ طَائِرًا فجِعَ بِوَلَدِهِ فَجَعَلَ يُرَفْرِفُ عَلَى رَأْسِهِ ﷺ ويُكَلِّمُهُ. فَيَقُولُ: أَيُّكُمْ فَجِعَ هَذَا بِوَلَدِهِ فَقَالَ رَجُلٌ: أنَا فَقَالَ: ارْدُدْ وَلَدَهُ**))[2][3].

قَالَ أبو داود[4] والْحَاكِمُ وصَحَّحَهُ: عَن ابْنِ مَسْعُود ((**كُنَّا مَعَ النَّبِيءِ ﷺ فِي سَفَرٍ فانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ، فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَت الْحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرِشُ[5]؛ أَيْ: تَدْنُو مِنَ الْأَرْضِ، فَجَاءَ النَّبِيءُ ﷺ وَفِي رِوَايَةٍ: فَجَاءَتْ الْحُمَّرَةُ تَرِفُّ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ فَقَالَ: مَنْ فَجعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا. ورَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا فَقَالَ: مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ؟ قُلْنَا: نَحْنُ. قَالَ: إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ**))[6].

وَرَوَى أبو داود[7] والْحَاكِمُ وصَحَّحَه[8]: ((**عَن ابْنِ مَسْعُود كُنَّا عِنْدَ النَّبِيء ﷺ فدخَلَ رَجُلٌ غَيْضَةً فأَخْرَجَ مِنْهَا بَيْضَ حُمَّرَةٍ، فَجَاءَت حُمَّرَةٌ تَرِفُّ عَلَى رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وآلِهِ**

(1) شرح المواهب اللدنية، الزُّرقاني، 96/7.
(2) ورد بمعناه: مسند الطيالِسي، حدِيث (334).
(3) شرح المواهب اللدنية، الزُّرقاني، 96/7.
(4) سنن أبِي داود، حدِيث (5268).
(5) فِي سنن أبي داود: تُعَرِّشُ.
(6) شرح المواهب اللدنية، الزُّرقاني، 97/7.
(7) سبق تخرِيجه: مسند الطيالِسِي، رقم (334).
(8) المستدرك، الحاكم، حدِيث (7599).

وصَحْبِهِ، وأَصْحَابِهِ فَقَالَ ﷺ: أَيُّكُمْ فَجَعَ هَذِهِ؟ فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، أَخَذْتُ بَيْضَهَا. وَفِي رِوَايَةِ الْحَاكِمِ: أَخَذْتُ فَرْخَيْهَا. فَقَالَ: رُدَّهَا رَحْمَةً لَهَا))[1].

وَرَوَى التِّرْمِذِيّ وابْنُ مَاجَة: ((**عَنْ عامِر الرام أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الصَّحَابَةِ دَخَلُوا غَيْضَةً، فَأَخَذُوا فَرْخَ طَائِرٍ، فَجَاءَ الطَّائِرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَرِفُّ فقَالَ: أَيُّكُمْ أَخَذَ فَرْخَ هَذَا؟ فَأَمَرَهُ أَن يَرُدَّهُ فَرَدَّهُ**))[2]. وحِكْمَةُ الْأَمْرِ بِالرَّدِّ هُنَا لَمَّا اسْتَجَارَتْ بِهِ أَجَارَهَا فَوَجَبَ رَدُّهَا، واحْتِمَالُ كَوْنِهِمْ مُحْرِمِينَ بَعِيدٌ مَعَ قَوْلِهِ رَحْمَةً لَهَا[3].

وأَمَّا رِيحُ سُلَيْمَانَ فبُرَاقُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، الذِي وَصَلَ بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَإِلَى سِدْرَةِ المنْتَهَى، مُدَّةً قَلِيلَةً مِنَ اللَّيْلِ، أَسْرَع ولَيْسَ يُسْرِعُ بِالأَنْبِئَاءِ هَذَا الإِسْرَاعَ، ورَفَعَ مِنْ شِدَّةِ[4] الْمُدَّة فِي رَفْرَفٍ إِلَى الْعَرْشِ أَسْرَعَ مِنْ ذَلِكَ، فَقَدْ فَاقَ بِالرَّفْرَفِ وسُرْعَةِ الْبُرَاقِ.

وقِيلَ: سَارَ بِهِ الْبُرَاقُ مِن الْفرش إِلَى الْعَرْشِ فِي سَاعَةٍ زَمَانِيَّةٍ، بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ وَسَمَاءٍ خَمْسُمِئَةِ عَامٍ، وسُمْكُ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُمِئَةِ عَامٍ، فَهِيَ سَبْعَةُ آلَافٍ. ذَكَرَ بَعْضُهُمْ هَذَا وَقَالَ عَقِبَهُ: وَأَمَّا إِلَى الْمُسْتَوَى وَإِلَى الرَّفْرَفِ فَذَلِكَ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ[5].

وقِيلَ: أُعْطِيَ الْبُرَاقَ، سَارَ بِهِ مَسِيرَةَ خَمْسِينَ سَنَة فِي أَقَلّ مِنْ ثُلُث اللَّيْلِ. وَصَحَّحوا أَنَّ السَّيْرَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ كَانَ عَلَى الْبُرَاقِ، وَإِلَى السَّمَاوَاتِ عَلَى الْمِعْرَاجِ [257ظ] وَكَذَا صَحَّحَهُ السُّيُوطِي. قَالَ ابْنُ كَثِير: مَنْ قَالَ الصُّعُودُ عَلَى الْبُرَاقِ قَدْ وَهِمَ، بَلْ رَكِبَ عَلَيْهِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَرُبِطَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ لِيَرْجِعَ عَلَيْهِ إِلَى مَكَّةَ. فصَعِدَ إِلَى السَّمَاوَاتِ عَلَى الْمِعْرَاجِ، ولَمَّا رَجَعَ مِنَ السَّمَاوَاتِ

(1) شرح المواهب اللدنية، الزُّرقاني، 97/7.
(2) لم أقفْ عليهِ عند الترمذِي وابن ماجة.
(3) شرح المواهب اللدنية، الزُّرقاني، 98/7.
(4) في الأصل: سدة.
(5) شرح المواهب اللدنية، الزُّرقاني، 98/7.

عَلَى الْمِعْرَاجِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، رَكِبَ عَلَى الْبُرَاقِ مِنْهُ إِلَى مَكَّةَ[1]. وقَدْ زُوِيَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ الأَرْضُ حَتَّى رَأَى مشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وفَرْقٌ بَيْنَ مَنْ يَسْعَى إِلى الْأَرْضِ، وَمَنْ تَسْعَى لَهُ الْأَرْضُ[2].

أَمَّا تَسْخِيرُ الْجِنِّ لِسُلَيْمَانَ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ أبا الْجِنِّ إِبْلِيسَ اعْتَرَضَ سَيِّدَنَا مُحَمَّدا ﷺ وهُوَ فِي الصَّلَاةِ، فَأَمْكَنَهُ اللهُ مِنْهُ، ورَبَطَهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ[3].

قُلْتُ: لَا يُحْفَظُ إِنَّهُ إِبْلِيسُ بَلْ جَاءَ الْحَدِيثُ بِلَفْظِ الشَّيْطَانِ. قَالَ الْبُخَارِي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَن النَّبِيءِ ﷺ: ((**إِنَّ الشَّيْطَانَ عَرَضَ لِي، فَشَدَّ عَلَيَّ لِيَقْطَعَ الصَّلَاةَ فَأَمْكَنَنِي اللهُ مِنْهُ فَذَعَتُّهُ، ولَقَدْ هَممْتُ أَنْ أُوثِقَهُ إِلَى سَارِيَةٍ حَتَّى تُصْبِحُوا فَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ سُلَيْمَانَ رَبِّ ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾**[4] **فَرَدَّهُ اللهُ خَاسِئًا**))[5].

وأَخْرَجَهُ مُسْلِم والْبُخَارِي أَيْضًا بِلَفْظِ: ((**إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الْجِنِّ تَفَلَّتَ عَلَيَّ الْبَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ**))[6] فذَكَرَهُ. وهَذَا ظَاهِرٌ فِي أَنَّ الْمُرَادَ غَيْرُ إِبْلِيسَ. ومَعْنَى "ذَعَتُّهُ": خَنَقْتُهُ خَنْقًا شَدِيدًا. وسُلَيْمَانُ عليه السلام اسْتَخْدَمَ الْجِنَّ وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ، والنَّبِيءُ ﷺ اسْتَسْلَمَهُمْ، وَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنَ الْإِسْلَامِ[7].

وأَمَّا عَدُّ الْجِنِّ مِنْ خَدَمَةِ سُلَيْمَانَ، فَخَيْرٌ مِنْهُم المَلَائِكَةُ وجِبْرِيلُ ومَنْ مَعَهُ فِي جُمْلَةِ أَجْنَادِهِ ﷺ، باعْتِبَارِ الْجِهَادِ فِي بَدْرٍ، وبِاعْتِبَارِ تَكْثِيرِ السَّوَادِ فِي غَيْرِ بَدْرٍ، لِإِرْهَابِ الْعَدُوِّ علَى طَرِيقَةِ الْأَجْنَادِ، كَمَا فِي أُحُدٍ والْخَنْدَقِ وحُنَيْن[8].

---

(1) البداية والنهاية، ابن كثِير، 276/4.

(2) شرح المواهب اللدنية، الزُّرقاني، 98/7-99.

(3) شرح المواهب اللدنية، الزُّرقاني، 99/7.

(4) سورة ص: 35.

(5) صحيح البخارِي، حدِيث (1210).

(6) (م، س)، حدِيث (461)، وصحيح مسلِم، حدِيث (39).

(7) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 99/7.

(8) (م، س)، 100/7.

وأَمَّا عَدُّ الطَّيْرِ مِنْ أَجْنَادِهِ، فَأَعْجَبُ مِنْهَا حَمَامَتَي الْغَارِ، وتَوْكِيرهمَا فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ، وحِمَايَتهَا لَهُ مِنْ عَدُوِّهِ. والْغَرَضُ مِن اسْتِكْثَارِ الْجُنْدِ إِنَّمَا هُوَ الْحِمَايَةُ مِن الْأَعْدَاءِ وَقَدْ حَصَلَتْ بِأَيْسَرِ شَيْءٍ[1].

وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ مِنَ الْمُلْكِ فَنَبِيُّنَا ﷺ خُيِّرَ، بِلَا طَلَبٍ مِنْهُ، بَيْنَ أَنْ يَكُونَ مَلِكًا نَبِيًّا، تَسِيرُ مَعَهُ جِبَالُ مكَّةَ ذَهَبًا وَفِضَّةً وتَسِيرُ حَيْثُ سَارَ، وَلاَ مُلْكَ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا[2]، وَبَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا، فَاخْتَارَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا[3].

ومِنْ ذَلِكَ: أَنَّ عِيسَى عليه السلام أُعْطِيَ إِبْرَاءَ الْأَكْمَهِ والأَبْرَصِ، وإِحْيَاءَ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ، فَإِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا أَعْطَى رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ رَدَّ عَيْنَ قَتَادَةَ فِي مَكَانِهَا، بَعْدَمَا سَقَطَتْ عَلَى وَجْنَتِهِ، فَعَادَتْ أَحْسَنَ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ. وأَنَّ امْرأة مُعاذ بنِ عَفْراء كَانَتْ بَرْصَاء، فشَكَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَمَسَحَ علَيْهَا بِعَصَا، فَأَذْهَبَ اللهُ الْبَرَصَ مِنْهَا[4].

وَإِنَّهُ يُسَبِّحُ الْحَصَى فِي كَفِّهِ، وسَلَّمَ عَلَيْهِ الْحَجَرُ والشَّجَرُ، وحَنَّ لِفِرَاقِهِ الْجِذْعُ، وتَكَلَّمَ لَهُ وذَلِكَ أَبْلَغُ مِنْ تَكْلِيمِ الْمَوْتَى؛ لِأَنَّ هَذَا مِنْ جِنْسِ مَا لَا يَتَكَلَّمُ. واخْتَلَفُوا فِي نُطْقِ الْجَمَادِ أَهُوَ بَعْدَ [258و] تَصْيِيرِهِ حَيًّا أَوْ مَعَ بَقَاءِهِ عَلَى كَوْنِهِ جَمَادًا. وَإِحْيَاءُ الْجَمَادِ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَكَذَا فِعْلُهُ مَا لَا يَفْعَلُ الْجَمَادُ. قَالَ ابْنُ كَثِير: حُلُولُ الْحَيَاةِ والإِدْرَاكِ وَالعَقْلِ فِي الْحَجَرِ الذِي كَانَ يُخَاطِبُهُ ﷺ أَبْلَغُ مِنْ حَيَاةِ الْحَيَوَانِ فِي الْجُمْلَةِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مَحَلًّا لِلْحَيَاةِ فِي وَقْتٍ بِخِلَافِ مَا لَا حَيَاةَ فِيهِ قَبْلُ بِالْكُلِّيَّةِ. وَكَذَا كَلَامُ الْأَحْجَارِ والْبَدْرِ والشَّجَرِ وحَنِينُ الْجِذْعِ، وجَعل أَبُو نُعَيْمٍ نَظِيرَ خَلْقِ الطِّينِ طَيْرًا جَعْلَ الْعَسِيب سَيْفًا[5].

وأَنَّ رَجُلًا قال لِلنَّبِيءِ ﷺ: لَا أُؤْمِنُ بِكَ حَتَّى تُحْيِي لِي ابْنَتِي. فقَالَ ﷺ: أَرِنِي قَبْرَهَا فقَالَ: يَا فُلَانَةُ فَقَالَتْ: لَبَّيْكَ وسعْدَيْكَ، فأَحْيَاهَا اللهُ. فَقَدْ شَارَكَ عِيسَى فِي إِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ والْأَبْرَصِ، وإِحْيَاءِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ، وزَادَ بِتَكَلُّمِ الْجَمادَاتِ لَهُ وَإِحْيَاءِ الْجُزْءِ مِنَ الْحَيّ، كَعَيْنِ قَتَادَةَ والذِّرَاعِ الْمَسْمُومَةِ[6].

---

(1) (م، س)، 100/7.

(2) عبارة: " تَسِيرُ مَعَهُ جِبَالُ مكَّةَ ذَهَباً وَفِضَّةً وتَسِيرُ حَيْثُ سَارَ، وَلاَ مُلْكَ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا" أضافها المؤلف على الهامش. ليست في شرح المواهِبِ.

(3) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 100/7.

(4) (م، س)، 101/7.

(5) (م، س)، 101/7.

(6) (م، س)، 101/7.

وَأَمَّا الْمَائِدَةُ فَمِحْنَةٌ وَأُكْلَةُ سُوءٍ وَأَوْخَمُ[1] مَأْكُولٍ وسَبَبٌ لِلَّعْنَةِ والْمَسْخِ، نَزَّهَ اللهُ الرَّحْمَن الرَّحِيمُ هَذِهِ الْأُمَّةَ عنْهَا.

وبِمُرَاعَاةِ كَرَامَةِ عِيسَى عليه السلام فلِنَبِيئِنَا ﷺ نَظَائِرُ بِلَا سُوءِ عَاقِبَةٍ، كَمَا رُوِيَ أَنَّهُ خَفَّت أَزْوَادُهُمْ وجَمَعَهَا، وكَانَتْ كَرَبْضَةِ الْعَنْزِ، فَدَعَا ﷺ فَأَكَلَ مِنْهَا أَكْثَرُ مِنْ أَلْفٍ، وَمَلَؤُوا أَوْعِيتَهُمْ والطَّعَامُ بِحَالِهِ[2].

وأُتِيَ بِطَعَامٍ مِنَ السَّمَاءِ، وكَذَا بعْضُ أَهْلِ زَمَانِهِ ومَنْ بَعْدَهُ مِنْ أُمَّتِهِ كقطْفةِ عِنَبٍ لِرَجُلٍ أَسَرهُ الْمُشرِكُونَ، ودَلْوِ مَاءٍ مِنَ السَّمَاءِ لامْرَأَةٍ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: **((أَتَى رَجُلٌ أَهْلَهُ، فَرَأَى مَا بِهِمْ مِن الْحَاجَةِ، فَخَرَجَ إِلَى الْبَرِيَّةِ، فَقَالَت امْرَأَتُهُ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا مَا نَعْجِنُ ونَخْبِزُ. فَإِذَا الْجَفْنَةُ مَلْأَى خَمِيرًا، والرَّحَى تَطْحَنُ، والتَّنُّورُ مَمْلُوءٌ شِوَاءً. فَجَاءَ زَوْجُهَا وسَمِعَ الرَّحَا، فَقَامَتْ إِلَيْهِ لِتَفْتَحَ لَهُ الْبَابَ قَالَ: مَاذَا كُنْتِ تَطْبُخِينَ؟ فَأَخْبَرَتْهُ وإِنَّ رَحَاهَا لَتَدُورُ وتَصُبُّ دَقِيقًا، فَلَمْ يَبْقَ فِي الْبَيْتِ وِعَاءٌ إِلَّا مُلِئَ، فَرَفَعَ الرَّحَا وَكَنَسَ مَا حَوْلَهَا، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فقَالَ: مَا فَعَلْتَ بِالرَّحَا؟ قَالَ: رَفَعْتُهَا ونَفَضْتُهَا. فَقَالَ ﷺ: لَوْ تَرَكْتُمُوهَا مَا زَالَتْ كَمَا هِيَ لَكُمْ حَيَاتَكُمْ))**[3] وفِي رِوَايَةٍ: **((لَوْ تَرَكْتُمُوهَا لَدَارَت إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))**[4][5].

وَأَمَّا إِخْبَارُ عِيسَى عليه السلام بِمَا يَأْكُلُونَ ومَا يَدَّخِرُونَ فَنَبِيئُنَا ﷺ قدْ أَخْبَرَ النَّاسَ بِغُيُوبٍ كَثِيرَةٍ، أَخْبَرَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِهَا، كَكِتَابِ حَاطِب الذِي أَرْسَلَهُ مَعَ امْرَأَةٍ إِلَى مَكَّةَ، ومَا أَخْفَى الْعَبَّاسُ مِنَ الْمَالِ فِي مَكَّة.

وَذَكَرَ أَبُو سَعِيد النّيسَابُورِيّ أَنَّ عَدَدَ مَا خُصَّ بِهِ النَّبِيءُ ﷺ سِتُّونَ خصْلَةً. وذَكَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ أُتِيَ ثَلَاثَةَ آلَافِ مُعْجِزَةٍ وخصِّيصَةٍ. وذَكَرَ النَّوَوِي أَنّهَا تَزِيدُ عَلى أَلْفٍ ومِئَتَيْنِ وقِيلَ: أَلْفٌ. وَفِي الْقُرْآنِ سِتُّونَ أَلْفَ مُعْجِزَةٍ[6] [258ظ] غَيْر مَا ذكر.

---

(1) وخم: الوخْم والوخِمُ الثَّقِيل، وطعام وخيم أي: غيرُ موافِقٍ. لسان العرب (وخم).

(2) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 102/7.

(3) ورد بمعناه: دلائل النبوة، 105/6.

(4) ورد بمعناه: المعجم الأوسط، الطبراني، حدِيث (5588).

(5) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 102/7.

(6) (م، س)، 111/7.

قال الصَّيْمَرِيّ[1] مِن الشَّافعِيَّةِ: مَنَعَ أبو عليّ بنُ خَيْران[2]الْكَلامَ فِي الْخَصَائِصِ؛ لِأَنَّهُ أَمْرٌ انْقَضَى فَلَا مَعْنَى لِلْكَلَامِ فِيهَا؛ لِضَيَاعِ الزَّمَانِ بِلَا فَائِدَةٍ. وقَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ: قَالَ الْمُحَقِّقُونَ: ذِكْرُ الاخْتِلَافِ فِي مَسَائِلِ الْخَصَائِصِ خَبْطٌ غَيْرُ مُفِيدٍ، بَلْ قَدْ يُؤَدِّي إِلَى ضَرَرٍ شَدِيدٍ؛ فَإِنَّهُ لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ حُكْمٌ نَاجِزٌ تَمسُّ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ، وَإِنَّمَا يَجْرِي الْخِلَافُ فِيمَا لَا يُوجَدُ بُدٌّ مِنْ إِثْبَاتِ حُكْمٍ فِيهِ، فَإِنَّ الْأَقْيِسَةَ لَا مَجَالَ لَهَا، وَالْأَحْكَامُ الْخَاصَّةُ تُتَّبَعُ فِيهَا النُّصُوصُ، ومَا لَا نَصَّ فِيهِ فالْخِلَافُ فِيهِ هُجُومٌ عَلَى الْغَيْبِ مِنْ غَيْرِ فَائِدَةٍ. قَالَ النَّووِي: وقَالَ سَائِرُ الشَّافِعِيَّةِ يَجُوزُ الكَلَامُ فِي الْخَصَائِصِ والْبَحْثُ عَنْهَا، وهُوَ الصَّحِيحُ لِمَا فِيهِ مِنْ زِيَادَةِ الْعِلْمِ، وبَيَانِ شَرَفِ الْمُصْطَفَى ورَفِيعِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَ رَبِّهِ[3]. قُلْتُ: بَلْ يُسْتَحَبُّ؛ لِأَنَّ فِيهِ زِيَادَةَ حُبٍّ وَتَعْظِيمٍ.

قِيلَ: وَلَوْ قِيلَ بِوُجُوبِهِ لَمْ يَكُنْ بَعِيدًا؛ لِأَنَّهُ رُبَّمَا رَأَى جَاهِلٌ بَعْضَ الْخَصَائِصِ فَيَعْمَلُ بِهِ أَخْذًا بِأَمْرِ التَّأَسِّي. قَالَ الْحَطَّاب[4]: ذِكْرُهَا مُسْتَحَبٌّ أَوْ وَاجِبٌ فَهَذَا الظَّاهِرُ[5]. واللهُ أَعْلَمُ. وَلَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ وصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

تَمَّ الْمُجَلَّدُ الْأَوَّلُ بِفَضْلِ اللهِ.

(1) الحُسِين بن عليّ بن محمَّد الصَّيْمري، نسْبَةً إلى صَيْمَرة بخوزستان، أحَدُ الفقهَاءِ وليَ القضاءَ برُبع الكرْخ، كان صدوقاً وافِرَ العقلِ جمِيلَ المعاشَرَة. الجواهِر المضِيَّة، محيي الدين الحنفِي، 116/2.

(2) الْحُسَيْن بن صَالح بن خيران أَبُو علِي، أحد أَرْكَان الْمَذْهَب الشَّافعِي كَانَ إِمَامًا زاهدا ورعا تقيا نقيا متقشفا من كبار الْأَئِمَّة بِبَغْدَاد، ت:320هـ. طبقات الشافعية، السُّبكِي، 271/3.

(3) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 111/7-112.

(4) الشمس الحَطَّاب المالِكِي: محمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بالحَطَّاب الرعيني، فقيه، أصولي، صوفي، أصله مِنَ الْمَغرِبِ، وُلِدَ بمكَّة وتوفِّيَ بطرابلس الغَرْبِ سنة 954هـ، من تصانِيفِهِ مواهب الجلِيل في شرح مختصَرِ خلِيل، في فروع الفقه المالكي، متممة الأجرومية في علم العربية. معجم المؤلفين، 650/3.

(5) شرح المواهِب، الزُّرقاني، 112/7.

الفهارِس

1-فهرس الآيات القرآنيَّة

	الآيات القرآنية	رقمها	الصفحة
سورة الفاتحة			
1	﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿1﴾ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿2﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾	2-1	398
2	﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿1﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿2﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿3﴾ ﴾	3-1	435
سورة البقرة			
3	﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾	2	395
4	﴿ يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنَ أَنتَ ﴾	35	188
5	﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ ﴾	54	10
6	﴿ وَادۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ ﴾	58	425
7	﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ ﴾	136	178
8	﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾	144	415
9	﴿ فَوَلِّ وَجۡهَكَ ﴾	144	416
10	﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ ﴾	144	421
11	﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾	142	424
12	﴿ مَا وَلَّىٰهُمۡ ﴾	142	422
13	﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُ ﴾	142	422
14	ق﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُ ﴾	142	427
15	﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ ﴾	143	425
16	﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ ﴾	144	426
17	﴿ وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾	145	426
18	﴿ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ ﴾	146	426
19	﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ ﴾	150	427

	الآيات القرآنية	رقمها	الصفحة
20	﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾	183	196
21	﴿ وَاتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ اَبْوَٰبِهَا ۖ ﴾	189	573
22	﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾	253	176
23	﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾	253	183
24	﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ ﴾	273	586
25	﴿ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ۖ ﴾	273	586
26	﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾(	185	383
27	﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾	285	178
28	﴿ ـامَنَ ٱلرَّسُولُ ﴾ إلى قولِهِ: ﴿ وَرُسُلِهِۦ ۖ ﴾	285	394
سورة آل عمران			
29	﴿ اَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ ﴾	32	187
30	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ اَصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ ﴾	33	323
31	﴿ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ ﴾	36	259
32	﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۖ ﴿53﴾ ﴾	53	140
33	﴿ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ ۖ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾	97	464
34	﴿ وَإِذَ اَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۖ ﴾ إلى قولِهِ: ﴿ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۖ ﴿81﴾ ﴾	81	179
35	﴿ وَإِذَ اَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ﴾	81	180
36	﴿ وَإِذَ اَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم ﴾	81	237
37	﴿ وَإِذَ اَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۖ ﴿81﴾ ﴾	81	258
38	﴿ قُلْ فَاتُوا۟ بِالتَّوْرَىٰةِ فَاتْلُوهَآ ﴾	93	240
39	﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ اخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾	110	176

	الآيات القرآنية	رقمها	الصفحة
40	﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾	122	24
41	﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾	159	230
42	﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾	182	217
سورة النّساء			
43	﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾	13	187
44	﴿ ـ اتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾	54	606
45	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾	60	496
46	﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ ﴾	64	48، 131
47	﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﴾	64	141
48	﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ ﴾	64	121، 122، 131، 142
49	﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾	80	187
50	﴿ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ﴾	95	384
51	﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾	97	25
52	﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾	165	320
53	﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَٰٓئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾	172	185
54	﴿ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿174﴾ ﴾	174	222
سورة المائدة			
55	﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾	3	196، 407
56	﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿15﴾ ﴾	15	222

	الآيات القرآنية	رقمها	الصفحة
57	﴿ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦۗ ﴾	16	274
58	﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ ﴾	17	469
59	﴿ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُ ﴾	64	694
60	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾	67	648
61	﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾	67	264
62	﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ ﴾	97	634
63	﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾	103	321
64	﴿ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي ﴾	110	188
سورة الأنعام			
65	﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ ﴾	19	544
66	﴿ وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ ﴾	26	539
67	﴿ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ ﴾	28	317
68	﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾	90	175
69	﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ ﴾	91	374
70	﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠٩ ﴾	109	212
71	﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَٰلَتَهُۥۗ ﴾	124	398
72	﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ ﴾	130	543، 545
73	﴿ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ١٣٢ ﴾	132	543
74	﴿ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ ﴾	152	242
75	﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣ ﴾	163	611
76	سورة الأعراف		

	الآيات القرآنية	رقمها	الصفحة
77	﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿23﴾ ﴾	23	215،
78	﴿ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾	27	378، 541
79	﴿ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ ﴾	85	243
80	﴿ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ ﴾	86	669
81	﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً ﴾	124	590
82	﴿ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾	144	618
83	﴿ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ ﴾	157	230
84	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾	158	545
85	﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾	172	258
سورة الأنفال			
86	﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾	1	187
87	﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ ﴾	5	26
88	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿64﴾ ﴾	64	496
89	﴿ إِنْ يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ ﴾	70	456
90	﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ ﴾	72	31
سورة التوبة			
91	﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾	28	318
92	﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً ﴾	28	384
93	﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾	32	187
94	﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾	43	182
95	﴿ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾	73	230
96	﴿ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾	92	453

	الآيات القرآنية	رقمها	الصفحة
97	﴿ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾	107	235
98	﴿ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾	108	154
99	﴿ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ ﴾	108	155
100	﴿ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ ﴾	108	155
101	﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ ﴾	113	319
102	﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُ ﴾	114	318
103	﴿ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ ﴾	128	140
104	﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ ﴾	128	140
105	﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ ﴾	128	256
	سورة يونس		
106	﴿ وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ ﴾	87	425
	سورة هود		
107	﴿ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ ﴾	48	188
108	﴿ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ ﴾	84	243
109	﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ ﴾	85	243
	سورة يوسف		
110	﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓ ﴾	109	191
	سورة الرّعد		
111	﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾	11	638
112	﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٞ ﴾	35	378
113	﴿ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩ ﴾	39	193

	الآيات القرآنية	رقمها	الصفحة
سورة إبراهيم			
114	﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾	9	260
سورة الحجر			
115	﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿94﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿95﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿96﴾ ﴾	94-96	537
116	﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿95﴾ ﴾	95	537
سورة النحل			
117	﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾	41	28
118	﴿ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾	123	277
119	﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾	124	424
سورة الإسراء			
120	﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾	1	555، 651
121	﴿ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾	12	556
122	﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿15﴾ ﴾	15	317
123	﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾	29	455
124	﴿ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾	44	378
125	﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾	55	182
126	﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ ﴾	59	212
127	﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾	60	548، 659
128	﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ ﴾	60	660
129	﴿ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾	79	413
130	﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾	80	33

	الآيات القرآنية	رقمها	الصفحة
131	﴿ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ٨١ ﴾	81	697
سورة الكهف			
132	﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ ﴾	110	611
سورة مريم			
133	﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ ﴾	17	405
سورة طه			
134	﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ طٰهٰ ١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢ ﴾	2-1	495
135	﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ﴿ طٰهٰ ١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢ ﴾ إلى قولِهِ: ﴿ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨ ﴾	8-1	502
136	﴿ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾	-11 12	188
137	﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤ ﴾	14	502
138	﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا ﴾	16	502
139	﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ ﴾	25	700
140	﴿ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ٣٦ ﴾	36	700
141	﴿ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ ﴾	55	49
142	﴿ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤ ﴾	114	648
143	﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ١١٨ ﴾	118	168
144	﴿ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَا ﴾	130	412
سورة الأنبياء			
145	﴿ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ ﴾	27	238
146	﴿ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ ﴾	29	181
147	﴿ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَ ﴾	29	238
148	﴿ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ ﴾	29	547

	الآيات القرآنية	رقمها	الصفحة
149	﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾	107	279
سورة الحجّ			
150	﴿ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٢٥ ﴾	25	653
151	﴿ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ ﴾	28	634
152	﴿ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾	87	622
سورة المومنون			
153	﴿ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ ﴾	99	218
سورة النور			
154	﴿ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ ﴾	37	463، 586
سورة الفرقان			
155	﴿ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١ ﴾	1	543، 544، 547
سورة الشعراء			
156	﴿ أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ ١٨١ ﴾	181	243
157	﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ ﴾	193 – 194	185
158	﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ ﴾	193 – 194	194
159	﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ ﴾	193 – 194	385
160	﴿ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩ ﴾	218 – 219	476
161	﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩ ﴾	219	255، 318
سورة النمل			

	الآيات القرآنية	رقمها	الصفحة
162	﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ ﴾	18	245
163	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ ﴾	18	245
164	﴿ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾	87	209
سورة القصص			
165	﴿ ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ ﴾	24	590
166	﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿30﴾ ﴾	30	590
سورة الأحزاب			
167	﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ ﴾	13	23
168	﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا ﴾	14	43
169	﴿ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾	30	654
170	﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿33﴾ ﴾	33	482
171	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿45﴾ ﴾	45	218
172	﴿ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿46﴾ ﴾	46	556
173	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿56﴾ ﴾	56	142، 188
سور سبأ			
174	﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ ﴾	15	85
175	﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ أَيْ: قُرَى الشَّامِ ﴿ قُرًى ظَٰهِرَةً ﴾	18	85
176	﴿ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾	19	85
177	﴿ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿23﴾ ﴾	23	406
178	﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾	28	545
179	﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ﴾	39	455

	الآيات القرآنية	رقمها	الصفحة
180	﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿39﴾ ﴾	39	593
	سورة يس		
181	﴿ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ﴾	19	10
	سورة الصافات		
182	﴿ يَٰبُنَىَّ ﴾	102	403
183	﴿ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ ﴾	102	403
184	﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿104﴾ ﴾	104	188
	سورة ص		
185	﴿ رُدُّوهَا عَلَىَّ ﴾	33	680
186	﴿ وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾	35	703
187	﴿ لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾	35	378
188	﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿86﴾ ﴾	86	611
	سورة الزمر		
189	﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ ﴾	65	181
190	﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾	65	238
191	﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿68﴾ ﴾	68	208
	سورة غافر		
	﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ ﴾	34	546
	سورة فصلت		
192	﴿ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾	11	50، 205، 259
193	﴿ قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿11﴾ ﴾	11	382
194	﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾	43	649

	الآيات القرآنية	رقمها	الصفحة
سورة الزخرف			
195	﴿ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ ﴾	71	579
سورة الدخان			
196	﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَاتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ ﴾	10	447
سورة الأحقاف			
197	﴿ وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا ﴾	29	289
198	﴿ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ٢٩ ﴾	29	546
199	﴿ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا ﴾	30	546
200	﴿ كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ ﴾	30	292
201	﴿ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ ﴾	31	544
202	﴿ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٣١ ﴾	31	543
سورة الفتح			
203	﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمَۢا ١٠ ﴾	10	154
	سورة ق		
204	﴿ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨ ﴾	18	638
سورة الحجرات			
205	﴿ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾	2	130
206	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ ﴾	3	130
207	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ ﴾	4	130
208	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣ ﴾	3	152
	سورة النجم		
209	﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥ ﴾	5	185

	الآيات القرآنية	رقمها	الصفحة
210	﴿ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿11﴾ ﴾	11	549
211	﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿13﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿14﴾ ﴾	13-14	407
212	﴿ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ﴿16﴾ ﴾	16	633
213	﴿ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿17﴾ ﴾	17	474، 549، 556
214	﴿ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿18﴾ ﴾	18	556، 614
215	﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿42﴾ ﴾	42	630
سورة القمر			
216	﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴿1﴾ ﴾	1	483، 487
217	﴿ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴿1﴾ ﴾	1	484
218	﴿ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ﴿2﴾ ﴾	2	484
219	﴿ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿52﴾ ﴾	52	192
سورة الرحمن			
220	﴿ وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴿7﴾ ﴾	7	243
221	﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿13﴾ ﴾	13	543
222	﴿ سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿31﴾ ﴾	31	544
223	﴿ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿46﴾ ﴾	46	543، 544
سورة الحديد			
224	﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ حَتَّى بَلَغْتُ ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِ ﴾	1-7	499
225	﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾	7	501

	الآيات القرآنية	رقمها	الصفحة
226	﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ ...﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ ﴾ ﴿ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۖ (8) ﴾	1-8	501
	سورة المجادلة		
227	﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ﴾	21	203
	سورة الحشر		
228	﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ ﴾	9	25
	سورة القلم		
229	﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ (4) ﴾	4	140، 243
230	﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ ﴾	1	400
	سورة الحاقة		
231	﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ (40) وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ (41) ﴾ ...﴿ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَۖ (42) ﴾	40-42	507
232	﴿ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا ﴾	44	181
233	﴿ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ (44) ﴾	44	227
234	﴿ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ (44) لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ (45) ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ (46) ﴾	44-45-46	238
	سورة نوح		
235	﴿ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا (10) يُرۡسِلِ [165و] ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا (11) ﴾ إلى ﴿ أَنۡهَٰرٗاۖ (12) ﴾	10-12	435
	سورة الجنّ		
236	﴿ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ ﴾	6	191
237	ق﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ ﴾ إلى ﴿ رَّصَدٗا ﴾	1-9	289
238	﴿ وَإِنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِ ﴾	9	291
239	﴿ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا ﴾	13	543

	الآيات القرآنية	رقمها	الصفحة
240	﴿ وَإِنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾	19	555
	سورة المزمل		
241	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ ﴾	1	400
242	﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ﴾	4	412
243	﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ ﴾	5	579
244	﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾	20	412
	سورة المدثر		
245	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ ﴾ إلى قوله ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ ﴾	5-1	397
246	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ ﴾ إلى: ﴿ فَٱهْجُرْ ۝٥ ﴾	5-1	399
247	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ ﴾	2-1	412
248	﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ۝٤٨ ﴾	48	586
	سورة الإنسان		
249	﴿ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ ﴾	3	321
سورة الجمعة			
250	﴿ وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ﴾	11	155
	سورة الطّلاق		
251	﴿ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾	12	546
252	سورة التّحريم		
253	﴿ لَّا يَعْصُونَ [206و] ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦ ﴾	6	547
	سورة التّكوير		
254	﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤ ﴾	14-1	502
255	﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ ﴾	9-8	540
256	﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١ ﴾	21-19	186

	الآيات القرآنية	رقمها	الصفحة
سورة المطففين			
257	﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ﴾	1	242
258	﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ ﴾	2	521
	سورة البلد		
259	﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ١ ﴾	1	26
	سورة العلق		
260	﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ ﴾ حتَّى بلَغ ﴿ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥ ﴾	5-1	387
261	﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾ إلى قولِهِ ﴿ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥ ﴾	5-1	395
262	﴿ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥ ﴾	5-4	395
263	﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾ إلى ﴿ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥ ﴾	5-1	399
264	﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ ﴾	1	400، 401
265	﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾	1	412
266	﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ ﴾	6	493
267	﴿ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ١٠ ﴾	9-10	555
	سورة القدر		
268	﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ ﴾	1	384
	سورة الشّرح		
269	﴿ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ٤ ﴾	4	186
	سورة الكوثَر		
270	بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ ﴾	1	410
سورة الكافرون			
271	﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ ﴾	1	138
سورة الإخلاص			

	الآيات القرآنية	رقمها	الصفحة
272	﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾	4-1	230

2-فهرس الأحاديث

	الحديث أو طرفه	الصفحة
.1	((إِبْرَاهِيمُ خَلِيلٌ مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ))	628
.2	((أَتَانِي جِبْرِيلُ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّ رَبِّي وَرَبَّكَ يَقُولُ: أَتَدْرِي كَيْفَ رَفَعْتُ ذِكْرَكَ؟..))	186، 651
.3	((أَتَانِي جِبْرِيلُ بِالْحُمَّى وَالطَّاعُونِ وَأَرْسَلْتُ الطَّاعُونَ بِالشَّامِ فَالطَّاعُونُ شَهَادَةٌ ..))	71
.4	((أَتَانِي جِبْرِيلُ بِدَابَّةٍ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ..))	604 593، 610
.5	((أَتَانِي جبريل بِقِدْرٍ فأَكَلْتُ منْهَا فَأُعْطِيتُ قُوَّةَ أَرْبَعِينَ فِي الْجِمَاعِ))	530
.6	((أَتَاهُ ضَرِيرٌ فَشَكَى إِلَيْهِ ذَهَابَ بَصَرِهِ، فَقَالَ لَهُ..))	127
.7	((أَتُحِبُّونَ أَنْ أُعْلِمَكُمْ بُدُوَّ إِسْلَامِي؟ قُلْنَا: نَعَمْ...))	503
.8	((أَتَى رَجُلٌ أَعْرَابِيٌّ مِنْ أَهْلِ الْبَدْوِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ..))	442
.9	((أَتَى رَجُلٌ أَعْرَابِيٌّ مِنْ أَهْلِ الْبَدْوِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ))	440
.10	((أَتَى رَجُلٌ أَهْلَهُ، فَرَأَى مَا بِهِمْ مِن الْحَاجَةِ، فَخَرَجَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ، فَقَالَت امْرَأَتُهُ اللَّهُمَّ ..))	705
.11	((أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صفته في التوراة عندي أحمد المختار..))	219
.12	((أُتِيَ بالْبُرَاقِ فرَكِبَهُ حَلْفَ جِبْرِيلَ))	589
.13	((أُتِيَ بِفَرَسٍ فَحُمِلَ عَلَيْهِ قَالَ: كُلُّ خُطْوَةٍ مُنْتَهَى أَقْصَى...))	605، 593، 650
.14	((أُتِيَ بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ...))	176
.15	((أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ بِإِيلْيَاءَ بِإِنَاءٍ فِيهِ خَمْرٌ وإِنَاءٍ فِيهِ لَبَنٌ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا ..))	602، 570
.16	((أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بالْبُرَاقِ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ظَهْرِهِ، هُوَ وجِبْرِيلُ، حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى ..))	589
.17	((أَتَيْتُ – وَفِي رِوَايَةِ هَدَّابٍ: مَرَرْتُ – عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ))	114، 116
.18	((أَتَيْتُ النَّبِيءَ ﷺ فأَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَإِذَا هِيَ أَلْيَنُ مِن الْحَرِيرِ، وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ))	687
.19	((أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ فَرَكِبْتُهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى عَلَى جَبَلٍ...))	628
.20	((أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ،...))	644
.21	((أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ...))	552، 567، 570، 572، 583، 587، 620، 621، 629، 631، 652
.22	((أتيت بدابة فوق الحمار ودون البغل...))	37، 572، 590، 654، 655
.23	((أُتِيتُ بِدَابَّةٍ هِيَ أَشْبَهُ الدَّوَابِّ بِالْبَغْلِ..))	595، 611، 646
.24	((أَتَيْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ معَ أَبِي وعَلَيَّ قَمِيصٌ أَصْفَرٌ قَالَ ﷺ: سَنَهْ سَنَهْ، فذَهَبْتُ أَلْعَبُ ..))	460
.25	((أَتَيْتُ عَلَى حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ:...))	603
.26	((أَتَيْتُ عَلَى نَهْرٍ حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ الْمُجَوَّفِ فقُلْتُ مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ ..))	643
.27	((أُتِيتُ فَانْطُلِقَ بِي إِلَى زَمْزَمَ، فشرحَ عَنْ صَدْرِي، ثُمَّ غُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ أعادَهُ ..))	311
.28	((أُتِيتُ فَانْطَلَقُوا بِي إِلَى زَمْزَمَ، فَشُرِحَ عَنْ صَدْرِي...))	311
.29	((أَتَيْنَا أَنَسَ بنَ مَالِك فَقَالَ يَا جَارِيَةُ هَلُمَّ الْمَائِدَةَ نَتَغَدَّى، فَأَتَتْ بِهَا. ثُمَّ قَالَ ..))	695
.30	((اتْبُتُوا، فَإِنَّكُمْ أَوْتَادُهَا))	100
.31	((اجْتَمَعت الْمُشْرِكُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ..))	488
.32	((اجتمعت المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن كنت صادقا..))	488
.33	((أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ))	151
.34	((أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ...))	194

	الحديث أو طرفه	الصفحة
.35	((اخْتَارَ العَرَبَ مِنْ بَنِي آدَمَ، واخْتَارَ مِنَ الْعَرَبِ كِنَانَةَ، واخْتَارَ قُرَيْشاً مِنْ كِنَانَةَ، ..))	256
.36	((أَخَذَ النَّبِيءُ ﷺ كفًّا مِن حصْبَاء فسبَّحْنَ في يَدِهِ ﷺ حتَّى سَمِعْنَا التَّسبيحَ ثمَّ صَبَّهُنَّ في ..))	373
.37	((آخِرُ النَّاسِ مَحْشَرًا رَجُلَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ، يَفْقِدَانِ النَّاسَ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ قَدْ ..))	40
.38	((آخِرُ قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الْإِسْلَامِ خَرَاباً المدِينَةُ))	38
.39	((آخِرُ مَنْ يُحْشَرُ رَجُلَانِ رَجُلٌ مِنْ جُهَيْنَةَ، وَرجُلٌ مِنْ مُزَيْنَةَ، يَقُولَانِ أَيْنَ النَّاسُ؟ ..))	40
.40	((أَخْرَجَ إِلَيْنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ نَعْلَيْنِ جَرْدَاوَيْنِ لَهُمَا قِبَالَانِ...))	470
.41	((أَخْرَجَ إِلَيْنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ نَعْلَيْنِ جَرْدَاوَيْنِ لَيْسَ لَهُمَا قِبَالَانِ...))	470
.42	((أَخْرَجَ إِلَيْنا أَنس بنُ مالِكٍ نَعْلَيْنِ جرْدَاوَيْنِ، أَيْ لاَ شَعْرَ فِيهِمَا ، لَهُما قِبَالَانِ))	469
.43	((ادْعُوا لِي سَيِّدَ الْعَرَبِ..))	184
.44	((إِذَا أَتَى أَحَدُكُم أَهْلَهُ ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَعُودَ فَلْيَتَوَضَّأْ بَيْنَهُما وُضُوء))	528
.45	((إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُوحِيَ بِأَمْرِهِ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ..))	385
.46	((إِذَا بَلَغَ البِنَاءُ سَلْعاً ...))	38
.47	((إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا...))	600
.48	((إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُم المسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ))	139
.49	((إِذَا رَأَى آدَمُ أَسْوِدَةَ يَسَارِهِ تَأَفَّفَ))	615
.50	((إِذَا زَارَنِي فَسَلَّمَ عَلَيَّ رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ))	111
.51	((إِذَا قَضَى اللَّهُ لِعَبْدٍ أَنْ يَمُوتَ بِأَرْضٍ...))	49
.52	((إِذَا كَانَ الْمَاءُ قُدْرَ قُلَّتَيْنِ...))	570
.53	((إِذَا مَرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرٍ يَعْرِفُهُ فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَعَرَفَهُ، وَإِذَا مَرَّ بِقَبْرٍ لَا ..))	113
.54	((إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ اثْنَانِ وأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بعَثَ اللهُ إِلَيْها مَلَكاً فَصَوَّرَهَا، أَي اللهُ، ..))	639
.55	((إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ المسَاجِدُ))	169
.56	((إِذَا مَسَّ أَحَدُكُمْ ذَكَرَهُ فَلْيَتَوَضَّأْ))	528
.57	((إِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ...))	284
.58	((أَذَّنَ جبْرِيلُ ونَزَلَت المَلَائِكَةُ مِن السَّماءِ وحَشَرَ اللهُ المرْسَلِينَ فَصَلَّى النَّبِيءُ ..))	607
.59	((آذَنتِ النَّبِيءَ ﷺ بِالجنِّ لَيْلَةَ اسْتَمَعُوا لَهُ شجَرَةٌ))	535
.60	((أَذْهِبِ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي..))	694
.61	((أَرَأَيْتَكَ شَرَفَ السَّيَالَةِ وَشَرَفَ الرَّوْحَاءِ، فَإِنَّهُ مَنَازِلُ أَهْلِ الأُرْدُنِ إِذَا حِيزَ النَّاسُ ..))	38
.62	((ارْجِع إِلَى قَوْمِكَ فَادْعُهُم إِلَى اللهِ وَارْفُقْ بِهِمْ))	520
.63	((أَرْسَلَنِي أَصْحَابِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَسْأَلُهُ الْحُمْلَانَ...))	453
.64	((أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِي ذَاتَ نَخْلٍ وَحَرَّةٍ))	29
.65	((اسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ حِينَ...))	51
.66	((اسْتَأْذَنَتِ الْحُمَّى عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ لَهَا: «مَنْ أَنْتِ؟»...))	71
.67	((اسْتَأْذَنَتِ الْحُمَّى عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ أُمُّ مِلْدَمٍ، فَأَمَرَ بِهَا ..))	71
.68	((اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي فلَمْ يَأْذَنْ لِي، واسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَها فأَذِنَ لِي..))	319
.69	((اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي..))	318

	الحديث أو طرفه	الصفحة
.70	((اسْتَسْقَى رَسُولُ اللهِ ﷺ ماءً فَأَتَيْتُهُ بِقدحٍ فِيهِ مَاءٌ، ..))	691
.71	((استَسْقَى رسولُ الله ﷺ وعليه خَمِيصَة له سُوداء ..))	436
.72	((اسْتَسْقَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَامَ الرَّمَادَةِ بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ...))	451
.73	((اسْكِنْتُ أَقَلَّ الْأَرْضِ مَطَراً، وَهِيَ بَيْنَ عَيْنَي السَّمَاءِ، عَيْنِ الشَّامِ وَعَيْنِ الْيَمَنِ))	37
.74	((أَسْلِمْ يَا بْنَ الخَطَّابِ اللَّهمَّ اهْدِ قَلْبَهُ))	499
.75	((اشْتَغَلَ عَلِيٌّ مَعَ رَسُولِ اللهِ فِي قِسْمَةِ الْغَنَائِمِ يَوْمَ خَيْبَرَ حَتَّى غَابَتْ الشَّمْسُ، فقَالَ ..))	679
.76	((اشْتَكَيْتُ شَكْوَى لِي بِمَكَّةَ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعُودُنِي، قَالَ: قُلْتُ:..))	687
.77	((أَشْرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى فَلَقٍ مِنْ أَفْلَاقِ الْحَرَّةِ وَنَحْنُ مَعَهُ فَقَالَ نِعْمَ الْأَرْضُ المدِينَةُ ..))	73
.78	((أَصَابَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ قَحْطٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَبَيْنَا هُوَ يَخْطُبُ يَوْمَ جُمُعَةٍ إِذْ قَامَ ...))	441
.79	((أَصَابَتْ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَبَيْنَا النَّبِيُّ...))	441
.80	((أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَبَيْنَا رَسُولُ...))	441، 442
.81	((أَصَابَتْنِي رَمْيَةٌ فِي وَجْهِي، وَأَنَا أُقَاتِلُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ..))	689
.82	((أَصَبْتَ يَا مُعَاوِيَةُ فَقَبِلَهَا مِنْهُ))	690
.83	((أَصَحُّ المدِينَةِ مِنَ الحُمَّى مَا بَيْنَ حَرَّةِ قُرَيْظَةَ وَالْعرِيض))	70
.84	((أَطْعَمَنِي جِبْرِيلُ الْهَرِيسَةَ أَشُدُّ بِهَا ظَهْرِي))	530
.85	((أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي نُصِرْتُ...))	180، 239
.86	((أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي، وَلا أَقُولُهُنَّ فَخْرًا:...))	221
.87	((أقامَ رسول ﷺ بِمَكَّةَ خَمْسَ عشْرَةَ سَنَةً...))	396
.88	((أَقْبَلَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ بِبُرْدَةٍ، فَقَالَتْ: عَمِلْتُ هَذِهِ لَكَ بِيَدَيَّ، فَقَبِلَهَا رَسُول ..))	459
.89	((أَقْبَلْتُ أَنَا وصَاحِبَانِ لِي، وَقَدْ ذَهَبَتْ أَسْمَاعُنَا وأَبْصَارُنَا مِنَ الْجهْدِ، فَجَعَلْنَا ..))	684
.90	((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ))	283
.91	((أَكْثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؛ فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ، تَشْهَدُهُ الملَائِكَةُ..))	115
.92	((أَلا أُخْبِرُكُمْ عَنِ الأَجْوَدِ الأَجْوَدُ...))	452
.93	((أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ الْأَجْوَدِ الْأَجْوَدِ؟ اللَّهُ الْأَجْوَدُ الْأَجْوَدُ..))	452
.94	((أَلَا إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا حَذَّرَ الدَّجَّالَ أُمَّتَهُ،...))	31
.95	((الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ...))	114
.96	((الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ مَسْجِدٌ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ))	635
.97	((الْجَنَّةُ تَحْتَ أَقْدَامِ الْأُمَّهَاتِ))	169
.98	((الْحَجَرُ يَمِينٌ فَمَنْ مسح يده على الحجر فقد بايع الله أن لا يعصيه))	697
.99	((الْحَقِي بِصَاحِبَتِكِ حَتَّى أَجْلِسَ خَلْفَكُمَا، فَزَحَفَتْ حَتَّى لَحِقَتْ بِصَاحِبَتِهَا ..))	534
.100	((الْخِتَانُ سُنَّةٌ لِلرِّجَالِ، مَكْرُمَةٌ لِلنِّسَاءِ))	277
.101	((الْخَمْرُ أُمُّ الْفَوَاحِشِ وأَكْبَرُ الْكَبَائِرِ، مَنْ شَرِبَهَا..))	599
.102	((الرُّؤيَا الصالحة يبشَّر بها المؤمن، جزء مِنْ سِتَّةٍ وأَرْبَعِينَ جُزْء مِنَ النُّبوءَة))	383
.103	((الصَّلَاةُ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ [58ظ] إِلَّا ..))	159
.104	((أَلْقِ عَنْكَ شَعْرَ الكُفْرِ وَاخْتَتِنْ))	277

	الحديث أو طرفه	الصفحة
.105	((الْقرى المحفوظة مَكَّة وَالْمَدينَة وإيلياء ونجران وَمَا من...))	33
.106	((الْكَمْأَةُ مِنَ المنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ، وَالْعَجْوَةُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَهِيَ شِفَاءٌ مِنَ السُّمِّ))	78
.107	((اللَّهُمَّ اجْعَلْ بِالْمَدِينَةِ ضِعْفَيْ مَا جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنْ الْبَرَكَةِ...))	66
.108	((اللهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا،...))	462
.109	((اللهُمَّ أَرِنِي الْيَوْمَ آيَةً لَا أُبَالِي مَنْ كَذَّبَنِي بَعْدَهَا...))	532
.110	((اللهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا، مَرِيعًا، مَرِيئًا، طَبَقًا غَدَقًا...))	429، 448
.111	((اللَّهُمَّ اسْقِنا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا))	440
.112	((اللَّهمَّ أَعِزَّ الإِسْلَامَ بِأَبِي جَهْلٍ بنِ هِشَام، أو بِعُمَر بنِ الخَطَّابِ فأَصْبَحَ عُمَرُ ..))	497
.113	((اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ، عُمَر أَوْ أَبِي جَهْلٍ))	497
.114	((اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجلَيْنِ إليْكَ...))	497
.115	((اللَّهمَّ أعزّ الإِسْلامَ بِعُمَر بنِ الخطَّاب خَاصَّةً))	497
.116	((اللَّهُمَّ أَعِزَّ عُمَرَ بِالْإِسْلَامِ))	498
.117	((اللَّهُمَّ اعْمِ بَصَرَهُ وأَثْكِلْهُ فِي وَلَدِهِ))	537
.118	((اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بسبع كسبع يوسف))	447
.119	((اللَّهُمَّ أَغِثْنا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا))	440
.120	((اللهُمَّ أَغِثْنَا، اللهُمَّ أَغِثْنَا، اللهُمَّ أَغِثْنَا))	440، 441
.121	((اللَّهُمَّ اكْفِهِمْ مَنْ دَهَمَهُمْ بِبَأْسٍ، يَعْنِي أَهْلَ المدِينَةِ، وَلاَ يُرِيدُهَا أَحَدٌ بِسُوءٍ إِلاَّ ..))	59
.122	((اللهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ فَجَعَلَهَا حَرَمًا، وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ حَرَامًا مَا بَيْنَ مَأْزِمَيْهَا ، ..))	66
.123	((اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلكَ وَعَبْدكَ وَنَبِيئكَ، دَعَاكَ لِأَهْلِ مَكَّةَ، وَأَنَا مُحَمَّدٌ ..))	67
.124	((اللَّهُمَّ انْقُلْ عَنَّا الْوَبَاءَ، وَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ أتيتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ بِالْحُمَّى، فَإِذَا بِعَجُوزٍ ..))	67
.125	((اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَخْرَجْتَنِي مِنْ أَحَبِّ البلادِ إِلَيَّ، فَأَسْكِنِّي أَحَبّ البِلَادِ إِلَيْكَ))	51
.126	((اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَذَّبْتَ الْأُمَمَ، بَعْضهُمْ بالْحِجَارَةِ وبعْضهُمْ بِالْخَسْفِ وبَعْضهُمْ بِالْمَسْخِ..))	652
.127	((اللَّهمَّ أَيِّدِ الإِسْلامَ بأبِي الحَكَمِ بن هِشام أَوْ بِعُمَر بنِ الخَطَّابِ))	497
.128	((اللهُمَّ بَارِكْ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي مَدِينَتِهِمْ، وَبَارِكْ لَهُمْ فِي صَاعِهِمْ، وَبَارِكْ لَهُمْ فِي مُدِّهِمْ...))	32
.129	((اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمرِنَا وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَبَارِكْ لنَا فِي مُدِّنَا..))	66
.130	((اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا وَصَاعِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا ويَمَنِنَا...))	66
.131	((اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مِكْيَالِهِمْ وَبَارِكْ لَهُمْ فِي صَاعِهِمْ وَمُدِّهِمْ يَعْنِي أَهْلَ الْمَدِينَةِ))	66
.132	((اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا لِمَكَّةَ وَأَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا لَنَا...))	65
.133	((اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدّ، وَصَحِّحْهَا لَنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي ..))	67
.134	((اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ))	65، 50، 68
.135	((اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ وَأَشَدَّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأَهْلِ المدِينَةِ فِي سُوقِهِمْ..))	67
.136	((اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ مَكَّةَ أو أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا وَبَارِكْ لَنَا فِي ..))	68
.137	((اللهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ، اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا، وَمُدِّهَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى مَهْيَعَةَ..))	70
.138	((اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا ولَا عَلَيْنَا، فمَا يُشِيرُ بيَدِهِ إلى ناحيَةٍ إلَّا زالَتْ عنها، وما جَاءَ أَحَدٌ ..))	430
.139	((اللهم ظهور الجبال والآكام وبطون الأودية ومنابت...))	441

	الحديث أو طرفه	الصفحة
.140	((اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ وَالظِّرَابِ وَالْأَوْدِيَةِ...))	430 ،442
.141	((اللَّهُمَّ كَمَا بَلَّغْتَنَا أَوَّلَهَا فَبَلِّغْنَا آخِرَهَا ثُمَّ يُعْطِيهَا أَصْغَرَ الْوِلْدَانِ))	79
.142	((اللهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا، لَعَنَ اللهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ))	148
.143	((اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ مَنَايَانَا بها حَتَّى تُخْرِجَنَا مِنْهَا))	57
.144	((اللَّهُمَّ لَا تُدْرِكْنِي سَنَةَ سِتِّينَ وَلَا إِمْرَةَ الصِّبْيَانِ))	41
.145	((اللَّهُمَّ مَنْ أَرَادَنِي وَأَهْلَ بَلَدِي بِسُوءٍ فَعَجِّلْ هَلَاكَهُ))	60
.146	((اللَّهُمَّ مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ المدِينَةِ وَأَخَافَهُمْ فَأَخِفْهُ، وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالملَائِكَةِ ..))	60
.147	((اللَّهُمَّ نوِّر لهُ))	517
.148	((المدينة أَفْضَلُ مِنْ مَكَّةَ))	53
.149	((المدِينَةُ خَيْرٌ مِنْ مَكَّةَ))	52
.150	((المدِينَةُ قُبَّةُ الإِسْلَامِ))	28 ،31
.151	((المدِينَةُ كَالْكِيرِ تَنْفِي خَبَثَهَا وَيَنْصَعُ طِيِّبُهَا))	58
.152	((المدِينَةُ مُهَاجَرِي وَبِهَا وَفَاتِي وَمِنْهَا مَحْشَرِي، وَحَقِيقٌ عَلَى أُمَّتِي أَنْ يَحْفَظُوا جِيرَانِي ..))	62
.153	((المدِينَةُ مُهَاجَرِي وَفِيهَا مَضْجَعِي وَمِنْهَا مَخْرَجِي وَعَلَى أُمَّتِي حِفْظُ جِيرَانِي فِيهَا، ..))	61
.154	((المدِينَةُ مُهَاجَرِي وَفِيهَا مَضْجَعِي، وَفِيهَا مَبْعَثِي، حَقِيقٌ عَلَى أُمَّتِي حِفْظُ جِيرَانِي ..))	61
.155	((المدِينَةُ مُهَاجَرِي وَمَضْجَعِي فِي الْأَرْضِ...))	34، 61، 35
.156	((المدِينَةُ مُهَاجَرِي وَمِنْهَا مَبْعَثِي وَبِهَا قَبْرِي وَأَهْلُهَا جِيرَانِي وَحَقِيقٌ عَلَى أُمَّتِي ..))	62
.157	((المدِينَةُ وَمَكَّةُ مَحْفُوفَتَانِ بِالملَائِكَةِ...))	33، 72
.158	((المدِينَةُ يَتْرُكُهَا أَهْلُهَا وَهِيَ مُرْطِبَةٌ، قَالُوا فَمَنْ يَأْكُلُهَا؟ قَالَ السِّبَاعُ وَالْعَائف))	39
.159	((المدينة يَخْرُجُ مِنْهَا أَهْلُهَا خَيْرَ مَا كَانَتْ...))	39
.160	((الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الذِي صَلَّى فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، ..))	640
.161	((الملْحَمَةُ الكُبْرَى وَفَتْحُ القُسْطَنْطِينِيَّةِ وَخُرُوجُ الدَّجَّالِ فِي سَبْعَةِ أَشْهُرٍ))	38
.162	((النَّاسُ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ فَإِذَا أَنَا..))	208
.163	((الْوِتْرُ فَرْضٌ عَلَيَّ دُونَكُمْ))	657
.164	((أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ))	153
.165	((أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى. يَقُولُونَ يَثْرِبُ...))	25، 53
.166	((أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ وَرَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ تَحَدَّثَا...))	698
.167	((إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا يُتْرَكُونَ فِي قُبُورِهِمْ بَعْدَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَلَكِنَّهُمْ يُصَلُّونَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ..))	114
.168	((إِنَّ الإيمان لَيَأْزِرُ إلى المدِينَةِ كَمَا تَأْزِرُ الحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا))	28، 54
.169	((إِنَّ الْجِنَّ قَالُوا مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ قَالَ هذِهِ الشَّجَرَة، تَعَالَيْ يا شَجَرَة، فَجَاءَتْ ..))	535
.170	((إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ،..))	18
.171	((إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تُحْبَسْ على بشر إلا...))	675، 680
.172	((إِنَّ الشَّيْطَانَ عَرَضَ لِي، فَشَدَّ عَلَيَّ لِيَقْطَعَ الصَّلَاةَ، فَأَمْكَنَنِي اللهُ مِنْهُ فَذَعَتُّهُ، ..))	703
.173	((إِنَّ الْقَبْرَ الَّذِي جَلَسْتُ عِنْدَهُ قَبْرُ آمِنَةَ، وَإِنِّي..))	318
.174	((أَنَّ الْقَمَرَ انْشَقَّ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ))	488
.175	((إِنَّ اللهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلاً كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً. فمَنْزِلِي وَمَنْزِلُ إِبْرَاهِيمَ فِي الْجَنَّةِ تُجَاهَيْنِ..))	696

	الحديث أو طرفه	الصفحة
.176	((إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ خَلْقَهُ ، فَاخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِي آدَمَ..))	256
.177	((إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى ..))	256
.178	((إِنَّ اللهَ أَعْطَانِي مَلَكًا أَسْمَعَ الْخَلَائِقِ يَقُومُ عَلَى قَبْرِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))	115
.179	((إِنَّ اللهَ أَعْطَانِي مَلَكاً مِنَ الملَائِكَةِ يَقُومُ عَلَى قَبْرِي إِذَا أَنَا مِتُّ، فَلَا يُصَلِّي عَلَيَّ ..))	115
.180	((إِنَّ اللهَ جَعَلَ المدِينَةَ مُهَاجَرِي وَبِهَا مَضْجَعِي وَمِنْهَا مَبْعَثِي، فَحَقٌّ عَلَى أُمَّتِي ..))	61
.181	((إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا...))	623
.182	((إِنَّ اللهَ سَمَّى المدِينَةَ طَابَةَ))	22
.183	((إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ المدِينَةِ وَهِي بَطْحَاءُ، قَبْلَ أَنْ تَعْمُرَ لَيْسَ فِيهَا مَدَرٌ..))	36
.184	((إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ لِلْمَدِينَةِ يَا طَيْبَةُ يَا طَابَةُ يَا مِسْكِينَةُ، لَا تَقْبَلِي الْكُنُوزَ ..))	34
.185	((إِنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ ..))	202، 257
.186	((إِنَّ اللَّهَ قَدْ طَهَّرَ هَذِهِ الْقَرْيَةَ مِنَ الشِّرْكِ إِنْ لَمْ تُضِلَّهُمُ النُّجُومُ))	31، 55
.187	((إنّ المدِينَةُ حَرَمٌ آمِنٌ...))	28
.188	((إن الناس يحشرون يوم القيامة، فيجئ مع كلّ نبيّ أمته، ثم...))	208
.189	((أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: هُوَ نَهْرٌ فِي الجَنَّةِ...))	643، 645
.190	((أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ...))	65
.191	((أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اتَّخَذَ حُجْرَةً فِي الْمَسْجِدِ مِنْ حَصِيرٍ...))	159
.192	((أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ بِالبُرَاقِ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مُلْجَمًا مُسْرَجًا، فَاسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ))	586
.193	((أَنَّ النبيّ ﷺ أُتِيَ بِالبُراقِ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مُلْجَماً..))	585
.194	((أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ أَصْحَابُهُ...))	410
.195	((أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَلَّلَ عَلَى عَلِيٍّ وَحَسَنٍ وَحُسَيْنٍ..))	481
.196	((أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مَعَهُ يَبْتَغِي لَهُ بَعِيرًا، فَلَمْ يَجِدْهُ إِلَّا عِنْدَ أَبِي جَهْمٍ))	38
.197	((أن النبي ﷺ كان إذا انتهى إلى معد بن عدنان أمسك وقال كذب النسابون))	260
.198	((أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ..))	426
.199	((أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَسْتَسْقِي هَكَذَا - يَعْنِي - وَمَدَّ يَدَيْهِ..))	446
.200	((أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَنَظَرَ إِلَى جُدُرَاتِ...))	65
.201	((أَنَّ النُّطْفَةَ إِذَا اسْتَقَرَّتْ فِي الرَّحِمِ فَمَضَى لَهَا أَرْبَعونَ يَوْماً جَاءَ مَلَكُ الرَّحِمِ فَصَوَّرَ، ..))	639
.202	((أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ النَّبِيَّ ﷺ بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ فِيهَا حَاشِيَتُهَا...))	459
.203	((أنّ امرأة جاءت النبيَّ ببُردة منسوجة فيها حاشيتها، قالت: نسجتها بيدي...))	459
.204	((أنّ أَهْلَ مَكَّةَ سأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُم آيَةً...))	486
.205	((أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ أن يريَهُم آيَةً، فأَرَاهُم انْشِقاقَ، ..))	488، 489
.206	((إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ القَلَمَ، فَقَالَ: اكْتُبْ، فَقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ القَدَرَ مَا...))	642
.207	((إِنَّ أَوَّلَ مَا خلَقَ اللهُ الْقَلَم، قَالَ لَهُ اكْتُبْ، قَالَ يَا رَبِّ وَمَا أَكْتُب؟ قَالَ ..))	642، 200، 199، 254
.208	((أَنَّ بِلَالاً ﷺ نزَلَ بِدَارِيَّا حِينَ فَتَح عُمَرُ بيتَ المقْدِسِ ورَأَى النَّبِيءَ ﷺ في النَّوْمِ يقُولُ لَهُ ..))	117
.209	((إِنَّ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ انْطَلِقُوا إِلَى حَاجَةٍ لَهُمْ..))	128
.210	((أَنَّ جِبْرِيلَ وميكائِيلَ شَقَّا صَدْرَهُ وغَسَلاهُ ثُمَّ قالَ جِبْرِيلُ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾))	402

	الحديث أو طرفه	الصفحة
.211	((أن جده حنيفة قال لحذيم: اجمع لي بني فإني أريد أن أوصي فجمعهم فقال إن أول ما ...))	691
.212	((إنّ خَيْر مَا رُكِبَتْ إِلَيْهِ الرَّوَاحِلُ مَسْجِدِي هَذَا وَالْبَيْتُ الْعَتِيقُ))	155 ،122
.213	((إن دَاوُد سَأَلَ ربه مَسْأَلَة فَقَالَ: اجْعَلنِي مثل..))	272
.214	((إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ جِسْماً ولَا عَرَضاً))	197
.215	((أَنَّ رَجُلاً أُتِيَ به رَسُول الله ﷺ وَبِرِجْلِهِ قَرْحَةٌ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَرَفَ الْحَصِيرِ، ثُمَّ ..))	77
.216	((أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهُوَ يَخْطُبُ بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ قَحَطَ الْمَطَرُ))	441، 440
.217	((أَنَّ رَجُلاً دخلَ المسجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ مِنْ بابٍ كانَ نَحْوَ دَارِ القضَاءِ ورسُولُ اللهِ ﷺ...))	430، 439، 440
.218	((أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: «فِي النَّارِ»...))	319
.219	((أَنَّ رَجُلًا، أَعْمَى أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَال..))	127
.220	((أَنَّ رَجُلَيْنِ خَرَجَا مِنْ عِنْدِ النَّبِيءِ ﷺ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ..))	699
.221	((أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ خَرَجَا..))	699
.222	((أنَّ رسولَ الله ﷺ أتى قبر أمه بالأبواء في ألف مقنع))	316
.223	((أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيل وهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فأَخَذَهُ وَصَرَعَهُ فَشَقَّ عَنْ ..))	576
.224	((أن رسول الله ﷺ أتى بني الحارث فرآهم روباً..))	76
.225	((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أتي بفرس فجعل كل خطوة...))	593، 597، 599، 607، 616
.226	((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْتَقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ...))	211
.227	((أن رسول الله ﷺ جمع فاطمة وعليا والحسن والحسين..))	482
.228	((أَنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ أَرَادَ اللهُ كَرَامَتَهُ وابْتِدَاءَهُ بِالنُّبوءَةِ، كانَ لَا يَمُرُّ بِحَجَرٍ ولا شَجَرٍ ..))	396
.229	((أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى الْمُصَلَّى يَسْتَسْقِي...))	437
.230	((أن رسولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ بالنَّاسِ إلى المُصَلَّى يَسْتَسْقِي فصَلَّى بهِمْ رَكْعَتَيْن، جَهَرَ فِيهِما ..))	435
.231	((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا رُكَانَةَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَعْلَى...))	527
.232	((أنّ رسول الله ﷺ سئل عن صوم الاثنين، فقال: فيه ولدت...))	383، 279
.233	((أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ صَوْمِهِ؟ قَالَ:...))	382
.234	((أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَلَّى الظُّهرَ بِالصَّهْبَاءِ، ثُمَّ أَرْسَلَ عَلِيًّا فِي حَاجَةٍ))	679
.235	((أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: اللَّهُمَّ أَرِنِي آيَةً لَا أُبَالِي مَنْ كَذَّبَنِي بَعْدَهَا، فَدَعَا شَجَرَةً ..))	536
.236	((أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمِنْبَرِ﴿وَمَاقَدَرُواْ ٱللَّهَ ﴾..))	374
.237	((أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ مِنْ أَسْفَارِهِ فأشرف عَلَى المدِينَةِ يَسِيرُ أَتَمَّ السَّيْرِ..))	65
.238	((أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ...))	420
.239	((أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا زَوَّجَهُ فَاطِمَةَ بَعَثَ مَعَهُ بِخَمِيلَةٍ..))	458
.240	((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، فَلَمَّا رَجَعَ))	585
.241	((أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مَرَّ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ: " مَنْ مَعَكَ يَا جِبْرِيل..))	569
.242	((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَزَلَ وَادِيًا دَهْسًا لَا مَاءَ فِيهِ..))	449
.243	((إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَانَا عَنْ لُبْسِ الدِّيبَاجِ وَالْحَرِيرِ، وَآنِيَةِ...))	579
.244	((أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، كَانَ عَلَى جَبَلِ حِرَاءٍ فَتَحَرَّكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «اسْكُنْ حِرَاءُ فَمَا..))	401

	الحديث أو طرفه	الصفحة
.245	((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺلَمْ يَرَ جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ...))	407
.246	((إِنَّ رَسُولَ اللهِ خَرَجَ ﷺ مُتَبَذِّلاً مُتَوَاضِعًا...))	435، 438
.247	((إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِي، فَصَعِدَ عَلَى أُحُدٍ، فَأَشْرَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ))	39
.248	((أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ فِي سَفَرٍ مِنْ أَسْفَارِهِ..))	45
.249	((أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: " يَوْمُ الْخَلَاصِ وَمَا يَوْمُ الْخَلَاصِ..))	74
.250	((أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ صَوْمِهِ؟ قَالَ: فَغَضِبَ...))	279، 383
.251	((أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَلَّى الظُّهْرَ بِالصَّهْبَاءِ، ثُمَّ أَرْسَلَ..))	679
.252	((أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِفَاطِمَةَ: " ائْتِينِي بِزَوْجِكِ وَابْنَيْكِ..))	482
.253	((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ جَالِسًا مَعَ خَدِيجَةَ..))	412
.254	((أنّ ركانة صارع النبيَّ ﷺ فصرعه النبيّ ﷺ...))	523، 526
.255	((إِنَّ رُوحَ القُدُسِ أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها..))	403
.256	((أَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو، وَوَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ، خَرَجَا يَلْتَمِسَانِ...))	321
.257	((أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَام اشْتَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ الرَّحَى مِمَّا تَطْحَنُ...))	457
.258	((أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهِمَا السَّلَام أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ تَشْكُو إِلَيْهِ مَا..))	458
.259	((إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ سَاعَةً، لَا يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ، وَهُوَ فِي صَلَاةٍ يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا إِلَّا آتَاهُ إِيَّاهُ..))	698
.260	((إنّ فِي الْجَنَّةِ لنَهْراً مَا يَدْخُلُهُ جِبْرِيلُ عليه السلام من دَخْلَة..))	637
.261	((إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ لَسَمَاءً مَا فِيهَا مَوْضِعُ شِبْرٍ إِلَّا وَعَلَيْهَا جَبْهَةُ مَلَكٍ أَوَ قَدَمَاهُ...))	636
.262	((إِنَّ فِي عَجْوَةِ الْعَالِيَةِ شِفَاءً – أَوْ إِنَّهَا تِرْيَاقٌ – أَوَّلَ الْبُكْرَةِ))	78
.263	((أَنَّ فِي كُلِّ سَمَاءٍ بَيْتاً يُحَاذِي الْكَعْبَةَ، وَكُلٌّ مِنْهَا مَعْمُورٌ بِالْمَلَائِكَةِ))	617، 635
.264	((إِنَّ قَدَمَيَّ عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الْجَنَّةِ))	165
.265	((أَنَّ قَوْماً شكَوْا إِلَى رسُولِ اللهِ ﷺ قُحُوطَ المَطَرِ، فقَالَ اجثُوا علَى الرُّكَبِ وقولُوا ..))	431
.266	((إِنْ كَانَ الْوَبَاءُ فِي شَيْءٍ مِنَ المدِينَةِ فَهُوَ فِي ظِلِّ مِشْعَط))	71
.267	((إِنْ كَانَ لَيُوحَى إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ، فَتَضْرِبُ...))	406
.268	((إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا؛ وَخُلُقُ هذا الدِّينِ الْحَيَاءُ))	524
.269	((إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ شَرَفًا، وَإِنَّ شَرَفَ الْمَجَالِسِ))	621
.270	((إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونَنِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ))	112
.271	((إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي))	115
.272	((إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ))	113
.273	((إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً مُوَكَّلِين بِأَرْزَاقِ بَنِي آدَمَ،..))	638
.274	((إِنَّ مَا بَيْنَ مِنْبَرِي إِلَى حُجْرَتِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ مِنْبَرِي عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الْجَنَّةِ...))	164، 166
.275	((أن معاوية بن ثور وابنه بشرا قدما على النبي ﷺ وافدين فَمَسَحَ رَأْسَ بِشْر...))	689
.276	((إِنَّ مكَّةَ بَلَدٌ عَظَّمَهُ اللهُ وَعَظَّمَ حُرْمَتَهُ،..))	36
.277	((إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ..))	115، 116
.278	((أَنَّ نَبِيءَ اللهِ ﷺ حَدَّثَهُ بَيْنَما أَنَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ وَرُبَّمَا قَالَ فِي الْحِجْرِ...))	562، 653
.279	((أَنَّ نَعْلَ النَّبِيءِ ﷺ كَانَ لَهَا قِبَالَانِ))	469

	الحديث أو طرفه	الصفحة
.280	((أَنَّ نَعْلَيْ النَّبِيءِ ﷺ كَانَ لَهُمَا قِبَالَانِ))	469
.281	((أَنَا ابْنُ الْعَوَاتِكِ مِنْ سليم))	333
.282	((أَنَا أَشْبَهُ النَّاسِ بِأَبِي آدَمَ،...))	271
.283	((أَنَا أَفْصَحُ مَنْ نَطَقَ بِلُغَةِ الضَّادِ))	700
.284	((أَنَا أَكْرَمُ عَلَى رَبِّي أَنْ يَتْرُكَنِي [43ظ] فِي قَبْرِي بَعْدَ ثَلَاثٍ))	116
.285	((أَنَا أَنْفَسُكُم نسباً وصِهْراً وحسَباً، ...))	256
.286	((أَنَا أَوَّلُ الأَنْبِيَاءِ خَلْقاً وآخِرُهُمْ بَعْثاً))	203
.287	((أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ آتِي أَهْلَ البَقِيعِ ..))	56
.288	((أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ فَأُلْبَسُ الحُلَّةَ مِنْ حُلَلِ الجَنَّةِ ثُمَّ أَقُومُ عنْ يَمِينِ ..))	177
.289	((أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، فأَجْلِسُ جَالِسًا فِي قَبْرِي فَيُفْتَحُ لِي بَابًا إِلَى ..))	208
.290	((أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ وَالْأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ لَيْسَ بَيْنِي وبَيْنَهُ نَبِيءٌ))	626
.291	((أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى))	626
.292	((أَنَا خَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ وَمَسْجِدِي خَاتَمُ مَسَاجِدِ الأَنْبِيَاءِ، أَحَقُّ المسَاجِدِ أَنْ يُزَارَ، وَتُشَدّ ..))	156
.293	((أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الحَمْدِ وَلاَ فَخْرَ، ..))	183 ،176
.294	((أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ))	639 ،611 ،183 ،176
.295	((أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَعَلِيٌّ سَيِّدُ الْعَرَبِ))	183
.296	((أَنَا قَائِمٌ السَّاعَةَ عَلَى عقْرَةِ حَوْضِي))	165
.297	((أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ المطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ ..))	3 ،2
.298	((أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنْ ..))	406
.299	((أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيءِ ﷺ وهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وأَرْبَعِينَ فمَكَثَ بِمَكَّةَ عَشْراً))	383
.300	((أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ...))	382
.301	((أُنْزِلَتْ الكتُبُ كامِلَةً لَيْلَةَ أَرْبَعٍ وعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ))	384
.302	((أُنْزِلَتْ صُحُفُ إبراهِيمَ عليه السلام فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رمضَانَ، وأُنْزِلَتْ التَّوراةُ لِسِتٍّ مَضينَ ..))	384
.303	((أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفاً))	410
.304	((انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِرْقَتَيْنِ : فِرْقَة...))	488، 487
.305	((انْشَقَّ القَمَرُ علَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِرْقَتَيْنِ، فِرْقَة فَوْقَ الْجَبَلِ وفِرْقَة دُونَهُ أَيْ ..))	486
.306	((انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فصَارَ فِرْقَتَيْنِ، فِرْقَة عَلَى هَذَا الْجَبَلِ وفِرْقَة ..))	485
.307	((انْشَقَّ الْقَمَرُ علَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فقَالَت قُرَيْشٌ ..))	487
.308	((انْشَقَّ الْقَمَرُ علَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ونَحْنُ بِمَكَّةَ، قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ إِلَى المدِينَةِ))	490
.309	((انْشَقَّ الْقَمَرُ لَيْلَةَ أَرْبَعَ عَشَرَ نِصْفاً علَى الصَّفَا ونِصْفاً علَى المرْوَةِ قَدْرَ مَا بَيْنَ ..))	484
.310	((انْشَقَّ الْقَمَرُ وَنَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَصَارَ...))	483
.311	((انْشَقَّ الْقَمَرُ وَنَحْنُ مَعَ النَّبِيءِ ﷺ بِمِنىً))	490
.312	((انْطَلِقْ بِهِ فإِنَّهُ سَيُضِيءُ لَكَ عَشْراً مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ وعَشْراً مِنْ خَلْفِكَ. والْمُرَادُ ..))	698
.313	((انْفَلَقَ القَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اشْهَدُوا..))	487
.314	((إِنَّكَ رَجُل مَفْؤودٌ، ائتِ الحَارِثَ بنَ كَلَدَةَ أخا ثَقِيفٍ، فإِنَّه رجل يَتَطَبَّبُ..))	78
.315	((انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..))	320

	الحديث أو طرفه	الصفحة
.316	((إِنَّمَا كَانَ هَذَا لِأَنَّ قُرَيْشًا لَمَّا اسْتَعْصَوْا عَلَى...))	448
.317	((إِنَّما نَزَلَتْ يا أَيُّهَا المدَّثِّر بعْدَ فَتْرَةِ الوَحْيِ))	399
.318	((إِنَّمَا يُسَافَرُ إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ الْكَعْبَة وَمَسْجِدِي وَمَسْجِدِ إِيلْيَا))	155
.319	((أَنَّهُ ﷺ أَدْعَجُ الْعَيْنَيْنِ))	481
.320	((أَنَّهُ ﷺ اسْتَسْقَى فأَشَارَ بِظَهْرِ كَفَّيْهِ إِلَى السَّمَاءِ))	446
.321	((أَنَّهُ ﷺ أُعْطِيَ قُوَّةَ بِضْعٍ وأَرْبَعِين رَجُلًا منْ أَهْلِ الْجَنَّة))	531
.322	((أَنَّهُ ﷺ انْتَهَى إِلَى بَابِ السَّماءِ الدُّنْيَا، يقَالُ لَهُ بَابُ الْحَفَظَةِ، وعَلَيْهِ مَلَكٌ يقَالُ ..))	566
.323	((أَنَّهُ ﷺ أَوَّلَ ما صَلَّى إِلَى الكَعْبَةِ ثُمَّ صُرِفَ إلى بيتِ المقدِسِ ثلَاثَ حِجَجٍ بِمَكَّةَ، ..))	422
.324	((أَنَّهُ ﷺ حوَّلَ رِدَاءَهُ حِينَ استَقْبَلَ القِبْلَةَ))	437
.325	((أَنَّهُ ﷺ رَكِبَ إِلَى مُجْتَمَعِ السُّيُولِ، فَقَالَ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْزِلِ الدَّجَّالِ مِنَ المدِينَةِ؟ ثُمَّ ..))	74
.326	((أَنَّهُ ﷺ سَارَ فِي غَزْوَةِ الطَّائِفِ لَيْلًا وهُوَ وَسِنٌ، فَاعْتَرَضَتْ لَهُ سِدْرَةٌ فانْفَرَجَتْ ..))	534
.327	((أَنَّهُ ﷺ سَأَلَ رَبَّهُ ﷻ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتَهُ بِسنَةٍ، فَأُعْطِيَهَا، وَأَنْ لَا يُلْبِسَهُمْ شِيَعاً ..))	71
.328	((أَنَّه ﷺ شَكَا إِلَى رَبِّهِ قَوْمَهُ أَنَّهُمْ يُحَوِّفُونَهُ وَسَأَلَهُ آيَةً أنْ لا مخافة، فَأَوْحَى إِلَيْهِ أَنْ ..))	536
.329	((أَنَّهُ ﷺ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ مِنَ الظُّهرِ في مَسْجِدِه بالمُسْلِمِينَ في المَدِينَةِ، ثُمَّ أُمِرَ أن يتَوَجَّهَ ..))	423
.330	((أَنَّهُ ﷺ طافَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى نسائِهِ يَغْتَسِلُ عِنْدَ هَذِهِ وعِنْدَ هَذِهِ، فقُلْتُ يَا رَسُولَ ..))	528
.331	((أَنَّه ﷺ قَالَ أيُّها النَّاسُ إِنِّي أَمَامَكُمْ فلَا تَسْبِقوني بِالرُّكوعِ ولَا بِالسُّجودِ، فَإِنِّي أَرَاكُمْ ..))	475
.332	((أَنَّهُ ﷺ قالَ يَا جِبْرِيلُ وَدِدْتُ أَنَّ اللهَ صَرَفَ وجْهِي عنْ قِبْلَةِ يَهُود، فقَالَ جِبْرِيلُ إِنَّمَا ..))	421
.333	((أَنَّهُ ﷺ قامَ لَيْلَةً فَوَطِئَ على زَيْنَبَ بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ بِقَدَمِهِ وهِي نَائِمَةٌ فبَكَتْ ..))	474
.334	((أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا أُتِيَ بِالْبَاكُورَةِ مِنَ الثِّمَارِ وَضَعَها عَلَى عَيْنَيْهِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ كَمَا ..))	79
.335	((أَنَّهُ ﷺ كانَ إِذَا جَلَسَ يتَحَدَّثُ يُكْثِرُ أن يَرْفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّماءِ))	480
.336	((أَنَّهُ ﷺ كانَ شَثْنَ الْكَفَّيْنِ والْقَدَمَيْنِ))	688
.337	((إِنَّهُ ﷺ مرَّ بِمُوسَى عليه السلام وهُوَ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ))	592، 114، 628
.338	((أَنَّهُ ﷺ وضَعَ يَدَهُ فِي طَعَامٍ حَارٍّ فاحْتَرَقَتْ أَصَابِعُهُ فقَالَ حس))	366
.339	((أَنَّهُ أُتِيَ النَّبِيءُ ﷺ بِثِيابٍ فِيها خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ صَغِيرَةٌ فقَالَ مَنْ تَرَوْنَ نَكْسُو الْخَمِيصَةَ..))	459
.340	((أَنَّهُ أُتِيَ بالبُراقِ فحُمِلْتُ عَلَيْهِ، فانْطَلَقَ بِي جبْرِيلُ، حتَّى أَتَى سَمَاءَ الدُّنيا))	582
.341	((أَنَّهُ أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ..))	455
.342	((أَنَّهُ أَحْرَقَ الْمُشْرِكُونَ عَمَّارَ بنَ ياسِر رَحِمَهُمَا اللهُ بِالنَّارِ، فَكَانَ ﷺ يَمُرُّ بِهِ وَيُمِرُّ يَدَهُ ..))	695
.343	((أَنَّهُ أَصْبَحَ رَسولُ ﷺ يَوْماً فجَاءَهُ إِنْسَانٌ كَأَنَّهُ قَدِمَ مِن نَاحِيَةِ طَرِيقِ مَكَّةَ، فقَالَ لهُ..))	70
.344	((أَنَّهُ أَوَّلَ مَا صَلَّى النَّبِيءُ ﷺ إِلَى الكَعْبَةِ ثُمَّ صُرِفَ إِلَى بيْتِ المَقْدِسِ، وهُوَ بِمَكَّةَ ..))	416
.345	((أَنَّهُ جَاءَهُ ثَلاثُةُ نَفَرٍ، قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ، وهُوَ نَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَقَالَ ..))	574
.346	((أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى النَّبِيءِ ﷺ وهُوَ راقِدٌ فاسْتَيْقَظَ فضَمَّ هالَةَ إِلَى صَدْرِهِ وقَالَ هالَة ..))	369
.347	((أنه رأى النبي ﷺ يستسقي عندَ أحجارِ الزَّيتِ...))	449
.348	((أنه سمع بمخرج النبي ﷺ فلقيه..))	230
.349	((أَنه سُئِلَ ابْنُ عَبَّاس مِثْلُ [102و] مَنْ أَنْتَ حِينَ قُبِضَ رسُولُ اللهِ ﷺ؟ ...))	277
.350	((أَنَّهُ قَالَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ رَأَيْتُكَ تَصْنَعُ أَرْبَعًا لَمْ أَرَ أَحَدًا..))	470
.351	((إِنَّهُ قَدْ رُفِعَتْ لِي أَرْضٌ ذَاتُ نَخْلٍ وَلَا أَرَاهَا إِلَّا يَثْرِبَ...))	25

	الحديث أو طرفه	الصفحة
.352	((أَنَّهُ قَدِمَ مَعَ أَبِيهِ معاوِيَةَ بْنِ ثَوْرٍ وَافِدَيْنِ عَلَى رَسُولِ..))	670
.353	((أَنَّهُ كَانَ إِذَا اسْتَسْقَى قَالَ: اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا..))	449
.354	((إِنَّهُ كَانَ عَلَى شَاطِئِ مَاءٍ، وقَعَدَ عِكْرَمَةُ بنُ أبِي جَهْل فَقَالَ عكْرِمَةُ إِنْ كُنْتَ ..))	375، 693
.355	((أَنَّهُ كَانَ فِيها مَعَ سُورَةِ طَهَ ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١﴾ وأَنَّ عُمَر انْتَهَى في قِرَاءَتِها..))	502
.356	((إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلا لَهُ دَعْوَةٌ قَدْ تَنَجَّزَهَا فِي الدُّنْيَا...))	238
.357	((أَنَّهُ لمَّا سقَطَ ضَمَّهُ العبَّاسُ إلى نفْسِهِ وسألَهُ عن شَأْنِهِ فأَخْبَرَ أَنَّهُ [132و] نودِيَ ..))	354
.358	((أَنَّه لَمَّا نَزَلَ ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ۝٩٥﴾ نَزَلَ جِبْرِيل عليه السلام فَحَنَا ظَهْرَ الأَسْوَد...))	537
.359	((أَنَّهُ مَرَّ بِقَوْمٍ بُطُونُهُم أَمْثَالُ الْبُيُوتِ كُلَّما نهَضَ أَحَدُهُم خَرَّ، وإِنَّ جِبْرِيلَ قَالَ لَهُ ..))	596
.360	((إنها رَحْمَةُ رَبِّكُمْ وَدَعْوَةُ نَبِيئِكُمْ))	71
.361	((أنها سئلت ما كان النبي ﷺ يعمل في بيته؟ قالت كان يخيط ثوبه...))	463
.362	((إِنَّهَا لَمَكْتُوبَةٌ فِي التَّوْرَاةِ مُؤْمِنَةٌ))	31
.363	((إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيِ الْمَدِينَةِ أَنْ يُقْطَعَ عِضَاهُهَا..))	59
.364	((إِنِّي إِذَا خَلَوْتُ وَحْدِي سمِعْتُ نِداءً، وقَدْ خَشِيتُ واللهِ أَنْ يكُونَ ..))	396، 398
.365	((إِنِّي أَوَّلُ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ بَعْدَ النَّفْخَةِ الْآخِرَةِ..))	207، 209
.366	((إِنِّي رأَيْتُ كَأَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ يتعَاوَرُونَ مِنْبَرِي هَذَا، فَقِيلَ دُنْيَا تَنَالُهُمْ، فَنَزَلَتْ الْآيَةُ))	550
.367	((إِنِّي عَبْدُ اللهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمُنْجَدِلٌ...))	202، 257، 273
.368	((إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ الْآنَ))	165
.369	((إني عند الله في أم الكتاب، خاتم النبيين...))	237
.370	((إِنِّي فِي كُتُبِكُمْ نَبِيءٌ))	229
.371	((إِنِّي كُنْتُ أُحَدِّثُهُ ويُحَدِّثُنِي ويُلْهِينِي عَن الْبُكَاءِ...))	308، 427
.372	((إِنِّي لا أَعْلَمُ مَا وَرَاءَ جِدَارِي هذَا))	478
.373	((إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا يَطَّلِعَ عَلَيْنَا نِقَابُهَا))	72
.374	((إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَراً بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ...))	372، 374
.375	((إِنِّي لَقَاعِدٌ عِنْدَ الْمِنْبَرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ، إِذْ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَسْجِدِ))	444
.376	((أَهْدَى دِحْيَةُ الكلبي لرسول ﷺ خُفَّيْنِ فَلَبِسَهُمَا...))	468
.377	((أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَا عِيسَى آمِنْ بِمُحَمَّدٍ وَأْمُرْ..))	177
.378	((أَوَّلُ ما بُدِئَ بِهِ رسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤيا الصَّادقةُ في النَّوم، فكانَ ..))	386
.379	((أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ))	383
.380	((أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْعَقْل))	198، 200
.381	((أَوَّلُ ما خَلَقَ اللهُ القَلَم فقالَ لَهُ اُكتُبْ،..))	198، 199، 254
.382	((أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ المَاء))	254
.383	((أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ رُوحِي أَوْ نُورِي))	200
.384	((أَوَّلُ ما نَزَلَ جبْرِيلُ علَى مُحَمَّدٍ ﷺ قالَ يا مُحَمَّد قل: أستعيذ ...))	400
.385	((أَوَّلُ مَنْ أَشْفَعُ لَهُ مِنْ أُمَّتِي أَهْلُ المدِينَةِ، ثُمَّ أَهْلُ مَكَّةَ، ثُمَّ أَهْلُ الطَّائِفِ))	56
.386	((أَوَّلُ مَنْ فَتَقَ اللهُ لسانَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ البيِّنَةِ إِسْماعِيلُ))	271
.387	((أَوَّلُ مَنْ يُكْسَى خَلِيلُ اللَّهِ إِبْرَاهِيمُ عليه أَفْضَلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ قُبْطِيَّتَيْنِ ثُمَّ ..))	216

	الحديث أو طرفه	الصفحة
.388	((أَوَّلُ مَنْ يُكْسَى مِنَ الْجَنَّةِ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام يُكْسَى حُلَّةً مِنَ الْجَنَّةِ وَيُؤْتَى بِكُرْسِيٍّ فَيُطْرَحُ ..))	207، 216
.389	((ائْتُونِي أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ...))	27
.390	((ايتُونِي بِوضُوءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قَامَ...))	66
.391	((أَيُّكُمْ أَحَدَ فَرْخَ هَذَا؟ فَأَمَرَهُ أَن يَرُدَّهُ فَرَدَّهُ ، ..))	702
.392	((أَيُّكُم الذِي رَكَعَ دُونَ الصَّفِّ؟ ...))	478
.393	((أَيُّمَا جَبَّار أَرَادَ المدِينَةَ بِسُوءٍ أَذَابَهُ اللَّهُ كَمَا يَذُوبُ الملْحُ فِي الماءِ))	59
.394	((أيُّها النَّاسُ إِنِّي أَمَامَكُمْ، وإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ خَلْفِي كمَا أَرَاكُمْ مِنْ أَمَامِي))	475
.395	((بَدْءُ شَأْنِي أَنَّي دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وبُشْرَى أَخِي عِيسَى، وَأَنِّي كُنْتُ بِكْرَ أَبِي وأُمِّي..))	267
.396	((بَشِّرِ المشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))	699
.397	((بَعَثَ إِلَى كُلِّ بَيْتٍ مِنْها بِقعْبٍ ثُمَّ حَلَبَ فَشَرِبَ وشَرِبْنَا)	684
.398	((بعثَ إِلَيْهِ مَلَكًا فَأَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ سُورِ جِدَارِ بَيْتِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ يَتَلأْلأُ نُورًا ..))	250
.399	((بُعِثْتُ أَنَا والسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ، وأَشَارَ بِإِصْبَعَيْهِ الوُسْطَى والسَّبَّابَة))	483
.400	((بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا..))	256
.401	((بَعَثَنِي النَّبِيءُ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ لِأَخْطُبَ يَوْماً عَلَى النَّاسِ، أَيْ أَعِظهُم، لِيَتَمَكَّنَ إِيمَانُ ..))	481
.402	((بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصَرِي فَإِذَا الْمَلَكُ...))	397، 398
.403	((بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ وَذَكَرَ يَعْنِي رَجُلًا...))	565، 573، 574، 576، 620
.404	((بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ، إِذْ سَمِعْتُ قَائِلاً يَقُولُ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ...))	574، 576، 612، 619، 653
.405	((بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ اسْتَأْذَنَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ..))	424
.406	((بَيْنَا أَنَا قاعد إذا جاء جبريل ﷺ فوكزني بين كتفي..))	554
.407	((بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ فَشَرِبْتُ مِنْهُ حَتَّى حتَّى أَرَى الرَّيَّ يَخْرُجُ مِنْ أَظْفَارِي، ثُمَّ ..))	599
.408	((بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ عِشَاءً فِي الْمَسْجِدِ..))	587، 595، 596، 597، 604، 611، 612، 616، 618، 630، 631، 633، 641، 644، 645، 646، 629، 610، 566، 595، 611
.409	((بَيْنا أَنَا نَائِمٌ فِي الْحطِيمِ، وَرُبَّمَا قَالَ قَتَادَة فِي الْحِجْرِ))	573
.410	((بَيْناً رَسُولُ اللهِ ﷺ ذات يوم بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّماً، فقُلْنا ..))	410
.411	((بَيْنَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ، يَخْطُبُ النَّاسَ فَقَامَ))	440
.412	((بَيْنَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ، يَخْطُبُ النَّاسَ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، تَقَطَّعَتِ السُّبُلُ...))	440، 441
.413	((بَيْنَمَا النَّاسُ فِي الصُّبْحِ بِقُبَاءٍ جَاءَهُمْ رَجُلٌ فَقَالَ...))	420
.414	((بَيْنَمَا النَّاسُ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ بِقُبَاءٍ...))	420
.415	((بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهْرٍ، أَيْ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ كَمَا مَرَّ، حَافَّتَاهُ قِبَابُ ..))	645
.416	((بَيْنَمَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ...))	653
.417	((بَيْنَمَا أَنَا عِنْدَ آلْهَتِهِم إِذْ جَاءَ رَجُلٌ بِعِجْلٍ فَذبَحَهُ فصَرَخَ به صارِخٌ لم أسمَعْ قَطُّ ..))	505
.418	((بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ وَرُبَّمَا قَالَ فِي الْحِجْرِ...))	564، 569، 582، 583، 652، 653
.419	((بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ جَاءَ يَهُودِيٌّ فَقَالَ...))	178، 207
.420	((بيْنَمَا رسُولُ اللهِ ﷺ جالِسٌ وعِنْدَهُ جبْرِيلُ إِذْ سَمِعَ نَقِيضاً مِنَ السَّماءِ مِنْ فَوْق ..))	413

	الحديث أو طرفه	الصفحة
.421	((بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ))	442
.422	((بَيْنَما عُمَر فِي الدَّارِ خَائِفا إِذْ جاءَهُ العاصِي بن وائِل السَّهمِيّ أبو عمرو وعلَيْهِ ..))	505
.423	((بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أُنَاسٍ إذ جاء...))	410
.424	((بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رسول الله ﷺ بِمِنىً إِذ اِنْفَلقَ الْقَمَرُ...))	490
.425	((تَبْلُغُ الْمَسَاكِنُ إِهَابَ – أَوْ يَهَابَ))	38
.426	((تَحْتَ يَدِهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، تَحْتَ يَدِ كُلِّ مَلَكٍ سبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ))	611
.427	((تَحَوَّلَتْ يَاقُوتا وزبرجداً))	631
.428	((تُرَابُهَا شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ))	30
.429	((تُسَخَّرُ لِلْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ))	586، 587
.430	((تُفْتَحُ الْيَمَنُ فَيَأْتِي قَوْمٌ يُسُّونَ فَيَتَحَمَّلُونَ...))	55
.431	((تِلْكَ الملَائِكَةُ، لَوْ دَنَا لَاخْتَطَفَتْهُ عُضْواً عُضْواً))	493
.432	((تُوشِكُ الْمَدِينَةُ أَنْ يُصِيبَهَا، مَطَرٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً لَا يَكِنُّ أَهْلُهَا...))	37
.433	((تُوشِكُ أَنْ تُمْطِرَ الْمَدِينَةُ لَا يَكِنُّ أَهْلُهَا الْبُيُوتَ...))	37
.434	((ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ...))	178
.435	((ثُمَّ انْجَلَتْ عَنْهُ السَّحابَةُ وأَخَذَ بِيَدِهِ وانْصَرَفَ سرِيعاً فَأَتَى عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَلَمْ ..))	618
.436	((ثُمَّ انْطلَقَ بِي جِبْرِيلُ علَى ظَهْرِ السَّماءِ السَّابعَةِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى نَهْرٍ عَلَيْهِ ..))	630
.437	((ثُمَّ انْطَلَقْنا فَإِذَا نَحْنُ بِثَلَاثِ آنِيَةٍ مُغَطًّاةٍ، فقالَ لِي جِبْرِيلُ يَا مُحَمَّد أَتَشْرَبُ مِمَّا ..))	571
.438	((ثُمَّ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْكُمْ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُ فَتَخْرُجُونَ مِنْهَا شَبَاباً كُلُّكُمْ..))	208
.439	((ثُمَّ لَيُحْشَرُ رَاعِيَانِ))	40
.440	((جَاءَ ابْنَا مُلَيْكَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَا..))	216
.441	((جَاءَ أَبُو سُفيَانَ وَنَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فقَالُوا يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّكَ بُعِثْتَ ..))	447
.442	((جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ..))	431
.443	((جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ بِمَ أَعْرِفُ أَنَّكَ نَبِيٌّ؟ ...))	533
.444	((جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، واقتص الحديث...))	430
.445	((جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ...))	441
.446	((جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الْمَاشِيَةَ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَسْقِيَنَا...))	442
.447	((جَاءَ أَعْرَابِيٌّ مِنْ أَهْلِ البَادِيَةِ))	439
.448	((جاءَ الطُّفَيْل بنُ عَمْرو إِلَى النَّبِيءِ ﷺ فقالَ إِنَّ دوساً قدْ هَلَكَتْ عَصَتْ وأَبَتْ، ..))	520
.449	((جَاءَ العَبَّاسُ، إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَأَنَّهُ سَمِعَ شَيْئًا..))	256
.450	((جَاءُ جِبْرَائِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ مِيكَائِيلُ...))	568، 606، 607، 619، 620، 621، 644
.451	((جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ جَالِسٌ حَزِينًا..))	531
.452	((جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ مِيكَالُ...))	616، 619، 633، 641
.453	((جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ هَلَكَتْ الْمَوَاشِي وَتَقَطَّعَتْ السُّبُلُ فَدَعَا فَمُطِرْنَا...))	430، 442
.454	((جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيءِ ﷺ فقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ اِسْتَسْقِ اللهَ فَرَفعَ يَدَهُ فقَالَ اللَّهُمَّ اِسْقِنَا...))	439

	الحديث أو طرفه	الصفحة
.455	((جَاءَ رَجُلٌ فقَالَ اسْتَسْقِ لمُضَرَ))	448
.456	((جَاءَ رَجُلٌ فِي الْجُمُعَةِ الأُخْرَى))	442
.457	((جَاءَتْ أَحْبَارُ الْيَهُودِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: أَرِنَا آيَةً...))	489
.458	((جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِبُرْدَةٍ فَقَالَ سَهْلٌ لِلْقَوْمِ أَتَدْرُونَ...))	459
.459	((جَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: اسْتَسْقِ اللهَ لِمُضَرَ...))	446
.460	((جَاوَرْتُ بِحِرَاء فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي..))	399 ،397 ،388، 163
.461	((جِئْتُ أُرِيدُ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَلَمْ أَجِدْهُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، انْطَلَقَ إِلَى...))	482
.462	((جِئْتُ أُسَلِّمُ عَلَى النَّبِيءِ ﷺ وَحَسَن بنُ حَسَنٍ يَتَعَشَّى فَقَالَ هَلُمَّ إِلَى الْعَشَاءِ، فَقُلْتُ ..))	123
.463	((جِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لِأُوَدِّعَهُ وَأَرَدْتُ الْخُرُوجَ))	156
.464	((حج بِنَا رَسُول الله حجَّة الْوَدَاع فَمَرَّ بِي عَلَى عَقَبَةِ الْحَجُونِ..))	316
.465	((حَرَمُ إِبْرَاهِيمَ مَكَّةُ، وَحَرَمِي المدِينَةُ))	28
.466	((حملْت عَلَى الرَّفْرَفِ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى الْعَرْشِ وأَبْصَرْتُ أَمْراً عَظيماً لَا تَنَالُهُ ..))	649
.467	((حُمِلْتُ عَلَى دَابَّةٍ بَيْضَاءَ بَيْنَ الْحِمَارِ وَبَيْنَ الْبَغْلَةِ...))	660
.468	((حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَنحدِّثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، ..))	115
.469	((حَيْثُ مَا مَرَرْتَ بِقَبْرِ كَافِرٍ))	319
.470	((خَرَجَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى الشَّامِ وَخَرَجَ مَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَشْيَاخٍ مِنْ ، ..))	349
.471	((خَرَجَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى الشَّامِ وَخَرَجَ مَعَهُ رَسُولُ ...))	176
.472	((خَرَجَ النبيّ ﷺ إِلَى هَذَا المُصَلَّى يَسْتَسْقِي فدعا واستسقى ..))	435
.473	((خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا يَسْتَسْقِي، فَصَلَّى...))	438
.474	((خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الْأَنْصَارِيُّ وَخَرَجَ مَعَهُ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ وَزَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَاسْتَسْقَى فَقَامَ...))	437
.475	((خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَالْتَفَتَ...))	55 ،27
.476	((خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذاتَ يَوْمٍ إِلَى الْجَبَّانَةِ حَتَّى إِذَا بَرَزْنَا قَالَ وَيْحَكَ هلْ تَرَى ..))	535
.477	((خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ غَيْرِ سِفَاحٍ))	256
.478	((خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ، وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ وَلَدَنِي أَبِي وَأُمِّي))	255
.479	((خرَجْنَا إِلَى تَبُوك فِي قَيْظٍ شَدِيدٍ، فنَزَلْنَا ...))	433
.480	((خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَكَانَ أَكْثَرُ خُطْبَتِهِ حَدِيثًا، حَدَّثَنَاهُ عَنِ الدَّجَّالِ...))	608 ،74
.481	((خَطَبَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ...))	531
.482	((خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ الْجِنَّ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ؛ صِنْفٌ حَيَّاتٌ وَعَقَارِبُ، وَخَشَاشُ الْأَرْضِ؛..))	543
.483	((خَيْرُ دُورِ الْأَنْصَارِ بَنُو النَّجَّارِ ثُمَّ بَنُو عَبْدِ الْأَشْهَلِ، ثُمَّ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ..))	103
.484	((خَيْرُ مَا رُكِبَتْ إِلَيْهِ الرَّوَاحلُ مَسْجِدُ إِبْرَاهِيم وَمَسْجِدُ مُحَمَّد ﷺ))	156
.485	((خَيْرُ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَاءُ زَمْزَمَ))	581
.486	((دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بِلَالٍ وَعِنْدَهُ صَبْرٌ مِنْ تَمْرٍ فَقَالَ: «مَا هَذَا..))	454
.487	((دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ...))	154
.488	((دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: مُضَرُ، فَأَتَاهُ أَبُو سُفْيَانَ..))	448

	الحديث أو طرفه	الصفحة
.489	((إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ...))	175
.490	((ذاك قد مضى كان قبل الهجرة، انشقّ حتى رأوا شِقيه))	489
.491	((ذَلِكَ جِبْرِيلُ لَوْ دَنَا مِنِّي لَأَخَذَهُ))	493
.492	((ذَهَبْتُ مَعَ مَوْلَايَ إِلَى النَّبِيءِ ﷺ فَأَسْلَمْتُ، فَدَعَا بِالْبَرَكَةِ وَمَسَحَ رأْسِي بِيَدِهِ، ..))	690
.493	((رَآهَا لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ يَلُوذُ بِهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ))	633
.494	((رَأَيْتُ الْقَمَرَ مُنْشَقّا بِشِقَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ، بِمَكَّةَ قَبْلَ مَخْرَجِ النَّبِيءِ ﷺ شِقَّة عَلَى أَبِي ..))	484
.495	((رَأَيْتُ الْقَمَرَ مُنْشَقّاً شِقَّتَيْنِ شِقَّة علَى أَبِي قَبِيس وشِقَّة عَلَى السُّوَيْداء))	485، 486
.496	((رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ، وهُوَ عَلَى نَاقَة له وأَنَا مَعَ أَبِي ..))	467
.497	((رأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ في النَّوم فَقُلْتُ يا رَسُولَ اللهِ رَجُلٌ مِن أُمَّتِكَ يُقَالُ لهُ سُفْيَان ..))	561
.498	((رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُصَلِّي فِي نَعْلَيْنِ مَخْصُوفَتَيْنِ))	470
.499	((رأيت رسول الله ﷺ يصلي في نعلين مخصوفتين..))	469
.500	((رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ، وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ، وَأَنَا مَعَ أَبِي...))	466
.501	((رَأَيْتُ عَمْرو بنَ لُحَيّ فِي النَّارِ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ))	320
.502	((رَأَيْتُ عمْرو بنَ لُحَيّ يَجُرُّ مَصَارِينَهُ فِي النَّارِ، كُلُّ مصْرَانٍ كَجَبَلٍ عَظِيمٍ، ..))	320
.503	((رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ...))	25
.504	((رَأَيْتُ كَأَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ ثَائِرَةَ الرَّأْسِ..))	70
.505	((رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ...))	29
.506	((رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مُوسَى رَجُلًا آدَمَ...))	569
.507	((رَأَيْتُ نَعْلَ النبي ﷺ مُحَصَّرَةً مُلَسَّنَةً لَهَا عَقِبٌ خَارِجٌ))	470
.508	((رَأَيْتُ نَعْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُحَصَّرَةً مُعَقَّبَةً مُلَسَّنَةً لَهَا قِبَالَانِ))	470
.509	((رَحِمَ اللهُ قُسّاً كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ عَلَى جَمَلٍ أَوْرَق تَكَلَّم بِكَلَامٍ لهُ حَلَاوَةٌ لَا أَحْفَظُهُ، ..))	324
.510	((رَحِمَ اللهُ قُسّا، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يبعثَهُ أُمَّةً وَحْدَهُ))	327
.511	((رَحِمَكِ اللهُ يَا أُمِّي، كُنْتِ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي...))	128
.512	((رَضْوَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَقدس))	401
.513	((رَمَضَانُ بِالمدِينَةِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ رَمَضَانَ فِيمَا سِوَاهَا مِنَ الْبُلْدَانِ، وَجُمُعَةٌ بِالمدِينَةِ ..))	160
.514	((رُؤْيَا الأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ وقَرَأَ ﴿يَٰبُنَيَّ﴾))	403
.515	((زادَ لَكُمْ صَلَاةً سَادِسَةً))	657
.516	((سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ ﷺ، آيَةً فَانْشَقَّ الْقَمَرُ بِمَكَّةَ مَرَّتَيْنِ، " فَقَالَ النَّبِيُّ: ...))	488
.517	((سَأَلْتُ أبَا سلمَةَ بنَ عبْدِ الرَّحمَنِ، أَيُّ القرآن أُنْزِلَ أَوَّلُ؟ فقَالَ يَا أَيُّهَا المُدَّثِّرُ . ..))	399
.518	((سَأَلْتُ رَبِّي ﷻ فأَحْيَا لِي أُمِّي فآمَنَتْ بِي ثُمَّ رَدَّهَا))	316
.519	((سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ أَوَّلِ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللهُ قالَ هُوَ نُورُ نَبِيئِكَ يا ..))	201
.520	((سُبْحَانَ اللهِ لَقَدْ نَطَقَ عَنْ مِثْلِ نُبُوءَة، وإِنَّهُ لَيُبْعَثُ يوْمَ القِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ))	237، 293
.521	((سَبْع أَرْضِينَ فِي كُلِّ أَرْضٍ آدمُ كآدَمِكُمْ ونُوح كَنُوحِكُمْ وإِبْرَاهِيم كإِبْرَاهِيمِكُمْ ..))	546
.522	((سَتَمُوتُ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ فَيُكَفِّنُكَ ويَدْفِنُكَ رَجُلٌ صالِحٌ))	292
.523	((سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيًا أَفْيَحَ..))	534
.524	((سَمِعْتُ أُمَّ سَلَمَةَ، زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ جَاءَ نَعْيُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ	482

	الحديث أو طرفه	الصفحة
	لَعَنَتْ..))	
.525	((سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ..))	572، 576، 612، 613، 615، 617، 618
.526	((سَيَبْلُغُ الناس سَلْعًا، ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَمُرُّ السَّفْرُ عَلَى بَعْضِ أَقْطَارِهَا فَيَقُولُ ..))	38
.527	((سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ والنِّيلُ والْفُرَاتُ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ))	631
.528	((سُئِلَ أَنَسٌ: هَلْ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يَرْفَعُ يَدَيْهِ؟ قَالَ: قِيلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ...))	442
.529	((شعرت أني نمت الليلة في المسجد الحرام ، فأتاني جبريل...))	597
.530	((شَكَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَحْطَ المَطَرِ، أيْ احْتِبَاسَهُ، فأَمَرَ بِمِنبَرٍ))	435، 438
.531	((شَكَا رَسولُ اللهِ ﷺ إِلَى جِبْرِيلَ قِلَّةَ الْجِمَاعِ، فتَبَسَّمَ جبْرِيلُ حَتَّى تَلَأْلَأَ مجْلِسُ رَسُولِ اللهِ ..))	530
.532	((صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ بِصَلَاةٍ، وَصَلَاتُهُ فِي مَسْجِدِ الْقَبَائِلِ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ صَلَاة..))	158
.533	((صَلَاةٌ فِي المسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِئَة فِي غَيْرِهِ))	157
.534	((صَلَاةٌ فِي المسْجِدِ الْحَرَامِ خَيْرٌ مِنْ مِئَةِ صَلَاةٍ فِيهِ))	157
.535	((صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أفضَلُ مِنْ ألفِ..))	122، 156
.536	((صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِي غَيْرِهِ إِلَّا المسْجِد الْحَرَامَ))	156
.537	((صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ فِيهِ، وَلَنِعْمَ المصَلَّى هُوَ))	158
.538	((صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ...))	157
.539	((صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ...))	157
.540	((صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ...))	122، 156، 158، 159، 160
.541	((صَلَاةٌ فِيهِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ، فِيمَا سِوَاهُ...))	156
.542	((صَلَاةٌ هَهُنَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ ثَمَّ))	156
.543	((صَلَّى بِنَا النَّبِيءُ ﷺ صَلَاةً ثُمَّ رَقِيَ فِي المنْبَرِ فقَالَ فِي الصَّلاةِ وفِي الرُّكوعِ إِنِّي لَأَرَاكُمْ ..))	476
.544	((صَلَّيْتُ لِأَصْحَابِي صَلَاةَ الْعَتَمَةِ بِمَكَّةَ..))	37، 590، 591، 602، 646
.545	((صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ...))	418
.546	((صَلَّيْتُ مَعَ وَسول الله ﷺ صلاة الأولى ثُمَّ خَرَجَ إلى أهله ..))	686
.547	((صَلَّيْنَا مَعَ رسُولِ اللهِ ﷺ نَحْوَ بيْتِ المقْدِسِ ثَمَانِيَةَ عشَرَ شَهْراً وصُرِفَت القِبْلَةُ إِلَى ..))	422
.548	((عَائِدُ المرِيضِ فِي مَخْرفة الْجَنَّةِ))	169
.549	((عُرِضَتْ عَلَيَّ أُمَّتِي الْبَارِحَةَ لَدَى هَذِهِ الْحُجْرَةِ...))	693
.550	((عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ))	190
.551	((عِلْمِي بَعْدَ وَفَاتِي كَعِلْمِي فِي حَيَاتِي))	114
.552	((عَلَى أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلَا الدَّجَّالُ ، ..))	72
.553	((عُمْرَانُ بَيْتِ المقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ...))	38
.554	((عُمْرَانُ بَيْتِ المقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الملْحَمَةِ، وَخُرُوجُ ..))	38
.555	((عَن ابْنِ مَسْعُود كُنَّا مَعَ رسول الله ﷺ فِي سَفَرٍ فانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ..))	701
.556	((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بعَثَ إِلَى بُيُوتِهِ التِّسْعَةِ يَسْأَلُ نِسَاءَهُ فَلَمْ يَجِدْ ذَلِكَ..))	684
.557	((غُبَارُ المدِينَةِ شِفَاءٌ مِنَ الجُذَامِ))	75

	الحديث أو طرفه	الصفحة
.558	((غُبَارُ المدِينَةِ يُطْفِئُ الْجُذَامَ))	75
.559	((غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُم...))	49، 168، 580
.560	((فَإِذَا هُوَ بِأَقْوَامٍ عَلَى مَائِدَةٍ عَلَيْها شَحْمٌ شوِي كَأَحْسَنِ ما رُئِيَ مِنَ اللَّحْمِ، وإِذَا ..))	595
.561	((فإذا هو جالِسٌ علَى عَرْشٍ بيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ))	397
.562	((فَارْتَعَشَت حَتَّى لَصِقت بِالْأَرْضِ، فاسْتَوَيْتُ عَلَيْهَا))	586
.563	((فَأَقْبَلْتُ بِمُوسَى رَاجِعاً ونِعْمَ الصَّاحِب كَانَ لَكُمْ))	572، 655
.564	((فُرِجَ سَقْفُ بيْتِي وأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَفَرَجَ صَدْرِي،...))	311، 572
.565	((فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ...))	564، 565، 566، 582، 611، 615، 633، 641، 643، 652، 657
.566	((فَرْقُ مَا بَيْنَنَا وبَيْنَ أَهْلِ الكِتَابِ العَمَائِمُ عَلَى الْقَلَانِسِ))	526
.567	((فَضْلُ الصَّلاةِ فِي المسجد الحرام على غيره مِئَة أَلْفٍ..))	158
.568	((فُضِّلْتُ علَى الْأَنْبِيَاءِ بِخَصْلَتَيْنِ؛ كَانَ شَيْطَانِي كَافِراً فأَعَانَنِي اللهُ عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، ..))	577
.569	((فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ...))	544، 700
.570	((فقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ سَحَرَنا محَمَّدٌ))	487
.571	((فَقَالَ يَا جِبْرِيلُ إِنَّهُمْ يَسْأَلُونَنِي عَن الْجَنَّةِ، قَالَ أَخْبِرْهُمْ أَنَّهَا قَيْعَانُ وَأَنَّ ..))	643
.572	((فَلْيَقُلْ طَابَة، طَابَة، عَشْرَ مَرَّاتٍ))	24
.573	((فمَرَرْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئاً، فمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى))	572
.574	((فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ – شَكَّ عَنِ ابْنِ جَمِيلٍ – مَا عَلَيْهَا وَرَقَةٌ إِلَّا مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ،...))	187
.575	((فِي السَّمَاءِ بَيْتٌ يُقَالُ لَهُ الْمَعْمُورُ بِحِيَالِ الْكَعْبَةِ..))	636
.576	((فِي بَيْتِي نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْت...))	482
.577	((قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُم فَلْيَبْدَأْ بِالْيَمِينِ، وإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشِّمَالِ ..))	471
.578	((قَالَ لي جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَام أبشر فَإِنَّك...))	177
.579	((قَالَ لِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قَلَبْتُ الْأَرْضَ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا فَلَمْ أَجِدْ رَجُلا...))	256
.580	((قَالَ مُوسَى يا رَبِّ مَنْ مَعَكَ فِي السَّماءِ؟ قَالَ مَلَائِكَتِي، قالَ وَكَمْ هُمْ يَا رَبّ؟ ..))	637
.581	((قَالَ يَهُودِيٌّ بِسُوقِ الْمَدِينَةِ: لاَ وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى البَشَرِ...))	208
.582	((قالت: أَقْبَلْتُ بِكَ مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ حَتَّى إِذَا كُنْتُ..))	695
.583	((قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺخَطِيبًا بِمَوْعِظَةٍ، فَقَالَ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ...))	216
.584	((قَحَطَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَاهُ الْمُسْلِمُونَ..))	433
.585	((قُحِطَ أَهْلُ المدِينَةِ قَحْطاً شَدِيداً فشَكَوْا إِلَى عَائِشَةَ فقَالَتْ انْظُرُوا قبرَ النَّبِيءِ ﷺ ..))	450
.586	((قَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ اسْتَسْقَى لَنَا...))	437
.587	((قد رَأَيْتُهُ فِي الْجَنَّةِ يَسْحَبُ ذُيُولًا))	331
.588	((قَدْ سَمِعْتُ كَلاَمَكُمْ وَعَجَبَكُمْ...))	176
.589	((قَدْ مَنَنْتُ عَلَيْكَ بِسَبْعَةِ أَشْيَاءَ أَوَّلُهَا أَنِّي لم أَخْلُقْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْرَمَ ..))	177
.590	((قَدِمَ ابنٌ لِخَدِيجةَ يُقالُ لَهُ هَالة والنَّبِيءُ ﷺ قائِلٌ فسمِعَهُ فقَالَ هَالَة هالَة هَالَة))	369
.591	((قَدِمْنَا المدِينةَ ونَحْنُ ثَمَانُونَ بَيْتاً مِنْ دَوْس، فصَلَّيْنَا الصُّبْحَ خلْفَ سِبَاع بنِ ..))	521

	الحديث أو طرفه	الصفحة
.592	((قَدِمْنَا علَى رَسُولِ اللهِ وقَدْ فَتَحَ خَيْبَرَ، فَكَلَّمَ المسْلِمِينَ فأَشْرَكَنا فِي سهمانِهِم))	521
.593	((قرأت على سليمان بن موسى الحُمْرِيّ فأخذ علي خمسا فعقدها...))	385
.594	((قُلْتُ يا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي أخبرني عَنْ أَوَّلِ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ تعَالَى))	206 ،253
.595	((قُلْتُ يا رَسولَ اللهِ مَنْ أَوَّلُ الأنْبِيَاءِ؟ قالَ آدمُ، فقُلْتُ أَنَبِيءٌ مُرْسَلٌ؟ قالَ نَعَمْ. ثمَّ ..))	191
.596	((قَوَائِمُ مِنْبَرِي رَوَاتِبُ فِي الْجَنَّةِ))	165
.597	((كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ...))	466
.598	((كَانَ ﷺ أَحْسَنَ الْبَشَرِ قَدَماً))	468
.599	((كَانَ ﷺ إِذَا سُئِلَ فأرادَ أَنْ يَفْعَلَ قَالَ نَعَم، وإِنْ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَفْعَلَ سَكَتَ))	453
.600	((كَانَ ﷺ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الوَحْيُ سُمِعَ عِندَهُ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ))	406
.601	((كَانَ ﷺ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ يُغْشَى عليهِ فأنزلَ عليهِ يوما وَهُوَ فِي حِجْرِ عَلِيٍّ، ..))	679
.602	((كَانَ ﷺ أَوَّلَ ما رَأَى جِبْرِيلَ بأَجْيادٍ، وَصَرَخَ يا مُحَمَّد فنَظَرَ يَمِيناً وشِمَالاً فلَمْ يَرَ شَيْئاً، ..))	408
.603	((كَانَ ﷺ سَبْطَ الكَفَّيْنِ))	689
.604	((كَانَ ﷺ عَظِيمَ الْعَيْنَيْنِ، أَهْدَبَ الأَشْفَارِ، مُشْرَبٌ بِحُمْرَةٍ))	481
.605	((كَانَ ﷺ يَأخُذُ القُرْآنَ مِنْ جبْرِيلَ خَمْسًا خَمْساً))	385
.606	((كَانَ ﷺ يُجامِعُ ثُمَّ يَعُودُ ولَا يَتَوَضَّأُ))	528
.607	((كَانَ ﷺ يُصَلِّي إِلَى بَيْتِ المقْدِسِ، ويَجْعَلُ الكَعْبَةَ بَيْنَهُ وبيْنَ بيْتِ المَقْدِسِ))	415، 423
.608	((كَانَ ﷺ يُعجِبُهُ أَنْ يُصَلِّي قِبَلَ الكَعْبَةِ لِأَنَّها قِبْلَةُ آبائِهِ إِبْرَاهِيمَ وإِسْماعِيلَ. فقَالَ ..))	421
.609	((كَانَ ﷺ ينْقُلُ الحِجَارَةَ معَ قَوْمِهِ علَى عَاتِقِهِ، وإِزَارُهُ مَشْدُودٌ عَلَيْهِ، فقَالَ لَهُ العَبَّاسُ ..))	354
.610	((كَانَ أَحَبُّ التَّمْرِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الْعَجْوَةُ))	78
.611	((كَانَ إِذَا أُتِيَ بِالْبَاكُورَةِ مِنَ الثَّمَرِ قَبلَهَا وَجَعَلَهَا عَلَى عَيْنَيْهِ))	79
.612	((كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ...))	560
.613	((كَانَ إِذَا أَقْبَلَ مِنْ مَكَّةَ وكَانَ بِالْأُثَابَةِ طَرَحَ رِدَاءَهُ عَنْ مِنْكَبِهِ، وقَالَ هَذَا رَوَاحُ طَيْبَةَ))	65
.614	((كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَنَظَرَ إِلَى جُدُرَاتِ الْمَدِينَةِ...))	65
.615	((كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ...))	409
.616	((كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنْ دُعَائِهِ..))	692
.617	((كَانَ النبي ﷺ يُحِبُّ التَّيَمُّنَ مَا اسْتَطَاعَ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ فِي طُهُورِهِ وَتَرَجُّلِهِ وَتَنَعُّلِهِ))	471
.618	((كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ يَوْمَ جُمُعَةٍ فَقَامَ النَّاسُ فَصَاحُوا فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَحَطَ...))	440
.619	((كان النبيُّ ﷺ يقولُ للإنسان إذا اشتكى، يقول بِريقِه...))	77
.620	((كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقَامَ إِلَيْهِ النَّاسُ فَصَاحُوا..))	430، 444
.621	((كَانَ بِالْمَدِينَةِ يَهُودِيٌّ وَكَانَ يُسْلِفُنِي فِي تَمْرِي...))	212
.622	((كَانَ بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ يَفْلِي ثَوْبَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ))	463
.623	((كَانَ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ فِي ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ...))	313
.624	((كان رسول الله ﷺ أبيض تعلوه حمر...))	467
.625	((كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ إِذَا نَزَلَ مَنْزِلًا لَمْ يَرْتَحِلْ مِنْهُ حَتَّى يُوَدِّعَهُ بِرَكْعَتَيْنِ))	153
.626	((كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جالسا..))	50 ،56
.627	((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخْمًا مُفَخَّمًا))	467، 480

	الحديث أو طرفه	الصفحة
.628	((كان رسول الله ﷺ يجاور في حراء من..))	395، 403
.629	((كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُجَاوِرُ في كُلِّ سَنَةٍ شَهْراً وهُوَ رَمَضَان))	397
.630	((كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحِبُّ التَّيَمُّنَ مَا اسْتَطَاعَ فِي طُهُورِهِ وَتَنَعُّلِهِ وَتَرَجُّلِهِ...))	471
.631	((كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يرَى باللَّيْلِ في الظَّلْمَةِ، كَمَا يَرَى بالنَّهَارِ فِي الضَّوْءِ))	474
.632	((كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يرَى فِي الظَّلماءِ كما يرَى فِي الضَّوْءِ))	475
.633	((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرَى مِنْ خَلْفِهِ فِي الصَّلَاةِ كَمَا يرى بَيْنِ يَدَيْه))	479
.634	((كانَ رسول الله ﷺ يُصلِّي وهو بمكَّةَ نَحْوَ بَيْتِ المقْدِسِ والكَعْبَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ...))	422
.635	((كان رَسولَ اللهِ ﷺ يُعْجِبُهُ أَنْ يُفْطِرَ عَلَى الرُّطَبِ فِي أَيَّامِ الرُّطَب، وَعَلَى التَّمْرِ إِذَا ..))	79
.636	((كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُوحَى إِلَيْهِ وَرَأْسُهُ فِي حِجْرِ عَلِيٍّ..))	676
.637	((كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُوحَى إِلَيْهِ وَرَأْسُهُ..))	676
.638	((كَانَ عَبَّادُ بنُ بِشْر وأُسَيدُ بنُ حُضَيْر عِنْدَ رَسُولِ اللهِ فتحدثا حَتَّى إذا خرجا ..))	698
.639	((كَانَ فِيمَنْ خَلَا مِن إخواني من الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي ثَمَانِيَةُ آلَاف نبيّ ، ثُمَّ كَانَ عِيسَى...))	191
.640	((كَانَ لِنَعْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِبالَانِ مُثَنَّى شِرَاكِهِمَا))	469
.641	((كَانَ لِنَعْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِبَالَانِ))	469
.642	((كَانَ لِنَعْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِبَالَانِ، وأبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما، وأول من..))	469
.643	((كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ...))	78
.644	((كَانَ نَقْشُ خَاتمِ سُلَيْمَانَ بنِ دَاوُد عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ))	188
.645	((كَانَ يَقُولُ لِلْمَرِيضِ بِسْمِ اللَّهِ تُرْبَةُ..))	77
.646	((كَانَتْ إِصْبَعُ رَسُولِ اللهِ ﷺ خِنْصَرَةٌ مِنْ رِجْلَيْهِ مُتَظَاهِرَةٌ))	464
.647	((كَانَت الأَرْضُ مَاءً، فَبَعَثَ اللهُ رِيحاً، فَمَسَحَتْ الماءَ مَسْحاً، فَظَهَرَتْ عَلَى ..))	36
.648	((كانت بنو إسرائيلَ يغْتَسِلون عراةً ينظُرُ بعضُهُم إلى بعضٍ، وكان موسَى ..))	464
.649	((كَانَتْ حَاضِنَتِي مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ))	313
.650	((كَانَتْ حَلِيمَةُ بِنْتُ أَبِي ذُؤَيْبٍ الَّتِي...))	309، 311
.651	((كَانَتْ لغَةُ إِسْمَاعِيلَ قَدْ دَرَسَتْ فجَاءَ بِهَا جِبْرِيلُ فحَفِظْتُهَا))	272
.652	((كَانُوا يُسَمُّونَ المدِينَةَ يَثْرِب، فَسَمَّاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ طَيْبَةَ))	22
.653	((كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ..))	202، 257
.654	((كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ..))	198
.655	((كُتِبْتُ وآدمُ بَيْنَ الرُّوحِ والجَسَدِ))	203، 257
.656	((كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا , فَقَالَ: «أَدَخَلْتَ الْمَسْجِدَ؟..))	138
.657	((كُنَّا فِي حَدِيثِ عَبَّاسٍ إِذَا حَمِيَ الْبَأْسُ» وَقَالَ الْآخَرُ: «إِذَا أَحْمَرَّ الْبَأْسُ..))	528
.658	((كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَتَفَرَّقْنَا فِي لَيْلَةٍ ظَلْمَاءَ..))	699
.659	((كُنَّا مَعَ النَّبِيءِ ﷺ فِي سَفَرٍ فأَقْبَلَ أَعْرَابِيّ فلَمَّا دَنَا قالَ رَسُولُ اللهِ ...))	532
.660	((كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَدَخَل..))	701
.661	((كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ ، فَدَنَا مِنْهُ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : يَا أَعْرَابِيُّ))	533
.662	((كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ فأَرَادَ أَنْ يتَبَرَّزَ وكانَ إِذَا أَرَادَ ذَلِكَ..))	535
.663	((كُنَّا نَتَحَدَّثُ بِحَجَّةِ الْوَدَاعِ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا...))	197

	الحديث أو طرفه	الصفحة
.664	((كُنَّا نَعُدُّ الآياتِ بَرَكَةً وأنْتُمْ تَعُدُّونَها تَخْوِيفاً. كُنَّا معَ رسول الله ﷺ في سَفَرٍ فقَلَّ الماءُ ..))	372
.665	((كُنَّا وَاللهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ...))	525
.666	((كُنْتُ أَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسولِ اللهِ ﷺ، وكانَ إِذَا نَزَلَ علَيْهِ أخَذَتْه بَرُحاءُ شَدِيدَةٌ ..))	407
.667	((كُنْتُ مَعَ أَبِي بِالقَاعِ مِنْ نَمِرَةَ، فَمَرَّتْ رَكَبَةٌ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ...))	692
.668	((كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَكُنْتُ..))	457
.669	((كُنْتُ معَ النَّبِيءِ ﷺ بِمَكَّةَ فخَرَجْنَا فِي بعْضِ نَوَاحِيهَا، فمَا اسْتَقْبَلَهُ..))	532
.670	((كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، قَالَ: فَوَلَّى عَنْهُ النَّاسُ...))	528
.671	((كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَأَرْدَفَنِي...))	689
.672	((كُنْتَ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالجَسَدِ))	239،
.673	((كُنْتُ نَبِيًا وَآدَمُ بَيْنَ الماءِ وَالطِّينِ))	200، 202، 267
.674	((كُنْتُ نُوراً بَيْنَ يَدَي اللهِ قبْلَ أنْ يَخْلُقَ اللهُ عزَّ وجَلَّ آدمَ بِأَلْفَيْ عامٍ، يُسَبِّحُ ..))	204، 254
.675	((كُنْتُ نُوراً فِي جَسَدِ إِبْرَاهِيمَ ودُرَّةً فِي ظَهْرِهِ فلَمَّا عَارَضَهُ جِبْرِيلُ، وهُوَ فِي الْمِنْجَنِيقِ	647
.676	((كَيْفَ بِكَ إِذَا لَبِسْتَ سِوَارَيْ كِسْرَى))	284
.677	((كَيْفَ بِكِ يَا عَائِشَةُ إِذَا رَجَعَ النَّاسُ الى المدِينَةِ، فكَانَتْ كَالرُّمَّانَةِ المحْشُوَّةِ؟..))	37
.678	((لا أذكر عثمان إلا بخير بعد شيء...))	376
.679	((لا أعطيكم وأدع أهل الصفة تلوا بطونهم من الجوع..))	458
.680	((لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، سِيقَ مِنْ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ إِلَى تربته التي مِنْهَا خُلِقَ))	49
.681	((لَا تَبْكُوا عَلَى الدِّينِ إِذَا وَلِيَهُ أَهْلُهُ، وَلَكِنِ ابْكُوا عَلَى الدِّينِ إِذَا وَلِيَهُ غَيْرُ أَهْلِهِ))	146
.682	((لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيداً وَلَا تَتَّخِذُوا بُيُوتَكُمْ قُبُوراً، وَصَلُّوا عَلَيَّ حَيْثُمَا كُنْتُمْ، ..))	123، 124
.683	((لَا تَتَّخِذُوا مِنْ وَرَاءِ الرَّوْحَاءِ مَالاً، وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَعْقَابِكُمْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ، وَلَا ..))	57
.684	((لا تجعلوا بيوتَكُم قُبوراً، ولا تجعلُوا قَبْرِي عِيداً...))	124
.685	((لا تَرِمْ مَنْزِلَكَ أَنْتَ وَبَنُوكَ غَدًا، حَتَّى آتِيكُمْ فَإِنَّ لِي فِيكُمْ حَاجَة..))	378
.686	((لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَظْهَرْ فِيهِمْ حُبُّ الدُّنْيَا فِي عُلَمَاءِ فُسَّاقٍ..))	500
.687	((لَا تُسَافِرْ الْمَرْأَةُ مَسِيرَةَ يَوْمَيْنِ إِلَّا وَمَعَهَا زَوْجُهَا..))	155
.688	((لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ...))	107
.689	((لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ الله هُوَ الدَّهْر))	10
.690	((لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ وَمَسْجِدِ...))	122
.691	((لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ))	178، 183
.692	((لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى الْأَنْبِيَاءِ))	178، 183
.693	((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى مَنْ أَشْرَكَ))	39
.694	((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَبْلُغَ الْبِنَاءُ شَجَرَةَ ذِي الْحُلَيْفَةِ))	38
.695	((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَجِيءَ الثَّعْلَبُ فَيَرْبِضَ عَلَى مِنْبَرِ رسول الله ﷺ، لَا يُنَهْنِهُهُ أَحَدٌ))	40
.696	((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْلِبَ عَلَى مَسْجِدِي هَذَا الْكِلَابُ وَالذِّيابُ والضِّبَاعُ ..))	41
.697	((لَا يَدْخُلُ المدِينَةَ رُعْبُ المسِيحِ، لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ))	73
.698	((لَا يَصْبِرُ أَحَدٌ عَلَى لَأْوَاءِ المدِينَةِ وَحَرِّهَا إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا))	55

	الحديث أو طرفه	الصفحة
.699	((لَا يَصْبِرُ أَحَدٌ عَلَى لَأْوَائِهَا، فَيَمُوتَ، إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا – أَوْ شَهِيدًا –...))	55
.700	((لاَ يَصْبِرُ عَلَى لأْوَائِهَا وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ، إِلاَّ كُنْتُ لَهُ شَهِيداً أَوْ شَفِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ))	55
.701	((لَا يُفْلِحُ قَوْمٌ تملكهُم امْرَأَة))	250
.702	((لَا يُقْبَضُ النَّبِيءُ إِلَّا فِي أَحَبِّ الْأَمْكِنَةِ إِلَيْهِ))	50
.703	((لَا يَكِيدُ أَهْلَ المدِينَةِ أَحَدٌ إِلَّا انْمَاعَ، كَمَا يَنْمَاعُ الملْحُ فِي الماءِ))	59
.704	((لَا يَنْبَغِي لِلْمَطِيِّ أَنْ تُشَدَّ رِحَالُه إِلَى مَسْجِدٍ يبْتَغَى فِيهِ الصَّلَاة غَير المسْجِدِ ..))	122
.705	((لَا يَنْزِلُ الدَّجَّالُ الْمَدِينَةَ، وَلَكِنَّهُ يَنْزِلُ الْحَنْدَقَ...))	74
.706	((لتتركن المدينة على أحسن ما كانت حتى يدخل الكلب أو الذئب فيغذي على..))	39
.707	((لَتَدَعُنَّهَا مُذَلَّلَةً أَرْبَعِينَ عَامًا لِلْعَوَافِي، أَتَدْرُونَ مَا الْعَوَافِي؟ السِّبَاعُ وَالطَّيْرُ))	40
.708	((لَعَلَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ أُخْدُودٌ فِي الْأَرْضِ، لَا واللهِ إِنَّهَا لَسَائِحَةٌ فِي الأَرْضِ))	645
.709	((لَقَدْ رَأَيْتُنا يَوْمَ حُنَيْنٍ وإِنَّ الفئتين لَمُوَلّيتين ومَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِئَةُ رَجُلٍ))	527
.710	((لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي...))	278، 597، 644، 660
.711	((لَقَدْ رَأَيْتُنِي ومَا أَسْلَمَ معَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا تِسْعَةٌ وثَلَاثونَ، فكَمَّلْتُهُمْ أَرْبَعِينَ، فأَظْهَرَ ..))	498
.712	((لَقَدْ كُنْتُ أُصَافِحُ النبي ﷺ أَوْ يَمَسُّ جِلْدِي جِلْدَهُ،..))	687
.713	((لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ وَكَانَ...))	291
.714	((لَقَدْ هَبَطَ عَلَيَّ مَلَكٌ مِنَ السَّماءِ ما هَبَطَ على نَبِيءٍ قَبْلِي ولَا يَهْبِطُ على أَحَدٍ ..))	414
.715	((لَقِيَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَعْبًا بِعَرَفَةَ فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَكَبَّرَ..))	408
.716	((لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، ..))	569
.717	((لَقِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي إِبْرَاهِيمَ ومُوسَى وعِيسَى فتذَاكَرُوا أَمْرَ السَّاعةِ فرَدُّوا أَمْرَهُمْ ..))	607
.718	((لِلْمَدِينَةِ عَشْرَةُ أَسْمَاءٍ هِيَ المدِينَةُ وَطَيْبَةُ وَطَابَةُ))	22
.719	((لَمْ أَزَلْ أُنْقَلُ مِنْ أَصْلَابِ الطَّاهِرِينَ إِلَى أَرْحامِ الطَّاهِرَاتِ))	318
.720	((لَمْ يَقَعْ لَهُ ﷺ ظِلٌّ عَلَى الْأَرْضِ، ولَا رُئِيَ لَهُ ظِلٌّ فِي شَمْسٍ ولَا قَمَرٍ))	462
.721	((لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلَّا وَلَهُ خَلِيلٌ مِنْ أُمَّتِهِ،...))	696
.722	((لَمْ يَلْتَقِ أَبَوَايَ في سِفاحٍ، لَمْ يَزَل اللهُ يَنْقلُنِي مِن أَصْلَاب طيِّبَةٍ إِلَى ..))	255
.723	((لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، انْتُهِيَ..))	570، 632
.724	((لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ رَأَيْتُ فِيهَا أَعَاجِيبَ مِنْ عِبَادِ..))	640
.725	((لما أسري بي إلى السماء قربني ربي عز وجل حتى كان..))	651
.726	((لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ قَالَ الْمُشْرِكُونَ: قَدِ انْتَصَفَ الْقَوْمُ الْيَوْمَ مِنَّا...))	496، 498
.727	((لمَّا أَسْلَمَ عُمرُ نزل جِبْرِيلُ فقال: يا مُحَمَّد لقَد اسْتَبْشَرَ أَهْلُ السَّماءِ بِإِسْلامِ عُمَر))	500
.728	((لَمَّا اقْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ قَالَ يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لما غَفَرْتَ لِي،..))	127، 254، 176
.729	((لمّا انْتَهَيْنا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، قَالَ جِبْرِيلُ بأُصْبُعِهِ فَخَرَقَ بِهَا الْحَجرَ ..))	604
.730	((لما أوحي إلي أو نبئت أو كلمة نحوها جعلت لا أمر بِحَجَرٍ ولَا شَجَرٍ إِلَّا قالَ السَّلَامُ..))	372
.731	((لَمَّا بَقِيَ مِنْ أَجَلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثٌ نَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ...))	566، 611
.732	((لَمَّا تَجَلَّى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْجَبَلِ، طَارَتْ لِعَظَمَتِهِ سِتَّةُ أَجْبُلٍ...))	401
.733	((لمَّا تَجَلَّى اللهُ لِجَبَلِ طُورِ سِينَاءَ تَشَظَّى سِتَّةَ أَشْظَاظٍ، وَفِي رِوَايَةٍ شَظَايَا، فَنَزَلَتْ ..))	36
.734	((لما تجلى الله لجبل طور سيناء تشظى منه شظايا...))	37

	الحديث أو طرفه	الصفحة
.735	((لَمَّا تَجَلَّى اللهُ لموسَى، كَانَ يُبْصِرُ النَّمْلَةَ عَلَى الصَّفا فِي اللَّيلةِ الظَّلماءِ، مسِيرةَ ..))	477
.736	((لمَّا جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى رسول الله ﷺ بالبُرَاقِ فكأنها امرّت ذنبها..))	591
.737	((لَمَّا جَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْبُرَاقِ، ..))	570 ،602 ،597 ،591
.738	((لَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أُحُدٍ رَجَع...))	58
.739	((لَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُ لِأَرْكَبَهُ شَمَسَ..))	659
.740	((لما عرجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، مَا مَرَرْتُ بِسَمَاءٍ إِلَّا وَجَدْتُ اسْمِي فِيهَا مَكْتُوبا مُحَمَّدٌ ..))	187
.741	((لَمَّا فَرَغت مِمَّا كانَ فِي بَيْتِ المقْدِسِ أُتِيَ بِالْمِعْرَاجِ...))	611 ،610 ،552
.742	((لَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِن غَزْوَةِ تَبُوك أَتَاهُ وَفْدُ بَنِي	444
.743	((لما كان ليلة أسرى برسول الله ﷺ قال لجبريل: أرني مالكا...))	644
.744	((لما كان ليلة أسري برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس أتاه جبريل بدابة...))	605
.745	((لمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِيَ بِي أَتَى جِبْرِيلُ الصَّخْرَةَ التِي بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ فَوَضَعَ أُصْبُعَهُ ..))	603
.746	((لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِيَ بِي، وَأَصْبَحْتُ بِمَكَّة...))	660، 659
.747	((لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ...))	624
.748	((لَمَّا كَذَّبَتنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الْحِجْرِ فَجَلا اللهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ ..))	660
.749	((لَوْ أَدْرَكَ أَبُو طَالِبٍ هَذَا الْيَوْمَ لَسَرَّهُ، فقال لهُ بعضُ أصحابِهِ كأنَّكَ يا رسول ..))	429
.750	((لَو بنى مَسْجِدي هَذَا إِلَى صنم كَانَ من مَسْجِدي))	160
.751	((لَوْ تَرَكَهَا لَدَارَتْ أَوْ قَالَ: طَحَنَتْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))	705
.752	((لَوْ جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ أَعْطَيْتُكَ هَكَذَا ثَلَاثًا...))	457
.753	((لَوْلَاهُ مَا خَلَقْتُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَلَا الطُّولَ وَلَا الْعَرْضَ، وَلَا وَضْعَ ثَوَاب وَلَا ..))	177
.754	((لَيَجِيئَنَّ الثَّعْلَبُ حَتَّى يقبلَ فِي ظِلِ المنْبَرِ ثُمَّ يَرُوحَ، لَا يُنَهْنِهُهُ أَحَدٌ))	41
.755	((لَيَخْرُجَنَّ أَهْلُ المدِينَةِ مِنَ المدِينَةِ ثُمَّ لَيَعُودُنَّ إِلَيْهَا، ثُمَّ لَيَخْرُجُنَّ مِنْهَا ثُمَّ لَا يَعُودُونَ))	40
.756	((لَيَخْرُجنَّ أَهْلُ المدِينَةِ من المدينة خَيْرَ مَا كَانَتْ نِصْفًا زَهْوًا وَنِصْفًا رطْبًا..))	39
.757	((لَيْسَ بَلَداً إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالمدِينَةَ لَيْسَ نَقْبٌ مِنْ أَنْقَابِهَا إِلَّا عَلَيْهِ ..))	73
.758	((لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، وَلَيْسَ نَقْبٌ مِنْ...))	73
.759	((لَيَسِيرَنَّ راكِبُ فِي جَنْبِ وَادِي المدِينَةِ، فَلَيَقُولَنَّ لَقَدْ كَانَ فِي هَذِهِ مرّة حَاضِرَةٌ ..))	38
.760	((لَيَعُودَنَّ هَذَا الأَمْرُ إِلَى المدِينَةِ كَمَا بَدَأَ مِنْهَا حَتَّى لَا يَكُونَ إِيمَانٌ إِلَّا بِهَا))	54، 37
.761	((لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ أَنَّهُ جَاءَهُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ...))	615
.762	((لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِنَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَخَلَ الْجَنَّةَ ، ..))	605
.763	((لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ فِي بَيْتِي فَفَقَدْتُهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَامْتَنَعَ مِنِّي النَّوْمُ...))	674
.764	((ما احْتَلَمَ نَبِيءٌ قَطُّ إِنَّمَا الاحْتِلَامُ مِنَ الشَّيْطَانِ))	531
.765	((لمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى...))	633
.766	((مَا أَعْلَمُ مَا خَلْفَ جِدَارِي))	479
.767	((ما بعث الله نبيا إلّا حسن الوجه حسن الصوت، وكان نبيّكم..))	621
.768	((مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَاعِيَ غَنَمٍ" قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ...))	353
.769	((مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيئا إِلَّا رعى الغَنَم، فقَالَ أصْحَابُهُ وأَنْتَ؟ قالَ نَعَمْ، كُنْتُ أرْعَاهَا ..))	353
.770	((مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمُصَلَّايَ))	166

	الحديث أو طرفه	الصفحة
.771	((مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ))	164
.772	((مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي))	164، 170
.773	((مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي، أَوْ قَبْرِي وَمِنْبَرِي، رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ))	164
.774	((مَا بَيْنَ حُجْرَتِي وَمُصَلَّايَ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ))	165
.775	((مَا بَيْنَ مَسْجِدِي هَذَا المسْجِدَ وَمُصَلَّايَ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ))	166
.776	((مَا حُبِسَت الشَّمْسُ عَلَى بَشَرٍ قَطُّ، إِلَّا عَلَى يُوشَعَ، لَيَالِي سَارَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ))	675
.777	((مَا رَفَعَكَ يَا أَبَا حِذْيَمٍ؟ " قَالَ: هَذَا...))	691، 692
.778	((مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ))	62
.779	((مَا زَالَتْ أُكْلَة خَيْبَرَ تُعَادُنِي حتى هذا أوان قَطَعَتْ أَبْهَرِي))	623
.780	((مَا سُئِلَ رسُولُ اللهِ ﷺ على الإسلامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، فجَاءَهُ رَجُلٌ فأَعْطَاهُ غَنَماً بَيْنَ...))	451
.781	((ما طلع النبي ﷺ على المدينة قافلا...))	29
.782	((مَا عَلِمْتُ حَتَّى أُعْلِمْتُ ذَلِكَ يَا أَبَا ذَرٍّ ..))	314
.783	((مَا عِنْدَنَا كِتَابٌ نَقْرَؤُهُ إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ غَيْرَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ قَالَ فَأَخْرَجَهَا فَإِذَا فِيهَا أَشْيَاء..))	58
.784	((مَا عِنْدِي شَيْءٌ أُعْطِيكَ، ولَكِن اسْتَقْرِضْ حَتَّى يَأْتِينَا شَيْءٌ فَنُعْطِيكَ))	454
.785	((مَا عِنْدِي شَيْءٌ، ولَكِن ابْتَعْ عَلَيَّ فإِذَا جَاءَنِي شَيْءٌ قَضَيْتُهُ))	454
.786	((مَا فَعَلَ قُسُّ بنُ سَاعِدَةَ الإِيَادِي؟ قالُوا مَاتَ يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ. قالَ ..))	324
.787	((ما فُقِدَ جَسَدُ رسول الله ﷺ، ولَكِن الله أُسْرى بِرُوحِهِ))	550
.788	((مَا فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا مَوْضِعُ قَدَمٍ...))	636
.789	((مَا فِي السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ مَوْضِعُ قَدَمٍ وَلَا شِبْرٍ وَلَا كَفٍّ إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ قَائِمٌ أَوْ مَلَكٌ...))	635
.790	((مَا كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ أَرَاهُ مِنْ الشَّهْرِ صَائِمًا إِلَّا رَأَيْتُهُ وَلَا مُفْطِرًا...))	688
.791	((مَا مَسسْتُ حَرِيراً ولَا دِيبَاجاً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ النبيّ ﷺ..))	687
.792	((مَا مَكَثَ نَبِيءٌ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْماً))	116
.793	((مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلاَّ رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ))	111
.794	((مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلّا ردّ الله علَيَّ...))	111
.795	((مَا مِنْ عَبْدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي إِلَّا وَكَّلَ اللهُ بِهِ مَلَكاً يُبَلِّغُنِي، وَكُفِيَ أَمْرَ ..))	112
.796	((مَا مِنْ عبدٍ يَمُرُّ بِقَبْرِ رجل كان يعرفه في الدنيا...))	113
.797	((مَا مِنْ مَخْلُوقٍ إِلَّا وَصُورَتُهُ تَحْتَ الْعَرْشِ))	199
.798	((مَا مِنْ مَوْضِعِ خَرْمَة إِبْرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا وَمَلَكٌ مُوَكَّلٌ بِهَا يَرْفَعُ عِلْمَ ذَلِكَ إِلَى اللهِ))	636
.799	((مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا وَالشَّيْطَانُ يَمَسُّهُ حِينَ يُولَدُ فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ...))	259
.800	((مَا وَلَدَنِي مِنْ سِفَاحِ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ مَا وَلَدَنِي إِلَّا نِكَاحُ...))	255
.801	((مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بنِ مَتَّى))	179
.802	((مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ...))	581
.803	((مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَوْ آخِرُهُ))	461
.804	((مُثِّلَتْ لِي أُمَّتِي من الْمَاءِ والطِّينِ، وَعُلِّمْتُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا كَمَا عُلِّمَ آدَمُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا))	693
.805	((مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِجِنَازَةٍ عِنْدَ قَبْرٍ فَقَالَ: «قَبْرُ مَنْ هَذَا؟»؟...))	49
.806	((مَرَّ عَلَى شَجَرَةٍ تَحْتَهَا شَيْخٌ وعِيَالُهُ فَرَأَى مَصَابِيحَ وضَوْءاً فقَالَ مَنْ هَذَا يا جِبْرِيلُ..))	645

	الحديث أو طرفه	الصفحة
.807	((مَرْحَباً أَحْسَن النَّاسِ وُجُوهاً وأَطْيبهم أَفْوَاهاً، وأَعْظَمهمْ أَمَانَةً))	521
.808	((مَرضَ النَّبِيءُ ﷺ فأَتَاهُ جِبْرِيلُ بِطَبَقٍ فيهِ رُمَّان وعِنَبٌ فأَكَلَ [140ظ] ﷺ فسبَّحَ))	373
.809	((مَسَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى وَجْهِي وَدَعَا لِي...))	691
.810	((مَنْ أَتَى المدِينَةَ زَائِراً إِلَيَّ وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَاتَ فِي أَحَدِ ..))	111
.811	((مَنْ أَخَافَ أَهْلَ المدِينَةِ أَخَافَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...))	60
.812	((مَنْ أَخَافَ أَهْلَ المدِينَةِ ظَالماً لَهُمْ أَخَافَهُ اللهُ، وَكَانَتْ عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ...))	27 ،60
.813	((مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ..))	60 ،28
.814	((مَنْ آذَى أَهْلَ المدِينَةِ ءَاذَاهُ اللهُ، وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ والملَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَلَا ..))	61
.815	((مَنْ أَرَادَ أهل هَذِهِ الْبَلْدَة بِسُوءٍ أَذَابَهُ اللهُ، كَمَا يذوبُ الملْح فِي الماءِ))	59
.816	((مَن اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالمدِيْنَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا، فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ يمُوتُ بِهَا))	56، 108
.817	((مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالمدِينَةِ، فَلْيَمُتْ، فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ بِهَا كُنْتُ لَهُ شَفِيعاً أَوْ شَهِيدا...))	56
.818	((مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالمدِينَةِ، فَلْيَمُتْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَمُتْ بِهَا أَشْفَعُ لَهُ وَأَشْهَدُ لَهُ))	56
.819	((مَنْ أَكْبَرُ أنا أَمْ أَنْتَ؟ فقَالَ أَنْتَ أَكْرَمُ وأَكْبَرُ وخَيْرٌ مِنِّي، وأنا أَسَنُّ مِنْكَ))	366
.820	((مَنْ أَكَلَ سَبْعَ تَمَرَاتِ عَجْوَةٍ مَا بَيْنَ لَابَتَيْ المدِينَةِ على الرِّيقِ لم يَضُرَّهُ يَوْمَهُ ذَلِكَ ..))	77
.821	((مَنْ أَكَلَ سَبْعَ تَمَرَاتٍ مِمَّا بَيْنَ لَابَتَيْهَا حين يصبح، لم يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يُمْسِيَ))	77
.822	((مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، يَعْنِي الثُّومَ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا))	163
.823	((مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً، لم يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سُمٌّ، وَلَا سِحْرٌ))	77
.824	((مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ عَجْوَاتٍ، لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ مِنَ الْعَالِيَة، لم يَضُرَّهُ يَوْمَئِذٍ سُمٌّ ..))	77
.825	((مَنْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ...))	33
.826	((مَنْ جَاءَ مَسْجِدِي هَذَا، لم يَأْتِهِ إِلَّا لِخَيْرٍ يَتَعَلَّمُهُ أَوْ يُعَلِّمُهُ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ المجَاهِدِ ..))	163
.827	((مَنْ جَاءَنِي زَائِراً كَانَ لَهُ حَقّاً عَلَى اللهِ عز وجل أَنْ أَكُونَ لَهُ شَفِيعا يَوْمَ الْقِيَامَةِ))	106
.828	((مَنْ جَاءَنِي زَائِرًا لَا يَعْلَمُهُ حَاجَةً إِلَّا زِيَارَتِي...))	106 ،135
.829	((مَنْ حَجَّ الْبَيْتَ وَلَمْ يَزُرْنِي فَقَدْ جَفَانِي))	108
.830	((مَنْ حَجَّ إِلَى مَكَّةَ ثُمَّ قَصَدَنِي فِي مَسْجِدِي كُتِبَتْ لَهُ حَجَّتَانِ مَبْرُورَتَانِ))	110
.831	((مَنْ حَجَّ حَجَّةَ الْإِسْلَامِ وَزَارَ قَبْرِي وَغَزَا غَزْوَةً وَصَلَّى فِي بَيْتِ المقْدِسِ لم يَسْأَلْهُ اللهُ ..))	109
.832	((مَنْ حَجَّ فَزَارَ قَبْرِي بَعْدَ مَوْتِي كَانَ كَمَنْ زَارَنِي فِي حَيَاتِي وَصَحِبَنِي))	107
.833	((مَنْ حَجَّ فَزَارَ قَبْرِي بَعْدَ وَفَاتِي، كَانَ كَمَنْ زَارَنِي فِي حَيَاتِي))	106
.834	((مَنْ حَجَّ فَزَارَنِي فِي مَسْجِدِي بَعْدَ وَفَاتِي، كَانَ كَمَنْ زَارَنِي فِي حَيَاتِي))	107
.835	((مَنْ حَلَفَ عَلَى مِنْبَرِي هَذَا عَلَى يَمِينِ آثِمَةٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ..))	165
.836	((مَنْ حَلَفَ عِنْدَ مِنْبَرِي هَذَا بِيَمِينٍ كَاذِبَة يسْتَحلّ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ ..))	165
.837	((من حِينِ يَخْرُجُ أَحَدُكُم مِنْ مَنْزِلِهِ إِلَى مَسْجِدِي فَرِجْلٌ تَكْتُبُ لَهُ حَسَنَةً، ..))	163
.838	((مَنْ خَرَجَ حَتَّى يَأْتِيَ هَذَا الْمَسْجِدَ، يَعْنِي مَسْجِدَ قِبَاءَ...))	162
.839	((مَنْ دَخَلَ مَسْجِدِي هَذَا لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا لِيُعَلِّمَ خَيْراً أَوْ يتَعَلَّمُهُ))	163
.840	((مَنْ دَخَلَ مَسْجِدِي هَذَا لِلصَّلَاةِ أَوْ لِذِكْرِ اللهِ، أَوْ لِيَتَعَلَّمَ خَيْراً أَوْ يُعَلِّمَهُ كَانَ ..))	163
.841	((مَنْ دَخَلَ مَسْجِدِي هَذَا يَتَعَلَّمُ فِيهِ خَيْراً، أَوْ يُعَلِّمُهُ كَانَ بِمَنْزِلَةِ المجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ..))	163
.842	((مَنْ زَارَ قَبْرِي أَوْ قَالَ مَنْ زَارَنِي كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا، أَوْ مَنْ مَاتَ فِي ..))	108

	الحديث أو طرفه	الصفحة
.843	((مَنْ زَارَ قَبْرِي بَعْدَ مَوْتِي فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي، وَمَنْ لم يَزُرْنِي فَقَدْ جَفَانِي))	110
.844	((مَنْ زَارَ قَبْرِي بَعْدَ وَفَاتِي كَانَ كَمَنْ زَارَنِي فِي حَيَاتِي))	107
.845	((مَنْ زَارَ قَبْرِي حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي))	106
.846	((مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي))	105
.847	((مَنْ زَارَنِي إِلَى المدِينَةِ كُنْتُ لَهُ شَفِيعاً وَشَهِيداً))	108
.848	((من زارني إلى المدينة محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة ...))	109
.849	((مَن زَارَنِي بِالمدِينَةِ كُنْتُ لَهُ شَفِيعاً وَشَهِيداً يَوْمَ الْقِيَامَةِ))	109
.850	((مَنْ زَارَنِي بَعْدَ مَوْتِي فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي، وَمَنْ مَاتَ بِأَحَدِ الْحَرَمَيْنِ بُعِثَ ..))	109
.851	((مَنْ زَارَنِي بَعْدَ مَوْتِي فَكَأَنَّمَا زَارَنِي وَأَنَا حَيٌّ، وَمَنْ زَارَنِي كُنْتُ لَهُ شَفِيعاً أَوْ شَهِيداً ..))	109
.852	((مَنْ زَارَنِي فِي مَمَاتِي كَمَنْ زَارَنِي فِي حَيَاتِي، وَمَنْ زَارَنِي حَتَّى يَنْتَهِي إِلَى قَبْرِي كُنْتُ ...))	110
.853	((مَنْ زَارَنِي مُتَعَمِّداً كَانَ فِي جِوَارِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَاتَ...))	108
.854	((من زارني متعمداً كان في جواري يوم القيامة...))	108
.855	((مَنْ زَارَنِي ميِّتاً فَكَأَنَّمَا زَارَنِي حَيّاً، وَمَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ..))	110
.856	((مَنْ سَأَلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ الدَّرَجَةَ وَالْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ زَارَ ..))	111
.857	((مَنْ سَمَّى الْمَدِينَةَ يَثْرِبَ، فَلْيَسْتَغْفِرِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، هِيَ طَابَةُ هِيَ طَابَةُ))	24
.858	((مَنْ سَمَّى المدِينَةَ يَثْرِبَ، فَلْيَسْتَغْفِرْ هِيَ طَابَةُ))	24
.859	((مَنْ سَيِّدُكُمْ وَزَعِيمُكُمْ؟ " فَأَشَرْنَا بِأَجْمَعِنَا...))	79
.860	((مَنْ شَرِبَ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ لِلْأَمْنِ مِنَ الْعَطَشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُعْطِيَهُ))	581
.861	((مَنْ صَبَرَ عَلَى لَأْوَائِهَا وَشِدَّتِهَا، كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا وَ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ))	55
.862	((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي سَمِعْتُهُ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ نَائِياً أُبْلِغْتُهُ))	112
.863	((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي وَكَّلَ اللهُ تَعَالَى بِهَا مَلَكاً يُبَلِّغُنِي، وَكُفِيَ أَمْرَ آخِرَتِهِ وَدُنْيَاهُ..))	112
.864	((مَنْ صَلَّى فِي مَسْجِدِي أَرْبَعِينَ صَلَاةً، لا يفوتُهُ صلاةٌ، كُتِبَت لَهُ بَرَاءَةٌ ..))	162
.865	((مَنْ غَابَ عَنِ المدِينَةِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ جَاءَهَا وَقَلْبُهُ مُشْرَبٌ جَفْوَةً))	63
.866	((مَنْ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُس بن مَتَّى فَقَدْ كَذبَ))	179
.867	((مَنْ كَانَ لَهُ بالْمَدِيْنَة أَصْلٌ فَلْيَسْتَمْسِكْ بِهِ، فَإِنَّ لَمْ يَكُنْ لَهُ فَلْيَجْعَلْ لَه...))	57
.868	((مَنْ كَانَ لَهُ بِالمدِينَةِ أَصْلٌ، فَلْيَتَمَسَّكْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ بِهَا أَصْلٌ، فَلْيَجْعَلْ ..))	57
.869	((مِنْ كَرَامَتِي عَلَى رَبِّي أَنِّي وُلِدْتُ مَخْتُوناً، لَمْ يَرَ أَحَدٌ سَوْأَتِي))	276
.870	((مَنْ مَاتَ بِالمدِينَةِ كُنْتُ لَهُ شَفِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ))	56
.871	((مِنْ نَبِيءٍ إِلَى نَبِيءٍ حَتَّى أَخْرَجْتُكَ نَبِيئاً))	255
.872	((مِنْبَرِي عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الْجَنَّةِ))	164
.873	((مِنْبَرِي عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الْجَنَّةِ، وَمَا بَيْنَ المنْبَرِ وَبَيْتِ عَائِشَةَ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ))	165
.874	((منبري على روضة من رياض الجنة..))	165
.875	((مُنْتَصِبًا فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ مَلَكٌ إِذَا نَامَت الْأُمُّ واضْطَجَعَتْ رَفَعَ رَأْسَهُ، لَوْلَا...))	639
.876	((نَاوَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ، فَإِذَا هِيَ أَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ))	687
.877	((نَزَلَ بِنَا ضَيْفٌ بَدَوِيٌّ فَجَلَسَ بِهِ النَّبِيءُ ﷺ قُدَّامَ بُيُوتِنَا يَسْأَلُهُ عَنِ النَّاسِ كَيْفَ فَرَحُهُمْ...))	683
.878	((نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَشَقَّ بَطْنَهُ. ثُمَّ قَالَ جِبْرِيلُ: قَلْبٌ وَكِيعٌ..))	311

	الحديث أو طرفه	الصفحة
.879	((نْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: هَذَا سِحْر...))	487
.880	((نعم أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَكَانَ آخِرُ مَنْ بَشَّرَ بِي عِيسَى بنُ مَرْيَمَ))	237
.881	((هَذَا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ جِبْرِيلُ نَفَثَ فِي روعِي...))	380
.882	((هَذَا سَيِّدُ الْعَرَبِ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: أَلَسْتَ أَنْتَ سَيِّدُ الْعَرَبِ؟ ..))	183
.883	((هَذَا مَسْجِدِي وَمَا زِيدَ فِيهِ فَهُوَ مِنْهُ، وَلَوْ بَلَغَ مَسْجِدِي صَنْعَاءَ كَانَ مَسْجِدِي))	161
.884	((هَلْ تَدْرُونَ مَا البَيْتُ المَعْمُورُ؟ ..))	570
.885	((هَلْ تَرَوْنَ قِبْلَتِي هَا هُنَا فَوَاللَّهِ مَا يَخْفَى عَلَيَّ خُشُوعُكُمْ وَلَا رُكُوعُكُمْ إِنِّي لَأَرَاكُمْ مِنْ...))	475، 478
.886	((هل تسمعون ما أسمع قالوا وما تسمع يا رسول الله؟...))	636
.887	((هَلْ تَعْنِي مَكَانًا لِحَاجَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقُلْتُ : إِنَّ الْوَادِيَ مَا فِيهِ..))	534
.888	((هَلْ عِنْدَكَ مِنْ جَذَعَةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ؟..))	682
.889	((هُوَ هَذَا المسجد لمسجد رسول الله ﷺ وَفِي ذَاكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ))	154، 155
.890	((وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ))	180، 257
.891	((وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ، حِينَ أخذَ مِنِّي الْمِيثَاق))	205، 258
.892	((وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ تُرْبَتَهَا لَمُؤْمِنَةٌ))	31
.893	((وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ تُرْبَتَهَا لمؤْمِنَةٌ، وَإِنَّهَا شِفَاءٌ مِنَ الْجُذَامِ))	75
.894	((وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ غُبَارَهَا شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ فَمَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ، فَأَمَاطَهُ عَنْ ..))	75
.895	((وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَكُونَنَّ بِالمدِينَةِ مَلْحَمَةٌ يُقَالُ لَهَا الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ حَالِقَةَ الشَّعْرِ..))	41
.896	((وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ...))	51
.897	((وَاللهِ لَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا أَعْلَمَنِي رَبِّي، وقَدْ دَلَّنِي اللهُ عَلَيْها هِيَ فِي شِعبِ كَذَا ..))	479
.898	((واللهِ لَقَدْ أعْطَانِي رسُولُ اللهِ ﷺ ما أَعْطَانِي وإِنَّه لَأَبْغَضُ النَّاسِ إليَّ، فمَا بَرِحَ يُعطِينِي..))	452
.899	((وَإِنَّ مِنْبَرِي عَلَى رُتْعَةٌ مِنْ رُتَعِ الْجَنَّةِ))	164
.900	((وأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ مَا أَوْحَى بعْدَمَا بَلَغَ الْمَوْضِعَ الذِي لَا يَصِلُهُ مَلَكٌ ولَا غَيْرُهُ أَلَمْ ..))	649
.901	((وَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: اسْتَسْقِ اللهَ لِمُضَرَ، قَالَ: فَقَالَ: " إِنَّكَ لَجَرِيءٌ، أَلِمُضَرَ؟..))	448
.902	((وَدِدْتُ أَنِّي رَأَيْتُكَ في صُورَتِكَ التِي خلَقَكَ اللهُ علَيْها، قالَ وتُحِبُّ ذلِكَ؟ قالَ نَعَمْ..))	408
.903	((ودَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ علَى مُضَرَ فأَتَيْتُهُ فقُلْتُ يا رسولَ اللهِ إنَّ اللهَ قَدْ نَصَرَكَ ..))	449
.904	((وَطَيْبَةُ الْمَدِينَةُ، مَا مِنْ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهَا إِلَّا مَلَكٌ...))	74
.905	((وُكِّلَ بالْمُؤْمِنِ سِتُّونَ وثَلَاثُمِئَةِ مَلَكٍ، يَدْفَعُون عَنْهُ مَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ))	639
.906	((وَلَيَغْشَيَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَمْرٌ يُفْزِعُهُمْ حَتَّى يَتْرُكُوهَا وَهِيَ مُذَلَّلَةٌ..))	41
.907	((وَلَيُوشِكَنَّ أَنْ يَبْلُغَ بُنْيَانُهُمْ يَهِيقًا))	37
.908	((وَيْلَ أُمِّكِ قَرْيَةٌ يَدَعُكِ أَهْلُكِ وَأَنْتِ خَيْرُ مَا تَكُونِينَ))	39
.909	((يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّ لِلْمَسْجِدِ تَحِيَّةً، وَإِنَّ تَحِيَّتَهُ رَكْعَتَانِ..))	190
.910	((يَا أَعْرَابِيُّ ، أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : إِلَى أَهْلِي . قَالَ..))	532
.911	((يَا أَهْلَ المدِينَةِ، اذْكُرُوا يَوْمَ الْخَلَاصِ، قَالُوا وَمَا يَوْمُ الْخَلَاصِ؟ قَالَ يُقْبِلُ الدَّجَّالُ ..))	73
.912	((يَا جَارُودُ، هَلْ فِي جَمَاعَةِ وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ مَنْ يَعْرِفُ لَنَا قُسًّا...))	324
.913	((يا حميراء إنّه لمَّا كَانَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّماءِ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فوَقَفْتُ عَلَى شَجَرَةٍ ..))	647
.914	((يَا خَوْلَةُ لَا نَصْبِرُ عَلَى حَرٍّ، وَنَصْبِرُ عَلَى بَرْدٍ))	366

	الحديث أو طرفه	الصفحة
.915	((يَا رَبِّ إِنَّ لِكُلِّ قَادِمٍ مِنْ سَفَرٍ تُحْفَةً فَمَا تُحْفَةُ أُمَّتِي؟ قَالَ اللهُ تَعَالَى أَنَا لَهُمْ مَا ..))	652
.916	((يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ...))	199
.917	((يا رَكَانَةَ أَلَا تَتَّقِي اللهَ وتَقْبَلَ مَا أَدْعُوكَ إِلَيْهِ))	523، 525
.918	((يَا عَائِشَةُ إِذَا جَاءَ الرُّطَبُ فَهَنِّئِينِي))	79
.919	((يَا عَمُّ أَلَا تَرَى مَا فعلَ بِي؟))	539
.920	((يَا عَمْرو! إِيَّاكَ أَنْ تَعُودَ لِمِثْلِ مَا صَنَعْتَ بِهَذَا الْأَعْرَابِيّ فتَرَى مِنِّي مَا تَكْرَهُ))	494
.921	((يَا غُلَامُ هَلْ مِنْ لَبَنٍ؟ قُلْتُ نَعَمْ، ولَكِنِّي مُؤْتَمَنٌ فقَالَ هَلْ مِنْ شَاةٍ حَائِلٍ لَمْ يَنْزُ ..))	682
.922	((يَا غُلَامُ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ...))	18
.923	((يَا فُلَانُ، أَلَا تُحْسِنُ صَلَاتَكَ؟ أَلَا يَنْظُرُ الْمُصَلِّي...))	476
.924	((يا معشر المهاجرين إنكم بأقل الأرض مطرا...))	37
.925	((يا معشر المهاجرين لَا تَتَّخِذُوا الْأَمْوَالَ بِمَكَّةَ وَاعدّوهَا بِدَارِ هِجْرَتِكُمْ،...))	57
.926	((يَأْتِي المسِيحُ مِنْ قِبَلِ المشْرِقِ وَهِمَّتُهُ المدِينَةُ حَتَّى يَنْزِلَ دُبُرَ أُحُدٍ، ثُمَّ تَصْرِفُ ..))	73
.927	((يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ وَقَرِيبَهُ: هَلُمّ...))	54، 57، 58
.928	((يَأْتِي، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ،..))	73
.929	((يبعث النَّاسُ يوْمَ القيَامَةِ فأَكُونُ أَنَا وأُمَّتِي على تَلٍّ ويَكْسُوني رَبِّي حُلَّةً خَضرَاءَ))	207
.930	((يَتْرُكُونَ الْمَدِينَةَ عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ لَا يَغْشَاهَا إِلَّا الْعَوَافِ، يُرِيدُ ..))	39
.931	((يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ ملائِكَةٌ بِاللَّيلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ ويَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ ..))	639
.932	((يُحْشَرُ النَّاسُ علَى تَلٍّ وأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ))	207
.933	((يَخْرُجُ أَهْلُ المدِينَةِ مِنْهَا ثُمَّ يَعُودُونَ إِلَيْهَا فَيَعْمُرُونَهَا حَتَّى تَمْتَلِئَ وَتُبْنَى، ثُمَّ يَخْرُجُونَ ..))	40
.934	((يَخْرُجُ مِنْ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ، نَهْرٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ، أَيْ غَيْرُ مُتَغَيِّرٍ، ..))	634
.935	((يُقْتَلُ بِهَذِهِ الْحرَّةِ خِيَارُ أُمَّتِي))	45
.936	((يَنْزِلُ الدَّجَّالُ فِي هَذِهِ السَّبخَةِ بِمَرِّ قَنَاةَ))	74
.937	((يَنْفَعُ مِنَ الجذام أَنْ تأْخُذَ سَبْعَ تَمَرَاتٍ مِنْ عَجْوَةِ المدِينَةِ كُلَّ يَوْمٍ، تَفْعَلُ ذَلِكَ ..))	78
.938	((يُوشِكُ الْإِيمَانُ يَأْرِزُ إِلَى المدِينَةِ....))	54

3- فهرس الشّعر

الشطر الأول	الشطر الثاني	الشاعر	البحر	الصفحة
حرف الهمزة				
1. أَرْضٌ مَشَى جِبْرِيلُ فِي عَرَصَاتِها	وَاللهُ شَرَّفَ أَرْضَهَا وَسَمَاءَهَا	غير معين	الكامل	137
حرف الباء				
2. سَأَلْنَا وَقَدْ ضَنَّ السَّحَابُ بِمَائِهِ	نَبِيءَ الْهُدَى فِي جُمْعَةٍ وَهْو يَخْطُبُ	بعض السّلف	الطويل	434
وقَائِلَةٍ مَا بَالُ وَجْهِكَ قدْ نَضَتْ	محَاسِنُهُ والجِسْمُ بَادٍ شُحُوبُهُ	غير معين	الطوِيل	18
4. وَلَسْتَ لِإِنْسِيٍّ وَلَكِنْ لِمَلْأَكٍ	تَنَزَّلَ مِنْ جَوِّ السّمَاءِ يَصُوبُ	مختلف فيه	الطويل	305
5. فَيَا سَاكِنِي أَكْنَافَ طَيْبَةَ كُلُّكُمْ	إِلَى الْقَلْبِ مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ حَبِيبُ	مختلف فيه	الطوِيل	152
6. أحنُّ إِلى زِيَارَةِ حَيِّ لَيْلَى	وَعَهْدِي مِنْ زِيَارَتِهَا قَرِيب	القاضي بد الدين	الوافر	153
7. وَلَمَّا رَأَيْنَا رَسْمَ مَنْ لم يَدَعْ لَنَا	فُؤَادًا لِعِرْفَانِ الرُّسُومِ وَلَا لُبَّا	المتنبي	الطّوِيل	136
8. عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتِطْلَابِهَا	وَشَدِّهَا الْعِيسَ بِأَقْتَابِهَا	غير معين	السرِيع	294
9. تَرَدَّى لِمَوْلُودٍ أَضَاءَتْ لِنُورِهِ	جَمِيعُ فِجَاجِ الْأَرْضِ بالشَّرْقِ والْغَرْبِ	أبو طالب	الطويل	273
10. أَيَا صَنَمَ الْعِيدِ الذِي صُفَّ حَوْلَهُ	صَنَادِيدُ قَوْمٍ مِنْ بَعِيدٍ وَمِنْ قُرْبِ	عثمان بن الحويرث	الطوِيل	272
11. أَلَا أَبْلِغَا عَنِّي عَلَى ذَاتِ بَيْنِنَا	لُؤَيًّا وَخُصَّا مِنْ لُؤَيِّ بَنِي كَعْب	أبو طالب	الطويل	510
12. أَتَانِي رِئِيٌّ بَعْدَ هَدْء وَرَقْدَةٍ	وَلَمْ يَكُ فِيمَا قَدْ بَلَوْتُ بِكَاذِب	سواد بن قارب	الطويل	295
حرف التاء				
13. وَأَبِي الذِي مَسَحَ النَّبِيءُ بِوَجْهِهِ	وَدَعَا لَهُ بِالْخَيْرِ وَالْبَرَكَاتِ	محمّد بن بِشر بن مُعاوِية	الكامل	690
حرف الجيم				
14. لَجِجْتُ، وَكُنْتُ فِي الذِّكْرَى لَجُوجًا	لِهَمٍّ طَالَمَا بَعَثَ النَّشِيجَا	ورقة بن نوفل	الوافر	357
حرف الحاء				
15. خَلِيلَيَّ مُنَّا بِالْوُقُوفِ هُنَيْهَةً	أَخُصُّكُمَا مِنِّي بِأَجْزَلِ مِنْحَةِ	ورقة بن نوفل	الطويل	670
16. قِرَاضُ أَشْكُو هلْكَ الْجَوَارِحْ	مِنْ طَائِرٍ ذِي مَخْلَبٍ وَنَابِح	أبو رياب	الرجز	302
17. أَتُنْكِرُ أَمْ أَنْتَ الْعَشِيَّةَ رَائِحُ	وَفِي الصّدْرِ مِنْ إِضْمَارِك الْحزنَ قَادِح	ورقة بن نوفل	الطويل	357
18. مَدَحْتُكَ آيَاتُ الْكِتَابِ فَمَا عَسَى	يُثْنِي عَلَى عُلْيَاكَ نَظْمُ مَدِيحِي	لسان الدين بن الخطِيب	الكامل	182
حرف الدال				

الشطر الأول	الشطر الثاني	الشاعر	البحر	الصفحة
19. لَوْ أَبْصَرَ الشَّيْطَانُ طَلْعَةَ نُورِهِ	فِي وَجْهِ آدمَ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَجَدْ	سيدي علي وفا	الكامل	251
20. أَلَا هَلْ أَتَى بَحْرِيَّنَا صُنْعُ رَبِّنَا	عَلَى نَأْيِهِم وَاللهُ بِالنَّاسِ أَرْوَدُ	أبو طالب	الطويل	512
21. وَيْلَكَ يَا حِيَاضُ لَا تَصِدْ شَيْ	ئًا إلا ما حوتْهُ الْبِيدُ	غير معين		303
22. فَأُقْسِمُ مَا أُنْثى مِنَ النَّاسِ أَنْجَبَتْ	وَلَا وَلَدَتْ أُنْثَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدَه	هاتف	الطوِيل	281
23. يَا رَبَّنَا أَبْقِ لَنَا مُحَمَّدَا	حَتَّى أَرَاهُ يَافِعًا وَأَمْرَدَا	الشّيماء	مشطور الرجز	308
24. وَكَانَ لَدَى الْفِرْدَوْسِ فِي زَمَنِ الصِّبَا	وَأَثْوَابُ شَمْلِ الأُنْسِ محْكَمَةُ السّدَى	الطفيل بن عمرو	الطويل	206
25. قُلْ لِلْقَبَائِلِ مِنْ سُلَيمٍ كُلِّهَا	أَوْدَى ضمَارُ وَعَاشَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ	جوف صنم	الكامل	300
26. لَقَدْ بَلَغَتْ بِالْهَاشِمِيّ حَلِيمَةٌ	مَقَامًا عَلَا فِي ذِرْوَةِ الْعِزِّ وَالْمَجْدِ	غير معين	الطوِيل	307
27. أُوصِيكَ يَا عَبْدَ مَنَافٍ بعدِي	بِمُؤْتمٍ بَعْدَ أَبِيهِ فَرْدِ	عبد المطلب بن هاشم	الرجز	268
28. أَلَا أَبْلِغْ لَدَيْكَ بَنِي لُؤَيٍّ	عَلَى الشَّنَآنِ وَالْغَضَبِ المرَدِّي	الطفيل بن عمرو	الوافِر	518
29. أُعِيذُهُ	بِالْوَاحِد مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِد	آمنة بنت وهب	الرجز	266
30. أَوْدَى الضّمار وكانَ يُعْبَدُ مُدَّةً	قَبْلَ الْكِتَابِ وقَبْلَ بَعْثِ مُحَمَّدِ	جوف صنم	الكامل	506
حرف الراء				
31. لَكَ الْحَمْدُ وَالْحَمْدُ مِمَّنْ شَكَرْ	سُقِينَا بِوَجْهِ النَّبِيِّ الْمَطَرْ	أعرابي من بني كنانة	المتقارِب	431
32. بِعَمِّي سَقَى اللهُ الْحِجَازَ وَأَهْلَهُ	عَشِيَّةَ يَسْتَسْقِي بِشَيْبَتِهِ عُمَرْ	أبو طالب بن عبد المطلب	الطويل	130، 451
33. بِشَيْبَة الْحَمْدِ أَحْيَى اللهُ بَلْدَتَنَا	وَقَدْ فَقَدْنَا الْحَيَا وَاجْلَوَّذَ الْمَطَرُ	رقيقة بنت صيفي	البسِيط	433
34. أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ عَادَ بِفَضْلِهِ	فَأَنْقَذَ مِنْ حَرِّ الزَّخيخِ خُنَافِرَا	خنافر بن التوأم	البسِيط	299
35. نَحْنُ بَنَيْنَا وَاقِمًا بِالْحرَّة	بِلَازِمِ الطِّينِ وَبِالْأَصِرَّة	غير معين	الرجز	96
36. عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَإِبْلَاسِهَا	وَمنوقِهَا الْعِيسَ بِأَكْوَارِهَا	//	السرِيع	294
37. إِنَّ ابْنَ آمِنَةَ الْأَمِينَ مُحَمَّدًا	خَيْرُ الْأَنَامِ وَخِيرَةُ الْأَخْيَار	هاتف	الكامل	305
38. وَاعَجَبًا لِوَائِلِ بنِ حُجْرِ	يَخَالُ يَدْرِي وَهْوَ لَيْسَ يَدْرِي	هاتف	الرجز	296
39. فَعَلَّ الذِي أَوْدَى ثَمُودًا وَجُرْهُما	يُعَقِّبُ لِي نَسْلًا عَلَى آخِرِ الدَّهْرِ	الأَوْسَ بنَ حارثَةَ	الطوِيل	89
40. الْحَمْدُ للهِ ذِي المنّ الذِي وَجَبَتْ	لَهُ عَلَيْنَا أَيَادٍ مَا لَهَا غِيَرُ	عمر بن الخطاب	البسيط	513
41. يَا لِلرِّجَالِ لِصَرْفِ الدَّهْرِ وَالْقَدَر	وَمَا لِشَيْءٍ قَضَاهُ اللهُ مِنْ غِيَرِ	ورقة بن نوفل	البسِيط	358
حرف العين				

	الشطر الأول	الشطر الثاني	الشاعر	البحر	الصفحة
42.	يَا أَيُّهَا الرَّكْبُ السِّرَاعُ الْأَرْبَعَةْ	خَلُّوا سَبِيلَ النَّاقَةِ الْمُفَزَّعَة	هاتف	مشطور الرجز	297
43.	وَلَوْ نَطَقَتْ يَوْمًا قُبَاءٌ لَخبَّرَتْ	بِأَنَّا نَزَلْنَا قَبْلَ عَادٍ وَتُبَّعِ	غير معين	الطوِيل	83
44.	كَبرْت وَطَالَ الْعُمْرُ مِنِّي كَأَنَّنِي	سَلِيم أَفَاعٍ لَيْلُهُ غَيْرُ مُودِعِ	عَمْرو بنَ حممة	الطوِيل	520
45.	يَقُولُ لَنَا لِسَانُ الْحَالِ مِنْهُ	وَقَوْلُ الْحَقِّ يَعْذُبُ لِلسَّمِيعِ	غير معين	الوافِر	558
	حرف الفاء				
46.	أَلَا بِأَبِي مَنْ كَانَ مَلْكاً وَسَيِّدا	وآدمُ بيْنَ الماءِ والطِّينِ وَاقِف	ابن عربي	الطويل	204
47.	كِتَابُ وَقِيدٍ مِنْ زَمَانِتِهِ مَشْفَى	بِقَبْرِ رَسُولِ اللهِ أَحْمَدَ يسْتَشْفى	ابنُ أَبِي الخِصَالِ	الطوِيل	129
48.	حَبَا اللهُ الرَّسُولَ مَزِيدَ فَضْلٍ	عَلَى فَضْلٍ وَكَانَ بِهِ رَؤُوفًا	محمّد بن ناصر الدّمشقيّ	الوافر	321
	حرف القاف				
49.	يَا نَاعِيَ الْمَوْتِ وَالْمَلْحُودُ فِي جَدَثِ	عَلَيْهِمُ مِنْ بَقَايَا بِزِّهِمْ خِرَقُ	قسّ بن ساعدة	البسِيط	326
50.	وَأَنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقَتِ	الْأَرْضُ وَضَاقَ بِنُورِكَ الْأُفُقُ	العباس	المنسرح	274
51.	إِيَّاكَ لَا تَعْجَلْ وَخُذْهَا مِنْ ثِقَةْ	فَإِنَّ شَرَّ السَّيْرِ سَيْرُ الحَقْحَقَةْ	هاتف	الرجز	297
52.	يَا رَبّ إِذْ أُعْطِيتُهُ فَأَبْقِهِ	وَأَعْلِهِ إِلَى الْعُلَا وَأَرْقِهِ	حليمة السعدية	مشطور الرجز	308
53.	لَقَدْ وَجَدْتُ الموْتَ قَبْلَ ذَوْقِهِ	إِنَّ الجبَانَ حَتْفُهُ مِنْ فَوْقِهِ	عمرو بن أمامة	الرجز	69
	حرف الكاف				
54.	يَا ذَا الْكفَيْنِ لَسْتُ مِنْ عبادِكَا	مِيلَادُنَا أَقْدَمُ مِنْ مِيلَادِكَا	الطفيل بن عمرو	الرجز	516
55.	دُونَكَ كَلْبًا سَادِكًا مُبَارَكَا	يَصِيدُكَ الْأَوَابِدَ الْبَوَارِكَا	هاتف من الصنم	الرجز	302
	حرف اللام				
56.	فَإِنْ يَقْتُلُونَا يَوْمَ حَرَّة وَاقِم	فَنَحْنُ عَلَى الْإِسْلَامِ أَوَّلُ مَنْ قُتِلْ	عَبْدُ الرَّحْمَنُ بنُ سَعِيد	الطوِيل	45
57.	وَنَعْلٍ خَضَعْنَا هَيْبَةً لِجَلَالِهَا	وَإِنَّا مَتَى نَخْضَعْ لَهَا أَبَدًا نَعْلُو	عبْدُ اللهِ بنُ الحُسَيْنِ الْقُرْطُبِي	الطوِيل	473
58.	أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً	بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيل	بلال بن رباح	الطويل	68
59.	يَا مُنْشِدًا فِي رَبْعِ رَسْمٍ خَالِي	وَمُنَاشِدًا لِدَوَارِسِ الْأَطْلَالِ	أبو اليمن بن عساكر	الكامل	472
60.	قُرْبُ الدِّيَارِ يَزِيدُ شَوْقَ الْوَالِهِ	لَا سِيَّمَا إِنْ لَاحَ نُورُ جَمَالِهِ	أبو اليمن بن عساكر	الكامل	136
61.	لِمَبْعَثِهِ فِي كُلِّ جِيلٍ عَلَامَةٌ	عَلَى مَا حَكَتْهُ الْكُتْبُ مِنْ أَمْرِهِ الْجَلِي	ابن جابِر	الطوِيل	232

الشطر الأول	الشطر الثاني	الشاعر	البحر	الصفحة
62. لَا تَغْرُبِي يَا شَمْسُ حَتَّى يَنْتَهِي	مَدْحِي لِآلِ الْمُصْطَفَى وَلِنَجْلِهِ	أبو المظفر الواعظ	الكامِل	680
63. ومَوْطِئ إِبْرَاهِيمَ فِي الصَّخْرِ رَطْبَة	عَلَى قَدَمَيْهِ حَافِيًا غَيْر نَاعِلِ	أبو طالِب	الطّوِيل	464
64. تَوْرَاةُ مُوسَى أَتَتْ عَنْهُ فَصَدَّقَهَا	إِنْجِيلُ عِيسَى بِحَقٍّ غَيْرِ مُفْتَعَلِ	الشقراطسِي	البسِيط	232
65. أَنْتَ الشَّفِيعُ وَآمَالِي مُعَلَّقَةٌ	وَقَدْ رَجَوْتُكَ يَا ذَا الْفَضْلِ تَشْفَعُ لِي	السمهودِي	البسيط	143
66. كُلُّ امْـرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ	وَالموْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ	الرجز	حكيم بن الحارث	68
67. أَتَيْنَاكَ وَالْعَذْرَاءُ تَدْرِي دُمُوعَهَا	وَقَدْ شُغِلَت أُمُّ الصَّبِيِّ عَنِ الطِّفْل	أعرابِي	الطّوِيل	431
68. ضَاءَتْ لِمَوْلِدِهِ الآفَاقُ وَاتَّصَلَتْ	بُشْرَى الهَوَاتِفِ فِي الإِشْرَاقِ وَالطّفلِ	الشقراطسِي	البسِيط	275
69. ارْحَلْ إِلَى يَثْرِبَ ذَاتِ النَّخْلِ	وَسِرْ إِلَيْها سَيْرَ مُسْتَقِلّ	هاتف	الرّجز	296
70. وأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ	ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ	أبو طالِب		322، 429، 431، 433، 447
71. دَعَوْتَ لِلْخَلْقِ عَامَ الْمَحْلِ مُبْتَهِلًا	أَفْدِيكَ بِالْخَلْقِ مِنْ دَاعٍ وَمُبْتَهِلِ	الشقراطسِي	البسِيط	443
حرف الميم				
72. يَا أَيُّهَا الرَّاقِدُ فِي اللَّيْلِ الْأَحَمّ	قَدْ بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا فِي الْحَرَمْ	هاتف	الرجز	325
73. شَهِدْتُ عَلَى أَحْمَدَ أَنَّهُ	رَسُولٌ مِنَ اللهِ بَارِي النَّسَمْ	تبع الأوّل	المتقارب	95
74. هَذَا الذِي لَا يَتَّقِي فَقْرًا إِذَا	أَعْطَى وَلَوْ كَثُرَ الْأَنَامُ وَدَامُوا	ابن جابر	الكامل	452
75. بِوَصْفِ حَبِيبِي طَرَّزَ الشِّعْرَ نَاظِمُهْ	وَنَمْنَمَ خَدَّ الطِّرْسِ بِالنَّقْشِ رَاقِمُهْ	ابن المرحّل	الطوِيل	473
76. فَأَصْبَحْتُ مَنْفِيًّا عَلَى غَيْرِ رِيبَةٍ	وَقَدْ كَانَ لِي بِالمكَّتَيْنِ مُقَام	نصر بن حجاج	الطوِيل	35
77. يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُهُ	فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكَمُ	أعرابِيّ	البسِيط	142
78. يَا أَيُّهَا الْهَاتِفُ فِي دُجَا الظُّلَمْ	أَهْلًا وَسَهْلًا بِكَ مِن طَيْفٍ أَلَم	أعرابي	الرجز	325
79. عَيْنِي جُودِي عَلَى عَبِيلٍ وَهَلْ يُرْ	جِعُ مَنْ فَاتَ بَعْضُهَا بِانْسِجَامِ	رجل من عبيل	الخفيف	80
80. أَلَم تَرَنِي مِنْ بَعْدَ هَمٍّ هَمَمْتُهُ	بِفُرْقَةِ خَيْرِ الْوَالِدَيْنِ كِرَامِ	أبو طالب	الطوِيل	349
81. يَا أَيُّها النَّاسُ ذَوُو الْأَجْسَامْ	مَا أَنْتُمْ وَطائِش الْأَحْلَام	هاتف	الرجز	506

	الشطر الأول	الشطر الثاني	الشاعر	البحر	الصفحة
82.	بَارَكَ رَبِّي فِيكَ مِنْ غُلَامِ	يَا ابْنَ الذِي مِنْ حوْمَةِ الْحمَام	آمنة بنت وهب	مشطور الرجز	315
83.	يَا أيُّها النَّاسُ ذَوُو الْأَجْسَامْ	ومُسْنِدِي الْحُكْمِ إِلَى الأَصْنَامِ	هاتف	الرّجز	297
84.	يُحْكَى حَدِيثُ النَّدَى وَالْبِشْرِ عَنْ يَدِهِ	وَوَجْهِهِ بَيْنَ مُنْهَلٍّ وَمُنْسَجِمِ	ابن جابر	البسِيط	453
85.	هَذَا أَخٌ لِي لَمْ تَلِدْهُ أُمِّي	وَلَيْسَ مِنْ نَسْلِ أَبِي وَعَمِّي	الشيماء	الرجز	308
86.	عَفَا جَانِبُ الْبَطْحَاءِ مِنْ آلِ هَاشِم	وَجَاوَرَ لَحْدًا خَارِجًا فِي الغَمَاغِمِ	آمنة بنت وهب	الطوِيل	268
87.	خَلِيلَيَّ هُبَّا طَالَ مَا قَدْ رَقَدْتُمَا	أَجدّكُمَا مَا تَقْضِيَانِ كَرَاكُمَا	قس بن ساعدة	الطويل	326
	حرف النون				
88.	تِلْكَ الدِّيَارُ التِي قَلْبُ المحِبّ لَهُ	شَوْقٌ إِلَيْهَا وَتذْكَارٌ وَأَشْجَانُ	أعرابي	البسِيط	135
89.	الحَمْدُ للهِ الذِي أَعْطَانِي هَذَا الْغُلَامَ الطَّيِّبَ الْأَرْدَانِ		عبد المطلب	الرّجز	288
90.	إِمَّا سُئِلْت فَإِنَّا مَعْشَرٌ نُجُبٌ	الْأَزْدُ نِسْبَتُنَا وَالماءُ غَسَّانُ	عبد المطلب	البسِيط	88
91.	أَمَّا الْحَرَامُ فَالْمَمَاتُ دُونَهُ	وَالْحِلُّ لَا حِلَّ فَأَسْتَبِينَهُ .	عبد الله بن عبد المطلب	الرجز	251
92.	تَبْكِي الْفَتَاة الْبَرَّة الْأَمِينَة	ذَات الْجَمَالِ الْعَفَّة الرّزِينَة	صوت من الجنّ	مشطور الرّجز	315
93.	أَلَا تِلْكُمُ الْأَنْصَارُ تَبْكِي سُرَاتَهَا	وَأَشْجَع تَبْكِي مَعْقِلَ بنَ سِنَان	عبد المطلب	الطوِيل	44
94.	تَبِعْتُ رَسُولَ اللهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى	وَخَلَّفْتُ قِرَاضًا بِدَارِ هَوانِ	أبو رياب	الطويل	304
95.	أَصَمُّ أَمْ يَسْمَعُ عِطْرِيفُ الْيَمَن	أَمْ فَادَ فَإِن لمَّ فِي شَأْوِ الْعَنَن	عبد المسِيح	الرّجز	249
	حرف الهاء				
96.	تَأَمَّلْ حِرَاءَ فِي جَمَالِ مُحَيَّاهُ	فَكَمْ مِنْ أُنَاسٍ مِنْ حُلى حُسْنِهِ تَاهُوا	المرجاني	الطويل	400
	حرف الياء				
97.	فَدَعَا جَمِيعَ الرُّسلِ كُلًّا باسمِهِ	وَدعَاكَ وحْدَكَ بِالرَّسُولِ وَبِالنَّبِي	غير معين	الكامل	188

4–فهرس الكلمات الغريبة

الكلمة الغريبة	الصفحة
الْأَثْلُ	70
أجمة	250
أَخْلَاسهَا	295 ,293
أَذْلَقَتْهُ	290
أُغَيْلِمَةٌ	322
الْأَقْيَالِ	296
الْمِغْفَر	325
أَوْخَمُ	704
بَكَرَاتٍ	328
تجلد	285
تدْهَلُ	288
تَشْخَبُ	287
تهينمونَ	299
الْجَسَّاسَةِ	74
الحبَاءَ	91
حَصبْنهُ	370
الْحُمْس	293
خَلَّقَتْ	362
دَجْنٍ	322
رَوْبَى	76
زِنْبِيلٌ	129
سَاجٌ	73
سَرَقَةً	314
سَشُوصٍ	682
سَغَبٌ	297
الشَّبَر	299
شَجِيرٌ	299
الصَّماةُ	147
صَوَاف	580 ,42
الضُّرَاح	621
الطِّنِّفِسَةِ	127
عَائِف	327
الْعَبِيرِ	328
عَضْبَاءَ	297
غُمْصا	323
فُسْطَاطَهُ	74
قَعودًا	668
القِلَاص	293
قَلُوصًا	668
لَحَدَ	81
لِقَاحٍ	300
المدق	302
المِظَلَّةِ	327
نَجْلٌ	70
النَّجِيبِ	325
نزَقٌ	91
هجَّرتُ	375
وَشَلٌ	515
وَضَم	284
وطب المخيضِ	286
يَبِصُّ	328
يَتَزَوَّى	296
يزْبرُونَ	299

5-فهرس الأعلام

العلم	الصفحة
ابنِ أُبَيّ	104
ابنُ أَبِي الخِصَالِ	129
ابنُ أَبِي الدُّنْيَا	109، 113، 543
ابْنِ أَبِي الصَّيْفِ	147
ابن أبي الفضل	622
ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ	151، 167، 572، 614، 620، 655، 394، 579، 629، 632، 634
ابن أبي حاتم	407، 425، 516، 517، 522، 561، 567، 568، 569، 595، 618، 630، 636، 640، 644، 657، 674
ابن أبي خيثمة	332، 420، 450، 268، 688، 694
ابن أبي ذيب (محمد بن عبد الرحمن)	161، 145
ابنِ أَبِي شريف المقْدِسِيّ	184
ابنُ أَبِي شَيْبَةَ	128، 207، 384، 456، 508، 527
ابن أبي عاصم	382
ابْنِ أَبِي عمرة	161
ابْنِ أَبِي فُدَيْك	142، 145، 439
ابنِ أَبِي نَجِيحٍ	186
ابن إسحاق	92، 93، 266، 267، 278، 365، 403، 411، 418، 447، 457، 496، 513، 517، 518، 519، 523، 537، 573، 586، 611، 659، 667، 322، 328، 349، 354، 356، 368، 370، 388، 393، 426، 499، 503، 504، 505، 518، 552، 584، 674، 403، 518، 524، 68، 455، 502، 509، 514، 521، 537، 550، 561، 585، 610، 620
ابْنُ إِسْحَاق بن مَنْصُور	654
ابن الأثير (مجد الدين)	369، 75، 467، 662، 663، 692
ابن الأعرابيّ	468
(ابن) البارزِي (هبة الله)	114، 547
ابن التّين (أبو محمَّد عبد الواحد)	408
ابن الجوزي	31، 32، 49، 50، 75، 107، 121، 160، 162، 192، 167، 254، 278، 396، 413، 479، 531، 579، 647، 677، 332، 416، 463، 478، 454، 475، 488، 647
ابن الحاج (محمد بن محمد بن محمد العبدري)	167، 471
ابن الحاج الأندلسي	471
ابن الحاجب	377، 388، 485
ابن الحنفيّة	110، 196، 453
ابْنُ الزُّبَيْرِ (أبو الزبير)	216
ابنِ الزُّبَيْرِ (عبد الله)	43، 45، 157، 158، 562
ابن السّبكي (عبد الوهاب بن علي)	485، 486
ابْنُ السَّكَن	106
ابن السّكّيت	567
ابن الصّلاح	460، 677

العلم	الصفحة
	332، 394، 417، 423،
ابن العربي	437، 438، 529، 553، 622
ابن القَاسم	118
ابن القطّان	372، 373، 534، 535، 536، 684
ابن القيّم	383، 554، 642
ابن الكوّاء	635
ابن الماجشون	437
ابن الْمَدِيني	461
ابن المرابط	388، 528
ابن المرحّل (شهاب الدين)	351
ابْنُ المرَحِّل (مالك)	473
ابن المسيّب (سعيد)	44، 60، 145، 116، 382، 418، 496، 497، 117، 452، 588، 662، 663
ابْنُ المنكدر	147
ابنُ المنَيِّرِ (زين الدين)	53
ابن المنيِّر (ناصر الدين)	410، 584، 589، 600، 601، 602، 614، 616، 622، 623، 626، 631، 634، 700
ابن الموَّاز	131
ابْنِ المؤَيِّد الْحَمَوِي	79، 196
ابنُ النَّجَّارِ	36، 61، 75، 76، 110، 114، 121، 166، 171، 173، 465
ابن النّقيب الحنفيّ	550
ابن الهايم	351
ابن برّي	392
ابن بشكوال	474، 499

العلم	الصفحة
ابن بَطَّال	157، 164، 424، 618، 622، 657، 681، 688
ابن تيميّة	113، 145، 161، 458، 557، 678
ابن جابر (الأندلسي)	232، 452، 453، ، 452، 453
ابن جريْج	110، 362، 416، 422، 663
ابن جرير	384، 418، 561، 567، 568، 569، 575، 584، 593، 595، 607، 611، 616، 640، 644
ابنُ حِبَّان	53، 51، 56، 60، 78، 109، 110، 115، 155، 157، 162، 165،163، 186، 192، 313، 332، 352، 410، 418، 436، 451، 471، 497، 516، 517، 526، 529، 533، 569، 585، 589، 603، 639، 651، 691
ابْنُ حَبِيبٍ (عبد الملك)	113، 132، 139، 141، 366، 367، 370، 382، 383، 394، 401، 412، 422، 423، 443، 446، 459، 498، 505، 554، 103، 110، 159، 167، 268، 317، 332، 368، 414، 415، 419، 420، 465، 466، 469، 475، 476، 479، 484، 489، 509، 510، 520، 522، 549، 573، 579، 620، 680، 699
ابْنُ حَجَر	

العلم	الصفحة
	89، 96، 99، 101،
ابْنُ حَزْم	158، 168، 278، 546،
	547، 576، 662
ابن خالويْه	26، 689
ابن خزيمة	3، 170، 442، 521،
	528، 608، 653
ابن خطيبِ الأندلس (لسان الدين)	182
ابن خُويز منداد	545
	316، 455، 460، 474،
	548، 562، 574، 579،
ابن دحية	586، 589، 599، 602،
	612، 614، 623، 625،
	663
ابن دريد	310، 391، 520
ابنُ دقيق العيد	171، 657
ابن رجب	188، 203
ابن رشْد	148، 155
ابنُ رُشَيد	374
	23، 60، 61، 65، 67،
	69، 70، 75، 76، 77،
ابنُ زَبَالَةَ	81، 83، 84، 90، 98،
	99، 134، 149، 167،
	172، 165، 166، 173
ابن سبع	275، 365، 429، 462،
	463
ابنُ سُرَاقَةَ	126
	205، 417، 468، 470،
	496، 497، 508، 510،
	516، 517، 518، 530،
ابن سعد	561، 564، 584، 610،
	695، 393، 419، 421،
	423، 453، 497، 517،
	518، 522، 660

العلم	الصفحة
ابن سنجر	507
ابن سيرِين	49
ابن شاهين	679، 690
ابن شبّة	24، 67، 72، 79، 81،
	122، 161، 160، 166،
ابْنِ صَيْفِيّ	75
ابن طُغْريد (بن طغرو بك)	206
ابن عادل	197
ابن عائذ	503، 571، 601، 631
	23، 43، 50، 66، 78،
	80، 109، 110، 113،
	130، 177، 179، 180،
	183، 193، 204، 205،
	209، 216، 237، 238،
	254، 255، 259،
	187، 199، 250، 260،
	269، 273، 276، 278،
	284، 289، 290، 311،
	324، 363، 382، 383،
	393، 397، 469، 484،
	527، 530، 550، 561،
ابن عبّاس	569، 577، 590، 601،
	605، 622، 633، 637،
	640، 643، 644، 649،
	659، 662، 667
	267، 277، 279، 291،
	309، 319، 328، 353،
	396، 400، 401، 413،
	415، 416، 418، 419،
	421، 422، 423، 424،
	425، 433، 435، 438،
	450، 463، 474، 476،
	486، 488، 489، 495،
	496، 497، 498، 500،

العلم	الصفحة
	501، 502، 504، 505،
	531، 533، 534، 546،
	549، 568، 584، 629،
	639، 647، 660، 663
	60، 169، 332، 361،
	362، 366، 382، 383،
	391، 422، 478، 485،
ابن عبد البرّ	491، 505، 524، 527،
	51، 119، 157، 158،
	364، 369، 417، 471،
	491، 510، 529، 662
	48، 147، 130، 172،
ابن عبد السّلام	188، 139
ابن عبد الْهادي	113، 145
ابن عجلان (محمد)	149
	53، 78، 107، 108،
ابنُ عَدِيّ	114، 162، 452، 475
	111، 115، 117، 121،
	145، 167، 172، 376،
	501، 429، 447، 450،
ابنُ عَسَاكِر	467، 498، 495، 504،
	505، 561، 584، 659،
	689، 696
ابن عطاء الله	195
ابن عطيّة (الأندلسي)	542، 590، 647
ابن عقيل الحنبلي	47، 162
	29، 39، 55، 56، 57،
	66، 75، 84، 106،
	107، 108، 117، 118،
	130، 133، 141، 145،
ابن عمر	146، 159، 160، 164،
	208، 256، 272، 276،
	374، 406، 414، 419،
	420، 427، 439، 449،

العلم	الصفحة
	450، 451، 470، 486،
	487، 489، 497، 504،
	505، 527، 532، 534
ابن فارس	455، 662
ابن فتْحُون	526
ابن فرحون	23، 151، 162، 167
ابن فورَك	536
ابن قانع	527، 561
ابن قتيبة	72، 91، 291، 350، 362، 662
ابن قدامة	111
	290، 316، 332، 379،
ابن كثير (اسماعيل)	456، 553، 603، 609، 610، 702، 704
ابْنُ كَجّ	124
ابن لَهِيعة	408
	74، 115، 158، 163،
	208، 418، 422، 438،
ابن ماجة	439، 448، 469، 497،
	500، 561، 607، 608،
	696، 702
ابن مالك (محمد)	214، 548، 615
ابن مجاهد (مجاهد)	479
ابن مخلد	475، 476
	484، 483، 490، 543،
	550، 561، 562، 569،
	575، 585، 586، 595،
ابن مَرْدويه	607، 636، 640، 643،
	644، 653، 658، 675،
	679
	115، 484، 486، 487،
ابن مسعود	488، 489، 527، 535،
	569، 570، 589، 593،

العلم	الصفحة
	598، 604، 607، 632، 633، 649، 653، 701، 111، 216، 535، 560، 682، 260، 290، 447، 454، 483، 485، 490، 589، 622، 632، 636، 260، 292، 318، 372، 407، 447، 484، 486، 490، 496، 497، 508، 527، 534، 561، 599، 632، 663، 682، 107، 332، 351، 366،
ابن مندة	368، 420، 526، 679، 689، 690، 691
ابن مهْدي (ابن مسدي)	30
ابن ميناء	42
ابن نافع (عبد الله)	157، 160
ابنُ هِشام	99، 349، 354، 356، 509، 512، 520
ابن وهب	695
أبو أحمد بن جَحْش	69
أبو إسحاق	418
أبو الأحوَص	418
أبو الأسود (الجمحي)	524
أبو الأسود (الدّؤلي)	72
أبو الأسود (يتيم عروة)	408، 517
أبو البَخْتَرِيّ	511، 512، 514
أبو الجوزاء	450
أبو الحسن العسقلاني	526
أبو الحسن الهاشمي	61
أبُو الحَسَنِ بنُ الضَّحَّاكِ	454
أبو الحُسين البصري	197
أبو الخيتَم	262
أبو الخير السَّخَاوِي	202

العلم	الصفحة
أبو الدَّرْدَاءِ	115، 117، 158، 377، 543
أبو الزّبيْر (محمد بن مسلم)	184
أبو الشّيخ	128، 129، 407، 408، 469، 470، 543، 639، 643
أبو الضُّحَى	448، 447
أبو الطَّاهر بنِ المخَلِّص	166
أبو العالية	385، 416، 423، 425
أَبو الْعَبَّاسِ أحْمَد بن عمر الْقُرْطُبِي	171،550، 577، 599، 682 631، 632، 593، 642، 656، 662، 692
أبُو العَبَّاس العَزَفِي	423
أَبُو العَبَّاسِ بنُ نَفِيس الضَّرِير	129
أَبُو الفَتْحِ الأَزدِي	109
أَبُو الْفُتُوحِ	109
أبُو الْفَرَجِ الأَصْبَهَانِيّ	518
أبو الفَضْلِ الْجَوْهَرِي	136
أبو القاسم سليمان الأَنْصَارِيّ	650
أبُو القَاسِمِ طَلْحَةُ	132
أبو القَاسم هبة الله	130
أَبُو اللَّيْثِ	133، 485
أبو الْمظفّر الْواعظ	680
أبو المعَلَّى الأَنْصَارِيّ	165
أبو المنذر الشَّرْقِي (الشرفي)	81، 89، 90، 91
أبو الوليد الباجي	47
أبو اليمن بن عساكر	107، 121، 145، 167، 472
أبو أمامة الباهليّ	467، 561، 608
أبو أُمامَة بنِ ثعْلَبة	165

العلم	الصفحة
أبو أُمَامَةَ بنِ سَهْلٍ	162
أبو أميّة بن المغيرة	359
أبو أَيُّوب الأَنْصَارِي	92، 118، 145، 49، 51، 149، 620، 659، 682، 128، 145، 152، 292، 324، 334، 337، 352، 353، 366، 375، 398، 433، 478، 531، 683، 118، 352، 367، 373، 375، 376، 562، 50، 67، 68،
أبو بكر	118، 132، 141، 276، 287، 469، 517، 561، 620، 648، 659، 664، 56، 68، 323، 337، 401، 620، 644، 660، 661، 682، 683، 685، 696، 68، 69، 117، 119، 141، 337، 353، 366، 367، 375، 398، 648، 659
أَبُو بَكْر الْأَثْرَم	145
أبو بكر التّاريخيّ	498
أَبُو بَكْرٍ بنُ أَحْمَد بنِ مُحَمَّد عبْدُ اللهِ بنُ الحُسَيْنِ الْقُرْطُبِي	473
أبو بكر بن الطّيّب	490
أبُو بَكْر بنُ المقْرِئ	106، 128
أَبُو بَكْر بنُ حَمَّاد	63
أبو بكر بن طاهر الإشبيلي	292
أبو بكر بن عيّاش	418
أبو بكر بن محمّد	437
أَبُو بَكْرَة	119
أبو تمامة	331
أبو جبيلة	90، 91، 96
أبو جعْفر (المنصور)	130
أبو جعفر الباقر= محمد بن علي	
أبو جعفر الدَّاودي	170، 441
أبو جَعْفَر الْعُقَيْلِي	108، 110
أبو جعفر الميَّانِشِي	374
أبو جَعْفَر بنِ مُحَمَّد بنِ رَكانةَ	524، 526
أبو جهل= أبو الحكم بن هشام= عمرو بن هشام	332، 391، 410، 487، 488، 492، 493، 494، 495، 496، 497، 498، 505، 506، 511، 512، 514، 527، 539، 555، 659، 667، 697
أبو حَاتِم	53، 110، 401، 561، 569، 572، 605، 607، 608
أبو حارِثَة (ابن عمرو مزيقيا)	86
أَبُو حَازِم	148
أبو حبة (الأنصاري)	663
أبو حنيفة	118، 120، 133، 132، 245، 434، 437، 277، 390
أبو حيّان (الأندلسي)	332
أبو داود (السجستاني)	78، 111، 471، 165، 425، 427، 436، 446، 449، 469، 479، 480، 524، 526، 528، 577، 639، 640، 642، 676، 699
أَبُو دَاود الطَّيَالِسِي	108، 389، 487، 701
أبو دجانَةَ	101

العلم	الصفحة
	38، 191، 192، 313، 373، 375، 376، 469، 617، 158، 310، 311،
أبو ذَرّ الغفاري	377، 561، 564، 566، 572، 577، 611، 613، 617، 633، 643، 652، 653
أبو ذرّ الهَروِي	56، 118، 132
أبو ذِيب	145
أبو رافع	528، 693
أبو رزين العقيلي	199
أبو رياب	302، 303
أبو زُرْعة	461
أبو زيْد الْأنصاريّ	105، 691
أبو سعيد (الخركوشي)	362، 368، 432، 705
	49، 55، 98، 122، 154، 164، 186، 408، 427، 428، 604، 616، 618، 156، 183، 552، 561، 566، 567، 568،
أبو سَعِيد الخدري	569، 586، 587، 592، 595، 605، 610، 611، 612، 617، 620، 621، 631، 633، 637، 640، 644، 646، 650، 651، 655، 698
أبو سعيد السَّمْعَانِيّ	122
أبو سَعِيد المتولِّي	196
أبو سعيد المقْبرِي	163
أبو سعيد بن المعلّى	419
أبو سَعِيدٍ مَوْلَى المهْرِي	55
أَبُو سَعِيد، مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ	691
أبو سفيان	337، 439، 447، 448، 449، 624

العلم	الصفحة
أبو سفيان بن الحارث	527
أبو سلمة المخزوميّ	332
أبو سَلَمَةَ بن عبد الرحمن	399، 562، 597
أبُو سُلَيْمَان الشَّاذُلِي	129، 136، 138، 156، 159
أبو شامة= عبد الرحمن بن إسماعيل	395، 554
أبو صعصعة	652
	262، 322، 352، 355، 370، 371، 447، 514، 539، 268، 290، 321، 323، 327، 348، 349،
أبو طالب	350، 353، 355، 359، 363، 364، 365، 367، 429، 431، 432، 464، 508، 509، 510، 512، 539
أبو عَامِر الفاسق	29
أبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدُ اللهِ المقْبرِي	111
أبُو عَبْدِ اللهِ الحليمِي	185
أبو عَبْدِ اللهِ السَّامِرِي الْحَنْبَلِي	131
أبو عبَيد	368، 440
أبو عُبَيْدَةَ (معمر بن المثنى)	23، 421، 689
أبو عبيدة بن الجرّاح	456، 457
أبو عبيْدة بن عبد الله بن مسْعود	619، 645
أبو عُبَيدةَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ يَاسِر	81
أبو عَلْقَمَةَ	124
أبو عَلِيّ الخَالِدِي	188
أبو عليّ بنُ خَيْران	706

العلم	الصفحة
أبو عمْرَانَ	124
أبو عمرو (أبو عامر)	29، 104، 204، 234،
الرّاهب	235، 624
أبو عوانة	418، 441، 442
أَبُو غَسَّان (صاحب مالك)	24، 172
أبو قتادة (السلمي)	67
أبو قلابة	71، 384
أبو لهب	510
أبو لَيْلَى	95، 114، 562
أبو مالك (غزوان الغفاري)	549، 311، 401
أَبُو مُحَمَّد الإِشْبِيلِيّ	22، 129
أبو محمّد الشُّقراطسي (الشقراطيسي)	232، 443،
أبو مُحَمَّد بنِ أَبِي زَيْدٍ	125
أبو مخلد	150
أبو مسلم الخولاني	696
أبو معشر البلخي	280
أبو معمر	485، 486
أَبُو مَنْصُور البَغْدَادِيّ	115
أبو مُوسَى الأَشْعَرِيّ	399، 649
أبو مُوسَى الأَصْبَهَانِي	132، 143
أبو نبَاتَةَ	146
أبو نعيم	187، 203، 216، 279، 337، 351، 365، 380، 392، 402، 412، 460، 484، 488، 495، 496، 497، 502، 503، 504، 505، 506، 526، 533، 561، 577، 578، 593، 604، 682، 689، 690، 695، 696، 698، 699، 704
أبو نهِيك	691

العلم	الصفحة
أبو هالة (النباش بن زرارة)	361، 368، 369، 370، 689
أبو هُرَيْرَةَ	39، 40، 41، 55، 67، 83، 109، 86، 112، 160، 169، 257، 259، 296، 297، 464، 469، 517، 650، 663، 685، 164، 198، 203، 207، 208، 209، 256، 353، 438، 464، 467، 468، 469، 471، 493، 516، 520، 521، 561، 571، 639 111، 112، 160، 162، 163، 164، 183، 275، 324، 464، 467، 469، 475، 477، 517، 520، 521، 530، 569، 570، 571، 593، 597، 599، 601، 602، 607، 616، 619، 620، 621، 633، 634، 635، 636، 644، 646، 660، 675، 678، 679، 684، 703، 705
أبو واقد اللَّيثي	165
أبو وائل	216
أبو وجزة	444
أبو يزيد البسْطامي	195
أبو يعلى (الموصلي)	24، 74، 114، 123، 156، 164، 191، 332، 452، 461، 533، 561، 575، 584، 592، 597، 599، 607، 616، 640،

العلم	الصفحة
	650، 651، 659، 661، 692
أَبُو يَعْلَى الحَنْبَلِيّ	405
أبو يَعْلَى الهمَدَانِي	198
أبو يوسف (تلميذ أبي حنيفة)	437
الأَبُوصِيرِي	213
أبيّ بن كعب	102، 234، 522، 643
أبِي عَطَاء (ابن عطاء)	187
	28، 66، 67، 88، 94، 141، 156، 176، 192، 193، 197، 204، 215، 216، 217، 221، 222، 224، 227، 233، 241، 266، 271، 272، 273، 277، 318، 322، 336، 344، 345، 356، 363، 371، 384، 388، 389، 403، 411، 421، 447، 464، 546، 563، 567،
إبراهيم (عليه السلام)	569، 578، 588، 592، 597، 605، 606، 609،617، 618، 622، 625، 628، 640، 641، 645، 648، 651، 656، 665، 696، 697، 202، 234، 237، 267، 287، 331، 332، 333، 559، 568، 571، 572، 593، 601، 607، 620، 621، 626، 629، 630، 647، 650، 694، 695
إبْرَاهِيم ابنِ رَسُولِ اللهِ	151

العلم	الصفحة
إبراهيم الجيلي	308
إبراهِيمُ الْحَرْبِيّ	132، 419، 353، 662
إِبْرَاهيم بن بشار	114
أبْرهة	261، 263
أَحْمَدُ بنُ إِبْرَاهِيمَ الإِسْمَاعِيلِي الجرجاني	393
أَحْمَد بن حنبل	63، 133، 145، 47، 57، 58، 60، 67، 71، 72، 73، 74، 77، 79، 107، 111، 118، 122، 146، 154، 162، 164، 439، 527، 654، 691، 157، 172، 198، 199، 202، 203، 213، 384، 407، 437، 449، 366، 382، 406، 419، 438، 444، 463، 466، 471، 478، 487، 489، 497، 528، 531، 561، 569، 573، 589، 601، 603، 605، 607، 640، 644، 653، 659، 660، 663، 675، 678، 687، 691، 692، 694، 698، 111، 413، 415، 418، 422، 424، 435، 441، 448، 653
أَحمد بن سَعيد الهندي	145
أحمَد بن صالِح الْمصري	676
أحمد بن عبد الصمد الخزرجِي، القرطبِي	220
أَحمد بنِ عُبَيد بنِ ناصح	184
أَحْمد بن عُمر	210
أحمد بن قاسم بن أحمد	337

العلم	الصفحة
أُحَيْحَةُ	92
أحيحةَ بن الجلّاح المحجبي	96
أختُ مالِك بنِ العجلانِ	90
أَخْنوخ	192
إدريس (عليه السلام)	191، 197، 276، 411، 563، 568، 609، 610، 617، 622، 624، 627، 628، 644، 675، 693
آدم (عليه السلام)	3، 49، 130، 176، 177، 180، 183، 184، 192، 197، 201، 202، 203، 204، 205، 227، 234، 237، 254، 255، 256، 257، 258، 271، 273، 276، 280، 336، 346، 452، 542، 606، 610، 611، 615، 616، 617، 619، 622، 623، 628، 629، 638، 669، 692، 105، 115، 127، 175، 176، 179، 182، 186، 191، 200، 206، 214، 215، 238، 239، 252، 259، 260، 278، 285، 335، 388، 404، 411، 416، 427، 546، 562، 566، 567، 593، 595، 597، 609، 618، 626، 635، 638، 658، 693
الأَذْرَعِيّ (إسحاق بن إبراهيم)	147
الأَرْقم (ملك الجبابرة)	80، 82
الأرقم بن أبي الأرقم	156
أرمياء	588
الأَزْرَقِي	88
أسامة بن زيد	167، 173، 534
أسامة بن زيد بن أسلم	499
أسباط بن نصر	447
إسحاق (عليه السلام)	221، 271، 272، 336، 361، 370، 389، 411، 418، 441، 442، 489، 520، 578
إِسْحَاقُ بنُ إِبْراهِيمَ الفَقِيهُ	119
إسحاق بنِ عبد اللهِ بن أبِي طلحةَ	442
إسحاق بن يسار	523
الأَسَدُ بنُ الغوت	86
إسرائيل بن يونس بنِ أبِي إِسْحَاق	468
الإسكندر	280
أسْماء بنت عميس	676، 694
إسماعيل (عليه السلام)	86، 91، 147، 219، 220، 221، 222، 224، 225، 231، 232، 234، 255، 256، 260، 271، 272، 322، 331، 336، 344، 345، 363، 371، 421، 426، 447، 566، 573، 578، 580، 581، 588، 611، 665
إِسْمَاعِيلَ التَّيْمِي الإسنوي	146، 163، 172
الأَسْوَد (بن يزيد بن قَيْس)	120، 216،
الأسوَد العَنسي	219، 695
الأسود بن الحطّاب بن أسد	536

العلم	الصفحة
الأسود بن المطّلب	488، 537، 538
الأسود بن عبد يغوث	536، 537، 538
الْأَسْوَد بن قيْس	696
آسية	270
أُسَيد بن حُضَيْر	104، 698، 698
إشعْياء	223، 224، 225، 346
الأشموني	549
أَشْهَب (صاحب مالك)	157
الأصبحِي (محمد بن أبِي بكر)	126
أصحمة النّجاشي	261
الأَصْمَعِي	143، 287، 322، 688، 689
الأَصِيلِي (محمد عبد الله)	420
الأَعْمَش	448
أَفْلَحَ بنِ سَعِيد	103
الأَقْشهري	29، 153
إِلْيَاس (عليه السلام)	182، 238، 271،
إلياس بنِ مُضَر	259
إِلْيَاسُ بنُ يَاسِينَ	622
أمّ الدّرْداء	230
أُمِّ الْفَضْلِ (بنت الحارث)	379
أمّ أيمن (مرضعة الرسول ﷺ)	274، 314، 321، 323، 333، 559
أمّ بردة الأنصاريّة	333
أمّ حبيبة	119، 529، 693
أمّ خالد (بنت خالد بن سعيد)	459، 460
أمّ سلمة	274، 460، 481، 482، 529، 561
أُمّ عثْمان الثّقفيّة (فاطمة بنت عبد الله)	273
أمّ فروة (مرضعة الرسول ﷺ)	274، 333

العلم	الصفحة
أمّ كلْثوم (بنت رسول الله)	356، 362
أمّ هانئ	561، 573، 597، 658، 660، 661، 663، 664، 665، 675
الإِمَامُ الحَكَمِي (علي بن قاسم)	126
امْرأة مُعاذ بنِ عَفْراء	704
امْرؤ القَيْسِ بنِ مَالِكَ بنِ الأَوْسِ	97
آمنة	202، 251، 252، 263، 264، 265، 266، 267، 268، 269، 270، 271، 273، 274، 282، 287، 288، 315، 318، 321، 330، 333، 559
أميةَ بنَ حَرَام	99
أُمَيَّةُ بنُ خَلَف	68، 495
أُمَيّة بنت أبو الشّعثاء	690
أَنَس بن مالك	2، 26، 31، 102، 109، 110، 114، 118، 130، 134، 145، 162، 165، 191، 256، 276، 310، 311، 313، 321، 373، 376، 377، 382، 401، 410، 419، 420، 424، 430، 439، 440، 441، 442، 443، 445، 446، 451، 452، 455، 465، 469، 470، 475، 476، 486، 488، 489، 490، 502، 505، 523، 529، 530، 532، 534، 552، 554، 561، 562، 563، 564، 565، 567، 570،

العلم	الصفحة
	572، 574، 575، 576، 577، 583، 585، 586، 587، 590، 591، 592، 597، 598، 602، 605، 608، 611، 612، 617، 618، 620، 621، 628، 630، 633، 635، 643، 645، 651، 654، 657، 662، 663، 687، 688، 692، 695، 697، 698، 699
الأوزاعيّ	637
أَوْسِ بنِ أَوْس	115
الْأَوْسَ بنَ حارثَةَ بنِ ثَعلَبَة	88، 89، 103
أَوْسُ بنُ قَيْطِيّ	24
أُوَيْس القَرني	461
إياس	302
إياس بن معاذ الأشهليّ	425
أيدره	339، 340، 341
إيشاع	567
أيّوب (عليه السلام)	118، 220، 244، 271، 411
أيّوب الحموي	244
أَيُّوبُ السِّخْتِيَانِي	132
البَاجِي (أبو الوليد)	47، 149، 464
الباقلّاني	178، 185، 212
بحيرى	177، 322، 334، 348، 349، 350، 351، 352، 353، 360، 364، 365، 366، 367، 398
البُخَارِي	58، 59، 65، 68، 70، 72، 73، 77، 78، 162، 163، 176، 203، 207، 277، 313، 353، 354، 366، 372، 382، 388، 390، 398، 403، 406، 416، 418، 419، 420، 426، 427، 433، 439، 440، 441، 442، 445، 453، 448، 451، 455، 456، 457، 458، 459، 464، 469، 470، 471، 474، 475، 476، 486، 488، 489، 505، 510، 520، 521، 524، 529، 533، 535، 549، 552، 561، 564، 565، 566، 570،569، 572، 574، 576، 581، 582، 602، 611، 612، 617، 620، 622، 624، 633، 639، 640، 641، 643، 645، 660، 677، 680، 685، 687، 689، 690، 692، 694، 699، 703
بخت نصر	83، 241، 242، 588
البراء بن عازب	418
البَرَاءُ بنُ معْرُور	103، 425
بَرَّة (بنت أبي تَجراة)	380
برهادد	342
بريدة	318، 532، 534، 561، 603، 604
البزَّار	55، 59، 78، 79، 106، 115، 118، 156، 157، 158، 164، 187، 376، 418، 419، 454، 467، 469، 497، 498، 501، 505، 531، 532، 533،

العلم	الصفحة
	554، 561، 571، 577، 584، 599، 590، 593، 594، 597، 598، 601، 602، 603، 607، 611، 616، 619، 628، 633، 640، 646، 650، 659، 660، 661، 689
بِشْرُ بنُ أَرْطَأَةَ	60
بشر بن البَراء بن معْرور	416، 419، 423
بشْر بن مُعاوية	689
	497، 499، 522، 526،
البغوي	532، 533، 561، 564، 622، 680، 689، 691
بَغيضُ بنُ عَامِرِ بنِ هَاشِم	509
بَكْر بن عَبد الله	111
بكر بن وائل	324
البلاذري	119، 525
	68، 69، 117، 128،
بِلال	146، 352، 393، 454، 562
بِلال بنِ الحَارِثِ	128، 160، 450
بلْقيس	660، 668
البُلقيني	177، 404، 405، 557، 643
بنت رهم (أم سماعة بنت أبِي رهم)	315
بنت فرْعون	668
بوران (أخت سايور بن كسرى)	250
الْبُوَيْطِي (يوسف بن يحيَى)	120
البيضاوي	199، 388، 425، 557، 654، 674

العلم	الصفحة
	56، 70، 109، 111، 105، 112، 114، 115، 128، 127، 159، 202، 207، 267، 383، 429، 439، 466، 474، 475، 484، 486، 505، 532، 533، 546، 561، 568، 569، 570، 590، 591، 662، 650، 687، 690، 691، 162، 183، 184، 198، 216، 365، 366، 376، 377، 384، 385، 397، 448، 466، 467،
البيهقي	474، 481، 482، 484، 487، 489، 497، 501، 521، 524، 532، 541، 546، 561، 566، 567، 569، 577، 585، 587، 593، 594، 595، 597، 598، 602، 603، 604، 607، 610، 611، 612، 616، 618، 619، 621، 628، 631، 633، 634، 636، 640، 644، 646، 650، 653، 655، 658، 691، 698، 699
التَّادلِي	34
تُبَّع الأَصْغَرَ (الأخير)	91
تُبَّعٌ الأَوَّل (تبَان أسعد بن كُلك)	83، 92، 93، 94، 95، 234، 320، 321، 331
التجانِي	362
التّرمذي	66، 127، 154، 176، 198، 203، 208، 312، 349، 352، 406، 407،

العلم	الصفحة
	418، 435، 449، 452، 454، 463، 469، 470، 471، 481، 487، 497، 524، 526، 527، 528، 532، 533، 561، 569، 585، 603، 621، 638، 642، 643، 644، 645، 689، 688، 691، 692، 702
التّفتازاني	184، 551
التّلمسانيّ (محمد بن أحمد)	621
تميم الدَّاري	230
تيْمُ اللهِ بنُ ثَعْلَبَة	103
التّيْمي (سليمان بن طرخان التيمي)	391، 398، 410
ثابت (السرقسطي)	690
ثابت البناني	310، 446، 470، 552، 563، 567، 570، 583، 598، 605، 617، 620، 653، 699
الثَّعَالِبِي	524
ثعْلب	229
ثَعْلَبَةُ العَنْقَا بنُ عمرو مزيقيا	86، 88
ثَعْلَبَةَ بنِ طريف	68، 101
ثعلَبَةُ بنُ عمرو	87
ثَمُودَ	80
ثوْبان	683
ثُوَيبة (مرضعة الرسول ﷺ)	274، 332
جابر بن زيْد	421
جابر بن سمرة	363، 372، 374، 466، 530، 686

العلم	الصفحة
جابر بن عبد الله	37، 60، 71، 79، 81، 159، 138، 164، 165، 188، 184، 201، 202، 206، 216، 253، 372، 397، 399، 453، 454، 457، 438، 457، 531، 533، 534، 561، 660، 663، 674، 675، 678،
جابِر بنِ عبْدِ اللهِ بنِ عَمْرو	99
جَابِر بنِ عَتِيك	99
جابر بن يزيد الجعفِيّ	110، 468
جاثِق بنِ إِرَمَ بنِ سامَ	80
الجاحظ	324
جبلة بن الأيهم الغسّاني	334
جبيْر بن مطْعم	278، 382، 484، 487، 489، 661
جديس	80
جديمة بن الأَبْرَش	87
الجرجاني (علِي بن محمد)	211
جرجيس (جرجيسا)	351، 364، 626
جشم (بن الخزرج بن حارثة)	89
جعْفر بن أبي طالب	574، 576، 694
جعفر بن محمّد (الصّادق بن الباقر)	118، 173، 187، 256، 269، 373، 401، 438، 566، 611، 649
جعونَة بن نضْلة	240
جفنة بنِ عمرو مزيقيا	86، 90
جُلهَمَةَ بن عُرفُطَة	322، 447
جميل بن معمر بن حبيب	504
جنَاح النّجّار	166
جندب بنَ عَمْرو بنِ حممة	520

العلم	الصفحة
الجَنَدِي (المفضل بن محمد)	53، 54، 55، 59، 65، 67
جودان بن يحيى	298
الجوهري	210، 443
جويرة بن أشرس	461
جُوَيْرِيَّة (زوج الرسول ﷺ)	529
جُوَيْرِيَةَ بنِ أَسْمَاء	43
الحارِث (بن الخزرج)	89
الحارِث (بن النباش بن زرارة)	361
الحارث (بن عبد المطلب)	261، 268، 352،
الحارث (بن عمرو مزيقيا)	86
الحارث بن أبو أسامة	531، 577، 589
الحارث بن أسَد الْمحاسِبِي	542
الحارث بن الطلاطلة	537
الحارث بن قيْس	538
الْحارِث بنَ كلدة	78
الحارِثُ بنُ هِشام	505
حَارِثَةَ بنِ ثعلَبَةَ بنِ عمرو	88
حَاطِب بن أبي بلتعة	109، 705
حاطِب بنِ قَيْس	97، 103
الحاكم	49، 51، 74، 79، 115، 127، 176، 183، 193، 303، 206، 165، 202، 406، 413، 418، 423، 438، 449، 484، 497، 524، 526، 527، 532، 546، 561، 607، 597، 603، 608، 659، 688، 689، 693، 691، 698، 701
الحاكم التّرمذي	543
الحُبْلَى (مالِكُ بنُ سالم)	99
حبيب بن الشّهيد	366
الحَجّاج (بن يوسف)	261، 281، 282، 460
الْحِجَازِيّ (أبو عبد الله)	462
حُذيْفة	644
حُذيْفة بنِ أسيد بنِ خَالِد الْغِفَارِي	693
حُذَيفَةَ بنِ الْيَمَانِي	484، 496، 561، 589، 603،
الحرّ بن قيس بن حصْن بن حذيفَةَ	444
الحريريّ	548
حزقيال	223
حسّان بن ثابت	102، 275، 180، 199، 209، 237، 238، 417، 423، 454،
الحَسَن البَصْرِيّ	461، 485، 573، 584، 635، 663، 659، 390، 435، 460
الحَسَنَ بنَ الحَسَنِ	123
الحَسَنُ بنُ الطَّيِّبِ	107
الحَسَنُ بنُ زِيَاد	120، 133
حَسَن بن زَيْد	102
الحسنُ بن سفْيان	107، 692
الحَسَنِ بنِ عَرفَة	593، 604
الحسن بن عليّ	117، 362، 481، 550
الْحُسيْن (بن علي)	117، 481
الحسَين بنِ علوَان	184
حسيْن بن محمّد (الدياربكري)	359، 374، 393، 411، 662
حصنَ بنَ خالِد الرّقِي	101
حَصين بن نَمِيرٍ	45
حضير الكائِب (الكتائب)	104
حضير بنِ الأَسْلَت	103

العلم	الصفحة
حضير بنِ سَمَّاك	96
الْحَطَّاب (الرعيني)	706
حطاب بن الحارث الجمحِي	425
حَفْص	562
حفص (بن عبيد الله)	442
حَفْصُ بنُ أَبِي دَاوُد الْقَارِئ	106، 107
حفْصة (بنت عمر)	439، 529
الحكِيم التّرمذِي	49، 196، 463
حكيم بن حزام	510، 514
حليمة	274، 276، 304، 305، 306، 307، 309، 327، 328، 332، 333، 402، 576، 577، 579
الحليمي	144، 178، 194، 209، 484
حَمَّاد (بن سلمة)	699
حمّاد بن إسحاق	684
حَمَّاد بنَ زَيْدٍ	132
حَمْزَةَ	151، 332، 333، 356، 370، 495، 496، 503، 562، 574، 575، 576
حَمْزَةَ بنِ عَمْرو	699
الحَموِي (محمد بن المظفر)	441
حُمَيْد بنِ هِلال الْعَدَوِيّ	456
الحميدي	278
حِمْيَرَ	86، 333
حنَّة (زوج عمران)	567
حَنْظَلَةَ الْغَسِيلِ	104
حنْظلة بن حذْيم	691
حواء (عليها السلام)	176، 254، 255
حيقون	224
خارجة بن حصن الفزاري	439، 444

العلم	الصفحة
خَارِجَةَ بنِ زَيْد	61، 173
الخازن (علي بن محمد)	397
خالد بن الوليد	287
خالد بن سعد	636
خالد بن سنان	626
خالِد بنِ عَبْدِ اللهِ القشيري	286
خالد بن يزيد بن معاوية	425
خبّاب	495، 497، 501، 502، 503
خديجة (بنت خويلد)	290، 328، 354، 355، 356، 357، 359، 360، 361، 362، 363، 364، 365، 367، 368، 369، 370، 371، 380، 382، 387، 392، 393، 397، 398، 402، 411، 412، 452، 514، 647، 667
الخرائِطِي (محمد بن جعفر بن محمد)	89
الخزرجُ (بن حارثة بن ثعلبة)	88، 89
خزيمة بنِ حكِيم السُّلمِيّ	359
الخضر	132، 238
الخطّابي (أبو سليمان)	78، 166، 169، 388، 390، 405
خطر (بن مالك)	236، 237، 252، 293
الخطيب (البغدادِي)	316، 429، 675،
الخَطِيبُ بن جملة	146، 162، 167، 169، 170
خليدة (أُمَّ بِشْرِ بنِ البَرَاءِ)	423
الخليل (بن أحمد)	443، 689
خُنَافِر (بن التوأم)	29، 298، 299

العلم	الصفحة
خَنْتَمَةُ بنتُ هَاشِم	505
خولة بنت المنذر	275، 333
خُوَيْلد بن أسد	356، 362، 371
خيرة مولاة أمّ سلمة	460
خيزران	282
الخيضَري	613
الدّارقطنِي	105، 106، 108، 109، 119، 139، 361، 368، 369، 427، 438، 498، 500، 502، 505، 530، 554
الدّارمي	532
دانيال	225، 241، 242، 271، 337
دَاوُدَ (عليه السلام)	81، 192، 193، 220، 225، 222، 225، 226، 227، 228، 232، 234، 243، 245، 271، 272، 336، 339، 377، 378، 389، 390، 410، 417، 561، 585، 598، 226، 606، 607، 650، 681، 701
داود بن رشيد	526
الدّجّال	27، 31، 33، 35، 38، 58، 72، 73، 74، 197، 212، 607، 608
دحية الكلبيّ	337، 380، 404
الدَّرَاوَرْدِي	27، 167
الدّقاق	545
الدَّمَامِيني	53
الدّمياطي	332
دَوْس بنُ عُدثَان	517
الدّولابي	364، 382
الدّيلمي	160، 543، 693، 697
ذَرّ	682
الذَّهَبِي	110، 184، 276، 332، 475، 497، 647
ذو الشّراء	515
ذو القرنين	337
ذو الكفَّيْنِ	516، 517
ذؤَيْب بن كلَيْب	695
الذيّال بن عُبيْد	691، 692
الرّازي (التحتاني)	385
الرّاساني (محمد بن عبد الله)	168، 169، 171
الرَّبِيعُ	688
الرّبيع بن أنس	617، 632
الرّبيع بن حبيب	421
الرَّبِيعُ بنُ صُبَيح	435
ربيعة السّعديّ	497
رَبِيعةُ بنُ حارِثَةَ بنِ عَمْرو	88
ربيعة بن نصر	247، 248
رَجُلٍ مِنْ آلِ الخَطَّابِ	109
رَجُلٍ مِنْ آلِ حَاطِب	109
رَجُلٍ مِنْ آلِ عُمَر	108
رَزين	65، 75، 90، 463
رفاعة (بن زر)	97
رِفَاعَةُ بنُ عبْدِ الْعَزِيزِ	445
رقيّة (بنت رسول الله)	356
رقيّة بنت نوفل	250
رقيقة بنت صيفيّ	432
ركانة	522، 523، 524، 525، 526، 527
الرُّمَق بنُ زَيْدٍ	90
رَمْلَةَ بنْتِ الحَدَثِ بنِ ثَعْلَبَةَ	444
رئاب بن البراء الشّنّي	350
ريْحانة (سرية رسول الله)	529

العلم	الصفحة
زبيدة (زوجة هارون الرشيد)	283
الزُّبَيْرُ (بنُ الْعَوَّامِ)	401، 459، 461، 503
الزُّبير (بن عبد المطلب)	268، 322، 461، 562
	74، 86، 102، 130،
الزُّبَيْرُ بنُ بَكَّار	362، 368، 369، 383،
	392، 439، 450، 451،
	509، 526
الزَّجَّاج	413، 423
الزّرقاني	397، 378، 457، 510،
	600، 601، 618، 677
الزّركشي (بدر الدين)	178، 159، 366
زُرَيْبُ بنُ بَرْثَمْلا	240
الزَّعْفَرَاني	144
زَكَرِيَّاء (عليه السلام)	567
زكريّاء بن أبي زائدة	418
الزّمخشري	176، 392، 425، 467،
	558، 674
زمعة بن الأسود	512
الزّهري (محمد بن شهاب)	57، 278، 291، 351،
	361، 362، 370، 371،
	375، 386، 408، 416،
	422، 437، 452، 517،
	588، 617، 662، 663
زهيْر بن أبي أميّة	511، 512
زياد بن أبيه	119
زِيَادُ بنُ عبْدِ اللهِ	100
زَيْد بنِ أسْلَم	81، 33، 163، 450
زَيْدُ بنُ الحَارِثِ	98
زيْد بن ثابت	406، 407
زيد بن حارِثة	290
زيد بن عمرو بن نفيل	272، 321، 320، 331
زينب (بنت رسول الله)	356
زَيْنَب بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ	474
زينب بنت جحش	529

العلم	الصفحة
زيْنب بنت خزيْمة	529
سابور	249، 250
سالم (بن عبد الله العدوي)	106، 449
سَالم بن غنم	99، 106
السّائب بن يَزيد بن ثُمامة	691
سَبَأُ بنُ يشجُب	86
سِبَاع بنِ عُرْفُطَةَ الغِفَارِي	521
السُّبكي (تقي الدين علي بن عبد الكافي)	47، 48، 107، 121، 124، 125، 146، 130، 149، 171، 180، 205، 381، 547، 647
سحنون	277
السّخاوي	466، 479
السّدِّي (الكبير)	199، 254، 421، 425، 653، 658، 662، 673
سراقة (بن مالك)	284
سُرّق	292
السَّرُوجِي (أحمد بن إبراهِيم)	133، 145
سطيح	246، 247، 248، 249، 284، 285، 286
السَّعْدُ (التفتازاني)	182، 493
سَعْد (بن عبادة)	26، 101
سَعْدُ بنُ أَبِي سَرْحٍ	34
سعْد بنِ أَبِي وَقَّاص	66، 78، 164، 166، 240، 459، 499، 647، 687
سعد بن زيد	495
سعيد المُقبري	109، 470
سعيد بن أبو أُحَيحة	353
سعيد بن أبو عروبة	488، 529
سعيد بن جبير	209، 524، 649، 663
سعيد بن زيد	45، 500

العلم	الصفحة
سَعِيدُ بنُ مَنْصُور	150، 441، 549
سعيد بن يحيى	619
السّفّاح (أبو جعفر)	439، 440
سفيان الثّوري	111، 444
سفيان بن الحارث	524
سفْيان بنِ عُيَيْنة	186، 549
السّكران بن عمرو العامريّ	425
السَّلَم (بن امرئ القيس بن مالك)	97
سلمان (الفارسي)	319، 377
سليمان (عليه السلام)	81، 129، 188، 243، 244، 245، 246، 276، 336، 339، 378، 606، 607، 650، 680، 701، 702، 703
سُلَيْمانَ بنِ سَحِيم	114
سُلَيْمانَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ حَنْظَلَةَ الغَسِيلِ	81
سليمان بن مهران	485
سُلَيْمَان بنُ يَزِيد الكَعْبِي	110
سَمَّاك بنَ رافِع	96
السّمرقندي	276
سَمْعَانَ بنِ المهدِي	110
السّمعاني	170
سُمَيْر (من الأوس)	103
سَهْل بنِ أَبِي سَهْل	123
سهل بن سعد	459 163، 164، 561
سهل بنِ صالح الهمداني	203
سهْلَةُ بنتُ عاصِم	440
سهيل بنُ صالح الهَمَدَانِي	257
السّهيلي	260، 262، 277، 313، 316، 328، 349، 350، 355، 357، 368، 370، 371، 380، 390، 392، 394، 397، 403، 413، 417، 432، 474، 480، 498، 505، 509، 511، 524، 537، 553، 573، 579، 587، 588، 602، 603، 622، 623، 625، 655
سهيمة بِنْت عويمر	524
سواد بنُ قَارب	293، 294، 295
سوار (بن ميمون)	108
سوْدة (زوج رسول الله)	290، 529
سُوَيد بن أبي سعيد	353
سوَيد بن الصّامت	426
سُوَيْدُ بنُ عَبْدِ العَزِيزِ	157
سيبويه	21، 392
سَيْف (بن عمر التميمي)	128
سيف بن ذي يزن	247، 248، 249، 328، 330، 331
السّيوطي	268، 332، 384، 410، 424، 464، 475، 547، 654، 677، 678، 702
الشّاطبيّ	443
الشّافِعِي	149، 186، 390، 413، 437، 438، 541، 600، 652
شامول	234
الشّامِي (محمد بن يوسف)	379، 409، 584
شدّاد بن أوْس	267، 309، 561، 571، 585، 590، 602، 646، 661، 664
شُرَحْبِيلَ بنِ السِّمْطِ	439
شُرَحْبِيلُ بنُ حَسَنَة	71
شُرَيْح القاضي	389

العلم	الصفحة
شريك بن عبد الله	418، 442، 613، 615، 617، 618، 652
شصار	298، 299
شُعْبَة	485، 486، 489
الشّعبي	63، 205، 245، 258، 408، 409، 413، 414
الشّفاء (بنت عوف)	274
الشفاء (قابلة الرسول)	559
شقّ	211، 246
الشّنواني	213
شَيْبَانَ	489
شَيْبَةَ بنَ رَبِيعَةَ	68
شِيتَ	191، 192، 202، 239، 255، 271، 276
الشّيخ خالد (الأزهري)	375
شيرَويه	250
شيع	343
الشّيماء	308، 309، 366
الصّابوني	429
الصَّادِق بن البَاقِر= جعفر بن محمد	
صاعِد بن الْعلاء بن بشْر	689
صالِح (عليه السلام)	191، 271
صالح بن كيْسان	517
صغلَ	81
صفوان بن أميّة	452
صفِيّة بنت عبد المطلب	150، 333 529
الصَّيرفِيّ	545
الصَّيْمَرِيّ	706
الضّحّاك	86، 245، 545، 546، 637، 663
ضِرارُ بنُ قطبة	692
ضمرة	311، 553
الضِّيَاءُ الْمقدسي	651، 693

العلم	الصفحة
الطّاهِر (ابن رسول الله)	356
طَاهِرُ بنُ يَحْيَى	76، 166
طاوس= طاووس	180، 237، 238
الطَّبراني	28، 31، 52، 57، 60، 61، 160، 165، 521 63، 66، 72، 73، 74، 78، 79، 107، 127، 128، 158، 162، 106، 129، 155، 156، 157، 162، 163، 188، 332، 369، 376، 384، 407، 414، 418، 419، 454، 459، 469، 530، 531، 561، 568، 569، 571، 585، 599، 639، 641، 651، 658، 674، 675، 679، 687، 689، 692، 466، 505، 508، 561، 562، 573، 576، 585، 590، 593، 597، 598، 602، 621، 628، 639، 647، 661، 679، 687، 693،
الطَّبَرِي	54، 138، 162، 186، 207، 208، 350، 364، 371، 389، 400، 416، 421، 423، 424، 482، 489، 503 570، 575، 588، 620، 621، 634، 638، 646، 650، 662، 663

العلم	الصفحة
	159، 317، 420، 521،
الطّحاوي	528، 674، 676، 677،
	678، 680
طَرِيفَةُ الحِمْيَرِيَّة	86، 87، 88، 286
طَسم	80
طغريلُ (طغرو بك)	429
الطّفَيْل بن عمرو	514، 516، 520، 522
طلحة (بن عبيد الله)	401، 505، 506
طَلْحَةُ بنُ أبو طَلْحَةَ العَبْدَرِيّ	509
طلحة بن نافع	531
طليحة (الأسدي)	521
الطّيّب (ابن رسول الله)	356
عاتِكَة بنت عَبْدِ المطَّلِبِ	511
عَاد	80
العاصي بن وائل	488، 505، 537، 538
عامِر الرام	702
عامر الشَّعبِيّ	468
عامر العَاقِر	87
عامر بن خارجة بن سعد	431
عامر بن ربيعة	331
عامِرُ بنُ فهَيْرَةَ	68
عامِرُ بنُ مَالِك بنِ النَّجَّار	102
عائذ بنُ عَمْرو	689
عائشة (زوج رسول الله)	67، 183، 275، 280، 104، 316، 386، 411، 413، 435، 551، 688، 313، 318، 369، 383، 399، 402، 406، 408، 475، 476، 498، 505، 506، 528، 529، 550، 577، 647، 683، 166، 256، 372، 375، 387، 399، 403، 407، 408، 424، 427، 438، 497، 498، 647، 37، 50، 68، 78، 79، 157، 165، 170، 171، 316، 450، 458، 463، 471، 529، 561، 636، 659، 683، 36، 37، 79، 124، 130، 170، 183، 184، 399، 458، 683
عائشة بِنت سَعْد بنِ أَبِي وقَّاص	166
عَائِشَةَ بنْتِ يُونُس امْرَأَةِ اللَّيْثِ	107
عباد بن بشر	420، 698، 699
عبّاد بنِ تميم بنِ زَيْدٍ بنِ عَاصِم	436
عبّاد بنِ عبْد الصّمد	695
عبّاد بنُ كثير	216
عبَّاد بنُ نَصْر الأَنْصَارِي	420
عبّاد بنُ نَهِيك	420
عَبَّاد بنُ وَهْب	420
عُبادة بن الصّامت	198، 237، 254، 642
العبّاس (بن عبد المطلب)	55، 129، 130، 150، 256، 274، 308، 354، 373، 378، 379، 412، 428، 429، 450، 451، 455، 456، 481، 527، 562، 647، 696، 705
الْعَبَّاسُ بنُ عُتْبَةَ بنِ أَبِي لهَبٍ	451
العبّاس بن مِرداس	300
عبْدُ الحَقِّ الصِّقِلِّي	124، 125
عبد الحقّ ناصر الدّين بن المؤيّد الإسلاميّ	342

العلم	الصفحة
عَبْدُ الرَّحْمَنِ (بن العباس بن عبد المطلب)	379
عبْدُ الرَّحمن بنُ الحَسَن الأَصْفَهانيّ النَّيسابوريّ	585
عبدِ الرَّحمَنِ بنِ زيْد	106، 234
عبد الرّحمن بن عوف	29، 95، 274، 440
عبد الرّزّاق (الصنعاني)	116، 123، 157، 206، 253، 450، 467، 485، 486، 489، 698
عبد العزّى	362، 387، 391
عبد العزيز بن عمران	161، 440
عَبْدِ الْعَزِيزِ بنِ مُحَمَّد	149
عبد الله (بن عبد المطلب)	2، 202، 253، 255، 256، 261، 263، 266، 268، 269، 275، 288، 321، 322، 333، 334، 391، 510
عَبْد اللهِ العُمَرِي	109
عَبْد اللهِ الغِفَارِي	106
عَبْد اللهِ المخْزُومِيّ	52
عبْدُ اللهِ بنِ أُبَيّ	99، 104
عبد الله بن أبي بكر	455
عبْدِ اللهِ بنِ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَل	145
عبْد اللهِ بنُ أَقْرَم	692
عبد الله بن الحارِث السَّهمِي	425
عبْدُ اللهِ بنُ الزِّبَعْرَى	539
عَبْدِ اللهِ بن السَّائِبِ	111
عَبْدِ اللهِ بن المبَارَكِ	132، 408، 463
عبد الله بن بريدة	468
عبْد الله بن جحش	272
عَبْدِ اللهِ بنِ جَعْفَر	25، 119، 332، 694
عبْد اللهِ بنَ حَبِيب	101

العلم	الصفحة
عَبْدَ اللهِ بنَ حَنْظَلَةَ الغَسِيل	42، 44
عبد الله بنِ زَيد المازني	44، 166،164، 435، 438
عَبْدِ اللهِ بنِ سَعْد بنِ زَرَارَةَ	561
عَبْدُ اللهِ بنُ سَعِيد المقْبُرِي	161
عبد الله بن سلّام	84، 177، 218، 230، 292
عبد الله بن شهاب	425
عَبْدِ اللهِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ	597
عبدِ اللهِ بنِ عمْرو (بن العاص)	198، 202، 218، 257، 279
عَبْد اللهِ بن مُحَمَّد بنِ عَقِيل	149
عَبْدَ الله بن مُطِيع	42
عبد الله بن مِقْسم	466
عبد الله بن وهْب	111، 131
عبد المسيح ابن عمرو الغساني	249، 284، 285
عبد المطّلب	250، 255، 260، 261، 262، 263، 270، 276، 279، 287، 288، 305، 311، 321، 322، 323، 328، 329، 330، 331، 333، 429، 432، 525، 2، 3، 261، 262، 263، 268، 348، 352، 510، 514
عبدُ الملِكِ بنُ عبدِ اللهِ بن أَبِي سُفيَانَ	396
عَبْدُ الملِكِ بنُ هَارُونَ	111
عَبْدُ الوَاحِدِ بنُ أَبِي عَوْن الدّوسِيّ	518
عبْد بن حُمَيد	130، 484

العلم	الصفحة
عَبْد رَبِّهِ	522
عبْد مَنَاف	2، 268، 323، 329، 333، 361، 391، 282، 330، 333
الْعَبْدِي (أحمد بن المعذّل)	120، 125
عبيْد الخزرجي	323
عُبَيد اللهِ (بن العباس بن عبد المطلب)	379
عُبَيْدِ اللهِ الْعُمَرِي	106
عبيدَ بنَ المعَلَّى	101
عبيد بنِ جريح	470
عبيْد بن عمَيْر	392، 393، 395، 399، 403
عَبِيل (بن عوص بن إرم)	80
عتبة بن ربيعة	391
عتْبة بن عبد	564
العُتْبِي (محمد بن عبيد الله)	141
عَتِيقُ بنُ عَابِد بنِ عبْدِ اللهِ	369
عتيق بن عائد	361، 369
عثمان (بن عفان)	34، 43، 117، 127، 151، 161، 240، 272، 273، 278، 283، 287، 320، 321، 373، 375، 376، 401، 450، 460، 469، 526، 562، 638، 648
عُثْمانُ الدّيمي	411
عثمان بن أبي العاصي	273
عثمان بن الحوَيْرث	272، 320، 321
عُثْمَان بْنِ حُنَيْفٍ	127
عُثْمَانُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ	25

العلم	الصفحة
عُثْمَانُ بنُ محمَّدَ بنِ أَبي سُفْيَانَ	42
عدّاس	391، 398
عدنان	253، 260، 673
عديّ بن نضلة	425
العُذرِي (أحمد بن عمر)	420
العراقي	677
العرباض بن سارية	203، 202، 257، 273
عروة بن الزبير	82، 183، 260، 537، 408، 517، 681
عُرْوَةُ بنُ الْوَرْدِ الْعَبْسِي	70
عروة بن عبد الله العربيّ	425
عرْوة بن مسعود الثّقفيّ	567
العزّ بن جماعة	133، 143، 146، 147، 172، 368
عُزَيْرُ (عليه السلام)	192
العسكريّ (الحسن بن عبد الله)	368، 460
العَضُد (عبد الرحمن بن أحمد)	182، 190،
عَطَاء بن يسار	110، 218، 273،250، 306، 382، 637
عفيراء	236
عقبة بن أبي الصّهباء	461
عقبة بن أبي معيط	682
عقبة بن ربيعة	68
عقبة بن عبد السلميّ	313
عقيل بنِ أبِي طَالِب	282
عكرمة (مولى ابن عباس)	384، 498، 549، 663
عكرمة بنُ أبي جهل	375، 693
العلاء بن الحضرميّ	456
العلاء بن جارية الثَّقَفِيّ	456
العلاء بن سعيد	636

العلم	الصفحة
العلائي (خليل بن كيكلدي)	268
علْباء بن أحْمر	691
عَلْقَمَة (بن قيس)	109، 120، 216، 372، 36، 79، 95، 110، 111، 50، 66، 79، 110، 119، 180، 216، 239، 254، 271، 481، 676 183، 238، 362، 372، 376، 385، 401، 427، 431، 458، 460، 461، 465، 481، 497،
عَلِيّ (بن أبي طالب)	527، 528، 532، 534، 536، 561، 573، 611، 617، 632، 635، 647، 676، 677، 679، 680، 681، 688، 122، 282، 458، 460، 461، 481، 635، 666، 676، 678، 679، 179، 180، 237، 255، 460
عليّ بن أبي طلْحة	421
عَلِيُّ بنُ أَحْمد بنِ الحَسَن	477
عَلِيَّ بنَ الحَسَنِ	44
عَلِيّ بنِ الحُسَيْن	123، 133
عليّ بن زيد	164
عَلِيُّ بنُ عَبْدِ اللهِ	60
عليّ بن يزيد بن ركانة	527
عمّار بن رُزيق	418
عَمَّار بنِ يَاسِر	115، 371، 695
عُمَارَةُ بنُ الْوَلِيدِ	509
عمارة بن غزيّة	437
عمَّارِيا	93
عمر (بن عمرو مزيقيا)	86
عمر الهدَلي	302
عُمَر بنِ أَبِي بَكْرٍ المؤْصِلِي	161
عمر بن أبي سلمة	444
عُمَرُ بنُ أَحْمَد	146
عمر بن الخطّاب	45، 47، 49، 52، 55، 56، 57، 100، 107، 108، 117، 118، 119، 128، 130، 132، 141، 148، 149، 155، 157، 158، 161، 187، 240، 260، 272، 278، 283، 284، 293، 294، 298، 318، 323، 337، 373، 375، 376، 384، 401، 427، 450، 451، 454، 455، 460، 461، 469، 492، 495، 496، 497، 498، 500، 501، 502، 503، 504، 505، 507، 508، 509، 522، 532، 561، 643، 648، 663، 664، 696، 83، 155، 495، 504، 435، 495، 499، 500، 503، 85، 250، 254، 294، 331، 427، 430، 433، 439، 450، 454، 492، 495، 496، 497، 504، 513، 561، 599، 667
عمَر بنُ النُّعْمَانِ البَيَاضِي	104
عمرَ بنَ تَمِيم	250
عمر بن حُممة	516
عمر بن عبد العزيز	58، 117، 172، 292
عمر بن مخزوم	369

العلم	الصفحة
عمَر بنِ مُوسَى الوجِيهي	184
عمران (أبو موسى عليه السلام)	567
عمران (أخو عمرو مزيقيا)	86
عمرانُ بنُ عامِر	88
عمران بن ماثان	567
عمران بن مخزوم	369
عمرو (بن الصريح)	82
عمرو بن أسد	356، 362، 363
عمْرو بن الحارث الْجرْهمِيّ	513
عمْرو بن الطُّفيل	522
عمرو بن العاصي	531، 561
عمْرو بن النُّعْمَان	104
عمرو بن أميّة الأسدِي	425
عمرو بن جابر	292
عَمْرو بن حُريث	470
عمرو بن حزم	427
عمرو بن حممة	517، 520، 521
عمْرو بنُ خُوَيلِد	362
عَمْرو بن دينار	549
عمرو بن شُرحْبيل	395
عَمْرُو بنُ طَلْحَةَ	92
عمرو بن عامر	87، 88، 286
عمْرو بنِ عُبَيْد	397
عمْرو بن عوْف	418، 456
عمرو بن قتيبة	269
عمرو بن لُحَيّ	88، 320، 331
عَمْرو بنُ مزيقاء	86
عمْرُو بنُ مَيْمُونَ	120، 695
عَمرو مزيقيا	86
عمليق	80
عُمَيْر مولَى آبِي اللَّحْمِ	449
العوام بنُ جُهَيل	301

العلم	الصفحة
عَوص بنِ إِرَمَ بنِ سَامَ	80
عَوْف (بن عمرو مزيقيا)	86
عياض (القاضِي)	39، 41، 47، 480، 48، 59، 62، 120، 122، 210، 319، 424، 131، 313، 372، 373، 394، 458، 475، 493، 532، 534، 535، 536، 551، 576، 583، 609، 643، 647، 662، 678، 680، 681
عِيسَى (عليه السلام)	73، 74، 186، 231، 233، 402، 181، 197، 217، 223، 230، 232، 239، 291، 368، 388، 391، 392، 562، 606، 81، 86، 185، 186، 190، 191، 192، 193، 202، 211، 219، 220، 222، 223، 224، 229، 232، 233، 234، 237، 239، 240، 259، 265، 267، 271، 273، 274، 316، 319، 366، 367، 368، 391، 392، 411، 546، 562، 567، 568، 591، 592، 597، 607، 608، 609، 610، 617، 618، 623، 626، 627، 628، 650، 676، 704، 705، 224، 237، 259، 274، 336، 355، 365، 368، 81، 240، 353
عِيسَى بنُ دِينَار	25

العلم	الصفحة
عيسى بن طهْمان	469
عيصى (الراهب)	279
عُيَيْنَةُ بنُ حِصْن	444
غَالِب بنِ فِهْر بنِ مَالِك	247
الغزّالي (أبو حامد)	113، 160، 139، 203، 205، 416
غَنْم (بن عوف بن عمرو)	97
غيْلان بن سلمة	535
فاطِمةَ (بنت رسول الله)	119، 250، 261، 356، 362، 458، 481، 482، 647
فاطِمَة بنت أسد	128
فاطمة بنت الخطّاب	500
فاطمة بنت النعمان النجاريّة	293
فاطمة بنت زائدة	362
فَاطمة بنت عبد الله	273
فاطمة بنت عمْرو	261
فاطِمَة بنتُ مرّ الخَثْعَمِيَّة	250
الفَاكِهَاني (عمر بن علي)	47
فالح	81
الفخر (الرّازي)	180، 319، 462، 650، 375
فرعون	82، 591، 596، 606، 669، 196، 197، 270، 391، 596، 669، 697
فرقد السنجي	191
الفَضْلُ (بن العباس بن عبد المطلب)	379
فَضْلُ اللهِ بنُ الغوري	150
قابيل	400، 401
القاسِم (بن رسول الله)	356، 362
القَاضِي عَبْد الوَهَّابِ	53
قبَاثُ بنُ أَشْيَم	382

العلم	الصفحة
	180، 237، 238، 244، 245، 361، 370، 442، 469، 488، 489، 529،
قتادة (بن دعامة)	530، 562، 570، 573، 585، 586، 617، 632، 635، 643، 645، 663، 699، 704،
قتادة الأنصاري	279
قتادة بن النُّعمان	698
قَثم (بن العبّاس)	379
قتيلة	250
قَحْطانَ بنَ الهميسع	86
قدار	511
القرَافي (أحمد بن إدريس)	171، 557
القُرْطُبِيّ	93
قسّ بن ساعدة	320، 321، 324، 325، 326
القسطلّاني	198، 375، 382، 437، 464، 600، 601
قضاعَة	89
الْقَعْنَبِي (عبد الله بن مسلمة)	118
قنْطور بن غابر	80
قيْدار	221، 223، 224
القيرواني (عبد الجليل بن محمد)	280
قَيْسِ بنِ عَاصِم	137
قيْس بن مخرَمة	268
قَيْصَر	337، 457
القيطون (القطيون)	90، 84
قيلة	89، 261، 557
كثير بن زَيد	146
كرَاع (علي بن الحسن)	35

العلم	الصفحة
الكَرْمَانِيّ (عبد الرحمن بن محمد)	137، 139، 153، 133، 469، 618، 653
كسرى أنو شروان	249، 250، 264، 265، 266، 283، 284، 285، 286، 287، 288، 457، 249، 283، 284، 285، 288
كَعْب (بن عمرو مزيقيا)	86
كعب الأحبار	45، 49، 191، 568، 634، 204، 207، 218، 229، 230، 233، 239، 240، 244، 252، 258، 260
كَعْبُ بنُ أَسَد القُرَظِيّ	104
كَعْبُ بنُ الأَشْرَف	84
كَعْبُ بن الخزْرَجِ الأَصْغَر	96
كَعْب بنِ عَمْرو	103
كعب بن مالِك	333، 696، 207
كعب بن مرّة	439، 448، 449
الكلاعي	537
الكلبِيّ (هشامُ بن محمّد)	255، 276، 383، 518، 80، 89، 191، 298، 517، 520، 696
الكمال الدّميريّ	466
الكمال بن الهمام	133، 151
كهْلان	86
كَهْلَةُ بنُ عاصِم بنِ كَهْلَةَ	494
كُهَيْل بنِ زِيَاد	461
اللَّخْمِي	139
لُقمانُ الأَكْبَرُ العَادِي	86
لَمْك أبو نوح	622
لهيبُ بن مالك	292
لهيب بن مالك اللَّهبي	236
لوذ بنِ سَام	80

العلم	الصفحة
لوط (عليه السلام)	271، 336
لوقا	229
لؤي بن غالب	2، 294، 295، 324
لَيْث (بن أبي سليم)	106، 107، 437
اللّيث بن سعيد	437
مارية (القبطية)	357، 529
مازن (بن غضوبة)	298
ماشِطة بنْتِ فِرْعَوْن	668
مَالِك (بن أنس)	118، 139، 152، 436، 437، 438، 529، 600، 23، 47، 52، 56، 62، 86، 89، 108، 117، 118، 123، 124، 148، 167، 441، 130، 131، 132، 141، 145، 148، 149، 155، 157، 160، 161، 168، 169، 172، 173، 260، 277، 418، 528، 529، 639، 640
مالك بن العجلان	90، 91، 101، 103
مالك بن النَّبَّاش بن زرارة	361
مالِكُ بنُ سالم بنِ غَنْم	99
مَالِكَ بنَ سِنَان	151
مالك بن صعصعة	561، 562، 564، 602، 612، 617، 619، 620، 653، 663
مَالِكُ بنُ عِيَاض	450، 128
الماوَرْدِي	125، 126، 194، 662
المبرّد	370
المتنبي	548
متّى (الحواري)	223، 229، 234
مجاهد (بن جبر)	106، 107، 421، 424، 476، 486، 535، 542، 643، 663، 685

العلم	الصفحة
المجْدُ (الفيروز أبادي)	76، 132، 150، 152، 156
مجذعة	97
المحَامِلِي (الحسين بن إسماعيل)	65
المحِبّ الطَّبَرِي	147، 162
محمّد (بن علي) الباقِر	110، 111، 203، 257، 438، 527
محمد بن أحمد بن أبِي بكر، القرْطُبِي (المفسِّر)	41، 316، 317، 417، 418، 437، 438، 466، 480، 539، 677
محمّد بن الحجّاج	530
مُحَمَّدُ بنُ الْفَضْلِ المدَنِيّ	110
مُحَمَّد بنِ الْفَضْلِ بنِ عَطِيَّةَ	110
محمّد بن بِشر بن مُعاوِية	690
محمّد بن جبير بنِ مطعم	278
محمّد بن حاطب	694
محمّد بن حبيب	419، 699
محمَّد بنِ حَرْبٍ الْهِلَالِيِّ	121
محمَّدُ بنُ حمزةَ بنِ عبْدِ الله	230
مُحَمَّد بنِ خَالِد	146
محمّد بن ربيعة	526
مُحَمَّدُ بنُ ركانَةَ	526
محمّد بن سلّام	322
محمّد بن صفي المخزومي	369
مُحَمَّد بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ	161
محمَّد بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الرَّدَاد	53
محمَّدُ بنُ عُبَيْدٍ	43
محمّد بن عليّ= ابن الحنفية)	
مُحَمَّدُ بنُ عُمَر بنِ وَاقِد	436

العلم	الصفحة
محمّد بن كثير	448
مُحَمَّد بنِ كَعْب القُرَظِيّ	82، 417
مُحَمَّد بنُ كَيْسان	149
مُحَمَّد بنُ مَرْوَان السّدِّي	112
محمَّدُ بنُ مَسْلمَة	62
محمّد بن ناصر الدّمشقيّ	321
مُحَمَّدُ بنُ وَاسِع	151
محمّد بنُ يحيى	172، 173
محمّد بن يوسف (أخ الحجاج)	281، 282، 283
محمود الخوارزمي	197
مُخْتَار بنُ مَحْمود بنِ محمَّد	477
مخرمة بن نوفل	432
مُخيْرق	230
المدابغي	668
الْمَدَائِنِي (علي بن محمد)	647
مدلوك (أبو سفيان)	690
المراغي (أبو بكر بن الحسين)	171، 172
مرّة بنْت عبد العزَّى	282
مرْثد بن عبد كلال	235
المرجاني (عبد الله بن محمد)	400
مرداس السّلميّ	300
مردقوش	234
مرْقُس	229
مَروان (بن الحكم)	43، 118، 146، 439
مرْيم بنت عمْرَان	270، 337
المزَنِي (بكر بن عبد الله)	111
المزّيّ	460
المستغفرِي (جعفر بن محمد)	369

العلم	الصفحة
المُسْتَمْلي (إبراهيم بن أحمد)	441
الْمسْتورد بن شدّاد	687
مسروح	332
مسروق	407، 447، 487، 663
المسعودي	351، 383
	202، 207، 383، 418،
	433، 442، 451، 464،
	488، 490، 524، 552،
	561، 572، 573، 583،
	611، 632، 633، 644،
	78، 156، 208، 410،
	413، 55، 57، 58، 59،
	65، 66، 68، 73، 77،
	153، 154، 155، 165،
	216، 374، 382، 383،
	388، 419، 420، 427،
مُسْلِم	446، 451، 453، 457،
	458، 470، 471، 475،
	476، 486، 489، 528،
	561، 563، 567، 569،
	570، 572، 574، 576،
	592، 594، 597، 598،
	599، 601، 602، 607،
	617، 620، 624،
	629،631، 639، 640،
	643، 644، 645، 660،
	677، 684، 686، 691،
	692، 703
مسلم بنُ عقبة	41، 43، 44، 59
مسلمة بن وَرْدان	134
المسور بن مخرمة	333
مُسَيْلِمَةَ الكذَّابَ	101، 212
مُصْعَب	62

العلم	الصفحة
مضر بن نزار	3، 236
مطَر بن الْعلاء	690
المطَرِي	77، 96، 102، 103، 124، 133
المطعِم بن عديّ	511، 512، 661
المطَّلِب	3
المطّلب بن أزهر	425
المطَّلِب بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ حَنْطَب	146
معاذ بن جبل	118، 299، 689
مُعاذ بن عَفْراء	444
معاذ بن هشام	530
	43، 60، 99، 119،
مُعَاوِيَةَ (بن أبي سفيان)	376، 439، 440، 479، 524، 526، 663، 690
معاوِيَة بن ثور	689، 690
مَعْبَد (بن العباس)	379
معد بنِ عدْنان	260، 363، 371
مَعْقِل [بن] يَسَارِ المزَنِي	61
مَعْقِلُ بنُ سِنَانٍ	44
معْمَر (بن راشد)	291، 488، 489
مغلطاي	351، 353، 368، 516
المغيرة بن شعبة	468
	97، 101، 194، 199،
مقاتل	244، 245، 570، 631، 637، 662
المقوقس	357، 624
مكحول	382
المنْذر بنِ ساوى التَّمِيمِي	137
المنْذري	114، 124، 445
منصور بن المُعتمر	447
منصُورُ بنُ عَبْد شرحبيل	509
مَنْصُورُ بنُ عِكْرِمَةَ	509
المنْهال بنُ عَمْرو	116

العلم	الصفحة
المهدِيّ	62
الموبذان	249، 284، 285
	81، 82، 182، 190،
	192، 209، 210، 217،
	220، 230، 232، 233،
	244، 271، 345، 352،
	388، 391، 392، 425،
	464، 475، 554، 568،
	590، 617، 618، 650،
	11، 81، 82، 115،
	116، 176، 182، 192،
	193، 197، 207، 208،
	220، 231، 232، 240،
	244، 248، 276، 286،
موسَى (عليه السلام)	334، 336، 345، 347،
	387، 392، 401، 402،
	408، 411، 417، 424،
	425، 449، 464، 465،
	554، 563، 564، 567،
	569، 572، 591، 592،
	593، 597، 605، 607،
	609، 617، 618، 619،
	620، 624، 625، 627،
	628، 629، 637، 651،
	652، 653، 654، 655،
	656، 657، 669، 675،
	681، 697، 698، 699،
	700
مُوسَى القَرَوِي	161
موسى بن عقبة	290، 517، 509، 419،
	459، 510
مُوسَى بنِ هِلَال الْعَبْدِي	105

العلم	الصفحة
	334، 354، 355، 356،
ميسرة	357، 359، 360، 367،
	370
ميسرة الضّبّي	203، 257
ميْمون بن مهران	366
ميمونة (زوج رسول الله)	529
ميْمونة بنت كَردم	465، 466
نافع (مولى ابن عمر)	106، 108، 118 157،
	208، 497، 504
نَافع بنِ جبير	165
النَّبِيتُ	104
النّجاشيّ	468، 624
	165، 406، 413، 419،
	471، 528، 561، 572،
	586، 644، 112، 127،
النَّسَائِي	156، 410، 416، 418،
	440، 441، 528، 590،
	592، 640، 653، 654،
	694
نسطور	355، 356، 360، 367
النَّسفِي	485، 562
نَصْرُ بنُ حَجَّاج	35
النَّضْرُ بنُ الْحَارِث	509
النَّضير بن النحام بن الخزرج	82
النَّظَّام	397
النَّظرُ بنُ الْحَارِثِ	488
النّعمان السّبائي	219
النّعمان بن الرّازية اللّهبي	516
النّعمان بن المنذر	248، 284
النُّعْمَانُ بنُ شبْل	108، 110
النّعماني	565
نُعَيْم بن عبد اللهِ النَّحَامِ	499
نفيسة بنت منبّه	355، 356، 370

العلم	الصفحة
النّقّاش	159، 649
نُمْرُوذُ بنُ كَنْعَانَ بنِ حَام	80، 694
نوح (عليه السّلام)	80، 191، 197، 204، 206، 253، 271، 319، 331، 336، 381، 388، 411، 546، 622
النَّوَوِي	40، 141، 424، 706، 63، 72، 121، 132، 141، 143، 144، 146، 148، 149، 150، 158، 160، 161، 162، 319، 632، 378، 382، 399، 412، 418، 445، 446، 552، 570، 587، 599، 603، 609، 662، 680، 705
هابيل	401
هاجَرُ	86، 220، 588، 665
هارون (بن قزعة)	109
هارُونَ (عليه السلام)	81، 82، 83، 244، 334، 336، 424، 561، 563، 569، 609، 617، 622، 624، 675، 700
هارونُ بنُ مُوسَى	124، 161
هَالَة بن أبي هالة	361، 369، 467، 688،
هالة بنت وهب بن عبد مناف	333
هُبَل	287، 331
هرقل	334، 624
الْهَرَوِي (القاسم بن سلام)	692
هشام بن الحارث	514
هشام بن العاصي	334
هِشَامُ بنُ حَسَّان	44

العلم	الصفحة
هشام بن عبد الْملك	623
هِشَام بنِ عُرْوَةَ	70، 184، 470
هشام بن عمرو العامِرِيّ	509، 510، 511
هِنْد	361، 362، 369، 467، 468، 573
هند بن زرارة بن النَّبَّاش	361
هند بن هند	361، 362
هود (عليه السّلام)	86، 319
واثلة (بن الأسقع)	256، 383، 482
الواحديّ	401
الواقِدي	42، 45، 84، 321، 363، 365، 371، 382، 393، 409، 417، 419، 424، 427، 436، 452، 456، 494، 500، 573، 584، 647، 662
واقِف (بن امرئ القيس بن مالك)	97
وائل بن حجر	295، 296، 687
وجيلة	104
وَدَاعة (بن عمرو مزيقيا)	86
ورقة بن نوفل	195، 272، 320، 357، 363، 387
الوليد بن المغيرة	104، 503، 537
الوليد بن المغيرة بن عبد الله	537
وهْب بن عبد مناف	251، 282
وهب بن منبّه	22، 193، 314، 667، 225، 227، 232، 244، 286
ياقوت (الحموي)	88
يانِش	202
يَثْرِبُ بنُ قَانِيَة	80

العلم	الصفحة
	223، 271، 272، 276،
يَحْيَى (عليه السلام)	288، 562، 567، 609، 623، 626، 627
يحْيى بن أبو كثير	399
يَحْيَى بنُ آدَمَ	187
	156، 123، 146، 160،
يَحْيَى بنُ الْحَسَنِ	110، 161، 163، 164، 166، 173، 110
يَحْيَى بنُ جَعْفَر الْعَلَوِيّ	76
يحيى بن سعيد	145، 437، 442، 518
يحيَى بنُ سلَّام	209
يحيَى بن عائذ	267
يدره	337، 338
يزدجر	250
يزيد الجريري	49
يزيد بن أبي صالح	527
يزيد بن أبي مالك	586، 605، 654
يزِيد بن الْأسوَد	687
يزيد بن الأصمّ	366
يزيد بن ركانة	527
يزيد بن رومان	494، 537
يزيد بن زياد	470
يَزِيدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ زَمْعَةَ	42
يَزِيد بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ قُسَيْطٍ	144
يزيد بن عُبيْد	444
يزيد بن مالك	633
يَزِيدُ بنُ مُعَاوِيَةَ	41
يزيد بن هارون	466، 467

العلم	الصفحة
اليسع (عليه السلام)	342
يعقوب (عليه السلام)	221، 233، 272، 336، 411، 624
يعقوب الحواريّ	338
يعقوب بن سفْيان	692
يعقوب بن شامخ الحواريّ	337
يعقُوبُ بنُ يوسُف	413
يعْلى الثّقفي	533
يعلى بن أميّة	535
يعلَى بن سيابة	535
يعْلى بن مرّة	534
اليعمريّ (محمد بن محمد)	369
يوحَنّا	222، 229، 231، 233
يوسف (عليه السلام)	84، 162، 192، 272، 276، 288، 336، 447، 546، 562، 563، 567، 607، 609، 617، 621، 622، 623، 624، 627، 681، 700
يوسف بن طهمان	162
يوشع	192، 220، 231، 271، 675، 680، 681
يُونُسَ (ابن يونس)	132
يونس (عليه السلام)	179، 183، 208، 271، 272
يونس بن بكير	370، 502، 513، 658، 674، 675
يونس بن عبَيْد	460

6-فهرس الفرق والطوائف والقبائل

الفرقة/ القبيلة	الصفحة
الإِبَاضِيَّةِ	149
أرَاشَ	492
الأَزْدِ	86، 87، 88، 286، 516، 517
أَزْدُ شنُوءَة	87، 88، 569
أَزْدُ عُمَان	87
الأشاعرة	108، 178، 185،
(الأشعرية)	259، 318، 562، 657
الْأَشْعَرِيّونَ	453
أَشْيَاخ المدِينَةِ	43
أَصْحَابِ الشَّافِعِي	133
أَصْحَابِ مَالِك	157
الأصوليّون	544، 657
آل أبي بَكر	550
آلِ الْخَطَّابِ	108
آل أَيش	237، 293
آل جفينة	87
آل غالِب	360
آل قحطان	237، 293
الأَنْصَار	28، 31، 33، 35، 41، 42، 62، 83، 86، 89، 92، 93، 95، 103، 208، 240، 243، 293، 297، 325، 425، 441، 454، 456، 467، 527، 623، 684
الْأَنصَارِ	86
أهل التّعبير	625
أَهْلُ الزِّيج	278
أهل السّيَر	104، 267
أهل الصّفّة	457، 458، 685
أهْل اللّغة	392، 548
أهل الْهيئة	528، 667
أَهْل مسْجِد الإِجابَةِ	102
الأَوْسِ	23، 30، 31، 65، 83، 86، 87، 89، 90، 91، 92، 96، 102، 103، 104، 105، 623
الْبَصْرِيّون	545
بعضُ الأَنْدَلُسِيِّينَ	216
بَلْحَارِثَ	76
بَنَاتِ عَبْدِ منَاف	270
بنو أجذع	101
بَنُو أجْذع	100
بنو آدم	256
بنو إِسْرائيلَ	81، 82، 83، 90، 91، 190، 192، 220، 226، 227، 229، 230، 231، 233، 275، 281، 316، 334، 342، 345، 347، 392، 425، 564، 569، 572، 606، 618، 619، 624، 625، 626، 654
بنو إِسْماعِيلَ	92، 88، 331

الفرقة/ القبيلة	الصفحة
بَنو أسيد بنِ عبْدِ العُزَّى	250
بنو الأزرق	82
بَنو الأَشْهَل	84
بَنو الْأَصْفَرِ	624
بنو الجدما	83
بَنو الجَدمَانِ	84
بَنو الحَارِثِ	42، 76، 98، 101، 448
بنُو الحَارِثِ بنِ الخَزْرَجِ	98
بنو الحُبلى	97، 99
بنُو السّمعية	97
بنو الشَّطبة	98
بنو العبَّاسِ	439
بنو القصيصِ	83
بنو اللبن	101
بنو المطَّلِبِ	509، 510
بنُو المعَلَّى	101
بنو النَّجَّارِ	92
بنو النَّضِيرِ	104، 84
بنو أُمَيَّةَ	43، 550
بنو أميَّةَ بن زيد	43، 84، 97، 550
بنو أنيف	83
بنو بيَاضة	100، 101، 103
بنو تَمِيمٍ	2
بَنُو ثَعْلَبَة بنِ الخَزْرَجِ	84، 101، 103
بنو جحجبا بنِ كفلة	97
بنُو جُدَارَةَ	98
بنُو جدْرَةَ	98
بنو جديلة	71، 101، 102

الفرقة/ القبيلة	الصفحة
بنو جُشم بنِ الخَزْرَج	90
بنو جفنة بن عمرو مزيقيا	89
بنو جهم زعوراء بن جشم	96
بنو حارِثَةَ	23، 24، 43، 44، 84، 85، 96، 300، 419، 420، 424
بنو حَبِيب	100، 101
بنو حِجْر	84
بَنُو حَرَام بنِ كَعْب بنِ غَنْم	99، 100
بَنُو حَنِيفَةَ	101
بنو خطمة	84
بنُو خَطْمَةَ بنِ جَشْم بنِ مالِك بنِ الأَوْسِ	98
بنو خَيْثَم	85
بنو دِينار	102
بَنُو دِينَار بنِ النَّجَّارِ	103
بنو ذئْب	285
بنو زُبَيْد	494
بنو زريق	100، 101، 103
بنو زعوراء	84
بنو زهْرَة	251، 282، 333
بنو زيدِ اللَّاتِ	84
بنو ساسَان	249
بنُو ساعِدَة بنِ كَعْب بنِ الخَزْرَجِ الأَكْبَر	99، 101، 103
بنو سَالم	90، 98، 99

الفرقة/ القبيلة	الصفحة
بنو سعد	305، 306، 307، 333، 366، 576، 579
بَنُو سَعد بنِ مُرَّة بنِ مَالِك	98
بنو سلمَةَ	24، 99، 416، 417، 419، 420، 423،
بنو سليم	95، 96، 99، 100، 333
بنُو سواد	100
بنو ضبيعة بنِ زَيْد	96، 104
بنو ضمْرَة	101
بنُو ظفر	96
بنو عامِر	267، 361، 533
بنو عَامِر بنِ عَمْرو	89
بنو عبْدِ الأَشْهَل	43، 45، 85، 96، 103
بنو عبد الدَّار	361
بنو عَبدِ المطَّلِب	494
بنو عبْدِ المنْذِر	96، 97
بنو عَبْد بنِ زَيْد	96
بنُو عَبْد مَنَاف	493
بنو عبد مناف	507، 511، 523
بنُو عُبَيْد	100
بنُو عدارة	100
بنُو عدي بنِ النَّجَّار	102
بنو عديّ بن النّجّار	268، 314، 564
بنُو عدي بن عمرو بن مالك	102
بنُو عذرة	101
بنو عُذْرةَ	301

الفرقة/ القبيلة	الصفحة
بنُو عصيبةَ	99
بنو عَطِيَّة	99
بَنُو عَطِيَّةَ بنِ زَيْد	97
بنو عكرة	85
بَنُو عمْر بنِ عَوْف بنِ مَالِكَ بنِ الأَوْسِ	96
بنو عمرو	83
بنُو عَمْرو بنِ عَوْف	103
بنو عَمْرو بنِ عَوْفٍ	97، 101
بنو عَمرو بنِ مَالِك بنِ الْأَوْسِ	96
بنُو عنَان	102
بنو غصيبة	84
بنو غَنْم	102
بَنُو غَنْم بنِ مَالِك	102
بنو فزارة	444
بنو قحطان	237، 293
بنُو قُرَيظَة	83
بَنُو قشبة بنِ الخَزْرَج	101
بنو قَصر بنِ عراك	84
بنو قَيْلَةَ	235
بنو قَيْنُقَاع	84
بنو كعب بن لؤيّ	659، 667
بنُو لودان	97
بنو ليث	309
بنو مَازِن	100، 564
بَنُو مَازِن بنِ النَّجَّار	103
بنو ماسكة	84

الفرقة/ القبيلة	الصفحة
بنُو مَالِك بنِ النَّجَّار	102
بنو مَالِك بنِ زَيد	101
بنُو مَالِك بنِ عضب	101
بَنُو مبذول	102
بنو محمم	84
بنو مخزوم	505
بَنُو مراء	99
بَنُو مراية	85
بنو مزيد	83، 84
بنو مَسْلَمَةَ	60
بنو مطر	82
بنُو مطْرويل	80
بنو معاوية بن الحارث	83
بنو مُعاوِيَة بن عمر	102
بنُو مُعاوِيَةَ بنِ مَالِك	97
بنو مُعَاوِيَةَ بنِ مَالِك ابنِ النَّجَّار	92
بنُو مَغَالَة	102
بنو ناغصة	83، 100
بنو هاشم	235، 256، 283، 508، 509، 510، 512
بنو هدل	82، 83
بنُو هف	80، 82
بَنُو وائِلَ بنِ زَيْدَ بنِ قَيْس	97
بنُو وَقش	102
بنُو يَعْرُب	93

الفرقة/ القبيلة	الصفحة
التَّابعِينَ	41، 110، 108، 120، 144، 225، 367، 413، 485، 534، 605، 617
التَّبابِعَةُ	91
تميم	230، 250
ثقيف	78، 290
ثمود	2، 86، 511
الْجَبَابِرَة	80، 625
الجبّارون	675
جديش	81
جرهُم	80، 88
الجعادِرَة	89، 98
الجمهور	47، 132، 169، 182، 184، 193، 268، 278، 319، 366، 382، 383، 385، 388، 391، 392، 399، 413، 418، 419، 423، 437، 440، 483، 528، 544، 545، 546، 547، 555، 558، 560، 617، 642، 663، 680
جمهور الأمّة	654
جُمْهورِ الْعُلَمَاءِ	544
جُمهور المحدِّثِينَ	460
جمهُورِ أَئِمَّة الأُصولِ	211
جنْب	296
الْحَبَشَة	248، 328، 460، 513، 679، 694
الْحَشوِيَّة	542

الفرقة/ القبيلة	الصفحة
الحماضة	103
حِمْيَر	89، 320
الحَنَابِلَة	137
الحَنَفِيَّة	110، 124، 133، 137، 138، 139، 143، 145، 150
الحواريّون	229، 233، 337، 338
خثعم	296
خزاعة	86، 87، 88
الخَزْرَج	24، 30، 31، 65، 83، 86، 87، 89، 90، 91، 92، 96، 98، 101، 103، 104، 623
خزيمة	101، 360
الخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ	160
دوس	514، 515، 517، 520، 521
الرّافضة	149، 323
الرَّوَافِضِ	149
الرّوم	83، 220، 242، 274، 335، 337، 342، 343، 365، 490، 624
زريق	100
السَّلَف	63، 78، 120، 124، 128، 133، 139، 144، 161، 434، 553
سويد	100
الشَّافِعِيَّة	124، 125، 135، 137، 141، 149،

الفرقة/ القبيلة	الصفحة
	277، 281، 436، 438، 528، 706
شُرَّاحِ مُسْلِم	681
الشُّهَدَاءِ	114، 122، 151، 201، 666
الشِّيعَةُ	118، 322، 376
شُيُوخِ البُخارِي	111
الصّحابة	44، 47، 63، 117، 119، 120، 128، 144، 149، 158، 160، 175، 177، 183، 332، 351، 353، 367، 376، 390، 411، 442، 458، 460، 470، 485، 524، 526، 544، 547، 557، 584، 603، 702
الصُّوفيَّة	405، 459، 460، 461
طسم	81
طيء	298
الظَّاهِرِيَّة	121، 554
عاد	2، 86، 139، 249، 299، 300، 316، 319، 326، 333، 593
العُبَّادِ الزَّاهِدِينَ	114
عبد القيس	79، 136، 324، 351، 364، 479
الْعَجَمُ	700
العرب	27، 81، 83، 85، 86، 90، 143، 183، 184، 191،

الفرقة/ القبيلة	الصفحة
	192، 220، 221، 230، 232، 234، 249، 250، 256، 276، 278، 279، 284، 285، 291، 292، 294، 296، 320، 324، 327، 328، 329، 330، 338، 339، 341، 343، 360، 363، 371، 385، 430، 455، 511، 514، 520، 521، 560، 619، 588، 700
العَرَبُ العارِبَةُ	86
العَرَبِ المتَعَرِّبَة	86
العَرَبِ المسْتَعْرِبَة	86
العَمَالِقَة	81، 83، 331
العماليقُ	82
عمليقُ	86
غَسَّان	86، 87، 91، 235
غِفَار	449
الفَرَاعِنَة	80
الفُرس	242، 264، 284، 286
الفلاسِفَة	185، 490، 555
قُرَيْش	23، 37، 40، 42، 81، 103، 237، 251، 256، 260، 261، 262، 268، 269، 275، 279، 280، 288، 290، 293، 322، 327، 328، 334، 348، 349، 351، 352، 353، 354، 355، 356، 359، 363، 370، 371، 373، 391، 424، 426، 432، 448، 451، 482، 483، 487، 488، 493، 494، 495، 502، 500، 504، 507، 508، 509، 510، 512، 514، 523، 531، 539، 550، 576، 623، 658، 660، 673، 674، 697 9، 426، 447، 504
قُرَيْظَة	70، 82، 83، 88، 90، 103، 104، 624
قنطور	81
قَيْس	124، 137، 524
قَيْنُقَاعَ	624
الكموس	343
كنانة	2، 256، 431
الكوفيّون	545
لهب (من أزد شنوءة)	327
اللّوي	100
المالكيّة	120، 125، 138، 143، 151، 159، 365، 388، 390، 437، 438، 528، 551
الْمَانَوِيَّة	277

الفرقة/ القبيلة	الصفحة
المجوسُ	490
الْمُحَقِّقُونَ	706
مراد	125، 139، 276، 298، 399
المشَايِخِ	500
المصريّون	343
مضر	236، 298، 299، 363، 371، 448، 449
المعْتزلة	182، 185، 197، 541، 558، 657
مَعَدّ	371
الْمُفَسِّرُونَ	543
الملْحِدونَ	491
المهَاجِرون	27، 28، 35، 41، 62، 527
المؤلَّفةِ	509
النَّبِيت	96، 104
النّصارى	144، 186، 193، 223، 224، 225، 231، 239، 291، 351، 381، 391، 392، 595
النَّضِير	83، 88، 90، 104، 624

الفرقة/ القبيلة	الصفحة
هدل	83
هذيل	92
هوازن	327، 455، 524
وداعة بن عامر	87
اليعسوقية	221
اليهود	30، 73 81، 82، 83، 85، 88، 90، 91، 92، 101، 104، 144، 208، 219، 220، 221، 223، 230، 231، 233، 275، 291، 314، 337، 239، 330، 342، 343، 346، 347، 349، 351، 352، 355، 360، 364، 381، 391، 415، 416، 421، 422، 423، 424، 425، 426، 441، 481، 490، 496، 595، 608، 623، 625 676
يُونَانُ	490

7–فهرس الأماكن والبلدان

المكان	الصفحة
أبو قبيس	231، 432، 485، 486
أَبُو مَازِن	103
الأبواء	268، 314، 315
أَبين	247، 248
أَثْرِب	23
الأَجْرَدُ	98
أجياد	353، 408
أَحْجَارِ الزَّيتِ	449
أحْجَارِ المرا	96
أُحُد	36، 39، 24، 73، 74، 81، 91، 92، 108، 151، 244، 379، 396، 401، 703
أدنة	630
الأُرْدُن	38
أَرْضِ الرُّومِ	235
أَرْضِ ثَمُود	379
أُسْطُوَانِ المهَاجِرِينَ	144
أسطوَان عَلِيّ	171
اصطخر	244
الأندلس	225
إهاب	38
أَيْلة	334
إيلياء	605
الإيوان	283
باب البَلَد	137، 150
باب السَّلام	449
بابل	80، 224، 286، 494
البحرين	80، 454، 455، 456، 457
بحيرة سَاوَة	249، 285
بُخارى	484
البِركة	23

المكان	الصفحة
البرْني	23، 79
البصَّة	98، 103
البصرة	362، 401، 461
بُصرى	87، 263، 264، 265، 274، 287، 334، 348، 350، 355، 359، 360، 364، 367
بضاعة	101
بُطحان	68، 70، 100
بَطْن مُرّ	87
بُعَاث	103، 104
بَغْدَاد	570
بفوير (فويرع)	102
البَقِيع	56، 71، 96، 102، 121، 150، 151، 175، 465
بَقِيع الْخَيْلِ	67
بَقِيع الزُّبَير	102
بَقِيع الْغَرْقَد	40، 97، 150
بلْخ	630
البَلقاء	331
البندقيّة	339
البويلة	84
بَيْتُ أَبِي نَبِيه	102
البيت الحرام	40، 261، 425، 625، 626، 635
بيت المقدس	122، 156، 158، 225، 246، 414، 415، 416، 417، 422، 423، 426، 428، 549، 551، 552، 565، 570، 571، 574، 582، 583، 589، 591، 595، 597، 598، 601، 602، 603، 604، 605،

المكان	الصفحة
	608، 609، 610، 628،
	635، 646، 659، 660،
	661، 662، 664، 665،
	667، 668، 675، 702،
	36، 117، 156، 415،
	417، 421، 38، 48،
	109، 125، 156، 158،
	173، 414، 415، 416،
	417، 418، 419، 422،
	423، 425، 539، 540،
	583، 646
بيت لحم	591، 668
بِير الْحَرَّةِ	137
بِير إِهاب	38
بِئْرِ عدق	83
بِئر غَرَس	97
بيرحا	102
بيوت السّقْيا	67
بُيُوتُ بنِي بيَاضَةَ	100
تبوك	75، 433، 625
التَّبِيرِ	221
تُرْبَةِ صُعَيْب	98
تمع (ثمغ)	85
تَنْدَد	26
تَنْدَر	26
التّنعيم	658، 668، 675
تهامة	249، 250، 289، 298،
	329، 331، 360، 367
تونس	223
تيما	88، 351، 364
ثبير	36، 288، 373، 379،
	380، 393، 401

المكان	الصفحة
ثَعْلبة	88
ثَمَد الرُّوم	83
ثنيَّة الوَدَاعِ	70
الجابية	286
جِبَالِ إِيلْيَا	241
جبال بني هَاشِم	230
جَبَل بَني عُبَيْد	99
جبل ثَبير	261
جبل ثور	57، 51، 379، 401
جبل فاران	220، 221، 224، 230
جَبل وَرِقان	40
جبلي نخلة	290
الْجُحفَة	67، 68، 69، 70، 80،
	286
جُدَّة	331، 694
جِرَار سَعْد	98، 102
جُرَش	247
الجرْف	43
الجرْف	82
جزيرة السّبر	339
جِسْر بُطْحان	84
الجعرانِيَّة	366
جفاف	84
الجَمْرَة الوُسْطَى	251، 266
الجوَّانِيَّة	84
جَوْفِ الحَائِرِ	170
جيحان	571، 630، 631، 634
جيحون	630
حائِط جابِر	99
بنِ عتيك	
الحَبَشَة	496، 509، 510

المكان	الصفحة
الحجاز	80، 82، 83، 88 130، 298، 359، 367، 448
الحِجاز	80
الحجر الأسود	168، 176، 359، 372، 374، 375، 697
الحُجُرَات	133
الحُجْرَة الشَّرِيفَةِ	150
حُجْرَةِ أُمِّ سَلَمَة	116
الحجون	281، 314، 316، 321
حَدِيقَة الموْتِ	101
حراء	373، 379، 380، 382، 386، 387، 388، 389، 393، 397، 399، 400، 401، 408، 411، 486، 490
الحَرَّةِ	41، 42، 44، 45، 67، 73، 82، 100، 117
حَرَّةِ السُّقْيَا	66
الحَرَّة الشَّرقِيَّة	96
الحَرَّة الغَرْبِيَّة	38
حَرَّةَ بَنِي سُلَيْمٍ	61
حَرَّةِ زَهْرَةَ	45
حَرَّةُ وَاقِم	45
الحرم الْمكّيّ	653
الحَزْورة	494
الحَزْوَرة	51، 668
الحسينيات	84
حِصْنَ ابْنِ أبي	104
حَضْرَموتَ	87
الحطيم	562، 573، 574، 663، 664
حلْوان العِراق	240

المكان	الصفحة
الْحَمَاضَة	100
الحمى	67، 72، 76، 81
حوران	364
الحِيرة	273، 287
خقافة	84
الخليل	168، 231، 696
خُمّ	67، 69
خندق الجنّة	337
خوارِزْم	630
خوخة الصِّدِّيق	439
خوخَة عمر بنِ أمية	101
خَيْبَر	88، 96، 104، 449، 516، 517، 521، 564، 623، 625، 676، 679
خيْف بني كنانة	510
دارِ أبي أَيُّوب	95
دَارِ أبِي بَكْرٍ	374
دار الأرقم	495، 503، 507
دار التّابعة	314
دار الخيزران	503
دار القضاء	430، 439، 440
دَارِ النّابغة	102، 268
دَارِ بَنِي النَّجَّار	99
دار بَنِي ساعِدَةَ	101
دار عبْدِ اللهِ بنِ أَبِي أَحْمَد	96
دَارِيًّا	117
دجلة	249، 285
دمار	87
دمشق	334
دَوْرَانَ	63
دومَة الجَنْدَل	625

المكان	الصفحة
الدُّوَيْخل	99
الدِّيكِ (الدرك)	103
ذباب	74، 85
ذروَان	100
ذِي الحُلَيْفَة	38، 136، 161
ذِي حُرُض	91
ذِي ريش	100
ذي طُوى	667
ذِي قَار	88
ذي مر	668
رَاتِج	84، 85، 96، 98
رِبَاط مرَاغَة	102
الرَّبعِيّ	97
رَحْبَةِ بَنِي زَيْدِ بنِ مَالِك بنِ عَوْفٍ	96
الرّدم	281، 464
ردم بني جمح	283
رَضْوَى	36، 37
رَغابَة	82
الرَّوْحَاء	57، 323، 658، 668، 675
الرَّوْضة	133
الرَّوضَةِ الشَّرِيفَةِ	138
الرَّوْضَةِ الشَّرِيفَةِ	144
الرّيّان	84
الزَّاهِرَة	102
زبالَة	23، 24، 85
زقاق الحجر	374
زقاق المدكك	282
زُقَاقِ المرْفق	374
زقاقِ ركيح	97

المكان	الصفحة
زمزم	310، 345، 402، 564، 572، 573، 575، 577، 580، 581، 663
زهرة	82، 84
الزهرة (كوكب)	280
الزَّوْرَاءِ	449
ساعير	230، 231
ساغين	220
السّافِلة	82
ساوة	264، 265، 284، 285، 286
سَبَأ	85، 86، 87
سبتة	342
سَبْخَةَ الْجَرْفِ	73، 74
سِدْرَة النَّبِيءِ	536
سدير	87
السّرات	294
السّرارة	100، 103
السَّعدان	97
سفاقص	408
سَلْع	38، 100، 441، 445
سنابل	298
السّند	526، 551، 630
سند الْحَرَّة الشَّرقِيَّة	96
السُّودَانِ	248
سُوقَ الثَّمَانِين	80
سوق اللّيل	374
سوق بني قَيْنُقَاعَ	81
سوق حباشة	367
سوق ذي المجاز	327
السّويداء	485، 486
السيح	98

المكان	الصفحة
سيحان	630، 631، 634
سيحون	630
سَيْلُ مذينب	97
سِيناء	36، 220، 221، 223، 230، 248، 591
شَاسُ	97
الشَّام	38، 82، 85، 83، 90، 91، 98، 243، 249، 274، 286، 287، 337، 350، 355، 359، 240، 274، 287، 297، 353، 354، 355، 360، 550، 23، 37، 38، 41، 43، 44، 71، 80، 83، 85، 86، 87، 88، 90، 91، 117، 170، 171، 173، 202، 225، 233، 242، 244، 264، 266، 274، 279، 284، 285، 286، 287، 288، 299، 322، 331، 334، 335، 348، 349، 350، 354، 355، 356، 359، 360، 364، 376، 391، 404، 416، 420، 560، 588، 591، 625، 642
الشّحر	298
الشراة	88
شَرف الرَّوْحاء	38
شَرَف السَّيّالة	38
الشِّعْبِ	486
شعب ابن يوسف	510
شعب أبي ذؤيب	314
شعب أبي طالب	251، 266، 281، 283، 573
شِعْبُ بني حَرَام	83
شِعْبُ بَنِي هاشِم	231
الشَّغيف	96
شق	247، 286، 416، 576، 577، 578، 610
شق مِنَ الشراة	87
الشَّوطِ	85
الشّيحان	85
الشّيخان	96
صدقة النَّبِيءِ	84
صدقة مروان	84
صُعَيْب	76
الصَّفا	251، 477، 499، 283،503، 484، 663، 665
الصّفراء	373
صنعاء	160، 161، 246، 299، 328، 695
صهيون	234
صُورَى	42
الصَّيَاصِي	96
الصَّيْحَانِي	80
ضرار	84
الضرعة	139
طَابَةٌ	22، 233
الطّائف	56، 244، 289، 290، 334، 516، 536، 662
طِبَابَا	23
طبريّة	284

المكان	الصفحة
طَرَف أحد	82
طَرَف الجرْفِ	23
طَرَفِ الحَرَّة الغَرْبِيَّة	98
طَرَفِ قَنَاةٍ	23
طَيِّبَةٍ	22
طَيْبَةُ	22، 34، 58، 74، 92، 219
العَاصِمَةُ	27
العَالِيَة	83
العَالِيَة	77، 78، 84، 98
عَدن	87، 180، 237، 247
العراق	87، 91، 119، 145، 284، 489
الْعربص	70
عَرَفَةَ	52
عَزْوَرَة	51
عسفان	281، 283
العصْبَةِ	97، 98
عطارد	280
الْعَقَبَة	426
عقرب	100، 606
عكاظ	324، 327
عمان	80، 89، 298، 624
عَمْوَاس	72
العَنائِقِ	85
العِهْنِ	97
عير	36، 37، 192
عَيْن خُمّ	69
عَيْن فاطِمةَ	85
غار حراء	311، 387، 401، 407
غُرَابِ الضَّائِلَةِ	82
الغَرسِ	84، 98

المكان	الصفحة
غرناطة	129، 337
غَزَّة الشّام	98
غسّان	88
الغوطة	334
فاران	220، 223، 231، 233
فَارِس	240، 275، 283، 285، 249، 250، 285، 694
فارع	102، 103
فاضِحة	84
فدك	625
الفرات	563، 570، 612، 630، 631
القاع	99
القائِم	83، 170
قُبَاء	71، 96، 97، 99، 154، 155، 416، 419، 420، 428
القَبْرَ الشَّرِيفَ	48، 133، 139، 143، 146، 153
القَبْرُ النَّبَوِيُّ	121
قَبْرَ النَّبِيءِ	62، 114، 117، 118، 119، 123، 124، 125، 128، 129، 131، 132، 141، 142، 145، 147، 129، 132، 145، 146، 148، 148، 149، 204، 450، 105، 147، 148
الْقُدْسِ	645
قدِيد	63
قَدِيد	45
القرارة	225
قُرْطُبَةَ	220

المكان	الصفحة
قُرَى قَوْمِ لُوط	379
قسَاس	511
القسطنطينيّة	490 ،38
قَصْرِ ابنِ هِشَام	84
قُعَيْقِعان	231
القُفَّ	82
الْقفارَة	100
قِلَال هَجَر	563
قَوْرَي	104
الكتيبة	521
كَرود	87
الكَعْبَةِ	48، 416، 417، 422، 423، 504، 508، 91، 92، 120، 155، 156، 237، 400، 417، 625، 45، 47، 50، 52، 92، 94، 93، 415، 422، 425، 426، 635، 94، 125، 131، 150، 156، 205، 206، 259، 261، 267، 270، 288، 307، 322، 331، 354، 359، 400، 401، 411، 414، 415، 416، 417، 418، 419، 420، 421، 422، 423، 425، 427، 428، 447، 513، 515، 531، 536، 539، 570، 576، 625، 636، 665، 697، 287، 415، 416، 419، 420، 423، 426، 617، 625، 633، 635
كفر	350
الكوفة	36، 245، 287، 296، 460، 461، 630
كومة أبي الحمل	85
الرَّائض	
لخم	273، 331، 393
الماجِشُونِيَّة	76، 98
مَأْرَبُ	85
مَأْرِب	87
مَجْلِسِ بَنِي الموَالِي	96
مخيض	82
مدينب	83
المدينة	27، 29، 34، 51، 66، 72، 40، 42، 45، 62، 65، 69، 79، 80، 81، 82، 47، 51، 81، 83، 91، 95، 101، 119، 122، 193، 206، 449، 461، 486، 524، 554، 89، 92، 102، 103، 84، 85، 90، 117، 157، 219، 268، 281، 300، 314، 401، 425، 427، 430، 441، 448، 461، 467، 521، 529، 554، 579، 2،598، 22، 24، 25، 26، 31، 32، 33، 35، 36، 39، 41، 42، 43، 47، 50، 52، 55، 57، 59، 60، 61، 62، 65، 67، 68، 70، 72، 73، 74، 83، 88، 90، 101، 104،

المكان	الصفحة
	109، 111، 114، 117،
	136، 137، 244، 417،
	521، 529، 598، 23،
	28، 29، 30، 33، 34،
	35، 37، 38، 39، 53،
	54، 58، 63، 3، 23، 27،
	28، 33، 35، 37، 38،
	40، 43، 44، 45، 47،
	48، 50، 52، 53، 54،
	56،63، 64، 66، 68، 69،
	71،75، 77، 78، 80، 81،
	85، 87، 91، 92، 94،
	95، 108، 119، 120،
	122، 125، 129، 132،
	135، 136، 137، 145،
	148، 149، 151، 152،
	154، 155، 156، 157،
	158، 159، 160، 162،
	168، 172، 175، 208،
	234، 293، 415، 422،
	423، 424، 426، 434،
	439، 449، 465، 490،
	521
مَدِينَةِ الرَّسُولِ	22، 33
مرّ الظهران	279، 360
المروة	484، 663، 665
المريخ	280
مُزَاحِم	99
المزَادِ	99
مساجِدِ الفَتْحِ	83
المستَظلّ	97
المستقرِّ	91

المكان	الصفحة
مَسْجِد ابنِ عُبَيْدَةَ	99
مَسْجِدِ أُبَيِّ بنِ كعْبٍ	102
مَسْجِدُ الإِجَابةِ	97 ،102 465 ،
المَسْجِدِ الأَعْظَمِ	401
الْمسجد الأقصى	34، 548، 551، 601، 603، 605، 659، 664
مسجد إيليا	155
مسجد البَغْلَة	96، 465
مسجد الجُمُعَة	98
المسجد الحَرَامِ	122، 125، 155، 157، 158، 539، 150، 157، 158، 159، 161، 548، 549، 550، 574، 603، 663، 665
مَسْجِد الخرْبَةِ	99
مسْجِدِ الرَّايَةِ	102
مسجد الشيخينِ	85
مسجد الضّرار	155، 235
مسْجِدِ الفَتْحِ	100
مسْجِدِ الفَضِيحِ	97
مَسْجِدِ القِبْلَتَيْنِ	99، 416
المسْجِدِ النَّبَوِي	41، 98، 102، 149، 150، 151، 166، 154، 162، 166، 167، 419، 424، 449
الْمَسْجِدِ النَّبَوِي	85، 135، 171
مسْجِد بَنِي سَاعِدَة	101
مَسْجِدِ بَنِي عصيبة	99
مسجد ذي القرنين	425
مسجد صالح	425
مسْجِدِ قُبَاء	97، 162، 52، 151، 155، 162، 424

المكان	الصفحة
المسْكية	97
مَشْرَبَة أُمِّ إبراهِيمَ	84
مشعط	70، 71، 102
مَشْهَد العَبَّاسِ	150
مَشْهَد سَيِّدِنَا حَمْزَةَ	23
مِصْرَ	80، 504، 590، 630
مَصْرَعُ حمْزَةَ	76
مَصْرِف عَيْنِ الأَزْرَقِ	23
المصَلَّى الشَّرِيفِ	170
المصَلَّى النَّبَويِّ	153
الْمصيصة	630
مُطَيَّبَةٌ	22
المُعرّس	136
المقْدس	158، 419، 423، 426
مكّة	36، 230، 273، 295، 353، 356، 360، 374، 387، 411، 415، 417، 426، 490، 491، 518، 704، 44، 47، 159، 169، 220، 274، 361، 397، 398، 415، 422، 425، 524، 531، 601، 654، 705، 45، 52، 57، 80، 88، 120، 230، 234، 281، 415، 422، 427، 486، 491، 516، 524 62، 225، 283، 35، 36، 45، 47، 48، 50، 51، 52، 53، 56، 57، 62، 63، 65، 66، 67، 68، 70، 72، 73، 80، 82، 88، 91، 93، 95، 103، 110، 125، 159، 160، 166، 183، 193، 205، 206، 219، 221، 225، 233، 235، 237، 246، 259، 261، 262، 264، 268، 270، 274، 275، 277، 279، 280، 281، 283، 288، 289، 290، 293، 295، 297، 298، 302، 309، 310، 311، 314، 318، 322، 323، 324، 327، 328، 331، 332، 333، 334، 345، 349، 352، 353، 354، 355، 372، 374، 382، 383، 393، 396، 401، 411، 412، 413، 415، 416، 417، 422، 428، 447، 448، 464، 467، 484، 486، 488، 490، 491، 499، 500، 512، 514، 521، 523، 524، 525، 527، 532، 550، 554، 560، 572، 588، 609، 623، 624، 625، 634، 635، 658، 659، 661، 665، 667، 687، 702، 705، 26، 28، 33، 35، 51، 63، 65، 72، 119، 231، 234، 367

المكان	الصفحة
المنْبَرِ	39، 41، 42، 67، 133، 138، 144، 145، 146، 165، 166، 168، 170، 172، 434، 476
مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ	118
الْمنصرف	323
مِنىً	52، 251، 266، 388، 486، 490
مهزور	83
مَهْيَعَة	68، 69، 70
الموصل	287
ميطات	98
ناصِرة	231
نَجْد	2، 30، 367، 521
نجران	248، 320، 321، 331
نَخلَة	289، 290
نصيبين	289
النَّطاة	521
النقف	84
نَيْدَر	26
النّيل	265، 563، 612، 630، 631، 634
نيْنوى	391
هَجَر	91
الهُجَيم	97
هَرْشَى	45
هَمَدَانَ	87، 88، 285، 301، 302
همرون	342
الهِند	95، 303، 630
وادي السر	244
وادي السّماوة	249، 286
وَادِي الطَّائِف	465
وَادِي القُرَى	88
وادِي بُطْحَان	76، 98
وادِي قَنَاة تُبَّع	442
وَادِي لَيَّةَ	465
واقِم	43، 45، 96
الوالِج	85
وَرِقان	36، 401
وَقْعَةِ وَاقِم	41
يثْرِب	22، 23، 25، 24، 25، 29، 36، 37، 38، 53، 81، 82، 90، 91، 96، 274، 299، 330، 590، 80، 85، 87، 219، 230
اليمامة	81، 516، 517، 521، 522
اليمن	37، 83، 84، 86، 88، 91، 92، 100، 160، 219، 234، 240، 242، 243، 244، 246، 247، 261، 289، 296، 298، 300، 333، 404، 422، 481، 513، 601
يَنْدَدُ	26

8-فهرس الأيام والحروب:

أَجْنَادِين 517
أُحُد ..... 23، 58، 362، 452، 521، 624
الْحُدَيْبِيّةِ 550
الْخَنْدَقُ ..... 521، 703
الفُجَّار 363
الهجرة ..... 625، 626
الْيَرْمُوكِ ..... 517، 522
بدر ..... 45، 362، 392، 404، 447، 482، 491، 521،550، 623 455، 496، 528
حجّة الْوداع 687
حَجَّةِ الْوَدَاعِ ..... 467، 626، 687
حنيْن ..... 455، 504، 535، 624، 703، 306، 323، 328، 452، 524، 527، 689
عَامِ الْحُدَيْبِيَّةِ 549
عامَ الرَّمَادَةِ 450
عام الفتح ..... 318، 504، 524، 525، 623، 626، 634
عام خيبر 467
عُمْرَةِ القضية 516
غَزْوَةِ الفَتْحِ 457
غزوة تبوك 642
غَزْوَةِ تَبُوك ..... 444، 453، 457
غزْوَةِ ذَاتِ الرِّقاعِ 457
فتح مكّة 516
كَائِنَةِ الحَرَّةِ 41
ليالِي الحرّة 55
ليلة الطُّورِ 475
وقعة بُعَاث 426
يَوْمَ الأَحْزَابِ 23
يوم الجمل 361
يَوْمَ الدَّارِ 460
يَوْمُ الرَّبِيعِ 103
يَوْمَ الْيَمَامَةِ 522

9-فهرس الكتب التي في المتن

1.	إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر في زيارة النبي ﷺ	أبو اليمن ابن عساكِر	145
2.	إحياء علوم الدِّين	أبو حامد الغزالي	113، 137، 139، 144، 159
3.	آدَابِ زِيَارَةِ القُبُور	أبو موسى الأصبهاني	143
4.	أَسَاس البلاغة	الزمخشرِي	210
5.	الاسْتِيعَاب في معرفة الأصحاب	ابن عبد البرّ	662
6.	أُسْدِ الْغَابَةِ	ابن الأثِير	662
7.	الإِسْعَادِ	غيرر معين	678
8.	الإصابة في معرفة الصحابة	ابن حجر العسقلاني	351، 525، 526
9.	إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ	ابن السكيت	567
10.	أَعْذَبِ الْمَوَارِدِ وأطيب الموالد	الشّيبِي	462
11.	الْأَغَانِي	أبو الفرج الأصبهاني	518
12.	الإِكْمالِ	ابن ماكولا	369
13.	إكمال المعلم شرح صحيح مسلم	القاضي عياض	374
14.	أَلْفِيَّةِ بنِ مَالِك	محمد بن مالك	149
15.	الأُمّ	محمّد بن إدريس الشّافعِي	437
16.	أَمَالِي ابنِ سَهْلِ القَطَّانِ	القطان	203
17.	أَمَالِي الدارقطنِي	الدارقطني	106
18.	انتقَاء أبي الطاهر بن المخلّص	ابن المخلص	166
19.	الإنجيل		174، 192، 193، 195، 217، 222، 223، 227، 228، 229، 232، 240، 337، 338، 339، 340، 341، 344، 360، 384، 387، 391، 606، 650
20.	الأُنْسِ الجَلِيلِ بتاريخ القدس والخليل	عبد الرحمن بن محمد العليمي	197
21.	إنسان العُيون في سيرة الأمين المأمون	علي بن إبراهيم الحلبِي	374
22.	الإِنْسان الكَامِل في معرفة الأواخِرِ والأوائِلِ	عبد الكريم بن إبراهِيم الجِيلِي	192، 193

23.	أَنْوَار التَّنْزِيلِ	أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوِي	190، 193
24.	الْأَنْوَارِ فِي آيَاتِ النَّبِيءِ الْمُخْتَار	عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي	674
25.	بَحْرِ العُلُومِ	نصر بن محمد بن أحمد السّمرقندِي	192
26.	التاريخ الكبير	البخارِي	203
27.	تَارِيخِ الْمَدِينَةِ	ابن النّجّار	465
28.	تَارِيخ بغداد	الخطِيب البغدادِي	675
29.	تارِيخ دمشق	ابن عساكِر	376، 521، 533
30.	تتمة الإبانة عن أحكام فروع الديانة	عبد الرحمن بن محمد المتولِّي الشَّافِعِي	147
31.	التَّحقيقِ	النّووِي	148
32.	ترتيب المدارك وتقريب المسالك	القَاضِي عياض	62
33.	تَفْسِيرِ ابْنِ عَبَّاس	ابن عباس	413
34.	تفسير الكَشَّافِ	الزمخشرِي	193
35.	تفْسِيرِ الماوردِي= النكت والعيون	علي بن محمد بن محمد الماوردي	194
36.	تفسِير اليَنَابِيع	غير معين	191، 192
37.	تَفْسِيرِ مُقَاتِل	مقاتل بن سليمان	413
38.	تقريب التهذِيب	ابن حجر العسقلانِي	526
39.	تنبيه الأنام في بيان علو مقام نبينا محمد	عبد الجليل بن محمد المرادي	280
40.	تَهْذِيبِ الطَّالِبِ وفائدة الراغِب	عبد الحق بن هارون الصقلّي	125
41.	توثيق عرى الإيمان في تفضيل حبيب الرحمن	ابْن الْبَارِزِيّ	114
42.	التّوراة		22، ..... 27، 29، 31، 33، 34، 36، 45، 81، 174، 175، 178، 192، 193، 195، 217، 218، 219، 220، 221، 222، 223، 227، 228، 229، 230،

			231، 233، 240، 272، 344، 368، 384، 391، 415، 425، 606، 650، 655
43.	التَّوْرَاةِ السَّبْعِينِيَّةِ		233
44.	الثِّقَات	ابن حبّان	53، 109، 110، 162
45.	جامع الأصول في أحاديث الرسول	الجزري ابن الأثير	75
46.	الجامع من البيان لابن رشد شرح العتبية	ابن رشد	148
47.	حَاشِيَةِ القَنَاطِرِ	أمحمد أطفِيّش	409، 485
48.	حلية الأولياء	أبو نعيم الأصبهاني	187،203
49.	خلاصة الوفا في أخبار دار المصطفى	السمهودِي	77، 147، 152، 160، 167، 168، 171، 172
			86، 71، 75، 102، 142، 143، 144، 146
50.	الدر المنظَّم في مولد النَّبِيّ المعظَّم	أبو العباس أحمد بن محمد اللَّخمِي	116
51.	الدّرّ النّظِيم في مولد النبي الكرِيم،	ابن طغرو بك	206
52.	الدرر المنثورة في الأحادِيث المشتهِرَة	جلال الدين السيوطِي	498
53.	دلائل النبوة	أبو بكر البيهقِي	376، 474، 487
54.	دلائل النبوة	أبو نعيم	279، 380، 495، 506
55.	رَبِيع الأَبْرَارِ	الزّمخشرِي	191
56.	رَقَائِقِ ابن المُبارَكِ	ابن المبارك	216
57.	الرَّوض الأنف	أبو القاسم السهيلِي	374
58.	روضة الطالبِين	النّووِي	144، 167، 168، 169، 170، 171، 172، 419، 662
59.	رُؤوسِ المسَائِل	النّووِي	132
60.	زبدة الأعمال، وخلاصة الأفعال	سعد الدين الأسفرائني	665
61.	الزّبور		174، 192، 193، 195، 217، 222، 225، 226، 227، 228، 229، 232، 384، 606
62.	السبعيات، في مواعظ البريات	أبو نصر الهمداني	651
63.	سُنَن أبو درّ الهروِي	الهروي	56، 132

64.	السُّنَنِ الأربَعِ		438
65.	سنن الدّارقطنِي	الدّارقطنِي	105
66.	السُّنَن الصِّحَاح		106
67.	سيرة مغلطاي		353، 662
68.	شَرْحِ الرِّسَالَةِ	العبدِي، أحمد بن المعذل	125
69.	شرحِ المُهذَّب	النووِي	143، 153، 445
70.	شَرْح الموَاقِف	علِي بن محمد الجرجانِي	211
71.	شَرْحِ النِّيلِ	أمحمّد أطفِيَّش	160
72.	شَرْحِ عقَائِدِ العَضُدِ	جلال الدين الدوانِي	190
73.	شَرْح فصوص الحكم	الجامِي الملَّا عبد الرحمن بن أحمد	201
74.	شَرْحِ قَصِيدَةِ أَبِي نَصْرٍ	أمحمّد أطفِيَّش	513
75.	شَرْحِ لَامِيَّةِ ابنِ النَّظْرِ	أمحمد أطفيش	3، 496
76.	شَرْحِ مُخْتَصَرِ ابْنِ الْحَاجِبِ	عبد الْوَهَّاب بن عَليّ السّبكِي	485
77.	شَرْحِ مُخْتَصَرِ الْعَدْلِ	أمحمّد أطفِيّش	540
78.	شرف المصطفى	ابن الجوزِي	160
79.	شرف المصطفى	أبو سعِيد الخركوشِي	368، 586
80.	شُعَبِ الإيمانِ	أبو بكر البيهقي	184، 198
81.	شفاء الصدور في إعلام نبوة الرسول وخصائصه	ابن سبع السّبتِي	462
82.	الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى	القاضي عياض اليحصبي	452، 533، 118، 119، 130، 129، 227، 365، 136، 145، 379، 493، 534، 533، 550، 649، 666
83.	الشَّمائِل المحمّديّة	الحكيم التّرمذِي	463
84.	شواهد التوضِيح والتَّصْحِيح لمشكِلات الجامع الصَّحِيحِ	محمد بن مالك	615
85.	شَواهِد النُّبُوءَة	عبد الرحمن بن أحمد الجامي	190، 200

86.	صَحيح ابن حبّان	ابن حبان	155، 162، 163
87.	صحيح البخارِي		195، 416، 434، 687، 130، 691، 151، 176، 198، 489، 680
88.	صَحِيحِ مُسْلِم		416، 434
89.	الصَّحِيحَانِ		54، 58، 66، 72، 73، 155، 156، 158، 164، 259، 290، 485، 577، 677
90.	صفة الصَّفوة	ابن الجوزِي	294، 295، 500، 501، 502، 503
91.	الطَّبقات الكبرى	ابن سعد	423
92.	العُروةِ الوُثقَى	السمناني الحلبِي	190، 239
93.	الْعِلَل	الدارقطنِي	108
94.	الْعِلَلِ والسُّؤَالَات	أحمد بن حنبل	145
95.	العُمْدَةِ	غير معين	191
96.	عيون الأثر في فنون المغازِي والسِّيَرِ	ابن سيد الناس اليعمرِي	368، 510، 663
97.	غاية الإحكام في الأحاديث والأحكام	محب الدين الطبرِي	162
98.	غاية المقصد في زوائد المسند	نور الدين علي بن أبي بكر الهيثَمِي	166، 171
99.	غَرَائِبِ مَالِك	الدارقطنِي	108
100.	فتَاوِي أَبِي اللَّيْثِ السَّمَرْقَنْدِي	أبو الليث السمرقندي	120
101.	فَتَاوِي البلقِينِي	البلقيني	177، 662
102.	فتح البارِي	ابن حجر	103، 167 ، 313، 422
103.	الفتوح الكبِير والردة	سيف بن عمر	128
104.	الفُتُوحاتِ المكِيَّة	ابن عربِي	190
105.	فُصُوصِ الحِكَمِ	محيِي الدّين بن عربِي	201
106.	فَضْلِ أَهْلِ الْبَيْتِ	ابن المؤيّد الحمويّ	79
107.	الفلَانِيَّات، (كتاب الفوائِد)	البزاز	79
108.	فَوَائِدِ القَاضِي أَبِي الحَسَنِ الهَاشِمِي	أَبو الحَسَنِ الهَاشِمِي	61
109.	القَاموسِ المحِيط	الفيروز أبادِي	210، 465
110.	الْكَامِل في الضعفاء	ابن عدِيّ	78، 107، 108، 114

111. اللباب في علوم القرآن	ابن عادل	197
112. مباهج الْفِكر ومناهِج العِبَر	الوطواط الكتبِي	480
113. المبْسُوط	إسماعيل بن إسحاق	131، 148
114. مُثِيرِ الْعَزْمِ السَّاكِن	ابن الجوزِي	107
115. مُختَصَرِ القَوَاعِدِ والْحَاشِيَة	أمحمّد أطفِيّش	192
116. مدارك التنزِيل	النّسفِي	192، 199
117. مروج الذّهب	المسعودِي	364
118. مزَامِيرِ دَاوُدَ عليه السلام		234
119. المسائل العتبية	محمد بن أحمد العتبي الأندلسي	155
120. المسْتَدْرَكِ على الصحيحين	الحاكِم	51، 49، 183، 433، 659
121. المسْتَوْعَب	أبو عبد الله السامرِي	131
122. مُسْنَدِ أبِي حنيفة		133
123. مُسْنَدِ أَحْمَد بن حنبل		466
124. مُسْنَدِ الرَّبِيعِ بن حبيب		470، 687
125. مُسنَدِ الفِرْدَوْس	شهردار بن شيرويه الديلمِي	110، 160
126. مشْكَاة المصابِيح	محمد بن عبد الله الخطيب التبرِيزِي	352
127. مُصَنَّفِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ		63، 488
128. مطَالِع الأنوار على صحاح الآثار	ابن قرقول	34، 440، 510
129. مُعْجَمِ ابْنِ المقْرِئ	أبو بكر ابن المقرئ	106
130. المعجم الأَوْسَط	الطبرانِي	60، 63، 66، 106، 107، 155، 157، 162، 165، 376، 575، 598
131. المعجم الصَّغِيرِ	الطبراني	79
132. المعجم الكَبِيرِ	الطبراني	57، 61، 66، 79، 106، 107، 156، 160، 165
133. المُعْجَمِ الكبير	ابن المقرئ	106
134. المَغَانِم المُطَابَة فِي فَضَائِلِ طابَةَ	الفيروزأبادِي	465
135. المغْنِي	ابن قدامة المقدِسِي	145

136. المفْتَاحُ	محمد بن أبي بكر الأصبحِي	126
137. المفهم في شَرحِ مُسْلِم	القرطبِي	599، 682
138. المقَاصِد الْحَسَنَةِ	السّخاوِي	479
139. مقَامِعُ الصُّلْبَانِ	أحمد بن عبد الصمد الخزرَجِي	220
140. ملاخيم		342
141. المَنَاسِك	إبراهيم بن إسحاق الحربِي	132
142. مَنَاسِكِ خَلِيل		151
143. المنتَقَى	غير معين	353، 362
144. المنْسَكِ الْكَبِيرِ	ابن جماعة	133
145. منهاج الدين في شعب الإيمان	الحلِيمِي	194
146. المنهاج شَرْحِ مُسْلِم بن الحجاج	النووي	418، 419، 662
147. المَوَاهِبِ اللدنية	القسطلانِي	184، 197، 375، 402، 526
148. الموَطَّأ	مالك بن أنس	56، 117
149. النَّاسِخِ والمَنْسُوخِ	غير معين	421
150. نَوَادِرِ الْأُصُولِ في معرفة أخبار الرسول	الحكيم الترمذِي	79
151. نور النبراس في شرح سيرة ابن سيد الناس	برهان الدين إبراهيم بن محمد الحلبِي	509
152. الهَمْزِيَّةِ	البوصيرِي	213
153. الوَاضِحَة	عبد الملك بن حبِيب	139
154. الوفا بتعريف فضائل المصطفى	جمال الدين أبو الفرج بن محمد الجوزي	75، 162
155. وَفَاءُ الْوَفَاءِ بأخبار دار المصطفى	نور الدين السمهودِي	465

10- فهرس المصادر والمراجع

1- المصادر والمراجع المطبوعة:

إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز، تح: عادل بن سعد والسيد بن محمود بن إسماعِيل، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1419هـ - 1998م.

إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر في زيارة النبي ﷺ، عبدالصمد بن عبدالوهاب أبو اليمن بن عساكر، تح: حسين محمد علي شكري، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، د س ن.

الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تح: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط1، 1429هـ – 2008م.

إثبات صفة العلوّ، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدِسِي، تح: أحمد بن عطية بن علي الغامدِي، مؤسسة علوم القرآن بيروت، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، ط1، 1409هـ-1988م.

الأحاديث الطوال، سليمان بن أحمد الطبراني، تح: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة الزهراء- الموصل، ط2، 1404 - 1983م.

أحكام الخواتِيم وما يتعلق بِها، ابن رجب الحنبلي، تح: أبو الفداء عبد الله القاضِي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1905هـ-1985م.

إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، د ت، دار ابن حزم، ط1، 1426هـ/2005م.

أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي، تح: عبدالملك عبد الله دهيش، دار خضر –بيروت، ط2، 1414هـ 1994م.

أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، أبو الوليد محمد بن عبدالله المعروف بالأزرقي، تح: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر –بيروت، ط3، 1403هـ-1983م.

أخلاق النبي وآدابه، أبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني، تح: صالح بن محمد الونيان، دار المسلم للنشر والتوزيع الرياض، ط1، 1418، 1998م.

الأدوات النحوية في كتب التفسير، د. محمود أحمد الصغبر، دار الفكر سوريا، ط1، 2001 - 1422هـ.

الأذكار، محيي الدين أبي زكريا النووي، تح: عبدالقادر الأرنؤوط، دار الفكر للطباعة، بيروت-لبنان، 1414هـ-1994م.

آرَاء الشَّيخِ امحَمَّدِ بنِ يُوسُفَ اطْفِيَّشْ العَقَدِيَّة (1238 – 1332هـ / 1821 – 1914م)، مصطفى بن الناصر وينتن، جمعية التراث، 1417هـ / 1996م.

إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد القسطلاني، د ت، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط7، 1323هـ.

إرشاد السَّالك إلى أفعال المناسك، برهان الدين إبراهِيم بن فرحون، تح: محمد بن الهادِي أبو الأجفان، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، 1989م.

إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، تح: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، ط2، 1405 هـ - 1985م.

أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، تح: مصطفى السقا إبراهيم الأبياري عبدالعظيم شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر-القاهرة، 1358 هـ - 1939م.

الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تح: د. عبد المعطِي أمِين قلعجِي، دار الوعي حلب- القاهرة، دار قتيبة، دمشق- بيروت، ط1، 1414هـ- 1993م.

الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبدالله القرطبي، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ -1992م.

أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الجزري، د ت، دار ابن حزم، ط1، 1433هـ - 2012م.

الأسماء والصفات للبيهقي، أحمد بن الحسين البيهقي، تح: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية، ط1، 1413 هـ - 1993م.

الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا، مغلطاي بن قليج بن عبد الله، تح: محمد نظام الدين الفتَيّح، دار القلم – دمشق، الدار الشامية – بيروت، ط1، 1416 هـ - 1996م.

الاشتقاق، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط1، 1411هـ - 1991م.

أشرف الوسائل إلى فهم الشّمائل (ومعه: جواهر الدّرر في مناقب ابن حجر)، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، تح: أحمد بن فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1419 هـ - 1998م.

الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تح: عبد الله بن عبد المحسِن التركِي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ط1، 1429هـ- 2008م.

إصلاح المنطق، يعقوب بن السكيت، تح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف–مصر، دس ن.

أصول السنة، ومعه رياض الجنة بتخريج أصول السنة، أبو عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي، تح: عبدالله بن محمد عبدالرحيم بن حسين البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية – المملكة العربية السعودية، ط1، 1415هـ.

الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط3، 1988.

أطراف الغرائب والأفراد للدارقطني، أبو الفضل محمد بن طاهر، المعروف بابن القيسراني، تح: جابر بن عبيد الله السريّع، دار التدمرية–الرياض، ط1، 1428هـ.

أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، تح: محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ط1، 1409هـ - 1988م.

أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد الماوردِي، د ت، دار الكتب العلمية – بيروت لبنان، د س ن.

الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي – القاهرة، 1980م.

الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي، دار العلم للملايين، ط15، أيار / مايو 2002م.

الأغاني، علي بن الحسين أبو الفرج الأصبهاني، تح: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربِي، دار إحياء التراث العربي–بيروت، ط1، 1994م- 1415هـ.

اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تقي الدين أبو العباس، ابن تيمية الحراني، تح: ناصر بن عبدالكريم العقل، مكتبة الرشد الرياض، د ر ط، د س ن.

الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، تح: د.محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب، ط1، 1417هـ-1997م.

الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، سعد الملك، علي بن هبةالله بن جعفر بن ماكولا، تح: عبد الرحمن بن يحي المعلمِي اليماني، مجلس دائرة المعارف العثمانية –الهند (تصوير الكتاب الإسلامِي) د رط، 1383-1963.

ألفية السيرة النبوية – نظم الدرر السنية الزكية، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، تح: السيد محمد بن علوي، دار المنهاج – بيروت، ط1، 1426هـ- 2005م.

ألفية السيوطي في علم الحديث، عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تح: أحمد محمد شاكر، المكتبة العلمية، د س ن.

ألفية العراقي المسماة بـ:التبصرة والتذكرة في علوم الحديث، أبو الفضل زين الدين عبدالرحيم بن الحسين، تح: العربي الدائز الفرياطي، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط2، 1428هـ.

الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، أبو بكر محمد بن موسى، تح: حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، 1415هـ.

أمالي ابن بشران، أبو القاسم عبد الملك بن محمد البغدادي، تح: أحمد بن سليمان، دار الوطن للنشر، الرياض، ط1، 1420 هـ - 1999م.

الأمثال، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم، تح: عبدالمجيد قطامش، دار المأمون للتراث، ط1، 1400هـ -1980م.

الأمثال من الكتاب والسنة، محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي، تح: د. السيد الجميلي، دار ابن زيدون، دار أسامة – بيروت — دمشق، د س ن.

الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مجير الدين الحنبلي العليمي، تح: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس — عمان، 1420هـ - 1999م.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوِي، ناصرالدين أبو سعيد عبدالله بن عمر، تح: محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي— بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ط1، 1418هـ.

أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري، تح: محمد محيي الدين، المكتلة العصرية، صيدا، بيروت، د س ن.

إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل بن محمد الباباني البغدادي، تح: محمد شرف الدين بالتقايا رئيس أمور الدين، والمعلم رفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، د س ن.

بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمّد باقر بن محمّد تقي المجلسي، د ت، إحياء الكتب الإسلامية قم إيران، 1388هـ.

البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1418هـ - 1997م.

البر والصلة لابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج الجوزي، تح: عادل عبد الموجود، علي معوض، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان، ط1، 1413هـ- 1993م.

البرصان والعرجان والعميان والحولان، عمرو بن بحر، الشهير بالجاحظ، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1410 هـ- 1990م.

برنامج شيوخ الرعيني، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الإشبِيلي، تح: إبراهِيم شبُّوح، وزارة الثقافة والإرشاد القومِي دمَشق، 1381هـ-1962م.

البعث والنشور للبيهقي، أحمد بن الحسين، أبو بكر البيهقي، تح: الشيخ عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، ط1، 1406 هـ - 1986 م.

بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي، تح: حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية– المدينة المنورة، ط1، 1413 – 1992م.

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط1، 1384هـ/ 1965م.

بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها شرح مختصر صحيح البخارِي، أبو محمد عبد الله بن أبِي جمرة الأندلسِي، د ت، مطلعة الصديق الخيريَّة، بجوار الأزهر، مصر، ط1، 1348هـ.

البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، تح: محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط2، 1408هـ - 1988م.

تاريخ أصبهان ذكر أخبار أصبهان، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1410 هـ-1990م.

تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد الذهبي، تح: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003م.

تاريخ الجزائر الثقافِي ج1، من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجرِي (16-20م)، د. أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنِيَّة للنَّشْرِ والتَّوزِيع – الجزائِر، ط1، 1981م.

تاريخ الجزائر الثقافِي ج2، 1500– 1830، د. أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامِي -بيروت، ط1، 1998.

تاريخ الخميس فِي أحوال أنفسِ نفِيس، حسين بن محمد بن الحسَن الديار بكري، د ت، مؤسسة شعبان للنشر والتوزِيع بيروت، د س ن.

تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، تح: محمد أبو الفضل إبراهِيم، دار المعارِف بمصر، ط2، د س ن.

التاريخ الكبير المعروف بتاريخ ابن أبي خيثمة، أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة، تح: صلاح بن فتحي هلال، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر- القاهرة، ط1، 1427هـ - 2006م.

تاريخ المدينة المنوَّرة، ابن شبة النمرِي، تح: فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: حبيب محمود أحمد-جدة، 1399هـ.

تاريخ اليعقوبِي، أحمد بن أبِي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبِي، تح: عبد الأمِير مهنا، شركة الأعلمِي للمطبوعات بيروت لبنان، ط1، 1431هـ-2010م

تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبةالله المعروف بابن عساكر، تح: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415 هـ-1995م.

تاريخ علماء الأندلس، عبدالله بن محمد المعروف بابن الفرضي، عنى بنشره وصححه ووقف السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1408 هـ - 1988 م.

تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها، أبو بكر أحمد بن علي البغدادي، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ط1، 1422هـ - 2002م.

تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، محمد بن أحمد بن الضياء، تح: أيمن نصر، دار الكتب العلمية-بيروت لبنان، ط2، 1424هـ -2004م.

تأويل مشكل القرآن، أبو عبد الله محمد بن مسلم ابن قتيبة، تح: أحمد صقر، مكتبة دار التراث القاهرة، ط2، 1393هـ-1973م.

التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، تح: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1976م.

التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي، د ت، الدار التونسية للنشر- تونس، 1984 هـ.

التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، شمس الدين السخاوي، تح: أسعد طرابزونِي الحسيني، دار نشر الثقافة –القاهرة، 1399هـ-1979م.

تحقِيق المخطوطات اللغوية والأدبِيّة، مجموعة مؤلِّفِين، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامِي،ط1، 1437-2016م.

التحلِيل النحوِي أصوله وأدلته، د. فخر الدين قباوة، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط1، 2002م.

تخليص العاني من ربقة جهل المعانِي، محمد بن يوسف أطفِيش، تح: د. محمد زمري، وزارة التراث والثقافة – سلطنة عمان، ط1، 1430هـ- 2009م.

تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامِي، بيروت، ط1، 1405هـ – 1985م.

ترتيب المدارك وتقريب المسالك، أبو الفضل القاضي عياض، تح: ج1: محمد بن تاويت الطنجي، 1965م، جزء 2، 3، 4: عبدالقادر الصحراوي، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، ط2، 1403هـ-1983م .

تزيين الأرائِك في إرسالِ النبِيءِ إلى الملائِك، ضمن الرسائل المصطفوية في الرسالة المحمدية، جلال الدين عبد الرحمن بن أبِي بكر السيوطِي، تح: علِي أسعد رباجِي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 2005-1426هـ.

تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله، تح: د. سيد عبد العزيز- د.عبدالله ربيع، مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث- توزيع المكتبة المكية، ط1، 1418 هـ - 1998م.

التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة، جمال الدين محمد بن أحمد المطري، تح: سليمان الرحيلي، دارة الملك عبد العزيز الرياض، 1426هـ/2005م.

التعظيم والمنة في "لتؤمنن به ولتنصرنه"، ضمن الرسائل المصطفية في الرسالة المحمدية، تقي الدين علِي بن عبد الكَافِي السبكِي، تح: علِي أسعد الباجِي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005م-1426هـ.

تفسير الإمام الشافعي، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس، تح: د.أحمد بن مصطفى الفرَّان، دار التدمرية - المملكة العربية السعودية، ط1: 1427 - 2006م.

تفسِير البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف، تح: عادل أحمد عبد الوجود، وعلِي محمد عوض، دار الكتب العلمِيَّة، بيروت لبنان، ط1، 1413هـ-1993م.

تفسير الفخر الرازِي، المشتهر بـ: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1401هـ-1981م.

تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبدالرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي الرازي، تح: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز–المملكة العربية السعودية، ط1، 1417هـ/ 1997م.

تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تح: مصطفى السيد محمد ومحمد السيد رشاد، ومحمد فضل العجماوي، وعلي أحمد عبد الباقي، مؤسسة قرطبة، ومكتبة أولادالشيخ للتراث– الجيزة، ط1، 1412هـ، 2000م.

تفسير الكشَّاف للزمخشَرِي دراسة لغوِيَّة، دلدار غفور حمد أمِين، دار دجلة، عمان، المملكة الأردنية، ط1، 2007.

تفسير اللباب لابن عادل، أبو حفص عمر، د ت، دار الكتب العلمية– بيروت، د س ن.

تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تح: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419هـ– 1998م.

تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع، تح: محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، سنة 1419هـ– 1999م.

تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، تح: عبدالله محمود شحاته، مؤسسة التاريخ العربي –بيروت، ط1، 1423هـ.

تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، أبو الأشب الصغير، أحمد شاغف الباكستاني، دار العاصمة، د س ن.

تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تح: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، مؤسسة قرطبة –مصر، ط1، 1416هـ /1995م.

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبدالله القرطبي، تح: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية–المغرب، 1387هـ.

تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدَنِي –القاهرة، 1982.

تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تح: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، د س ن.

تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، د ت، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1، 1325هـ.

تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبدالرحمن بن يوسف، المزي، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط1، 1400 - 1980م.

تيسير التفسِير، أمحمد بن يوسف أطفِيَّش، تح: إبراهيم طلّاي، ط1، 1425هـ- 2004م.

تيسير مصطلح الحديث، أبو حفص محمود بن أحمد بن محمود طحان النعيمي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط10، 1425هـ-2004م.

الثقات، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن الهند، ط1، 1393 هـ- 1973.

ثمرات الأوراق، ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا بيروت، 1426هـ-2005م.

الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق)، معمر بن أبي عمرو راشد، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، ط2، 1403هـ.

جامع الأحادِيث، الجامع الصَّغِير وزوائده والجامع الكبِير، أبو بكر السيوطِي، تح: عباس أحمد صَقَر وأحمد عبد الجواد، دار الفكر، بيروت لبنان، 1414هـ-1994م.

جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات الجزري ابن الأثير، تح: عبد القادر الأرنؤوط – التتمة تح بشير عيون، مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان، ط1، 1392م-1972هـ.

جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير، تح: أحمد ومحمود شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ -2000م.

الجامع الكبير-سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي-بيروت، 1998م.

الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية –القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964 م.

الجامع لشعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي، تح: عبد العلي عبد الحميد حامد، ومختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، ط1، 1423هـ -2003م.

الجرح والتعديل، عبدا لرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس، د ت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1372هـ –1952.

جزء الحسن بن عرفة العبدي، أبو علي الحسن بن عرفة بن يزيد العبدي البغدادي، تح: عبدالرحمن بن عبدالجبار الفريوائي، دار الأقصى، الكويت، ط1، 1406هـ -1985م.

جمل من أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري، تح: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر –بيروت، ط1، 1417هـ -1996م.

جمهرة أنساب العرب، أبو محمد علي بن أحمدبن سعيد بن حزم الظاهري، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف مصر، ط5، 1982.

الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي، تح: د فخر الدين قباوة – محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان.

الجواز النّحوِي ودلالة الإعراب على المعنَى، مراجع عبد القادر، جامعة قار يونس– بنغازِي، د س ن.

الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبدالقادر بن محمد بن نصر الله القرشي، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر، ط2، 1413هـ/ 1993م.

الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، وهو شرح مختصر المزني، أبو الحسن علي بن محمد الشهير بالماوردي، تح: الشيخ علي محمد معوض– الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 1419هـ -1999م.

الحاوي للفتاوِي، جلال الدين السيوطِي، د ت، دار الكتب العلمِيَّة بيروت، لبنان، 1403هـ- 1982م.

الحبائك في أخبار الملائك، عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1405هـ - 1985م.

الحسام الممدود في الرد على اليهود (وهو مطبوع ضمن كتاب رسالتين في الرد على اليهود)، أبو محمد عبدالحق الإسلامي المغربي السبتي، تح: عبد المجيد خيالِي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1422هـ- 2001م

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، د ت، مكتبة الخانجِي، القاهرة، ودار الفكر، بيروت، د رط، 1416هـ-1996م.

حياة الأنبياء صلوات الله عليهم بعد وفاتهم، أحمد بن الحسين بن علي، أبوبكر البيهقي ، تح: د.أحمد بنعطية الغامدي، مكتبة العلوم والحكم –المدينة المنورة، ط1، 1414هـ-1993م.

حياة الحيوان الكبرى، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424هـ.

الخصائص الكبرَى أو كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبِيبِ، جلال الدين عبد الرحمن أبِي بكر السيوطِي، تح: محمد خلِيل هرَّاس، دار الكتب الحدِيثَة مصر، د س ن.

خلاصة الوفا في أخبار دار المصطفى، علِي بن عبد الله بن أحمد الحسني السَّمهودِي، د ت، طبع على نفقة المكتبة العلميَّة لصاحبها الشيخ محمد بن سلطان النمنكانِي المدينة المنوَّرة، دمشق، 1392هـ-1972م.

خلاصة الوفا في أخبار دار المصطفى، علِي بن عبد الله بن أحمد الحسني السَّمهودِي، تح: محمد الأمين محمد محمود أحمد الجكنِي، طبع على نفقة السيد حبيب محمود أحمد، د س ن.

الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تح: عبد الله بن عبد المحسِن التركِي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، ط1، 1424هـ-2003م.

الدرة الثمينة في تاريخ المدينة، محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن المعروف بابن النجار، تح: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، د ر ط، د س ن.

الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تح: سالم الكرنكوي، مجلس دائرة المعارف، دار دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ/ 1972م.

الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تح: محمد بن لطفي الصباغ، عمادة شؤون المكتبات-جامعة الملك سعود، الرياض، د س ن.

دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبدالله، تح: محمد رواس قلعهجي، عبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ط2، 1406 هـ - 1986م.

دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسن بن علي بن موسى البيهقي أبو بكر، تح: عبد المعطِي قلعَجِي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1405هـ.

الدلائل في غريب الحديث، قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي، أبو محمد، تح: د. محمد بن عبد الله القناص، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1422 هـ - 2001م

الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، 1972م.

ديوان المتنبي، المتنبي، د ت، دار بيروت للطباعة والنشر بيروت، 1403هـ/1983م.

ديوان امرِئ القيس، امْرؤ القَيس بن حجر، تح: عبدالرحمن المصطاوي، دار المعرفة- بيروت، ط2، 1425 هـ- 2004م.

ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، محب الدين أحمد بن عبدالله الطبري، تح: أكرم البوشِي، د س ن.

الذخيرة، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس الشهير بالقرافي، تح: جزء 1، 8، 13: محمد حجي، تح: جزء 2، 6: سعيد أعراب، تح: جزء 3 - 5، 7، 9 - 12: محمد بوخبزة، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1994م.

الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آقا برزك الطهراني، دار الأضواء بيروت، ط3، 1403هـ/ 1983م.

ذكريات مشاهير رجال المغرب، عبد الله كنون، تح: د.محمد بن عزوز، دار ابن حزم بيروت لبنان، ط1، 1430هـ- 2010م.

ذيل طبقات الحنابلة، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، تح: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان – الرياض، ط1، 1425 هـ -2005م.
ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، جارالله الزمخشري، تح: عبدالأمير علي مهنا، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط1، 1412هـ.

رحلة أفوقاي الأندلسي، مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب 1611-1613، أحمد بن قاسم الحجري "أفوقاي"، تح: محمد رزوق، دار السويدِي للنشر والتوزِيع، أبو ظبي المؤسسة العربية للدراسات والنَّشر بيروت، ط1، 2004.

الرسالة القشيرية، زين الدين أبو القاسِم عبدالكريم بن هوازن القشيري، تح: عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشرِيف، دار الشّعب، 1409هـ-1989م.

الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرَّفة، محمد بن جعفر الكتاني، تح: محمد المنتصر ومحمد الزمزمي الكتاني، دار البشائر الإسلامية- بيروت، ط5، 1414 - 1993.

رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، تاج الدين أبي النصر عبدالوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، تح: علي محمد معوض، عادل أحمد عبدالموجود، عالم الكتب- لبنان، بيروت، ط1، 1999 م - 1419 هـ.

الروض الداني (المعجم الصغير)، سليمان بن أحمد الطبراني، تح: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار-عمان، ط1، 1405 – 1985.

الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحميري، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان-بيروت، ط2، 1984م.

روضة الطالبين، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، تح: ادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار عالم الكتب –المملكة العربية السعودية، 1423هـ- 2003م.

الروضة الفردوسية والحضرة القدسِيَّة، محمد بن أمِين الآقشهرِي، د. قاسم السَّامرَّائِي، مؤسسة الفرقان للتُّراث الإسلامِي بلندن، ط1، 1431- 2010م.

روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزِيَّة، تح: محمد غريد شمس، دار عالم الفوائد، ط1، 1431هـ.

رؤوس المسائل وتحفة طلاب الفضائل، أبو زكريا يحي بن شرف بن مري النووي، تح: عبد الجواد حمام، دار النوادر، ط1، 1431هـ-2010م.

زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، تح: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1418هـ /1998م.

الزهد والرقائق، أبو عبدالرحمن عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظلي، تح: أحمد فرِيد، دار المعارج الدوليَّة- الرياض، ط1، 1995-1415هـ.

الزيادات على الموضوعات، ويسمى «ذيل الآلئ المصنوعة»، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تح: رامز خالد حاج حسن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط1، 1431هـ-2010م.

سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تح: عبد العزيز عبد الحق حلمِي، القاهرة، ط1، 1418هـ-1997م.

سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، د س ن.

سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، شعَيب الأرنؤوط- محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430 هـ - 2009م.

سنن الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، تح: شعيب الأرنؤوط، حسن عبدالمنعم شلبي، عبداللطيف حرز الله، أحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، ط1، 1424هـ-2004م.

السنن الكبرى، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تح: حسن عبدالمنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1، 1421هـ-2001م.

السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تح: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، ط3، 1424هـ-2003م.

سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، ط11، 1417هـ/1996م.

السيرة النبوية لابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبِي، تح: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2004م – 1424هـ.

السيرة النبوية لابن هشام، عبدالملك بن هشام، مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1375هـ - 1955م.

شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد الممخلوف، تح: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1424 هـ - 2003م.

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبدالحي بن أحمد بن محمد ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط1، 1406 هـ - 1986م.

شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصَّحابة والتابعِينَ من بعدهم، أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي، تح: أحمد بن سعد بن حمدان، دار طيبة-السعودية، ط8، 1423هـ-2003م.

شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمَّى منهج السَّالِك إلى ألفِيَّة ابن مالِك، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني، تح: محمد محيِي الدِّين عبد الحمِيد، مطبعة مصطفى البابِي الحلَبِي وأولاده، ط2، 1358- 1939م.

شرح التسهيل، جمال الدِّينِ محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي، تح: عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1410هـ- 1990م.

شرح الجامِي على فصوص الحكم، الملا عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الملقب بنور الدين، تح: عاصم إبراهِيم الكيتالِي الحسينِي الشاذلي الدرقاوِي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 2004م /1425هـ.

شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، تح: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض)، ط1، 1417هـ-1997م.

شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أبو عبدالله محمد بن عبدالباقي الزرقاني، تح: محمد عبد العزيز الخالِدِي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1417هـ-1996م.

شرح المفصل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا، المعروف بابن يعيش، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1422 هـ - 2001م.

شرح المواقف، السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، تح: محمود عمر الدمياطِي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1419هـ – 1998م.

شرح النيل وشفاء العليل، محمد بن يوسف بن عيسى أطفيش، د ت، دار الفتح – بيروت، مكتبة الإرشاد – جدة دار التراث العربِي – ليبيا، ط2، 1393هـ- 1972م.

شرح دِيوان علقمة بن عبدة الفحل، الأعلم الشَّنتمرِي، تح: حنَّا نصر الحتّي، دار الكتاب العربِي، ط1، 1414هـ-1993م.

شرح شافية ابن الحاجب، حسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني الأستراباذي، تح: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبد الحمِيد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1402هـ-1982م.

شرح صحيح البخاري لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف، تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد- السعودية، الرياض، ط2، 1423هـ - 2003م.

شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي، تح: د. يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1419 هـ - 1998م.

شرح فتح القدير على الهداية شرح بداية المبتدي، كمال الدين محمد بن عبدالواحد المعروف بابن الهمام، تح: عبد الرزاق غالب المهدِي، دارالكتب العلمية بيروت، ط1، 2003م- 1424هـ.

شرح لامية الأفعال، أمحمد أطفِيَّش، د ت، وزارة التُّراث القومِي والثَّقافة -سلطنة عمان، 1404هـ -1986م.

شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد المعروف بالطحاوي، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، 1415 هـ، 1494 م.

شرح نقائض جرير والفرزدق، أبو عبيدة معمر بن المثنى، تح: محمد إبراهيم حور – وليد محمود خالص، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، ط2، 1998م.

الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبدالله الآجُرِّيّ، تح: عبدالله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن– الرياض/ السعودية، ط1، 1418هـ – 1997م.

شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تح: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية– بيروت، ط1، 1410هـ.

شعر عمرو بن معْدي كَرِبَ الزُّبَيدِي، جمعه ونسَّقه مطاع الطرابِيشِي، ط2، 1405هـ/ 1985م.

الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي، دار الفكر، 1423هـ–2002م.

شفاء السقام في زيارة خير الأنام ﷺ، تقي الدين علي بن عبدالكافي بن علي السبكي، تح: حسين محمد علي شكري، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 2008م.

الشمائل المحمدية، محمد بن عيسى الترمذي، تح: محمد أحمد حلاق، دار إحياء التراث العربي–بيروت، دس ن.

شَوَاهِد التَّوضيح وَالتَّصحيح لمشكلات الجامع الصَّحيح، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، تح: طَه مُحسِن، مكتبة ابن تيمية، ط2، 1413 هـ.

الصَّارِمُ المُنْكِي في الرَّدِّ عَلَى السُّبْكِي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عبدالهادي، تح: عقيل بن محمد بن زيد المقطري اليماني، مؤسسة الريان، بيروت – لبنان، ط1، 1424هـ–2003م.

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط4، 1407 هـ – 1987م.

صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414 – 1993م.

صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة، تح: د.محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي– بيروت، 1390هـ – 1970.

صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي—بيروت.

ضبط النص والتعليق عليه، د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة بيروت، 1402هـ – 1982م.

الضعفاء الكبير، أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي، تح: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية – بيروت، ط1، 1404هـ - 1984م.

ضعيف الجامع الصغير وزيادته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طبعه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط3، 1408هـ- 1988م.

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوِي، دار الجيل - بيروت (تصوير عن مكتبة القدسي)، ط1، 1412 – 1992م.

طبقات الحفاظ، عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تح: لجنة من العلماء بإشراف الناشِر، دار الكتب العلمية - بيروت ط1، 1403هـ-1983م.

طبقات الحنابلة، أبو الحسين ابن أبي يعلى، تح: محمد حامد الفقي، دار المعرفة— بيروت، د س ن.

طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تح: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، د س ن.

طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد، ابن قاضي شهبة، تح: الحافظ عبد العليم خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر أباد الدكن الهند، 1399هـ- 1979م.

طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي، تح: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم –السعودية، ط1، 1417هـ- 1997م.

طبقات المفسِّرِين، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تح: علي محمد عمر، ط1، 1396هـ/1976م.

طبقات النسابين، بكر بن عبد الله أبو زيد، د ت، دار الرشد، الرياض، ط1، 1407 هـ -1987م.

طبقات فحول الشّعراء، محمّد بن سلّام الجمحِي، تح: محمد محمود شاكر، دار المدني — جدة، د س ن.

العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي، تح: إرشاد الحق الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ/1983م.

العلل ومعرفة الرجال، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تح: وصي الله بن محمد عباس، دار الخاني، الرياض، ط2، 1422هـ - 2001م.

العلل، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود الدارقطني، تح: محمد بن صالح بن محمد الدباسي، مؤسسة الريان ناشرون، ط3، 1432هـ-2011م.

عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين العيني، تح: شركة من العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الفكر، د س ن.

عيون الأثر في فنون المغازِي والشمائِلِ والسِّيَرِ، أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرِي، تح: محمد العيد الخطراوِي ومحيي الدِّين مستو، مكتبة دار التراث، دار ابن كثِير، د س ن.

غاية السول في خصائص الرسول ﷺ، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي، تح: عبد الله بحر الدين عبد الله، دار البشائر الإسلامية –بيروت، د س ن.

غاية المقصد في زوائد المسند، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر نالهيثمي، خلاف محمود عبدالسميع، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1421هـ-2001م.

غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، عني بنشره لأول مرة عام 1351هـ ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 2006م.

غريب الحديث، إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق، تح: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط1، 1405هـ.

غريب الحديث، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، عبدالله الجبوري، مطبعة العاني- بغداد، ط1، 1397هـ/ 1977م.

غريب الحديث، حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أبو سليمان، تح: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، جامعة أم القرى – مكة المكرمة، 1402 هـ– 1982م.

الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جارالله، تح: علي محمد البجاوي –محمد أبو الفضل إبراهيم، عِيسَى البابِي الحلبِي وشركاءه، ط2، د س ن.

فَتاوَى الإِمام النَّوَوَيِ المُسمَّاةِ: "بالمَسَائِل المنْثورَةِ"، أبو زَكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ترتيبُ: تلميذه الشيخ عَلاء الدِّين بن العَطّار، تح: محمَّد الحجَّار، دَار البشائر الإسلاميَّة، بَيروت–لبنان، ط6، 1417هـ–1996م.

الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي، أحمد شهاب الدين ابن حجر الهيتمي، دار المعرفة بيروت، د ت، د رط، د س ن.

فتح الباري بشرح صحيح البخارِي، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تح: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دارالمعرفة –بيروت، 1379هـ.

فتح القدير، كمال الدين، المعروف بابن الهمام، دار الفكر، د رط، د س ن، د م ن.

الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تح: يوسف النبهاني، دار الكتاب العرِبِي –بيروت ،لبنان، ط1، 1423هـ - 2003م.

الفتوحات المكية، محيِ الدين بن عربي، تح: عثمان يحي، المجلس الأعلى للثقافة بالتعاون مع معهد الدراسات العليا بالسوربون، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ط2، 1405هـ- 1985م.

الفردوس بمأثور الخطاب، شيرويه بن شهردار الديلميّ الهمذاني، تح: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1406هـ-1986م.

فصوص الحكم، محيي الدين بن عرِبِي، شرح: عبد الرزاق القاشانِي، مكتبة الفكر الجدِيد، آفاق للنشر والتوزِيع، ط1، 2016م.

فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، تح صالح بن محمد العقيل، دار البخاري للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، ط1، 1417 هـ-1997م.

فضائل الصحابة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تح: وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة–بيروت، ط1، 1403-1983م.

فضائل القدس، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزِي، تح: جبرائِيل سليمان جبور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1400هـ- 1980م.

فضائل المدينة، المفضل بن محمد بن إبراهيم الجندي، تح: محمد مطيع الحافظ وغزوة بدير، دار الفكر- دمشق، ط1، 1407هـ/1987م.

فضل الصلاة على النبي ﷺ، القاضي أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق، تح: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي- دمشق، ط2 ،1389هـ -1969م.

فنون العجائب في أخبار الماضيين من بني إسرائيل وغيرهم من العباد والزاهدين، أبو سعيد محمد بن علي النقاش، تح: طارق الطنطاوي، د س ن.

فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات العلامة أمحمد بن يوسف أطفيش اليسجني الشهير بالقطب (1243هـ- 1332/ 1827 -1914)، مكتبة القُطب، يسجن، غرداية - الجزائر، 1434هـ- 2013م.

فهرسة ابن خير الإشبيلي، أبو بكر محمد بن خير، تح: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان، ط1، 1419هـ/1998م.

فهرسة ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب، تح: محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي، دار الغرب الاسلامي -بيروت/ لبنان، ط2، 1983م.

فهرسة الكتب العربية الموجودة بالكتبخانة الخديوية، مصر، 1310هـ.

الفهرست، محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، دار المعرفة –بيروت، 1398 - 1978م.

فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد الملقب بصلاح الدين، تح: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ط1، 1973م.

في علم الدلالة، دراسة تطبيقية في شرح الأنبارِي للمفضّليات، د. عبد الكرِيم محمد حسن جبل، دار المعرفة الجامعِيّة، 1997م.

القاموس المحيط، مجدالدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط8، 1426 هـ - 2005م.

قطب الأئمّة العلامة محمد بن يوسف أطفيّش، بكير بن سعِيد أعوشت، مكتبة الضامرِي، السيب، عمان، 1989م.

الكافِي في التّصرِيف، أمحمّد أطفِيَّش، تح: عائشة يطو، وزارة التراث والثقافة مسقط عمان، 1433هـ-2012م.

الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، 2012.

الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ط3، 1417 هـ - 1997م.

الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد بن عدي الجرجاني، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة، الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط1، 1418هـ1997م.

كتاب الأصنام، أبو المنذر هشام بن محمد أبي النضر ابن السائب ابن بشر الكلبي، تح: أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية - القاهرة ط3، 1995م.

كتاب الأمالي، أبو علي القالي، تح: إسماعيل بن القاسم بن عيذون، تح: محمد عبد الجواد الأصمعي، الهيئة المصرية العامة للكتابِ، د ر ط، 1975م.

كتاب الأمكنة والمياه والجبال، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، تح: إبراهيم السامرائِي، مطبعة السعدون، بغداد، د رط، د س ن.

كتاب الإيضاح في مناسِك الحج والعمرة، محيي الدين النووي الشافعي، د ت، دار البشائر الإسلامية، المكتبة الإمدادية مكة المكرمة، ط2، 1414 -1994م.

كتاب التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد – الدكن، 1360هـ.

كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تح: الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط1، 1425هـ.

كتاب الدعاء، أبو عبدالله البغدادي المحاملي، تح: سعيد بن عبد الرحمن بن موسى القزقي، دار الغرب الإسلامِي بيروت، ط1-1992م.

كتاب الديباج، إسحاق بن إبراهيم الخَتْلي، تح: إبراهيم صالح، دار البشائر، ط1، 1994م.

كتاب الصلة، أبو القاسم خلف بن عبدالملك بن بشكوال، تح: شريف أبو العلا العدوي، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1429هـ - 2008م.

كتاب الضعفاء، أبو جعفر محمد بن عمرو العقيلي، تح: حمدي بن عبد المجيد بن إسماعيل السلفي، دار الصميعي الرياض، ط1، 1420هـ – 2000م.

كتاب الطبقات الكبِير، أبو عبدالله محمد بن سعد، تح: علِي محمد عمر، مكتبة الخانجِي القاهرة، ط1، 1421هـ-2001م.

كتاب العظمة، أبو محمد عبدالله بن محمد المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني، تح: رضاءالله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة –الرياض، ط1، 1408هـ.

كتاب العلل ومعرفة الرجال، أبو عبدالله أحمد بن محمد الشيباني، تح: وصي الله بن محمد عباس، دارالخاني، الرياض، ط2، 1422 هـ - 2001م.

كتاب الفوائد (الغيلانيات)، أبو بكر محمد بن عبد الله البزَّاز، تح: حلمي كامل أسعد عبد الهادي، دار ابن الجوزي -السعودية/الرياض، ط1، 1417هـ-1997.

كتاب المجروحين من المحدثين، محمد بن حبان الدارمي، البُستي، تح: حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصميعي الرياض، ط1، 1420هـ- 2000م.

كتاب المحن، محمد بن أحمد بن تميم، أبو العرب، تح: يحيى وهيب الجبورِي، دار الغرب الإسلامِي، ط3، 1427هـ-2006م.

كتاب المسند الجامِع، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تح: نبيل هاشم الغمري، دار البشائر (بيروت)، ط1، 1434هـ - 2013م.

الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة العبسي، تح: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد–ط1، 1409هـ.

كتاب المنامات، أبو بكر عبد الله بن محمد، المعروف بابن أبي الدنيا، تح: عبدالقادر أحمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية-بيروت، ط1، 1413هـ-1993م.

كتاب المنهاج في شعب الإيمان، أبو عبد الله الحسين بن الحسن أبو عبدالله الحَلِيمي ، تح: حلمي محمد فودة، دار الفكر، ط1، 1399هـ -1979م.

كتاب الهواتف، أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبيد المعروف بابن أبي الدنيا، تح: مصطفى عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1413هـ- 1993م.

كتاب تذكرة الحفاظ، أبو عبد الله شمس الدين الذهَبِي، تح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمِي، تصوِير دار الكتب العلمية بيروت- لبنان عن نسخة دائرة المعارف العثمانية الهند 1377هـ- 1958م د ر ط.

كتابُ طرح التثريب في شرح التقريب، أبو الفضل زين الدين عبدالرحيم بن الحسين العراقي، أكمله ابنه: أحمد بن عبدالرحيم، أبو زرعة ولي الدين، ابن العراقي، د ت، الطبعة المصرية القديمة- وصورتها دار إحياء التراث العربي، د س ن.

كتاب غريب الحدِيث، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، تح: حسين محمد محمد شرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1404هـ،1984م.

كتاب فردوس الأخبار بمأثور الخطاب المخرج على كتاب الشهاب، شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمِي، تح: السعيد بن بسيوني زغلول، فواز أحمد الزمرلي ومحمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتب العلمية-بيروت لبنان، ط1، 1406هـ-1986م.

كتاب نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء، أبو المحاسِن يوسف بن أحمد الحافظ اليغمري، تح: رودلف زلهايم وفرانتس شتاينر بقيسبادن، 1964م- 1384هـ.

كرامات الأولياء اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن اللالكائي، تح: أبو يعقوب نشأت بن كمال المصرِي، المكتبة الإسلامِيَّة، ط1، 1431هـ- 2010م.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، تح: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة- بيروت، ط3، 1430هـ/2009م.

كشف الأستار عن زوائد البزار، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1399 هـ - 1979م.

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، د ت، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، 1941م.

كشف الكرب في ترتيب أجوبة الإمام القطب، أبو الوليد سعود بن حميد آل خليفين، تح: جابر فخار، وزارة التّراث والثّقافة، ط2، 1437هـ- 2016م.

الكشف والبيان المعروف تفسير الثعلبِي، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تح: أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت –لبنان، ط1، 1422هـ-2002م.

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاءالدين علي بن حسام الدين الشهير بالمتقي الهندي، تح: بكري حياني-صفوةالسقا، مؤسسة الرسالة، ط5، 1401هـ/1981م.

الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، نجم الدين محمد بن محمد الغزي، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، ط1، 1418 هـ - 1997م.

اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، جلال الدين عبد الرحمن أبِي بكر السيوطِي، د ت، دار المعرفة بيروت لبنان، د س ن.

لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت، ط1، د س ن.

لسان الميزان، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تح: عبد الفتاح أبوغدة، مكتب المطبوعات الإسلاميّة، ط1، 1423هـ- 2002م.

لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد البغدادي، ياسين محمد السواس، دار ابن كثير دمشق- بيروت، ط5، 1420هـ/1999م.

اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسّان، دار الثّقافة، الدار البيضاء، المغرب 1994م.

مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تح: مرزوق علي إبراهيم، دار الراية، ط1، 1415هـ-1995م.

المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية البحرين – أم الحصم، دار ابن حزم بيروت –لبنان، 1419هـ.

المجتبى من السنن=سنن النسائي الصغرى، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تح: صالح بن عبد العزيز، در السّلام، الرّياض، ط1، 1420هـ- 1999م.

مجمع الأمثال، أبوالفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، تح: محمد محيى الدين عبدالحميد، مطبعة السنة المحمّدِيّة، 1374هـ-1955م.

المجموع شرح المهذب، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تح: محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد جدة، المملكة العربية السعودية، د رط، د س ن.

مجموعة أجزاء حديثية، فنون العجائِب، أبو سعِيد محمد بن علِي بن عمرو النقاش، أبو عبيدة مشهور بن حسن، دار الخراز ودار ابن حزم، ط1، 1422هـ-2001م.

محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، د.أبو القاسم سعد الله ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، 1410هـ - 1990م.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن، تح: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية–بيروت، ط1، 1422هـ- 2001م.

المحلى بالآثار، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، دار الفكر- بيروت، د رط، د س ن.

المختارات الشعرِيَّة وأجهزة تلقِّيها، د.إدريس بلمليح، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 1995م.

مختصر استدرَاك الحافِظ الذّهبي على مُستدرَك أبي عبدالله الحَاكم، ابن الملقن سراج الدين، عَبدالله بن حمد اللحَيدَان وسَعد بن عَبدالله بن عَبدالعَزيز آلحميَّد، دَارُ العَاصِمَة، الرياض المملكة العربية السعودية، ط1، 1411هـ.

مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، محمد بن مكرم المعروف بابن منظور، تح: روحية النحاس، دار الفكر- دمشق، ط1، 1404هـ- 1984م.

مختلف القبائل ومؤتلفها، أبوجعفر محمد بن حبيب البغدادي، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري -القاهرة، دار الكتاب اللبناني -بيروت، د ر ط، د س ن.

المدخل، أبو عبدالله محمد بن محمد الشهير بابن الحاج، دار التراث القاهرة، د س ن.

مروج الذهب ومعادن الجوهَر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودِيّ، تح: محمد محيِي الدّين عبد الحميد، دار الفكر بيروت -لبنان، ط5، 1393هـ- 1973م.

المسالك والممالك، أبو عبيد عبدالله البكري الأندلسي، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 2003م- 1424هـ.

مستخرج أبي عوانة، أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري، تح: أيمن بن عارف الدمشقي، دار المعرفة- بيروت، ط1، 1419هـ- 1998م.

المستدرك على الصحيحين، أبو عبدالله الحاكم، تح: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1411 – 1990م.

المستطرف في كل فن مستطرف، شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي، المكتب العالمي للبحوث، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، 1412هـ-1992م.

المستوعب، نصير الدين محمد بن عبد الله السامري الحنبلي، تح: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط2، 1424هـ-2003م.

مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، تح: محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر – مصر، ط1، 1419هـ - 1999م.

مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلَى، تح: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث بيروت، ط1، 1404 – 1984م.

مسند إسحاق بن راهويه، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم المعروف بـ ابن راهويه، تح: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان –المدينة المنورة، ط1، 1412 - 1991م.

مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط2، 1420هـ، 1999م.

مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من 1 إلى 9) وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من 10 إلى 17)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء 18)، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ط1، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م.

مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، المكتبة العتيقة تونس، ودار التراث القاهرة، د ر ط، د س ن.

مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، التبريزي، تح: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي–بيروت، ط2، 1979م.

مصابيح السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، تح: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، محمد سليم إبراهيم سمارة، جمال حمدي الذهبي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت –لبنان، ط1، 1407 هـ- 1987م.

مصباح الظلام في المستغيثِين بخير الأنامِ عليه الصلاة والسلام في اليقظة والمنام، أبو عبد الله محمد بن موسَى بن النعمان المزالِي المراكشِي، تح: حسين محمد علِي شكرِي، دار الكتب العلمية –بيروت، د س ن.

المصباح المنير معجم عربي عربي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، مكتبة لبنان، 1987م.

مصنف عبدالرزاق، أبو بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي– الهند، ط2، 1403.

المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، 17 رسالة علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود، تنسيق: د.سعد بن ناصر بن عبدالعزيز الشثري، دار العاصمة، دار الغيث- السعودية، ط1، 1419هـ.

مطالع الأنوار على صحاح الآثار، إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، أبو إسحاق ابن قرقول، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – دولة قطر، ط1، 1433 هـ - 2012م.

المعارف، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تح: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط4، 1992م.

معاني القرآن الكريم، أبو جعفر النحاس، تح: محمد علي الصابوني، جامعة أمّ القرى- مكّة المكرّمة، ط1، 1410هـ -1989م.

معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، شركة العاتك، القاهرة، ط2، 1423هـ-2003م.

معجم أعلام الإباضية، من ق1هـ إلى ق15هـ قسم المغرب، جمعية التراث، لجنة البحث العلمي، ط1، المطبعة العربية، غرداية، 1420هـ/1999م.

مُعجَمُ أعلام الجزائِر - مِن صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، ط2، 1400 هـ - 1980 م.

معجم أعلام شعراء المدح النبوي، د.محمد أحمد درنيقة، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 2003م.

معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبوعبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1414هـ-1993م.

المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، تح: طارق بن عوض الله، عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، دارالحرمين-القاهرة، ط1، 1415-1995م.

معجم البلدان، ياقوت بن عبدالله الحموي، د ت، دار صادر، بيروت، 1397هـ-1977م.

معجم السفر، صدرالدين، أبو طاهر السِّلَفي، تح: عبدالله عمر البارودي، دار الفِكر بيروت لبنان، 1414-1993هـ.

معجم الشعراء، أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، تح: فاروق اسليم، دار صادر، بيروت، ط1، 1425هـ-2005م.

معجم الصحابة، أبو الحسين عبدالباقي بن قانع، صلاح بن سالم المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة المنورة، د س ن.

معجم الصحابة، أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي، تح: محمد الأمين بن محمد الجكني، مكتبة دار البيان - الكويت، ط1، 1421 هـ - 2000 م.

المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تح: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية-القاهرة، ط2، 1983م.

معجم المصطلحات النحوية والصرفية، د. محمد سمير نجيب اللبدي، مؤسسة الرسالة لبنان- دار الفرقان الأردن، ط1، 1405هـ-1985م .

المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تح: محمد شكور الميادیني، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط1، 1418هـ-1998م.

معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، د ر ط، د س ن.

معجم رجال الحدِيث وتفصيل طبقات الرواة، أبو القاسم الموسوي الخوئي، مؤسسة الإمام الحوئي الإسلامية النجف، ط5، د س ن.

معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 1414هـ - 1994م.

المعجم لابن المقرئ، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان الأصبهاني الخازن، المشهور بابن المقرئ، تح: أبو عبد الرحمن وعادل بن سعد، مكتبة الرشد، الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع، ط1، 1419هـ-1998م.

معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيد، عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي، تح: مصطفى السقا، عالم الكتب بيروت، ط3، 1403 هـ - 1983م.

المعجم معجم شيوخ أبِي يعلى الموصِلِي، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى، تح: حسين سليم أسد الدارانِي، دار المأمون للتراث بيروت، ط1، 1410هـ-1989م.

معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارِس بن زَكَرِيّا، تح: عبد السَّلام محمد هَارُون، دار الفكر، 1399هـ- 1979م.

معرفة السنن والآثار، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، تح: عبدالمعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي - باكستان)، دارقتيبة (دمشق -بيروت)، دار الوعي (حلب - دمشق)، دار الوفاء (المنصورة - القاهرة)، ط1، 1412هـ - 1991م.

معرفة الصحابة لابن منده، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد، تح: عامر حسن صبري، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1426 هـ - 2005م.

معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، تح: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر –الرياض، ط1، 1419هـ- 1998م.

معرفة علوم الحديث، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله المعروف بابن البيع، تح: أحمد بن فارس السلوم، دار ابن حزم بيروت لبنان، ط1، 1424هـ-2003م.

المغازي، موسى بن عقبة، تح: محمد باقشيش أبو مالك، جامعة ابن زهر- كلية الآداب أكادِير، 1994م.

المغنِي عن حمل الأسفارِ في الأسفار في تخريج ما في الإحياءِ من الأخبار، على هامِشِ إحياء علوم الدين، زين الدين أبو الفضل العراقِي، د ت، دار ابن حزم، ط1، 1426هـ/2005م.

المغني في الضعفاء، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تح: نورالدين عتر، إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر، د ت، د س ن.

المغني، أبو محمد موفق الدين عبد الله، الشهير بابن قدامة المقدسي، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركيي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار عالم الكتب الرياض، ط3، 1417هـ-1997م.

المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العبَّاس أحمَدُ بنُ عُمَرَ بنِ إبراهيمَ القرطبيّ، تح: محيي الدين ديب، يوسف علي بديوي، أحمد محمد السيد، محمود إبراهيم بزاد، دار ابن كثير، دمشق، دار الكلم الطيب، دمشق، ط1، 1417هـ-1996م.

المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، تح: عبد الله محمد الصديق، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1399هـ - 1979م.

مقامع الصلبان، أحمد بن عبد الصّمد الخزرجِي، تح: عبد المجيد الشّرفِي، الجامعة التونسية -مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، د س ن.

المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، المعروف بالمبرد، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامِية - القاهرة، د ر ط 1415هـ- 1994م.

الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، تح: محمد سيد كيلاني، مصطفى البابي الحلبي، تصوير دار المعرفة - بيروت، 1975 - 1395هـ.

مناقب أمِير المؤمنين عمر بن الخطاب، أبو الفرج عبد الرحمن بن علِيّ بن محمّد بن الجوزِي، تح: أبو أنس المصرِي، دار ابن خلدون، الاسكندريّة، د س ن.

مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تح: سمير القاضي، مؤسسة الكتب الثقافية -دار الجنان للنشر والتوزيع، ط1، 1408 هـ-1988م.

المنتخب من مسند عبد بن حميد، أبو محمد عبد الحميد بن حميد، تح: الشيخ مصطفى العدوي، دار بلنسية للنشر والتوزيع، ط2، 1423هـ - 2002م.

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1412 هـ - 1992 م.

منحة الجليل بتحقِيق شرح ابن عقِيل، محمّد محيي الدين عبد الحمِيد، بهامِش شرح ابن عقِيل على ألفِيَّة ابن مالِك، دار التراث- القاهرة، ط20، 1400هـ- 1980م.

منطق العرب في علوم اللّسان، د. الحاج صالح عبد الرحمن، موفم للنشر، 2012م .

المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، فريق بيت الأفكار الدولية، بيت الأفكار الدولية، د رط، د س ن.

المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، يوسف بن تغري بردي بن عبدالله الظاهري الحنفي، تح: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993.

موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تح: حسين سليم أسد الدّاراني – عبده علي الكوشك، دار الثقافة العربية، دمشق، ط1، (1411 - 1412 هـ) = (1990 م -1992 م).

المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أحمد بن محمد القسطلانِي، تح: صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامِي، ط2، 1425هـ-2004م.

المؤتَلِف والمختَلِف، أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، تح: موفق بن عبدالله بن عبدالقادر، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1406هـ - 1986م.

موسوعة أعلام المغرب، تنسِيق: محمد حجّي، دار الغرب الإسلامِي، بيروت، ط2، 2008.

موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة، سعدون محمد الساموك، دار المناهج- عمان الأردن، ط1، 1422هـ-2002م.

موسوعة الطب النبوي، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، مصطفى خضر دونمز التركي، دار ابن حزم، بيروت، ط1 ،1427هـ/ 2006.

الموضوعات، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تح: عبد الرحمن محمد عثمان، محمد عبد المحسن صاحب، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط1، جـ 1، 2: 1386هـ-1966م، جـ 3: 1388 هـ - 1968م.

موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس بن، تح: بشار عواد معروف-محمود خليل، مؤسسة الرسالة، 1412هـ.

الموطأ، مالك بن أنس، تح: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية- أبو ظبي-الإمارات، ط1، 1425 هـ- 2004م.

ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تح: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت –لبنان، ط1، 1382 هـ - 1963 م.

ناسخ الحديث ومنسوخه، أبو حفص عمر بن أحمد المعروف بابن شاهين، تح: سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المنار- الزرقاء، ط1، 1408هـ - 1988م .

نسب قريش، مصعب بن عبد الله، أبو عبد الله الزبيري، تح: ليفي بروفنسال، دارالمعارف، القاهرة، ط3، د س ن

نسب معد واليمن الكبير، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، تح: د. ناجي حسن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط1، 1408هـ - 1988م.

النسخة المسندة من نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسولﷺ، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، الحكيم الترمذي، تح: إسماعيل إبراهيم متولى عوض، مكتبة الإمام البخارِي، ط1، 1429هـ-2008م.

النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، تح: محمد بن محمد بن يوسف، علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية]، د س ن.

نظم العقيان في أعيان الأعيان، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تح: فيليب حتى، المكتبة العلمية –بيروت، 1927م.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن المقري التلمساني، تح: إحسان عباس، دار صادر–بيروت –لبنان، 1388هـ-1968م.

نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبدالوهاب بن محمد، شهاب الدين النويري، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 2004م – 1424هـ.

النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات الجزري ابن الأثير، تح: طاهر أحمد الزاوي- محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية- بيروت، 1399هـ - 1979م.

هداية الحيارَى في أجوبة اليهود والنصارَى، أبو عبد الله محمد بن أبِي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تح: عثمان جمعة ضميرية، دار عالم الفوائد للنشر والتوزِيع، د س ن.

هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، استانبول 1951، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت– لبنان.

الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث– بيروت، 1420هـ - 2000م.

وفاء الوفا بأخبار دار المصطَفَى، نور الدين علِي بن عبد الله السمهودِي، تح: قاسم السامرائِي، مؤسسة الفرقان، مكة المكرمة، ط1، 1422هـ-2001م.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تح: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ج2، 1900، ج7 ، 1994م

2- المصادر المخطوطة:

إجابة الدعوة لإصابة الدّعوة، الجز1، أمحمّد أطفِيَّش، خزانة المؤلِّف، أث ج1.

إجابة الدعوة لإصابة الدّعوة، الجزء1 أمحمّد أطفِيَّش، خزانة عمِّي سعِيد، م06.

إجابة الدعوة لإصابة الدّعوة، الجزء1، أمحمّد أطفِيَّش، الخزانة العامّة، م07.

إجابة الدعوة لإصابة الدّعوة، الجزء2، أمحمّد أطفِيَّش، مكتبة باعمارة، 023.

إجابة الدعوة لإصابة الدعوة، الجزء3، أمحمد أطفِيَّش، خزانة المؤلّف، أث ج2.

تخليص العانِي، من ربقة جهل المعانِي، أمحمّد أطفِيَّش، خزانة المؤلِّف، أس4.

تسهيل الاجتهاد في تفسِير أشعار الاستشهاد، أمحمّد أطفِيَّش، خزانة المؤلِّف، أع2 .

ثاني حاشية على شرح الداوِي على الأجرومِيّة، أمحمّد أطفِيَّش، خزانة المؤلّف، أم3.

مجموع المتون المحتوِي على خواصّ الفنون، مكتبة الاستقامة بنِي يزقن، أ129.

معتمد الصّواب شرح شواهد قواعد الإعراب، أمحمّد أطفِيَّش، خزانة المؤلّف، أع3.

3- المصادر والمراجع الالكترونية:

أعلام السيرة النبوية في القرن الثاني للهجرة، فاروق بن محمود بن حسن حمادة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

هواتف الجنان، أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي، تح: إبراهيم صالح، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1421هـ -2001م.

الإنباه على قبائل الرواة، أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان، ط1، 1405هـ - 1985م.

مجلسان من أمالي الجوهري، الحسن بن علي بن محمد، أبو محمد الجوهري، مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية، ط1، 2004م.

صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، مع الكتاب: أحكام محمد ناصر الدين الألباني.

شرف المصطفى، عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي، أبو سعد، دار البشائر الإسلامية - مكة، ط1- 1424هـ.

الوفا بتعريف فضائل المصطفى، ابن الجوزي.

تفسير البغوِي، معالم التنزِيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوِي، تح: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضمرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض، د رط، 1411هـ.

مسند الربيع بن حبيب.

النسبة إلى المواضع والبلدان، جمال الدين عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد بامخرمة الحميري.

مناقب الإمام الشافعي، محمد بن الحسين الآبرِي، تح: د.جمال عزون، الدار الأثرية، ط1، 1430هـ - 2009م.

شرف المصطفى، عبدالملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي، أبوسعد، د ت، دار البشائر الإسلامية- مكة، ط1- 1424هـ.

السيرة الحلبية =إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، علِي بن إبراهيم بن أحمد الحلبِي، أبو الفرج، دار الكتب العلمية – بيروت ط2، 1427هـ.

موقع مجلة دعوة الحقّ: http://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/5146

4- الرّسائل والأطارِيح:

التحليل النحوي وتوجيه الدلالة، قراءة في كتاب الأمالِي لابن الحاجِب، الزايدِي بودرامة، ماجستِير، إشراف: بلقاسم ليبارير، جامعة الحاج لخضَر باتنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانِيَّة، قسم اللغة العربية وآدابها، 1427هـ-2007م.

التفسِير الاشتقاقِي لدلالة مفردات تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، خليفة فاطمة الزهراء، رسالة ماجستِير، إشراف: هني سنية، جامعة وهران1، كلية الآداب واللغات والفنون، 2014- 2015م.

الدلالة المعجمية عند العرب دراسة نظرية وتطبيقية، ربيعة برباق، دكتوراه العلوم في اللغة والأدب العربي، إشراف: محمد بوعمامة، جامعة باتنة كلية الآداب، قسم اللغة والأدب العربي، 2011- 2012م.

القراءات القرآنية في معجم تهذيب اللغة للأزهري في ضوء علم اللغة الحديث، رسالة دكتوراه، إبراهيم عبد الله سالم، إشراف: د. مصطفى الصاوي الجويني، جامعة طنطا، 1999م.

قصيدة البردة للشيخ أمحمد أطفيش، مختارات من جمهرة رسائل البكري، شرح وتحقِيق، حمو علي مسعود وبكلي بابه عمر وإبراهيم باباحني وبكلي بابه محمد، إشراف: عمر بن طرية، مذكرة ليسانس في اللغة العرِبِيَّة وآدابها، جامعة قاصدِي مرباح ورقلة، 2006م.

كتاب التبصرة، أبو الحسَن علي بن محمد اللخمِي، توفيق بن سعيد الصايغ، رسالة ماجستِير في الشريعة، تخصص فقه، إشراف: فرج زهران الدمرداش، 1429-1430هـ، جامعة أم القُرَى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.

المدونات الصّرفِيّة بالجزائِر من 1830 إلى 1962-دراسة تحليلِيّة، قدور قطاوِي لخضر، رسالة دكتوراه، إشراف: المختار بوعنانِي، جامعة وهران، كلية الآداب واللغات والفنون، 2011م.

معالم المنهج اللُّغوِي فِي شرح الحدِيث النَّبوِي عند الإمام العينِي من خلالِ كتابِهِ: عمدة القارِي شرح صحيح البخارِي، ابن يوسف شتيح، دكتوراه، تخصص: لسانيات عربِيَّة، إشراف: عبد المجِيد عيسانِي، جامعة قاصدِي مرباح –ورقلة، كلية الآداب واللغات، 2013- 2014.

مفدي زكريا وإنتاجه الأدبِيّ في مرحلة ما قبل الثّورة، مصطفى حمودة، أطروحة دكتوراه، إشراف: د. محمد زمرِي، جامعة أبِي بكر بلقايد، تلمسان، 2010م.

نواهد الأبكار وشوارد الأفكار من الآية (21) من سورة البقرة إلى نهاية الآيَة (112) من سورة آل عمران، عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دراسة وتحقِيق: محمد كمال علِي، رسالة دكتوراه، إشراف: أمين محمد عطية باشا، جامعة أم القرى- كلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية، 1424 هـ - 2005م.

5- المقالات:

معاني الأدوات فِي التفسير اللغوِيّ، الواقع والآفاق، د. فخر الدين قباوة، كتاب المؤتمر العالمِي الثالث للباحثِين في القرآن وعلومِهِ، فاس، 2016.

من أروع الشعر، أنجم السياسية وقصائد أخرى، عبد الله كنون مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ع53، 92/1، صفر 1399 – يناير 1979م.

11- فهرس المحتويات:

الفَصْلُ الأَوَّلُ: [أَسْمَاءُ المدِينَةِ] 22

الفصل الثاني: في بَدْءِ شَأْنِها [15و] وَمَا يَؤُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهَا 36

[الفصل] الأَوَّل: فِي فَضْلِ المدِينَةِ 47

[21ظ] الفصل الثَّاني: فِي الإِقَامَةِ بِهَا وَوَعِيدِ المحْدِثِ بِهَا وَمُؤْوِيهِ وَالمخِيفِ لِأَهْلِهَا 55

الفَصْلُ الْأَوَّلُ: [فِي الدُّعاءِ لَهَا وَلِأَهْلِهَا وَعِصْمَتِهَا] 65

الفَصْلُ الثَّاني: [فِي تُرَابِهَا وَثَمَرِهَا] 75

الفصل الثَّالِث: [فِي أَخْبَارِ سُكَّانِهَا إِلَى أَنْ حَلَّها النَّبِيءُ ﷺ] 80

الفصلُ الرَّابع: [في مَنَازِلِ الأَوْسِ والخَزْرَجِ وحُرُوبهمْ] 95

[الفصل] الأَوَّلُ: فِي فَضْلِ الزِّيَارَةِ: 105

الفَصْلُ الثَّانِي: فِي تَوَسُّلِ الزَّائِرِ بِهِ ﷺ إِلَى رَبِّهِ واسْتِقْبَالِهِ لَهُ فِي سَلَامِهِ ودُعَائِهِ وآدَابِ الزِّيَارَةِ والمجَاوَرَةِ والتَّوَصُّلِ والتَّشَفُّعِ بِهِ ﷺ 127

[آدَابُ زِيَارَةِ المدِينَةِ] 135

الفَصْلُ الثَّالِثُ: فِي فَضْلِ المسْجِدِ النَّبَوِيّ 154

الفَصْلُ الرَّابِعُ: 173

وهُنَا فُصُولٌ فِي فَضْلِهِ ﷺ علَى غَيْرِهِ والرِّسَالَةِ والنُّبُوءَةِ وأَوَّلِ الخَلْقِ خَلْقًا وأَوَّلِهِمْ بَعْثًا مِنْ قَبْرٍ، والمعْجِزَةِ. 175

الفَصْلُ الأَوَّلُ: [فَضْلُهُ ﷺ علَى غَيْرِهِ] 175

الفَصْلُ الثَّاني: فِي الرِّسَالَةِ والنُّبُوَّةِ 190

الفَصْلُ الثَّالِثُ: [أَوَّلُ الخَلْقِ خَلْقًا] 197

الفَصلُ الرَّابع: [أَوَّلُ الخَلْقِ بَعْثًا مِنْ قَبْرٍ] 207

الفَصْلُ الخَامِسُ: [المعْجِزَةُ] 210

الفَصْل الأَوَّلُ: [ما جَاءَتْ بِهِ الكُتُبُ] 218

الفَصْلُ الثَّانِي: [ما بَشَّرَت الأَنْبِيَاءُ بِهِ] 237

الفَصْلُ الْأَوَّلُ: فِي حَمْلِ آمِنَةَ بِالنَّبِيءِ ﷺ 266

الفصل الثَّانِي: في ولادته 269

الْفَصْلُ الثَّالِث: فِي صَدْعِ إِيوَانِ كِسْرَى ونَحْوِه: 283

الفَصْلُ الرَّابِعُ: فِي مَنْعِ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ وفِي أَخْبارِ الجِنّ 289

الفَصْلُ الأَوَّلُ: 334

الفَصْلُ الثَّانِي: فِي قِصَّةِ بَحِيرَى: 348
الفَصْلُ الثَّالِثُ: [في بَعْضِ ما تَقَدَّمَ فِي الأَزْمانِ السَّابِقةِ علَيْهِ مِنْ شَأْنِهِ] 353
الفَصْلُ الأَوَّلُ: [حِرَاء والتَّحَنُّثُ فِيهِ] 382
الفَصْلُ الثَّانِي: مَرَاتِبُ الْوَحْيِ 403
[الفصل] الْأَوَّلُ: 414
الفَصْلُ الثَّانِي: 417
[النّوعُ] الأَوَّلُ: الاستِسْقَاءُ بِرَكْعَتَيْنِ وخُطْبَتَيْنِ 435
النَّوعُ الثَّانِي: اسْتِسْقَاؤُهُ ﷺ فِي خُطبَةِ الجُمُعَةِ 439
النَّوعُ الثَّالِثُ: اسْتِسْقَاؤُهُ ﷺ عَلَى مِنْبَرْ المَدِينَةِ: 444
النَّوعُ الرَّابِعُ: استِسْقاؤهُ ﷺ مِن غَيْرِ صَلَاةٍ: 447
النَّوعُ الخامِسُ: استِسْقاؤُهُ ﷺ عِنْدَ أَحْجَارِ الزَّيتِ قَرِيبًا مِنَ الزَّوْرَاءِ 449
النَّوعُ السَّادِسُ: اسْتِسْقاؤُهُ ﷺ فِي بَعْضِ غزَوَاتِهِ: 449
الفصل الثَّانِي: فِي سَخَائِهِ ﷺ 451
[الفصل] الأَوَّلُ: رُوِيَ أَنَّهُ ﷺ لَا يَقَعُ لَهُ ظِلٌّ عَلَى الْأَرْضِ 462
الْفَصْلُ الثَّانِي: [كَانَ ﷺ إِذَا مَشَى فِي التُّرَابِ لَمْ يَتَبَيَّنْ لِقَدَمَيْهِ أَثَرٌ فِيهِ] 464
الْفَصْلُ الثَّالِثُ: 468
الفَصْلُ الرَّابِعُ: يُروَى أَنَّهُ يُبْصِرُ مِنْ وَرَائِهِ كَمَا يُبْصِرُ مِنْ قُدَّامِهِ 474
[الفصل] الأَوَّلُ: فِي قُوَّةِ بَدَنِهِ ﷺ 523
الْفَصْلُ الثَّانِي: 531
الْفَصْلُ الْأَوَّلُ: [رِسَالَتُهُ ﷺ إِلَى الْجِنِّ والْمَلَائِكَةِ] 541
الفَصْلُ الثَّانِي: [الإِسْرَاءُ بِهِ ﷺ] 548
الفَصْلُ الثَّالِثُ: [فِي أَبْيَاتٍ تُشْبِهُ قَوْلَهُ: وَكَم آيَةٍ قَدْ نِلْتَ ثَمَّ عَظِيمَةٍ] 670
الْفَصْلُ الْأَوَّلُ: [بَرَكَةُ اللَّبَنِ بِيَدِهِ ﷺ] 682
الفَصْلُ الثَّانِي: [يدَاهِ ﷺ] 686
الْفَصْلُ الثَّالِثُ: [مُشَارَكَتُهُ لِلْأَنْبِيَاءِ فِيمَا خُصُّوا بِهِ] 692
الفهارِس 707
1–فهرس الآيات القرآنيَّة 708
2–فهرس الأحاديث 725

3–فهرس الشّعر 752
4–فهرس الكلمات الغريبة 757
5–فهرس الأعلام 758
6–فهرس الفرق والطوائف والقبائل 790
7–فهرس الأماكن والبلدان 797
8–فهرس الأيام والحروب: 807
9–فهرس الكتب التي في المتن 808
10– فهرس المصادر والمراجع 815
1– المصادر والمراجع المطبوعة: 815
2– المصادر المخطوطة: 850
3– المصادر والمراجع الالكترونية: 851
4– الرّسائل والأطارِيح: 851
5– المقالات: 853
11– فهرس المحتويات: 854